الجزء الثاني من كتاب نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب
وذكر وزيره لسان الدين بن الخطيب لغرناطة زمانه
ونادرة أوانه العلامة احمد المقرى المغربى
المالكى الاشعرى تغمده الله تعالى
برحمته وأسكنه فسيح
جنته آمين
آمين

محلاة هوامش أجزائه الاول والثانى والثالث بالتاريخ الفائق نغمات الثانى والثالث
المسمى مروج الذهب ومعادن الجوهر للامام ابى الحسن على المسعودى احسن الله مثوبته
فى دار المستقر وافردها مش جزئه الرابع بالكتاب البديع الرائع المسمى تحفة الاحباب
وبغية الطلاب فى الخطط والمزارات والتراجم والبقاع المباركات وما يتبع ذلك للعلامة
السخاوى الهمام أمطره الله تعالى بهوامع الاكرام

(الطبعة الاولى)

(بالمطبعة الازهرية المصرية)

(سنة ١٣٠٢ هجرية)

٥	أبو الحسن علي بن عمر بن القطان
٢	عبد البر بن فرسان العبدلي
٣	عبد الله بن عمر الغساني
٤	أحمد بن سعود الغرطي الخزرجي
٥	أبو العباس القرطبي صاحب المفهم
٥	العارف الكبير جعفر بن عبد الله الخزاعي
٦	محمد بن عبد الرحمن الخزرجي
٦	محمد بن يحيى اللبلي
٧	أبو عبد الله بن الحكيم الرندي ذو الوزارتين
١١	الحافظ محب الدين الطبري
١١	أبو بكر بن العربي صاحب الحافظ أبي بكر بن العربي
١١	ابن الخراز
١١	محمد بن أحمد البكري القرشي
١٢	أبو بكر الحجاري
١٢	أبو الخطاب العلاء بن عبد الوهاب الأندلسي
١٣	عمر بن الحسن الموزني
١٣	يحيى بن قاسم بن هلال القرطبي
١٣	يحيى بن مجاهد الغزلوي
١٤	محمد بن أحمد الصدفي الاشبيلي
١٤	زكريا بن عطاب الذكالي
١٤	سعد الخير البلنسي
١٤	سعيد بن نصر الاسكي
١٤	سعيد الاعناقي
١٥	عبد الرحمن بن خلف الطبني
١٥	ابن الحذاء الاشبيلي
١٥	عبد الله بن محمد الغافقي
١٥	عبد الله بن محمد بن مرزوق

١٥	الحكم بن عبد بن عبد الله الغساني
١٦	الاستاذ عبد الوهاب بن عبد الله
١٧	عبد الله بن الحسن البلطي
١٧	سليمان بن ابراهيم بن عبد الله الرماك
١٧	طالوت بن عبد الجبار المقري
١٨	ابن خروف النحوي
١٩	مالك بن مالك بن أهل جيان
١٩	أبو علي بن سكن
١٩	منصور بن أب الانصاري
١٩	مفرج بن جاد المقري
١٩	علي بن الحسين
١٩	سعيد بن أحمد الاصبحي
٢٠	أبو حبيب خزرج القاسم
٢٠	النعمان بن النعمان المقري
٢٠	نعم الخلف بن عبد الله الحضرمي
٢٠	ثابت بن الفرج الجحدري
٢٠	عصام بن عبد الله الاندلسي
٢٠	صعصعة بن سورة
٢٠	عبد الله بن عصام المقري
٢١	عبد الله بن جعد الربيلي
٢١	عبد الله بن عبد الله القرطبي
٢١	أبو بكر الباري
٢٢	عبد الله بن محمد بن مرزوق العجيسي
٢٢	عبد الله بن محمد العروضي
٢٢	عبد الله بن يحيى الشاطبي
٢٣	عبد الله بن وهب الأزدي
٢٣	عبد الله بن عمر الغافقي
٢٣	عبد الله بن [illegible] الطنجالي
٢٣	أحمد بن [illegible] الحجري
٢٣	أحمد بن [illegible] الحجري

٣٥
٣٦
٣٧ يحيى بن عبد الله بن الوزير المغربي
٣٧ محمد بن علي الانصاري
٣٨ محمد بن علي القرطبي
٣٩ ابو الحسن الباروق
٤٠ ابن عبد الملك
٤٣ نجم الدين ابن بابر الضرير
٤٣ ابو نصر الامير حديقة ابن جابر
٤٤ ابو مروان عبد الملك بن ابراهيم القيسي
٤٤ ابن البطار
٤٥ ابو الحسن القلصادي
٤٦ ابو عبد الله الراعي
٤٦ ابو عبد الله بن الازرق
٤٨ (الباب السادس) في ذكر بعض من اشتهر بالاندلس من اهل المشرق
٤٨ المشير الذي يقال انه حماني
٥٢ امير الامراء موسى بن نصير التابعي
٥٢ سفين الصنعاني التابعي
٥٣ علي بن رباح اللخمي التابعي
٥٤ عبد الله بن فروخ القاضي التابعي
٥٥ سحنون بن سعيد التنوخي التابعي
٥٥ التجيبي التابعي
٥٦ حبيب التابعي
٥٦ عباس التابعي
٥٦ عبد الله بن عبد الحكم
٥٦ ابو ابو بن عبد الله
٥٦ السمح بن مالك الخولاني
٥٨ يحيى بن يحيى الليثي
٦٢ عبد الرحمن بن معاوية المعروف بالداخل
٧٧ ابو الاشعث الشكاي
٧٧ يزيد بن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز
٧٧ بكر بن سوادة الجذامي
٧٨ زريق بن حكيم
٧٨ زيد بن قاصد الكتبي
٧٨ زرعة بن روح الشامي
٧٨ محمد بن اوس بن ثابت الانصاري
٧٨ عبد الملك بن عمر بن مروان الاموي
٧٩ هاشم بن الحسين من نسل سيدنا الحسين رضي الله تعالى عنه
٧٩ عبد الله بن المغيرة الكناني
٧٩ عبد الله المصري
٧٩ عبد الرحمن بن شعابة المصري
٧٩ عبد الله بن سعيد بن عبد الرحمن بن يامر رضي الله تعالى عنه
٨٠ عبد الرحيم بن الحسين [illegible]
٨١ عبد الرحمن بن علي [illegible]
٨١ عبد [illegible]
٨٢ [illegible]
٨٢ [illegible]

صحيفة

١١٩ أحمد بن الحسين الأعمى
١١٩ أحمد بن أبي عبد الرحمن القرشي الزهري
١١٩ أبو الطاهر بن الاسكندراني
١٢٠ أبو الحسن الأنطاكي
١٢٠ عمر بن مودود الفارسي
١٢٠ نجم الدين بن مهذب الدين
١٢١ تقي الدين بن الفرس الخشني المصري
١٢٢ سيدي يوسف الدمشقي
١٢١ (الباب السابع في نبذة مما من الله تعالى به على أهل الاندلس من توقد الاذهان وبلوغهم في اكتساب المعارف والمعالي ما عز وهان الخ)
١٣٠ رسالة ابن حزم في بعض فضائل علماء الاندلس
١٣٨ رسالة الشقندي في تفضيل الاندلس وأهله
١٥٦ (ذكر نبذة من كلام الاندلسيين وحكاياتهم الدالة على سبقهم
١٥٨ (ذكر مذهب أهل الاندلس في القديم وانتقالهم الى مذهب الامام مالك
١٦١ ما قاله ابن عبد البر في الرد على من عابه باكل طعام السلطان وقبول جوائزه
١٦٣ (ذكر ترجمة من شعر ابن بجير وغيره من الاندلسيين وطرف من نوادرهم)
٢٢٦ (قصة الرمادي الشاعر مع المنصور)
٢٢٧ (من حكايات الاندلسيين في البخل)
٢٣٠ (من حكاياتهم في الوفاء وحسن الاعتذار والقيام بحق الاباء)
٢٣١ (من حكاياتهم في علو الهمة في العلم والدنيا
٢٣٦ (من حكاياتهم في النكت والمستملح الخ وما جاء)

صحيفة
٣٤٤ (من حكاياتهم في حب العلم)
٣٤٦ (من فضائلهم الاندلسي وخطأ
ضياعها الخ)
٣٧٠ (خواتيم حروف الرياضة)
٣٠٤ (ترجمة ابن سهل الاسرائيلي الاشبيلي
٣١٨ (من حكايات أهل الاندلس في
الانقباض عن السلطان الخ)
٣١٩ (من دعاباتهم ونكتهم)
٣١٩ (من اجوبة ملوكهم)
٣١٩ (من غريب ما يحكى عن خوفهم
وشجاعتهم
٣٢٢ (من حكاياتهم في الظرف)
٣٢٣ (من حكاياتهم في اللباقة)
٣٢٤ (من حكاياتهم في عدم احتمال الضيم
والذل والوصف بالانفة)
٣٢٤ (من حكاياتهم في الجود والفضل
ومكارم الاخلاق)
٣٣٦ (ذكر جملة من بني مروان بالاندلس)
٣٣٧ (من حكاياتهم في حلاوة المسة)
٣٣٧ (الرجوع للكلام على أهل الاندلس
جملة)
٣٤٢ ذكر نبذة من سير عقيدية أهل
الاندلس وان رث من ذلك جملة
وتأدبها
٣٤٩ (من حكايات أهل الاندلس في الحمو
٣٦٤ (ترجمة ابن هانئ)
٣٨٣ (ذكر ما خلق بمكانة سبيب هل هو
بفتح الهاء أو كسرها)
٣٨٤ (في ذكر القيروان)
٣٨٧ (ترجمة [illegible])
(ذكر [illegible])
(الرجوع [illegible])
٤٢٩
٤٣٠
٤٣٠ حفر
٤٣٤ (ذ
سفر
٤٤١ (ذكر ما
سبتة ا
٤٤٧ (ذكر ما
٤٤٧ ولاية بنت المستكفي
٤٥١ اعتماد طارقة المعتضد عباد
بالرميكية
٤٥٣ (ذكر مواقع للمعتمد من أعلام
باعمات وما يتعلق بذلك)
٤٦٠ (ترجمة المعلم الاديب أبي ج
البني
٤٦٢ (ترجمة ابن اللبانة)
٤٦٣ (ترجمة ابن عبد الصمد
٤٦٥ (ترجمة ابي بكر بن القوطية)
٤٦٥ (ترجمة قاضي مالقة ابن عون
٤٦٩ (ترجمة [illegible])
٤٧١ (ترجمة [illegible])
١٨٨٩ (ترجمة [illegible])
١٨٩٠ (ترجمة [illegible])
(ترجمة [illegible])
(ترجمة [illegible])
(ذكر [illegible])

٥٩٤ (ذكر ...)
٥٩٥ (ذكر ... في يوم الخميس)
٥٩٦ (الخطبة)
٥٩٧ (ابراهيم بن القاسم ... الخ)
٥٩٨ (مدينة ... بالاندلس)
٥٩٩ خبر جدير بالمعتبر من سيرة الناصر
٦٠٠ (الناصر)
٦٠١ (وصف الخزانة)
٦٠٢ (الباعث على ذكر طلب العدو الكافر على الجزيرة الخضراء الخ)
٦٠٣ (من أول مسيرة الامير من مدن الاندلس المطيعة له على طلبه الخ)
٦٠٤ وقعة الزلاقة
٦٠٥ (ذكر بعض اشاء لسان الدين في شأن ما تعلق بحمل النصح وغيره الخ)
٦٠٦ (وقعة بطرنة)
٦٠٧ (تغلب العدو على برشلونة)
٦٠٨ هوص العدو للاستيلاء على لبلة)
٦٠٩ (وقعة كتندة)
٦١٠ (دخول العدو مدينة المرية عنوة)
٦١١ (رجوعه الى ملك المسلمين وتقاوحه بايديهم سنين)

٦١٢ (أخذ العدو كورة جاردة)
٦١٣ (أخذ العدو لبيرة وشيدونية)
٦١٤ (تاريخ أخذ العدو لبيرة وشنتمرية ومدينة سرقسطة وبلاد الافرنج على ثغور الاندلس شاطبة وغيرها وعلى مدينة قرطبة وعلكه على بربشتر وحصن لاسبلية وعلكه لمدائن وقعة أشبونة)
٦١٥ (ذكر رسالة حاجب هشام بن عبد الجبار وهي أبو عبد الله بن الابار يذكر فيها أخذ العدو مدينة لبلة)
٦١٦ (ذكر رسالة ابن الابار الى رسالة الخبر وهي جواب عنها)
٦١٧ (ذكر حصول مجموعة من كلام ابن الابار في كتابه المسمى بدرر السمط في خبر السبط)
٦١٨ (فصل ملوك الافرنج لاحد عشر ملة وما يتعلق بذلك)
٦١٩ (ذكر السلطان الذي أخذت على يده غرناطة وانقرضت بذهابه علكة الاسلام بالاندلس)
٦٢٠ (ذكر الرسالة التي كتبها السلطان المذكور والسلطان فاس الشيخ الوطاسي)

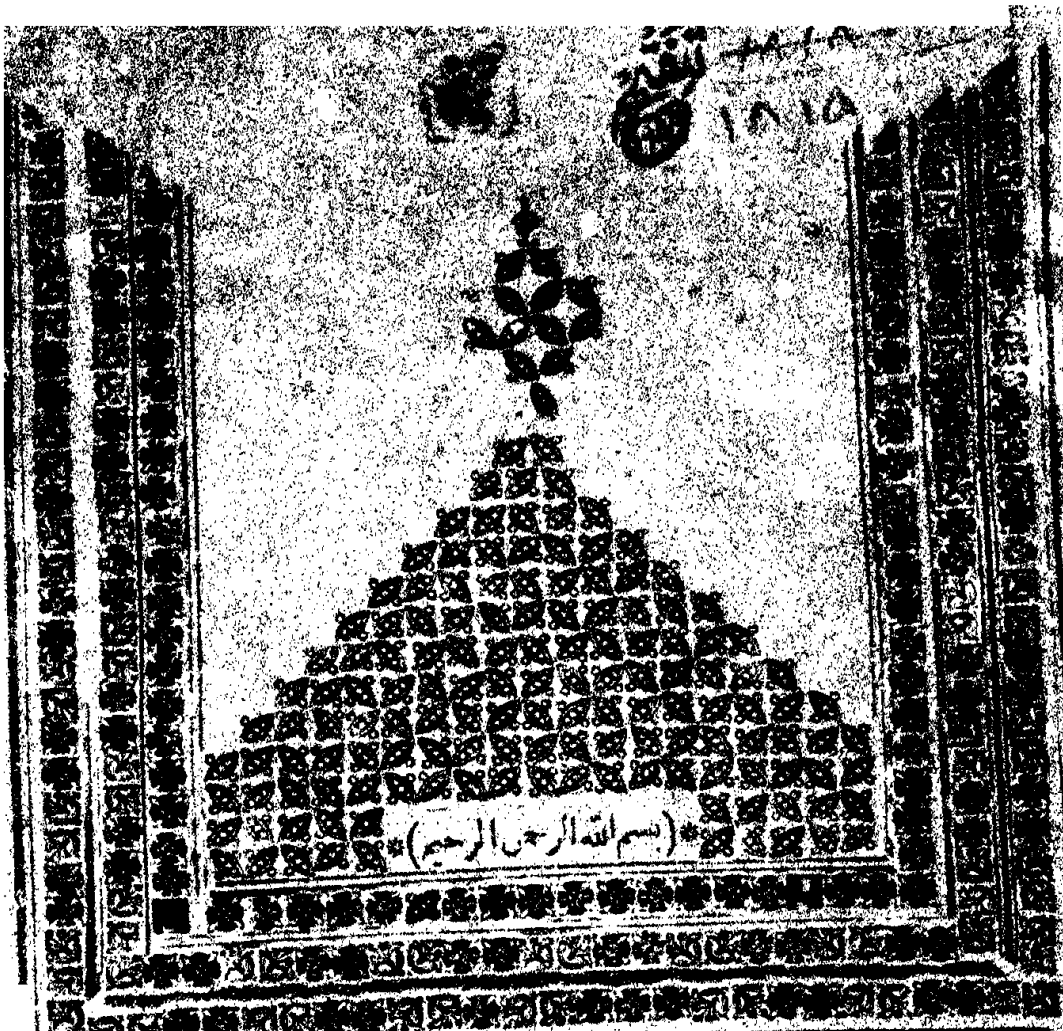

(بسم الله الرحمن الرحيم)

*(ومن المرتحلين من الاندلس الى المشرق الامام النووى الدمشقى نور الدين أبو الحسن على ابن أحمد بن محمد بن حمدون الجمرى الاندلسى المالقى) قال شرف الدين الصابونى أنشدنا المذكور لنفسه سنة ٦٦٧

فؤادى بايدى النائبات مصاب * وجفن الغيض الدمع فيه مصاب
تناءت ديار قد ألفت وجيرة * فهل لى الى عهد الوصال اياب
وفارقت أوطانى ولم أبلغ المنى * ودون مرادى أبحر وهضاب
مضى زمنى والشيب حل بمفرقى * وأبعد شئ أن يرد شباب
اذا تم عمر المرء فليس براجع * وان حل شيب بعده فخضاب
على حمام الشيب فى فرق لمتى * وقد طارت بها الشباب غراب
ولم عنة لى فى الزمان وأهله * وبين فؤادى والغرام حجاب
قنع شهوات النفس عل تعزل * فعذب الليالى تقتضيها عذاب
وسل فؤادا عن رباك تقربت * فحالا تصبر فالبعاد يذوب
وأنوى متابا أحض بدمعى * فربع صلاحى بالصلبوب
أقر بتصبرى وأحج فى الرضا * فهذا القصد الارجح والصواب

(ولما أجلاس الاوس وأخواتهم) فقد تقدم الناس فى بدئهم على من رأى أنهم من ربيعة ابن نزار بن معد بن عدنان وقال انفردوا فى قديم الزمان وانضموا الى الجبال والاودية عند هبوطهم الى خطة الاحساء وجاوروا هناك من الامم الى أن كثر العدد وانتشروا فى الاعاجم والفرس فحالوا عن لسانهم وصارت لغتهم أعجمية ولد كل من الاكراد لغلبة الكردية ومن الناس من رأى أنهم من مضر بن نزار وأنهم من ولد كرد بن مرة بن صعصعة بن هوازن وأنهم انفردوا فى قديم الزمان لوقائع وقعت كانت بينهم وبين غسان منهم من رأى أنهم من ربيعة ومضر وقد انضموا الى الجبال قبل الاسلام والذى رأى هؤلاء

و يعتبني في العزل وصاحب * وهل نافع في الجامدات عتاب
أطهر ثوابي وقلبي مدنس * وأزعم صدقا والمقال كذاب
وفارقت من غرب البلاد مواطنا * فيسقى رباغرب البلاد سحاب
فبالقلب من نار التشوق حرقة * وبالعين من فيض الدموع عباب
وما بلغ المملوك قصدا ولا نمى * ولاحظ عن وجه المراد نقاب
وأخشى سهام الموت تقعا غفلة * وماسار بي نحو الرسول ركاب
وقلبي مسور بحب محمد * فحالي في غير الحجاز طلاب
بحن الى أوطانه كل مسلم * فقدس منها منزل وجناب
فيا سعدا يا حي اذا قيل هذه * منازل من وادي الحمى وقباب
جسمي في مصر وروحي بطيبة * فللروح عن جسمي هناك مناب
على مثل هذا العز والعمر منقض * تشق قلوب لا تشق ثياب
وأرجو ثوابا بامتداحي محمدا * وما كل من في الزمان يثاب
به أخذت من قبل نيران فارس * وحق من طسي الملا تخطاب
وكم قد سقى من كفه الجيش فارتووا * وكم قد شفى منه العيون رضاب
أجيب لما يختار في حضرة العلا * وما كل خلق حيث قال يجاب
فلم تلهه دنياه عن خوف ربه * ولا شغلته عن رضاه كعاب
محمد المختار أعلى الورى ندى * وأكرم مبعوث أتاه كتاب
أتحسب أن تحصى بعد صفاته * وهيهات ما يحصى علاه حساب
ثناء رسول الله خير ذخيرة * وقد ذل جبار وخيف عقاب
وقد نصب الميزان والله حاكم * وذلت لاحكام الاله رقاب
فكل ثناء واجب لصفاته * فما مدح مخلوق سواه صواب
اليك رسول الله أنهى مدائحي * وان رجائي راحة وثواب
اذا قيل من تعني بمدحك كله * فانت اذا خبرت عنه جواب
فليتك تحلو والحياة مريرة * وليتك ترضى والانام غضاب
فانت أجل العالمين مكانة * وأكرم مدفون حواه تراب

وله يرثي العز بن عبد السلام

أمد الحياة كما علمت قصير * وعليك نقادبها و بصير
عجبا لمغتر بدار فنائه * وله الى دار البقاء مصير
فليمهله * برض * وعزيزها بيد الردى مقهور
أيظن ان العمر ممدود له * والعمر فيه على الردى مقصور

وهي طويلة ولم يحضرني سوى ما ذكرته * (ومنهم عبد البر بن فرسان بن ابراهيم بن عبد الرحمن الغساني الوادي آشي أبو محمد) وله أخبار كثيرة في الحماسة وعلو الهمة ومن نظمه لما تعيم محمد ابن غانية بجماعة بيضاء ليس غارة حمراء على جيش خضراء

سليمان بن داود عليهما السلام حين سلب ملكه ووقع على امائه المنافقات الشيطان المعروف بالجسد وعصم الله منه المؤمنات أن يقع عليهن فعلق منه المنافقات فلما رد الله على سليمان ملكه ووضع تلك الاماء الحوامل من الشيطان قال اكردوهن الى الجبال والاودية ففرتهم أمهاتهم وتناكحوا وتناسلوا فذلك بدء نسب الاكراد (ومن الناس) من رأى ان الضحاك ذا الافواه المقدم ذكره في هذا الكتاب الذي تنازعت فيه الفرس والعرب من أي الفريقين هو انه خرج بكتفيه حيتان لايهدآن الا بادمغة الناس فافنى خلقا كثيرا من فارس واجتمعت الى حربه جماعة كثيرة فوافاه أفريدون بهم وقد شالوا رايتهم من الجلود تسميها الفرس درفش كاهيان فاخذ أفريدون الضحاك وقيده في جبل نهاوند على ماذكرنا وقد كان وزير الضحاك في كل يوم يذبح كبشا ورجلا ويخلط ادمغتهما ويطعم تينك الحيتين اللتين في كتفي الضحاك ويطرد من يخلص الى الجبل فتوحشوا وتناسلوا في تلك الجبال فهم بدء الاكراد وهؤلاء من نسلهم وتشعبوا أفخاذا وماذكرنا من خبر

فديتك بالنفس التى قد ملكتها * بما انت وليها من الكرم الغض
تربيت فى حسن الحقيق جمعة * فصار لها الكلى فى ذلك كالبعض
ولما تلالا نور غرتك التى * تعم فى طول البلاد وفى عرض
ناضعتها بصراء احسن ناظر * فبت عنك اجلالا وذاك من الفرض
واسدلت حمراء اللابس فوقها * بمفرق تاج الخنو الشرف المحض
فاصبحت بدرا طالعا فى غمامة * على شفق دان الى مغرب الارض

وقال رحمه الله تعالى

اجبا ورعيى ناصرى وحسامى * وعزا وعزى قائدى وامامى
ولى منك بطاش اليدين غضنفر * يحارب عن اشباله و يحامى

وقال رحمه الله تعالى لما استأذن مخدومه فى الحج والزيارة

امين يتسرح على وصاله * سبب الزيارة للعظيم ويثرب
ولئن تقول كاشح ان الهوى * درست معالمه وانكر مذهبى
فعلانى مالان ملت وانما * عمرى ابى حمل الغرام ومنكبى
وعجزت عن ان استتير كتمها * واشق بالصمصام صدر الموكب

وقال رحمه الله تعالى ولا خفاء ببراعته

فدى لخصلاذاك الجناح المذعنا * وسقيا وان لم تسق ماسجا طما
اعد هن الحانا على سمع معرب * يطارح مرتاحا على القضب مغنما
وطرغير مقصوص الجناح مرفها * مسوغ اشتات الحبوب منعما
محلى واقرانا بوكرك توما * الا ليت اقرانى معى كن نوما

وقال رحمه الله تعالى

كفى حزنا ان الرماح صقيلة * وان السوارهن الصدى بدمائه
وان بنادق الجرائب فرزت * وليس يمدوح الدست بيت بنائه

وكان رحمه الله تعالى من جلة الادباء وفحول الشعراء وبرعة الكتاب كتب عن ابن غانية الامير ابى زكريا يحيى بن ابى محمد بن على المؤمنى اليرقى الثائر على منصور بن عبد المؤمن ثم على من بعده من ذريته الى ايام الرشيد منهم وكان منقطعا اليه موثرا محبه فى حركاته وكان آية فى حسد الهمة والدهاء بنفسه والنهاء فى مواقف الحرب والحتى يتعلة الهمم اذا بن غانية كان غاية فى ذلك اضاء وجهه اليرقى المذكور عشية يوم من ايامه وهو به الى المازق وقد طال القراك وكاد الناس ينحصلون عن الحرب الى ان يناكروها من التعب فلما بلغ الصدر الذى تدعى الناس وتدار باب الحفيظة واهى اليهم الرمح من امير هم فى الحملة فانهزم صدوهم شر هزيمة وولوا عجلا الى آخر الليل بالاسلاب والغنيمة فقال له الامير وما حملك على ما صنعت فقال الذى جعلت هوشانى واذا ارحت من يصرف الناس عن الحرب و يخبر بعجهم فاكثر عسكرى وتتسارع لولد صغير مع تربيته من اولاد امير اى زكريا فقال معمولد الامير وقال وما قدر ايسلن طما بخ ذلك اباه مع مضاء الحد على ولد

الامير

الامير الخاطب ولده فقال حفظك الله تعالى لست أنسك في أني خسيم أبيك ولكني أحب أن أعرفك بنفسي ومقداري ومقدار أبيك اعلم أن أباك وجهني رسولا الى دار الخلافة ببغداد بكتاب عن نفسه فلما بلغت بغداد أنزلت في دار أكريت لي بسبعة دراهم في الشهر وأجري علي سبعة دراهم في اليوم وطواع بكتابي وقيل من أمير العراق الذي وجهه فقال بعض الحاضرين هو رجل مغربي ناثر على استاذه فأقمت شهرا ثم استدعيت فلما دخلت دار الخلافة وتكلمت مع من بها من الفضلاء وأرباب المعارف والآداب اعتذروا الي وقالوا للخليفة هذا رجل جهل مقداره فأعدت الى محل أكتري لي بعشرين درهما وأجري علي مثلها في اليوم ثم استدعيت فودعت الخليفة واقتضيت ما تيسر من حوائجه وصدر لي شيء لحظ من صلته وانصرفت الى أبيك فالمعاملة الاولى كانت على قدر أبيك عند من يعرف الاقدار والثانية كانت على قدري وترجمته رحمه الله تعالى واسعة * (ومنهم عبد المنعم بن عمر الغساني الوادي آشي) المؤلف الرحالة المجول ببلاد المشرق سائحا صاحب المؤلفات الكثيرة التي منها جامع أغلاط السائل في العروض والخطب والرسائل ومن نظمه

ألا انما الدنيا بحار تلاطمت * فما أكثر الغرقى على الجنبات
وأكثر من لاقيت يغرق الفه * وقل فتى ينجي من العثرات

توفي سنة ٦٠٣ رحمه الله تعالى * (ومنهم أبو العباس أحمد بن مسعود بن محمد القرطبي الخزرجي) كان اماما في التفسير والفقه والحساب والفرائض والنحو واللغة والعروض والطب وله تآليف حسان وشعر رائق فمنه قوله رحمه تعالى

وفي الوجنات ما في الروض لكن * لزونق زهرها معنى عجيب
وأعجب ما التعجب عنه أني * أرى البستان يحمله قضيب

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ٦٠١ * (ومنهم أبو العباس القرطبي صاحب المفهم في شرح مسلم وهو أحمد بن عمر بن ابراهيم بن عمر الانصاري المالكي الفقيه المحدث المدرس الشاهد بالاسكندرية) ولد بقرطبة سنة ٥٧٨ وسمع الكثير هنالك ثم انتقل الى المشرق واشتهر وطار به تلامذة أخذ الناس عنه وانتفعوا بكتبه وقدم مصر وحدث بها واختصر الصحيحين وكان بارعا في الفقه والعربية عارفا بالحديث ومن أخذ عنه القرطبي صاحب التذكرة ومن تصانيفه رحمه الله تعالى المفهم في شرح مسلم وهو من أجل الكتب وبكثير اعتماد الامام النووي رحمه الله تعالى في كثير من المواضع وفيه أشياء مستفيدة ومنها اختصاره الصحيحين كما مر وله غير ذلك وتوفي رحمه الله تعالى بالاسكندرية رابع القعدة سنة ٦٥٦ وكان يعرف في بلاده بابن المزين وله كتاب كشف القناع عن الوجد والسماع أباد فيه وأجاد وكان يشتغل أولا بالمعقول وله اقتدار على توجيه المعاني بالاستدلال قال الشيخ شرف الدين الدمياطي أخذت عنه وأجازني بمصنفاته رحمه الله تعالى وحدث بالاسكندرية وغيرها وصنف غير ذلك كرنا وكان اماما علما معرفة الحديث والفقه والعربية وغيرها * (ومنهم العارف الكبير الولي الصالح الشهير أبو أحمد جعفر بن عبد الله بن محمد ابن سيد يونة الخزرجي الاندلسي) أحد الاعلام المتقنين المقرئين أولي الدراية كان رضي الله

واليارسان والحبالية والحبانا رفيه والحاوانيه والمسكان ومن حل بلاد الشام من الديابلة وغيرهم فلتشهورفيهم أنهم من مضر بن نزار ومنهم اليعقوبية والحورفان وهم نصارى وديارهم مما يلي الموصل وجبل الجودي (وفي الاكراد) من رأيهم رأي الخوارج والبراءة من عثمان وعلي رضي الله عنهما فهذه جملة من أخبار بوادي العالم وقد أعرضنا عن ذكر القول فيهم (والحلج) وهم أنواع من الترك نحو بلاد عرس ونصيبين وبست مما يلي بلاد سجستان وكذلك من بلاد كرمان من أرض الغض والملوح (قال المسعودي) أيام العرب ووقائعها وحروبها فقد ذكرنا جميع ما سلف من كتبنا وما كان بينها في الجاهلية والاسلام كيوم الحباة وحرب ذبيان واليمن وحرب داحس والغبراء وحرب بكر بن وائل مع تغلب وهي حرب البسوس ويوم الكلاب ويوم جبار ومقتل جساس ابن مرة ويوم ذي قار ويوم شعب جبلة وما كان من بني عامر وغيرهم وحرب الاوس والخزرج وما كان بين غسان ولخم (وسنورد) بعد هذا الباب جملا من أخبار العرب الداثرة وغيرها

تعالى عنه ونفعنا به كثير الاتباع بعيد الصيت فذ اشهيرا قال الحافظ بن الزبير هو أحد الاعلام المشاهير فضلا وصلاحا قرأ ببلنسية وتفقه وحفظ نصف المدونة وأقرأها وكان يؤثر التفسير والحديث والفقه على غيرها أخذ عن أبوى الحسن بن النعمة وابن هذيل وحج ولقى في رحلته من الاندلس جلة أكبرهم الولى الكبير سيدى أبو مدين شعيب أفاض الله تعالى علينا من أنواره وانتفع به ورجع عنه بعجائب فشهر بالعبادة وتبرك الناس به فظهرت عليه بركته توفى رحمه الله تعالى في شوال سنة ٦٢٤ وعاش نيفا وثمانين سنة وله ترجمة في الاحاطة ملخصها ماذكرناه *(ومنهم محمد بن عبد الرحمن بن يعقوب الخزرجي الانصاري الشاطبي الفقيه القاضي الصدر المتفنن المحصل المجيد) اله علم محكم وعقد صحيح مبرم رحل الى المشرق وحج وكانت رحلته بعد تحصيله فزاد فضلا الى فضل ونبلا الى نبل وكان متثبتا في فقهه لايستحضر من النقل الكثير ولكنه يستحضر ما يحتاج اليه وكان له علم بالعربية وأصول الفقه ومشاركة في أصول الدين له شرح على الجزولية وكان أبوه قاضيا وبيتهم بيت قضاء وعلم وسودد متوارث ومجد مكسوب ومنسوب ثم ولى قضاء بجاية فكان في قضائه على سنن الفضلاء وطريق الاولياء العقلاء بالحق مع الصدق معارضا للولاة وكان يرى أن لايقدم الشهود الا عند الحاجة وأما ان حصل من تحصل به الكفاية فلا يقدم غيره ويرى ان الكثرة مفسدة وقد طلب منه الملك أن يقدم رجلا من أهل بجاية فقال له مشافهة ان شئتم قدمتموه وأخرتموه وكان اذا جرى الامر في مجرى الشهادة وما قاله القاضي بن العربي أبو بكر وغيره من أنها قبول قول الغير على الغير بغير دليل يرى ان هذا من الامر العظيم الذي لايليق أن يمكن منه الا الآحاد الذين تبين فضلهم في الوجود وكان يرى ان جنايات الشاهد انما هي في صحيفة من يقدمه من باب قوله عليه الصلاة والسلام من سن سنة حسنة ومن سن سنة سيئة وقد سئل من أولياء الله فقال شهود القاضي لانهم لايأتون كبيرة ولايواظبون على صغيرة وان كانت الشهادة على هذه الصفة فلا شئ أجل منها وان كانت خطة لاصفة فلا شئ أخس منها ولما كانت واقعة ابن مزين بطنجة عرض عليه أهلها أن يتقدم وأن يبايعوه فقال والله لا أفسد ديني ولما توفى عجز القاضي الذي تولى بعده عن سلوك منحاه واقتفاء سننه الذي اقتفاه قال هذا كله بمعناه وبعضه بحروفه الغبريني في عنوان الدراية في علماء بجاية *(ومنهم محمد ابن يحيى الاندلسي اللبسي) بلام فموحدة فسين قاضي القضاة أخذ عن الحافظ بن حجر ونوه به عند الاشراف حتى ولاه قضاء المالكية بحماة وسار سيرة السلف الصالح ثم حق على نائبها في بعض الامور وسافر الى حلب مظهرا ارادة السماع على حافظها البرهان ووصفه ابن حجر في بعض مجاميعه بقوله الشيخ الامام العالم العلامة في الفنون قاضي الجماعة وقال انه انسان حسن امام في علوم منها الفقه والنحو وأصول الدين يستحضر علوما كانها بين عينيه ووصفه أيضا بعلامة دهره وخلاصة عصره وعين زمانه وانسان أوانه جامع العلوم وفريد كل منثور ومنظوم قاضي القضاة لازالت رايات الاسلام به منصورة وأعلام الايمان به منشورة ووجوه الاحكام الشرعية بحسن نظره محبورة ولد سنة ٨٠٦ وتوفى ببرسا من بلاد الروم أواخر شعبان ٨٨٤ قاله السخاوي في الضوء اللامع *(ومنهم الوزير الشهير

وتفريقها في البلاد ونذكر والقيافة والكهانة والنفوس والصدى والهام وغير ذلك من شيمها وبالله التوفيق

(ذكر ديانات العرب وآرائها في الجاهلية وتفرقها في البلاد وخبر أصحاب الفيل وعبد المطلب وغير ذلك مما لحق بهذا الباب)

كانت العرب في جاهليتها فرقا منهم الموحد المقر بخالقه المصدق بالبعث والنشور موقنا بان الله يثيب المطيع ويعاقب العاصي وقد تقدم ذكرنا في هذا الكتاب وغيره من كتبنا من دعائنا الى الله عز وجل ونبه أقوامه على آياته في الفترة كقس بن ساعدة الايادي ورياب السبتي وبحيرا الراهب وكأمية بن عبد القيس (وكان من العرب) من أقر بالخالق وأثبت حدوث العالم بالبعث والاعادة وأنكر الرسل وعكف على عبادة الاصنام وهم الذين حكى الله عز وجل قولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى الآية وهذا الصنف الذين حجوا الى الاصنام وقصدوها ونحروا البدن ونسكوا لها النسائك واحلوا لها وحرموا (ومنهم) من أقر بالخالق وكذب بالرسل والبعث ابو

أبو عبد الله بن الحكيم الرندى ذو الوزارتين) رحل الى مصر والحجاز والشام وأخذ الحديث عن جماعة وقد ترجمناه فى باب مشيخة لسان الدين عند تعرضنا لذكر ابنه الشيخ أبى بكر بن الحكيم ولا باس أن نزيد هنا ما ليس هنالك فنقول ان من مشايخه برندة الشيخ الاستاذ النحوى أبا الحسن على بن يوسف العبدوى السعاج أخذ عنه العربية وقرأ عليه القرآن بالروايات السبع وأخذ عن الخطيب بها أبى القاسم بن الابيرو أخذ رحمه الله تعالى عن جماعة من أعلام الاندلس وأخذ فى رحلته عن الجلة الذين يضيق عن أمثالهم الحصر من شيوخه الحافظ أبو اليمن عساكر لقيه بالحرم الشريف وانتفع به وأكثر من الرواية عنه والشيخ أبو العز عبد العزيز بن عبد المنعم الحرانى المعروف بابن هبة الله والشيخ الشرف أبو العباس أحمد بن عبد الله بن عمر بن معطى ابن الامام الجزائرى جزائر العرب نزيل بغداد والشيخ أبو الصفا خليل بن أبى بكر المرادى الحنبلى لقيه بالقاهرة والشيخ رضى الدين أبو بكر القسمطينى والشيخ شرف الدين الحافظ أبو محمد عبد المؤمن بن خلف الدمياطى امام الديار المصرية فى الحديث وحافظها ومؤرخها والشهاب بن الخيمى قرأ عليه قصيدته البائية العريدة التى أولها

رمطلبا البسر لى فى غيره أرب * اليك آل التقضى وانتهى الطلب

وفيها البيت المشهور الذى وقع النزاع فيه

يا بارقا بأعالى الرقتين بدا * لقد حكيت ولكن فاتك الشنب

والشيخ جمال الدين أبو صادق محمد بن يحيى القرشى ومن تخريجه الاربعون المروية بالاسانيد المصرية وسمع الحلبيات من ابن عماد الحرانى والشيخ أبى الفضل عبد الرحيم خطيب الجزيرة ومولده سنة ٥٩٨ وزينب بنت الامام أبى محمد عبد اللطيف بن يوسف البغدادى وتكنى أم الفضل وسمعت من أبيها ومن أشياخ ذى الوزارتين بن الحكيم المذكور الملك الاوحد يعقوب ابن الملك الناصر صلاح الدين داود ابن الملك المعظم عيسى ابن الملك العادل أبى بكر بن أيوب والشيخ عبد الرحمن بن سليمان بن طرخان وأخوه محمد بن سليمان فى طائفة كبيرة من مشايخ مصر والشام والعراق وغيرها من البلاد يطول تعدادهم وأخذ بجاية عن خطيبها أبى عبد الله بن رحيمة الكنانى وبتونس عن قاضيها أبى العباس بن الغماز البلنسى وأخذ العربية عن قدوة النحاة أبى الحسين عبيد الله بن أحمد بن عبيد الله بن أبى الربيع القرشى ومن شعر ذى الوزارتين بن الحكيم المذكور قوله

هل الى رد عشيات الهوى سبب * أم ذاك من ضرب المحال

حالة يسرى بها الوهم الى * أنها تنبت برأبا عتلال

وليال ما بقى بعدها * غير أشواقى الى تلك الليال

اذ بحال الوصل فيها مسرحى * ونعيمى آثر فيها ووال

ولحالات التراضى جولة * مرحت بين قبول واقتبال

فبوادى الخيف خوفى مسعد * وبأكناف منى أسنى موال

لست أنسى الانس فيها أبدا * لاولا بالعذل فى ذاك أبال

كفرهم بقوله تعالى وقالوا ان هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيى وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون (ومنهم) من مال الى اليهودية والنصرانية (ومنهم) المار على عمهيته الراكب لجهيته وقد كان صنف من العرب يعبدون الملائكة ويزعمون أنها بنات الله فكانوا يعبدونها لتشفع لهم الى الله وهم الذين أخبر الله عز وجل عنهم بقوله تعالى ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون وقوله تعالى افرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى ألكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى (فمن كان) مقرا بالتوحيد مثبتا للوعيد تارك للتقليد عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف وكان حفر بئر زمزم وكانت مطوية وذلك فى ملك كسرى قباذ فاستخرج منها غزالتى ذهب عليهما الدر والجوهر وغير ذلك من الحلى وسبعة أسياف قلعية وسبعة أذرع سوابغ فضرب من الاسياف بابا للكعبة وجعل احدى الغزالتين صفائح

وجعل الاخرى فى الكعبة وكان عبد المطلب أول من أقام الرفادة والسقاية بمكة عذبا وجعل باب الكعبة ذهبا

وغـزال قـد بدا لي وجهـه * فرأيت البدر في حال الكمال
ما أمال التيـه من أعطافـه * لم يكن الا على خصل اعتدال
خص بالحسن فما أنت ترى * بعده للناس حظا في الجمال
من تسـلى عن هواه فأنا * بسواه عن هواه غير سال
فلئن أتعبـني حبي له * فلكم نلت به أنعم حال
اذ لا لي جيـده من قبلي * ووشاحاه يميني وشمال
خلف النوم لي السـهد به * وترامى الشخص لاطيف الخيال
فتـداوى بلماه ظمئي * مزجك الصهباء بالماء الزلال
أو اشادات بناء الملك الاوحد الاسمى الهمام المتعال
ملك ان قلت فيه ملكا * لم تكن الا محقا في المقال
أيد الاسـلام بالعدل فما * ان ترى رسما لاصحاب الضلال
ذو أيادشملت كل الورى * ومعال بالهـا خير معال
همة هامت باحوال التقى * وصفات بالجلالات حوال
وقف النفس على اجهادها * بين صوم وصـلاة ونوال

وهي طويلة ومنها

أيها المولى الذي نعـماؤه * أعجزت عن شكرها كنه المقال
ها أنا انشـدكم مهنئا * من بديع النظم بالسحر الحلال
فأنا العبـد الذي حبكم * لم يزل والله في قلـبي و بال
أورقت روضـة آمالي بكم * مذ تولاها الرباب المتوال
واقتنيت الجاه من خدمتكم * فهي ما أذخره من كنز مال

ومنها

يا أمير المسلمين هـذه * خدمة تنبئ عن اصدق حال
هي بنت ساعة اوليـلة * سهلت بالحب في ذاك الجلال
ما عليها اذ أجادت مدحها * من بعيـد الفهم يلغيها وقال
فهي في تادية الشكر لكم * ابدا بين احتفـاء واحتفال

وكتب رحمه الله تعالى يخاطب اهله من مدينة تونس

حي حي "بالله يا ريح نجـد * وتحمل عظيم شوقي ووجدي
واذا ما بثثت حالي فبلغ * من سلامي لهم على قدر ودي
ما تناسيتهم وهل في مغيبي * هم نسوني على تطاول بعدي
بي شوق اليهم ليس يعزى * لجميل ولا لسكان نجد
يا نسيم الصبا اذا جئت قوما * ملئت ارضهم بشيح ورند
فتلطف عند المرور عليهـم * وحقوقا لهـم علي فأد
قل لهم قد غدوت من وجدهم في * حال شوق لكل رند وزند

وفي ذلك يقول عبد المطلب بعد كنوز الحلى والصفائح حليا لبيت الله ذي المسارح وكان قد نذر ان رزقه الله عز وجل عشرة أولاد ذكور أن يقرب أحدهم لله تعالى أحبهم اليه وهو عبد الله أبو النبي صلى الله عليه وسلم فضرب عليه بالقداح حتى افتداه بمائة من الابل في خبر طويل (وقد كان) أبرهة حين سار بالحبشة وأتى أنصاب الحرم فنزل بالموضع المعروف بحب المحصب فاتى بعبد المطلب ابن هاشم فاخبر انه سيد مكة فعظمه وهابه لاستدارة نور النبي صلى الله عليه وسلم في جبينه فقال له سلني يا عبد المطلب فابى أن يسأله الا ابلا له فامر بردها وقال الا تسالني الرجوع فقال انا رب هذه الابل وللبيت رب سيمنعه منك وانصرف عبد المطلب الى مكة وهو يقول يا أهل مكة قد وافاكم ملك مع الفيول على أنيابها الزرد هذا النجاشي قد سارت كتائبه مع الليوث عليها البيض تتقد يريد كعبتكم والله مانعه كمنع تبع لما جاءها احرد وأمر قريشا أن تلحق بشعاب الاودية ورؤس الجبال من معرة الحبشة وقلد الابل النعال

وخلاها فى الحرم ووقف بباب الكعبة وهو يقول يارب لا أرجو لهم سواكا * يارب فامنع منهم موحاكا
ان عدو البيت من عاداكا
فامنعهم وأن يخربوا قراكا
ويقول
يارب ان المرء يم
ـنع رحله فامنع رحالك
لا يغلبن صليبهم
ومحالهم عدوا محالك

وان استعسروا حديثى فانى * باعتنا والاله بلغت قصدى
فلله الحمد اذ حبانى بلطف * عنده قل كل شكر وحمد

وافتتح مخاطبته لاخيه الاكبر أبى اسحق ابراهيم بقصيدة أولها

ذكر اللوى شوقا الى اقماره * فقضى أسى أو كاد من تذكاره
وعلا زفير حريق نار ضلوعه * فرمى على وجناته بشراره
لو كنت تبصر خطه فى خده * لقرأت سر الوجد من أسطاره
ياعاذليه أقصرا وافلا بما * أفضى عتابكما الى اضراره
ان لم تعينوه على برحائه * لاتنكروا بالله خلع عذاره
ما كان أكتمه لاسرار الهوى * لو ان جند الصبر من أنصاره
ماذا تبقيه والبين قطع قلبه * أسفا واذكى النار فى أعشاره
بخل اللوى بالساكنيه وطيفهم * وحديثه ونسيمه ومزاره
يابرق خذ دمعى وعرج باللوى * فاسفحه فى باناته وعراره
واذا لقيت بها الذى باخائه * ألقى خطوب الدهر أو بجواره
فاقرا السلام عليه قد محبتى * فيه وترفيعى الى مقداره
والمم سائر اخوتى وقرابتى * من لم أكن بجوارهم بالكاره
ما منهم الا أخ أو سيد * أبدا أرى دأبى على اكباره
فابثث لذاك الحى أن أخاهم * فى حفظ عهدهم على استبصاره

وقال رحمه الله تعالى فى غرض كلفه سلطانه القول فيه

الا واصل مواصلة العقار * ودع عنك التخلق بالوقار
وقم واخلع عذارك فى غزال * يحق لمثله خلع العذار
قضيب مائس من فوق دعص * تعمم بالدجى فوق النهار
ولاح بخده ألف ولام * فصار معرفا بين الدرارى
رمانى قاسم والسين صاد * باشفار تنوب عن الشفار
وقد قسمت محاسن وجنتيه * على ضدين من ماء ونار
فذاك الماء من دمعى عليه * وتلك النار من فرط استعارى
عجبت له أقام بربع قلبى * على ماشب فيه من الاوار
ألفت الحب حتى صار طبعا * فما أحتاج فيه الى ادكار
تعالى عن مذاهبه ذهاب * وهذا فيه أشعارى شعارى

وقال العلامة ابن رشيد فى ملء العيبة لما قدمنا المدينة سنة ٦٨٤ كان معى رفيقى الوزير أبو عبد الله بن أبى القاسم بن الحكيم وكان أرمد فاما دخلنا ذا الحليفة أو نحوها نزلنا عن الاكوار وقوى الشوق لقرب المزار فنزل وبادر الى المشى على قدميه احتسابا لتلك الآثار واعظاما لمن حل تلك الديار فأحس بالشفاء فانشد لنفسه فى وصف الحال قوله

ولما رأينا من ربوع حبيبنا * بيثرب أعلاما أثرن لنا الحبا

٢ ط نى كان على العبشان دينا وقد ذكرنا ما كان منهم فى هلاك عيدهم فيما سلف من هذا الكتاب فلما

و بالترب منها اذ حللنا جفوننا * شفينا فلا باسا نخاف ولا كربا
وحين تبدى للعيون جمالها * ومن بعدها عنا ادلت لنا قربا
نزلنا عن الاكوار منها كرامة * لمن حل فيها أن نلم به ركبا
نسح سجال الدمع في عرصاتها * ونلثم من حب لواطئه الترابا
وان بقائي دونه لخسارة * ولو أن كفي تملأ الشرق والغربا
فيا عجبا ممن يحب بزعمه * يقيم مع الدعوى ويستعمل الكتبا
وزلات مثلي لا تعد كثرة * و بعدي عن المختار أعظمها ذنبا انتهى

وخط الوزير ابن الحكيم في غاية الحسن وقد رأيته مرارا وملكت بعض كتبه ونثره رحمه الله تعالى أعلى من شعره كما نبه عليه لسان الدين في الاحاطة ومن نثره في رسالة طويلة كتبها عن سلطانه ماصورته وقد تقرر عند الخاص والعام من أهل الاسلام واشتهر في آفاق الاقطار اشتهار الصباح في سواد الظلام أنا لم نزل نبذل جهدنا في أن تكون كلمة الله هي العليا ونسمح في ذلك بالنفوس والاموال رجاء ثواب الله لا لعرض الدنيا وانا ماقصرنا عن الاستنفار والاستنصار ولا أقصرنا عن الاعتضاد بكل من أملنا معاملته والاستظهار ولا اكتفينا بمطولات الرسائل و بنات الارسال حتى اقتحمنا بنفسنا لجج البحار فسمعنا بالطارف من أموالنا والتلاد وأعطينا رجاء نصرة الاسلام موفور الاموال والبلاد واشترينا بما أنعم الله به علينا ما فرض الله على كافة أهل الاسلام من الجهاد فلم يكن بين تلبية المدعو وزهده ولا بين قبوله ورده الا كما بين حسو الطائر ماء الثماد و يابى الله أن يكل نصرة الاسلام بهذه الجزيرة الى سواه ولا يجعل فيها شيا الا لمن أخلص لوجهه الكريم علانيته ونجواه ولما اسلم الاسلام بهذه الجزيرة الغربية الى مناويه وبقي المسلمون يتوقعون حادثا ساءت ظنونهم لمبادية القينا الى الثقة بالله تعالى يد الاستسلام وشمرنا عن ساعد الجد في جهاد عبدة الاصنام واخذنا بمقتضى قوله تعالى وأنفقوا في سبيل الله أخذ الاعتزام * فامدنا الله تعالى في ذلك بتوالي البشائر ونصرنا بالطاف أغنى فيها خلوص الضمائر عن قوة العساكر ونقلنا على أيدي قوادنا ورجالنا من السبايا والغنائم ماغداذ كره في الآفاق كالمثل السائر وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وكيف يحصيها المحصي أو يحصرها الحاصر وحين أبدت لنا العناية الربانية وجوه الفتح سافرة المحيا وانتشقنا نسائم النصر المنوح عبقة الريا استخرنا الله تعالى في الغزو بنفسنا ونعم المستخار وكتبنا بما قد علمتم الى ماقرب من أعمالنا بالحض على الجهاد والاستنفار وحين وافى من خف للجهاد من الاجناد والمطوعين وغدوا بحكم رغبتهم في الثواب على طاعة الله مجتمعين خرجنا بهم ونصر الله تعالى أهدى دليل وعناية الله تعالى بهذه الفئة المفردة من المسلمين تقضي بتقريب البعيد من آمالنا وتكثير القليل ونحن نسال الله تعالى أن يحملنا على جادة الرضا والقبول وأن يرشدنا الى طريق تفضي الى بلوغ الامنية والمامول وهذه رسالة طويلة سقنا بعضها كالعنوان لسائرها ونال ابن الحكيم رحمه الله تعالى من الرياسة والتحكم في الدولة ماصار كالمثل السائر وخدمتها العلماء الاكابر الاخيار كابن خميس وغيره وأفاض عليهم سجال خيره ثم ردت

صدهم الله عز وجل عن
ان للبيت لربا مانعا
من برده بائم يصطلم
رامه تبع فيمن جندت
حمير والحي من آل قرم
فانثنى عنه وفي أوداجه
جارح أمسك عنه بالكظم
فلت والاشرم يرمي حيلة
ان ذا الاشرم غر بالحرم
جزاك الله فيما قد مضى
لم يزل ذاك على عهد ابرهم
نحن درنا ثم ودعنوة
ثم عادا قبلها ذات الارم
نعبد الله وفينا سنة
صلة القربى وايفاء الذمم
لم يزل لله فينا حجة
يدفع الله بها عنا النقم

(قال المسعودي) وقد استدل قوم ممن ذهب الى الغلو في بعض المذاهب والخروج عما أوجبته قضية العقل وضرورات الحواس بهذا الشعر وقول عبد المطلب فيما كان منهم في قديم الزمان وأيدوا ذلك الشعر بشعر العباس بن عبد المطلب في مدحه النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم عليه منصرفه من تبوك فاسلم قال سمعت العباس بن عبد المطلب يقول يارسول الله اني أريد أن أمتدحك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قل لا يفضض الله فاك فانشا يقول

الايام منه ما وهبت وانتقضت ايامه كأن لم تكن وذهبت وقتل يوم خلع سلطانه ومثل به سنة ٧٥٨ رحمه الله تعالى وانتهب من امواله وكتبه وتحفه ما لا يعلم قدره الا الله تعالى أثابه الله تعالى بهذه الشهادة بجاه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وعظم *(ومن المرتحلين من الاندلس الى المشرق) الحافظ نجيب الدين أبو محمد عبد العزيز ابن الامير القائد أبى على الحسن بن عبد العزيز بن هلال اللخمى الاندلسى ولد سنة ٥٧٧ تقريبا ورحل فسمع بمكة من زاهر بن رستم وببغداد من أبى بكر أحمد بن سكينة وابن طبرزذ وطائفة وبواسط من أبى الفتح بن الميدانى وباصبهان من عين الشمس الثقفية وجماعة وبخراسان من المؤيد الطوسى وأبى روح وأصحاب الفراوى وهذه الطبقة وخطه ملىح مغربى فى غاية الدقة وكان كثير الاسفار ديناما تصوفا كبير القدر قال الضياء فى حقه رفيقنا وصديقنا توفى بالبصرة عاشر رمضان سنة ٦١٧ ودفن الى جانب قبر سهل التسترى رضى الله تعالى عنه ومارأينا من أهل المغرب مثله وقال ابن نقطة كان ثقة فاضلا صاحب حديث وسنة كريم الاخلاق وقال مفضل القرشى كان كثير المروءة غزير الانسانية وقال ابن الحاجب كان كيس الاخلاق محبوب الصورة لين الكلام كريم النفس حلو الشمائل محسنا الى أهل العلم بماله وجاهه وقيل انه أوصى بكتبه للشرف المرسى رحمه الله تعالى *(ومنهم محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد أبو بكر بن العربى الاشبيلى حفيد القاضى الحافظ الكبير أبى بكر بن العربى) قرأ النافع على قاسم بن محمد الزقاق صاحب شريح وحج فسمع من السلفى وغيره ثم رحل بعد نيف وعشرين سنة الى الشام والعراق وأخذ عن عبد الوهاب بن سكينة وطبقته ورجع فاخذ واعنه بقرطبة واشبيلية ثم سافر سنة ٦١٢ وتصوف وتعبد وتوفى بالاسكندرية سنة ٦١٧ قاله الذهبى فى تاريخه الكبير *(ومن المرتحلين من الاندلس يحيى بن عبد العزيز المعروف بابن الخراز أبو زكريا القرطبى) سمع من العتبى وعبد الله بن خالد ونظرائهما من رجال الاندلس ورحل فسمع بمصر من المزنى والربيع بن سليمان المؤذن ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم ويونس بن عبد الاعلى ومحمد بن عبد الله بن ميمون وعبد الغنى ابن أبى عقيل وغيرهم وسمع بمكة من على بن عبد العزيز وكانت رحلته ورحلة سعيد ابن عثمان الاعناقى وسعيد بن حيد وابن ابى تمام واحدة وسمع الناس من يحيى المذكور مختصر المزنى ورسالة الشافعى وغير ذلك من علم محمد بن عبد الله بن عبد الحكم وكان يميل فى فقهه الى مذهب الشافعى وكان مشاورا مع عبيد الله بن يحيى واضرابه وحدث عنه من أهل الاندلس محمد بن قاسم بن بشير وابن عباذة وغير واحد ولم يسمع منه ابنه محمد لصغره وتوفى سنة ٢٩٠ رحمه الله تعالى ورضى عنه *(ومنهم الشيخ الامام العالم العامل الزاهد الورع العلامة جمال الدين أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله البكرى الشريشى المالكى) كان من أكابر الصالحين المتورعين ومولده سنة ٦٠١ بشريش وتوفى برباط الملك الناصر بسفح قاسيون سنة ٦٨٥ فى ٢٤ رجب ودفن قبالة الرباط وله المصنفات المفيدة تولى مشيخة الصخرة بحرم القدس الشريف وقدم دمشق وتولى مشيخة الرباط الناصرى فلما توفى قاضى القضاة جمال الدين المالكى ولوه مشيخة المالكية بدمشق وعرضوا عليه القضاء فلم يقبل

منهم اسحق بن محمد النخعى المعروف بالاحمر فى كتابه المعروف بكتاب الصراط وقد ذكر ذلك الفياض بن على

بل جحفة تركب السفين وقد
ألجم نسرا وأهله الغرق
تنقل من صالب الى رحم
اذا مضى عالم بدا طبق
أنت لها وارث وأشرقت الـ
أرض وأورى بنورك الافق
حتى احتوى بيتك المهيمن من
خندف علياء تحتها النطق
فنحن فى ذلك الضياء وفى الن
ـور وسبل الرشاد نخترق
قالوا وهذا الخبر قد ذكره أصحاب السير والاخبار والمغازى ونقلوا هذا المديح من قول العباس وما كان من سرور النبى صلى الله عليه وسلم بذلك واستدناره به فجعلت هذه الطائفة من الغلاة ما ذكرنا من الشعر من شعر عبد المطلب وشعر العباس دلالة لهم على مواطن ادعوها وتغلغلوا الى شبه بعيدة استخرجوها فنع منها ما تقدم من أوائل العقول وموجبات الفحص ذكر ذلك جماعة من مصنفى كتبهم ومن حذاق مبرزيهم من فرق المحمدية والعلبانية وغيرهم من فرق الغلاة

و بقي في المشيخة الى أن توفي رحمه الله تعالى ونفعنا به وبامثاله آمين *(ومن الراحلين من الاندلس الفقيه الصالح أبو بكر بن محمد بن علي بن ياسر الجياني المحدث الشهير) ذكره ابن السمعاني وغيره سافر الكثير وورد العراق وطاف في بلاد خراسان وسكن بلخ وأكثر من الحديث وحصل الاصول ونسخ بخطه ما لا يدخل تحت حصر قال ابن السمعاني وله أنس ومعرفة بالحديث لقيته بسمرقند وكان قدمها سنة ٤٩٠ مع جماعة من أهل الحجاز لدين له عليهم وسمعت منه جزأ خرجه من حديث يزيد بن هرون مما وقع له عاليا وجزأ صغيرا من حديث أبي بكر بن أبي الدنيا واحاديث أبي بكر الشافعي في احد عشر جزأ المعروف بالغيلانيات بروايته عن أبي الحسين بن ابن غيلان وكان مولده بجيان سنة ٤٩٣ أو في التي بعدها الشك منه ثم لقيته بنسف في أواخر سنة خمسين ولم أسمع منه شيأ ثم قدم علينا بخارى في أوائل سنة احدى وخمسين وسمعت من لفظه جميع كتاب الزهد لهناد بن السري الكوفي بروايته عن أبي القاسم سهل بن ابراهيم المسجدي عن الحاكم أبي عبد الرحمن محمد بن أحمد الشاذياخي عن الحاكم أبي الفضل محمد بن الحسين الحدادي عن حماد بن أحمد السلمي عن مصنفه وأخبرنا الجياني بسمرقند أنبانا أبو القاسم هبة الله بن محمد بن الحصين الكاتب ببغداد أنبانا ابو طالب محمد بن محمد بن سلمة أنبانا يزيد بن هرون أنبانا حماد بن سلمة عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادا هم مناد يا اهل الجنة ان لكم عند الله موعدا لم تروه قالوا وما هو ألم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة وينجنا من النار قال فيكشف الحجاب فينظرون اليه فوالله ما أعطاهم شيأ أحب اليهم من النظر اليه ثم تلا هذه الآية للذين أحسنوا الحسنى وزيادة وقال ابن السمعاني أيضا وأخبرنا الجياني المذكور بسمرقند أنبانا هبة الله بن محمد بن عبد الواحد ببغداد انبانا أبو طالب بن غيلان أنبانا ابو بكر الشافعي أنبانا أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا القرشي أنبا محمد بن حسان أنبانا مبارك بن سعيد قال أردت سفرا فقال لي الاعمش سل ربك أن يرزقك صحابة صالحين فان مجاهدا حدثني قال خرجت من واسط فسألت ربي أن يرزقني صحابة ولم أشترط في دعائي فاستويت أنا وهم في السفينة فاذا هم أصحاب طنابير وقال ابن السمعاني أيضا اخبرنا ابو بكر الجياني المغربي بسمرقند سمعت الامام أبا طالب ابراهيم بن هبة الله ببلخ يقول قرأت على أبي يعلى محمد بن أحمد العبدي بالبصرة قال قرأت على شيخنا أبي الحسين بن يحيى في كتاب العين باسناده الى الخليل بن أحمد أنه أنشد قول الشاعر

ان في بيتنا ثلاث حبالى * فوددنا أن قد وضعن جميعا
زوجتي ثم هرتي ثم شاتي * فاذا ما وضعن كنّ ربيعا
زوجتي للغبيص والمرللفا * روشاتي اذا اشتهين مجيعا

قال أبو يعلى قال شيخنا ابن يحيى وذكر عن الخليل بن أحمد في العين أن الجميع أكل التمر بالابن انتهى *(ومنهم أبو الخطاب العلاء بن عبد الوهاب بن أحمد بن عبد الرحمن بن سعيد ابن حزم الاندلسي المري) ذكره الحميدي في تاريخه وأثنى عليه وقال كان من اهل العلم والادب

محمدية نقضوا هذا الكتاب وهو على مذهب العلمانية وقد أتينا على ذكر هؤلاء من المحمدية والنمريرية وسائر فرق الغلاة وأصحاب التفويض والوسائط واستقصينا النقض عليهم وعلى سائر من ذهب الى القول بتناسخ الارواح في أنواع أشلاء الحيوان ممن ادعى الاسلام وغيرهم ممن سلف من اليونانيين والهند والثنوية والمجوس واليهود والنصارى وذكر قول أحمد بن حائط وابن يالوس وجعفر القاضي الى من نجم في وقتنا ممن تقدم وتاخر الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ممن أحدث تفريعا على ما سلف من أصولهم وأبدى شبها أيدها ما تقدم من مذاهبهم مثل الحسين بن منصور المعروف بالحلاج واصحاب أبي يعقوب المرايلي ثم أصحاب السوق ومن تاخر عنهم وفارقهم في أصولهم مثل أبي جعفر محمد بن علي اللقاني المعروف بابن أبي القراقر وغيرهم من أممن ذكرنا الفرق بينهم وبين غيرهم من أصحاب الدورق في هذا الوقت ممن يراعي وقت الظهر واصحاب هيج الليل والنهار اذ كان هؤلاء قد أثبتوا القول والذكاء

والذكاء والهمة العالية كتب بالاندلس فاكثر ورحل الى المشرق فاحتفل فى العلم والرواية والجمع وذكره الحافظ الخطيب أبو بكر بن ثابت البغدادى وقال هو من بيت جلالة وعلم ورياسة وأخرج عنه فى غير موضع من مصنفاته وقدم بغداد ودمشق وحدث فيهما ثم عاد الى المغرب فتوفى ببلده المرية سنة ٤٥٤ وحدث عن أبى القاسم ابراهيم بن محمد بن زكريا الزهرى ويعرف بابن الاقليلى الاندلسى النحوى وغيره وكان صدوقا ثقة رحمه الله تعالى *(ومنهم العالم الحسيب أبو حفص عمر بن الحسن الهوزنى) ذكره ابن بسام فى الذخيرة والحمارى فى المسهب ولما تولى المعتضد بن عباد والد المعتمد خاف منه فاستأذنه فى الحج سنة ٤٤٤ ورحل الى مصر والى مكة وسمع فى طريقه كتاب صحيح البخارى وعنه أخذه اهل الاندلس ورجع فسكن اشبيلية وخدم المعتضد فقتله ومن خاف من شئ سلط عليه وكان قتله يوم الجمعة لليلة خلت من ربيع الاول سنة ٤٦٠ رحمه الله تعالى ومن شعره يحرضه على الجهاد قوله

أعباد جل الرزء والقوم هجع * على حالة من مثلها يتوقع
فلى كتابى من فراغك ساعة * وان طال فالموصوف للطول موضع
ادالم أبث الداء رب شكاية * أضعت وأهل للملام المضيع

ووصله بنثر وهو وما أخطأ السبيل من أتى البيوت من ابوابها ولا أرجأ الدليل من ناط الامور بارباها ولرب امل بين أثناء المحاذير مدبج ومحبوب فى طى المكاره مدرج فانتهز فرصتها فقد بان من غيرك العجز وطبق مفاصلها فكأن قد أمكنك الحز ولا غرو أن يستمطر الغمام فى الجدب ويستصحب الحسام فى الحرب وله

صرح الشر فلا يستقل * ان نهلتم جاءكم بعد عل
بدء صعق الارض رش وطل * ورياح ثم غيم أبل
خفضوا فالداء رزء اجل * واغمدوا سيفا عليكم يسل

وبسبب قتل بنى عباد لابى حفص الهوزنى المذكور تسبب ابنه ابو القاسم فى فساد دولة المعتمد بن عباد وحرض عليه أمير المسلمين يوسف بن تاشفين صاحب المغرب حتى ازال ملكه وتنرسلكه وسبب هلكه كما ذكرناه فى غير هذا الموضع من هذا الكتاب غير مرة فليراجعه من اراده فى محاله وبيت بنى الهوزنى المذكور بالاندلس بيت كبير مشهور ومنهم عدة علماء وكبراء رحم الله تعالى الجميع *(ومنهم ابو زكريا يحيى بن قاسم بن هلال القرطبى الفقيه المالكى) احد الائمة الزهاد كان يصوم حتى يعجز توفى سنة ٢٧٢ وقيل سنة ٢٧٨ ورحل الى المشرق وسمع من عبد الله بن نافع صاحب مالك بن انس ومن سحنون بن سعيد وغيرهما وكان فاضلا فقيها عابدا عالما بالمسائل وروى عنه احمد بن خالد وكان يفضله ويصفه بالفضل والعلم وهو صاحب الشجرة قال عباس بن اصبغ كانت فى داره شجرة تسجد لسجوده اذا سجد قاله ابن الفرضى رحمه الله تعالى ورضى عنه ونفعنا به *(ومنهم ابو بكر يحيى بن مجاهد بن عوانة الغزارى الالبيرى الزاهد) سكن قرطبة قال ابن الفرضى كان منقطع القرين فى العبادة بعيد الاسم فى الزهد حج وعنى بعلم القرآن

القديم عز وجل أن يجوز عليه شئ مما تقدم فى كتابنا T نفا (وقد) تغلغل بنا الكلام فى ذكر عبد المطلب (تنازع) الناس فى عبد المطلب فمنهم من رأى انه كان مؤمنا موحدا وانه لم يشرك بالله عز وجل ولا أحد من آباء النبى صلى الله عليه وسلم وأنه تنقل فى الاصلاب الطاهرة وانه أخبر انه ولد من نكاح لا من سفاح ومنهم من رأى ان عبد المطلب كان مشركا وغيره من آباء النبى صلى الله عليه وسلم الا من صح ايمانه وهذا موضع فيه تنازع بين الامامية والمعتزلة والخوارج والمرجئة وغيرهم من الفرق فى النص والاختيار وليس كتابنا هذا موسوما للحجاج فنذكر حجاج كل فريق منهم (وقد أتينا) على قول كل فريق منهم وما انتدبه قوله فى كتابنا المقالات فى أصول الديانات وفى كتاب الاستبصار ووصف أقاويل الناس فى الامامة وفى كتاب الصفوة أيضا (وكان) عبد المطلب يوصى ولده بصلة الارحام واطعام الطعام ويرغبهم فعل من يراعى فى المتعقب معادا وبعثا ونشورا وجعل السقاية والرفادة الى ابنه عبد مناف وهو أبو طالب واوصاه بالنبى

اسمه وان علي بن ابي طالب رضي الله عنه كتب في كتاب النبي صلى الله عليه وسلم ليهود خيبر باملاء النبي صلى الله عليه وسلم وكتب علي بن ابي طالب باسقاط الالف وقد ذكر عبد المطلب في شعره وصية ابي طالب بالنبي صلى الله عليه وسلم فقال

اوصيت من كنيته بطالب
بابن الذي قد غاب ليس آيب

وقد كان اكبر العرب ممن بقي وذرية تدر بالصانع ويستدل على الخالق (وقد كان) في ملك النمروذ بن كوش بن حام بن نوح هيجان الريح التي نسفت صرح النمروذ ببابل مر ارض العراق فبات الناس ولسانهم سرياني واصبحوا قد تفرقت لغاتهم على اثنين وسبعين لسانا فسمي الموضع من ذلك الوقت بابل فصار من ذلك في ولد سام بن نوح تسعة عشر لسانا وفي ولد يافث بن نوح سبعة وثلاثون لسانا على حسب ماذكرنا في صدر هذا الكتاب وكان من تكلم بالعربية يعرب وبرهم وعاد وعنبل وجديس وثمود وعملاق وطسم ووبار وعبد بن ضخم فسار يعرب بن قحطان بن عابر بن شالخ

والقراآت والتفسير وسمع بمصر من الاسيوطي وابن الوردوابن شعبان وغيرهم وكان له حظ من الفقه والرواية الا أن العبادة غلبت عليه وكان العمل أملك به ولا أعلمه حدث توفي رحمه الله تعالى سنة ست وستين وثلثمائة ودفن في مقبرة الربض وصلى عليه القاضي محمد ابن اسحق بن السليم ثم صلى عليه حيان بن مرة ثانية رحمه الله تعالى وأفاض علينا من أنوار عنايته آمين * (ومنهم أبو بكر محمد بن أحمد بن ابراهيم الصدفي الاشبيلي الاديب البارع) له نظم حسن وموشحات رائقة قرأ على الاستاذ الشلوبين وغيره ومدح الملوك ورحل من الاندلس فقدم ديار مصر ومدح بها بعض من كان يوصف بالكرم فوصله بنزر يسير فكر راجعا الى المغرب فتوفي ببرقة رحمه الله تعالى وكان من النجباء في النحو وغيره ومن نظمه من قصيدة

مابي موارد أمربل مصادره * الحظ أوله واللحد آخره
أرسلت طرفي مرتادا فطل دمي * روض من الحسن مطلول أزاهره
رعيت في خصبه لحظي فاعقبني * جدبا تجهمني مايرويه هامره
ولي وان لم أكن بالذكر أشهره * فالوصف فيه لفقد المثل شاهره

وهي طويلة وأثنى عليه أثير الدين أبو حيان وأورد جملة من محاسن كلامه وبدائع نظامه رحمه الله تعالى الجميع * (ومنهم أبو يحيى زكريا بن خطاب الكناني التطيلي) رحل سنة ٢٩٣ فسمع بمكة كتاب النسب للزبير بن بكار من الجرجاني الذي حدث به عن علي بن عبد العزيز ابن الجمحي عن الزبير وروى موطأ مالك بن أنس رواية أبي مصعب أحمد بن عبد الملك الزهري عن ابراهيم بن سعيد الحذاء وسمع بها من ابراهيم بن عيسى الشيباني والقزاز في آخرين وقدم الاندلس وكان الناس يرحلون اليه الى تطيلة للسماع منه واستقدمه المستنصر الحكم وهو ولي عهد فسمع منه أكثر رواياته وسمع منه جماعة من أهل قرطبة وكان ثقة مامونا ولي قضاء بلده تطيلة احدى مدائن الاندلس بعد عمر بن يوسف ابن الامام * (ومنهم سعد الخير بن محمد بن سعد أبو الحسن الانصاري البلنسي المحدث) رحل الى أن دخل الصين ولذا كان يكتب البلنسي الصيني وركب البحار وقاسى المشاق وتفقه ببغداد على أبي حامد الغزالي وسمع بها أبا عبد الله النعال وطراد او غيرهما وباصبهان أبا سعد المطرز وسكنها وتزوج بها وولدت له فاطمة بها ثم سكن بغداد وروى عنه ابن عساكر وابن السمعاني وأبو موسى المديني وابو اليمن الكندي وأبو الفرج بن الجوزي وابنته فاطمة بنت سعد الخير في آخرين وتأدب على أبي زكريا التبريزي وتوفي في المحرم سنة ٥٤١ رحمه الله تعالى ببغداد وصلى عليه الغزنوي والشيخ الواعظ بجامع القصر وكان وصيه وحضر جنازته قاضي القضاة الزينبي والاعيان ودفن الى جانب عبد الله ابن الامام احمد بن حنبل رضي الله تعالى عنهم أجمعين بوصية منه * (ومنهم ابو عثمان سعيد بن نصر بن عمر بن خلفون الاستجي) سمع بقرطبة من قاسم بن اصبغ وابن أبي دليم وغيرهما ورحل فسمع بمكة من ابن الاعرابي وببغداد من أبي علي الصفار وجماعة وبهامات * (ومنهم ابو عثمان سعيد الاعناقي ويقال العناقي القرطبي) كان ورعا زاهدا عالما بالحديث بصيرا

ابن أرفخشذ بن سام بن نوح بمن تبعه من ولده وغيرهم وهو يقول انا ابن قحطان الهمام ١٥ الافضل * الايمن المعرب ذى المهال

يا قوم سيروا فى الرعيل الاول
انا الندى باللسان المسهل
الابين المنطق غير المشكل
حثوت والامة فى تبلبل
يا قوم سيروا فى الرعيل الاول
نحو يمين الشمس فى عمل
نحل باليمن على ما وصفنا
آ نفا من هذا الكتاب
(وسار بعده عاد بن عوص)
ابن ارم بن سام بن نوح
بولده ومن تبعه وهو يقول
انى انا عاد الطويل البادى
وسام جدى ابن نوح الهادى
فقد رأيتم يعرب الزيادى
وسوقه الطارف والتلادى
نحل بالاحقاف وأدانى
الرمل بين عمان وحضرموت
واليمن وتفرق هؤلاء فى
الارض فانتشر منهم ناس
كثير منهم جيرون بن سعد
ابن عاد حل بدمشق فصر
مصرها وجمع عمد الرخام
والمرمر اليها وشيد بنيانها
وتسمى ارم ذات العماد
وقد روى عن كعب
الاحبار فى ارم ذات العماد
غير هذا وهذا الموضع
بدمشق فى هذا الوقت
وهو ستة اثنتين وثلاثين
وثلثمائة سوف من اسواقها
عند باب المسجد الجامع
يعرف بجيرون وجيرون هو بنيان عظيم كان قصر هذا الملك عليه أبواب من نحاس مجيبة بعضها

بعلله سمع من محمد بن وضاح وصحبه ومن يحيى بن ابراهيم بن مزين ومحمد بن عبد السلام الخشنى وغيرهم ورحل فلقى جماعة من أصحاب الحديث منهم نصر بن مرزوق كتب عنه مسند أسد بن موسى وغير ذلك من كتبه ويونس بن عبد الاعلى ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم والحرث بن مسكين فى آخرين وحدث عنه أحمد بن خالد وابن أيمن ومحمد بن قاسم وابن أبى زيد فى عدد كثير ومولده سنة ٢٣٣ وتوفى سنة ٣٠٥ بصفر والاعناقى نسبة الى موضع يقال له أعناق وعناق * (ومنهم أبو المطرف عبد الرحمن بن خلف التجيبى الاقليشى) روى عن أبى عثمان سعيد بن سالم البحريطى وأبى ميمونة دارس بن اسمعيل فقيه فاس ورحل حاجا سنة ٣٤٩ فسمع بمكة من أبى بكر الآجرى وأبى حفص الجمعى وبمصر من أبى اسحق ابن شعبان وروى عنه كتاب الزاهى جميعه وقد قرئ عليه جميعه وحمل عنه ومولده سنة ٣١٢ رحمه الله تعالى * (ومنهم أبو الاصبغ عبد العزيز بن على المعروف بابن الطحان الاشبيلى المقرى) ولد باشبيلية سنة ٤٩٨ ورحل فدخل مصر والشام وحلب وتوفى بحلب بعد سنة ٥٥٩ وله كتاب نظام الاداء فى الوقف والابتداء ومقدمة فى مخارج الحروف ومقدمة فى أصول القراآت وكتاب الدعاء وكان من القراء المجودين الموصوفين بالاتقان ومعرفة وجوه القراآت وسمع الحديث على شريح بن محمد بن أحمد بن شريح الرعينى خطيب اشبيلية وأبى بكر يحيى بن سعادة القرطبى وله شعر حسن منه قوله

دع الدنيا لعاشقها * سيصبح من رشائقها
وعاد النفس مصطبرا * ونكب عن خلائقها
هلاك المرء أن يضحى * مجدا فى علائقها
وذو التقوى يذللها * فيسلم من بوائقها

وأخذ القراآت ببلده عن أبى العباس بن عيشون وشريح بن محمد وروى عنهما وعن أبى عبد الله بن عبد الرزاق الكلبى وروى مصنف النسائى عن أبى مراون بن مسرة وتصدى للاقراء ثم انتقل الى فاس وحج ودخل العراق وقرأ بواسط القراآت وأقرأها أيضا ودخل الشام واشتهر ذكره وجل قدره وروى عنه أبو محمد عبد الحق الاشبيلى الحافظ وعلى بن يونس قال بعضهم سمعت غير واحد يقول ليس بالغرب أعلم بالقراآت من ابن الطحان قرأ عليه الاثير أبو الحسن محمد بن أبى العلاء وأبو طالب بن عبد السميع وغيرهما رحمهم الله تعالى الجميع * (ومنهم أبو الاصبغ عبد العزيز بن خلف المعافرى) قدم مصر سنة ٥٠٢ وولد سنة ٤٤٨ وحدث بالموطأ عن سليمان بن أبى القاسم أنبأنا أبو عمر بن عبد البر أنبأنا سعيد بن نصر عن قاسم بن أصبغ عن محمد بن وضاح عن يحيى بن يحيى عن مالك بن أنس امام دار الهجرة رضى الله تعالى عنه * (ومنهم أبو محمد عبد العزيز بن عبد الله بن ثعلبة السعدى الشاطبى) قدم مصر ودمشق طالب علم وسمع أبا الحسن بن أبى الحديد وأبا منصور العكبرى وغيرهما وصنف غريب الحديث لابى عبيد القاسم بن سلام على حروف المعجم وسمعه عليه أبو محمد الاكفانى وتوفى بارض حوران من أعمال دمشق فى رمضان سنة ٤٦٥ رحمه الله تعالى ورضى عنه (ومنهم الحكيم الطبيب أبو الفضل محمد بن عبد المنعم الغسانى الجليانى) وهو عبد المنعم بن

على ما كانت عليه والبعض ابن عوص) ثمود بن عابر ابن ارم بن سام بن نوح بولده ومن تبعه وهو يقول أنا الفتى الذي دعى ثمودا

يا قوم سيروا ودعوا الترديدا

لعلنا ان ندرك الوفودا

فنلحق البادي لنا الصديدا

انا أبينا ليعرب الحميدا

وعاد ما عاد الفتى الجايدا

فنزل هؤلاء الحجر الى فرع وقد تقدم ذكرهم فيما سلف من هذا الكتاب وخبر نبيهم صالح عليه السلام وانهم نحو وادي القرى بين الشام والحجاز (وسار بعد ثمود) جديس ابن عملاق بن لاوذ بن ارم بن سام بن نوح بولده ومن تبعه وهو يقول

انا جديس والمسير المسلكا

قد تلك نفسي يا ثمود المهلكا

دعوتني فقد قصدت نحوكا

اذ سارت العيس وأبدت شخصكا

وقد قلنا فيما سلف انهم هؤلاء الذين نزلوا اليمامة

(وسار بعد جديس) عملاق بن لاوذ بن ارم بن سام بن نوح ومن تبعه وهو يقول

لما رأيت الناس ذا تبلبل

وسار مناذو اللسان الاول

وحدثنا في اللعاق الاول * فسرت حثنا بالسوام المهمل

عمر بن عبد القيوم أحمد بن خضر بن مالك بن حسان ولد بقرية جليانة من أعمال غرناطة سابع المحرم سنة ٥٣١ وقدم الى القاهرة وسار الى دمشق فسكنها مدة ثم سافر الى بغداد ودخلها سنة ٦٠١ ونزل بالمدرسة النظامية وكتب الناس عنه كثيرا من نظمه وكان أديبا فاضلا له شعر مليح المعاني اكثر في الحكم والالهيات وآداب النفوس والرياضات وكان طبيبا حاذقا وله رياضات ومعرفة بعلم الباطن وله كلام مليح على طريق القوم وكان مليح السمت حسن الاخلاق لطيفا حاضر الجواب ومات بدمشق سنة ٦٠٢ وكان يقال له حكيم الزمان وأراد القاضي الفاضل ان يغض منه فقال له بحضرة السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب كم بين جليانة وغرناطة فقال مثل ما بين بيسان وبيت المقدس ومن شعره قوله

خبرت بني عصري على البسط والقبض * وكاشفتهم كشف الطبائع بالنبض

فانتج فيهم قياسي تخليطا * عن الكل اذهم آفة الوقت والعرض

الازم كسر البيت خلوا وان يكن * خروج ففردا ملصق الطرف بالارض

أرى الشخص من بعد فاغضي تغافلا * كما شدوه بال في مهمته يمضي

ويحسبني في غفلة وفراستي * على العور من لحظي بما قد نوى تقضي

أجانبهم سلما ليسلم جانبي * وليس لحقد في النفوس ولا بغض

تخليت عن قومي ولو كان عمكني * تخليت عن بعضي ليسلم لي بعضي

وقال

قالوا نراك عن الاكابر تعرض * وسوالك زوارهم متعرض

قلت الزيارة للزمان اضاعة * واذا مضى زمن فما يتعوض

ان كان لي يوما اليهم حاجة * فبقدر ما ضمن القضاء تقيض

وقال

حاول مفازك قبل أن يتحولا * فالحال آخرها كحالك أولا

ان المسمى من المنية لفظه * لتدل في أصل البناء على البلا

وسماه بعضهم عبد المنعم وذكره العماد في الخريدة وقال هو صاحب البديع البعيد والتوشيح والترشيح والترصيع والتصريع والتجنيس والتطبيق والتوفيق والتلفيق والتقريب والتقرير والتعريف والتعريب وهو مقيم بدمشق وقد أتى العسكر المنصور الناصري سنة ٥٨٦ بظاهر ثغر عكا وكتب الى السلطان صلاح الدين وقد جرح فرسه

أيا ملكا أفنى العداة حسامه * ومنتجعا أقنى العفاة ابتسامه

لقاؤك يوما في الزمان سعادة * فكيف بشاو في جمالك حمامه

وعبدك شاك دينه وهو شاكر * ندالك الذي يغني الغمام غمامه

ولي فرس أصماه سهم فرده * أتاني ربيع بالثلاث قيامه

تعمر فيه بالجراحة ساحة * وعطل منه سرجه ولجامه

أتينا لما عودتنا من مكارم * يلوذ بها الراجي فيشفى ضرامه

فرجاك غوث لا يغيب نصيره * ونعماك غيث لا يغب انسجامه

وله

والمغرب وقيل ان هؤلاء بعض فراعنة مصر وقد ذكرنا قول من الحق من العماليق وغيرهم ممن ذكرنا بقطور بن اسحق ابن ابراهيم الخليل وزعم أنهم من ولد العيص على حسب ماذكرنا فيما تقدم وقد كانت العماليق ملوكا كثيرة سلفت فى مواضع من الشام وغيره وقد أتينا على أخبارهم وذكر عمالكهم وحروبهم فى كتابنا أخبار الزمان وقد ذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب قصة يوشع ابن نون مع ملك العماليق وأنهم انضافوا الى ملك الروم على مشارق الشام والغرب والجزيرة من ثغور الروم فيما بينهم وبين فارس (فمن ملك الروم) من العماليق أذينة بن الصميدع الذى ذكره الاعشى فى قوله

أزال أذينة عن ملكه
وأخرج عن ملكه ذا يزن

وقد كان ملك بعد العماليق حسان بن أذينة ابن ظرب ويقال هو الذى يعرف بامه ثم ملك عمرو ابن ظرب ويقال هو الذى كان يعرف بامه وقد كان بينه وبين جذيمة الابرش الازدى بن مالك حروب

ولد رحمه الله تعالى غير هذا وترجمته واسعة * (ومنهم الاستاذ أبو القاسم عبد الوهاب بن محمد ابن عبد الوهاب بن عبد القدوس القرطبى مؤلف المفتاح فى القراآت ومقرئ أهل قرطبة) رحل وقرأ القراآت على أبى على الاهوازى وبحران على أبى القاسم الريدى وبمصر على أبى العباس بن نفيس وبمكة على أبى العباس الكازرونى وسمع بدمشق من أبى الحسن بن السمسار وكان عجبا فى تحرير القراآت ومعرفة فنونها وكانت الرحلة اليه فى وقته ولد سنة ٤٠٣ ومات فى ذى القعدة سنة ٤٦١ قرأ عليه أبو القاسم خلف بن الخياس وجماعة رحمه الله تعالى * (ومنهم عبيد الله وقيل عبد الله بغير تصغير ابن المظفر بن عبد الله بن محمد أبو الحكم الباهلى الاندلسى) ولد بالمرية سنة ٤٨٦ وحج سنة ٥١٦ وحج أيضا سنة ٥١٨ ودخل دمشق وقرأ بصيدا ومصر وبالاسكندرية ثم مضى الى العراق وأقام ببغداد يعلم الصبيان وخدم السلطان محمود بن ملك شاه سنة ٥٢١ وانشأ له فى معسكره مارستانا ينقل على أربعين جملا فكان طبيبه ثم عاد الى دمشق ومات بها سنة ٥٤٩ ودفن بباب الفراديس وكان ذا معرفة بالادب والطب والهندسة وله ديوان شعر سماه نهج الوضاعة لاولى الخلاعة ذكر فيه جملة شعراء كانوا بمدينة دمشق كطالب الصورى ونصر الهيثى وغيرهما كعرقلة وفيه نزهات أدبية ومضاحكات غريبة مزوج جدها بسخفها وهزلها بظرفها ورثى فيه أنواعا من الدواب وأنواعا من الاثاث وخلقا من المغنين والاطراف وشرح هذا الديوان ابنه الحكيم الفاضل أبو المجد محمد بن أبى الحكم الملقب بافضل الدولة وكان كثير الهزل والمداعبة دائم اللهو والمجانة وكان اذا أتاه الغلام ومابه شئ فيجس بعضه ثم يقول له تصلح لتلك المريسة وكان أعور فقال فيه عرقلة

لقاطبيب شاعر أعور * أراحنا من طبه الله
ماعاد فى صحة يوم فتى * الا وفى باقيه رثاه

وله يرثيه

ياعين سحى بدمع ساكب ودم * على الحكيم الذى يكنى أبا الحكم
قد كان لا رحم الرحمن شبيته * ولا سقى قبره من صوب الديم
شيخا يرى الصلوات الخمس نافلة * ويستحل دم الحجاج فى الحرم

ومن كنايات أبى الحكم المستحسنة قوله

ألم ترنى أكابد فيك وجدى * وأحمل منك مالا يستطاع
اذا ما أنجم الجوزا استقلت * ومال الدلو وارتفع الذراع

ومن شعره قوله

محاسن العالم قد جمعت * فى حسنه المستكمل البارع
وليس لله بمستنكر * أن يجمع العالم فى الجامع

* (ومنهم أبو الربيع سليمان بن ابراهيم بن صافى الغرناطى القيسانى) وقيسانة من عمل غرناطة الفقيه المالكى ولد سنة ٥٦٤ وقدم القاهرة وناب فى الحسبة وله شعر حسن توفى بالقاهرة سنة ٦٣٤ رحمه الله تعالى * (ومنهم طالوت بن عبد الجبار المعافرى الاندلسى) دخل

٣ ط نى كثيرة فقتله جذيمة على ماذكرنا وما كان من قتل الزباء لجذيمة وقول الشاعر كأن عمرو بن زبالم يعش ملكا

(ثم سار طسم) بن لاوذ بن ارم بن سام بن نوح بعد عملاق بن لاوذ بولده ومن تبعه وهو يقول

انى أنا طسم وجدى سام
سام بن نوح وهو الامام
لما رأيت الاخ والاعلاما
قلت لنفسى الحق السواما
أخاك عملاقا وذا الاقدام
يافث لا كان وليى حام

فنزل هؤلاء البحرين وقد كان جميع من ذكرنا بيدوا وانتشروا فى الارض على حسب ماذكرنا من مساكنهم وكثرت جديس فملكت عليها الاسود بن عفار وكثرت طسم فملكت عليها عملیق بن جديس وقد ذكرنا عبيد بن شريد الجرهمى حين وفد على معاوية وأخبره أن طسم ابن لاوذ بن سام بن نوح هم العرب العاربة وقد كان منزلهم جميعا باليمامة واسمها اذذاك جو وكان لطسم ملك يقال له عملوق وكان ظلوما غشوما لا ينهاه شئ عن هواه مع اصراره واقدامه على جديس وتعديه عليهم وقهره اياهم فلبثوا فى ذلك دهرا وهم أهل مظالم قد غمطوا النعمة وانتهكوا الحرمة وبلادهم أفضل البلاد وأكثرها خيرا فيها صنوف الشجر والاعناب وهى حدائق ملتفة

مصر وحج ولقى امامنا مالك بن أنس رضى الله تعالى عنه وعاد الى قرطبة وكان ممن خرج على الحكم بن هشام بن عبد الرحمن من أهل ربض شقندة يريد خلعه واقامة أخيه المنذر وزحفوا الى قصره بقرطبة فغار بهم وقتلهم وفر من بقى منهم فاستتر الفقيه طالوت عاما عند يهودى ثم ترامى على صديقه أبى الدسام الكاتب ليأخذ له أمانا من الحكم فوشى به الى الحكم وأحضره اليه فعنفه ووبخه فقال له كيف يحل لى أن أخرج اليك وقد سمعت مالك بن أنس يقول سلطان جائر مدة خير من فتنة ساعة فقال الله تعالى لقد سمعت هذا من مالك فقال طالوت اللهم انى قد سمعته فقال انصرف الى منزلك وأنت آمن ثم سأله أين استتر فقال عند يهودى مدة عام ثم انى قصدت هذا الوزير فغدر بى فغضب الحكم على أبى الدسام وعزله عن وزارته وكتب عهدا أن لا يخدمه أبدا فروى أبو الدسام بعد ذلك فى فاقة وذل فقيل استجيبت فيه دعوة الفقيه طالوت رحمه الله تعالى * (ومنهم أبو الحسن على بن محمد بن على بن محمد ضياء الدين ونظامه ابن خروف الاديب القيسى القرطبى القيذافى الشاعر) قدم الى مصر ثم سار الى حلب ومات بها مترديا فى جب حنطة سنة ٦٠٣ وقيل فى التى بعدها وقيل سنة خمس وستمائة وله شرح كتاب سيبويه وحمله الى صاحب المغرب فأعطاه ألف دينار وله شرح جمل الزجاجى وكتب فى الفرائض ورد على أبى زيد السهيلى وغير ذلك ومدح الافضل ابن السلطان صلاح الدين ومدح الظاهر بن الناصر أيضا وشعره جيد فمنه قوله فى كاس

أنا جسم للعيس * والجيس روح
بين أهل الظرف أغدو * كل يوم وأروح

وقال فى صبى حبس

أقاضى المسلمين حكمت حكما * غداوجه الزمان به عبوسا
حبست على الدراهم ذا اجال * ولم تسجنه اذ سلب النفوسا

وقال

ما أعجب النيل ما أحلى شمائله * فى ضفتيه من الاشجار أدواح
من جنة الخلد فياض على ترع * تهب فيها هبوب الريح أرواح
ليست زيادته ماء كما زعموا * وانما هى أرزاق وأرباح

والقيذافى بقاف ثم ياء آخر الحروف بعدها ذال معجمة ثم ألف وفاء وله رسالة كتب بها الى بهاء الدين بن شداد بحلب يطلب منه فروة وهى

بهاء الدين والدنيا * ونور المجد والحسب
طلبت مخافة الانوا * من جدواك جلد أبى
وفضلك عالم أنى * خروف بارع الادب
حلبت الدهر أشطره * وفى حلب صفا حلبى

ذو الحسب الباهر والنسب الزاهر يسحب ذيول سيرا السراء ويحب النعاة من أجل الغراء ويمن على الخروف النبيه بجلد أبيه فانى الصباغ قريب عهد بالدباغ ماضل طالب قرظه ولا ضاع بل ذاع ثناء صانعه وضاع اذا ظهر اهابه يخافه البرد ويهابه

أثيث خمائل الصوف يهزأ بكل هوجاء عصوف ما في اللباس له ضريب اذا نزل الجليد والضريب ولا في الثياب له نظير اذا عرى من ورقه الغصن النضير والمولى يعنه فرجى النوع أرجى الضوع يكون تارة لحافا وتارة بردا وهو في الحالين يحيي حرا ويميت بردا لا كطيلسان ابن حرب ولا كجلد عمرو المزرق بالضرب ان عزاه السواد الى حام فسام أو نماه البياض الى سام فسام كانه من جلد جمل الحرباء الذي يرعى القمر والنجم لا من جلد السخلة الجرباء التي ترعى الشجر والنجم لا زال مهديه سعيدا ينجز للاخيار وعدا وللاشرار وعيدا بالمنة والطول والقوة والحول * (ومنهم مالك بن مالك) من أهل جيان رحل حاجا فادى الفريضة وسكن حلبا ولقي عبد الكريم بن عمران وأنشد له قوله

يارب خذ بيدي مما دفعت له * فلست منه على رد ولا صدر
الامر ما أنت راثيه وعالمه * وقد عتبت ولا عتب على القدر
من يكشف السوء الا أنت بارئنا * ومن يزيل بصفو حالة الكدر

* (ومنهم أبو علي بن خميس وهو منصور بن خميس بن محمد بن ابراهيم اللخمي) من أهل المرية سمع من أبي عبد الله البوني وابن صالح وأخذ عنهما القراآت وروى أيضا عن الحافظ القاضي أبي بكر بن العربي وأبوي القاسم بن رضا وابن ورد وأبي محمد الرشاطي وأبي الحجاج القضاعي وأبي محمد عبد الحق بن عطية وأبي عمر والخضر بن عبد الرحمن وأبي القاسم عبد الحق بن محمد الخزرجي وغيرهم ورحل حاجا فنزل الاسكندرية وسمع منه أبو عبد الله بن عطية الداني سنة ٥٩٦ وحدث عنه بالاجازة أبو العباس العزفي وغيره (ومنهم منصور بن لب ابن عيسى الانصاري) من أهل المرية يكني أبا علي أخذ القراآت ببلده عن ابن خميس المذكور قبله ورحل بعده فنزل الاسكندرية وأجازه أبو الطاهر السلفي في صغره وقد أخذ عنه فيما ذكر بعضهم ومولده سنة ٥٧١ رحمه الله تعالى * (ومنهم مفرج بن حماد بن الحسين بن مفرج المعافري) من أهل قرطبة وهو جد ابن مفرج صاحب كتاب الاحتفال بعلم الرجال صحب المذكور محمد بن وضاح في رحلته الثانية وشاركه في كثير من رجاله وصدر عن المشرق معه فاجتهد في العبادة وانقبض عن الناس ثم كر راجعا الى مكة عند موت ابن وضاح فنزلها واستوطنها الى ان مات فقبره هنالك وقال في حقه أبو عمر عفيف انه كان من الصالحين رحل فحج وجاور بمكة نحو عشرين سنة الى أن مات بها رحمه الله تعالى (ومنهم محب بن الحسين) من اهل الثغر الشرقي كانت له رحلة حج فيها وسمع بالقيروان من ابي عبد الله بن سفيان الكتاني الهادي في القراآت من تاليفه وكان رجلا صالحا حدث عنه ابو عبد الله محمد بن عبد الملك التجيبي من شيوخ ابي مروان بن الصيقل * (ومنهم مساعد بن احمد بن مساعد الاصبحي) من اهل اوريولة يكنى اباعبد الرحمن ويعرف بابن زعوقة روى عن ابن ابي تليد وابن بجدر والحافظين أبي علي الصدفي وأبي بكر بن العربي وكتب اليه ابو بكر بن غالب بن عطية ورحل حاجا في سنة اربع وتسعين واربعمائة فادى الفريضة سنة خمس بعدها ولقي بمكة اباعبد الله الطبري فسمع منه صحيح مسلم مشتركا في السماع مع ابي محمد بن جعفر الفقيه ولقي اباالعباس بن العريف وابابكر بن الوليد الطرطوشي واصحاب الامام ابي حامد الغزالي واباعبد الله المازني وزوج لما قدم فارقها يقال له ماشق فاراد قبض ولده منها فابت عليه فارتفعا الى الملك عمليق ليحكم بينهما فقالت المراة ايها الملك هذا الذي حملته تسعا ووضعته دفعا وارضعته شفعا ولم أنل منه نفعا حتى اذا تمت أوصاله واستوى في خصاله اراد أن يأخذه قسرا ويسلبنيه قهرا ويتركني منه صفرا فقال زوجها قد أخذت المهر كاملا ولم أنل منه نائلا الا ولدا خاملا فافعل ما أنت فاعلا فامر الملك أن يؤخذ الولد منها ويجعل في غلمانه فقالت هزيلة في ذلك

أتينا أخا طسم ليحكم بيننا
فابرم حكما في هزيلة ظالما
لعمري لقد حكمت لا متورعا
ولا فهما عند الحكومة عالما
ندمت فلم أقدر على متزحزح
واصبح زوجي حائر الرأي نادما

فبلغ الملك قول هزيلة فغضب وأمر أن لا تتزوج امرأة من جديس فتزف الى زوجها حتى تحمل اليه فيفترعها قبل زوجها فثقل ذلك من ذلك ذلا طويلا ولم تزل تلك حالتهم حتى تزوجت بنت ماتن وزوج لها قد عفير وقيل الشموس بنت عمار الطسمي أخت الاسود بن عفار فلما كانت ليلة اهديها الى زوجها انطلق

عبد الله المازري وجماعة سواهم ساوى بلقائهم مشيختهم وانصرف الى بلده فسمع منه الناس وأخذوا عنه لعلو روايته وكان من أهل المعرفة والصلاح والورع وممن حدث عنه من الجلة أبو القاسم بن بشكوال وأبو الحجاج الثغري الغرناطي وأبو محمد عبد المنعم بن الفرس وغيرهم وأغفله ابن بشكوال فلم يذكره في الصلة مع كونه روى عنه وقال تلميذه أبو الحجاج الثغري الغرناطي أخبرني أبو سليمان بن حوط الله وغيره عنه قال أخبرني الحاج ابو عبد الرحمن بن مساعد رضي الله تعالى عنه انه لقي بالمشرق امرأة تعرف بصباح عند باب الصفا وكان يقرأ عليها بعض التفاسير فجاء بيت شعر شاهد فسألت هل له صاحب فسألوا الشيخ أبا محمد بن العرجاء فقال الشيخ لا أذكر له صاحبا فانشدت

طلعت شمس من أحبك ليلا * واستضاءت فما لها من مغيب
ان شمس النهار تغرب بالليل وشمس القلوب دون غروب

ولد في صفر سنة ٤٦٨ وتوفي بأوريولة سنة ٥٤٠ قاله ابن شعبان * (ومنهم أبو حبيب نصر بن القاسم) قال ابن الابار أظنه من اهل غرناطة له رحلة حج فيها وسمع من ابي الطاهر السلفي وحدث عنه عن ابن فتح بمسند الجوهري انتهى *(ومنهم النعمان بن النعمان المعافري) من اهل ميورقة منسوب الى جده رحل حاجا فادى الفريضة وجاور بمكة ثم قفل الى بلده واعتزل الناس وكان يشار اليه باجابة الدعوة وتوفي سنة ٦١٦ رحمه الله تعالى ونفعنا به *(ومنهم نعم الخلف بن عبد الله بن ابي ثور الحضرمي) من اهل طرطوشة او ناحيتها رحل الى المشرق وادى الفريضة ولقي بمكة ابا عبد الله الاصبهاني فسمع منه سنة ٤٢٢ حدث عنه ابنه القاسم بن نعم الخلف بيسير (ومنهم نابت بالنون ابن المفرج بن يوسف الخثعمي) اصله من بلنسية وسكن مصر يكنى ابا الزهر قال السلفي قدم مصر بعد خروجي منها وتفقه على مذهب الشافعي وتادب وقال الشعر الفائق وكتب الي بشيء من شعره ومات في رجب سنة ٥٤٠ بمصر *(ومنهم ضمام بن عبد الله الاندلسي) رحل الى المشرق ودخل بغداد وهو ممن روى عن عبد السلام بن مسلم الاندلسي وممن روى عن ضمام أبو الفرج أحمد بن القاسم الحساب البغدادي من شيوخ الدارقطني قال ابن الابار هكذا وقع في نسخة عتيقة من تاليف الدارقطني في رواته عن مالك في باب مسلمة منه ضمام بالضاد المعجمة وهكذا ثبت في رواية أبي زكريا بن مالك بن عائذ عن الدارقطني وقال فيه غيره همام بن عبد الله بالهاء وتشديد الميم وفي حرف الهاء أثبته أبو الوليد بن الفرضي من تاريخه والاول عندي أصح والله تعالى اعلم انتهى *(ومنهم ضرغام بن عروة بن حجاج بن أبي فريعة) واسمه زيد مولى عبد الرحمن ابن معاوية والداخل معه الى الاندلس من أهل بلنسة له رحلة الى المشرق وكان فقيها ذكره الرازي *(ومنهم عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عامر بن أبي عامر المعافري) من أهل قرطبة وأصله من الجزيرة الخضراء وهو والد المنصور بن أبي عامر ويكنى أبا حفص سمع الحديث وكتبه عن محمد بن عمر بن لبابة وأحمد بن خالد ومحمد بن فطيس وغيرهم ورحل الى المشرق فادى الفريضة وكان من اهل الخير والدين والصلاح والزهد والقعود عن السلطان اثنى عليه الراوية أبو محمد الباجي وقال كان لي خير صديق أنتفع به وينتفع بي

بها الى عملوق الملك ليطاها
ويادري الصبح بام معجب
فالبكر بعدكم من مذهب
فلما دخلت عفيرة على
عملوق وافترعها وخلى
سبيلها فخرجت عفيرة على
قومها في دمائها شاقة جيبها
عن قبلها ودبرها وهي
تقول
لا أحد أذل من جديس
أهكذا يفعل بالعروس
وقالت أيضا تحرض
جديس على طسم وأبت
أن تمضي الى زوجها من
كلة
أيصلح ما يؤتى الى فتياتكم
وأنتم رجال فيكم عدد الرمل
أيصلح تمشي في الدماء فتياتكم
صبيحة زفت في النساء الى البعل
فان أنتم لا تغضبوا بعد هذه
فكونوا نساء لا تقروا من الكحل
ودونكم طيب العروس فانما
خلقتم لاثواب العروس والغسل
قبيحا وشيكا كالذي ليس دافعا
ويختال يمشي بيننا مشية الفحل
فلو أننا كنا الرجال وكنتم
نساء لكنا لا نقر على الذل
فموتوا كراما واصبروا العدوكم * بحرب تاظى في القرام من الجزل

واقابل

ولا تجزعوا للعرب يا قوم انما * تقوم يا قوام كرام على رجل فيهلك فيها كل نكس موكل * ٢١ ويسلم فيها ذو النجابة والفضل

وأقابل معه كتبه وكتبي ومات منصرفه من حجه ودفن بمدينة طرابلس المغرب وقيل بموضع يقال له وقادة وكان رجلا عالما صالحا وقال بعضهم انه توفي في آخر خلافة عبد الرحمن الناصر * (ومنهم أبو محمد عبد الله بن حمود الزبيدي الاشبيلي ابن عم أبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي اللغوي) كان من مشاهير أصحاب ابي علي البغدادي ورحل الى المشرق فلم يعد الى الاندلس ولازم السيرافي ببغداد الى أن توفي فلازم بعده صاحبه أبا علي الفارسي ببغداد والعراق وحيثما جال واتبعه الى فارس وحكى ابو الفتوح الجرجاني ان أبا علي البغدادي غلس لصلاة الصبح في المسجد فقام اليه أبو محمد الزبيدي من مدود كان لدابته خارج الدار قد بات فيه اوادبج اليه ليكون اول وارد عليه فارتاع منه وقال ويحك من تكون قال انا عبد الله الاندلسي فقال له الى كم تتبعني والله انه ليس على وجه الارض انحى منك وكان من كبار النحاة واهل المعرفة التامة والشعر وجمع شرح الكتاب سيبويه ويقال انه توفي ببغداد سنة ٣٧٣ * (ومنهم عبد الله بن رشيق القرطبي) رحل من الاندلس فاوطن القيروان واختص بابي عمران الفاسي وتفقه به وكان اديبا شاعرا عفيفا خيرا وفي شيخه ابي عمران اكثر شعره ورحل حاجا فادى الفريضة وتوفي في انصرافه بمصر سنة ٤١٩ وانشدني له ابن رشيق في الانموذج قوله رحمه الله تعالى

خير اعمالك الرضا * بالمقادير والقضا
بينما المرء ناضر * قيل قدمات وانقضى

وقوله

سافطع حبلي من حبالك جاهدا * واهجر هجر الايجرانا عرضا
وقد يعرض الانسان عمن يوده * ويلقى بشرمن يسره البغضا

قال في الانموذج وأراد الحج فناله وجع فمات بمصر بعد اشتهاره فيها بالعلم والجلالة وقد بلغ عمره نحو الاربعين سنة رحمه الله تعالى وهو مخالف لما قدمناه من أنه أدى الفريضة وقد ذكر ابن الابار العبارتين والله تعالى أعلم * (ومنهم ابو بكر اليابري ويكنى ايضا ابا محمد وهو عبد الله ابن طلحة بن محمد بن عبد الله) اصله من يابرة ونزل هو اشبيلية وروى عن ابي الوليد الباجي وعن جماعة بغرب الاندلس منهم ابو بكر بن ايوب وابو الحزم بن عليم وابو عبد الله بن مزاحم البطليوسيون وغيرهم وكان ذا معرفة بالنحو والاصول والفقه وحفظ التفسير والقيام عليه وعلق به مدة باشبيلية وغيرها وهو كان الغالب عليه مع القصص فيسرد منه جلا على العامة وكان متكلما وله رد على ابي محمد بن حزم وكان احد الائمة بجامع العديس ورحل الى المشرق فروى عن ابي بكر محمد بن زيدون بن علي كتابه المؤلف في الحديث المعروف بالزيدوني وألف كتابا في شرح صدر رسالة ابن ابي زيد وبين ما فيها من العقائد وله مجموعة في الاصول والفقه منها كتاب سماه المدخل الى كتاب آخر سماه سيف الاسلام على مذهب مالك الامام الفه للامير علي بن تميم بن المعز الصنهاجي صاحب المهدية وذكر في فصل الحج منه انه رحل الى المهدية سنة ٥١٥ واستوطن مصر مدة ثم رحل الى مكة وبها توفي رحمه الله تعالى روى عنه ابو المظفر الشيباني وابو محمد العثماني وابو الحجاج يوسف بن محمد القيرواني

وفي ذلك يقول أخوها

جاءت تمشي طسم في خميس * كالريح في هشهشة اليبيس
يا طسم ما لقيت من جديس * حقا لك الويل فهيسي هيسي
قال فلما سمعت جديس بذلك وغيره من قولها اجتمعت عصبا لذلك فقال لهم الاسود بن عفار وكان فيهم سيدا مطاعا يا جديس أطيعوني فيما آمركم به وادعوكم اليه ففي ذلك عز الدهر وذهاب الذل قالوا وما ذلك قال قد علمتم أن هؤلاء يعني طسما ليسوا باعز منكم ولكن ملك صاحبكم عليكم وعليهم هو الذي يذعنا اليه بالطاعة ولولا ذلك ما كان له علينا من فضل ولو امتنعنا منه لكان لنا النصف فقالوا قد قبلنا قولك ولكن القوم أقراننا وأكثر عددا وعددا منا فنخاف ان ظفروا بنا أن لا يقيلونا فقال والله يا جديس لتطيعوني فيما آمركم به وادعوكم اليه أو لاتكئن على سيفي فاقتل به نفسي قالوا فانا نطيعك فيما قد عزمت عليه قال فاني صانع لمملوق وقومه من طسم طعاما وداعيهم اليه فاذا جاؤا اليه منفصلين من الخيل والبغال نهضنا اليهم بأسيافنا فانفردت أنا بالملك وانفرد كل رجل منكم برجل منهم قالوا فافعل ما بدا لك واجتمع

قال لا ولكن نمكر بهم فيكون ذلك أمكن لنا من نواصيهم وأبلغ في الانتقام منهم فقالت عفيرة في ذلك أشعارا قد ذكرناها فيما سلف من كتبنا ثم ان الاسود صنع طعاما كثيرا وأمر قومه فاختبزوا سيوفهم ودفنوها في الرمل حيث أعدوا الطعام ثم قال لهم اذا أتاكم القوم يرفلون في حليهم فخذوا أسيافكم ثم تقدموا عليهم قبل أن يأخذوا مجالسهم وابدؤا بالرؤساء فانكم اذا قتلتموهم لم تبالوا بالسفلة ولم يكن بعد ذلك منهم حال تكره ونهب قالوا نفعل ما قلت ثم دعا الاسود بمملوق الطسمي ومن معه من رؤساء طسم باليمامة فاسرعوا اجابة دعوة الاسود فلما توافوا الى المدعاة وثبت جديس فاستثاروا سيوفهم من الرمل وشدوا على مملوق وأصحابه فقتلوهم حتى أفنوهم عن آخرهم ومضوا الى ديارهم فانتهبوها وقال الاسود بن عفار في ذلك أشعارا يرثي بها طسما ويذكر نعيمها وفعل مملوق باخته يطول عن ذكرها الكتاب وقد تقدمت فيما سلف من كتبنا قال وهرب رجل من طسم وكان اسمه رباح بن مرة الطسمي يقول

وابو عمرو عثمان بن فرج العبدوي وابو محمد بن صدقة المنكبي وابو عبد الله بن يعيش البلنسي وغيرهم وكان سماع ابي الحجاج منه موطأ مالك سنة ٥١٢ رحم الله تعالى الجميع

*(ومنهم ابو محمد عبد الله بن محمد بن مرزوق العصي الاندلسي) رحل حاجا فسمع منه بالاسكندرية ابو الطاهر السلفي كتاب طبقات الامم لابي القاسم صاعد بن أحمد الطليطلي وحدث به عنه عن ابن برال عن صاعد

*(ومنهم أبو محمد عبد الله بن محمد الصريحي المرسي) ويعرف بابن مطعنة روى عن أبي بكر بن الفرضي النحوي وتادب به ورحل الى المشرق ولقي أبا محمد العثماني وغيره وحج وقعد لتعليم الآداب وممن أخذ عنه أبو عبد الله محمد بن عبد السلام وأبو عبد الله المكناسي وغيرهما وأنشد رحمه الله تعالى قال أنشدني أبو محمد عبد الله بن العباسي بالاسكندرية لنفسه

يمد الدهر من أجلي وعمري * كما أني أمد من المداد
لنا خطان مختلفان جدا * كما اختلف الموالي والمعادي
فاكتب بالسواد على بياض * ويكتب بالبياض على السواد

وهذا نظير قول الآخر

ولي خط وللايام خط * وبينهما مخالفة المداد
فأكتبه سوادا في بياض * وتكتبه بياضا في سواد

وبعضهم ينسب الابيات الثلاثة السابقة للسلفي الحافظ فالله تعالى اعلم

*(ومنهم أبو محمد عبد الله بن عيسى الشلبي سمع من الصدفي وغيره وكان من أهل الحفظ للحديث ورجاله والعلم بالاصول والفروع ومسائل الخلاف وعلم العربية والهيئة مع الخير والدين والزهد وامتحن بالامراء في قضاء بلده بعد أن تقلده نحو تسعة أعوام لاقامته الحق واظهاره العدل حتى أدى ذلك الى اعتقاله بقصر اشبيلية ثم سرح فرحل حاجا الى المشرق ودخل المهدية فلقي بها المازري وأقام في صحبته نحو ثلاث سنين ثم انتقل الى مصر وحج سنة ٥٢٧ وأقام بمكة مجاورا وحج ثانية سنة ٥٢٨ ولقي بمكة أبا بكر عتيق بن عبد الرحمن الاوريولي في هذه السنة فحمل عنه ودخل العراق وخراسان وأقام بها أعواما وطار ذكره في هذه البلاد وعظم شأنه في العلم والدين وكان من بيت شرف وجاه في بلده عريض مع سعة الحال والمال وتوفي بهراة سنة ٥٥١ وقيل ان وفاته سنة ٥٤٨ وذكره العماد في الخريدة والسمعاني في الذيل وانشد له

تلونت الايام لي بصروفها * فكنت على لون من الصبر واحد
فان أقبلت أدبرت عنها وان نأت * فاهون بمفقود لا كرم فاقد

وولد سنة ٤٨٤ بشلب رحمه الله تعالى

*(ومنهم ابو محمد عبد الله بن موسى الازدي المرسي) ويعرف بابن برطلة سمع من صهره القاضي الشهيد ابي علي الصدفي ورحل حاجا سنة ٥١٠ فأدى الفريضة وسمع من الطرطوشي والاغماطي والسلفي وغيرهم وانصرف الى مرسية بلده وكان حسن السمت خاشعا مخبتا خيرا متواضعا نبيها نزها سالم الباطن وحكى عن شيخه ابي عبد الله الرازي عن ابيه أنه اخبره أن قاضي البرلس وكان رجلا صالحا خرج ذات ليلة الى النيل فتوضأ واسبغ وضوءه ثم قام فقرن قدميه وصلى ما شاء الله تعالى ان يصلي فسمع قائلا

فاتى الى حسان بن تبع الحميرى ملك اليمن يومئذ فاستغاث به وقد كان عمد

يقول

لولا اناس لهم سود يصومونا * وآخرون لهم ورد يقومونا
لزلزلت ارضكم من تحتكم سحرا * لانكم قوم سوء لا تبالونا

قال فتبعوزت فى صلاتى وادرت طرفى فرايت شخصا ولا سمعت حسا فعلمت ان ذلك زاجر من الله تعالى وقال ابن برطلة رحمه الله تعالى انشدنى ابو عامر قال دخلت بعض مراسى الثغر فوجدت فى حجر منقوش هذه الابيات

نزلت ولى امل عودة * ولكننى لست ادرى متى
ودافعنى قدر لم اطق * دفاعا لمكروهه اذ اتى
ومن امره فى يدى غيره * يغلب ان لان او ان عتا
فيا نازلا بعدنا ههنا * نحيبك ان كنت نعم الفتى

فسالت عن منشدها فقيل لى هو ابو بكر بن ابى درهم الوشقى وكان قد حج واراد العودة فقال هذه الابيات ورواها بعضهم رحلت مكان نزلت وهو اصوب وابدل قوله ما نازلا بياسا كنا والخطب سهل فيه و بعض يقول ان الابيات وجدت بجامع مصر والله تعالى اعلم (ومنهم ابو محمد عبد الله بن محمد بن خلف بن سعادة الدانى الاصبحى) لازم ابن سعد الخير واخذ عنه اول امره مثال خطه فشار به وسمع منه ثم رحل الى المشرق فسمع بالاسكندرية من ابى الطاهر ابن عوف والسلفى وغيرهما واحد قال التجيبى كان معنا بالاسكندرية بالعادلية منها و بقراءته سمعنا صحيح البخارى على السلفى سنة ٥٦٣ قال وانشدنا لشيخه الاستاذ ابى الحسن على ابن ابراهيم بن سعد الخير البلنسى

يا لاحظا تمثال نعل نبيه * قبل مثال النعل لا متكبرا
والثم له فلطالما عكفت به * قدم النبى مروحا ومبكرا
أولا ترى ان الحب مقبل * ظلا وان لم يلف فيه مخبرا

وقد سبق ابن سعادة ابو عبد الله وهو غير هذا والله تعالى اعلم (ومنهم ابو محمد عبد الله بن يوسف القضاعى المرى) سمع من ابى جعفر بن عزلون صاحب الباجى وغيره واحد ورحل الى المشرق فسمع بالاسكندرية من السلفى والرازى وتجول هنالك واخذ عنه ابو الحسن بن المفضل المقدسى وغير واحد وقال ابن المفضل انشدنى المذكور قال انشدنى ابو محمد بن صاره

وكوكب ابصر العفريت مسترقا * للسمع فانقض يدنى خلفه لهبه
كفارس حل اعصار عمامته * فجرها كلها من خلفه عذبه

(ومنهم شهاب الدين احمد بن عبد الله بن مهاجر الوادى آشى الحنفى) سكن طرابلس الشام ثم انتقل الى حلب واقام بها وصار من العدول المبرزين فى العدالة بحلب يعرف النحو والعروض و يشتغل فيهما وله انتماء الى قاضى القضاة الناصر بن العديم قال الصفدى رايته بحلب ايام مقامى بها سنة ٧٢٣ فرايته حسن التودد وانشدنى لنفسه من لفظه

ما لاح فى درع يصول بسيفه * والوجه منه يضيء تحت المغفر

الى جريدة نخل رطبة فجعل عليها طينا رطبا وحملها معه وأخرج معه كلبة فلما ورد على حسان كسر يد كلبته وفرغ الطين عن الجريدة فخرجت خضراء ودخل الى حسان واستعاذ به وأخبره بالذى صنعت جديس بقومه فقال له الملك لله أبوك فمن اين مبدأك قال أبيت اللعن من أرض قريبة وقوم انتهك منهم ما لم ينتهك من أحد أنا رباح بن مرة الطسمى دعتنا جديس الى مدعاة لهم فاجبناهم منفصلين فى الحلل وقد أعدوا لنا السلاح عند جفانهم فاذقنا طعاما حتى صرنا حطاما بلا طلب دم ولا ترة سلفت فدونك أبيت اللعن قوما قطعوا ارحامنا وسفكوا دماءنا قال الملك حسان امعك خرجت هذه الجريدة وهذه الكلبة قال نعم فقال الملك ان كنت صادقا لقد خرجت من أرض قريبة ووعده بالنصرة ثم نادى فى حمير بالمسير واعلمهم بما فعل بطسم قالوا من فعل هذا أبيت اللعن قال عبيدهم قالوا ما لنا فى هذا من ارب هم اخوانا فلا نعين بعضنا على بعض وهم عبيدك ايها الملك فخدعهم فقال حسان ما هذا بحسن ارايتم لو كان هذا فيكم ان كان حسنا لملككم أن يهدر دماءكم وما علينا

الا حسبت البحر مد بجدول * والشمس قحت سحائب من عنبر

قال الصفدي جمع هذا المقطوع بين قول ابن عباد

ولما اقتحمت الوغى دارعا * وقنعت وجهك بالمغفر
حسبناك شمس الضحى طالعا * عليها سحاب من العنبر

و بين قول ابي بكر الرصافي

لو كنت شاهده وقد غشي الوغى * يختال في درع الحديد المسبل
لرأيت منه والقضيب بكفه * بحرا يريق دم الكماة بجدول

وقال يمدح الشيخ كمال الدين محمد بن الزملكاني وقد توجه الى حلب قاضي القضاة

يمن ترنم فوق الايك طائره * وطائر عمت الدنيا بشائره
وسود اصبع الاقبال ممتثلا * في أمره ما أخوه الغز آمره

ومنها

من مخبر عني الشهباء أن كما * ل الدين قد شيدت فيه مفاخره
وان تقليده الزاهي وخلعته التي تطرز عطفيها مآثره
بالنفس أفديك من تقليد مجتهد * سواه يوجد في الدنيا مناظره
أنشدت حين ادار البشر كاس طلى * حكت أوائله صفوا أواخره
وقد بدت في بياض الطرس أسطره * سود التبدي ما أهدت محابره
ساق تكون من صبح ومن غسق * فابيض خداه واسودت غدائره
وخلعة قلت اذ لاحت لتزرينا * بالروض تطفو على نهر أزاهره
وقد رآها عدو كان يضمر لي * من قبل سوء فخانته ضمائره
ورام صبرا فاعيته مطالبه * وغيض الدمع فانهلت بوادره
بعودة الدولة الغراء ثالثة * امنت منك ونام الليل ساهره

وقال أيضا

تسعر في الوغى نيران حرب * بايديهم مهندة ذكور
ومن عجب لظى قد سعرتها * جداول قد أقلتها بدور

وقال ما غزا في قالب لبن

ما آكل في غبن * يغوط من مخرجين
مغرى بقبض وبسط * وماله من يدين
ويقطع الارض سعيا * من غير ما قدمين

وخمس لامية العجم مدحا في رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الصفدي ولما كنت في حلب كتب الي أبياتا انتهى * (ومنهم أبو جعفر أحمد بن صابر القيسي) قال ابو حيان كان المذكور رفيقا للاستاذ أبي جعفر بن الزبير شيخنا وكان كاتبا مترسلا شاعرا حسن الخط على مذهب أهل الظاهر وكان كاتبا للامير أبي سعيد فرج ابن السلطان الغالب بالله بن الاحمر ملك الاندلس وسبب خروجه من الاندلس انه كان يرفع يديه في الصلاة على ما صح في الحديث

في الحكم الا انا نصف بعضنا من بعض فقام فرسانهم فقالوا أبيت اللعن الامر أمرك فرنا بما أحببت فأمرهم بالمسير فساروا وسار بهم رباح بن مرة حتى اذا صاروا من اليمامة على ثلاث قال رباح بن مرة للملك حسان ابيت اللعن ان لي أختا متزوجة في جديس ليس في الارض ابصر منها انها تبصر الراكب على مسيرة ثلاث ليال وانا أخاف ان تنذر القوم بك فتأمر كل واحد من أصحابك أن يقتلع شجرة من الارض فيجعلها أمامه ثم يسير فأمر حسان بذلك ففعلوا ثم ساروا وكان اسم أخت رباح يمامة فاشرفت من منظرها فقالت يا جديس لقد سارت اليكم الشجر قالوا لها ما ذاك قالت أشجار تسير وراءها شئ وانى لارى رجلا من وراء شجرة ينهش كتفا أو يخصف نعلا فكذبوها وكان ذلك كما ذكرت فغفلوا عن أخذ اهبة الحرب في ذلك تقول اليمامة لجديس تحذرهم انى أرى شجرا من خلفها بشر فكيف تجتمع الاشجار والبشر ثوروا بأجمعكم في وجهه أولهم فان ذلك منكم فاعلموا ظفر

واقبل الملك حسان بحمير حتى اذا كان من جو على مسيرة ليلة عبى جيوشه

فبلغ ذلك السلطان أبا عبد الله فتوعده بقطع يديه فضج من ذلك وقال ان اقليما تمات فيه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يتوعد بقطع اليد من يقيمها لجدير ان يرحل منه فخرج وقدم ديار مصر وسمح بها الحديث وكان فاضلا نبيلا ومن شعره

أتنكر أن بيض رأسي لحادث * من الدهر لا يقوى له الجبل الراسي
وكان شعارا في الهوى قد لبسته * فسر أسي أمي وقلبي عباسي

قلت لو قال شيبي لكان الغاية وأنشد له بعضهم

فلا تعجبا مما عوى خلف ذي علا * لكل على في الانام معاويه

قلت لا يخفى ما فيه من عدم سلوك الادب مع الصحابة رضي الله تعالى عنهم أجمعين ويرحم الله بعض الاندلسيين حيث قال في رجز كبير

ومن يكن يقدح في معاويه * فذاك كلب من كلاب عاويه

وأنشد ابو حيان للذكور

أرى الدهر سادبه الارذلو * ن كالسيل يطفو علمه الغثا
وبات الكرام وفات المديح * فلم يبق للقول الا الرثا

وأنشد له أيضا

لولا ثلاث هن والله من * أكبر آمالي في الدنيا
حج لبيت الله ارجو به * ان يقبل النية والسعيا
والعلم تحصيلا ونشرا اذا * رويت أو سعت الورى رويا
وأهل ود أسأل الله أن * يمتع بالبقيا اللقيا
ما كنت أخشى الموت أني أتى * بل لم أكن أتذبا لحيا

وقال أبو حيان في هذه المادة

أما انه لولا ثلاث أحبها * تمنيت أني لا أعد من الاحيا
فمنها رجائي أن أفوز بتوبة * تكفر لي ذنبا وتنجح لي سعيا
ومنهن صوني النفس عن كل جاهل * لئيم فلا أمشي الى بابه مشيا
ومنهن أخذي بالحديث اذا الورى * نسوا سنة المختار واتبعوا الرايا
أتترك نصا للرسول وتقتدي * بشخص لقد بدلت بالرشد الغيا انتهى

(ومنهم الاستاذ أبو القاسم ابن الامام القاضي أبي الوليد الباجي) سكن سرقسطة وغيرها وروى عن أبيه معظم علمه وخلفه بعد وفاته في حلقته وغلب عليه علم الاصول والنظر وله تا ليف تدل على حذقه منها العقيدة في المذاهب السديدة ورسالة الاستعداد للخلاص من المعاد وكان غاية في الورع توفي ببجاية بعد منصرفه من الحج سنة ٤٩٣ رحمه الله تعالى * (ومنهم الامام الفاضل الاديب ابو اسحق ابراهيم بن محمد الساحلي الغرناطي) قال العز بن جماعة قدم علينا من المغرب سنة ٧٢٤ ثم رجع الى المغرب في هذه السنة و بلغنا انه توفي بمراكش سنة نيف وار بعين وسبعمائة وانشدو الدي قصيدة من نظمه امتدحه بها وانا أسمع ومن خطه نقلت وهي

الاسود بن عفار ملكها حتى نزل بدار طيئ فاجاروه من الملك وغيره من غيران يعرفوه فيذكر ان نسله اليوم في طيئ مذكور فلما فرغ حسان من جديس دعا باليمامة بنت مرة وكانت امرأة زرقاء فامر فنزعت عيناها فادافي داخلها عروق سود فسالها عن ذلك فقالت حجر أسود يقال له الاثمد كنت اكتحل به فنشب الى بصري وكانت أول من اكتحل به فاتخذوه بعد ذلك كحلا وأمر الملك باليمامة فصلبت على باب جو وقال سموا جو باليمامة فسميت بها الى اليوم (قال المسعودي) ثم سار بعد طسم بن لاوذ وبار بن أميم ابن لاوذ بن ارم بن سام بن نوح بولده ومن تبعه من قومه فنزل بارض وبار بالارض المعروفة برمل عالج فاصابهم نقمة من الله فهلكوا لما كان من بغيهم في الارض وقد قدمنا فصلا من ذلك فيما سلف من هذا الكتاب على ما زعم الاخباريون من العرب وخروجهم بذلك عن حد العقول والعناد من الامر المفهوم بزعمهم أن الله عز وجل حين أهلك هذه الامة

٤ ط نى العظيمة المعروفة بوبار كما أهلك طسما وجديسا وداسما وكانت ديار داسم بارض السماوة فاهلكوا

قفا مورداعينا جرت بعدكم دما * أناضى أسفار طوين على ظما
غدون أهلات تناقل أنجما * ورحن حنيات تفوق أسهما
يحثهما الحادى الامرين حسرا * و يوطئها الحادى الاخيرين هيما
على منسميها للشقائق منبت * وفى فوبها للشقاشق مرتما

الى أن قال

وتعسالآمال جهام سحابها * ترجى ركاما ما استهل ولاهمى
تجاذبها نفس تجيش نفيسة * ومن لم يجد الا صعيدا تيمما
فهل ذم يرعاه ليل طويته * طوانى سرابين جنبيه منهما
أقبل منه للبروق مباسما * وأرشف من بهماء ظلماته لما
الى أن تجلى من كنانة بدرها * فعرس ركبى فى حماه وخيما
تمال اليتامى حيث ليس مظلل * و كهف الايامى أيما عزمرتمى

ومنها

فيا كفه أنت أم غيث دجنة * أسالت عبابا فى ثرى الجود عيلما
وياسعيه يهنيك أجرثى به * على معطفى علياه بردا مسهما
تضى بنى أوطار نفس كريمة * و روّى صداها حين حل بزمزما
وناداه داعى الحق حى على الهدى * فأسرج طوعا فى رضاه وألجما
فلله ما أهدى وارشد واهتدى * ولله ما أعطى وأوفى وأنعما

ومنها

أمت بآداب وعلم كليهما * اقاما لديك الدعائر ضا وألزما

وهى طويلة * (ومن الراحلين من الاندلس الوليد بن هشام) من ولد المغيرة بن عبد الرحمن الداخل فيما حكى بعض المؤرخين خرج من الاندلس على طريقة الفقر والتجرد ووصل برقة بركوة لايملك سواها فعرف بالى ركوة واظهر الزهد والعبادة واشتغل بتعليم الصبيان وتلقينهم القرآن وتغيير المنكر حتى خدع البربر بقوله وفعله وزعم ان مسلمة بن عبد الملك بشر بخلافته بما كان عنده من علم الحدثان وكان يقال عن مسلمة انه أخذ علم الحدثان عن خالد بن يزيد بن معاوية واخرج لهم ارجوزة أسندها الى مسلمة ومنها فى وصفه

وابن هشام قائم فى برقه * به ينال عبد شمس حقه
يكون فى بربرها قيامه * وقرة العرب لها اكرامه

واتفق أن قرة انحرفوا عن الحاكم فمالوا اليه وحصروا معه مدينة برقة حتى فتحوها وخطبوا له فيها بالخلافة وكان قيامه فى رجب سنة ٣٩٧ فهزم عسكر بادبس الصنهاجى صاحب افريقية وعسكر الحاكم بمصر وأحيا أمره وخاطبه بطانة الحاكم لكثرة خوفهم من سفك الحاكم الدماء ورغبوه فى الوصول الى اوسيم وهو مكان بالجيزة قبالة القاهرة فلما وصل اليها قام بحماربته الفضل بن صالح القيام المشهور الى ان هزم أبا ركوة ثم جاء به الى القاهرة فامر الحاكم أن يطاف به على جمل ثم قتل صبرا ١٣ رجب سنة ٣٩٩ ولما حصل فى يد الحاكم كتب اليه

بالرمح السوداء الحمارة والتبت وذلك بين دمشق وطبرية من أرض الشام وعملاق وعاد وثمود وأن الجن كانت تسكن فى ديار وبار وجهتها من كل من أرادها وقصد اليها من الانس وأنها كانت أخصب بلاد الله عز وجل وأكثرها شجرا وأطيبها ثمرا وعنبا ونخلا وموزا وان دنا احد من الناس الى تلك البلاد غاطا أو متعمدا حثت الجن فى وجهه التراب وسفت عليه سوافى الرمل وأثارت عليه الزوابع فان أراد الرجوع خبلوه وتيهوه وربما قتلوه وهذا الموضع عند كثير من ذوى الحجا باطل فاذا قيل لهم دلونا على جهته وقفونا على حده زعموا أنها من أرادها أعمى على قلبه كانهم كبنى اسرائيل الذين كانوا مع موسى فى التيه فصدهم الله تعالى عن الخروج ولم يجعل لهم سبيلا الى أن تم فيهم مراده وانتهى فيهم حكمه وقد قال فى ذلك شاعرهم يخبر بمثل ما وصفنا من قولهم فى هذه الارض المجهولة

دعاجعلا لايهتدى لمقيله * من اللوم حى يهتدى لوبار
وداع دعا والليل مرخ سدوله * رجاء القرى يا مسلم بن جبار

وأقوالهم فى مثل هذا كثيرة والعرب عن سلف فرويت

فررت ولم يغن الفرار ومن يكن * مع الله لم يعجزه فى الارض هارب
ووالله ما كان الفرار لحاجة * سوى فزعى الموت الذى انا شارب
وقد قادنى جرمى اليك برمتى * كما اجترمينا فى رحى الحرب سالب
وأجمع كل الناس انك قاتلى * فيارب ظن ربه فيه كاذب
وما هو الا الانتقام وينتهى * وأخذك منه واجبا وهو واجب

ولابى ركوة المذكور أشعار كثيرة منها قوله

بالسيف يقرب كل أمر ينزح * فاطلب به ان كنت ممن يفلح

وله

على المرء أن يسعى لما فيه نفعه * وليس عليه ان يساعده الدهر

وقوله

ان لم أجلها فى ديار العدا * تملأ وعرا الارض والسهلا
فلا سمعت الحمد من قاصد * يوما ولا قلت له أهلا

وله غير ذلك مما يطول وخبره مشهور * (ومنهم أبو زكريا الطليطلى يحيى بن سليمان) قدم الى الاسكندرية ثم رحل الى الشام واستوطن حلب وله ديوان شعر أكثر فيه من المديح والهجاء قال بعض من طالعه ما رأيته مدح أحدا الا وهجاه وله مصنفات فى الادب ومن نظمه قوله

أرض سقت غيطانها أعطانها * وزهت على كثبانها قضبانها

ومنها

فتكت بالباب الكماة فسيفها * من طرفها وسنانها وسنانها
لم يبق شخص بالبسيطة سالما * الا سبى انسانه انسانها

ومنها

وتصاحبت وتجاوبت أطيارها * وتداولت وتناولت ألحانها
وتنسمت وتبسمت أيامها * وتهللت وتكللت أزمانها
عمدرها ومنيرها ونميرها * ومعيرها حسنا جلاء عيانها

(ومنهم أبو بكر يحيى بن عبد الله بن محمد القرطبى المعروف بالمغيلى) سمع من محمد بن عبد الملك ابن أيمن وقاسم بن اصبغ وغيرهما ورحل فسمع من أبى سعيد بن الاعرابى وكان بصيرا بالعربية والشعر ومولعا بجيد النظر حسن الاستنباط حدث وتوفى فجأة فى شهر ربيع الاول سنة ٣٦٢ قاله ابن الفرضى * (ومنهم الامام المحدث أبو عبد الله محمد بن على بن محمد بن يحيى بن سلمة الانصارى الغرناطى) قدم المشرق وتوفى بمصر سنة ٧٠٣ عن نحو خمسين سنة بالبيمارستان المنصورى قال قاضى القضاة عبد العزيز بن جماعة الكنانى فى كتابه نزهة الالباب أنشدنا المذكور لنفسه بالقاهرة بعد قدومه من مكة والمدينة وقد رام أن يعود اليهما فلم يتيسر له

لئن بعدت عنى ديار الذى أهوى * فقلبى على طول التباعد لا يقوى

وادى الروم والضمان والدهناء والرمل الذى بدارين وغيرها من الاراضين التى نزلوا فيها يجتمعون عليها طلبا للماء والكلا وزعموا أنه ليس بهذه الارض اليوم أحد الا الجن والابل الوحشية وهى عندهم من الابل التى قد ضربت فيها فحول الجن فالوحشية من نسل ابل الجن والعبدية والعجدية والعمانية قد ضربت فيها الوحشية وفى ذلك يقول زهير بن أبى سلمى

كأنى على وحشية أو نعامة
لها نسب فى الطير وهو ظليم

والاشعار فى ذلك كثيرة (وفى بسطنا) لجوامع أخبار العرب فيما نقلته عن أسلافها ما أمكن كونه وخرج عن حد الوجوب والجواز خروج عن حد الايجاز والاختصار وقد أتينا على ذلك فيما سلف من كتبنا (وسار بعد وبار ابن أميم) عبد ضخم بن ارم بن سام بن نوح بولده ومن تبعه فنزلوا الطائف فهلك هؤلاء ببعض غوائل الدهر فدثروا وذكرتهم الشعراء وفيهم يقول الازدى

وعبد ضخم اذا نسبتهم * ابيض اهل الحى بالنسب ابتدعوا منطقا يجمعهم * فبين الخط قعة العرب

فحدث رعاك الله عن عرب رامة * فاني لهم عبد على السر والنجوى
فان مت شوقا في الهوى وصبابة * فياشرفي ان مت في حب من أهوى
فيا أيها العذال كفوا ملامكم * فاعندكم بعض الذي بي من الشكوى
و ياجيرة الحي الذي ولهي بهم * أما ترحموا صبا يحن الى حزوى
و ياأهل ذياك الحمى وحياتكم * يمين وفي صادق القول والدعوى
ملكتم قيادي فارحموا وترفقوا * فأنتم مرادي لاسعادو لاعلوى
فمالي سوا كم سادتي لاعدمتكم * فجودوا بوصل أنتم الغاية القصوى انتهى

*(ومنهم الفاضل الاديب أبو عبد الله محمد بن علي بن يحيى بن علي الغرناطي قال ابن جماعة في الكتاب المسمى قريبا أنشدني المذكور لنفسه على قبر سيدنا حمزة رضي الله تعالى عنه

ياسيد الشهداء بعد محمد * ورضيع ذي المجد المرفع أمجد
يا ابن الاعزة من خلاصة هاشم * سرج المعالي والكرام المجد
يا أيها البطل الشجاع المحتمى * دين الاله بيأسه المستأسد
يا تبعة الشرف الاصيل المعتلى * ياذروة الحسب الاثيل الاتلد
يانجدة الملهوف في قعم الوغى * عند الثهاب جحيمها المتوقد
ياغيث ذي الامل البعيد مرامه * ياغوث موتور الزمان الانكد
يامن لعظم مصابه خص الاسى * قلب الرسول وعم كل موحد
ياحرزة الخير المؤمل نفعه * يوم الهياج وعند فقد المنجد
وافاك ياأسد الاله وسيفه * وقد ألموا من حماك بمعهد
حثناك ياعم الرسول وصنوه * قصد الزيارة فاحتفل بالقصد
واسأل الهك في اغتفار ذنوبنا * شيم المزور وقيامه بالعوّد
لذنا بجانبك الكريم توسلا * وكذا العبيد ملاذهم بالسيد
فاشفع لضيفك فالكريم مشفع * عند الكريم ومن يشفع يقصد
يا ابن الكرام المكرمين نزيلهم * أهل المكارم والعلا والسودد
نزل الضيوف جناب ساحتك التي * منها يؤمل كل عطف مسعد
فاجعل أبا يعلى قرانا عطفة * وارغب لربك في هداناواقصد
فعسى يمن على الجميع بتوبة * يهدي بها نهج الطريق الارشد
فقد اعتمدنا منك خير وسيلة * نرجو بها حسن التجاوز في غد
لم لا تؤم وأنت عم محمد * ولدينه قد صلت صولة أيد
وصحبته ونصرته وعضدته * وذببت عنه باللسان و باليد
و بذلت نفسك في رضاه بصولة * فقتلت في ذات الاله الاوحد
فجزاك عنا الله خير جزائه * وسقاثراك حيا الغمام المرعد
وعلى رسول الله منه سلامه * وعليك متصل الرضا المتجدد

ولد ببعض أعمال غرناطة قبل التسعين وستمائة وتوفي بالمدينة الشريفة طائبة على ساكنها

(وذكر) أن هؤلاء اول من والعشرون حرفا وقد قيل غير ذلك على حسب تنازع بدء الكتابة (وسار) بعد عبد ضخم بن ارم جرهم ابن قحطان بولده ومن تبعه وطافوا البلاد حتى اتوا مكة فنزلوها وفي ذلك يقول مضاض بن عمرو الجرهمي هذا سبيل كسبيل يعرب البادئ القول المبين المعرب ياقوم سيروا عن فعال الاجنب جرهم جدّي وقحطان ابي (وسار امسيم بن لاوذ بن ارم) بعد جرهم بن قحطان فحل بارض فارس فالفرس على حسب ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب في باب تنازع الناس في انساب فارس من ولد كيومرث بن امسيم بن لاوذ ابن ارم بن سام بن نوح وفي ذلك يقول بعض من تقدم من أهل الحكمة من شعراء فارس في الاسلام ابونا امسيم الخير من قبل فارس وفارس ارباب الملوك بهم نخرى وما عد قوم من حديث وحادث من المجد الا ذكرنا افضل الذكر

وقد ذكر جماعة من اهل السير والاخبار ان جميع من ذكرنا من هذه القبائل كانوا اهل خيم وبدو افضل

افضل الصلاة والسلام سنة ٥٠٧ ودفن بالبقيع رحمه الله تعالى انتهى *(ومنهم الشيخ نور الدين أبو الحسن المارقى) من أقارب بعض ملوك المغرب وكان من الفضلاء العلماء الادباء وله مشاركة جيدة فى العلوم ونظم حسن ومنه قوله

القضب راقصة والطير صادحة * والنشر مرتفع والماء منحدر
وقد تجلت من اللذات أوبتها * لكنها بظلال الدوح تستتر
فكل وادبه موسى يفجره * وكل روض على حافاته الخضر

وقوله

وذى هيف راق العيون انثناؤه * بقد كريان من البان مورق
كتبت اليه هل تجود بزورة * فوقع لاخوف الرقيب المصدق
فأيقنت من لابالعناق تفاؤلا * كما اعتنقت لاثم لم تتفرق

وهذا أحسن من قول ذى القرنين بن حمدان

انى لأحسد لافى أحرف الهجف * اذا رأيت اعتناق اللام والالف
وما أظنهما طال اعتناقهما * الا لما لقيا من لوعة الاسف

وأحسن من هذا قول القيسرانى

أستشعر الياس من لاثم يطمعنى * اشارة فى اعتناق اللام والالف

وكانت وفاة أبى الحسن المذكور فى ربيع الاول سنة ٦٥٥ ودفن بقاسيون رحمه الله تعالى والابيات التى أولها القضب راقصة الى آخره تسبهاله اليونينى وغيره والصواب انها ليست له وانما هى لنور الدين بن سعيد صاحب المغرب وقد تقدم ذكره ولعل السهو سرى من تشارك الاسم واللقب والقطر ومثل هذا كثيرا ما يقع والله تعالى أعلم *(ومن الراحلين من الاندلس الى المشرق) ابن عتبة الاشبيلى وكان فارق اشبيلية حين تولاها ابن هود واضطرمت بفتنته الاندلس نارا ولما قدم مصر هاربا من تلك الاهوال تغيرت عليه البلاد وتبددت به الاحوال فلما سئل عن حاله بعد بعده عن أرضه وترحاله بادر وأنشد

أصبحت فى مصر مستضاما * أرقص فى دولة القرود
واضيعة العمر فى أخير * مع النصارى أو اليهود
بالجد رزق الانام فيهم * لا بذوات ولا جدود
لا تبصر الدهر من يراعى * معنى قصيد ولا قصود
أو دمن لؤمهم رجوعا * للغرب فى دولة ابن هود

وتذكرت بقوله ارقص فى دولة القرود ما وقع لابى القاسم بن القطان وهو مما يستطرف ويستظرف وذلك انه لما ولى الوزارة الزينبى دخل عليه أبو القاسم المذكور والمجلس حافل بالرؤساء والاعيان فوقف بين يديه ودعا له وأظهر الفرح والسرور ورقص فقال الوزير لبعض من يفضى اليه بسره قبح الله هذا الشيخ فانه يشير برقصه الى قول الشاعر

*وأرقص للقرد فى دولته *(ومن المرتحلين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن على المراوى) من أهل المرية ويعرف بشمس الدين بن جابر الضرير وله ترجمة فى الاحاطة ذكرناها مع زيادة

الحيطان وقطع الاشجار وسقف السقوف واتخاذ السطوح وان وادحام بن نوح حلوا ببلاد الجنوب وان ولد كوش بن كنعان خاصة هم النوبة على حسب ما قدمنا آنفا فى باب السودان من هذا الكتاب وان نخذا من ولد كنعان بن حام ساروا نحو بلاد أفريقية وطنجة من ارض المغرب فنزلوها وزعم هذا القائل ان البربر من ولد كنعان بن حام (وقد تنازع الناس) فى بدء انساب البربر فمنهم من رأى انهم من غسان وغيرهم من اليمن وانهم تفرقوا حول تلك الديار حين تفرق الناس من بلاد مأرب عند ما كان من سيل العرم ومنهم من رأى انهم من قيس عيلان ومنهم من رأى غير ما ذكرنا فيما سلف من كتبنا (ونزل) كنعان بن حام والاغلب من ولد كنعان بلاد الشام فهم الكنعانيون وبهم تعرف تلك الديار فقيل بلاد كنعان وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب أخبار مضر بن حام ومصر والانباط (وساد) بوقرين لوط بن حام بولده ومن تبعه الى أرض الهند والسند وبالسند امم لهم اجسام طوال وهم من بلاد المنصورة من ارض السند فعلى هذا القول ان الهند والسند من ولد

عليها عند تعرضنا لاولاد لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى و رحل الى المشرق ودخل مصر والشام واستوطن حلبا وهو صاحب البديعية المعروفة ببديعية العميان وسكن حلبا وله أمداح نبوية كثيرة وتا ليف منها شرح ألفية ابن مالك وغير ذلك وله ديوان شعر وامداح نبوية فى غاية الاجادة ومن نظمه رحمه الله تعالى مور باسماء الكتب

عرائس مدحى كم أبين لغيره * فلما رأته قلن هذا من الا كفا
نوادر آدابى ذخيرة ماجد * شمائل كم فيهن من نكت تلفى
مطالعها هن المشارق للعلا * قلائد قد راقت جواهرها رصفا
رسالة مدحى فيك واضحة ولى * مسالك تهذيب لتنبيه من أغفى
فيا منتهى سؤلى ومحصول غايتى * لانت امرؤ من حاصل المجد مستصفى

وقد اشتملت هذه الابيات الخمسة على التورية بعشرين كتابا وهى العرائس للثعالبى والنوادر للقالى وغيره والذخيرة لابن بسام وغيره والشمائل للترمذى والنكت لعبد الحق الصقلى وغيره والمطالع لابن قرقول وغيره والمشارق للقاضى عياض وغيره والقلائد لابن خاقان وغيره ورصف المبانى فى حروف المعانى للاستاذ ابن عبد النور وهو كتاب لم يصنف فى فنه مثله والرسالة لابن أبى زيد وغيره والواضحة لابن حبيب والمسالك للبكرى وغيره والجواهر لابن شاس وغيره والتهذيب فى اختصار المدونة وغيره والتنبيه لابى اسحق وغيره ومنتهى السؤل لابن الحاجب والمحصول للامام الرازى والغاية للنووى وغيره والحاصل مختصر المحصول والمستصفى للغزالى وما أحسن قول الحكيم موفق الدين

لله أيامنا والشمل منتظم * نظما به خاطر التفريق ما شعرا
والمف نفسى على عيش ظفرت به * قطعت مجموعه المختار مختصرا

وهذه ثلاث كتب مشهورة المختار والمجموع والمختصر وأحسن منه قول الآخر

عن حالتى يا نور عينى لا تسل * ترك الجواب جواب تلك المسئله
حالى اذا حدثت لا تعاولا * جلا لا يضاحى بها من تكمله
عندى جوى يذرى الفصيح مبلدا * فاترك مفصله ودونك مجمله
القلب ليس من الصحاح فيرتجى * اصلاحه والعين سحب مثقله

وقد أوردنا فى ترجمة أبى عبد الله بن جزى الكاتب الاندلسى جملة مستكثرة فى التورية باسماء الكتب فلتراجع ثمة *(رجع) الى الشمس بن جابر فنقول ومن نظمه رحمه الله تعالى تخميسه للابيات المشهورة

لم يبق فى اصطبار
مذ خلفونى وساروا
وللعجيب أشاروا
جار الكرام فغاروا
لله ذاك الاوار
يا نواعما الدار دار

والمغرب على حسب ما ذكرنا من الامم وتفرقها فى الشرق وغيره مما يلى جبل الفتح والباب والابواب (و بغت عاد) فى الارض وملكها الجلجان بن الوهم فكانوا يعبدون ثلاثة أصنام وهى صمود وصدا والهباء فبعث الله اليهم هودا على حسب ما قدمنا فكذبوه وهو هود بن عبد الله بن رباح بن خالد ابن الخلود بن عياذ بن عوص ابن ارم بن سام بن نوح وقد قدمنا أن قوم عاد كانوا عشرة قبائل وقد تقدم ذكر أسمائهم فدعا عليهم هود فمنعوا المطر ثلاث سنين وأجدبت الارض فلم يدر عليهم ضرع (وقد كان) من ذكرنا من الامم لا يجحدون الصانع جل وعز ويعلمون أن نوحا عليه السلام كان نبيا وأنه وفى لقومه بما وعدهم من العذاب الا أن القوم دخلت عليهم شبه بعد ذلك لترهم البحث واستعمال النظر ومالت نفوسهم الى الدعة وما تدعو اليه الطبائع من الملاذ والتقليد وكان فى نفوسهم هيبة الصانع والقرب اليه بالتماثيل عبادة الظنهم أنها مقربة لهم اليه وكانوا مع ذلك يعظمون موضع الكعبة وكان موضعها على ما ذكرنا بوة حمراء فوفدت

يابدر اهلك جاوزوا * وعلوك التجرى
كالوا من الود أهلى
ماعاملونى بعدل
أصموا فؤادى بنبل
يابين بينت تكلى
ياروح قلبى قل لى
أهم دعوك لقتلى
وحرموا لك وصلى * وحللوا لك هجرى
حسبى وماذا عناد
هم المنى والمراد
وان عن الحق حادوا
أو جاملونى وجادوا
يامن به الكل سادوا
والكل عندى سداد
فليفعلوا ما أرادوا * فانهم أهل بدر

وقد ذكرت بهذا قول أبى البركات أيمن بن محمد السعدى رحمه الله تعالى

للعاشقين انكسار * وذلة وافتقار
وللملاح افتخار * وعزة واقتدار
وأهل بدرى أثاروا * ووددعونى وساروا
يابدر الخ
كتبت والوجد يملى * جذا الهوى بعد هزل
وحار ذهنى وعقلى * مابين بدرى وأهلى
يابدر فاحكم بعدل * اذا اتوك بعذل
وحرموا الخ
لولا هواك المراد * ما كنت ممن يصاد
ولا شجانى البعاد * يابدر اهلك جادوا
غلطت جاروا وزادوا * لكنهم بك سادوا
فليفعلوا الخ انتهى

(رجع) الى ابن جابر فنقول توفى رحمه الله تعالى فى البيرة فى جمادى الآخرة سنة ٧٨٠ ومن نظمه قوله

ياأهل طيبة فى مغنا كم قمر * يهدى الى كل محمود من الطرق
كالغيث فى كرم والليث فى حرم * والبدر فى أفق والزهر فى خلق

وقوله

ألا قبح الاله حلوم عاد * فان قلوبهم قفر هواء
لهم صنم يقال له صمود * يقابله صداء والهباء

الشرب والله وحتى جاءتهم الجرادتان قيضتا معاوية بن بكر تشرحان لهم ما وردوا من أجله وهو

ألا ياقيل ويحك قم فهينم
لعل الله يمطرنا غماما
فيسقى أرض عاد ان عادا
قد امسوا لا يبينون الكلاما
من العطش الشديد فليس نرجو
به الشيخ الكبير ولا الغلاما
وان الوحش تاتى أرض عاد
فلا تخشى لراميهم سهاما
وأنتم ههنا فيما اشتهيتم
نهاركم وليلكم التماما
فقبح وفدكم من وفد قوم
ولا لقيوا التحية والسلاما

ثم ان معاوية بن بكر دعا احدى الجرادتين فغنت

ألا ياقيل من عوص
ومن عاد بن سام
وعاد كالشماريخ
من الطول السكرام
سقى الله بنى عاد
معاصيب الغمام

فاستيقظ القوم من غفلتهم وبادروا الى الاستسقاء لقومهم وفى مجىء السحاب واختيارهم لما اختاروه منها ما قد اتضح وفيهم يقول مرثد بن سعد من كلمة

عصت عاد رسولهم فاسوا
عطاشا لا تبلهم السماء

أما معانى المعانى فهى قد جمعت * فى ذاته فبدت نارا على علم
كالبدر فى شيم والبحر فى ديم * والزهر فى نعم والدهر فى نقم

وقال

ولما وقفنا كى نودع من نأى * ولم يبق الا أن تحث الركائب
بكينا وحق للمحب اذا بكى * عشية سارت عن حماه الحبائب

وقال

ضحكت فقلت كأن جيدك قد غدا * يهدى لثغرك من جواهر عقده
وكأن ورد الخد منك بمائه * قد شاب عذب لمالك حالة ورده

وقال

منعتنا قرى الجمال وقالت * ليس فى غير زادنا من مجال
فأقمنا على الرحال وقلنا * مالنا حاجة بحل الرحال

وقال

عذب قلبى رشأ ناعم * أسهر طرفى طرفه الناعس
يحرس باللحظ جنى خده * يا ليته لو غفل الحارس

وقال

وافيت ربعهم وقد بعد المدى * ونأى الفريق من الديار وسارا
ما كدت أعرف بعد طول تأمل * دارا بها طاف السرور ودارا

وله

ولست أرى الرجال سوى اناس * همومهم موافاة الرجال
أطالوا فى الندى اهلاك مال * فعاشوا فى الانام ذوى كمال

وقال

أيها المتهمون نفسى فداكم * أنجدونى على الوصول لنجد
وقفوا بى على منازل ليلى * فوجودى هنالك يذهب وجدى

وما كتبه على كتاب نسيم الصبا لابن حبيب وصورته لما وقفت على الفصول الموسومة بنسيم الصبا المرسومة فى صفحات الحسن فاذا أبصرها اللبيب صبا انتعش بها الخاطر انتعاش النبت بالغمام وهملت سحائب بيانها فأثمرت حدائق الكلام وأخرجت أرض القرائح ما فيها من النبات وسمعت الآذان ضمخة الاذهان بهذه الابيات

هذى فصول الربيع فى الزمن * كم حسن أسندت الى حسن
رقت وراقت فمن شمائلها * بمثل صرف الشمول تتحفنى
كم ملح قد حوت وكم لمح * يعجبنى لفظها ويحرزنى
كم فيه من نفث ومن نكت * أشهدنى حسنها فأدهشنى
جمع عدم مثاله النظير فلا * يصرف عن خاطر ولا أذن
يا حبر أهل العلا وبحرهم * أى بديع الكلام لم ترنى

فبصرنا النبى سبيل رشد * وأن اله هود هو الهى
على الله التوكل والرجاء
وانى لاحق بالامس هودا
واخوته اذا حق المساء
فارسل الله عز وجل على عاد الريح العقيم من وادهم فلما رأوا ذلك قالوا هذا عارض ممطرنا وتباشروا بذلك فلما سمع هود ذلك من قولهم قال بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم الآية فاتتهم الريح يوم الاربعاء فلم تات الاربعاء الثانية ومنهم حى فمن أجل ذلك كره الناس يوم الاربعاء (وقد بينا) فيما يرد من هذا الكتاب كيفية ذلك وكيف وقوعه فى أيام الشهر فى باب الشهور فلما شاهد هود النبى صلى الله عليه وسلم ما قاله قومه انفرد هو ومن معه من المؤمنين وفى ذلك يقول الهيل بن الخليل

لوان عادا سمعت من هود
واتبعت طريقة الرشيد
وقد أتى بالوعد والوعيد
عادا وبالتقريب والتبعيد
ما أصبحت عاثرة الجدود
خبوا على الآناف والخدود
ساقطة الاجساد بالوصيد
ماذا جنى الوفد من الوفود
احدوثة فى الابد الابيد

(وقال مهد بن سعد فى شعره له)

دعاهم خيفة الله هود * فما نفع النذير ولا أجابوا

بدرك

بدرك فى مطلع الفضائل لا * يكون مثل له ولم يكن
هذى الفصول التى أتيت بها * قد أخمت كل ناطق لسن
كم فن معنى بها يذكرنى * شجوى لشدو الحمام فى فنن
فن نسيب مع النسيم جرى * لطفا فازرى بالجوهر الثمن
وحسن سجع كالزهر فى أفق * والزهر فى ناعم من الغصن
له معان أعيت مداركها * كل معان بنيلهن عنى
لازال راق للعبد راقمها * ذا سنن حاز أحسن السنن

فصول هى للحسن أصول وشمول لما على كل السلوب شمول ليس لقدامة على التقدم اليها حصول ولا لسحبان لان يسحب ذيلها وصول ولا انتهى قس الايادى الى هذه الايادى ولا ظفر بديع الزمان بهذه البدائع الحسان لقد قصر فيها حبيب عن ابنه وحار بين لطافة فضله وفضل ذهنه نزهت فى طرف خمائلها ونبهت بلطف شمائلها تالله انها لسحر حلال وخلال ما مثلها خلال كلام كله كمال ومجال لا يرى فيه الاجمال اراقم بردها وناظم عقدها فى كل فصل جاء بكمال فصل وفى كل معنى عمر بالبراعة مغنى أعرب فاغرب وأوجز فاعجز وأطال فاطاب وأجاد حين أجاب فما أنفس فرائده وأنفع فوائده وأفصح مقاله وأفسح مجاله وأطوع للنظم طباعه وأطول فى النثر باعه أزاهر نبتت فى كتاب وجواهر تكونت من ألفاظ عذاب ومواهب لا تدرك ببيد اكتساب فسبحان من يرزق من يشاء بغير حساب فصول أحلى فى الافواه من الشهد وأشهى الى النواظر من النوم بعد السهد سبك أدبها فى قالب النكت الحسان وذهب بها مداد عبد الحميد ومحاسن حسان فما أحقها أن تسمى فصول الربيع وأصول البديع لازال حسنها يملا الاوراق بمراق ويزين الآفاق بما فاق ولا برحت حدائق براعته نزهة للاحداق وحقائق بلاغته فى جيد الاجادة بمنزلة الاطواق بمن الله تعالى وكرمه انتهى * وحيث جرى ذكر نسيم الصبا فلا باس أن نذكر تقاريظ العلماء له فمن ذلك قول القاضى شرف الدين بن ريان وقفت على هذا الكتاب الذى أبدع فيه مؤلفه ونظم فيه الجواهر النفيسة مصنفه وأينعت حدائق أدبه فدنا ثمرها لمن يقطفه وعرفت مقدار ما فيه من الانشاء وأين من يعرفه فوجدته الطف من اسمه وأحسن من الدر فى نظمه وأطيب من الورد عند شمه هبت على رياض فصوله نسيم صبا فما فاقت الازهار فى رباها وتشوفت قلوب الادباء الى انتشاق شذاها وطيب رياها وفاضت عليه انوار البدر فاغنى سناها عن الشمس وضحاها وتحلت نحور البلغاء من كلامه بالدر اليتيم ومن معانيه بالعقد النظيم وترنحت أفنان فنون الفصاحة لما هب عليها ذلك النسيم كل فصل له فى الفضل أسلوب على بابه وطريق انفرد به منشئه محاسن لا توجد الا فى كتابه صدر هذا الكتاب عن علم سابق وفكر ثاقب وذهن رائق ونفس صادق ورويه ملات تصانيفها المغارب والمشارق وقريحة اذا ذاقت جناها وشمت سناها تذكرت ما بين العذيب وبارق فالله تعالى يبقى مصنفه قبلة لاهل الادب ويديمه ويبلغه من سعادة الدنيا والآخرة ما يرومه بمنه وكرمه

الجلجان وقد تقدم ذكره فى هذا الباب ثم ملك عاد وثمود وغيرهم وقيل ان أول من ملك عادا من الملوك عادين عوص ثلثمائة سنة ثم ملك ابن عادين عوص قال ولما دثرت هذه الامم من العرب والقبائل خلت منهم الديار فسكنها غيرهم من الناس فنزل قوم من بنى حنيفة اليمامة واستوطنوها وقد كان نزلوا بلاد الجحفة بين مكة والمدينة وقطنوها فقال شاعرهم يرثى من كان فى تلك الديار

ان طسما وجرهما وجديسا * والعمالين فى السنين الخوالى
عمروا البيت حقبة ثم ولوا * واستمرت بهم صروف الليالى
وأدال الزمان منهم وأضحى * غيرهم ساكنا بتلك الخوالى
ورماهم ريب الزمان فاسوا * دورهم بلقع لمر الشمال

(وقد كان) نزل بلاد الجحفة بين مكة والمدينة عبيد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح هو وولده فهلكوا بالسيل فسمى ذلك الموضع بالجحفة لاجحافها عليهم

ط نى (وكان) يثرب بن قانية بن مهليل بن ارم بن عبيد نزل بالمدينة هو وولده ومن تبعه فسميت به يثرب

عمر وابثر باوليس بها سف
سر ولا صارخ ولا ذو سنام
غرسوا اليها بجيري معين
ثم حفوا السبيل بالارحام
(وقد أخبر) القحطت
قدرته عنهم فقال كذبت
ثمود وعاد بالقارعة فاما ثمود
فأهلكوا بالطاغية واما
عاد فاهلكوا بريح صرصر
عاتية (وقد تنازع) أهل
الشرائع في قوم شعيب
ابن نوفل بن رعبيل بن مر
ابن عنقاء بن مدين بن ابراهيم
الخليل صلى الله عليه
وسلم وكان لسانه العربية
فمنهم من رأى انهم من
العرب الدائرة والامم
البائدة وبعض من ذكرنا
من الاجيال الخالية ومنهم
من رأى انهم من ولد
المحض بن جندل بن يعصب
ابن مدين بن ابراهيم وان
شعيبا أخوهم في النسب
وقد كانوا عدة ملوك
تفرقوا في ممالك متصلة
فمنهم المسمى بابي جاد
وهوز وحطي وكلمن
وسعفص وقرشت وهم
على ما ذكرنا بنو المحض
ابن جندل وأحرف الجمل
هي أسماء هؤلاء الملوك
وهي التسعة والعشرون
حرفا التي عليها حساب
الجمل وقد قيل في هذه
الاحرف غير ما ذكرنا من الوجوه على حسب ما قدمنا في هذا الكتاب وليس كتابنا هذا موضعا لما اشبه

انتهى * وقرظ عليه بعضهم بقوله وقف المملوك سليمان بن داود المصري على فصول الحكم من هذه الفصول ووجد من نسيم الصبا امارات القبول ونزه طرفه في رياض هذا الكتاب وخاطب فكره العقيم في وصفه فعجز عن رد الجواب

ماذا أقول وكل وصف دونه * أين الحضيض من السماك الاعزل

يالها كلمات نقصت قدر الافاضل وفضحت فصحاء الاوائل وسحبت ذيل الفصاحة على سحبان وائل وزادت في البلاغة على فريد وغيرت حال القدماء فما عبد الرحيم الفاضل وما عبد الحميد وذلت لها تشبيهات ابن المعتز طوعا وملكت زمام البيان فاتركت للبديع منه نوعا

قطف الرجال القول حين نبانه * وقطفت أنت القول لما نورا

وخطاب أعجز الخطباء وصفه وجواب ألفى البلغاء رصفه وغرائب تعرفت بمهديها وشوارد تألفت بمهديها وجنان بلاغة لم يطمث أبكارها انس قبلك ولا جان ولم يقطف أزهارها غير ناظر ولا يد جان معان تطرب السمع لها حكم وأحكام وألفاظ هي الارواح لا ارواح أجسام فلما ألقى فهمه عروة المتماسك وضاقت عليه في وصفه المسالك وعجز عن وصف بلوغ بلاغته عطف على حسن كتابته فرأى خطايبي الطرف ويسترق الظرف نسيج قلمه الكريم من وشي البلاغة ديباجا واتخذ من مجاسن الحسان طريقا ومنهاجا فالفى ألفات كاعتدال القدود ونونات كاهلة السعود وسينات كالطرر ونقطا كالدرر جعل للاقلام حجة قاطعة على السيوف وحلى الاسماع بحلية زائدة على الشنوف فوقف ساعة يطنب في دعائه وشكره وآونة يميل من طربه بالفاظه وسكره فلله در الفاظك ودرر فضلك وأحسن بوابل الفاظك بالبيان وطلك

لسانك غواص ولفظك جوهر * وصدرك بحر بالفضائل زاخر

والله المسؤل أن يرفع قدر مقالك ومقام قدرك ويوضح منهاج الادب بنور بدرك بمنه وكرمه انه على كل شئ قدير * وكتب قاضي القضاة تاج الدين السبكي رحمه الله تعالى في تقريظ الكتاب المذكور ما نصه الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم حدقت نحو الحدائق وفوقت سهمي تلقاء الغرض الشائق وطرقت الى ما يضي ء اخا الحجا أسهل الطرائق فما علل صداي كنسيم الصبا ولا كمثله سهما صائبا صبابه من لا صبا ولا نظرت نظيره حديقة تنبت فضة وذهبا

وتجتني من ملح الكلا * م بطارف أو تالده
كلم نوابغ نحوا * فاق المطالع صاعده
لو راءها نفس لما * ألفى اباه ساعده
أبدى نتائج عيه * في ذي المعاني الشارده

فعين الله تعالى عليها كلمات عليها منه رقيب ومحاسن تسلى عندها بالحسن حبيب وفوائد حسان يذكرنا بها حسان البعيد حسن القريب كتبه عبد الوهاب بن السبكي انتهى * وكتب ناصر الدين صاحب دواوين الانشاء ما صورته وقفت على هذا الكتاب الذي

يليها من الحجاز وكان هوز وحطى ملكين ببلاد وج وهي أرض الطائف وما اتصل بذلك من أرض نجد وكلمن وسعفص وقرشت ملوكا بمدين وقيل ببلاد مصر وكان كلمن على ملك جميع من سمينا مشاعا متصلا على ماذكرنا وأن عذاب يوم الظلة كان في ملك كلمن منهم وأن شعيبا دعاهم فكذبوه ووعدهم بعذاب يوم الظلة ففتح عليهم باب من السماء من نار ونجا شعيب بمن آمن معه الى الموضع المعروف بالايكة وهي غيضة نحو مدين فلما أحس القوم بالبلاء واشتد عليهم الحر وأيقنوا بالهلاك طلبوا شعيبا ومن آمن معه وقد أظلتهم سحابة بيضاء طيبة النسيم والهواء لا يجدون فيهم ألم العذاب فأخرجوا شعيبا ومن آمن معه من موضعهم وأزالوهم عن أماكنهم وتوهموا أن ذلك ينجيهم مما نزل بهم فجعلها الله عليهم نارا فاتت عليهم فرثت حارثة بنت كلمن أباها فقالت وكانت بالحجاز

كلمن هدم ركنى
هلكه وسط المحله
سيد القوم أتاه الحتف نارا تحت ظله كونت نارا وأضحت * دار قومى مضمحله

أشبه الدر في انتظامه والشغر في ابتسامه وقطر الندى في انسجامه وزهر الروض في البكر اذا غنت على غصونه مطربات حمامه فوجدت بين اسمه ومسماه مناسبة اقتضاها طبع مؤلفه الدائم واتصالا قريبا كاتصال الصديق الحميم فتحققت أن مؤلفه أبقاه الله تعالى وحوسه أبدع في تاليفه وأصاب في تمييزه بهذا الاسم وتعريفه فهو في اللطافة كالماء في ارواقه وكالهواء المعتدل في ملاءمة الارواح بجوهر صفائه وكالسلك اذا انتقى جوهره وأجيد في انتقائه قد أينعت ثمرات فضائله فاصبحت دانية القطوف وتجلت عرائس بلاغته فظهر بدرها بلا كسوف وانجابت ظلمات الهموم بسماع موصول مقاطعه التي هي في الحقيقة لآذان الجوزاء شنوف فاكرم به من كتاب ما الروض بابهى من وسمه ولا الريحان باعطر من شميمه ولا المدامة بارق من هبوب نسيمه ولا الدر بأسنى زهرا بل زهوا من رسومه اذا تدبره الاديب أغنته تلك الافانين عن نغمات القوانين واذا تأمله الاريب نزه طرفه في رياض البساتين قد سور على كل نوع من البديع باب لا يدخله الا من خص من البلاغة باللباب والله تعالى يؤتيه الحكمة وفصل الخطاب ويمتع بفضائله التي شهدها أهل العلم وذوو الالباب بمنه وكرمه وكتبه محمد بن يعقوب الشافعي * وكتب الصفدي شارح لامية العجم عما نصه وقفت على هذا المصنف الموسوم بنسيم الصبا والتاليف الذي لو مر بالمجنون لما ألف ليلاه ولا مال اليها ولا صبا والانشاء الذي ان شاء قائله جعل الكلام غيره في هبات الهواء هبا والنثر الذي أغار قائله على سبائك الذهب الابريز وسبا والكلام الذي نباعنه الجاحظ جاحدا وماله ذكر ولا نبا فسبحت جواهر حروفه لمن أوجده في هذا العصر وعلمت ان الفاظه ترمي قلوب حساده بشرر كالقصر وتحققت ان قعقعة طروسه اصوات اعلامه التي تخفق له بالنصر وتيقنت ان سطوره عيون لا تصل اليها كف جناية بجنى ولا هصر

وقلت لاهل النظم والنثر قابلوا * تراثيها مصقولة كالسبجنجل
وميلوا باعطاف التعجب انها * نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل

ولما مثلت بعد ما مثلت وعزلت بعد ما هزلت جردت من نفسي شخصا أخاطبه واجاريه في اوصاف محاسنها التي اناهيه منها واناهبه فقال لي هذا الفن الفذ والنثر الذي قهر اقران هذه الصناعة ونبذ والادب الذي سد الطرق على ابنه فما فاته شيء ولا شذ وهذا الانشاء الذي ماله عديل في هذا العديد ولا ضريب وهذا الكلام الذي فاق في الآفاق فما لحبيب بن اوس حسن حسن بن حبيب فعين الله تعالى على هذه الكلم الساحرة والفوائد التي ايقظت جفن الادب بعد ما كان بالساهرة ومتع الله تعالى الزمان واهله بهذا النوع الغض والنقد النض والبز البض والبديع الذي رم ما شعث من ربع هذا الفن ورض واقتض المعاني ابكاره وافتض وارسل جارح بلاغته على الجوارح فصادها وانقض وانقض وأنبط ماء الفصاحة لما تحدر وارفض واستمال القلب لفظا لما قل ختم ذهوله وفض انه على كل شيء قدير وبالاجابة جدير بمنه وكرمه وكتبه خليل الصفدي انتهى * (ومنهم الاديب ابو جعفر الالبيري) رفيق ابن جابر السابق الذكر وهو

البصير وابن جابر الاعمى وله نظم بديع منه قوله

ابدت لى الصدغ على خدها * فاطلع الليل لنا صبحه
فخذها مع قدها قائل * هذا شقيق عارض رمحه

وقوله وقد دخل حمص

حمص لمن اضحى بها جنة * يدنو لديها الامل القاصى
حل بها العاصى الا فاعجبوا * من جنة حل بها العاصى

وقوله

ان بين الحبيب عندى موت * وبه قد حييت منذ زمان
ليت شعرى متى تشاهده العيـ * ـن وتقضى من اللقاء الامانى

قال وفيه استخدام لان البين يطلق على البعد والقرب انتهى ومن نظمه أيضا رحمه الله تعالى

ومورد الوجنات دب عذاره * فكانه خط على قرطاس
لما رأيت عذاره مستجلا * قدرام يخفى الورد منه بآس
ناديته قف لى أودع ورده * مافى وقوفك ساعة من باس

وهذا المعنى قد تبارى فيه الشعراء وتسابقوا فى مضماره فمنهم من جلى وبرز وحاز قصل السبق واحرز ومنهم من كان مصليا ومنهم من غدا لجيد الاحسان مجليا ومنهم من عاد قبل الغاية موليا *(رجع) ومن تاليفه رحمه الله تعالى شرحه لبديعية رفيقه ابن جابر المذكور وقال فى خطبته ولما كانت القصيدة المنظومة فى علم البديع المسماة بالحلة السيرا فى مدح خير الورى التى أنشأها صاحبنا العلامة شمس الدين أبو عبد الله بن جابر الاندلسى نادرة فى فنها فريدة فى حسنها تجنى ثمر البلاغة من غصنها وتنهل سواكب الاجادة من مزنها لم ينسج على منوالها ولا سمحت قريحة بمثالها رأيت أن أضع لها شرحا يجلو عرائس معانيها لمعانيها ويبدى غرائب مافيها لموافيها لا أمل الناظر فيه بالتطويل ولا أعوقه بكثرة الاختصار عن مدارك التحصيل فخير الامور أوسطها والغرض مايقرب المقاصد ويضبطها فاعرب من ألفاظها كل خفى واسكت من لغاتها عن كل جلى والله اسأل أن يبلغنا ماقصدناه ويوردنا أحسن الموارد فيما أردناه انتهى وسمى الشرح المذكور طراز الحلة وشفاء الغلة ومما أورده رحمه الله تعالى فى ذلك الشرح من نظم نفسه قوله

طيبة ما اطيبها منزلا * سقى ثراها المطر الصيب
طابت بمن حل بأرجائها * فالترب منها عنبر طيب
ياطيب عيشى عند ذكرى لها * والعيش فى ذاك الحمى أطيب

وقال رحمه الله تعالى فى هذا الشرح بعد كلام مانصه واذا أردت ان تنظر الى تفاوت درجات الكلام فى هذا المقام فانظر الى اسحق الموصلى كيف جاء الى قصر مشيد ومحل سرور جديد فخاطبه بما يخاطب به الطلول البالية والمنازل الدارسة الخالية فقال

وفى ذلك يقول المنتصر ابن المنذر المدينى ٣٦ الا ياشعيب قد نطقت مقالة * أتيت بها عمرا وحى بنى عمرو

وهم ملكوا أرض الحجاز وأوجها
كمثل شعاع الشمس فى صورة البدر
ملوك بنى حطى وسعفص ذى الندى
وهو زار باب الثنية والحجر
هم وقطنوا البيت الحرام ورتبوا
خطورا وساموا فى المكارم والفخر
(ولهؤلاء الملوك) أخبار عجيبة من حروب وسير وكيفية تغلبهم على هذه الممالك وتملكهم عليها وابادتهم من كان فيها وعليها من الامم قد أتينا على ذكرها فيما تقدم من كتبنا فى هذا المعنى مما كتبناه هذا منبه عليها وباعث على درسها (وأما بنو حضورا) وكانت أمة عظيمة ذات بطش وشدة فغلبت على كثير من الارض والممالك وقد تنازع الناس فيهم فمنهم من ألحقهم بمن ذكرنا من العرب البائدة ممن سمينا ومنهم من رأى انهم من ولد يافث بن نوح وقيل فى أنسابهم غير ماذكرنا من الوجوه وقد كان بعث الله عز وجل اليهم شعيب ابن ذى مهدم بن حضورا بن يعدى نبيا ناهيا عما كانوا عليه وهذا غير شعيب بن نوفل بن رعيل بن مرين عنقاء بن مدين بن ابراهيم

لك البلى ومحالك * فأحزن في موضع السرور وأجرى كلامه على عكس الامور
الى قول القضاعي

انا محمولك فاسلم أيها الطلل * وان بليت وان طالت بك الطيل

قال ما نصه فجاء الى طلل بال ورسم خال فاحسن حين حياه ودعاله بالسلامة كالمبتهج الثالث لياه فلم يذكر دروس الطلل وبلاه حتى آنس المسامع باوفى التحية وأزكى السلامة ثلثى ثلث فتح هذا الباب وأطنب فيه غاية الاطناب صاحب اللواء ومقدم الشعراء المشار اليه قال

وانعم صباحا ايها الطلل البالى * وهل يعمن من كان في العصر الخالى

وهل يعمن الا سعيد مخلد * قليل هموم ما يبيت بأوجال

قلت وهذا البيت الاخير يحسن ان يكون من أوصاف الجنة لان السعادة والخلود وقلة الهموم والاوجال لا توجد الا في الجنة انتهى وقال رحمه الله تعالى عند رحيله من غرناطة واعلام نجدة تلوح وحمائمه تشدو على الايك وتنوح

ولما وقفنا للوداع وقد بدت * قباب بنجد قد علت ذلك الوادى

تطرت فالفيت السبيكة فضة * تحسن بياض الزهر في ذلك النادى

فلما كستها الشمس عاد لحينها * لها ذهبا فاعجب لا كسيرها البادى

والسبيكة موضع خارج غرناطة وقال رحمه الله تعالى

هذه عشرة تقضت وعندى * من ألم البعاد شوق شديد

واذا ما رأيت اطفاء شوقى * بالتلاقى فذا الرأى سديد

وقال رحمه الله تعالى وقد أهدى طاقية

خذها اليك هدية * ممن يعز عليك أنك

اخبرتها لك عندما * أضحت هدية كل ناسك

أرسلتها طاقية * لتنوب في تقبيل راسك

وله من رسالة وافى كتابك فوجدناه ازهى من الازهار وابهى من حسن الجباب على الانهار يشرق اشراق نجوم السماء ويسمو الى الاسماع سمو حباب الماء وقال رحمه الله تعالى في العروض على مذهب الخليل

خل الانام ولا تخالط منهم * أحدا ولو أصفى اليك ضمائره

ان الموفق من يكون كانه * متقارب فهو الوحيد بدائره

وقال على مذهب الاخفش

ان الخلاص من الانام لراحة * لكنه ما نال ذلك سالك

أضحى بدائرة له متقارب * يرجو الخلاص فعاقه متدارك

وله

دائرة الحب قد تناهت * فما لها في الهوى مزيد

فبعز شوقى بها طويل * وبحر دمعى بها مديد

و بينهما مئون من السنين وقد كان بين موسى بن عمران و بين المسيح ألف سنة ولما بعث الى حضورا واشتد كفرهم جد نبيهم شعيب بن ذى مهدم في دعائهم وخوفهم وتوعدهم فقتلوه من بعد ظهور معجزات كانت له ودلائل اظهرها الله على يديه تدل على صدقه وثبوت حجته على قومه فلم يضيع الله دمه ولم يكذب وعيده فاوحى الله تعالى الى نبى كان في عصره وهو برخيا بن احيا بن روبا بيل بن شالتيال وكان من سبط يهوذا بن اسرائيل ابن اسحق بن ابراهيم الخليل عليه السلام أن يأتى بختنصر وكان بالشام وقيل غيره من الملوك فأمره أن يغزو العرب الذين لا اغلاق لبيوتهم فلما اتى برخيا ذلك الملك قال له الملك صدقت لى سبع ليال او سبع في نومى بما ذكرت وانادى بجيشك الى وابشر ويقال لى ما امرتنى به وانا انتصر للنبى المقتول المظلوم الفريد فسار اليهم في جنود وغشى ديارهم في عساكره وصاح بهم صائح من السماء وقد استعدوا للحرب بهم من حيث سمعوا الصوت جميعهم وهو يقول

سيغلب قوم غالبوا الله جهرة * وان كايدوه كان اقوى وأكيدا

فانفضت جنودهم وتفرقت جموعهم وولت كتائبهم وأخذهم السيف فقصدوا أجمعين (وقد ذكر) أن في قصة هلكهم قال الله عز وجل من قائل فلما أحسوا بأسنا اذا هم منها يركضون وقد تنوزع في ديارهم والموضع الذي كانوا فيه فمن الناس من رأى أنهم كانوا بارض السماوة وأنها كانت عامرة متصلة ذات جنان ومياه متدفقة وذلك بين العراق والشام الى حد الحجاز وهي الآن ديار خراب برارى وقفار ومنهم من رأى أن ديارهم كانت من بلاد سورية وهذه المدن في هذا كتابنا هي قريبة مضافة الى أعمال حلب باعث من بلاد قنسرين من أرض نوحضو الشام (قال المسعودي) وقد أتينا على جمل من أخبار العرب الماضية والباقية وقد كان قبل ظهور الاسلام للباقي منهم مذاهب وآراء في النفوس وتغول الغيلان من الهواتف والجن سنورد جملا منها منفردة على حسب ما يقتضيه شرط الاختصار في هذا الكتاب على حسب ما نحى الينا من اخبارهم واتصل بنا من آثارهم وذكره الناس من آراتهم عن الفاني والباقي ان شاء الله تعالى

وان وجدي بها بسيط * فليفعل الحسن ما يريد

وهذا المعنى استعمله الشعراء كثيرا ومنهم الشيخ شهاب الدين بن صارو ابو جعفر المترجم به انشدنا شهاب الدين المذكور لنفسه بحماة

وبي عروضي سريع الجفا * يغار غصن البان من عطفه
الورد من وجنته وافر * لكنه يمنع من قطفه

قال وانشدنا ايضا لنفسه

وبي عروضي سريع الجفا * وجدي به مثل جفاه طويل
قلت له قطعت قلبي أسى * فقال لي التقطيع دأب الخليل

وأنشد رحمه الله تعالى لرفيقه ابن جابر الضرير السابق الترجمة في ذلك

ان صد عني فاني لا عاتبه * فما التنافر في الغزلان تنقيص
شوقي مديد وحبي كامل أبدا * لاجل ذلك قلبي فيه موقوص

وأنشد نا في ذلك أيضا

عالم بالعروض يخبر قلبي * في مديد الهوى بلحظ سريع
عنده وافر من الرد في يبدو * وخفيف من خصره المقطوع

وله

سبب خفيف خصرها ووراءه * من ردفها سبب ثقيل ظاهر
لم يجمع النوعان في تركيبها * الا لأن الحسن فيها وافر

وله

صدوده لي مديد * وأمر حبي طويل
وفيه أسباب حسن * وتلك عندي الاصول
فخصره لي خفيف * و ردفه لي ثقيل

وقد ذكر أبو جعفر رحمه الله تعالى لرفيقه ابن جابر السابق الذكر مقطوعات كثيرة منها قوله

يا أيها الحادي اسقني كاس السرى * نحو الحبيب ومهجتي للساقي
حي العراق على النوى واحمل الى * أهل الحجاز رسائل العشاق
ياحسن ألحان الحداة اذا جرت * نغماتها بمسامع المشتاق

وأورد له أيضا

ياحسن ليلتنا التي قد زارني * فيها فانجز ما مضى من وعده
قومت شمس جماله فوجدتها * في عقرب الصدغ الذي في خده

*(رجع) الى أبي جعفر رحمه الله تعالى ومن فوائده انه لما ذكر فذلكة الحساب فقال هي التي يضعها أهل الحساب آخر جلهم المتقدمة فيقولون فذلك كذا وكذا انتهى ولما أنشد رحمه الله تعالى قول بعضهم

غزال قد غزا قلبي * بالحاظ وأحداق

له الثلثان من قلبي * وثلثا ثلثه الباقي
وثلثا ثلث ما يبقى * وباقي الثلث للساقي
وتبقى اسهم ست * تقسم بين عشاق

قال ما نصه هذا الشاعر قسم قلبه الى ٨١ سهما فجعل لمحبوبه منها الثلثين ٥٤ وبقى الثلث ٢٧ فزاده ثلثيه ١٨ فصار له ٧٢ يبقى ثلث الثلث وهو ٩ زاده منها ثلثى ثلثها وهو اثنان وبقى من الثلث واحد اعطاه للساقى فبقى من التسعة ستة قسمها بين العشاق فاجتمع لمحبوبه ٧٤ وللساقى ٧ واحد وللعشاق ستة والجملة ٨١ انتهى

وانشد رحمه الله تعالى فى علم الحساب لرفيقه ابن جبر السابق الذكر

قسم القلب فى الغرام بلحظ * يضرب القلب حين يرسل سهمه
هذه فى هواه يا قوم حالى * ضاع قلبى ما بين ضرب وقسمه

وانشد له فى الهندسة

محيط باشكال الملاحة وجهه * كأن به اقليدسا يتحدث
فعارضه خط استوى وخاله * بنقطته والشكل شكل مثلث

وانشد له فى خط الرمل

فوق خديه للعذار طريق * قد بدا تحته بياض وحمره
قيل ماذا تقول أشكال حسن * تقتضى أن ابيع قلبى بنظره

وانشد له فى علم الخط

قد حقق الحسن نور حاجبه * وخط فى الصدغ اور يحان
ومد من حسن قده الفا * أوقف عينى وقوف حيران

وانشد له ايضا

الف ابن مقلة فى الكتاب كقده * والنون مثل الصدغ فى التحسين
والعين مثل العين لكن هذه * شكلت بحسن وقاحة ومجون
وعلى الجبين لشعره سين بدت * حار ابن مقلة عند تلك السين
قل للذى قد خط تحت الصدغ من * خيلائه نقطا لجلب فنون
يا للرجال ويا لهما من فتنة * فى وضع ذاك النقط تحت النون

وأورد له فى ذكر الاقلام السبعة وغيرها

تعليق رد فلك بالخصر الخفيف له * ثلث الجمال وقد وفته أجفان
خد عليه رقاع الروض قد جعلت * وفى حواشيه للصدغين ريحان
خط الشباب بطومار العذار به * سطرا ففضاحه للناس فتان
محقق نسخ صبرى عن هواه ومن * توقيع مدمعى المنثور برهان
يا حسن ما قلم الاشعار خط على * أقسمت بالمعصف الشامى وأحرفه
مام بالبال يوما عنك سلوان * ولا غبار على حبى فعندك لى
حساب شوق له فى القلب ديوان

تنازع الناس فى كيفيتها فمنهم من زعم أن النفوس فى الدم لا غير وأن الروح الهواء الذى فى باطن جسم المرىء منه نفسه ولذلك سموا المراة نفساء لما يخرج منها من الدم ومن أجل ذلك تنازع فقهاء الامصار فيما له نفس سائلة اذا سقط فى الماء هل ينجسه أم لا قال ثابت شرا الخاله الشنفرى الاكبر وكان من قصته أنه قال لجمته عضبا فسالت نفسه سكبا وقالوا ان الميت لا ينبعث منه الدم ولا يوجد فيه ولكن فى حال الحياة والنماء مع الحرارة والرطوبة لان كل حى فيه حرارة ورطوبة فاذا مات بقى اليبس والبرد ونفيت الحرارة قال ابن براق من كلمة

وكم لاقيت ذا حسب شديد * تسيل به النفوس على الصدور

اذا الحرب العوان به استهامت * وحال فذاك يوم قطرير

(وطائفة منهم) تزعم أن النفس طائر ينبسط فى جسم الانسان فاذا مات أو قتل لم يزل مطيفا به متصورا اليه فى صورة طائر يصرخ على قبره مستوحشا وفى ذلك يقول بعض الشعراء وذكر أصحاب الفيل

سلط الطير والمنون عليهم * فلهم فى صدى المقابر هام لان هذا الطائر يسمونه الهام والواحدة هامة وجاء

وانشد له

يا صاحب المال ألم تستمع * لقوله ما عندكم ينفد
فاعمل به خيرا فوالله ما * يبقى ولا أنت به تخلد

وله

ان شئت أن تجدا العدو وقد غدا * لك صاحبا يولى الجميل ويحسن
فاعمل كما قال الخبير بخلقه * في قوله ادفع بالتي هي أحسن

وله

اذا شئت رزقا بلا حسبة * فلذ بالتقى واتبع سبله
وتصديق ذلك في قوله * ومن يتق الله يجعل له

واورد له ايضا

عمل ان لم يوافق نية * فهو غرس لا يرى منه ثمر
انما الاعمال بالنيات قد * نصه عن سيد الخلق عمر

وقوله

الخير في اشياء عن خير الورى * وردت فأبدت كل نهج بين
دع ما يريبك واعملن بنية * وازهد ولا تغضب وخلقك حسن

وقوله

حياء المرء يزجره فيخشى * فخف من لا يكون له حياء
فقد قال الرسول بان مما * به نطق الكرام الانبياء
اذا ما انت لم تستحى فاصنع * كما تختار وافعل ما تشاء

وقوله

قال الرسول الحياء خير * فاصحب من الناس ذا حياء
وعن قليل الحياء فابعد * فخيره ليس ذا رجاء

وقوله

من سلم المسلمون كلهم * وآمنوا من لسانه ويده
فذلك المسلم الحقيق بذا * جاء حديث لا شك في سنده

ولابن جابر مما كتب به الى الصلاح الصفدي

ان البراعة لفظ انت معناه * وكل شئ بديع انت مغناه
انشد نظمك اشهى عند سامعه * من نظم غيرك لو اسحق غناه

وهي طويلة فاجابه الصفدي بقوله

يا فاضلا كرمت فينا سجاياه * وخصنا بالآلى في هذا ياه
خصصتني بقريض شف جوهره * لما تألق منه نور معناه
من كل بيت مبانيه مشيدة * كم من خبايا معان في زواياه

وهي طويلة *(رجع) الى نظم ابي جعفر من ذلك قوله

الاسلام وهم على ذلك يكون صغيرا ثم يكبر حتى يصير كضرب من البوم وهي أبدا توحش وتصدح وتوجد أبدا في الديار المعطلة والنواويس وحيث مصارع الموتى ويزعمون أن الهامة لا تزال عند ولد الميت في محلته بفنائهم لتعلم ما يكون بعده فتخبره به حتى قال الصلت بن أمية لبنيه هامتي تخبرني بما تستشعر فتجنبوا الشنعاء والمكروها

(وفي ذلك يقول في الاسلام توبة في ليلى الاخيلية)

ولوان ليلى الاخيلية سلمت * على ودوني جندل وصفائح
لسلمت تسليم البشاشة أوزقا * اليها صدى من جانب القبر صائح

وهذا من قولهم يدل على ان الصدى ينزل الى قبورهم ويصعد ومن ذلك ما روى عن حاتم طيئ مما سنورد خبره في هذا الكتاب

اتيت لعبلة تبغي القرى * لدى حفرة صدحت هامها

وسنذكر هذا الشعر في اخبار الحجاج بن يوسف مع ليلى الاخيلية من هذا الكتاب وقد قيل ان هذه الابيات لغير توبة وهذا كثير في اشعارهم

تريك قدا على ردف تجاذبه * نكوطة فى كثيب الرمل قد نبتت
ريا القرنفل فى ريح الصبا سحرا * يضوع منها اذا نحوى قد التفتت

عقب بهما ألفاظ قول امرئ القيس

اذا التفتت نحوى تضوع ريحها * نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل

واورد له قوله

ولولا نجاء العيس حول ديارها * غداة منى لم يبق فى الركب محرم
فوق ذرى المتنين بردمهلل * وتحت رداء الخز وجه معلم

عقد فى الاول قول ابن الخطيم

ديار التى كنا ونحن على منى * تحوط بنا ولا نجاء الركائب

وعقد فى الثانى قول ابن أخى ربيعة

أما طت رداء الخز عن حر وجهها * وأرخت على المتنين بردا مهللا

وأورد له قوله

ان ادعى لك مروان الجلال فقل * لا يجهل المرء بين الناس رتبته
ان الجلالة حقا للقول له * هذا الذى تعرف البطحاء وطأته

وقوله

من منصفى يا قوم من ظبية * تسرف فى هجرى وتأبى الوصال
وكلما أسال عن عذرها * تقول لى ما كل عذر يقال

وقوله

هم حسدوا الرسول فلم يجيبوا * وكم حسدوا فصار لهم فرار
وهاجر عند ما هجروا افاضحى * لخيمة أم معبد الغفار

وقوله

بحسبك أن تبيت على رجاء * ولو خطبتك للباس الخطوب
ومهما أكربتك صروف دهر * فقل ما قاله الرجل الاريب
عسى الكرب الذى أمسيت فيه * يكون وراءه فرج قريب

وقوله

خليلى هذا قبر أشرف مرسل * فقفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
رويدكما تبكى الذنوب التى خلت * بسقط اللوى بين الدخول فحومل
منازل كانت للتصابى فاقفرت * لما نسجتها من جنوب وشمأل

قال ثم جرى على هذا النمط واستخرج الدرر النفيسة من ذلك السفط وقال قبله انه أخذ اعجاز هذه القصيدة من أولها الى آخرها على التوالى وصنع اصدورا وصرفها الى مدح النبى صلى الله عليه وسلم فجاء فى ذلك بما لم يسبق اليه ولم يقف أحد فى تلك المعانى على ما وقف عليه انتهى وقوله

كم ليال خلت بكم كاللآلى * نظمتها لنا يد الازمان

من أهل الملل ممن سلف وخلف كلام كثير فى تنقل الارواح قد أتينا على مبسوط ذلك فى كتابنا المترجم بسر الحياة وكتاب الدعاوى وبالله التوفيق

(ذكر أقاويل العرب فى الغيلان والتغول وما يلحق بهذا الباب)

للعرب فى الغيلان وتغولها أخبار طريفة العرب يزعمون أن الغول يتغول لهم فى الخلوات ويظهر لخواصهم فى أنواع من الصور فيغاطبونها ويغاضيفوها وقد أكثروا من ذلك فى أشعارهم فمنها قول تأبط شرا وأدهم قد جبت جلبابه
كما اجتابت الكاعب الخيعلا
فاصبحت والغول لى جارة
فيا جارتى أنت ما أهولا
وطالبتها بضعها فالتوت
بوجه تغول فاستغولا
فمن كان يسأل عن جارتى
فان لها بالاوى منزلا

ويزعمون أن رجليها رجلا عنز وكانوا اذا اعترضتهم الغول فى الفيافى يرتجزون ويقولون

يا رجل عنز انهتى نهيقا
لن تنزلى السبيل والطريقا

وذلك أنها كانت تتراءى لهم فى الليالى وأوقات النهار فيتوهمون أنها

٦ ط نى انسان فيتبعونها فتزيلهم عن الطريق التى هم عليها وتتيههم وكان ذلك قد اشتهر عندهم وعرفوه فلم

أيها النازحون عن رأى عيني * وهم فى جوانحى وجنانى
ما الذ الوصال بعد التنائى * وامر الفراق بعد التدانى
قد وكلنا كم لرب كريم * غير وان من عبده فى أوان
ما رحلنا عن اختيار ولكن * رحلتنا تلونات الزمان

وقوله

تشتكى الصفر من يديه وترضى السمر عن راحتيه عند الحروب
أحمر السيف أخضر السيب حيث الارض غبراء من سواد الخطوب

وقوله مما التزم فى أوّله الدال

دفاع لمكروه أمان لخائف * سحاب لمستجدى هلاك لمستعدى
دروب على الحسنى عقولمن جنى * مثيب لمن أثنى مجيب لذى قصد
دع الغيث ان أعطى دع الليث ان سطا * دع الروض اذ أهدى دع البدر اذ يهدى

وقوله

غزال ما توسد ظل بان * بهاجرة ولا عرف الظلالا
تبسم لؤلؤا واهتز غصنا * وأعرض شادنا وبدا هلالا

وقوله

رفع الخصر فوق منصوب ردف * وبجزم القلوب فرعيه جزما
مال غصنا دنا رشا فاح مسكا * باه درا أرخى دجى لاح بدرا

وقوله حين زار قبر قس بن ساعدة بجبل سمعان

هذى منازل ذى العلا * قس بن ساعدة الايادى
كم عاش فى الدنيا وكم * اسدى الينا من أيادى
قد زانها بمحلى البلا * غة مفصحا فى كل نادى
قد قر فى بطن الثرى * متفردا بين العباد

قال أبو جعفر زرنا قبره فرأينا موضعا ترتاح اليه النفس و يلوح عليه الانس وعند قبره عين ماء يقال انه ليس بجبل سمعان عين تجرى غيرها هنالك وأورد له قوله

كرام فخام من ذؤابة هاشم * يقولون للاضياف أهلا ومرحبا
فيفعل فى فقر المقلين جودهم * كفعل على يوم حارب مرحبا

(رجع) الى أبى جعفر رحمه الله تعالى فنقول انه كان بمدينة النبى صلى الله عليه وسلم سنة ٧٥٥ ولما ذكر الروضة قال قيل ولا تكون الروضة الا بماسقتها أزال جنبها ٣ ولا يقال فى موضع الشجر روضة انتهى وقال

لقوامه الالف التى * جاءت بحسن ما ألف
عانقته فكأننى * لام معانقة الالف

وقال رحمه الله تعالى معتذرا عمن لم يسلم

لا تعتبن على ترك السلام فقد * جاءتك أحرفه كتبا بلا قلم

يكونوا يزولون عما كانوا ورؤس الجبال (وقد ذكر جماعة) من الصحابة منهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه شاهد ذلك فى بعض أسفاره الى الشام وان الغول كانت تغول له وانه ضربها بسيفه وذلك قبل ظهور الاسلام وهذا مشهور عندهم فى أخبارهم (وقد حكى) عن بعض المتقدمين أن الغول حيوان شاذ من جنس الحيوان لم تحكمه الطبيعة وانه لما خرج منفردا فى نفسه وهيئته توحش من مسكنه فطلب القفار وهو يناسب الانسان والحيوان البهيمى فى الشكل وقد ذهبت طوائف من الهند الى أن ذلك انما يظهر من فعل ما كان غائبا من الكواكب عند طلوعها مثل طلوع الكوكب المعروف بكلب الجبار وهى الشعرى العبور وان ذلك يحدث داء فى الكلاب وسهيل فى الحمل والذئب فى الدب وحامل رأس الغول يحدث عند طلوعه تماثيل وأشخاص تظهر فى العصارى وغيرها من العالم فتسميه عوام الناس غولا وهى ثمانية وأربعون كوكبا وقد

٣ قوله الا بماسقتها الخ كذا فى نسخة المؤلف رحمه الله تعالى انتهى من هامش فالسين

فالسين من مائتى واللام مع الف * من عارضى وهذا الميم ميم فمى

وقال رحمه الله تعالى

لا تقنطنك ذنب * قد كان منك عظيم
فالله قد قال قولا * وهو الجواد الكريم
نبئ عبادى أنى * أنا الغفور الرحيم

وقال

اذا ظلم المرء فاصبر له * فبالقرب يقطع منه الوتين
فقد قال ربك وهو القوى * وأملى لهم ان كيدى متين

ومن نثره ما ذكر قصيدة كعب بن زهير رضى الله تعالى عنه ما نصه وهذه القصيدة لها الشرف الراسخ والحكم الذى لم يوجد له ناسخ أنشدها كعب فى مسجد المصطفى بحضرته وحضرة أصحابه وتوسل بها فوصل الى العفو عن عقابه فسد صلى الله عليه وسلم خاتمه وخلع عليه حلته وكف عنه كف من أراده وأبلغه فى نفسه وأهله مراده وذلك بعد اهدار دمه وما سبق من هذر كله فمحت حسناتها تلك الذنوب وسترت محاسنها وجه تلك العيوب ولولاها لمنع المدح والغزل وقطع من أخذ الجوائز على الشعر الامل فهى حجة الشعراء فيما سلكوه وملاك أمرهم فيما ملكوه حدثنى بعض شيوخنا بالاسكندرية باسناده ان بعض العلماء كان لا يستفتح مجلسه الا بقصيدة كعب فقيل له فى ذلك فقال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله قصيدة كعب أنشدها بين يديك فقال نعم وأنا أحبها وأحب من يحبها قال فعاهدت الله ان لا أخلو من قراءتها كل يوم قلت ولم تزل الشعراء من ذلك الوقت الى الآن ينسجون على منوالها ويقتدون باقوالها تبركا بمن أنشدت بين يديه ونسب مدحها اليه ولما صنع القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر قصيدة فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم على وزن بانت سعاد قال

لقد قال كعب فى النبى قصيدة * وقلنا عسى فى مدحه نتشارك
فان شملتنا بالجوائز رحمة * كرحمة كعب فهو كعب مبارك

انتهى

وقال رحمه الله تعالى

لقد كر العذار بجنتيه * كما كر الظلام على النهار
فغابت شمس وجنته وجاءت * على مهل عشيات العذار
فقلت لناظرى لما رآها * وقد خلط السواد بالاحمرار
تمتع من شميم عرار نجد * فما بعد العشية من عرار

وقال

قالوا عشقت وقد أضر بك الهوى * فاجبتهم يا ليتنى لم أعشق
قالوا سبقت الى محبة حسنه * فاجبتهم ما فاز من لم يسبق

ولما أنشدنا رحمه الله تعالى قول ابن الخشاب فى المستضىء بالله

ورد الورى سلسال جودك فارتووا * ووقفت دون الورد وقفة حائم

المعروف بالمدخل الكبير فى النجوم وذكر كيفية صورة كل كوكب عند ظهوره فى أنواع مختلفة (وزعمت طائفة) من الناس أن الغول شئ يعرض للسفار ويتمثل فى ضروب من الصور ذكرا كان أو أنثى الا أن أكثر كلامهم على انه أنثى وقد قال أبو المطراب وحالفنى الوحوش على الوفاء

وتحت عهودهن وبالبعاد وغولا قفرة ذكرا وأنثى

كأن عليهما قطع النجاد

وقال آخر وهو كعب بن زهير الصحابى

فما تدوم على حال تكون بها

كما تلون فى أثوابها الغول

وقد قدمنا ذكر ذلك فيما سلف من هذا الكتاب فى هذا المعنى وأن كل كوكب يظهر فى صورة مخالفة لما تقدمه من الصور يحدث فى هذا العالم نوعا من الافعال ينفرد بفعله عن غيره من الكواكب (وكانت العرب) قبل الاسلام تزعم أن الغيلان توقد بالليل النيران للعبث والتحيل واختلال النابلة قال أبو المطراب

فلله در الغول أى رفيقة * لصاحب قفر خائف وهو معبر
أرنت بلحن بعد لحن وأوقدت * حوالى نيرانا تلوح وتزهر

وقد فرقوا بين السعلاة والغول قال عبيد أبيت بسعلاة وغول بقفرة وساخرة مني ولو أن عينها * رأت مارأت عيني من الهول جفت

ظما آن أطلب خفة من زحمة * والورد لا يزداد غير تزاحم

قال ما نصه فانظر حسن هذين البيتين كيف جريا كالماء في سلاسته ووقعا من القلوب كالشهد في حلاوته مع أن ناظمهما خارج عن وصف الماء كلامه ولا تعدى ذلك المعنى نظامه حتى قيل ان فيهما عشرة مواضع من مراعاة النظير فهما في الحسن مالهما من نظير لكنه ما سلم مليح من عيب ولا خلا من وقوع ريب فمع هذه المحاسن الوافية ما سلما من عيب القافية انتهى ولنختم ترجمته بقوله عند شرح بيت رفيقه

خير الليالي ليالي الخير في اضم * والقوم قد بلغوا اقصى مرادهم

ما نصه يقول ان خير الليالي التي تنشرح لها الصدور ويحمد فيها الورود والصدور ليالي الخير في اضم حيث النزيل لم يضم والقوم قد وردوا موارد الكرم وبلغوا اقصى مرادهم في ذلك الحرم * (ومن الراحلين الولي الصالح ابو مروان عبد الملك بن ابراهيم بن بشر القيسي) وهو ابن اخت ابن صاحب الصلاة البجائي نسبة الى بجانس قرية من قرى وادي آش وكان رحمه الله تعالى اواسط المائة السابعة وقد ذكره الفقيه ابو العباس احمد بن ابراهيم بن يحيى الازدي القشتالي في تاليفه الذي سماه تحفة المغرب ببلاد المغرب وقال فيه راضوا نفوسهم لانقاد للولى سراو علنا وزهدوا في الدنيا فلم يقولوا معنا ولا لنا وانتدبوا لقول الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقال صاحب التاليف المذكور سالت الشيخ أبا مروان يوما في مسيري معه من وادي آش الى بلده بجانس سنة تسع وأربعين وستمائة فقلت له أنت ياسيدي لم تكن قرأت ولا لازمت المشايخ قبل سفرك للشرق ولا سافرت مع عالم تقتدي بركته في هذا الطريق فقال لي أقام الله تعالى من باطني شيخا قلت له كيف قال كنت اذا عرض لي أمر نظرت في خاطري فيخطر لي خاطران في ذلك أحدهما محمود والآخر مذموم فكنت اجتنب المذموم وارتكب المحمود فاذا وصلت الى اقرب بلد سالت عمن فيه من المشايخ والعلماء فاساله عن ذلك فكان يذكر لي المحمود والمذموم مذموما فاحمد الله تعالى ان وفقني ومع تتابع ذلك واتصاله دون مخالفة لم اعتمد على ما يقع بخاطري من الامور الشرعية الى الآن حتى اسال عنه من حضره من العلماء انتهى ومن كلام صاحب التاليف المذكور قوله في حق الصوفية نفعنا الله تعالى بهم خواطريق الحق فاماهم ونور بصائرهم فاصمهم عن الباطل واعماهم واهانوا في رضاه نفوسهم ورفضوا نعماهم فاعلى قدرهم عنده وعند الناس واسماهم انتهى ومما احسن قوله في التاليف المذكور ياهذا من حافظ حوفظ عليه ومن طلب الخير بصدق وصل اليه ومن اخلص العبودية لربه قام الاحرار خدمة بين يديه انتهى * (ومنهم الطبيب الماهر الشهير ضياء الدين ابو محمد عبد الله بن احمد بن البيطار المالقي) نزيل القاهرة وهو الذي عناه ابن سعيد في كتابه المغرب بقوله وقد جمع ابو محمد المالقي الساكن بقاهرة مصر كتابا في هذا الشان حشر فيه ما سمع به فقد رعليه من تصانيف الادوية المفردة ككتاب الغافقي وكتاب الزهراوي وكتاب الشريف الادريسي الصقلي وغيرها وضبطه على حروف المعجم وهو النهاية في مقصده انتهى وقد ذكرت كلام ابن سعيد هذا بجملته في غير هذا الموضع

أبيت بسعلاة وغول بقفرة
اذا الليل وارى اللحن فيه أرنت
(وقد وصفها بعضهم فقال)
وحافر العنز في ساق مدملجة
وجفن عين خلاف الانس بالطول
(وللناس) كلام كثير في الغيلان والشياطين والمردة والجن والقرب والقدار وهو نوع من الانواع المشيطنة يعرف بهذا الاسم يظهر في اكناف اليمن وانتهائم وأعالي صعيد مصر وانه ربما يلحق الانسان فينكعه فيتدود دبره فيموت وربما يتوارى للانسان فيذعره فاذا اصاب الانسان ذلك منه يقول له اهل تلك النواحي التي سمينا امنكوح هو أم مذعور فان قالوا منكوح يئس منه وان كان مذعورا أسكن روعه وشجع مما تاله وذلك ان الانسان اذا عاين ذلك سقط مغشيا عليه ومنهم من يظهر له ذلك فلا يكترث به لشهامة قلبه وشجاعة نفسه وما ذكرنا مشهور في البلاد التي سمينا ويمكن جمع ما قلنا مما حكيناه عما ذكرنا من

فليراجع وكان ابن البيطار اوحد زمانه فى معرفة النباتات سافر الى بلاد الاغارقة وأقصى بلاد الروم والمغرب واجتمع بجماعة كثيرة من الذين يعانون هذا الفن وعاين منابته وتحققها وعاد بعد أسفاره وخدم الكامل بن العادل وكان يعتمد عليه فى الادوية والحشائش وجعله فى الديار المصرية رئيسا على سائر العشابين وأصحاب البسطات ومن بعده خدم ولده الصالح وكان حظيا عنده الى أن توفى بشعبان سنة ٦٤٦ التى توفى بها ابن الحاجب وله من المصنفات كتاب الجامع فى الادوية المفردة وكتاب المغنى أيضا فى الادوية وكتاب الاباتة والاعلام بما فى المنهاج من الخلل والاوهام وكتاب الافعال العجيبة والخواص الغريبة وشرح كتاب ديسقوريدوس قال الذهبى انتهت اليه معرفة تحقيق النبات وصفاته وأماكنه ومنافعه وتوفى بدمشق انتهى *(ومنهم الشيخ أبو الحسن على ابن محمد بن محمد بن على القرشى البسطى) الشهير بالقلصادى بفتحات كما قال السخاوى الصالح الرحلة المؤلف الفرضى آخر من له التآليف الكثيرة من أئمة الاندلس واكثر تصانيفه فى الحساب والفرائض كشرحيه الجيبين على تلخيص ابن البناء والحوفى وكفاه فخرا أن الامام السنوسى صاحب العقائد أخذ عنه جملة من الفرائض والحساب وأجازه جميع مروياته وأصله من بسطة ثم انتقل الى غرناطة فاستوطنها وأخذ بها عن جماعة كابن فتوح والسرقسطى وغيرهما ثم ارتحل الى المشرق ومر بتلمسان فاخذ بها عن الامام عالم الدنيا ابن مرزوق والقاضى أبى الفضل قاسم العقبانى وأبى العباس بن زاغ وغيرهم ثم ارتحل فلقى بتونس تلامذة ابن عرفة كابن عقاب والقلشانى وحلولو وغيرهم ثم حج ولقى أعلاما وعاد فاستوطن غرناطة الى أن حل بوطنه ماحل فتحيل فى خلاصه من الشرك وارتحل ومر بتلمسان فنزل بها على الكفيف ابن مرزوق ابن شيخه ثم جذبت به الرحلة الى أن وافته منيته بباجة افريقية منتصف ذى الحجة سنة ٨٩١ وكان كثير المواظبة على الدرس والكتابة والتأليف ومن تآليفه أشرف المسالك الى مذهب مالك وشرح مختصر خليل وشرح الرسالة وشرح التلقين وهداية الانام فى شرح مختصر قواعد الاسلام وهو شرح مفيد وشرح رجز القرطبى وتنبيه الانسان الى علم الميزان والمدخل الضرورى وشرح ايساغوجى فى المنطق وله شرح الانوار السنية لابن جزى وشرح رجز الشرازى فى الفرائض الذى أوله

بحمد خير الوارثين أبتدى * وبالسراج النبوى أهتدى

وشرح حكم ابن عطاء الله ورجز أبى عمرو بن منظور فى أسماء النبى صلى الله عليه وسلم وشرح البردة ورجز ابن برى ورجز شيخه أبى اسحق بن فتوح فى النجوم الذى أوله

سبحان رافع السماء سقفا * ناصبها دلالة لا تخفى

وشرح رجز ابن مقرعة وله النصيحة فى السياسة العامة والخاصة وهداية النظار فى تحفة الاحكام والاسرار وكشف الجلباب عن علم الحساب وكشف الاسرار عن علم الغبار والتبصرة وقانون الحساب فى قدر التلخيص وشرحه وشرحان على التلخيص كبير وصغير وشرح ابن الياسمين فى الجبر والمقابلة ومختصره وكليات الفرائض وشرحها وشرحان

ولنذكر فى هذا الكتاب ماذكره اهل الشرائع وما ذكره اهل التواريخ والمصنفون لكتب البدو كوهب بن منبه وابن اسحق وغيرهما ان الله تعالى خلق الجان من نار السموم وخلق منه زوجته كما خلق حواء من آدم وان الجان غشيها فحملت منه وانها باضت احدى وثلاثين بيضة وان بيضه تفلقت من تلك البيض عن قطربة وهى ام القطارب وان القطربة على صورة الهرة وان الابالس من بيضة اخرى منهم الحرث ابو مرة وان مسكنهم الجزائر وان الغلان من بيضة اخرى مسكنهم الخرابات والفلوات وان السعالى من بيضة اخرى سكنوا الحمامات والمزابل وان الهوام من بيضة أخرى سكنوا الهواء فى صورة الحيات ذوات اجنحة يطيرون هنالك وان من بيضة اخرى الحماميص لا ناقد ذكرنا ذلك فيما سلف من كتبنا وتقدم من تصنيفنا واتينا على ذكر اسمائهم والمشهور من اسمائهم وما كنهم من الارض والبحار وان كان ماذكره اهل الشرع مما وصفناه ممكنا غير ممتنع ولا واجب وان كان اهل النظر والبحث والمستعملون لقضية العقل والفحص

للتلمسانية كبير وصغير وشرح فرائض صالح بن شريف وابن الشاط وفرائض مختصر خليل والتلقين وابن الحاجب وله كتاب الغنية في الفرائض وغنية النجباء وشرحاها الكبير والصغير وتقريب المواريث ومنتهى العقول البواحث وشرح مختصر العقباني ولم يتم ومدخل الطالبين ومختصر مفيد في النحو وشرح رجز ابن مالك والجرومية وجمل الزجاجي وملحة الحريري والخزرجية ومختصر في العروض وغير ذلك وأخذ بمصر عن الحافظ ابن حجر والزين طاهر النويري وأبي القاسم النويري والعلامة الجلال المحلي والتقي الشمني وأبي الفتح المراغي وغيرهم حسبما ذكر ذلك في رحلته الشهيرة وهي حاوية لشيوخه بالمغرب والمشرق وجلة من احوالهم رحم الله تعالى الجميع

*(ومنهم أبو عبد الله الراعي وهو شمس الدين محمد بن اسمعيل الاندلسي الغرناطي) ولد بها سنة ٧٨٢ تقريبا ونشابها وأخذ الفقه والاصول والعربية عن جماعة منهم أبو جعفر أحمد بن ادريس بن سعيد الاندلسي وسمع على أبي بكر عبد الله بن محمد بن محمد المعافري ابن الدب ويعرف بابن أبي عامر والخطيب أبي عبد الله محمد بن علي بن الحفار ومحمد بن عبد الملك ابن علي القيسي المنتوري صاحب الفهرسة الكبيرة الشهيرة ومما أخذ عنه الجرومية باخذه لها عن الخطيب أبي جعفر احمد بن محمد بن سالم الجذامي عن القاضي أبي عبد الله محمد ابن ابراهيم الحضرمي عن مؤلفها أبي عبد الله محمد بن محمد بن داود الصنهاجي عرف بابن آجروم وجميع خلاصة الباحثين في حصر حال الوارثين للقاضي أبي بكر بن عبد الله بن يحيى ابن زكريا الانصاري باخذه لها عن مؤلفها واجازله ابو الحسن علي بن عبد الله بن الحسن الجذامي والقاضي أبو الفضل قاسم بن سعيد العقباني والعلامة أبو الفضل محمد بن ابراهيم ابن عبد الرحمن ابن الامام وعالم الدنيا أبو عبد الله محمد بن مرزوق التلمساني وغيرهم من المغاربة ومن أشياخه من أهل المشرق الكمال بن خير السكندري والزين أبو بكر المراغي والزين محمد الطبري وأبو اسحق ابراهيم بن العفيف النابلسي في آخرين ودخل القاهرة سنة ٨٢٥ فحج واستوطنها وسمع بها من الشهاب المتبولي وابن الجزري والحافظ ابن حجر وطائفة وأم بالمؤيدية وقتا وتصدى للاشتغال فانتفع به الناس طبقة بعد أخرى لاسيما في العربية بل هي كانت فنه الذي اشتهر به وبجودة الارشاد لها وشرح كلا من الجرومية والالفية والقواعد وغيرها مما حمله عنه الفضلاء وله نظم وسط قال السخاوي كتبت عنه منه الكثير وعالم أسمعه منه ما أودعه في مقدمة كتاب صنفه في نصرة مذهبه وأثبته دفعا لشيء نسب اليه فقال

عليك بتقوى الله ما شئت واتبع * أئمة دين الحق تهدى وتسعد
فمالكهم والشافعي وأحمد * ونعمانهم كل الى الخير يرشد
فتابع لمن أحببت منهم ولا تمل * لذي الجهل والتعصيب ان شئت تحمد
فكل سواء في وجيبة الاقتدا * متابعهم جنات عدن يخلد
وجهل دين يزين وبغضهم * خروج عن الاسلام والحق يبعد
فلعنة رب العرش والخلق كلهم * على من قلاهم والتعصب يقصد

وكان

ما قالوه في سلوك الجن في كتابنا المترجم بكتاب المقالات في اصول الديانات وبالله التوفيق

(ذكر قول العرب في الهواتف والجان)

فاما الهواتف فقد كثرت في العرب واتصلت بديارهم وكان أكثرها أيام مولد النبي صلى الله عليه وسلم وفي أوائل مبعثه ومن حكم الهواتف أن تهتف بصوت مسموع وجسم غير مرئي (قال المسعودي) وقد تنازع الناس في الهواتف والجان فذكر فريق منهم وقال ان ما تذكره العرب وتنبئ به من ذلك انما يعرض لهامن قبل التوحد في القفار والتفرد في الاودية والسلوك في المهامه والمروراة الموحشة لان الانسان اذا صار في مثل هذه الاماكن يوجد له تفكر ووجل وجبن واذا هو جبن داخلته الظنون الكاذبة والاوهام المؤذية والسوداوية الفاسدة فصورت له الاصوات ومثلت له الاشخاص واوهمته المحال

وكان حاد اللسان والخلق شديد النفرة من الشيخ يحيى العيسى أضر بآخرة ومات بسكنه بالصالحية يوم الثلاثاء ٢٧ ذى الحجة سنة ٨٥٣ بعد أن أنشد قبيل موته بشهر فى حال صحته الشيخ جمال الدين بن الامانة من نظمه قوله

أبكى فى موتى و بعد فضيحتى * فيحزن قلبى من عظيم خطيئتى
وتبكى دماعينى وحق لها البكى * على سوء أفعالى وقلة حيائى
وقد ذابت الكبادى عناء وحسرة * على بعد أوطانى وفقد أحبتى
فمالى الا الله ارجوه دائما * ولا سيما عند اقتراب منيتى
فنسأل ربى فى وفاتى مؤمنا * بجاه رسول الله خير البرية

قال السخاوى ومما كتبته عنه

ألفيته حول المعلم باكيا * ودموعه قد صاغها من كوثر
نثر الدموع على الخدود فحلتها * درا تناثر فى عقيق أحمر

وقوله

عليك بنعمة رب العلا * وراعى الملوك لراعى الذمم
وذو العلم فارع له حقه * والا تفارق وتلق الندم
فهذا مقالى فلتسمعوا * نصيحة حبر من اهل الحكم
اذا كنت فى نعمة فارعها * فان المعاصى تزيل النعم

وقال

للغرب فضل شائع لا يجهل * ولاهله شرف ودين يكمل
ظهرت به أعلام حق حققت * ما قاله خير الانام المرسل
من انهم حتى القيامة لن يزا * لوا ظاهرين على الهدى لن يخذلوا

وممن حدث عنه الراعى الحافظ ابن فهد والبرهان البقاعى ومن تآليفه شرح القواعد وكتاب انتصار الفقير السالك لمذهب الامام الكبير مالك فى كراريس أربعة حسن فى موضوعه وله النوازل النحوية فى عشرة كراريس أو أكثر وفيها فوائد حسنة وابحاث رشيقة تكلم معه فى بعضها أبو عبد الله بن العباس التلمسانى وذكر بعضهم انه اختصر شرح شيخه ابن مرزوق على مختصر الشيخ خليل من باب القضاء الى آخر الكتاب انتهى وجرت له فى صغره حكاية دلت على نبله وهى انه دخل على الطلبة رجل وهم بجامع غرناطة فسالهم عمن كان وراء امام فحدث للامام حدث فذهب لاجله مثل الرعاف مثلا فصلوا بعض الصلاة لانفسهم ثم اقتدوا بامام منهم فقدموه فيما بقى فهل تصح صلاتهم ام لا فلم يكن عند أحد من الحاضرين فيها علم فقال هو ان الصلاة باطلة لان النحاة يقولون الاتباع بعد القطع لا يجوز وقد حكى ذلك فى شرحه للعرومية الذى سماه بعنوان افادة فى باب النعت اذ قال ما نصه كنت حالسا بمسجد قيسارية غرناطة أنتظر سيدنا وشيخنا أبا الحسن على بن سمعت رحمه الله تعالى مع جماعة من كبار طلبته وكنت اذذاك من أصغرهم سنا وأقلهم علما فدخل سائل سأل عن مسئلة فقهية نصها ان اماما صلى بجماعة جزأ من صلاة ثم غلب عليه

على غير نظام قوى او طريق مستقيم سليم لان المتفرد فى القفار والمتوحد فى المروراة مستشعر للمخاوف متوهم للتالف متوقع للمحتوف لقوة الظنون الفاسدة على فكره وانغراسها فى نفسه فتوهم ما يحكيه من هتف الهواتف به واعتراض الجان له وقد كانت العرب قبل ظهور الاسلام تقول ان من الجن من هو على صورة نصف الانسان وانه كان يظهر لها فى اسفارها فى حين خلواتها وتسميه شقا (وذكر) عن علقمة بن صفوان بن امية ابن محدث الكنانى جد مروان بن الحكم لامه انه خرج فى بعض الليالى يريد مالا له بمكة فانتهى الى الموضع المعروف بخط عريان فاذا هو بشق قد ظهر له فى اوصاف ذكرها فقال

علقم انى مقتول
وان لحمى ما كول
اضربهم بالمدلول
ضرب غلام مشمول
رحب الذراع بهلول

فقال علقمة

شق مالى ولك
اغمد عنى منصلك
نقتل من لا يقتلك

فضرب كل منهما صاحبه بحرامية بن وهذا مشهور عندهم وان علقمة بن صفوان قتلته الجن (وذكروا) عن الجن

الحدث فخرج ولم يستخلف لهم فقام كل واحد من الجماعة وصلى وحده جزأ من الصلاة ثم بعد ذلك استخلفوا من أتم بهم الصلاة فهل تصح تلك الصلاة أم لا فلم يكن فيها عند الحاضرين جواب فقلت أنا أجاوب فيها بجواب نحوي فقال هات الجواب فقلت هذا اتباع بعد القطع وهو ممتنع عند النحويين فصلاة هؤلاء باطلة فاستظرفها مني من حضر لصغر سني ثم طالبنا النص فيها فلم نلقه في ذلك التاريخ ولو لقيناه لكان الجواب حسنا انتهى ومن ألغازه قوله

حاجيتكم نحاتنا المصريه * أولى الذكا والعلم والطعميه
ما كلمات أربع نحويه * جمعن في حرفين للاعجميه

يعني فعل الامر للواحد من وأي شيء اذا أضمرفانك تقول فيه اياز يدعلى حرف واحد وهو الهمزة المقطوعة فاذا قلت قل اونقلت حركته على لغة النقل الى الساكن صار هكذا قل فذهب فعل الامر وفاعله فهي كلمات أربع فعلا أمر وفاعلاهما جمعن في حرفين القاف واللام فافهم وأحسن من هذا قوله ملغزا في ذلك أيضا

في أي لفظ يا نحاة الملة * حركة قامت مقام الجملة

و بالجملة فحاسنه كثيرة رحمه الله تعالى و رضي عنه ومن فوائده قوله حكى لي بعض علماء المالكية قال كنا نقرأ المدونة على الشيخ سراج الدين البلقيني الشافعي فوقعت مسئلة خلافية بين مالك والشافعي فقال الشيخ في مسئلة مذهبنا كذا في مسئلة لم يقل فيها الشافعي بما قال وانما نسبها البلقيني لنفسه ثم فطن وخاف أن ينتقد عليه المالكية و يقولون له أنت شافعي وهذا ليس مذهب الشافعي فقال فان قلتم يا مالكية لسنا بمالكية وانما أنتم شافعية قلنا كذلك أنتم قاسمية وقد اجتمعنا الكل في مالك قال وهذا الكلام حلو حسن في غاية الانصاف من الشيخ قال ولما قرئ عليه كتاب الشفاء مدحه وأثنى عليه الى الغاية وكان يحضره جماعة من المالكية فقال القاضي جمال الدين ابنه مالكم يا مالكية لا تكونون مثل القاضي عياض فقال له أبوه الشيخ سراج الدين المذكور ومالك لا تقول للشافعية مالكم يا شافعية لا تكونون مثل القاضي عياض ومن فوائد الراعي في باب العلم من شرحه على الالفية في الكلام عشر خصال محمودة ينبغي أن تكون في كل فقير لا يزال جائعا وهو من دأب الصالحين ولا يكون له موضع يعرف به وذلك من علامة المتوكلين ولا ينام من الليل الا القليل وذلك من صفات المحبين واذا مات لا يكون له ميراث وذلك من أخلاق الزاهدين ولا يهجر صاحبه وان جفاه وطرده وذلك من شيم المريدين و يرضى من الدنيا بادنى يسير وذلك من اشارة القانعين واذا غلب عن مكانه تركه وانصرف الى غيره وذلك من علامة المتواضعين واذا ضرب وطرد ثم دعي أجاب وذلك من أخلاق الخاشعين واذا حضر شيء من الاكل وقف ينظر من بعد وذلك من أخلاق المساكين واذا رحل لم يرحل معه بشيء وذلك من علامة المتجردين انتهى بمعناه وقد نسبه للحسن البصري رضي الله تعالى ورضي عنه بمنه ومن تصانيفه رحمه الله تعالى كتاب الفتح المنير في بعض يحتاج اليه الفقير في غاية الافادة ملكته ولم أره بهذه البلاد المشرقية وحفظت منه فوائد متعة

* (ومن الراحلين من الاندلس الى المشرق بعد أخذ جميع بلاد الاندلس) أعادها الله تعالى

بيتين من الشعر قالتهما حرب بن اميمة حين قتلته الجن وهما وقبر حرب بمكان قفر * وليس قرب قبر حرب قبر

واستدلوا على ان هذا من قول الجن بان احدا من الناس لم يتأت له ان ينشد هذين البيتين ثلاث مرات متواليات لا يتتعتع في انشادهما الان الناس قد ينشدون العشرين بيتا والاكثر والاقل اشد من هذا الشعر واثقل منه ولا يتتعتعون فيه (ومن قتلته) الجن مرداس السلمي وهو ابو عباس ابن مرداس السلمي ومنهم القريض المغني بعد أن ظهر غناؤه وقد كانت الجن نهته ان يغني بابيات من الشعر فغناها فقتلته (وحدث) يحيى بن عتاب عن علي بن حرب عن ابي عبيدة معمر بن المثنى عن منصور بن زيد الطائي قال رأيت قبر حاتم طيئ ببيعة وهو اعلى جبل له واد يقال له الحامل واذا قدر عظيمة من بنايا قدوره مكفأة ناحية من القبر من القدور التي كان يطعم فيها الناس وعن يمين قبره أربع جوار من حجارة وعلى يساره اربع جوار من حجارة كلهن صاحبة شعر منشور محجرات على قبره كالنائحات عليه لم ير مثل بياض اجسامهن وجمال وجوههن مثلهن الجن على قبره ولم يكن قبل ذلك

والجواري بالنهار كما وصفنا فاذا هدأت العيون ارتفعت أصوات الجن بالنياحة عليه ونحن في منازلنا نسمع ذلك الى أن يطلع الفجر سكتن وهدأن وربما المارة يرون النار في الجبل فيفتتن بهن فيميل اليهن عجبا بهن فاذا دنا منهن وجدهن حجارة (وحدث) يحيى بن عتاب الجوهري قال حدثنا علي قال أنبأنا عبد الرحمن بن يحيى المنذري عن أبي المنذر هشام الكلبي قال حدثنا أبو مسكين بن جعفر بن محرز بن الوليد عن أبيه وكان مولى لابي هريرة يحدث قال كان رجل يكنى أبا البحتري من فزارة من قومه بقبر حاتم طيئ فنزلوا قريبا منه فبات أبو البحتري يناديه يا أبا الجعد اقرنا فقال قومه مهلا ما تكلم من رمة بالية قال ان طيئا تزعم أنه لم ينزل به أحد قط الا قراه وناموا فانتبه صائحا وارتحلتاه فقال له أصحابه ما بدا لك قال خرج حاتم من قبره بالسيف وأنا أنظر حتى عقر ناقتي قالوا له كذبت ثم نظروا الى ناقته بين نوقهم منجدلة لا تنبعث فقالوا له والله قراك فظلوا يأكلون من لحمها شواء وطبيخا حتى أصبحوا ثم أردفوه وانطلقوا سائرين فاذا راكب بعير يقود آخر قد لحقهم فقال أيكم أبو البحتري فقال أبو البحتري أنا ذلك قال أنا عدي بن حاتم وان حاتما جاءني الليلة في النوم

قاضي الجماعة بغرناطة أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن الازرق قال السخاوي انه لازم الاستاذ ابراهيم بن أحمد بن فتوح مفتي غرناطة في النحو والاصلين والمنطق بحيث كان جل انتفاعه به وحضر مجالس أبي عبد الله محمد بن محمد السرقسطي العالم الزاهد مفتيها ايضا في الفقه ومجالس الخطيب أبي الفرج عبد الله بن أحمد البقني والشهاب قاضي الجماعة بغرناطة ابي العباس احمد بن ابي يحيى بن شرف التلمساني انتهى وله رحمه الله تعالى تآليف منها بدائع السلك في طبائع الملك كتاب حسن مفيد في موضوعه تخص فيه كلام ابن خلدون في مقدمة تاريخه وغيره مع زوائد كثيرة ومنها روضة الاعلام بمنزلة العربية من علوم الاسلام مجلد ضخم فيه فوائد وحكايات لم يؤلف في فنه مثله وقفت عليه بتلمسان وحفظت منه ما انشده لبعض اهل عصره مما يكتب في سيف

ان عمت الافق من نقع الوغى سحب * فشم بها بارقا من لمع ايماضي
وان نوت حركات النصر أرض عدا * فليس للفتح الا فعل المماضي

ومن انشائه في التأليف المذكور ما صورته قلت ولقد كان شيخنا العلامة أبو اسحق ابراهيم ابن أحمد بن فتوح قدس الله تعالى روحه يفسح لصاحب البحث مجالا رحبا ويوسع المراجع له قبولا ورحبا بل يطالب بذلك ويقتضيه ويختار طريق التعليم به ويرتضيه توقيفا على ما حاص له تحقيقه ووضح له في معيار الاختيار تدقيقه والافقد كان ما يلقيه غاية ما يتحصل ويتمهد به مختار ما يحفظ ويتصل انتهى وهو يدل على ملكته في الانشاء ويحقق ما يحصله الا أن ذلك اذا طال حتى وقع الملل والضجر أو كاد فينبغي الامساك عن البحث لئلا يفضي الحال الى ما ينهى عنه قال ومخالفة التلميذ الشيخ في بعض المسائل اذا كان له وجه وعليها دليل قائم بقوله غير الشيخ من العلماء ليس من سوء أدب التلميذ مع الشيخ ولكن مع ملازمة التوقير الدائم والاجلال الملائم فقد خالف ابن عباس عمر وعليا وزيد بن ثابت رضي الله تعالى عنهم وقد كان أخذ عنهم وخالف كثير من التابعين بعض الصحابة واذا أخذوا العلم عنهم وخالف مالك كثيرا من أشياخه وخالف الشافعي وابن القاسم وأشهب مالكا في كثير من المسائل وكان مالك أكبر أساتيذ الشافعي وقال لا أحد أمن علي من مالك وكاد كل من أخذ العلم أن يخالف بعض تلامذته في عدة مسائل ولم يزل ذلك دأب التلاميذ مع الاساتيذ الى زماننا هذا قال وشاهدنا ذلك في أشياخنا مع أشياخهم رحمهم الله تعالى قال ولا ينبغي للشيخ أن يتبرم من هذه المخالفة اذا كانت على الوجه الذي وصفناه والله تعالى أعلم انتهى ولما أنشد ابن الازرق المذكور في كتابه روضة الاعلام قول القائل في مدح ابن عصفور

نقل النحو الينا الدؤلي * عن أمير المؤمنين البطل
بدأ النحو علي وكذا * ختم النحو ابن عصفور علي

قال بعده ما نصه علي أن صاحبنا الكاتب الاديب الابرع أبا عبد الله محمد بن الازرق الوادي آشي رحمه الله تعالى قد قال فيما يدافع ابن عصفور عما اقتضاه هذا المدح له بتفضيل الاستاذ المحقق أبي الحسن بن الضائع عليه ولقد أبدع في ذلك ما شاء لما تضمن من التورية بضائع ابن الضائع الندب قد أتت * بحظ من التحقيق والعلم موفور

فطرت عقابا كاسرا أوماترى * مطارك قد أعيا جناح ابن عصفور

انتهى وقد نقل عن ابن الازرق صاحب المعيار فى جامعه وأثنى عليه غير واحد ومن أعظم تآليفه شرحه الحافل على مختصر خليل المسمى بشفاء الغليل فى شرح مختصر خليل وقد توارد معه الشيخ ابن غازى على هذه التسمية وكان مولانا العم الامام شيخ الاسلام سيدى سعيد بن أحمد المقرى رضى الله تعالى عنه قال لى حين سألته عن هذا التوارد لعل تسمية ابن الازرق شفاء الغليل بالعين قلت يعضد ذلك أن جماعة من تلامذته الاكابر كالوادى آشى وغيره كتبوه بخطوطهم بالغين فبان انه من توارد الخواطر وأن كلا منهم لم يقف على تسمية الآخر والله تعالى أعلم وقد رأيت جملة من هذا الشرح بتلمسان وذلك نحو ثلاث مجلدات ولا أدرى هل أكمله أم لا الان تقديره بحسب ما رأيت يكون عشرين مجلدا اذ المجلد الاول ما أتم مسائل الصلاة ورأيت الخطبة وحدها فى أكثر من كراسة أبان فيها عن علوم ولم أر فى شروح خليل مع كثرتها مثله ودخل تلمسان لما استولى العدو على بلاد الاندلس ثم ارتحل الى المشرق فدخل مصر واستنهض عزائم السلطان قايتباى لاسترجاع الاندلس فكان كمن يطلب بيض الانوق أو الابيض العقوق ثم حج ورجع الى مصر فجدد الكلام فى غرضه فدافعوه عن مصر بقضاء القضاة فى بيت المقدس فتولاه بنزاهة وصيانة وطهارة ولم تطل مدته هنالك حتى توفى به بعد سنة خمس وتسعين وثمانمائة حسبما ذكره صاحب الانس الجليل فى تاريخ القدس والخليل فليراجع فانه طال عهدى به ومن بارع نظمه رحمه الله تعالى قوله فى الحجبات

ورب محجوبة تبدت * كانها الشمس فى حلاها
فاعجب لحال الانام من قد * أحبها منهم قلاها

ومنه قوله رحمه الله تعالى

عذرى فى هذا الدخان الذى * جاورداري واضح فى البيان
قد قلتم ان بها زخرفا * ولا يلى الزخرف الا الدخان

وقوله

تأملت من حسن الربيع نضارة * وقد غردت فوق الغصون البلابل
حكت فى غصون الدوح قسا فصاحة * لتعلم أن النبت فى الروض باقل

وقوله

وقائلة صف للربيع محاسنا * فقلت وعندى للكلام بدار
همى ببطاح الارض صوب من الحيا * فللنبت فى وجه الزمان عذار

وقوله

تعجبت من يانع الورد فى * سنى وجنة نبتها بارض
ولم لا يرى وردها يانعا * وقد سال من فوقها العارض

وقوله رحمه الله تعالى عند وفاة والدته

تقول لى ودموع العين واكفة * ما أفظع البين والترحال ياولدى

ونحن نزول وراء هذا الجبل فذكرشتمك اياه وانه قرا اصحابك براحلتك وأنشد

أبا البحترى لا أنت امرؤ
ظلوم العشيرة شتامها
أتيت بحجبك تبغى القرى
لدى حفرة صدحت هامها
أتبغى لدى الرم عند المبيت
وحولك طى وانعامها
فانا سنشبع أضيافنا
ونأتى المطى فنعتامها
وقد أم فى أن احلك على
بعير مكان راحلتك فدونكه
وقد ذكر هذا سالم بن زرارة
الغطفانى فى مدحه عدى
ابن حاتم حيث يقول
ابوك ابو سباقة الخير لم يزل
لدن شب حتى مات فى الخير راغبا
به تضرب الامثال فى الشعر
ميتا
وكان له اذ ذاك حيا
مصاحبا
قرى قبره الاضياف اذ
نزلوا به
ولم يقر قبر قبله الدهر
راكبا
(وحدث) أبو محمد بن
الحسن بن دريد عن أبى
حاتم السجستانى عن أبى
عبيدة معمر بن المثنى قال
سمعت شيخا من العرب قد
أناف على المائة يقول انه
خرج وافدا على بعض
ملوك بنى أمية قال فسرت
فى ليلة صحيا كيسة حالكة
كأن السماء قد برقعت
نجومها بطرائق السحاب وضللت الطريق فتوليت واديا لا أعرفه فهممت نفسى بطرحها حتى فقلت

فقلت أين السرى قالت لرحمة من * قد عز فى الملك لم يولد ولم يلد

قال تلميذه الحافظ ابن داود مما ألفيته بخط قاضى الجماعة أبى عبد الله بن الازرق عن على رضى الله تعالى عنه من أراد أن يطول الله عمره ويظفر بعدوه ويصان من فتن الدنيا ويوسع عليه باب رزقه فليقل هذا التسبيح اذا أصبح ثلاثا واذا أمسى ثلاثا سبحان الله ملء الميزان ومنتهى العلم ومبلغ الرضا وعدد النعم وزنة العرش والحمد لله ملء الميزان ومنتهى العلم ومبلغ الرضا وعدد النعم وزنة العرش ولا اله الا الله ملء الميزان ومنتهى العلم ومبلغ الرضا وعدد النعم وزنة العرش والله أكبر ملء الميزان ومنتهى العلم ومبلغ الرضا وعدد النعم وزنة العرش ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم مثل ذلك وصلى الله على سيدنا محمد وآله مثل ذلك قال وبخطه أيضا لنيل الرزق وما يراد يا باسط يا جواد يا على يا عرشك بحق حقك على جميع خلقك ابسط لى رزقك وسخر لى خلقك وبخطه أيضا بسم الله الرحمن الرحيم الدافع المانع الحافظ الحى القيوم القوى القادر الولى الناصر الغالب الذى لا يضر مع اسمه شئ فى الارض ولا فى السماء وهو السميع العليم وبخطه أيضا يا فتاح يا عليم يا نور يا هادى يا حق يا مبين افتح لى فتحا تنور به قلبى وتشرح به صدرى واهدنى الى طريق ترضاه وبين لى أمرى وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسلما كثيرا انتهى وقال رحمه الله تعالى موريا

من تكن صنعته الانشاء لا * ينكر الرزق لافصى العمر
ولو استعلى على السبع الدرا * رى بما فى فمه من درر
فاما الكاتب لكن لو يبا * ع الى العتق لكنت المشترى

هكذا رأيت نسبتها اليه وانختم ترجمته بل والباب جميعا بقوله رحمه الله تعالى عند نزول طاغية النصارى بمرج غرناطة أعادها الله تعالى للاسلام بجاه النبى عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام

مشوق بخيمات الاحبة مولع * تذكره نجد وتغريه لعلع
مواضعكم يا لائمين على الهوى * فلم يبق للسلوان فى القلب موضع
ومن لى بقلب تلتظى فيه زفرة * ومن لى بجفن تنهمى منه أدمع
رويدك فارقب للطائف موضعا * وخل الذى من شره يتوقع
وصبرا فان الصبر خير غنيمة * وبا فوز من قد كان للصبر يرجع
وبت واثقا باللطف من خير راحم * فألطافه من لحظة العين أسرع
وان جاء خطب فانتظر فرجاله * فسوف تراه فى غد عنك يرفع
وكن راجعا لله فى كل حالة * فليس لنا الا الى الله مرجع

(الباب السادس)

فى ذكر بعض الوافدين على الاندلس من أهل المشرق المهتدين فى قصدهم اليها بنور الهداية المضىء المشرق والاكابر الذين حلوا بحلولهم فيها الجيد منها والمفرق والمفترين برؤية قطرها المونق على المشم والمعرق

أعلم أن الداخلين للاندلس من المشرق قوم كثيرون لا تحصر الاعيان منهم فضلا عن غيرهم

هذا واسترشده فسمعت قائلا يقول من بطن الوادى

تيامن تجاهك تلق الكلا * تسير وتأمن فى المسلك

قال فتوجهت حيث اشار الى وقد أمنت بعض الامن فاذا انا باقباس نار تلمع أمامى فى خلالها كالوجوه على قامات كالنخيل السحيقة فسرت وأصبحت باوصال وهو ماء لكلاب يقارب بريه دمشق وقد ذكر الله عز وجل ذلك من فعلهم فقال وأنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا

(ذكر ما ذهب اليه العرب من القيافة والزجر والسانح والبارح وغير ذلك)

تنازع الناس فى القيافة وغيرها مما ذكر فذهبت طائفة الى تحقيق القيافة والاخذ بها لان الاشباه تنزع وغير جائز أن يكون ولد غير مشبه لابيه او احد من أهله من جهة من الجهات ومنهم من ذهب الى ان فى الولد مواضع تلحقها القيافة دون غيرها من الاعضاء مما لم يحلها الشبه ولا توافق بينها بحد مشترك والى آخرون ما وصفنا اذ كان الناس قد يتشابهون فى حد الانسانية وغير ذلك من الحدود ويفترقون فى غيرها من الصور وليس وجود الاغلب من الاشباه مما يوجب الحاق

ومنهم من اتخذها وطنا وصيرها سكنا الى أن وافته منيته ومنهم من عاد الى المشرق بعد أن قضيت بالاندلس أمنيته * (فمن الداخلين الى الاندلس المنيذر) الذى يقال انه صحابى رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن الابار فى التكملة المنيذر الافريقى له صحبة وسكن أفريقية ودخل الاندلس فيما ذكره عبد الملك بن حبيب قاله أبو محمد الرشاطى ولم يذكره أحد غيره روى عنه عبد الرحمن الجيلى انتهى وأنكر غير واحد دخول أحد من الصحابة الاندلس وذكر بعض الحفاظ المنيذر المذكور وقال انه المنيذر اليمانى وذكر البخارى انه من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم وانه دخل الاندلس مع موسى بن نصير غازيا وقال ابن بشكوال يقال فيه المنيذر لكونه من احداث الصحابة رضى الله تعالى عنهم وقد حكى ذلك الراوى وذكره ابن عبد البر فى كتاب الاستيعاب فى الصحابة وسماه بالمنيذر الافريقى وقال ابن بشكوال ان ابن عبد البر روى عنه حديثا سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكره أبو على بن السكن فى كتاب الصحابة وقال روى عنه حديث واحد وأرجو أن يكون صحيحا وذكره ابن قانع فى معجم الصحابة له وذكره البخارى فى تاريخه الكبير اذ قال أبو المنيذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قد حدث بافريقية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا فانا الزعيم لآخذن بيده فأدخله الجنة كذا ذكره البخارى بالكنية وهذا الحديث هو الذى رووه عنه لا يعرف له غيره وذكره أبو جعفر أحمد بن رشد فى كتاب مسند الصحابة له فقال المنيذر اليمانى اما من مذحج أو غيرها وذكر الحديث سواء وقد أشرنا فيما سبق الى المنيذر هذا (ومن التابعين الداخلين الاندلس اميرها موسى بن نصير) وقد سبق من الكلام عليه ما فيه كفاية * (ومن التابعين الداخلين الاندلس حنش الصنعانى) وفى كتاب ابن بشكوال قال ابن وضاح حنش لقب له واسمه حسين بن عبد الله وكنيته أبو على وقال أبو رشد بن قال ابن بشكوال وهو من صنعاء الشام وذكره أبو سعيد بن يونس فى تاريخ أهل مصر وافريقية والاندلس فقال انه كان مع على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وغزا المغرب مع رفيقه رويفع بن ثابت وغزا الاندلس مع موسى بن نصير وكان فيمن ثار مع ابن الزبير على عبد الملك بن مروان فاتى به عبد الملك فى وثاق فعفا عنه وكان أول من ولى عشور افريقية فى الاسلام وتوفى بافريقية سنة مائة وذكر ابن يونس عن حنش انه كان اذا فرغ من عشائه وحوائجه وأراد الصلاة من الليل أوقد المصباح وقرب المصحف وانا فيه ماء فاذا وجد النعاس استنشق الماء واذا تعايا فى آية نظر فى المصحف واذا جاءه سائل يستطعم لم يزل يصيح باهله أطعموا السائل حتى يطعم قال ابن حبيب دخل الاندلس من التابعين حنش بن عبد الله الصنعانى وهو الذى أشرف على قرطبة من الفج المسمى بفج المائدة وأذن وذلك فى غير وقت الاذان فقال له أصحابه فى ذلك فقال ان هذه الدعوة لا تنقطع من هذه البقعة الا أن تقوم الساعة هكذا ذكره غير واحد وقد كشف الغيب خلاف ذلك فلعل الرواية موضوعة أو مؤولة والله تعالى أعلم وذكره ابن عساكر فى تاريخه وطول ترجمته وقال ان صنعاء المنسوب اليها افريقى من قرى الشام وليست صنعاء اليمن وقد قيل انه لم يرو عن حنش الشاميون وانما روى

التشبه بشبهه ودون أن ما للعرب وما تفردت به دون سائر الامم فى الاغلب منها وان كانت الكهانة قد وجدت فى غيرها فان القيافة والزجر والتفاؤل والتطير ليس لغيرها فى الاغلب من الامور وليس هو موجودا فى سائر العرب وانما هو للخاص منها الفطن والمتدرب النظير وان وجد ذلك فى بعض الامم كوجود ذلك فى الافرنجة وما جانسها من هنالك من الامم فيمكن أن يكون ذلك موروثا عن العرب وما خوذا منها فى سالف الدهر لان العرب قد تنقلت فى البلاد وتغيرت لغاتها فنسب ذلك الى الجنس الذى قطنت بينهم العرب ويمكن أن تكون الافرنجة ومن وجد فيها ذلك من الامم أخذت بعد ظهور الاسلام عمن جاورهم من أمم العرب عمن سكن بلاد الاندلس من الارض الكبيرة وان كان ذلك قبل ظهور الاسلام فهو ما ذكرنا آنفا ويمكن ان يكون الله عز وجل خص بذلك أمما غير العرب كما خص العرب به اذ كان ذلك داخلا فى الامكان خارجا من باب

يخالف من حيث أوجبت قضية الاختلاف بالتباين وهذه المعانى من خواص

الممتنع فيكون الزجر والفال شاملا لبعض العرب وغيرها من خواص الامم كوجود الخط

عنه

عنه المصريون وحدث حنش عن عبد الله بن عباس انه قال له ان استطعت أن تلقى الله تعالى وسيفك حليته حديد ففعل وكان عبد الملك بن مروان حين غزا المغرب مع معاوية بن حديج نزل عليه بافريقية سنة خمسين فحفظ له ذلك فعفا عنه حين أتى به في وثاق حين ثار مع ابن الزبير وسئل أبو زرعة عن حنش فقال ثقة ولم يذكر ابن عساكر أن حنشا لقب له وان اسمه حسين بل اقتصر على اسمه حنش والله الصواب لا ما قاله ابن وضاح والله تعالى أعلم وفي تاريخ ابن الفرضي أبي الوليد أن حنشا كان بسرقسطة وانه الذي أسس جامعها وبهامات وقبره بها معروف عند باب اليهود بغربي المدينة وفي تاريخ ابن بشكوال انه أخذ أيضا قبلة جامع البيرة وعدل وزن قبلة جامع قرطبة الذي هو فخر الاندلس *(ومن التابعين الداخلين للاندلس أبو عبد الله علي بن رباح اللخمي) ذكر ابن يونس في تاريخ مصر انه ولد سنة خمس عشرة عام اليرموك وكان أعور ذهبت عينه يوم ذات السواري في البحر مع عبد الله بن سعيد سنة أربع وثلاثين وكان يفد اليمانية من أهل مصر على عبد الملك بن مروان وكانت له من عبد العزيز بن مروان منزلة وهو الذي زف أم البنين بنت عبد العزيز الى الوليد بن عبد الملك ثم عنت عليه عبد العزيز فاغزاه أفريقية فلم يزل بافريقية الى أن توفي بها ويقال كانت وفاته سنة أربع عشرة ومائة قال ابن بشكوال أهل مصر يقولون علي بن رباح بفتح العين وأما أهل العراق فعلي بضم العين وقد سبق هذا الكلام عن ابن معين في الباب الثاني وقال ابنه موسى بن علي من قال لي موسى بن علي بالتصغير لم أجعله في حل (ومن التابعين الداخلين أبو عبد الرحمن عبد الله بن يزيد المعافري الجيلي) قال ابن بشكوال انه يروى عن أبي أيوب الانصاري وعبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهم وغيرهم وروى عنه جماعة وذكر البخاري في تاريخه الكبير انه يعد في المصريين وذكر ابن يونس في تاريخ المغرب انه توفي بافريقية سنة مائة وكان رجلا صالحا فاضلا رحمه الله تعالى ويذكر أهل قرطبة انه توفي بقرطبة وانه دفن بقبليها وقبره مشهور يتبرك به والله تعالى أعلم بحقيقة الامر في ذلك (ومن الداخلين من التابعين حيان بن ابي جبلة) ذكر ابن بشكوال انه مولى قريش ويكنى ابا الضرو ذكره ابو العرب محمد بن تميم في تاريخ افريقية وقال حدثني فرات بن محمد أن عمر بن عبد العزيز ارسل عشرة من التابعين يفقهون اهل أفريقية منهم حيان بن ابي جبلة روى عن عمرو بن العاص وعبد الله بن عباس وابن عمر رضي الله تعالى عنهم ويقال توفي بافريقية سنة اثنتين وعشرين ومائة وقيل سنة خمس وعشرين ومائة وذكر ابن الفرضي انه غزا مع موسى بن نصير حين افتتح الاندلس حتى انتهى الى حصن من حصونها يقال له قرقشونة فتوفي به قال وقال لنا ابو محمد الثغري بين قرقشونة وبرشلونة مسافة خمسة وعشرين ميلا وفيها الكنيسة المعظمة عندهم المسماة شنت مرية ذكر أن فيها سبع سواري فضة خالصة لم ير الراؤن مثلها لا يحزم الانسان بذراعيه واحدة منها مع طول مفرط هكذا نقله ابن سعيد عمن ذكر والله تعالى أعلم *(ومن الداخلين من التابعين فيما ذكر المغيرة بن أبي بردة شبيط بن كنانة العذري) روى عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ويروى عنه مالك في موطئه وذكره البخاري في تاريخه الكبير وفي

من أهل البحث والتنقير الى ان القيافة اسم مشتق من القفو وهو معنى استدلالي واصل ذلك ان الاشكال انفصلت في صورة أنسابها باشياء تخص الانواع بالتشكيل وخواص وجدت لسببه ضربت الفواصل اضرابها في وحيدات الاشخاص وكان التناسل على وساعه وقدر من الغير لما توجبه الطبيعة من اتفاق كل شئ في حوزته وصرفه الى وجهه كما خصت الطبيعة كل نوع من الجنس بفصل اباته من أغياره وفرقت بينه وبين اشكاله فلذلك أيضا خصت اوحاد الاشخاص المنفصلة في الهيئة وتغير الغير من اغياره ولذلك لا تكاد فنون الصور تتراءى في المرائي لغير من أغياره وكذلك لا تكاد وان ضمها النوع وشملها المادة فالتآلف يقارب بين الهيآت فيحكم للاقرب صورة لان تشبيه النسل أقرب من تشبيه النوع وكذلك تشبيه الشخص الى النوع أقرب منه الى الجنس لان النوع والشخص قد ضمهما حد ان مشتركان وانما ضمه ضرب من ضروب البحث

والجنس حد واحد فهو أصل القيافة عند الطائفة وهو ضرب من ضروب البحث والحاق النظير في

كتاب الحافظ ابن بشكوال انه دخل الاندلس مع موسى بن نصير فكان موسى بن نصير يخرجه على العساكر *(ومن التابعين حيوة بن رجاء التميمي) ذكر ابن حبيب انه دخل الاندلس مع موسى بن نصير وأصحابه وانه من جملة التابعين رضي الله تعالى عنهم قاله ابن بشكوال في مجموعه المترجم بالتنبيه والتعيين لمن دخل الاندلس من التابعين قال ابن الابار وقد سمعته من أبي الخطاب بن واجب وسمعه هو منه انتهى وقال ابن الابار في موضع آخر ما صورته رجاء بن حيوة مذكور في الذين دخلوا الاندلس من التابعين وفي ذلك عندي نظر وما أراه يصح والله تعالى أعلم انتهى فانظر هذا فانه سماه رجاء بن حيوة وذلك السابق حيوة بن رجاء فالله سبحانه أعلم بحقيقة الامر في ذلك *(ومنهم عياض بن عقبة الفهري) من خيار التابعين ذكره ابن حبيب في الاربعة الذين حضروا غنائم الاندلس ولم يغلوا *(ومنهم عبد الله بن سماسة الفهري) ذكر ابن بشكوال انه مضري وأن البخاري ذكره في تاريخه (ومنهم عبد الجبار بن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري) جده عبد الرحمن أحد العشرة رضي الله تعالى عنهم وهو ممن ذكره ابن بشكوال في الاربعة من التابعين الذين لم يغلوا *(ومنهم منصور بن حزامة فيما يذكر) قال ابن بشكوال قرأت في كتاب روايات الشيخ أبي عبد الله ابن عائذ الراوية رحمه الله تعالى قال وممن دخل الاندلس من المعمرين فاوجدت بخط المستنصر بالله الحكم بن عبد الرحمن الناصر رضي الله تعالى عنه في بعض كتبه المختزنة انه قال طرأ علينا رجل أسود من ناحية السودان في سنة تسع وعشرين وثلثمائة فذكر انه منصور بن حزامة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يزعم انه أدرك أيام عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه وانه كان مراهقا وكان مع عائشة رضي الله تعالى عنها يوم الجمل وانه شهد صفين وأن حزامة أعتقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج عن الاندلس في سنة ثلاثين وثلثمائة الى المغرب انتهى قلت هذا كله لا أصل له ويرحم الله تعالى حافظ الاسلام ابن حجر حيث كتب على هذا الكلام ما صورته هذا هذيان لا أصل له ولا يغتر به وكذلك ترجمة أشيخ العرب اتفق الحفاظ على كذبه انتهى قلت وما هو الا من غط عكراش والله تعالى يحفظنا من سماع الاباطيل بمنه ومن هذه الاكاذيب ما يذكرون عن أبي الحسن علي بن عثمان بن خطاب وانه يعرف بابي الدنيا وانه كان معمرا مشهورا بصحبة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وانه رأى جماعة من كبار الصحابة رضي الله تعالى عنهم ووصفهم بصفاتهم وانه رأى عائشة رضي الله تعالى عنها فيما زعم وقدم قرطبة على المستنصر الحكم بن الناصر وهو ولي عهد وساله أبو بكر ابن القوطية عن مغازي علي وكتبها عنه وقد ذكره ابن بشكوال وغيره في كتبهم وتواريخهم فقد ذكر الثقات العارفون بالفن انه كذاب دجال ماش جاهل فاياك والاغترار بمثل ذلك مما يوجد في كتب كثير من المؤرخين بالمشرق والاندلس ولا يلتفت الى قول تميم بن محمد التميمي انه كان اذ لقيه ابن ثلثمائة سنة وخمس سنين قال تميم واتصلت بناوفاته ببلده في نحو سنة عشرين وثلثمائة وبالجملة فلا أصل له وانما ذكرناه للتنبيه عليه وقد عرفت بما ذكرناه التابعين الداخلين الاندلس على أن التحقيق انهم لم يبلغوا ذلك العدد وانما هم نحو خمسة أو أربعة كما ألمعنا به في غير هذا الموضع والله تعالى أعلم (ومن الداخلين الى الاندلس مغيث

الاغلب بنظيره من حيث تساويهما من حيث ذكرنا في قضية العقل وهو القياس بعينه وليس هذا الاستدلال من كلام أحد من فقهاء القائسين ولا غيرهم من المسلمين وانما هذا انتزعناه من كلام طائفة من الفلاسفة المتقدمين فيجب أن يكون نظر القائف على قول هذه الطائفة الى القدم لانها نهاية الشكل وغاية الهيئة والولد لو خالف صورة أبيه في كنه أفعاله وباينه في سائر شكله في الاغلب لوافقه في القدم لان التسل لابد له من تخصيص قوته بشيء يميزه من غيره يشبه من سواه ولذلك وجدوا الطول في ازدشنواة وكذلك صار الجفاة الاجسام والغلظ في الروم وأصحاب الجمال في الاكثر من أهل الشام وأوباش مصر واللؤم في الخزر وأهل حران من بلاد ديار بكر والشح بفارس واللؤم على الطعام باصفهان وصار تفرطح الرجلين وفلطس الانوف في السودان والطرب في الزنج خاصة وهذا الذي وصفنا عند هذه الطائفة من أسرار الطبيعة وخواص تأثير الاشخاص العلوية والاجسام السماوية وقد تقصينا هذا الشأن على كماله في كتبنا في الاسرار الطبيعية العلوية والغرائب النفسية في كتبنا في الصور السبعة في أنواع السياسات المدنية على من

فاتح قرطبة) وقد تقدم بعض الكلام عليه وذكر ابن حيان والحجاري انه رومي زاد الحجاري وليس برومي على الحقيقة وتصحيح نسبه انه مغيث بن الحرث بن الحويرث بن جبلة بن الايهم الغساني سبي من الروم بالمشرق وهو صغير فاديه عبد الملك بن مروان مع ولده الوليد وأنجب في الولادة وصار منه بنو مغيث الذين نجبوا في قرطبة وسادوا وعظم بيتهم وتفرعت دوحتهم وكان منهم عبد الرحمن بن مغيث حاجب عبد الرحمن بن معاوية صاحب الاندلس وغيره ونشأ مغيث بدمشق ودخل الاندلس مع طارق فاتحها وجاز على مافي طريقها من البلاد الى الشام وقدمه طارق لفتح قرطبة ففتحها ووقع بينه وبين طارق ثم وقع بينه وبين موسى ابن نصير سيد طارق فرحل معهما الى دمشق ثم عاد ظافرا عليهما الى الاندلس وانسل بقرطبة البيت المذكور وفي المسهب انه فتح قرطبة في شوال سنة ٩٢ ثم فتح الكنيسة التي تحصن بها ملك قرطبة بعد حصار ثلاثة أشهر في محرم سنة ٩٣ ولم يذكر له مولدا ولا وفاة وذكر الحجاري انه نادب بدمشق مع بني عبد الملك فافصح بالعربية وصار يقول من الشعر والنثر ما يجوز كتبه وتدرب على الركوب وأخذ نفسه بالاقدام في مضايق الحروب حتى تخرج في ذلك تخرجا أهله للتقدم على الجيش الذي فتح قرطبة وكان مشهورا بحسن الرأي والكيد وقد قدمنا كيفية فتحه قرطبة وأسره ملكها الذي لم يؤسر من ملوك الاندلس غيره لان منهم من عقد على نفسه أمانا ومنهم من فر الى جليقية وذكر الحجاري انه لما حصل بيده ملك قرطبة وحريمه رأى فيهن جارية كانها بينهن بدر بين نجوم وهي تكثر التعرض له بحجابها فوكل بها من عرض عليها العذاب ان لم تقر بما عزمت عليه في شان مغيث وانه فد فطن من كثرة تعرضها له بحسنها لما أضمرته من المكر في شانه فاصرت انها أكثرت التعرض لتقع بقلبه اذ حسنها فتان وقد أعدت له خرقة مسمومة لتمسح بها ذكره عند وقاعها فحمد الله تعالى على ما ألهمه اليه من مكرها وقال لو كانت نفس هذه الجارية في صدر أبيها ما أخذت قرطبة من ليلة وذكر أن سليمان بن عبد الملك لما أصغى الى طارق في شان سيده موسى بن نصير فعذبه واستصفى أمواله أراد أن يصرف سلطان الاندلس الى طارق وكان مغيث قد تغير عليه فاستشار سليمان مغيثا في تولية طارق وقال له كيف أمره بالاندلس فقال لو أمر أهلها بالصلاة الى أي قبلة شاءها لتبعوه ولم يروا أنهم كفروا فعملت هذه المكيدة في نفس سليمان وبداله في ولايته فالقيه بعد ذلك طارق فقال له لتلك وصفت أهل الاندلس بعصياني ولم تضمر في الطاعة ما أضمرت فقال مغيث ليتك تركت لي العلج فتركت لك الاندلس وكان طارق قد أراد أن يأخذ منه ملك قرطبة الذي حصل في يده فلم يمكنه منه فاغرى به سيده موسى ابن نصير وقال له يرجع الى دمشق وفي يده عظيم من عظماء الاندلس وليس في أيدينا مثله فاي فضل يكون لنا عليه فطلبه منه فامتنع من تسليمه قال ابن حيان فهجم موسى على العلج وانتزعه من مغيث فقيل له ان سرت به معك حيا ادعاه مغيث والعلج لا يترك ولكن اضرب عنقه ففعل فاضغنها عليه مغيث وبالغ في اذايته عند سليمان وذكر الحجاري في المسهب ان لمغيث من الشعر ما يجوز كتبه فمن ذلك شعر خاطب به موسى بن نصير ومولاه طارقا ويكفي منه هنا قوله

ستة أنفس كانوا نورا بلا أجساد شيث بن آدم وزرادشت والمسيح ويونس واثنان لا يمكن ذكرهما وان النور والظلمة قديمان وانهما لا يزالان الا غير ممتزجين وان الاشياء لا تعمل الا في جوهرها ثم امتزجا من تلقاء انفسهما من غير داخل عليهما ولا مكره أكرههما وهذا الخلاف من الكلام والفاسد من المقال وأعجب من هذا القول قول زرادشت نبي المجوس ان القديم تعالى ذكره طالت وحدته فطالت فكرته فلما أن طالت فكرته واشتدت وحشته توالد الهم منه وهو الشيطان من تلك الوحشة التي ولدتها تلك الفكرة ونتجتها الوحدة وان الله عز وجل لو كان قادرا على افناء الهم منه لما ضرب له أجلا ولا أجل له أمرا يغوي عباده ويفسد بلاده وهذا هو المحال بعينه والتناقض بنفسه وعجب آخر من الآراء من قول بولص ان المسيح عليه السلام هو الذي أرسله وان المسيح انسان والله لانه اله صار انسانا وانسان صار الها وقد اتينا على جل من متناقضات أهل الآراء في اثناء ما تقدم كتبنا وانما تشعب بنا الكلام الى هذا النوع وتغلغل بنا القول الى هذا المعنى لانه من جنس ما كنا فيه لكن عند ذكرنا ما عناه كتاب الاسترجاع والابانة عن غرض فيه فلنرجع الآن الى ما كنا فيه من هذا الكتاب (وحدث) المنقري عن العتبي

To: www.al-mostafa.com

قال وقف عبيد الراعي ذات يوم مع ركب من ثقيف على نفر وكانوا يريدون استقصاء رجل من تميم اذ سمعت ظباء سود

أعنتكم ولكن ما وفيتم * فسوف أعيت في غرب وشرق

وعنوان طبقته في النثر أن موسى بن نصير قال له وقد عارضه بكلام في محفل من الناس كف لسانك فقال لساني كالمفصل من أكمه الاحيث يقتل وأضافه ابن حيان والحجاري الى ولاء الوليد بن عبد الملك وهو الذي وجهه الى الاندلس غازيا ففتح قرطبة ثم عاد الى المشرق فاعاده الوليد رسولا عنه الى موسى بن نصير يستحثه على القدوم عليه فوفد معه فوجدوا الوليد قد مات فقدم بعده سليمان بن عبد الملك * (ومن الداخلين أبو أيوب بن حبيب اللخمي) ذكر ابن حيان انه ابن أخت موسى بن نصير وأن أهل أشبيلية قدموه على سلطان الاندلس بعد قتل عبد العزيز بن موسى واتفقوا في أيامه على تحويل السلطان من اشبيلية الى قرطبة فدخل اليها بهم وكان قيامه بامرهم ستة أشهر وقيل ان الذي نقل السلطنة من اشبيلية الى قرطبة الحر بن عبد الرحمن الثقفي قال الرازي قدم الحر والياعلى الاندلس في ذي الحجة سنة سبع وتسعين ومعه أربعمائة رجل من وجوه افريقية فهم أول طوالع الاندلس المعدودين وقال ابن بشكوال كانت مدة الحر سنتين وثمانية أشهر وكانت ولايته بعد قيام أبي أيوب بن حبيب اللخمي (ومن الداخلين السمح بن مالك الخولاني) ولي الاندلس بعد الحر بن عبد الرحمن السابق قال ابن حيان ولاه عمر بن عبد العزيز وأوصاه أن يخمس من أرض الاندلس ما كان عنوة ويكتب اليه بصفتها وأنهارها وبحارها قال وكان من رأيه أن ينقل المسلمين عنها لانقطاعهم وبعدهم عن أهل كلمتهم قالوا وليت الله تعالى أبقاه حتى يفعل فان مصيرهم مع الكفار الى بوار الا أن يستنقذهم الله تعالى برحمته وذكر ابن حيان أن قدوم السمح كان في رمضان سنة مائة وانه الذي بنى قنطرة قرطبة بعد ما استاذن عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى وكانت دار سلطانه قرطبة قال ابن بشكوال استشهد بارض الفرنجة يوم التروية سنة اثنتين ومائة قال ابن حيان كانت ولايته سنتين وثمانية أشهر وذكر انه قتل في الوقعة المشهورة عند أهل الاندلس بوقعة البلاط وكانت جنود الافرنجة قد تكاثرت عليه فاحاطت بالمسلمين فلم ينج من المسلمين أحد قال ابن حيان فيقال ان الاذان يسمع بذلك الموضع الى الآن * وقدم أهل الاندلس على أنفسهم بعده عبد الرحمن ابن عبد الله الغافقي وذكر ابن بشكوال انه من التابعين الذين دخلوا الاندلس وانه يروي عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال وكانت ولايته للاندلس في حدود العشرومائة من قبل عبيدة بن عبد الرحمن القيسي صاحب أفريقية واستشهد في قتال العدو بالاندلس سنة خمس عشرة انتهى وفيه مخالفة لما سبق انه ولي بعد السمح وأن السمح قتل سنة ١٠٢ وهذا يقول تولى سنة ١١٠ فاين ذا من ذاك والله تعالى أعلم ووصفه الحميدي بحسن السيرة والعدل في قسمة الغنائم وذكر الحجاري انه ولي الاندلس مرتين وربما يجاب بهذا عن الاشكال الذي قدمناه قريبا ويضعفه أن ابن حيان قال دخل الاندلس حين وليها الولاية الثانية من قبل ابن الحبحاب في صفر سنة ثلاث عشرة ومائة وغزا الافرنج فكانت له فيهم وقائع جمة الى أن استشهد وأصيب عسكره في شهر رمضان سنة ١١٤ في موضع يعرف ببلاط الشهداء قال ابن بشكوال وتعرف غزوته هذه بغزوة البلاط وقد تقدم

من نكرة ثم اعترضت الركب
مقصرة في حضرها واقفة
على شانها فانكر ذلك
عبيد الراعي ولم ينتبه له
أصحابه فقال عبيد
لم تدر ما قال الظباء السوانح
أطلقن أمام الركب والركب رائح
فكبر من لم يعرف الزجر منهم
وأيقن قلبي أنهن نوائح
ثم شارفوا مقصدهم
فالفوا الرئيس قد نهشته
افعى فاتت عليه قال ابو
عبيدة معمر بن المثنى وهذا
من غريب الزجر وذلك أن
السانح مرجو عند العرب
والبارح هو المخوف وأظن
عبيدا انما زجر الظباء في
حالة رجوعها ووصف
الحال الاول في شعره كما
أن من شرط الواصف أن
يبدأ بهوادي الاسباب
فيوضح منها فهذا وجه
زجر عبيد الراعي في شعره
(ويقال) ان الكهانة
لليمن والزجر لبني اسد
والقيافة لبني مدلج واحياء
مضر بن نزار بن معد لما
كان من فعل بني نزار
الاربعة في مسيرهم نحو
الافعى الجرهمي ووصفهم
الجمل الشارد على ما ذكرنا
وذلك منهم قيافة فمن
هنالك تفرقت القيافة من احياء مضر على حسب ما تغلغل في العروق ونزع واهل العروق

مثل هذا في غزوة السمح فكانت ولايته سنة وثمانية أشهر وفي رواية سنتين وثمانية اشهر وقيل غير ذلك وكان سرير سلطانه حضرة قرطبة * وولي الاندلس بعده عنبسة بن سحيم الكلبي وذكر ابن حيان انه قدم على الاندلس واليا من قبل يزيد بن ابي مسلم كاتب الحجاج حين كان صاحب أفريقية وكان قدومه الاندلس في صفر سنة ١٠٣ فتأخر بقدومه عبد الرحمن المتقدم الذكر قال ابن بشكوال فاستقامت به الاندلس وضبط أمرها وغزا بنفسه الى أرض الافرنجة وتوفي في شعبان سنة ١٠٧ فكانت ولايته أربعة أعوام وأربعة أشهر وقيل ثمانية اشهر وذكر ابن حيان انه في أيامه قام بجليقية علج خبيث يدعى بلاي فحاب على العلوج طول الفرار واذكى قرائحهم حتى سمابهم الى طلب الثار ودافع عن ارضه ومن وقته اخذ نصارى الاندلس في مدافعة المسلمين عما بقي بايديهم من ارضهم والحماية عن حريمهم وقد كانوا لا يطمعون في ذلك وقيل انه لم يبق بارض جليقية قرية فما فوقها لم تفتح الا الصخرة التي لاذ بها هذا العلج ومات أصحابه جوعا الى أن بقي في مقدار ثلاثين رجلا ونحو عشر نسوة ومالهم عيش الا من عسل النحل في جباح معهم في خروق الصخرة ومازالوا ممتنعين بوعرها الى أن أعيا المسلمين أمرهم واحتقروهم وقالوا ثلاثون علجا ما عسى أن يجيء منهم فبلغ أمرهم بعد ذلك في القوة والكثرة والاستيلاء ما لا خفاء به * وملك بعده أذفونش جد عظماء الملوك المشهورين بهذه السمة قال ابن سعيد فآل احتقار تلك الصخرة ومن احتوت عليه الى ان ملك عقب من كان فيها المدن العظيمة حتى ان حضرة قرطبة في يدهم الآن جبرها الله تعالى وهي كانت سرير السلطنة لعنبسة اه * قال ابن حيان والجاري انه لما استشهد عنبسة قدم اهل الاندلس عليهم عزرة بن عبد الله الفهري ولم يعده ابن بشكوال في سلاطين الاندلس قال ثم تتابعت ولاة الاندلس مرسلين من قبل صاحب أفريقية اولهم يحيى بن سلمة وذكر الجاري ان عزرة كان من صلحائهم وفرسانهم وصار لعقبه نباهة وولده هشام بن عزرة هو الذي استولى على طليطلة قصبة الاندلس وفي عقبه بوادي آش من مملكة غرناطة نباهة وادب قال ابن سعيد وهم الى الآن ذوو بيت موصل ومجد مؤثل وكان سرير سلطنة عزرة قرطبة * وولي بعده يحيى بن سلمة الكلبي قال ابن بشكوال أنفذه الى الاندلس بشر بن صفوان الكلبي والي افريقية اذ استدعى منه اهلها واليا بعد مقتل أميرهم عنبسة فقدمها في شوال سنة سبع ومائة واقام عليها سنة وستة اشهر ولم يغز فيها بنفسه غزوة ونحوه لابن حيان وكان سريره قرطبة * وتولى بعده عثمان بن أبي نسعة الخثعمي وذكر ابن بشكوال انه قدم عليها واليا من قبل عبيدة بن عبد الرحمن السلمي صاحب أفريقية في شعبان سنة عشر ومائة ثم عزل سريعا بعد خمسة أشهر وكان سرير سلطانه بقرطبة وولي بعده حذيفة بن الاحوص القيسي قال ابن بشكوال وأتى اليها واليا من قبل عبيدة المذكور على اختلاف فيه وفي ابن أبي نسعة أيهما تولى قبل صاحبه وكان قدوم حذيفة في ربيع الاول سنة عشر ومائة وعزل عنها سريعا أيضا وقيل ان ولايته استمت سنة وكان بقرطبة * وولي بعده الاندلس الهيثم بن عدي الكلابي قال ابن بشكوال ولاه عبيدة المذكور فوالى الاندلس في المحرم سنة احدى عشرة ومائة وقيل انه ولي

من تمر نخلهم فيغيب عنهم السنين ولم يروه ولا شاهدوه فان رأوه بعد مدة علموا أنه الآخذ لتمرهم ولا يكادون يخطؤن وهذا من فعلهم مشهور ولا يكاد تخفى عليهم أقدام أي الناس هم (ورأيت) بهذه الارض اناسا قد رتبهم ولاة المنازل يطوفون في هذا الرمل يعرفون بالقصاص يقصون آثار الناس وغيرهم فيخبرون ولاة المنازل أي الناس هم ممن طرق البلاد وهم لم يروهم بل رأوا آثار أقدامهم وهذا معنى لطيف وحس دقيق (وقد قفت) القافة بقريش حين خرج النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الى الغار حتى أتت باب الغار على حجر صلد وصخر صم وجبال لا رمل عليها ولا طين ولا تراب يتبين عليه الاقدام فخبهم الله تعالى عن نبيه صلى الله عليه وسلم بما كان من نسج العنكبوت وما سفت عليه الرياح وما لحق القائف من الحيرة وقوله الى ههنا انتهت الاقدام ومعه الجماعة من قريش لا يرون على الصلد ما يرى على الصوان وما يشاهد

 وأبصارهم سليمة والآفات عنها مرتفعة والموانع زائلة ولولا أن هنالك لطيفة لا يتساوى

الناس فى علمها ولا يتقنون
الجبال والقفار والدهاس
أزجر واعرف (وقد ذهب)
قوم من أهل الشريعة
من فقهاء الامصار وغيرهم
ممن سلف الى الحكم
بالقيافة استدلالا على
شرف القيافة وعظم
خطرها وكبر محلها
وتحقيق فضلها لتعجب
النبى صلى الله عليه وسلم
منها وتصديقه عمرزا
المدلجى وقد أنكر جماعة
من فقهاء الامصار ممن
سلف وخلف الحكم بالقيافة
والدليل على فساد الحكم
بها الحاق النبى صلى الله
عليه وسلم الولد بابيه حين
شك فيه لعدم التشابه
فقال يارسول الله ان
امرأتى وضعت غلاما وانه
لأسود فقال النبى صلى الله
عليه وسلم مقربا الى فهمه
وقصد امنه لفساد علته
التى قصدها وشك فهل
لك من ابل قال نعم قال فما
ألوانها قال حمر قال فهل فيها
أورق قال نعم قال النبى
صلى الله عليه وسلم فمن
أين ذلك ٣ لعل عرقا نزع
وقوله صلى الله عليه وسلم
فى قصة شريك بن سحماء
ان جاءت به على النعت
المكروه فهو للذى رميت
به فلما جاءت به على النعت
المكروه وجد التشابه بينه وبين من رميت به فقال النبى صلى الله عليه وسلم لولا حكم الله لكان لى ولها

سنتين وأياما وقد قيل أربعة أشهر وكان بقرطبة * وولى بعده محمد بن عبد الله الاشجعى
قال ابن بشكوال قدمه الناس عليهم وكان فاضلا فصلى بهم شهرين * قال ثم قدم عليهم واليا
عبد الرحمن بن عبد الله الغافقى الذى تقدمت ترجمته وذكرت ولايته الاولى للاندلس وليها
من قبل عبيد الله بن الحجاب صاحب أفريقية الى أن استشهد كما تقدم * وولى الاندلس
بعده عبد الملك بن قطن الفهرى وذكر الحجارى أن من نسله بنى القاسم أصحاب البونت وبنى
الجد أعيان اشبيلية قال ابن بشكوال قدم الاندلس فى شهر رمضان سنة أربع عشرة
ومائة فكانت مدة ولايته عامين وقيل أربع سنين ثم عزل عنها ذميما
سنة ست عشرة ومائة قال وكان ظلوما فى سيرته جائرا فى حكومته وغزا أرض البشكنس
فاوقع بهم وذكر ابن بشكوال انه لما عزل وولى عقبة بن الحجاج ونسب ابن قطن وصلب فى ذى القعدة سنة
لا أدرى أقتله أم أخرجه وملك الاندلس بقية احدى وعشرين ومائة الى أن رحل بلج بن بشر
باهل الشام الى الاندلس فغلبه عليها وقتل عبد الملك بن قطن وصلب بحمراء ربض قرطبة بعد وقعة
ثلاث وعشرين ومائة بعد ولاية بلج بعشرة أشهر وصلب بعجراء ربض قرطبة بعد وقعة سنة
حيال راس القنطرة وصلبوا عن يمينه خنزيرا وعن يساره كلبا وأقاموا شلوه على جذعه الى أن
سرقه مواليه بالليل وغيبوه فكان المكان بعد ذلك يعرف بمصلب ابن قطن فلما ولى ابن
عمه يوسف بن عبد الرحمن الفهرى استأذنه ابنه أمية بن عبد الملك وبنى فيه مسجدا نسب اليه
فقيل مسجد أمية وانقطع عنه اسم المصلب وكان سن عبد الملك عند مقتله نحو التسعين
وذكر ابن بشكوال أن عقبة بن الحجاج السلولى ولاه عبيد الله بن الحجاب صاحب افريقية
الاندلس ودخلها سنة سبع عشرة ومائة وقيل فى السنة التى قبلها فاقام بها سنين محمودة
السيرة مثابرا على الجهاد ممتنعا للبلاد حتى بلغ سكنى المسلمين أربونة وصار رباطهم على نهر
ردونة فاقام عقبة بالاندلس سنة احدى وعشرين ومائة وكان اذا أسر الاسير لم يقتله حتى يعرض
الاعلى مدينة يقال لها أربونة كان ينزلها للجهاد وكان قد اتخذ باقصى ثغر الاندلس
عليه الاسلام ويبرأ له عيوب دينه فاسلم على يده ألف رجل وكانت ولايته خمس سنين وشهرين
قال الرازى فثار أهل الاندلس بعقبة فخلعوه فى صفر سنة ثلاث وعشرين فى خلافة هشام بن
عبد الملك وولوا على انفسهم عبد الملك بن قطن وهى ولايته الثانية فكانت ولاية عقبة
الاندلس سنة أعوام وأربعة أشهر وتوفى فى صفر سنة ١٢٣ وسيره قرطبة (ومن
الداخلين الى الاندلس بلج بن بشر بن عياض القشيرى) قال ابن حيان لما انتهى الى الخليفة
هشام بن عبد الملك ما كان من أمر خوارج البربر بالمغرب الاقصى والاندلس وخلعهم
لطاعته وعيثهم فى الارض شق عليه فعزل عبيد الله بن الحجاب عن أفريقية وولى عليها
كلثوم بن عياض القشيرى ووجه معه جيشا كثيفا لقتالهم كان فيه مع ما انضاف اليه من
جيوش البلاد التى صار عليها سبعون الفا ومع ذلك فانه لما تلاقى مع ميسرة البربرى المدعى
للخلافة هزمه ميسرة وجرح كلثوم ولاذ بسبتة وكان بلج ابن أخيه معه فقامت قيامة هشام
لما سمع بما جرى عليه فوجه لهم حنظلة بن صفوان فاوقع بالبربر وفتح الله تعالى على يديه ولما
اشتد حصار بلج وعمه كلثوم ومن معهما من قبل أهل الشام بسبتة وانقطعت عنهم الاقوات
وبلغوا

وبلغوا من الجهد الى الغاية استغاثوا باخوانهم من عرب الاندلس فتثاقل عنهم صاحب الاندلس عبد الملك بن قطن لخوفه على سلطانه منهم فلما شاع خبر ضرهم عند رجال العرب أشفقوا عليهم فاغاثهم زياد بن عمرو اللخمي بمركبين مشحونين ميرة أمسكا من أرماقهم فلما بلغ ذلك عبد الملك بن قطن ضربه بسبعمائة سوط ثم اتهمه بعد ذلك بتغريب الجند عليه فسمل عينيه ثم ضرب عنقه وصلب عن يساره كلبا واتفق في هذا الوقت أن برابر الاندلس لما بلغهم ما كان من ظهور برابر العدوة على العرب انتقضوا على عرب الاندلس واقتدوا بما فعله اخوانهم ونصبوا عليهم اماما فكثر ايقاعهم بجيوش ابن قطن واستفحل أمرهم فخاف ابن قطن أن يأتي منهم ما لقي العرب ببر العدوة من اخوانهم و بلغه انهم قد عزموا على قصده فلم ير أجدى من الاستعداد بصعاليك عرب الشام أصحاب بلج الموتورين فكتب لبلج وقدمات عمه كلثوم في ذلك الوقت فأسرعوا الى اجابته وكانت أمنيتهم فاحسن اليهم وأسبغ النعم عليهم وشرط عليهم أن يأخذ منهم رهائن فاذا فرغوا له من البربر هزمهم الى افريقية وخرجوا له عن أندلسه فرضوا بذلك وعاهدوه عليه فقدم عليهم وعلى جنده ابنيه قطنا وأمية والبربر في جموع لا يحصيها غير رازقها فاقتتلوا قتالا صعب فيه المقام الى أن كانت الدائرة على البربر فقتلتهم العرب بأقطار الاندلس حتى ألحقوا فلهم بالثغور وخفوا عن العيون فكر الشاميون وقد امتلأت أيديهم من الغنائم فاشتدت شوكتهم وثابت همتهم وبطروا ونسوا العهود وطالبهم ابن قطن بالخروج عن الاندلس الى أفريقية فتعللوا عليه وذكروا ضيعه بهم أيام انحصارهم في سبتة وقتله الرجل الذي أغاثهم بالميرة فخلعوه وقدموا على أنفسهم أميرهم بلج بن بشر وتبعه جند ابن قطن وحملوا عليه في قتل ابن قطن فابى فثارت اليمانية وقالوا قد حميت لمضرك والله لا نطيعك فلما خاف تفرق الكلمة أمر ابن قطن فاخرج اليهم وهو شيخ كبير كفرخ نعامة قد حضر وقعة الحرة مع أهل اليمامة فجعلوا يسبونه و يقولون له أفلت من سيوفنا يوم الحرة ثم طالبتنا بتلك الترة فعرضتنا لا كل الكلاب والجلود وحبستنا بسبتة محبس الضنك حتى أمتنا جوعا فقتلوه وصلبوه كما تقدم وكان أمية وقطن ابناه عند ما خلع قد هربا وحشد الطلب الثاروا واجتمع عليهما العرب الاقدمون والبربر وصار معهم عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري كبير الجند وكان في أصحاب بلج فلما صنع بابن عمه عبد الملك ما صنع فارقه فانحاز فيمن يطلب ثاره وانضم اليهم عبد الرحمن ابن علقمة اللخمي صاحب أربونة وكان فارس الاندلس في وقته فاقبلوا نحو بلج في مائة ألف أو يزيدون و بلج قد استعد لهم في مقدار اثني عشر ألفا سوى عبيده له كثيرة واتباع من البلديين فاقتتلوا وصبر أهل الشام صبرا لم يصبر مثله أحد قط وقال عبد الرحمن بن علقمة اللخمي أروني بلجا فوالله لاقتلنه أولا موتن دونه فأشاروا اليه نحوه فحمل باهل الثغر جملة انفرج لها الشاميون والراية في يده فضربه عبد الرحمن ضربتين مات منهما بعد ذلك بايام قلائل ثم ان البلديين انهزموا بعد ذلك هزيمة قبيحة واتبعهم الشاميون يقتلون و يأسرون فكان عسكرا منصورا مقتولا أميره وكان هلاك بلج في شوال سنة أربع وعشرين ومائة وكانت مدته أحد عشر شهرا وسيره قرطبة والعرب الشاميون الداخلون معه الى

وقضى بوجود الفراش وثبوت النص على فساد الحكم بالتشابه (وهذا) قصدنا فيه هذا الكلام واذ كرنا هذا الفصل لذكر الحكم بضده من القيافة وهذا باب يطول فيه الخطب ويكثر في معانيه الشرح لغموضه ولطفه وقد ذكرنا وجه الكلام في ذلك وما ذهبت اليه كل فرقة من الناس ممن سلف وخلف في كتابنا المترجم بكتاب الرؤس السبعة في الاحاطة بسياسة العالم واسراره وهو كتاب مشهور مستوعب

(ذكر الكهانة وما قيل في ذلك وما اتصل بهذا الباب مما يراه الناس وحد النفس الناطقة)

تنازع الناس في الكهانة فذهبت طائفة من حكماء اليونانيين والروم الى التكهن وكانوا يدعون العلوم من الغيوب فادعى صنف منهم أن نفوسهم قد صفت فهي مطلعة على أسرار الطبيعة وعلى ما تريد أن يكون منها لان صور الاشياء عندهم في النفس الكلية وصنف منهم ادعى أن الارواح المنفردة وهي الجن تخبرهم بالاشياء قبل كونها وأن أرواحهم كانت قد صفت حتى صارت لتلك الارواح من الجن متفقة (وذهب) قوم من النصارى أن السيد المسيح انما

كان يعلم الغائبات من الامور ويخبر عن الاشياء قبل كونها لانها كانت فيه نفس عالمة بالغيب ولو كانت ذلك النفس في غيره من أشخاص الناطقين لكان يعلم الغيب ولا أمة خلت الا كان فيها كهانة ولم يكن الاوائل من الفلاسفة اليونانية يدفعون الكهانات وشهر فيهم أن فيثاغورس كان يعلم علوما من الغيب وضروبا من الوحي لصفاء نفسه وتجردها من أدران هذا العالم والصابئة تذهب الى أن ازرياسيس وأوايس وأويس الثاني وهما هرمس وأغاثيمون كانوا يعلمون الغيب ولذلك كانوا أنبياء عند الصابئة ومنعوا أن تكون الجن أخبرت من ذكرنا بشيء من ضروب الغيب لكن صفت نفوسهم حتى اطلعوا على ما استتر عن غيرهم من جنسهم (وطائفة) ذهبت الى أن التكهن سبب نفساني لطيف يتولد من صفاء مزاج الطباع وقوة النفس ولطافة الحس (وذكر) كثير من الناس أن الكهانة تكون من قبل شيطان يكون مع الكاهن يخبره بما غاب عنه وأن الشياطين كانت تسترق السمع وتلقيه على ألسنة الكهان فيؤدون الى الناس الاخبار بحسب ما يرد اليهم وقد أخبر الله عز وجل بذلك في كتابه فقال وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا

الاندلس يعرفون عند أهل الاندلس بالشاميين والذين كانوا في الاندلس قبل دخوله يشهرون بالبلديين * ولما هلك بلج تقدم الشاميون عليهم بالاندلس ثعلبة بن سلامة العاملي وقد كان عندهم عهد الخليفة هشام بذلك فسار فيهم بأحسن سيرة ثم ان أهل الاندلس الاقدمين من العرب والبربر هموا بعد الوقعة لطلب الثار فآل أمره معهم الى أن حصروه بمدينة ماردة وهم لا يشكون في الظفر الى ان حضر عيد تشاغلوا به فابصر ثعلبة منهم غرة وانتشارا وأشرا بكثرة العدد والاستيلاء فخرج عليهم في صبيحة عيدهم وهم ذاهلون فهزمهم هزيمة قبيحة وأفشى فيهم القتل وأسر منهم ألف رجل وسبى ذريتهم وعيالهم وأقبل الى قرطبة من سبيهم بعشرة آلاف أو يزيدون حتى نزل بظاهر قرطبة يوم خميس وهو يريد أن يحمل الاسارى على السيف بعد صلاة الجمعة وأصبح الناس منتظرين لقتل الاسارى فاذا بهم قد طلع عليهم لواء فيه موكب فنظروا فاذا أبو الخطار قد أقبل واليا على الاندلس وهو أبو الخطار حسام بن ضرار الكلبي وذكر ابن حيان انه قدم واليا من قبل حنظلة بن صفوان صاحب افريقية والخليفة حينئذ الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان وذلك في رجب سنة خمس وعشرين ومائة بعد عشرة أشهر وليها ثعلبة بن سلامة قال وكان مع فروسيته شاعرا محسنا وكان في أول ولايته قد أظهر العدل فدانت له الاندلس الى أن مالت به العصبية اليمانية على المضرية فهاج الفتنة العمياء وكان سبب هذه الفتنة أن أبا الخطار بلغ به التعصب لليمانية أن اختصم عنده رجل من قومه مع خصم له من كنانة كان أبلج حجة من ابن عم أبي الخطار فمال أبو الخطار مع ابن عمه فاقبل الكناني الى الصميل بن حاتم الكلابي أحد سادات مضر فشكا له حيف أبي الخطار وكان أبيا للضيم حاميا للعشيرة فدخل على أبي الخطار وأمض عتابه فنجهه أبو الخطار وأغلظ له فرد الصميل عليه فامر به أبو الخطار فاقيم ودفع قفاه حتى مالت عمامته فلما خرج قال له بعض من على الباب أبا جوشن ما بال عمامتك مائلة فقال ان كان لي قوم فسيقيمونها وأقبل الى داره فاجتمع اليه قومه حين بلغهم ذلك متعضبين فباتوا عنده فلما أظلم الليل قال ما رأيكم فيما حدث على فانه منوط بكم فقالوا أخبرنا بما تريد فان رأينا تبع رأيك فقال أريد والله اخراج هذا الاعرابي من هذا السلطان على ما خيلت وأنا خارج لذلك عن قرطبة فانه ما يمكنني ما أريد الا بالخروج فالى أين ترون أقصد فقالوا اذهب حيث شئت ولا تأت أبا عطاء القيسي فانه لا يوالي على أمر ينفعك وكان أبو عطاء هذا سيدا مطاعا يسكن باستجة وكان مشاحنا للصميل مساميا له في القدر فسكت عند ذكره أبو بكر بن الطفيل العبدي وكان من اشرافهم الا انه كان حدث السن فقال له الصميل ألا تتكلم فقال أتكلم بواحدة ما عندي غيرها قال وما هي قال ان عدوت اتيان أبي عطاء وشئت أمرك به لم يتم أمرنا وهلكنا وان أنت قصدته لم ينظر في شيء مما سلف بيننا وحركته الحمية لذلك فاجابه الى ما تريد فقال له الصميل أصبت الرأي وخرج من ليلته وقام أبو عطاء في نصرته على ما قدره العبدي وعمد الى ثوابة بن يزيد الجذامي أحد أشراف اليمن وساداتهم وكان سامكنا بمورور وقد استفد اليه أبو الخطار فاجابهما في القيام والتقدم على المضرية فاجتمعوا في شدونة وآل الامر الى أن هزموا أبا الخطار على وادي لكة وحصل اسيرا في أيديهم فارادوا

قتله

شديد اوشبهها الى آخر القصة وقوله تعالى يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا

قتله ثم أرجؤه وأوثقوه وأقبلوا به الى قرطبة وذلك فى رجب سنة ١٢٧ بعد ولاية أبى الخطار بسنتين ولما سجن أبو الخطار فى قرطبة امتعض له عبد الرحمن بن حسان الكلبى فاقبل الى قرطبة ليلا فى ثلاثين فارسا معهم طائفة من الرجالة فهجموا على الحبس وأخرجوه منه ومضوا به الى غرب الاندلس فعاد فى طلب سلطانه ودب فى يمانيته حتى اجتمع له عسكر أقبل بهم الى قرطبة فخرج اليه ثوابة ومعه الصميل فقام رجل من المضرية ليلا فصاح باعلى صوته يا ممشر اليمن مالكم تتعرضون الى الحرب وتردون المنايا عن أبى الخطار أليس قد قدرنا عليه لو أردنا قتله لفعلنا لكننا منا وعفونا وجعلنا الامير منكم أفلا تفكرون فى أمركم فلو أن الامير من غيركم عذرتم ولا والله لا نقول هذا رهبة منكم ولا خوفا لحربكم ولكن تحرجا من الدماء ورغبة فى عاقبة العامة فتسامع الناس به وقالوا صدق فتداعوا للرحيل ليلا فاصبحوا الاعلى أميال قال الرازى وركب أبو الخطار البحر من ناحية تونس فى المحرم سنة ١٢٥ وفى كتاب ابى الوليد بن الفرضى كان أبو الخطار أعرابيا عصبيا أفرط فى التعصب لليمانيين وتحامل على مضر وأسخط قيسا فثار به زعيمهم الصميل فخلعه ونصب مكانه ثوابة وهاج بين الفريقين الحروب المشهورة وخلع أبو الخطار بعد أربع سنين وتسعة أشهر وذلك سنة ١٢٨ وآل أمره الى أن قتله الصميل وولى الاندلس ثوابة بن سلامة الجذامى قال ابن بشكوال لما اتفقوا عليه خاطبوا بذلك عبد الرحمن بن حبيب صاحب القيروان فكتب اليه بعهد الاندلس وذلك سلخ رجب سنة ١٢٧ فضبط البلد وقام بامره كله الصميل واجتمع عليه أهل الاندلس واقام والى السنة أو نحوها ثم هلك وفى كتاب ابن الفرضى انه ولى سنتين ثم ولى الاندلس يوسف بن عبد الرحمن بن حبيب بن أبى عبيدة بن عقبة بن نافع الفهرى وجده عقبة بن نافع صاحب افريقية وبانى القيروان المجاب الدعوة صاحب الغزوات والآثار الحميدة ولهذا البيت فى السلطنة بافريقية والاندلس نباهة وذكر الرازى أن مولده بالقيروان ودخل أبوه الاندلس من افريقية مع حبيب بن أبى عبيدة الفهرى عند افتتاحهم ثم عاد الى افريقية وهرب عنه ابنه يوسف هذا من افريقية الى الاندلس مغاضبا له فهوى الاندلس واستوطنها فسادبها قال الرازى كان يوسف يوم ولى الاندلس ابن سبع وخمسين سنة وأقامه أهل الاندلس بعد أميرهم ثوابة وقد مكثوا بغير وال أربعة أشهر فاجتمعوا عليه باشارة الصميل من أجل انه قرشى رضى به الحيان فرفعوا الحرب ومالوا الى الطاعة فدانت له الاندلس تسع سنين وتسعة أشهر وقال ابن حيان قدمه أهل الاندلس فى ربيع الآخر سنة ١٢٩ واستبد بالاندلس دون ولاية أحد له غير من بالاندلس وحكى ابن حيان أنه أنشد قول حرقة بنت النعمان بن المنذر يوم خلعه بالامان من سلطانه ودخوله عسكر عبد الرحمن الداخل المروانى

فبينا نسوس الناس والامر أمرنا ✻ اذا نحن فيهم سوقة نتنصف

قال ابن حيان لما سمع أبو الخطار بتقديمه حرك يمانيته فاجابوا دعوته فادى ذلك الى وقعة شقندة بين اليمانية والمضرية فيقال انه لم يكن بالمشرق ولا بالمغرب حرب أصدق منها جلادا ولا أصبر رجالا طال صبر بعضهم على بعض الى أن فنى السلاح وتجاذبوا بالشعور وتلاطموا

وقوله تعالى وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم الآية والشياطين والجن لا تعلم الغيب وانما ذلك لاستراقها السمع مما يسمع من الملائكة بظاهر قوله عز وجل فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين (وطائفة) ذهبت الى أن وجه سبب الكهانة من الوحى الفلكى وأن ذلك فى المولد عند ثبوت عطارد على شرفه وأما ما عداه من الكواكب المدبرات من النيرين والخمسة اذا كانت فى عقد متساوية وارباع متكافئة ومناظرة متوازية وجب لصاحب المولد التكهن والاخبار بالكائنات قبل حدوثها لاشراق هذه الاشراف الكوكبية (ومن هؤلاء) من أوجب كون ذلك فى القرانات الكبار (وذهب) كثير من تقدم وتاخر أن علة ذلك علل نفسانية وأن النفس اذا قويت وزادت قهرت الطبيعة وأبانت للانسان كل سر لطيف وخبرته بكل معنى شريف وغاصت بلطافتها فى اقتناص المعانى اللطيفة البديعة فاقتنصته

وأبرزتها عن الكمال وكشفت هذه الطائفة وجه اعتلالها فيما ذكرنا فانهم قالوا رأينا الانسان ينسب الى قسمين

فوجب أن يكون العلم للنفس والنفوس طبقات منها الصافي وهي النفس الحسية والنفس البراعية والنفس المخيلة ومنها ما قوته في الانسان أزيد منه فلما كانت النسبة النورية للانسان الى النفس كانت تهدي الانسان الى استخراج الغيب وعلم الآلة وكانت فطنته وظنونه أبعث وأعم فاذا كانت النفس في غاية البروز ونهاية الخلوص وكانت تامة النور وكاملة الشعاع كان توجهها في دراية الغائب بحسب ما عليه نفوس الكهنة وبهذا وجد الكهان على هذه السبيل من نقصان الاجسام وتشويه الخلق كما اتصل بنا عن شق وسطيح وسلمة وزوبعة وسديف بن هرماس وطريفة الكاهنة وعمران أخي عمرو مزيقيا وخارثة بنت جهينة وكاهنة باهلة واشباههم من الكهان (وأما العراف) وهو دون الكاهن فمثل الابلق الاسدي والاجلح الزهري وعروة بن زيد الازدي ورباح بن كحلة عراف اليمامة الذي قال فيه عروة

جعلت لعراف اليمامة حكمه * وعراف نجد ان هما شفياني وكمنده صاحب المستنير وكان في نهاية التقدم ومولاي

بالايدي وكل بعضهم عن بعض وثابت للصميل غرة في اليمانية في بعض الايام فامر بتحريك أهل الصناعات باسواق قرطبة فخرجوا في نحو أربعمائة رجل من أنجادهم بما حضرهم من السكاكين والعصي ليس فيهم حامل رمح ولا سيف الا قليلا فرماهم على اليمانية وهم على غفلة وما فيهم من يبسط يدا لقتال ولا ينهض لدفاع فانهزمت اليمانية ووضعت المضرية السيف فيهم فابادوا منهم خلقا واختفى أبو الخطار تحت سرير رحى فقبض عليه وجيء به الى الصميل فضرب عنقه وقد ذكرنا خبر انخلاع يوسف عن سلطانه في ترجمة عبد الرحمن الداخل وهو آخر سلاطين الاندلس الذين ولوها من غير موارثة حتى جاءت الدولة المراونية وذكر ابن حيان أن القائم بدولة يوسف والمستولي عليها الصميل بن حاتم بن شمر بن ذي الجوشن الكلابي وجده شمر هو قاتل الحسين رضي الله تعالى عنه وكان شمر قد فر من المختار بولده من الكوفة الى الشام فلما خرج كلثوم بن عياض للغرب كان الصميل فيمن خرج معه ودخل الاندلس في طالعة بلج وكان شجاعا جوادا جسورا على قلب الدول فبلغ ما بلغ وآل أمره الى أن قتله عبد الرحمن الداخل المرواني في سجن قرطبة مخنوقا وذكر ابن حيان انه كان ممن ثار على يوسف الفهري عبد الرحمن بن علقمة اللخمي فارس الاندلس ووالي ثغر أربونة وكان ذا باس شديد ووجاهة عظيمة فبينما هو في تدبير غزو يوسف اذ اغتاله أصحابه وأقبلوا برأسه اليه ثم ثار عليه بعد ذلك بمدينة باجة عروة بن الوليد في أهل الذمة وغيرهم فملك اشبيلية وكثر جمعه الى أن خرج له يوسف فقتله وثار عليه بالجزيرة الخضراء عامر العبدري فخرج له وأنزله على أمان وسكنى قرطبة ثم ضرب عنقه بعد ذلك وقيل ان أول من خرج على يوسف عمرو بن يزيد الازرق في اشبيلية فظفر به فقتله وثار عليه في كورة سرقسطة الحباب الزهري الى أن ظفر به يوسف فقتله ثم جاءته الداهية العظمى بدخول عبد الرحمن ابن معاوية المرواني الى الاندلس وسعيه في افساد سلطانه فتم له ما أراده والله تعالى أعلم

*(ومن الداخلين من المشرق الى الاندلس ملكها عبد الرحمن بن معاوية ابن أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك بن مروان المعروف بالداخل) وذلك انه لما أصاب دولتهم ما أصاب واستولى بنو العباس على ما كان بايديهم واستقر قدمهم في الخلافة فر عبد الرحمن الى الاندلس فنال بها ملكا أورثه عقبه حقبة من الدهر قال ابن حيان في المقتبس انه لما وقع الاختلال في دولة بني أمية والطلب عليهم فر عبد الرحمن ولم يزل في فراره منتقلا باهله وولده الى أن حل بقرية على الفرات ذات شجر وغياض يريد المغرب لما حصل في خاطره من بشرى مسلمة فحدث عنه انه قال اني لجالس يوما في تلك القرية في ظلمة بيت توارى فيه لرمد كان بي وابني سليمان بكر ولدي يلعب قدامي وهو يومئذ ابن أربع سنين أو نحوها اذ دخل الصبي من باب البيت فازعابا كيا فاهوى الى جمري فجعلت أدفعه لما كان بي وبأبي الا التعلق وهو دهش يقول ما يقوله الصبيان عند الفزع ففرجت لانظر فاذا بالروع قد نزل بالقرية ونظرت فاذا بالرايات السود عليها مغطة وأخ لي حدث السن كان معي يشتد هاربا ويقول لي النجاء يا أخي فهذه رايات المسودة فضربت بيدي على دنانير تناولتها ونجوت بنفسي والصبي أخي معي واعلمت أخواتي بمتوجهي ومكان مقتصدي وأمرتهن أن يلحقنني

ومولاى بدر معهن وخرجت فكمنت فى موضع ناء عن القرية فما كان الا ساعة حتى أقبلت الخيل فاحاطت بالدار فلم تجد اثرا ومضيت ولحقنى بدر فاتيت رحلا من معارفى بشط الفرات فامرته أن يبتاع لى دواب وما يصلح لسفرى فدل على عبد سوء له العامل فغار علينا الاجلبة الخيل تحفزنا فاشتددنا فى الهرب فسبقناها الى الفرات فرمينا فيه بانفسنا والخيل تنادينا من الشط ارجعا لا باس علينا فسبحت خائنا لنفسى وكنت أحسن السبح وسبح الغلام أخى فلما قطعنا نصف الفرات قصر أخى ودهش فالتفت اليه لاقوّى من قلبه واذا هو قد اصغى اليهم وهم يخدعونه عن نفسه فنادبته تقتل يا أخى الى فلم يسمعنى واذا هو قد اغتر بامانهم وخشى الغرق فاستعجل الانقلاب نحوهم وقطعت انا الفرات وبعضهم قدهم بالنجرد للسباحة فى اثرى فاستكفه اصحابه عن ذلك فتركونى ثم قدموا الصبى اخى الذى صار اليهم بالامان فضربوا عنقه ومضوا براسه وانا انظر اليه وهو ابن ثلاث عشرة سنة فاحتملت فيه ثكلا ملأنى مخافة ومضيت الى وجهى احسب أى طائر واناسا ع على قدمى فلجأت الى غيضة آشبة فتواريت فيها حتى انقطع الطلب ثم خرجت هاربا أؤم المغرب حتى وصلت الى افريقية قال ابن حيان وسار حتى اتى افريقية وقد الحقت به اخته شقيقته ام الاصبغ مولاه بدرا ومولاه سالما ومعهما دنانير للنفقة وقطعة من جوهر فنزل بافريقية وقد سبقه اليها جماعة من فل بنى أمية وكان عندوانيها عبد الرحمن بن حبيب الفهرى يهودى حدثانى صحب مسلمة بن عبد الملك وكان يتكهن له ويخبره بتغلب القرشى المروانى الذى هو من ابناء ملوك القوم واسمه عبد الرحمن وهو ذو ضفيرتين يملك الاندلس ويورثها عقبه فاتخذ الفهرى عند ذلك ضفيرتين ارسلهما رجاء ان تناله الرواية فلما جاء عبد الرحمن ونظر الى ضفيرتيه قال لليهودى ويحك هذا هو وانا قاتله فقال له اليهودى انك ان قتلته فما هو به وان غلبت على تركه انه لهو وتقل فل بنى امية على ابن حبيب صاحب افريقية فطرد كثيرا منهم مخافة وتجنى على ابنين للوليد بن يزيد كانا قد استجار به فقتلهما واخذ مالا كان مع اسمعيل بن ابان بن عبد العزيز بن مروان وغلبه على اخته فتزوجها بكرهه وطلب عبد الرحمن فاستخفى انتهى وذكر ابن عبد الحكم ان عبد الرحمن الداخل اقام ببرقة مستخفيا خمس سنين وآل امره فى سفره الى ان استجار ببنى رستم ملوك تيهرت من المغرب الاوسط وتقلب فى قبائل البربر الى ان استقر على البحر عند قوم من زناتة واخذ فى تجهيز بدر مولاه الى العبور للاندلس لموالى بنى امية وشيعتهم بها وكانت الموالى المروانية المدوّنة بالاندلس فى ذلك الاوان ما بين الار بعمائة والخمسمائة ولهم جمرة وكانت رياستهم الى شخصين ابى عثمان عبيد الله بن عثمان وعبد الله بن خالد وهما من موالى عثمان رضى الله تعالى عنه وكانا يتوليان لواء بنى امية يعتقبان حمله ورياسة جند الشام النازلين بكورة البيرة فعبر بدر مولى عبد الرحمن الى ابى عثمان بكتاب عبد الرحمن يذكره فيه ايادى سلفه من بنى امية وسببه بهم ويعرفه مكانه من السلطان وسعيه لنيله اذ كان الامر تجدده هشام فهو حقيق بوراثته ويساله القيام بشانه وملاقاة من يثق به من الموالى الاموية وغيرهم ويتلطف فى ادخاله الى الاندلس ليبلى عذرا فى الظهور عليها ويعده باعلاء الدرجة ولطف المنزلة ويامره

فى العرب على الاكثر وفى غيرهم على وجه الندرة لانه شئ يتولد على صفاء المزاج الطبيعى وقوة مادة نور النفس واذا انت اعتبرت أوطانها رأيتها متعلقة بعفة النفس وقمع شرها بكثرة الوحدة وادمان التفرد وشدة الوحشة من الناس وقلة الانس بهم وذلك أن النفس اذا هى تفردت فكرت واذا هى فكرت بعدت واذا بعدت هطل عليها سحب العلم النفسى فنظرت بالعين النورية ولحظت بالنور الثاقب ومضت على الشريعة المستوية فاخبرت عن الاشياء على ماهى به وعليه وربما فويت النفس فى الانسان فاشرفت على دراية الغائبات قبل ورودها وكان كبراء اليونانيين ينعتون هذه الطائفة بالروحانية ويقولون ان النفس اذا هى أدت وكانت أكبر جزء فى الانسان تهذبت الى استخراج البدائع والاخبار المستقبلات واستدلوا على ذلك أن الانسان اذا قوى فكره وزادت مواد نفسه وخاطره فكر فى الطارئ قبل وروده بعلم صورته وكيف وروده الى ما على تصوره وهكذا النفس أيضا اذا تهذبت

انت الرؤيا فى النوم صادقة وفى الزمان موجودة وقد تنازع الناس فى الرؤيا والسبب الموقع لها وماهيتها وكيفية وقوعها فقال بعض

ان يستعين في ذلك بمن يأمنه ويرجو قيامه معه ويأخذ فيه مع اليمانية ذوي الحنق على المضرية لما بين الحيين من التراث فشى ابو عثمان لما دعاه اليه وباثه فيه طماعية وكان عند ورود بدر قد تجهز الى ثغر سرقسطة لنصرة صاحبها الصميل بن حاتم وجه دولة يوسف بن عبد الرحمن صاحب الاندلس فقال لصهره عبد الله بن خالد المذكور لو كنا ذاكرنا الصميل خبر بدر وما جاء به لنختبر ما عنده في موافقتنا وكانا على ثقة في أنه لا يظهر على سرهما أحدا لمروءته وأنفته فقال له ان نحن فعلنا لم نأمن من أن تدركه الغيرة على سلطان يوسف لما هو عليه من شرف القدر وجلالة المنزلة فيتوقع سقوط رياسته فلا يساعدنا قال أبو عثمان فنسمح اذا على أمره وقد ذكر له انه قصد لارادة الابواء والامان وطلب أخماس جده هشام لديننا لنتعيش بها لا يريد غير ذلك فاتفقا على هذا فلما دعا الصميل خلوا به في ذلك وقد ظهر لهما منه حقد على صاحبه يوسف في ابطائه عن امداده لما حاربه الحباب الزهري بكورة سرقسطة فقال لهما أنا معكما فيما تحبان فاكتبا اليه أن يعبر فاذا حضر سألنا يوسف أن ينزله في جواره وأن يحسن له ويزوجه بابنته فان فعل والا ضربنا صلعته باسيافنا وصرفنا الامر عنه اليه فشكراه وقبلا يده ثم ودعاه وأقام بطليطلة وقد ولاه يوسف عليها وعزله عن الثغر وانصرفا الى وطنهما بالبيرة وقد كانا لقيا من كان معهما في العسكر من وجوه الناس وثقاتهم فطار حاهم أمر ابن معاوية ثم دسا في الكور الى ثقاتهما بمثل ذلك فدب أمره فيهم دبيب النار في الجمر وكانت سنة خلاف بالاندلس بعد خروج من الجماعة التي دامت بالناس وفي رواية ان الصميل لان لهما في أن يطلب الامر عبد الرحمن الداخل لنفسه ثم دبر ذلك لما انصرفا فتراجع فيه فردهما وقال اني رويت في الامر الذي أردته معكما فوجدت الفتى الذي دعوتماني اليه من قوم لو بال أحدهم بهذه الجزيرة غرقنا نحن وانتم في بوله وهذا رجل تتحكم عليه ونميل على جوانبه ولا يسعنا بدل منه ووالله لو بلغتما بيوتكما ثم بدا لي فيما فارقتكما عليه لرأيت أن لا أقصر حتى ألقاكما لئلا اغركما من نفسي فاني أعلمكما أن أول سيف يسل عليه سيفي فبارك الله لكما في رأيكما فقالا له ما نرى رأيا الا رأيك ولا مذهب لنا عنك ثم انصرفا عنه على أن يعينهما في أمره ان طلب غير السلطان وانفصلا عنه الى البيرة عازمين على التصميم في أمره ويثنيا من مضر وربيعة ورجعا الى اليمانية وأخذا في تهييج أحقاد اهل اليمن على مضر فوجداهم قوما قد وغرت صدورهم عليهم يتمنون شيا يجدون به السبيل الى ادراك ثارهم واغتنما بعد يوسف صاحب الاندلس في الثغر وغيبة الصميل فابتاعا حركا ووجها فيه احد عشر رجلا منهم مع بدر الرسول وفيهم تمام بن علقمة وغيره وكان عبد الرحمن قد وجه خاتمه الى موالية فكتبوا تحت ختمه الى من يرجونه في طلب الامر فبثوا من ذلك في الجهات ما دب به أمرهم ولما وجه أبو عثمان المركب المذكور مع شيعته ألقوه بشط مغيلة من بلاد البربر وهو يصلي وكان قد اشتد قلقهم وانتظاره لبدر رسوله فبشره بدر بتمكن الامر وخرج اليه تمام مكثر التبشير فقال له عبد الرحمن ما اسمك قال تمام قال وما كنيتك قال أبو غالب فقال الله أكبر الآن تم أمرنا وغلبنا بحول الله تعالى وقوته وأدنى منزلة أبي غالب ملك ولم يزل حاجبه حتى مات عبد الرحمن وبادر عبد الرحمن بالدخول الى المركب فلما هم بذلك أقبل البربر قد مرضوا دونه ففرقت فيهم من

معروف بالعين قائم الصفة يحدث النفس على معان تعبرها وتفرق بينها فتشتغل به عن استعمال الظاهر والباطن الذي أعني الحواس عن الادراك الى الحواس أعني الروح لاشتغال الروح عن استعمالها واذا وجب بطلانها سمي نوما عرضيا لانه ليس النوم الكلي الذي يعم الاطفال والبهائم والشيوخ الذين خرجوا من مواقع ومخالقة السحر وكذلك نوم الليل على ما وصفنا والوجه الآخر وهو النوم الكلي الذي يعم الاطفال والبهائم والطبقات الحيوانية ذوات الفكر وغيرها وهي طبيعة توجبها الخلقة في وقت ضرورة كما يوجب الجوع في وقته ضرورة لان الجوع عند صناعة أهل الطب علة وهي الموجبة تحديد الكبد من الفراغ والاغذية ومنهم من رأى أن النفس تدرك صورة الاشياء على ضربين أحدهما حس والآخر فكر فالصورة المحسوسة لا تدرك الا في هيئتها فاذا تخلص علمها عندنا كان ادراكها مفردا من لبعها فيكون فكر الانسان الميتم مانعا للحس حتى نام فعدمت النفس الحواس كلها كانت تلك الصورة التي أخذتها من أعيان الاشياء فيها فاتته

كانها محسوسة لان الحس بها فى أعيانها كان قبيل استيلائها بالفكر ضعيفا

مال كان مع تمام صلات على أقدارهم حتى لم يبق أحد حتى أرضاه فلما صار عبد الرحمن بداخل المركب أقبل عات منهم لم يكن أخذ شيأ فتعلق بحبل المودج يعقل المركب فحول رجل اسمه شاكر يده بالسيف فقطع يد البربرى وأعانتهم الريح على التوجه بمركبهم حتى حلوا بساحل البيرة فى جهة المنكب وذلك فى ربيع الآخر سنة ١٣٨ فاقبل اليه تقياه أبو عثمان وصهره أبو خالد فنقلاه الى قرية طرش منزل أبى عثمان فجاءه يوسف بن بخت واتثالت عليه الامويه وجاءه جدران بن عمرو المذحجى من أهل مالقة فكان بعد ذلك قاضيه فى العساكر وجاءه أبو عبدة حسان بن مالك الكلبى من اشبيلية فاستوزره واتثال عليه الناس اتثالا فقوى أمره مع الساعات فصلا عن الايام وأمده الله تعالى بقوة عالية فكان دخوله قرطبة بعد ذلك بسبعة أشهر وكان خبر دخوله للاندلس قد صادف صاحبها يوسف الفهرى بالثغر وقد قبض على الحباب الزهرى التاثر بسرقسطة وعلى عامر العبدرى التاثر معه فبينما هو بوادى لرمل بمقربة من طليطلة وقد ضرب عنق عامر العبدرى وابن عامر برأى الصميل ادجاءه قبل ن يدخل رواقه رسول يركض من عند ولده عبد الرحمن بن يوسف من قرطبة يعلمه بأمر بد الرحمن ونزوله بساحل جند دمشق واجتماع الموالى المروانية اليه وتشوف الناس لامره انتشر الخبر فى العسكر لوقته وشمت الناس بيوسف لقتله القرشيين عامرا وابنه وختره بعهدهما سارع عدد كثير الى البدار لعبد الرحمن الداخل وتنادوا بشعارهم وقوضوا عن عسكره واتفق أن جادت السماء بوابل لا عهد بمثله لما شاء الله تعالى من التضييق على يوسف فاصبح وليس فى عسكره سوى غلمانه وخاصته وقوم الصميل قيس وأتباعه فاقبل الى طليطلة وقال للصميل ما الرأى فقال بادره الساعة قبل أن يغلظ أمره فانى لست آمن عليك هؤلاء اليمانية لحنة بهم علينا فقال له يوسف أتقول ذلك ومع من نسير اليه وانت ترى الناس قد ذهبوا عنا وقد أنضينا من المال وأنضينا الظهر ونهكتنا المجاعة فى سفرتنا هذه ولكن نسير الى قرطبة فنستانف الاستعداد له بعد أن ننظر فى أمره ويتبين لنا خبره فلعله دون ما كتب الينا فقال الصميل الرأى ما أشرت به عليك وليس غيره وسوف تتبين غلطك فيما تنكبه ومضوا الى قرطبة وسار عبد الرحمن الداخل الى اشبيلية وتلقاه رئيس عربها أبو الصباح بن يحيى اليحصبى واجتمع الرأى على ان يقصد وابه دار الامارة قرطبة فلما نزلوا بطشانة قالوا كيف نسير بأمير لا لواء له ولا علم نهتدى اليه فجاؤا بقناة وعمامة ليعقدوها عليه فكرهوا أن يميلوا القناة لتعقد تطيرا فاقاموها بين زيتونتين متجاورتين فصعد رجل فرع أحداهما فعقد اللواء والقناة قائمة كما سياتى وحكى ان فرقدا العالم صاحب الحديث مر بذلك الموضع فنظر الى الزيتونتين فقال سيعقد بين هاتين الزيتونتين لواء لامير لا يثور عليه لواء الا كسره فكان ذلك اللواء يسعد به هو وولده من بعده ولما اقبل الى قرطبة خرج له يوسف وكانت المجاعة توالت قبل ذلك ست سنين فاورثت اهل الاندلس ضعفا ولم يكن عيش عامة الناس بالعسكر ما عدا أهل الطاقة مذ خرجوا من اشبيلية الا الفول الاخضر الذى يجدونه فى طريقهم وكان الزمان زمان ربيع فسمى ذلك العام عام الخلف وكان نهر قرطبة حائلا فسار يوسف من قرطبة واقبل ابن معاوية على براشبيلية والنهر بينهما فلما رأى يوسف تصميم

فلما ارتفع الحس قوى الفكر فصار يصور الاشياء كانها محسوسة فخطر على بال النائم منها ما يخطر على باله اذا كان يقظان للشئ الذى قد كان أشبه وليس لذلك نظام وانما هو ما اتفق فلذلك يرى الانسان كانه يطير وليس بطائر وانما صورة الطيران مفردة كما تعلمها اذا غابت ولكن فكرته فيها تقوى حتى كانها معاينة له فاما ما يراه من الاشياء التى تدل على ما يريد فانما ذلك لان النفس عالمة بالصور فاذا خلصت فى المنام من شوائب الاجسام أشرفت على ما ينالها وهى عالمة أيضا فى حال اليقظة لا يمكنها معرفة ذلك فتتخيل خيالات تدل بها على تلك الاشياء التى تريد أن تكون حتى اذا تذكرت تلك الخيالات وتلك الاشياء فمن كانت نفسه صافية لم تكدر رؤياه تكذب كثيرا ثم ما بين الكدرة والصافية وسائط على حسب مراتبها من الصفاء والكدر يكون صدق ما تخيلته وكذبه (وقال فريق آخر) اذا بطل استعمال النفس للحواس ظاهر الم يبطل استعمالها فى نفسها ولم

٩ ط ني يبطل استعمال قواها فتنتقل فى الاماكن وتشاهد الاشخاص بالقوة الروحانية التى

عبد الرحمن الى قرطبة رجع مع النهر محاذيا له فتسايروا النهر حاجز بينهما الى ان حل يوسف بحمراء الصاورة غربى قرطبة وعبد الرحمن فى مقابلته وتراسلا فى الصلح وقدام يوسف بذبح الجزور وتقدم بعمل الاطعمة وابن معاوية اخذ فى خلاف ذلك قد اعد للحرب عدتها واستكمل اهبتها وسهر الليل كله على نظام امره كما سنذكره ثم انهزم اهل قرطبة وظفر عبد الرحمن الداخل ونصر نصرا لا كفاء له وانهزم الصميل وفر الى شوذر من كورة جيان وفر يوسف الى جهة ماردة وذكر أن أبا الصباح رئيس اليمانية قال لهم عند هزيمة يوسف يا معشر يمن هل لكم الى فقيين فى يوم قد فرغنا من يوسف وصميل فلنقتل هذا الفتى المقدامة بن معاوية فيصير الامر لنا نقدم رجلا منا ونحل عنه المضرية فلم يجبه أحد لذلك وبلغ الخبر عبد الرحمن فاسرها فى نفسه الى أن اغتاله بعد عام فقتله ولما انقضت الهزيمة أقام ابن معاوية بظاهر قرطبة ثلاثة أيام حتى أخرج عيال يوسف من القصر وعف وأحسن السيرة ولما حصل بدار الامارة وحل محل يوسف لم يستقر به قرار من افلات يوسف والصميل فخرج فى اثر عدوه واستخلف على قرطبة القائم بامره أبا عثمان واستكتب كاتب يوسف أمية بن زياد واستنام اليه اذ كان من موالى بنى أمية ونهض فى طلب يوسف فوقع يوسف على خبره فخالفه الى قرطبة ودخل القصر وتحصن أبو عثمان خليفة عبد الرحمن بصومعة الجامع فاستنزله بالامان ولم يزل عنده الى أن عقد الصلح بينه وبين ابن معاوية وكان عقد الصلح المشتمل عليه وعلى وزيره الصميل فى صفر سنة ١٣٩ وشارطه على ان يخلى بينه وبين اموالا حيثما كانت وان يسكن بلاط الحر منزلة بشرقى قرطبة على ان يختلف كل يوم الى ابن معاوية ويريه وجهه واعطاه رهينة على ذلك ابنه ابا الاسود محمد بن يوسف زيادة على ابنه عبد الرحمن الذى اسره ابن معاوية يوم الوقعة ورجع العسكران وقد اختلطا الى قرطبة وذكر ابن حيان أن يوسف بن عبد الرحمن نكث سنة ١٤١ فهرب من قرطبة وسعى بالفساد فى الارض وقد كانت الحال اضطربت به فى قرطبة ودس له قوم قاموا عليه فى املاكه زعموا انه غصبهم اياها فدفع معهم الى الحكام فاعنتوه وحمل عنه فى التألم بذلك كلام رفع الى ابن معاوية أصاب أعداء يوسف به السبيل الى السعاية به والتخويف منه فاشتد توحشه فخرج الى جهة ماردة واجتمع اليه عشرون ألفا من أهل الشتات فغلظ أمره وحدثته نفسه بلقاء ابن معاوية فخرج نحوه من ماردة وخرج ابن معاوية من قرطبة فبينما ابن معاوية فى حصن المدور مستعدا اذ التقى بيوسف عبد الملك بن عمر بن مروان صاحب اشبيلية فكانت بينهما حرب شديدة انكشف عنها يوسف بعد بلاء عظيم منهزما واستحر القتل فى أصحابه فهلك منهم خلق كثير وسار يوسف لناحية طليطلة فلقيه فى قرية من قراها عبد الله بن عمر والانصارى فلما عرفه قال لمن معه هذا الفهرى يفر قد ضاقت عليه الارض وقتله الراحة له والراحة منه فقتله واحتز رأسه وقدم به الى عبد الرحمن فلما قرب وأذن عبد الرحمن به أمره أن يتوقف به دون جسر قرطبة وأمر بقتل ولده عبد الرحمن المحبوس عنده وضم الى رأسه ووضعا على قناتين مشهرين الى باب القصر وكان عبد الرحمن لما فر يوسف قد سجن وزيره الصميل لانه قال له أين توجه فقال لا اعلم فقال ما كان ليخرج حتى يعلمك ومع ذلك فان ولدك معهوا كد عليه فى ان يحضره فقال لوانه تحت قدمى هذه ما رفعتها لك

ليست بجسم لا بالقوة وملامسة الاشياء اما باتصال كاتصال اللون واما بانفصال الجسم من الاماكن والروح تدرك المتصل والمنفصل جميعا الا بمشاركة الجسد الذى يوجب الحاجة الى قرب المدرك (ومنهم) من رأى أن النوم هو اجتماع الدم وجريانه الى الكبد (ومنهم) من رأى أن ذلك هو سكون النفس وهدوء الروح (ومنهم) من زعم أن ما يجده الانسان فى نومه من الخواطر انما هو عمل الاغذية والاطعمة والطبائع (ومنهم) من رأى أن بعض الرؤيا من الملك وبعضها من الشيطان واعتل هؤلاء بقوله تعالى انما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا (ومنهم) من رأى أنها جزء من احدى وستين جزأ من النبوة وتنازع هؤلاء فى كيفية الجزء وماهيته (ومنهم) من ذهب الى أن الانسان الحساس هو غير هذا الجسم وانه يخرج عن البدن فى حال النوم فيشاهد العالم ويرى الملكوت على حسب صفائه واعتل هؤلاء وغيرهم ممن ذهب الى نحو هذا المعنى بقوله عز وجل الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها الى قوله الى أجل مسمى (وذهب)

عنه فاصنع ماشئت فعند ذلك امر به للحبس وسجن معه ولدى يوسف ابا الاسود محمدا المعروف بعبد الاعمى وعبد الرحمن فتهيأ لهما الهرب من نقب فاما انتهوا الاسود فنجا سالما واضطرب فى الارض يبغى الفساد الى أن هلك حتف انفه واما عبد الرحمن فاثقله اللحم فانبهر فرد الى الحبس حتى قتل كما تقدم وانف الصميل من الهرب فاقام بمكانه فلما قتل يوسف ادخل ابن معاوية على الصميل من خنقه فاصبح ميتا فدخل عليه مشيخة المضرية فى السجن فوجدوه ميتا وبين يديه كاس ونقل كانه بغت على شرابه فقالوا والله انا لنعلم يا اباجوشن انك ماشربتها ولكن سقيتها ومما ظهر من بطش الامير عبد الرحمن بن معاوية وصرامته فتكه باحد دعائم دولته ورئيس اليمانية ابى الصباح بن يحيى وكان قد ولاه اشبيلية وفى نفسه منه ما وجب فتكه به ومن ذلك النوع حكايته مع العلاء بن مغيث اليحصبى اذ ثار بباجة وكان قد وصل من افريقية على ان يظهر الرايات السود بالاندلس فدخل فى ناس قليلين فارسى بناحية باجة ودعا اهلها ومن حولهم فاستجاب له خلق كثير الى ان لقيه عبد الرحمن بجهة اشبيلية فهزمه وجى به وباعلام اصحابه فقطع يديه ورجليه ثم ضرب عنقه واعناقهم وامر فقرطت الصكاك فى آذانهم باسمائهم وأودعت جوالقا محصنا ومعها اللواء الاسود وانفذ بالجوالق تاجرا من ثقاته وامره ان يضعه عكة ايام الموسم ففعل ووافق ابا جعفر المنصور قد جمع فوضعه على باب سرادقه فلما كشفه ونظر اليه سقط فى يده واستدعى عبد الرحمن وقال عرضنا هذا الباشر يعنى العلاء للعتف ما فى هذا الشيطان مطمع فالحمد لله الذى صير هذا البحر بيننا وبينه ولما أوقع عبد الرحمن باليمانية الذين خرجوا فى طلب ثار رئيسهم أبى الصباح اليحصبى وأكثر القتل فيهم استوحش من العرب قاطبة وعلم انهم على دغل وحقد فانحرف عنهم الى اتخاذ المماليك فوضع يده فى الابتياع فابتاع موالى الناس بكل ناحية واعتضد ايضا بالبربر ووجه عنهم الى برالعدوة فاحسن لمن وفد عليه احسانا رغب من خلفه فى المتابعة قال ابن حيان واستكثر منهم ومن العبيد فاتخذ اربعين الف رجل صار بهم غالبا على أهل الاندلس من العرب فاستقامت مملكته وتوطدت وقال ابن حيان كان عبد الرحمن راجح الحلم فسيح العلم ثاقب الفهم كثير الحزم نافذ العزم بريأ من العجز سريع النهضة متصل الحركة لا يخلد الى راحة ولا يسكن الى دعة ولا يكل الامور الى غيره ثم لا ينفرد فى ابرامها برأيه شجاعا مقداما بعيد الغور شديد الحدة قليل الطمأنينة بليغ مفوها شاعرا محسنا سمحا سخيا طلق اللسان وكان يلبس البياض ويعتم به ويؤثره وكان قد أعطى هيبة من وليه وعدوه وكان يحضر الجنائز ويصلى عليها ويصلى بالناس اذا كان حاضرا الجمع والاعياد ويخطب على المنبر ويعود المرضى ويكثر مباشرة الناس والمشى بينهم الى أن حضر فى يوم جنازة فتصدى له فى منصرفه عنها رجل متظلم عامى وقاح ذو عارضة فقال له أصلح الله الامير ان قاضيك ظلمنى وأنا أستجيرك من الظلم فقال له تنصف ان صدقت فمد الرجل يده الى عنانه وقال أيها الامير أسالك بالله لما برحت من مكانك حتى تامر قاضيك بانصافى فانه معك فوجم الامير والتفت الى من حوله من حشمه فرآهم فلا لاودعا بالقاضى وأمر بانصافه فلما عاد الى قصره كلمه بعض رجاله ممن كان يكره خروجه وابتذاله فيما جرى فقال له ان هذا الخروج الكثير أبقى الله تعالى الامير

تشتغل أجسادهم من المرة الصفراء يرون فى منامهم النيران ونحو ذلك وما أشبهه والغالب على من كان مزاجه البلغم أن يرى بحورا وأنهارا وعيونا وأحواضا وغدرانا ومياها كثيرة وأمواجا ويرى كانه يسبح أو يصيد سمكا ونحو ذلك وما قاربه والغالب على من كان مزاجه السوداء أن يرى فى منامه أجداثا وقبورا وأمواتا مكفنين بسواد وبكاء ونوحا ورنينا وصراخا وأشياء مفزعة وأمورا مقطعة وفيلة وأسودا والغالب على من كان مزاجه الدم أن يرى خمرا ونبيذا ورياحين ولعبا ووصفا وعزفا وأنواع الملاهى والرقص والسكر والفرح والسرور والثياب المصبغات من الحمرة وغيرها وما لحق بهذا الباب مما وصفنا من أنواع السرور ولا خلاف بين المتطببين فى أن الضحك واللعب وأنواع السرور من الدم وأن كل حزن وخوف وان اختلفت معانيه فان ذلك من المرة السوداء واحتجوا بضروب من الاحتجاجات فهذه جملتها وقد أوضحنا هذا فى كتابنا الرؤيا والكمال وفى كتاب طب النفوس فلا وجه لاطنابنا فى هذا الموضع من كتابنا هذا اذ كان هذا الكتاب كتاب خبر لا كتاب

لا يجمل بالسلطان العزيز وان عيون العامة تخلق تجلته ولا تؤمن بوادرهم عليه فليس الناس كما عهدوا فترك من يومئذ شهود الجنائز وحضور المحافل ووكل بذلك ولده هشاما * ومن نظم عبد الرحمن الداخل ما كتب به الى أخته بالشام

أيها الراكب الميمم أرضى * اقرمنى بعض السلام لبعضى
ان جسمى كما تراه بارض * وفؤادى ومالكيه بارض
قدر البين بيننا فافترقنا * وطوى البين عن جفونى غمضى
قد قضى الدهر بالفراق علينا * فعسى باجتماعنا سوف يقضى

وكتب الى بعض من وفد عليه من قومه لما سأله الزيادة فى رزقه واستقل ما قابله به وذكره بحقه بهذه الابيات

شتان من قام ذا امتعاض * منتضى الشفرتين نصلا
فحاب قفرا وشق بحرا * سامى ليا لجة ومحلا
دبر ملكا وشاد عزا * ومنبرا للخطاب فصلا
وجند الجند حين أودى * ومصر المصر حين أجلى
ثم دعا اهله اليه * حيث انتأوا أن هلم أهلا
فجاء هذا يريد جوع * شديد روع يخاف قتلا
فنال امنا ونال شبعا * ونال مالا ونال أهلا
الم يكن حق ذا على ذا * أعظم من منعم ومولى

وحكى ابن حيان أن عبد الرحمن لما أذن له يوسف صاحب الاندلس واستقر ملكه استحضر الوفود الى قرطبة فانثالوا عليه ووالى القعود لهم فى قصره عدة أيام فى مجالس يكلم فيها رؤساءهم ووجوههم بكلام سرهم وطيب نفوسهم مع انه كساهم وأطعمهم ووصلهم فانصرفوا عنه محبورين مغتبطين يتدارسون كلامه ويتهافتون بشكره ويتهانؤن بنعمة الله تعالى عليهم فيه وفى بعض مجالسهم هذه مثل بين يديه رجل من جند قنسرين يستجديه فقال له يا ابن الخلائف الراشدين والسادة الاكرمين اليك فررت وبك عذت من زمن ظلوم ودهر غشوم قلل المال وكثر العيال وشعث الحال فصيرنى الى ندالك الماثل وأنت ولى الحمد والمجد والمرجو للرفد فقال له عبد الرحمن مسرعا قد سمعنا مقالتك وقضينا حاجتك وأمرنا بعونك على دهرك على كرهنا لسوء مقامك فلا تعودن ولا سوالك لمثله ان اراقة ماء وجهك بتصريح المسئلة والالحاف فى الطلبة واذا ألم بك خطب أو خزبك أمر فارفعه الينا فى رقعة لا تعدوك كيما نستر عليك خلتك ونكف شمات العدو عنك بعد رفعك لما الى مالكك ومالك اعزوجهه باخلاص الدعاء وصدق النية وأمر له بجائزة حسنة وخرج الناس يتعجبون منه من حسن منطقه وبراعة أدبه وكف فيما بعد ذوى الحاجات عن مقابلته بهاشفاهها فى مجلسه قال ابن حيان ووقع الى سليمان بن يقظان الاعرابى على كتاب منه سلك به سبيل الخداع أما بعد فدعنى من معاريض المعاذير والتعسف عن جادة الطريق لتمدن يدا الى الطاعة والاعتصام بحبل الجماعة

بحث ونظر وانما تتغلغل بنا لما ذهبت اليه الناس فى تحديد النفس وما قاله أفلاطون فى تحديده للنفس ان النفس جوهر ليس بمحرك للبدن وما حده صاحب المنطق أن حد النفس كمال الجسم الطبيعى وحدها من وجه آخر أنه حى بالقوة ولا الفرق بين النفس والروح لان الفرق بينهما أن الروح جسم والنفس لا جسم وأن الروح يحرو به البدن والنفس تبطل أفعالها فى البدن ولا تبطل هى فى ذاتها والنفس تحرك البدن وتذيله الحس وذكره أفلاطون فى كتاب السياسة المدنية نهر البستان وما يلحق الانسان من صفات النفس الداخلة على النفس الناطقة وذكره أفلاطون فى كتابه الى طسماويس وفى كتاب قارون وكيفية سقراط الحكيم وما يتكلم فى ذلك فى النفس والصورة (وقد تكلم الناس) فى طبقات النفوس وصفاتها من أصحاب الالسن وغيرهم من الفلاسفة ثم تنازع أهل الاسلام فى هيئة الانسان الحساس الدراك المأمور المنهى وما قالت المتصوفة وأصحاب المعارف والدعاوى فى طبقات النفوس من النفس المطمئنة والنفس اللوامة والنفس الامارة بالسوء

الجماعة أولا وبين بنانها عن وصف المعصية نكالا بما قدمت يداك وما الله بظلام للعبيد وفى المسهب ان عبد الرحمن كان من البلاغة بالمكان العالى الذى يرتد عنه أكثر بنى مروان حسيرا وقد جرى بينه وبين مولاه بدر ما لا يجب اهماله وذلك انه لما سعى بدر فى تكميل دولته من ابتدائها الى استقرارها صحبه عجب وامتنان كاد يردان به حياض المنية فاول ما بدأه أن قال بعنا أنفسنا وخاطرنا بها فى شأن من هانت عليه لما بلغ أقصى أمله وقال وقد أمره بالخروج الى غزاة اغا تعبنا اولا لنستريح آخرا وما أرانا الا فى أشد مما كنا وأطال أمثال هذه الاقوال وأكثر الاستراحة فى جانبه فهجره وأعرض عنه فزاد كلامه وكتب له رقعة منها أما كان جزائى فى قطع البحر وجوب القفر والاقدام على تشتيت نظام مملكة واقامة أخرى غير الهجر الذى أهانى فى عيون اكفائى وأشمت بى أعدائى وأضعف أمرى ونهيى عند من يلوذ بى وبترمطامع من كان بكرمى ويحفدنى على الطمع والرجاء وأظن أعداء بنى العباس لو حصلت بايديهم ما بالغوا بى أكثر من هذا فانا لله وانا اليه راجعون فلما وقف عبد الرحمن على رقعته اشتد غيظه عليه فوقع عليها وقفت على رقعتك المنبئة عن جهلك وسوء خطابك ودناءة أدبك ولئيم معتقدك والعجب أنك منى ما أردت أن تبنى لنفسك عندنا متانا أتيت بما يهدم كل متات مشيد مما تمن به مما قد أضجر الاسماع تكراره وقدحت فى النفوس اعادته مما استغفرنا الله تعالى من أجله على امرنا باستئصال مالك وزدنا فى هجرك وابعادك وهضنا جناح ادلالك فلعلك ذلك يقمع منك ويردعك حتى تبلغ منك ما تريدان شاء الله تعالى فنحن اولى بتاديبك من كل أحد اذ شرك مكتوب فى مثالبنا وخيرك معدود فى مناقبنا فلما ورد هذا الجواب على بدر سقط فى يده وسلم للقضاء وعلم انه لا ينفع فيه قول ووجه عبد الرحمن من استأصل ماله والزمه داره وهتك حرمته وقص جناح جاهه وصيره اهون من قعيس على عمته ومع هذا فلم ينته بدر عن الاكثار من مخاطبة مولاه تارة يستلينه وتارة يذكره وتارة ينفث مصدور الخط قلمه ما يلقيه عليه بلسانه غير مفكر فيما يؤول اليه الى ان كتب له قد طال هجرى وتضاعف همى وفكرى واشد ما على كونى سليبا من مالى فعسى ان تأمر لى باطلاق مالى وأتحدبه فى معزل لا اشتغل بسلطان ولا ادخل فى شئ من اموره ما عشت فوقع له ان لك من الذنوب المترادفة ما لو سلب معها روحك لكان بعض ما استوجبته ولا سبيل الى رد مالك فان تركك بمعزل فى بلهنية الرفاهية وسعة ذات اليد والتخلى من شغل السلطان مشابه بالنعمة منه بالنقمة فاياس من ذلك فان الياس مريح فسكت لما وقف على هذه الاجابة مدة الى ان اتى عيد فاشتد به حزنه لما راى من حاجة من يلوذ به وهمهم بما يفرح به الناس فكتب اليه فى ذلك رقعة منها وقد اتى هذا العيد الذى خالفت فيه أكثر من اساء اليك وسعى فى خراب دولتك ممن عفوت عنه فتبنك النعمة فى ذراك وافتعد ذروة العز وانا على ضد من هذا سليبا من النعمة مطرحا فى حضيض الهوان ايأس مما يكون وافرع السن على ما كان فلما وقف على هذه الرقعة امر بنفيه عن قرطبة الى اقصى الثغر وكتب له على ظهر رقعته لتعلم انك لم تزل بعقلك حتى ثقلت على العين طلعتك ثم زدت الى ان ثقل على السمع كلامك ثم زدت الى ان ثقل على النفس جوارك وقد امرنا باقصائك الى اقصى الثغر

وهو عمرو بن عامر بن ماء السماء بن حارثة الغطريف بن ثعلبة بن امرئ القيس بن مازن بن الازد بن الغوث بن نبيلان بن سبا

وغيره من كتبنا (وقد كان سطيح) الكاهن وهو ربيع بن ربيعة بن مسعود ابن مازن بن ذئب بن عدى بن مازن بن غسان يدرج سائر جسده كما يدرج الثوب لاعظم فيه الا جمجمة الرأس وكانت اذا لمست بالبديا بن عظمها وكان شق بن مصعب بن شكران ابن أترك بن قيس بن عنفر بن أنمار بن ربيعة بن نزار معه فى عصر واحد وكان فيهما جمرة الكهانة وكذلك سملقة وزوبعة كانا فى عصر واحد والله أعلم

(ذكر جمل من أخبار الكهان وسيل العرم وتفرق الازد فى البلدان)

قال المسعودى فقد ذكرنا جملا من الكهانة والقيافة والزجر والبارح والسانح فلنذكر الآن لمعا من أخبار الكهان وتفرق ولد سبا فى البلدان ولم يزل ولد قحطان فى أطيب عيش الى أن هلك سبا وكان القوم بعد مضى سبا تداولتهم الاعصار قرنا بعد قرن الى أن أرسل الله عليهم سيل العرم وذلك أن الرياسة انتهت فيهم الى عمرو بن عمرو مزيقيا

فجائه الاما اقصرت ولا يبلغ بك زائد المقت الى ان تضيق معي الدنيا ورايتك تشكو لفلان وتتالم من فلان وما تقوله عليك ومالك عدو اكبر من لسانك فاطاح بك غيره فاقطعه قبل ان يقطعك * ولما فتح الداخل سرقسطة وحصل في يده ثائرها الحسين الانصاري وشدخت رؤس وجوهها بالعمد وانتهى نصره فيها الى غاية امله اقبل خواصه يهنئونه بفتح فجري بينهم احد من لا يؤبه به من الجند فهناه بصوت عال فقال والله لولا ان هذا اليوم يوم اسبغ علي فيه النعمة من هو فوقي فاوجب علي ذلك ان انعم فيه على من هو دوني لاصلينك ما تعرضت له من سوء النكال من تكون حتى تقبل مهنئا رافعا صوتك غير متحفل ولا متهيب لمكان الامارة ولا عارف بقيمتها حتى كانك تخاطب اباك أو اخاك وان جهلك ليحملك على العود لمثلها فلا تجد مثل هذا الشافع في مثلها من عقوبة فقال ولعل فتوحات الامير يقترن اتصالها باتصال جهلي وذنوبي فتشفع لي متى اتيت بمثل هذه الزلة لا اعدمنيه الله تعالى فتهلل وجه الامير وقال ليس هذا باعتذار جاهل ثم قال نهضوا على انفسكم اذا لم تجدوا من ينهضنا عليها ورفع مرتبته وزاد في عطائه * ولما أنحى اصحابه على اصحاب الفهري بالقتل يوم هزيمتهم على قرطبة قال لا تستاصلوا شافة اعداء ترجون صداقتهم واستبقوهم لاشد عداوة منهم يشير الى استبقائهم ليستعان بهم على اعداء الدين ولما اشتد الكرب بين يديه يوم حربه مع الفهري ورأى شدة مقاساة اصحابه قال هذا اليوم هو أس ما يبنى عليه اما ذل الدهر واما عز الدهر فاصبروا ساعة فيما لا تشتهون تربحوا بها بقية اعماركم فيما تشتهون * ولما خرج من البحر أول قدومه على الاندلس أتوه بخمر فقال اني محتاج لما يزيد في عقلي لا لما ينقصه فعرفوا بذلك قدره ثم اهديت اليه جارية جميلة فنظر اليها وقال ان هذه من القلب والعين بمكان وان أنا اشتغلت عنها بهمتي فيما أطلبه ظلمتها وان اشتغلت بها عما اطلبه ظلمت همتي ولا حاجة لي بها الآن وردها على صاحبها * ولما استقامت له الدولة بلغه عن بعض من أعانه انه قال لولا أنا ما وصل لهذا الملك ولكان منه ابعد من العيوق وأن آخر قال سعده أعانه لا عقله وتدبيره فحركه ذلك الى أن قال

لا يلفعنك قائل * لولاي ما ملك الانام الداخل
سعدي وحزمي والمهند والقنا * ومقادر بلغت وحال حائل
ان الملوك مع الزمان كواكب * نجم يطالعنا ونجم آفل
والحزم كل الحزم ان لا يغفلوا * أبدوم تدبير البرية غافل
و يقول قوم سعده لا عقله * خير السعادة ما حماها العاقل
أبني أمية قد جبرنا صدعكم * بالغرب رغما والسعود قبائل
ما دام من نسلي امام قائم * فالملك فيكم ثابت متواصل

وحكى ابن حيان أن جماعة من القادمين عليه من قبل الشام حدثوه يوما في بعض مجالسهم عنده مما كان من الغمر بن يزيد بن عبد الملك أيام محنتهم وكلامه لعبد الله بن علي بن عبد الله ابن عباس السافح بهم وقد حضروا رواقه وفيه وجوه المسودة من دعاة القوم وشيعتهم رادا على عبد الله فيما أراته من دماء بني أمية وسلبهم والبراءة منهم فلم تردعه هيبته وعصفت ريحه

وذلك ببلاد مازن من أعلاها سيل العرم وهو السد وكان فرشخاق فرسخ بناه لقمان الاكبر العادي وهو لقمان بن عاد بن عاديا وقد ذكرنا خبره وخبر غيره ممن كان عمر منهم عمر النسور وهذا السد هو الذي كان يرد عنهم السيل فيما سلف من الدهر اذا حان أن يغشى أموالهم فزقهم الله كل ممزق وباعد بين أسفارهم والناس في قصة هلكهم يختلفون وفي سياقة أخبارهم يتباينون (وذكر) اصحاب التاريخ القديم أن أرض سبا كانت من اخصب أرض اليمن وأثراها وأغدقها وأكثرها جنانا وغيضانا وأفسحها مروجا مع بنيان حسن وشجر مصفوف ومساكب للماء متكاثفة وانهار وازهار متفرقة وكانت مسيرة اكثر من شهر للراكب الجد على هذه الحالة وفي العرض مثل ذلك وان الراكب والسار كان يسير في تلك الجبال من اولها الى أن ينتهي الى آخرها لا تواجهه الشمس ولا تعارضه لاستتار الارض بالعمارة الشجرية واستيلائها عليها واحاطتها بها وكان أهلها في اطيب عيش وارفعه وأهنا حال وارغد قرى وفي نهاية الخصب وطيب واحتفال

واحتفال جمعه عن معارضته والرد عليه بتفضيله لاهل بيته والذب عنهم وانه جاء فى ذلك بكلام غاظ عبد الله وأغضه بريقه وعاجل الغمر بالحتف فقضى وخلف فى الناس ما خلف من تلك المعارضة فى ذلك المقام وكثر القوم فى تعظيم ذلك فكأن الامير عبد الرحمن احتقر ذلك الذى كان من الغمر فى جنب ما كان منه فى الذهاب بنفسه عن الاذعان لعدوهم والانف من طاعتهم والسعى فى اقتطاع قطعة من مملكة الاسلام عنه وقام عن مجلسه فصاغ هذه الابيات بديهة

شنآن من قام ذا امتعاض * فرّما قال واضمحلا
ومن غدا مصلتا العزم * مجردا للعداة نصلا
فخاب قفرا وشق بحرا * ولم يكن فى الانام كلا
فشاد ملكا وشاد عزا * ومنبر الخطاب فصلا
وجند الجند حين أودى * ومصر المصرحين أجلى
ثم دعا أهله جميعا * حيث انتأوا أن هلم أهلا

وله غير ذلك من الشعر وسياتى بعضه مما يقارب هذه الطبقة * وأول ناصر لعبد الرحمن سائر معه فى الخمول والاستخفاء مولاه المتقدم الذكر سعى فى سلطانه شرقا وغربا برا وبحرا فلما كمل له الامر سلبه من كل نعمة [illegible] ثم أقصاه الى أقصى الثغر حتى مات وحاله أسوأ حال والله تعالى أعلم بالسرائر فلعل له عذرا يلومه من يسمع مبدأه وما آله ورأس الجماعة الذين توجه اليهم بدر فى القيام بسلطانه أبو عثمان ولما توطدت دولة الداخل استغنى عنه وعن أمثاله فاراد أبو عثمان أن يشغل خاطره وينظر فى شئ يحتاج به اليه فجعل ابن أخته يثور عليه فى حصن من حصون البيرة فوجه عبد الرحمن من قبض عليه وضرب عنقه ثم أخذ أبو عثمان مع ابن أخته الداخل وزين له القيام عليه فسعى لعبد الرحمن بابن أخيه قبل أن يتم أمره فضرب عنقه وأعناق الذين دبروا معه وقيل له ان أبا عثمان كان معه وهو الذى ضمن له تمام الامر فقال هو أبو سلمة هذه الدولة فلا يتحدث الناس عنه بما تحدثوا عن بنى العباس فى شان أبى سلمة لكن ساعتبه عتبا أشد من القتل وجعل يوعده ورجع له الى ما كان عليه فى الظاهر وكان صاحبه الثانى فى الموازرة والقيام بالدولة صهره عبد الله بن خالد وكان قد ضمن لابى الصباح رئيس اليمانية عن الداخل أشياء لم يف بها الداخل وقتل أبا الصباح فانعزل عبد الله وأقسم لا يشتغل بشغل سلطان حياته فات منفردا عن السلطان وكان ثالثهما فى النصرة والاختصاص تمام بن علقمة وهو الذى عبر البحر اليه وبشره باستحكام أمره فقتل هشام بن عبد الرحمن ولد تمام المذكور وكذلك فعل بولد أبى عثمان المتقدم الذكر قال ابن حيان فذا قام من ثكل ولديهما على يدى أعز الناس عليهما ما أراهما أن أحدا لا يقدر أن ينظر فى تحسين عاقبته واذا تتبع الامر فى الذين يقومون فى قيام دولة كان مآلهم مع من يظهرونه هذا المآل واصعب * وذكر ان أول حجاب الداخل تمام بن علقمة مولاه ذو العمر الطويل ثم يوسف بن بخت الفارسى مولى عبد الملك بن مروان وله بقرطبة عقب نابه ثم عبد الكريم ابن مهران من ولد الحرث بن أبى شمر الغسانى ثم عبد الرحمن بن مغيث بن الحرث بن

المملكة وكانت بلادهم فى الارض مثلا وكانوا على طريقة حسنة من اتباع شرف الاخلاق وطلاب الافضال على القاصد والسفر بحسب الامكان وما توجبه الندرة من الحال فمكثوا على ذلك ما شاء الله من الاعصار لا يعاندهم ملك الا قصموه ولا يوافيهم جبار فى جيش الا كسروه فذلت لهم البلاد واذعن لطاعتهم العباد فصاروا تاج الارض وكانت المياه التى هى اكثر ما يرد الى ارض سبا تظهر من مخارق من الحجر الصلد والحديد من السد والجبال طول المخارق فيما وصفنا فرسخ وكان وراء السد والجبال أنهار عظام وكان فى هذا المخارق الآخذ من تلك الانهار ثلاثون نقبا مستديرة فى استدارة الذراع طولا وعرضا مدورة على أحسن هندسة واكمل تقدير وكانت المياه تخرج من تلك الانقاب فى مجاريها حتى تاتى الجبال فترويها سقيا وتم شرب القوم وقد كانت ارض سبا قبل ما وصفنا من العمارة والخصب يركبها السيل من تلك المياه وكان ملك القوم فى ذلك الزمان يقرب الحكماء ويدنيهم ويؤثرهم ويحسن اليهم فجمعهم من اقطار الارض للالتجاء الى رأيهم والاخذ من

يهلك الزرع ويسوق من جملته البناء فاجمع القوم رأيهم على عمل مصارف الى برارى تقذف به الى البحر واخبروا الملك أن الماء اذا حفرت المصارف الهابطة طلبها وانحدر فيها ولم يترا كم حتى يعلوا الجبال لان فى طباع الماء طلب الحفض فحفر الملك المصارف حتى انحدر الماء وانصرف وتدافع الى تلك الجهة وانحدر السيل فى الموضع الذى كان فيه بدء جريان الماء من الجبل الى الجبل وجعلوا فيه المخراق على ماوصفنا آنفا ثم اجتذبوا من تلك المياه نهرا مرسلا مقدارا معلوما ينتهى فى جريانه الى المخراق ثم ينبعث الماء منه الى تلك الانقاب وهى الثلاثون مخراقا الصغار التى قدمنا ذكرها وكانت البلاد عامرة على ماوصفنا آنفا ثم ان تلك الامم بادت ومرت عليها السنون وضربها الدهر بضرباته وطعنها كلكله وعمل الماء فى أصول ذلك المخراق وأضعفه مر السنين عليه وتدافع الماء حوله وقد قيل فى المثل اذا أثر تواتر الماء على الحجر الصلد فما ظنك بسيل يتدافع على حديد وحجر مصنوع أهله سكنت أبناء قحطان

حويرث بن جبلة بن الايهم الغسانى وأبوه مغيث فاتح قرطبة الذى تقدمت ترجمته ثم منصور الخصى وكان أول خصى استعجبه بنو مروان بالاندلس ولم يزل حاجبه الى ان توفى الداخل * ولم يكن للداخل من يطلق عليه سمة وزير لكنه عين أشياخا للشاورة والموازرة أولهم أبو عثمان المتقدم الذكر وعبدالله بن خالد السابق الذكر وأبو عبدة صاحب اشبيلية وشهيد بن عيسى بن شهيد مولى معاوية بن مروان بن الحكم وكان من سبى البرابر وقيل انه رومى وبنو شهيد الفضلاء من نسله وعبد السلام بن بسيل الرومى مولى عبدالله بن معاوية ولولده نباهة عظيمة فى الوزارة وغيرها وثعلبة بن عبيد بن النظام الجذامى صاحب سرقسطة لعبد الرحمن وعاصم بن مسلم الثقفى من كبار شيعته وأول من خاض النهر وهو عريان يوم الوقعة بقرطبة ولعقبه فى الدولة نباهة * وأول من كتب له عند خلوص الامر له واستلاله بقرطبة كبير نقبائه أبو عثمان وصاحبه عبدالله بن خالد المتقدما الذكر ثم لزم كتابته أمية بن يزيد مولى معاوية بن مروان وكان فى عديد من يشاوره أيضا ويفضل امره وآراءه وكان يكتب قبله ليوسف الفهرى وقيل انه من اتهم فى مالاة اليزيدى فى افساد دولة عبد الرحمن فاتفق أن مات قبل قتل اليزيدى واطلاع عبد الرحمن على الامر * وذكر ابن زيدون ان الداخل ألفى على قضاء الجماعة بقرطبة يحيى بن يزيد اليحصبى فاقره حينا ثم ولى بعده أبا عمرو معاوية بن صالح الحمصى ثم [illegible] بن شراحيل ثم عبد الرحمن بن طريف وكان جداد بن عمرو يقضى فى العساكر * وكان الداخل يرتاح لما استقر سلطانه بالاندلس الى أن يفد عليه فل بيته بنى مروان حتى يشاهدوا ما أنعم الله تعالى عليه وتظهر يده عليهم فوفد عليه من بنى هشام بن عبد الملك أخوه الوليد بن معاوية وابن عمه عبد السلام بن يزيد بن هشام قال ابن حيان وفى سنة ١٦٣ قتل الداخل عبد السلام ابن يزيد بن هشام المعروف باليزيدى وقتل معه من الوافدين عليه عبيدالله بن أبان بن معاوية بن هشام المعروف باليزيدى وهو ابن اخى الداخل وكانا تحت تدبيره بمانه فى طلب الامر فوشى بهما مولى لعبيدالله بن أبان وكان قد ساعدهما على ماهما به من الخلاف ابو عثمان كبير الدولة فلم ينله ما نالهما وذكر الحجارى ان الداخل كان يقول اعظم ما انعم الله تعالى به على بعد تمكنى من هذا الامر القدرة على ايواء من يصل الى من اقاربى والتوسع فى الاحسان اليهم وكبرى فى اعينهم وأسماعهم ونفوسهم بما منحنى الله تعالى من هذا السلطان الذى لا منة على فيه لاحد غيره وذكر ابن حزم انه كان فيمن وفد عليه ابن اخيه المغيرة بن الوليد بن معاوية فسعى فى طلب الامر لنفسه فقتله سنة ١٦٧ وقتل معه من اصحابه هذيل ابن الصميل بن حاتم ونفى أخاه الوليد بن معاوية والد المغيرة المذكور الى العدوة بماله وولده وأهله وفى المسهب حدث بعض موالى عبد الرحمن الخاصين به انه دخل على الداخل اثر قتله ابن أخيه المغيرة المذكور وهو مطرق شديد الغم فرفع رأسه الى وقال ما عجبى الا من هؤلاء القوم سعينا فيما يضجعهم فى مهاد الامن والنعمة وخاطرنا فيه بحياتنا حتى اذا بلغنا منه الى مطلوبنا وبسر الله تعالى أسبابه أقبلوا علينا بالسيوف ولما آويناهم وشاركناهم فيما أفردنا الله تعالى به حتى أمنوا وردت عليهم أخلاف النعم هزوا أعطافهم وشمخوا بآنافهم

أوصفنا من هذه الديار وتغلبت على من كان فيها من القطان لم تعلم الا قفة من انحطام السدود المخراق وسموا

والبنيان فتقذف به في جريه ورمي به في تياره وذلك ابان زيادة الماء واستولى الماء على تلك الديار والجبال والعمائر والبنيان حتى انقرض سكان تلك الارض وزالوا عن تلك المواطن فهذه جملة من أخبار سيل العرم وبلاد سبا ولا خلاف بين ذوي الدراية منهم أن العرم هو المسناة التي قد أحكموا عملها لتكون حاجزا بين ضياعهم وبين السيل ومجرته فارة ليكون ذلك اظهر في الاعجوبة كما اقار الله تعالى الطوفان من جوف تنور ليكون ذلك اثبت في العبرة واوعد في الحجة ولا يتناكر احلاف قحطان من أهل تلك الديار الى هذا الوقت ما كان من العرم لاستفاضته فيهم وشهرته عندهم (وقد نفر) بعض أولاد قحطان في مجلس السفاح بمناقب قحطان من حمير وكهلان على ولد نزار وخالد بن صفوان وغيره من نزار بن معد يسطون بابهة السفاح لان اخواله من قحطان فقال السفاح لخالد بن صفوان ألا تنطق وقد غمرتكم قحطان بشرفها وعلت عليكم بقديم مناقبها فقال خالد ماذا أقول لقوم ليس فيهم الا دابغ جلد أو ناسج برد أو سائس قرد

وسموا الى العظمى فنازعونا فيما منحنا الله تعالى فخذلهم الله بكفرهم النعم اذ أطلعنا على عوراتهم فعاجلناهم قبل أن يعاجلونا وأدى ذلك الى أن ساء ظننا في البربر منهم وساء أيضا ظنه فينا وصار يتوقع من تغيرنا عليه ما نتوقع نحن منه وان أشد ما على في ذلك أخي والدهذا المخذول فكيف تطيب لي نفس بمجاورته بعد قتل ولده وقطع رحمه أم كيف يجتمع بصري مع بصره أخرج له الساعة وأعتذر اليه وهذه خمسة آلاف دينار أدفعها اليه وأعزم عليه في الخروج عني من هذه الجزيرة الى حيث شاء من بر العدوة قال فلما وصلت الى أخيه فوجدته أشبه بالاموات منه بالاحياء فآنسته وعرفته ودفعت له المال وأبلغته الكلام فتأوه وقال ان المشؤم لا يكون بليغا في الشؤم حتى يكون على نفسه وعلى سواه وهذا الولد العاق الذي سعى في حتفه قد سرى ما سعى فيه الى رجل طالب العافية وفنع بكسر بيت في كنف من يحمل عنه معرة الزمان وكله ولا حول ولا قوة الا بالله لامر ما حكم به وقضاه ثم ذكر انه أخذ في الحركة الى بر العدوة قال ورجعت الى الامير فأعلمته بقوله فقال انه نطق بالحق ولكن لا يخدعني بهذا القول عما في نفسه والله لو قدر ان يشرب من دمي ما عف عنه لحظة فالحمد لله الذي أظهرنا عليهم بما نوى بناه فيهم وأذلهم بما نووه فينا * واعلم انه دخل الاندلس أيام الداخل من بني مروان وغيرهم من بني أمية جماعة كثيرون سرد أسماءهم غير واحد من المؤرخين وذكر أعقابهم بالاندلس ومنهم جزي بن عبد العزيز أخو عمر بن العزيز وسيأتي ذكر يا * وقد ثار على عبد الرحمن الداخل من أعيان الغرب وغيرهم جماعة كثيرون ظفره الله تعالى بهم وقد سبق ذكر بعضهم ومنهم الدعي الفاطمي البربري بشنت مرية فاعيا الداخل أمره وطال شره سنين متوالية الى أن قتل به بعض أصحابه فقتله ومنهم حيوة بن ملاعب الحصري رئيس اشبيلية وعبد الغفار بن حميد اليحصبي رئيس لبلة وعمرو بن طالوت رئيس باجة اجتمعوا وتوجهوا نحو قرطبة يطلبون دم رئيس اليمانية أبي الصباح فقتلوا في هزيمة عظيمة وقيل نجوا بالفرار فامنهم الداخل وفي سنة ١٥٧ ثار بسرقسطة الحسين بن يحيى بن سعيد بن عبادة الحزرجي وشايعه سليمان بن يقظان الاعرابي الكلبي رأس الفتن وآل أمرهما الى أن قتل الحسين بسليمان وقتل الداخل الحسين كما مر وفي سنة ١٦٣ ثار الدماحس بن عبد العزيز الكناني بالجزيرة الخضراء فتوجه له عبد الرحمن الداخل ففر في البحر الى المشرق قال ابن حيان كان مولد عبد الرحمن الداخل سنة ١١٣ وقيل في التي قبلها بالعلياء من تدمر وقيل بدير حنا من دمشق وبها توفي أبوه معاوية في حياة أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك وكان قد رشحه للخلافة وبقبر معاوية المذكور استجار الكميت للشاعر حين أهدر هشام دمه وتوفي الداخل لست بقين من ربيع الآخر سنة ١٧١ وهو ابن سبع وخمسين سنة وأربعة أشهر وقيل اثنتان وستون سنة ودفن بالقصر من قرطبة وصلى عليه ابنه عبد الله وكان منصورا مؤيدا مظفرا على أعدائه وقد سردنا من ذلك جملة حتى قال بعضهم ان الراية التي عقدت له بالاندلس حين دخلها لم تهزم قط وان الوهن ما ظهر في ملك بني أمية الا بعد ذهاب تلك الراية قال أكثر هذا مؤرخ الاندلس الثبت الثقة أبو مروان بن حيان رحمه الله تعالى ولا بأس أن نورد زيادة على ما سلف وان تكرر بعض ذلك * فنقول قال بعض المؤرخين من أهل المغرب

بعد كلام ابن حيان الذى قدمناذكره مانصه كان الامام عبد الرحمن الداخل راجح العقل راسخ الحلم واسع العلم كثير الحزم نافذ العزم لم ترفع له قط راية على عدو الا هزمه ولا بلد الا فتحه شجاعا مقداما شديد الحذر قليل الطمأنينة لا يخلد الى راحة ولا يسكن الى دعة ولا يكل الامر الى غيره كثير الكرم عظيم السياسة يلبس البياض ويعتم به ويعود المرضى ويشهد الجنائز ويصلى بالناس فى الجمع والاعياد ويخطب بنفسه جند الاجناد وعقد الرايات واتخذ الحجاب والكتاب وبلغت جنوده مائة ألف فارس وملخص دخوله الاندلس انه لما اشتد الطلب على فل بنى أمية بالمشرق من وارثى ملكهم بنى العباس خرج مستترا الى مصر فاشتد الطلب على مثله فاحتال حتى وصل برقة ثم لم يزل متوغلا فى سيره الى أن بلغ المغرب الاقصى ونزل بنفزة وهم أخواله فأقام عندهم أياما ثم ارتحل الى مغيلة بالساحل فارسل مولاه بدرا بكتابه الى مواليهم بالاندلس عبيد الله بن عثمان وعبد الله بن خالد وتمام بن علقمة وغيرهم فاجابوه واشتروا مركبا وجهزوه بما يحتاج اليه وكان الذى اشتراه عبيد الله بن عثمان وأركب فيه بدرا وأعطاه خمسمائة دينار برسم النفقة وركب معه علقمة بن تمام بن علقمة وبينما هو يتوضأ لصلاة المغرب على الساحل اذ نظر الى المركب فى لجة البحر مقبلا حتى أرسى أمامه فخرج اليه بدر سابحا فبشره بما تم له بالاندلس وبما اجتمع عليه الامويون والموالى ثم خرج اليه تمام ومن معه فى المركب فقال له ما اسمك وما كنيتك فقال اسمى تمام وكنيتى أبو غالب فقال تم أمرنا وغلبنا عدونا ان شاء الله تعالى ثم ركبوا المركب معه فنزل بالمنكب وذلك غرة ربيع الاول سنة ١٣٨ فلما اتصل خبر جوازه بالاموية أتاه عبيد الله ابن عثمان وجماعة فتلقوه بالاعظام والاكرام وكان وقت العصر فصلى بهم العصر وركبوا معه الى قرية طرش من كور البيرة فنزل بها وأتاه بها جماعة من وجوه الموالى وبعض العرب فبايعوه وكان من أمره ما يذكر وقيل انه أقام بالبيرة حتى كمل من معه ستمائة فارس من موالى بنى أمية ووجوه العرب فخرج من البيرة الى كورة رية فدخلت فى جماعته ثم بايعته أهلها وأجنادها ثم ارتحل الى شذونة ثم الى مدور ثم سار الى اشبيلية وقال بعضهم لما أراد عبد الرحمن قصد قرطبة عند دخوله الاندلس من المشرق نزل بطشانة فاشاروا عليه أن يعقد له لواء فجاؤا بعمامة وقناة فكرهوا أن يميلوا القناة تطيرا فاقاموها بين شجرتين من الزيتون متجاورتين وصعد رجل على فرع احداهما فعقد اللواء والقناة قائمة وتبرك هو وولده بهذا اللواء فكان بعد أن بلى لا تحل منه العقدة التى عقدت أو لا بل تعقد فوقها الالوية الجدد وهى مستكنة تحتها ولم يزل الامر على ذلك حتى انتهت الدولة الى عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل وقيل الى ابنه محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل فاجتمع الوزراء على تجديد اللواء فلما رأوا تحت اللواء أسماء الاخلقة ملفوفة معقدة جهلوها فاستنزلوها وأمروا بحلها ونبذها وجددوا غيرها وكان جهور بن يوسف بن بخت شيخهم غائبا فحضر فى اليوم الثانى وطولع بالقصة فانكرها أشد انكار وساءه ما فعلوه وقال ان جهلتم شان تلك الاخلاق فكان ينبغى أن تتوقفوا عن نبذها حتى تسالوا المشايخ وتتفكروا فى أمرها وخبرهم خبرها فتطلبوا تلك الاخلاق فلم توجد ويقال كما قال ابن حيان

الى أن انتهى الى ما كان ما قدمناه آنفا (وقد ذكروا) فى أشعارهم العرم وما كان لسبا وأرض مارب وأن مأرب سمة للملك الذى يتملك على هذه البلدة وأن هذا الاسم وقع على هذا البلد فاشتهر به وصار سمة له وقال الشاعر

من سبا الحاضرين مارب اذ يبنون من دون سيله العرما

وقد قيل ان مارب سمة لقصر هذا الملك فى صدر الزمن قال ابو الطمحان فى ذلك

ألم تروا ماربا وما كان حصنه وما حولها من سور وبنيان

ظل العباد سيبقى فوق ثلثه ولم يهب ريب دهر حد خوان

حتى تناوله من بعد ما هجعوا ضربا اليه الى أسباب كتان

وقد ذكر الاعشى ما وصفنا حيث يقول فى كلمته فى ذلك المؤتسى اسوة

بمارب عفى عليها العرم وحام بناه لهم حمير

اذا جاء ماؤهم لم يرم فاغنى الحروث وأغنى بها

على ساعة ماؤهم قد قسم فطار الفيول وفيا لها

بها فى فياف سراب الظلم وكانوا بذلك موحقبة * فسال بهم جارف منهزم فطاروا سراعا وما يقدمو * ن منه لشرب صبي فطم

انه لم يزل يعرف الوهن فى ملك بنى أمية بالاندلس من ذلك اليوم وقد كان الذى عقده أولا عبد الله بن خالد من موالى بنى أمية وكان والده خالد عقد لوا مروان بن الحكم جد عبد الرحمن الاعلى لما اجتمع عليه بنو أمية وبنو كلب بعد انقراض دولة بنى حرب على قتال الضحاك بن قيس الفهرى يوم مرج راهط فانتصر على الضحاك وقتله ولما عرف الامير بقصة اللواء حزن أشد حزن وانفتقت عليه أثر ذلك الفتوق العظام وكانوا يرون أنها جرت بسبب اللواء لانه لم ينهزم قط جيش كان تحته على ما اقتضته حكمة الله التى لا تتوصل اليها الافكار وتولى حمل هذا اللواء لعبد الرحمن الداخل أبو سليمان داود الانصارى ولم يزل يحمله ولده من بعده الى أيام محمد بن عبد الرحمن ولما تلاقى عبد الرحمن الداخل مع أمير الاندلس يوسف الفهرى بالقرب من قرطبة وتراسلا فخادعه يومين آخرهما يوم عرفة من سنة ثمان وثلاثين ومائة أظهر عبد الرحمن قبول الصلح فبات الناس على ذلك ليلة العيد وكان قد أسر خلاف ما أظهر واستعد للحرب ولما أصبح يوم الاضحى لم ينشب أن غشيت الخيل ووكل عبد الرحمن بخالد بن زيد الكاتب رسول يوسف جماعة وأمرهم ان كانت الدائرة عليهم أن يضربوا عنقه والا فكان خالد يقول ما كان شئ فى ذلك الوقت أحب الى من غلبة عبد الرحمن الداخل عدوى صاحبى وركب عبد الرحمن جوادا فقالت اليمانية الذين اعانوه هذا فتى حديث السن تحته جواد وما تامن أول ردعة يردعها ان يطير منهزما على جواده ويدعنا فاتى عبد الرحمن أحد موالى فاخبره بمقالتهم فدعا أبا الصباح وكان له بغل أشهب يسميه الكوكب فقال له ان فرسى هذا قلق تحتى لا يمكننى من الرمى فقدم الى بغلك المحمود أركبه فقدمه فلما ركب اطمأن اصحابه وقال عبد الرحمن لاصحابه اى يوم هذا فقالوا الخميس يوم عرفة فقال فالاضحى غدا يوم الجمعة والتزاحفان اموى وفهرى والجندان قيس ويمن قد تقابل الاشكال جدا وارجوانه اخو يوم مرج راهط فابشروا وجدوا فذكرهم يوم مرج راهط الذى كانت فيه الوقعة بين جده مروان بن الحكم وبين الضحاك بن قيس الفهرى وكانت يوم جمعة ويوم اضحى فدارت الدائرة لمروان على الضحاك فقتل الضحاك وقتل معه سبعون الفا من قبائل قيس واحلافهم وقيل انه لم يحضر مرج راهط من قيس مع مروان غير ثلاثة نفر عبد الرحمن بن مسعدة الفزارى وابن هبيرة المحاربى وصالح الغنوى وكذا لم يحضر مع عبد الرحمن الداخل يوم الصارة غير بنى قرطبة من قيس غير ثلاثة جابر بن العلاء بن شهاب والحصين بن الدجن العقيليان وهلال بن الطفيل العبدى وكان الظفر لعبد الرحمن وانهزم يوسف وصبر الصميل بن حاتم بعده معذرا وعشيرته يحفونه فلما خاف انهزامهم عنه تحول على بغله الاشهب معارضة لعبد الرحمن الداخل فضربه أبو عطاء فقال له يا أبا جوشن احتسب نفسك فان للاشباه أشباها أموى باموى وفهرى بفهرى وكلبى بكلبى ويوم أضحى يوم أضحى ويمنى بقيسى والله انى لاحسب هذا اليوم بمثل مرج راهط سواء فقال له الصميل كبرت وكبر علمك الآن تجلى الغماء وسحرك منقمع فاثنى أبو عطاء لوجهه منقلبا وانهزم الصميل وملك عبد الرحمن قرطبة ويوسف الفهرى هو ابن عبد الرحمن بن حبيب ابن أبى عبيدة بن عقبة بن نافع الفهرى بانى القيروان وأمير معاوية على افريقية والمغرب

وأنه بنى هذا السد الذى هو المسناة وأن عمره انتهى على عمر النسر وعند ذكرنا لطول الاعمار وما أكثرت العرب فى صفة طول عمر النسر وضربت به الامثال وبلبد وبصحبة بدن الغراب فمن ذلك ما ذكره الخارجى فى شعره عند ذكره لطول عمر معاذ بن مسلم بن رجاء مولى القعقاع بن الحكيم من قوله فيه عند ذكره سنه وهرمه وهو

ان معاذ بن مسلم رجل
قد صح فى طول عمره الابد
قد شاب رأس الزمان واختضب الد
هر وأثواب عمره جدد
يا نسر لقمان كم تعيش وكم
تلبس ثوب الحياة يا لبد
قد أصبحت دار جير خربت
وأنت فيها كأنك الوتد
تسأل غربانها اذا هجلت
كيف يكون الصداع والرمد

(وقد قدمنا) فيما سلف فى مواضع من هذا الكتاب ما قالت الاوائل فى علة طول الاعمار وقصرها وعظم الاجسام فى بدو الامر وتناقصها على مرور الاعصار ومضى الدهور وأن الله تبارك وتعالى لما بدأ الخلق كانت الطبيعة التى جعلها الله جبلة للاسلام فى تمام الكثرة ونهاية القوة والكمال والطبيعة اذا كانت تامة القوة كانت الاعمار أطول

والاجسام أقوى لان طرق الاعمار أزيد وكان العالم فى اولية شانه تام العمر ثم لم يزل ينقص أولا أولا لنقصان المادة حتى يكون آخر مائية الطبيعة فى تناهى النقص فى الاجسام والاعمار (وقد أبى) ما ذكرنا من عظم أجسام الناطقين فى صدور الزمان كثير من أهل النظر والبحث ممن تاخر وزعموا أن تاثيرهم فى بنيانهم وما ظهر فى الارض من أعمالهم يدل على صغر أجسامهم وانها كانت كاجسامنا لما شاهدوه من مساكنهم وأبوابهم وعمراتهم فيما أحدثوه من البنيان والهياكل والديار والمساكن فى سائر الارض كديار ثمود ونحتها المساكن فى الجبال وحفرها فى الصخر الصلد بيوتا صغارا وأبوابا لطافا وكذلك أرض عاد ومصر والشام وسائر بقاع الارض فى الشرق والغرب وهذا ان أكثرنا القول فيه طال وان أطنبنا فى صفته كثر فلنرجع الان الى ما عنه عدلنا ومن وصفه خرجنا من ذكر سبا ومارب وما كان من الملك فى ذلك الوقت وهو عمرو بن عامر وكان للملك عمرو بن عامر المقدم ذكره فى هذا الباب أخ كاهن عقيم يقال له عمران وكان

الموت الطارئ يكون باعلال قوى الطبيعة فلما كانت القوة أتم كانت

وهو مشهور وأما الصميل فهو ابن حاتم بن شمر بن ذى الجوشن وقيل الصميل بن حاتم ابن عمرو بن جندع بن شمر بن ذى الجوشن كان جده شمر من اشراف الكوفة وهو أحد قتلة الحسين رضى الله تعالى عنه ودخل الصميل الاندلس حين دخل كلثوم بن عياض المغرب غازيا وسادبها وكان شاعرا كثير السكر أميا لا يكتب ومع ذلك فانتهت اليه فى زمانه رياسة العرب بالاندلس وكان أميرها يوسف الفهرى كالمغلوب معه وكانت ولاية الفهرى الاندلس سنة تسع وعشرين ومائة فدانت له تسع سنين وتسعة أشهر وعنه كما ترى انتقل سلطانها الى بنى أمية واستفحل ملكهم بها الى بعد الاربعمائة ثم انتثر سلكهم وباد ملكهم كما وقع لغيرهم من الدول فى القرون السالفة سنة الله التى قد خلت فى عباده وكانت مدة الامراء قبل عبد الرحمن الداخل من يوم فتحت الاندلس الى هزيمة يوسف الفهرى والصميل ستا وأربعين سنة وشهرين وخمسة أيام لان الفتح كان لخمس بقين من رمضان سنة اثنتين وتسعين وهزيمة يوسف يوم الاضحى لعشر خلون من ذى الحجة سنة ثمان وثلاثين ومائة والله غالب على أمره * وحكى أن عبد الرحمن بن معاوية دخل يوما على جده هشام وعند أخوه مسلمة بن عبد الملك وكان عبد الرحمن اذ ذاك صبيا فامر هشام أن ينحى عنه فقال له مسلمة دعه يا امير المؤمنين وضمه اليه ثم قال يا أمير المؤمنين هذا صاحب بنى أمية ووزرهم عند زوال ملكهم فاستوص به خيرا قال فلم أزل اعرف مزيته من جدى من ذلك الوقت وكان الداخل يقاس بابى جعفر المنصور فى عزمه وشدته وضبط المملكة ووافقه فى أن ام كل منهما بربرية وان كلا منهما قتل ابن اخيه اذ قتل المنصور ابن السفاح وقتل عبد الرحمن ابن اخيه المغيرة بن الوليد ابن معاوية * ومن شعر عبد الرحمن وقد رأى نخلة بر صافته

تبدت لنا وسط الرصافة نخلة * تناءت بارض الغرب عن بلد النخل
فقلت شبيهى فى التغرب والنوى * وطول اكتئابى عن بنى وعن اهلى
نشات بارض انت فيها غريبة * فمثلك فى الاقصاء والمنتاى مثلى
سقتك غوادى المزن فى المنتاى الذى * يصح ويستمرى المساكين بالوبل

وكان نقش خاتمه بالله يثق عبد الرحمن وبه يعتصم واشاع سنة ١٦٣ الرحيل الى الشام لانتزاعها من بنى العباس وكتب جماعة من اهل بيته ومواليه وشيعته وعمل على أن يستخلف ابنه سليمان بالاندلس فى طائفة ويذهب بعامة من اطاعه ثم اعرض عن ذلك بسبب ام الحسن الانصارى الذى انتزى عليه بسرقسطة فبطل ذلك العزم * ومن شعر عبد الرحمن ايضا قوله يتشوق الى معاهد الشام

ايها الراكب المميم ارضى * اقرمنى بعض السلام لبعضى
ان جسمى كما علمت بارض * وفؤادى ومالكيه بارض
قدر البين بيننا فافترقنا * وطوى البين عن جفونى غمضى
قد قضى الله بالفراق علينا * فعسى باجتماعنا سوف يقضى

وترجمة الداخل طويلة وقد ذكرنا منها ما فيه مقنع انتهى والله تعالى الموفق للصواب وفى بنائه جامع قرطبة يقول بعضهم

وابرز

وأبرز فى ذات الاله ووجهه * ثمانين القا من لجين وعسجد
وانفقها فى مسجد زانه التقى * وقر به دين النبى محمد
ترى الذهب الوهاج بين سموكه * يلوح كلمع البارق المتوقد

*(ومن الوافدين على الاندلس أبو الاشعث الكلبى) دخل الاندلس وكان شيخا مسنا يروى عن امه عن عائشة رضى الله تعالى عنها الا انه كان منذرا صاحب دعابة وكان مختصا بعبد الرحمن بن معاوية وله منه مكانة لطيفة يدل بها عليه ولما توفى حبيب بن عبد الملك بن عمر بن الوليد بن عبد الملك بن مروان وكانت له من عبد الرحمن خاصة لم تكن لاحد من اهل بيته جعل عبد الرحمن يبكى و يجتهد فى الدعاء والاستغفار لحبيب وكان الى جنبه ابو الاشعث هذا قائما وكانت له دالة عليه ودعابة يحتملها منه فاقبل عند استقباره كالمخاطب للمتوفى علانية يقول يا ابا سليمان لقد نزلت بحفرة قلما يغنى عنك فيها بكاء الخليفة عبد الرحمن بعده فاعرض عنه عبد الرحمن وقد كاد التبسم يغلبه هكذا ذكره ابن حيان رحمه الله تعالى فى المقتبس ونقله عنه الحافظ ابن الابار *(ومن الداخلين الى الاندلس جزى بن عبد العزيز اخو عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه) دخل الاندلس ومات فى مدة الداخل وكان من اولياء الله تعالى مقتفيا سبيل اخيه عمر بن عبد العزيز رحمهما الله تعالى *(ومنهم بكر بن سوادة بن ثمامة الجذامى) و يكنى ابا ثمامة وجده صحابى وكان بكر هذا فقيها كبيرا من التابعين روى عن جماعة من الصحابة كعبد الله بن عمرو بن العاص وقيس بن سعد بن عبادة وسهل بن سعد الساعدى وسفيان بن وهب الخولانى وحبان بن سمع الصدائى وقيد اسمه الدارقطنى رحمه الله تعالى حبان بكسر الحاء المهملة و بباء مجمة بواحدة ونقله الامير كذلك وهو ممن وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد فتح مصر قال ابن يونس و يقال فيه حبان بالكسر وحبان بالفتح أصح انتهى وضبطه بعضهم بالياء المثناة تحت (رجع) وممن روى عنه بكر من الصحابة أبو ثور الفهمى وأبو عميرة المزنى وروى عن جماعة من التابعين أيضا كسعيد بن المسيب وأبى سلمة بن عبد الرحمن وعروة بن الزبير وجماعة سواهم يكثر عددهم و يطول سردهم منهم ربيعة بن قيس الجملى وأبو عبد الرحمن الحبلى وزياد بن نعيم الحضرمى وسفيان بن هانئ الجيشانى وسعيد بن شمر السبائى وعبد الله بن المستورد بن شداد الفهرى وعبد الرحمن بن أوس المزنى وزيادة بن ثعلبة البلوى وشيبان بن أمية القتبانى وعامر بن ذريح الحميرى وعمير بن الفيض اللخمى وأبو حمزة الخولانى وعياض بن فروخ المعافرى ومسلم بن مخشى المدبجى وهانئ بن معاوية الصدفى وغيرهم ممن اشتمل على ذكرهم التاريخان لابن عبد الحكم وابن يونس وممن روى عن بكر المذكور عبد الله بن لهيعة وعمرو بن الحرث وجعفر بن ربيعة وأبو زرعة بن عبد الحكم الافريقى وغيرهم قال ابن يونس توفى بافريقية فى خلافة هشام بن عبد الملك وقيل بل غرق فى مجاز الاندلس سنة ثمان وعشرين ومائة قال وجده ثمامة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وله بمصر حديث رواه عمرو بن الحرث وقال أبو بكر عبد الله بن محمد القيروانى المالكى فى تاريخه المسمى برياض النفوس وقد ذكر بكر هذا انه كان أحد العشرة التابعين يعنى الموجهين الى

بمارب) وعرف من سيل العرم ان عمران الكاهن أخا عمرو رأى فى كهانته ان قومه سوف يمزقون كل ممزق و يباعدون بين أسفارهم فذكر ذلك لاخيه عمرو وهو الملك مزيقياء الذى كانت محنة القوم فى ايام ملكه والله أعلم بكيفية ذلك و بينا طريفة الكاهنة ذات يوم نائمة اذ رأت فيما يرى النائم ان سحابة غشيت ارضها وارعدت وابرقت ثم صعقت فاحرقت ما وقعت عليه ووقعت الى الارض فلم تقع على شئ الا احرقته ففزعت طريفة لذلك وذعرت ذعرا شديدا وانتبهت وهى تقول ما رايت مثل اليوم قد اذهب عنى النوم رايت غيما ابرق وارعد ثم اصعق فما وقع على شئ الا احرق فما بعد هذا الا الغرق فلما راوا ما داخلها من الرعب خفضوها وسكنوها من جاشها حتى سكنت ثم ان عمرو بن عامر دخل حديقة من حدائقه ومعه جاريتان له فبلغ ذلك طريفة فاسرعت نحوه وامرت وصيفاتها يقال له سنان ان يتبعها فلما برزت من باب بيتها عارضها ثلاث مناجد منتصبات على ارجلهن

افريقية من قبل عمر بن عبد العزيز في خلافته ليفقهوا أهل افريقية ويعلموهم امر دينهم قال وأغرب بحديث عن عقبة بن عامر لم يروه غيره فيما علمت حدث عبد الله بن لهيعة عنه عن عقبة بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان رأس مائتين فلا تأمر بمعروف ولا تنه عن منكر وعليك بخاصة نفسك وحكى المالكي أيضا عن أبي سعيد بن يونس قال كان فقيها مفتيا سكن القيروان وكانت وفاته كما تقدم وذكره الحميدي في الداخلين الى الاندلس ولم يذكره ابن الفرضي *(ومنهم زريق بن حكيم أحد المعدودين في الداخلين الى الاندلس) ذكره أبو الحسن بن النعمة عن أبي المطرف عبد الرحمن بن يوسف الرفاء القرطبي وحكى انه كتب ذلك من خطه وسماه مع جماعة منهم حبان بن أبي جبلة وعلي بن ابي رباح وأبو عبد الرحمن الحبلي وحنش بن عبد الله الصنعاني ومعاوية بن صالح وزيد بن الحباب العكلي وانتهى عددهم بزريق هذا سبعة ولم يذكره ابن الفرضي ولا غيره قاله الحافظ أبو عبد الله القضاعي *(ومنهم زيد بن قاصد السكسكي) قال ابن الابار وهو تابعي دخل الاندلس وحضر فتحها وأصله من مصر يروي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه وروى عنه عبد الرحمن بن زياد بن انعم الافريقي ذكره يعقوب بن سفيان وأورد له حديثا من كتاب الحميدي انتهى *(ومنهم زرعة بن روح الشامي) دخل الاندلس وحدث عنه ابنه مسلمة بن زرعة بحكاية عن القاضي مهاجر بن نوفل *(ومنهم محمد بن أوس بن ثابت الانصاري) قال ابن الابار تابعي دخل الاندلس يروي عن أبي هريرة قرأته بخط ابن حبيش وقال أبو سعيد بن يونس مؤرخ مصر انه يروي عنه الحرث بن يزيد ومحمد بن عبد الرحمن بن ثوبان وكان غزا المغرب والاندلس مع موسى بن نصير ويروي عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه وقال الحميدي انه كان من أهل الدين والفضل معروفا بالفقه ولي بحر افريقية سنة ثلاث وتسعين وغزا المغرب والاندلس مع موسى بن نصير فيما حكاه ابن يونس صاحب تاريخ مصر وكان على بحر تونس سنة ثنتين ومائة على ما حكاه عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم ولما قتل يزيد بن أبي مسلم والي افريقية اجتمع رأي اهلها عليه فولوه أمرهم وذلك في خلافة يزيد بن عبد الملك بن مروان الى أن ولي بشر بن صفوان الكلبي افريقية وكان على مصر فخرج اليها واستخلف اخاه حنظلة انتهى (ومنهم عبد الملك بن عمر بن مروان بن الحكم الاموي) فر من الشام خوفا من المسودة فمر بمصر ومضى الى الاندلس وقد غلب عليها الامير عبد الرحمن ابن معاوية الداخل فاكرمه ونوه به وولاه اشبيلية لانه كان قد عدد بني أمية ثم انه لما وجد الداخل يدعو لابي جعفر المنصور اشار عليه بقطع اسمه من الخطبة وذكره بسوء صنيع بني العباس ببني أمية فتوقف عبد الرحمن في ذلك فما زال به عبد الملك حتى قطع الدعاء له وذلك انه قال له حين امتنع من ذلك ان لم تقطع الخطبة لهم قتلت نفسي فقطع حينئذ عبد الرحمن الخطبة بالمنصور بعد أن خطب باسمه عشرة اشهر ولما زحف اهل غرب الاندلس نحو قرطبة لحرب الامير عبد الرحمن انهض اليهم عبد الملك هذا فنهض في معظم الجيش وقدم ابنه امية أمامه في اكثر العساكر فخالطهم امية فوجد فيهم قوة فخاف الفضيحة معهم فانحاز منهزما الى ابيه فلما جاءه سقط في يده وقال له ما حملك على ان استخففت بي وجرات الناس على

واضعات ايديهن على
وضعت يدها على عينها
وقعدت وقالت لوصفها
اذا ذهبت هذه المناجد
عنا فاعلمني فلما ذهبت
اعلمها فانطلقت مسرعة
فلما عارضها خارج الحديقة
التي فيها عمرو ونبت من
الماء سلحفاة فوقعت على
الطريق على ظهرها وجعلت
تريد الانقلاب فلا تستطيع
فتستعين بذنبها وتحثو
التراب على بطنها وجنبها
وتقذف بالبول فلما
رأتها طريفة جلست الى
الارض فلما عادت السلحفاة
الى الماء مضت الى ان
دخلت على عمرو الحديقة
حين انتصف النهار في
ساعة شديد حرها فاذا
الشجر تتكفأ من غير ريح
فقعدت حتى دخلت على
عمرو ومعه جاريتان على
الفراش فلما رآها استحيا
منها وأمر الجاريتين فنزلتا
عن الفراش ثم قال لها هلمي
يا طريفة الى الفراش
فتكهنت وقالت والنور
والظلماء والارض والسماء
ان الشجر لهالك وسيعود
الماء ما كان في الدهر
السالف قال عمرو من
خبرك بهذا قالت أخبرني
المناجد بسنين شداد
يقطع فيها الوالد الواحد قال ما تقولين قالت أقول قول الندمان لهفا

اعينهن وهي دواب يشبهن اليرابيع يكن بارض اليمن فلما رأتهن طريفة

والعدو

والعدوان كنت فررت من الموت فقد جئت اليه فامر بضرب عنقه وجمع اهل بيته وخاصته وقال لهم طردنا من الشرق الى اقصى هذا الصقع ونحسد على لقمة تبقى الرمق اكسروا جفون السيوف فالموت أولى أو الظفر ففعلوا وحملوا وتقدمهم فهزم اليمانية وأهل اشبيلية ولم تقم بعدها اليمانية قائمة وقتل بين الفريقين ثلاثون ألفا وجرح عبد الملك فاتاه عبد الرحمن وجرحه يجرى دما وسيفه يقطر دما وقد لصقت يده بقائم سيفه فقبل بين عينيه وجزاه خيرا وقال له يا ابن عم قد أنكحت ابني وولي عهدي هشاما ابنتك فلانة وأعطيتها كذا وكذا واعطيتك كذا ولاولادك كذا وأقطعتك واياهم كذا وليتكم الوزارة * ومن شعره لما نظر نخلة منفردة باشبيلية فتذكر وطنه بالشام وقال

يانخل أنت فريدة مثلي * في الارض نائية عن الاهل
تبكي وهل تبكي مكممة * عجماء لم تجبل على جبل
ولوانها عقلت اذا البكت * ماء الفرات ومنبت النخل
لكنها حرمت وأخرجني * بغضي بني العباس عن أهلي

* (ومن الداخلين من المشرق الى الاندلس هاشم بن الحسين بن ابراهيم بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم أجمعين) ونزل حين دخوله ببلة وتعرف منازلهم فيها بمنازل الهاشمي وذكره أمير المؤمنين الحكم المستنصر في كتابه انساب الطالبيين والعلويين القادمين الى المغرب * (ومن الداخلين الى الاندلس عبد الله ابن المغيرة الكناني حليف بني عبد الدار) سماه أبو محمد الاصيلي الفقيه في الداخلين الاندلس من التابعين حكى ذلك عنه أبو القاسم بن بشكوال في مجموعه المسمى بالتنبيه والتعيين قال ابن الابار وما أراه يتابع عليه وذكره أبو سعيد بن يونس من أهل افريقية انتهى وذكر انه روى عن سفيان بن وهب الخولاني (ومنهم عبد الله المعمر الذي طر أعلى الاندلس في آخر الزمان وكان يزعم انه لقي بعض التابعين) قال ابن الابار وروى عنه أبو محمد أسد الجهني ذكر ذلك القيسي وفيه عندي نظر انتهى (ومنهم أبو عمرو عبد الرحمن بن شماسة بن ذئب المهري) روى عن أبي ذر وقيل عن أبي نضرة عن أبي ذر وعائشة وعمرو بن العاص وابنه عبد الله وزيد بن ثابت وأبي نضرة الغفاري وعقبة بن عامر الجهني وعوف بن مالك الاشجعي ومعاوية بن حديج ومسلمة بن مخلد وأبي رهم ذكره ابن يونس في تاريخ مصر وسماه ابن بشكوال في الداخلين الاندلس من التابعين وروى ذلك عن الحميدي قاله ابن الابار وقال ابن يونس وآخر من حدث عنه بمصر حرملة بن عمران (ومن الداخلين الى الاندلس من المشرق عبد الله بن سعيد ابن عمار بن ياسر رضي الله تعالى عنه) وقد ذكره ابن حيان في مقتبسه وأخبر أن يوسف بن عبد الرحمن الفهري كتب له أن يدافع عبد الرحمن المروانى الداخل للاندلس وكان المذكور اذ ذاك أميرا على اليمانية من جند دمشق وانما ركن اليه في محاربة عبد الرحمن لما بين بني عمار وبني أمية من الثار بسبب قتل عمار بصفين وكان عمار رضي الله تعالى عنه من شيعة علي كرم الله وجهه وهذا عبد الله بن سعيد هو جد بني سعيد أصحاب القلعة الذين منهم عدة رؤساء وامراء وكتاب وشعراء ومنهم صاحب المغرب وغيره واحد ممن عرفناه في هذا

الشجر يتكفا قال عمرو متى ترين ذلك قالت هي داهية كبيرة ومصائب عظيمة لامور جسيمة قال وماهي قالت اجل ان لي الويل ومالك فيها من نيل فلي ولك الويل مما يجيء به السيل فالقى عمرو نفسه على الفراش وقال ماهذا باظريفة قالت هو جبل جليل وحزن طويل وخلف قليل والقليل خير من تركه قال عمرو وما علامة ذلك قال تذهب الى السد فاذا رايت جرذا يكثر في السد الحفر ويقلب برجليه من الجبل الصخر فاعلم ان النقر عقر وانه قد وقع الامر قال وما هذا الامر الذي يقع قالت وعد الله نزل وباطل يطل ونكال بنا نزل فتعمده ياعمرو فليكن الشكل فانطلق عمرو الى السد يحرسه فاذا الجرذ يقلب برجليه صخرة ما يقلبها خمسون رجلا فرجع الى ظريفة فاخبرها الخبر وهو يقول

ابصرت امرا عادلي منه الم
وهاج لي من هوله برح السقم
من جوذ كفعل خنزير اجم
او تيس صرم من اقاوين الغنم

يسحب صخرا من جلاميد العرم * له مخاليب وانياب فطم مافاته سحلا من الصخر قصم * كانما يرعى حصيرا من سلم

فقالت له ظريفة ان من فتوضع بين يديك فانها ستمتلئ بين يديك من تراب البطحاء من سهله الوادى ورمله وقد علمت ان الجنان مظلة مايدخلها شمس ولا ريح فامر عمرو بزجاجة فوضعت بين يديه فلم تمكث الا قليلا حتى امتلأت من تراب البطحاء فذهب عمرو الى ظريفة فاخبرها بذلك وقال متى ترين هلاك السد قالت فيما بينك وبين السبعين سنة قال ففى أيها يكون قالت لا يعلم ذلك الا الله تعالى ولو علمه أحد لعلمته ولا ياتى عليك ليلة فيما بينك وبين السبعين سنة الا ظننت هلاكه فى غدها او فى تلك الليلة وراى عمرو فى النوم سيل العرم وقيل له ان آية ذلك ان ترى الحصباء قد ظهرت فى سعف النخل فذهب الى سرب النخل وسعفه فوجد الحصباء قد ظهرت فيها فعلم ان ذلك واقع بهم وان بلادهم ستخرب فكتم ذلك واخفاه وأجمع ان يبيع كل شئ له بارض سبا ويخرج منها هو وولده ثم خشى ان يستنكر ذلك فصنع طعاما وأمر بابل فنحرت وبغنم فذبحت وصنع طعاما واسعا ثم بعث الى أهل مارب أن عمرا صنع يوم مجد وذكر فاحضروا

الكتاب ومن مشاهيرهم أبو بكر محمد بن سعيد بن خلف بن سعيد صاحب أعمال غرناطة فى مدة الملثمين قال وهو القائل يفتخر

ان لم أكن للعلاء أهلا * بما تراه فمن يكون
فكل ما أبتغيه دونى * ولى على همتى ديون
ومن يرم مايقل عنه * فذاك من فعله جنون
فرع بافق السماء سام * وأصله راسخ مكين

وقوله

الله يعلم انى * أحب كسب المعالى
* وانما اتوانى * عنها لسوء المآل
تحتاج للكد والبذ * ل واصطناع الرجال
دع كل من شاء يسمو * لها بكل احتيال
فحالهم فى انعكاس * بها وحالى حالى

وتراجمهم واسعة وقد بسطت فى المسهب والمغرب وغيرهما وقد قدمنا فى الباب قبل هذا من أخبار بنى سعيد هؤلاء ما يثلج الصدر فليراجع * (ومن الوافدين على الاندلس من المشرق ابو زكريا يعبد الرحيم بن أحمد بن نصر بن اسحق بن عمرو بن مزاحم بن غياث التميمى البخارى الحافظ نزيل مصر) سمع ببخارى بلده من ابراهيم بن محمد بن يزداد وأخيه أحمد وكانا يرويان معا عن عبد الرحمن بن أبى حاتم الرازى وعن أبى الفضل السليمانى ببيكند وأبى عبد الله محمد بن أحمد المعروف بغنجار وأبى يعلى حمزة بن عبد العزيز المهلبى وأقرانه باليمن وأبى القاسم غمام بن محمد الرازى بدمشق وابن أبى كامل باطرابلس الشام وأبى محمد عبد الغنى ابن سعيد الحافظ بمصر وله رواية عن أبى نصر الكلاباذى وأبى عبد الله الحاكم وأبى بكر ابن فورك المتكلم وأبى العباس بن الحاج الاشبيلى وأبى القاسم على بن أحمد الخزاعى صاحب الهيثم بن كليب وأبى الفضل العباس بن محمد الحذاء التنيسى وأبى الفتح محمد بن ابراهيم بن الجندرى وأبى بكر محمد بن داود العسقلانى وهلال الحفار وصدقة بن محمد بن مروان الدمشقى ولقى بافريقية العابد ولى الله سيدى محرز بن خلف التميمى مولاهم وصحبه وقال لقد هبته يوم لقيته هيبة لم أجدها لاحد فى نفسى من الناس ودخل الاندلس وبلاد المغرب وكتب بها عن شيوخها ولم يزل يكتب الى ان مات حتى كتب عمن دونه وله رسالة الرحلة وأسبابها وقول لا اله الا الله وثوابها فسمع منه أبو عبد الله الرازى وذكره فى مشيخته قال الحافظ ابن الابار ومنها نقلت اسمه وتعرفت دخوله الاندلس وحدث عنه هو وجماعة منهم أبو مروان الطبنى وقال هو من الرحالين فى الآفاق أخبرنى انه يحدث عن مئتين من أهل الحديث وأبو عبد الله الحميدى وأبو بكر الطليطلى وأبو عبد الله بن منصور الحضرمى وأبو سعيد الرهاوى وابو محمد جعفر بن محمد السراج وأبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الباقى وأبو الحسن بن مشرف الاغاطى وأبو الفتح نصر بن ابراهيم المقدسى وأبو محمد شعيب بن سبعون الطرطوشى وأبو بكر بن نعمة العابر وأبو الحسن على بن الحسين الموصلى الغراف وأبو عثمان سعد

ابن عبد الله الحيدري من شيوخ السلفي وأبو محمد عبد الكريم بن حمزة بن الخضر السلمي وأبو اسحق الكلاعي من شيوخ أبي بحر الاسدي وأبو محمد بن عتاب كتب اليه بجميع ما رواه ولم يعرف ذلك في حياته وسماه أبو الوليد بن الدباغ في الطبقة العاشرة من طبقات أئمة المحدثين من تاليفه مع أبي عمر بن عبد البر وابي محمد بن حزم وأبي بكر بن ثابت الخطيب وذكره أبو القاسم بن عساكر في تاريخه وقال سمع بما وراء النهر والعراق ومصر واليمن والشيروان ثم سكن مصر وقدم دمشق قديما وحدث بها وسمى جماعة كثيرة من الرواة عنه وحكى انه قال لي بخاري اربعة عشر الف جزء حديث أريد ان امضي وأجيء بها قال وسئل عن مولده فقال في شهر ربيع الاول سنة اثنتين وثمانين وثلثمائة قال وتوفي بالحوراء سنة احدى وسبعين واربعمائة رحمه الله تعالى ورضي عنه انتهى قلت والذي اعتقده انه لم يدخل الاندلس من اهل المشرق احفظ منه للحديث وهو ثقة عدل ليس له مجازفة والحق ابلج *(ومن دخل الاندلس من المشرق عبد الجبار بن ابي سلمة الفقيه عبد الله بن عبد الرحمن بن عوف القرشي) الزهري دخل الاندلس مع موسى بن نصير وكان على ميسرة معسكره ونزل باجة ثم بطليوس ومن نسله الزهريون الاشراف الذين كانوا باشبيلية انتقلوا الى سكناها قديما هكذا في خبر القاضي أبي الحسين الزهري منهم عن أبي بكر بن خير وغيره قال ابن بشكوال في مجموعه المسمى بالتنبيه والتعيين لمن دخل الاندلس من التابعين عبد الجبار بن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف من التابعين وقع ذكره في كتاب شيخنا أبي الحسن بن مغيث انتهى قال ابن الابار ولم يزد على هذا انتهى *(ومن الداخلين الى الاندلس من المشرق أبو محمد عبد الوهاب بن عبد الله بن عبد الوهاب) من أهل مصر وسكن بغداد ويعرف بالطندتائي قرية بمصر نسب اليها روى عن أبي محمد الشارمساحي وتفقه به وقدم الاندلس رسولا بزعمه من عند الخليفة العباسي فسكن مرسية ودرس بها وخرج منها سنة اثنتين واربعين وستمائة بعد أن تملكها النصارى صلحا وأسر بناحيتها صقلية قال ابن الابار ثم بلغني انه تخلص ولحق ببلده رحمه الله تعالى *(ومنهم عبد الخالق بن ابراهيم الخطيب يكنى أبا القاسم) قال ابن الابار لا اعرف موضعه من بلاد المشرق وكان اديبا قوي العارضة مطبوع الشعر مديد النفس ومن شعره من قصيدة صنعها في وقت رحلته الى الاندلس قوله

على الذل اوفاحمل عقال الركائب * وللضيم اوفاحمل صدور الكتائب
فاما حياة بعد ادراك منية * واما ممات تحت عز القواضب
فما العيش في ظل الهوان بطيب * وما الموت في سبل العلا ببعائب

*(ومنهم ابو محمد عبد اللطيف بن أبي الطاهر احمد بن محمد بن هبة الله الهاشمي الصدفي) من أهل بغداد يعرف بالترسي دخل الاندلس وكان يزعم انه روى عن أبي الوقت السجزي وأبي الفرج الجوزي وغيرهما وله تاليف سماه بالدليل في الطريق من اقاويل اهل التحقيق ذكره ابو عبد الله محمد بن سعيد الطراز وضعفه بعد ما سمع منه أخذ عنه وسمع منه هو وابو القاسم عبد الرحمن بن القاسم المغيلي وغيرهما وقال ورد علينا غرناطة قريبا من

أطعم الطعام الناس فاجلس
عندي وناز عني الحديث
وارددعلي وافعل بي مثل
ما أفعله بك وجاء أهل مأرب
فلما جلسوا أطعم الناس
وجلس عنده الذي أمر به
فجعل ينازعه الحديث ويرد
عليه فضرب عمرو وجهه
وشتمه فصنع الصبي بعمرو
مثل ما صنع فقام عمرو
وصاح واذلاه يوم فخر عمرو
ومجده يضرب وجهه صبي
وحالف ليقتلنه فلم يزالوا
بعمرو حتى تركه ففي ذلك
قال حاجر الازدي
يارب لطمة غدر قد سخنت
بها
بكف عمرو اتى بالغدر قد
عرفت
ثم قال والله لا أقيم ببلدة
صنع هذا بي فيه ولا يبعن
عقاري فيه وأموالي فقال
الناس بعضهم لبعض
اغتنموا غضبة عمرو
واشتروا منه أمواله قبل أن
يرضى فابتاع الناس منه
جميع ماله بارض مأرب
وفشا بعض حديثه فيما
بلغه من شان سيل العرم
فخرج ناس من الازد وباعوا
أموالهم فلما أكثروا البيع
استنكر ذلك الناس
فامسكوا بايديهم فلما
اجتمعت الى عمرو بن عامر
أمواله أخبر الناس بشان

١١ ط نى سيل العرم فقال أخوه عمران الكاهن قد رأيت انكم ستمزقون كل ممزق وبباعد بين أسفاركم واني

أصف لكم البلدان فاختاروا أيها شئتم ١٢ فمن أعجبه منكم صفة بلد فليصر اليها ومن كان منكم ذاهم بعيد وحمل شديد فليلحق بقصر عمان المشيد قال ومن كان منكم ذاهم بعيد وحمل غير شديد فليلحق بالشعب من كرود قال وهي أرض همدان فليلحق به وادعة بن عفر فانتسبوا فيهم وقال الكاهن ومن كان منكم ذا حاجة ووطر ونظر وصبر على أزمات الدهر فليلحق ببطن مر وكان الذين سكنوه خزاعة لانخزاعها في ذلك الموضع عمن كان معهما من الناس وهم بنو عمرو بن لحي فتخزعت هنالك الى هذه الغاية وفي ذلك يقول حسان بن ثابت

ولما هبطنا بطن مر تخزعت
خزاعة منا في ملوك كراكر

في شعر له طويل ومالك وأسلم وبنو قصي بن حارثة ابن عمرو بن مزيقياء وقال الكاهن ومن كان يريد الراسيات في الرحل المطعمات في المحل فليلحق بيثرب ذات النخل وهي المدينة وكان الذين سكنوها الاوس والخزرج ابنا حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن مزيقياء قال الكاهن ومن كان يريد منكم الخمر والخمير والديباج والحرير والامر والتدبير فليلحق ببصرى وحفير وهي أرض الشام قال الكاهن ومن كان منكم يريد الثياب الرقاق والكنوز والارزاق

سنة ثلاث عشرة وستمائة وتوفي رضي الله تعالى عنه باشبيلية قريبا من هذا التاريخ وقال فيه ابو القاسم بن فرقد عبد اللطيف بن عبد الله الهاشمي البغدادي النرسي منسوب الى قرية من قرى بغداد سمع صحيح البخاري من ابي الوقت السجزي وروى عن غيره وله تآليف قال ابن الابار في التصوف منها تالف في اباحة السماع قرأت عليه اكثره وقرأت عليه عوالي النقيب بمدينة اشبيلية بحومة القصر المبارك عام خمسة عشر وستمائة

*(ومنهم ابو بكر عمر بن عثمان بن محمد بن احمد الخراساني الباخرزي المالكي يكنى ابا بكر) سمع من ابي الخير احمد بن اسمعيل الطالقاني القزويني وابي يعقوب يوسف بن عمر بن احمد الخالدي الزنجاني وقدم الاندلس وحدث بصحيفتي الاشج وجعفر بن نسطور الرومي وسمع منه بغرناطة ومرسية وغيرهما من بلاد الاندلس حدث عنه ابو القاسم الملاحي وسمع منه بمالقة ابو جعفر بن عبد الجبار وابو علي بن هاشم في صفر سنة ٦٠٠ ومولده في ربيع الاول سنة ٥٦٠ انتهى من تكملة ابن الابار قلت ولا يخفى على من له بصر بعلم الحديث أن الاشج وابن نسطور لا يلتفت اليهما ويرحم الله تعالى السلفي الحافظ اذ قال

حديث ابن نسطور وقيس ويعنم * وبعد أشج الغرب ثم خراش
ونسخة دينار ونسخة تربه * أبي هدبة القيسي شبه فراش

قال ابن عات كان الحافظ السلفي اذا فرغ من انشاد هذين البيتين ينفخ في يديه اشارة الى أن هذه الاشياء كالريح انتهى *(ومن الوافدين على الاندلس من أهل المشرق علي بن بندار ابن اسمعيل بن موسى بن يحيى بن خالد بن برمك البرمكي من أهل بغداد قدم الاندلس) تاجرا سنة سبع وثلاثين وثلثمائة وكان قد أخذ عن أبي الحسن عبد الله بن أحمد بن محمد بن المغلس الفقيه الداودي وتلمذله وسمع منه الموضح والمنهج من تآليفه في الفقه وفاتحة من أحكام القرآن هكذا نقله الحافظ ابن حزم عن أمير المؤمنين الحكم المستنصر بالله المعتنى بهذا الشان رحمه الله تعالى (ومنهم أبو العلاء عبيد بن محمد بن عبيد أبو العلاء النيسابوري) لقيه الحافظ أبو علي الصدفي ببغداد وأخذ عنه اذ قدمها حاجا وهو يحدث عن أبي سعيد عبد الرحمن ابن أحمد البصروي قال أبو علي وأراه دخل الاندلس ويغلب على ظني أني لقيته بسرقسطة ذكر ذلك القاضي عياض في المعجم من تآليفه والله تعالى أعلم * (ومنهم سهل بن علي بن عثمان التاجر النيسابوري يكنى أبا نصر) سمع جماعة من الخراسانيين وغيرهم منهم أبو بكر أحمد بن خلف الشيرازي وأبو الفتح السمرقندي وأدرك الامام أبا المعالي الجويني وحضر مجلسه ودرسه ولقي بعده أصحابه القشيري والطوسي وغيرهما وكان شافعي المذهب ذكره عياض وقال حدثني بحكايات وفوائد وأنشدني لابي طاهر السلفي وأجازني جميع رواياته وحدثني ان وفاة أبي المعالي كانت بنيسابور سنة خمس أو اربع وسبعين وأربعمائة وقال أبو محمد العثماني أنشدني ابو نصر سهل بن علي النيسابوري الحقواني قال أنشدنا ابو الفتح نصر ابن الحسن انشدنا ابو العباس العذري قال انشدنا ابو محمد بن حزم الحافظ لنفسه

ولما رأيت الشيب حل مفارقي * نذيرا بترحال الشباب المفارق

رجعت الى نفسى فقلت لها انظرى * الى ما اتى هذا ابتداء الحقائق
دعى دعوات اللهو قد فات وقتها * كما قد أفات الليل نور المشارق
دعى منزل اللذات ينزل اهله * وجدى لما تدعى اليه وسابقى

قال عياض توفى سهل هذا غريقا فى البحر منصرفا الى بلده من المرية رحمه الله تعالى * (ومنهم ابو المكارم هبة الله بن الحسين المصرى) كان من اهل العلم عارفا بالاصول حافظا للحديث متيقظا حسن الصورة والشارة دخل الاندلس وولى قضاء اشبيلية منها آخر شعبان سنة تسع وسبعين وخمسمائة قال ابن الابار وبه صرف ابو القاسم الخولانى واقام بها سنة وحضر غزوة شنترين وكان قدوم ابى المكارم هذا الاندلس خوفا من صلاح الدين يوسف بن ايوب فى قوم من شيعة العبيدى ملك مصر ووفد ايضا معه ابو الوفاء المصرى ثم استصحبه امير المؤمنين يعقوب المنصور معه فى غزوة قفصة الثانية وولاه حينئذ قضاء تونس وكان قد ولى قضاء فاس وولى ايضا ابو الوفاء صاحبه القضاء وتوفى وهو متولى قضاء تونس سنة ست وثمانين وخمسمائة رحمه الله تعالى (ومنهم يحيى بن عبد الرحمن بن عبد المنعم بن عبد الله القيسى الدمشقى) أصله من دمشق وبها ولد ويعرف بالاصبهانى فى مجلس أبى طاهر السلفى لدخوله اياها واقامته بها أزيد من خمسة أعوام لقراءة الخلافيات ويكنى أبا زكريا وسمع بالشرف أبا بكر بن ماشاده السكرى وأبى الرشيد بن خالد البيع وأبا الطاهر السلفى وغيرهم وقصد المغرب بعد أداء الفريضة فلقى ببجاية أبا محمد عبد الحق الاشبيلى واجازه وحضه على الوعظ والتذكير فامتثل ذلك ودخل الاندلس وتجول ببلادها واستوطن غرناطة منها وكان فقيها على مذهب الشافعى عارفا بالاصول والتصوف زاهدا ورعا كثير المعروف والصدقة يعظ الناس ويسمع الحديث ولم يكن بالضابط فيما قاله الحافظ ابن الابار قال وله كتاب الروضة الانيقة من تاليفه حدث عنه جماعة من الجلة منهم أبو جعفر بن حميرة الضبى وابنا حوط الله أبو محمد وابو سليمان وأبو القاسم الملاحى وابو العباس بن الجيار وأبو الربيع بن سالم وقال أنشدنى عند تودية اياه بغرناطة قال سمعت بعض المذكورين ينشد

يا زائرا زار ومازارا * كانه مقتبس نارا
مر بباب الدار مستعجلا * ماضره لو دخل الدارا
نفسى فداء لك من زائر * مازار حتى قيل قد سارا

وسمع منه أبو جعفر بن الدلال كتاب المعالم للخطابى فى شرح سنن أبى داود بقراءة جميعه عليه ومولده فى شوال سنة ثمان وأربعين وخمسمائة وتوفى بغرناطة بعد أن سكنها يوم الاثنين سادس شوال سنة ثمان وستمائة قال ابن الابار وفى هذا اليوم بعينه كانت وفاة شيخنا أبى عبد الله بن نوح ببلنسية رحمهما الله تعالى * (ومن الوافدين من المشرق الى الاندلس اسمعيل بن عبد الرحمن بن ملى القرشى) من ذرية عبد بن زمعة أخى سودة أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها رحل من مصر الى الاندلس فى زمن السلطان الحاكم المستنصر بالله أعوام الستين وثلثمائة حين ملك بنو عبيد مصر وأظهر وا فيها معتقدهم الخبيث فحل بومئذ من

وولده ومن كان بالحيرة من غسان على حسب ما قدمنا آنفا فيما سلف من هذا الكتاب (قال هشام ابن الكلبى) وأما أبى فكان يقول انما نزل بالحيرة من غسان مع تبع بعد هذا بزمان ثم خرج عمرو بن عامر مزيقياء فسكنوا همدان وتخلف مالك بن الهميسان بن جهم ابن عدى بن عمرو بن مازن ابن الازد وكان بعدهم بمأرب ملكا الى أن كان من أمرهم ما كان فى الهلاك ثم ساروا حتى اذا كانوا بنجران تخلف أبو حارثة ابن عمرو بن عامر مزيقياء ورعيل بن كعب بن أبى حارثة فانتسبوا الى مذحج قال أبو المنذر ويقال ان أبا حارثة هو جد الحرث بن كعب بن أبى حذيفة الذى بنجران والله أعلم ثم سار عمرو بن عامر حتى اذا كان بادنى المساة ومكة فاقام هنالك أناس من بنى نصر من الازد وأقام معهم عمران بن عامر الكاهن أخو عمرو بن عامر مزيقياء وعدى بن حارثة بن عمرو مزيقياء وسار عمرو بن عامر وبنو مازن حتى نزلوا بين بلاد الاشعريين وعك على ماء يقال له غسان بين واديين يقال لهما زبيد ورمع وهما يليان صدورهما بين صعيد يقال له صعيد الحلك وبين الجبال التى تدفع به فى زبيد

الحكم المستنصر محل الرحب والسعة ولما ثارت الدولة العامرية أوى الى اشبيلية واوطنها داراواتخذها قراراو بها لقيه ابو عمر بن عبد البر علامة الاندلس فدرس عليه واقتبس مما لديه وقد ذكره فى تاريخ شيوخه ولم يزل عقبه بها الى ان نجم منهم ابو الحسين سالم بن محمد بن سالم وهو من رجال الذخيرة وله نثر كما تفتح الزهر وتدفق البحر ونظم كما اتسق الدر وسفرت عن محاسنها الانجم الغر فمن نظمه قوله

خليلى هل ليلى ونجد كعهدنا * فياحبذا ليلى و ياحبذا نجد
عسى الدهر أن يقضى لنا بالتفاتة * فيارب عهد قد يجدده بعد

وله اثناء رسالة

قوس العلا وضعت فى كف باريها * وأسهم الخطب عادت نحو راميها
وانما الشمس لاحت فى مطالعها * بلى واجرى جياد الخيل مجريها

ونشأ هذا النجم الثاقب والصيب الساكب وقد اخذ من العلوم فى غير مافن وحقق فيه كل ماظن وذكره فى المسهب وسمط الجمان وفضله اشهر رحمه الله تعالى *(ومنهم ابو على القالى صاحب الامالى والنوادر) وفد على الاندلس ايام الناصر امير المؤمنين عبد الرحمن فاكرم ابنه الحكم وكان يتصرف عن امر ابيه كالوزير عاملهم ابن رماحس ان يجى مع ابى على الى قرطبة و يتلقاه فى وفد من وجوه رعيته ينتخبهم من بياض اهل الكورة تكرمة لابى على ففعل وسار معه نحو قرطبة فى موكب نبيل فكانوا يتذاكرون الادب فى طريقهم و يتناشدون الاشعار الى ان تحاوروا يوما وهم سائرون ادب عبد الملك بن مروان ومساءلته جلساءه عن افضل المناديل وانشاده بيت عبدة بن الطبيب

ثم قمنا الى جرد مسومة * أعرافهن لايدينا مناديل

وكان الذاكر للحكاية الشيخ أبا على فانشد الكلمة فى البيت اعرافها لايدينا مناديل فانكرها ابن رفاعة الالبيرى وكان من أهل الادب والمعرفة وفى خلقه حرج وزعارة فاستعاد أبا على البيت متثبتا مرتين فى كلتيهما أنشده اعرافها فلوى ابن رفاعة عنانه منصرفا وقال مع هذا يوفد على أمير المؤمنين و يتخشم الرحلة لتعظيمه وهو لايقيم وزن بيت مشهور بين الناس لاتغلط الصبيان فيه والله لاتبعته خطوة وانصرف عن الجماعة وندبه أميره ابن رماحس أن لايفعل فلم يجد فيه حيلة وكتب الى الحكم يعرفه و يصف له ماجرى لابن رفاعة و يشكوه فاجابه على ظهر كتابه الحمد لله الذى جعل فى بادية من بوادينا من يخطئ وافد أهل العراق الينا وابن رفاعة اولى بالرضا عنه من السخط فدعه لشانه واقدم بالرجل غير منتقص من تكرمته فسوف يعليه الاختبار ان شاء الله تعالى أو يحطه و بعض المؤرخين يزعم أن وفادة أبى على القالى انما كانت فى خلافة الحكم المستنصر بالاندلس لافى خلافة أبيه الناصر والصواب ان وفادته فى أيام الناصر لماذكره غير واحد من حضوره عنه من الخطبة يوم احتفال الناصر لرسول الافرنج كما لمعنا به فى غير هذا الموضع وفى القالى يقول شاعر الاندلس الرمادى

من حاكم بينى و بين عذولى * الشيب والشجو والعويل عويلى

ورمع فاقاموا على غسان وشربوا منه فسموا غسان وغلب على أسمائهم فلا يعرفون الا به قال شاعرهم

اما سالت فانا معشر نجب * الازد نسبتنا والماء غسان

والذين سموا غسان من بنى مازن الاوس والخزرج ابنا ثعلبة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن مازن الازدى (وللقوم أخبار) فى تفرقهم ومن دخل منهم فى معد بن عدنان وما كان بينهم من الحروب الى أن ظفرت بهم بنو معد فاخرجتهم الى أن لحقوا بالسراة والسراة جبل الازد الذين يقال لهم السراة و يقال له الحجاز وانما سمى السراة من هذا الجبل ظهره فيقال لظهره السراة كما يقال لظهر الدابة السراة فاقاموا به وكانوا فى سهله وجبله وما قاربه وهو جبل على تخوم الشام وفرز بينه و بين الحجاز مما يلى أعمال دمشق والاردن و بلاد فلسطين وتلا جبل حرا (وقد كان) أهل مارب يعبدون الشمس فبعث الله اليهم رسلا يدعونهم الى الله ويزجرونهم عما هم عليه ويذكرونهم آلاء الله ونعمته عليهم فجحدوا قولهم وردوا كلامهم وأنكروا أن لله عليهم نعمة وقالوا لهم ان كنتم رسلا فادعوا الله أن يسلبنا ما أنعم به علينا ويذهب عنا ما أعطانا وفى ذلك تقول امرأة منهم

ان كان مايصح فى ضلاله * من ربكم فلينطاق بماله * اليه عنا والى عياله

فى أى جارحة أصون معذبى * سلمت من التعذيب والتنكيل
ان قلت فى بصرى ثقم مدامعى * أوقلت فى قلبى ثقم غليلى
لكن جعلت له المسامع موضعا * وحجبتها عن عذل كل عذول

ولما سمع المتنبي البيت الثانى قال بصونه فى استه وكان الرمادى لما سمع قول المتنبي

كفى بجسمى نحولا أننى رجل * لولا مخاطبتى اياك لم ترنى

قال أظنه ضرطة والجزاء من جنس العمل و باسم أمير المؤمنين الحكم المستنصر بالله طرز الشيخ أبو على القالى كتاب الامالى وكان الحكم كريما معنيا بالعلم وهو الذى وجه الى الحافظ أبى الفرج الاصبهانى الف دينار على أن يوجه له نسخة من كتاب الاغانى وألف أبو محمد الفهرى كتابا فى نسب أبى على البغدادى وروايته ودخوله الاندلس وحكى ابن الطيلسان عن ابن جابر انه قرأ هذين البيتين فى لوح رخام كان سقط من القبة المبنية على قبر أبى على البغدادى عند نهدمها وهما

صلوا الحد قبرى بالطريق وودعوا * فليس لمن وارى التراب حبيب
ولا تدفنونى بالعراء فربما * بكى ان رأى قبر الغريب غريب

واسم أبى على اسمعيل بن القاسم بن عيذون بن هرون بن عيسى بن محمد بن سليمان وجده سليمان مولى عبد الملك بن مروان وكان أبو على احفظ أهل زمانه باللغة والشعر ونحو البصريين وأخذ الادب عن أبى بكر بن دريد الازدى وأبى بكر بن الانبارى وابن درستويه وغيرهم وأخذ عنه ابو بكر الزبيدى الاندلسى صاحب مختصر العين ولابى على التصانيف الحسان كالامالى والبارع وطاف البلاد وسافر الى بغداد سنة ٣٠٣ وأقام بالموصل لسماع الحديث من أبى يعلى الموصلى ودخل بغداد سنة ٣٠٣ وأقام بها الى سنة ٣٢٨ وكتب بها الحديث ثم خرج من بغداد قاصدا الاندلس وسمع من البغوى وغيره قال ابن خلكان ودخل قرطبة لثلاث بقين من شعبان سنة ثلاثين وثلثمائة انتهى وهو مما يعين انه قدم فى زمن الناصر لا فى زمن ابنه الحكم كما تقدم وقد صرح بذلك الصفدى فى الوافى فقال ولما دخل المغرب قصد صاحب الاندلس الناصر لدين الله عبد الرحمن فأكرمه وصنف له ولولده الحكم تصانيف و بث علومه هناك انتهى وقال ابن خلكان انه استوطن قرطبة الى أن توفى بها فى شهر ربيع الآخر وقيل جمادى الاولى سنة ٣٥٦ ليلة السبت لستخلون من الشهر المذكور ودفن ظاهر قرطبة ومولده بمنازك من ديار بكر سنة ٢٨٨ وقيل سنة ٢٨٠ وانما قيل له القالى لانه سافر الى بغداد مع أهل قالى قلا وهى من أعمال ديار بكر وهو من محاسن الدنيا رحمه الله تعالى وعيذون بفتح العين وسكون الياء المثناة التحتية وضم الذال المعجمة وقال ابن خلكان فى ترجمة ابن القوطية ان أبا على القالى لما دخل الاندلس اجتمع به وكان يبالغ فى تعظيمه قال له الحكم بن عبد الرحمن الناصر من أبل من رأيته ببلدنا هذا فى اللغة فقال محمد بن القوطية وكان ابن القوطية مع هذه الفضائل من العباد النساك وكان جيد الشعر صحيح الالفاظ حسن المطالع والمقاطع الا أنه تركه ورفضه وقال الاديب أبو بكر بن هذيل انه توجه يوما الى ضيعة له بسفح جبل قرطبة وهى من بقاع

لولا الاله لم يكن عيالنا
ولم يسع عيالنا أموالنا
هو الذى يجيبنا سؤالنا
و يكشف الغم اذا ماهالنا
فارسل الله عليهم سيل العرم فهدم سدهم وغشى الماء أرضهم فاهلك شجرهم وأباده وأزال أموالهم وأنعامهم فاتوا رسلهم فقالوا ادعوا الله أن يخلف علينا نعمتنا ويخصب بلادنا ويرد علينا ماشرد من أنعامنا ونعطيكم موثقا أن لا نشرك بالله شيأ فسالت الرسل ربها فاجابهم الى ذلك وأعطاهم ماسالوا فاخصبت بلادهم واتسعت عمائرهم الى أرض فلسطين والشام قرى ومنازل واسواقا فاتتهم رسلهم فقالوا موعدكم أن تؤمنوا فابوا الا طغيانا وكفرانا فمزقهم الله كل ممزق و باعدبين أسفارهم (قال المسعودى) واذ قد ذكرنا جملا من أخبار السد وبلاد مأرب وعمرو بن عامر وغير ذلك مما تقدم ذكره فى هذا الباب فلنرجع الآن الى أخبار الكهان

وكان أول ماتكهن به سطيح الغسانى انه كان نائما فى ليلة سها كيئة مظلمة مع حرمته فى الحاف والحى فقالوا ماطرق ياسطيح قال

خلوف اذ زعق من بينهم ورن وتاوه وقال والضياء والشفق والظلام الغسق ليطرقنكم مارق

الارض الطيبة المونقة فصادف ابابكر بن القوطية المذكور صادرا عنها وكانت له أيضا هنالك ضيعة قال فلما رآني مر ج علي واستبشر بلقائي فقلت مداعبا له

من أين اقبلت يا من لا شبيه له * ومن هو الشمس والدنيا له فلك

قال فتبسم وأجاب بسرعة

من منزل تحجب النساك خلوته * وفيه ستر على الفتاك ان فتكوا

فما تمالكت أن قبلت يده اذ كان شيخي ودعوت له انتهى وهو صاحب كتاب الافعال التي فتح فيه هذا الباب فتلاه ابن القطاع وله كتاب المقصور والممدود جمع فيه ما لا يحد ولا يعد وأعجز من بعده به وفاق من تقدمه رحمه الله تعالى ورضي عنه ومن أخذ عن ابي علي القالي بالاندلس ابو بكر محمد الزبيدي صاحب كتاب مختصر العين وغيره وكان الزبيدي كثيرا ما ينشد

الفقر في أوطاننا غربة * والمال في الغربة أوطان
والارض شئ كلها واحد * والناس اخوان وجيران

وترجمة الزبيدي واسعة وكان مؤدب المؤيد هشام ووصفه بانه كان في صباه في غاية الحذق والذكاء رحمه الله تعالى وكان القالي قد بحث على ابن درستويه كتاب سيبويه ودقق النظر وانتصر للبصريين وأملى شيأ من حفظه كمكتاب النوادر والامالي والمقصور والممدود والابل والخيل والبارع في اللغة نحو خمسة آلاف ورقة ولم يصنف مثله في الاحاطة والجمع ولم يتم ورتب كتاب المقصور والممدود على التفعيل ومخارج الحروف من الحلق مستقصى في بابه لا يشذ منه شئ وكتاب فعلت وأفعلت وكتاب مقاتل الفرسان وتفسير السبع الطوال وكان الزبيدي اماما في الادب ولكنه عرف فضل القالي فمال اليه واختص به واستفاد منه وأقرله وكان الحكم المستنصر قبل ولايته الامر وبعدها ينشط أبا علي ويعينه على التأليف بواسع العطاء ويشرح صدره بالافراط في الاكرام وكانوا يسمونه البغدادي لوصول اليهم من بغداد ويقال ان الناصر هو الذي استدعاه من بغداد لولائه فيهم وفيه يقول الرمادي متخلصا في لاميته السابق بعضها

روض تعاهده السحاب كانه * متعاهد من عهد اسمعيل
قسه الى الاعراب تعلم أنه * أولى من الاعراب بالتفضيل
حازت قبائلهم لغات فرقت * فيهم وحاز لغات كل قبيل
فالشرق خال بعده وكانما * نزل الخراب بربعه الماهول
فكانه شمس بدت في غربنا * وتغيبت عن شرقهم بافول
ياسيدي هذا ثنائي لم أقل * زورا ولا عرضت بالتنويل
من كان يامل نائلا فانا امرؤ * لم ارج غير القرب في تاميلي

وقد تقدمت ابيات القالي التي أجاب بها منذر بن سعيد في الباب قبل هذا فلتراجع ثمة والله تعالى اعلم * (ومن الوافدين الى الاندلس من المشرق ابو العلاء صاعد بن الحسين بن عيسى البغدادي اللغوي) واصله من الموصل قال ابن بسام ولما دخل صاعد قرطبة ايام المنصور

ماطرق الاالاجلح حين سرى الليل ذو جبسة في الوجرة وحرة بعدحرة في ليلة قرة فانصرفوا عن قوله واستهانوا بامره وتعاصفت سدود من أودية هنالك فجاءتهم في ليلة باردة قرة كماذكر فساقت الانعام والمواشي وكادت أن تذهب بعامتهم (ولسطيح الكاهن ولشق بن مصعب أخبار كثيرة) منها رؤيا تبع الحميري في ان جمجمة خرجت من ظلمة فوقعت بارض تهمة وكانت منها كل ذات جمجمة وما فسراه له في ذلك وكذلك خبر سطيح وعبد المسيح في رؤيا الموبذان وارتجاج الايوان وخبر سلمقة وزوبعة وما كان من أمرهما وخبر شان الظليم والسحرة وما كان بين عك وغسان من الحرب في رقة اللبن وحلاوته وثخنه ونزل غسان أعلى الوادي وعك في أسفله وما كان في ذلك من القيافة بينهم في طلوع الشمس وغروبها على ابلهم وخبر السموأل بن حسان بن عاديا وما كان من أمره وأمر خازن الكاهن وما قاله حين طرقه ليلا وانقياده الى ذمته وما كان من العير الاتر والظليم الاحمر والفرس الاشقر والجمل الاورق والشيخ الاسدي وغير ذلك مما ذكرناه فيما سلف من

ابن ابى عامر عزم المنصور على ان يقفى به آثار ابى على البغدادى الوافد على بنى امية فما وجد عنده مما يرتضيه واعرض عنه اهل العلم وقدحوا فى علمه وعقله ودينه ولم يأخذوا عنه شيئا لقلة الثقة به وكان الف كتابا سماه كتاب الفصوص فدحضوه ورفضوه ونبذوه فى النهر ومن شعره قوله

ومهفهف ابهى من القمر * قهر الفؤاد بفاتن النظر
خالسته تفاح وجنته * فاخذتها منه على غرر
فاخافنى قوم فقلت لهم * لاقطع فى ثمر ولا كثر

والكثر الجمار وهذا اقتباس من الحديث وقال الحميدى سمعت ابا محمد بن حزم الحافظ يقول سمعت ابا العلاء صاعدا ينشد بين يدى المظفر عبد الملك بن ابى عامر من قصيدة يهنيه فيها بعيد الفطر سنة ٣٩٦

حسدت المنعمين على البرايا * فالفيت اسمه صدر الحساب
وما قدمته الاكانى * اقدم تاليا ام الكتاب

وذكر الحميدى ان عبد الله بن ما كان الشاعر تناول نرجسة فركبها فى وردة ثم قال لصاعد ولابى عامر بن شهيد صفاها فاخذا فى وصفها ولم يتجه لهما القول فبينما هم على ذلك اذ دخل الرهيرى صاحب ابى العلاء وتلميذه وكان شاعرا اديبا اميا لا يقرأ فلما استقر به المجلس اخبر بما هم فيه فجعل يضحك ويقول

ما للاديبين قد أعيتهما * مليحة من ملح الجنه
نرجسة فى وردة ركبت * كمقلة تطرف فى وجنه

انتهى

ومن غريب ما جرى لصاعد أن المنصور جلس يوما وعنده اعيان مملكته ودولته من اهل العلم كالزبيدى والعاصمى وابن العريف وغيرهم فقال لهم المنصور هذا الرجل الوافد علينا يزعم انه متقدم فى هذه العلوم واحب ان يمتحن فوجه اليه فلما مثل بين يديه والمجلس قد احتفل خجل فرفع المنصور محله واقبل عليه وساله عن ابى سعيد السيرافى فزعم انه لقيه وقرأ عليه كتاب سيبويه فبادره العاصمى بالسؤال عن مسئلة من الكتاب فلم يحضره جوابها واعتذر بان النحو ليس جل بضاعته فقال له الزبيدى فما تحسن ايها الشيخ فقال حفظ الغريب قال فاوزن اولق فضحك صاعد وقال امثلى يسال عن هذا انما يسال عنه صبيان المكتب قال الزبيدى قد سالتك ولا نشك انك تجهله فتغيرلونه وقال أفعل وزنه فقال الزبيدى صاحبكم ممخرق فقال له صاعد اخال الشيخ صناعته الابنية فقال له اجل فقال صاعد وبضاعتى انا احفظ الاشعار ورواية الاخبار وفك المعمى وعلم الموسيقى قال فناظره ابن العريف تظهر عليه صاعد وجعل لا يجرى فى المجلس كلمة الا انشد عليها شعرا شاهدا واتى بحكاية تجانسها فاعجب المنصور ثم اراه كتاب النوادر لابى على القالى فقال ان اراد المنصور املية على كتاب دولته كتابا ارفع منه واجل لا اورد فيه خبرا مما اورده ابو على فاذن له المنصور فى ذلك وجلس بجامع مدينة الزاهرة على كتابه المترجم بالفصوص فلما اكمله تتبعه ادباء الوقت فلم تمر فيه كلمة صحيحة عندهم ولا خبر ثبت لديهم وسالوا المنصور

(قال المسعودى) عدة الشهور عند العرب وسائر العجم اثنا عشر شهرا فلنذكر الآن سنى وشهور وأيام ما اشتهر أهله من جل الامم وهم العرب والفرس والروم والسريانيون والقبط اذ كان قول اليونانيين فى ذلك من حسابهم ومن تبعهم على ذلك من أهل الصين وكثير من الممالك والامم اذ كان فى ذلك خروج عما عليه الجمهور والمعهود بين الناس ونجعل المبتدأ بذكر سنى وشهور القبط لموافقتها السريانيين وموافقتها الشهور الروم ثم نعقب ذلك بذكر سنى العرب وشهورها وأيامها ولأية علة استحق عندها تسمية كل شهر منها وكل يوم وما قالته العرب فى تسمية الليالى وجمل من ذكر أفعال الشمس والقمر وتاثيرهما فى هذا العالم فى الجماد والنبات والحيوان وغير ذلك مما يقف عليه المتامل عند قراءته ان شاء الله تعالى على ما يريد والله تعالى ولى التوفيق

(ذكر شهور القبط والسريانيين والخلاف فى أسمائها من التاريخ)

أول شهور القبط توت وهو ايلول وبابه وهو تشرين الاول وهاتور وهو تشرين الثانى وكيهك وهو كانون الاول

وبؤنه وهو حزيران وأبيب وهو تموز ومسرى وهو آب وللقبط بعد هذا خمسة أيام لواحق تدعى العمائر تزيدها على ما سمينا من شهورها وهى ثلثمائة يوم وستون يوما فتصير السنة ثلثمائة وخمسة وستين يوما وأول يوم من السنة عند القبط هو اليوم التاسع والعشرون من آب وعدة كل شهر منها ثلاثون يوما وكانت أيام السنة ثلثمائة وخمسة وستين يوما بعدد أيام سنة الفرس وكانت شهور القبط فيما مضى توافق أوائلها شهور الفرس وكان أول يوم أول آذرماه ثم كل شهر كذلك على هذا الوصف الى آخر سنة القبط آخر آذرماه وهذا الحساب بعينه موجود فى كتب الزيجات فى النجوم وأهل مصر وسائر القبط فى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة يستعملون فى حسابهم فى الشهور غير ما قدمنا وذلك انهم زادوا فى أيام السنة ربع يوم على مذهب اليونانيين والروم فصارت شهورهم مخالفة لشهور الفرس وموافقة لشهور السريانيين والروم فى عدد أيام السنة التى ملك فيها المختنصر وكان أولها يوم الاربعاء

فى تجليد كراريس بياض تزال جدتها حتى توهم القدم وترجم عليه كتاب النكت تاليف الى الغوث الصنعانى فترامى اليه صاعد حين رآه وجعل يقبله وقال اى والله قرانه بالبلد الفلانى على الشيخ ابى فلان فاخذه المنصور من يده خوفا ان يفتحه وقال له ان كنت قد قرانه كما تزعم فعلام يحتوى فقال وابيك لقد بعد عهدى به ولا احفظ الا أن منه شيا ولكنه يحتوى على لغة منثورة لا يشوبها شعر ولا خبر فقال له المنصور أبعد الله مثلك فما رأيت أكذب منك وأمر باخراجه وأن يقذف كتاب الفصوص فى النهر فقال فيه بعض الشعراء

قد غاص فى النهر كتاب الفصوص * وهكذا كل ثقيل يغوص

فأجابه صاعد

عاد الى معدنه انما * توجد فى قعر البحار الفصوص

قال ابن بسام وما أظن أحدا يجترئ على مثل هذا وانما صاعد اشترط أن لا يأتى الا بالغريب غير المشهور وأعانهم على نفسه بما كان يتنفق به من الكذب وحكى ابن خلكان أن المنصور أثابه على كتاب الفصوص بخمسة آلاف دينار ومن أعجب ما جرى له انه كان بين يدى المنصور فاحضرت اليه وردة فى غير وقتها لم يستتم فتحورقها فقال فيها صاعد مرتجلا

أتتك أبا عامر وردة * يذكرك المسك أنفاسها
كعذراء أبصرها مبصر * فغطت باكمامها راسها

فسر بذلك المنصور وكان ابن العريف حاضرا فحسده وجرى الى مناقضته وقال لابن أبى عامر هذان البيتان لغيره وقد أنشد فيهما بعض البغداديين لنفسه بمصر وهما عندى على ظهر كتاب بخطه فقال له المنصور أرنيه فخرج ابن العريف وركب وحرك دابته حتى أتى مجلس ابن بدر وكان أحسن أهل زمانه بديهة فوصف له ما جرى فقال هذه الابيات ودس فيها بيتى صاعد

غدوت الى قصر عباسة * وقد جدل النوم حراسها
فالفيتها وهى فى خدرها * وقد صرع السكر أناسها
فقالت أسار على هجعة * فقلت بلى فرمت كاسها
ومدت يديها الى وردة * يحاكى لذاك الطيب أنفاسها
كعذراء أبصرها مبصر * فغطت باكمامها راسها
وقالت خف الله لا تفضحن فى ابنة عمك عباسها
فوليت عنها على غفلة * وما خنت ناسى ولا ناسها

فطار ابن العريف بها وعلقها على ظهر كتاب بخط مصرى ومداد أشقر ودخل بها على المنصور فلما رآها اشتد غيظه على صاعد وقال للحاضرين غدا أمتحنه فان نفضه الامتحان أخرجته من البلاد ولم يبق فى موضع لى عليه سلطان فلما أصبح وجه اليه فاحضروا وأحضر جميع الندماء فدخل بهم الى مجلس محفل قد أعد فيه طبقا عظيما فيه سقائف مصنوعة من جميع النوار ير ووضع على السقائف لعب من ياسمين فى شكل الجوارى وتحت السقائف بركة ماء قد ألقى

اللآلئ مثل الحصباء وفى البركة حية تسبح فلما دخل صاعد ورأى الطبق قال له المنصوران هذا يوم اما أن تسعد فيه معنا واما أن تشقى بالضد عندنا لانه قد زعم قوم ان كل ما تاتى به دعوى وقد وقفت من ذلك على حقيقة وهذا طبق ماتوهمت أنه حضر بين يدى ملك قبلى شكله فصفه بجميع مافيه وعبر بعض عن هذه القصة بقوله أمر فعبى له طبق فيه أزهار ور ياحين و ياسمين و بركة ماء حصباؤها اللؤلؤ وكان فى البركة حية تسبح وأحضرها صاعد فلما شاهد ذلك قال له المنصوران هؤلاء يذكرون ان كل ما تاتى به دعوى لا صحة لها وهذا طبق ما ظننت انه عمل الملك مثله فان وصفته بجميع مافيه علمت صحة ماتذكره فقال صاعد بديهة

أبا عامر هل غير جدوالك واكف * وهل غير من عاداك فى الارض حائف
يسوق اليك الدهر كل غريبة * واعجب مايلفاه عندك واصف
وشائع نور صاغها هام الحيا * على حائتيها عبقر ورعارف
ولما تناهى الحسن فيها تقابلت * عليها بانواع الملاهى الوصائف
كمثل الظباء المستكنة كنسا * تظللها ايا ياسمين السقائف
وأعجب منها انهن نواظر * الى بركة ضمت اليها الطرائف
حصاها اللآلى سابح فى عبابها * من الرقش مسموم الثعابين زاحف
ترى ماتراه العين فى جنباتها * من الوحش حتى بينهن الملاحف

فاسعر بت له يومئذ تلك البديهة فى مثل ذلك الموضع وكتبها المنصور بخطه وكان الى ناحيته من تلك السقائف سفينة فيها حارية من التوارتجذف بمجاذيف من ذهب لم يرها صاعد فقال له المنصور أحسنت الا انك أغفلت ذكر المركب والجارية فقال للوقت

وأعجب منها عادة فى سفينة * مكللة تصبو اليها المهاتف
اذا راعها موج من الماء تثنى * بسكانها ما أنذر به العواصف
متى كانت الحسناء بان مركب * تصرف فى يمنى يديه المجادف
ولم ترعينى فى البلاد حديقة * تنقلها فى الراحتين الوصائف
ولا غروان ساقت معاليك روضة * وشتها أزاهيرا نا والزخارف
فأنت امرؤ لو رمت نقل متالع * ورضوى ذرتها من سطاك نواسف
اذا قلت قولا أو بدهت بديهة * فكلنى له انى لجدك واصف

أمر له المنصور بألف دينار ومائة ثوب ورتب له فى كل شهر ثلاثين دينارا وألحقه بالندماء قال وكان شديد البديهة فى ادعاء الباطل قال له المنصور يوما ما الختنبشار فقال حشيشة يعقد بها اللبن بيادية الاعراب وفى ذلك يقول شاعرهم

لقد عدمت محبتها بقلبى * كما عقد الحليب الختنبشار

وقال له يوما وقد قدم اليه طبق فيه تمر ما التمر كل فى كلام العرب فقال يقال تمر كل الرجل تمرا كلا اذا تغير فى كسائه وكان مع ذلك عالما قال وكان لابن أبى عامر فتى يسمى فاتنا أوحد لا نظير له فى علم كلام العرب فناظر صاعدا هذا فقطعه وظهر عليه وبكته فاعجب المنصور منه

بين تاريخ المختصر وتاريخ يزدجرد ألف وثلثمائة وتسع وتسعون سنة فارسية وثلاثة أشهر والذى بين تاريخ فليبوس وتاريخ يزدجرد تسعمائة واثنتان وأربعون سنة من سنى الروم ومائتان وتسع وخمسون يوما وبين تاريخ يزدجرد وتاريخ الهجرة من الايام ألف وستمائة وأربعة وعشرون يوما فاول هذه التواريخ تاريخ المختصر ثم تاريخ فليبوس ثم تاريخ يزدجرد وتاريخ العرب من اول السنة التى هاجر فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة وكان اولها يوم الخميس وتاريخ الفرس من أول السنة التى ملك فيها يزدجرد بن شهريار بن كسرى بن ابرويز وكان اولها يوم الثلاثاء وتاريخ الروم والسريانيين من اول السنة من ملك الاسكندر وكان اولها يوم الاثنين والله تعالى اعلم بحقيقة ذلك

(ذكر شهور السريانيين ووصف موافقتها الشهور العرب وعدة ايام السنة ومعرفة الانواء)

فاول ذلك ان ايام السنة

 نى ثلثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم وهى مختلفة فى العدد فنيسان ثلاثون يوما وايار احد وثلاثون

يوما وحزيران ثلاثون يوما حساب الهند وهو أطول يوم فى السنة وأقصر ليلة وتموز احدو ثلاثون يوما وآب احدو ثلاثون يوما فاذا انسلخ ذهب الحر قال محمد بن عبد الملك الزيات برد الماء وطال الليل والتذ الشراب ومضى عنك حزيرا ن وتموز وآب وايلول ثلاثون يوما وتخس منه عيد زكريا ولعشر منه تطلع الصرفة فينصرف الحر ولثلاث عشرة منه عيد الصليب وهو اليوم الرابع عشر منه وفى هذا اليوم تفتح الترع بمصر على حسب ماذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب ولتمام عشرين منه يستوى الليل والنهار وقال أبو نواس

مضى ايلول وارتفع الحرور
وأذكت نارها الشعرى العبور

وتشرين الاول أحدو ثلاثون يوما وفيه يكون المهرجان وبين النيروز والمهرجان مائة وتسعة وستون يوما وعند الفرس فى معنى المهرجان انه كان لهم ملك فى قديم الزمان من ملوك الفرس قد عم ظلمه ما

ولثمان عشرة ليلة منه رجوع الشمس هابطة من السماء على ما أوجبه

فتوفى فاتن هذا سنة ٤٠٢ وبيعت فى تركته كتب مضبوطة جليلة مصححة وكان منقادا لما نزل به من المثلة فلم يتخذ النساء كغيره وكان فى ذلك الزمان بقرطبة جملة من الفتيان المخانيث ممن أخذ بأوفر نصيب من الادب قال ورأيت تأليف الرجل منهم يعرف بحبيب ترجمه بكتاب الاستظهار والمغالبة على من أنكر فضائل الصقالبة وذكر فيه جملة من أشعارهم وأخبارهم ونوادرهم قال ابن بسام وغيره ومن عجائب ماجرى لصاعد انه أهدى أيلا الى المنصور وكتب على يده موصله

يا حرز كل مخوف وأمان كل مشرد ومعز كل مذال
يا سالك كل فضيلة ونظام كل جزيلة وثراء كل معيل

ومنها

ما ان رأت عينى وعلمك شاهد * جدوى علائك فى معم مخول

ومنها

وأبى مؤنس غربتى وتحفظى * من صفر أيامى ومن مستعمل
عبد جذبت بضبعه ورفعت من * مقداره أهدى اليك بايل
سميته غرسية وبعثته * فى حبله ليصح فيه تفاؤلى
فلئن قبلت قبلت أنفس منة * أهدى بها ذو منحة وتطول
منحتك عادية السرور بعزة * وحللت أوجا بالسحاب المخضل

فقضى فى سابق علم الله سبحانه وتعالى أن ملك الروم غرسية أسر فى ذلك اليوم بعينه الذى بعث فيه بالايل وسماه باسمه على التفاؤل انتهى وكان غرسية أمنع من النجم وسبب أخذه انه خرج يتصيد فلقيته خيل للمنصور من غير قصد فاسرته وجاءته به فكان هذا الاتفاق مما عظم به الحب ولنورد من أخبار صاعد فمقول حكى ان المنصور قال بسبب هذه القضية انه لم يتفق لصاعد هذا الفأل الغريب الا لحسن نيته وسريرته وصفاء باطنه فرفع قدره من ذلك اليوم فوق ما كان ورجحه على أعدائه وحق له ذلك وذكر الزهرة الثامنة والعشرين من كتاب الازهار المنثورة فى الاخبار المأثورة حكى أن صاعدا قال جمعت خرق الاكماس والصرر التى قبضت فيها صلات المنصور ومحمد بن أبى عامر فقطعت لكافور الاسود غلامى منها قميصا كلما رقعته وبكرت به مشى الى قصر المنصور فاحتلت فى تنشيطه حتى طابت نفسه فقلت يا مولانا العبدك حاجة فقال اذكرها قلت وصول غلامى كافور الى هنا فقال وعلى هذه الحال فقلت لا أقنع بسواه الا بحضوره بين يديك فقال أدخلوه فمثل قائما بين يديه فى مرقعته وهو كالنخلة اشرافا فقال قد حضر وانه لبأذل الهيئة فما لك أضعته فقلت يا مولانا هنالك الفائدة اعلم يا مولاى انك وهبت لى اليوم مل مجلد كافورا لا فتهلل وقال لله درك من ثاكر مستنبط لغوامض معانى الشكر وأمر لى بمال واسع وكسوة وكسا كافورا أحسن كسوة انتهى ولما دخل صاعد دانية وحضر مجلس الموفق مجاهد العامرى أمير البلد كان فى المجلس ديب يقال له بشار فقال للموفق دعنى أعبث بصاعد فقال له لا تتعرض اليه فانه سريع الجواب فابى الا مساءلته وكان بشار المذكور أعمى فقال لصاعد يا أبا العلاء

ماه هو الشهر وأن ذلك الملك طال أمره واشتدت وطأته فمات في النصف من هذا الشهر وهو مهرماه فسمي ذلك اليوم

ما الجر نقل في كلام العرب فعرف صاعدا انه وضع هذه الكلمة وليس لها أصل في اللغة فقال بعد أن أطرق ساعة الجر نقل في اللغة الذي يفعل بنساء العميان ولا يتجاوزهن الى غيرهن وهو في ذلك كله يصرح ولا يكني فخجل بشار وانكسر وضحك من كان حاضرا فقال له الموفق قلت لك لا تفعل فلم تقبل انتهى والجر نقل بضم الجيم والراء وسكون النون وضم الفاء وبعدها لام ولصاعد أخبار ونوادر كثيرة غير ما تقدم وله مع المنصور بن أبي عامر رحمه الله تعالى من ذلك كثير وبعضه ذكرناه في هذا الكتاب ومن حكاياته انه خرج معه يوما الى رياض الزاهرة فمد المنصور يده الى شئ من الريحان المعروف بالترنجان فعبث به ورماه الى صاعد واشار اليه ان يقول فيه فارتجل (لم أر قبل ترنجان عبثت به) الابيات الآتية وهذا المنصور بن ابي عامر قد تقدمت جملة من أخباره ومن أعجب ما وقع له ما رايته بخط ابن فاس في كتاب الفه صاحبه في الازهار والانوار حكى فيه في ترجمة النيلوفر ان المنصور لما قدم عليه رسول ملك الروم الذي هو اعظم ملوكهم في ذلك الزمان ليطلع على احوال المسلمين وقوتهم فامر المنصور ان يغرس في بركة عظيمة ذات اميال نيلوفر ثم امر باربعة قناطير من الذهب واربعة قناطير من الفضة فسبكت قطعا صغارا على قدر ما تسع النيلوفرة ثم ملأ بها جميع النيلوفر الذي في البركة وارسل الى الرومي فحضر عنده قبل الفجر في مجلسه السامي بالزاهرة بحيث يشرف على موضع البركة فلما قرب طلوع الشمس جاء الف من الصقالبة عليهم اقبية الذهب والفضة ومناطق الذهب والفضة وبيد خمسمائة اطباق ذهب وبيد خمسمائة اطباق فضة فتعجب الرسول من حسن صورهم وجميل شارتهم فلم يدر ما المراد فحين اشرقت الشمس ظهر النيلوفر من البركة وبادروا الاخذ الذهب والفضة من النيلوفر وكانوا يجعلون الذهب في اطباق الفضة والفضة في اطباق الذهب حتى التقطوا جميع ما فيها وجاؤا به فوضعوه بين يدي المنصور حتى صار كوما بين يديه فتعجب النصراني من ذلك واعظمه وطلب المهادنة من المسلمين وذهب مسرعا الى مرسله وقال له لا تعاد هؤلاء القوم فاني رايت الارض تخدمهم بكنوزها انتهى وهذه القضية من الغرائب وانها لحيلة عجيبة في اظهار عز الاسلام واهله وكان المنصور بن ابي عامر آية الله سبحانه في السعد ونصرة الاسلام قال ابن بسام نقلا عن ابن حيان انه لما انتهت خلافة بني مروان بالاندلس الى الحكم تاسع الائمة وكان مع فضله قد استهواه حب الولد حتى خالف الحزم في توريثه الملك بعده في سن الصبا دون مشيخة الاخوة وفتيان العشيرة ومن كان ينهض بالامر ويستقل بالملك قال ابن بسام وكان يقال لا يزال ملك بني أمية بالاندلس في اقبال ودوام ما توارثه الابناء عن الآباء فاذا انتقل الى الاخوة وتوارثوه فيما بينهم أدبروا وانصرم ولعل الحكم لحظ ذلك فلما مات الحكم أخفى جؤذر وفاتق نعيه ذلك وعزما على صرف البيعة الى أخيه المغيرة وكان فاتق قد قال له ان هذا الايتم لنا الا بقتل جعفر المصحفي فقال له جؤذر ونستفتح أمرنا بسفك دم شيخ مولانا فقال له هو والله ما أقول لك ثم بعثا الى المصحفي ونعيا اليه الحكم وعرفاه رأيهما في المغيرة فقال لهما المصحفي وهل أنا الا تبع لكما وانتما صاحبا القصر ومدبرا الامر فشرعا في تدبير ما عزما عليه وخرج المصحفي وجمع أجناده وقواده ونعى اليهم الحكم وعرفهم مقصود جؤذر

الذي مات فيه مهرجان وتفسيره نعمس مهر ذهبت لان الفرس تقدم في لغتها ما تؤخر العرب في كلامها وهذه اللغة الفهلويه وهي الفارسية الاولى وأهل المروآت بالعراق وغيرها من مدن العجم يجعلون هذا اليوم أول يوم من الشتاء فتغير فيه الفرش والآلات وكثير من الملابس ويخمس منه وهو تشرين الاول عيد كنيسة القيامة ببيت المقدس وفي هذا اليوم تجتمع النصارى من سائر الارض وتنزل عليهم نار من السماء فيسرج هناك الشمع ويجتمع فيه من المسلمين خلق عظيم للنظر الى العيد ويقتلع فيه ورق الزيتون ويكون للنصارى فيه أقاصيص ولهذه النار حيلة لطيفة وسر عظيم وقد ذكرنا وجه الحيلة في ذلك في كتابنا المترجم بكتاب القضايا والتجارب وتشرين الثاني ثلاثون يوما وكانون الاول أحد وثلاثون يوما وسبع عشرة منه يكون النهار تسع ساعات وربعا وهو منتهى قصره والليل أربع عشرة ساعة ونصفا وربعا وهو منتهى طوله وليلة الخامس والعشرين منه ميلاد المسيح عليه السلام وكانون الثاني أحد وثلاثون يوما وأول يوم منه الغطاس فيكون

فيه بالشام لاهله عيد
في كنيسة القسيان بها من
القداس عندهم وكذلك
لسائر الشام وبيت المقدس
ولمصر وأرض النصرانية
كلها ومايظهر أهل دين
النصرانية بانطاكية من
الفرح والسرور وايقاد
النيران والمآكل
والمشارب وتساعدهم على
ذلك عوام الناس وكثير
من خواصهم وذلك أن
مدينة انطاكية بها
كرسي البطرك المعظم
عندها في ديانتهم وأن
النصرانية تسمي انطاكية
مدينة الله ويسمونها أيضا
مدينة الملك وأم المدن لان
بدوظهور النصرانية كان
فيها (والبطارقة عند
النصرانية أربعة) أولهم
صاحب مدينة رومية ثم
الثاني وهو صاحب مدينة
قسطنطينية وهي أقسس
واسمها القديم بورنطيا ثم
الثالث وهو صاحب
الاسكندرية من أرض
مصر ثم الرابع وهو صاحب
انطاكية ورومية
وانطاكية لبطرس
فبدؤا برومية لانها لبيطرس
ثم ختموا بانطاكية لانها
له وتعظيما وقد أحدثوا
كرسيا ببيت المقدس ولم
يكن هذا مقدما وانما هو
محدث وكان لايليا وهو بيت المقدس اسقف (وبانطاكية) أيضا كنيسة أخرى تدعى استوست وقال

يوقدون في ليلته النيران ويظهرون الافراح لاسيما بمدينة انطاكية ومايكون

وفائق في المغيرة وقال ان بقينا على ابن مولانا كانت الدولة لنا وان بدلنا استبدلنا فقالوا الرأي رأيك فبادر المصحفي بانفاذ محمد بن أبي عامر مع طائفة من الجند الى دار المغيرة لقتله فوافاه ولا خبر عنده فنعى اليه الحكم أخاه بفزع وعرفه جلوس ابنه هشام في الخلافة فقال أنا سامع مطيع فكتب الى المصحفي بحاله وماهو عليه من الاستحابة فاحاله المصحفي بالقبض عليه والاوجه غيره ليقتله فقتله خنقا لما قتل المغيرة واستوثق الامر لهشام بن الحكم افتتح المصحفي أمره بالتواضع والسياسة واطراح الكبر ومساواة الوزراء في الفرش وكان ذلك من أقل ما استحسن منه وتوفر على الاستئثار بالاعمال والاحتجان للاموال وعارضه محمد بن أبي عامر فتى ماجد أخذ معه بطرف نقيض بالبخل جودا وبالاستبداد اثرة وتملك قلوب الرجال الى ان تحركت همته للمشاركة في التدبير بحق الوزارة وقوى على امره بنظره في الوكالة وخدمته للسيدة صبح ام هشام وكانت حاله عند جميع الخدم أفضل الاحوال بتصديه لمواقع الارادة ومبالغته في تأدية لطيف الخدمة فاخرجت له أم هشام الخليفة الى الحاجب جعفر المصحفي بأن لاينفرد عنه برأي وكان غير متخيل منه سكونا الى ثقته فامتثل الامر وأطلعه على سره وبالغ في بره وبالغ محمد بن أبي عامر في مخادعته والنصح له فوصل المصحفي يده بيده واستراح الى كفايته وابن أبي عامر يمكر به ويضرب عليه ويغري به الحرة وبنا قضه في أكثر مايعامل به الناس ويقضي حوائجهم ولم يزل على ماهذه سبيله الى أن انحل أمر المصحفي وهوى نجمه وتفرد محمد بن أبي عامر بالامر ومنع أصحاب الحكم وأجلاهم وأهلكهم وشردهم وشتتهم وصادرهم وأقام من صنائعهم من استغنى به عنهم وصادر الصقالبة وأهلكهم وأبادهم في أسرع مدة قال ابن حيان وجاشت النصرانية بموت الحكم وخرجوا على أهل الثغور فوصلوا الى باب قرطبة ولم يجدوا عند جعفر المصحفي غناء ولا نصرة وكان مما أتى عليه أن أمر أهل قلعة رباح بقطع سد نهرهم لما تخيله من أن في ذلك النجاة من العدو ولم تقع حيلته لاكثر منه مع وفور الجيوش وجموم الاموال وكان ذلك من سقطات جعفر فانف محمد بن أبي عامر من هذه الدنية وأشار على جعفر بتبديد الجيش بالجهاد وخوفه سوء العاقبة في تركه وأجمع الوزراء على ذلك الا من شذ منهم واختار ابن أبي عامر الرجال وتجهز للغزاة واستصحب مائة ألف دينار ونفذ بالجيش ودخل على الثغر الجوفي ونازل حصن الحافة ودخل الربض وغنم وقفل فوصل الحضرة باسبي بعد اثنين وخمسين يوما فعظم السرور به وخلصت قلوب الاجناد له واستهلكوا في طاعته لما رأوه من كرمه ومن أخبار كرمه ماحكاه محمد بن أفلح غلام الحكم قال دفعت الي مالا أطيقه من نفقة في عرس ابنة لي ولم يبق معي سوى لجام محلى ولما ضاقت بي الاسباب قصدته بدار الضرب حين كان صاحبها والدراهم بين يديه موضوعة مطبوعة فاعلمته ماجئت له فابتهج بما سمعه مني وأعطاني من تلك الدراهم وزن اللجام بحديده وسيوره فلا جرى وكنت غير مصدق بما جرى لعظمه وعملت العرس وفضلت لي فضلة كثيرة وأحبه قلبي حتى لو حلني على خلع طاعته مولاي الحكم لفعلت وكان ذلك في أيام الحكم قبل أن يقتعد ابن أبي عامر الذروة وقال غير واحد انه صنع يومئذ قصر امرأة فضة لصبح أم هشام وحمله على رؤوس الرجال فخلب حبها بذلك وقامت بأمره عند سيدها الحكم وحدث الحكم خواصه بذلك

وقال

وقال ان هذا الفتى قد جلب عقول حرمنا بما يمدفهم به قالوا وكان الحكم لشدة نظره في علم الحدثان يتخيل في ابن أبي عامر انه المذكور في الحدثان ويقول لاصحابه أما تنظرون الى صفرة كفيه ويقول في بعض الاحيان لو كانت به شجة لقلت انه هو بلا شك فقضى الله أن تلك الشجة حصلت للمنصور يوم ضربه غالب بعد موت الحكم بمدة قال ابن حيان وكان بين المصحفي وغالب صاحب مدينة سالم وشيخ الموالي وفارس الاندلس عداوة عظيمة ومباينة شديدة ومقاطعة مستحكمة وأعجز المصحفي أمره وضعف عن مباراته وشكا ذلك الى الوزراء فاشاروا عليه بملاطفته واستصلاحه وشعر بذلك ابن أبي عامر فاقبل على خدمته وتجرد لاتمام ارادته ولم يزل على ذلك حتى خرج الامر بان ينهض غالب الى تقدمة الثغر وخرج ابن أبي عامر الى غزوته الثانية واجتمع به وتعاقدا على الايقاع بالمصحفي من أبي عامر ظافرا غانما وبعد صيته فخرج أمر الخليفة هشام بصرف المصحفي عن الوزارة وكانت في يده يومئذ وخلع على ابن أبي عامر ولاخبر عند المصحفي وملك ابن أبي عامر ولايته للشرطة وأخذ عن المصحفي وجوه الحيلة وخلاه وليس بيده من الامر الا أقله وملك باعانة غالب له وضبط المدينة ضبطا أنسى به أهل الحضرة من سلف من الكفاة السياسة وانهمك ابن أبي عامر في صحبة غالب فغبطه المصحفي لتدبير ابن أبي عامر عليه وحبب غالبا باستصلحه وخطب أسماء بنته لابنه عثمان فأجابه غالب لذلك وكادت المصاهرة تبلغ ابن أبي عامر الامر فقامت قيامته وكاتب غالبا يخوفه الحيلة ويهيج حقوده وألقى عليه أهل الدار وكاتبوه فصرفوه عن ذلك ورجع غالب الى ابن أبي عامر فأنكحه البنت المذكورة وتم له العقد في محرم سنة سبع وستين وثلثمائة فأدخل السلطان تلك الابنة الى قصره وجهزها الى محمد بن أبي عامر من قبله فظهر أمره وعز جانبه وكثر رجاله وصار جعفر المصحفي بالنسبة اليه كلا شئ واستقدم السلطان غالبا وقلده الحجابة شركة مع جعفر المصحفي اودخل ابن أبي عامر على ابنته ليلة النيروز وكانت أعظم ليلة عرس في الاندلس وايقن المصحفي بالنكبة وكف عن اعتراض ابن أبي عامر في شئ من التدبير وابن أبي عامر يساره ولا يظاهره وانفض عنه الناس وأقبلوا على ابن أبي عامر الى أن صار المصحفي يغدو الى قصر قرطبة ويروح وهو وحده وليس بيده من الحجابة سوى اسمها وعوتب المصحفي باعانته على ولاية هشام وقتل المغيرة ثم سخط السلطان على المصحفي وأولاده وأهله وأسبابه وأصحابه وطولبوا بالاموال وأخذوا برفع الحساب لما تصرفوا فيه وتوصل ابن أبي عامر بذلك الى اجتثاث أصولهم وفروعهم وكان هشام ابن أخي المصحفي قد توصل الى أن سرق من رؤس النصارى التي كانت تحمل بين يدي ابن أبي عامر في الغزاة الثالثة ليقدم بها على الحضرة وغاظه ذلك منه فبادره بالقتل في المطبخ قبل عمه جعفر المصحفي فلما استقصى ابن ابي عامر مال جعفر حتى باع داره بالرصافة وكانت من اعظم قصور قرطبة واستمرت النكبة عليه سنين مرة يحتبس ومرة يترك ومرة يقرب بالحضرة ومرة ينفر عنها ولا براح له من المطالبة بالمال ولم يزل على هذا الحكم حتى استصفى ولم يبق فيه محتمل واعتقل في المطبق بالزهراء الى ان هلك وأخرج الى اهله ميتا وذكر انه سمه في ماء شربه قال محمد بن اسمعيل سرت مع محمد بن مسلمة الى الزهراء لنسلم جسد

والدون والطاء وفي تاريخ النصارى الملكية وغيرها من أهل دين النصرانية يكون لمولد المسيح الى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين

والرفعة وكان الوليد بن عبد الملك بن مروان اقتلع من هذه الكنيسة عمدا عجيبة من المرمر والرخام لمسجد دمشق وبنى الاكثر من هذه الكنيسة الى هذا الوقت (وقد كان الملك) من ملوك الرومية بانطاكية خبر عجيب في كنيسة استوست وكانت خارج السور من انطاكية وهي في أيدي اليهود فعوضت اليهود دار الملك بانطاكية بدلا من كنيسة استوست وهذه الدار التي كانت دار الملك بانطاكيه تعرف بدار اليهود ولليهود حيلة احتالوها حين خرجت الكنيسة من أيديهم حتى قتلوا من النصرانية خلقا عظيما من نشر خشب فيها وغير ذلك وقدمنا أخبار بطرس وبولص وما كان من أمرهما بمدينة رومية وغيرهما من تلاميذ المسيح وتفرقهم في البلاد وذكرنا قصة الملك الذي بنى مدينة انطاكية وهو المعروف بافطخس وتفسير ذلك محوط الحوائط وكان اسم انطاكية بالرومية على اسمه افطخس فلما ورد المسلمون وافتتحوها حذفت الاحرف الا الالف

جعفر بن عثمان الى أهله بام المنصور وسرنا الى منزله فكان مغطى بخلق كساه لبعض البوابين ألقاه على سريره وغسل على فردة باب اختلع من ناحية الدار وأخرج وما حضر أحد جنازته سوى امام مسجده المستدعى للصلاة عليه ومن حضر من ولده فعجبت من الزمان انتهى وما احسن عبارة المطمح عن هذه القضية اذ قال قال محمد بن اسمعيل كاتب المنصور سرت بامره لتسليم جسد جعفر الى اهله وولده والحضور على انزاله فى ملحده فنظرته ولا اثر فيه وليس عليه شئ يواريه غير كساء خلق لبعض البوابين فدعا له محمد بن مسلمة بغاسل فغسله والله على فردة باب اقتطع من جانب الدار وأنا أعتبره من تصرف الاقدار وخرجنا بنعشه الى قبره وما معنا سوى امام مسجده المستدعى للصلاة عليه وما تجاسر أحد منا للنظر اليه وان لى فى شأنه لخبرا ما سمع بمثله طالب وعظ ولا وقع فى سمع ولا تصور فى لحظ وقفت له فى طريقه من قصره أيام نهيه وأمره أروم أن أناوله قصة كانت به مختصة فوالله ما تمكنت من الدنو منه بحيلة لكثافة موكبه وكثرة من حف به وأخذ الناس السكك عليه وافواه الطرق داعين وماربن بين يديه وساعين حتى ناولت قصتى بعض كتابه الذين نصبهم جناحى موكبه لاخذ القصص فانصرفت وفى نفسى ما فيها من الشرق بحاله والغصص فلم تطل المدة حتى غضب عليه المنصور واعتقله ونقله معه فى الغزوات واحتمله واتفق أن نزلت بجليقية الى جانب خبائه فى ليلة تهى فيها المنصور عن وقود النيران ليخفى على العدو أثره ولا ينكشف اليه خبره فرأيت والله عثمان ولده يسقيه دقيقا قد خلطه بماء يقيم به أوده ويمسك بسببه رمقه بضعف حال وعدم زاد وهو يقول

تعاطيت صرف الحادثات فلم أزل * أراها توفى عند موعدها الحرا
فلله ايام مضت بسبيلها * فانى لا انسى لها ابدا ذكرا
تحافت بها عنا الحوادث برهة * وابدت لنا منها الطلاقة والبشرا
ليالى ما يدرى الزمان مكانها * ولا نظرت منها حوادثه شزرا
وما هذه الايام الا سحائب * على كل ارض تمطر الخير والشرا انتهى

واما غالب الناصرى فانه حضر مع ابن ابى عامر فى بعض الغزوات وصعدا الى بعض القلاع لينظرا فى أمرها فجرت محاورة بين ابن ابى عامر وغالب فسبه غالب وقال له يا كلب انت الذى افسدت الدولة وخربت القلاع وتحكمت فى الدولة وسل سيفه فضربه وكان بعض الناس حبس يده فلم تتم الضربة وشجه فألقى ابن ابى عامر نفسه من راس القلعة خوفا من ان يجهز عليه فقضى الله تعالى انه وجد شيا فى الهواء منعه من الهلاك فاحتمله اصحابه وعالجوه حتى برئ ولحق غالب بالنصارى بجيش بهم وقابله ابن ابى عامر بمن معه من جيوش الاسلام فحكمت الاقدار بهلاك غالب وتم لابن ابى عامر ما جدله وتخلصت دولته من الشوائب قالوا ولما وقعت وحشة بين ابن ابى عامر والمؤيد وكان سببها تضريب الحساد فيما بينهما وعلم انه مادهى الامن جانب حاشية القصر فرقهم ومزقهم ولم يدع فيه منهم الامن وثق به او عجز عنه ثم ذكر له ان الحرم قد انبسطت ايديهن فى الاموال المختزنة بالقصر وما كانت السيدة صبح اخت واثق تفعله من اخراج الاموال عند ما حدث من تغيرها على ابن ابى عامر وانها اخرجت فى بعض

فيه بالشام لاهله عيد فى كنيسة القسيان بها من القداس عندهم وكذلك فى تاريخ الملكية فى كنيسة القسيان بمدينة انطاكية وسنذكر بعد فى هذا الكتاب جملا من التاريخ فى باب تفرده لذلك ان شاء الله تعالى فلنرجع الآن الى وصف حساب الشهور شباط ثمانية وعشرون يوما وربع ثلاث سنين متوالية والرابعة كبيسة فيكون تسعا وعشرين يوما وتكون السنة ثلثمائة وستة وستين يوما ولسبعة منه تسقط الجمرة الاولى وهى الجمرة ولاربع عشرة منه تسقط الجمرة الثانية وهى الصرفة وينصرف البرد وثلاثة أيام من آخره أيام العجوز واذار أحد وثلاثون يوما ولاربعة من أوله تتم أيام العجوز والعرب تسمى هذه السبعة الايام صناو صنبرا ووبرا وآمرا ومؤمرا ومعللا ومطفئ الجمر قال بعض العرب فى أسماء أيام العجوز

كسع الشتاء بسبعة غبر
صن وصنبر وبالوبر
فاذا انقضت أيام شتوتنا
أيام صادرة عن القر
كسع الشتاء مولية هربا
وأتتك واقدة من الحر

ونيسان ثلاثون يوما وايار أحد وثلاثون يوما وحزيران تسعة وعشرون يوما وتموز أحد وثلاثون يوما وآب ثلاثون يوما وايلول تسعة وعشرون يوما وتشرين الاول أحد وثلاثون يوما وتشرين الثانى ثلاثون يوما وكانون الاول أحد وثلاثون يوما وخمس عشرة من اذار يستوى الليل والنهار وتحل الشمس الحمل وهذا اليوم تحويل سنة العالم قال أبو فراس الايام

اترى الشمس حلت الحملا * وطاب وزن الزمان واعتدلا ٩٠ وغنت الطير بعد عجمتها * واستوفت الخمر حولها كملا

لايام مائة كوز مختومة على أعناق الخدم الصقالبة فيها الذهب والفضة وموهت ذلك كله
مارى والشهد وغيره والاصباغ المتخذة بقصر الخلافة وكتبت على رؤس الكيزان أسماء
ك ومرت على صاحب المدينة فما شك انه ليس فيها الا ماهو عليها وكان مبلغ ما حملت فيها
ن الذهب ثمانين ألف دينار فاحضر ابن أبي عامر جماعة وأعلمهم أن الخليفة مشغول عن
فظ الاموال باتهما كه فى العبادة وان فى اضاعتها آفة على المسلمين وأشار بنقلها الى حيث
بن عليها فيه فحمل منها خمسة آلاف ألف دينار عرى قيمة ورق وسبعمائة الف دينار
كانت صيحة فسدا وعت عما بالقصر من الاموال ولم تمكن من اخراجها فاجتمع ابن ابى عامر
فة هشام واعترف له بالفضل والغناء فى حفظ قواعد الدولة فخرست ألسنة العدا
ة وعلم المنصور ما فى نفوس الناس لظهور هشام ورؤيتهم له اذ كان منهم من لم يره قط
الناس وركب الركبة المشهورة واجتمع لذلك من الخلق ما لا يحصى وكانت عليه
يلة والقضيب فى يده زى الخلافة والمنصور يسايره ثم خرج المنصور لآخر غزواته
مرض المرض الذى مات فيه وواصل شن الغارات وقويت عليه العلة فاتخذ له سرير
ووطئ عليه ما يقعد عليه وجعلت عليه ستارة وكان يحمل على أعناق الرجال
باكر تحف به وكان هجر الاطباء فى تلك العلة لاختلافهم فيها وأيعن بالموت وكان
بان زمانى يشتمل على عشرين ألف مرنزق ما أصبح فيهم أسوأ حالة منى ولعله يعنى
حضر معه تلك الغزاة والافعساكر الاندلس ذلك الزمان أكثر من ذلك العدد واشتغل
هنه بامر قرطبة وهو فى مدينة سالم فلما أيقن بالوفاة أوصى ابنه عبد الملك وجماعته وخلا
ليه وكان يكرر وصاياته وكلما أراد أن ينصرف يرده وعبد الملك يبكى وهو ينكر عليه بكاءه
ويقول وهذا من أول العجز وأمره أن يستخلف أخاه عبد الرحمن على العسكر وخرج عبد الملك
لى قرطبة ومعه القاضى ابوذكوان فدخلها أول شوال وسكن الارحاف بموت والده وعرف
خليفة كيف تركه ووجد المنصور رخفة فاحضر جماعة بين يديه وهو كالخيال لا يبين
لكلام وأكثر كلامه بالاشارة كالمسلم المودع وخرجوا من عنده فكان آخر العهد به ومات
ثلاث بقين من شهر رمضان وأوصى أن يدفن حيث يقبض فدفن فى قصره بمدينة سالم
ضطرب العسكر وتلوم ولده أياما وفارقه بعض العسكر الى هشام وقفل هو الى
قرطبة فيمن بقى معه ولبس فتيان المنصور المسوح والاكسية بعد الوشى والخبر والخز وقام
ولده عبد الملك المظفر بالامر وأجراه هشام الخليفة على عادة أبيه وخلع عليه وكتب له
لسجل بولاية الحجابة وكان الفتيان قد اضطربوا فقوم المائل وأصلح الفاسد وجرت الامور
لى السداد وانشرحت الصدور بما شرع فيه من عمارة البلاد فكان أسعد مولود ولد فى
لاندلس ولنمسك عنان القلم فى أمر ابن أبى عامر فقد قدمنا فى محله جملة من أحواله وما ذكرناه
هنا وان كان محله ما سبق وبعضه قد تكرر معه فهو لا يخلو من فوائد زوائد والله تعالى ولى
لتوفيق (رجع) الى أخبار صاعد اللغوى البغدادى حكى انه دخل على المنصور يوم عيد
وعليه ثياب جدد وخف جديد فمشى على حافة البركة لازدحام الحاضرين فى الصف فزلق
سقط فى الماء فضحك المنصور وأمر باخراجه وقد كاد البرد أن يأتى عليه فخلع عليه وأدنى

وشى ثياب تخالها حللا
فاشرب على جدة الزمان فقد
أصبح وجه الزمان معتدلا
وليس بحلول الشمس
الحمل تستوفى الخمر سنة
وانما أراد بحلولها قربها
من الحمل والقوة (قال
المسعودى) وأما شهور
الروم فهى موافقة لشهور
السريانيين فى العدد
وذلك أن أول شهور الروم
يواريوس وهو كانون
الثانى وقد قدمنا أن فى
أول يوم منه يكون الغطاس
وشباط فبرواريوس واذار
مارتيوس ونيسان ابريليس
وايار مايوس وحزيران
يونيوس وتموز يوليوس
وآب أغسطوس وايلول
سبطمبر وتشرين الاول
أقطوبر وتشرين الثانى
نوفمبر وكانون الاول دسمبر
(ذكر شهور الفرس)
كلها ثلاثون يوما فاولها
فرودرى وأول يوم منه
النيروز وبينه وبين المهرجان
مائة وأربعة وسبعون يوما
والثانى أرديبهشت ماه
وخرداد ماه وتير ماه نيروز
عيد المهاجرين ومرداد ماه
وشهريور ماه ويوم الرابع
والعشرين منه المهرجان ومهر ماه وابان ماه وآذر ماه عيد الانصار وهذه خمسة أيام الفرد وخان ودى ماه وأول

يوم منه يخرج الكوسج فيه وأرض الشام والجزيرة ومصر واليمن لا يعرفون ذلك ويطعم مدة من الايام المجوز والثوم واللحم السمين وما عدى ذلك من الاطعمة الحارة والاشربة المسخنة الدافعة للبرد فيظهر طاردا للبرد فيصب عليه الماء البارد فلا يجد لذلك شيا من ألمه ويصيح بالفارسية كرما كرما وهذا وقت عيد الاعاجم يطربون فيه ويظهرون السرور وكذلك في أوقات كثيرة من فصول السنة وادورون والاردحش ودرماه ودسمهرورد منا وآذر وبهمن ماه واسفندار مدرون الاسوف واسفندار موزماه فذلك ثلثمائة وخمسة وستون يوما والله اعلم

(ذكر ايام الفرس)

وهي هرمز وبهمان وأدربهشت وشهرين واسفندارموز خرداد ومرداد ودينا وديبن وادوارن وخردمله ونبر وتبرس ودى ومهروانروبس وافرون وبهران وفيه يقول الشاعر

باكرينا لذة المدام
في يوم سبت ويوم رام
شرط علي فيه أن تراني

وقت الضحى فاتر الكلام وبادورونبرين واردواسال واسار وحامار لا

مجلسه وقال له هل حضرك شئ فقال

شيا ان كانا في الزمان عجيبة * ضرط ابن وهب ثم وقعة صاعد

فاستبرد ما أتى به أبو مروان الكاتب الجزيري فقال هلا قلت

سروري بغرتك المشرقه * وديعة راحتك المغدقه
ثناني نشوان حتى غرقت * في لجة البركة المطبقه
لئن ظل عبدك فيها الغريق * لجودك من قبلها أغرقه

فقال له المنصور لله درك ما أبا مروان قسناك بأهل بغداد ففضلتهم فبمن نقيسك بعد انتهى وقال في الذخيرة في ترجمة صاعد وفد على المنصور نجما من المشرق غريب ولسانا عن العرب اعرب واراد المنصور أن يقفي به آثار ابي علي القالي فالفى سيفه كهاما وسحابه جهاما من رجل يتكلم على غير فيه ولا يوثق بكل ما يذره ولا ما يأتيه انتهى باختصار واصل صاعد من ديار الموصل وقال ارتجالا وقد عبث المنصور بترنجان

لم ار قبل ترنجان عبثت به * أن الزمرد اغصان واوراق
من طيبه سرق الاترج نكهته * يا قوم حتى من الاشجار سراق

كانما الحاجب المنصور علمه * فعل الجميل فطابت منه اخلاق

وقدمه الجاري بقوله

كأن ابريقنا والراح في فمه * طير تناول يا قوتا بمنقار

وقبله

وقهوة من فم الابريق صافية * كالدمع مفجوعة بالالف مغيار

وقال في بدائع البدائه دخل صاعد اللغوي على بعض اصحابه في مجلس شراب فلا الساقي قدحا من ابريق فبقيت على فم الابريق نقطة من الراح قد تكونت ولم تقطر فاقترح عليه الحاضرون وصف ذلك فقال وقهوة من فم الابريق ساكبة البيتين ثم قال بعدهما واغا هدم صاعد قول الشريف ابي البركات علي بن الحسين اللغوي

كأن ريح الروض لما أتت * فتت علينا مسك عطار
كأنما ابريقنا طائر * يحمل يا قوتا بمنقار

انتهى

ومن نظم صاعد

قلت له والرقيب يهمله * مودعا للفراق أين أنا
فدكفا الى تراثبه * وقال سر وادعا فانت هنا

وقال صاعد لما أمر المنصور بن أبي عامر بمعارضة قصيدة لابي نواس

اني لاستحيي علا * ك من ارتجال القول فيه
من ليس يدرك بالرويـ * ـة كيف يدرك بالبديه

وقال حاشد البغدادي في صاعد اللغوي وكان صاعد ينشدهما ويبكي ويقول ما هجيت بشئ أشد علي منهما

اقبل هديت ابا العلاء نصيحتي * بقبولها وبواجب الشكر

لاتهجون أسن منك فربما * تهجو أباك وانت لاتدري

نعوذ بالله من لسان الشعراء وانواع البلاء بجاه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ومن نظم صاعد قوله

بعثت اليك من خيري روض * مخرمة كاوراق العقيق

تو كل بالغروب عن التصابي * وتصطاد الخليع من الطريق

وروى صاعد عن القاضي ابي سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي وابي علي الحسن بن احمد الفارسي وابي بكر بن مالك القطيعي وابي سليمان الخطابي وغيرهم قال الحميدي خرج من الاندلس في الفتنة فمات بها قريبا سنة عشر وأربعمائة وقال ابن حزم توفي بصقلية سنة سبع عشرة وأربعمائة وقال ابن بشكوال في حقه انه يتهم بالكذب وقلة الصدق فيما يورده عفا الله تعالى عنه وقدم الاندلس من مصر أيام المؤيد وتحكم المنصور ابن أبي عامر في حدود سنة ٣٨٠ فاكرمه المنصور وزاد في الاحسان اليه والافضال عليه وكان عالما باللغة والآداب والاخبار سريع الجواب حسن الشعر طيب المعاشرة فمكه المجالسة وقال بعضهم دخل صاعد على المنصور وعنده كتاب ورد عليه من عامل له في بعض الجهات اسمه برمان بن يزيد يذكر فيه القلب والتزييل وهما عندهم اسم الارض قبل زراعتها فقال له يا أبا العلاء قال لبيك يا مولانا فقال هل رأيت أو وصل اليك من الكتب القوالبة والزوالبة لبرمان بن يزيد قال اي والله ببغداد في نسخة لابي بكر بن دريد بخطه كراع النمل في جوانبها فقال له أما تستحي يا أبا العلاء من هذا الكذب هذا كتاب عامل في بلد كذا واسمه كذا يذكر فيه كذا فعل يحلف له انه ما كذب ولكنه أمر وافق ومات عن سن عالية رحمه الله تعالى *(ومن الوافدين على الاندلس من المشرق الشيخ تاج الدين بن حمويه السرخسي) ولد سنة ٥٧٣ وقد ذكر في رحلته عجائب شاهدها بالمغرب ومشايخ لقيهم فمنهم الحافظ أبو محمد عبد الله بن سليمان بن داود بن حوط الله الانصاري قال سمعت عليه سنة سبع وتسعين وخمسمائة الحديث وشيأ من تصانيف المغاربة وروى لنا عن الحافظ أبي اسحق ابراهيم بن يوسف بن ابراهيم بن قرقول وولي ابن حوط الله المذكور قضاء غرناطة وأدرك ابن بشكوال وابن حبيش وابن حميد المرسي النحوي وأبا زيد السهيلي صاحب الروض وغيرهم ومن الشيوخ الذين لقيهم السرخسي المذكور بالمغرب الفقيه ابن أبي تميم قال وانشدني

اسمع أخي نصيحتي * والنصح من محض الديانه

لاتقربن الى الشها * دة والوساطة والامانه

تسلم من ان تعزى لزو * ر أو فضول أو خيانه

وذكر أنه أدرك الشيخ الولي العارف بالله سيدي أبا العباس أحمد بن جعفر الخزرجي السبتي صاحب الحالات والكرامات الظاهرة والطريقة الغريبة والاحوال العجيبة قال أدركته عمر اكثر سنة أربع وتسعين وخمسمائة وقد ناهز الثمانين ومهما حصل عنده مال فرقه في الحال وتركته في سنة ثمان وتسعين حيا يرزق انتهى وولي الله السبتي قد

هو كاه مسروكاه كاساه وكانت العرب تسمي الايام الخمسة الهرير والعبير وقالب الفهر وحافل الضرع ومدحرج البعر (وكانت الفرس) تكبس في كل مائة وعشرين شهرا لربع اليوم الفاضل في الشهور الرومية وتسميه الهارك فاذا كانت سنة كبيسة أخروا ذلك الى مائة وعشرين سنة لان أيامهم كانت سعودا ونحوسا فكرهوا أن يكبسوا في كل أربع سنين يوما فتنتقل بذلك أيام السعود الى أيام النحوس ولا يكون النيروز أول يوم من الشهر والله تعالى أعلم

(ذكر سني العرب وشهورها وتسمية أيامها وليالها)

أشهر الاهلة أولها المحرم وأيامها ثلثمائة وأربعة وخمسون يوما تنقص عن السرياني أحد عشر يوما وربع يوم فتفرق في كل ثلاثة وثلاثين سنة فتنسلخ تلك السنة العربية ولا يكون فيها نيروز وقد كانت العرب في الجاهلية تكبس في كل ثلاث سنين شهرا وتسميه النسيء وقدم الله تبارك وتعالى

١٣ ط نى فعلهم بقوله انما النسيء زيادة في الكفر ورسمت العرب الشهور فبدأت بالمحرم لانه أول السنة

ذكرت في غير هذا الموضع بعض أحواله فلتراجع في الباب الثامن من ترجمة لسان الدين بن الخطيب ومحله مقصود لقضاء الحاجات وقد زرته مرارا عديدة سنة ١٠١٠ وقال لسان الدين في نفاضة الجراب كتبت عن السلطان الغني بالله محمد بن يوسف بن نصر ونحن بفاس يخاطب الضريح المقصود والمنهل المورود والمرعى المنتجع والخوان الذي يكفي الغرثى ويمرض المرضى ويقوت الزمنى ويتعداهم الى أهل الجدة تزعموا والغني قبر ولي الله سيدي أبي العباس الذي نفعنا الله به وجبر حالنا وأعاد علينا النعم ودفع عنا النقم

يا ولي الآله أنت جواد * وقصدنا الى جنابك المتبع
راعنا الدهر بالخطوب فغثنا * نرتجي من علاك حسن الصنيع
فقدنا لك الا كف نرجي * عودة العز تحت ظل جميع
قد جعلناك وسيلة تربك الزا * كي وزلفى الى العليم السميع
كم غريب أسرى اليك فوافى * برضا عاجل وخير سريع

يا ولي الله الذي جعل جاهه سببا لقضاء الحاجات ورفع الازمات وتصريفه باقيا بعد الممات وصدق نزول الحكايات ظهور الآيات نفعني الله بنيتي في بركة تربك وأظهر على أثر توسلي بك الى الله ربك مزق شملي وفرق بيني وبين أهلي وتعدى علي وصرفت وجوه المكايد الى حتى أخرجت من وطني وبلدي ومالي وولدي ومحل جهادي وحتى الذي صار لي طوعا عن آبائي واجدادي عن بيعة لم يحل عقدتها الدين ولا ثبوت جرحة تشين وانا قد قرعت باب الله سبحانه بتأميلك فالتمس لي قبوله بقبولك وردني الى وطني على أفضل حال وأظهر على كرامتك التي تشد اليها ظهور الرحال فقد جعلت وسيلتي اليك رسول الحق الى جميع الخلق والسلام عليك ايها الولي الكريم الذي يأمن به الخائف وينتصف الغريم ورحمة الله انتهى *(رجع) والسرخسي المذكور قال في حقه بعض الائمة انه الشيخ الامام شيخ الشيوخ تاج الدين ابو محمد عبد الله بن عمر بن علي بن محمد بن حمويه له رحلة مغربية انتهى وهو من بيت كبير وقال البدري في حقه ما صورته تاج الدين شيخ الشيوخ بدمشق احد الفضلاء المؤرخين المصنفين له كتاب في ثمان مجلدات ذكر فيه اصول الاشياء وله السياسة الملوكية صنفها للملك الكامل محمد وغير ذلك وسمع الحديث وحفظ القرآن وكان قد بلغ الثمانين وقيل لم يبلغها وقد سافر الى بلاد المغرب سنة ثلاث وتسعين واتصل بمراكش عند ملكها المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن فاقام هنالك الى سنة ستمائة وقدم مصر وولي مشيخة الشيوخ بعد اخيه صدر الدين ابن حمويه انتهى وقال غيره انه كان فاضلا متواضعا نزها حسن الاعتقاد قال ابو المظفر كان يجالسني وانشدني يوما

لم اسق شكرا الا تحول لي * عند اللقاء له الكبر الذي فيه
ولا حلالي من الدنيا ولذتها * الا مقابلتي للتيه بالتيه

وقال السرخسي المذكور في رحلته اني وان كنت خراساني الطينة لكني شاهدت من المدينة لونا كانت العمومة من المشرق فان الحوالة من المغرب فحدث باعث يدعو الى الحركات

فيها ومن تخلف عنها هلك جوعا وقال النابغة الذبياني

انى نهيت بني ذبيان عن أفق * وعن ترفههم في كل أصفار

وقيل انما سمي الصفر لان المدن كانت تخلو فيه من أهلها بخروجهم الى الحرب وهو ماخوذ من قولهم أصفرت الدار منهم اذا خلت وربيع وربيع لارتباع الناس والدواب فيهما فان قيل قد تو جد الدواب ترتبع في غير هذا الوقت قيل قد يمكن أن يكون هذا الاسم لزمهما في ذلك الوقت فاستمر تعريفهما بذلك مع انتقال الزمان واختلافه وجمادى وجمادى لجمود الماء فيهما في الزمان الذي سميت به هذه الشهور لانهم لم يعلموا ان الحر والبرد يدوران فتنتقل أوقات ذلك ورجب لخوفهم اياه يقال رجبت الشئ اذا خفته وانشد

* فلا بارك الله لا ترجبها *

وشعبان لتشعبهم الى مياههم وطلب الغارات ورمضان لشدة حر الرمضاء فيه ذلك الوقت والوجه الآخر أنه اسم من أسماء الله تعالى ذكره ولا يجوز أن يقال رمضان وانما يقال شهر رمضان وشوال لان الابل كانت تشول فيه ذلك الوقت بادنابها والاسفار

تشاءمت به العرب ولذلك كرهت التزويج فيه وذو القعدة لقعودهم فيه عن

والاسفار ومشاهدة الغرائب في النواحي والاقطار وذلك في حال ريعان الشباب الذي تعضده عزائم النفوس بنشاطها والجوارح بخفة حركاتها وانبساطها فخرجت سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة الى زيارة البيت المقدس وتجديد العهد ببركاته واغتنام الاجر في حلول بقاعه ومزاراته ثم سرت منه الى الديار المصرية وهي آهلة بكل ما تجمل به البلاد وتزدهي وينتهي وصف الواصف لشؤنها ولا تنتهي ثم دخلت الغرب من الاسكندرية في البحر ودخلت مدينة مراكش ايام السيد الامام امير المؤمنين أبي يوسف يعقوب المنصور ابن يوسف بن عبد المؤمن بن علي فاتصلت بخدمته والذي علمت من حاله انه كان يحفظ القرآن ويحفظ متون الاحاديث ويتفهمها ويتكلم في الفقه كلاما بليغا وكان فقهاء الوقت يرجعون اليه في الفتاوى وله فتاوى مجموعة حسبما أدى اليه اجتهاده وكان الفقهاء ينسبونه الى مذهب الظاهر وقد شرحت أحوال سيرته وما جرى في ايام دولته في كتاب التاريخ المسمى عطف الذيل وقد صنف كتابا جمع فيه متون احاديث صحاح تتعلق بها العبادات سماه الترغيب وتهدده سلك الافرنج الفنش في كتابه فخرقه وقال لرسوله ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها اذلة وهم صاغرون ان شاء الله تعالى ثم قال للكاتب اكتب على هذه القطعة يعني من كتابه الذي مزقه الجواب ما ترى لا ما تسمع

فلا كتب الا المشرفية والقنا * ولا رسل الا الخيس العرمرم

ومن شعره ابيات كتب بها الى الغرب وهي

يا ايها الراكب المزجى مطيته * على عذافرة تشقى بها الاكم
بلغ سليمى على بعد الديار بها * بني و بينكم الرحمن والرحم
يا قومنا لا تشبوا الحرب ان خمدت * واستمسكوا بعرى الايمان واعتصموا
كم حرب الحرب من قد كان قبلكم * من القرون فبادت دونها الامم
حاشى الاعارب أن ترضى بمنقصة * ياليت شعر اهل تراهم علموا
يقودهم ارمني لا خلاق له * كأنه بينهم من جهلهم علم

يعني بالارمني قرقوش مملوك بني ايوب الذي كان ذهب الى بلاد الغرب الادنى واوقد النار الحربية من طرابلس الى تونس مع ابن غانية اللتوني وحديثه مشهور وتمام الابيات

الله يعلم أني ما دعوتكم * دعاء ذي قوة يوما فينتقم
ولا لجأت لامر يستعان به * من الامور وهذا الخلق قد علموا
لكن لأجزي رسول الله عن نسب * ينمى اليه وترعى تلكم الذمم
فان اتيتم فبذل الوصل متصل * وان ابيتم فعند السيف نحتكم

ثم قال السرخسي و بلغني ان قوما من الغرباء قصدوه ومعهم حيوانات معلمة منها اسد وغراب اما الاسد فيقصد من دون اهل المجلس ويربض بين يديه ورب ما اومأ بالسجود ومد ذراعيه واما الغراب فكان يقول النصر والتمكين لسيدنا امير المؤمنين وفي ذلك يقول بعض الشعراء

انس الشبل ابتهاجا بالاسد * وراى شبه ابيه فقصد

الحرب والغارات وذو الحجة لان الحج فيه (والاشهر الحرم) المحرم ورجب وذو القعدة وذو الحجة (وأشهر الحج) شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة والايام المعلومات العشر والايام المعدودات ايام التشريق والتعجيل باتفاق غير جائز الا في اليوم الثالث من يوم النحر بدل ذلك على أن أولها ثاني يوم النحر ولو كان يوم النحر من المعدودات كان يوم التعجيل في ثلاثة أيام وهذا خلاف القرآن لاخبار الله تعالى أن التعجيل في يومين من المعدودات واذا كانت المعدودات ما وصفنا صح أن المعلومات منها والذبح في يوم النحر ذبح في المعلومات لكونه منها ولا تمانع بين العرب أن يقول القائل آتيك في الشهر والاتيان انما كان في بعضه وجئتك في اليوم والمجيء في بعض أوقاته ولا يصام يوم النحر ولا يوم الفطر ولا ايام منى لفرض ولا لتطوع لنهي النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك ولم يخص فرضا من تطوع بالنهي فالواجب الامتناع على ما وصفنا (وقد ذكر عن عقبة بن عامر أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن صيام ثلاثة ايام التشريق وفي جميع ما ذكرنا من المعلومات والمعدودات والصيام في

وقد اختلف الناس فى علة أيام التشريق وهى ايام منى وليالها فقالت طائفة انما سميت ايام التشريق لانهم كانوا يذبحون الذبائح ويشرقون اللحم فى الشمس وقال آخرون انما سميت ايام التشريق لان اهل مكة وغيرهم يتشرقون منصرفين الى اوطانهم وفيه قول آخر وهو انها انما سميت ايام التشريق لانهم كانوا يخرجون من منى وغيرها كالمزدلفة الى مصليات لهم فى فضاء من الارض فيسمونها المشارق واحدها مشرق يسبحون ويدعون فسميت بذلك ايام التشريق وفيه قول آخر وهو ان طائفة زعمت أنه ماخوذ من ذبح البهائم وهو التشريق وقالوا ان النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن الضحية بالمشرقة يعنى المشقوقة الاذنين بالطول فهى ايام التشريق وللناس فى التشريق من اهل الآراء والنحل كلام كثير لا يحتمله كتابنا هذا وانما ذكرناما اوردناه لتتعلق الكلام بنا اليه واتصاله بما قدمناه وان كان كلاما يلحق بالفقه (والايام النحسات) كل اربعاء يوافق اربعا من الشهر مثل اربع خلون واربع وعشرين واربع بقين (واما أسماء الايام) فاولها الى

أنطق الخالى مخلوقاته * شهدوا والكل بالحق شهد
أنك الخيرة من صفوته * بعدما طال على الناس الامد

فاعطاهم وكساهم واحسن جباهم وبلغنى ان قوما اتوه بفيل من بلاد السودان هدية فامر لهم بصلة ولم يقبله منهم وقال نحن لا نريد ان نكون اصحاب الفيل وقال لى يوما كيف ترى هذه البلاد وأين هى من بلادك الشامية فقلت يا سيدنا بلادكم حسنة أنيقة مجملة مكملة وفيها عيب واحد فقال ما هو فقلت انها تنسى الاوطان فتبسم وظهر لى اعجابه بالجواب وامر لى من غد بزيادة رتبة واحسان وحدثنى بعض عمالهم انه فرق على الجند والامراء والفقراء فى عيد سنة اربع وتسعين ثلاثة وسبعين الف شاة من ضأن ومعز ودرج الى رحمة الله تعالى سنة خمس وتسعين وخمسمائة وكان قد استخلف ولده محمدا وقرر الامر له انتهى قلت بهذا وامثاله تعلم فساد ما زعمه غير واحد أن يعقوب المنصور هذا تخلى عن الملك وفر زهدا فيه الى المشرق وانه دفن بالبقاع لان هذه مقالة عامية لا يثبتها علماء المغرب وسبب هذه المقالة تولع العامة به فكذبوا فى موته وقالوا انه ترك الملك وحكوا ما شاع الى الآن وذاع مما ليس له أصل ويرحم الله تعالى الامام العلامة القاضى الشريف الغرناطى شارح المخزرجية اذ قال فى شرح مقصورة حازم عند ذكره وقعة الاراك ما معناه ان بعض الناس يزعمون أن المنصور ترك الملك وذهب الى المشرق وهذا كلام لا يصح ولا أصل له انتهى وقال فى المغرب كان أبوه يوسف قد استوزره فى حياته وخرج بين يديه وممرس وهزم الفرنج الهزيمة الفظيعة وتولع بالعلم حتى نفى التقليد وحرق كتب المذاهب وقتل على السكر انتهى وحكى لسان الدين الوزير ابن الخطيب فى شرح كتابه رقم الحلل فى نظم الدول أن المنصور طلب من بعض أعيان دولته رجلين لتاديب ولده يكون احدهما برا فى عمله والآخر بحرا فى علمه فجاءه بشخصين زعم انهما على وفق مقترح المنصور فلما اختبرهما لم يجدهما كما وصف فكتب الى الآتى بهما ظهر الفساد فى البر والبحر انتهى وناهيك بهذا دلالة على قوة فطنته ومعرفته رحمه الله تعالى (رجع) الى أخبار السرخسى وقال فى رحلته لما ذكر السيد أبا الربيع سليمان بن عبد الله ابن أمير المؤمنين عبد المؤمن بن على وكان فى تلك المدة بالى مدينة سجلماسة وأعمالها اجتمعت به حين قدم الى مراكش بعد وفاة المنصور يعقوب لمبايعة ولده محمد فرأيته شيخا بهى المنظر حسن المخبر فصيح العبارة باللغتين العربية والبربرية ومن كلامه فى جواب رسالة الى ملك السودان لغانة ينكر عليه تعويق التجار قوله نحن نتجاور بالاحسان وان تخالفنا فى الاديان ونتفق على السيرة المرضية ونتآلف على الرفق على الرعية ومعلوم أن العدل من لوازم الملوك فى حكم السياسة الفاضلة والجور لا تعانيه الا النفوس الشريرة الجاهلة وقد بلغنا احتباس مساكين التجار ومنعهم من التصرف فيما هم بصدده وتردد الجلابة الى البلد مفيد نسكانها ومعين على التمكن من استيطانها ولو شئنا لاحتبسنا من فى جهاتنا من أهل تلك الناحية لكنا لا نستصوب فعله ولا ينبغى لنا أن ننهى عن خلق ونأتى مثله والسلام ووقع الى عامله كثرت الشكاوى منه قد كثرت فيك الاقوال واغضائى عنك رجاء أن تتيقظ فتنصلح الحال وفى مبادرتى

الى ظهور الانكار عليك نسبة الى شر الاختيار وعدم الاختبار فاحذر فانك على شفا جرف هار ومن شعره المشهور قصيدة يمدح بها ابن عمه المنصور يعقوب

هبت بنصركم الرياح الاربع * وجرت بسعدكم النجوم الطلع
واستبشر الفلك الاثير تيقنا * أن الامور الى مرادك ترجع
وأمدك الرحمن بالفتح الذى * ملأ البسيطة نوره المتشعشع
لم لا وأنت بذلت فى مرضاته * نفسا تفديها الخلائق أجمع
ومضيت فى نصر الاله مصمما * بعزيمة كالسيف بل هى أقطع
لله جيشك والصوارم تنتضى * والخيل تجرى والاسنة تلمع
من كل من تقوى الاله سلاحه * ما ان له غير التوكل مفزع
لا يسلمون الى النوازل جارهم * يوما اذا أضحى الجوار يضيع

ومنها يصف انهزام العدو

ان ظن أن فراره منجى له * فبجهله قد ظن ما لا ينفع
أين المفر ولا فرار لهارب * والارض تنشر فى يديك وتجمع
أخليفة الله الرضا هنيته * فتح يعد بما سواه ويشفع
فلقد كسوت الدين عزا شامخا * ولبست منه أنت ما لا يخلع
هيهات سر الله أودع فيكم * والله يعطى من يشاء ويمنع
لكم الهدى لا يدعيه سواكم * ومن ادعاه يقول ما لا يسمع
ان قيل من خير الخلائق كلها * فاليك يا يعقوب تومى الاصبع
ان كنت تتلو السابقين فانما * أنت المقدم والخلائق تتبع
خذها أمير المؤمنين مديحة * من قلب صدق لم يشنه تصنع
واسلم أمير المؤمنين لامة * أنت الملاذ لها وانت المفزع
فالمدح منى فى علاك طبيعة * والمدح من غيرى اليك تطبع
وعليك يا علم الهداة تحية * يفنى الزمان وعرفها يتضوع

قال لى الفقيه أبو عبد الله محمد القسطلانى دخلت الى السيد ابى الربيع بقصر سجلماسة وبين يديه أنطاع عليها رؤس الخوارج الذين قطعوا الطريق على السفار بين سجلماسة وغانة وهو ينكت الارض بقضيب من الآبنوس ويقول

ولا غرو أن كانت رؤس عداته * جوابا اذا كان السيوف رسائله

ومات بعد الستمائة رحمه الله تعالى انتهى وقال لما هجره أمير المؤمنين يعقوب المنصور ووافق ذلك أن وفد على حضرة الخلافة مراكش جمع من العرب والغز من بلاد المشرق ونزلوا بتمر تاسقت ظاهر مراكش واستاذنوا فى وقت الدخول فكتب الى المنصور

يا كعبة الجود التى حجت لما * عرب الشآم وغزها والديلم
طوبى لمن أمسى يطوف بها غدا * ويحل بالبيت الحرام ويحرم
ومن العجائب أن يفوز بنظرة * من بالشآم ومن بمكة يحرم

وقد قدمنا فى صدر هذا الكتاب ما فى الايام من بدء الخلق والاثنين وسمى لانه ثان والثلاثاء وسمى لانه ثالث والاربعاء لانه رابع والخميس لانه خامس والجمعة لان الخلق اجتمعوا فيه والسبت لان الخلق انقطع فيه ولم يخلق وهو مأخوذ من قولهم نعل سبتية اذا كانت مقطوعة الشعر ويقال سبت شعره اذا قطعه وكانت العرب تسميها فى الجاهلية الاحد أول والاثنين أهون والثلاثاء جبار والاربعاء دبار والخميس مؤنس والجمعة عروبة والسبت شبار قال شاعرهم

أؤمل أن أعيش وأن يومى
باول أو بأهون أو جبار
أو المرد دبار فان أفته
فمؤنس أو عروبة او شبار

وكانوا يسمون الشهور المحرم ناتق وصفر ثقيل ثم طليق ناجر سماح أمنع أحلك كسع زاهر برط حرف نعس وهو ذو الحجة (وقد اختلفت العرب) فى أسماء الازمنة فزعمت طائفة منها أن أولها الوسمى وهو الخريف ثم الشتاء ثم الصيف ثم القيظ ومنهم من يعد الاول من فصول السنة الربيع وهو الاشهر والاعم والعرب تقول خرفنا فى بلد كذا وشتونا فى بلد كذا وصيفنا فى بلد كذا

فعفا عنه وأحسن اليه وأمره بالدخول بهم والتقدم عليهم وقال فى المغرب فى حق السيد أبى الربيع المذكور ما ملخصه لم يكن فى بنى عبد المؤمن مثله فى هذا الشان الذى نحن بصدده وكان تقدم على مملكتى سجلماسة وبجاية وكان كاتبا شاعرا أديبا ماهرا وشعره مدون وله ألغاز وهو القائل فى جارية اسمها الوف

خليلى قولا أين قلبى ومن به * وكيف بقاء المرء من بعد قلبه
ولو شئتما اسم الذى قد هويته * لعرفتما أمرى لكم بعد قلبه

وله الابيات المشهورة التى منها

أقول لركب أدلجوا بسحيرة * قفوا ساعة حتى أزور ركابها
وأملا عينى من محاسن وجهها * وأشكو اليها ان أطالت عتابها
فان هى جادت بالوصال وأنعمت * والا فحسبى أن رأيت قبابها

وقال يخاطب ابن عمه يعقوب المنصور

فلا ملأن الخافقين بذكركم * مادمت حيا ناطما ومرسلا
ولا ئذان نفسى لكم جهدى وذا * جهد المقل وما عسى أن أفعلا
ولا خلصن لك الدعاء وما أنا * أهل له ولعله ان يقبلا

وله مختصر كتاب الاغانى انتهى *(رجع) وذكر السرخسى أيضا فى رحلته السيد أبا الحسن على بن عمر ابن أمير المؤمنين عبد المؤمن وقال فى حقه انه كان من أهل الادب والطرب ولى بجاية مدة ثم عزل عنها لاهماله واغفاله وانهماكه فى ملاذه أنشدنى محمد بن سعيد المهدى كاتبه قال كتب الامير أبو الحسن الى أمير المؤمنين يعقوب يمدحه ويستزيده ويطلب منه ما يقضى به دينه

وجوه الامانى بكم مسفره * وضاحكة لى مستبشره
ولى أمل فيكم صادق * قريب عسى الله أن يسره
على دين وتحيفها * وعندكم الجود والمغفره

يعنى ذنوب وحدثنى الشيخ أبو الحسن بن فشتال الكاتب وقد أنشدته

أوحشتنى ولو اطلعت على الذى * لك فى ضميرى لم تكن لى موحشا

فقال أنشدته هذا البيت فى مجلس السيد أبى الحسن فقال لى ولمن حضر هل تعرفون لهذا البيت ثانيا فما فينا من عرفه فانشدنا

أترى رشيت على اطراح مودتى * ولقد عهدتك ليس تثنيك الرشا

أوحشتنى البيت انتهى وقال فى المغرب فى حق السيد المذكور ما ملخصه كان هذا السيد أبو الحسن قد ولى مملكة تلمسان وبجاية وله حكايات فى الجود بر مكية ونفس عالية زكية كتب اليه السيد ابو الربيع يوم جمعة

اليوم يوم الجمعه * يوم سرور ودعه
وشملنا مفترق * فهل ترى ان نجمعه

فاجابه بقوله

وتارة فى غيره من فصول السنة (وشهور الروم) مرسومة على ما يوافق فصول السنة التى تقطع فيها الشمس بروج الفلك عن آخرها ومقادير أيام كل شهر منها وليالية فى الطول والقصر وظهور ما يظهر فيه من النجوم الثابتة للابصار واستتار ما يستتر منها على مر الدهور والسنين وهى اثنا عشر شهرا على حسب ما ذكرنا أن أولها تشرين الى ايلول فلكل فصل من السنة أربعة شهور معلومة من هذه الاثنى عشر شهرا غير حائلة ولا منتقلة انتقال الشهور العربية ولكل برج منها شهر فايلول وتشرين وتشرين لسلطان السوداء وكانون وكانون وشباط لسلطان البلغم واذار ونيسان وايار لسلطان الدم وحزيران تموز وآب لسلطان الصفراء فايلول لبرج السنبلة وتشرين الاول لبرج الميزان وتشرين الآخر لبرج العقرب وكانون الاول برجه القوس وكانون الآخر برجه الجدى وشباط برجه الدلو واذار برجه الحوت ونيسان برجه الحمل وايار برجه الثور وحزيران برجه الجوزاء وتموز برجه السرطان وآب برجه الاسد (قال المسعودى) وسنذكر

اليوم يوم الجمعه * وربنا قد رفعه
والشرب فيه بدعه * فهل ترى أن ندعه

قال ولفظة السيد فى المغرب بذلك العصر لاتطاق الا على بنى عبد المؤمن بن على انتهى
*(رجع) قال السرخسى وقد ذكر فى الرحلة المذكورة السيد أبا محمد عبد الله صاحب فاس وله من أبيات فى الفخر وقد انتحلها غيره

ألست ابن من تخشى الليالى انتقامهم * وترجوندا هم غاديات السحائب
يخطون بالخطى فى حومة الوغى * سطور المنايا فى نحور المقانب
كتابا باطراف العوالى ونفسه * دم القلب مشكولا بضمح الترائب
وما كنت أدرى قبلهم أن معشرا * أقاموا كتابا من نفوس الكتائب

وأنشدنى المقدم الامير أبو زيد بن بكيت قال أنشدنى بعض السادة من بنى عبد المؤمن

فديت من أصبحت فى أسره * وليس لى من حكمه فادى
ان حل يوما وادنا كان لى * جنة عدن ذلك الوادى

ثم ذكر رحمه الله تعالى جملة من علماء الاندلس والمغرب لقيهم فى هذه الرحلة ومن نظم السرخسى المذكور قوله رحمه الله تعالى

ياساهر المقلة لاعن كرى * غفلت عن هجعى وأوصابى
لولم يكن وجهك لى قبلة * ما أصبح الحاجب محرابى

وكان متفننا فى العلوم وهو عم الامراء الوزراء الرؤساء فخر الدين واخوته ومن مصنفاته المسالك والممالك وعطف الذيل فى التاريخ وله أمالى وتخاريج وقدمه المنصور صاحب المغرب على جماعة وتوفى رحمه الله تعالى بدمشق ودفن فى مقابر الصوفية عند المنيبع وكان عالى الهمة شريف النفس قليل الطمع لايلتفت الى أحد رغبة فى دنياه لامن أهله ولامن غيرهم وذكره صاحب المرآة وغيره وترجمته واسعة رحمه الله تعالى *(ومن الوافدين على الاندلس ظفر البغدادى) سكن قرطبة وكان من رؤساء الوراقين المعروفين بالضبط وحسن الخط كعباس بن عمر الصقلى ويوسف البلوطى وطبقتهما واستخدمه الحكم المستنصر بالله فى الوراقة لما علم من شدة اعتناء الحكم بجمع الكتب واقتنائها وقد أشار ابن حيان فى كتاب المقتبس الى ظفر هذا رحمه الله تعالى *(ومنهم الرازى وهو محمد بن موسى بن بشير بن جناد بن لقيط الكنانى الرازى) والد أبى بكر محمد صاحب التاريخ غلب عليه اسم بلده وكان يفد من المشرق على ملوك بنى مروان تاجرا وكان مع ذلك متفننا فى العلوم وهلك منصرفه من الوفادة على الأمير المنذر بن محمد بالبيرة فى شهر ربيع الآخر سنة ٢٧٣ ذكره ابن حيان فى المقتبس *(ومنهم الوزير أبو الفضل محمد بن عبد الواحد بن عبد العزيز بن الحرث بن أسد بن الليث بن سليمان بن الاسود بن سفيان التميمى الدارمى البغدادى) سمع من أبى طاهر محمد ابن عبد الرحمن المخلص وغيره وخرج من بغداد رسولا عن أمير المؤمنين القائم بامر الله العباسى رضى الله تعالى عنه الى صاحب أفريقية المعز بن باديس واجتمع مع أبى العلاء المعرى بالمعرة وأنشده قصيدة لامية يمدح بها صاحب حلب فقبل عينيه وقال له لله أنت من ناظم

وغير ذلك مما لحق بهذا الباب ان شاء الله تعالى والله ولى التوفيق

(ذكر قول العرب فى ليالى الشهور القمرية وغيرها)

كانت العرب تخبر عن القمر فى كل ليلة على حسب ماهو به من الضياء وغيره على طريق المسئلة والجواب فتقول قيل للقمر ما أنت ابن ليلة قال رضاع سخيلة حل أهلها برميلة قيل فما أنت لليلتين قال حديث مشيق ذو أفانين قيل فما أنت لثلاث قال حديث عتيات يجتمعن من شتات وقيل قليل الثبات قيل فما أنت لاربع قال غنمة رتع غير جائع ولا مرضع قيل ما أنت لخمس قال حديث وانس قيل فما أنت لست قال سرو بت قيل فما أنت لسبع قال نصف فى السبع وقيل حلمة للضبع قيل فما أنت لثمان قال قمر اصبحان وقيل رغيف اقتسمه اخوان قيل فما أنت لتسع قال يلتقط الجرع قيل فما أنت لعشر قال محب الغبر قيل فما أنت لاحدى عشرة قال أرى مساء وأرى بكرة قيل فما أنت لاثنى عشر قال موفق للسير فى البدو والحضر قيل فما أنت لثلاث عشرة قال قمر باهر يمشى

تم التمام ونفدت الايام قيل فما أنت لست عشرة قال ناقص الخلق في الغرب والشرق قيل فما أنت لسبع عشرة قال يكن الفقير للفقير قيل فما أنت لثمان عشرة قال قليل البقاء سريع الفناء قيل فما أنت لتسع عشرة قال بطيء الطلوع من الخشوع قيل فما أنت لعشرين قال أطلع سحرة وأرى بكرة قيل فما أنت لاحدى وعشرين قال لا أطيل السرى الا ريثما أرى قيل فما أنت لاثنتين وعشرين قال منع خطب وليث حرب قيل فما أنت لثلاث وعشرين قال كالقبس أطلع في الغلس قيل فما أنت لاربع وعشرين قال أطلع في قسمة ولا أجلي ظلمة قيل فما أنت لخمس وعشرين قال أنا في تلك الليال لا قر ولا هلال قيل فما أنت لست وعشرين قال دنا الاجل وانقطع الامل قيل فما أنت لسبع وعشرين قال دنا مادنا فليس في من سنا قيل فما أنت لثمان وعشرين قال أطلع بكرا ولا أرى ظهرا قيل فما أنت لتسع وعشرين قال أسبق شعاع الشمس ولا أطيل الجلس قيل فما أنت لثلاثين ورد

وخرج من أفريقية من أجل فتنة العرب وخيم عند المأمون بن ذي النون بطليطلة وله فيه أمداح كثيرة ومن فرائد شعره قوله

يا ليل ألا انجليت عن قلق * طلت ولا صبر لي على الارق
جفت لحاظي التغميض فيك فما * تطبق أجفانها على الحدق
كأنني صورة ممثلة * ناظرها الدهر غير منطبق

وقال

يزرع ورد ناضرا ناظري * في وجنة كالقمر الطالع
أصنع أن اقطف ازهاره * في سنة المتبوع والتابع
فلم منعتم شفتي قطفها * والشرع أن الزرع للزارع

هكذا نسبها له غير واحد كابن سعيد وابن كتيلة وبعضهم ينسبها للقاضي عبد الوهاب قلت وقد اجاب عنها بعض المغاربة بقوله

سلمت أن الحكم ما قلتم * وهو الذي نص عن الشارع
فكيف تبغي شفة قطفه * وغيرها المدعو بالزارع

ورده شيخ شيوخنا الامام الحافظ ابو عبد الله التنسي ثم التلمساني بقوله

في ذا الذي قد قلتم مبحث * اذ فيه ايهام على السامع
سلمتم الحكم له مطلقا * وغير ذا نص عن الشارع

يعني انه يلزم على قول المجيب ان يباح له النظر مطلقا والشرع خلافه واجاب بعض الحنفية بقوله

لان أهل الحب في حكمنا * عبيد نا في شرعنا الواسع
والعبد لا ملك له عندنا * فحقه للسيد المانع

وهو جواب حسن لا باس به ورأيت جوابا لبعض المغاربة على غير رويه وهو

قل لابي الفضل الوزير الذي * باهى به مغربنا الشرق
غرست ظلما وأردت الجنى * وما الذي فرق ظالم حق

قلت وهذا مما يعين أن الابيات لابي الفضل الدارمي المذكور في الذخيرة لا للقاضي عبد الوهاب والله تعالى أعلم ومن شعر الوزير المذكور قوله

بين كريمين منزل واسع * والود حال تقرب الشاسع
والبيت ان ضاق عن ثمانية * متسع بالوداد للتاسع

وولد رحمه الله تعالى سنة ثمان وثمانين وثلثمائة وهو من بيت علم وادب قال الحميدي أخبرني بذلك أبو عمر رزق الله بن عبد الوهاب بن عبد العزيز بن الحرث وتوفي بطليطلة سنة أربع وخمسين وأربعمائة وقال ابن حيان توفي ليلة الجمعة لاربع عشرة ليلة خلت من شوال سنة خمس وخمسين وأربعمائة في كنف المأمون يحيى بن ذي النون وذكر انه كان يتهم بالكذب فالله تعالى أعلم بحقيقة الامر وقال ابن ظافر في كتابه بدائع البدائه ما نصه حضر أبو الفضل الدارمي البغدادي مجلس المعز بن باديس وبالمجلس ساق وسيم قد مسك عذاره

وردخديه وعجزت الراح أن تفعل فى الندامى فعل عينيه فامره المعز بوصفه فقال بديها

ومعذر نقش الجمال بمسكه * خـد اله بدم القلوب مضرجا
لما تيقن أن سيف جفونه * من نرجس جعل العذار بنفسجا

وقوله فى جاريه تبخرت بالند

ومخطوطة المتنين مهضومة الحشى * منعمة الارداف تدمى من اللمس
اذا مادخان الند من جيبها علا * على وجهها أبصرت غيما على شمس

وقوله

ولا غرزن بمهجتى فى حبه * غرزا يطيل مع الخطوب خطابى
ولئن تعززان عندى ذلة * تستعطف الاعداء للاحباب

وقوله

دعتنى عيناك نحو الصبا * دعاء يكرر فى كل ساعه
ولولا وحقك عذر المشيب * لقلت لعينيك سمعا وطاعه

وقد تمثل بهذين البيتين لسان الدين بن الخطيب فى خطبة تأليفه المسمى بروضة التعريف بالحب الشريف وقال أبو الفضل الدارمى المذكور أيضا

سطا الفراق عليهم غفلة فغدوا * من جوره فرقا من شدة الفرق
فسرت شرقا وأشواقى مغربة * يا بعد ما نزحت عن طرقهم طرقى
لولا تدارك دمعى يوم كاظمة * لأحرق الركب ما أبديت من حرق
يا سارق القلب جهرا غير مكترث * أمنت فى الحب أن تعدى على السرق
أرمق بعين الرضا تنعش بعاطفة * قبل المنية ما أبقيت من رمقى
لم يبق منى سوى لفظ يبوح بما * ألقى فيا عجبا للحظ كيف بقى
صلنى اذا شئت أو فاهجر علانية * فكل ذلك محمول على الحدق

وقال

تذكر نجدا والحمى فبكى وجدا * وقال سقى الله الحمى وسقى نجدا
وخفقة انفاس الخزامى عشية * فهاجت الى الوجد القديم به وجدا
فأظهر سلوانا وأضمر لوعة * اذا طفئت نيرانها وقدت وقدا
ولو أنه أعطى الصبابة حكمها * لابدى الذى أخفى وأخفى الذى أبدى

وقال أيضا

قلت للملتقى على الخدين من ورد خمارا
أسبل الصدغ على خدك من مسك عذارا
أم أعان الليل حتى * قهر الليل النهارا
قال ميدان جرى الحسن عليه فاستدارا
ركضت فيه عيون * فاثارته غبارا

وقال

ليالى الشهر فتقول ثلاث غرر والثلاث التى تليها ثلاث سمر والثلاث التى تليها ثلاث زهر والثلاث التى تليها ثلاث درر والثلاث التى تليها قمر وثلاث بيض وتقول فى النصف الثانى من الشهر فى الثلاث الاول درع وفى الثلاث التى تليها ظلم وفى الثلاث التى تليها ثلاث حنادس وفى الثلاث التى تليها ثلاث دوارى وفى الثلاث التى تليها ثلاث محاق وقيل فى وجه آخر من الروايات انه يقال لليالى الشهر ثلاث هلل وثلاث قمر وست نقل وثلاث درع وثلاث بهم وست حنادس وليلتان داريتان وليلة محاق (قال المسعودى) فاما ماذهب اليه العرب فى تسمية القمر فانها تسميه فى ليلة طلوعه هلالا وما لم يستدر فهو هلال ثم تسميه قمرا اذا ما استدار واذا ما جهر وأضاء فهو قمير قال شاعرهم

وقمير بدا ابن خمس وعشرين له قالت الفتاتان قوما
ثم يستوى لثلاث عشرة منه وهى ليلة السواء ثم ليلة البدر لاربع عشرة ويقال غلام بدر اذا امتلأ شبابا قبل أن يحتلم ويقال عين حذرة قمرة اذا كانت حديدة كعين الفرس والليالى البيض ليلة ثلاث

وكاتب أهديت نفسى له * فهى من السوء فدى نفسه
فلست أدرى بعد ما حل بى * بمسكه أتلف أم نفسه
سلط خديه على مهجتى * فاستأصلتها وهى من غرسه

وقال

وشادن أسرف فى صده * وزاد فى التيه على عبده
الحسن قد بث على خده * بنفسجا يزهو على ورده
رأيته يكتب فى طرسه * خطا يبارى الدر من عقده
فقلت ما قد خطه كفه * للحسن قد خط على خده

وقال

انى عشقت صغيرا * قد دب فيه الجمال
وكاد يغشى حديث الـ * ـفضول منه الدلال
لو مر فى طرق المجـ * ـر لاعتراه ضلال
يريك بدرا منيرا * فى الحسن وهو هلال

وقال

ظبى اذا حركت أصداغه * لم يلتفت خلق الى العطر
غنى بشعرى منشدا ليثنى اللفظ الذى أودعه شعرى
فكلما كررانشاده * قبلته فيه ولم يدر

وقال

أينفع قولى انى لا أحبه * ودمعى بما يليه وجدى يكتب
اذا قلت للواشين لست بعاشق * يقول لهم فيض المدامع يكذب

وقال

وهبنى قد أنكرت حبك جملة * وآليت أنى لا أروم محطها
فمن أين لى فى الحب جرح شهادة * سقامى أملاها ودمعى خطها

وقال

انا أخشى ان دام ذا الهجر أن ينـ * ـشط من حبه عقال وثاق
نار يح الفؤاد مما اعتراه * وارد الهوى على العشاق

وقال

كلانا لعمرى ذا ثبان من الهوى * فنارك من جمرو نارى من هجر
فانت على ما قد تقاسين من أذى * فصدرى فى نارى ونارى فى صدرى

وقال

ومن عجب العشق أن القتيل * يحن ويصبو الى القاتل

وقال

ألم أجعل مثار النقع بحرا * على أن الجياد له سفين

ظلمت عليه الشمس والسواد حين يستتر فيكون قد خلف الشمس ويقال قد هجر القمر اذا استدار بخط رقيق من غير أن يغلظ ويقال أفتق اذا أصابته فرجة من السحاب فخرج وأفتق علينا فأبصرنا الطريق وكل سواد من الليل حندس والليالى الزهر الليالى البيض والله الموفق للصواب

(ذكر القول فى تأثير النيرين فى هذا العالم وجمل مما قيل فى ذلك وغير ذلك مما لحق بهذا الباب)

ذهب الحكماء جميعا من اليونانيين وغيرهم الى أن أفعال القمر فى الجواهر التى قلنا عظيمة الا أنها أقصر من أفعال الشمس وهى الثانية بعدها وذلك أن الشهور ما يكون على حسب حركته يجرى أمرها وأفعالها ترى أعظم وأبين فى حيوان البحر خاصة وهى تنمى النبات وغيره وتعظم البحار وتسمن الحيوان وتلزم النساء الطمث أزمانا محدودة (قال المسعودى) رحمه الله وقد تنازع الناس فى كيفية تصور الجنين فى الرحم فذهب قوم من أهل القدم الى أن فى المنى قوة تصور الجنين اما من دم الطمث وذهب قوم الى ان فى الرحم قالبا يتصور فيه

وقال

أصبحت أحلب تيسا لا مدر له * والتيس من ظن أن التيس محلوب

وأما الحكيم أبو محمد المصرى وهو القائل

رعى الله دهرا قد نعمنا بطيبه * ليالية من شمس الكؤس أصائل

ونرجسنا دوعلى التبر جامد * وخمرتنا تسبر على الدراهم

فقد ترجمه فى الذخيرة فليراجع فان الذخيرة غريبة فى البلاد المشرقية وقد كان عندى بالمغرب من هذا النوع ما أستعين به فخلفته هنالك والله تعالى يلم الشعث وقد ذكر فيها انه مغربى سافر الى مصر فقيل له المصرى لذلك فليعلم والله تعالى أعلم * (ومن الوافدين على الاندلس أشهب بن العضد الخراسانى) قال ابن سعيد أنشدنا لما وفد على ابن هود فى اشبيلية قصيدة ابن النبيه (طاب الصبوح لنافهات وهات) وادعاها وفيها

فى روضة غناء تخال طيورها * وغصونها همزا على الغات

ولم أجد هذا البيت فى قصيدة ابن النبيه انتهى * (ومن الوافدين على الاندلس من المشرق أبو الحسن البغدادى الفكيك) وهو مذكور فى الذخيرة وكان حلو الجواب ملیح النادر يضحك من حضر ولا يضحك هو اذا ندر وكان قصيرا دميما قال ورأيته يوما وقد لبس ثوبا أحمر على بياض وفى رأسه طرطور أخضر عم عليه عمة لازوردية وهو بين يدى المعتمد بن عباد ينشد شعرا قال فيه

وأنت سليمان فى ملكه * وبين يديك أنا الهدهد

وانشد له فى المعتمد

أبا القاسم الملك المعظم قدره * سواك من الاملاك ليس يعظم

لقد أصبحت حمص بعدلك جنة * وقد أبعدت عن ساكنيها جهنم

ولى فى محياك الربيع وانني * أزخرف أعلام الثناء وأرقم

وأنفقت ما أعطيتنى ثقة بما * أؤمل فالدينار عندى درهم

وقلبى الى بغداد يصبو وانني * لنشر صباها دائما أتنسم

وقال

وروّى على ربع العقيق دموعه * عقيقا ففيها توأم وفريد

شهدت وما تغنى شهادة عاشق * بان قتيل الغانيات شهيد

ومنها

اذا قابلوه قبلوا تراب أرضه * وهم لعلا مركع وسجود

وقد هزمته الله للملك صارما * تقام بحدى شفرتيه حدود

وقال

لأية حال حال عن سنة الكرى * ولم أصغ يوما فى هواه الى العذل

ومنها

كأن بقاء الطل فوق جفونها * دموع التصابى حرن فى الاعين النجل

وقال صاحب المنطق أن ذلك بمنزلة الفاعل وان الجنين يتصور فى دم الطمث من المنى قال والمنى يعطى الدم مثل الحركة ثم يستحيل ريحا فيخرج من الرحم وزعم جالينوس أن الجنين يكون فى المنى وقد يحدث اليه الدم الذى هو الروح من العروق والشريانات فيكون من المنى ومن ذلك الدم الذى يجذبه ومن الريح الذى يصير اليه من الشريانات قال وكون الجنين بمنزلة كون النبات والطبيعة تصور من المنى والدم وتفعل الطبيعة فى الجنين ما تفعله فى النبات لان بزر النبات يحتاج الى أرض لينال منها ما يغتذى به فالجنين والرحم والنبات برسل عروقه من الاصول ليجذب بها من الارض غذاءه وللجنين فى المشيمة شريانات والعروق نظير لذلك وهى أصول الجنين وبزر النبات منه ساق ومن الساق أغصان كبار ثم من هذه الاغصان أغصان أخرى تتفرع أولا حتى تنتهى الى الاقاصى ونظير ذلك يوجد فى الجنين فتجد العرق فى بدنه ثلاثة من كل

من الاغصان الاصول وهى الشريان الاعظم والعرق الاجوف والنخاع ثم تجد كل واحد من هذه يتشعب منه شعب

ومنها

تملكت رقى بالعوارف منعما * وأغنيتنى بالجود عن كل ذى فضل
وأنسيتنى أرض العراق ودجلة * وربى حنى ما احن الى اهلى

وقال فى المقتدر بن هود

لعزك ذلت ملوك البشر * وعفرت تيجانهم فى العفر
وأصبحت أخطرهم بالقنا * وأركبهم لجواد الخطر
سهرت وناموا على المأثرات * فحالهم فى المعالى أثر
وجليت فى حيث ضل الملوك * فكل بذيل العلا قد عثر

ومنها

وأنتم ملوك اذا شاجروا * اظلتهم من قفاهم شجر

وقال فيه من قصيدة

غنى حسامك فى ارجاء قرطبة * صوتا أبادا لعدا والليل معتكر
حيث الدماء مدام والقنا زهر * والقوم صرعى بكاس الحتف قد سكروا

وكان مشهورا بالمعاء وله فى نقيب بغداد وكانت فى عنقه غدة

بلغ الامانة فهى فى حلقومه * لاترتقى صعدا ولا تتنزل

وقال فى ناصر الدولة بن حمدان

ولئن غلطت بأن مدحتك طالبا * جدواك مع علمى بانك باخل
فالدولة الغراء قد غلطت بان * سمتك ناصرها وأنت الخاذل
ان تم أمرك مع يدلك أصبحت * شلاء فالامثال شئ باطل

ومما ينسب اليه وقيل لغيره

ووعدتنى وعدا حسبتك صادقا * فجعلت من طمعى أجى وأذهب
فاذا جعت أنا وأنت بمجلس * قالوا مسيلمة وهذا أشعب

*(ومنهم ابراهيم بن سليمان الشامى) دخل الاندلس من المشرق فى أخريات أيام الحكم شاديا للشعر وهو من موالى بنى أمية ولم ينفق على الحكم وتحرك فى أيام ولده الامير عبد الرحمن فنفق عليه ووصله ثم فى أيام الامير محمد بن عبد الرحمن وكان أدرك بالمشرق كبار المحدثين كابى نواس وأبى العتاهية ومن شعره ما كتب به الى الامير عبد الرحمن

يا من تعالى عن أمية فى الذرا * قدما فاصبح عالى الاركان
ان الغمام غياثه فى وقته * والغيث من كفيك كل أوان
فالغيث قد عم البلاد وأهلها * وظمئت بينهم فبل لسانى

وله فى الامير عبد الرحمن بن الحكم

ومن عبد شمس بالمغارب عصبة * فاسعدها الرحمن حيث أحلها
دحا تحتها مهدا من العز آمنا * ومد جناحا فوقها فاظلها

*(ومنهم ابو بكر بن الازرق وهو محمد بن احمد بن محمد بن عبد الله بن حامد بن موسى بن

الجنين يكون من الرجل والمرأة ودم الطمث (وحكى جالينوس) عن أبيه بليس أن أجزاء الولد منقسمة فى منى الذكر والانثى وان شهوة الجماع تسبق هذه الاجزاء الى أن لا ينام وهذا موجود فى كتبهم فيما ذكروه من مذاهبهم فى كيفية تركيب العالم واتصال النفس بعالمها وغير ذلك (وقد ذهب قوم) من أهل القدم الى أن ذلك هو أجزاء تخرج من أعضاء الانسان اللطيفة من جنس سائر أعضاء الانسان فتنصب فى الرحم فيتغذى منه وينمو فيكون من ذلك الجنين (ومنهم) من رأى أن هذه الاجزاء الواردة من سائر أعضاء الذكر تقاربها موادمن الرحم ومن ماء المرأة عند اجتماعها فيكون الجنين من ذلك فمن ذلك صار الولد يشبه أباه فى الاغلب من سائر الاعضاء وتشكيله واهل بيت ابيه ولهذا وقع الشبه بين البنين والآباء فى الاغلب من تشابه الاعضاء ومن ههنا أدركت القافة الحاق النسب عند الشبه والشك فى النسب وذلك على قول من رأى الحاق النسب بالقيافة من القافة وقد تقدم الكلام فى هذا المعنى فيما سلف من هذا الكتاب فى باب القيافة (وللناس)

العباس بن محمد بن يزيد وهو الحصى ابن محمد بن مسلمة بن عبد الملك بن مروان) من اهل مصر خرج من مصر سنة ثلاث واربعين وثلثمائة وصار الى القيروان وامتحن بها مع الشيعة واقام محبوسا بالمهدية ثم اطلق ووصل الاندلس سنة تسع واربعين فاحسن اليه المستنصر بالله الحكم وكان اديبا حكيما سمع من خاله ابى بكر احمد بن مسعود الزهرى وولد سنة تسع عشرة وثلثمائة بمصر وتوفى بقرطبة فى ذى القعدة سنة خمس وثمانين وثلثمائة رحمه الله تعالى

*(ومن الوافدين على الاندلس من المشرق رئيس المغنين ابو الحسن على بن نافع الملقب بزرياب مولى امير المؤمنين المهدى العباسى) قال فى المقتبس زرياب لقب غلب عليه ببلاده من اجل سواد لونه مع فصاحة لسانه وحلاوة شمائله شبه بطائر اسود غرد عندهم وكان شاعرا مطبوعا وكان ابنه احمد قد غلب عليه الشعر ايضا وكان من خبره فى الوصول الى الاندلس انه كان تلميذ الاسحق الموصلى ببغداد فتلقف من اغانيه استراقا وهدى من فهم الصناعة وصدق العقل مع طيب الصوت وصورة الطبع الى ما فاق به اسحق واسحق لا يشعر بما فتح عليه الى ان جرى للرشيد مع اسحق خبره المشهور فى الاقتراح عليه بمغن غريب مجيد للصنعة لم يشتهر مكانه اليه فذكر له تلميذه هذا وقال انه مولى لكم وسمعت له نزعات حسنة ونغمات رائقة ملتاطة بالنفس اذا انا وقفته على ما استغرب منها وهو من اختراعى واستنباط فكرى وأحدس أن يكون له شان فقال الرشيد هذا طلبتى فأحضرنيه لعل حاجتى عنده فاحضره فلما كلمه الرشيد أعرب عن نفسه باحسن منطق وأوجز خطاب وسأله عن معرفته بالغناء فقال نعم أحسن منه ما يحسنه الناس وأكثر ما أحسنه لا يحسنونه مما لا يحسن الا عندك ولا يدخر الا لك فان أذنت غنيتك ما لم تسمعه أذن قبلك فامر باحضار عود استاذه اسحق فلما أدنى اليه وقف عن تناوله وقال لى عود نخته بيدى وأرهفته باحكامى لا أرتضى غيره وهو بالباب فليأذن لى أمير المؤمنين فى استدعائه فامر بادخاله اليه فلما تامله الرشيد وكان شديها بالعود الذى دفعه قال له ما منعك أن تستعمل عود أستاذك فقال ان كان مولاى يرغب فى غناء أستاذى غنيته بعوده وان كان يرغب فى غنائى فلا بد لى من عودى فقال له ما أراهما الا واحدا فقال صدقت يا مولاى ولا يؤدى النظر غير ذلك ولكن عودى وان كان فى قدر جسم عوده ومن جنس خشبه فهو يقع من وزنه فى الثلث أو نحوه وأوتارى من حرير يغزل بماء سخن يكسبها انانة ورخاوة وبهما ومثانها اتخذتهما من مصران شبل أسد فلها فى الترنم والصفاء والجهارة والحدة أضعاف ما لغيرها من مصران سائر الحيوان ولها من قوة الصبر على تاثير وقع المضارب المتعاورة بها ما ليس لغيرها فاستبرع الرشيد وصفه وأمره بالغناء فجس ثم اندفع فغناه

يا ايها الملك الميمون طائره * هرون راح اليك الناس وابتكروا

فاتم النوبة وطار الرشيد طربا وقال لاسحق والله لولا انى أعلم من صدقك لى على كتمانه اياك لما عنده وتصديقه لك من أنك لم تسمعه قبل لانزلت بك العقوبة لتركك اعلامى بشانه نخذه اليك واعتن بشانه حتى أفرغ له فان لى فيه نظرا فسقط فى يد اسحق وهاج به من داء الحسد ما غلب على صبره فقال لزرياب وقال يا على ان الحسد أقدم الادواء وادوؤها والدنيا

الى المضغة الى استكمال شكله كلام كثير منهم اصحاب الانبيق وغيرهم ممن تقدم وتاخر اعرضنا عن ذكر ذلك اذ كان فيه خروج عما اليه قصدنا فى هذا الباب (قال المسعودى) رحمه الله والذى يقضى على سائر ما تقدم وصفه وينقطع علم العقول عنده هو ما أخبر به البارئ عز وجل فى كتابه بقوله هو الذى يصوركم فى الارحام كيف يشاء لا اله الا هو العزيز الحكيم ولم يخبر عن كيفية ذلك وما سبب مواده بل استاثر بتلك الدلالة وظهور حكمته ثم أخبر عن المبدا الذى خلقهم منه فقال يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وقال عز وجل يا ايها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر فى الارحام ما نشاء الى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى أرذل العمر الآية (قال المسعودى) وللناس فيما سلف من

الاوائل وخلف من الشرعيين كلام كثير فى كيفية أفعال النيرين وتاثيرهما فى هذا العالم وما قالوه فى ذلك وما نحصوا به كل

قتانة والشركة في الصناعة عداوة ولا حسلة في حسبها وقد مكرت بي فيما انطويت عليه من اجادتك وعلوطبقتك وقصدت منفعتك فاذا أنا قد أتيت نفسي من مأمنها بادنائك وعن قليل تسقط منزلتي وترتقي أنت فوقي وهذا مالا أصاحبك عليه ولو أنك ولدي ولولا رعي لذمة تربيتك لما قدمت شيأ على ان أذهب نفسك يكون في ذلك ما كان فتغير في ثنتين لابد لك منهما اما أن تذهب عني في الارض العريضة لاأسمع لك خبرا بعد أن تحلفني على ذلك الايمان الموثقة وأنهضك لذلك بما أردت من مال وغيره واما أن تقيم على كرهي ورغمي مستهدفا الى نخذ الآن حذرك مني فلست والله أبقي عليك ولا أدع اغتيالك اذا في ذلك بدني ومالي فاقض قضاءك فخرج زرياب لوقته وعلم قدرته على ما قال واختار الفرار قدامه فأعانه اسحق على ذلك سريعا وراش جناحه فرحل عنه ومضى يبغي مغرب الشمس واستراح قلب اسحق منه وتذكره الرشيد بعد فراغه من شغل كان منغمسا فيه فأمر اسحق بحضوره فقال ومن لي به يا أمير المؤمنين ذاك غلام مجنون يزعم ان الجن تكلمه وتطارحه ما يزهى به من غنائه غاير في الدنيا من يعدله وما هو الا أن ابطأت عليه جائزة أمير المؤمنين وترك استعادته فقد والتقصير به والتهوين بصناعته فرحل مغاضبا ذاهبا على وجهه مستخفيا عني وقد صنع الله تعالى في ذلك لامير المؤمنين فانه كان به لم يغشاه ويفرط خبطه فيفزع من رآه فسكن الرشيد الى قول اسحق وقال على ما كان به فقد فاتنا منه سرور كثير ومضى زرياب الى المغرب فسمي بالمشرق خبره اذ لم يكن اسمه شهرهنا لك شهرته بالصقع الذي قطنه ونزعت اليه نفسه وسمت به همته فام أمير الاندلس الحكم المباين لوالده وخاطبه وذكر له نزاعه اليه واختياره اياه ويعلمه بمكانه من الصناعة التي ينتحلها وسأله الاذن في الوصول اليه فسر الحكم بكتابه وأظهر له من الرغبة فيه والتطلع اليه واجمال الموعد ما تمناه فسار زرياب نحوه بعياله وولده وركب بحر الزقاق الى الجزيرة الخضراء فلم يزل بها حتى توالت عليه الاخبار بوفاة الحكم فهم بالرجوع الى العدوة فكان معه منصور اليهودي المغني رسول الحكم اليه فثناه عن ذلك ورغبه في قصد القائم مقام الحكم وهو عبد الرحمن ولده وكتب اليه بخبر زرياب فجاءه كتاب عبد الرحمن يذكر تطلعه اليه والسرور بقدومه عليه وكتب الى عماله على البلاد أن يحسنوا اليه ويوصلوه الى قرطبة وأمر خصيانا من أكابر خصيانه أن يتلقاه ببغال ذكور وإناث وآلات حسنة فدخل هو وأهله البلد ليلا صيانة للعرس وأنزله في دار من أحسن الدور وحمل اليها جميع ما تحتاج اليه وخلع عليه وبعد ثلاثة أيام استدعاه وكتب له في كل شهر بمئتي دينار راتبا وأن يجري على بنيه الذين قدموا معه وكانوا أربعة عبد الرحمن وجعفر وعبيد الله ويحيى عشرون دينارا لكل واحد منهم كل شهر وأن يجري على زرياب من المعروف العام ثلاثة آلاف دينار منها لكل عيد ألف دينار ولكل مهرجان ونوروز خمسمائة دينار وأن يقطع له من الطعام العام ثلثمائة مدى ثلثاها شعير وثلثها قمح وأقطعه من الدور والمستغلات بقرطبة وبساتينها ومن الضياع ما يقوم بأربعين ألف دينار فلما قضى له سؤله وانجز موعوده وعلم أن قد أرضاه وملك نفسه استدعاه فبدأ بمجالسته على النبيذ وسماع غنائه فما هو الا أن سمعه فاستهوله واطرح كل غناء سواه وأحبه حبا شديدا وقدمه

الجزر والمد في بحر الصين والحبش واليمن على حسب ما قدمنا في هذا الكتاب وكذلك فعله في المعادن وادمغة الحيوان والبيض وسائر الحيوان والنبات وما يظهر من الزيادات فيه عند امتلائه والنقص عند نقصانه وما يكون من بحرانات المرضى في اليوم السابع من العلة والرابع عشر والحادي والعشرين والثامن والعشرين لان للقمر أربعة أشكال هي أثبت صورة فيه شكل التقصيف وشكل التمام وشكل التنصيف عند التمام وشكل المحاق ولكل شكل من هذه سبعة أيام لانه في سبع ليال ينتصف وفي الرابعة عشرة يتم وفي الحادية والعشرين ينتصف وفي الثامنة والعشرين يمحق فكذلك البحرانات وعند هذه الطائفة يصح في السابع والرابع عشر والحادي والعشرين ويصح أيضا في تنصيفات هذه اذ كانت هذه الاشكال أثبت أشكال الشيء المقسم وقد خالف هؤلاء خلق ممن ذهب الى غير هذا القول وأن ذلك من قبل الاخلاط وغير ذلك والطبائع الاربعة وغيرها مما قدأتينا على

على جميع المغنيين وكان لما خلا به أكرمه غاية الاكرام وأدنى منزلته وبسط أمله وذاكره في أحوال الملوك وسير الخلفاء ونوادر العلماء فدرك منه بحرا زخر عليه مدة فاعجب الامير به وراقه ما أورده وحضر وقت الطعام فشرفه بالاكل معه هو وأكابر ولده ثم أمر كاتبه بان يعقد له صكا بما ذكر ناه آنفا والملك قلبه واستولى عليه حبه فتح له بابا خاصا يستدعيه منه متى أراد وذكر أن زرياب ادعى أن الجن كانت تعلمه كل ليلة ما بين نوبة الى صوت واحد فكان يهب من نومه سريعا فيدعو بجاريتيه غزلان وهنيدة فيأخذان عودهما ويأخذ هو عوده فيطارحهما ليلته ثم يكتب الشعر ثم يعود عجلا الى مضجعه وكذلك يحكى عن ابراهيم الموصلي في لحنه البديع المعروف بالماخوري ان الجن طارحته اياه والله تعالى أعلم بحقيقة ذلك وزاد زرياب بالاندلس في أوتار عوده وتراخامسا اخترعا منه اذ لم يزل العود ذا اربعة أوتار على الصنعة القديمة التي قوبلت بها الطبائع الاربع فزاد عليها وترا خامسا أحمر متوسطا فاكتسب به عوده ألطف معنى وأكمل فائدة وذلك أن الزير صبغ أصفر اللون وجعل في العود بمنزلة الصفراء من الجسد وصبغ الوتر الثاني بعده أحمر وهو من العود مكان الدم من الجسد وهو في الغلظ ضعف الزير ولذلك سمي مثنى وصبغ الوتر الرابع أسود وجعل من العود مكان السوداء من الجسد وسمي البم وهو أعلى أوتار العود وهو ضعف المثلث الذي عطل من الصبغ وترك أبيض اللون وهو من العود بمنزلة البلغم من الجسد وجعل ضعف المثنى في الغلظ فلذلك سمي المثلث فهذه الاربعة من الاوتار مقابلة للطبائع الاربع تقضي طبائعها بالاعتدال فالبم حار يابس يقابل المثنى وهو حار رطب وعليه تسويته والزير حار يابس يقابل المثلث وهو حار رطب قوبل كل طبع بضده حتى اعتدل واستوى كاستواء الجسم باخلاطه الاربعة عدل من النفس والنفس مقرونة بالدم فاضاف زرياب من أجل ذلك الى الوتر الاوسط الدموي هذا الوتر الخامس الاحمر الذي اخترعه بالاندلس ووضعه تحت المثلث وفوق المثنى فكمل في عوده قوى الطبائع الاربع وقام الخامس المزيد مقام النفس في الجسد وهو الذي اخترع بالاندلس مضراب العود من قوادم النسر معتاضا به من عرهب الخشب فابرع في ذلك للطف قشر الريشة ونقائه وخفته على الاصابع وطول سلامة الوتر على كثرة ملازمته اياه وكان زرياب عالما بالنجوم وقسمة الاقاليم السبعة واختلاف طبائعها واهويتها وتشعب بحارها وتصنيف بلادها وسكانها مع ما سنح له من فك كتاب المويسيقى مع حفظه لعشرة آلاف مقطوعة من الاغاني بالحانها وهذا العدد من الالحان غاية ما ذكره بطليموس واضع هذه العلوم ومؤلفها وكان زرياب قد جمع الى خصاله هذه الاشتراك في كثير من ضروب الظروف وفنون الادب ولطف المعاشرة وحوى من آداب المجالسة وطيب المحادثة ومهارة الخدمة الملوكية ما لم يجده أحد من أهل صناعته حتى اتخذه ملوك أهل الاندلس وخواصهم قدوة فيما سنه لهم من آدابه واستحسنه من أطعمته فصار الى آخر ايام أهل الاندلس منسوبا اليه معلوما به فمن ذلك انه دخل الى الاندلس وجميع من فيها من رجل او امرأة يرسل جمته مفروقا وسط الجبين عاما للصدغين والحاجبين فلما عاين ذو والتحصيل تحذيقه هو وولده وفساؤه لشعورهم وتقصيرها دون جباههم وتسويتها

ذلك في كيفية تاثير الشمس والقمر (وأما الدلائل) وأن السماء تدل على مثال الكرة وتدويرها بجميع ما فيها من الكواكب كدورة الكرة وأن الارض بجميع أجزائها من البر والبحر على مثال الكرة وأن كرة الارض منبتة في وسط السماء كالكرة وقدرها عند قدر السماء قدر النقطة في الدائرة صغرا ووصف الربع المسكون من الارض وما يعرض فيها من دور الفلك واختلاف الليل والنهار ووصف المواضع التي تطلع الشمس فيها شهورا لا تغرب وتغرب شهورا لا تطلع فقد أتينا على وصف جميع ذلك وما انتضح عليه وما انتصب من البراهين وما قاله الناس في ذلك في كتابنا المترجم بكتاب أخبار الزمان وما أوضحنا فيه من هيئة الافلاك والكواكب وأن الارض مع ما وصفنا في تدويرها موضوعة في جوف الفلك كالمحة في البيضة والنسيم جاذب أيضا لما في أبدان الخلق من الخفة والارض جاذبة لما في أبدانهم من الثقل اذ كانت الارض بمنزلة حجر المغناطيس الذي يجذب بطبعه الحديد وأن الارض مقسومة نصفين وبينهما خط الاستواء وهو من المشرق

الى المغرب كما أن منطقة تدور حوله بنات نعش وأن استدارة الارض من خط الاستواء ست وثلاثون درجة والدرجة خمسة وعشرون فرسخا والفرسخ اثنا عشر الف ذراع والذراع اثنان وأربعون أصبعا والاصبع ست حبات وتسعان مضفوفة بعضها الى بعض يكون ذلك تسعة آلاف فرسخ (وقد قدمنا) فيما سلف من هذا الكتاب في باب ذكر الارض والبحار ومبادي الانهار مقدار الميل والذراع الأسود وانما نذكر في كل موضع من هذا الكتاب ما سنح لنا ونجده في كتب الناس فننقل ذلك عنهم على ما وجدناه في كتبهم الا أنا لا نقطع على صحته اذ كان ما يذهب اليه في مقدار الميل من الاذرع والذراع من الاصابع هو ما بيناه آنفا في باب ذكر الارض والبحار وبين الاستواء وكل واحد من القطبين تسعون درجة واستدارتها عرضا مثل ذلك وزعم هؤلاء أن العمارة في الارض بعد خط الاستواء أربع وعشرون درجة وان الباقي قد غمره البحر الكبير وان الخلق على الشمال من الارض والربع الجنوبي خراب لشدة الحر فيه والنصف الباقي من الارض

مع حواجبهم وتدويرها الى آذانهم واسدالها الى أصداغهم حسبما عليه اليوم المخدم الخصية والجواري هوت اليه أفئدتهم واستحسنوه وعمانسنه لهم استعمال المرتك المتخذ من المرداسنج لطرد ريح الصنان من مغابنهم ولا شيء يقوم مقامه وكانت ملوك الاندلس تستعمل قبله ذرور الورد وزهر الريحان وما شاكل ذلك من ذوات القبض والبرد فكانوا لا تسلم ثيابهم من وضر فدلهم على تصعيدها بالملح وتبييض لونها فلما جربوه أحدوه جدا وهو أول من اجتنى بقلة الهليون المسماة بلسانهم الاسفراج ولم يكن أهل الاندلس يعرفونها قبله ومما اخترعوه من الطبيخ اللون المسمى عندهم بالنقايا وهو مصطنع بماء الكزبرة الرطبة محلى بالسنبوسق والكباب ويليه عندهم لون التقلية المنسوبة الى زرياب ومما أخذ عنه الناس بالاندلس تفضيله آنية الزجاج الرفيع على آنية الذهب والفضة وايثاره فرش انطاع الاديم اللينة الناعمة على ملاحف الكتان واختياره سفر الاديم لتقديم الطعام فيها على الموائد الخشبية اذا الوضر يزول عن الاديم بأقل مسحة ولبسه كل صنف من الثياب في زمانه الذي يليق به فانه رأى ان يكون ابتداء الناس للباس البياض وخلعهم للملون من يوم مهرجان اهل البلد المسمى عندهم بالعنصرة الكائن في ست بقين من شهر يونيه الشمسي من شهورهم الرومية فيلبسونه الى اول شهر اكتوبر الشمسي منها ثلاثة أشهر متوالية ويلبسون بقية السنة الثياب الملونة ورأى ان يلبسوا في الفصل الذي بين الحر والبرد المسمى عندهم الربيع من صبغهم جباب الخز واللحم والمحرر والدراريع التي لا بطائن لها لقربها من لطف ثياب البياض الظهائر التي ينتقلون اليها لخفتها وشبهها بالحاشي ثياب العامة وكذا رأى ان يلبسوا في آخر الصيف وعند اول الخريف المحاشي المروية والثياب الصمتة وما شاكلها من خفائف الثياب الملونة ذوات الحشو والبطائن الكثيفة وذلك عند قرص البرد في الغدوات الى أن يقوى البرد فينتقلوا الى أثخن منها من الملونات ويستظهرون من تحتها اذا احتاجوا الى صنوف الفراء واستمر بالاندلس ان كل من افتتح الغناء فيبدأ بالنشيد اول شدوه بأي نقر كان وبأي اثره بالبسيط ويختم بالمحركات والاهزاج تبعا لمراسم زرياب وكان اذا تناول الالقاء على تلميذ يعلمه امره بالقعود على الوساد المدور المعروف بالمسورة وان يشد صوته جدا اذا كان قوي الصوت فان كان لينه امره ان يشد على بطنه عمامة فان ذلك مما يقوي الصوت ولا يجد منسما في الجوف عند الخروج على الفم فان كان الصوت الاضراس لا يقدر على ان يفتح فاه وكانت عادته زم اسنانه عند النطق راضه بان يدخل في فيه قطعة خشب عرضها ثلاث اصابع يبيتها في فيه ليالي حتى ينفرج فكاه وكان اذا اراد ان يختبر المطبوع الصوت المراد تعليمه من غير المطبوع امره ان يصيح بأقوى صوته بأحجام او صيح آه ويمد بها صوته فان سمع صوته بها صافيا نديا قويا مؤديا لا يعتريه غنة ولا حبسة ولا ضيق نفس عرف أن سوف ينجب واشار بتعليمه وان وجده خلاف ذلك ابعده وكان له من ذكور الولد ثمانية عبد الرحمن وعبيد الله ويحيى وجعفر ومحمد وقاسم واحمد وحسن ومن الاناث ثنتان علية وحمدونة وكلهم غني ومارس الصناعة واختلفت بهم الطبقة فكان اعلاهم عبيد الله ويتلوه عبد الرحمن لكنه ابتلي من فرط

النيه

اليه وشدة الزهو وكثرة العجب بغنائه والذهاب بنفسه بما لم يكن له شبيه فيه وقلما يسلم مجلس حضوره من كدر يحدثه ولا يزال يجترئ على الملوك ويستخف بالعظماء وقد حمل سخفه على ان حضر يوما مجلس بعض الاكابر العاظم في الناس قد طاب به سروره وكان صاحب قنص تغلب عليه لذته فاستدعى بازيا كان كلفا به كثير التذكر له فجعل يمسح اعطافه ويعدل قوادمه ويرتاح لتشاطه فسأله عبد الرحمن أن يهبه له فاستحيا من رده واعطاه اياه مع ضنه به فدفعه عبد الرحمن الى غلامه ليحمل به الى منزله وأسر اليه فيه بسر لم يطلع عليه فمضى لشأنه ولم يلبث أن جاءه برقعة مغطاة مكرمة بطابع مختوم عليها من فضة فاذا به لون مصوص قد اتخذ من البازي بعد ذبحه على ما حده لاهله وذهب الى الانتقال اليه في شرابه وقال لصاحب المجلس شاركني في نقلي هذا فانه شر يفجع بديع الصنعة فلما رآه الرجل أنكر صفته وعاب فحمه وساله عنه فقال هو البازي الذي كنت تعظم قدره ولا تصبر عنه قد صيرته الى ما ترى فغضب صاحب المنزل حتى رمى بافي أثوابه وفارقه حاسما وقال له قد كان والله أيها الكلب السفيه على ما قدرته وما اقتديت فيه الا بكبار الناس المؤثرين لمثله وما استفتك به الا معظما من قدرك ما صغرت من قدري وأظهرت من هوان السنة عليك باستحلالك لسباع الطير المنهي عنها ولا أدع والله الآن تاديبك اذ أهملك أبوك معلم الناس المروءة ودعاله بالسوط وأمر بنزع قلنسوته وساط هامته مائة سوط فاستحسن جميع الناس فعله به وابدوا الشماتة به وكان محمد منهم مؤنثا وكان قاسمهم أحذقهم غناء مع تجويده وتزوج الوزير هشام بن عبد العزيز بمحدونة وذكر عبادة الشاعر أن أول من دخل الاندلس من المغنين علون وزرقون دخلا في أيام الحكم بن هشام فنفقا عليه وكانا محسنين لكن غناؤهما دهب لغلبة غناء زرياب عليه وقال عبد الرحمن بن الشمر منجم الامير عبد الرحمن ونديمه في زرياب

يا علي بن نافع يا علي * أنت أنت المهذب اللوذعي
أنت في الاصل حين يسئل عنه * هاشمي وفي الهوى عبشمي

قال ابن سعيد وأنشد لزرياب والدي في معجمه

علقتها بحانة * هيفاء عاطرة نضيره
بين السمينة والمزيلة والطويلة والقصيره
لله أيام لنا * سلفت على دير المطيره
لا عيب فيها للنديم غير أن كانت يسيره

انتهى

وكان لزرياب جارية اسمها منفعة أدبها وعلمها أحسن أغانيه حتى شبت وكانت رائعة الجمال وتصرفت بين يدي الامير عبد الرحمن بن الحكم تغنيه مرة وتسقيه أخرى فلما فطنت لاعجابه بها أبدت له دلائل الرغبة فابى الا التستر فغنته بهذه الابيات وهي لما في ظن بعض الحفاظ

يا من يغطي هواه * من ذا يغطي النهارا
قد كنت أملك قلبي * حتى علقت فطارا

فيما سلف من هذا الكتاب عند ذكرنا الارض والاقاليم السبعة وان عدد المدن عند صاحب كتاب الجغرافيا أربعة آلاف مدينة وماتا مدينة فاما قبلة المشرق والمغرب واليمن والجنوبي فقد ذكرنا جملا من ذلك في كتابنا أخبار الزمان (وقد ذكر ذلك) في كتابه أبو حنيفة الدينوري وقد سلب ذلك ابن قتيبة ونقله الى كتبه نقلا وجعله عن نفسه وقد فعل ذلك في كثير من كتب أبي حنيفة الدينوري هذا وكان أبو حنيفة هذا ذا علم كثير وبطليموس في كتاب المجسطي وغيره ممن تقدم ثم لمن طرأ بعد ظهور الاسلام مثل الكندي وابن المنجم وأحمد ابن الطيب وماشاء الله وأبي معشر والخوارزمي ومحمد بن كثير الفرغاني فيما ذكره في كتابه في الاصول الثلاثين وثابت ابن قرة والسديدي ومحمد ابن جابر البناني وغيرهؤلاء ممن قد عني بعلوم الهيئة علوم كثيرة في هذا المعنى وانما ننقل من ذلك الى هذا الكتاب يسيرا مطلبا للاختصار والايجاز

١٥ ط ني *(ذكر أرباع العالم والطبائع وما خص به كل جزء منه من الشرق والغرب واليمن والجنوبي والاهوية

يا ويلتا أتراه * لي كان أو مستعارا
يا أبي قرشي * خلعت فيه العذارا

فلما انكشف لزرياب أمرها أهداها اليه فحظيت عنده وكانت حمدونة بنت زرياب متقدمة في أهل بيتها محسنة لصناعتها متقدمة على اختها علية وهي زوجة الوزير هشام بن عبد العزيز كمار وطال عمر علية بعد أختها حمدونة ولم يبق من أهل بيتها غيرها فافتقر الناس اليها وحملوا عنها وكانت مصابيح جارية الكاتب أبي حفص عمر بن قليهل أخذت عن زرياب الغناء وكانت غاية في الاحسان والنبل وطيب الصوت وفيها يقول ابن عبد ربه صاحب العقد الفريد وكتب به الى مولاها

يا من يضن بصوت الطائر الغرد * ما كنت أحسب هذا الضن من أحد
لو ان أسماع أهل الارض قاطبة * أصغت الى الصوت لم ينقص ولم يزد

من أبيات تخرج حافيا لما وقف على ذلك وأدخله الى مجلسه وتمتع من سماعها رحم الله تعالى الجميع وقال علوية كنت مع المأمون لما قدم الشام فدخلنا دمشق وجعلنا نطوف فيها على أماكن بني أمية فدخلنا قصرا مفروشا بالرخام الاخضر وفيه بركة يدخلها الماء ويخرج منها فيسقي بستانا وفي القصر من الاطيار ما يغني صوته عن العود والمزمار فاستحسن المأمون ما رأى وعزم على الصبوح فدعا بالطعام فاكلنا وشربنا ثم قال لي غن بأطيب صوت وأطربه فلم يمر على خاطري غير هذا الصوت

لو كان حولي بنو أمية لم * ينطق رجال أراهم نطقوا

فنظر الي مغضبا وقال عليك لعنة الله وعلى بني أمية فعلمت أني قد أخطأت فجعلت أعتذر من هفوتي وقلت يا أمير المؤمنين اتلومني أن أذكر موالي بني أمية وهذا زرياب مولاك عندهم بالاندلس يركب في أكثر من مائة مملوك وفي ملكه ثلثمائة ألف دينار دون الضياع وانى عندكم أموت جوعا وفي الحكاية طول واختلاف ومحل الحاجة منها ما يتعلق بزرياب رحم الله تعالى الجميع وذكرها الرقيق في كتاب معاقرة الشراب على غير هذا الوجه ونصه وركب المأمون يوما من دمشق يريد جبل الثلج فمر ببركة عظيمة من برك بني أمية وعلى جانبها أربع سروات وكان الماء يدخل سيحا فاستحسن المأمون الموضع ودعا بالطعام والشراب وذكر بني أمية فوضع منهم وتنقصهم فاخذ علوية العود واندفع يغني

أرى اسرتي في كل يوم وليلة * يروح بهم داعي المنون ويغتدي
أولئك قوم بعد عز وثروة * تفانوا فالا أذرف العين أكمد

فضرب المأمون بكاسه الارض وقال لعلوية يا ابن الفاعلة لم يكن لك وقت تذكر موالي فيه الا هذا الوقت فقال مولاكم زرياب عندموالي بالاندلس يركب في مائة غلام وانا عندكم بهذه الحالة فغضب عليه نحو شهر ثم رضي عنه انتهى ونحوه لابن الرقيق في كتابه قطب السرور وقال في آخر الحكاية وانا عندكم أموت من الجوع ثم قال وزرياب ولي المهدي ووصل الى بني أمية بالاندلس فعلت حاله حتى كان كما قال علوية انتهى ولما غنى زرياب بقوله

الثانية باردة رطبة وهي الماء والطبيعة الثالثة الهواء وهو حار رطب والطبيعة الرابعة الارض وهي باردة يابسة فاثنتان تذهبان الصعداء وهما النار والهواء واثنتان ترسخان سفلا وهما الارض والماء والعالم أربعة أجزاء فالمشرق الربع الاول وجميع ما فيه حار رطب الهواء والدم وهذا الربع ريحه الجنوب وله من الساعات الاولى والثانية والثالثة وله من قوى البدن قوة الطبيعة الهاضمة ومن المذاقات حظه الحلاوة وله من الكواكب القمر والزهرة وله من البروج الحمل والثور والجوزاء وللحكماء في هذا خطب طويل في وصف هذه الارباع هذه جمل منها ما مضى وما يأتي والمغرب هو الربع الثاني وجميع ما فيه بارد رطب الماء واللبن في الشتاء وريحه الدبور وله من الساعات العاشرة والحادية عشرة والثانية عشرة وله من المذاقات المالح وما شابه ذلك وله من القوى القوة الدافعة وله من الكواكب المشتري وعطارد ومن البروج الجدي والدلو والحوت والجزء الثالث اليمن وجميع ما فيه حار يابس النار والمرة الصفراء في الصيف وريحه الصبا

ولولم يشقني الظاعنون لشاقني * حمام تداعت في الديار وقوع
تداعين فاستبكين من كان ذا هوى * نوائح ما تجري لهن دموع

ذيلها عباس بن فرناس يمدح بعض الرؤساء بديهة فقال

شددت بمحمود يداحسن خانها * زمان لاسباب الرجاء قطوع
بني لمساعي الجود والمجد قبلة * اليها جميع الاجودين ركوع

وكان محمود جوادا فقال له يا ابا القاسم أعزما يحضرني من مالي القبة يعني قبة قامت عليه بخمسمائة دينار وهي لك بما فيها مع كسوتي هذه ونكون في ضيافتك بقية يومنا ودعا بكسوة فلبسها ودفع اليه الكسوة *(ومن الوافدين من المشرق الامير شعبان بن كوجيا) من غز الموصل وفد على أمير المؤمنين يعقوب المنصور ملك الموحدين ورفع له أمداحا جليلة وقدمه على امارة مدينة بسطة من الاندلس قال أبو عمران بن سعيد أنشدني لنفسه

يقولون ان العدل في الناس ظاهر * ولم أر شيئا منه سرا ولا جهرا
ولكن رأيت الناس غالب أمرهم * اذا ماجنى زيد أقادوا به عمرا
والافمال النطاسي كلما * شكوت له يمني يدي قصد اليسرى

*(ومن الوافدين من المشرق على الاندلس أبو اليسر ابراهيم بن أحمد الشيباني) من أهل بغداد وسكن القيروان ويعرف بالرياضي وكان له سماع ببغداد من جلة المحدثين والفقهاء والنحويين لقي الجاحظ والمبرد وثعلبا وابن قتيبة ولقي من الشعراء أبا تمام والبحتري ودعبلا وابن الجهم ومن الكتاب سعيد بن حميد وسليمان بن وهب وأحمد بن أبي طاهر وغيرهم وهو الذي أدخل أفريقية رسائل المحدثين وأشعارهم وطرائف أخبارهم وكان عالما أديبا ومرسلا بليغا ضاربا في كل علم وأدب سمع وكتب بيده أكثر كتبه مع براعة خطه وحسن وراقته وحكي انه كتب على كبره كتاب سيبويه كله بقلم واحد ما زال يريه حتى قصر فادخله في قلم آخر وكتب به حتى فني بتمام الكتاب وله تآليف منها لقط المرجان وهو أكبر من عيون الاخبار وكتاب سراج الهدى في القرآن ومشكله واعرابه ومعانيه والمرصعة والمدبجة وجال في البلاد شرقا وغربا من خراسان الى الاندلس وقد ذكر ذلك في أشعاره وكان أديب الاخلاق نزيه النفس كتب لامير افريقية ابراهيم بن أحمد بن الاغلب ثم لابنه أبي العباس عبد الله وكان أيام زيادة الله بن عبد الله آخر ملوك الاغالبة على بيت الحكمة وتوفي بالقيروان سنة ثمان وتسعين ومائتين في أول ولاية عبيد الله الشيعي وهو ابن خمس وسبعين سنة ومن ألم بذكره المؤرخ الاديب أبو اسحق ابراهيم بن القاسم المعروف بالرقيق وقال علي بن سعيد في حقه انه كان أديبا شاعرا مرسلا محسنا التاليف وقدم الاندلس على الامام محمد بن عبد الرحمن وذكر له معه قصة ذكرها ابن الابار في كتابه افادة الوفادة وحكي ان له مسندا في الحديث وكتابا في القرآن سماه سراج المدى والرسالة الوحيدة والمؤنسة وقطب الادب وغير ذلك من الاوضاع قال وكتب لبني الاغلب حتى انصرمت أيامهم ثم كتب لعبيد الله حتى مات ومن الرواة عنه أبو سعيد عثمان ابن سعيد الصيقل مولى زيادة الله بن الاغلب وأسند اليه الحافظ ابن الابار رواية شعر أبي

القوة النفسانية والحيوانية وله من المذاقات المرارة وله من الكواكب المريخ والشمس ومن البروج السرطان والسنبلة والميزان والجزء الرابع هو الجنوبي وجميع ما فيه بارد يابس مثل الارض وله من الساعات السابعة والثامنة والتاسعة وله من قوى البدن القوة الماسكة ومن المذاقات العفص وله من الكواكب زحل وله من البروج الميزان والعقرب والقوس والارض وما وصفناه في الهيئة وتختلف في التاثير على مقادير الخطوط فاذا بعد الخط كان التاثير بخلاف ما هو اذا قرب لموجبات متنافية متغايرة وأفضل المواضع في السكنى ما تطرح الشمس ضوء شعاعها اليه والى الاقليم الرابع ينتهي عند هذه الطائفة شعاعها في صفوه وارتفاع كدره ولا فرق بين شعاع الشمس يهبط مساويا الى هذا الموضع هو العراق (قال المسعودي) والمواضع التي لا تسكن عند هذه الطائفة عدمت السكنى لعلتين احداهما افراط الحر واحراق الشمس وكثرة تواتر شعاعها على ثلث الارض جملتها يابسة واغاضت مياهها لكثرة التفتيف والعلة الاخرى بعد الشمس عن الاقليم وارتفاعها عن حوزانه

الاعتدال ورفع خصيلة التشف فلم تلبث الحرارة في الاجسام ولم تظهر الرطوبة وانماء الحيوان هنالك فصارت تلك البلاد قاعا صفصفا من الحيوان والنبات وهذه البلدان التي تراها مفرطة الحرارة والبرودة هي تناسب ما ذكرنا من هذه الديار البلاقع ولهذه الطائفة كلام كثير في فناء العالم ونقضه وعوده جديدا وذكروا ان السلطان في هذا الوقت السنبلة والمشتري في التدبير وان نهاية العالم في كثرة قطع الكوكب المدبر المسافة التامة بالقوى فاذا استكمل وبلغ المسافة التي ذكروها في الفلك فهنالك يقع الفناد ويكون الدثور بالعالم والكواكب اذا كملت مابها من كرور عاد التدبير الى الاول منها وعادت اشخاص كل عالم وصوره مع اجتماع المواد التي كانت له في حركة تأثير الكوكب الذي كان التدبير اليه هكذا عند هؤلاء كان يجري شأن العالم هكذا (وزعموا) ان سلطان الحمل اثنا عشر الف سنة وسلطان العقرب خمسة آلاف سنة وسلطان الحمل ثلاثة آلاف سنة وسلطان الدلو الخاسة وعند ذلك هو انتقاض العالم ونقض ما فيه ورجوعه

تمام بان قال قرأت شعر حبيب على ابي الربيع بن سالم وقرأت جملة منه على غيره وناولني جميعه وحدثني به عن ابي عبد الله بن زرقون عن الخولاني عن ابي القاسم حاتم بن محمد عن ابي غالب تمام بن غالب بن عمر اللغوي عن ابيه عن ابي تمام عن ابي سعيد المذكور يعني ابن الصيقل عن ابي اليسر عن حبيب وهو اسناد غريب انتهى * (ومنهم ابو اسحق ابراهيم ابن خلف بن منصور الغساني الدمشقي المعروف بالسهوري) وسهور من بلاد مصر روى عن ابي القاسم بن العساكر وابي اليمن الكندي وابي المعالي الفراوي وابي الطاهر الخشوعي وغيرهم قال ابو العباس النباتي قدم علينا يعني اشبيلية سنة ثلاث وستمائة وسمى جماعة من شيوخه وحكى انه كان يروي موطأ ابي مصعب وصحيح مسلم بهلوة وقال سليمان بن حوط الله اجازني وابني محمدا جميع ما رواه عن شيوخه الذين منهم ابو الغنائم فناخسرو بن فيروز الشيرازي وذكر ان روايته بنزول لانه لم يرحل الا بعد وفاة الشيوخ المشاهير بهذا الشان وقال ابو الحسن بن القطان وسماه في شيوخه قدم علينا تونس سنة اثنتين وستمائة واستجزته لابني حسن فاجازه وايانا قال وانصرف من تونس الى المغرب ثم الاندلس وقدم علينا بعد ذلك مراكش مفلتا من الاسر فظهر في حديثه عن نفسه تحازف واضطراب وكذب زهد فيه واثر ذلك انصرف الى المشرق راجعا وقد كان اذ اجازا بني كتب بخطه جملة من اسانيده وسمى كتبا منها الموطأ والصحيحان وغير ذلك قال وقد تبرأت من عهدة جميعه لما اثبت من حاله وحدثني ابو القاسم بن ابي كرامة صاحبنا بتونس ان السهوري هذا لما انصرف الى مصر اتحن بملكها الكامل محمد بن العادل ابي بكر بن ايوب لاجل معاداته ابا الخطاب بن الجميل فضرب بالسياط وطيف به على جمل مبالغة في اهانته انتهى وقال بعض المؤرخين في حقه ما نصه الشيخ المحدث الرحالة ابراهيم السهوري صاحب الرحلة الى البلاد دخل الاندلس كما ذكره ابن الابار وغيره وهو الذي ذكر لمشايخ الاندلس وعلمائها ان الشيخ ابا الخطاب بن دحية يدعي انه قرأ على جماعة من شيوخ الاندلس القدماء فانكروا ذلك وابطلوه وقالوا لم يلق هؤلاء ولا ادركهم وانما اشتغل بالطلب اخيرا وليس نسبه بصحيح فيما يقوله ودحية لم يعقب فكتب السهوري محضرا واخذ خطوطهم فيه بذلك وقدم به ديار مصر فعلم ابو الخطاب بن دحية بذلك فاشتكى الى السلطان منه وقال هذا ياخذ عرضي ويؤذيني فامر السلطان بالقبض عليه فقبض وضرب واشهر على حمار واخرج من ديار مصر واخذ ابن دحية المحضر ومزقه ولم يزل ابن دحية على قرب من السلطان الى حين وفاته وبنى له دار الحديث وهي الكاملية بين القصرين فلم يزل يحدث بها الى ان مات وقد ذكرنا في ترجمة ابن دحية من هذا الكتاب شيأ من احواله وان الناس فيه معتقد ومنتقد وهكذا جرت العادة خصوصا في حق الغريب المنتسب للعلم * وعند الله تجتمع الخصوم * ومن كان عليه لاله ابو المحاسن محمد بن نصر المعروف بابن عنين فانه قال فيه

دحية لم يعقب فلم تعتزى * اليه بالبهتان والافك
ماصح عند الناس شئ سوى * انك من كلب بلا شك

وكذا ذكره ابن النجار واطال في الوقيعة في ابي الخطاب بن دحية وقال الذهبي قرأت

ضبط الضياء عند ماذكر ابن دحية انه قال لقيته باصبهان ولم أسمع منه شيأ وأخبرنى ابراهيم المنهورى باصبهان انه دخل المغرب وان مشايخه كتبوا له جرحه وتضعيفه وقد رأيت أنا منه غير شئ مما يدل على ذلك وبسببه بنى السلطان الملك الكامل دار الحديث بالقاهرة وجعل شيخها وقد سمع منه الامام أبو عمرو بن الصلاح الموطأ سنة نيف وستمائة وأخبره به عن جماعة منهم أبو عبد الله بن زرقون وقال ابن واصل كان أبو الخطاب مع فرط معرفته بالحديث وحفظه الكثير منه متهما بالمجازفة فى النقل وبلغ ذلك الملك الكامل فامره أن يعلق شيأ على كتاب الشهاب فعلق كتابا تكلم فيه على أحاديثه وأسانيده فلما وقف الملك الكامل على ذلك قال له بعد أيام قد ضاع منى ذلك الكتاب فعلق لى مثله ففعل فجاء فى الثانى مناقضة للاول فعلم الملك الكامل صحة ما قيل عنه ونزلت مرتبته عنده وعزله عن دار الحديث أخيرا وولى أخاه أبا عمرو عثمان وقال ابن نقطة كان أبو الخطاب موصوفا بالمعرفة والفضل ولم أره الا أنه كان يدعى أشياء لا حقيقة لها ذكر لى أبو القاسم بن عبد السلام وكان ثقة قال نزل عندنا ابن دحية فقال انى أحفظ صحيح مسلم والترمذى فاخذت خمسة أحاديث من الترمذى ومثلها من المسند ومثلها من الموضوعات فجعلتها فى جزء ثم عرضت عليه حديثا من الترمذى فقال ليس بصحيح وآخر فقال لا أعرفه ولم يعرف منها شيأ فافسد نفسه بذلك وقال سبط ابن الجوزى انه كان يتزيد فى كلامه ويثلب المسلمين ويقع فيهم فترك الناس الرواية عنه وكذبوه وقد كان الملك الكامل مقبلا عليه فلما انكشف له شأنه أخذ منه دار الحديث وأهانه وقال العماد بن كثير قد تكلم الناس فيه بانواع من الكلام ونسبه بعضهم الى وضع حديث فى قصر صلاة المغرب وكنت أود أن أقف على اسناده ليعلم كيف رجاله وقد أجمع العلماء كما ذكره ابن المنذر وغيره على أن صلاة المغرب لا تقصر واتفق انه وصل فى جمادى الاولى سنة ٦١٦ الى غزة فخرج كل من فى غزة بالاسلحة والعصى والحجارة الى الموضع الذى هو فيه وضربوه ضربا شديدا بعد أن انهزم من كان معه انتهى وقدمنا فى ترجمته توثيق جماعة له فربك أعلم بحاله * (ومنهم عبد الله بن محمد بن آدم القارى الخراسانى) دخل من خراسان الى الاندلس يكنى أبا محمد ذكره أبو عمرو المقرى وقال سمعته يقرأ مرات كثيرة فكان من أحسن الناس صوتا ولم يكن له معرفة بالقراءة ولا دراية بالاداء انتهى * (ومنهم عبد الرحمن بن داود بن على الواعظ) من أهل مصر يعرف بالزبزارى يكنى أبا البركات وأبا القاسم ويلقب زكى الدين قدم على الاندلس وتجول فى بلادها واعظا وذكر أو سمع منه الناس بقرطبة واشبيلية ومرسية وبلنسية سنة ٦٠٨ قال ابن الابار وسمعت وعظه اذ ذاك بالمسجد الجامع من بلنسية وادعى الرواية عن أبى الوقت السجزى والسلفى وأبى الفضل عبد الله بن أحمد الطوسى وأبى محمد بن المبارك بن الطباخ وأبى الفضل محمد بن يوسف الغزنوى وشهدت الكاتبة بنت الابرى زعم أنه قرأ عليها صحيح البخارى وجماعة بالمشرق والاندلس لم يلقهم ولم يسمع منهم ورب حدث بواسطة عن بعضهم وأكثرهم مجهولون وقفت على ذلك فى فهرست روايته فزهد أكثر السامعين منه واطرحوا الرواية عنه ومنهم أبو العباس النباتى وأبو عبد الله بن أبى البقاء وجمع أربعين حديثا مسلسلة سماها بالملائكة

من الكواكب الثابتة (وتكلم كلا الفريقين) فى أوج الشمس عند انفصالها الى البروج الجنوبية وما يحدث فى العالم فى كون الشمال جنوبا والجنوب شمالا وتحول العامر غامرا والغامر عامرا على حسب ما ذكرنا فى كتابنا المترجم بكتاب الزلف (وقد ذهب) هؤلاء ممن تقدم من الاوائل أن التى وجد بها سائر الموجودات كالاول والثوانى والثوالث على قدر مراتبها فى العقل والنفس والصورة والهيولى وانها المبادى على حسب ما رتبناه وقدمناه فى كتاب الزلف فاعدادا ما وصفنا فهى الاجسام وأجناسها ستة الجسم السماوى والحيوانى الناطق والحيوانى غير الناطق والنبات والاحجار الجبرية وهى المعدنية والاستقصات الاربعة وهى النار والهواء والماء والارض (وتكلم هؤلاء) فيما يخص كل واحد مما ذكرناه الا يحتمله كتابنا هذا اذ كان فيه خروج عن الغرض المتمم فيه وقد أتينا على بسط ذلك فى كتاب الرؤس السبعة

فى باب السياسة المدنية وعدد أجزائها وملتها الطبيعية وهل ملك تلك المدنية جزء من أجزائها أو من غيرها والى منهاية أجزائها

المفصلة حدث فيها عن ابن بشكوال وابن خالب الشراط وغيرهما من الاندلسيين الذين لم يلقهم ولا أجازوا له أخذها * عنه ابن الطيلسان وغيره وكان مع هذا فقيها على مذهب الشافعي رضي الله تعالى عنه فصيحا مشاركا في فنون من العلم سمع الله تعالى له انتهى * (ولا بأس أن نذكر جملة من النساء القادمات من المشرق على الاندلس ثم نعود ايضا الى ذكر أعلام الرجال فنقول) * (من النساء الداخلات الاندلس من المشرق عابدة المدنية أم ولد حبيب ابن الوليد المرواني المعروف بدحون) وكانت جارية سوداء من رقيق المدينة حالكة اللون غير انها تروى عن مالك بن أنس امام دار الهجرة وغيره من علماء المدينة حتى قال بعض الحفاظ انها تروى عشرة آلاف حديث وقال ابن الابار انها تسند حديثا كثيرا وهي أم ولد بشر بن حبيب والذي وهبها لدحون في رحلته الى الحج هو محمد بن يزيد بن مسلمة بن عبد الملك بن مروان فقدم بها الاندلس وقد أعجب بعلمها وفهمها واتخذها لفراشه رحم الله تعالى الجميع * (ومنهن فضل المدنية) وكانت حاذقة بالغناء كاملة الخصال وأصلها لاحدى بنات هرون الرشيد ونشأت وتعلمت ببغداد ودرجت من هنالك الى المدينة المشرفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام فازدادت ثم طبقتها في الغناء واشتريت هنالك للامير عبد الرحمن صاحب الاندلس مع صاحبتها علم المدنية وصواحب غيرها اليهن تنسب دار المدنيات بالقصر وكان يؤثرهن لجودة غنائهن ونصاعة ظرفهن ورقة أدبهن وتضاف اليهن جارية قلم وهي ثالثة فضل وعلم في الحظوة عند الامير المذكور وكانت أندلسية الاصل رومية من سبي الشكنس وحملت صبية الى المشرق فوقعت بمدينة النبي صلى الله عليه وسلم وتعلمت هنالك الغناء فحذقته وكانت أديبة ذاكرة حسنة الخط راوية للشعر حافظة للاخبار عالمة بضروب الآداب * (ومن النساء الداخلات الى الاندلس من المشرق فرجارية ابراهيم بن حجاج اللخمي صاحب اشبيلية) وكانت من أهل الفصاحة والبيان والمعرفة بصوغ الالحان وجلبت اليه من بغداد وجمعت أدبا وظرفا ورواية وحفظا مع فهم بارع وجمال رائع وكانت تقول الشعر بفضل أدبها ولها في مولاها تمدحه

ما في الغرام بمن كريم يرتجى * الا حليف الجود ابراهيم
اني حللت لديه منزل نعمة * كل المنازل ما عداه ذميم

وأنشد لها السالمي لما ذكرها عدة أشعار منها قولها تتشوق الى بغداد

آها على بغدادها وعراقها * وظبائها والسحر في أحداقها
ومجالها عند الفرات باوجه * تبدو أهلتها على أطواقها
متبخترات في النعيم كانما * خلق الهوى العذري من أخلاقها
نفسي الفداء لها فاي محاسن * في الدهر تشرق من سنى اشراقها

* (ومنهن الجارية الحمقاء) قال الارقي قال لي أبو السائب وكان من أهل الفضل والنسك هل لك في أحسن الناس غناء فقلنا الى دار مسلم بن يحيى مولى بني زهرة فاذن لنا فدخلنا بيتا عرضه اثنا عشر ذراعا في مثلها وطوله في السماء ستة عشر ذراعا وفي البيت غرفتان قد ذهب عنهما اللعمة وبقي السدى وقد حشيتا بالليف وكرسيان قد تفكك كل من قدميهما ثم اطلعت

على الشتاء بارض الهند في الحالة التي يكون الصيف بها عندنا والشتاء يكون الصيف عندهم قد ذكرنا علة ذلك ووجه البرهان عليه وان فلك الشمس في قربها وبعدها وكذلك علة تكون السودان في بعض البقاع من الارض دون بعض وتعطر ألوان الصقالبة وشقرتهم وصهوبة شعورهم وما لحق الترك من استرخاء مفاصلهم وتعوج سيقانهم ولين عظامهم حتى ان أحدهم ليرمي بالنشاب من خلف كرميه من قدام فيصير وجهه قفاه وقفاه وجهه ومطاوعة فقارات الظهور لهم على ذلك وكون الحمرة في وجوههم عند تكامل الحرارة في الوجه على الاغلب من كونها وارتفاعها الغلبة البرد على اجسامهم فقد أتينا بحمد الله على ما ذكرنا فيما سلف من كتبنا في هذه المعاني المقدم ذكرها ولم نتعرض لذكر ما لم يصح عندنا في العالم وجوده حسا ولا خبرا قاطعا للعذر ولا دافعا للرأي ورميا للشك كاخبار العامة في كون الناس وان وجوههم على نصف وجوه الناس وانهم ذوو ألباب وقولهم في عنقاء مغرب وقد زعم كثير من الناس أن الحيوان الناطق ثلاثة

علينا العجفاء كلفاء عليها هروى أصفر غسيل وكأن وركيها في خيط من وسخها فقلت لابي السائب بابي أنت ما هذه فقال اسكت فتناولت عودا فغنت

بيد الذى شغف الفؤاد يكم * تفريج ما ألقى من الهم
فاسبقني أن قد كلفت بكم * ثم افعلي ما شئت عن علم
قد كان صرم في الممات لنا * فعجلت قبل الموت بالصرم

قال فحسنت في عيني وبدا ما أذهب الكلف عنها وزحف أبو السائب وزحفت معه ثم تغنت

يا ريح الخفاء فايمانك تكتم * ولسوف يظهر ما تسر فيعلم
ما تضمن من عزيز قلبه * ياقلب انك بالحسان لمغرم
يا ليت أنك يا حسام بارضنا * تلقى المراسي طائعا وتخيم
فتذوق لذة عيشنا ونعيمه * وتكون اخوانا فماذا تنقم

فقال أبو السائب ان يقم هذا فاعضه الله تعالى بكذا وكذا من أبيه ولا يكني فزحفت مع أبي السائب حتى فارقنا النمرقتين وربت العجفاء في عيني كما يربو السويق بماء مزنة ثم غنت

يا طول ليلي أعالج السقما * أدخل كل الاحبة الحرما
ما كنت أخشى فراقكم أبدا * فاليوم أمسى فراقكم عزما

فالقيت طيلسانه وأخذت شادكونة فوضعتها على رأسي وصحت كما يصاح على اللوبيا بالمدينة وقام أبو السائب فتناول ربعة في البيت فيها قوارير ودهن فوضعها على رأسه وصاح صاحب الجارية وكان الثغ قوانيني يعني قوارير فاصطكت القوارير وتكسرت وسال الدهن على رأس أبي السائب وصدره وقال للعجفاء لقد هجت لي داء قديما ثم وضع الربعة وكنا نختلف اليها حتى بعث عبد الرحمن بن معاوية صاحب الاندلس فابتيعت له العجفاء وحملت اليه * (ومن القادمين على الاندلس من المشرق الشيخ عبد القاهر ابن محمد بن عبد الرحمن الموصلي) قال أبو حيان قدم علينا رسولا من ملك مصر الى ملك الاندلس فسمعت منه بالمرية انتهى * (ومنهم أحمد بن الحسن بن الحرث بن عمرو بن جرير ابن ابراهيم بن مالك المعروف بالاشتر بن الحرث النخعي) يكنى أبا جعفر دخل الاندلس في أيام الامير محمد بن عبد الرحمن وأصله من الكوفة وكان يروى أحاديث عظيمة العدد ذكر ذلك الرازي وحكى أن الامير محمدا روى عنه منها وأنزله بربة * (ومنهم أحمد بن أبي عبد الرحمن واسمه يزيد بن أحمد بن عبد الرحمن القرشي الزهري من ولد عبد الرحمن بن عوف) من أهل مصر وفد على الناصر بقرطبة وكان دخوله اليها في محرم سنة ٣٤٣ فاكرم الناصر مثواه وكان فقيه أهل مصر ذكره ابن حيان * (ومنهم أبو الطاهر اسمعيل بن الاسكندراني) لقي ببلده أبا طاهر السلفي وسمع منه ودرس عليه كتاب الاصطلاح للسمعاني وقدم الاندلس ودخل مرسية تاجرا وكان فقيها على مذهب الشافعي وأنشد على السلفي قوله

أنا من أهل الحديث وهم خير فئه

الاسم على السفلة من الناس والرذال وقد قال الحسن ذهب الناس وبقي النسناس قال الشاعر

ذهب الناس فاستقلوا وصرنا
خلفا في أراذل النسناس

أراد به ما وصفنا أي ذهب الناس وبقي من لا خير فيه (وقد ذهب) كثير من الناس الى ان الجن نوعان اعلاهم وأشدهم الجن وأضعفهم الحمن وأنشد الراجز

* مختلف سحرهم جن وحن *

وهذا التفصيل بين الجنسين من الجن لم يرد به خبر ولا صح به أثر وانما ذلك من توهم الاعراب على ما بينا آنفا وقد غلب على كثير من العوام الاخبار عن معرفة النسناس وصحة وجوده في العالم كالاخبار عن وجود الصين وغيرها من الممالك النائية والامصار القاصية فبعضهم يخبر عن وجودهم في المشرق وبعضهم في المغرب فاهل الشرق يذكرون كونها بالمغرب وأهل المغرب يذكرون أنها بالمشرق وكذلك كل صقع من البلاد يسير سلطانه الى ان النسناس فيما بعد عنهم من البلاد ونأى عن الديار وقد رووا في ذلك خبرا أخرجه من طريق الآحاد ان ذلك في بلاد حضرموت من الشحر وهو مما ذكرناه عن عبد الله بن كثير بن عنبر المصري

عن أبيه يعقوب بن المعرف بن نحيح عن نبيه بن الحرث التيمي قال خدمت التمر فقلت على رأسها فقد قرنا

التماس فظلت صيدا لنا
منها فلما أن رجعت اليه
اذا بنساس منها بين بعض
أعوانه المهرة فقلت لهم
لنساس أنا لله وانا اليه راجعون قتلتم
حلوبتنا فلما حضر الغداء
قال هل اصطدتم منها شيأ
قالوا نعم ولكن خلاه ضيفك
قال استعدوا فاننا راجعون
في قتله فلما خرجنا الى
ذلك السرح خرج منها
واحد يعدو وله وجه كوجه
الانسان وشعرات في ذقنه
ومثل الندى في صدره
ومثل رجلي انسان رجلاه
وقد ألقاه كلبان وهو يقول
الويل لي مما به دهاني
دهر من السوم والاحزان
قفا قليلا ايها الركبان
واسمعا قولي وصدقاني
انكما حين تحاربا في
الفيفاء حضرا ايماني
لولا سباقي ما ملكتماني
حتى عوتا او تفارقاني
لست بحوار ولا جبان
ولا ينكس رعش الجنان
لكن قضاء الملك الرحمن
يذل ذا القوة والسلطان
قال فالتقيا به كلبان فاخذاه
ويزعمون أنهم ذبحوا منها
نيفا وسبعين فقال آخر من شجرة
كان ياكل الساق قال
فقالوا لنساس آخر خذوه
فاخذوه وذبحوه وقالوا لو سكت
هذا لم يعلم بمكانه فقال نساس من شجرة اخرى انا صيد فخذوه فذبحوه وقالوا لو سكت هذا لم يعلم بمكانه وعارق

عشت تسعين دارا * جوان أعيش ثلاثه

عاش كما تمنى رحمه الله تعالى * (ومنهم أبو الحسن علي بن محمد بن اسمعيل بن بشر الاخباري الامام أبو الحسن التميمي) نزيل الاندلس ومقريها ومسندها أخذ القراءة عرضا وسماعا من ابراهيم بن عبد الرزاق ومحمد بن الاخرم وأحمد بن يعقوب المثنى وأحمد بن محمد بن خنيس ومحمد بن حكم بن بيان وصنف قراءة ورش قرأ عليه جماعة منهم أبو الفرج الهيثم الصباغ وابراهيم بن منذر الحزامي وطائفة آخرون من قراء الاندلس وسمع منه عبد الله بن أحمد بن معاذ الدلائي قال أبو الوليد بن الفرضي أدخل الاخباري الاندلس علما جما وكان بصيرا بالعربية والحساب وله حظ من الفقه قرأ الناس عليه وسمعت أنا منه وكان اماما في القراآت لا يتقدمه أحد في معرفتها في وقته وكان مولده بانطاكية سنة ٢٩٩ ومات بقرطبة في ربيع الاول سنة ٣٧٧ رحمه الله تعالى * (ومنهم عمر بن مودود بن عمر الفارسي البجاري يكنى أبا البركات) ولد بسلماس ونشأ بها وكتب الحديث هنالك وتعلم العربية والفقه وهو من أبناء الملوك وانتقل الى المغرب فدخل الاندلس ونزل ما لقة في حدود ثلاثين وستمائة ودخل اشبيلية وكانت له رواية بالمشرق قال ابن الابار أجاز لي ما رواه ولم يسم أحدا من شيوخه وبلغني أنه سمع صحيح البخاري بالدامغان على أبي عبد الله محمد بن محمود وكانت اجازته لي سنة ٦٣٠ وعاش بعد ذلك وتوفي بمراكش بعد الاربعين وستمائة وحدث بالاندلس وأخذ عنه الناس وكان من أهل التصوف والتحقق بعلم الكلام رحمه الله تعالى * (ومنهم الشريف الاجل الرحالة الشيخ نجم الدين بن مهذب الدين) وكنت لا أتحقق من أي البلاد هو من المشرق ثم اني علمت انه من بغداد ذو وقفت على كتابين كتبهما في شان العناية به الاديب العلامة أبو المطرف احمد بن عبد الله بن عميرة المخزومي احدهما لابي العلاء حسان والثاني للكاتب ابي الحسن العنسي وهو الذي يفهم منه انه من بغداد (ونص الاول)

يا ابن الوصي اذا حللت وصيني * اوجبت حقا للمعروف يضاف
وتحيني كل التحايا دونها * وكذاك دون رسولها الاشراف
أحسن بان تلقى ابن حسان بها * مهترة لورودها الاعطاف
كالروض باكره الندى فتعرفها * يا ابن النبي على الندى مطاف
وعلاك أن ابا العلا ومكانه * يلقى به الاسعاد والاسعاف
وأحق من عرف الكرام بوصفهم * من جمعت منهم له اوصاف

هذه يا سيدي تحية تحب لها اجابة وحية وتصلح بها هشاشة وارية وديعة اودعتها بطن هذه الحالة وبضاعة صدر من ابناء الرسالة ولله درة من راضع درة النبوة متواضع مع شرف الابوة نازعته طرف الاشعار وأطراف الاخبار فوجدته بحر احشاء الدر النفيس وروضا يجتنى منه اطايب السمر الجليس وسمعت نجم الدين وهو كنته نجم يضيء سناه ويحل بستان الشرف فريد بناه وقد جاب الفضاء العريض ورأى القصير الحمر والبيض ورد الجون بعد ما شرب من ماء جيحون وزار مشاهد الحرمين ثم سار في أرض المزمين

وفارق افريقية لهذا الافق مختارا وعبر الى الاندلس فاطال بها اعتبارا وتشوق الى حضرة الانوار المفاضة والنعم السابغة الفضفاضة وجعل قصدها بحجة سفره طواف الافاضة وهمه أن يشاهد سناها العلوى ويبصر ما يحف عنده المرقى والمروى وهى غاية يقول الآمل عليها اطلت حومى وجنة يتلو الداخل لها يا ليت قومى وسيدى هو منها باب على الفتح بنى وجناب عنان الامل اليه ثنى وقصده من هذا الشريف أجل قاصد وأظلته سماء المجد بجمال المشترى وظرف عطارد ومتى نعتناه فالخبر ليس كالعيان ومتى شبهناه فالتمويه بالشبه عقوق العقيان ومن يفضح قريحته بان يقول لها صفيه لكن يعرف من نفسه بما ليس فى وسع واصفيه ويقتضى من عزيمته برما لاسعة للترخص فيه ان شاء الله تعالى وهو يديم علاكم ويحرس مجدكم وسناكم بمنه والسلام الكريم الطيب العميم يخصكم به معظم مجدكم المعتد بذخيرة ودكم المحافظ على كريم عهدكم ابن عميرة ورحمة الله تعالى وبركاته فى الرابع والعشرين لربيع الآخر من سنة ٦٣٩ انتهى (ونص الثانى) هل لك ياسيدى أبا الحسن فيمن له كل شاهد حسن فى الشرف المنتقى له قدم أثبتها بالوصى والحسن أيها الاخ الذى ملكته قيادى وأسكنته فؤادى عهدى بك تعتام الآداب النقية وتشتاق اللطائف المشرقية وتنصف فترى أن فى سيلنا جفاء وفى مغربنا جفاء وأن الحاسن نبت أرض ما بها ولدنا وزرع وادليس مما عهدنا وأنا فى هذا أشايعك وأتابعك وأنا فضل من ينازلك وينازعك وقد أتانا الله تعالى بحجة تقطع الحجج وتسكت المهج وهو الشريف الاجل السيد المبارك نجم الدين بن مهذب الدين نجل الذرية المختارة ونجم الدرية السيارة جرى مع زعزع ونسيم ورتع فى جميم وهشيم وشاهد عجائب كل اقليم وشرق الى مطلع ابن جلا وغرب حتى نزل بشاطئ سلا وقد توجه الآن الى حضرة الامامة الرشيدية أيدها الله تعالى لينتهى من أصابع العد الى العقدة ويحصل من محض الحقيقة على الزبدة وقد علم انه ماكل الخطب كخطبة المنبر ولا جميع الايام مثل يوم الحج الاكبر وأدبه ياسيدى من نسبة أفقه بل على شكل حسبه وخلقه فاذا رأيته شهدت بان الشرق قد تحفه ابرقة بغداذه بل رمنا بجملة أفلاذه والحظ فيما يجب من بره وتأنيسه انما هو فى الحقيقة لمجليسه فيا غبطة من يسبق لجواره ويقبس من أنواره وأنت لامحالة تفهمه فهمى وتشيمه من شيمه عارضا برى القلوب الميم يهمى وتضرب فى الاخذ من فوائده وقلائده بسهم وددت أنه سهمى والسلام انتهى * (ومنهم تقى الدين محمد ابن الشيخ شهاب الدين أبى العباس أحمد بن الغرس الحنفى المصرى) قال الوادى آشى فيه انه من أعيان مصر قار وسالته هل يقع بين أهل مصر تنازع فى تفضيل بعض المذاهب على بعض فاجابنى بان هذا لا يقع عندهم بين أهل الرسوخ فى العلم وذوى المعرفة والفهم وانما يصدر هذا بين الناشئين قال وللحنفية الظهور عليهم حين يقولون لهم لنا عليكم اليد الطولى فى الخبز لكونه بمصر يطبخ فى العرن بارواث الدواب وكذلك تسخين الحمام فان المالكية وغيرهم بمصر يقلدون الحنفية فى ذلك قال وسالته حفظه الله تعالى هل للوباء بمصر وقت معلوم فقال لى جرت العادة عندهم بقدر الله تعالى وسره فى خليقته أن كل سنة

أن المهرة تصطادها فى بلادها وتاكلها (قال المسعودى) ووجدت أهل البحر من بلاد حضرموت وساحلها وهى تسعون مدينة على الشاطئ من أرض الاحقاف وهى أرض الرمل وغيرها مما اتصل بهذه الديار من أرض اليمن وغيرها من عمان وأرض المهرة يستظرفون أخبار النسناس اذا ما حدثوها ويتعجبون من وصفه ويتوهمون أنه ببعض بقاع الارض مما قد نأى عنهم وبعد كسماع غيرهم من أهل البلاد بذلك عنهم وهذا يدل على عدم كونه فى العالم وانما ذلك من هوس العامة واختلاطها كما وقع لهم أخبار عنقاء مغرب وهذا يدل على عدم كونه فى العالم ورووا فيه حديثا عزوه الى ابن عباس ونحن لم نحل وجود النسناس والعنقاء وغير ذلك مما اتصل بهذا النوع من الحيوان الغريب النادر فى العالم من طريق العقل فان ذلك غير ممتنع فى القدرة لكن أحلنا ذلك لان الخبر القاطع للعذر لم يرد بصحة وجود ذلك فى العالم

١٦ ط نى وهذا باب هو داخل فى حيز الممكن الجائز خارج عن باب الممتنع والواجب ويحتمل هذه الانواع من الحيوان

أولما ثامنة يكون فيها الوباء والله تعالى أعلم وان هذا متعارف عندهم هكذا قال لى وعيب
ما يقع من بعض النقاد بتونس وما يصدر عنهم بكثرة من القائهم الاسئلة العويصة فى أصول
الدين وغيرها على من يرد عليهم قصد انى تعجيزه وتعنيته ثم قال ان من المنقول عن الامام
ابى حنيفة رحمه الله تعالى ان من حفظت عنه تسعة وتسعون خصلة تقتضى الكفر
وواحدة تقتضى الايمان ان الواحدة المقتضية للايمان تغلب وتبقى حرمتها عليه انتهى
وقد ذكرنا فى الباب الاول من هذا القسم حكاية البصرى المغنى القادم من المشرق
من البصرة على عبد الوهاب الحاجب بافريقية فى دولة بنى المعز بن باديس وسرنا
دخوله عليه فى مجلس أنسه وما اتفق فى ذلك له معه وانه وصف له بلاد الاندلس وحسنها
وطيبها فارتحل المغنى اليها ومات بها حسبما لخصناه من كلام الكاتب ابن الرقيق الاديب
المؤرخ فى كتابه قطب السرور ولولا انه لم يسم المغنى المذكور لجعلناه ترجمة فى هذا الباب
اذ هو به ألصق والامر فى ذلك سهل والله تعالى الموفق للصواب *(ومنهم الولى الصالح
العارف بالله سيدى يوسف الدمشقى رضى الله تعالى عنه) وهو كما قال ابن داود من كبار
الاولياء شاذلى الطريقة قدم من المشرق الى الاندلس وكان يأتى مدينة وادى آش
الكرة بعد الكرة لزيارة معارف له بها وكان من الذين أخفاهم الله لا يتعرف به الا من
تعرف له أعاد الله تعالى علينا من بركاته قال العلامة ابن داود وحدثنى مولاى والدى
رضى الله تعالى عنه من لفظه بتلمسان امنها الله تعالى يوم الاثنين لثنتى عشرة ليلة بقيت من
شهر ربيع الاول الشريف سنة ٨٩٥ قال دخل على سنة شهر رمضان المعظم فى زمان
ولايتى الخطابة والامامة بالمراص من خارج وادى آش أعادها الله تعالى فقعدت أول
ليلة منه منفردا بالمسجد الاعظم من الرباط المذكور بين العشاءين وفكرت فى ذكر أتخذه
فى هذا الشهر المبارك يكون جامعا بين الدنيا والآخرة فاجمعت على مطالعة حاية الذواودى ٢
لعلى اقف على ما أختاره لذلك فلما أصبحت دخلت الى المدينة ولم أكن اطلعت على فكرتى
أحدا فلقينى الحاج الاستاذ أبو عبد الله بن خلف رحمه الله تعالى فى الطريق فقال لى سيدى
يوسف الدمشقى يسلم عليك ويقول لك الذكر الذى تعمر به هذا الشهر الفاضل اللهم
ارزقنى الزهد فى الدنيا ونور قلبى بنور معرفتك قال والدى رضى الله تعالى عنه وكان
هذا سبب تعرفى له ولقائى اياه وكنت قبل ذلك منكرا عليه لكثرة الدعاوى فى هذا
الطريق نفع الله تعالى به انتهى ولنجعل هذه الترجمة آخر هذا الباب تبركا بهذا الولى الصالح
نفعنا الله تعالى ببركاته مع علمى بان الوافدين من المشرق على الاندلس كثيرون جدا الا أن
عدم المادة التى أستعين بها فى هذه البلاد تبين عذرى ولو اجتمعت على كتبى المخلفة
بالمغرب لاتيت فى ذلك وغيره بما يشفى ويكفى *وفى الاشارة ما يغنى عن الكلام*

(الباب السابع)

فى نبذة مما من الله تعالى به على أهل الاندلس من توهد الاذهان وبذلهم فى اكتساب
المعارف والمعالى ما عزوهان وحوزهم فى ميدان البراعة من قصب السباق نخصل
الرهان وجملة من اجوبتهم الدالة على لوذعيتهم وأوصافهم المؤذنة بأهليتهم وغير ذلك

التادر ذكرها كالناس الطبيعة من القدرة الى الفعل ولم تحكمه ولم يتات فيه الطبع كتاتيه فى غيره من الحيوان فبقى شاذا فريدا متوحشا نادرا فى العالم طالبا للبقاع النائية من البر مباينا لسائر أنواع الحيوان من الناطقين وغيرهم للضدية التى فيه لغيره مما قد أحكمته الطبيعة وعدم تشاكله به والمناسبة التى بينه وبين غيره من أجناس الحيوان وأنواعه على حسب ما قدمنا فى باب الغيلان فيما سلف من هذا الكتاب وفى الاكثار من هذا لخروج عن الغرض الذى اليه قصدنا فى هذا الكتاب وقدمنا فيما سلف من هذا الكتاب من الاخبار عمن زعم ان المتوكل أمر حسين بن اسحق أو غيره من أهل عصره وممن عنى بهذا الشان من الحكماء أن يأتى له ويحتال فى حمل الناس والعربد من أرض اليمامة وأن حسينا حمل له شيأ من ذلك وقد أتينا على شرح هذا الخبر فيمن ارسل الى اليمامة فى حمل العربد الى بلاد الشحر وفى حمل الناس فى كتابنا أخبار الزمان والله تعالى أعلم بصحة هذا الخبر وليس لنا فى ذلك الا النقل وأن نعزوه الى راويه وهو المقلد بعلم ذلك من

من أحوالهم التي لها على فضلهم أوضح برهان

اعلم أن فضل أهل الاندلس ظاهر كما أن حسن بلادهم باهر ولذلك ذكر ابن غالب في فرحة الانفس لما أثنى على الاندلس وأهلها أن بطليموس جعل لهم من أجل ولاية الزهرة لبلادهم حسن الهمة في الملبس والمطعم والنظافة والطهارة والحب للهو والغناء وتوليد اللهون ومن اجل ولاية عطارد حسن التدبير والحرص على طلب العلم وحب الحكمة والفلسفة والعدل والانصاف * وذكر ابن غالب أيضا ما خصوا به من تدبير المشترى والمريخ * وانتقد عليه بعضهم بان اقاليم الاندلس الرابع والخامس والسادس في ساحلها الشمالي والسابع في جزائر المجوس وللاقليم الرابع الشمس وللخامس الزهرة وللسادس عطارد وللسابع القمر والمشترى للاقليم الثاني والمريخ للثالث ولا مدخل لهما في الاندلس انتهى * ثم قال صاحب العرحة وأهل الاندلس عرب في الانساب والعزة والانفة وعلو الهمم وفصاحة الالسن وطيب النفوس وإباء الضيم وقلة احتمال الذل والسماحة بما في أيديهم والنزاهة عن الخضوع واتيان الدنية هنديون في افراط عنايتهم بالعلوم وحبهم فيها وضبطهم لها وروايتهم بغداديون في نظافتهم وظرفهم ورقة أخلاقهم ونباهتهم وذكائهم وحسن نظرهم وجودة قرائحهم ولطافة أذهانهم وحدة افكارهم ونفوذ خواطرهم يونانيون في استنباطهم للمياه ومعاناتهم لضروب الغراسات واختيارهم لاجناس الفواكه وتدبيرهم لتركيب الشجر وتحسينهم للبساتين بانواع الخضر وصنوف الزهر فهم أحكم الناس لاسباب الفلاحة ومنهم ابن بصال صاحب كتاب الفلاحة الذي شهدت له التجربة بفضله وهم أصبر الناس على مطاولة التعب في تجويد الاعمال ومقاساة النصب في تحسين الصنائع احذق الناس بالفروسية وأبصرهم بالطعن والضرب وعذرجه الله تعالى من فضائلهم اختراعهم للخطوط المخصوصة بهم قال وكان خطهم اولا مشرقيا انتهى قال ابن سعيد اما اصول الخط المشرقي وما تجدله في القلب واللحظ من القبول فسلم له لكن خط الاندلس الذي رأيته في مصاحف ابن غطوس الذي كان بشرق الاندلس وغيره من الخطوط المنسوبة عندهم لحسن فائق ورونق آخذ بالعقل وترتيب يشهد لصاحبه بكثرة الصبر والتجويد انتهى ونحو صدر كلام ابن غالب السابق مذكور في رسالة لابن حزم وقال فيها ان اهل الاندلس صينيون في اتقان الصنائع العملية واحكام المهن الصورية تركيون في معاناة الحروب ومعالجات آلاتها والنظر في مهماتها انتهى * وعد ابن غالب في فضائلهم اختراعهم للوشحات التي استحسنها أهل المشرق وصاروا ينزعون نزعها وأما نظمهم ونثرهم فلا يخفى على من وقف عليهما علو طبقاتهم * ثم قال ابن غالب ما نفذ قضاء الله تعالى على أهل الاندلس بخروج اكثرهم عنها في هذه الفتنة الاخيرة الكبيرة تفرقوا ببلاد المغرب الاقصى من برالعدوة مع بلاد افريقية فاما اهل البادية فمالوا في البوادي الى ما اعتادوه ودخلوا أهلها وشاركوهم فيها فاستنبطوا المياه وغرسوا الاشجار واحدثوا الارحى الطاحنة بالماء وغير ذلك وعلموهم اشياء لم يكونوا يعلمونها ولا رأوها فشرفت بلادهم وصلحت امورهم وكثرت مستغلاتهم وعمتهم الخيرات فهم أشبه الناس

(واما ماذكره) عن ابن عباس فهو خبر يتصل بخبر خالد بن سنان العبسي وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب خبر خالد بن سنان العبسي وانه ذكر انه كان في الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام وذكرنا خبره مع النار واطفائه لها (فلنذكر الآن خبر العنقاء) على حسب ما رووه فلا بد من اعادة خبر خالد لذكر العنقاء واتساع الخبرين ومخرج هذه الاخبار كلها عن ابن عفير حدث الحسن بن ابراهيم قال حدثنا محمد بن عبد الله المروزي قال حدثنا أسد بن سعيد بن كثير عن ابن عفير عن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق طائرا في الزمان الاول من أحسن الطير وجعل فيه من كل جنس قسطا وخلق وجهه على مثال وجوه الناس وكان في أجنحته كل لون حسن من الريش وخلق له أربعة أجنحة من كل جانب منه وخلق له يدين فيهما مخالب وله منقار على صفة منقار العقاب غليظ الاصل وجعل له أنثى على مثاله

وسماها بالعنقاء وأوحى الله تعالى الى موسى بن عمران اني خلقت طائرا عجيبا خلقته ذكرا وانثى وجعلت رزقه

وأدخل الله موسى وبنى اسرائيل فى التيه فمكثوا فيه أربعين سنة حتى مات موسى وهرون فى التيه وجميع من كان مع موسى من بنى اسرائيل وكانوا ستمائة ألف وخلفهم نسلهم فى التيه ثم أخرجهم الله تعالى من التيه مع يوشع بن نون تلميذ موسى ووصيه فانتقل ذلك الطائر فوقع بنجد والحجاز فى بلاد قيس عيلان ولم يزل هنالك يأكل من الوحوش ويأكل الصبيان وغير ذلك من البهائم الى أن ظهر نبى من بنى عبس بن عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم يقال له خالد بن سنان فشكا اليه الناس ما كانت العنقاء تفعل بالصبيان فدعا الله عليها فقطع نسلها فبقيت صورتها تحكى فى البسط وغير ذلك (وقد ذهب جماعة) من ذوى الدراية الى أن أقوال الناس فى أمثالهم عنقاء مغرب انما هو للامر العجيب النادر وقوعه وقولهم جاء فلان بعنقاء مغرب يريدون أنه جاء بامر عجيب قال شاعرهم

وصبحهم بالجيش عنقاء مغرب

والعنق السرعة قال ابن عباس وكان خالد بن سنان نبى بنى عبس بشر برسول الله صلى الله عليه وسلم فلما حضرته الوفاة قال

باليونانيين فيما ذكرت ولان اليونانيين سكنوا الاندلس فورثوا عنهم ذلك وأما أهل الحواضر فانهم انتقلوا الى الحواضر واستوطنوها فاما أهل الادب فكان منهم الوزراء والكتاب والعمال وجباة الاموال والمستعملون فى أمور المملكة ولا يستعمل بلدى ما وجد أندلسى وأما أهل الصنائع فانهم فاقوا أهل البلاد وقطعوا معاشهم وأجلوا أعمالهم وصيروهم أتباعا لهم ومتصرفين بين أيديهم ومتى دخلوا فى شغل عملوه فى أقرب مدة وأفرغوا فيه من أنواع الحذق والتجويد ما يميلون به النفوس اليهم ويصير الذكر لهم قال ولا يدفع هذا عنهم الا جاهل أو مبطل انتهى * وقال ابن سعيد لما ذكر جملة من محاسن الاندلسيين يعلم الله تعالى أنى ما أقصد الا انصاف المصنفين الذين لا يميل بهم التعصب ولا يجمح بهم الهوى ولكن الحق أحق ان يتبع فلعل مطلعا يقف على ما ذكرته ابن غالب فيقول هذا الرجل تعصب لاهل بلده ثم يغمص التابع له والراضى بنقل قوله فى هذه الصيغة ويحمله على ذلك بعده عن الارضين ولو أبصر واليلى أقروا بحسنها * وقالوا بانى فى الثناء مقصر

ويكفى فى الانصاف أن أقول ان حضرة مراكش هى بغداد المغرب وهى أعظم ما فى بر العدوة وأكثر مصانعها ومبانيها الجليلة وبساتينها انما ظهرت فى مدة بنى عبد المؤمن وكانوا يجلبون لها صناع الاندلس من جزيرتهم وذلك مشهور معلوم الى الآن ومدينة تونس بافريقية قد انتقلت اليها السعادة التى كانت فى مراكش بسلطان افريقية الآن أبى زكريا يحيى ابن أبى محمد بن ابى حفص فصار فيها من المبانى والبساتين والكروم ما شابهت به بلاد الاندلس وعرفاء صناعه من الاندلس وتماثيله التى يبنى عليها وان كان أعرف خلق الله تعالى باختراع محاسن هذا الشان فانما اكثرها من أوضاع الاندلسيين وله من خاطره تنبيهات وزيادة ظهر حسن موقعها ووجوه صنائع دولته لا تجدهم الا من الاندلس فصح قول ابن غالب انتهى * قال الحميدى أنشد بحضرة بعض ملوك الاندلس قطعة لبعض أهل المشرق وهى

وماذا عليهم لو أجابوا فسلموا * وقد علموا أنى المشوق المتيم
سروا ونجوم الليل زهر طوالع * على انهم بالليل للناس انجم
واخفوا على تلك المطا مسيرهم * فنم عليهم فى الظلام التبسم

فأفرط بعض الحاضرين فى استحسانها وقال هذا ما لا يقدر اندلسى على مثله وبالحضرة ابو بكر يحيى بن هذيل فقال بديها

عرفت بعرف الريح أين تمموا * وأين استقل الظاعنون وخيموا
خليلى ردانى الى جانب الحمى * فلست الى غير الحمى أتيمم
ابيت سمير الفرقدين كانما * وسادى قتاد أو ضجيعى أرقم
واحور وسنان الجفون كأنه * قضيب من الريحان لدن منعم
نظرت الى اجفانه والى الهوى * فايقنت انى است منهن اسلم
كما ان ابراهيم اول نظرة * رأى فى الدرارى أنه سوف يسقم انتهى

ومن كلام ابن بسام صاحب الذخيرة فى جزيرة الاندلس اشراف عرب المشرق اقتعوها

وسادات اجناد الشام والعراق نزلوها فبقي النسل فيها بكل اقليم على عرق كريم فلا يكاد بلد منها يخلو من كاتب ماهر وشاعر قاهر وذكر ان اباعلي البغدادي صاحب الامالي الوافد على الاندلس في زمان بني مروان قال لما وصلت القيروان وانا اعتبر من أمر به من اهل الامصار فاجدهم درجات في العبارات وقلة الفهم بحسب تفاوتهم في مواضعهم منها بالقرب والبعد كأن منازلهم من الطريق هي منازلهم من العلم محاصة ومقايسة قال ابوعلي فقلت ان نقص اهل الاندلس عن مقادير من رأيت في افهامهم بقدر نقصان هؤلاء عمن قبلهم فأحتاج الى ترجمان في هذه الاوطان قال ابن بسام فبلغني انه كان يصل كلامه هذا بالتعجب من اهل هذا الافق الاندلسي في ذكائهم ويتغطى عنهم عند المباحثة والمناقشة ويقول لهم أن علمي علم رواية وليس علم دراية فخذوا عني ما نقلت فلم آل لكم أن صحت هذا مع اقرار الجميع له بوفور سعة العلم وكثرة الروايات والاخذ عن الثقات انتهى * ومن كلام الحجاري في المسهب الاندلس عراق المغرب عزة انساب ورقة آداب واشتغالا بفنون العلوم واقتنانا في المنثور والمنظوم لم تضق لهم في ذلك ساحة ولا قصرت عنه راحة فمن فيه بحر الا وفيه نجوم وبدو روشموس وهم اشعر الناس فيما كثره الله تعالى في بلادهم وجعله نصب اعينهم من الاشجار والانهار والطيور والكؤس لا ينازعهم احد في هذا الشان وابن خفاجة سابقهم في هذا المضمار الحائز فيه قصب الرهان واما اذا هب نسيم ودار كاس في كف ظبي رخيم ورجع بم وزير وصفق للماء خرير اورقت العشية وخلعت السحب ابرادها الفضية والذهبية او تبسم عن شعاع ثغر نهر او ترقرق بطل جفن زهر او خفق بارق او وصل طيف طارق او وعد حبيب فزار من الظلماء تحت جناح وبات مع من يهواه كالماء والراح الى أن ودع حين اقبل رائد الصباح او ازهرت دوحة السماء بزهر كواكبها او قوضت عند فيض نهر الصباح بيض مضاربها فاولئك هم السابقون السابقون الذين لا يجارون ولا يلحقون وليسوا بالمقصرين في الوصف اذا تقعقعت السلاح وسالت خلجان الصوارم بين قضبان الرماح وبنت الحرب من العجاج سماء واطلعت شبه النجوم اسنة وأجرت شبه الشفق دماء وبالجملة فانهم في جميع الاوصاف والتخيلات ائمة ومن وقف على اشعارهم في هذا الشان فضلهم فيه على اصناف الامة وقد اعانتهم على الشعر انسابهم العربية وبقاعهم النضرة وهممهم الابية ولشطار الاندلس من النوادر والتشكيتات والتركيبات وانواع المضحكات ما تملأ الدواوين كثرته وتخجل التكلي وتسلي المسلوب قصته مما لو سمعه الجاحظ لم يعظم عنده ما حكي وما ركب ولا استغرب أحد ما أورده ولا تعجب الا أن مؤلفي هذا الافق طمحت هممهم عن التصنيف في هذا الشان فكاد يمر ضياعا فقمت محتسبا بالظرف فتداركته جامعا فيه ما أمسى شعاعا انتهى * وقد رأيت أن اذكر رسالة أبي محمد بن حزم الحافظ التي ذكر فيها بعض فضائل علماء الاندلس لاشتمالها على ما نحن بصدده وذلك انه كتب أبو علي الحسن بن محمد بن أحمد ابن الربيب التميمي القيرواني الى أبي المغيرة عبد الوهاب بن أحمد بن عبد الرحمن بن حزم يذكر تقصير أهل الاندلس في تخليد أخبار علمائهم وما ثر فضائلهم وسير ملوكهم ما صورته

وهو ما حدث به الحسن بن ابراهيم الشعبي القاضي قال حدثنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله المروزي قال حدثنا [illegible]

واحسرتا قبري أياما فاذا
رأيتم حمارا أشهب أبتر
يدور حول الحقف الذي
فيه قبري أياما فاجتمعوا ثم
انبشوا قبري وأخرجوني
الى شفير القبر وأحضروا الى
كاتبا ومعه ما يكتب فيه
حتى أملي عليكم ما يكون
وما يحدث الى يوم القيامة
قال فرصدوا قبره واجتمعوا
عليه لينبشوه كما أمرهم
فحضر ولده وشهر واسيوفهم
وقالوا والله لا تركنا أحدا
ينبشه أتريدون أن نصير
بذلك غدا وتقول لنا العرب
هؤلاء ولد المنبوش فانصرفوا
عنه وتركوه قال ابن
عباس ووردت ابنة له عجوز
قد عمرت على النبي صلى
الله عليه وسلم فتلقاها بخير
وأكرمها وأسلمت وقال
لها مرحبا بابنة نبي ضيعه
أهله قال شاعر بني عبس
بني خالد لو أنكم اذ حضرتم
نبشتم عن الميت المغيب في
القبر
لا بقي عليكم آل عبس
ذخيره
من العلم لا تبلى على سالف
الدهر
(وقد روى) عن ابن عفير
أخبارا كثيرة في هذا المعنى
واشباهه من فنون الاخبار
من أخبار بني اسرائيل وغيرها
(منها) خبر خلق [illegible] في

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لما أراد أن يخلق الخيل أوحى الى الريح الجنوبي اني خالق منك خلقا فاجتمعت فأمر جبريل فاخذ منها ثم قال الله هذه قبضتي قال ثم خلق الله منها فرسا كميتا ثم قال الله خلقتك فرسا وجعلتك عربيا وفضلتك على سائر ما خلقته من البهائم لسعة الرزق والغنائم تغتاد على ظهرك والخير معقود بناصيتك ثم أرسل فصهل فقال بارك فيك بصهيلك أرعب المشركين وأملأ مسامعهم وأزلزل أقدامهم ثم وسمه بغرة وتحجيل فلما خلق الله آدم قال يا آدم أخبرني أي الدابتين أحب اليك الفرس أو البراق قال وصورة البراق على صورة البغل لاذكر ولا أنثى فقال يارب اخترت أحبهما وجها فاختار الفرس فقال الله يا آدم اخترت عزك وعز ولدك باقيا ما بقوا وخلدوا قال ابن عباس فذلك الوسم فيه وفي ولده الى يوم القيامة يعني الغرة والتحجيل ولولا أن المصنف حاطب ليل ذكر كل نوع لما ذكرنا

والمسعودي) رحمه

عباس و كر عيسى بن لهيعة المصري في كتابه المترجم بكتاب الحلائب والجلائب وذكره لكل

كتبت ياسيدي وأجل عددي كتب الله تعالى لك السعادة وأدام لك العز والسيادة سائلا مسترشدا وباحثا مستبرا وذلك اني فكرت في بلادكم اذ كانت قرارة كل فضل ومنهل كل خير ونبل ومصدر كل طرفة وموردكل تحفة وغاية آمال الراغبين ونهاية أماني الطالبين ان بارت تجارة فاليها تجلب وان كسدت بضاعة ففيها تنفق مع كثرة علمائها ووفور ادبائها وجلالة ملوكها ومحبتهم في العلم وأهله يعظمون من عظمه علمه ويرفعون من رفعه أدبه وكذلك سيرتهم في رجال الحرب يقدمون من قدمته شجاعته وعظمت في الحروب نكايته فشجع الجبان واقدم الهيبان ونبه الخامل وعلم الجاهل ونطق العي وشعر البكي واستنسر البغاث وتنبن الحفاث فتنافس الناس في العلوم وكثر الحذاق بجميع الفنون ثم هم مع ذلك في غاية التقصير ونهاية التفريط من أجل ان علماء الامصار دونوا فضائل امصارهم وخلدوا في الكتب مآثر بلدانهم وأخبار الملوك والامراء والكتاب والوزراء والقضاة والعلماء فابقوا لهم ذكرا في الغابرين يتجدد على مر الليالي والايام ولسان صدق في الآخرين يتناكد مع تصرف الاعوام وعلماؤكم مع استظهارهم على العلوم كل امرئ منهم قائم في ظله لا يبرح وراتب على كعبه لا يتزحزح يخاف ان صنف أن يعنف وان ألف أن يخالف ولا يؤالف أو تخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق لم يتعب أحدهم نفسه في جمع فضائل أهل بلده ولم يستعمل خاطره في مفاخر ملوكه ولا بل قلما يعنى بمناقب كتابه ووزرائه ولا سود قرطاسا بمحاسن قضاته وعلمائه على انه لو أطلق ما عقل الاغفال من لسانه وبسط ما قبض الاهمال من بيانه لوجد للقول مساغا ولم تضق عليه المسالك ولم تحرج به المذاهب ولا اشتبهت عليه المصادر والموارد ولكن هم أحدهم ان يطلب شأو من تقدمه من العلماء ليحوز قصبات السبق ويفوز بقدح ابن مقبل ويأخذ بكظم دغفل ويصير شجا في حلق أبي العميثل فاذا أدرك بغيته واخترمته منيته دفن معه أدبه وعلمه فمات ذكره وانقطع خبره ومن قد مناذكره من علماء الامصار احتالوا للبقاء ذكرهم احتيال الاكياس فالفوا دواوين بقي لهم بها ذكر مجدد طول الابد فان قلت انه كان مثل ذلك من علمائنا والفوا كتبا لكنها لم تصل الينا فهذه دعوى لم يصحبها تحقيق لانه ليس بيننا وبينكم غير روحة راكب او رحلة قارب لو نفث من بلدكم مصدور لاسمع من ببلدنا في القبور فضلا عمن في الدور والقصور وتلقوا قوله بالقبول كما تلقوا ديوان احمد بن عبد ربه الذي سماه بالعقد على انه يلصقه فيه بعض اللوم لاسيما اذ لم يجعل فضائل بلده واسطة عقده ومناقب ملوكه يتيمة سلكه أكثر الحز وأخطأ المفصل وأطال الغرز فسيف غير مصقل وقعدنه ما قعد باصحابه من ترك ما يعنيهم واغفال ما يهمهم فارشد أخاك أرشدك الله واهده هداك الله ان كانت عندك في ذلك الجلية وبيدك فصل القضية والسلام عليك ورحمة الله وبركاته

* فكتب الوزير الحافظ أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم عند وقوفه على هذه الرسالة ما نصه الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد عبده ورسوله وعلى أصحابه الاكرمين وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته الفاضلين الطيبين أما بعد يا أخي يا أبا بكر سلام عاطر نفحها

سلام وسادات

سلام أخ مشوق طالت بينه و بينك الاميال والفراسخ وكثرت الايام والليالى ثم لقيك فى حال سفر ونقلة ووادك فى خلال جولة ورحلة فلم يقض من محاورتك أربا ولا بلغ فى مجاورتك مطلبا وانى لما احتلت بك وجالت يدى فى مكنون كتبك ومضمون دواوينك لمحت عينى فى تضاعيفها درجا قد أملته فاذا فيه خطاب لبعض الكتاب من مصاقبنا فى الدار أهل افر بقية ثم ممن ضمته حاضرة قيروانهم الى رجل اندلسى لم يعينه باسمه ولا ذكره بنسبه يذكر له فيها ان علماء بلدنا بالاندلس وان كانوا على الذروة العليا من التمكن بأفانين العلوم وفى الغاية القصوى من التحكم على وجوه المعارف فان هممهم قد قصرت عن تخليد مآثر بلادهم ومكارم ملوكهم ومحاسن فقهائهم ومناقب قضاتهم ومفاخر كتابهم وفضائل علمائهم ثم تعدى ذلك الى أن أخلى أرباب العلوم منا من أن يكون لهم تأليف يحيى ذكرهم ويبقى علمهم بل قطع على أن كل واحد منهم قد مات فدفن علمه معه وحقق ظنه فى ذلك واستدل على صحته عند نفسه بان شيئا من هذه التآليف لو كان منا موجودا لكان اليهم منقولا وعندهم ظاهرا لقرب المزار وكثرة السفار وترددهم اليهم وتكررهم علينا ثم لما ضمنا المجلس الحافل باصناف الآداب والمشهد الآهل بانواع العلوم والقصر المعمور بانواع الفضائل والمنزل المحفوف بكل لطيفة وسيعة من دقيق المعانى وجليل المعالى قرارة المجد ومحل السودد ومحط رحال الحائمين وملتقى عصا التسيار عند الرئيس الاجل الشريف قديمه وحسبه الرفيع حديثه ومكسبه الذى أجله عن كل خطة يشركه فيها من لا توازى قومته نومته ولا ينال حضره هوينا ولا أربى به عن كل مرتبة يلحقه فيها من لا يسمو الى المكارم سموه ولا يدنو من المعالى دنوه ولا يعلو فى جيد الخلال علاوه بل اكتفى من مدحه باسمه المشهور واجتزى من الاطالة فى تقريظه بمنتماه المذكور فحسبى بذينك العلمين دليلا على سعيه المشكور وفضله المشهور أبى عبد الله محمد بن عبد الله بن قاسم صاحب البونت أطال الله بقاءه وأدام اعتلاءه ولا عطل الحامدين من تحليهم بحلاه ولا أخلى الايام من تزينها بعلاه فرأيته أعزه الله تعالى حريصا على أن يجاوب هذا المخاطب وراغبا فى أن يبين له ما العلة قدرا فنسى أو بعد عنه فخفى فتناولت الجواب المذكور بعد أن بلغنى ان ذلك المخاطب قد مات رحمنا الله تعالى واياه فلم يكن لقصده بالجواب معنى وقد صارت المقابر له مغنى فلسنا بمسمعين من فى القبور فصرفت عنان الخطاب اليك اذ من قبلك صرت الى الكتاب المجاوب عنه ومن لدنك وصلت الى الرسالة المعارضة وفى وصول كتابى على هذه الهيئة حيثما وصل كفاية لمن غاب عنه من اخبار تآليف اهل بلدنا مثل ما غاب عن هذا البحث الاول ولله الامر من قبل ومن بعد وان كنت فى اخبارى اياك بما رسمه فى كتابى هذا كمهد الى البركان نار الحباحب وبانى رضوى فى مهيع القصد اللاحب فانك وان كنت المقصود بالمواجهة فانما المراد من أهل تلك الناحية من نأى عنه علم ما استجلبه السائل الماضى وما توفيق الا بالله سبحانه فاما ما أثر بلدنا فقد ألف فى ذلك أحمد بن محمد الرازى التاريخى تباجة منها كتاب ضخم ذكر فيه مسالك الاندلس ومراسيها وأمهات مدنها بأسمائها الستة وخواص كل بلد منها وما فيه مما ليس فى غيره وهو كتاب مريح

أناسا من الازد فرسا يصيدون عليه فسمى زاد الراكب وكذلك ذكر ابن دريد فى كتاب الخيل وغيره (وللناس فى الخيل) أخبار عظيمة كثيرة قد أتينا على ذكرها فى السالف من كتبنا (وقد ذهبت) طائفة الى أن الاخبار التى تقطع العذر وتوجب العلم والعمل هى أخبار الاستفاضة ما رواه الكافة عن الكافة وأن ما عدا ذلك فغير واجب قبوله (وذهب الجمهور) من فقهاء الامصار الى قبول خبر الاستفاضة وهو خبر التواتر وأنه يوجب العلم والعمل وأوجبوا العمل بخبر الواحد وزعموا أنه موجب العمل دون العلم باوصاف ذكروها (ومن الناس) من ذهب الى غير هذه الوجوه فى فنون الاخبار من الضرورة وغيرها وما ذكرنا من حديث النسناس والعنقاء وخلق الخيل فغير داخل فى أخبار التواتر الموجبة للعقل واللاحقة بما أوجب العمل دون العلم ولا بالاخبار المضطرة لسامعها الى قبولها عند ورودها واعتقاد صحيحها عن مخبرها وهذا النوع من الاخبار قد قدمنا فى

وهو المكن الذى ليس بواجب أنه لا حق بالاسرائيليات من الاخبار والاعجاز عن عجائب البحار ولولا ما قدمنا آنفا

الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وهم حملة السنن ونقلة الآثار مما لا يتناكرونه ويعرفونه ولا يدفعونه مع حديث القرد الذي كان في السفينة في عهد بني اسرائيل مع رجل كان يبيع الخمر لاهل السفينة ويشوب الخمر بالماء وأنه جمع من ذلك دراهم كثيرة وان القرد قبض على الكيس الذي كانت فيه الدراهم وصعد على الدور وهو صاري المركب ويدعى بالعراق الدقل فجعل الكيس ولم يزل يرمي درهما الى الماء ودرهما الى السفينة حتى قسم ذلك نصفين ومثل ما روى الشعبي عن فاطمة بنت قيس عن النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك قد رواه عن فاطمة بنت قيس عدة من الصحابة وهو خبر تميم الداري ان النبي صلى الله عليه وسلم اخبر عنه أنه أخبره أنه ركب البحر في جماعة من بني عمه في سفينة فاضل بهم البحر والقاهم الى جزيرة فنظروا الى دابة عظيمة قد نشرت شعرها فقالوا لها أيتها الدابة ما أنت فقالت أنا الجساسة التي أخبرج آخر الزمان وذكروا عنها كلاما غير هذا وأنها قالت عليكم بصاحب الصومعة فنظروا فاذا هم بقصر من حاله ووصفه كذا واذا هم برجل

مليح وأنا أقول لو لم يكن لاندلسنا الا مار رسول الله صلى الله عليه وسلم بشر به ووصف أسلافنا المجاهدين فيه بصفات الملوك على الاسرة في الحديث الذي رويناه من طريق أبي حمزة أنس بن مالك أن خالته أم حرام بنت ملحان زوج أبي الوليد عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه وعنهم أجمعين حدثته عن النبي صلى الله عليه وسلم انه أخبرها بذلك لكني شرفا بذلك بسر عاجله و بغبط آجله فان قال قائل لعله صلوات الله تعالى عليه انما عنى بذلك الحديث أهل صقلية واقريطش وما الدليل على ما ادعيته من انه صلى الله عليه وسلم عنى الاندلس حتما ومثل هذا من التأويل لا يتساهل فيه ذو ورع دون برهان واضح وبيان لائح لا يحتمل التوجيه ولا يقبل التجريح فالجواب وبالله التوفيق انه صلى الله عليه وسلم قد أوتي جوامع الكلم وفصل الخطاب وأمر بالبيان لما أوحي اليه وقد أخبر في ذلك الحديث المتصل سنده بالعدول عن العدول بطائفتين من أمته يركبون ثبج البحر غزاة واحدة بعد واحدة فسألته أم حرام أن يدعو ربه تعالى أن يجعلها منهم. فأخبرها صلى الله عليه وسلم وخبره الحق بانها من الاولين وهذا من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم وهو اخبار بالشيء قبل كونه وصح البرهان على رسالته بذلك وكانت من الغزاة الى قبرس وخرت عن بغلتها هناك فتوفيت رحمها الله تعالى وهي أول غزاة ركب فيها المسلمون البحر فثبت يقينا ان الغزاة الى قبرس هم الاولون الذين بشرهم النبي صلى الله عليه وسلم وكانت ام حرام منهم كما أخبر صلوات الله تعالى وسلامه عليه ولا سبيل ان يظن به وقد اوتي ما أوتي من البلاغة والبيان أنه يذكر طائفتين قد سمى احداهما اولى الاولى والتالية لها ثانية فهذا من باب الاضافة وتركيب العدد وهذا مقتضى طبيعة صناعة المنطق اذ لا تكون الاولى اولى الا لثانية ولا الثانية ثانية الا الاولى فلا سبيل الى ذكر ثالث الا بعد ثان ضرورة وهو صلى الله عليه وسلم انما ذكر طائفتين و بشر بفئتين وسمى احداهما الاولين فاقتضى ذلك بالقضاء الصدق آخرين والآخر من الاول هو الثاني الذي أخبر صلى الله عليه وسلم انه خير القرون بعد قرنه واولى القرون بكل فضل بشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم بانه خير من كل قرن بعده ثم ركب البحر بعد ذلك ايام سليمان بن عبد الملك الى القسطنطينية وكان الامير بها في تلك السفن هبيرة الفزاري واما صقلية فانها افتحت صدر ايام الاغالبة سنة ٢١٢ ايام قاد اليها السفن غازيا أسد بن الفرات الغازي صاحب أبي يوسف رحمه الله تعالى و بهامات وأما اقريطش فانها افتحت بعد الثلاث والمائتين افتتحها أبو حفص عمر بن شعيب المعروف بابن الغليظ من أهل قرية بطروج من عمل حفص البلوط المجاور لقرطبة من بلاد الاندلس وكان من قل الربضيين وتداولها بنوه بعده الى ان كان آخرهم عبد العزيز بن شعيب الذي غنمها في أيام أرمانوس بن قسطنطين ملك الروم سنة ٣٥٠ وكان أكثر المفتتحين لها أهل الاندلس وأما في قسم الاقاليم فان قرطبة مسقط رؤسنا ومعلق تمائمنا مع سر من رأى في اقليم واحد فلما من الفهم والذكاء ما اقتضاه اقليمنا وان كانت الانوار لا تأتينا الا مغربة عن مطالعها على الجزء المعمور وذلك عند المحسنين للاحكام التي تدل عليها الكواكب ناقص من قوى دلائلها فلها من ذلك على كل حال حظ يفوق حظ أكثر البلاد بارتفاع أحد النيرين بها

تسعين درجة وذلك من أدلة التمكن في العلوم والنفاذ فيها عند من ذكرنا وقد صدق ذلك الخبر وأبانته التجربة فكان أهلها من التمكن في علوم القرآن والروايات وحفظ كثير من الفقه والبصر بالنحو والشعر واللغة والخبر والطب والحساب والنجوم بمكان رحب الفناء واسع العطن متفاوت الاقطار فسيح المجال والذي نعاه علينا الكاتب المذكور لو كان كما ذكر لكان فيه شركاء لا كثر أمهات الحواضر وجلائل البلاد ومتسعات الاعمال فهذه القيروان بلد المخاطب لنا ما أذكر أني رأيت في أخبارها تأليفا غير المعرب عن أخبار المغرب وحاشى تأليف محمد بن يوسف الوراق فانه ألف للمستنصر رحمه الله تعالى في مسالك افريقية وممالكها ديوانا ضخما وفي أخبار ملوكها وحروبهم والقائمين عليهم كتابا جة وكذلك ألف أيضا في اخبار تيهرت ووهران وتونس وسجلماسة وتكرور البصرة وغيرها تأليفا حسانا ومحمد هذا أندلسي الاصل والفرع آباؤه من وادي الحجارة ومدفنه بقرطبة وهجرته اليها وان كانت نشأته بالقيروان ولا بد من اقامة الدليل على ما أشرت اليه هنا اذ مرادنا ان نأتي منه بالمطلوب فيما يستأنف ان شاء الله تعالى وذلك ان جميع المؤرخين من أئمتنا السالفين والباقين دون محاشاة أحد بل قد تيقنا اجماعهم على ذلك متفقون على ان ينسبوا الرجل الى مكان هجرته التي استقر بها ولم يرحل عنها رحيل ترك اسكانها الى ان مات فان ذكروا الكوفيين من الصحابة رضي الله تعالى عنهم صدروا بعلي وابن مسعود وحذيفة رضي الله تعالى عنهم وان كان سكن على الكوفة خمسة اعوام واشهرا وقد بقي ٥٨ عاما واشهرا بمكة والمدينة شرفها الله تعالى وكذلك ايضا اكثر اعمار من ذكرنا وان ذكروا البصريين بدؤا بعمران ابن حصين وانس بن مالك وهشام بن عامر وابي بكرة وهؤلاء موالد هم وعامة زمن اكثرهم واكثر مقامهم بالحجاز ونهامة والطائف وجمهرة اعمارهم خلت هنالك وان ذكروا الشاميين نوهوا بعبادة بن الصامت وابي الدرداء وابي عبيدة بن الجراح ومعاذ ومعاوية والامر في هؤلاء كالامر فيمن قبلهم وكذلك في المصريين عمرو بن العاص وخارجة بن حذافة العدوي وفي المكيين عبد الله بن عباس وعبد الله بن الزبير والحكم في هؤلاء كالحكم فيمن قصصنا فيمن هاجر الينا من سائر البلاد فنحن أحق به وهو منا بحكم جميع أولي الامر منا الذين اجماعهم فرض اتباعه وخلافه محرم اقترافه ومن هاجر منا الى غيرنا فلاحظ لنا فيه والمكان الذي اختاره أسعد به فكما لا ندع اسمعيل بن القاسم فكذلك لا ننازع في محمد بن هانئ سوانا والعدل أولى ما حرص عليه والنصف أفضل ما دعي اليه بعد التفصيل الذي ليس هذا موضعه وعلى ما ذكرنا من الانصاف تراضى الكل وهذه بغداد حاضرة الدنيا ومعدن كل فضيلة والمحلة التي سبق اهلها الى حمل ألوية المعارف والتدقيق في تصريف العلوم ورقة الاخلاق والنباهة والذكاء وحدة الافكار ونفاذ الخواطر وهذه البصرة وهي عين المعمور في كل ما ذكرنا وما أعلم في أخبار بغداد تأليفا غير كتاب أحمد بن أبي طاهر وأما سائر التواريخ التي ألفها أهلها فلم يخصوا بلدتهم بها دون سائر البلاد ولا أعلم في أخبار البصرة غير كتاب عمر بن شبة وكتاب لرجل من ولد الربيع بن زياد المنسوب الى أبي سفيان في خطط البصرة وقطائعها وكتابين لرجلين من أهلها يسمى أحدهما عبد القاهر كريري النسب وصفاها

وساعلم وأنه الدجال وأنه أخبرهم بجمل الملاحم وأنه لا يدخل مدينة النبي صلى الله عليه وسلم وغير ذلك مما ذكر في هذا الحديث وغيره مما ورد من الاخبار في معناه وهذا باب كبير يتسع وصفه ويعظم شرحه (ثم رجع بنا القول) الى ما كنا فيه آنفا من ذكر أرباع العالم والطبائع وما اتصل بهذا المعنى وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب جوامع من الكلام في الطبائع وغيرها مما ينبه على عظم هذا الكتاب ومبسوطه وقد زعم جماعة ممن تقدم وتأخر من الاطباء ومصنفي الكتب في الطبيعيات وغيرها أن للطعام ثلاث انهضامات أما الاول فهي المعدة تنهضم الطعام فتأخذ قوته فيصير مثل ماء الكشك ثم تدفعه الى الكبد في العروق الى جميع الجسد كاندفاع الماء من النهر الى السواقي والمشارب فتهضمه باعضاء الجسد البالسة فتصيره الى شبهها اللحم لحما والشحم شحما وكذلك العروق والعصب وما سوى ذلك وان أفتارها اذا استوت استوت أقدار القوى واذا استوت القوى استوى الجسد واعتدل

١٧ ط في ويصح باذن الله تعالى وان الزمان أربعة فصول الصيف والخريف والشتاء والربيع فالصيف تستوي

وذكرا أسواقها ومحالها وشوارعها ولا أعلم في أخبار الكوفة غير كتاب عمر بن شبة وأما الجبال وخراسان وطبرستان وجرجان وكرمان وسجستان والسند والري وارمينية واذربيجان وتلك الممالك الكثيرة الضخمة فلا أعلم في شيء منها تاليفا قصد به أخبار ملوك تلك النواحي وعلمائها وشعرائها وأطبائها ولقد تاقت النفوس الى أن يتصل بها تاليف في أخبار فقهاء بغداد وما علمناه علم على أنهم العلية الرؤساء والاكابر العظماء ولو كان في شيء من ذلك تاليف لكان المحكم في الاغلب أن يبلغنا كما بلغ سائرتا ليفهم وكما بلغنا كتاب حمزة بن الحسن الاصبهاني في أخبار أصبهان وكتاب الموصلي وغيره في أخبار مصر وكما بلغنا سائر تا ليفهم في أنحاء العلوم وقد بلغنا تاليف القاضي أبي العباس محمد بن عبدون القيرواني في الشروط واعتراضه على الشافعي رحمه الله تعالى وكذلك بلغنا رد القاضي احمد بن طالب التميمي على أبي حنيفة وتشنيعه على الشافعي وكتب ابن عبدوس ومحمد بن سحنون وغير ذلك من خوامل تا ليفهم دون مشهورها وأما جهتنا فالحكم في ذلك ما جرى به المثل السائر أزهد الناس في عالم اهله وقرأت في الانجيل ان عيسى عليه السلام قال لا يقدر النبي حرمته الا في بلده وقد تيقنا ذلك بما لقي النبي صلى الله عليه وسلم من قريش وهم أوفر الناس احلاما واصحهم عقولا واشدهم تبتما مع ما خصوا به من سكناهم افضل البقاع وتغذيتهم بأكرم المياه حتى خص الله تعالى الاوس والخزرج بالفضيلة التي ابانهم بها عن جميع الناس والله يؤتي فضله من يشاء ولا سيما اذ دلسنا فانها خصت من حسد اهلها للعالم الظاهر فيهم الماهر منهم واستقلالهم كثيرا ما يأتي به واستهجانهم حسناته وتتبعهم سقطاته وعثراته واكثر ذلك مدة حياته باضعاف ما في سائر البلدان اجاد قالوا سارق مغير ومنتحل مدع وان توسط قالوا غث بارد وضعيف ساقط وان باكر الحيازة لقصب السبق قالوا متى كان هذا ومتى تعلم وفي اي زمان قرأ ولامه الهبل وبعد ذلك ان وجبت به الاقدار احد طريقين اما مثقف فدائما يعلبه على نظرائه او سلو كافي غير السبيل التي عهدوها فهنالك حمي الوطيس على البائس وصار غرضا للاقوال وهدفا للطالب ونصبا للتسبب اليه ونهبا للالسنة وعرضة للتطرق الى عرضه وربما نحل ما لم يقل وطوق ما لم يتقلد والحق به ما لم يفه به ولا اعتقده قلبه وبالجراء وهو السابق المبرز ان لم يتعلق من السلطان بحظ أن لا يسلم من المتالف وينجو من المخالف فان تعرض لتاليف غمز ولمز وتعرض وهمز واشتط عليه وعظم يسير خطبه واستشنع هين سقطه وذهبت محاسنه وسترت فضائله وهتف ونودي بما أغفل فتنكسر لذلك همته وتبكل نفسه وتبرد حميته وهذا عندنا يصيب من ابتدأ يحوك شعرا أو يعمل عملا رياسة فانه لا يفلت من هذه الحبائل ولا يتخلص من هذه النصب الا التاهض الفائت والمطفف المستولي على الامد وعلى ذلك فقد جمع ما ظنه الظان غير مجموع وألفت عندنا تاليف في غاية الحسن لنا خطر السبق في بعضها فمنها كتاب الهداية لعيسى بن دينار وهي أرفع كتب جمعت في معناها على مذهب مالك وابن القاسم وأجمعها للمعاني الفقهية على المذهب فمنها كتاب الصلاة وكتاب البيوع وكتاب الجدار في الاقضية وكتاب النكاح والطلاق ومن الكتب المالكية التي ألفت بالاندلس كتاب القصي لمالك بن علي

المرة الصفرا ومن يكثر ثم ينقسم عمر الانسان أربعة أقسام الصبا وفيه تقوى الصفراء والقوة وفيه يقوى الدم والكهولة وفيه تقوى السوداء والشيخوخة وفيه يقوى البلغم وأن البلدان أيضا تنقسم على أربعة أقسام المشرق وطبيعته الحرارة والرطوبة وفيه يقوى الدم والجنوب وطبيعته البرد والرطوبة وفيه تقوى المرة الصفراء وأن بنية الاصول من الجسد وربما كانت مستوية معتدلة الاخلاط وربما كان أحد الاخلاط أغلب في البنية فتظهر قوته باعلامه حتى يكون مقوما لذلك الخلط اذا هاج (وقد قال أبقراط) ينبغي ان يكون كل شيء في هذا العالم مقدرا على سبعة أجزاء فالنجوم سبعة والاقاليم سبعة وأسنان الناس سبعة أولها يطفل ثم صبي الى أربع عشرة سنة ثم غلام الى احدى وعشرين سنة ثم شاب ما دام ينشب ويقبل الزيادة الى خمس وثلاثين سنة ثم كهل الى الاربعين ثم شيخ الى سبع وأربعين سنة ثم هرم الى آخر العمر وجميع تغير أحوال الحيوان من الناطقين وغيرهم من الهواء يكون ذلك وقد قال الحكيم أبقراط ان تغير حالات الهواء هو

وهو

وغير ذلك واذا استوت حالات الهواء استوت حالات الناس وأخلاقهم وقال ان قوى النفس تابعة لمزاجات الابدان ومزاجات الابدان تابعة لتصرف الهواء اذا برد مرة وسكن أخرى خرج الزرع نضيجا ومرة غير نضيج ومرة قليلا ومرة كثيرا ومرة حارا ومرة باردا فتتغير لذلك صورهم ومزاجاتهم واذا اعتدل الهواء واستوى خرج الزرع معتدلا فاعتدل بذلك الصور والمزاجات (فاما علة) تشابه صور الترك فانه لما استوى هواء بلدانهم فى البرد استوت صورهم وتشابهوا وكذلك أهل مصر لما استوت أهواؤهم تشابهت صورهم ولما كان الغالب على هواء الترك البرد وعزت الحرارة عن تنشيف رطوبات أبدانهم كثرت شحومهم ولانت أبدانهم وتشبهوا بالنساء فى كثير من أخلاقهم فضعفت شهوة الجماع فيهم وقل ولدهم لبرد مزاجهم والرطوبة الغالبة عليهم وقد يكون ضعف الشهوة ايضا لكثرة ركوب الخيل وكذلك نساؤهم لما سمنت أبدانهن ورطبت ضعفت أرحامهن عن جذب الزرع اليها (وأما حمرة ألوانهم) فلبرد كما ذكرنا لان البياض اذا لحقت عليه البرودة صار الى الحمرة وبيان ذلك أن

وهو رجل قرشى من بنى فهر لقى أصحاب مالك وأصحاب أصحابه وهو كتاب حسن فيه غرائب ومستحسنات من الرسائل المولدات ومنها كتاب أبى اسحق ابراهيم بن مزين فى تفسير الموطا والكتب المستقصية لمعانى الموطا وتوصيل مقطوعاته من تأليف ابن مزين أيضا وكتابه فى رجال الموطا ومالك عن كل واحد منهم من الآثار فى موطئه وفى تفسير القرآن كتاب أبى عبد الرحمن بقى بن مخلد وهو الكتاب الذى أقطع قطعا لا أستثنى فيه انه لم يؤلف فى الاسلام تفسير مثله ولا تفسير محمد بن جرير الطبرى ولا غيره ومنها فى الحديث مصنفه الكبير الذى رتبه على أسماء الصحابة رضى الله تعالى عنهم فروى فيه عن ألف وثلثمائة صاحب ونيف ثم رتب حديث كل صاحب على أسماء الفقه وأبواب الاحكام فهو مصنف ومسند وما أعلم هذه الرتبة لاحد قبله مع ثقته وضبطه واتقانه واحتفاله فى الحديث وجودة شيوخه فانه روى عن مائتى رجل و ٨٤ رجلا ليس فيهم عشرة ضعفاء وسائرهم أعلام مشاهير ومنها مصنفه فى فضل الصحابة والتابعين ومن دونهم الذى أربى فيه على مصنف أبى بكر بن أبى شيبة ومصنف عبد الرزاق بن همام ومصنف سعيد بن منصور وغيرها وانتظم علما عظيما لم يقع فى شئ من هذه فصارت تأليف هذا الامام الفاضل قواعد الاسلام لا نظير لها وكان متخير الا يقلد أحدا وكان ذا خاصة من أحمد بن حنبل رضى الله تعالى عنه ومنها فى أحكام القرآن كتاب ابن أمسة الجيارى وكان شافعى المذهب بصيرا بالكلام على اختياره وكتاب القاضى أبى الحكم منذر بن سعيد وكان داودى المذهب قويا على الانتصار له وكلاهما فى أحكام القرآن غاية ولمنذر مصنفات منها كتاب الابانة عن حقائق أصول الديانة ومنها فى الحديث مصنف أبى محمد قاسم بن اصبغ بن يوسف بن ناصح ومصنف محمد بن عبد الملك بن أيمن وهما مصنفان رفيعان احتويا من صحيح الحديث وغريبه على ما ليس فى كثير من المصنفات ولقاسم بن اصبغ هذا تأليف حسان جدا منها أحكام القرآن على ابواب كتاب اسمعيل وكلامه ومنها كتاب المجتبى على ابواب كتاب ابن الجارود المنتقى وهو خير منه وانقى حديثا وأعلى سندا وأكثر فائدة ومنها كتاب فى فضائل قريش وكنانة وكتابه فى الناسخ والمنسوخ وكتاب غرائب حديث مالك بن أنس مما ليس فى الموطا ومنها كتاب التمهيد لصاحبنا أبى عمر يوسف بن عبد البر وهو الآن يعد فى الحياة لم يبلغ سن الشيخوخة وهو كتاب لا أعلم فى الكلام على فقه الحديث مثله أصلا فكيف أحسن منه ومنها كتاب الاستذكار وهو اختصار التمهيد المذكور ولصاحبنا أبى عمر بن عبد البر المذكور كتب لا مثل لها منها كتابه المسمى بالكافى فى الفقه على مذهب مالك وأصحابه خمسة عشر كتابا اقتصر فيه على ما بالمفتى الحاجة اليه ويتوبه وقربه فصار مغنيا عن التصنيفات الطوال فى معناه ومنها كتابه فى الصحابة ليس لاحد من المتقدمين مثله على كثرة ما صنفوا فى ذلك ومنها كتاب الاكتفاء فى قراءة نافع وأبى عمرو بن العلاء والحجة لكل واحد منهما ومنها كتاب بهجة المجالس وأنس المجالس مما يجرى فى المذاكرات من غرر الابيات ونوادر الحكايات ومنها كتاب جامع بيان العلم وفضله وما ينبغى فى روايته ومنها كتاب شيخنا القاضى أبى الوليد عبد الله بن محمد بن

يوسف بن الفرضي في المختلف والمؤتلف في أسماء الرجال ولم يبلغ عبد الغني الحافظ البصري في ذلك الا كتابين وبلغ أبو الوليد رحمه الله تعالى نحو ثلاثين لا أعلم مثله في فنه البتة ومنها تاريخ أحمد بن سعيد ما وضع في الرجال أحد مثله الا ما بلغنا من تاريخ محمد بن موسى العقيلي البغدادي ولم أره وأحمد بن سعيد هو المتقدم في التاليف القائم في ذلك ومنها كتب محمد بن يحيى بن مفرج القاضي وهي كثيرة منها أسفار سبعة جمع فيها فقه الحسن البصري وكتب كثيرة جمع فيها فقه الزهري ومما يتعلق بذلك شرح الحديث لعامر بن خلف السرقسطي فاشاه أبو عبيد الا بتقدم العصر فقط ومنها في الفقه الواضحة والمالكيون لا تمانع بينهم في فضلها واستحسانهم اياها ومنها المستخرجة من الاسمعة وهي المعروفة بالعتبية ولها عند أهل افريقية القدر العالي والطيران الحديث والكتاب الذي جمعه أبو عمر أحمد بن عبد الملك بن هشام الاشبيلي المعروف بابن الكوى والقرشي أبو مروان المعيطي في جمع أقاويل مالك كلها على نحو الكتاب الباهر الذي جمع فيه القاضي أبو بكر محمد بن أحمد بن الحداد البصري أقاويل الشافعي كلها ومنها كتاب المنتخب الذي ألفه القاضي محمد بن يحيى بن عمر بن لبابة وما رأيت لمالكي قط كتابا أنبل منه في جمع روايات المذهب وشرح مستغلقها وتفريع وجوهها وتأليف قاسم بن محمد المعروف بصاحب الوثائق وكلها حسن في معناه وكان شافعي المذهب نظار اجاريا في ميدان البغداديين ومنها في اللغة الكتاب البارع الذي ألفه اسمعيل بن القاسم يحتوي على لغة وكتابه في المقصور والممدود والمهموز لم يؤلف مثله في بابه وكتاب الافعال لمحمد بن عامر العزي المعروف بابن القوطية زيادات ابن طريف مولى العبيديين فلم يوضع في فنه مثله وكتاب جمعه أبو غالب تمام بن غالب المعروف بابن التياني في اللغة لم يؤلف مثله اختصارا وا كثارا وثقة نقل وهو أظن في الحياة بعد وههنا قصة لا ينبغي أن تخلو رسالتنا عنها وهي ان أبا الوليد عبد الله ابن محمد بن عبد الله المعروف بابن الفرضي حدثني أن أبا الجيش مجاهدا صاحب الجزائر ودانية وجه الى أبي غالب أيام غلبته على مرسية وأبو غالب ساكن بها الف دينار اندلسية على ان يزيد في ترجمة الكتاب المذكور مما القمه تمام بن غالب لابي الجيش مجاهد فرد الدنانير وابى من ذلك ولم يفتح في هذا بابا البتة وقال والله لو بذل لي الدنيا على ذلك ما فعلت ولا استجزت الكذب لاني لم أجمعه له خاصة بل لكل طالب فانظر لهمة هذا الرئيس وعلوها وانظر لنفس هذا العالم ونزاهتها ومنها كتاب أحمد بن ابان بن سيد في اللغة المعروف بكتاب العالم نحو مائة سفر على الاجناس في غاية الايعاب بدأ بالفلك وختم بالذرة وكتاب النوادر لابي علي اسمعيل بن القاسم وهو مبارك الكتاب الكامل لابي العباس المبرد لعمري لئن كان كتاب أبي العباس أكثر نحوا وخبرا فان كتاب أبي علي لاكثر لغة وشعرا وكتاب الفصوص لصاعد بن الحسن الربعي وهو جار في مضمار الكتابين المذكورين ومن الانحاء تفسير الحوفي لكتاب الكسائي حسن في معناه وكتاب ابن سيده في ذلك المنبوز بالعالم والمتعلم وشرح له لكتاب الاخفش ومما ألف في الشعر كتاب عبادة بن ماء السماء في أخبار شعراء الاندلس كتاب حسن وكتاب الحدائق لابي عمر

من الجنوب بلدة كثيرة الامطار كثيرة النبات والعشب وأن أشجارها ذاهبة في الهواء ومياهها عذبة ودوابها عظيمة وهي مخصبة لان تلك البلاد لم يلحقها حر الشمس ولم يلحقها يبس البرد فاجسام أهلها عظيمة وصورهم جميلة وأخلاقهم كريمة فهم في صورهم وقاماتهم واعتدال طبائعهم يشبهون باعتدال زمان الربيع غير أنهم أصحاب دعة لا يحتملون التداثر والكدو قال أبقراط في معنى ما وصفنا واليه قصدنا من بيان الاهوية وتاثيرها في الحيوان والنبات ان الروح المطبوعة فيها هي التي تجذب الهواء الينا وان الرياح تقلب الحيوان من حال الى حال ومن حر الى برد ومن يبس الى رطوبة ومن سرور الى حزن وكما تغيرها في البيوت من بدن أو عسل أو فضة أو شراب أو سمن فتسخنها مرة وتبردها أخرى وعلة ذلك أن الشمس والكواكب تغير الهواء بحركاتها واذا تغير الهواء تغير بتغيره كل شئ فمن تقدم وعرف أحوال الازمنة وتغيرها والدلائل التي فيها عرف السبب الاعظم من أسباب العالم وتقدم في صحة الابدان (وقال أيضا) ان الجنوب اذا هبت اذابت الهواء وبردته وسخنت البحار

أحمد بن فرج عارض به كتاب الزهرة لابى محمد بن داود رحمه الله تعالى الا ان أبا بكر اغا أدخل مائة باب فى كل باب مائة بيت وأبو عمر أورد مائتى باب فى كل باب مائة بيت ليس منها باب تكرر اسمه لابى بكر ولم يورد فيه لغير أندلسى شيأ وأحسن الاختيار ما شاء وأجاد فبلغ الغاية واتى الكتاب فردا فى معناه ومنها كتاب التشبيهات من أشعار أهل الاندلس جمعه أبو الحسن على بن محمد بن أبى الحسن الكاتب وهو حى بعد ومما يتعلق بذلك شرح أبى القاسم ابراهيم بن محمد الافليلى لشعر المتنبى وهو حسن جدا ومن الاخبار تواريخ أحمد بن محمد بن موسى الرازى فى أخبار ملوك الاندلس وخدمتهم وغزواتهم ونكباتهم وذلك كثير جدا وكتاب له فى صفة قرطبة وخططها ومنازل الاعيان بها على نحو ما بدأ به ابن أبى طاهر فى أخبار بغداد وذكر منازل صحابة أبى جعفر المنصور بها وتواريخ متفرقة رأيت منها أخبار عمر بن حفصون القائم بريه ووقائعه وسيره وحروبه وتاريخ آخر فى أخبار عبد الرحمن بن مروان الجليقى القائم بالحوف وفى أخبار بنى قيس والتعيبيين وبنى الطويل والثغر وقد رأيت من ذلك كتبا مصنفة فى غاية الحسن وكتاب حجز أفى اجزاء كثيرة فى اخبار ريه وحصونها وحروبها وفقهائها وشعرائها تاليف اسحق بن سلمة ابن اسحق الليثى وكتاب محمد بن الحرث الخشنى فى اخبار القضاة بقرطبة وسائر بلاد الاندلس وكتاب فى اخبار الفقهاء بها وكتاب لاحمد بن محمد بن موسى فى انساب مشاهير اهل الاندلس فى خمسة اسفار ضخمة من احسن كتاب فى الانساب واوسعها وكتاب قاسم ابن اصبغ فى الانساب فى غاية الحسن والايعاب والايجاز وكتابه فى فضائل بنى امية وكان من الثقة والجلالة بحيث اشتهر امره وانتشر ذكره ومنها كتب مؤلفة فى اصحاب المقاصل والاجناد الستة بالاندلس ومنها كتب كثيرة جمعت فيها اخبار شعراء الاندلس للمستنصر رحمه الله تعالى رأيت منها اخبار شعراء البيرة فى نحو عشرة اجزاء ومنها كتاب الطوالع فى انساب اهل الاندلس ومنها كتاب التاريخ الكبير فى اخبار اهل الاندلس تاليف ابى مروان بن حيان نحو عشرة اسفار من اجل كتاب الف فى هذا المعنى وهو فى الحياة بعد لم يتجاوز الاكتهال وكتاب المآثر العامرية لمحسن بن عاصم فى سير ابن ابى عامر واخباره وكتاب الافشين محمد بن عاصم النحوى فى طبقات الكتاب بالاندلس وكتاب سكن بن سعيد فى ذلك وكتاب احمد بن فرج فى المنتزين والقائمين بالاندلس واخبارهم وكتاب اخبار اطباء الاندلس لسليمان بن حسان وأما الطب فكتب الوزير يحيى بن اسحق وهى كتب حسان رفيعة وكتب محمد بن الحسن المذحجى استاذنا رحمه الله تعالى وهو المعروف بابن الكتانى وهى كتب رفيعة حسان وكتب التصريف لابى القاسم خلف بن عباس الزهراوى وقد ادركناه وشاهدناه واين قلنا انه لم يؤلف فى الطب اجمع منه ولا احسن للقول والعمل فى الطبائع لنصدقن وكتب ابن الهيثم فى الخواص والسموم والعقاقير من اجل الكتب وانفعها واما الفلسفة فانى رأيت فيها رسائل مجموعة وعيونا مؤلفة لسعيد بن فتحون السرقسطى المعروف بالحمار دالة على تمكنه فى هذه الصناعة واما رسائل استاذنا ابى عبد الله محمد بن الحسن المذحجى فى ذلك فشهورة متداولة وتامة

بالعراق فهو أظهر لعموم الاعتدال (ثم قال الحكيم) أبقراط فى معنى ما ذكر ان الرياح العامة أربعة احداها تهب من جهة

الابدان والعصب وتورث الكسل وتحدث ثقلا فى السماع وغشاوة فى البصر لانها تحلل المرة وتنزل الرطوبة الى أصل العصب الذى يكون فيه الحس وأما الشمال فانها تطب الابدان وتصح الاذهان وتحسن اللون وتصفى الحواس وتقوى الشهية والحركة غير أنها تحرك السعال ووجع الصدر (وقد) زعم بعض من تاخر فى الاسلام من الحكماء أن الجنوب اذا هبت بارض العراق تغير الورد وتناثر الورق وسخن الماء واسترخت الابدان وتكدر الهواء قال وذلك شبه ما قال أبقراط ان الصيف أوبأ من الشتاء لانه يسخن الابدان فيرخيها ويضعف قواها وان أهل العراق يكون الرجل منهم نائما فى فراشه يسخن بهبوبها وانه اذا هبت الشمال برد الخاتم فى أصبعه واتسع لانضمام البدن بها واذا هبت الجنوب سخن الخاتم وضاق واسترخى البدن وحدث فيه الكسل وهذا يجده سائر من بالعراق ممن له حس اذا صرف همته الى تامل ذلك وكذلك يجده من تامل ما وصفنا فى سائر الامصار فى بقاع الارض والبلدان واذا كان ذلك فالريح احداها تهب من جهة

الحسن فائقة الجودة عظيمة المنفعة واما العدد والهندسة فلم يقسم لنا في هذا العلم نفاذ ولا تحققنا به فلسنا نثق بانفسنا في تمييز الحسن من القصر في المؤلفين فيه من اهل بلدنا الا آتي سمعت من اثق بعقله ودينه من اهل العلم ممن اتفق على رسوخه فيه يقول انه لم يؤلف في الازياج مثل زيج مسلمة وزيج ابن السمح وهما من اهل بلدنا وكذلك كتاب لاحمد بن نصر مما تقدم الى مثله في معناه واما ذكرنا التأليف المستحقة للذكر والتي تدخل تحت الاقسام السبعة التي لا يؤلف عاقل عالم الا في احدها وهي اما شيء يخترعه لم يسبق اليه او شيء ناقص يتمه او شيء مستغلق يشرحه او شيء طويل يختصره دون ان يخل بشيء من معانيه او شيء متفرق يجمعه او شيء مختلط يرتبه او شيء اخطأ فيه صاحبه يصلحه واما التأليف للقصرة عن مراتب غيرها فلم نلتفت الى ذكرها وهي عندنا من تاليف اهل بلدنا اكثر من ان نحيط بعلمها واما علم الكلام فان بلادنا وان كانت لم تجاذب فيها الخصوم ولا اختلفت فيها النحل فقل لذلك تصرفهم في هذا الباب فهي على كل حال غير عرية عنه وقد كان فيهم قوم يذهبون الى الاعتزال نظرا على اصوله ولهم فيه تأليف منهم خليل بن اسحق ويحيى بن السمينة والحاجب موسى بن جدير واخوه الوزير صاحب المظالم احمد وكان داعية الى الاعتزال لا يستتر بذلك ولنا على مذهبنا الذي تخيرناه من مذاهب اصحاب الحديث كتاب في هذا المعنى هو وان كان صغير الجرم قليل عدد الورق يزيد على المائتين زيادة يسيرة تعظيم الفائدة لانا استقصينا فيه المشاغب كلها واضربنا عن التطويل جملة واقتصرنا على البراهين المنتخبة من المقدمات الصحاح الراجعة الى شهادة الحس وبديهة العقل بالصحة ولنا فيما تحققنا به تأليف حجة منها ما قدتم ومنها ما شارف التمام ومنها ما قد مضى منه صدر ويعين الله تعالى على باقيه لم نقصد به قصد مباهاة فنذكرها ولا اردنا الجمعة فنسميها والمراد بها ينا جل وجهه وهو ولي العون فيها والملي بالمجازاة عليها وما كان لله تعالى فسيبدو وحسبنا الله ونعم الوكيل وبلدنا هذا على بعده من ينبوع العلم ونأيه من محلة العلماء فقد ذكرنا من تأليف اهله ما ان طلب مثلها بفارس والاهواز وديار مضر وديار ربيعة واليمن والشام اعوز وجود ذلك على قرب المسافة في هذه البلاد من العراق التي هي دار هجرة الفهم وذويه ومراد المعارف وارباب بها ونحن اذا ذكرنا ابا الاجرب جعونة بن الصمة الكلابي في الشعر لم نباه به الاجرا والفرزدق لكونه في عصرهما ولو انصف لاستشهد بشعره فهو جار على مذهب الاوائل لا على طريقة المحدثين واذا سمينا بقي بن مخلد لم نسابق به الا محمد بن اسمعيل البخاري ومسلم بن الحجاج النيسابوري وسليمان بن الاشعث السجستاني واحمد بن شعيب النسائي واذا ذكرنا قاسم بن محمد لم نباه به الا القفال ومحمد بن عقيل الفريابي وهو شريكهما في صحبة المزني بن ابراهيم والتلمذة له واذا نعتنا عبد الله بن قاسم بن هلال ومنذر بن سعيد لم نجار بهما الا ابا الحسن بن المغلس والخلال والدباجي ورويم بن احمد وقد شاركهم عبد الله في ابي سليمان وصحبته واذا اشرنا الى محمد بن عمرو بن لبابه وعمه محمد بن عيسى وفضل بن سلمة لم نتاطح بهم الا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ومحمد بن سحنون ومحمد بن عبدوس واذا ذكرنا صاحبنا ذكر محمد بن يحيى الرياحي وابي عبد الله محمد بن عاصم لم يقصر عن

أكابر اصحاب محمد بن يزيد المبرد ولم يكن لنا من فحول الشعراء الا أحمد بن محمد بن دراج القسطلى لما تاخر عن شأو بشار وحبيب والمتنبى فكيف ولنا معه جعفر بن عثمان الحاجب وأحمد بن عبد الملك بن مروان وأغلب بن شعيب ومحمد بن شخيص وأحمد بن فرج وعبد الملك ابن سعيد المرادى وكل هؤلاء فحل يهاب جانبه وحصان يمسوح الغرة ولنا من البلغاء أحمد ابن عبد الملك بن شهيد صديقنا وصاحبنا وهو حى بعد لم يبلغ سن الاكتهال وله من التصرف فى وجوه البلاغة وشعابها مقدار يكاد ينطق فيه بلسان مركب من لسانى عمرو وسهل ومحمد ابن عبد الله بن مسرة فى طريقه التى سلك فيها وان كنا لا نرضى مذهبه فى جماعة يكثر تعدادهم وقد انتهى ما اقتضاه خطاب الكاتب رحمه الله تعالى من البيان ولم نتزيد فيما رغب فيه الا ما دعت الضرورة الى ذكره لتعلقه بجوابه والحمد لله الموفق لعلمه والهادى الى الشريعة المزلفة منه والموصلة وصلى الله على محمد عبده ورسوله وعلى آله وصحبه وسلم وشرف وكرم انتهت الرسالة * وكتب الحافظ ابن حجر على هامش قوله فيها وانما سكن على الكوفة خمسة أعوام وأشهرا ما نصه صوابه أربعة اعوام انتهى * وقال ابن سعيد بعد ذكره هذه الرسالة ما صورته رأيت أن أذيل ما ذكره الوزير الحافظ أبو محمد بن حزم من مفاخر أهل الاندلس بما حضرنى والله تعالى ولى الاعانة * أما القرآن فمن أجل ما صنف فى تفسيره كتاب الهداية الى بلوغ النهاية فى نحو عشرة أسفار صنفه الامام العالم الزاهد أبو محمد مكى بن أبى طالب القرطبى وله كتاب تفسير اعراب القرآن وعد ابن غالب فى كتاب فرحة الانفس تاليف مكى المذكور فبلغ بها ٧٧ تاليفا وكانت وفاته سنة ٤٣٧ ولابى محمد بن عطية الغرناطى فى تفسير القرآن الكتاب الكبير الذى اشتهر وطار فى الغرب والشرق وصاحبه من فضلاء المائة السادسة واما القراآت فلمكى المذكور فيها كتاب التبصرة وكتاب التيسير لابى عمرو الدانى مشهور فى أيدى الناس وأما الحديث فكان بعصرنا فى المائة السابعة الامام ابو الحسن على بن القطان القرطبى الساكن بحضرة مراكش وله فى تفسير غريبه وفى رجاله مصنفات واليه كانت النهاية والاشارة فى عصرنا وسمعت انه كان اشتغل بجمع أمهات كتب الحديث المشهورة وحذف المكرر وكتاب رزين بن عمار الاندلسى فى جمع ما يتضمنه كتاب مسلم والبخارى والموطا والسنن والنسائى والترمذى كتاب جليل مشهور فى أيدى الناس بالمشرق والمغرب وكتاب الاحكام لابى محمد عبد الحق الاشبيلى مشهور متداول القراءة وهى أحكام كبرى وأحكام صغرى قيل ووسطى وكتاب الجمع بين الصحيحين للحميدى مشهور واما الفقه فالكتاب المعتمد عليه الآن الذى يطلق عليه اسم الكتاب عند المالكية حتى بالاسكندرية فكتاب التهذيب للبراذعى السرقسطى وكتاب النهاية لابى الوليد بن رشد كتاب جليل معظم معتمد عليه عند المالكية وكذلك كتاب المنتقى للباجى واما اصول الدين واصول الفقه فللامام أبى بكر ابن العربى الاشبيلى من ذلك ما منه كتاب العواصم والقواصم المشهور بايدى الناس وله تصانيف غير هذا ولابى الوليد بن رشد فى أصول الفقه ما منه مختصر المستصفى واما التواريخ فكتاب ابن حيان الكبير المعروف بالمتين فى نحو ستين مجلدة وانما ذكرا بن حزم

فرسخ فى أربعمائة فرسخ وعشرين فرسخا (عمل الروم) ثلاثة آلاف فرسخ فى سبعمائة فرسخ (عمل الاندلس) لعبد الرحمن ابن معاوية ثلثمائة فرسخ (عمل ادريس) الفاطمى ألف ومائتا فرسخ فى مائة وعشرين فرسخا (عمل فاس) لابى المنتصر اربعمائة فرسخ فى ثمانين فرسخا (عمل سجلماسة) الفان وخمسمائة فرسخ فى ستمائة فرسخ (عمل غانة) بلاد الذهب الف فرسخ فى ثمانين فرسخا (عمل ذمار) مائتا فرسخ فى ثمانين فرسخا (عمل بجلة) مائة فرسخ وعشرون فرسخا فى ستين فرسخا (عمل واح) ستون فرسخا فى أربعين فرسخا (عمل البجه) مائتا فرسخ فى ثمانين فرسخا (عمل النجاشى) ألف وخمسمائة فرسخ فى أربعمائة فرسخ بالمغرب (عمل الزنج) بالمشرق وبلاد صعدة الف وستمائة فرسخ فى مائتين وخمسين فرسخا فذلك الطول اثنان وسبعون ألفا وأربعمائة وثمانون فرسخا والعرض خمسة وعشرون ألفا ومائتان وخمسون فرسخا وأما الكلام فى وصف أصول

الطب وهل ذلك ماخوذ من طريق الرياضة والقياس أو من غيره ووصف تنازع الناس فى ذلك فلم تتعرض لايراده فى هذا

من هذا الكتاب في أخبار الواثق على ايضاح جرى بحضرته وقد نحضر مجلسه حنين بن اسحق وابن ماسويه وغيرهم من الفلاسفة والمتطببين فاغنى ذلك عن ايراده في هذا الباب ولولا أن الكتاب يرد على اغراض من الناس لما هم عليه من اختلاف الطبائع والتباين في المراد لما ذكرنا ما يورد فيه من أنواع العلوم وفنون الاخبار وقد يلحق الانسان الملل بقراءته ما لا تهوى نفسه فينتقل منه الى غيره فقصدنا فيه من سائر ما يحتاج الناس من ذوي المعرفة الى علمه ولما تغلغل بنا الكلام في نظمه وتشعبه واتصاله بغيره من المعاني مما لم يتقدم ذكره وقد اتينا على مبسوط سائر ما ذكرناه على الاتساع والايضاح في كتابنا اخبار الزمان وفي الكتاب الاوسط والله تعالى اعلم

(ذكر البيوت المعظمة والمياكل المشرفة وبيوت النيران والاصنام وذكر الكواكب وغير ذلك من عجائب العالم)

كان كثير من أهل الهند والصين وغيرهم من الطوائف

كتاب المقتبس وهو في عشر مجلدات والمتين يذكر فيه أخبار مصره وممن فيها مما شاهده ومنه ينقل صاحب الذخيرة وقد ذيل عليه أبو الحجاج البلوي أحد معاصرينا وهو الآن بافريقية في حضرتها تونس عند سلطانها تحت احسانه الغمر وكتاب المظفر بن الافطس ملك بطليوس المعروف بالمظفري نحو كتاب المتين في الكبر وفيه تاريخ على السنين وفنون آداب كثيرة وتاريخ ابن صاحب الصلاة في الدولة اللتونية وذكر ابن غالب ان ابن الصيرفي الغرناطي له كتاب في أخبار دولة لمتونة وأن أبا الحسن السالمي له كتاب في أخبار الفتنة الثانية بالاندلس بدأ من سنة ٥٠٩ ورتبه على السنين وبلغ به سنة ٥٤٧ وأبو القاسم خلف بن بشكوال له كتاب في تاريخ أصحاب الاندلس من فتحها الى زمانه وأضاف الى ذلك من أخبار قرطبة وغيرها ما جاء في خاطره وله كتاب الصلة في تاريخ العلماء وللحميدي قبله جذوة المقتبس وقد ذيل كتاب الصلة في عصرنا هذا أبو عبد الله بن الابار البلنسي صاحب كتاب سلطان افريقية وذكر ابن غالب أن الفقيه أبا جعفر بن عبد الحق الخزرجي القرطبي له كتاب كبير بدأ فيه من بدء الخليقة الى أن انتهى في أخبار الاندلس الى دولة عبد المؤمن قال وفارقته سنة ٥٦٠ وأبو محمد بن حزم صاحب الرسالة المتقدمة الذكر له كتب جمة في التواريخ مثل كتاب نقط العروس في تواريخ الخلفاء وقد صنف أبو الوليد بن زيدون كتاب التبيين في خلفاء بني أمية بالاندلس على منزع كتاب التعيين في خلفاء المشرق للسعودي وللقاضي ابي القاسم صاعد بن أحمد الطليطلي كتاب التعريف باخبار علماء الامم من العرب والعجم وكتاب جامع أخبار الامم وأبو عمر بن عبد البر له كتاب القصد والامم في معرفة أخبار العرب والعجم وعريب بن سعيد القرطبي له كتاب اختصار تاريخ الطبري فدسعد باغتباط الناس به وأضاف اليه تاريخ افريقية والاندلس ولاحمد ابن سعيد بن محمد بن عبد الله بن الفياض كتاب العبر وكتاب أبي بكر الحصين بن محمد الزبيدي في أخبار النحويين واللغويين بالمشرق والاندلس وكتاب القاضي أبي الوليد بن الفرضي في أخبار العلماء والشعراء وما يتعلق بذلك وليحيى بن حكم الغزال تاريخ الفه كله منظوما كما صنع أيضا بعده أبو طالب المتنبي من جزيرة شقر في التاريخ الذي أورد منه صاحب الذخيرة ما أورد وكتاب الذخيرة لابن بسام في جزيرة الاندلس ليس هذا امكان الاطناب في تفضيلها وهي كالذيل على حدائق ابن فرج وفي عصرها صنف الفتح كتاب القلائد وهو معلوم بلاغة والمحاكمة بين الكتابين ذكرت بمكان آخر ولصاحب القلائد كتاب المطمح وهو ثلاث نسخ كبرى ووسطى وصغرى يذكر فيها من الذين ذكرهم في القلائد ومن غيرهم الذين كانوا قبل عصرهم وكتاب سمط الجمان وسقط المرجان لابي عمرو بن الامام بعد الكتابين المذكورين ذكر من أخلا بتوفيته حقه من الفضلاء واستدرك من أدركه بعصره في بقية المائة السادسة وذيل عليه وان كان ذيلا قصيرا أبو بحر صفوان بن ادريس المرسي بكتاب زاد المسافر ذكر فيه جماعة ممن أدرك المائة السابعة وكتاب أبي محمد عبد الله بن ابراهيم الحجاري المسمى بالمسهب في فضائل المغرب صنفه بعد الذخيرة والقلائد من أول ما عمرت الاندلس الى عصره وخرج فيه عن مقصد الكتابين الى ذكر البلاد وأصلها

عما يختص بعلم الجغرافيا وخلطه بالتاريخ ونقش الادب على ما هو مذكور في غير هذا المكان ولم يصنف في الاندلس مثل كتابه ولذلك فضله المصنف له عبد الملك بن سعيد وذيل عليه ثم ذيل على ذلك ابناه أحمد ومحمد ثم موسى بن محمد ثم علي بن موسى كاتب هذه النسخة ومكمل كتاب ذلك الادب المحيط بجملي لسان العرب المحتوى على كتابي المشرق في حلي المشرق والمغرب في حلي المغرب فيكفي الاندلس في هذا الشان تصنيف هذا الكتاب بين ستة أشخاص في ١١٠ سنة آخرها سنة ٦٤٠ وقد احتوى على جميع ما يذاكر به ويحاضر بجلاه من فنون الادب المختارة على جهد الطاقة في شرق وغرب على النوع الذي هو مذكور في غير هذا الموضع ومن أغفلت التنبيه على عصره وغير ذلك من المصنفين المتقدمي الذكر فيطلب الملتمس منهم في مكانه المنسوب اليه كابن بسام في شنترين والفتح في اشبيلية وابن الامام في استجة والجاري في وادي الحجارة * وأما ما جاء منثورا من فنون الادب فكتاب سراج الادب لابي عبد الله بن أبي الخصال الشقوري رئيس كتاب الاندلس صنفه على منزع كتاب النوادر لابي علي وزهر الآداب للحصري وكتاب واجب الادب لوالدي موسى بن محمد بن سعيد واسمه يغني عن المراد به وكتاب اللآلئ لابي عبيد البكري على كتاب الامالي لابي علي البغدادي مفيد في الادب وكذلك كتاب الاقتضاب في شرح أدب الكتاب لابي محمد بن السيد البطليوسي وأما شرح سقط الزند له فهو الغاية ويكفي ذكره عند أرباب هذا الشان وثناؤهم عليه وشروح أبي العلاء لشعر المتنبي والحماسة وغير ذلك مشهورة * وأما كتب النحو فلاهل الاندلس من الشروح على الجمل ما يطول ذكره فمنها شرح ابن خروف ومنها شرح الرندي ومنها شرح شيخنا أبي الحسن بن عصفور الاشبيلي واليه انتهت علوم النحو وعليه الاحالة الآن من المشرق والمغرب وقد أتيت له من افريقية بكتاب المقرب في النحو فتلقي باليمين من كل جهة وطار بجناح الاغتباط ولشيخنا أبي علي الشلوبين كتاب التوطئة على الجزولية وهو مشهور ولابن السيد وابن الطراوة والسهيلي من التقييدات في النحو ما هو مشهور عند أصحاب هذا الشان معتمد عليه ولابي الحسن بن خروف شرح مشهور على كتاب سيبويه * وأما كتب علم الجغرافيا فيكفي في ذلك كتاب المسالك والممالك لابي عبيد البكري الاوبني وكتاب معجم ما استعجم من البقاع والاماكن وفي كتاب المسهب للسعاري في هذا الشان وتذييلنا عليه في هذا الكتاب الجامع ما جمع فريد الاولين والآخرين * وأما كتب علم الموسيقى فكتاب أبي بكر بن باجة الغرناطي في ذلك فيه كفاية وهو في المغرب بمنزلة أبي نصر الفارابي بالمشرق واليه تنسب الالحان المطربة بالاندلس التي عليها الاعتماد ويسمي الحذاق الموسى كتاب الاغاني الاندلسية على منزع الاغاني لابي الفرج وهو من أدرك المائة السابعة * وأما كتب الطب فالمشهور بأيدي الناس الآن في المغرب وقد سار أيضا في المشرق لنبله كتاب التيسير لعبد الملك بن أبي العلاء بن زهر وله كتاب الاغذية أيضا مشهور معتمد عليه في المغرب والمشرق ولابي العباس بن الرومية الاشبيلي من علماء عصرنا بهذا الشان كتاب في الادوية المفردة وقد جمع أبو محمد المالقي الساكن الآن بقاهرة مصر كتابا في هذا

وملائكته اختصوا بالسماء فدعاهم ذلك الى أن اتخذوا تماثيل وأصناما على صورة الباري عز وجل وبعضها على صورة الملائكة مختلفة القدود والاشكال ومنها على صورة الانسان وعلى خلافها من الصور يعبدونها وقربوا لها القرابين ونذروا لها النذور لشبهها عندهم بالباري تعالى وقربها منه فاقاموا على ذلك برهة من الزمان وجملة من الاعصار حتى نبههم بعض حكمائهم على أن الافلاك والكواكب أقرب الاجسام المرئية الى الله تعالى وأنها حية ناطقة وأن الملائكة تختلف فيما بينها وبين الله وأن كل ما يحدث في هذا العالم فانما هو على قدر ما تجري به الكواكب على أمر الله فعظموها وقربوا لها القرابين لتنفعهم فمكثوا على ذلك دهرا فلما رأوا الكواكب تختفي بالنهار وفي بعض أوقات الليل لما يعترض في الجو من السواتر امر بعض من كان قديم من حكمائهم ان يجعلوا لما اصنام او تماثيل على صورها واشكالها ففعلوا لها اصناما وتماثيل بعدد الكواكب الكبار

المشهورة وكل صنف منهم يعظم كوكبا منها ويقرب لها نوعا من القربان خلاف ما للآخر على أنهم إذا

الشان حشر عليه ما سمع به تقدر عليه من تصانيف الادوية المفردة كالمغافقي وكتاب الزهراوي وكتاب الشريف الادريسي الصقلي وغيرها وضبطه على حروف المعجم وهو النهاية في مقصده * وأما كتب الفلسفة فاما مها في عصرنا أبو الوليد بن رشد القرطبي وله فيها تصانيف جدها لما رأى انحراف منصور بني عبد المؤمن عن هذا العلم وسجنه بسببها وكذلك ابن حبيب الذي قتله المأمون بن المنصور المذكور على هذا العلم باشبيلية وهو علم ممقوت بالاندلس لا يستطيع صاحبه اظهاره فلذلك تخفى تصانيفه * وأما كتب التنجيم فلابن زيد الاسقف القرطبي فيه تصانيف وكان مختصا بالمستنصر بن الناصر المرواني وله ألف كتاب تفضيل الازمان ومصالح الابدان وفيه من ذكر منازل القمر وما يتعلق بذلك ما يستحسن مقصده وتقريبه وكان مطرف الاشبيلي في عصرنا قد اشتغل بالتصنيف في هذا الشان الا أن أهل بلده كانوا ينسبونه الى الزندقة بسبب اعتكافه على هذا الشان فكان لا يظهر شيأ مما يصنف ثم قال ابن سعيد أخبرني والدي قال كنت يوما في مجلس صاحب سبتة أبي يحيى بن أبي زكريا صهر ناصر بني عبد المؤمن فجرى بين أبي الوليد الشقندي وبين أبي يحيى بن المعلم الطنجي نزاع في التفضيل بين البرين فقال الشقندي لولا الاندلس لم يذكر بر العدوة ولا سارت عنه فضيلة ولولا التوقير للمجلس لقلت ما تعلم فقال الامير أبو يحيى أتريد أن تقول كون أهل برنا عربا وأهل بركم بربر فقال حاش لله فقال الامير والله ما أردت غير هذا فاظهر في وجهه انه أراد ذلك فقال ابن المعلم أتقول هذا وما الملك والفضل الا من بر العدوة فقال الامير الرأي عندي أن يعمل كل واحد منكما رسالة في تفضيل بره فالكلام هنا يطول ويمرضنا عا وأرجوا ذا اختيتماله فكر كما يصدر عنكما يحسن تخليده ففعلا ذلك فكانت رسالة الشقندي الحمد لله الذي جعل لمن يفخر بالاندلس أن يتكلم مل ء فيه ويطنب ما شاء فلا يجد من يعترض عليه ولا من يثنيه اذ لا يقال للنهار يا مظلم ولا لوجه النعيم يا قبيح

وقد وجدت مكان القول ذا سعة * فان وجدت لسانا قائلا فقل

أحمده على أن جعلني ممن أنشأته وحبانى بان كنت ممن أظهرته فامتد في الفخر باعي وأعانني على الفضائل كرم طباعي وأصلي على سيدنا محمد نبيه الكريم وعلى آله وصحبه الاكرمين وأسلم تسليما أما بعد فانه حرك مني ساكنا وملأ مني فارغا فخرجت عن سجيتي في الاغضاء مكرها الى الحمية والاباء منازع في فضل الاندلس أراد أن يخرق الاجماع ويأتي بما لم تقبله النواظر والاسماع اذ من رأى ومن سمع لا يجوز عنده ذلك ولا يضله من تاه في تلك المسالك رام ان يفضل بر العدوة على بر الاندلس فرام ان يفضل على اليمين اليسار ويقول الليل اضوأ من النهار فيا عجبا كيف قابل العوالي بالزجاج وصادم الصفاة بالزجاج فيا من نفخ في غير ضرم ورام صيد البزاة بالرخم كيف تنكر بما جعله الله قليلا وتتعزز بما حكم الله ان يكون ذليلا ما هذه المباهتة التي لا تجوز كيف تبدي أمام الفتاة العجوز سل العيون الى وجه من تميل واستخبر الاسماع الى حديث من تصغي

لشتان ما بين اليزيدين في الندى * يزيد سليم والاغر بن حاتم

اقن حياءك أيها المغرد بالتعجيب المتزين بالخلق المتحبب الى الغواني بالمشيب الخضيب

عظموا ما صوروا من وبنوا الكل صنم بيتا وهيكلا مفردا وسموا تلك الهياكل باسماء تلك الكواكب (وقد ذهب قوم) الى أن البيت الحرام على مرور الدهور معظم في سائر الاعصار لانه بيت زحل وان زحل تولاه ولاد زحل من شانه البقاء والثبوت فما كان له فصير زائل ولا داثر وعن التعظيم غير خامل وذكروا أمورا أعرضنا عن ذكرها لشناعة وصفها ولما طال عليهم العهد عبدوا الاصنام على أنها تقربهم الى الله وألفوا عبادة الكواكب فلم يزالوا على ذلك حتى ظهر بوداسف بارض الهند وكان هنديا خرج من أرض الهند الى السند ثم سار الى بلاد سجستان وبلاد زابلستان وهي بلاد فيروز بن كيك ثم دخل السند الى كرمان فتنبأ وزعم أنه رسول الله وأنه واسطة بين الله وبين خلقه وأتى أرض فارس وذلك في أوائل ملك طيمورث ملك فارس وقيل ذلك في حر سندوهو أول من أظهر مذاهب الصابئة على حسب ما قدمنا آنفا فيما سلف من هذا الكتاب وقد كان بوداسف أمر الناس بالزهد في هذا العالم والاشتغال بما علا من العوالم اذ كان من هنالك بدو النفوس واليها يقع أين

ابن خزيمة عقلك. وكيف تكمن على عقبه فهلك ولبئس ما بلغت العصبية من قلبك أن تطمس على نور ربصرك ولبئس اما قولك الملوك منا فقد كان الملوك منا ايضا وما نحن الا كما قال الشاعر

فيوم علينا ويوم لنا * ويوم نساء ويوم نسر

ان كان الآن كرسي جميع بلاد المغرب عندكم بخلافة بني عبد المؤمن ادامها الله تعالى فقد كان عندنا بخلافة القرشيين الذين يقول فيهم مشرقيهم

واني من قوم كرام اعزة * لاقدامهم صيغت رؤس المنابر
خلائف في الاسلام في الشرك قادة * بهم واليهم فخر كل مفاخر

ويقول مغربيهم

الستا بني مروان كيف تبدلت * بنا الحال او دارت علينا الدوائر
اذا ولد المولود منا تهللت * له الارض واهتزت اليه المنابر

وقد نشأ في مدتهم من الفضلاء والشعراء ما اشتهر في الآفاق وصار اثبت في صحائف الايام في اعناق الحمام من الاطواق

وسار مسير الشمس في كل بلدة * وهب هبوب الريح في البر والبحر

ولم تزل ملوكهم في الاتساق كما قيل

ان الخلافة فيكم لم تزل نسقا * كالعقد منظومة فيه فرائده

الى ان حكم الله بنثر سلكهم وذهاب ملكهم فذهبوا وذهبت اخبارهم ودرسوا ودرست آثارهم

جال ذي الارض كانوا في الحياة وهم * بعد الممات جال الكتب والسير
فكم مكرمة نالوها وكم عثرة اقالوها

وانما المرء حديث بعده * فكن حديثا حسنا لمن وعى

وكان من حسنات ملكهم المنصور بن أبي عامر وما أدراك الذي بلغ في بلاد النصارى غازيا الى البحر الاخضر ولم يترك أسيرا في بلادهم من المسلمين ولم يبرح في جيش المرقل وعزمة الاسكندر ولما قضى نحبه كتب على قبره

آثاره تنبيك عن أوصافه * حتى كأنك بالعيان تراه
تالله لا يأتي الزمان بمثله * أبدا ولا يحمي الثغور سواه

وقد قيل فيه من الامداح وألف له من الكتب ما سمعت وعلمت حتى قصد من بغداد وعم خيره وشره أقاصي البلاد ولما ثار بعد انتشار هذا النظام ملوك الطوائف وتفرقوا في البلاد كان في تفرقهم اجتماع على النعم لفضلاء العباد اذ نفقت اسواق العلوم وتبارزوا في المشو به على المنثور والمنظوم فما كان أعظم مباهاتهم الا قول العالم الفلاني عند الملك الفلاني والشاعر الفلاني مختص بالملك الفلاني وليس منهم الا من بذل وسعه في المكارم وتبهت الامداح من ما ثره ما ليس طول الدهر بناشم وقد سمعت ما كان من القيان العامرية بمجاهد ومنذر وخيران وسمعت عن الملوك العربية بنو عباد وبنو

والسجود لها الشبه ذكرها وقرب الى عقولهم عبادتها بضرو ب من الحيل والخدع وذكر ذوو الخبرة بشان هذا العالم واخبار ملوكهم انه اول من عظم النار ودعا الناس الى تعظيمها وقال انها تشبه ضوء الشمس والكواكب لان النور عنده افضل من الظلمة وجعل للنور مراتب (ثم تنازع هؤلاء) بعده فعظم كل فريق منهم ما يرون تعظيمه من الاسماء تقربا الى الله بذلك ثم تنازعوا برهة من الزمان (ونشا عمرو بن لحى) فسار بقومه الى مكة واستولى على امر البيت ثم سار الى مدينة البلقاء من عمل دمشق من ارض الشام فراى قوما يعبدون الاصنام فسالهم عنها فقالوا هذه ارباب نتخذها نستنصر بها فننصر ونستسقي بها فنسقى وكل من سألها يعطى فطلب منهم صنما يدعونه هبل فسار به الى مكة ونصبه على الكعبة ومعه اساف ونائلة ودعا الناس الى تعظيمها وعبادتها ففعلوا ذلك الى ان اظهر الله الاسلام وبعث محمدا عليه السلام فطهر البلاد وانقذ العباد (وقد قال هؤلاء) ان البيت الحرام من البيوت السبعة المعظمة المتخذة على أسماء الكواكب من النيرين والخمسة (و بيت ثان) معظم

صمادح وبنو الافطس وبنو ذى النون وبنو هود كل منهم قصد فيه من الامداح مادر مدح به الليل لصارا ضرا من الصباح ولم تزل الشعراء تتهادى بينهم تهادى النواسم بين الرياض وتتفنن فى أموالهم فتملأ البراغن حتى ان احد شعرائهم بلغ به مارآه من منافستهم فى امداحه أن حلف أن لا يمدح احدا منهم بقصيدة الا عائة دينار وان المعتضد بن عباد على ما اشتهر من سطوته وافراط هيبته كلفه أن يمدحه بقصيدة فابى حتى يعطيه ماشرطه فى قسمه ومن اعظم ما يحكى من المكارم التى لم تسمع لما أحد ان ابا غالب اللغوى ألف كتابا فبذل له مجاهد العامرى ملك دانية الف دينار فرام كوباو كتابا على أن يجعل الكتاب باسمه فلم يقبل ذلك أبو غالب وقال كتاب الفته لينتفع به الناس واخلد فيه همتى أجعل فى صدره اسم غيرى وأصرف الغرض له لا أفعل ذلك فلما بلغ هذا مجاهدا استحسن انفته وهمته وأضعف له العطاء وقال هو فى حل من أن يذكرنى فيه لانصده عن غرضه وان كان كل ملوك الاندلس المعروفين بملوك الطوائف قد تنازعوا فى ملاءة الحضر فانى أخص منهم بنى عباد كما قال الله تعالى فيهما فاكهة ونخل ورمان فان الايام لم تزل بهم كأعياد وكان لهم من الحنو على الادب مالم يقم به بنو حمدان فى حلب وكانوا هم وبنوهم ووزراؤهم صدورا فى بلاغتى النظم والنثر مشاركين فى فنون العلم وآثارهم مذكورة وأخبارهم مشهورة وقد خلدوا من المكارم التامة ماهو متردد فى ألسن الخاصة والعامة وبالله الاسميت لى عن تفخرون قبل هذه الدعوة المهدية أبسقموت الحاجب أم بصالح البرغواطى أم بيوسف بن تاشفين الذى لولا توسط ابن عباد لشعراء الاندلس فى مدحه ما أجروا له ذكرا ولا رفعوا الملثمه قدرا وبعد ماذكروه بوساطة المعتمد بن عباد فان المعتمد قال له وقد انشدوه أيعلم أمير المسلمين ماقالوه قال لا أعلم ولكنهم يطلبون الخير ولما انصرف عن المعتمد الى حضرة ملكه كتب له المعتمد رسالة فيها

بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا * شوقا اليكم ولا جفت مآقينا
حالت لفقدكم أيامنا فغدت * سودا وكانت بكم بيضا ليالينا

فلما قرئ عليه هذان البيتان قال للقارئ يطلب منا جوارى سودا و بيضا قال لا يا مولانا ما أراد الا أن ليله كان بقرب أمير المسلمين نهارا لان ليالى السرور بيض فعاد نهاره بعده ليلا لان ليالى الحزن ليالى سود فقال والله جيدا كتب له فى جوابه ان دموعنا تجرى عليهم ورؤسنا توجعنا من بعده فليت العباس بن الاحنف قد عاش حتى يتعلم من هذا الفاضل رقة الشوق

ولا تنكرن مهما رأيت مقدما * على حر بغلا فانتم تناسب

فاسكتوا فلولا هذه الدولة لما كان لكم على الناس صولة

وان الورد يقطف من قتاد * وان النار تقبس من رماد

وانك ان تعرضت لنا صلة بالعلماء فاخبرنى هل لكم فى الفقه مثل عبد الملك بن حبيب الذى يعمل باقواله الى الآن ومثل ابى الوليد الباجى ومثل ابى بكر بن العربى ومثل ابى الوليد بن رشد الاكبر ومثل ابى الوليد بن رشد الاصغر وهو ابن الاكبر نجوم الاسلام ومصابيح شريعة

عليها من الحرير فيقال والله أعلم ان الريح عطفت يوما من بعض تلك الشعاف

عهد

عليه السلام وهل لكم فى الحفظ مثل أبى محمد بن حزم الذى زهد فى الوزارة والمال ومال الى رتبة العلم وراها فوق كل رتبة وقال وقد احترقت كتبه

دعونى من احراق ورق وكاغد * وقولوا بما لكى يرى الناس من يدرى
فان تحرقوا القرطاس لاتحرقوا الذى * تضمنه القرطاس اذهو فى صدرى

ومثل أبى عمر بن عبد البر صاحب الاستيعاب والتمهيد ومثل أبى بكر بن الحد الحافظ الاندلس فى هذه الدولة وهل لكم فى حفاظ اللغة كابن سيده صاحب كتاب المحكم وكتاب السمار العالم الذى ان أعمى الله بصره فما أعمى بصيرته وهل لكم فى النحو مثل أبى محمد بن السيد وتصانيفه ومثل ابن الطراوة ومثل أبى على الشلوبين الذى بين اظهرنا الآن وقد سار فى المغارب والمشارق ذكره وهل لكم فى علم القرآن والفلسفة كابن باجة وهل لكم فى علم النجوم والهندسة والفلسفة ملك كالمقتدر بن هود صاحب سرقسطة فانه كان فى ذلك آية وهل لكم فى الطب مثل ابن طفيل صاحب رسالة حى بن يقظان المقدم فى علم الفلسفة ومثل بنى زهر أبى العلاء ثم ابنه عبد الملك ثم ابنه أبى بكر ثلاثة على نسق وهل لكم فى علم التاريخ كابن حيان صاحب المتين والمقتبس وهل عندكم فى رؤساء علم الادب مثل أبى عمر بن عبد ربه صاحب العقد وهل لكم فى الاعتناء بتخليد مآثر فضلاء اقليمه والاجتهاد فى حشد محاسنهم مثل ابن بسام صاحب الذخيرة وهب أنه كان يكون لكم مثله فما تصنع الكيسة فى البيت الفارغ وهل لكم فى بلاغة النثر كالفتح بن عبيد الله الذى ان مدح رفع وان ذم وضع وقد ظهر له من ذلك فى كتاب القلائد ماهو أعدل شاهد ومثل ابن أبى الخصال فى ترسله ومثل أبى الحسن سهل بن مالك الذى بين أظهرنا الآن فى خطبه وهل لكم فى الشعر ملك مثل المعتمد بن عباد فى قوله

وليل يسد النهر أنساقطعته * بذات سوار مثل منعطف النهر
نضت بردها عن غصن بان منعم * فياحسن ماانشق الكمام عن الزهر

وقوله فى أبيه

سميدع يهب الالاف مبتدئا * وبعد ذلك يلفى وهو يعتذر
له يد كل جبار يقبلها * لولا نداها لقلنا انها الحجر

ومثل ابنه الراضى فى قوله

مروابنا اصلا من غير ميعاد * فاوقدوا نار قلبى أى ايقاد
لاغروان زاد فى وجدى مرورهم * فرؤية الماء تذكى غلة الصادى

وهل لكم ملك ألف فى فنون الادب كتابا فى نحو مائة مجلدة مثل المظفر بن الافطس ملك بطليوس ولم تشغله الحروب ولا المملكة عن همة الادب وهل لكم من الوزراء مثل ابن عمار فى قصيدته التى سارت اشرد من مثل واحب الى الاسماع من لفا حبيب وصل التى منها

اثمرت رعلك من رؤس ملوكهم * لما رايت الغصن يعشق مثمرا
وصبغت درعك من دماء كماتهم * لما رايت الحسن يلبس أحمرا

وهذا يدل على زيادة فى الحجر وتشييد بنيانه وكانت مسافة البصر المحيط بهذا البنيان أميالا لم نذكرها اذ كان أمر ذلك مشهورا من وصف علو السور وعرضه (قال المسعودى) وقد ذكر بعض أهل الرواية والتنقير أنه قرأ على البوبهار يبلغ كتابا بالفارسية ترجمته قال يوداسف أبواب الملوك تحتاج الى ثلاث خصال عقل وصبر ومال واذا فتحته بالعربية كذب يوداسف الواجب على الحر اذا كان معه واحدة من هذه الخصال أن لا يلزم باب السلطان (والبيت الخامس) بيت غمدان الذى بمدينة صنعاء من بلاد اليمن وكان الضحاك بناه على اسم الزهرة وخربه عثمان بن عفان رضى الله عنه فهو فى وقتنا هذا خراب قد هدم فصار تلا عظيما وقد كان الوزير على بن موسى الجراح حين نفى الى اليمن وصار الى صنعاء بنى فيه سقاية وحفر فيه بئرا (ورايت غمدان) ودما وتلا عظيما قد ابهدم بنيانه وصار جبل تراب كانه لم يكن وقد كان أسعد بن يعفر صاحب قلعة كلان المنازل بها وصاحب

ومثل ابن زيدون في قصيدته التي لم يقل مع طولها في التشبيب ارق منها وهي التي يقول فيها

كأننا لم نبت والوصل ثالثنا * والسعد قد غض من أجفان واشينا
سران في خاطر الظلماء يكتمنا * حتى يكاد لسان الصبح يفشينا

وهل لكم من الشعراء مثل ابن وهبون في بديهته بين يدي المعتمد بن عباد واصابته الغرض حين استحسن المعتمد قول المتنبي

اذا ظفرت منك العيون بنظرة * أثاب بها معي المطي ورازمه

فارتجل

لئن جاد شعر ابن الحسين فانما * يجيد العطايا والالهة تفتح اللها
تنبأ عجبا بالقريض ولو درى * بانك تروي شعره لتألها

وهل لكم مثل شاعر الاندلس ابن دراج الذي قال فيه الثعالبي هو بالصقع الاندلسي كالمتنبي بصقع الشام الذي ان مدح الملوك قال مثل قوله

ألم تعلمي ان الثواء هو الثوا * وأن بيوت العاجزين قبور
وأن خطيرات المهالك ضمن * لراكبها أن الجزاء خطير
تخوفني طول السفار وانه * بتقبيل كف العامري جدير
مجير الهدى والدين من كل ملحد * وليس عليه للضلال مجير
تلاقت عليه من تميم ويعرب * شموس تلاقت في العلا وبدور
هم يستقلون الحياة لراغب * ويستصغرون الخطب وهو كبير
ولما توافوا للسلام ورفعت * عن الشمس في أفق الشروق ستور
وقد قام من زرق الاسنة دونها * صفوف ومن بيض السيوف سطور
رأوا طاعة الرحمن كيف اعتزازها * وآيات صنع الله كيف تنير
وكيف استوى بالبر والبحر مجلس * وقام بعبء الراسيات سرير
فجاؤا بمجالي والقلوب خوافق * وولوا بطاء والنواظر صور
يقولون والاجلال يخرس ألسنا * وحازت عيون ملأها وصدور
لقد حاط أعلام الهدى بك حائط * وقد رفيك المكرمات قدير

وأنا أقسم بما حازته هذه الابيات من غرائب الآيات لو سمع هذا المدح سيد بني حمدان لسلا به عن مدح شاعره الذي ساد كل شاعر ورأى أن هذه الطريقة أولى بمدح الملوك من كل ما تفنن فيه كل ناظم وناثر وان ذكر الغربة عن الاوطان ومكابدة نوائب الزمان قال

قالت وقد مزج الفراق مدامعا * بمدامع وتراثبا بتراثب
أتفرق حتى بمنزل غربة * كم نحن للايام نهبة ناهب
ولئن جنيت عليك ترحة راحل * فانا الزعيم لها بفرحة آيب
هل أبصرت عيناك بدرا طالعا * في الافق الا من هلال غارب

وان شبه قال

شيء من ذلك اذ كان تأثيرا عظيما وقد ذكر هذا البيت جد أمية بن أبي الصلت أخو أمية واسمه ربيعة في مدحه لسيف بن ذي يزن وقيل بل الممدوح بهذا الشعر معديكرب بن سيف حيث يقول

اشرب هنيأ عليك التاج مرتفقا * برأس غمدان دارا منك محلالا

وكان أبو أمية جاهليا وهو القائل في أصحاب الفيل ان آيات ربنا بينات
ما يماري بهن الا كفور
غلب الفيل بالمغمس حتى
ظل يجفو كأنه مسحور
حوله من شباب كندة فتيا
ن ملاويث في الحروب صقور
واضعا خلفه الجرار كما قط
ـر صخر من جانب محرور
وقيل ان ملوك اليمن كانوا اذا قعدوا في هذا البنيان بالليل واشتعلت الشموع رأى الناس ذلك من مسيرة ثلاثة أيام كثيرة (والبيت السادس) كارشان شاه بناه كارش الملك بناء عجيبا على الاسم المدبر الاعظم من الاجسام السماوية وهو الشمس بمدينة فرغانة من مدائن خراسان وخربه المعتصم بالله ولهدمه هذا البيت خبر ظريف قد اتينا على ذكره في كتاب اخبار الزمان (والبيت السابع) بأعالي بلاد

لمعاقل من سوسن قد شيدت * أيدى الربيع بناءها فوق القضب
شرفاتها من فضة وجمانها * حول الاميرلهم سيوف من ذهب

هل من شعرائكم من تعرض لذكر العفة فاستنبط مايسحر به السحر ويطيب به الزهر وهو
وعمرو بن فرج فى قوله

وطائعة الوصال عففت عنها * وما الشيطان فيها بالمطاع
بدت فى الليل سافرة فباتت * دياجى الليل سافرة القناع
ومامن لحظة الا وفيها * الى فتن القلوب لها دواعى
فملكت النهى حجاب شوقى * لأجرى فى العفاف على طباعى
وبت بها مبيت السقب يظما * فيمنعه العكام من الرضاع
كذاك الروض مافيه لمثلى * سوى نظر وشم من متاع
ولست من السوائم مهملات * فأتخذ الرياض من المراعى

وهل بلغ أحد من مشبهى شعرائكم أن يقول مثل قول أبى جعفر اللهاى

عارض أقبل فى جنح الدجا * يتهادى كتهادى ذى الوجا
بددت ريح الصبا لؤلؤه * فانبرى يوقد عنها سرجا

ومثل قول أبى حفص بن برد

وكأن الليل حين لوى * ذاهبا والصبح قد لاحا
كلة سوداء احرقها * عامد أسرج مصباحا

وهل منكم من وصف ماتحدثه الخمرة من الحمرة على الوجنة بمثل قول الشريف الطليق

أصبحت شمسا وفوه مغربا * ويد الساقى المحيى مشرقا
واذا ماغربت فى فيه * تركت فى الخد منه شفقا

مثل هذا الشعر فليطلق اللسان ويفخر على كل انسان وهل منكم من عد الى قول
امرئ القيس

سموت اليها بعد ماناام أهلها * سموّ حباب الماء حالا على حال

فاختلسه اختلاس النسيم لنفحة الازهار وسلبه بلطف استلاب الشمس لرضاب طل
الاسحار فلطفه تلطيفا يمتزج بالارواح ويغنى فى الارتياح عن شرب الراح وهو
ابن شهيد فى قوله

ولما تملأ من سكره * ونام ونامت عيون الحرس
دنوت اليه على قربه * دنوّ رفيق درى ما التمس
أدب اليه دبيب الكرى * وأسمو اليه سموّ النفس
أقبل منه بياض الطلى * وأرشف منه سواد اللعس
فبت به ليلتى ناعما * الى أن تبسم ثغر الغلس

وقد تناول هذا المعنى ابن أبى ربيعة على عظم قدره وتقدمه فعارض الصهيل بالنهاق وقابل
العذب بالزعاق فقال وليته سكت

منشأ هذا الملك وعمده وباعث الامور اليه وقيل انما بناه بعض ملوك الترك فى قديم الزمان وجعله سبعة أبيات فى كل بيت منها سبع كوى يقابل كل كوة صورة منصوبة على صورة من الخمسة والنيرين من انواع الجواهر المضافة الى تاثير تلك الكواكب من ياقوت اوزمرذ على اختلاف الوان الجواهر ولهم فى هذا الهيكل سر يسرونه فى بلاد الصين بما قد زخرف لهم فيه القول وزينه لهم الشيطان ولهم فى هذا الهيكل علوم فى اتصال الاجسام السماوية وأفعالها بعالم الكون الذى تحدثه ومايحدث فيه من الحركات والافعال عند تحرك الاجسام السماوية فى هذا العالم وهو على حسب الذى نسج فيه بنصب من حركات الطبائع بتلك الخشب والخيوط الابريسم تحدث ضروب من الحركات فاذا اتصلت أفعاله وتواترت حركاته من النسج للثوب الديباج تمت الصورة فيه فبضرب من الحركات يظاهر جناح طائر وبآخر رأسه وبآخر رجلاه فلا يزال كذلك حتى تتم الصورة

على حسب مراد الصانع فجعلوا هذا المثال واتصال الابريسم بآلة النسج ومايحدثه الصانع فى ذلك من الافعال مثالا لما

ذكرنا من الكواكب العلوية وهي الاجسام السماوية فبضرب من الحركات ظهر في العالم الطائر وبضرب آخر فرخ

وكذلك سائر ما يحدث في العالم ويسكن ويتحرك ويوجد ويعدم ويتصل وينفصل ويجتمع ويفترق ويزيد وينقص من جماد ونبات أو حيوان ناطق أو غير ناطق فانما يحدث عن حركات الكواكب على حسب ما وصفنا من نهج الديباج وغيره من الصنائع واهل صناعة النجوم لا يثنا كرون ان يقولوا اعطته الزهرة كذا واعطاه المريخ كذا كالشقرة وصهوبة الشعر واعطاه عطارد دقة الصنعة واعطاه المشتري الحياء والعلم والدين واعطته الشمس كذا واعطاه القمر كذا وهذا باب يكثر القول فيه ويتسع وصف مذاهب الناس فيه وما قالوه في بابه

(ذكر البيوت المعظمة عند اليونانيين)

البيوت المضاف بناؤها الى من سلف من اليونانيين ثلاثة بيوت فبيت منها كان بانطاكية من ارض الشام على جبل بها داخل المدينة والسور محيط بها وقد جعل المسلمون في موضعه مرقبا لينذرهم من قد رتب فيه من الرجال بالروم اذا وردوا من البر والبحر وكانوا يعظمونه ويتقربون فيه القرابين فخرب عند مجيء الاسلام وقد قيل ان قسطنطين الاكبر بن هيلانه وقال

ونقصت عني العين اقبلت مشية الـ ـسحاب وركني خيفة القوم أزور
وأنا أقسم لو زار جل محبوبة له لكان الطف في الزيارة من هذا الازور الركن المنقص للعيوب لكنه ان أساء هنا فقد أحسن في قوله

قالت لقد أصبتنا حجـ ـة * فأت اذا ما هجع الساهر
واسقط علينا كسقوط الندى * ليلة لا ناه ولا زاجر

ولله در محمد بن سفر أحد شعرائنا المتأخرين عصرا المتقدمين قدرا حيث نقل السعي الى محبوبته فقال وليته لم يزل يقول مثل هذا فمثله ينبغي أن يتكلم ومثله يليق أن يدون

وواعدتها والشمس تجنح للنوى * بزورتها شمسا وبدرا الدجى يسرى
فجاءت كما يمشي سنى الصبح في الدجى * وطورا كما مر النسيم على النهر
فعطرت الآفاق حولي فاشعرت * بمقدمها والعرف يشعر بالزهر
فتابعت بالتقبيل آثار سعيها * كما يتقصى قارئ أحرف السطر
فبت بها والليل قد نام والهوى * تنبه بين الغصن والحقف والبدر
أعانقها طورا وألثم تارة * الى أن دعتنا للنوى راية الفجر
ففضت عقود المعانق بيننا * فيا ليلة القدر اتركي ساعة النفر

وهل منكم من قيد بالاحسان فأطلق لسانه الشكر فقال وهو ابن اللبانة

بنفسي وأهلي جيرة ما استعنتهم * على الدهر الا واثنيت معانا
أراشوا جناحي ثم بلوه بالندى * فلم أستطع من أرضهم طيرانا

ومن يقول وقد قطع عنه ممدوحه ما كان يعتاده منه من الاحسان فقابل ذلك بقطع مدحه له فبلغه أنه عتبه على ذلك وهو ابن وضاح

هل كنت الا طائرا بثنائكم * في دوح مجدكم اقوم واقعد
ان تسلبوني ريشكم وتقلصوا * عني ظلالكم فكيف اغرد

وهل منكم شاعر راى الناس قد ضجوا من سماع تشبيه الثغر بالاقاح وتشبيه الزهر بالنجوم وتشبيه الخدود بالشقائق فتلطف لذلك في ان يأتي به في منزع يصير خلقه في الاسماع جديدا وكليله في الافكار حديدا فأغرب احسن اغراب واعرب عن فهمه بحسن تخيله انبل اعراب وهو ابن الزقاق

واغيد طاف بالكؤس ضحا * وحثها والصباح قد وضحا
والروض اهدى لناشقائقه * وآسه العنبري قد نفحا
قلنا وابن الاقاح قال لنا * اودعته ثغر من سقى القدحا
فظل ساقي المدام يجعدما * قال فلما تبسم افتضحا

وقال

ادر اها على الروض المندى * وحكم الصبح في الظلماء ماضي
وكأس الراح تنظر عن حباب * ينوب لنا عن الحدق المراض
وما غربت نجوم الافق لكن * نقلن من السماء الى الرياض

وقال

ورياض من الشقائق افصحت * يتهادى بها نسيم الرياح
زرتها والغمام يجلد منها * زهرات تروق لون الراح
قلت فاذ نبهتها فقال مجيبا * سرقت حمرة الخدود الملاح

فانظر كيف زاحم بهذا الاختيال المخترعين وكيف سابق بهذا اللفظ المبتدعين وهل منكم من برع في اوصاف الرياض والمياه وما يتعلق بذلك فانتهى الى غاية السباق وفضح كل من طمع بعده في اللحاق وهو ابو اسحق بن خفاجة القائل

وعشي انس اضجعتني نشوة * فيها يهد مضجعي ويدمث
خلعت على بها الاراكة ظلها * والغصن يصغي والحمام يحدث
والشمس تجنح للغروب مريضة * والرعد يرقى والغمامة تنفث

والقائل

لله نهر سال في بطحاء * أشهى ورودا من لمى الحسناء
متعطف مثل السوار كانه * والزهر يكنفه مجر سماء
قدرق حتى ظن قرصا مفرغا * من فضة في بردة خضراء
وغدت تحف به الغصون كانها * هدب تحف بمقلة زرقاء
ولطالما عاطيت فيه مدامة * صفراء تخضب أيدي الندماء
والريح تعبث بالغصون وقد جرى * ذهب الاصيل على لجين الماء

والقائل

حث المدامة والنسيم عليل * والظل خفاق الرواق ظليل
والروض مهتز المعاطف نعمة * نشوان تعطفها الصبا فيميل
ريان تضحكه الندى ثم انجلى * عنه فذهب صفحتيه أصيل

والقائل

أذن الغمام بديمة وعقار * فامزج لجينا منهما بنضار
وار بع على حكم الربيع باجرع * هزج الندامى منصح الاطيار
متقسم الالحاظ بين محاسن * من رد في رابية وخصر قرار
نثرت بحجر الروض فيه يد الصبا * درر الندى ودراهم الانوار
وهفت بتغريد هنالك أيكة * خفاقة بمهب ريح عرار
هزت له أعطافها ولربما * خلعت عليه ملاءة النوار

والقائل

سقيا لها من بطاح خز * ودوح نهر بها مطل
اذ لا ترى غير وجه شمس * أظل فيه عذار طل

والقائل

نهر كما سال اللمى سلسال * وصبا بليل ذيلها مكسال

والهيا كل من الذهب والفضة وأنواع الجواهر وقد قيل ان هذا البيت هو بيت عدينة انطاكية على يسرة الجامع الى اليوم وكان هيكلا عظيما والصابئة تزعم أن الذي بناه سفلانيوس وهو في هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة يعرف بسوق الجزارين وقد كان ثابت بن قرة بن كرايا الصابئ الحراني حين وافى المعتضد في سنة تسع وثمانين ومائتين في طلب وصيف الخادم ابن ثابت أتى هذا الهيكل وعظمه وأخبر من شانه ما وصفنا (والبيت الثاني) من بيوت اليوناتيين هو بعض تلك الاهرام التي ببلاد مصر وهو يرى من الفسطاط على أميال منها (والبيت الثالث) هو بيت المقدس على ما زعم القوم والشريعة انما تخبر أن داود عليه السلام بناه وأتمه سليمان بعد وفاة أبيه والمجوس تزعم أن الذي بناه الضحاك وأنه سيكون له في المستقبل من الزمان خطب طويل ويقعد فيه ملك عظيم وذلك عند ظهور موسى على بقرة من صفتها كذا ومعه من الناس كذا من العدد وأقاصيص تدعيها

المجوس في هذا المعنى واختلاط طويل فنزه كتابنا عن ذكره والله تعالى ولي التوفيق

ومهب نفحة روضة مطلولة * في جانبيها للنسيم مجال
غازلتها والاقحوانة مبسم * والآس صدغ والبنفسج خال

والقائل

وساق كحيل اللحظ في شأوحسنه * جماح وبالصبر الجميل حران
ترى للصبا نارا بخديه لم يثر * لها من سوادي عارضيه دخان
سقاها وقد لاح الهلال عشية * كما اعوج في درع الكمي سنان
عقارا غماها الكرم فهي كريمة * ولم تزن بابن المزن فهي حصان
وقد جال من جون الغمامة أدهم * له البرق سوط والسنان عنان
وضمخ درع الشمس نحر حديقة * عليه من الطل السقيط جمان
ونمت بأسرار الرياض خميلة * لها النور ثغر والنسيم لسان

والقائل في وصف فرس ولم يخرج عن طريقته

واشقر تضرم منه الوغى * بشعلة من شعل الباس
من جلنار ناضر لونه * واذنه من ورق الآس
تطلع للغرة في شقرة * حبابة تخجل في كاس

وهل منكم من يقول مناديا لنديمه وقد بارزوضا بمحبوب وكاس فالفاه قد غطى محاسنه ضباب فخاف ان يكسل نديمه عن الوصول اذا رأى ذلك وهو ابو الحسن بن بسام

الا بادر فتانا سوى ما * عهدت الكاس والبدر التمام
ولا تكسل برؤيته ضبابا * تغص به الحديقة والمدام
فان الروض ملتثم الى أن * توافيه فينحط اللثام

وهل منكم من تغزل في غلام حائك بمثل قول الرصافي

قالوا وقد اكثروا في حبه عذلي * لو لم تهم بعذال القدر مبتذل
فقلت لو كان امري في الصبابة لي * لاخترت ذلك ولكن ليس ذلك لي
علقته حبي الثغر عاطره * حلو اللمى ساحر الاجفان والمقل
غزيل لم تزل في الغزل جائلة * بنانه جولان الفكر في الغزل
جذلان تلعب بالمحوك انمله * على السدى لعب الايام بالاجل
ضمابكفيه أو فحصا باخمصه * تخبط الظبي في أشراك محتبل

ومثل قوله في تغلب مسكة الظلام على خلوق الاصيل

وعشي رائق منظره * قد قطعناه على صرف الشمول
وكأن الشمس في اثنائه * الصقت بالارض خدا للنزول
والصبا ترفع أذيال الربا * ومحيا الجو كالنهر الصقيل
حبذا منزلنا مغتبقا * حيث لا يطرقنا غير الهديل
طائر شاد وغصن منشن * والدجى تشرب صهباء الاصيل

وهل منكم من يقول في موشح فيما يجريه هذا المعنى

بيت ببلاد المغرب بمدينة قرطاجنة وهي تونس وراء بلاد القيروان وهي من أرض الافرنجة وبني على اسم الزهرة بأنواع من الرخام والبيت الثاني بافرنجة وهو بيت عظيم عندهم والبيت الثالث عندهم بمقدونة وقد أتينا على أخباره وأخبار غيره فيما سلف من كتبنا والله تعالى أعلم

(ذكر البيوت المعظمة عند الصقالبة)

كانت في ديار الصقالبة بيوت تعظمها منها بيت كان لهم في هذا الجبل الذي ذكرت الفلاسفة أنه أحد جبال العالم العالية وهذا البيت له خبر في كيفية بنائه وترتيب أحجاره واختلاف ألوانه والمخاريق المصنوعة وما أودع فيه من الجواهر والآثار المرسومة فيه الدالة على الكائنات المستقبلة وما تدل به تلك الجواهر من الاحداث قبل كونها وظهور أصوات من أعاليه بهم وما كان يلحقهم من سماع ذلك (وبيت) اتخذه ملوكهم على الجبل الاسود يحيط به مياه عجيبة ذوات ألوان وطعوم مختلفة عامة المنافع وكان لهم فيه صنم عظيم على صورة رجل قد انحنى على نفسه وهو شيخ بيده عصا يحرك بها

وردا الاصيل تطوى به كف الظلام

وهو أبو القاسم بن الفرس وهل منكم من وصف غلاما جميل الصورة اقصا بمثل قول ابن خروف

ومنزع الحركات يلعب بالنهى * لبس المحاسن عند خلع لباسه
متأودا كالغصن وسط رياضه * متلاعبا كالظبي عند كناسه
بالعقل يلعب مدبرا أو مقبلا * كالدهر يلعب كيف شاء بناسه
و يضم للقدمين منه راسه * كالسيف ضم ذبابه لرياسه

وهل منكم من وصف خالا باحسن من قول النشار

ألوا مى على كافي بحبي * متى من حبه أرجو سراحا
و بين الخد والشفتين خال * كزنجي أتى روضا صباحا
تحير في جناه فليس يدري * أيجني الورد أم يجني الاقاحا

وهل منكم الذى اهتدى الى معنى في لثم وردة الخد ورشف رضاب الثغر لم يهتد اليه أحد غيره وهو أبو الحسن بن سلام المالقي في قوله

لما ظفرت بليلة من وصله * والصب غير الوصل لا يشفيه
أنجحت وردة خده بتنفسي * وطفقت أرشف ماءها من فيه

وهل منكم من هجا من غير النطق باقذاع فبلغ ما لم يبلغه المقذع وهو المخزومي في قوله

يود عيسى نزول عيسى * عساه من دائه يريح
وموضع الداء منه عضو * لا يرتضي مسه المسيح

ولما أقذع أتى أيضا بابدع فقال

يا فارس الخيل ولا فارس * الا على متن جواد الخصى
زدت على موسى وآياته * تفجر الماء وتخفى العصا

وهل منكم من مدح بمعنى فبلغ به النهاية من المدح ثم نقله الى الهجاء فبلغ به النهاية من الذم وهو البكي في قوله مادحا

قوم لهم شرف العلا في حمير * واذا انتموا لمتونة فهمهم
لما حووا احراز كل فضيلة * غلب الحياء عليهم فتلثموا

وفي قوله هاجيا

ان المرابط باخل بنواله * لكنه بعياله يتكرم
الوجه منه مخلق لقبيح ما * يأتيه فهو من اجله يتلثم

وهل منكم من هجا أشتر العين بمثل قول أبي العباس بن جنون الاشبيلي

يا طلعة أبدت قبائح جمة * فالكل منها ان نظرت قبيح
أبعينك الشتراء عين ثرة * منها ترقرق دمعها المسفوح
شترت فقلنا ورق في لجة * مالت باحدى دفتيه الريح
وكانما انسانها ملاحها * قد خاف من غرق فظل يميح

الاخرى غرابيب سود ومن صور الغداف وغيرها وصور عجيبة لانواع من الاحابيش والزنج (وبيت آخر) على جبل لهم يحيط به خليج من البحر قد بنى باحجار المرجان الاحمر وأحجار الزمرذ الاخضر في وسطه قبة عظيمة تحتها صنم عظيم أعضاؤه من جواهر أربعة زمرذ أخضر وياقوت أحمر وعقيق أصفر وبلور أبيض ورأسه من الذهب الاحمر وبازائه صنم آخر على صورة جارية وكان يقرب له قرابين ودخن وكان ينسب هذا البيت الى حكيم كان لهم في قديم الزمان وقد أتينا على خبره وما كان من أمره بارض الصقالبة وما أحدث فيهم من الذبول والحيل والمخاريق المصطنعة التي اجتذب بها قلوبهم وملك نفوسهم واسترق بها عقولهم مع شراسة أخلاق الصقالبة واختلاف طبائعهم فيما سلف من كتبنا والله تعالى ولي التوفيق

(ذكر بيوت معظمة وهيا كل شريفة للصابئة وغيرها مما يلحق بهذا الباب)

للصابئة من الحرانيين هيا كل على اسم الجواهر العقلية والكواكب (فمن ذلك) هيكل العلة الاولى وهيكل العقل وما أدري أشاروا الى العقل

وهل منكم من حضر مع عدوّ له جاحد لما فعله معه من الخير وأمامهما زجاجة سوداء فيها خمر فقال له الحسود المذكور ان كنت شاعرا افضل فى هذه فقال ارتجالا وهو ابن بجير

سلوا لى الندمان أم زجاجة * تردت بثوب حالك اللون أسحم
تصبب بها شمس المدامة بيننا * فتغرب فى جنح من الليل مظلم
وتجعد أنوار الحيا بلونها * كقلب حسود جاحد يدمنم

وهل منكم من قال لفاضل جمع بينه وبين فاضل وهو أبو جعفر الذهبى

ايها الفاضل الذى قد هدانى * نحو من قد حمدته باختيار
شكر الله ما أتيت وجازا * ك ولازلت نجم هدى لسارى
أى برق أفاد أى غمام * وصباح أدى لضو منهار
واذا ما غدا النسيم دليلى * لم يحلنى الا على الازهار

وهل منكم أعمى قال فى ذهاب بصره وسواد شعره وهو الطليطلى

أما اشتفت منى الايام فى وطنى * حتى تضايق فيما عن من وطرى
ولا قضت من سواد العين حاجتها * حتى تكر على ما طل فى الشعر

وهل منكم الذى طار فى مشارق الارض ومغاربها وهو ابو القاسم محمد بن هانئ الاليبرى

فتقت لكم ريح الجلاد بعنبر * وأمدكم فلق الصباح المسفر
وجنيتم ثمر الوقائع يانعا * بالنصر من ورق الحديد الاخضر

وقد سمعت فائته فى النجوم ولولا طولها لاثبتها هنا فانها أحسن ما قيل فى معناها

وهل منكم من قال فى الزهد مثل قول أبى وهب العباسى القرطبى

انا فى حالتى التى قد ترانى * ان تأملت أحسن الناس حالا
منزلى حيث شئت من مستقر الارض أسقى من المياه زلالا
ليس لى كسوة أخاف عليها * من مغير ولن ترى لى مالا
أجعل الساعد اليمين وسادى * ثم أنى اذا انقلبت الشمالا
ليس لى والد ولا مولود * لا ولا خفت مذ عقلت عيالا
قد تلذذت حقبة بامور * فتأملتها فكانت خيالا

ومثل قول أبى محمد عبد الله بن العسال الطليطلى

انظر الدنيا فان أبصرتها * شيئا يدوم
فاغد منها فى أمان * ان يساعدك التعيم
واذا أبصرتها منك على كرهتهم
فاسل عنها واطرحها * وارتحل حيث تقيم

وهل نشأ عندكم من النساء مثل ولادة المروانية التى تقول مداعبة للوزير ابن زيدون وكان له غلام اسمه على

مالابن زيدون على فضله * يغتابنى ظلما ولا ذنب لى
ينظر فى شزرا اذا جئته * كأنما جئت لأحصى على

الاول أم الثانى وذكر ذلك ارسطوطاليس فى كتابه فى شرح كتاب النفس الذى عمله صاحب المنطق وقد ذكر العقل الاول والثانى الاسكندر والافرديس فى مقالة أفردها فى ذلك قد ترجمها اسحق بن حنين (ومن هياكل الصابئة) هيكل النبلة وهيكل الصورة وهيكل النفس وهذه مدورات الشكل وهيكل زحل مسدس وهيكل المشترى مثلث وهيكل المريخ مستطيل وهيكل الشمس مربع وهيكل عطارد مثلث الشكل فى جوف مربع مستطيل وهيكل الزهرة مثلث فى جوف مربع وهيكل القمر مثمن الشكل (وقد حكى رجل) من ملكية النصارى من أهل حران يعرف بالحرث بن سنبساط للصابئة الحرانيين أشياء ذكرها من قرابين يقربونها من الحيوان ودخن للكواكب يبخرون بها وغير ذلك مما امتنعنا عن ذكره مخافة التطويل (والذى بقى) من هياكلهم المعظمة فى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة بيت

لهم بمدينة حران فى باب الرقة يعرف بمصلينا وهو هيكل آزر أبى ابراهيم الخليل عليه السلام ومثل

ومثل زينب بنت زياد المؤدب الوادى آشية التى تقول

ولما أبى الواشون الا فراقنا * ومنهم عندى وعندك من ثار
وشنوا على اسماعنا كل غارة * وقل حماتى عند ذاك وانصارى
غزوتهم من مقلتيك وأدمعى * ومن نفسى بالسيف والماء والنار

وأنا أختم هذه القطع المتخيرة بقول أبى بكر بن بقى ليكون الختام مسكا

عاطيته والليل يسحب ذيله * صهباء كالمسك الفتيق لباشق
وضممته ضم الكمى لسيفه * وذؤابتاه حمائل فى عاتقى
حتى اذا مالت به سنة الكرى * زحزحته شيئا وكان معانقى
باعدته عن أضلع تشتاقه * كيلا ينام على وساد خافق

ويقول القاضى أبى حفص بن عمر القرطبى

هم نظروا لواحظها فهاموا * وتشرب لب شاربها المدام
يخاف الناس مقلتها سواها * أيذعر قلب حامله الحسام
سما طرفى اليها وهو باك * وتحت الشمس ينسكب الغمام
وأذكرقدها فانوح وجدا * على الاغصان تنتدب الحمام
وأعقب بينها فى الصدر غما * اذا غربت ذكاء أتى الظلام

ويقوله أيضا

لها ردف تعلق فى لطيف * وذاك الردف لى ولها ظلوم
يعذبنى اذا فكرت فيه * ويتعبها اذا رامت تقوم

وقد أطلت عنان النظم على انى اكتفيت عن الاستدلال على النهار بالصباح فبالله الا ما أخبرتنى من شاعركم الذى تقابلون به شاعرا ممن ذكرت لا أعرف لكم أشهر ذكرا وأضخم شعرا من أبى العباس الجراوى وأولى لكم ان تجحدوا فخره وتنسوا ذكره فقد كفاكم ما جرى من الفضيحة عليكم فى قوله من قصيدة يمدح بها خليفة

اذا كان املاك الزمان اراقما * فانك فيهم دائم الدهر ثعبان

فما اقبح ما وقع ثعبان وما اضعف ما جاء دائم الدهر ولقد أنشدت احد ظرفاء الاندلس هذا البيت فقال لا ينكر هذا على مثل الجراوى فسبحان من جعل روحه ونسبه وشعره تتناسب فى الثقالة وان اردت الافتخار بالفرسان والتفاضل بالشجعان فمن كان قبلنا منهم فى مدة المنصور بن ابى عامر ومدة ملوك الطوائف اخبارهم مشهورة وآثارهم مذكورة وكفاك من ابطال عصرنا ما سمعت عن الامير ابى عبد الله بن مردنيش وانه كان يدفع فى مواكب النصارى ويشقها يمينا ويسارا منشدا

اكر على الكتيبة لا ابالى * أحتفى كان فيها ام سواها

حتى انه دفع يوما فى موكب من النصارى فصرع وقتل وظهر منه ما أعجبت به نفسه فقال لشيخ من خواصه عالما بامور الحرب مشهورا بها كيف رأيت فقال له لو رآك السلطان زاد فيما لك فى بيت المال واعلى مرتبتك امن يكون راس جيش يقدم هذا الاقدام ويتعرض

ومما ذكر فى هذه القصيدة قوله ان نفيس الجواهر * بيت لهم فى سراديب تعبد فيه الكواكب أصنامهم خلف غائب

عيسون الحرانى القاضى وكان ذا فهم ومعرفة وتوفى بعد الثلثمائة قصيدة طويلة يذكر فيها مذاهب الحرانيين المعروفين بالصابئة ذكر فيها هذا البيت وما تحته من السراديب الاربعة المتخذة لانواع صور الاصنام التى جعلت مثالا للاجسام السماوية وما ارتفع من ذلك من الاشخاص العلوية وأسرار هذه الاصنام وكيفية ايرادهم لاطفالهم الى هذه السراديب وعرضهم لهم على هذه الاصنام وما يحدث ذلك فى ألوان صبيانهم من الاستحالة الى الصفرة وغيرها مما يسمعون ظهور أنواع الاصوات وفنون اللغات فى تلك الاصوات من الاصنام والاشخاص بحيل قد اتخذت ومنافيخ قد عملت تقف السدنة من وراء جدر فتتكلم بانواع من الكلام فتجرى الاصوات فى تلك المنافيخ والمخاريق والمنافذ الى تلك الصور المجوفة والاصنام المشخصة فيظهر منها نطق على حسب ما قد عمل فى قديم الزمان فيصطادون بها العقول وتسترق بها الرقاب ويقام بها الملك والممالك

وهذه الطائفة المعروفة بالحرانيين والصابئة فلاسفة الا انهم من حشوية الفلاسفة وعوامهم مضافون لخواص حكمائهم اضافة سبب لا اضافة حكمة لانهم يونانية وليس كل اليونانيين فلاسفة انما الفلاسفة كما ذكرهم (ورأيت) على باب مجمع الصابئة بمدينة حران مكتوبا بالسريانية قولا لافلاطون فسره مالك بن عفنون منهم وهو من عرف ذاته تأله وقد قال أفلاطون الانسان نبات سماوى والدليل على هذا أنه شبيه شجرة منكوسة أصلها الى السماء وفروعها فى الارض ولافلاطون كلام كثير فى هل النفس فى البدن أو البدن فى النفس كالشمس أهى فى الدار أو الدار فى الشمس وهذا قول تغلغل بنا الكلام فيه كالكلام فى تنقل الارواح فى انواع الصور (وقد تنازع) أهل هذه الآراء ممن قصدهذه المقالة فى النقلة على وجهين وطائفة من الفلاسفة القدماء اليونانيين والهند ممن لم يثبت كلاما منزلا ولا نبيا مرسلا منهم افلاطون ومن يمم طريقهم فانه حكى عنهم أنهم زعموا أن النفس جوهر ليست بجسم وانها حية عالمة مميزة لاجل ذاتها وجوهرها وانها هى المدبرة للاجسام المركبة من طبائع الارض المتضادة وغرضها فى ذلك أن تقيمها فى بهلاك نفسه الى هلاكهم فقال له دعنى فانى لا أموت مرتين واذا مت انا فلا عاش من بعدى والقائد ابو عبد الله بن قادوس الذى اشتهر من شجاعته ومواقعه فى النصارى وحسن بلائه ما صير النصارى من رعبه والاقرار بفضله فى هذا الشان أن يقول احدهم لفرسه اذا سقاه فلم يقبل على الماء مالك اراك ابن قادوس فى الماء وهذه مرتبة عظيمة * والفضل ما شهدت به الاعداء * ولقد اخبرنى من اثق به انه خرج من عسكر فى كتيبة مجردة برسم الغارة على بلاد النصارى فوقع فى جمع كبير منهم فجهد جهده فى الخلاص منهم والرجوع الى العسكر فجعل يقاتل مع اصحابه فى حالة الفرار الى ان كبا باحد جنده فرسه وفرعنه فناداه مستغيثا فقال اصبر ثم نظر الى فارس من النصارى قد طرف فقال اجرالى هذا النصرانى فخذ فرسه وركض نحوه فاسقطه وقال لصاحبه اركب فركب ونجا معه سالما وامثال هذا كثير وانما جئت بحصاة من تبير واما كرم النفس وشمائل الرياسة فانا احكى لك حكاية تتعجب منها وهى مما جرى فى عصرنا وذلك ان ابا بكر بن زهر نشأت بينه وبين الحافظ ابى بكر بن الجد عداوة مفرطة للاشتراك فى العلم والرياسة وكثرة المال والبلدية فاجرى ابن زهر يوما ذكره فى جماعة من اصحابه وقال لقد آذانا هذا الرجل أشد اذية ولم يقصر فى القول عند امير المؤمنين وعند خواص الناس وعوامهم فقال له احد عوامهم انى اذكر لك عليه عقدا فيه مخاصمة فى موضع مما يعز عليه من مواضعه ومتى خاصمته فى ذلك بلغت منه فى النكاية اشد مبلغ فخرج ابن زهر واظهر الغضب الشديد والانكار لذلك وقال لو كيله امثلى يجازى على العداوة بما يجازى به السفل والاوباش وانى اجعل ابن الجد فى حل من موضع الخصام وامر بان يحمل له العقد ثم قال وانى والله ما اروم بذلك اصالحه فان عداوته شديدة من حسد وانا أسال الله تعالى ان يديمها لانها مقترنة بدوام نعم الله على * وان تعرضت الى ذكر البلاد وتفسير محاسنها وما خصها الله تعالى به مما حرمه على غيرها فاسمع ما يميت الحسود كمدا * أما اشبيلية فمن محاسنها اعتدال الهواء وحسن المبانى وتزيين الخارج والداخل وتمكن التمصر حتى ان العامة تقول لو طلب ابن الطير فى اشبيلية وجد ونهرها الاعظم الذى يصعد المد فيه اثنين وسبعين ميلا ثم يحسر وفيه يقول ابن سفر

شق النسيم عليه جيب قميصه * فانساب من شطيه يطلب ثاره
فتضاحكت ورق الحمام بدوحها * هزأ فضم من الحياء ازاره

وزيادته على الانهار كون ضفتيه مطرزتين بالمنازه والبساتين والكروم والانسام متصل ذلك اتصالا لا يوجد على غيره واخبرنى شخص من الاكياس دخل مصر وقد سالته عن نيلها انه لا تتصل بشطيه البساتين والمنازه اتصالها بنهر اشبيلية وكذلك اخبرنى شخص آخر دخل بغداد وقد سعد هذا الوادى بكونه لا يخلو من مسرة وان جميع ادوات الطرب وشرب الخمر فيه غير منكر لانه عن ذلك ولا منتقد مالم يؤد السكر الى شر وعربدة وقد رام من وليها من الولاة المظهرين للدين قطع ذلك فلم يستطيعوا ازالته واهله اخف الناس ارواحا واطبعهم نوادر واحلمهم امزاح باقبح ما يلون من السب قد مرنوا على ذلك فصار لهم ديدنا حتى صار عندهم من لا يبتذل فيه ولا يتلاعن معقوتا ثقيلا وقد سمعت عن شرف اشبيلية الذى ذكره احد الوشاحين

في موشحة مدح بها المعتضد بن عباد اشبيلية عروسا وبعلها عباد وتاجها الشرف ومسلكها الواد اى شرف قد حاز ما شاء من الشرف اذ هم اقطار الارض خيره وسفره ما يعصر من زيتونه من الزيت حتى بلغ الاسكندرية وتزيد قراه على غيرها من القرى بانتخاب مبانيها وتهم سكانها فيها دا خلا وخارجا اذهى من تبييضهم لها نجوم فى سماء الزيتون وقيل لاحد من رأى مصر والشام ايهما رأيت أحسن هذان أم اشبيلية فقال بعد تفضيل اشبيلية وشرفها غابة بلا أسد ونهرها نيل بلا تمساح وقد سمعت عن جبال الرحمة بخارجها وكثرة ما فيها من التين القوطى والشعرى وهذان الصنفان أجمع المتجولون فى أقطار الارض أن ليس فى غير اشبيلية مثل لهما وقد سمعت ما فى هذا البلد من أصناف ادوات الطرب كالخيال والكريج والعود والروضة والرباب والقانون والمؤنس والكنيرة والفنار والزلامى والشقرة والنوبة وهما مزماران الواحد غليظ الصوت والآخر رقيقه والبوق وان كان جميع هذا موجودا فى غيرها من بلاد الاندلس فانه فيها أكثر وأوجد وليس فى برالعدوة من هذا شئ الا ما جلب اليه من الاندلس وحسبهم الدف والقوال واليراع أبو قرون ودبدبة السودان وحمائق البرابر وأما جواريها ومراكبها براوبحرا ومطابخها وفواكهها الخضراء واليابسة فاصناف اخذت من التفضيل باوفر نصيب واما مبانيها فقد سمعت عن اتقانها واهتمام اصحابها بها وكون اكثر ديارها لا تخلو من الماء الجارى والاشجار المتكاثفة كالنارنج والليم والليمون والرنبوع وغير ذلك واما علماؤها فى كل صنف رفيع اووضيع جدا اوهزلا فاكثر من أن يعدوا واشهر من ان يذكروا واما ما فيها من الشعراء والوشاحين والزجالين فالوقوف على برالعدوة ضاق بهم والكل ينالون خير رؤسائها ورفدهم ومامن جميع ما ذكرت فى هذه البلدة الشريفة الا وقصدى به العبارة عن فضائل جميع الاندلس فما تخلو بلادها من ذلك ولكن جعلت اشبيلية بل الله جعلها ام قراها ومركز فخرها وعلاها اذهى اكبر مدنها واعظم امصارها * واما قرطبة فكرسى المملكة فى القديم ومركز العلم ومنار التقى ومحل التعظيم والتقديم بها استقرت ملوك الفتح وعظماؤه ثم الملوك المروانية وبها كان يحيى بن يحيى راوية مالك وعبد الملك بن حبيب وقد سمعت من تعظيم أهلها للشريعة ومنافستهم فى السودد بعلمها وملوكها كانوا يتواضعون لعلمائها ويرفعون أقدارهم ويصدرون عن آرائهم وانهم كانوا لا يقدمون وزيرا ولا مشاورا ما لم يكن عالما حتى ان الحكم المستنصر لما كره له العلماء شرب الخمر هم بقطع شجرة العنب من الاندلس فقيل له فانها تعصر فى سواها فامسك عن ذلك وانهم كانوا لا يقدمون أحدا للفتوى ولا لقبول الشهادة حتى يطول اختباره وتعقد له مجالس المذاكرة ويكون ذا مال فى غالب الحال خوفا من أن يميل به الفقر الى الطمع فيما فى أيدى الناس فيبيع به حقوق الدين ولقد أخبرت أن الحكم الربضى أراد تقديم شخص من الفقهاء يختص به للشهادة فاخذ فى ذلك مع يحيى بن يحيى وعبد الملك وغيرهما من اعلام العلماء فقالوا له هو أهل ولكنه شديد الفقر ومن يكون فى هذه الحالة لا تؤمنه على حقوق المسلمين لاسيما وأنت تريد انتفاعه وظهوره فى الدخول فى المواريث والوصايا وأشباه ذلك فسكت ولم يرد منازعتهم وبقى مهموما من كونهم لم يقبلوا قوله فنظر اليه ولده عبد الرحمن الذى ولى الملك بعده وعلى

من الحركة المضطربة الى المنتظمة (وزعموا) أنها تلذ وتألم وتموت وموتها عندهم انتقالها من جسد الى جسد بتدبير وبطلان ذلك الشخص الذى فسد ووصف بالموت لان شخصها يفسد ولان جوهرها ينتقل (وزعموا) أنها عالمة بذاتها وجوهرها وفيها قبول علم المحسوسات من جهة الحس ولافلاطون وغيره فى هذه المعانى كلام يطول ذكره ويعجز عن وصفه واظهاره لاعتياصه وغموضه وكذلك صاحب المنطق وفيثاغورس وغيرهما من الفلاسفة ممن تقدم وتاخر لان الطالب لعلم هذه الاشياء والاحاطة بفهمها وبلوغ غايتها لا يدرك ذلك لما نصبوا من الكتب ورتبوا من التصنيف للعلوم المؤدية الى معرفة الالفاظ الخمس وهى الجنس والفصل والنوع والخاصة والعرض ثم معرفة المقولات وهى عشرة الجوهر والكمية والكيفية والاضافة وهى النسبة وهذه أربع بسائط والست الاخر مركبات وهى الزمان والمكان والجدة وهى الملك والوضع والفاعل والمنفعل

ثم بعد ذلك مما يترقى فيه الطالب الى ان ينتهى الى علم ما بعد الطبيعة من معرفة الاول والثانى (ثم

وجهه اثر ذلك فقال مابالك يامولاى فقال ألا ترى لهؤلاء الذين نقدمهم ونشوه عند الناس بمكانهم حتى اذا كلفناهم ماليس عليهم فيه شطط بل لا يعيبهم ولا هو مما يرزؤهم صدونا عنه وغلقوا أبواب الشفاعة وذكر له ماكان منهم فقال يامولاى أنت أولى الناس بالانصاف ان هؤلاء ماقدمتهم أنت ولا نوهت بهم وانما قدمهم ونوه بهم علمهم أو كنت تأخذ قوما جهالا فتضعهم فى مواضعهم قال لا قال فأنصفهم فيما تعبوا فيه من العلم لينالوا به لذة الدنيا وراحة الآخرة قال صدقت ثم قال واما كونهم لم يقبلوا هذا الرجل لشدة فقره فالعلة فى ذلك تنحسم بما يبقى لك فى الصالحات ذكرا قال وماهو قال تعطيه من مالك قدر مايلحق به من الغنى مايؤهله لتلك المنزلة ويزيل عنك بخل ردهم لك وتكون هذه مكرمة ماسبقك اليها أحد فتهلل وجه الحكم وقال الى الى انها والله لشنشنة عشمية وان الذى قال فينا الصادق

وأبناء أملاك خضارم سادة * صغيرهم عند الانام كبير

ثم استدعى عبد الملك بن حبيب وساله عن قدر مايؤهله لتلك المرتبة من الغنى فذكر له عددا فامر له به فى الحين ونبه قدره بان أعطاه من اصطبله مركوبا وكانت هذه اكرومة لاخفاء بعظمها * يفنى الزمان ومابقته مخلد * ثم انه اذا كان له من الغنى مايكفيه عن اموال الناس ومن الدين مايصده عن محارم الله تعالى ومن العلم مالا يجهل به التصرف فى الشريعة أباح له الفتوى والشهادة وجعلوا علامة لذلك بين الناس القلانس والرداء وأهل قرطبة أشد الناس محافظة على العمل باصح الاقوال المالكية حتى انهم كانوا لا يولون حاكما الا بشرط أن لا يعدل فى الحكم عن مذهب ابن القاسم وقال ابن سارة لما دخل قرطبة الحمد لله قد وافيت قرطبة دار العلوم وكرسى السلاطين وهى كانت مجمع جيوش الاسلام ومنها نصر الله على عبدة الصليب يقال ان المنصور بن أبى عامر حين تم له ملك البربر وتوفرت الجيوش والاموال عرض بظاهر قرطبة خيله ورجله وقد جمع من أقطار البلاد مانهض به الى قتال العدو وتدويخ بلاده فنيف الفرسان على مائتى ألف والرجالة على ستمائة ألف وبها حتى الآن من صناديد المسلمين وقوادهم ممن لا يفتر عن محاربة ولا يمل من مضاربة من أسماؤهم باقاصى بلاد النصارى مشهورة وآثارهم فيها مأثورة وقلوبهم على البعد بخوفهم معمورة ويحكى أن العمارة فى مبانى قرطبة والزاهرة والزهراء اتصلت الى أن كان يمشى فيها بضوء السراج المتصلة عشرة أميال وأما جامعها الاعظم فقد سمعت أن ثريانه من نواقيس النصارى وأن الزيادة التى زادها فى بنائه ابن أبى عامر من تراب نقله النصارى على رؤسهم مما هدم من كنائس بلادهم وقد سمعت أيضا عن قنطرتها العظمى وكثرة أرحى واديها يقال انها تنيف على خمسة آلاف حجر عن كنيانيتها ومافضل الله تعالى به تربتها من بركة ماينبت فيه من القمح وطيبه وفيها جبال الورد الذى يبلغ الربع منه مرات الى ربع درهم وصار أصحابه يرون الفضل لمن قطف بيده ما يخونه منه ونهرها ان صغر عندها عن عظمه عند اشبيلية فان لتقارب بريه هنالك وتقمع غدره ومروجه معنى آخر وحلاوة أخرى وزيادة انس وكثرة أمان من الغرق وذو جوانبه من البساتين والمروج مازاده نضارة وبهجة * وأما جيان فانها البلاد الانداس قلعة اذ هى أكثر مزارع وأصرمها أبطالا وأعظمها منعة وكم

وجمع) بنا الاخبار عن أحوالهم (فمن ذلك) كتاب رأيته لابى بكر محمد بن ذكريا الرازى والفيلسوف صاحب كتاب المنصورى فى الطب وغيره ذكر فيه مذاهب الصابئة الحرانيين منهم دون من خالفهم من الصابئة وهم الكيناريون وذكر أشياء يطول ذكرها ويقبح عند كثير من الناس وصفها أعرضنا عن حكايتها اذ كان فى ذلك خروج عن حد الغرض فى كتابنا الى وصف الآراء والديانات وقد خاطب مالك بن عفنون وغيره منهم بشئ مما ذكرنا وغيره مما عنه كتبنا فمنهم من اعترف ببعضه وأنكر بعضا من ذكر القرابين وغيره مثل فعلهم بالثور الاسود فانه يضرب وجهه بالمدى اذا سدت عيناه ثم يذبح ويدعى كل عضو من أعضائه وما يظهر منه من الحركات والاختلاج على مايدل ذلك من أحوال السنة وغير ذلك من أسرارهم ومحالاتهم وأحوال قرابينهم (قال المسعودى) وقد ذكر جماعة ممن له تامل بشان أمور هذا العالم والبحث عن الاخبار بان باقاصى بلاد الصين هيكلا

مدور له شبه أبواب فى داخله قبة مسبعة عظيمة الشان عالية السمك فى أعالى القبة شبه الجوهر رامتها

رامتها عساكر النصارى عند فترات الفتن فرأوها أبعد من العيوق وأعز منالا من بيض الانوق ولا نالت من علماء ولا من شعراء ويقال لها جيان الحرير لكثرة اعتنائها بادية بها وحاضرتها بدو والحرير ومما يعد في مفاخرها ما بياسة احدى بلاد أعمالها من الزعفران الذي يسفر براو بحرا وما في أبدة من الكروم التي كاد العنب لا يباع فيها ولا يشترى كثرة وما كان بابدة من أصناف الملاهي والرواقص المشهورات بحسن الانطباع والصنعة فانهن أحذق خلق الله تعالى باللعب بالسيوف والدلك واخراج القرى والمرابط والمتوجه * وأما غرناطة فانها دمشق بلاد الاندلس ومسرح الابصار ومطمح الانفس لها القصبة المنيعة ذات الاسوار الشامخة والمباني الرفيعة وقد اختصت بكون النهر يتوزع على ديارها وأسواقها وحاماتها وأرجائها الداخلة والخارجة وبساتينها وزانها الله تعالى بان جعلها مرتبة على بسيطها الممتد الذي تفرغت فيه سبائك الانهار بين زبرجد الاشجار والنسيم يجدها وبهجة منظر حورها في القلوب والابصار استلطاف يروق الطباع ويحدث فيها ما شاء الاحسان من الاختراع والابتداع ولم تخل من أشراف أماثل وعلماء أكابر وشعراء أفاضل ولو لم يكن لها الا ما خصها الله تعالى به من كونها قد نبغ فيها من الشواعر مثل نزهون القلاعية وزينب بنت زياد وقد تقدم شعرهما وحفصة بنت الحجاج وناهيك في الظرف والادب وهل ترى أظرف منها في جوابها للحسيب الزبير الناظم الناثر أبي جعفر ابن القائد الاجل أبي مروان بن سعيد وذلك انهما باتا بحور ومؤمل على ما يبيت به الروض والنسيم من طيب النفحة ونضارة النعيم فلما حان الانفصال قال أبو جعفر

رعى الله ليلا لم يرح بمذمم * عشية وارانا بحور ومؤمل
وقد خفقت من نحو نجد أريحة * اذا نفحت هبت بريا القرنفل
وغرد قمري على الدوح وانثنى * قضيب من الريحان من فوق جدول
ترى الروض مسرورا بما قد بداله * عناق وضم وارتشاف مقبل

وكتبه اليها بعد الافتراق لتجاوبه على عادتها في ذلك فكتبت له ما لا يخفى فيه قوتها

لعمرك ما سر الرياض بوصلنا * ولكنه أبدى لنا الغل والحسد
ولا صفق النهر ارتياحا لقربنا * ولا صدح القمري الا بما وجد
فلا تحسن الظن الذي أنت أهله * فما هو في كل المواطن بالرشد
فما خلت هذا الافق أبدى نجومه * لامر سوى كيما نكون له رصد

وأما مالقة فانها قد جمعت بين منظر البحر والبر بالكروم المتصلة التي لا تكاد ترى فيها فرجة لموضع غامر والبروج التي شابهت نجوم السماء كثرة عدد وبهجة ضياء وتخلل الوادي الزاثر لها في فصلي الشتاء والربيع في سرر بطحائها وتوشيحه لخصور أرجائها ومما اختصت به من بين سائر البلاد التين الربي المنسوب اليها الان اسمها في القديم ربه ولقد أخبرت انه يباع في بغداد على جهة الاستطراف وأما ما يسفر منه المسلمون والنصارى في المراكب البحرية فاكثر من أن يعبر عنه بما يحصره ولقد اجتزت بها مرة وأخذت على طريق الساحل من سهيل الى أن بلغت الى بلبش قدر ثلاثة أيام متعجبا فيما حوته هذه

بدن أحدهما على مقدار عشرة أذرع شيئا وان حاول أحدهم أخذ هذه الجوهرة بشيء من الآلات الطوال كالرماح وغيرها وانتهت الى هذا المقدار من الذرع انعكست وعطلت وان رميت بشيء كان كذلك فليس شيء من الحيل يؤدي الى تناولها ولا بسبب وان تعرض لشيء من هدم هذا الهيكل مات من يروم ذلك من أهل الخبرة لقوة دافعة منفردة قد عملت في أنواع الاحجار المغناطيسية وفي هذا الهيكل بئر مسبعة الرأس متى أكب الانسان على رأس البئر أكبابا متمكنا تهور في البئر فصار في أسفلها على أم رأسه وعلى رأس هذه البئر شبه الطوق مكتوب عليه بقلم قديم أراه بقلم السند هند هذه بئر تؤدي الى مخزن الكتب وتاريخ الدنيا وعلوم السماء وما كان فيما مضى من الدهر وما يكون فيما يأتي منه وتؤدي هذه البئر أيضا الى خزائن رغائب هذا العالم لا يصل الى الوصول اليها والاقتباس منها الا من وازت قدرته قدرتنا واتصل علمه بعلمنا وساوت حكمته

 حكمتنا فمن قدر على الوصول الى هذا المخزن فليعلم أنه قد وازانا ومن عجز عن الوصول الى ما وضعنا

المسافة من شجر التين وان بعضه ليجتنى جميعها الطفل الصغير من لزوقها بالارض وقد حوت ما يتعب الجماعة كثرة وتين يلش هو الذى قيل فيه لبربرى كيف رأيته قال لا تسألنى عنه وصب فى حلقى بالقفة وهو لعمر الله معذور لانه نعمة حرمت بلاده منها وقد خصت بطيب الشراب الحلال والحرام حتى صار المثل بالشراب المالقى وقيل لاحد الخلفاء وقد أشرف على الموت اسال ربك المغفرة فرفع يديه وقال يارب أسالك من جميع ما فى الجنة خمر مالقة وزبيب اشبيلية وفيها تنسج الحلل الموشية التى تجاوز اثمانها الآلاف ذات الصور العجيبة المنتخبة برسم الخلفاء فمن دونهم وساحلها محط تجارة لمراكب المسلمين والنصارى * وأما المرية فانها البلد المشهور الذكر العظيم القدر الذى خص أهله باعتدال المزاج ورونق الديباج ورقة البشرة وحسن الوجوه والاخلاق وكرم المعاشرة والعصبة وساحلها أنظف السواحل وأشرحها وأملحها منظرا وفيها الحصا الملون العجيب الذى يجعله رؤساء مراكش فى البرار يدوالرخام الصقيل الملوكى ووادیها المعروف بوادى بجانة من أفرج الاودية ضفتاه بالرياس كالعذار بن حول الثغر فحق أن ينشد فيها

أرض وطئت الدر وضر اضابها * والترب مسكا والرياض جنانا

وفيها كان ابن ميمون القائد الذى قهر النصارى فى البحر وقطع سفرهم فيه وضرب على بلاد الرمانية فقتل وسبى وملأ صدور أهلها رعبا حتى كان منه كما قال أشجع

فاذا تنبه رعته واذا غفا * سلت عليه سيوفك الاحلام

وبها كان محط مراكب النصارى ومجتمع ديوانهم ومنها كانت تسفر لسائر البلاد بضائعهم ومنها كانوا يوسقون جميع البضائع التى تصلح لهم وقصد بضبط ذلك بها حصر ما يجتمع فى أعشارهم ولم يوجد لهذا الشان مثلها لكونها متوسطة ومتسعة قائمة بالوارد والصادر وهى أيضا مصنع للحلل الموشية النفيسة وأما مرسية فانها حاضرة شرق الاندلس ولاهلها من الصرامة والاباء ما هو معروف مشهور ووادیها قسيم وادى اشبيلية كلاهما ينبع من شقورة وعليه من البساتين المتهدبة الاغصان والنواعير المطربة الالحان والاطيار المغردة والازهار المتنضدة ما قد سمعت وهى من أكثر البلاد فواكه ورياحانا وأهلها أكثر الناس راحات وفرجا لكون خارجها معينا على ذلك بحسن منظره وهى بلدة تجهز منها العروس التى تنتخب شورتها لا تفتقر فى شئ من ذلك الى سواها وهى للمرية ومالقة فى صنعة الوشى ثالثة وقد اختصت بالبسط التنتلية التى تسفر لبلاد المشرق وبالحصر التى تغلف بها الحيطان المبهجة للبصر الى غير ذلك مما يطول ذكره ولم تخل من علماء وشعراء وأبطال * وأما بلنسية فانها لكثرة بساتينها تعرف بطيب الاندلس ورصافتها من أحسن متفرجات الارض وفيها البحيرة المشهورة الكثيرة الضوء والرونق ويقال انه لمواجهة الشمس لتلك البحيرة يكثر ضوء بلنسية اذ هى موصوفة بذلك ومما خصت به النسيج البلنسى الذى يسفر لاقطار المغرب ولم تخل من علماء ولا شعراء ولا فرسان يكابدون مضايقة الاعداء ويتجرعون فيها النعماء ممزوجة بالضراء وأهلها أصلح الناس مذهبا وأمتنهم دينا وأحسنهم صحبة وأرفقهم بالغريب * وأما جزيرة ميورقة فمن أخصب بلاد الله تعالى أرجاء وأكثرها زرعا وزرعا

فيعلم انا اشد منه باسا

الهيكل والقبة وفيها البئر أرض حجرية صلبة عالية من الارض كالجبل الشامخ لا ترام قلعته ولا يتاتى نقب ما هو تحته فاذا أدرك البصر ذلك الهيكل والقبة والبئر وقع للرائى عند رؤيته ذلك جزع وحزن واجتذاب للقلب اليه وحريق على بنيته وتاسف على افساد شئ منه أو هدمه والله أعلم بذلك

(ذكر الاخبار عن بيوت النيران وغيرها)

فاما بيوت النيران ومن رسمها من ملوك الفرس الاولى والثانية فاول ما يحكى ذلك عنه افريدون الملك وذلك انه وجد نارا يعظمها أهلها وهم معتكفون على عبادتها فسألهم عن خبرها ووجه الحكمة منهم فى عبادتها فاخبروه أنها واسطة بين الله وبين خلقه وانها من جنس الآلهة النورية واشياء ذكروها اعرضنا عن ذكرها لاعتياصها وذلك انهم جعلوا للنور مراتب وفرقوا بين طبع النار والنور وان الحيوان يجتذب فيحرق نفسه كالفراش الطائر فما لطف يطرح نفسه فى السراج فيحرقها وغير ذلك مما يقع فى صيد الليالى من الغزلان والطير والوحوش وظهور الحيتان من الماء اذا قربت من السراج

وماشية وهي على انقطاعها من البلاد مستغنية عنها يصل فاضل خيرها الى غيرها اذ فيها من الحضارة والتمكن والتمصر وعظم البادية ما يغنيها وفيها من الفوائد ما فيها ولها فضلاء وأبطال اقتصروا على حمايتها من الاعداء المحدقة بها

من كل من جعل الحسام خليله * لا يبتغي أبدا سواه معينا

هذا ان الله تعالى فضلك بالانصاف وشرف كرمك بالاعتراف ما حضرني الآن في فضل جزيرة الاندلس ولم أذكر من بلادها الا ما كل بلد منها مملكة مستقلة يليها ملوك بني عبد المؤمن على انفرادها وغيرها في حكم التبع * وأما علماؤها وشعراؤها فاني لم أعرض منهم الا لمن هو في الشهرة كالصباح وفي مسير الذكر كمسير الرياح وأنا أحكي لك حكاية جرت لي في مجلس الرئيس الفقيه أبي بكر بن زهر وذلك اني كنت يوما بين يديه فدخل علينا رجل عجمي من فضلاء خراسان وكان ابن زهر يكرمه فقلت له ما تقول في علماء الاندلس وكتابهم وشعرائهم فقال كبرت فلم أفهم مقصده واستبردت ما أتى به وفهم مني أبو بكر بن زهر أني نظرته نظر المستبرد المنكر فقال لي أقرأت شعر المتنبي قلت نعم وحفظت جميعه قال فعلى نفسك اذن فلتنكر وخاطرك بقلة الفهم فلتتهم فذكرني بقول المتنبي

كبرت حول ديارهم لما بدت * منها الشموس وليس فيها المشرق

فاعتذرت للخراساني وقلت له قد والله كبرت في عيني بقدر ما صغرت نفسي عندي حين لم أفهم نبل مقصدك فالحمد لله الذي أطلع من المغرب هذه الشموس وجعلها بين جميع أهله بمنزلة الرؤس وصلى الله على سيدنا محمد نبيه المختار من صفوة العرب وعلى آله وصحبه صلاة متصلة الى غابر الحقب كملت رسالة الشقندي وهو أبو الوليد اسمعيل بن محمد وشقندة المنسوب اليها قرية مطلة على نهر قرطبة مجاورة لها من جهة الجنوب قال ابن سعيد وهو ممن كان بينه وبين والدي صحبة أكيدة ومجالسات انس عديدة ومزاورات تصل ومحاورات لا تكاد تنفصل وانتفعت بمجالسته وله رسالة في تفضيل الاندلس يعارض بها أبا يحيى في تفضيل بر العدوة أورد فيها من المحاسن ما يشهد له بطلاقة المنزع وعذوبة المشرع وكان جامعا للفنون من العلوم الحديثة والقديمة وعني بمجلس المنصور فكانت له فيه مشاهد غير ذميمة وولي قضاء بياسة وقضاء لورقة ولم يزل محفوظ الجانب محمود المذاهب سمعته ينشد والدي قصيدة في المنصور وقد نهض للقاء العدو منها

اذا نهضت فان السيف منتهض * ترمي السعود وسهما ما والعدا غرض
لك البسيطة تطويها وتنشرها * فليس في كل ما تنويه معترض

قال وسمعته يقول له أنشدت الوزير أبا سعيد بن جامع قصيدة أولها

استوقف الركب قد لاحت لك الدار * واسال بربع تناءت عنه أقمار
لا خفف الله عني بعد بينهم * فاني سرت والاحباب ما ساروا

ومنها

الا رعى الله ظبيا في قبابهم * منه لهم في ظلام الليل انوار

وله

سع في جوف المركب والسرج قد جعلت حواليه وان بالنور صلاح هذا العالم وشرف النار على الظلمة ومضادتها لها ومرتبة الماء وزيادته على النار باطفائه ومضادته لها وانه أصل لكل شئ ومبدأ الكل شئ ومبدأ الكل تمام فلما أخبر أفريدون بما ذكرنا أمر بحمل جزء منها الى خراسان فاتخذ لها بيتا بطوس وبنى آخر من بيوت النار بسجستان كراكر كان اتخذه بهمن بن اسفنديار باذ ابن يستاسف وبيت آخر ببلاد السيروان والري وكان فيه أصنام فاخرجها أنوشروان وقيل ان أنوشروان صادف هذا البيت وفيه نار معظمة فنقلها الى الموضع المعروف بالبركة وبيت آخر للنار يقال له كوسجه بناه كيجره الملك وقد كان بقومس بيت للنار معظم لا يدرى من بناه يقال له جريس ويقال ان الاسكندر لما غلب عليها تركها ولم يطفئها ويقال انه كان في ذلك الموضع فيما مضى مدينة عظيمة عجيبة البناء فيها بيت كبير عجيب الهيئة فيه أصنام فاخربت تلك المدينة بما فيها من البيوت ثم بني بعد ذلك بيت وجعلت فيه تلك النار وبيت آخر بناه فارس بن كاوس الجبار وذلك زمان ابتدء بشرق

عللانى بذكر من هجت فيه * وعدانى عنه بما أرتجيه
واذا ما طربت لا ترتياحى * فاجعلا خمرتى مدامة فيه
ليت شعرى وكم أطيل الاماني * أى يوم فى خلوة التقيه
واذا ما ظفرت يوما بشكوى * قال لى أين كل ما تدعيه
لا دموع ولا سقام فماذا * شاهد عنك بالذى تدعيه
قلت دعنى أمت بدائى فانى * لو برانى الغرام لا أبديه

وقال فى عواد له مريض

انى مرضت مرضة * اسقطت منها فى يدى
فكان فى الاخوان من * لم أره فى العوّد
فقلت فى كلهم * قول امرئ مقتصد
أيرالذى قد عادنى * فى أست الذى لم يعد

مات باشبيلية سنة ٦٢٩ انتهى * وقال ابن سعيد أنشدنى والدى للحافظ أبى الطاهر السلفى قال وكنى به شاهدا ويقوله مفتخرا

بلاد أذربيجان فى الشرق عندنا * كاندلس بالغرب فى العلم والادب
فان تكاد الدهر تلقى مميزا * من اهليهما الا وقد جد فى الطلب

وحكى غير واحد كابن الابار ان عباس بن ناصح الشاعر لما توجه من قرطبة الى بغداد ولقى أبا نواس قال له أنشدنى لابى الاجرب قال فانشدته ثم قال أنشدنى لبكر الكنانى فانشدته وهذان شاعران من شعراء الاندلس واعلم انما ان تتبعنا كلام الاندلسيين وحكاياتهم الدالة على سبقهم طال بنا الكتاب ولم نستوف المراد فرأينا أن نذكر بعضا من ذلك بحسب ما اقتضاه الحال وأبداه ليكون عنوانا دالا على ماعداه * يكفى من الحلى ما قد حف بالعنق * ولنبدأ ما نسوقه من أخبارهم والاندلسيين وأشعارهم وحكاياتهم فى الجد والهزل والتولية والعزل بقول الفقيه الزاهد أبى عمران موسى بن عمران المارتلى وكان سكن اشبيلية

لا تبك ثوبك ان أبليت جدته * وابك الذى أبلت الايام من بدنك
ولا تكونن محتالا لجدته * فربما كان هذا الثوب من كفنك
ولا تعفه اذا أبصرته دنسا * فانما كتسب الاوساخ من درنك

وقال أبو عمرو اليحصبى اللوشى

شرد النوم عن جفونك وانظر * حكمة توقظ النفوس النياما
فحرام على امرئ لم يشاهد * حكمة الله أن يذوق المناما

وقال أيضا

ليس للمرء اختيار فى الذى * يتمنى من حوالك وسكون
انما الامر لرب واحد * ان يشأ قال له كن فيكون

وقال أبو وهب القرطبى

تنام وقد أعدلك السهاد * وتوقن بالرحيل وليس زاد

الصين عمايلى البركة وبيت العشرة كانت قبل ظهور زرادشت بن اسبيجان بنى المجوس ثم اتخذ زرادشت ابن اسبيجان بعد ذلك بيوت النيران وكان مما اتخذ بيت بمدينة نيسابور من بلاد خراسان وبيت آخر بمدينة نساوالبيضاء من أرض فارس وقد كان يستاسف الملك يطلب نارا معظمها جمر فوجدت بمدينة خوارزم فنقلها بعد ذلك يستاسف الى مدينة دارابجرد من ارض فارس وكورها بهذا البيت وهذه النار تسمى فى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة اذر وحوّاو تغير ذلك نارالنهر وذلك أن آذر أحد أسماء النار بالفارسية الاولى والمجوس تعظم هذه النار مالا تعظم غيرها من النيران والبيوت (وذكرت) الفرس ان كيخسرو لما خرج غازيا الى الترك سار الى خوارزم فمر على تلك الديار فلما وجدها عظمها وسجد لها ويقال ان أنوشروان هو الذى نقلها الى الكارياه فلما ظهر الاسلام تخوفت المجوس أن تطفئها المسلمون فتركوا بعضها بالكارياه ونقلوا بعضها الى نسا والبيضاء من كورة فارس لتبقى احداهما ان طفئت الاخرى (والفرس) بيت نار باصطخر فارس تعظمه المجوس كان فى قديم الزمان فأخرجته سمانى بنت بهمن

وتصبح مثل ما تمشى مضيعا * كانك لست تدرى ما المراد
أتطمع أن تفوز غدا هنيا * ولم يك منك فى الدنيا اجتهاد
اذا فرطت فى تقديم زرع * فكيف يكون من عدم حصاد

وقيل ان الابيات السابقة التى أولها أنا فى حالتى الى آخره وجدت فى تركته بخطه فى شقف وبعضهم ينسبها لغيره واسم أبى وهب المذكور عبد الرحمن وذكره ابن بشكوال فى الصلة وأثنى عليه بالزهد والانقطاع وكان فى أول أمره قد حسب عامة الناس انه مختل العقل فجعلوا يؤذونه ويرمونه بالحجارة ويعيبون عليه يا مجنون يا أحمق فيقول

ياعاذلى أنت به جاهل * دعنى به لست بمغبون
أما ترانى أبدا والها * فيه كمسحور ومفتون
أحسن ما أسمع فى حبه * وصفى بمختل ومجنون

وقال الخطيب أبو محمد بن برطلة

بارب عفوا أرجو نجاتى وانها * لاكرم مذخور لدى واعظم
شهادة اخلاصى وحبى محمدا * وحسن ظنونى ثم أنى مسلم

وقال ابن حبيش

فالوا تصبر عن الدنيا الدنية او * كن عبدها واصطبر للذل واحتمل
لابد من احد الصبرين قلت نعم * الصبر عنها بعون الله اوفق لى

وقال ابن الشيخ

اطلب لنفسك فوزها واصبر لها * نظر الشفيق وخف عليها واتق
من ليس يرحم نفسه ويصدها * عما سيهلكها فليس بمشفق

وقال ابو محمد القرطبى

لعمرك ما الدنيا وسرعة سيرها * لكانها الا طريق مجاز
حقيقتها أن المقام بغيرها * ولكنهم قد أولعوا بمجاز

وقال الشميس

لله فى الدنيا وفى اهلها * معميات قد فككناها
من بشر نحن فمن طبعنا * نحب فيها المال والجاها
دعنى من الناس ومن قولهم * فانما الناس اخلاها
لم تقبل الدنيا على ناسك * الا وبالرحب تلقاها
وانما يعرض عن وصلها * من صرفت عنه محياها

وقال ابو القاسم بن بقى

الا انما الدنيا كراح عتيقة * اراد مدبروها بها جلب الانس
فلما اداروها اثارت حقودهم * فما الذى رأموا من الانس بالعكس

وقال ابو محمد عبد الله بن العسال الطليطلى

انظر الدنيا فان ابصرتها * شاشيا يدوم

بيت للنار معظم عندهم اتخذه دارا بن داوا (وفى مدينة جور) من ارض فارس وهو البلد الذى يحمل منه ماء الورد يذكرون أنه مسجد سليمان ابن داود وبه يعرف وقد دخلته وهو على فرسخ من مدينة اصطخر فرأيت بنيانا عجيبا وهيكلا عظيما واساطين صخر عجيبة على اعلاها صور من الحجر ظريفة ومن الحلى وغيره كالحيوان عظيمة القدر والاشكال محيط بذلك جبل عظيم وسور منيع من الحجر وفيه صور لاشخاص قد تشكلت وأبقيت صورها فزعم من جاور هذا الموضع أنها صور الانبياء وهو فى سفح الجبل والريح غير خارجة من ذلك الهيكل فى ليل ولا نهار لها هبوب ودوى يذكر من هنالك أن سليمان بن داود عليهما السلام حبس الريح فى ذلك الموضع وأنه كان يتغدى ببعلبك من ارض الشام ويتعشى فى هذا المسجد وينزل بمدينة تدمر وقلعتها المتخذة فيها ومدينة تدمر فى البرية بين العراق ودمشق وحمص من أرض الشام يكون منها من الشام نحو خمسة أميال أو ستة وهى بنيان عجيب من الحجر وكذلك الملعب الذى فيها وفيها خلق من الناس من العرب من قحطان وفى مدينة سابور من أرض فارس

فاغدمنها فى امان * ان ياعدك النعيم
واذا ابصرتها منـ * ـك على كره تهيم
فاسل عنها واطرحها * وارتحل حيث تقيم

وقال ابن هشام القرطبى

والى المدامة لاارید بشربها * صلف الرقیع ولا انهماك اللاهى
لم یبق من عهد الشباب وطیبه * شئ كعهدى لم یحل الاهى
ان كنت أشربها لغیر وفائها * فـ ـتركها للناس لاالله

وقال ابو محمد بن السيد البطليوسى مما نسبه اليه فى المغرب

اخو العلم حى خالد بعد موته * واوصاله تحت التراب رمیم
وذو الجهل میت وهو ماش على الثرى * یظن من الاحیاء وهو عدیم

وقال أبو الفضل بن شرف

لعمرك ما حصلت على خطیر * من الدنیا ولا أدركت شیا
وها أنا خارج منها سلیبا * أقلب نادما كفا بكفا
وأبكى ثم أعلم أن مبكا * ى لا یجدى فأمسح مقلتیا
ولم أجزع لقول الموت لكن * بكیت لقلة الباكى علیا
وان الدهر لم یعلم مكانى * ولا عرفت بنوه مالدیا
زمان سوف أنشر فیه نشرا * اذا أنا بالجمام طویت طیا
أسر بانني ساعیش میتا * به ویسوءنى أن مت حیا

وقال الزاهد العارف بالله سيدى أبو العباس بن العريف نفعنا الله تعالى به

سلوا عن الشوق من أهوى فانهم * أدنى الى النفس من وهمى ومن نفسى
فمن رسولى الى قلبى لیسالهـ * ـم عن مشكل من سؤال الصب ملتبس
حلوا فؤادى فما یندى ولو وطئوا * صخر الجماد بماء منه منبجس
وفى الحشا نزلوا والوهم یخرجهم * فكیف قروا على أذكى من القبس
لا تهضن الى حشرى بحبهم * لا بارك الله فیمن خانهم ونسى

قلت وقد زرت قبره المعظم بمراكش سنة عشر وألف وهو ممن یتبرك به فى تلك الدیار ویستسقى به الغیث وهو من أهل المریة وأحضره السلطان الى مراكش فمات بها وله كرامات شهیرة ومقامات كبیرة نفعنا الله تعالى به * واعلم ان أهل الاندلس كانوا فى القدیم على مذهب الاوزاعى وأهل الشام منذ اوائل الفتح ففى دولة الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل وهو ثالث الولاة بالاندلس من الامویین انتقلت الفتوى الى رأى مالك بن أنس وأهل المدینة فانتشر علم مالك ورأیه بقرطبة والاندلس جمیعا بل والمغرب بوذلك برأى الحكم واختیاره واختلفوا فى السبب المقتضى لذلك فذهب الجمهور الى أن سببه رحلة علماء الاندلس الى المدینة فلما رجعوا الى الاندلس وصفوا فضل مالك وسعة علمه وجلالة قدره فاعظموه كما قدمنا ذلك وقیل ان الامام مالكا سأل بعض الاندلسیین عن سیرة ملك الاندلس فوصف

عیدوهو احد منتزهات فارس وفى وسط مدینة جور بنیان كانت تعظمه الفرس یقال له البرمال اخربه المسلمون وبین جور ومدینة كوار عشرة فراسخ وبها یعمل ماء الورد الكوارى والیها یضاف وهذا الماء الورد المعمول بجور وكوار أطیب ماء ورد یعمل فى العالم لصحة البریة وصفاء الهواء وألوان سكان هذه البلاد حمرة فى بیاض لیست لغیرهم من الامصار ومن كوار الى مدینة شیراز وهى قصبة فارس عشرة فراسخ (وبجور وكوار وشیراز وغیرها) من كور فارس أخبار ولما فیها من البنیان اقاصیص یطول ذكرها قد دوّنتها الفرس وكذلك ما كان بارض فارس من الموضع المعروف بماء النار وقد بنى علیه هیكل وكان كورش الملك حین ولد المسیح علیه السلام بعث ثلاثة انفس دفع الى احدهم صرة من لبان والى آخر صرة من مر والى آخر صرة من تبر وسیرهم یهتدون بنجم وصفه لهم فساروا حتى انتهوا الى السید المسیح وامه بارض الشام والنصارى تغلو فى قصة هؤلاء النفر وهذا الخبر موجود فى الانجیل وان هذا الملك كورش نظر الى نجم قد طلع بمولد له

له سيرته فاعجبت مالكا لكون سيرة بني العباس في ذلك الوقت لم تكن بمرضية وكابد لما صنع أبو جعفر المنصور بالعلوية بالمدينة من الحبس والاهانة وغيرهما ماهو مشهور في كتب التاريخ فقال الامام مالك رضي الله تعالى عنه لذلك المخبر نسال الله تعالى أن يزين حرمنا بملككم أو كلاما هذا معناه فنمت المسئلة الى ملك الاندلس مع ما علم من جلالة مالك ودينه فحمل الناس على مذهبه وترك مذهب الاوزاعي والله تعالى أعلم * وحكي أن القاضي الزاهد أبا اسحق ابراهيم بن عبد الله بن أبي يغمور لما ندبه أهل الامر لولاية القضاء بمدينة فاس استعفى فلم يقبل منه وخرج الى تلك الناحية وخرج الناس لوداعه فانشد

عليكم سلام الله اني راحل * وعيناي من خوف التفرق تدمع
فان نحن عشنا فهو يجمع بيننا * وان نحن متنا فالقيامة تجمع

وأنشد أصحابه رحمه الله تعالى ولا أدري هل هي له أو لغيره

كنا نعظم بالآمال قدركم * حتى انقضت فتساوى عندنا الناس
لم تفضلونا بشئ غير واحدة * هي الرجاء فسوى بيننا اليأس

وأنشد أيضا

يلومهم مذ كنت طفلا فلم أجد * كما أشتهي منهم صديقا وصاحبا
فصوبت رأيي في فراري منهم * وشمرت أذيالي وأمعنت هاربا

وأنشد لغيره في الكتمان

أخفي الغرام فلا جوارحه * شعرت بذاك ولا مفاصله
كالسيف يعجبه الحمام ولم * يعلم بما حملت حمائله

وأنشد

قد كنت أمرض في الشبيبة دائما * والموت ليس يمر لي في البال
والآن شبت وصحتي موجودة * وأرى كأن الموت في أذيالي

ولما أنشده تاج الدين بن حمويه السرخسي الوافد على المغرب من المشرق قول بعضهم

فلا تحقرن عدوا رمالك * وان كان في ساعديه قصر
فان السيوف تحز الرقاب * وتجتز عما تنال الابر

قال حسن جيد ولكن اسمع ما قال شاعرنا القسطلي وأنشد

أثرى لكشف الخطب والخطب مشكل * وكاني لليث الغاب وهو صور
فقد تخفض الاسماء وهي سواكن * ويعمل في الفعل الصريح ضمير
وتنبو الرديئات والطول وافر * ويعدو قع السهم وهو قصير

وكان الوزير الكريم أبو محمد عبد الرحمن بن مالك المعافري أحد وزراء الاندلس كثير الصنائع جزل المواهب عظيم المكارم على سنن عظماء الملوك واخلاق السادة لم يربعده مثله في رجال الاندلس ذاكرا للفقه والحديث بارعا في الآداب شاعرا مجيدا وكاتبا بليغا كثير الخدم والاهل ومن آثاره الجسام بحوفي الجامع الاعظم من غرناطة وزاد في سقف الجامع من صحنه

وقد أتينا في كتابنا اخبار الزمان على شرح هذا الخبر وما قالت فيه المجوس والنصارى وخبر الرغفان التي دفعتها اليهم مريم وما كان من الرسل وجعل الخبز تحت الصخرة وغوصها في الارض وذلك بفارس وكيف حضر عليها الماء وأنها وجدت وقد صارت شعلتي نار على وجه الارض تتقدان وغير ذلك مما قيل في هذا الخبر (وقد كان أردشير) بنى بيتا آخر يقال له بار بو في اليوم الثاني من غلبة فارس وبيت نار على خليج القسطنطينية في عساكره فلم يزل هذا البيت هنالك الى خلافة المهدي فخرب وله خبر عجيب وقد كان سابور الجنود اشترط على الروم بناء هذا البيت وعمارته عند حصاره القسطنطينية وكان مسيره في جيوش فارس وغيرها من الترك وملوك الامم فسمي سابور الجنود لكثرة من تبعه من الجنود (وقد كان سابور) لما سار الى بلاد الحيرة عدل عن طريقه فنزل الحصن المعروف بالحضر وقد كان هذا الحصن للساطرون بن استطرون ملك السريانيين في رستاق يقال له أباحر من بلاد الموصل (وقد ذكرته الشعراء) لعظم ملكه وكثرة جيوشه وحسن بنائه بهذا الحصن المعروف

وعوض أرجل قسيه أعمدة الرخام وجلب الرؤس والمواثد من قرطبة وفرش صحنه بكذان الحضر ووجهه أميره على بن يوسف بن تاشفين الى طرطوشة برسم بنائها فلما حاها سال قاضيها فكتب له جملة من أهلها ممن ضعفت حاله وقل نصرفه من ذوى البيوتات فاستعملهم امناء ووسع أرزاقهم حتى كمل له ما أراد من عمله ومن عجز أن يستعمله وصله من ماله فصدر عنها وقد انعش خلقا رضى الله تعالى عنه ورحمه ومن شعره فى مجلس أطرب سماعه وبسطه احتشاد الانس فيه واجتماعه فقال

لا تلمنى بان طربت لشجو * يبعث الانس فالكريم طروب
ليس شق الجيوب حقا علينا * انما الحق أن تشق القلوب

وخطف غلام من غلمانه نوّارة ومد بها يده الى أبى نصر الفتح بن عبيد الله فقال أبو نصر

وبدر بدا والطرف مطلع حسنه * وفى كفه من رائق النور كوكب
يروح لتعذيب النفوس ويغتدى * ويطلع فى أفق الجمال ويغرب

فقال أبو محمد بن مالك

ويحسد منه الغصن أى مهفهف * يجىء على مثل الكثيب ويذهب

وقد سبق هذا وكتب الى الفتح من غير تروّ يا سيدى جرت الايام بفراقك وكان الله جارك فى انطلاقك فغيرك روّع بالظعن وأوقد للوداع جاحم الشجن فانك من أبناء هذا الزمن خليفة الخضر لا يستقر على وطن كانك والله يختار لك ما تأتيه وما تدعه موكل بفضاء الارض تذرعه حسب من نوى بعشر تلك الاستمتاع ان بعدك من العوارى السريعة الارتجاع فلا يأسف على قلة النوى وينشد * وفارقت حتى لا أبالى من أهوى * ومات رحمه الله تعالى بغرناطة سنة ٥١٨ وحضر جنازته الخاصة والعامة وهو من محاسن الاندلس رحمه الله تعالى * ومن نوادر الاتفاق أن جاريه مشت بين يدى المعتمد وعليها قميص لا تكاد تفرق بينه وبين جسمها وذوائبها تخفى آثار مشيها فسكب عليها ماء ورد كان بين يديه وقال

علقت جائلة الوشاح غريرة * تختال بين أسنة وبواتر

وقال لبعض الخدم سر الى أبى الوليد الطليوسى المشهور بالنحلى وخذه باجازة هذا البيت ولا تفارقه حتى يفرغ منه فاجاب النحلى لاول وقوع الرقعة بين يديه

راقت محاسنها وراق أديمها * فتكاد تبصر باطنا من ظاهر
وتمايلت كالغصن فى دعص النقا * والتف فى ورق الشباب الناضر
يندى بماء الورد مسبل شعرها * كالطل يسقط من جناح الطائر
تزهى برونقها وعز جمالها * زهو المؤيد بالثناء العاطر
ملك تضاءلت الملوك لقدره * وعنا له صرف الزمان الجائر
واذا انحت جبينه ويمينه * أبصرت بدرا فوق بحر زاخر

فلما قرأها المعتمد استحضره وقال له أحسنت أومعنا كنت فقال له يا قاتل الله النحل ما تلوت وأوحى ربك الى النحل * وأصبح المعتمد يوما تلا فدخل الحمام وأمر أن يدخل النحلى معه فجاء وقعد فى مسلخ الحمام حتى يستاذن عليه فجعل المعتمد يحبق فى الحمام وهو خال وقد بقيت فى

بالحضر فمن ذكر منهم وأرى الموت قد تدلى من الحضر
- مر على رب أهله الساطرون ولقد كان آمنا للدواهى
ذا ثراء وجوهر مكنون
وقد قيل ان النعمان بن المنذر من ولد الساطرون ابن استطرون والساطرون واستطرون هذه ألقاب وهم ملوك ملكوا على السريانيين ثم تملك تلك الديار بعد من ذكرنا من أفناهم الدهر الضيزن بن جبهلة وجبهلة أمه وهو الضيزن بن تبت بن معاوية ابن العبيد بن حرام بن سعد ابن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة وكان كثير الجنود مهادنا للروم متحيزا اليهم يعبر رجاله على العراق والسواد وكان فى نفس سابور عليهم ذلك فلما نزل على حصنه تحصن الضيزن فى الحصن فاقام سابور عليه شهرا لا يجد سبيلا الى فتحه ولا يتاتى له حيلة فى دخوله فنظرت النظيرة بنت الضيزن يوما وقد أشرفت من الحصن الى سابور فهويته وأعجبها جماله وكان من أجمل الناس وأمدهم قامة فارسلت اليه ان أنت ضمنت لى ان تتزوجنى وتفضلنى على نسائك دللتك على فتح هذا الحصن فضمن لها ذلك فارسلت اليه ائت البر بارو هو نهر فى أعلاه

رأسه بقية من السكر وجعل كلما سمع دوى ذلك الصوت يقول الجوز اللوز القسطل ومر على هذا ساعة الى أن تذكر النملى فصادفه فلما دخل قال له من أى وقت أنت هنا قال من أول ما رتب مولانا الفواكه فى النصبة فغشى عليه من الضحك وأمر له باحسان والنصبة مائدة يصبون فيها هذه الاصناف * ولما استحسن المعتمد قول المتنبي

اذا ظفرت منك العيون بنظرة * الى آخره قال ابن وهبون بديهة وقالوا أجاد ابن الحسين الخ وقد تقدم ذكرهما فامر له بمائتى دينار * ولما قال ابن وهبون المذكور

غاض الوفاء فما تلقاه فى رجل * ولا يمر لمخلوق على بال

قد صار عندهم عنقاء مغربة * أو مثل ما حدثوا عن ألف مثقال

فقال له المعتمد عنقاء مغربة وألف مثقال يا عبد الجليل عندك سواء فقال نعم قال قد أمرنا لك بالف دينار وبالف دينار أخرى تنفقها * وذكر القرطبي صاحب التذكرة فى كتابه قمع الحرص بالزهد والقناعة ما صورته روينا أن الامام أبا عمر بن عبد البر رضى الله تعالى عنه بلغه وهو بشاطبة أن أقواما عابوه باكل طعام السلطان وقبول جوائزه فقال

قل لمن ينكر أكلى * لطعام الامراء

أنت من جهلك هذا * فى محل السفهاء

لان الاقتداء بالصالحين من الصحابة والتابعين وأئمة الفتوى من المسلمين من السلف الماضين هو ملاك الدين فقد كان زيد بن ثابت وكان من الراسخين فى العلم يقبل جوائز معاوية وابنه يزيد وكان ابن عمر رضى الله تعالى عنهما مع ورعه وفضله يقبل هدايا صهره المختار بن أبى عبيد ويأكل طعامه ويقبل جوائزه وقال عبد الله بن مسعود وكان قد ملئ علما لرجل سأله فقال ان لى جارا يعمل بالربا ولا يجتنب فى مكسبه الحرام يدعونى الى طعامه أفاجيبه قال نعم لك المهنأ وعليه المأثم مالم تعلم الشئ بعينه حراما وقال عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه حين سئل عن جوائز السلاطين لحم ظبي ذكى وكان الشعبي وهو من كبار التابعين وعلمائهم يؤدب بنى عبد الملك بن مروان ويقبل جوائزه ويأكل طعامه وكان ابراهيم النخعى وسائر علماء الكوفة والحسن البصرى مع زهده وورعه وسائر علماء البصرة أبو سلمة بن عبد الرحمن وأبان بن عثمان والفقهاء السبعة بالمدينة حاشى سعيد بن المسيب يقبلون جوائز السلطان وكان ابن شهاب يقبلها ويتقلب فى جوائزهم وكانت أكثر كسبه وكذلك أبو الزناد وكان مالك وأبو يوسف والشافعى وغيرهم من فقهاء الحجاز والعراق يقبلون جوائز السلاطين والامراء وكان سفيان الثورى مع ورعه وفضله يقول جوائز السلطان أحب الى من صلة الاخوان لان الاخوان يمنون والسلطان لا يمن ومثل هذا عن العلماء والفضلاء كثير وقد جمع الناس فيه أبوابا ولاحمد بن خالد فقيه الاندلس وعالمها فى ذلك كتاب حمله على وضعه وجمعه طعن أهل بلده عليه فى قبوله جوائز عبد الرحمن الناصر اذ نقله الى المدينة بقرطبة وأسكنه دارا من دور الجامع قربه وأجرى عليه الرزق من الطعام والادام والناص وله ولمثله فى بيت المال حظ والمسؤل عن التفليط فيه هو السلطان كما قال عبد الله بن مسعود للمفتى وعليه المأثم مالم تعلم الشئ بعينه حراما ومعنى قول ابن مسعود هذا قد أجمع العلماء عليه فى علم

يفضى الى الحصن ففعل ذلك سابور فلم يشعر أهل الحصن الا واصحاب سابور معهم فى الحصن وقد عمدت النظيرة فسقت أباها حتى اسكرته طمعا فى تزويج سابور اياها وأمر سابور بهدم الحصن بعد أن قتل الضيزن ومن معه وعرس سابور بالنظيرة بنت الضيزن فباتت مسهدة فقال لها سابور مالك لا تنامين قالت ان جنبي يتجافى عن فراشك قال ولم فوالله ما نامت الملوك على ألين منه وأوطأ وان حشوه لزغب النعام فلما أصبح سابور نظر فاذا ورقة آس بين عكنها فتأولها فكاد بطنها أن يدمى فقال لها ويحك بما كان أبوك يغذيانك فقالت بالزبد والمخ والقمح والشهد وصفو الخمر فقال لها سابور انى لاجد برأن لا أستبقيك بعد اهلاك أبويك وقومك وكانت تلك عندهم الحالة التى تصفين فامر بها فربطت بغدائرها الى فرسين جموحين ثم خلا سبيلهما فقطعاها فى هذا المأ

ومن كان مما جدى بن الدهمى فى الم يحزنك والانبين بما لاقت سراة بنا

ومصرع ضيزن وبنى أبيه * وأحلاف الكتائب من يزيد أتاهم بالفيول مجللات * وبالابطال سابور

٢١ ط ثانى

الشئ بعينه حراما ماخوذا من غير حله كالجريمة وغيرها وشبهها من الطعام او الدابة وما كان مثل ذلك كله من الاشياء المتعينة غصبا أو سرقة أو ماخوذة بظلم بين لا شبهة فيه فهذا الذى لم يختلف أحد فى تحريمه وسقوط عدالة آكله واخذه وتملكه وما اعلم من علماء التابعين احدا تورع عن جوائز السلطان الا سعيد بن المسيب بالمدينة ومحمد بن سيرين بالبصرة وهما قد ذهبا مذاهب شتى فى التورع وسلك سبيلهما فى ذلك احمد بن حنبل واهل الزهد والورع والتقشف رحمة الله تعالى عليهم اجمعين والزهد فى الدنيا من افضل الفضائل ولا يحل لمن وفقه الله تعالى وزهد فيها ان يحرم ما اباح الله تعالى منها والعجب من أهل زماننا يعيبون الشبهات وهم يستحلون المحرمات ومثالهم عندى كالذين سالوا عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما عن المحرم يقتل القراد والحلمة فقال للسائلين له من انتم فقالوا من اهل الكوفة فقال تسالونى عن هذا وأنتم قتلتم الحسين بن على رضى الله تعالى عنهما وروى ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ما أتاك من غير مسئلة فكله وتموله وروى هذا الحديث أيضا عن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما ما أتاك من غير مسئلة فكله وتموله وروى أبو سعيد الخدرى وجابر بن عبد الله عن النبى صلى الله عليه وسلم معناه وفى حديث أحدهما انما هو رزق رزقكه الله تعالى وفى لفظ بعض الرواة ولا ترد على الله رزقه وهذا كله مبنى على ما أجمعوا عليه وهو الحق فمن عرف الشئ المحرم بعينه فانه لا يحل له المسئلة من كلام ابن عبد البر انتهى * وحضر ابن مجير مع عدوله جاحد لمعروفه وأمامهما زجاجة سوداء فيها خمر فقال له الجحود ان كنت شاعرا فقل فى هذه فقال ارتجالا ساشكو الى الندمان الى آخر الحكاية وقد تقدمت فى رسالة الشقندى رحمه الله تعالى وابن مجير هو أبو بكر يحيى بن عبد الجليل بن عبد الرحمن بن مجير الفهرى كان فى وقته شاعر المغرب ويشهد له بقوة عارضته وسلامة طبعه قصائده التى صارت مثالا ويعتد على قربها مثالا وشعره كثير يشتمل على أكثر من تسعة آلاف وأربعمائة بيت واتصل بالامير أبى عبد الله بن سعد بن مردنيش وله فيه أمداح وأنشد يوسف بن عبد المؤمن يهنيه بفتح

ان خير الفتوح ما جاء عفوا * مثل ما يخطب الخطيب ارتجالا

وكان أبو العباس الجراوى حاضرا فقطع عليه لحسادة وجدها وقال يا سيدنا اهتدم بيت وضاح خير شراب ما كان عفوا * كانه خطبة ارتجالا فبدر المنصور وهو حينئذ وزير أبيه وسنه قريب العشرين وقال ان كان اهتدمه فقد استحقه انقله اياه من معنى خسيس الى معنى شريف فسر ابوه بجوابه وعجب الحاضرون * ومر المنصور أيام امرته باوقية من أرض شلب فوقف على قبر الحافظ أبى محمد بن حزم وقال عجبا لهذا الموضع يخرج منه مثل هذا العالم ثم قال كل العلماء عيال على ابن حزم ثم رفع رأسه وقال كما أن الشعراء عيال عليك يا أبا بكر يخاطب ابن مجير * ومن شعر ابن مجير يصف خيل المنصور من قصيدة فى مدحه

له حلبة الخيل العتاق كانها * نشاوى تهادت تطلب العرف والنصفا
عرائس أغنتها الخجول عن الحلى * فلم تبغ خلخالا ولا التمست وقفا
فمن يقق كالطرس تحسب أنه * وان بردوه فى ملاءته التفا
وابلق اعطى الليل نصف أهابه * وغار عليه الصبح فاحتبس النصفا

فهدم من بروج الحصن منها من الغدر بابها وقومها وارشاد سابور الى دخول الحصن يقول عدى ابن زيد العبادى

والحصن صب عليه داهية
من قصره قد أبدتا كنها
أنسته اذ لم يوف والدها
محبها اذ أضاع راقبها
وأسلمت أهلها الليتها
تظن أن الرئيس خاطبها
وكان حظ العروس اذ حشر الصـ

ـبح وما تجدين سباسبها

والشعر فى هذه القصة كثير (وبارض العراق) بيت للنار فى مدينة السلام بنته بوران بنت كسرى أبرويز الملكة فى الموضع المعروف باسبيا وبيوت النيران كثيرة عما بنته المجوس بالعراق وأرض فارس وكرمان وسجستان وخراسان وطبرستان والجبال وأذربيجان والران وفى الهند والسند والصين أعرضنا عن ذكرها وانما ذكرنا ما اشتهر منها (والهيا كل) المعظمة عند اليونانيين وغيرهم لا مثل بيت بعل وهو جنى ذكره الله النمل بقوله أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين وهو بمدينة دمشق من أعمال دمشق من كورة سنير وقد كانت اليونانية اختارت لهذا الهيكل قطعة من الارض

وورد تغشى جلده شفق الدجى * فاذا حازه دلى له الذيل والعرفا
واشقر مج الراح صرفا اديمه * واصفر لم يمسح بها جلده صرفا
واشهب فضى الاديم مدنر * عليه خطوط غير مفهمة حرفا
كما خطط الراهى بمهرق كاتب * بخر عليه ذيله وهو ماجفا
شهب على الاعدا منها عواصف * ستنسف ارض المشركين بها نسفا
ترى كل طرف كالغزال فتهتدى * اظبيا ترى تحت العجاجة ام طرفا
وقد كان فى البيداء يالف سربه * فريته مهرا وهى تحسبه خشفا
تناوله لفظ الجواد لانه * على ما اردت الجرى اعطاكه ضعفا

ولما اتخذ المنصور مقصورة الجامع بمراكش بدار ملكها وكانت مدبرة على انتصابها اذا استقر المنصور ووزراؤه بمصلاه واختفائها اذا انفصلوا عنها انشد فى ذلك الشعراء فقال ابن مجبر من قصيدة اولها

اعلمتنى التى عصا التسيار * فى بلدة ليست بدار قرار

الى ان قال

طورا تكون بمن حوته محيطة * فكانها سور من الاسوار
وتكون حينا عنهم مخبوءة * فكانها سر من الاسرار
وكانها علمت مقادير الورى * فتصرفت لهم على مقدار
فاذا احست بالامام يزورها * فى قومه قامت الى الزوار
يبدو فتبدو ثم تخفى بعده * كتكون الحالات للاقمار

وممن روى عنه ابو على الشلوبين وطبقته وتوفى بمراكش سنة ٥٨٨ وعمره ٥٣ سنة رحمه الله تعالى * وقد حكى الشريف الغرناطى شارح المقصورة هذه الحكاية باتم مما ذكرناه فقال عن الكاتب ابن عياش كاتب المنصور والموحدى قال كانت لابى بكر بن مجبر وفادة على المنصور فى كل سنة فصادف فى احدى وفاداته فراغه من احداث المقصورة التى كان احدثها بجامعه المتصل بقصره فى حضرة مراكش وكانت قد وضعت على حركات هندسية ترفع بها فخر وجه وتخفض لدخوله وكان جميع من بباب المنصور يومئذ من الشعراء والادباء قد نظموا اشعارا انشدوه اياها فى ذلك فلم يزيدوا على شكره وتجزيته الخير فيما جدد من معالم الدين وآثاره ولم يكن فيهم من تصدى لوصف الحال حتى قام أبو بكر بن مجبر فانشد قصدته التى أولها أعلمتنى ألتى عصا التسيار واستمر فيها حتى ألم بذكر المقصورة فقال يصفها طورا تكون الخ فطرب المنصور لسماعها وارتاح لاختراعها انتهى وقد بطلت حركات هذه المقصورة الآن وبقيت آثارها حسبما شاهدته سنة عشر وألف والله تعالى وارث الارض ومن عليها * ومن نظم ابن مجبر ايضا ما كتب به الى السلطان ملك المغرب رحمه الله تعالى وقد ولد له ولد أعنى لابن مجبر

ولد العبد الذى انعامكم * طينة أنشئ منها جسده
وهو دون اسم لعلمى أنه * لا يسمى العبد الا سيده

أحدهما أقدم من الآخر فيهما من النقوش العجيبة المحفورة فى الحجر الذى لا يتأتى حفر مثله فى الخشب مع علو سمكهما وعظم أحجارهما وطول أساطينهما ووسع فضائهما وعجيب بنيانهما وقد أتينا على خبر هذه الهياكل وما كان من خبر القتل على رأس ابنة الملك وما نال أهل هذه المدينة من سفك الدماء (وهيكل عظيم البنيان) فى مدينة دمشق وهو المعروف بجيرون وقد ذكرنا خبره فيما سلف من هذا الكتاب وأن بانيه جيرون بن أسعد العادى ونقل اليه عمد الرخام وأنه ارم ذات العماد المذكورة فى القرآن لا ما ذكر عن كعب الاحبار أنه دخل على معاوية بن أبى سفيان وساله عن خبرها وذكر عجيب بنيانها من الذهب والفضة والمسك والزعفران وانه يدخلها رجل من العرب يتيه له جملان فيخرج فى طلبهما فيقع اليها وذكر حلية الرجل ثم التفت فى مجلس معاوية فقال هذا هو الرجل وكان الاعرابى قد دخلها يطلب ماندمن ابله فاجاز معاوية كعبا وتبين صدق مقالته

وايضاح برهانه فان كان هذا الخبر عن كعب حقا فى هذه المدينة فهو حسن وهو خبر يدخله الفساد من

وقوله

ملك تروبك منه شيمة * انست الظما آن رزق النطف
جمعت من كل مجد فحكت * لفظة قد جمعت من أسف
يعجب السامع من وصفي لها * ووراء العجز مالم اصف
لو أعار السهم ما في رايه * من سداد وهدى لم يصف
حلمه الراجح ميزان المدى * يزن الاشياء وزن المنصف

وقال ابن خفاجة

صح الهوى منك ولكنني * اعجب من بيننا يقدر
كأننا في فلك دائر * فانت تخفى وانا اظهر

وهما الغاية في معناهما كما قاله ابن ظافر رحمه الله تعالى * وقال الاعمى التطيلي

اذا اشتفت مني الايام في وطني * حتى تضايق فيما عز من وطري
فلا قضت من سواد العين حاجتها * حتى تكر على ما طل في الشعر

وقال القاضي أبو حفص بن عمر القرطبي

هم نظروا لواحظها فهاموا * وتشرب لب شاربها المدام
يخاف الناس مقلتها سواها * أيذعر قلب حامله الحسام
سما طرفي اليها وهو باك * وتحت الشمس ينسكب الغمام
وأذكر قدها فانوح وجدا * على الاغصان تنتدب الحمام
فأعقب بينها في الصدر غما * اذا غربت ذكاء أبي الظلام

وقال الحاجب عبد الكريم بن مغيث

طارت بنا الخيل ومن فوقها * شهب بزاة تحمام الحمام
كأنما الايدي قسي لها * والطير اهداف ومن السهام

وقال أخوه أحمد

اشرب على البستان من كف من * يسقيك من فيه وأحداقه
وانظر الى الايكة في برده * ولاحظ البدر باطواقه
وقد بدا السرو على نهره * كنائض شمر عن ساقه

وقال ابو العباس أحمد بن أبي عبد الله بن أمية البلنسي

اذا كان ودي وهو أنفس قربة * يجازى ببغض فالقطيعة أحزم
ومن أضيع الاشياء ودصرفته * الى غير من يحظى لديه وتكرم

ومن حكايات اهل الاندلس في خلع العذار والطرب والظرف وغير ذلك مما حكاه صاحب بدائع البدائه قال أخبرني من أثق به بما هذا معناه قال خرج الوزير أبو بكر بن عمار والوزير أبو الوليد بن زيدون ومعهما الوزير ابن خلدون من اشبيلية الى منتزه لبني عباد بموضع يقال له القنت تحف بهام وج شرقة الانوار متنسمة الانجاد والاغوار متبسمة عن ثغور الانوار في زمان ربيع سقى الارض المعشب فيه بوسميها

جهات من النقل وغيره يصح عند كثير من الاخباريين ممن وفد على معاوية من أهل الدراية باخبار الماضين وسنن الغابرين من العرب وغيرهم من المتقدمين وما كان فيها من الكوائن والحوادث وتشعب الانساب وكتاب عبيد بن شرية متداول في أيدي الناس مشهور (وقد ذكر كثير) من الناس ممن له معرفة باخبارهم أن هذه أخبار موضوعة من خرافات مصنوعة نظمها من تقرب للملوك بروايتها وصال على أهل عصره بحفظها والمذاكرة لها وأن سبيلها سبيل الكتب المنقولة الينا والمترجمة لنا من الفارسية والهندية والرومية وسبيل تاليفها ما ذكرنا مثل كتاب اقسان وتفسير ذلك من الفارسية ويقال له اقشابه والناس يسمون هذا الكتاب الف ليلة وليلة وهو خبر الملك والوزير وابنته وداياتها شيرزاد ورسازاد ومثل كتاب وزره وشماس وما فيه من أخبار ملوك الهند والوزراء ومثل كتاب السندباد وغيرها من الكتب في هذا المعنى (وقد كان)

مسجد دمشق قبل ظهور النصرانية هيكلا عظيما فيه التماثيل والاصنام على رأس منارة [illegible] وليها

وواليها وجلتها فى زاهر ملبسها و باهر حليها وأرداف الربا قد تأزرت بالازر الخضر من نباتها وأجياد الجداول قد نظم النوار قلائده حول لباتها ومجامر الزهر تعطر أردية النسائم عند هباتها وهنالك من الهمار مايزرى على مداهن النضار ومن الترجس الريان مايهزأ بنواعس الاجفان وقد دنو واالانفراد للهو والطرب والتنزه فى روضى النبات والادب و بعثوا صاحبا لهم يسمى خليفة هو قوام لذتهم ونظام مسرتهم ليأتيهم بنبيذ يذهبون الهم بذهبه فى لجين زجاجه و يرمونه منه بما يقضى بتحريكه للهرب عن القلوب وازعاجه وجلسوا لانتظاره وترقب عوده على آثاره فلما بصروا به مقبلا من أول الفج بادروا الى لقائه وسارعوا الى نحوه وتلقائه واتفق أن فارسا من الجند ركض فرسه فصدمه ووطئ عليه فهشم أعظمه وأجرى دمه وكسر قعال النبيذ الذى كان معه وفرق من شملهم ما كان الدهر قد جمعه ومضى على غلوائه را كضا حتى خفى عن العين خائفا من متعلق به يحين بتعلقه الحين وحين وصل الوزراء اليه تأسفوا عليه وأفاضوا فى ذكر الزمان وعدوائه والخطب والوائه ودخوله بطوام المضرات على تمام المسرات وتكديره لاوقات المنعمات بالآفات المؤلمات فقال ابن زيدون

أنلهو والحتوف بنا مطيفه * ونامن والمنون لنا مخيفه

فقال ابن خلدون

وفى يوم وما أدراك يوم * مضى قعالنا ومضى خليفه

فقال ابن عمار

هما خمارتا راح وروح * تكسرتا فاشقاف وجيفه

وذكر ابن بسام ما معناه أن أبا عامر بن شهيد حضر ليلة عند الحاجب أبى عامر بن المظفر ابن المنصور بن أبى عامر بقرطبة فقامت تسقيهم وصيفة عجيبة صغيرة الخلق ولم تزل تسهر فى خدمتهم الى أن هم جند الليل بالانهزام وأخذ فى تقويض خيام الظلام وكانت تسمى أسماء فعجب الحاضرون من مكابدتها السهر طول ليلتها على صغر سنها فسأله المظفر وصفها فصنع ارتجالا

أفدى أسماء من نديم * ملازم للكؤس راتب
قد عجبوا فى السهاد منها * وهى لعمرى من العجائب
قالوا تجافى الرقاد عنها * فقلت لاترقد الكواكب

وحكى ابن بسام ما معناه أن ابن شهيد المذكور كان يوما مع جماعة من الادباء عند القاضى ابن ذكوان فى مبيا كورة باقلا فقال ابن ذكوان لا ينفرد بها الا من وصفها فقال ابن شهيد أنا فارتجل

ان لا ح لبك أحدثت صلفا * فاتخذت من زمرذ صدفا
يسكن ضراتها النحور وذى * تسكن للحسن روضة أنفا
هامت بلطف الجمال فاتخذت * من سندس فى جنانها الحفا
شبهتها بالثغور من لطف * حسبك هذا من رمز من لطفا

وأحكم بناءه الوليد بن عبد الملك والصوامع لم تغير وهى مناثر الاذان الى هذا الوقت (وقد كان) بدمشق أيضا بناء عجيب يقال له البريص وهو مبنى الى هذا الوقت فى وسطها وكان يجرى فيه الخمر فى قديم الزمان وقد ذكرته الشعراء فى مدحها للملوك غسان من هارب وغيرهم (وهيكل) بانطاكية يعرف بالديماس على يمين مستحدها الجامع مبنى بالآجر العادى والحجر عظيم البنيان وفى كل سنة يدخل القمر عند طلوعه من باب من ابوابه من أعاليه فى بعض الاهلة الصيفية وقد ذكر ان هذا الديماس من بناء الفرس حين ملكت انطاكية وأنه بيت نار لها (قال المسعودى) وقد ذكر ابو معشر المنجم فى كتابه المترجم بكتاب الالوف الهياكل والبنيان العظيم الذى يحدث بناؤه فى العالم فى كل ألف عام وكذلك ذكره ابن الماربار تلميذ أبى معشر فى كتابه المنتخب من كتاب الالوف وقد ذكر غيرهما ممن تقدم عصرهما وممن تأخر عنهما كثيرا من البنيان والعجائب

فى الارض وقد أعرضنا عن ذكرها وذكر السد الاعظم وهو سد يأجوج ومأجوج وتنازع الناس فى كيفية بنائه

جازابن ذكوان فى مكارمه * حدود كعب ومابه وصفا
قدم درالرياض منتبيا * منه لافراس مدحه علفا
أكل ظريف وطعم ذى أدب * والنول يهواه كل من ظرفا
رخص فيه شيخ له قدر * فكان حبى من المنى وكفا

وقال ابن بسام ان جماعة من أصحاب ابن شهيد المذكور قالوا له يا أبى عامر انك لآت بالعجائب وجاذب بذوائب الغرائب ولكنك شديد الاعجاب بما يأتى منك هازلعطفك عند النادر يتاح لك ونحن نريد منك أن تصف لنا مجلسنا هذا وكان الذى طلبوه منه زيادة التعنيت لان المعنى اذا كان جلفا ثقيلا على النفس قبيح الصورة عند الحس كلت الفكرة عنه وان كانت ماضية وأساءت القريحة فى وصفه وان كانت محسنة وكان فى المجلس باب مخلوع معترض على الارض ولبد أحمر مبسوط قد صفقت خفاقهم عند حاشيته فقال مسرعا

وفتية كالنجوم حسنا * كلهم شاعر نبيل
متقد الجانبين ماض * كانه الصارم الصقيل
راموا النصرافى عن المعالى * والحمد من دونها فليل
فالجد فى أمرها فسيح * كل كثير له قليل
فى مجلس زانه التصابى * وطاردت وصفه العقول
كانما بابه أسير * قد عرضت دونه نصول
يراد منه المقال قسرا * وهو على ذاك لا يقول
ينظر من لبده لدينا * بحر دم تحتنا يسيل
كأن أخفافنا عليه * مراكب ما لها دليل
ضلت فلم تدر أين تجرى * فهل على شطه تقيل

فعجب القوم من أمره ثم خرج من عندهم فمر على بعض معارفه من الطرائفيين وبين يديه زنبيل ملآن خرشفا فجعل يده فى لجام بغلته وقال له لا أتركك أو تصف الخرشف فقد وصفه صاعد فلم يقل شيئا فقال له ابن شهيد ويحك أعلى مثل هذه الحال قال نعم فارتجل

هل أبصرت عيناك ياخليلى * قنا فذا تباع فى زنبيل
من خرشف معتمد جليل * ذى ابر تنفذ جلد الفيل
كانها أنياب بنت الغول * لو نخست فى است امرئ ثقيل
لقفزته نحو أرض النيل * ليس يرى طى حشا منديل
تقل السخيف المائن الجهول * وأكل قوم نازحى العقول
أقسمت لا أطعمها أكيلى * ولا طعمتها على شمول انتهى

وقال فى بدائع البدائه دخل الوزير أبو العلاء زهر ابن الوزير أبى مروان عبد الملك بن زهر على الامير عبد الملك بن رزين فى مجلس أنس وبين يديه ساق يسقى خمرين من كاسه ولحظه ويبدى درين من حبابه ولفظه وقد بدا خط عذاره فى صحيفة خده وكمل حسنه باجتماع الضدمنه مع ضده فكانه بسحر لحظه أبدى ليلا فى شمس وجعل يومه فى الحسن أحسن

المرسومة ومابصعيد مصر من البرابى المصنوعة و بغير أرض الصعيد من أرض مصر واخبار مدينة العقاب وماذكر الناس فيها وكونها فى وهاد مصر وأنها فى جهة الواحات مما يلى المغرب والحبشة وخبر العمود الذى ينزل منه الماء فى فصل من السنة بارض عاد وأخبار النمل الذى على قدر الذباب والكلاب وقصة ارض الذهب التى حذاء سلجماسة من ارض المغرب ومن هنالك من وراء النهر العظيم ومبايعتهم من غير مشاهدتهم ولا مخاطبتهم وتركهم المتاع وغدو الناس الى امتعتهم فيجدون اعمدة الذهب وقد تركب الى جنب كل متاع من تلك الامتعة فان شاء مالك المتاع اختار الذهب وترك المتاع وان شاء اخذ متاعه وترك الذهب وان أحب الزيادة ترك الذهب و المتاع وهذا مشهور بارض المغرب بسلجماسة ومنها حمل التجار الامتعة الى ساحل هذا النهر وهو نهر عظيم واسع الماء وكذلك باقاصى خراسان مما يلى الترك من أقاصى ديارهم أمة تبايع على هذا الوصف من غير مخاطبة ولا مشاهدة وهم هنالك على نهر عظيم أيضا وخبر البئر المعطلة والقصر

من أمس فسأله ابن رزين أن يصنع فيه فقال بديها

تضاعف وجدى أن تبدى عذاره * ونم نفسان القلب منى اصطباره
وقد كان ظنى أن سيعمق ليله * بدائع حسن هام فيها نهاره
فأظهر ضد ضده فيه اذ وشت * بعنبره فى صفحة الخد ناره

واستزاده فقال

محيت آية النهار فاضحى * بدرتم وكان شمس نهار
كان يعشى العيون نورا الى أن * شغل الله خده بالعذار

وصنع أيضا

عذار ألم فابدى لنا * بدائع كنا لها فى عما
ولو لم يجن النهار الظلا * م لم يستبن كوكب فى السما

وصنع أيضا

تمت محاسن وجهه وتكاملت * لما استدار به عذار مونق
وكذلك البدر المنير جماله * فى أن يكنفه سماء أزرق انتهى

وحكى الحميدى وغيره أن عبد الله بن عاصم صاحب الشرطة بقرطبة كان أديبا شاعرا سريع البديهة كثير النوادر وهو من جلساء الامير محمد بن عبد الرحمن الاموى ملك الاندلس وحكوا انه دخل عليه فى يوم ذى غيم وبين يديه غلام حسن المحاسن جميل الزى كريم الاخلاق فقال الامير يا ابن عاصم ما يصلح فى يومنا هذا فقال عقار ينفد الدنان ويؤنس الغزلان وحديث كقطع الروض قد سقطت فيه مؤنة التحفظ وأرخى له عنان التبسط بدرها هذا الاغيد المليح فاستضحك الامير ثم أمر بمراتب الغناء وآلات الصهباء فلما دارت الكاس واستمطر الامير نوادره أشار الى الغلام ان يلح فى سقيه ويؤكد عليه فلما أكثر رفع راسه اليه وقال على البديهة

ياحسن الوجه لا تكن صلفا * ما الحسان الوجوه والصلف
تحسن أن تحسن القبيح ولا * ترثى لصب متيم دنف

فاستبدع الامير بديهته وامره ببدره ويقال انه خيره بينها وبين الوصيف فاختارها نفيا للظنة عنه انتهى قلت اذكرتنى هذه الحكاية ما حكاه على بن ظافر عن نفسه اذ قال كنت عند المولى الملك الاشرف بن العادل بن ايوب سنة ٦٠٣ بالرها وقد وردت اليه فى رسالة فجعلنى بين سمعه وبصره وأنزلنى فى بعض دوره بالقلعة بحيث يقرب عليه حضورى فى وقت طلبتى اوارادة الحديث معى فلم اشعر فى بعض الليالى وانا نائم فى فراشى الا به وهو قائم على راسى والسكر قد غلب عليه والشمع تزهر حوليه وقد حف عماليكه به وكانهم الاقمار الزواهر فى ملابس كالرياض ذات الازاهر فقمت مروعا فامسكنى وبادر بالجلوس الى جانبى بحيث منعنى عن القيام عن الوساد وابدى من الجميل ما ابدلنى بالنفاق بعد الكساد ثم قال غلبنى الشوق اليك ولم ارد ازعاجك والتثقيل عليك ثم استدعى من كان فى مجلسه من خواص القوالين فحضروا واخذوا من الغناء فيما يملأ المسامع التذاذا ويجعل القلوب من الوجد

من الحرف واتصالها بالقرى والفضاء من اعلاها واسفلها وما قاله الناس فى تاويل هذه الآية فيها وهل المراد بالقصر والبئر هذا القصر والبناء أو غيره واخبار مخاليف اليمن وهى القلاع والحصون كقلعة نخل وغيرها واخبار مدينة رومية وكيفية بنائها وما حوته من عجيب الهياكل والكنائس والعمود الذى عليه السودانية من النحاس وما يحمل اليها من الزيتون فى أيامه بالشام وغيره ويحمل ذلك الزيتون المعروف بالسودانية طير فى مخالبه ومناقره فيطرحه على السودانية النحاس فيكثر زيتون رومية وزيتها من ذلك على حسب ما ذكرنا فى أخبار الطلسمات عن مالينياس وغيره فى كتابنا أخبار الزمان ثم أخبار البيوت السبعة التى ببلاد الاندلس وخبر مدينة الصقر وقبة الرصاص التى بمفاوز الاندلس وما كان من خبر الملوك السالفة فيها وتعذر الوصول اليها ثم ما كان من أمر صاحب عبد الملك ابن مروان فى نزوله عليها وما تهافت فيه المسلمون عند الطلوع على سورها واخبارهم عن أنفسهم أنهم وصلوا الى نعيم الدنيا والآخرة وخبر المدينة التى أسوارها من الصفر على ساحل البحر الحبشى فى أطراف مفاوز الهند وما

فجذاذا وكان له فى ذلك الوقت مملوك كان هما نير اسماء ملكه وواسطة در سلكه وقطبا فلك طربه ووجده وركنا بيت سروره ولهوه وكانا يتناوبان فى خدمته فحضر أحدهما فى تلك الليلة وغاب الآخر وكان كثيرا ما يداعبنى فى أمرهما ويستعلب منى القول فيهما والكلام فى التفضيل بينهما فقلت للوقت

يا مالكا لم يحك سيرته * ماض ولا آت من البشر
اجمع لنا تحديك أنفسنا * فى الليل بين الشمس والقمر

فطرب وأمر فى الحال باحضار الغائب منهما فحضر والنوم قد زاد أجفانه تفتيرا ومعاطفه تكسيرا فقلت بين يديه بديهة فى وصف المجلس

سقى الرحمن عصرا قد مضى لى * بأكناف الرها صوب الغمام
وليلا باتت الانوار فيه * تعاون فى مدافعة الظلام
فنور من شموع أو ندامى * ونور من سقاة أو مدام
يطوف بأنجم الكاسات فيه * سقاة مثل أقمار التمام
تريك به الكؤس جود ماء * فتخسب راحها ذوب الضرام
يميل به غصونا من قدود * غناء مثل أصوات الحمام
فكم من موصلى فيه يشدو * فينسى النفس عادية الحمام
وكم من زلزل للضرب فيه * وكم للزمر فيه من زنام
لدى موسى بن أيوب المرجى * اذا ما ضن غيث بانسجام
ومن كظفر الدين المليك الاجل الاشرف الندب الهمام
فما شمس تقاس الى نجوم * تحاكى قدره بين الكرام
فدام مخلدا فى الملك يبقى * اذا ما ضن دهر بالدوام

فلما أنشدتها قام فوضع فرجية من خاص ملابسه كانت عليه على كتفى ووضع شربوشه بيده على رأس مملوك صغير كان لى انتهى ولابن ظافر هذا بدائع منها ما حكاه عن نفسه اذ قال ومن أعجب ما دهيت به ورميت الا أن الله بفضله نصر وأعطى الظفر وأعان خاطرى الكليل حتى مضى مضاء السيف الصقيل أنى كنت فى خدمة مولانا السلطان الملك العادل بالاسكندرية سنة احدى وستمائة مع من ضمته حاشية العسكر المنصور من الكتاب والحواشى والخدام ودخلت سنة اثنتين وستمائة ونحن بالثغر مقيمون فى الخدمة مرتضعون لافاويق النعمة فحضرت فى جملة من حضر الهناء من الفقهاء بالثغر والعلماء والمشايخ والكبراء وجماعة الديوان والامراء واتفق أن كان اليوم من أيام الجلوس لامضاء الاحكام والعرض لطوائف الاجناد فلم يبق أحد من أهل البلد ولا من أهل المعسكر الاحضر مهنيا ومثل شاكرا وداعيا فحين غص المجلس بأهله وشرق بجمع السلطان وحفله وخرج مولانا السلطان الى مجلسه واستقر فى دسته أخرج من بركة قبائه كتابا ناوله للصاحب الاجل صفى الدين أبى محمد عبد الله بن على وزير دولته وكبير جملته وهو مفوض الختام مفكوك الغدام ففتحه فاذا فيه قطعة وردت من المولى الملك المعظم كتبها اليه يتشوقه

المتخذة للاصنام التى على صورة البدر المتقدم ظهورها فى قديم الزمان بارض الهند وخبر الهيكل المعظم الذى ببلاد الهند المعروف ببلاد الرى وهذا عند الهند يقصد من البلدان الشاسعة وله بلد قد وقف عليه وحوله ألف مقصورة فيها جوار لم تنظر لتعظيم هذا الصنم من الهند وخبر الهيكل الذى فيه الصنم ببلاد المولتان على نهر مهران من أرض السند وخبر سندار كسرى ببلاد مرماسين من أعمال الدينور من ماه الكوفة وكثير من أخبار العالم وخواص بقاعه وأبنيته وجباله وتدافع ما فيه من الخلق وغيره مما قد أتينا على ذكره فيما سلف من كتبنا وكذلك ما خص به كل بلد من اللباس والاخلاق دون غيرهم وما انفردوا به من أنواع الاغذية والمآكل والمشارب والشم وعجائب كل بلد وذكرنا أخبار البحار وما قيل فى اتصال بعضها ببعض وتفاعل مياهها وما يحدث فى كل بحر منها من الآفات وما فيه من الجواهر دون غيره من البحار كاللؤلؤ والمرجان ببحر المغرب وعدمه فى غيره ووجود اللؤلؤ فى البحر الحبشى دون غيره

و يستعطفه لزيارته و يرققه و يستحثه على عود ركابه الى بلاد الشام للشاغرة بها وقمع عدوها ويعرض بذكر مصر وشدة حرها ووقد جرها وذلك بعد أن كان وصل الى خدمته بالثغر ثم رجع اليها والابيات

أروى رماحك من نحور عدا كا * وانهب بخيلك من أطاع سوا كا
وار كب خيولا كالمعالى شزبا * واضرب بسيفك من يشق عصا كا
واجلب من الابطال كل سميدع * يفرى بعزمك كل من يشنا كا
واسترعف السمر الطوال و روّها * واسق المنية سيفك السفا كا
وسر العداة الى العداة مبادرا * بالضرب فى هام العدو درا كا
وانكع رماحك للثغو رفانها * مشتاقة أن تبتنى بعلا كا
فالعز فى نصب الخيام على العدا * تردى الطغاة وتدفع الملا كا
والنصر مقرون بهمتك التى * قد أصبحت فوق السماك سما كا
فاذا عزمت وجدت من هو طائع * واذا نهضت وجدت من يخشا كا
والصبر فى الاعداء يوم كريهة * أحلى من الكاس الذى روّا كا
والعجز أن تضحى بمصر راهنا * وتحل فى تلك العراص عرا كا
فأرح حشاشتك الكريمة من لظى * مصر لكى تحظى الغداة بذا كا
ولقد غدا قلبى عليك بحرقة * شغفا ولاح البلادهما كا
وانهض الى راجى لقاك مسارعا * فغناه من كل الامور ورلقا كا
وارد فؤاد المستهام بنظرة * وأعد عليه العيش من رؤيا كا
واشف الغداة عليل صب هائم * أضحى منى من الحياة منا كا
فسعادتى بالعادل الملك الذى * ملك الملوك وقارن الافلا كا
فبقيت لى يا مالكى فى غبطة * وجعلت من كل الامور فدا كا

فلما بلا الصاحب على الحاضرين محكم آيانها وجلى منها العروس التى حازت من المحاسن أبعد غاياتها أخذ الناس فى الاستحسان لغريب نظامها وتناسق التئامها والثناء على الخاطر الذى نظم بديع أبيانها وأطلع من مشرق فكره آيانها فقال السلطان نريد من يجيبه عنا بابيات على قافيتها فالتفت مسرعا الى وأنا عن يمينه وقال يا مولانا مملوكك فلان هو فارس هذا الميدان والمعتاد للتخلص فى مضايق هذا الشان ثم قطع وسلا من درج كان بين يديه وألقاه الى وعمد الى دواته فادارها بين يدى فقال له السلطان أهكذا على مثل هذا الحال وفى مثل هذا الوقت فقال لم أناجز بتته فوجدته متقدا الخاطر حاضر الذهن سريع اجابة الفكر فقال السلطان وعلى كل حال قم الى هنا لتنكف عنك أبصار الناظرين وتنقطع عنك ضوضاء الحاضرين وأشار الى مكان عن يمين البيت الخشب الذى هو بالجلوس فيه منفرد فقمت وقد فقدت رحلى اخذالا وذهنى اختلالا لهيبة المجلس فى صدرى وكثرة من حضره من المترقبين لى المتنظرين حلول فترة الشماتة بى فما هو الا أن جلست حتى ثاب الى خاطرى وانثال الكلام على سرائرى فكنت أتوهم

له ذلك لارتفاع القلزم وانخفاض بحر الروم وان الله عز وجل قد جعل ذلك حاجزا على حسب ما أخبر فى كتابه والموضع الذى حفره ببحر القلزم يعرف بذنب التمساح على ميل من مدينة القلزم عليه قنطرة عظيمة يجتاز عليها من يريد الحج من مصر وأجرى خليجا من هذا البحر الى موضع يعرف بالهامة صنعه محمد ابن على المحرانى من أرض مصر فى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة فلم يتات له اتصال ما بين بحر الروم وبحر القلزم (وحفر خليج) آخر ما يلى بلاد تنيس ودمياط وبحيرتهما ويعرف هذا الخليج بالزفير والحسة واستمر الماء فى هذا الخليج من بحر القلزم الذى فى نحو من هذه القرى ومن بحر القلزم فى خليج ذنب التمساح فيتتابع أرباب المراكب وتقرب حمل ما فى كل بحر الى آخر ثم ارتدم ذلك على تطاول الدهور وملأته السوافى من الرمل وغيره (وقد رام الرشيد) أن يوصل بين هذين البحرين مما يلى النيل من أعالى مصبه من نحو بلاد الحبشة وأقاصى صعيد

٢٢ ط ثنى

مصر فلم يتات له قسمة ماء النيل فرام ذلك مما يلى بلاد الفرما نحو بلاد تنيس على أن يكون مصب بحر

فقال يحيى بن خالد يخطف الروم الناس من المسجد الحرام والطواف وذلك

القلزم الى البحر الرومى أن مراكبهم تنتهى من بحر القلزم الى بحر الحجاز فتطرح سرايا هناك مما يلى جدة فيخطف الناس من المسجد الحرام ومكة والمدينة على ماذكرنا فامتنع من ذلك (وقد حكى) عن عمرو بن العاص حين كان بمصر أنه رام ذلك فمنعه عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وذلك لما وصفنا من فعل الروم وسراياهم وذلك فى حال ما افتتحها عمرو بن العاص فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وآثار الحفر بين هذين البحرين فيما ذكرنا من المواضع والخلجان على حسب ما شرعت فيه الملوك السالفة طلبا لعمارة الارض وخصب البلاد وعيش الناس بالاقوات وان يحمل الى كل بلد ما فيه من الاقوات وغيرها من ضروب المنافع وضروب المرافق والله تعالى أعلم

(ذكر جامع التاريخ من بدء العالم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما لحق بهذا الباب)

قد ذكرنا فيما سلف من كتبنا جملا من تباين الناس فى بدء العالم ممن اثبت حدوثه ونفاه وماجرت الآراء بهم فيه الى جهات شتى وقد أخبرنا أنهم طوائف وفرق من اليونانيين ومن وافقهم على القول والمحبة

أن فكرى كالبازى الصيود لا يرى كلمة الا أنشب فيها مخلبه ولا معنى الا شك فيه ظفره فقلت فى أسرع وقت

وصلت من الملك المعظم تحفة * ملأت بفاخر درها الاسلاكا
أبيات شعر كالنجوم جلالة * فلذا حكت أوراقها الافلاكا
عجبا وقد جاءت كمثل الروض اذ * لم تذوها بالحر نار ذكاكا
جلت الهموم عن الفؤاد كمثل ما * تجلو بغرة وجهك الاحلاكا
كقميص يوسف اذ شفت يعقوب ريا * ه شفتنى مثله رياكا
قد أعجزت شعراء هذا العصر كلهم فلم لا تعجز الاملاكا
ما كان هذا الفضل يمكن مثله * أن يحتويه من الانام سواكا
لم لا أغيب عن الشآم وهل له * من حاجة عندى وأنت هناكا
أم كيف أخشى والبلاد جميعها * محمية فى حاطمن قناكا
يكفى الاعادى حربا سلك فيهم * أضعاف ما يكفى الولى ندا كا
ما زرت مصر لغير ضبط ثغورها * فلذا صبرت فديت عن رؤيا كا
أم البلاد علا على قدرها * لاسيما مذ شرفت بخطاكا
طابت وحق لها ولم لا وهى قد * حوت المعلى فى القداح أخاكا
أنا كالسحاب أزور أرضا ساقيا * حينا وأمنح غيرها سقياكا
مكنى جهاد للعدو لانى * أغزوه بالرأى السديد دراكا
لولا الرباط وغيره لقصدت بالسير الحثيث اليك نيل رضاكا
ولئن أتيت الى الشآم فانما * يحتثنى شوقى الى لقياكا
انى لامنحك المحبة جاهدا * وهواى فيما تشتهيه هواكا
فافخر فقد أصبحت بى وبباسك السحامى وكل ملك يخشاكا
لازلت تقهر من يعادى ملكنا * أبدا ومن عاداك كان فداكا
وأعيش أبصر ابنك الباقى أبا * وتعيش تخدم فى السعود أباكا

ثم عدت الى مكانى وقد بيضتها وحليت بزهرها ساحة القرطاس وروضتها فلما رآنى السلطان قد عدت قال لى هل عملت شيئا ظننا منه أن العمل فى تلك اللمحة القريبة معجز متعذر وبلوغ الغرض فيها غير متصور فقلت قد أجبت فقال أنشدنا فصمت الناس وحدقت الابصار وأصاخت الاسماع وظن الناس بى الظنون وترقبوا منى ما يكون فما هو الا أن توالى الانشاد لابياتها حتى صفقت الايدى اعجابا وتغامزت الاعين استغرابا وحين انتهيت الى ذكر مولانا الملك الكامل بانه المعلى فى البنين اذا ضربت قداحهم وسردت أمداحهم اغرورقت عيناه دما لذكره وأبان صمته مخفى المحبة حتى أعلن بسره وحين انتهيت الى آخرها فاض دمعه ولم يمكنه دفعه فخديه مستدعيا للورقة فناولتها الى يد الصاحب فناولها له وعند حصولها فى يده قام من غير اشعار لاحد بما دار من ارادة القيام فى خلده ستر الماظهر عليه من الرقة على الموالى الاولاد * وكتما لما عليهم من الوجد بهم

والمحبة لهم وانفض المجلس وانما حمل الصاحب على هذا الفعل الذي غر ربي وخاطرني بالتعريض له أشياء كان يقترحها على فانفذ فيها من بين يديه ويخف الامر منها على لدالتي عليه منها أني كنت في خدمته سنة ٩٩٠ بدمشق فورد عليه كتاب من الملك المنصور محمد ابن الملك المظفر تقي الدين صاحب حماة وقد بعث صحبته نسخة من ديوان شعره فتشاغل بنسخه يجواب كتابه فلما كتب بعضه التفت الي وقال اصنع أبياتا أكتبها اليه في صدر الجواب وأذكر فيها شعره فقلت له على مثل هذه الحال فقال نعم فقلت بقدر ما انجز بقية النسخة

أيا ملكا قد أوسع الناس نائلا * وأغرقهم بذلا وعمهم عدلا
فديناك هب للناس فضلا يزينهم * فقد حزت دون الناس كلهم الفضلا
ودونك فانحهم من العلم والنجا * كما منحتهم كفك الجود والبذلا
اذا حزت أو في الفضل عفوا فانما الذي * تركت لمن كان القريض له شغلا
وماذا عسى من ظل بالشعر قاصدا * لبابك أن يأتي به جزلا أو قلا
فلازلت في عز يدوم ورفعة * تحوز ثناء يملأ الوعر والسهلا انتهى

ووقع لابن ظافر أيضا من هذا النمط انه دخل في أصحاب له يعودون صاحبا لهم وبين يديه بركة قد راق ماؤها وصحت سماؤها وقد رص تحت دساتيرها نار نجم فتن قلوب الحضار وملأ بالمحاسن عيون النظار فكأنما رفعت صوالج فضة على كرات من النضار فاشار الحاضرون الى وصفها فقال بديها

أبدعت يا ابن هلال في فسقية * جاءت محاسنها بما لم يعهد
عجبا لأمواه الدساتير التي * فاضت على نار نجمها المتوقد
فكأنهن صوالج من فضة * رفعت لضرب كرات خالص عسجد انتهى

ومن بديع الارتجال ما حكاه المذكور عن ابن قلاقس الاسكندري رحمه الله تعالى اذ قال دخل الاعز أبو الفتوح بن قلاقس على بلال بن مدافع بن بلال الفزاري فعرض عليه سيفا قد نظم الفرند في صفحته جوهره وأذكى الدهر ناره وجدنهره وألبسه من سلخ الافاعي ردا وجسمه ردى لا يمنع من برقه بدر مجن ولا ثريا مغفر ولا يسلم من حده من ثبت ولا ينجو لطوله من فر فهو يبكي للفراق ويضحك ويزعد للغيظ ويفتك وأمره بصفة شانه فقال على لسانه

أروق كما أروع فان تصفني * فاني رائق الصفحات رائع
تدافع بي خطوب الدهر حتى * نقلت الى بلال عن مدافع

وقال أيضا فيه

رب يوم له من النقع سحب * ما لها غير سائل الدم ودق
قد جلته يمنى بلال بحدي * فكاني في راحة الشمس برق

وقال أيضا فيه

أنا في الكريهة كالشهاب الساطع * من صفحة تبدو وحد قاطع

الحركة الصانعة للاشخاص الحالة فيها الارواح متى قطعت المسافة التي بين العقدة التي ابتدأ من منها حتى تنتهي اليها راجعة ثم تنفصل عنها عادت كل ما بدأت أولا كهيئته واشخاصه وصوره وضروب اشكاله اذ كانت العلة والسبب اللذين بوجودهما توجد الاشياء ووجود الوجود بدء فوجب ظهور الاشياء متى عادت الى المبدا الذي كان عنده الصدر ثم ما نعقب هذا القول من قول الطبيعيين ان علة كون الاشياء الجسمانية والنفسانية من قبل حركات الطبائع واختلاطها لان الطبيعة عندهم تحركت في بدوها واختلطت فاظهرت الحيوان والنبات وسائر الموجودات في العالم وجعلت لها أصلا في التناسل فحركت عن تبقية الاشخاص وعسرت الى النسل وأن الطبائع تنتقل من مركب الى بسيط ومن بسيط الى مركب حتى أورى المركب كنه ما فيه وعادت الاشياء الى البسيط وابتدأ التكون على طريقه لان الذي أوجبه أولا قد وجد فتته أن يوجد منه بوجود المعنى الذي أوجده فظهر ذلك الظهور كالنبات في الربيع وتحرك قوته تحت الثرى وذلك ان الشمس

فكانما استملیت تلك وهذه * من وصف كف بلال بن مدافع

وقال أيضا فيه

انظر لمطر المياه بصفحتي * ولنار حدى كم بها من صالى
قد عاد شدى فى المضايق شيمتى * كبلال بن مدافع بن بلال

وسأله صاحب له وصف مشط عاج قد أشبه الثريا شكلا ولونا وشق ليلا من الشعر جونا فقال

ومتيم بالآبنوس وجسمه * عاج ومن أدهانه شرفاته
كتمت دياجى الشعر منه بدرها * فوشت به للعين عيوقاته

وقال فيه

وأبيض ليل الآبنوس اذا سرى * تمزق عن صبح من العاج باهر
وان غاص فى بحر الشعور رأيته * تبشرنا أطرافه بالجواهر

وقال فيه

ومشرق يشبه ضوء الضحى * حسنا ويسرى فى الدجى الفاحم
وكلما قلب فى لمة * أضحكها عن ثغره الباسم

وجلس بمصر فى دار الانماط يوما مع جماعة فمرت بهم امرأة تعرف بابنة أمين الملك وهى شمس تحت سحاب النقاب وغصن فى أوراق الشباب فحدقوا اليها تحديق الرقيب الى الحبيب والمريض الى الطبيب فجعلت تتلفت تلفت الظبى المذعور أفرقه القانص فهرب وتثنى تثنى الغصن المنطور عانقه النسيم فاضطرب فسألوه العمل فى وصفها فقال هذا يصلح أن يعكس فيه قول العطار الازدى القيروانى

أعرضن لما أن عرضن فان يكن * حذرا فاين تلفت الغزلان

ثم صنع

لما ناظر فى ذرا ناضر * كمركب السن فوق القناة
لوت حين ولت لناجيدها * فاى حياة بدت من وفاة
كما ذعر الظبى من قانص * فعرو كر فى الالتفات

ثم صنع أيضا

ولطيفة الالفاظ لكن قلبها * لم أشك منه لوعة الاعتا
كملت محاسنها فود البدر أن * يحظى ببعض صفاتها أو ينعتا
قد قلت لما أعرضت وتعرضت * يا مؤيسا يا مطمعا قل لى متى
قالت انا الظبى الغرير روانما * ولى وأوجس نبوة فتلفتا

قال على بن ظافر وحضر يوما عند بنى خليف بظاهر الاسكندرية فى قصر رسا بناؤه وسما وكاد يمزق بمزاحمته أثواب السما قد ارتدى جلابيب السحائب ولاث عمائم الغمائم وابتسمت ثغايا شرفاته وانتسمت بالحسن حنايا غرفاته وأشرف على سائر نواحى الدنيا وأقطارها وحبته الرياض بما انتمتها عليه السحب من ودائع أمطارها والرمل بفنائه قد نثر تبره فى

بدا والانتهاء فوجب أن تكون أجزاؤها وأبعاضها غير متناهية وواجب أن يكون الزمان غير حادثا

زبرجد كرومه والجو قد بعث بذخائر الطيب لطيمة نسيمه والنخل قد أظهرت جواهرها ونشرت غدائرها والطل ينثر لؤلؤه في مسارب النسيم ومساحبه والبحر برعد غيظا من عبث الرياح به فساله بعض الحضور أن يصف ذلك الموضع الذي تمت محاسنه وغبط به ساكنه فجاشت لذلك لجج بحره وألقت اليه جواهره لترصيع لبة ذلك القصر ونحره فقال

قصر بمدرجة النسيم تحدثت * فيه الرياض بسرها المستور
خفض الخورنق والسدير سموه * وثنى قصور الروم ذات قصور
لاث الغمام عمامة مسكية * وأقام في أرض من الكافور
غنى الربيع به محاسن وصفه * فافترعن نور يروق ونور
فالدوح يسحب حلة من سندس * تزهو بلؤلؤ طلها المنثور
والنخل كالغيد الحسان تقرطت * بسبائك المنظوم والمنثور
والرمل في حيك النسيم كانما * أبدى غصون سوالف المذعور
والبحر برعد متنه فكأنه * درع تشن بمعطفي مقرور
وكأننا والقصر يجمع شملنا * في الافق بين كواكب بدور
وكذاك دهر بني خليف لم يزل * يثني المعاطف في حبير حبور

ثم قال ابن ظافر وأخبرني الفقيه أبو الحسن علي بن الطوسي المعروف بابن السيوري الاسكندري النحوي بما هذا معناه قال كنت مع الاعز بن قلاقس في جماعة فرينا أبو الفضائل بن فتوح المعروف بالمصري وهو راجع من المكتب ومعه دواته وهو في تلك الايام قرة العين ظرفا وجمالا وراحة القلب قربا ووصالا كل عين الى وجهه محدقة ولمشهد خديه بخلوق الخجل مخلقة فاقترحنا عليه أن يتغزل فيه فصنع بديها

علقته متعلقا * بالخط معتكفا عليه
حمل الدواة ولا دوا * لعاشق يرجى لديه
فدماء حبات القلو * ب تلوح صبغا في يديه
لم أدر ما أشكو اليـ * ـه أهجره أم مقلتيه
والحب يخرسني على * أني الكمح سيبويه
مالي اذا أبصرته * شغل سوى نظري اليه

انتهى

وقد آن وقت الرجعة الى كلام الاندلسيين الذي حلوا بعدنا عنه بمام النجعة فنقول ذكر الفتح في قلائد العقيان كما قال ابن ظافر ما معناه أخبرني الوزير أبو عامر بن بشتغير انه حضر مجلس القائد أبي عيسى بن لبون في يوم سفرت فيه أوجه المسرات ونامت عنه أعين المضرات وأظهرت سقاته غصونا تحمل بدورا وتطوف من المدام بنار مازجت من الماء نورا وشموس الكاسات تطلع في أكفها كالورد في السوسان وتغرب بين أقاحي نجوم الثغور فتذبل نرجس الاجفان وعنده الوزير أبو الحسن بن الحاج اللورقي وهو يومئذ قد بذل الجهد في التحلي بالزهد فأمر القائد بعض السقاة أن يعرض عليه ذهب كأسه ويحييه بزبرجد آسه

نعاين خلقا جديدا وصورا في العالم لم تكن وصورا بادئة قد كانت متماثلة وفي هذا ما يدل على حصر الاشياء وأوقفها في غاية انتهاء صدرها وأوجب ان للاشياء بدأ وانتهاء وبطل قسم المتوهم أن الاشياء بلا نهاية وأن ليس لها ابتداء ولا غاية وذلك باطل ومحال فاسد ولو وجب أن تكون الاشياء الموجودة بلا بدء ولا نهاية لوجب أن لا يزول شيء من مركزه ولا يتحول عن رتبته ولبطلت الاستحالة وبطلت المتضادة وهذا مستحيل ولوجب أن تكون الاشياء على غير نهاية ولما كان لقولنا اليوم وأمس وغدا معنى لان هذه الازمان بعدها هو بالنهاية ويوجد في حوزاتها ايجاد ما لم يكن ودخلها في حوزتها ما هو كائن وفيما ذكرنا ما أوضح عن تنقل شان المعاني ودل على حدوث الاجسام وهذه الدلالة ماخوذة من الحس ومستظهرة بالعقول والبحث واذ قد وضح أن الاشياء محدثة لكونها بعد أن لم تكن فلا بد من محدث هو بخلافها الأشكل له ولا مثل لان العقل

لا يقيم شيئا مثلا حتى يعلم له قدرا وزنا يعادله بمثله وتكافيه وتعالى وجل وعز من لا تعبر عن ذاته اللغات وتحجز العقول أن

ويغازله بطرفه ويميل عليه بعطفه ففعل ذلك عجلا فانشد أبو الحسن مرتجلا

ومهفهف مزج الفتور بشدة * وأقام بين تبسل وتمنع
يثنيه من فعل المدامة والصبا * سكران سكر طبيعة وتطبع
أوما الى بكاسه فكففتها * ورنا فشفعها بلحظ مطمع
والله لولا أن يقال هوى الهوى * منه بفضل عزيمة ونورع
لاخذت في تلك السبيل بماخذي * فيما مضى ونزعت فيها منزعي انتهى

وحكى الحميدي أن عبد الملك بن ادريس الجزيري كان ليلة بين يدي الحاجب بن أبي عامر والقمر يبدو تارة ويخفيه السحاب تارة فقال بديها

أرى بدر السماء يلوح حينا * فيبدو ثم يلتحف السحابا
وذاك لانه لما تبدى * وأبصر وجهك استحيا فغابا
مقال لو نهى عني اليه * لراجعني بتصديق جوابا انتهى

وكان صاعد اللغوي صاحب كتاب الفصوص وقد ذكر ذكره في هذا الكتاب كثيرا ما يمدح بلاد العراق بمجلس المنصور بن أبي عامر ويصفها ويقرظها فكتب الوزير أبو مروان عبد الملك بن شهيد والد الوزير أبي عامر أحمد بن شهيد صاحب الغرائب وقد تقدم بعض كلامه قريبا الى المنصور في يوم برد وكان أخص وزرائه به بهذه الابيات

أما ترى بردي ومناهذا * صيرنا للكمون أفذاذا
قد فطرت صحة الكبود به * حتى لكادت تعود أفلاذا
فادع بنا للشمول مصطليا * نغذ سيرا اليك اغذاذا
وادع المسمى بها وصاحبه * تدع نبيلا وتدع أستاذا
ولا تبالي أبا العلاء زها * بخمر قطربل وكلواذا
مادام من أرملاط مشربنا * دع ديرعمي وديرنا باذا

وكان المنصور قد عزم ذلك اليوم على الانفراد بالحرم فامر باحضار من جرى رسمه من الوزراء والندماء وأحضر ابن شهيد في محفة لنقرس كان يعتاده وأخذوا في شانهم فرلهم يوم لم يشهدوا مثله ووقت لم يعهدوا نظيره وطما الطرب وسما بهم حتى تهايج القوم ورقصوا وجعلوا يرقصون بالنوبة حتى انتهى الدور الى ابن شهيد فاقامه الوزير أبو عبد الله بن عباس فجعل يرقص وهو متوكئ عليه ويرتجل ويومئ الى المنصور وقد غلب عليه السكر

هالك شيخا قاده عذر لكا * قام في رقصته مستهلكا
لم يطق يرقصها مستبتا * فانثنى يرقصها مستمسكا
عاقه عن هزها منفردا * نقرس أخنى عليه فاتكا
من وزير فيهم رقاصة * قام للسكر يناغي ملكا
انا لو كنت كما تعرفني * قمت اجلالا على رأسي لكا
قهقه الابريق مني ضاحكا * ورأى رعشة رجلي فبكى

قال ابن ظافر وهذه قطعة مطبوعة وطرفها الاخير واسطتها وكان حاضرهم ذلك اليوم رجل

حصر تاريخ العالم لما ذكرنا قول من قال بقدمه ودل على أزليته وقد تقدم ذكرنا لقول الهند في ذلك فيما سلف من هذا الكتاب وأما اليهود فانهم زعموا أن عمر الدنيا سبعة آلاف سنة واخذوا في ذلك ماخذا سريعا وذهبت النصارى الى أن عمر العالم ماذهبت اليه اليهود وأما الصابئة من الحرانيين والكتابيين فقد ذكرنا قولهم في ذلك في جملة قول اليونانيين وأما المجوس فانهم ذهبوا في ذلك الى حد معلوم من تفاد قولهم الهرميد وكيده وهو الشيطان ومنهم من ذهب في ذلك الى نحو ماذهب اليه أصحاب الانيس والجلاس وان العالم سيعود بدأ متخلصا من الشرور والآفات وزعمت المجوس ان من وقت زرادشت بن سيمان نديم الى الاسكندر مائتين وثمانين سنة وملك الاسكندر ست سنين ومن ملك الاسكندر الى ملك أردشير خمسمائة سنة وأربع وستون سنة فذلك من هبوط آدم الى هجرة النبي صلى الله عليه وسلم ستة آلاف سنة وماتة سنة وست وعشرون سنة منها من هبوط آدم عليه السلام الى الطوفان ألفان ومائتان وست وخمسون سنة ومن

بغدادي يعرف بالفكيك حسن النادرة سريعها وكان ابن شهيد استحضره الى المنصور فاستطبعه فلما رأى ابن شهيد يرقص قائما مع ألم المرض الذي كان يمنعه من الحركة قال لله درك ياوزير ترقص بالقائمة وتصلي بالقاعدة فضحك المنصور وأمر لابن شهيد بمال جزيل ولسائر الجماعة وللبغدادي * وقال ابن بسام حدث أبو بكر محمد بن أحمد بن جعفر بن عثمان المصحفي قال دخلت يوما على أبي عامر بن شهيد وقد ابتدأت به علته التي مات بها فانس بي وجرى الحديث الى ان شكوت له تحجني بعض أصحابي على ونفاره عني فقال لي ساسعى في اصلاح ذات البين فخرجت عنه واتفق لقائي لذلك المتجني على مع بعض أصحابي وأعزهم على فلما رآني ذلك الصديق مولياعنه أنكر عليه وساله عن السبب الموجب فاخبره وزادني مشيهما حتى لحقا بي وعزم على في مكالمة صاحبي وتعاتبنا عتابا أرق من الهوى وأشهى من الماء على الظما حتى جشا دار أبي عامر فلما رآنا جميعا ضحك وقال من كان الذي تولى اصلاح ما كنا سررنا بفساده قلنا قد كان ما كان فاطرق قليلا ثم أنشد

من لا اسمي ولا أبوح به * أصلح بيني وبين من أهوى
أرسلت من كابد الهوى فدرى * كيف يداوي مواقع البلوى
ولي حقوق في الحب ثابتة * لكن اني بعدها دعوى

وقد ذكرنا في هذا الكتاب من غرائب أبي عامر بن شهيد في مواضع متفرقة الغرائب وقدمنا في الباب الرابع حكايته مع المرأة الداخلة في رمضان لجامع قرطبة وحكينا هناك بلفظ المطمع فلتراجع وعبر ابن ظافر عن معناها بقوله ان أبا عامر كان مع جماعة من أصحابه بجامع قرطبة في ليلة السابع والعشرين من رمضان فرت امرأة به من بنات أجلاء قرطبة قد كملت حسنا وظرفا ومعها طفل يتبعها كالظبية تستتبع خشفا وقد حفت بها الجواري كالبدر حف بالدراري فحين رأت تلك الجماعة المعروفة بالخلاعة وقدرمقوا ذلك الظبي بعيون اسود رأت فريسة ارتاعت وتخوفت أن تختطف منها تلك الدرة النفيسة فاستدنت اليها خشفها والزمته عطفها فارتجل ابن شهيد قائلا * وناظرة تحت طي القناع الخ * ومرت في الباب الرابع هذه الابيات * وقال الرئيس أبو الحسن عبد الرحمن بن راشد الراشدي لما نعيت أبا عامر بن شهيد الى أبي عبد الله الحياط الشاعر وكان قد عرف ما بينهما من المنافسة فبكى وأنشدني لنفسه بديهة

لما نعى الناعي أبا عامر * أيقنت أني لست بالصابر
أودى فتى الظرف وترب الندى * وسيد الاول والآخر

وقال ابن بسام اصطبح المعتصم بن صمادح يوما مع ندمائه فابرز لهم وصيفة مهدوية متصرفة في أنواع اللعب المطرب من الدك وحضر أيضا هناك لاعب مصري ساحر فكان لعبه حسنا فارتجل أبو عبد الله بن الحداد

كذا فلتلم قرازاهرا * وتجني الهوى ناظرا ناضرا
وسيبك سيب ندى مغدق * أقام لنا هاميا هامرا
وان ليوسف ذا رونقا * منيرا كنور الضحى باهرا

مولد ابراهيم الى ظهور موسى بعد ثمانين سنة خلت من عمر موسى بن عمران وهو وقت خروجه ببني اسرائيل من مصر الى التيه خمسمائة وخمس وستون سنة ومن خروجهم الى سنة أربع من ملك سليمان بن داود عليه السلام وذلك وقت ابتدائه في بناء بيت المقدس ستمائة وست وثلاثون سنة ومن بناء بيت المقدس الى ملك الاسكندر سبعمائة وسبع عشرة سنة ومن ملك الاسكندر الى مولد المسيح ثلثمائة سنة وتسع وستون سنة ومن مولد المسيح الى مولد النبي صلى الله عليه وسلم خمسمائة سنة واحدى وعشرون سنة وبين ان رفع الله المسيح وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة الى وفاة النبي صلى الله عليه وسلم خمسمائة سنة وست وأربعون سنة وبين مبعث المسيح وهجرة النبي صلى الله عليه وسلم خمسمائة وأربع وتسعون سنة (وكانت وفاة نبينا) صلى الله عليه وسلم في سنة تسعمائة وخمس وثلاثين سنة من سني ذي القرنين ومن داود الى محمد صلى الله عليه وسلم الفا سنة وسبعمائة سنة وستان وستة أشهر وعشرة أيام ومن ابراهيم الى محمد صلى الله عليه وسلم ألفا سنة وسبعمائة سنة وعشرون سنة وستة أشهر وعشرة ايام ومن نوح الى محمد صلى الله عليه وسلم ثلاثة آلاف سنة وسبعمائة

صباح اصطباح باسفاره * لحظتنا محيا العلا سافرا
وأطلعت فيه نجوم الكؤس * فازال كوكبها زاهرا
وأسمعتنا لاحنا فاتنا * واحضرتنا لاعبا ساحرا
يرفرف فوق رؤس القيان * فتنظر ما يذهل الناظرا
ويخطفها ذيل سربالة * فتنظر طالعها غائرا
فظاهرها ينثني باطنا * وباطنها ينثني ظاهرا
وثناه ثان لاعطابه * دقائق تثني الحجا حائرا
وفي سورة الراح من سحره * خواطر دلت الخاطرا
اذا ورد اللحظ أثناءها * فالوهم عن وردها صادرا
ومن حسن دهرك ابداعه * فما انفك عارضها ماطرا
وسعدك يجتلب المغربات * فيجعل غائبها حاضرا

قال وحضر الاديب أحمد بن الشقاق عند القائد بن دريد بجيان هو وأبو زيد بن مقانا الاشبوني فاحضر لهما عنبا أسود مغطى بورق أخضر فارتجل ابن الشقاق

عنب تطلع من حشي ورق لنا * صبغت غلائل جلده بالاثمد
فكانه من بينهن كواكب * كسفت فلاحت في سماء زبرجد

قال وحضر ابن مرزقان ليلة عند ذي النون بن خلدون وبحضرته وصيفة تحمل شمعة فاستحسنها ابن مرزقان فقال بديها

يا شمعة تحملها اخرى * كانها شمس علت بدرا
امتعنت احدا كما مهجتي * بمثل ما تمتحن الاخرى

قال ودخل الاديب غانم يوما على باديس صاحب غرناطة فوسع له على ضيق كان في المجلس فقال بديها

صير فؤادك للحبوب منزلة * سم الخياط مجال للحبين
ولا تسامح بغيضا في معاشرة * فقلما تسع الدنيا بغيضين

وأخذه من قول الخليل ما تضايق سم الخياط بمتحابين ولا اتسعت الدنيا لمتباغضين وكان الخليل على نمرقة صغيرة والمجلس متضايق فدخل عليه بعض أصحابه فرحب به وأجلسه معه على النمرقة فقال له الرجل انها لا تسعنا فقال ماذكر * وقال ابن بسام أيضا أمر الحاجب المنذر بن يحيى التجيبي صاحب سرقسطة بعرض بعض الجند في بعض الايام ورئيسهم مملوك له رومي يقال له خيار في نهاية الجمال فجعل ينفخ في القرن ليجتمع أصحابه على عادتهم في ذلك فقال ابن هند الداني فيه ارتجالا

أعن بابل أجفان عينيك تنفث * ومن قوم موسى أنت للعهد تنكث
أفي الحق أن تحكي سرافيل نافخا * وامكث في رمس الصدود والبث
عساك نبي الحسن تاتي بآية * فتنفخ في ميت الصدود فيبعث

قال وكان بقرطبة غلام وسيم غر عليه ابن فرج الجياني ومعه صاحب له فقال صاحبه انه

سنة وعشرون سنة وعشرة النبي صلى الله عليه وسلم اربعة آلاف سنة واحدى عشرة سنة وستة اشهر وعشرة ايام بفضلة التاريخ من هبوط آدم الى الارض الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة من خلافة المتقي بالله ونزوله الرقة من ديار مضر خمسة آلاف سنة ومائة وست وخمسون سنة (وقد ذكرنا) جملا من التاريخ فيما سلف من هذا الكتاب فلم نعد منه ما تقدم (والمجوس) في التواريخ اقاصيص يطول ذكرها وعود الملك اليهم والى غيرهم من الطوائف السالفة في بدو العالم وفنائه ومن قال منهم ببقائه وان لا بدء له ولا نهاية ومن ذهب منهم الى ان له انتهاء ولا بدء له قد اتينا على ذلك فيما سلف من كتبنا فاغنى ذلك عن الاعادة في هذا الكتاب لاشتراطنا فيه على انفسنا الاختصار والايجاز والتنبيه على ما سلف لنا من الكتب (وقد ذهب) جماعة من اهل البحث والنظر من أهل الاسلام ان الدلالة قد قامت على حدوث العالم وكونه بعد أن لم يكن وأن المحدث له الخالق البارئ جل وعز احدثه لا من شئ وبينه لا من شئ في الآخرة ليصح بذلك وعده ووعيده

لصبيح لولا صفرة فيه فقال ابن فرج ارتجالا

قالوا به صفرة عابت محاسنه * فقلت ماذاك من عيب به نزلا
عيناه تطلب فى أوتار من قتلت * فلست تلقاه الا حائما وجلا

قال وكان يوما مع ثلة من أهل الادب فى مجلس أنس فاحتاج رب المنزل الى دينار فوجه الى السوق فدخل به عليهم غلام من الصيارف فى نهاية الجمال فرمى بالدينار اليهم من فيه تعاجنا فقال ابن فرج

أبصرت دينارا بكف مهفهف * يزهى به من كثرة الاعجاب
أو ما به من فيه ثم رمى به * فكأنه بدر رمى بشهاب

قال وخرج الاديب أبو الحسن بن حصن الاشبيلى الى وادى قرطبة فى نزهة فتذاكر اشبيلية فقال بديها

ذكرتك يا حص ذكرى هوى * أماتت الحسود وتعنيته
كأنك والشمس عند الغروب * عروس من الحسن مخبوته
غدا النهر عقدك والطود تا * جك الشمس أعلاه ياقوته انتهى

وعبر بعضهم وهو صاحب بدائع البدائه عن بعض حكايات صاحب القلائد بما يقاربها فى المعنى فقال ان المستعين بن هود ملك سرقسطة والثغور ركب نهر سرقسطه يوما فتفقد بعض معاقله المنتظمة بجبد ساحله وهو نهر رق ماؤه وراق وأزرى على نيل مصر ودجلة العراق قد كنفته البساتين من جانبيه وألقت ظلالها عليه فتكاد عين الشمس ان تنظر اليه هذا على اتساع عرضه وبعد سطح مائه من أرضه وقد توسط زورقه زوارق حاشيته توسط البدر للهالة وأحاطت به احاطة الطاوة بالغزالة وقد أعدوا من مكايد الصيد ما استخرج ذخائر الماء وأخاف حتى حوت السماء وأهلة الهالات طالعة من الموج فى سحاب وقانصة من بنات الماء كل طائرة كالشهاب فلا ترى الا صيودا كصيد الصوارم وقدود اللهاذم ومعاصم الابكار النواعم فقال الوزير أبو الفضل بن حسداى والطرب استهواه و بديع ذلك المرأى قد استرق هواه

لله يوم أنيق واضح الغرر * مفضض مذهب الآصال والبكر
كأنما الدهر لما ساء أعتبنا * فيه بعتبى فابدى صفح معتذر
نسير فى زورق حف السرور به * من جانبيه بمنظوم ومنتشر
مد الشراع به قدا على ملك * بذ الاوائل فى أيامه الاخر
هو الامام الهمام المستعين حوى * عليا مؤتمن فى هدى مقتدر
تحوى السفينة منه آية عجبا * بحر تجمع حتى صار فى نهر
تثار من قعره النينان مصعدة * صيدا كما ظفر الغواص بالدرر
والنقد امى به عب ومرتشف * كالريق يعذب فى ورد وفى صدر
والشرب فى ود مولى خلقه زهر * يذكو بهجته أبهى من القمر انتهى

ثم قال ما معناه وقوله نينان غير معروف فان تونا لم يجى مجمعها على نينان وقد كان سيويه

آدم وقد غاب عنا حصر السنين واحصاؤها وتنازع الناس فى بدء التاريخ والكتاب لم يخبر بحصر اوقاته ولا بين عن كيفيته ولا اعداد سنيه فيما مضى وليس علم ذلك مما تهجم عليه الآراء ولا تحصره قضيات العقول وموجبات الفحص وضرورات الحواس عند مذاكرتها لمحسوساتها فكيف توجب أن يوقت عمر الدنيا بسبعة آلاف سنة والله عز وجل يقول وقد ذكر الاجيال ومن ضمه الهلاك وعادا وثمودا وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا والله تعالى ذكره يقول فى الشئ الكثير الشئ الحقير وأعلمنا فى كتابه خلق آدم وما كان من أمره وأمر الانبياء بعده وأخبر عن شأن بدء الخلق ولم يخبرنا بمقدار ذلك فنقف عليه كوقوفنا عند ما أخبرنا به ولا سيما مع علمنا أن البعد بيننا وبينه متفاوت وأن الارض كثرت بها المدن والملوك والعجائب فلا نحصر ما لم يحصر الله عز وجل ولا يقبل من اليهود ما أوردته لنطق القرآن انهم يحرفون الكلم عن

نى مواضعه و يكتمون الحق وهم يعلمون ونفيهم النبوات وجحدهم ما أتوا به من الآيات

لحن بشار بن برد فى قوله فى صفة السفينة

تلاعب ثينان البحور ورعا * رأيت نفوس القوم من جريها تجرى

فغيره بشار بتيار البحور وقد قال أبو الطيب يصف خيلا

فهن مع السيدان فى البرعسل * وهن مع الثينان فى البحر عوّم انتهى

والمستعين بن هود هو أحمد بن المؤتمن على أمر الله يوسف بن المقتدر بالله أحمد بن المستضىء بالله سليمان بن هود الجذامى رحم الله تعالى الجميع * وعبر المذكور عن قضية ابن وهبون فى هلال شوّال بما نصه خرج ابن وهبون يوما لنظر هلال شوّال وأبو بكر بن القبطرنة الوزير يسايره وهو يومئذ غلام يخجل البدر ويذوى الغصن النضر وصفحته لم يسطرها العذار بانقاسه وورد خده لم يسترها الشعر بآسه فارتجل عبد الجليل

ياهلال استتر بوجهك عني * ان مولاك قابض بشمالى

هبك تحكى سناه خدا بخدّ * قم فثنى لخده بمثال انتهى

وقد ذكرنا هذه الحكاية فى غير هذا الموضع بلفظ الفتح فى القلائد ولكنا أعدناها هنا لتعبير صاحب البدائع عنها بما كما الطير يقتله * وذكر ابن بسام ان الوزير أبا عبد الله بن أبى الخصال وقف ببابه بعض القضاة واستأذن عليه فحجب عنه فكتب اليه بديها

جئناك للحاجة المطول صاحبها * وأنت تسم والاخوان فى بوس

وقد وقفنا طويلا عندبابكم * ثم انصرفنا على رأى ابن عبدوس

أشار به الى قول الوزير أبى عامر بن عبدوس

لنا فاض له خلق * أقل ذميمه النزق

اذا جئناه يحجبنا * فنلعنه ونفترق

وهو بديع مليح سامح الله تعالى الجميع * وقال أبو جعفر الكاتب القرطبى الربضى

وابى المدامة ما أريد بشربها * صلف الرقيع ولا انهماك اللاهى

لم يبق من عصر الشباب وطيبه * شئ كعهدى لم يحل الاهى

ان كنت أشربها لغير وفائها * فتركتها للناس لالله

وبعضهم ينسبها لابى القاسم عامر بن هشام والصواب كما قال ابن الابار الاوّل * وقال ابو جعفر المذكور فى فواتح زخام كلفه وصفها والى قرطبة

ماشغل الطرف مثل فائرة * نمج صرف الحياة من فيها

اشرب بها والحباب فى جذل * يظهره حسنها ويخفيها

تكاد من رقة تنسمها * تخطبها العين اذ توافيها

كأنها درة منعمة * زهرا قد ذاب نصفها فيها

ومن شعره أيضا

ضحك المشيب برأسه * فبكى باعين كاسه

رجل تخونه الزما * ن يئوسه ويأسه

يجرى على غلوائه * طلق الجموح بناسه

البراهين الباهرات والدلائل والعلامات والله عز وجل يخبر بما أهلك من الامم لما كان من فعلهم وكفرهم بربهم قال الله عز وجل الحاقة ما الحاقة وما أدراك ما الحاقة كذبت ثمود وعاد بالقارعة فأما ثمود فاهلكوا بالطاغية وأما عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية الى قوله فهل ترى لهم من باقية ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم كذب النسابون وأمر أن ينسب الى معد ونهى أن يتجاوز بالنسب الى ما فوق ذلك لعلمه بما مضى من الاعصار الخالية والامم الفانية ولولا أن النفوس الى الطارف أحن وبالنوادر أشغف والى قصار الاحاديث أميل وبها أكلف لذكرنا من أخبار المتقدمين وسير الملوك الغابرين ما لم نذكره فى هذا الكتاب ولكن ذكرنا فيه ما قرب تناوله تلويحا بالقول دون الايضاح والشرح اذ كان معولنا فى جميع ذلك على ما سلف من كتبنا وتقدم من تصنيفنا واذا علم الله عز وجل موقع النية ووجه القصد أعان على السلامة من كل مخوف (وقد ذكرنا) فى هذا الكتاب من كل فن من العلوم وكل باب من الآداب على حسب الطاقة أخذا

To: www.al-mostafa.com

أخذا بأوفر حظه * لرجائه من ياسه

وقال أحد بني القبطرنة الوزراء

ذكرت سليمى ونار الوغى * بقلبي كساعة فارقتها
وأبصرت قد القنا شبهها * وقد ملن نحوى فعانقتها

وهذا معنى بديع ما أراه سبق به وقال أبو الحسن بن الغليظ المالقي قلت يوما للاديب أبي عبد الله بن السراج المالقي ونحن على خير رماه أجز * شربنا على ماء كأن خريره * فقال مبادرا * بكاء محب بان عنه حبيب

فمن كان مشغوفا كئيبا بالفه * فاني مشغوف به وكئيب

وكتب أبو بكر البلنسي الى الاديب أبي بحر صفوان بن ادريس هذين البيتين يستجيزه القسم الاخير منهما

خليلي أبا بحر وما قرقف اللمى * بأعذب من قولي خليلي أبا بحر
أجز غير مأمور قسيما نظمته * تامل على مجرى المياه حلى الزهر

فاجازه

تامل على مجرى المياه حلى الزهر * كعهدك بالخضراء والانجم الزهر
وقد ضحكت للياسمين مباسم * سرورا بآداب الوزير أبي بكر
وأصغت من الآس النضير مسامع * لتسمع ما يتلوه من سور الشعر

وقال ابن خفاجة

وما الانس الا في مجاج زجاجة * ولا العيش الا في صرير سرير
واني وان جئت المشيب لمولع * بطرة ظل فوق وجه غدير

وقال ابن خفاجة أيضا

وأسود يسبح في لجة * لاتكتم الحصباء غدرانها
كانها في شكلها مقلة * وذلك الاسود انسانها

وكتب الوزير الشهير أبو الوليد بن زيدون الى الوزير أبي عبد الله بن عبد العزيز اثر صدوره عن بانسية

راحت فصبح بها السقيم * ريح معطرة النسيم
مقبولة هبت قبو * لا فهي تعبق في الشميم
أفضيض مسك أم بلـ * ـية لرياها غنيم
بلد حبيب أفقه * لفتى يحل به كريم
ايه أبا عبد الاله * نداء مغلوب الغريم
ان هيل صبري من فرا * قك فالعذاب به أليم
او أتبعتك حنينها * نفسي فانت لها قسيم
ذكرى لعهدك كالعرا * وسرى فبرح بالسليم
مهما ذممت فاؤنا * في في زمانك بالذميم

الى البتدى والمنتهى من علوم العالم وأخباره فلنذكر الآن نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومولده ومبعثه وهجرته ووفاته وأيام الخلفاء والملوك عصرا فعصرا الى وقتنا هذا ولم نعرض في كتابنا هذا الكثير من الاخبار بل لوحنا بالقول بها تخوفا من الاطالة ووقوع الملل اذ ليس ينبغي للعاقل أن يحمل البنية على ما ليس في طاقتها ويسوم النفس ما ليس في حيلتها وانما الالفاظ على قدر المعاني وقليلها لقليلها وهذا باب كبير وبعضه ينوب عن بعض والجزء منه يوهمك الكل والله تعالى ولي التوفيق

(ذكر مولد النبي صلى الله عليه وسلم ونسبه وغير ذلك مما لحق بهذا الباب)

وقد ذكرنا فيما سلف من كتابنا هذا التاريخ في أخبار العالم وأخبار الانبياء والملوك وعجائب البر والبحر وجوامع التاريخ للفرس والروم والقبط وشهور الروم والقبط وما كان من مولد النبي صلى الله عليه وسلم الى مبعثه

ومن آمن به قبل رسالته وقد قدمنا في هذا الكتاب من كان بينه وبين المسيح من أهل الفترة فلنذكر الآن مولده

زمن كالوف الرضا * ع يشوق ذكراه الفطيم
أيام أعقد ناظرى * فى ذلك المرأى الوسيم
وأرى الفتوة غضة * فى ثوب أواه حليم
الله يعلم ان حبك من فؤادى فى الصميم
ولئن تحمل عنك لى * جسم فعن قلب مقيم
قل لى باى خلال سرك فيك أقبل أو أهيم
أبجدك العمم الذى * نسق الحديث مع القديم
أم طرفك الغض الجنى * أم عرضك الصافى الاديم
أم برك العذب الحما * م وبشرك الغض الجميم
ان أشمست تلك الظلا * قة فالندى منها مغيم
أم بالبدائع كاللآ * لى من نثير أو نظيم
لبلاغة ان عد أهلوها فانت بها زعيم
فقر تسوغ بها المدا * م اذا يكررها النديم
ان الذى قسم الحظو * ظ حباك بالخلق العظيم
لا أستزيد الله نعمى فيك لابل أستديم
فلقد أقر العين أنك غرة الزمن البهيم
حسى الثناء بحسن برك مابدا برق وشيم
ثم الدعاء بان تهنأ طول عيشك فى نعيم
ثم السلام تبلغه فغيب مهديه سليم

ولما ورد اشبيلية نزل بدار الوزير الكاتب ذى الوزارتين أبى عامر بن سلمة وهو يغنى مجلسا فصنع أبياتا كتبت فيه

عمر من يعمر ذا المجلسا * أطول عمر يهيج الانفسا
وبعدا عوض من داره * عدنا ومن ديباجه السندسا
ولقى النور بها والرضا * ووقى الاساءة والابؤسا
ودام عبادلعضد الهدى * يحرس حتى يفنى الاحرسا
معتضد بالله احسانه * جم اذا ما الدهر يوما أسا
الملك الغمر الندى المقتنى * من كل حمد علقه الانفسا
ان رام يوما وصف علیائه * مفوه مقتدر أخرسا
لازال بدرا طالعا نيرا * يكشف عن آمالنا الحندسا

وقال فيه أيضا

أدرها فقد حسن المجلس * وقد آن أن تترع الاكؤس
ولا تنس أن أوان الربيع * اذا لم تجد فقده الانفس
فان خلال أبى عامر * بها يحقر الورد والنرجس

قبل بعثته (وهو محمد) بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى ابن كلاب بن مرة بن كعب ابن لؤى بن غالب بن فهر ابن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة ابن الياس بن مضر بن نزار ابن معد بن عدنان بن أدد بن ناحور بن يعور بن يعرب بن يشجب بن ثابت ابن اسمعيل بن ابراهيم خليل الرحمن بن تارخ بن آزر بن ماخور بن ساروغ ابن ارعواء بن فالغ بن عابر ابن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح بن لمك بن متوشلخ بن خنوخ بن يرد بن مهلاييل بن معسوف بن أنوش بن شيث بن آدم عليه السلام هذا ما فى نسخة ابن هشام فى كتاب جهرة النسب والنسخ مختلفة الاسماء فى النسب من نزار وفى نسخة ان نزار بن معد بن عدنان بن أدد بن نام بن يشجب بن يعرب بن الهميسع بن صانوع ابن يافث بن فيدر بن اسمعيل بن ابراهيم بن تارخ بن ناخور بن ارعواء ابن اسروح بن فالح بن شالخ بن ارفخشذ بن سام ابن نوح بن متوشلخ بن خنوخ بن مهلاييل بن قينان بن انوش بن شيث بن آدم (وفى رواية ابن الاعرابى) عن هشام بن محمد الكلبى وكتب

وكتب الى الوزير أبي المعالي المهلب بن عامر يستدعيه

طابت لنا ليلتنا الخاليه * فلتبتهها هذه الثانيه
أبا المعالي نحن في راحة * فانقل الينا القدم العاليه
لانها عاطلة ان تغب * عنا فزرنا كي ترى حاليه
أنت الذي لو نشترى ساعة * منه بدهر لم تكن غاليه

وكتب اليه ذو الوزارتين أبو عامر المذكور معاتبا

تباعدنا على قرب الجوار * كأنا صدنا شط المزار
تطلع لي هلال الهجر بدرا * وصار هلال وصلك في سرار
وشاع شنيع قطعك لي بوصلي * فهلا كان ذلك في استتار
أيجمل أن ترى عني صبورا * فاصبح مولعا دون اصطبار
وكنت أزيد سمعك من عتابي * ولكن عاقني فرط الخمار
فراع مودتي واحفظ جواري * فان الله أوصى بالجوار
وزرني منعما من غير أمر * وآنس موحشا من عقر داري

فكتب اليه ابن زيدون

هواي وان تناءت عنك داري * كمثل هواي في حال الجوار
مقيم لا تغيره عواد * تباعد بين احيائي المزار
رأيتك قلت ان الهجر بدر * متى خلت البدور من السرار
ورابك أنني جلد صبور * وكم صبر يكون عن اضطرار
ولم أهجر لعتب غير أني * أضرت بي معاقرة العقار
وان الخمر ليس لها اختيار * يبرح بي فكيف مع الخمار
وهل انسى لديك نعيم عيش * كوشي الخد طرز بالعذار
وساعات يحول اللهو فيها * مجال الظل في حدق النهار
وان يك فر عنك اليوم جسمي * فديت فما القلبي من فرار
وكنت على البعاد أجل شيء * لدى فكيف اذ أصبحت جاري

وكان أبو العطاف اذ ورد اشبيلية رسولا قد سأله ان يريه شيأ من شعره فطله به حتى كتب اليه شعرا يستبطئه فاجابه ابن زيدون في العروض والقافية

أفدتني من نفائس الدرر * ما أبرزته غوائص الفكر
من لفظة قارنت نظائرها * قران سقم الجفون للعور

وهي أكثر مما ذكر * وكتب رحمه الله تعالى أعني ذا الوزارتين بن زيدون الى ولادة

أضحى التنائي بديلا من تدانينا * ونأب عن طيب دنيانا تجافينا
الا وقد قام صبح الليل صبحنا * حينا فقام لنا للعين ناعينا
من مبلغ الملسينا بانتزاحهم * حزامع الدهر لا يسلي ويبلينا
ان الزمان الذي ما زال يضحكنا * أنسا بقربهم قد عاد يبكينا

غط العدا من تساقينا الهوى فدعوا * بان نغص فقال الدهر آمينا
فانحل ما كان معقودا بانفسنا * وانبت ما كان موصولا بايدينا
بالامس كنا ومايخشى تفرقنا * واليوم نحن ومايرجى تلاقينا
باليت شعرى ولم نعتب أعاديكم * هل نال حظا من العتبى اعادينا
لم نعتقد بعدكم الا الوفاء لكم * رأيا ولم نتقلد غيره دينا
كنا نرى الياس تسلينا عوارضه * وقد يئسنا فحالياس يغرينا
بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا * شوقا اليكم ولاجفت مآقينا
تكاد حينا تناجيكم ضمائرنا * يقضى علينا الاسى لولا تاسينا
حالت لفقدكم ايامنا فغدت * سودا وكانت بكم بيضا ليالينا
اذ جانب العيش طلق من تالفنا * ومورد اللهو صاف من تصافينا
واذ هصرنا فنون الوصل دانية * قطوفها فجنينا منه ماشينا
ليسق عهدكم عهد السرور فما * كنتم لار واحنا الا ياحينا
لاتحسبوا نايكم عنا يغيرنا * ان طال ماغير النأى المحبينا
والله ماطلبت أهواؤنا بدلا * منكم ولا انصرفت عنكم أمانينا
ياساري البرق غاد القصر فاسق به * من كان صرف الهوى والود يسقينا
واسال هنالك هل عيني تذكرني * الفاتذكره أمسى يعنينا
و يانسيم الصبا بلغ تحيتنا * من لو على البعد حى كان يحيينا
من لايرى الدهر يقضينا مساعفة * فيه وان لم يكن عنا يقاضينا
و بيت ملك كأن الله أنشاه * مسكا وقد أنشا الله الورى طينا
اوصاغه ورقا محضا وتوجه * من ناصع التبر ابداعا وتحسينا
اذا تاود أدته رفاهية * تدمى العقول وأدمته البرى لينا
كانت له الشمس ضرا فى تكلله * بل ماتجلى بها الا احايينا
كانما نبتت فى صحن جنته * زهر الكواكب تعويذا وتزيينا
ماضر ان لم نكن أكفاءه شرفا * وفى المودة كاف من تكافينا
يارو ضة طالما أجنت لواحظنا * ورد اجناه الصبا غضا ونسرينا
و ياحياة تملأنا بزهرتها * منى ضروبا ولذات أفانينا
و يانعيما خطرنا من نضارته * فى وشى نعمى سحبنا ذيله حينا
لسنا نسميك اجلالا وتكرمة * وقدرك المعتلى عن ذاك يغنينا
اذا انفردت وماشوركت فى صفة * حسبنا الوصف ايضاحا وتبيينا
باجنة الخلد أبدلنا بسلسلها * والكوثر العذب زقوما وغسلينا
كانما نبت والوصل ثالثنا * والسعد قد غض من أجفان واشينا
سران فى خاطر الظلماء تكتمنا * حتى يكاد لسان الصبح يفشينا
لاغرو فى أن ذكرنا الحزن حين نهت * عنه النهى وتركنا الصبر ناسينا

ابن عيسى بن افيا دبن ايهاغر ابن معصر بن ماحب بن رواح ابن سماى بن مر بن عوص بن عوام بن فيدر بن اسمعيل ابن ابراهيم الخليل عليه السلام وقد كان لارمياء مع معد بن عدنان أخبار يطول ذكرها وما كان من أمرهما بالشام وقد اتينا على ذكر ذلك فيما سلف من كتبنا وانما ذكرنا هذا النسب من هذا الوجه ليعلم تنازع الناس فى ذلك (وقد نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن تجاوز معد لعلمه من تباعد الانساب وكثرة الآراء فى طول هذه المدة والاعصار (وكنيته) صلى الله عليه وسلم أبو القاسم وفى ذلك يقول الشاعر لله عمن قد برا صفوة
وصفوة الخلق بنو هاشم
وصفوة الصفوة من هاشم
محمد النور أبو القاسم
وهو محمد وأحمد والماحى الذى يمحو الله به الذنوب والعاقب والحاشر الذى يحشر الناس على عقبه صلى الله عليه وسلم (وكان مولده) عليه السلام عام الفيل و بين عام الفيل وعام الفجار وعشرون سنة والفجار حرب كانت بين قيس عيلان و بين كنانة استحلوا فيها القتال فى الاشهر الحرم فسميت الفجار وكنانة بن خزيمة بن مدركة هو

انا قرأنا الاسى يوم النوى سورا * مكتوبة وأخذنا الصبر تلقينا
أما هواك فلم نعدل بمشربه * شربا وان كان يروينا فيظمينا
لم نجف أفق جمال انت كوكبه * سالين عنه ولم نهجره قالينا
ولا اختيارا تجنبناك عن كثب * لكن عدتنا على كره عواديا
ناسي عليك اذا حثت مشعشعة * فينا الشمول وغنانا مغنينا
لا أكؤس الراح تبدي من شمائلنا * سيما ارتياح ولا الاوتار تلهينا
دومي على العهد ما دمنا محافظة * فالحر من دان انصافا كما دينا
فما استعضنا خليلا عنك يحبسنا * ولا استفدنا حبيبا منك يغنينا
ولو صبا نحونا من أفق مطلعه * بدر الدجى لم يكن حاشاك يصبينا
أبلى وفاء وان لم تبذلي صلة * فاللطيف يقنعنا والذكر يكفينا
وفي الجواب امتناع قد شغفت به * بيض الايادي التي مازلت تولينا
عليك مني سلام الله ما بقيت * صبابة بك تخفيها وتخفينا

وانما ذكرت هذه القصيدة مع طولها لبراعتها ولان كثيرا من الناس لا يذكر جملتها ويظن أن ما في القلائد وغيرها منها هو جميعها وليس كذلك فهي وان اشتهرت بالمشرق والمغرب لم يذكر جملتها الا القليل وقد كنت وقفت بالمغرب على تسديس لها لبعض علماء المغرب ولم يحضرني منه الآن الا قوله في المطلع

ما للعيون بسهم الغنج تصمينا * وعن قطاف جنى الاعطاف تحمينا
تالف كان يحمينا ويضنينا * تفرق عاث في شمل المحبينا
أضحى التنائي بديلا من تدانينا * وناب عن طيب دنيانا تجافينا

وما أحسن قوله في هذا التسديس

ما للاحبة دانوا بالنوى ورأوا * تعويض عهد اللقا بالبعد حين ناوا
رعاهم الله كانوا للعهود رعوا * فغيرتهم وشاة بالفساد سعوا
غيظ العدا من تساقينا الهوى فدعوا * بان نغص فقال الدهر آمينا

وقد ذكرنا في الباب الرابع موشحة ابن الوكيل التي وطافيها النونية ابن زيدون هذه فلتراجع (رجع) وقال ذو الوزارتين ابن زيدون يتغزل

وضح الصبح المبين * وجلا الشك اليقين
ورأى الاعداء ما غرتهم منك الظنون
أملوا ما ليس يمني * ورجوا ما لا يكون
وتمنوا أن يخون السعد مولى لا يخون
فاذا الغيب سليم * واذا العهد مصون
قل لمن دان بهجري * وهو اني اذ يدين
أرخص الحب فؤادي * لك والعلق ثمين
ياهلا لا تتراآ * ه نفوس لا عيون

وكانت أمهم ليلى بنت حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة وهي خندف فغلب على من ذكرنا الالقاب ونسب ولد الياس الى أمهم خندف وفي ذلك يقول قصي بن كلاب بن مرة

انى أرى الحرب لحيي وأبي
عند تناديهم بآل وهب
معترم الصولة عالي النسب
أمي خندف والياس أبي

(وقريش) خمسة وعشرون بطنا وهم بنو هاشم بن عبد مناف بنو الحرث بن عبد المطلب بنو اسد بن عبد العزى بنو عبد الدار بن قصي وهم حجبة الكعبة بنو زهرة بن كلاب بنو تيم بن مرة بنو مخزوم بنو يقظة بنو مرة بنو عدي بن كعب بنو سهم بنو جمح والى هنا تنتهي قريش البطاح على حسب ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب بنو مالك بن حنبل بنو معيط بن عامر بنو لؤي بنو أسامة بن لؤي بنو الادوم وهم تيم بن غالب بنو محارب بن فهم بنو الحرث بن عبد الله بن كنانة بنو عائذة وهم خزيمة بن لؤي بنو نباتة

وهم سعيد بن لؤي ومن بني مالك الى آخر القبائل من قريش الظواهر على حسب ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب عند

عجبا للقلب يقسو * مثلك والعطف يلين
ما الذي ضرك لو سر * ت حزين الحزين
ولطفت بصب * حينه فيك يحين
فوجوه اللطف شتى * والمعاذير فنون

وقال أيضا

اليك من الانام غدا ارتياحي * وأنت من الزمان مدى اقتراحي
وما اعترضت هموم النفس الا * ومن ذكراك ريحاني وراحي
فديتك ان صبري عنك صبري * لدى عطشي عن الماء القراح
ولي أمل لو الواشون كفوا * لاطلع غرسه ثمر النجاح
وأعجب كيف يغلبني عدو * رضاك عليه من أمضى سلاحي
ولما أن جلتك لي اختلاسا * أكف الدهر للعين المتاح
رأيت الشمس تطلع في نقاب * وغصن البان يرفل في وشاح
فلو اسطيع طرت اليك شوقا * وكيف يطير مقصوص الجناح
على حالي وصالك واجتنابي * وفي يومي دنوك وانتزاحي
وحسبي أن تظا العلك الاماني * بافعك في مساء أو صباح
فؤادي من أسى بك غير خالي * وقلبي من هوى لك غير صاح
وأن تهدي السلام الي شوقا * ولو في بعض أنفاس الرياح

وقال

كم ذا أريد ولا أراد * لله ما لقي الفؤاد
أصفي الوداد الى الذي * لم يصف لي منه الوداد
كيف السلو عن الذي * مثواه من قلبي السواد
يقضي على دلاله * في كل حين أو يكاد
ملك القلوب بحسنه * فلها اذا أمر انقياد
ياهاجري كم أستفيد الصبر عنك فلا أفاد
أفلا رثيت لمن يبيت وحشو مقلته السهاد
ان أجن ذنبا في الهوى * خطأ فقد يكبو الجواد
كان الرضا وأعيذه * أن يعقب الكون الفساد

وقال

متى أنبيك ما بي * ياراحتي وعذابي
متى ينوب لساني * في شرحه عن كتابي
الله يعلم أني * أصبحت فيك كما بي
فما يلذ منامي * ولا يسوغ شرابي
يافتنة المتعري * وحجة المتصابي

ذكر نا للطيبين وغيرهم شوال وكان حلف الفضول بعد منصرفهم من الفجار فقال بعضهم

نحن كنا الملوك من آل نجد
وحماة الذمار عند الدمار
ومنعنا الحجون من كل حي
ومنعنا الفجار يوم الفجار

وفي ذلك قال خداش بن زهير العامري

فلا توعديني بالفجار فانه
أحل بيطحاء الحجون الحلائل

(وقد كان) الحلف في ذي القعدة بسبب رجل من زبيد من اليمن وكان باع سلعة له من العاص بن وائل السهمي فمطله بالثمن حتى يئس فعلا جبل أبي قبيس وقريش في مجالسها حول الكعبة فنادى بشعر يصف فيه ظلامته رافعا صوته مناديا يقول

ياللرجال لمظلوم بضاعته
ببطن مكة نادى الحي والنفر
ان الحرام لمن تمت حرامته
ولا حرام لكيس لابس الغدر

فحشت قريش بعضها الى بعض وكان أول من سعى في ذلك الزبير بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف واجتمعت قبائل قريش في دار الندوة وكانت للسن والعقد

وكان ممن اجتمع بها من قريش بنو هاشم بن عبد مناف وبنو المطلب بن عبد مناف وزهرة بن كلاب

الشمس انت توارت * عن ناظري بالحجاب
ما النور شف سناه * على رقيق السحاب
الا كوجهك لما * أضاء تحت النقاب

وقال

هل لداعيك مجيب * أم لشاكيك طبيب
ياقمر ياحين ينأى * حاضرا حين يغيب
كيف يسلوك محب * زانه منك حبيب
انما أنت نسيم * تتلقاه القلوب
قد علمنا علم ظن * هو لاشك مصيب
أن سر الحسن مما * أضمرت تلك القلوب

وقال

أنى تضيع عهدك * أم كيف تخلف وعدك
وقد رأتك الامانى * رضا فلم تتعدك
ياليت شعرى وعندى * ماليس فى الحب عندك
هل طال ليلك بعدى * بطول ليلى بعدك
سلنى حياتى أهبها * فلست أملك ردك
الدهر عبدى لما * أصبحت فى الحب عبدك

وقال رحمه الله تعالى وقد أمره السلطان أن يعارض قطعا كان يغنى بها واسنحسن الحانها

يقصر قربك ليلى الطو بلا * و يشفى وصالك قلبى العليلا
وان عصفت منك ريح الصدود * تقد نسيم الحياة البليلا
كما أننى ان اطلت العتار * ولم يبد عذرى وجها جميلا
وجدت ابا القاسم الظافر المؤيد بالله مولى مقيلا
لاقلامه فعل اسيافه * يظل الصرير يبارى الصليلا

وقال يهنيه بالقدوم من السفر

ايها الظافر أبشر بالظفر * واجتل التأييد فى ابهى الصور
وتفيأ ظل سعد يجتنى * فيه من غرس المنى احلى الثمر
ورد النجع فكم مستوحش * شائق منك الى انس الصدر
كان من قربك فى عيش ند * عاطر الآصال وضاح البكر
ثوى دونك مثوى قلق * يشتكى من ليله مطل السحر
قل لساقينا يجدا كؤسه * ولشادينا يطل قطع الوتر

ومنها

لى فيه المثل السائرفى * جالب التمر الى ارض هجر
ثم قد وفق عبد عظمت * نعمة المولى عليه فشكر

فساروا الى دار عبد الله ابن جدعان فتحالفوا هناك فى ذلك فقال الزبير بن عبد المطلب

حلفت لتعقدى حلفا تميم
وان كنا جميعا أهل دار

نسميه الفضول اذا عقدنا
يلفه القريب لدى الجوار

ويعلم من حوالى البيت أنا
أباة الضيم نهجر كل عار

وقد قدمنا فى كتابنا الاوسط أخبار الاحلاف والفجارات الاربعة ففجار الرجل وفجار زيد بن معشر وفجار ألف ودو فجار المرأة والفجار الرابع هو فجار البراض ومن الفجار الرابع وحضور النبى صلى الله عليه وسلم ومشاهدته الفجار الرابع الى أن خرج الى الشام فى تجارة خديجة ونظر نسطورا الراهب اليه وهو فى صومعته والنبى صلى الله عليه وسلم مع ميسرة وقد أظلته غمامة فقال هذا نبى وهذا آخر الانبياء أربع سنين وتسعة أشهر وستة أيام والى أن تزوج خديجة بنت خويلد شهران وأربعة وعشرون يوما والى أن شهد بنيان الكعبة وحضر منازعة قريش فى وضع الحجر الاسود عشر سنين

 وقد كان السيل هدم الكعبة فبرق منها لما انهدمت غزال من الذهب وحلى وجواهر فنفضها

لاعدا خلك اقبال يرى * قاضيا اينا وه كل وطر
واصطبح كاس الرضا من ملك * سرت فى ارضائه از كى السير
حين صممت الى اعدائه * فانتحتهم منك صماء الغير
فاض غمر للندى من فوقهم * كان يروى شر بهم منه الغمر
سبق الناس فصلى سابق * اذراى آثاره مثل الزهر

وهى طويلة وقال رحمه الله تعالى

لم يكن هجر حبيبي عن قلا * لاولاذاك التجنى مللا
سره دعوى ادعائى ثم لم * يدر ماغاية صبرى فابتلى
انا راض بالذى يرضى به * لى من لو قال مت ماقلت لا
مثل فى كل حسن مثل ما * صار حالى فى هواه مثلا
ياقتيت المسك ياشمس الضحى * ياقضيب البان ياظبي الملا
ان يكن لى امل غير الرضا * منك لا بلغت ذاك الاملا

وقال رحمه الله تعالى

أذكرتنى سالف العيش الذى طابا * ياليت غائب ذاك الوقت قد آبا
اذنحن فى روضة للوصل انعمها * من السرور غمام فوقها صابا
انى لاعجب من شوق بطالبنى * فكلما قيل فيه قد قضى نابا
كم نظرة لك عندى قد علمت بها * يوم الزيارة أن القلب قد ذابا
قلب يطيل معاصاتى لطاعتكم * فان اكلفه يوما سلوة يابى

وقال رحمه الله تعالى

عاودت ذكر الهوى من بعد نسيانى * واستحدث القلب بعد العشق سلوانى
من حب جارية يبدو بها صنم * من اللعين عليها تاج عقيان
غرير ة لم تفارقها نمائمها * تسبى القلوب بساجى الطرف وسنان
لا استجدن من عشقى لها بدلا * يحيى سوالف ايامى وازمانى
حتى يكون لمن احببت خاتمة * نسخت فى حبها كفرا بايمان

وقال رحمه الله تعالى

انت معنى الهوى وسر الدموع * وسبيل الهوى وقصد الولوع
انت والشمس ضرتان ولكن * لك عند الغروب فضل الطلوع
ليس يامؤنسى تكلفك العتب دلالا من الرضا الممنوع
انما انت والحسود معنى * كوكب يستقيم بعد الرجوع

وقال رحمه الله تعالى

ياليل طل لا أشتهى * الا لعهدى قصرك
لو بات عندى قرى * مابت أرعى قمرك
ياليل خبرانى * التذعندى خبرك

قريش وكان فى حيطانها الازلام ويقابلها صورة اسمعيل ابنه على فرس يخبر الناس مقبضا والعاروب قائم على وفد الناس يقسم فيهم وبعد هذه الصورة صور كثيرة من أولادهم الى قصى بن كلاب وغيرهم فى نحو من ستين صورة مع كل واحد من تلك الصور آلة صاحبها وكيفية عبادته وما اشتهر من فعله (ولما بنت قريش) الكعبة ورفعت سمكها وتاتى لها ما أرادت فى بنيانها من الخشب الذى ابتاعوه من السفينة التى رمى بها البحر الى ساحلهم التى بعث بها ملك الروم من القلزم من بلاد مصر الى الحبشة لتبنى هنالك له كنيسة وانتهوا الى موضع الحجر وتنازعوا على ماذكرنا أيهم يضعه فاتفقوا على أن يرضوا باول من يطلع عليهم من باب بنى شيبة فكان أول من ظهر لابصارهم النبى صلى الله عليه وسلم من ذلك الباب وكانوا يعرفونه بالامين لوقاره وهديه وصدق لهجته واجتنابه الشاذورات والادناس فحكموه فيما تنازعوا فيه وانقادوا الى قضائه فبسط ماكان عليه من رداء وقيل كساء وأخذ عليه السلام الحجر فوضعه فى وسطه ثم قال لاربعة رجال من قريش

بالله قل لي هل وفى * فقال لا بل غدرك

وقال رحمه الله تعالى

ان فاتني منك حظ النظر * لا كتفين بسماع الخبر
وان عرضت غفلة للرقيب * فنفسي تسليمة تختصر
أحاذر أن يتجنى الوشاة * وقد يستدام الهوى بالحذر
فاصبر مستيقنا أنه * سيحظى بنيل المنى من صبر

وقال أيضا رحمه الله تعالى

أيها البدر الذي يملأ عيني من تامل
جمل القلب تباريح التجني فتحمل
ثم لا تياس فكم قد * نيل أمر لم يؤمل

وقال أيضا رحمه الله تعالى

أجد ومن أهواه في الحب عابث * وأوفي له بالعهد اذ هو ناكث
حبيب نأى عني مع القرب والاسى * مقيم له في مضمر القلب ماكث
جفاني بالطاف العدا وأزاله * عن الوصل رأي في القطيعة حادث
تغيرت عن عهدي وما زلت واثقا * بعهدك لكن غيرتك الحوادث
وما كنت اذ ملكتك القلب عالما * بأني عن حتفي بكفي باحث
ستبلى الليالي والوداد بحاله * مقيم وغض وهو للارض وارث
فلو أنني أقسمت انك قاتلي * وأني مقتول لما قيل حانث

وقال رحمه الله تعالى

ياغزالا أصارني * موثقا في يد المحن
انني مذ هجرتني * لم أذق لذة الوسن
ليت حظي اشارة * منك أو لحظة بعن
شافعي يا معذبي * في الهوى وجهك الحسن
كنت خلوا من الهوى * وأنا اليوم مرتهن
كان سري مكتما * وهو الآن قد علن
ليس لي عنك مذهب * فكما شئت لي فكن

وقال رحمه الله تعالى

أيوحش لي الزمان وأنت أنسي * ويظلم لي النهار وأنت شمسي
وأغرس في محبتك الاماني * وأجني الموت من ثمرات غرسي
لقد جازيت غدرا عن وفائي * وبعت مودتي ظلما ببخس
ولو أن الزمان أطاع حكمي * فديتك من مكارهه بنفسي

ومحاسن ابن زيدون كثيرة وقد ذكرنا منها في غير هذا المحل جملة وسألت جارية من جواري الاندلس ذا الوزارتين أبا الوليد بن زيدون أن يزيد على بيت أنشدته اياه وهو

والاسود بن عبد المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي وأبو حذيفة بن المغيرة بن عمرو بن مخزوم وقيس بن عدي السهمي ليأخذ كل واحد منهم بجنب من جنبات هذا الرداء فنالوه حتى ارتفع من الارض وأدناه من موضعه فاخذ عليه السلام الحجر ووضعه في مكانه وقريش كلها حضور وكان ذلك أول ما ظهر من فعله وفضائله وأحكامه فقال قائل لمن حضر من قريش متعجبا من فعلهم وانقيادهم الى أصغرهم سنا واعجبا لقوم أهل شرف ورياسة وشيوخ وكهول عمدوا الى أصغرهم سنا وأقلهم مالا فجعلوه عليهم رئيسا وحاكما أما واللات والعزى ليفوقنهم سبقا وليقسمن بينهم حظوظا وحدودا وليكونن له بعد هذا اليوم شان ونبأ عظيم (وقد تنوزع) في هذا القائل فظن الناس من رأى أنه ابليس ظهر في ذلك اليوم في جمعهم في صورة رجل من قريش كان قد مات وزعموا أن اللات والعزى أحياه لذلك المشهد ومنهم من رأى أنه بعض رجالهم وحكمائهم ومن كانت له فطنة فطنا

استمت قريش بناء الكعبة كستها أردية الزعماء وهي الوصائل وأعادوا الصور التي كانت مصورة في الكعبة

وأبقوا شكل ذلك وأحكامه وكان أبو طالب حاضرا فلما سمع هذا الكلام من هذا القائل فى النبى صلى الله عليه وسلم وما يكون من أمره فى المستقبل أنشأ يقول

ان لنا أوله وآخره
فى الحكم العدل الذى لا ينكره
وقد جهدنا جهدنا لنغمره
وقد عهدنا أوله وآخره
فان يكن حقا ففينا اكثره

(وكان) من بناء الكعبة الى أن بعثه الله صلى الله عليه وسلم خمس سنين (ومن مولده) الى يوم مبعثه أربعون سنة ويوم (والذى صح) من مولده عليه السلام أنه كان بعد قدوم أصحاب الفيل بمكة بخمسين يوما وكان قدومهم مكة يوم الاثنين لثلاث عشرة ليلة بقيت من المحرم سنة ثمانمائة واثنتين وعشرين من عهد ذى القرنين وكان قدوم ابرهة مكة لسبع عشرة خلت من المحرم لست عشرة ومائتين من تاريخ العرب الذى أوله هجرة العدة ولسنة أربعين من ملك كسرى أنوشروان (وكان مولده عليه السلام) لثمان خلون من ربيع الاول من هذه السنة بمكة فى دار ابن يوسف ثم بعد ذلك بنتها الخيزران أم الهادى والرشيد مسجدا وكان أبوه عبد الله غائبا بارض الشام فانصرف مريضا فمات بالمدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم حمل وقد وغضارة

يا معطشى من وصال كنت وارده * هل منك لى غلة ان صحت واعطشى

قال وكانت الجارية المذكورة تتعشق فتى قرشيا والوزير يعلم ذلك وهى لا تعلم انه يعلم فقال

كسوتنى من ثياب السقم أسبغها * ظلما وصيرت من لحف الضنى فرشى
أنى بصرف الهوى عن مقلة كحلت * بالسحر منك وخدت بالجمال وشى
لما بدا الصدغ مسودا بأحمره * أرى التشاكل بين الروم والحبش
أوفى الى الخد ثم انصاع منعطفا * كالعقربان انثنى من خوف محترش
لو شئت زرت وسلك الليل منتظم * والافق يختال فى ثوب من الغبش
جفا اذا التذت الاجفان طيب كرى * جفنى المنام وصاح الليل يا قرشى
هذا وان تلفت نفسى فلا عجب * قد كان قتلى فى تلك الجفون حشى

وكان لابن الحاج صاحب قرطبة ثلاثة أولاد من أجمل الناس صورة رحمون وعزون وحسون فأولع بهم الحافظ الشهير أبو محمد بن السيد البطليوسى صاحب شرح أدب الكاتب وغيره وقال فيهم

أخفيت سقمى حتى كاد يخفينى * وهمت فى حب عزون فعزونى
ثم ارحمونى برحمون وان ظلمت * نفسى الى ريق حسون فسونى

قال ثم خاف على نفسه فخرج عن قرطبة وهو القائل

نفسى الفداء لجؤذر حلو اللمى * مستحسن بصدوده أفنانى
فى فيه سمط جوهر يروى الظما * لو علنى ببروده أحيانى

وهذان البيتان تخرج منهما عدة مقطعات كما لا يخفى * وقال أبو بكر محمد بن أحمد الانصارى الاشبيلى المعروف بالابيض فى تهنئة بمولود قال ابن دحية وهذا أبدع ما قيل فى هذا المعنى

أصاخت الخيل آذانا لصرخته * واهتز كل هزبر عند ما عطسا
تعشق الدرع منه شدت لعائقه * وأبغض المهد لما أبصر الفرسا
تعلم الركض أيام المخاض به * فما امتطى الخيل الا وهو قد فرسا

وقال الوزير الكاتب أبو عامر السالمى فى غلام يرش الماء على خديه فتزداد حمرتهما

لقد نعمت بحمام تطلع فى * أرجائه قمر والحسن يكمله
أبصرته كلما راقت محاسنه * ونعمة الجسم والارداف تخجله
يرش بالماء خديه فقلت له * صف لى لما أجر الياقوت تصقله
فقال طرفى سقاك بصارمه * دماء قوم على خدى فأغسله

وقال أيضا

أوقد النار بقلبى * ثم هبت ريح صده
فشرار النار طارت * فانطفت فى ما عنده

وهو تخييل عجيب * وقال ابن الخياط المكفوف الاندلسى فى المعنى المشهور

لم يخل من نوب الزمان أديب * كلا فشأن النائبات عجيب

وغضارة الايام تابى أن يرى * فيها الابناء الذكاء نصيب
وكذاك من صحب الليالى طالبا * جدا وفهما فانه المطلوب

وكان ابن الرقاق الاندلسى الشاعر المشهور وقد تكرر ذكره فى هذا الكتاب مرات كثيرة يسهر فى الليل و يشتغل بالادب وكان أبوه فقيرا جدا فلامه وقال له نحن فقراء ولا طاقة لنا بالزيت الذى تسهر عليه فاتفق أن برع فى الادب والعلم ونظم الشعر فقال فى أبى بكر بن عبد العزيز صاحب بلنسية قصيدة أولها

ياشمس خدر مالها مغرب * أرامتخدلك أم يثرب
ذهبت فاستعبر طرفى دما * مفضض الدمع به مذهب

ومنها

ناشدتك الله نسيم الصبا * أنى استقرت بعد ناز ينب
لم نسر الا بشذا عرفها * أولا فاذا النفس الطيب
ايه وان عذبنى حبها * فحن عذاب النفس ما يعذب

فاطلق له ثلثمائة دينار فجاء بها الى أبيه وهو جالس فى حانوته مكب على صنعته فوضعها فى حجره وقال خذها فاشتر بها زيتا وقال رحمه الله تعالى فى غلام رام يرمى حجرا فشدخ وجهه

واحوى رمى عن قسى الحور * سهاما يفوقهن النظر
يقولون وجنته قسمت * ورسم محاسنه قد درثر
وما شق وجنته عابثا * ولكنها آية للبشر
جلاها لنا الله كيما نرى * بها كيف كان انشقاق القمر

وقال أيضا

بانى وغير أنى أغن مهفهف * مهضوم ما خلف الوشاح خميصه
لبس السواد ومزقته جفونه * فاتى كيوسف حين قد قميصه

وقال أيضا

سقتنى بيمناها وفيها فلم أزل * يجاذبنى من ذا ومن هذه سكر
ترشفت فاها اذ ترشفت كاسها * فلا والهوى لم أدر أيهما الخمر

وقال

رق النسيم وراق الروض بالزهر * فنبه الكاس والابريق بالوتر
ما العيش الا اصطباح الراح أو شنب * يغنى من الراح من سلسال ذى أشر
قل للكواعب غضى للكرى مقلا * فاعين الزهر أولى منك بالسهر
وللصباح ألا فانشر رداءك لى * هذا الدجى قد طوته راحة السحر
وقام بالقهوة الصهباء ذو هيف * يكاد معطفه يثنيه بالنظر
يطفو عليها اذا ما شجها درر * تخالها اختلست من ثغره الخضر
والكاس من كفه بالراح محدقة * كهالة أحدقت فى الافق بالقمر

ومنهم من قال انه مات فى السنة الثانية من مولده (وأمه آمنة) بنت وهب ابن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب (وفى السنة الاولى) من مولده رفع الى حليمة بنت عبد الله ابن الحرث ترضعه (وفى السنة الثانية) من كونه فى بنى سعد كان أبوه يقول الحمد لله الذى أعطانى هذا الغلام الطيب الاردان قد سادفى المهد على الغلمان أعيذه بالبيت ذى الاركان (وفى رواية أن عبد المطلب قال)

لاهم رب الراكب المسافر
يحمد قلب بخير طائر
تنجى عن طريقه الفواجر
وحبه برصد الطواهر
واحبس كل حلف فاجر
فى درج الريح والاعاصر

(وفى السنة الثالثة) من مولده شق الملكان بطنه واستخرجا قلبه فشقاه وأخرجا منه علقة سوداء ثم غسلا بطنه وقلبه بالثلج وقال أحدهما لصاحبه زنه بعشرة من أمته فوزنه ثم قال ما زال يزيد حتى بلغ الالف فقال والله لو وزنته بامته لوزنها (وفى السنة الرابعة) ردته الى أمه مرضعته حليمة وقيل فى مستهل السادسة وبين ذلك وبين عام الفيل خمس سنين وشهران وعشرة أيام (وفى السنة السابعة) من مولده خرجت به أمه الى

أخواله تزورهم فتوفيت بالابواء وقدمت به أم أيمن الى مكة بعد خمسة من موت أمه (وفى السنة الثامنة) من مولده توفى جده عبد المطلب وضمه عمه أبو طالب اليه وكان فى حجره وخرج معه عمه الى الشام وله ثلاث عشرة سنة ثم خرج فى تجارة لخديجة بنت خويلد الى الشام مع غلامها ميسرة وهو ابن خمس وعشرين سنة (قال المسعودى) وقد أتينا على مبسوط هذا الباب فى كتابنا أخبار الزمان

(ذكر مبعثه صلى الله عليه وسلم وما جاء فى ذلك الى هجرته)

ثم بعث الله رسوله وأكرمه بما اختصه به من نبوته بعد بنيان الكعبة بخمس على ما قدمنا آنفا وهو ابن أربعين سنة كاملة فاقام بمكة ثلاث عشرة سنة وأخفى أمره ثلاث سنين ونكح خديجة بنت خويلد وانزل عليه بمكة من القرآن اثنتان وثمانون سورة ونزل تمام بعضها بالمدينة واول ما نزل عليه من القرآن اقرأ باسم ربك الذى خلق واتاه جبريل صلى الله عليه وسلم فى ليلة السبت ثم فى ليلة الاحد وخاطبه بالرسالة فى يوم الاثنين وذلك بحرا وهو اول موضع نزل فيه القرآن وخاطبه باول السورة الى قوله علم الانسان ما لم يعلم ونزل تمامها بعد ذلك وخوطب بفرض الصلوات ركعتين ركعتين ثم امر فتخلله

وقال

تضوع عن أنفاسا واشرقن أوجها * فهن منيرات الصباح بواسم
لئن كن زهرا فالجوانح أبرج * وان كن زهرا فالقلوب كمائم

وهو من بديع التقسيم * وقال السميسر

تحفظ من ثيابك ثم صنها * والا سوف تلبسها حدادا
وسر فى زمانك كل حبر * وناظر أهله تد العبادا
وظن بسائر الاجناس خيرا * وأما جنس آدم فالبعادا
أرادونى بجمعهم فردوا * على الاعقاب قد نكصوا فرادى
وعادوا بعد ذا اخوان صدق * كبعض عقارب رجعت جرادا

وقال ابن رزين وهو من رجال الذخيرة

لا سرحن نواظرى * فى ذلك الروض النضير
ولا كلنك بالمنى * ولاشرن بنسك بالضمير

وقال سلطان بلنسية عبد الملك بن مروان بن عبد الله بن عبد العزيز

ولا غرو بعدى أن يسود معشر * فيضحى لهم يوم وليس لهم أمس
كذلك نجوم الجو تبدو وتزدهر * اذا ما توارت فى مغاربها الشمس

وتحاكم الى أبى أيوب سليمان بن محمد بن بطال البطليوسى المعروف بالمتلمس غلامان جيلان لاحدهما وفرة شقراء وللآخر سوداء أيهما أحسن والمتلمس المذكور هو صاحب كتاب الاحكام فيما لا يستغنى عنه الحكام فقال

وشادنين ألمابى على مقة * تنازعا الحسن فى غايات مستبق
كأن لمة ذا من نرجس خلقت * على بهار وذا مسك على ورق
وحكما الصب فى التفضيل بينهما * ولم يخافا عليه رشوة الحدق
فقام يبدى اليه الريم حجته * مبينا بلسان منه منطلق
فقال وجهى بدر يستضاء به * ولون شعرى مصبوغ من الغسق
وكحل عينى سحر للنهى وكذا * والسحر أحسن ما يعزى الى الحدق
فقال صاحبه أحسنت وصفك لكن فاستمع لمقال فى متفق
أنا على أفق شمس النهار ولم * تغرب وشقرة شعرى حمرة الشفق
وفضل ما عيب فى عيبى من ورق * أن الاسنة قد تعزى الى الزرق
قضيت للة الشقراء حيث حكمت * لونى كذا حبها يقضى على رمقى
فقام ذو اللة السوداء يرشقنى * سهام أجفانه من شدة الحنق
وقال جرت فقلت الجور منك على * قلبى ولى شاهد من دمعى الغدق
فقلت عفوك اذ أصبحت متهما * فقال دونك هذا الجبل فاختنق

وقال أبو محمد عبد الله بن غالب

ومهفهف خنث الجفون كأنما * من أرجل النمل استفاد عذارا

فتخاله ليلا اذا استقبلته * وتخال ما يجري عليه نهارا

وقال أبو القاسم خلف بن فرج السميسر المتقدم

الناس مثل حباب * والدهر لجة ماء
فعالم في طفو * وعالم في انطفاء

وقال أحمد بن بردا الاندلسي في النرجس وهو البهار عند الاندلسيين ويسمى العنبر

تنبه فقد شق البهار مغلسا * كمائمه عن نوره المتخضل الندى
مداهن تبر في أنامل فضة * على أذرع مخروطة من زبرجد

وقال الوزير عبد المجيد بن عبدون في دار أنزله بها المتوكل بن الافطس وسقفها قديم فهطل عليه المطر منه

أيا ساميا من جانبيه الى العلا * سموّ حباب الماء حالا الى حال
لعبدك دار حل فيها كأنها * ديار لسلمى عافيات بذي الخال
يقول لها لما رأى من دثورها * ألا عم صباحا أيها الطلل البالي
فقالت ولم تعبأ برد جوابه * وهل يعمن من كان في العصر الخالي
فمر صاحب الانزال فيها بفاصل * فان القنى يهذي وليس بفعال

قيل وهو أبو عذرة تضمين لامية امرئ القيس وقد أولع الناس بعده بتضمينها * وقال أبو الفضل بن حسداى وكان يهوديا فاسلم ويقال انه من ولد موسى على نبينا وعليه وعلى سائر الانبياء الصلاة والسلام

تور يدخدك للاحداق لذات * عليه من عنبر الاصداغ لامات
نيران هجرك للعشاق نار لظى * لكن وصالك ان واصلت جنات
كأنما الراح والراحات تحملها * بدورتم وأيدي الشرب هالات
حشاشة ما تركنا الماء يقتلها * الا لتحيا بها منا حشاشات
قد كان من قبلها في كاسها ثقل * فخف اذ مائت منها الزجاجات

وقد تبارى المشارقة والمغاربة من المتقدمين والمتأخرين في هذا الوزن والقافية ولولا خوف السآمة لذكرت من ذلك الجملة الشافية الكافية * ومن سرعة جواب أهل الاندلس أن ابن عبدربه كان صديقا لابي محمد يحيى القلفاط الشاعر فبعد ما بينهما بسبب ان ابن عبدربه مر به يوما وكان في مشيه اضطراب فقال أبا عمر ما علمت انك أبر الا اليوم لما رأيت مشيك فقال له ابن عبدربه كذبتك عرسك أبا محمد فغمز على القلفاط كلامه وقال له أتتعرض للحرم والله لأرينك كيف المجاء ثم صنع فيه قصيدة أولها

يا عرس أحداني مزمع سفرا * فودعيني سرا من أبي عمرا

ثم تهاجيا بعد ذلك وكان القلفاط يلقب بطلاس لانه كان أطلس اللحية ويسمى صاحب المعقد جدل الثوم فاتفق اجتماعهما يوما عند بعض الوزراء فقال الوزير للقلفاط كيف حالك اليوم مع أبي عمر فقال مرتجلا

حال طلاس لي عن رائه * وكنت في قعدد بنائه

صلى الله عليه وسلم على رأس عشرين سنة من ملك كسرى أبرويز وذلك على رأس مائتي سنة من يوم التحالف بالربذة وذلك لستة آلاف ومائة وثلاث عشرة سنة من هبوط آدم عليه السلام وقد ذكر مثل هذا عن بعض حكماء العرب في صدر الاسلام ممن قرأ الكتب السالفة على حسب ما استخرج من عاد الكبير وفي ذلك يقول الشاعر في رأس ألف من السنين الى ثلاث حصلت يقين والمائة المعدودة التمام الى ألوف سدست نظام

أرسله الله لنا رسولا
وكان فينا هاديا سبيلا

(وقد تنوزع) في علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وأسلامه فذهب كثير من الناس الى أنه لم يشرك بالله شيأ فيستانف الاسلام بل كان تابعا للنبي صلى الله عليه وسلم في جميع أفعاله مقتديا به وبلغ وهو على ذلك وأن الله عصمه وسدده ووفقه لتبعيته لنبيه عليه السلام لانهما كانا غير مضطرين ولا مجبورين على فعل الطاعات بل مختارين قادرين فاختار اطاعة الرب وموافقة أمره واجتناب منهياته ومنهم من رأى أنه اول من آمن وأن الرسول دعاه وهو موضع التكليف بظاهره وله جل وعز وأنذر عشيرتك الاقربين وكان بدؤه بعلي اذ كان

أقرب الناس اليه وأتبعهم
احتج كل فريق لقوله ومنهم
من قال بالنص في الامامة
والاختيار وأرض كل فريق
وكيفية اسلامه ومقدار
سنيه قد أتينا على الكلام
في ذلك على الشرح والايضاح
في كتابنا المترجم بكتاب
الصفوة في الامامة وفي
كتاب الاستنصار وفي
كتاب الزاهي وغيره من
كتبنا في هذا المعنى * ثم أسلم
أبو بكر رضي الله عنه ودعا
قومه الى الاسلام فاسلم
على يديه عثمان بن عفان
والزبير بن العوام وعبد الرحمن
ابن عوف وسعد بن ابي
وقاص وطلحة وعبيد الله
فجاءهم النبي صلى الله عليه
وسلم فاسلموا فهؤلاء النفر
سبقوا الناس بالايمان
وقد قال بعض من تقدم
من الشعراء في صدر
الاسلام يذكرهم
فيا سائلي عن خيار العباد
صادفت ذا العلم والخبره
خيار العباد جميعا قريش
وخير قريش ذوو الهجره
وخير ذوي الهجرة السابقون
ثمانية وحدهم نصره
علي وعثمان ثم الزبير
وطلحة واثنان من زهرة
وشيخان قد جاورا أحمدا
وجاور قبراهما قبره
فمن كان بعدهما فاخرا *

قبد ابن عبدربه وقال

ان كنت في قعد أبنائه * فقد سقى أمك من مائه

فانقطع القلفاظ خجلا وعاش ابن عبدربه ٨٢ سنة رحمه الله تعالى * (ومن الحكايات) في مروءة أهل الاندلس ماذكره صاحب المقتبس في ترجمة الكاتب الاديب الشهير أبي الحسين بن جبير صاحب الرحلة وقد قدمنا ترجمته في الباب الخامس من هذا الكتاب وذكرنا هنالك انه كان من أهل المروآت عاشقا في قضاء الحوائج والسعي في حقوق الاخوان وأنشدنا هنالك قوله * يحسب الناس بانى متعب * الى آخره وقد ذكر ذلك كله صاحب المقتبس ثم قال أعني صاحب المقتبس ومن أغرب ما يحكى أني كنت أحرص الناس على أن أصاهر قاضي غرناطة أبا محمد عبد المنعم بن الغرس فجعلته يعني ابن جبير الواسطة حتى تيسر ذلك فلم يوفق الله بيني وبين الزوجة فجئته وشكوت له ذلك فقال أنا ما كان القصد لي في اجتماعكما ولكن سعيت جهدي في غرضك وها أنا أسعى أيضا في افتراقكما فاذهو من غرضك وخرج في الحين فحصل القضية ولم أر في وجهه أولا ولا آخرا عنوانا لامتنان ولا تصعيب ثم انه طرق بابي ففتحت له ودخل وفي يده محفظة فيها مائة دينار مؤمنية ثم قال يا ابن أخي اعلم أني كنت السبب في هذه القضية ولم أشك انك خسرت فيها ما يقارب هذا القدر الذي وجدته الآن عند عمك فبالله الا ما سررتني بقبوله فقلت له أنا ما أستحي منك في هذا الامر والله ان أخذت هذا المال لاتلفنه فيما أتلفت فيه مال والدي من أمور الشباب ولا يحل لك أن تمكنني منه بعد أن شرحت لك أمري فتبسم وقال لقد احتلت في الخروج عن المنة بحيلة واصرف بماله انتهى ثم قال صاحب المقتبس وتذاكرنا يوما معه حالة الزاهد أبي عمران المارتلي فقال صحبته مدة فما رأيت مثله وأنشدني شعرين ما نسيتهما ولا أنساهما ما استطعت فالاول قوله

الى كم أقول فلا أفعل * وكم ذا أحوم ولا أنزل
وأزجر عيني فلا ترعوى * وأنصح نفسي فلا تقبل
وكم ذا تعلل لي بوحها * بعل وسوف وكم تمطل
وكم ذا أؤمل طول البقا * وأغفل والموت لا يغفل
وفي كل يوم ينادي بنا * منادي الرحيل ألا فارحلوا
أمن بعد سبعين أرجو البقا * وسبع أتت بعدها تعجل
كأني بي وشيكا الى مصرعي * يساق بنعشي ولا أعقل
فيا ليت شعري بعد السؤال * وطول المقام لما أنقل

والثاني قوله

اسمع أخي نصيحتي * والنصح من محض الديانه
لا تغترن الى الشبا * بة والوساطة والامانه
تسلم من ان تعزى لزو * ر أو فضول أو خيانه

قال فقلت له أراك لم تعمل بوصيته في الوساطة فقال ما ساعدتني رقتوجهي على ذلك انتهى (رجع) الى نظم الاندلسيين وقال ابن أبي الصلت أمية بن عبد العزيز

فلا تذكروا عندهم فخره * (وقد اختلف) في أول من أسلم فمنهم من رأى افضل

أفضل ما استحب النبيل فلا * تعدل به في المقام والسفر
جرم اذا ما التبست قيمته * جل عن التبر وهو من صفر
مختصر وهو واف تفتشه * عن ملم العلم غير مختصر
ذو مقلة تسئبين ما رمقت * عن صائب اللحظ صادق النظر
نحمله وهو حامل فلكا * لو لم يدر بالبنان لم يدر
مسكنه الارض وهو ينبئنا * عن كل ما في السماء من خبر
أبدعه رب فكرة بعدت * في اللطف عن أن تقاس بالفكر
فاستوجب الشكر والثناء به * من كل ذي فطنة من البشر
فهو لذي اللب شاهد عجب * على اختلاف العقول والصور

قلت وهي من أحسن ما سمعت في الاصطرلاب وأمر رحمه الله تعالى أن يكتب على قبره

سكنتك يا دار الفناء مصدقا * بانى الى دار البقاء أصير
وأعظم ما في الامر أني صائر * الى عادل في الحكم ليس يجور
فيا ليت شعري كيف ألقاه عندها * وزادي قليل والذنوب كثير
فان لك عجزا يا ذنبي فانني * بشر عقاب المذنبين جدير
وان لك عفو من غني ومفضل * فثم نعيم دائم وسرور

وقال ابن خفاجة وهو مما أورده له صاحب الذخيرة

لقد زارني من أهوى على غير موعد * فعاينت بدرا التم ذاك التلاقيا
وعاتبته والعتب يحلو حديثه * وقد بلغت روحي لديه التراقيا
فلما اجتمعنا قلت من فرحي به * من الشعر بيتا والدموع سواقيا
وقد يجمع الله الشتيتين بعدما * يظنان كل الظن أن لا تلاقيا

ومن مجون الاندلسيين هذه القصيدة المنسوبة لسيدي أبي عبد الله بن الازرق وهي

عم باتصال الزمن * ولا تبالي بمن
وهو يواسي بالرضا * من سمج أو حسن
أو من عجوز تحتظي * والظهر منها منحني
أو من مليح مسعد * موافق في الزمن
مهما تبدى خده * يبدو لك الورد الجني
والغصن في أثوابه * اذا تمشى ينثني
لا أم لي لا ام لي * ان لم ابر شجني
واخلعن في المجو * ن والتصابي ربني
وأجعل الصبر على * هجر الملاح ديدني
يا عاذلي في مذهبي * ارداك شرب اللبن
أعطيت في البطن سنا * نا ان تخالف سنني
أي فتى خالفني * يوما وما يلقني

عمرو بن عنبسة ومنهم من ذهب الى أن أول من أسلم من النساء خديجة ومن الرجال علي ومنهم من رأى أن أول من أسلم زيد بن حارثة حب النبي صلى الله عليه وسلم ثم خديجة ثم علي كرم الله وجهه وقد ذكرنا ما أحببنا من القول في ذلك فيما قدمناذ كره في هذا المعنى والله تعالى ولي التوفيق

(ذكر هجرته وجوامع مما كان في أيامه صلى الله عليه وسلم الى وقت وفاته)

أمر الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم بالهجرة وفرض عليه الجهاد وذلك في سنة احدى من الهجرة وهي السنة التي نزل فيها الاذان وكانت سنة أربع عشرة من المبعث وكان ابن عباس يقول بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن أربعين سنة وأقام بمكة ثلاث عشرة سنة وهاجر عشرا وقبض وهو ابن ثلاث وستين سنة وكانت سنة احدى من الهجرة وهي سنة اثنتين وثلاثين من ملك كسرى ابرويز وسنة تسع من ملك هرقل ملك النصرانية وسنة تسعمائة وثلاث وثلاثين من ملك الاسكندر

٢٥ ط نبي المقدوني (قال المسعودي) وقد ذكرنا في الكتاب الاوسط كيفية فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في

فانني ناصح * وانني وانني
فلا تكن لي لاحيا * وفي الامور استفتني
فلم أزل أعرب عن * نفسي لمن لم يلحني
وان تسفه نظري * ومذهبي وتنهني
فالصفح تستوجبه * نعم وتتف الذقن
والزبل في وجهك يعلو باتصال الزمن
وبعد هذا أشتفي * منك ويبرا شجني
وأضرب الكف أما * م ذلك الوجه الدني
طقطق طق طقطق طق * أصخ بسمع الاذن
قعقع قم قعقع قع * الضحك يغلبني ٣
قد كان أولى بك عن * هذي المخازي تنثني
النفي تستوجبه * لواسط أو عدن
عرضت بالنفس كذا * الى ارتكاب المحن
أفدي صديقا كان لي * بنفسه يسعدني
فتارة أنحته * وتارة ينحتني
وتارة ألعنه * وتارة يلعنني
وربما أصفعه * وربما يصفعني
أستغفر الله فهذا القول لا يعجبني
ياليت هذا كله * فيما مضى لم يكن
أضحكت والله بذا الحديث من يسمعني
دهر تولى وانقضى * عني كطيف الوسن
ياليتني لم اره * وليته لم يرني
دنست فيه جانبي * وملبسي بالدرن
وبعت فيه عيشتي * لكن ببخس الثمن
كأنني ولست أد * ري الآن ما كأنني
والله ما أشبهه عندي شاعر بهين
لكنه أنطقني * بالقول ضيق العطن
واحسرتي وا أسفي * زلت وضاعت فطني
لو أنصف الدهر لما * أخرجني من وطني
وليس لي من جنة * وليس لي من مسكن
أسرح الطرف وما * لي دمنة في الدمن
وليس لي من فرس * وليس لي من سكن
ياليت شعري وعسى * ياليت أن تغفني

خروجه من مكة ودخوله وسلم من مكة ومعه أبو بكر وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر وعبد الله بن أريقط الديلي دليل بهم على الطريق ولم يكن مسلما وكان مقام علي بن أبي طالب بعده بمكة ثلاثة أيام الى أن أدى ما أمر بادائه ثم لحق بالرسول صلى الله عليه وسلم وكان دخوله عليه السلام الى المدينة يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة مضت من ربيع الاول فأقام بها عشر سنين كوامل وكان نزوله عليه السلام في حال موافاته المدينة بقباء على سعد بن خيثمة وكان مقامه بقباء يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس وسار يوم الجمعة ارتفاع النهار وأتته الانصار حيا حيا يسألونه كل فريق النزول عليه ويتعلقون بزمام راحلته وهي تجذبه فيقول عليه السلام خلوا عنها فانها مامورة حتى أدركته الصلاة في بني سالم فصلى بهم يوم الجمعة وكانت تلك أول جمعة صليت في الاسلام وهذا موضع تنازع الفقهاء في العدد الذي بهم تتم صلاة الجمعة فذهب الشافعي في آخرين معه الى أن الجمعة لا تجب اقامتها حتى يكون عدد المصلين أربعين فصاعدا وأقل من ذلك لا يجزي وخالفه غيره من

هل امتطى يوما الى الشرق ظهور السفن
وأجتلى ماشئته * في المنزل المؤتمن
حينئذ أخلع في * هذي القوافي رسني
وتحسن الفكرة بالـ ـفدوش والسمنسني
واللحم مع شحم كذا * طوابق الكبش الثني
والبيض في المقلاة بالزيت اللذيذ الدهن
وجادة الفروج مشـ ـو با كثير السمن
من منقذي أفديه من * ذا الجوع والتمسكن
وعلة قد استوى * فيها الفقير والغني
هل للثريد عودة * الى قد شوقني
تغوص فيه أنملي * غوص الاكول المحسن
ولي الى الاسفنج شو * ق دائم يطربني
وللارز الفضل اذ * تطبخه باللبن
وللشواء والرفا * ق من هيام أذني
واسكت عن الجبن فان نتنه يذهلني
ظاهرها كالورد أو * باطنها كالوسن
أي امرئ أبصرها * يوما ولم يفتتن
تهيم فيها فكر الا ـتاذ والمؤذن
لو كان عندي معدن * لبعت فيها معدني
لكنني عزمت أن * أبيعكم البدن
والكم قد أكسبه * بعد ولا يكسبني
لا تنسبوا الى سفها * فالجوع قد أرشدني
وهات ذكر الكسكسو * فهو شريف وسني
لا سيما ان كان مصـ ـنوعا بفعل حسن
أرفع منه كورا * بهن تدري أذني
وان ذكرت غيرذا * أطعمة في الوطن
فابدأ من المثوما * تبالجبن الممكن
من فوقها الفروج قد * أنهى في الثمن
وثن بالعصيدة التي بها تطربني
لا سيما ان صنعت * على يدي عمركن
كذلك البلياط بالزيت الذي يقنعني
تطبخه حتى يرى * يحمر في التلون
والزبزبن في الخصا * في حسب أهل البطن

استوى على ناقته فسارت لا تعرج على شئ ولا يردها راد حتى أتت الى موضع مسجده عليه السلام والموضع يومئذ لغلامين يتيمين من بني النجار فبركت ثم سارت فمضت غير بعيد ثم عادت الى مبركها فبركت واطمأنت والنبي صلى الله عليه وسلم يراعي مكارم الباري منه وتوفيقه له فنزل عنها وسار الى منزل أبي أيوب الانصاري وهو خالد بن كليب بن ثعلبة بن عوف ابن سحيم بن مالك بن النجار فاقام في منزله شهرا حتى ابتنى المسجد من بعد ابتياعه الموضع واحدقت به الانصار واشتد سرورهم به وأظهروا التاسف على ما فاتهم من نصرته وفي ذلك يقول صرمة بن أنس احد بني عدي بن النجار من قصيدة

ثوى في قريش بضع عشرة حجة
يذكر لو يلقى صديقا مواتيا
ويعرض في أهل المواسم نفسه
فلم ير من يوفي ولم ير داعيا
فلما أتانا أظهر الله دينه
وأصبح مسرورا بطيبة راضيا

وأصبح لا يخشى من الناس واحدا * بعيدا ولا يخشى من الناس دانيا

فاسمع قضايا ناصح * يأتى بنصح بين
من اقتنى التقى منى فهو نعم المقتنى
وان فى شاشية الـ * ـفقير انسا للغنى
تبعدنى عن وصلها * عن وصلها تبعدنى
تؤنسنى عن اللقا * عن اللقا تؤنسنى
فأضلعى ان ذكرت * تهفو كمثل الغصن
كم رمت تقريبا لها * لكنه لم يهن
وصدنى عن ذاك قلـ * ـة الوفا بالثمن
ايه خليلى هذه * مطاعم لكننى
أعجب من ريقك اذ * يسيل فوق الذقن
هل نلت منها شبعا * فذكرها أشبعنى
وان تكن جوعان يا * صاح فكل بالاذن
فليس عند شاعر * غير كلام الالسن
يصور الاشياء وهـ * ـى أبدا لم تكن
فقوله بريئ ما * ليس يرى بالممكن
فاسمع وسامح واقتنع * واطو حشاك واسكن
ولننصرف فقصدنا * أطراف هذا الموطن

انتهى

وقال ابن خفاجة رحمه الله تعالى

درسوا العلوم لملكوا بجدالهم * فيها صدور مراتب ومجالس
وتزهدوا حتى أصابوا فرصة * فى أخذ مال مساجد وكنائس

وهذا المعنى استعمله الشعراء كثيرا * وقال فيما أظن الفقيه الكاتب المحدث الاديب الشهير أبو عبد الله محمد بن الابار القضاعى وقد تكرر ذكره فى هذا الكتاب فى مواضع

لقد غضضت حتى على السمط نخوة * فلم تتقلد غير مبسمها سمطا
وأنكرت الشيب المسلم بلمتى * ومن عرف الايام لم ينكر الوخطا

وقال ابن سعيد فى القدح المعلى فى حقه كاتب مشهور وشاعر مذكور كتب عن ولاة بلنسية وورد رسولا حين أخذ النصارى بخنق تلك الجهات وأنشد قصيدته السينية

أدرك بخيلك خيل الله اندلسا * ان السبيل الى منجاتها درسا

وعارضه جمع من الشعراء مابين مخطئ ومحروم وأغرى الناس بحفظها اغراء بنى تغلب بقصيدة عمرو بن كلثوم الا أن أخلاقه لم تعنه على الوفاء باسباب الخدمة فقلصت عنه تلك النعمة وأخرعن تلك العناية وارتحل الى بجاية وهو الآن بها عاطل من الرتب خال من حلى الادب مشتغل بالتصنيف فى فنونه متنفل بواجبه ومسنونه ولى معه مجالسات آنق من الشباب وأبهج من الروض عند نزول السحاب ومما أنشدنيه من شعره

نعادى الذى عادى من الناس كلهم جميعا وان كان الحبيب المصافيا

فافترض شهر رمضان وحولت القبلة الى الكعبة بعد قدومه بثمانية عشر شهرا وقد قيل انه أنزل عليه بالمدينة من القرآن اثنتان وثلاثون سورة ثم قبضه الله يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة مضت من ربيع الاول سنة عشر فى الساعة التى دخل فيها المدينة فى منزل عائشة رضى الله عنها وكانت علته اثنى عشر يوما وكانت غزواته صلى الله عليه وسلم بنفسه ستا وعشرين غزوة ومنهم من رأى أنها سبع وعشرون الاولون جعلوا مصرف النبى صلى الله عليه وسلم من خيبر الى وادى القرى غزوة واحدة والذين جعلوها سبعا وعشرين جعلوا غزوة خيبر مفردة ووادى القرى منصرفه اليها غزوة أخرى غير خيبر فوقع التنازع فى أعداد الغزوات من هذا الوجه وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم حين فتح الله خيبر انصرف منها الى وادى القرى من غير أن يأتى المدينة وكان أول

يا حبذا بحديقة دولاب * سكنت الى حركاته الالباب
غنى ولم يطرب وسقى وهو لم * يشرب ومنه العود والاكواب
لو يدعي لطف الهواء أو الهوى * ما كنت في تصديقه أرتاب
وكأنه عما شدا مستهزئ * وكأنه مما بكى نداب
وكأنه بنثاره ومداره * فلك كواكبه لها أذناب

انتهى

وقال أبو المعالي القيجاطي

فقلت يا ربعهم أين من * أحببته فيك وأين الندي
فقال عهدي قد غدا شمله * كمثل ما ينثر در نظيم

وقال أبو عمرو بن الحكم القبطلي وقبطلة من أعمال وادي اشبيلية

كم أقطع الدهر بالمطال * ساءت وحق الاله حالي
رحلت أبغي بكم نجاحا * فلم تفيدوا سوى ارتحالي
وعدتم ألف ألف وعد * لكنني عدت بالمحال

وقال أبو عمران القاضي

طلعت علي والاحوال سود * كما طلع الصباح على الظلام
فقل لي كيف لا أولي ك شعري * واخلاص التحية والسلام

وقال أبو اسحق ابراهيم بن أيوب المرسي

أما سكران ولكن * من هوى ذاك الفلاني
كلما رمت سلوا * لم يزل بين عياني

وقال

حبيبي ما الصبك من مراد * سوى أن لا تدوم على البعاد
وان كان ابتعادك بعد هذا * مقيما فالسلام على فؤادي

قال ابن سعيد وكان المذكور اغنى هذه الاشعار اللطيفة على الاوتار لم يبق لسامعه عند المسموم من ثار مع أخلاق كريمة وآداب كانسكاب الديمة انتهى * وقال ابن سعيد في أبي بكر محمد بن عمار البرجي كاتب ابن هود القائل لمن يشهد بانحت رايات ابن هود الخ

يا ابن عمار لقد أحييت لي ذاك السميا
في حلى نظم ونثر * علقا في مسمعيا
ولقد حزت مكانا * من ذرى المجد عليا
مثل ما قد حاز لكن * عش بنعماك هنيا

وقال أبو بكر عبد الله بن عبد العزيز الاشبيلي المعروف بابن صاحب الرد

يا أبدع الخلق بلا مرية * وجهك فيه فتنة الناظرين
لا سيما اذ تلتقي خطرة * فيغلب الورد على الياسمين
طوبى لمن قد زرته خاليا * فتمتع النفس ولو بعد حين
من ذلك الثغر الذي ورده * ما زال فيه لذة الشاربين

بدر الثانية التي قتل فيها صناديد قريش وأشرافها وأسر من أسر من زعمائهم ثم غزوة بني سليم حتى بلغ الموضع المعروف بالكدر ماء لبني سليم ثم غزوة السويق طلبا لابي سفيان ابن حرب فبلغ فيها الموضع المعروف بقرقرة الكدر ثم غزوة غطفان الى نجد وتعرف هذه الغزوة بغزوة ذي أمر ثم غزوة بحران وهو موضع بالحجاز من فوق الفرع ثم غزوة احد ثم غزوة حمراء الاسد ثم غزوة بني النضير ثم غزوة ذات الرقاع من نجد ثم غزوة بدر الاخيرة ثم غزوة دومة الجندل ثم غزوة المريسيع ثم غزوة الخندق ثم غزوة بني قريظة ثم غزوة بني لحيان بن هذيل بن مدركة ثم غزوة ذي قرد ثم غزوة بني المصطلق من خزاعة ثم غزوة الحديبية لا يريد قتالا فصده المشركون ثم غزوة خيبر ثم اعتمر عليه السلام عمرة القضاء ثم غزوة مكة ثم غزوة حنين ثم غزوة الطائف ثم غزوة تبوك قاتل منها في تسع غزوات بدر واحد والخندق وقريظة وخيبر والفتح وحنين والطائف وتبوك هذا قول محمد بن اسحق فاما الذي ذهب اليه الواقدي فانه وافق ابن اسحق في قتال النبي صلى الله عليه

وماحوى ذاك الازار الذى * لم يبعد عنه أمل الزائرين

وهذه الابيات يقولها فى غلام كان من أدباء اشبيلية قد فتنوا به وكان مروره على داره وحكى عنه انه أعطاه فى زيارة خمسين دينارا ومرت أيام ثم صادفه عند داره فقال له أتريد أن أزورك ثانية فقال لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين وهذا الجواب على ما فيه من قلة الادب وهتك حجاب الشريعة من أشد الاجوبة اصابة للغرض والله تعالى يسمح له فقد قال ابن سعيد فى حقه ان بيته باشبيلية من أجل البيوت ولم يزل له مع تقلب الزمان ظهور وخفوت وكان أديبا شاعرا ذواقا لاطراف العلوم انتهى ومن المشهورين بالجون والخلاعة بالاندلس مع البلاغة والبراعة أبو جعفر أحمد بن طلحة الوزير الكاتب وهو من بيت مشهور من جزيرة شقر من عمل بلنسية وكتب عن ولاة من بنى عبد المؤمن ثم استكتبه السلطان ابن هود حين تغلب على الاندلس وربما استوزره فى بعض الاحيان وقال ابن سعيد وهو ممن كان والدى يكثر مجالسته ولم أستفد منه الا ما كنت أحفظه فى مجالسته وكان شديد التهوك كثير الطيش ذاهبا بنفسه كل مذهب سمعته مرة وهو فى محفل يقول تقيمون القيامة لحبيب والبحترى والمتنبى وفى عصركم من يهتدى الى ما لم يهتدوا اليه فأهوى له شخص له قعقعة واقدام فقال يا أبا جعفر فأرنا برهان ذلك ما أظنك تعنى الا نفسك فقال نعم ولم لا وأنا الذى أقول ما لم يتنبه اليه متقدم ولا يهتدى لمثله متأخر

يا هل ترى أطرف من يومنا * قد جيد الافق طوق العقيق
وأنطق الورق بعيدانها * مرقصة كل قضيب وريق
والشمس لا تشرب خمر الندى * فى الارض الا بكؤس الشقيق

فلم ينصفوه فى الاستحسان وردوه فى الغيظ الى أضيق مكان فقلت له يا سيدى هذا هو السحر الحلال فبالله الا مازدتنى من هذا النمط فقال

أدرها فالسماء بدت عروسا * مضمخة الملابس بالغوالى
وخد الروض أحمره أصيل * وجفن النهر كحل بالظلال
وجيد الغصن يشرق من لآل * تضىء بهن أكناف الليالى

فقلت زدونى فعادوا الارتياح قد ملك عطفه والتيه قد رفع أنفه فقال

لله نهر عند مازرته * عاين طرفى منه سحرا حلال
اذ أصبح الظل به ليلة * وجال فيه الغصن شبه الخيال

فقلت زدنى فانشد

ولما ماج بحر الليل بينى * وبينكم وقد جددت ذكرا
أراد لقاءكم انسان عينى * فمد له المنام عليه جسرا

فقلت ايه فقال

ولما أن رأى انسان عينى * بعين الخد منه غريق ماه
أقام له العذار عليه جسرا * كما مد الظلام على الضياء

فقلت أعدها فاعاد وقال حسبك لئلا تكثر عليك المعانى فلا تقوم بحق قيمتها وأنشد

وسلم فى هذه التسع الغزوات المعروف بعدهم رمى بسهم فقتل وقاتل فى يوم الغابة فقتل من المشركين ستة نفر وقتل يومئذ محرز بن نضلة ففى قول الواقدى انه قاتل فى احدى عشرة غزوة وفى قول ابن اسحق فى تسع فقتاله فى التسع باتفاق منهما وزاد الواقدى على ماذكر وقد قيل ان اول غزوة غزاها عليه السلام ذات العشيرة (وقد تنازع) من سلف من اهل السير والاخبار فى عدة سراياه وبعوثه فقال قوم ان عدة سراياه وبعوثه بين ان قدم المدينة وبين أن قبضه الله خمس وثلاثون بعثا وسرية وذكر محمد بن جرير الطبرى فى كتابه فى التاريخ قال حدثنى الحرث قال حدثنا ابن أسعد قال قال محمد بن عمر والواقدى كانت سرايا النبى صلى الله عليه وسلم ثمانيا واربعين سرية وقيل ان سراياه عليه السلام وبعوثه كانت ستة وستين (وقبض صلى الله عليه وسلم) وهو ابن ثلاث وستين سنة على حسب ما تقدم فى صدر هذا الكتاب من قول ابن عباس ولم يخلف من الولد الا فاطمة عليها السلام وتوفيت بعده بأربعين يوما وقيل سبعين يوما وقيل غير ذلك (وكان تزويج على) بن أبى طالب

هات المدام اذا رأيت شبيهها * في الاقي بافرد ابغير شبيه
فالصبح قد ذبح الظلام بنصله * فغدت تخاصمه الجماجم فيه انتهى

ثم قال وكان قد تهتك في غلام لابن هود ولكثرة انهزام ابن هود ربما انهزم مع العلج وفيه يقول

ألفت الحرب حتى علمتني * مقارعة الحوادث والخطوب
ولم أك عالما وابيك حربا * بغير لواحظ الرشا الربيب
فها انا بين تلك وبين هذي * مصاب من عدو او حبيب

ولما هرب العلج الى سبتة احسن اليه القائم بها ابو العباس البنتي فلم يقنع بذلك الاحسان وكان باقي بما يوغر صدره فقال يوما في مجلسه رميت مرة بقوس فبلغ السهم الى كذا فقال ابن ملحة لشخص بجانبه لو كان قوس قزح ما بلغ الى كذا فشعر بقوله فاسرها في نفسه ثم بلغه انه هجاه بقوله

سمعنا يا الموفق فارتجلنا * وشافهناه حسب وعلم
ورمت يدا اقبلها واخرى * اعيش بفضلها ابدا واسمو
فانشدنا لسان الحال فيه * بدشلا وامر لا يتم

فزاد في حنقه وبقي مترصدا له الغوائل فحفظت عنه ابيات وهو في حالة استهتار في شهر رمضان وهي

يقول اخو الفضول وقد رآنا * على الايمان يغلبنا المجون
أتنتهكون شهر الصوم هلا * حماه منكم عقل ودين
فقلت اصحب سوانا نحن قوم * زنادقة مذاهبنا فنون
ندين بكل دين غير دين الرعاع فانه ابدا نـدين
يحي على الصبوح الزهر ندعو * وابليس يقول لنا أمـين
فيا شهر الصيام اليك عنا * اليك ففيك أكفر ما نكون

فارسل اليه من هجم عليه وهو على هذه الحال وأظهر انه يرضي العامة بقتله فقتله وذلك سنة ٦٣١ انتهى وحاكى الكفر ليس بكافر والله سبحانه وتعالى للزلات غير الكفر غافر وقال محمد بن أحمد الاشبيلي بن البناء

كأنك من جنس الكواكب كنت لم * يقتلك طلوعا حالها وتواريا
تجليت من شرق تروق تلألؤا * فلما انتحيت الغرب أصبحت هاويا

ولما أمر المستنصر الموحدي بضرب ابن غالب الدانى الف سوط وصلبه وضرب باشبيلية خمسمائة فمات وضرب بقية الالف حتى تناثر لحمه ثم صلب قال ابنه أبو الربيع يرثيه

جهلا لمثلك أن يبكى لما قدرا * وأن يقول أسى يا ليته قبرا
فاضت دموعك أن قاموا باعظمه * وقد تطاير عنه اللحم والشعرا

ومنها

ضاقت به الارض عما كان حملها * من الايادى فلت شلوه ضجرا

(وكانت) أول امرأة تزوج بها النبي صلى الله عليه وسلم خديجة بنت خويلد بن أسد ابن عبد العزى بن قصي وكانت وفاتها في شوال بعد مبعثه بثلاث سنين (وأسري به) وهو ابن احدى وخمسين سنة وثمانية أشهر وعشرين يوما (وكانت) وفاة عمه أبي طالب واسمه عبد مناف بعد وفاة خديجة بثلاثة أيام وهو ابن تسع وأربعين سنة وثمانية أشهر وقد قيل ان اباطالب اسم له (وتزوج) بعد وفاة خديجة بسودة بنت زمعة بن قيس ابن عبدود بن نصر بن مالك بن حسل (وتزوج) بعائشة رضي الله عنها بعد الهجرة بسبعة أشهر وتسعة ايام وقد أتينا على ذكر سائر أزواجه في الكتاب الاوسط فأغنى عن اعادته (روى جعفر) بن محمد عن أبيه محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم انه قال ان الله عز وجل أدب محمدا صلى الله عليه وسلم فاحسن تأديبه فقال خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين فلما كان كذلك قال الله تعالى وانك لعلى خلق عظيم

فلما قبل من الله فوض اليه فقال وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وكان يضمن

وعز جسمك أن يحظى به كفن * فما تسر بل الا الشمس والقمرا

وقال ابو العلاء عبد الحق المرسي رحمه الله تعالى

يا اباعمران دعني والذي * لم يمل بي خاطري الا اليه
ما نديمي غير من يخدمني * لا الذي يجلسني بين يديه
يرفع الكلفة عني ويرى * انها واجبة مني عليه

وقال ابن غالب الكاتب بمالقة

لا تخش قولا قد عقدت الالسنا * وابعث خيالك قد سحرت الاعينا
واعطف على فان روحي زاهق * وانظر الي بنظرة ان أمكنا
لا يخدعنك أن تراني لابسا * ثوبي فقد اصبحت فيه مكفنا
ما زال سحرك يستميل خواطري * بارق من ماء الصفاء وألينا
حتى غدوت بحر حب زاخر * فرمت بي الامواج في شط الضنا

وقال

ما للنسيم لدى الاصيل عليلا * اتراه يشكو زفرة وغليلا
جر الذيول على ديار أحبتي * فأتى يجر من السقام ذيولا

وقال أبو عبد الله بن عساكر الغساني قاضي مالقة

أهواك يا بدر وأهوى الذي * يعذاني فيك وأهوى الرقيب
والجار والدار ومن حلها * وكل من مر بها من قريب
ما ان تنصرت ولكنني * أقول بالتثليث قولا غريب
يطابق الالحان والكاس اذ * تبسم عجبا والغزال الربيب

وكان أبو أمية بن غفير قاضي اشبيلية مع براعته وتقدمه في العلوم الشرعية أقوى الناس بالعلوم الادبية المرعية وقد اشتهر بسرعة الخاطر في الارتجال وعدم المناظر له في ذلك المجال قال ابن سعيد رأيته كثيرا ما يصنع القصائد والمقطعات وهو يتحدث أو يفصل بين الغرماء في أكثر الاوقات ومن شعره

ديارهم صاح نصب عيني * وليس لي وصلة اليها
الا سلامي لدى ابتعاد * من بعد سكانها عليها

وقوله رحمه الله تعالى

ووجه تغرق الابصار فيه * ولكن يترك الارواح هيما
أتاني ثم حياني حبيب * به وأباحني الخد الرقيما
فمر لنا مجون في فنون * سلكت به الصراط المستقيما

قلت أما مجرد الارتجال فامر عن الكثير صادر وأما كونه مع التحدث أو فصل الخصومات فهو نادر وقد حكينا منها في هذا الكتاب في القسم الاول موارد ومصادر ويعجبني من الواقع لاهل المشرق من ذلك قضية علي بن ظافر اذ قال بت ليلة والشهاب يعقوب بن أخت نجم الدين في منزل اعترفت له مشيدات القصور بالانخفاض والقصور وشهدت له

على الله الجنة فاجيز له ذلك يدخل باربع وقبض عليه السلام عن تسع (قال المسعودي) وقد تنوزع في مقدار عمره عليه السلام وقد قدمنا ما روي في ذلك عن ابن عباس وهو ما ذكره حماد بن سلمة عن أبي حمزة عن ابن عباس وقد روي عن أبي هريرة مثل قول ابن عباس وذكر عن يحيى بن سعيد انه سمع سعيد بن المسيب يقول أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن وهو ابن ثلاث واربعين سنة وأقام بمكة عشرا وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة وكذلك ذكر عن عائشة قالت توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين سنة وقد روي عن ابن عباس من وجه آخر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض وهو ابن خمس وستين سنة وكذلك ذكر ابن هشام قال حدثنا علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس وذكر قتادة عن الحسن عن دحيل يعني ابن حنظلة أن النبي صلى الله عليه وسلم توفي وهو ابن خمس وستين وقد قيل انه قبض وهو ابن ستين وذكر ذلك عن ابن عباس وعائشة وعروة بن الزبير وذكر حماد قال أخبرنا عمرو بن دينار عن عروة بن الزبير قال

سامياتُ البروج بالاعتلاء والعروج قد بيضت حيطانه وطاب استيطانه وابتهج به سكانه وقطانه والبدر قد محا خضاب الظلماء وحكى محياه في زرقة قناع السماء وكسا الجدران ثيابا من فضة ونثر كافوره على مسك الثرى بعد أن سحقه ورضه والروض قد ابتسم محياه ووشت بأسرار محاسنه رياه والنسيم قد عانق قامات الاغصان فيلها وغصبها مباسم نورها فقبلها وعندنا من قد وقع على تفضيله الاجماع وتغارت على محاسنه الابصار والاسماع ان بدا فالشمس طالعة وان شدا فالورق ساجعة تغازله مقلة سراج قد قصر على وجهه تحديقه وقابله فقلنا البدر قابل عيوقه وهو يغار عليه من النسيم كلما خفق وهب ويستجيش عليه بتلويح بارقه الموشى بالذهب ويديم حرقته وسهده ويبذل في الطافه طاقته وجهده فتارة يضحكه بخلوقه وتارة يحلبه بعقيقه وآونة يكسوه أثواب شقيقه فلم يزل كذلك حتى نعس طرف المصباح واستيقظ نائم الصباح فصنعت بديهاً في المجلس وكتبت بها الى الاعز بن المؤيد رحمه الله تعالى أصف تلك الليلة التي ارتفعت على أيام الاعياد كارتفاع الرؤس على الاجياد بل فضلت ليلات الدهر كفضل البدر على النجوم الزهر

غبت عني يا ابن المؤيد في وقت شهي يلهي المحب المشوقا
ليلة ظل بدرها يلبس الجد * ران ثوبا مفضضا مرقوقا
وغدا الظل فيه ينثر كافو * را فيعلو مسك التراب السحيقا
وتبدى النسيم يعتنق الاغ * صان لما سرى عناقا رفيقا
بت فيها مناديا الصديق * ظل بين الانام خلا صدوقا
هو مثل الهلال وجها صبيحا * ومثال النسيم ذهنا رقيقا
وغزال كالبدر وجها وغصن البان قدا والخمرة الصرف ريقا
مظهر للعيون ردفا مهيلا * وحشا ناحلا وقدا رشيقا
ان تغنى سمعت داود أولا * ح تأملت يوسف الصديقا
واذا قابل السراج رأينا * منه بدرا يقابل العيوقا
وأظن الصباح هام بمرآ * ه فابدى قلبا حريقا خفوقا
هو نجم مالاح في الجدر كافو * ر بياض الا كساه خلوقا
ما بدا نرجس الكواكب الا * قام في قومه يرينا الشقيقا
واذا ما بدت جواهرها في الـ * ـجو أبدى في الارض منهم عقيقا
فغدونا تحت الدجى نتعاطى * من رقيق الآداب خمرا رقيقا
وجعلنا ريحانة طيب ذكرا * ك فحنناه عنبرا معتوقا
ذاك وقت لولا مغيبك عنه * كان بالمدح والثنا مخليقا

قال فاجاب عنها من الوزن دون الروى

قد أتتني من الجمال قصيد * يا لها من قصيدة غراء
جمعت رقة الهواء وطيب المسك في سبكها وصفو الماء

شيبان عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة قال حدثتني عائشة رضي الله عنها وابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث وهو ابن أربعين سنة فلبث بمكة عشر سنين وبالمدينة عشر سنين وقبض وهو ابن ستين صلى الله عليه وسلم (وانما حكينا) هذا الخلاف ليعلم من نظر في كتابنا هذا أنا لم نغفل شيأ مما قالوه ولا تركنا شيأ مما ذكروه الا ذكرنا منه ما يتأتى لنا ذكره وأشرنا اليه ميلا الى الاختصار وطلبا للايجاز والذي وجدنا عليه آل محمد عليه الصلاة والسلام أنه ابن ثلاث وستين سنة ولما غسل عليه السلام كفن في ثلاثة أثواب ثوبين صحاريين وثوب حبرة أدرج فيها ادراجا ونزل في قبره علي بن أبي طالب والفضل وقثم بن العباس وشقران مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ذكرنا في مقدار الثياب للكفن غير ما ذكرنا والله أعلم بكيفية ذلك ولنرجع الآن الى ذكر لمع من اموره وأخبار كانت من مولده الى وفاته صلى الله عليه وسلم وشرف وعظم

(ذكر أمور واحوال من مولده الى وفاته صلى الله عليه وسلم)

وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب

فارتنا طباعه وشذاه * والذي حاز ذهنه من ذكاه
سيدي هل جمعت فيها اللآلي * يا اخا المجد أم نجوم السماء
أخمتني حسنا وحق أياديـ * ـك التي لا تعد بالاحصاء
فتركت الجواب والله عجزا * فابسط العذر فيه يا مولاتي
هل يسامي الثريا الثريا وأني * يدعي النجم فرط نور ذكاه انتهى

(رجع) الى أهل الاندلس * وقال ابن السمان

اياك أن تكثر الاخوان مغتنما * في كل يوم الى أن يكثر العدد
فواحد منهم تصفي الوداد له * من التكاليف ما يفنى به الجلد

وله

تحن ركابي نحو ارض ومالها * ومالي من ذاك الحنين سوى الهم
وكم راغب في موضع لا ينالـه * وأمسيت منه مثل يونس في اليم
بهذا قضى الرحمن في كل ساخط * يموت على كره ويحيا على رغم

ولما قام الباجي باشبيلية وخلع طاعة ابن هود وأبدل شعاره الاسود العباسي في البنود قال أبو محمد عبد الحق الزهري القرطبي في ذلك

كأنما الراية السوداء قد نصبت * لهم غرابا بين الاهل والولد
مات الهوى تحتها من فرط روعته * فاظهر الدهر منها لبسة الكمد

وأنشدهما القائم الباجي في جملة قصيدة * وقال الوزير أبو الوليد اسمعيل بن حجاج الاعلم الاشبيلي

أمسى الفراش يطوف حول كؤسنا * اذ خالها تحت الدجى قنديلا
مازال يخفق حولها بجناحه * حتى رمته على الفراش قتيلا

وله

لاموا على حب الصبا والكاس * لما بدا وضح المشيب براسي
والغصن أحوج ما يكون لسقيه * أيام يبدو بالازاهر كاسي

وله وقد رأى على نهر قرطبة ثلاثين نفسا مصلوبين من قطاع الطريق

ثلاثون قد صفوا كلهم * وقد فتحوا أذرعا للوداع
وما ودعوا غير أرواحهم * فكان وداعا لغير اجتماع

وله في فتى وسيم عض كلب وجنته

وأغيد وضاح المباسم باسم * اذا قام للارواح ناظر مقر
تعمد كلب عض وجنته التي * هي الورد ايناعا وأبقى بها اثر
فقلت لشهب الافق كيف صفاتكم * وقد أثر العواء في صفحة القمر

وقال الفقيه أبو الحجاج يوسف بن محمد البياسي المؤرخ الاديب المصنف الشهير وكان حافظا لنكت الاندلسيين حديثا وقديما ذاكرا لفكاهاتهم التي صيرته للملوك خليلا ونديما في صبي من أعيان الجزيرة الخضراء تهافت في حبه جماعة من الادباء والشعراء وكان من

من ذكر مولده عليه السلام جملا من الكوائن والاحداث في تضاعيف ذلك وأفردنا هذا الباب لذكر ترتيب جمل من السنين من مولده الى وفاته وجمل أحداث وكوائن كانت في أيامه ليقرب تناول ذلك على مريده ويسهل ماخذه على الطالب له وان كنا قد أتينا على لمع من مبسوط هذا الباب فيما تقدمه من الابواب ان شاء الله تعالى (ففي أول) سنة من مولده دفع الى حليمة بنت عبد الله ابن الحرث بن سحنة بن جابر بن وزام بن نصر بن معد بن عدنان ٣ (وفي السنة الخامسة) من مولده ردته حليمة الى أمه على حسب ماذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب (وفي السنة السادسة) أخرجته أمه الى أخواله زائرة فتوفيت بالابواء بين مكة والمدينة وعمي ذلك الى أم أيمن فخرجت اليه وقدمت به الى مكة وكانت مولاة له قدورثها عن أمه (وفي السنة التاسعة) خرج مع عمه أبي طالب الى الشام وقيل انه خرج مع عمه أبي طالب الى الشام وله ثلاث عشرة سنة وقد كان أبو طالب أخا عبد الله أبي النبي صلى الله عليه وسلم لابيه وأمه فلذلك كفل بأمر النبي صلى الله عليه وسلم

القوم الذين هاموا بالمذكور وقاموا فيه المقام المشهور أديب يقال له الغار فقاط على العباسي حتى سافر من الجزيرة وكان يلقب بالقط

عذرت أبا الحجاج من رب شيبة * عدا الابسافي الحب ثوبا من القار
وألجأه الغار المشارك للنوى * ولم ار قطا قبله فر من قار

وله

قد سلونا عن الذي تدريه * وجفوناه اذ جفانا بالتيه
وتركناه صاغرا الناس * خدعوه بالزور والتمويه
لمضل يسوقه لمضل * وسفيه يقوده لسفيه

وله وقد كتب الى بعض اصحابه يذكره بالايام السوالف

أباحسن لعمرك ان ذكري * لايام النعيم من الصواب
امثلي ليس يذكر عهد حمص * وقد جمعت بناخيل التصابي
ونحن نجر اثواب الاماني * مطرزة هنالك بالشباب
وعهد بالجزيرة ليس ينسى * وان أغفلته عند الخطاب
هو الأحلى لدي وان حمانى * عن العسل اجتماع للذباب

وسار الى المحبوب وكان كثير الاجتماع به في جنة لوالده على وادي العسل فقال

جنة وادي العسل * كم لي بها من امل
لولم يكن ذبابها * يمنع ذوق العسل

قال ابن سعيد ولما التقينا بتونس بعد ايابي من المشرق وقد وجح ظلام الشعر على وجهه المشرق قلت لابي الحجاج مشيرا الى محبوبه وقد غطى هواه عنده على عيوبه

خل ابا الحجاج هذا الذي * قد كنت فيه دائم الوجد
وانظر الى لحيته واعتبر * مما جنى الشعر على الخد

والله سبحانه يسمع للجميع في هذا المنزل الشنيع ويصغي عنا في ذكره انه مجيب سميع * وقال صاحب البدائع ركب الاستاذ أبو محمد بن صارة مع اصحاب له في نهر اشبيلية في عشية سال أصيلها على لجين الماء عقيانا وطارت زواريقها في سماء النهر عقبانا وابدى نسيمها من الامواج والدارات سرورا وأعكانا في زورق يجول جولان الطرف ويسود اسوداد الطرف فقال بديها

تامل حالنا والجو طلق * محياه وقد طفل المساء
وقد جالت بنا عذراء حبلى * تجاذب مرطها ريح رخاء
بنهر كالسبنجل كوثري * تعبس وجهها فيه السماء

واتفق أن وقف أبو اسحق بن خفاجة على القطعة واستظرفها واستلطفها فقال يعارضها على وزنها وروييها وطريقتها

ألا يا حبذا ضحك الحيا * بجانتها وقد عبس المساء
وأدهم من جياد الماء مهر * تنازع جله ريح رخاء

وكان لعبد المطلب ستة عشر ولدا عشرة ذكور وهم من سمينا وستة اناث وهم عاتكة وصفية وأميمة والبيضاء وبرة وأروى ولم يسلم منهن الاصفية أم الزبير بن العوام وقد تنوزع في اروى فمنهم من قال انها أسلمت وفي خروجه عليه السلام مع عمه في هذه السنة نظر اليه بحيرا الراهب وأوصاهم بمراعاته من اليهود فانهم أعداؤه لعلمهم بما يكون من نبوته على حسب ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب عند ذكرنا لخبر بحيرا الراهب وما كان من اخباره بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم وذلك في باب أهل الفترة ممن كان بين المسيح ومحمد عليهما السلام وقد قدمنا انه عليه السلام شهد يوم حرب الفجار وذلك في سنة احدى وعشرين وانها حرب كانت بين قريش وقيس عيلان فيما سلف من هذا الكتاب وغيره وأنها انما سميت بهذا الاسم الذي هو الفجار لانها كانت في الاشهر الحرم وكانت لقيس على قريش وأن النبي صلى الله عليه وسلم لما شهدها صارت لقريش على قيس وكان على قريش يومئذ عبد الله بن جدعان التيمي وكان نخاسا للجاهلية بسياع الوادي وكانت هذه الوقعة

وهى يومئذ بنت أربعين وقيل فى سنها غير هذا (وفى سنة ست وثلاثين) بنت قريش الكعبة وتراضت به فوضع الحجر على حسب ماقدمنا (وفى سنة احدى وأربعين) بعثه الله نبيا ورسولا الى كافة الناس وذلك لعشر خلون من ربيع الاول على حسب تنازع الناس فى تاريخ مبعثه عليه السلام (وفى سنة) ست وأربعين كان حصار قريش للنبى صلى الله عليه وسلم وبنى هاشم وبنى عبد المطلب فى الشعب (وفى سنة خمسين) كان خروجه عليه السلام ومن تبعه الى الطائف (وفى هذه السنة) كانت وفاة خديجة زوجه على حسب ماذكرنا على غير هذا التفصيل (وفى سنة احدى وخمسين) كان الاسراء به صلى الله عليه وسلم الى بيت المقدس على حسب ماتطق به التنزيل (وفى سنة) اربع وخمسين كانت هجرته صلى الله عليه وسلم الى المدينة (وفيها) بنى صلى الله عليه وسلم مسجده (وفيها) دخل بعائشة بنت ابى بكر رضى الله عنها وهى ابنة تسع تزوج بها بعد الهجرة بسبعة اشهر وقيل عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض وهى بنت ثمان فاذا

اذا بدت الكواكب فيه غرقى * ورأيت الارض تحسدها السماء انتهى

وقال الاديب ابن خفاجة فى ديوانه صاحبت فى صدرى من المغرب سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة أبا محمد عبد الجليل بن وهبون شاعر المعتمد وكان أبو جعفر بن رشيق يومئذ قد تمنع ببعض حصون مرسية وشرع فى النفاق فقطع السبيل وأخاف الطريق ولما حاذينا قلعته وقد احتدمت جمرة الهجير ومل الركب رسيمه وذميله وأخذ كل منا برتادمقيله اتفقنا على أن لانطعم طعاما ولانذوق منا ما حتى نقول فى صورة تلك الحال وذلك الترحال ماحضر وشاء الله أن أجيل ابن وهبون واعتذر وأخذت عفو خاطرى فقلت أتربص به وأعرض بعظم لحيته

ألا قل للريض القلب مهلا * فان السيف قد ضمن الشفاء
ولم أر كالنفاق شكاة غر * ولا كدم الوريد له دواء
وقد دحى النجيع هناك أرضا * وقد شمل النجاح به سماء
وديس به انحطاطا بطن واد * مذاعشب بشعر لحيته ضراء

وقال ابن خفاجة أيضا حضرت يوما مع أصحاب لى ومعهم صبى متهم فى نفسه واتفق انهم تحاوروا فى تفضيل الرمان على العنب فانبرى ذلك الصبى فافرط فى تفضيل العنب فقلت بديها أعبث به

صلنى لك الخير برمانة * لم تنتقل عن كرم العهد
لاعنبا أمتص عنقوده * ثديا كأنى بعد فى المهد
وهل يرى بينهما نسبة * من عدل الخصية بالنهد

فجعل خجلا شديدا وانصرف قال وخرجت يوما بشاطبة الى باب السمارين ابتغاء الفرجة على خرير ذلك الماء بتلك الساقية وذلك سنة ٤٨٠ واذا بالفقيه أبى عمران بن ابى تليد رحمه الله تعالى قد سبقنى الى ذلك فالفيته جالسا على دكان كانت هنالك مبنية لهذا الشان فسلمت عليه وجلست اليه مستأنسا به فجرى أثناء ماتناشدناه ذكر قول ابن رشيق

يامن يمر ولا تمر به القلوب من الفرق
بعمامة من خده * أوخذه منها استرق
فكأنه وكأنها * قمر تعمم بالشفق
فاذا بدا واذا انثنى * واذا شدا واذا نطق
شغل الخواطر والحوا * س والمسامع والحدق

فقلت وقد أعجب بها جدا وأثنى عليها كثيرا أحسن مافى القطعة سياقه الاعداد والا فانت تراه قد استرسل فلم يقابل بين ألفاظ البيت الاخير والبيت الذى قبله فينزل بازاء كل واحدة منهما مايلائمها وهل ينزل بازاء قوله واذا نطق قوله شغل الحدق وكأنه نازعنى القول فى هذا غاية الجهد فقلت بديها

ومهفهف طاوى الحشا * خنث المعاطف والنظر
ملأ العيون بصورة * تليت محاسنها سور

فاذا رنا واذا مشى * واذا شدا واذا سفر
فضح الغزالة والغما * مة والحمامة والقمر

فمن بها استحسانا انتهى قال ابن ظافر والقطعة القافية ليست لابن رشيق بل هي لابي الحسين علي بن بشر الكاتب أحد شعراء اليتيمة * وكان بين السميسر الشاعر وبين بعض رؤساء المرية واقع لمدح مدحه فلم يجزه عليه فصنع ذلك الرجل دعوة للمعتصم بن صمادح صاحب المرية واحتفل فيها بما يحتفل مثله في دعوة سلطان مثل المعتصم فصبر السميسر الى أن ركب السلطان متوجها الى الدعوة فوقف له في الطريق فلما حاذاه رفع صوته بقوله

يا أيها الملك الميمون طائره * ومن لذى ماتم في وجهه عرس
لا تفرسن طعاما عند غيركم * ان الاسود على الما كول تفترس

فقال المعتصم صدق والله ورجع من الطريق وفسد على الرجل ما كان عمله * ونظير هذه الحكاية أن عباد بن الحريش كان قد مدح رجلا من كبار أصبهان أرباب الضيع والاملاك والتبع الكثير فعطله بالجائزة ثم أجازه بما لم يرضه فرده عليه و بعد ذلك بحين عمل الرجل دعوة غرم عليها الوف دنانير كثيرة لابي دلف القاسم بن عيسى العجلي على أن يجيء اليه من الكرج و وصل أبو دلف فاما وقعت عين عباد عليه وهو يساير بعض خواصه أومأ الى ذلك السائر وأنشد باعلى صوته

قل له يا فديته * قول عباد ذا سمج
جئت في ألف فارس * لغداء من الكرج
ما على النفس بعدذا * في الدنا آت من حرج

فقال أبو دلف وكان أخوف الناس من شاعر صدق والله أجيء من الكرج الى أصبهان حتى أتغدى بها والله ما بعد هذا في دناءة النفس من شئ ثم رجع من طريقه وفسد على الرجل كل ما غرمه وعرف من أين أتى وتخوف أن يعود عباد عليه بشر منها فسير اليه جائزة سنية مع جماعة من أصحابه فاجتمعوا به وسألوه فيه وفي قبول الجائزة فلم يقبل الجائزة ثم أنشد بديها وهبت يا قوم لكم عرضه

فقالوا جزاك الله تعالى خيرا فقال كرامة للشعر لا للفتى
لانه أبخل من ذرة * على الذى تجمعه في الشتا انتهى

وذكر أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الاندلسي ما معناه انه عزم بمصر هو ورفقة له على الاصطباح فقصدوا بركة الحبش في وقت ولاية الغبش وحلوا منها روضا بسم زهره ونسم عطره فداروا كؤسا تطلع من المدام شموسا وعاينوها نجوما تكون لشياطين الهموم رجوما فطرب حتى أظهر الطرب نشاطه وأبرز ابتهاجه وانبساطه فقال

لله يومي ببركة الحبش * والجو بين الضياء والغبش
النيل تحت الرياح مضطرب * كصارم في يمين مرتعش
ونحن في روضة مفوفة * ديج بالنو رعطفها ووشي
قد نسجته يد الغمام لنا * فخص من نورها على فرش

ابن زيد كيفية الاذان في منامه (وفيها) كان تزوج علي بن أبي طالب بفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم على حسب ماذكرنا من التنازع في التاريخ (وفي سنة اثنتين) من الهجرة افترض على المؤمنين صوم شهر رمضان (وفي هذه السنة) أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالتوجه الى الكعبة (وفيها) توفيت ابنته رقية (وفي آخر هذه السنة) وهي سنة اثنتين من الهجرة كان دخول علي ابن أبي طالب بفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم (وفيها) كانت وقعة بدر وذلك في يوم الجمعة لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان (وفي سنة ثلاث) كان تزويجه بزينب بنت خزيمة وكانت وفاتها بعد شهرين (وفي هذه السنة) كان تزويجه بحفصة بنت عمر بن الخطاب (وفيها) كان تزويج عثمان ابن عفان بأم كلثوم ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم (وفيها) كان مولد الحسن بن علي بن أبي طالب على ما في ذلك من التنازع في التاريخ (وفيها) كانت

غزوة أحد (وفي هذه السنة) استشهد حمزة بن عبد المطلب (وفي سنة أربع) كانت غزوة المعروفة بذات الرقاع وفي هذه

فعاطني الراح ان تاركها * من سورة الهم غير منتعش
واسقني بالكبار مترعة * فمن أروى لشدة العطش
فاثقل الناس كلهم رجل * دعاه داعي الصبا فلم يطش

وهذا أبو الصلت أمية من كبراء أدباء الاندلس العلماء الحكماء وقد ترجمناه في الباب الخامس في المرتحلين من الاندلس الى المشرق * وقال رحمه الله تعالى كنت مع الحسن بن علي بن تميم بن المعز بن باديس بالمهدية في الميدان وقد وقف يرمي بالنشاب فصنعت فيه بديها

يا ملكا ما خلقت كفه * لم تدر الا الجود والباسا
ان النجوم الزهر مع بعدها * قد حسدت في قربك الناسا
وودت الامـ ـلاك لو أنها * تحولت تحتك أفراسا
كما تمنى البدر لو أنه * عاد لنشابك برجاسا انتهى

وصنع الوزير أبو جعفر أحمد الوقشي وزير الرئيس أبي اسحق بن همشك صهر الامير أبي عبد الله محمد بن مردنيش في غلام أسود في يده قضيب نور بديها

وزنجي أتى بقضيب نور * وقد زفت لنا بنت الكروم
فقال فتى من الفتيان صفها * فقلت الليل أقبل بالنجوم

ولما أفرط أبو يحيى البكي في هجاء أهل فاس تعسفوا عليه وساعدهم واليهم مظفر الخصي من قبل أمير المسلمين علي بن يوسف والقائد عبد الله بن خيار الجياني وكان يتولى أمورا سلطانية بها فقدموا رجلا ادعى عليه بدين وشهد عليه به رجل فقيه يعرف بالزناتي ورجل آخر يكنى بابي الحسين من مشايخ البلد فاثبت الحق عليه وأمر به الى السجن فرفع اليه وسيق سوقا عنيفا فلما وصل الى بابه طلب ورقة من كاتبه وكتب فيها وأنفذها الى مظفر مع العون الذي أوصله الى السجن فكان ما كتب

ارشوا الزناتي الفقيه بيضة * يشهدبان مظفرا ذو بيضتين
واهدوا اليه دجاجة يحلف لكم * مالك عبد الله عرس أبي الحسين

وقال أبو الحسن علي بن عتيق بن مؤمن القرطبي الانصاري يحمل والذي محملا لكتب من قضبان تشبه سلما فدخل عليه أبو محمد عبد الله بن مفيد فرآه فقال ارتجالا

أيها السيد الذكي الجنان * لا تقسني بسلم البنيان
فضل شكلي على السلالم اني * محمل للعلوم والقرآن
حزت من حلية المحبين ضعفي * واصفرار ورقة الابدان
فادع للصانع المجيد بفوز * ثم وال الدعاء للاخوان

ثم عمل أيضا

أيها السيد الكريم المساعي * التفت صنعتي وحسن ابتداعي
أنا للنسخ محمل خف حملي * أنا في الشكل سلم الاطلاع

وقال أحمد بن رضى المالقي

سلمة بنت أمية (وفيها) كانت غزوته الى اليهود من بني النضير وامتنعوا منه بحصونهم فقطعوا نخلهم وشجرهم واضرموا النار عليهم فلما رأى ذلك صالحهم (وفيها) كانت غزوته الى بني المصطلق (وفيها) وهي سنة أربع كان مولد الحسين بن علي ابن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وقد قيل ان مولد فاطمة رضي الله تعالى عنها قبل الهجرة بثمان سنين (وفي سنة خمس) كانت غزوة الخندق وما كان من حفر الخندق (وفيها) غزا اليهود من بني قريظة وكان من أمرهم ما قد شهر (وفيها) كان تزويجه بزينب بنت جحش (وفيها) كان نقول أهل الافك على عائشة رضي الله تعالى عنها (وفي سنة ست) كان استسقاؤه عليه السلام لما لحق الناس من الضر والجدب (وفيها) اعتمر عمرته المعروفة بعمرة الحديبية وواعد المشركين (وفيها) أخذ فدك (وفيها) تزوج أم حبيبة بنت أبي سفيان ووجه بالرسل الى كسرى وقيصر وكان فيها أداؤه لكتابة جويرية بنت الحرث وتزويجه بها (وفي سنة سبع) غزا خيبر فافتتحها واصطفى

ليس المدامة عما أستريح له * ولا لمجاورة الاوتار والنغم
وانما الذي كتب اطالعها * وخادمي ابدا في نصرتي قلمي

وقال ابو القاسم البلوي الاشبيلي

لمن اشكو مصابي في البرايا * ولا الى سوى رجل مصابي
امور لو تدبرها حكيم * لعاش مدى الزمان اخا اكتئاب
اما في الدهر من افشي اليه * باسراري فيؤنس بالجواب
يئست من الانام فما جليس * يعز علي نهاي سوى كتابي

وقال ابو زكريا يحيى بن صفوان بن ادريس صاحب كتاب الجعالة وزاد المسافر وغيرهما

ليت شعري كيف انتم * وانا الصب المعنى
كل شئ لم تكونوا * فيه لفظ دون معنى

وله في نصراني وسيم لقيه يوم عيد

توحد في الحسن من لم يزل * يثلث والقلب في صده
يشف لك الماء من كفه * ويقتدح النار من خده

وهذان البيتان نسبهما له بعض معاشريه وابو صفوان سابق الميدان * وقال ابن بسام سار ابن عمار في بعض اسفاره غلامان من بني جهور احدهما اشقر العذار والآخر اخضره فجعل يميل بحديثه لمخضر العذار ثم قال ارتجالا

تعد جهوري النجار * حلى اللمى جوهري الثنايا
من النفر البيض اسد الزمان * رقاق الحواشي كرام السجايا
ولا غروان تغرب الشارقات * وتبقى محاسنها بالعشايا
ولا وصل الاجمان الحديث * نساقطه من ظهور المطايا
شنشت المثلث للزعفران * وملت الى خضرة التفاياً انتهى

ومعناه ان ابن عمار ابغض المثلث لدخول الزعفران فيه لشبهه بعذار الاشقر منهما واحب خضرة التفاياً وهو لون طعام يعمل بالكزبرة لشبهها بعذار الاخضر منهما * وقال ابو العرب ابن معيشة الكناني السبتي اخبرني شيخ من اهل اشبيلية كان قد ادرك دولة آل عباد وكان عليه من اثر كبر السن ودلائل التعمير ما يشهد له بالصدق وينطق بان قوله الحق قال كنت في صباي حسن الصورة بديع الخلقة لا تلمحني عين احد الا ملكت قلبه وخلبت لبه وسلبت لبه واطلت كربه فبينا انا واقف على باب دارنا اذا بالوزير ابي بكر بن عمار قد اقبل في موكب زجل على فرس كالصخرة الصماء قدت من قنة الجبل فحين حاذاني ورآني اشرأب الي ينظرني وبهت يتاملني ثم دفع بخنصره كانت بيده في صدري وانشد

كف هذا النهد عني * فبقلبي منه جرح
هو في صدرك نهد * وهو في صدري رمح

وعبر في البدائع على طريقة القلائد عما صورته ذكر الفتح بن خاقان ما هذا معناه اخبرني ذو الوزارتين ابو المطرف بن عبد العزيز انه حضر عند المؤتمن بن هود في يوم اجرى الجو فيه

اعتمر في عمرة القضاء على ما ذكرنا من التنازع في نكاحه لها أفي حال حله نكحها أم في حال احرامه وما قال الفقهاء في ذلك وتنازع الناس في نكاح المحرم (وفيها) كان قدوم حاطب بن ابي بلتعة من مصر من عند المقوقس ملكها ومعه مارية القبطية أم ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وغير ذلك من هدايا المقوقس اليه (وفيها) كان قدوم جعفر بن ابي طالب من أرض الحبشة وركوبهم البحر (وفي سنة ثمان) استشهد جعفر بن ابي طالب وزيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة بارض موتة من ارض البلقاء من أرض الشام واعمال دمشق في وقعتهم مع الروم (وفيها) كانت وفاة زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل غير ذلك من التاريخ (وفي سنة ثمان) كان افتتاح النبي صلى الله عليه وسلم مكة وقد تنازع الناس في فتحها اصلحا كان أم غيره (وفيها) كسرت الاصنام وهدمت العزى ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم يا معشر قريش ما ترون اني فاعل بكم قالوا خيرا أخ كريم وابن اخ كريم قال اذهبوا فانتم الطلقاء (وفيها) غزا غزوة حنين

للمؤلفة قلوبهم وفيهم أبو سفيان صخر بن حرب وابنه معاوية (وفيها) كان مولد ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم من مارية القبطية (وفي سنة تسع) حج أبو بكر الصديق رضي الله عنه بالناس وقرأ على ابن أبي طالب عليهم سورة براءة وأمر ان لا يحج مشرك وأنه لا يطوف بالبيت عريان (وفيها) كانت وفاة أم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم (وفي سنة عشر) حج رسول الله عليه الصلاة والسلام حجة الوداع وقال ألا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض (وفيها) كانت وفاة ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وله سنة وعشرة اشهر وثمانية ايام وقيل غير ذلك (وفيها) كان بعثه عليه السلام يعلى الى اليمن واحرم كاحرام النبي صلى الله عليه وسلم على حسب ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب قبل هذا الباب من ذكر وفاته ومقدار عمره وما قاله الناس في ذلك وفي وفاة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم على حسب ما ذكرنا من تنازع الناس في مقدار عمرها ومدة بقائها بعد ابيها ومن الذي صلى عليها

اشقر برقه ورمى بنبل ودقه وحملت الرياح فيه اوقار السحاب على اعناقها وتمايلت قامات الاغصان في الحلل الخضر من اوراقها والازهار قد تفتحت عيونها والكمائم قد ظهر مكنونها والاشجار قد انصقلت بالقطر ونشرت ما يفوق الوان البزو بثت ما يعلو العطر والراح قد اشرقت نجومها في بروج الراح وحاكت شمسها شمس الاقحوان فتلفعت بغيوم الاقداح ومديرها قد ذاب ظرفا فكاد يسيل من اهابه واخجل خدها حسنا فكاد يعرق حبابه اذا بفتى رومي من اصبح فتيان المؤتمن قد اقبل متدرعا كالبدر اجتاب سحابا والخمرا كتست حبابا والطاوس انقلب حبابا فهو ملك حسنا الا انه جسد وغزال لينا الا انه في هيئة الاسد وقد جاء يريد استشارة المؤتمن في الخروج الى موضع كان عول فيه عليه وأمره أن يتوجه اليه فخير وصل الى حضرته لحه ابن عمار والسكر قد استحوذ على لبه وانبثت سراياه في ضواحي قلبه فاشار اليه وقربه واستبدع ذلك اللباس واستغربه وجد في أن يستخرج تلك الدرة من ماء ذلك الدلاص وأن يجلي عنه كما يجلى الخبث عن الخلاص وأن يوفر على ذلك الوفر نعمة جسمه ويكون هو الساقي على عادته القديمة ورسمه فامره المؤتمن بقبول أمره وامتثاله واحتذاء أمثاله فحين ظهرت تلك الشمس من حجبها ورمت شياطين النفوس من كمت المدام بشهبها ارتجل ابن عمار

وهو يتيه يسقي المدام كانه * قمر يدور بكوكب في مجلس
متناوح الحركات يندى عطفه * كالغصن هزته الصبا بتنفس
يسقي بكاس في أنامل سوسن * ويدير أخرى من محاجر نرجس
يا حامل السيف الطويل نجاده * ومصرف الفرس القصير المحبس
اياك بادرة الوغى من فارس * خشن القناع على عذار أملس
جهم وان حسر القناع فانما * كشف الظلام عن النهار المشمس
يطغى ويلعب في دلال عذاره * كالمهر يلعب في اللجام المحرس
سلم فقد قصف القنا غصن النقا * وسطا بليث الغاب ظبي المكنس
عنا بكاسك قد كفتنا مقلة * حوراء فاتنة بسكر المجلس

وصنع فيه أيضا

وأحور من ظباء الروم عاط * بسالفتيه من دمعي فريد
قسا قلبا وشن عليه درعا * فباطنه وظاهره حديد
بكيت وقد دنا ونأى رضاه * وقد يبكي من الطرب الجليد
وان فتى تملكه برق * وأحرز حسنه لفتى سعيد

انتهى

وقال في البدائع مؤلفه ما نصه خرج المعتصم بن صمادح صاحب المرية يوما الى بعض منتزهاته فخل بروضة قد سفرت عن وجهها البهيج وتنفست عن مسكها الاريج وماست معاطف أغصانها وتكللت بلؤلؤ الطل أجياد قضبانها فتشوف الى الوزير أبي طالب بن غانم أحد كبراء دولته وسيوف صولته فكتب اليه بديها بورقة كرنب بعود من شجرة

أقبل أبا طالب الينا * واسقط سقوط الندى علينا

و جاس

واشتد بكاؤه وظهر أنينه وحنينه وقال فى ذلك

لكل اجتماع من خليلين فرقة
وكل الذى دون الممات قليل
وان افتقادى فاطما بعد أحمد
دليل على أن لا يدوم خليل

(وكان أولاده) صلى الله عليه وسلم من خديجة خلا ابراهيم ولده صلى الله عليه وسلم القاسم وبه يكنى وكان أكبر بنيه سنا ورقية وأم كلثوم وكانتا تحت عتبة وعتيبة ابنى ابى لهب فطلقا هما لخبر يطول ذكره فتزوجهما عثمان بن عفان واحدة بعد واحدة وزينب وكانت تحت أبى العاص بن الربيع وفرق الاسلام بينهما ثم أسلم فردها عليه بالنكاح الاول وهذا موضع خلاف بين أهل العلم فى كيفية رده عليه السلام لزينب على أبى العاص وولدت من أبى العاص أمامة وتزوجها على بعد موت فاطمة عليهما السلام وولد له عليه الصلاة والسلام بعد ما بعث عبد الله وهو الطيب والطاهر الثلاثة الاسماء له لانه ولد فى الاسلام وفاطمة وابراهيم وقد

وجلس المعتصم بن صعادح المذكور يوما وبين يديه ساقية قد أخذت بردها حر الاوار والتوى ماؤها فيها التواء فضة السوار فقال ارتجالا

انظر الى الماء كيف انحط فى صبيه * كانه أرقم قد جد فى هربه

وقال السميسر

بعود شر بن دمى قهوة * وغنينى بضرب الاغانى
كأن عروقى أوتار من * وجسمى الرباب وهن القنانى

وقيل

بعوض وبرغوث وبق لزمننى * حسبن دمى خمرا فذلها الخمر
فيرقص برغوث لزمر بعوضة * وبقهم سكت ليستمع الزمر

ومنه

بق و برغوث أتوا * نحوى وقد شدوا عذابى
وأتى البعوض بزمره * ياقوم أخرج من ثيابى

وأحسن منه قول ابن شرف القيروانى

لله مجلس كلت بشارة لهونا * فيه ولكن تحت ذاك حديث
غنى الذباب فظل يزمر حوله * فيه البعوض ويرقص البرغوث

والسابق الى هذا المعنى أبو أحمد بن أيوب من شعراء اليتيمة اذ قال

لا أعذل الليل فى تطاوله * لو كان يدرى ما نحن فيه نقص
لى والبراغيث والبعوض اذا * أجنا حندس الظلام قصص
اذا تغنى بعوضه طربا * أطرب برغوثه الغناء فرقص

ونحو هذا قول الحصرى فيما نسبه اليه ابن دحية

ضاقت بلذعة بى * وذاد عنى غموضى
ورقص البراغيث فيها * على غناء البعوض

(رجع) الى أهل الاندلس فنقول كان ابن سعد الخير البلنسى الشاعر كثير الدهول مفرط النسيان ظاهر التغفل على جودة نظمه ورطوبة طبعه وكان كثيرا ما يسلك سكة الاسكافيين الذين يعملون الخفاف على بغلة له فاتخذت البغلة المقور من أطراف الادم وفضلات الجلود الملقاة فى السكة عادة لها واتفق أن عبر فى السكة راجلا ومعه جماعة من أصحابه فلما رأى الجلود الملقاة قفز ووثب راجعا على عقبيه فقال له أصحابه ما هذا أيها الاستاذ فقال البغلة نفرت فعجبوا من تغفله كيف ظن مع ما يقاسيه من ألم المشى ونصب التعب انه راكب وان حركته الاختيارية منه حركة الدابة الضرورية له فكان تغفله ربما أوقعه فى سهمة عند من لم يعرفه فاقترح عليه بعض الامراء أن يصنع بيتين أول أحدهما كتاب وآخره ذئب وأول الآخر جوارح وآخره أنابيب فصنع بديها

كتاب نجيع لاح فى حومة الوغى * وقارنه نسر هنالك أوذيب
جوارح أهليه حروف وربما * تولته من نقط الطعان أنابيب

ومن مبعثه الى هجرته وثلثمائة وما كان من ذلك من المغازى والسرايات والبعوث والطرائق والاحداث وانما نذكر فى هذا الكتاب لمعا منبهين بذلك على ما سلف من كتبنا ومذكرين لما تقدم من تصنيفنا وبالله التوفيق

(ذكر ما بدأ به عليه الصلاة والسلام من الكلام مما لم يحفظ قبله عن احد من الانام)

قال ابو الحسن على بن الحسين بن على بن عبد الله المسعودى بعث الله نبيه صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين ومبشرا للناس أجمعين وقربه الله بالآيات والبراهين النيرات وأتى بالقرآن المعجز فتحدى به قومه وهم الغاية فى الفصاحة والنهاية فى البلاغة وأولوا العلم باللغة والمعرفة بانواع الكلام من الرسائل والخطب والسجع والمقفى والمنثور والمنظوم والاشعار فى المكارم وفى الحب والزجر والتقريض والاغراء والوعد والوعيد والمدح والتهجين فقرع به أسماعهم وأعجم به أذهانهم وقبح به أفعالهم وذم به آراءهم وسفه به أحلامهم وأزال به دياناتهم وأبطل سنتهم ثم أخبر عن عجزهم مع تظاهرهم أن لا ياتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض

وقال الحميدى ذكر لى أبو بكر المروانى انه شاهد محمو با الشاعر النحوى قال بديهة فى صفة ناعورة

وذات حنين ما تغيض جفونها * من اللبج الخضر الصوافى على شط
وتبكى فتجرى من دموع جفونها * رياضا تبدت بالازاهر فى بسط
فمن أحمر قان وأصفر فاقع * وأزهر مبيض وادكن مشمط
كأن ظروف الماء من فوق متنها * لآلى جمان قد نظمن على قرط

وقال أبو الخطاب بن دحية دخلت على الوزير الفقيه الاجل أبى بكر عبد الرحمن بن محمد بن مغاور السلمى فوقع الكلام فى علوم لم تكن من جنس فنونه فقال بديها

أيها العالم ادركنى سماحا * فلمثلى يحق منك السماح
ان تخانى اذا نطقت عييا * فبنانى اذا كتبت وقاح
أحرز الشأو فى نظام ونثر * ثم أثنى وفى العنان جماح
فبهزل كما تاود غصن * وبجد كما تهز الصفاح

وقال دخلت عليه منزله بشاطبة فى اليوم الذى توفى فيه وهو يجود بنفسه فانشد بديها

أيها الواقف اعتبارا بقبرى * استمع فيه قول عظمى الرميم
أودعونى بطن الضريح وخافوا * من ذنوب كلومها بادمى
ودعونى بما اكتسبت رهينا * غلق الرهن عند مولى كريم

وقال ابن طوفان دعانى أبا الوليد النحلى فلما قضوا وطرهم من الطعام سقيتهم وجعلت أترع الكاسات فلما مشت فى النحلى سورة الحميا ارتجل

لابن طوفان أياد * قل فيها مشبهوه ملأ الكاسات حتى * قيل فى البيت أبوه

ونظيره قول المتقبل من شعراء الذخيرة فى الشاعر ابن الفراء

فاذا ما قال شعرا * نفقت سوق أبيه

وذكر فى بدائع البدائه أن جماعة من الشعراء فى أيام الافضل خرجوا متنزهين الى الاهرام ليروا عجائب مبانيها ويتاملوا ما سطره الدهر من العبر فيها فاقترح بعض من كان معهم العمل فيها فصنع أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الاندلسى

بعيشك هل أبصرت أعجب منظرا * على مارات عيناك من هرمى مصر
اناقا بأعنان السماء فاشرفا * على الجو اشراف السماك أو النسر
وقد وافيا نشزا من الارض عاليا * كانهما نهدان قاما على صدر

وصنع أبو منصور ظافر الحداد

تامل هيئة الهرمين وانظر * وبينهما أبو الهول العجيب
كعمارية تبتنى على رحيل * بمحمو بين بينهما رقيب
وفيض البحر عندهما دموع * وصوت الريح بينهما نحيب
وظاهر سجن يوسف مثل صب * تخلف فهو محزون كئيب انتهى

وقال ابن بسام كان للمتوكل بن الافطس فرس أدهم أغر محجل على كفله ست نقط بيض فنديب

المتوكل الشعراء لصفته فصنع النحلى أبو الوليد فيه بديها

ركب البدر جوادا سابحا * تقف الريح لادنى مهله
لبس الليل قميصا سابغا * والثريا نقطة فى كفله
وغدير الصبح قد خيض به * فبدا تحجيله من بلله
كل مطلوب وان طالت به * رجله من أجله فى أجله

ثم انتدب الشعراء بعد ذلك للعمل فيه فصنع ابن اللبانة

لله طرف جال يا ابن محمد * فخبت به حوباؤه التاميلا
لما رأى أن الظلام أديمه * أهدى لاربعه الهدى تحجيلا
وكانما فى الردف منه مباسم * تبغى هناك لرجله تقبيلا

وقال فيه أبو عبد الله بن عبد البر الشنتريني من قطعة

وكانما عمر على صهواته * قمر تسير به الرياح الاربع

و يعنى بعمر المتوكل المذكور لان اسمه عمر * وقال أحمد بن عبد الرحمن بن الصقر الخزرجى قاضى اشبيلية

لله اخوان تناءت دارهم * حفظوا الوداد على النوى أو خانوا
يهدى لنا طيب الثناء ودادهم * كالند يهدى الطيب وهو دخان

وحكى أن أيوب بن سليمان السهيلى المروانى حضر يوما عند ابن باجة الشاعر وأبو الحسن ابن جودى هناك فتكلم المروانى بكلام ظهر فيه نبل وأدب فتشوف أبو الحسن بن جودى لمعرفته وكان اذ ذاك فتى السن فقال له من أنت أكرمك الله تعالى فقال هلا سألت غيرى عنى فيكون ذلك أحسن لك أدبا ولى توقيرا فقال ابن جودى قد سألت من المعرف عنك فلم يعرفك فقال باهذا طالما مر علينا زمان يعرفنا من يجهل ولا يحتاج من يرانا فيه الى أن يسال وأطرق ساعة ثم رفع رأسه وأنشد

انا ابن الالى قد عوض الدهر عزهم * بذل وقلوا واستحبوا التنكرا
ملوك على مر الزمان بمشرق * وغربت دهاهم دهرهم وتغيرا
فلا تذكرنهم بالسؤال مصابهم * فان حياة الرزء أن يتذكرا

ففطن ابن جودى انه من بنى مروان فقام وقبل رأسه واعتذر اليه ثم انصرف المروانى فقال ابن باجة لابن جودى أساء أدبك بعد ما عهدت منك كيف تعمد الى رجل فى مجلسى تحدنى قدقر بته وأكرمته وخصصته بالاصغاء الى كلامه فتقدم عليه بالسؤال عن نفسه فاحذر أن تكون لك عادة فانها من أسوا الادب فقال ابن جودى لم نزل من الشيخ على ما قاله أبو تمام * نأخذ من ماله ومن أدبه * وحكى أن بكارا المروانى لما ترك وطنه وخرج فى الجهاد وقتل قال صاحب السقط انه اجتمع به فى اشبونة فقال قصدت منزله بها ونقرت الباب فنادى من هذا فقلت رجل ممن يتوسل لروياك بقرابة فقال لا قرابة الا بالتقى فان كنت من أهله فادخل والا فتنح عنى فقلت أرجو فى الاجتماع بك والاقتباس منك أن أكون من أهل التقى فقال ادخل فدخلت عليه فاذا به فى مصلاه وسبحته أمامه وهو يعد حبوبها

أقاويل المختلفين والاخبار عن كلام المتنازعين اذ كان كتاب خبر لا كتاب بحث ونظر (ثبت) عنه عليه السلام بالعلم الموروث ونقل الينا الباقى عن الماضى من بعد قيام الادلة على صدقه وما أورد من المعجزات والدلائل والعلامات التى أظهر الله على يديه ليؤدى رسالات ربه الى خلقه أنه قال أوتيت جوامع الكلم وقال اختصر لى الكلام اختصارا عما أوتيه من الحكمة والنطق السير والكلام القصير البعيد المعانى الكثيرة الوجوه المتفرقة مع ما فيه من الحكمة وتمام المصلحة (وكان كلامه) صلى الله عليه وسلم أحسن المقال وأوجزه لقلة ألفاظه وكثرة معانيه (فمن ذلك) قوله صلى الله عليه وسلم عند عرضه لنفسه على القبائل بمكة وأبو بكر وقومه على بكر بن وائل وتقدم أبى بكر اليهم وما جرى بينه و بين دغفل من الكلام فى النسب البلاء موكل بالمنطق وهذا مما سبق اليه من الكلام ولم يضف الى غيره من الانام ثم اخباره عن الحرب وقوله

الحرب خدعة فعلم بهذا اللفظ اليسير والكلام الوجيز أن آخر مكايد الحرب القتال بالسيف اذ كان بدؤها خدعة كما

ويسبح فيها فقال لى ارفق على أيها الوظيفتى من هذا التسبيح وأقض حقك فقعدت الى أن فرغ فلما قضى شغله عطف على وقال ما القرابة التى بينى و بينك فانتسبت له فعرف أبى وترحم عليه وقال لى لقد كان نعم الرجل وكان لديه أدب ومعرفة فهل لديك أنت مما كان لديه شئ فقلت له انه كان يأخذنى بالقراءة وتعلم الادب وقد تعلقت من ذلك بما أتميز به فقال لى هل تنظم شيأ قلت نعم وقد أجانى الدهر الى أن أرتزق به فقال يا ولدى انه بئسما يرتزق به ونعم ما يتحلى به اذا كان على غير هذا الوجه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من الشعر لحكمة ولكن تحل الميتة عند الضرورة فانشدنى أصلحك الله تعالى مما على ذكرك من شعرك قال فطلبت بخاطرى شيئا أقابله به مما يوافق حاله فما وقع لى الا ما لا يوافقه من مجون ووصف خمر وما أشبه ذلك فاطرقت قليلا فقال لعلك تنظم فقلت لا ولكن أفكر فيما أقابلك به فقولى أكثره فيما حلانى عليه الصبا والسخف وهو غير لائق بمجلسك فقال يا بنى ولا هذا كله انا لا نبلغ من تقوى الله الى حد نخرج به عن السلف الصالح واذا صح عندنا أن عبد الله بن عباس ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومفسر كتاب الله تعالى ينشد مثل قول القائل * ان يصدق الطير ننك لمسا * بن نحن حتى نابى أن نسمع مثل هذا والله لانشدن عن السلف الصالح أنشدنى ما وقع لك غير متكلف فلم يمتد نى خاطرى الى غير قولى من شعر أمجن فيه

أبطأت عنى وانى * لفى اشتياق شديد
وفى يدى لك شئ * قد قام مثل العمود
لو ذقته مرة لم * تعد لهذا الصدود

فتبسم الشيخ وقال أما كان فى نظمك أطهر من هذا فقلت له ما وفقت لغيره فقال لا باس عليك فانشدنى غيره ففكرت الى أن أنشدته قولى

ولما وقفت على ربعهم * تجرعت وجدى بالاجرع
وأرسل دمعى شرارا الدموع * لنارا تاجج فى الاضلع
فقام عذولى لما رأى * بكائى وقفا على الادمع
فقلت له هذه سنة * لمن حفظ العهد فى الاربع

قال فرأيت الشيخ قد اختلط وجعل يجىء و يذهب ثم أفاق وقال أعد بحق آبائك الكرام فأعدت فاعادما كان فيه وجعل يردد فقلت له لو علمت أن هذا يحركك ما أنشدتك اياه فقال وهل حرك منى الا خير اوعظة يا بنى ان هذه القلوب المخلاة لله كالورق التى جفت وهى مستعدة لهبوب الرياح فان هب عليها أقل ريح لعب بها كيف شاء وصادف منها طوعه فاعجبنى منزعه وتانست به ولم أر عنده ما يعتاد من هؤلاء المتدينين من الانجماع والامتكماش بل ما زال يبسطنى ويحدثنى باخبار فيها هزل و يذكرلى من تاريخ بنى أمية وملوكها ما أرتاح له ولا أعلم أكثر فلما كثر تانسى به أهويت الى يده لأقبلها فضمها بسرعة وقال ما شاء الله فقلت راغبا لك فى أن تنشدنى شيأ من نظمك فقال اما نظمى فى زمان الصبا فكان له وقت ذهب و يجب للنظم أن يذهب معه وأما نظمى فى هذا الوقت فهو فيما أنا بسبيله وهو يثقل

قال عليه السلام وهذا كالعائد فى قيئه زاجرا بهذا القول للواهب أن لا يسترجع شيأ وهبه اذ كان القىء لا يرجع فيه من قاءه (وللناس) فى هذا المعنى كلام كثير وخطب طويل وانما الغرض فيما نذكر ايراد كلامه صلى الله عليه وسلم ووصف قوله الذى لم يتقدمه به أحد من الناس وقوله أحثوا فى وجوه المداحين التراب المراد من ذلك اذا كذب المادح ولم يرد عليه السلام اذا شكر الانسان غيره بما أولاه أو وصفه بما هو فيه أو قال ماله أن يقول أن يحثى فى وجهه التراب ولو كان هذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم اذن ما مدح أحد أحدا اذا كان هذا النهى عموما للصادق والكاذب وأن يحثى فى وجه الجميع التراب وهذا خلاف ما جاء به التنزيل حيث يقول عز وجل مخبرا عن نبيه يوسف وقوله للملك اجعلنى على خزائن الارض انى حفيظ عليم فقدم مدح نفسه ووصف حاله وجميع ما يذكر فى هذا مستفيض فى السير والاخبار متقارب عند العلماء متداول بين الحكماء يتمثل به كثير من الناس و يستعمل العوام كثيرا منه فى ألفاظها وتورده فى أمثالها وخطاباتها والا كثر منهم لا يعلم أن عتيك

عليك فقلت له ان أنصف سيدى الشيخ نفعنا الله تعالى به أنشدنى من نظم صباه ومن نظم شيوخه فياخذ كلانا بحظه فضحك وقال ما أعصيك وأنت ضيف ولك حرمة أدب وبسيلة قصد ثم أنشدنى وقد بدا عليه الخشوع وخنقة العبرة

ثق بالذى سواك من * عدم فانك من عدم
وانظر لنفسك قبل قر * ع السن من فرط الندم
واحذر وقيت من الورى * واصحبهم أعمى أصم
قد كنت فى تيه الى * أن لاح لى أهدى علم
فاقتدت نحو ضيائه * حتى خرجت من الظلم
لكن قناديل الهوى * فى نور رشدى كالحمم

قال فوالله لقد أدركنى فوق ما أدركه وغلب على خاطرى بما سمعته من هذه الابيات وفعلت فى من الموعظة غاية لم أجد منها التخلص الا بعد حين فقال لى الشيخ ان هذه يقظة يرجى نفعها خيرك والله مرشدك ومنقذك ثم قال لى يا بنى هذا ما نحن بسبيله الآن فاسمع فيما مضى الله ولى المغفرة وانا نرجو منه غفران الفعل فكيف القول وأنشد

أطل عذار على خده * فظنوا سلوى عن مذهبى
وقالوا غراب لوشك الثوى * فقلت اكتسى البدر بالغيهب
وناديت قلبى أين المسير * وبدر الدجى حل بالعقرب
فقال ولو رمت عن حبه * رحيلا عصيت ولم أذهب

قال فسمعت منه ما يقصر عنه صدور الشعراء وشهدت له بالتقدم وقلت له لم أر أحسن من تظلمك فى جد ولا هزل ثم قلت له أأروى عنك فقال نعم ما أرى به باسا بعد اطلاع من يعلم السرائر على ما فى الضمائر فما قدر هذه الفكاهة فى اغضاء من يغفر الكبائر ويغضى عن العظائم قال فقلت له فان أسبغت على النعمة بزيادة شئ من هذا الفن فعلت ما تملك به قلبى آخر الدهر فقال يا بنى لا ملك قلبك غير حب الله تعالى ثم قال ولا أجمع عليك رد قول ومنعا وأنشد

ايها الشادن الذى * حسنه فى الورى غريب
لحظ ذاك الجمال يطفئ ما فى * من اللهيب
وعليه أحوم دهرى ولكننى أخيب
كلما رمت زورة * قيض الله لى رقيب

قال فمازج قلبى من الرقة واللطافة لهذا الشعر ما أعجز عن التعبير عنه فقلت له زدنى زادك الله تعالى خيرا فانشدنى

ما كان قلبى يدرى قدر حبكم * حتى بعدتم فلم يقدر على الجلد
وكنت أحسب انى لا أضيق به * ذرعا فما زال حتى فت فى عضدى
ثم استمرت على كره مريرته * فكاد يفرق بين الروح والجسد
عساكم أن تلافوا بالقاء متى * فليس لى مهجة تقوى على الكمد

وقوله الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف رأس الحكمة معرفة الله يا خيل الله اركبى وبشرى بالجنة الآن حتى الوطيس لا ينقطع فيها عنان لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين لا يجنى على المرء الا يده ليس الخبر كالمعاينة الشديد من غلب نفسه يورك لامتى فى بكورها سابق القوم آخرهم شربا المجالس بالامانات لو بغى جبل على جبل لدك الباغى منهما ابدا من تعول مات حتف أنفه يريد بذلك الفجأة وأنه مات من غير علة ولا تزال أمتى بخير ما لم ترالامانة مغنما والزكاة مغرما قيدوا العلم بالكتابة خير المال عين ساهرة لعين نائمة المسلم مرآة المسلم رحم الله من قال خيرا فغنم اوسكت عن شر فسلم المرء كثير باخيه اليد العليا خير من اليد السفلى ترك الشر صدقة فضل العلم خير من فضل العبادة الغنى غنى النفس الاعمال بالنيات أى داء أدوأ من البخل الحياء خير كله الخيل معقود بنواصيها الخير السعيد من وعظ بغيره عدة المؤمن كاخذ باليدان من الشعر لحكمة ومن البيان لسحرا عز والملوك بقاء الملك ارحم من

ثم قال حسبك وان كلفتني زيادة فالله حسبك فقلت له قد وكلتني الى كريم غفور رحيم فبالله الا ما زدتني وأكببت لاقبل رجليه فضمهما وأنشد

لله من قال لما * شكوت فيه تحولي
أما السبيل لوصل * فماله من وصول
فقلت حسبي التماح * بحسن وجه جميل
وجه تلوح عليه * علامة للقبول
فقال دعني فهذا * تعرض للفضول
فقلت عاتب وخاطب * بالامن أهل العقول

فلا سمعي عجائب وبسط أنسي وكتبت كل ما أنشدني ثم قلت له لولا خوفي من التثقيل عليك لم أزل أستدعي منك الانشاد حتى لا تجد ما تنشد فقال ان عدت ان شاء الله تعالى الى هنا تذكرت وأنشدتك فما عندي مما أضيفك غير ما سمعته وما تراه ثم قام وجاء من بيت آخر في داره بصحفة فيها حسا من دقيق وكسور باردة فجعل يفت فيها ثم أشار الى أن اشرب فشربت ثم شرب الى أن أتينا على آخرها ثم قال لي هذا غداء عمك نهاره وانه لنعمة من الله تعالى أستديم بشكرها اتصالها قال فقلت له يا عم ومن أين عيشك فقال يا بني عيشتي بتلك الشبكة أصطاد بها في سواحل البحر ما أقتات به ولي زوجة وبنت يعودون من غزلها مع ذلك ما نجد به معونة وهذا مع العافية والاستغناء عن الناس خير كثير جعلنا الله تعالى ممن يلقاه على حالة يرضاها وختم لنا بخاتمة لا يخاف معها فضيحة قال فتركته وقت وفي نيتي أن أعود الى زيارته ونويت أن يكون ذلك بعد أيام خوف التثقيل فعدت اليه بعد ثلاثة أيام فنقرت الباب فكلمتني المرأة بلسان عليه أثر الحزن وقالت ان الشيخ خرج الى الغزو وذلك بعد انفصالك عنه بيوم ناله كالجنون فقلت له ما شانك فقال اني أريد أن أموت شهيدا في الغزو وهؤلاء جيران لي قد عزموا على الغزو وأما ان شاء الله تعالى ماض معهم ثم احتال في سيف ورمح وتوجه معهم وقال نفسي هي التي قتلتني بهواها أفلا أقتص منها فاقتلها قال فقلت لها من خلف للنظر في شانكم فقالت ليس ذلك لك فالذي خلفنا له لا نحتاج معه الى غيره فاد وكي من جوابها روعة وعلمت انها مثله زهدا وصلاحا فقلت اني قريبه ويجب علي أن أنظر في حالكم بعده فقالت يا هذا انك لست بذي محرم ولنا من النحائر من ينظر منا ويبيع غزلنا ويتفقد أحوالنا فجزاك الله تعالى عنا خيرا انصرف عنا مشكورا فقلت لها هذه دراهم خذوها لتستعينوا بها فقالت ما اعتدنا أن نأخذ شيأ من غير الله تعالى وما كان لنا أن نخل بالعادة فانصرفت نادما على ما فاتني من الاستكثار من شعر الشيخ والتبرك بزيادة دعائه ثم عدت بعد ذلك لداره سائلا عنه فقالت لي المرأة انه قد قبله الله تعالى فعلمت انه قد قتل فقلت لما أقتل فقرأت ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله الآية فانصرفت معتبرا من حاله رحمه الله تعالى ورضي عنه ونفعنا به وكانت للمروانيين بالاندلس يد عليا في الدين والدنيا * وقال محمد بن أيوب المرواني لما كلف قوما حاجة له سلطانية فما نهضوا بها فكلفها رأس بني مروان القائد سعيد بن المنذر فنهض بها

من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا المستشار مؤتمن من قتل دون ماله فهو شهيد لا يحل لمؤمن أن يهجر أخاه فوق ثلاث الدال على الخير كفاعله الندم توبة الولد للفراش وللعاهر الحجر كل معروف صدقة لا يشكر الله من لا يشكر الناس لا يؤذى الضالة الاضال حبك الشيء يعمي ويصم السفر قطعة من العذاب (وقوله للانصار) انكم لتقلون عند الطمع وتكثرون عند الفزع وقوله المسلمون عند شروطهم الا شرطا احل حراما أو حرم حلالا الرجل احق بصدر مجلسه وصدر دابته الناس معادن كمعادن الذهب والفضة الظلم ظلمات يوم القيامة تمام التحية المصافحة جبلت القلوب على حب من أحسن اليها امنك من اعتبك ما نقص مال من صدقة التائب من الذنب كمن لا ذنب له الشاهد يرى ما لا يرى الغائب خذ حقك في عفاف واف أو غير واف أعطوا الاجير أجرته قبل أن يجف عرقه أهل المعروف في الدنيا أهل المعروف يوم القيامة الجنة تحت ظلال السيوف

نهضت بما سألت خير وان * وقد صعبت لسالكها الطريق
وليس يبين فضل المرء الا * اذا كلفته ما لا يطيق

وعتبه يوما سعيد بن المنذر في كونه يتعرض لمدح خدام بني مروان فقال له أعز الله تعالى القائد الوزير انكم جعلتموني ذنبا وجعلوني رأسا والنفس تتوق الى من يكرمها وان كان دونها اكثر ممن يهينها وان كان فوقها وانى من هذا وهذا في أمر لا يعلمه الا الله الذي بلاني به ويا ويح الشحيح من الخلي وأنا الذي أقول فيما يتخلل هذا النزع

نسبت لقوم ليتني نجل غيرهم * فلي نسب يعلو وحظي يسفل
أقطع عمري بالتململ والمنى * ولم يخدع المرء اللبيب التململ
فما لي مكان أرتضيه لهمة * ولا مال منه أستعف وأفضل
ولكنني أقضي الحياة تجملا * وهل يهلك الانسان الا التجمل

فقال له سعيد قد نالوا لمك فعطفت اللائمة علينا ونحن أحق بها وسننظر ان شاء الله تعالى فيما يرفع اللوم عن الجانبين ثم تكلم مع الناصر في شانه فاجرى له رزقا أغناه عن التكفف فكانت هذه من حسنات سعيد وأياديه * وقال المطرف بن عمر المرواني يمدح المظفر بن المنصور بن ابي عامر

ان المظفر لا يزال مظفرا * حكما من الرحمن غير مبدل
وهو الاحق بكل ما قد حازه * من رئعسة ورياسة وتفضل
تلقاه صدرا كلما قلبته * مثل السنان بمحفل وبمحفل

وحضر يوما مع شاعر الاندلس في زمانه ابن دراج القسطلي فقال له القسطلي أنشدني أبياتك التي تقول فيها * على قدر ما يصفو الخليل يكدر * فانشده

تخيرت من بين الانام مهذبا * ولم أدر اني خائب حين أخبر
فمازجني كالراح للماء واغتدى * على كل ما جشمته يتصبر
الى أن دهاني اذ أمنت غروره * سفاها وأداني لما ليس يدكر
وكدر عيشي بعد صفو وانما * على قدر ما يصفو الخليل يكدر

فاهتز القسطلي وقال والله انك في هذه الابيات لشاعر وأنا أنشدك فيما يقابلها لبلال بن جرير

لو كنت أعلم ان آخر عهدهم * يوم الفراق فعلت ما لم أفعل

ولكن جعل نفسه فاعلا وعرضت نفسك لان يقال انك مفعول فقال ومن اين يلوح ذلك فقال القسطلي من قولك واداني لما ليس يذكر فما يظن في ذلك الا انه اداك الى موضع فعل ذلك فيه فاغتاظ الاموي وقال يا أبا عمرو من اين جرت العادة بان تمزح معي في هذا الشان فقال له حلم بني مروان يحملنا على ان نخرق العادة في الحمل على مكارمهم فسكن غيظه وكتب المرواني المذكور الى صاحب له يستعير منه دابة يخرج عليها للفرجة والخلاعة نهض الله تعالى سيدي باعباء المكارم ان هذا اليوم قد تبسم افقه بعد ما بكى ودقه صقلت اصداءه وراقه وفتحت حدائق احداقه وقام نوره خطيبا على ساقه وفضضت

مثل قوله اياكم والتسويف وطول الامل فانه كان سبب هلاك الامم وقوله ليس منا من غشنا

وجنة الكافر ما أمثلق
تاجر صدق الدعاء سلاح
المؤمن خير الامور أوسطها
اذا أتاكم الزائر فاكرموه
اشفعوا تحمدوا وتؤجروا
الايمان الصبر والسماحة
أفضلكم أفضلكم معرفة
ما هلك امرؤ عن مشورة
ما عال امرؤ اقتصد ما هلك
امرؤ عرف قدره شر
العمى عمى القلب الكذب
مجانب للايمان ما قل
وكفى خير مما كثر وألهى
من أثنى فقد كفى قلة الحياء
كفر المؤمنون هينون
لينون شر الندامة يوم
القيامة شر المعذرة عند
الموت أقيلوا عثرات الكرام
اطلبوا الخير عند صباح
الوجوه الدنيا حلوة خضرة
وان الله مستعملكم فيها
فينظر كيف تعملون
انتظار الفرج عبادة
وكادت الفاقة ان تكون
كفرا لم يبق من الدنيا الا
بلاء وفتنة في كل عام تزدلون
زرغبا تزددحبا الصحة
والفراغ نعمتان مغبون
فيهما كثير من الناس
أو قال جميع الناس (وقوله)
لا يلقى الله احدا الا نادما
من عمل خيرا قال يا ليتني
ازددت ومن عمل غير ذلك
قال يا ليتني قصرت وهذا
وهذا القول يحتمل معاني

كثيرة منها ان يكون اخبارا ان من غش اخبر عنه بما كان من فعله ويحتمل ان يكون على طريق الزجر والنهي عن الغش وقد قيل غير ذلك والله اعلم مثل ماروى عنه ابو مسعود البدري قال لا يبقى على وجه الارض بعد مائة احد الامات فاستفاضت هذه الرواية عن ابي مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم فجزع الاكثر فاضى ذلك الى علي رضي الله عنه فقال صدق ابو مسعود فيما قال وذهب عنه المراد بذلك وانما مراد النبي صلى الله عليه وسلم ان لا يبقى على وجه الارض احد بعد رأس مائة ممن رأى النبي صلى الله عليه وسلم الامات وقوله استعينوا على اموركم بالكتمان وعلى قضاء حوائجكم بالاسرار (قال المسعودي) وقد جمع كثير ممن تقدم ومن شاهدناه كثيرا من ألفاظ النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك ذكر ابو اسحق الزجاجي النحوي صاحب ابي العباس المبرد وابو عبد الله نفطويه وجعفر ابن محمد بن حدان الموصلي وغيرهم ولا عمن تقدمهم وتأخر عنهم اوردنا من ذلك في هذا الكتاب ما سهل ايراده وتأتى لنا ذكره على حسب الحاجة اليه مع اتفاق الموضع له وان كنا قد اتينا على جميع ما يحتاج اليه في هذه المعاني وقد

غدرانه وتوجت اغصانه وبرزت شمسه من حجابها بعد ما تلفعت بسحابها وتنبه في ارجاء الروض ادرج النسيم وعرف في وجهه نضرة النعيم وقد دعا كل هذا ناظر اخيك الى ان يحيله في هذه المحاسن ويجد نظره في المنظر الذي هو غير مبتذل والماء الذي هو غير آسن والفصص اليوم احسن ما ملح وابدع ما حزن فيه وجمع فخذلي باعارتها النهض عليه لمشاهدته ويرفع عني بخل الابتذال بمشاركة الانذال لازلت نهاضا بالآمال مسعفا بمراد كل خليل غير مقصر ولا آل * وكتب الامير هشام بن عبد الرحمن الى اخيه عبد الله المعروف بالبلنسي حين فر كتابا يقول في بعض فصوله والعجب من فرارك دون ان ترى شيأ نخاطبه بجواب يقول فيه ولا تتعجب من فراري دون ان أدى شيأ لاني خفت ان ارى ما لا اقدر على الفرار بعده ولكن تعجب مني ان حصلت في يدك بعد ما افلت منك * وقال له وزيره احمد بن شعيب البلنسي ليس من العار أن يبلغ بك الخور من هذا الصبي ان تجعل بينك وبينه البحر وتترك بلاد ملكك وملك ابيك فقال ما اعرف ما تقول وكل ما وقى به اتلاف النفس ليس بعار بل هو محض العقل واول ما ينظر الاديب في حفظ راسه فاذا نظر في ذلك نظر فيما بعده * وقال عبد الله بن عبد العزيز الاموي ويعرف بالحجر

احمل لنا منك حظا ايها القمر * فانما حظنا من وجهك النظر
رآك ناس فقالوا ان ذا قمر * فقلت كفوا فعندي منهما الخبر
البدر ليس بغير النصف بهجته * حتى الصباح وهذا كله قمر

وقال ابو عبد الله محمد بن محمد بن الناصر يرثي ابا مروان بن سراج

وكم من حديث للنبي أبانه * والبسه من حسن منطقه وشيا
وكم مصعب للنحو قد راض صعبه * فعاد ذلولا بعد ما كان قد اعيا

وحكي انه دخل بعض شعراء الاندلس على الفقيه سعيد بن اضحى وكان من اعيان غرناطة فمدحه بقصيدة ثم عمن شعة ثم بزجل فلم يعطه شيأ بل شكا اليه فقرا حتى انه بكى فاخذ الدواة والقرطاس وكتب ووضع بين يديه

شكا مثل الذي اشكوه من عدم * وساءه مثل ما قد ساءني فبكى
ان المقل الذي أعطاك دمعته * نعم الجواد فتى اعطاك ما ملكا

وقال ابن خفاجه

نهر كما سال اللجى سلسال * وصبا بليل ذيلها مكسال
ومهب نفحة روضة مطلولة * فيها لافراس النسيم مجال
غازلته والاقحوانة مبسم * والآس صدغ والبنفسج خال

وقال

وساق كميل الطرف في شأو حسنه * جماح وبالصبر الجميل حران
ترى للصبا نارا بخديه لم تثر * لما من سوادي عارضيه دخان
سقاها وقد لاح الهلال عشية * كما اعوج في درع الكمي سنان
عقارا غماها الكرم فهي كريمة * ولم تزن بابن المزن فهي حصان

وقد حان من جون الغمامة أدهم * له البرق سوط والعنان عنان
وضمخ درع الشمس نحر حديقة * عليه من الطل السقيط جمان
وغنت باسرار الرياض خميلة * لها النور ثغر والنسيم لسان

وقال في وصف فرس أصفر ولم يخرج عن طريقته

وأشقر تضرم منه الوغى * بشعلة من شعل الباس
من جلنار ناضر لونه * وأذنه من ورق الآس
يطلع للغرة في شقرة * حبابة تضحك في الكاس

وقال أبو بكر محمد بن سهل البكي يهجو

أعد الوضوء اذا نطقت به * مستعجلا من قبل أن تنسى
واحفظ ثيابك ان مررت به * فالظل منه ينجس الشمسا

وقال ابن اللبانة

أبصرته قصر في المشيه * لما بدت في خده لحيه
قد كتب الشعر على خده * أو كالذي مر على قريه

وقال الوزير الكاتب أبو محمد عبد الغفور الاشبيلي في الامير الكبير أبي بكر سير من أمراء المرابطين وكتب بها اليه في غزاة غزاها

سر حيث سرت يحفه النوار * وأراك فيه مرادك المقدار
واذا ارتحلت فشيعتك سلامة * وغمامة لاديمة مدرار
تنفي الهجير بظلها وتنيم بالرش القتام وكيف شئت تدار
وقضى الالهبان تعود مظفرا * وقضت بسيفك نحرها الكفار

هذا غير ما تمناه الجعفي حيث قال حيث ارتحلت وديمة وما تكاد تنفذ معها عزيمة واذا سفعت على ذي سفر فما أحراها بان تعوق عن الظفر ونعتها بمدرار فكان ذلك أبلغ في الاضرار وما أحسن قول القائل

فسر ذا راية خفقت بنصر * وعد في جحفل بهج الجمال
الى حمص فانت بها حلى * تغاير فيه ربات الحجال

وقال الحجاري في المسهب كتبت الى القاضي أبي عبد الله محمد اللوشي أستدعي منه شعره لاكتبه في كتابي فتوقف عن ذلك وانقبض عني فكتبت اليه

يا مانعا شعره عن سمع ذي أدب * ما في النحل بعيد الشخص مغترب
يسير عنك به في كل معجه * كما يمر نسيم الريح بالعذب
اني وحقك أهل أن أفوز به * واسأل فديتك عن ذاتي وعن أدبي

فكان جوابه

يا طالبا شعر من لم يسم في الادب * ماذا تريد بنظم غير منتخب
اني وحقك لم أبخل به صلفا * ومن يضن على جيد بمختلب
لكنني صنت هذري عن روايته * فمثله قل عن سام الى الرتب

(باب ذكر خلافة أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه)

قال المسعودي ثم بايع الناس أبا بكر الصديق رضي الله تعالى عنه في سقيفة بني ساعدة بن كعب ابن الخزرج الانصاري في يوم الاثنين الذي توفي فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوفي أبو بكر ليلة الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة وهو ابن ثلاث وستين سنة مستوفيا العمر النبي صلى الله عليه وسلم وهذا اتفاق في سائر الروايات على ما ذكرناه وكان مولد أبي بكر بعد الفيل بثلاث سنين وكانت ولايته سنتين وثلاثة أشهر وعشرة أيام ودفن الى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك قالت عائشة وقد قيل ان أبا بكر كانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشرين يوما وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب جملا من أيامهم ومقادير ولايتهم وكذلك نفرد بعد ما نورده في هذا الكتاب بعد ذكرنا لايام بني أمية وبني العباس بابا نذكر فيه جميع التاريخ في خلافة أبي اسحق المتقي

 نى الثاني من الهجرة الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة

خذه اليك كما أكرهت مضطربا * محللا ذم مولاه مدى الحقب

قال ثم كتب لي عما انتحفني به من نظمه محاسن أبهى من الاقمار وأرق من نسيم الاسحار وقال صالح بن شريف في البحر وهو أحسن ماقيل فيه

البحر أعظم مما أنت تحسبه * من لم ير البحر يوما ما رأى العجبا
طام له حبب طاف على زرق * مثل السماء اذا ما ملئت شهبا

وقال أيضا

ما أحسن العقل وآثاره * لو لازم الانسان ايثاره
يصون بالعقل الفتى نفسه * كما يصون الحر أسراره
لاسيما ان كان في غربة * يحتاج أن يعرف مقداره

وقال ابن برطلة

خطوب زماني ناسبتني غرابة * لذلك يرميني بهن مصيب
غريب أصابته خطوب غريبة * وكل غريب للغريب نسيب

وهذا من أحسن التضمين الذي يزري بالدر الثمين ودخل ابن بقي الحمام وفيه الاعمى التطيلي فقال له أجز

حمامنا كزمان القيظ محتدم * وفيه للبرد بر دغير ذي ضرر

فقال الاعمى

ضدان ينعم جسم المرء بينهما * كالغصن ينعم بين الشمس والمطر

ولا يخفى حسن ماقال الاعمى * وقد ذكر في بدائع البدائه البيتين معا منسوبين الى ابن بقي ولنذكر كلامه برمته لما اشتمل عليه من الفوائد ونصه ذكر ابن بسام قال دخل الاديبان أبو جعفر بن هريرة التطيلي المعروف بالاعمى وأبو بكر بن بقي الحمام فتعاطيا العمل فيه فقال الاعمى

ياحسن حمامنا وبهجته * مرأى من السحر كله حسن
ماء ونار حماهما كنف * كالقلب فيه السرور والحزن

ثم أعجبه المعنى فقال

ليس على لهونا مزيد * ولا لحمانا ضريب
ماء وفيه لهيب نار * كالشمس في ديمة تصوب
وأبيض تحته رخام * كالثلج حين ابتدا يذوب

وقال ابن بقي حمامنا فيه فصل القيظ البيتين فقال الاعمى وقد نظر فيه الى فتى صبيح

هل استهالك جسم ابن الامير وقد * سالت عليه من الحمام أنداء
كالغصن باشر حر النار من كثب * فظل يقطر من أعطافه الماء

قلت تذكرت هنا عند ذكر الحمام ماحكاه بدر الدين الحسن بن زفير الاربلي المتطبب اذ قال رأيت ببغداد في دار الملك شرف الدين هرون ابن الوزير الصاحب شمس الدين محمد الجويني حماما متقن الصنعة حسن البناء كثير الاضواء قد احتفت به الازهار والاشجار فادخلني

مقادير السنين والشهور والايام وتبيين تاريخ أصحاب السير والاخبار بين وغيرهم اذ كان التفاوت بين الفريقين ومعولنا في ذلك على ماذكره أصحاب الزيجات

(ذكر نسبه ولمع من اخباره وسيره)

كان اسم أبي بكر رضي الله عنه عبد الله بن عثمان وهو أبو قحافة بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب وفي مرة يجتمع برسول الله صلى الله عليه وسلم ولقبه عتيق لبشارة رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه عتيق الله من النار فسمي يومئذ عتيقا وقيل انما سمي عتيقا لعتق امهاته واستخلف وأبوه في الحياة وكان أزهد الناس وأكثرهم تواضعا في أخلاقه ولباسه ومطعمه ومشربه وكان لبسه في خلافته الشملة والعباءة وقدم اليه زعماء العرب واشرافهم وملوك اليمن وعليهم الحلل وبرد الوشي المثقل بالذهب والتيجان والحبرة فلما شاهدوا ما عليه من اللباس والزهد والتواضع والنسك وما هو عليه من الوقار والهيبة ذهبوا مذهبه ونزعوا مما كان عليهم (وكان ممن وفد عليه) من ملوك اليمن ذو الكلاع ملك حمير اليه

اليه سائسه وذلك بشفاعة الصاحب بهاء الدين بن الفخر عيسى المنشئ الاربلى وكان سائس هذا الحمام خادما حبشيا كبير السن والقدر فطاف بى عليه وأبصرت مياهه وشبابيكه وأنابيبه المتخذ بعضها من فضة مطلية بالذهب وغير مطلية وبعضها على هيئة طائر اذا خرج منها الماء صوت باصوات طيبة ومنها أحواض رخام بديعة الصنعة والمياه تخرج من سائر الانابيب الى الاحواض ومن الاحواض الى بركة حسنة الاتقان ثم منها الى البستان ثم أراني نحو عشر خلوات كل خلوة منها صنعتها أحسن من صنعة اختها ثم انتهى بى الى خلوة عليها باب متغل بقفل حديد ففتحه ودخل بى الى دهليز طويل كله مرخم بالرخام الابيض الساذج وفى صدر الدهليز خلوة رحبة تسع بالتقريب أربعة أنفس اذا كانوا قعودا وتسع اثنين اذا كانوا نياما ورأيت من العجائب فى هذه الخلوة أن حيطانها الاربعة مصقولة صقالا لا فرق بينه وبين صقال المرآة يرى الانسان سائر بشرته فى اى حائط شاء منها ورأيت ارضها مصورة بفصوص حمر وصفر وخضر ومذهبة وكلها متخذة من بلور مصبوغ بعضه اصفر وبعضه احمر فاما الاخضر فيقال انه حجارة تاتى من الروم واما المذهب فزجاج ملبس بالذهب وتلك الصور فى غاية الحسن والجمال على هيئات مختلفة فى اللون وغيره وهى ما بين فاعل ومفعول به اذا نظر المرء اليها تحركت شهوته وقال لى الخادم السائس هذا صنع على هذه الصفة لمخدومى حتى انه اذا نظر الى ما يفعل هؤلاء بعضهم مع بعض من المجامعة والتقبيل ووضع ايدى بعضهم على العجاز بعض تحرك شهوته سريعا فيبادر الى مجامعة من يحبه قال الحاكى وهذه الخلوة دون سائر الخلوات التى دخلت اليها مخصوصة بهذا الفعل اذا اراد الملك شرف الدين هرون الاجتماع فى الحمام بمن يهواه من الجوارى الحسان والصور الجميلة والنساء الفائقات الحسن لم يجتمع به الا فى هذه الخلوة من اجل انه يرى كل محاسن الصور الجميلة مصورة فى الحائط ومجسمة بين يديه ويرى كل منهما صاحبه على هذه الصفة ورأيت فى صدر الخلوة حوض رخام مضلع وعليه انبوب مركب فى صدره وأنبوب آخر برسم الماء البارد والانبوب الاول برسم الماء الفاتر وعن يمنة الحوض ويساره عمدان صغار منحوتة من البلور يوضع عليها مباخر الند والعود وابصرت منها خلوة شديدة الضياء مفرحة بديعة قد أنفق عليها اموال كثيرة وسالت الخادم عن تلك الحيطان المشرقة المضيئة من اى شئ صنعت فقال لى ما اعلم قال الحاكى فما رأيت فى عمرى ولا سمعت بمثل تلك الخلوة ولا باحسن من ذلك الحمام مع أنى ما أحسن ان اصفهما كما رأيتهما فانه لم تتكرر رؤيتى لهما ولا اتفق لى الظفر بصناعتهما ومباشرتهما وفى الذى ذكرت كفاية انتهى واما اتصل أبو القاسم على بن أفلح البغدادى الكاتب بامير المؤمنين المسترشد بالله العباسى ولقبه جمال الملك واعطاه أربع ديار فى درب الشاكرية اشترى دورا أخرى الى جانبها وهدم الكل وانشأ داره الكبيرة واعانه الخليفة فى بنائها واطلق له أموالا وآلات البناء وكان فى جملة ما اطلق له مائتا الف آجرة وأجريت الدار بالذهب صنع فيها الحمام العجيب الذى فيه بيت مستراح فيه أنبوب ان فركه الانسان يمينا خرج ماء ورد وان فركه شمالا خرج ماء بارد وكان على ايوان الدار مكتوبا

والحلى فلما شاهد من ابى بكر ما وصفنا التى ما كان عليه وتزيا بزيه حتى انه رؤى يوما فى سوق من اسواق المدينة على كتفيه جلد شاة ففزعت عشيرته وقالوا له فضحتنا بين المهاجرين والانصار قال فاردتم ان اكون ملكا جبارا فى الجاهلية جبارا فى الاسلام لا ها الله لا تكون طاعة الرب الا بالتواضع لله والزهد فى هذه الدنيا وتواضعت الملوك ومن ورد عليه من الوفود بعدا لتكبر وتذللوا بعد التجبر (وبلغ) ابا بكر رضى الله عنه عن ابى سفيان صخر بن حرب امر فأحضره واقبل يصيح عليه وابو سفيان يتملقه ويتذلل له وأقبل أبو قحافة فسمع صياح أبى بكر فقال لقائده على من يصيح ابنى فقال له على أبى سفيان فدنا من أبى بكر وقال له أعلى أبى سفيان ترفع صوتك يا عتيق لقد تعديت طورك وجزت مقدارك فتبسم أبو بكر ومن حضره من المهاجرين والانصار وقال له يا أبت ان الله قد رفع بالاسلام قوما وأذل به آخرين (ولم يتقلد) الخلافة وابوه باق غير أبى بكر (وام ابى بكر) سلمى وتكنى ام الخير

صخر بن عمرو بن عامر بن كعب بن اسعد بن تيم بن مرة (وارتدت العرب) بعد استخلافه بعشرة ايام (وكان له) من الولد

ان عجت الراؤن من ظاهري * فباطني لو علموا أعجب
شيدني من كفه مزنة * يهمل منها العارض الصيب
وديجت روضة أخلاقه * في رياضا نورها مذهب
صدر كما صدري من نوره * شمسا على الايام لا تغرب

وكتب على الطرز

ومن المروءة للفتى * ما عاش دار فاخره
فاقنع من الدنيا بها * واعمل لدار الآخره
هاتيك وافية بما * وعدت وهذي ساخره

وكتب على النادي

ونادكأن جنان الخلود * أعارته من حسنها رونقا
وأعطته من حادثات الزما * ن أن لا تسلم به موثقا
فاضحى يتيه على كل ما * بني مغربا كان أو مشرقا
تظل الوفود به عكفا * وتمسي الضيوف به طرقا
بقيت له يا جمال الملو * ك والفضل مهما أردت البقا
وسالمه فيك ريب الزمان * ووقيت فيه الذي يتقي

انتهى

وعلى ذكر الحمام فما أحكم قول ابن الوردي فيما أظن

وما أشبه الحمام بالموت لامرئ * تذكر لكن أين من يتذكر
يجرد عن أهل ومال وملبس * ويعصبه من كل ذلك مئزر

وقال الشهاب بن فضل الله

وحمامكم كعبة للوفود * تحج اليه حفاة عراه
يكر رصوت أنابيبه * كتاب الطهارة باب المياه

وقد تمثل بهذين البيتين البرهان القيراطي في جواب كتاب استدعاه فيه بعض أهل عصره الى الحمام واقتضح الجواب بقوله

قد أجبنا وأنت أيضا صبحت بصبحي سوالف وسلاف
وبساق يسبي العقول بساق * وقوام وفق العناق خلافي

ووصله بنثر تمثل فيه بالبيتين كمامر ولبعضهم

ان حمامنا الذي نحن فيه * أي ماء به وأية نار
قد نزلنا به على ابن معين * وروينا عنه صحيح البخاري

وألغز بعضهم في الحمام بقوله

ومنزل أقوام اذا ما تقابلوا * تشابه فيه وغده ورئيسه
بنفس كربي اذ بنفس كربه * وبعظم أنسي اذ يقل أنيسه
اذا ما أعرت الجو طرفا تكاثرت * على من به أقماره وشموسه

(رجع) الى ما كنا فيه من كلام أهل الاندلس فنقول وكان محمد بن خلف بن موسى البيري

الى خلافة أبي بكر ومات في خلافته وخلف سبعة دنانير فاستكثرها أبو بكر ولا عقب لعبد الله وأما عبد الرحمن ابن أبي بكر فانه شهد مع المشركين ثم أسلم فحسن اسلامه ولعبد الرحمن أخبار وله عقب كثير بد ووحضر من ناحية الحجاز مما يلي الجادة من طريق العراق في الموضع المعروف بالصفيان والمسح ومحمد ابن أبي بكر أمه أسماء بنت عميس الخثعمية ومنها عقب جعفر بن أبي طالب وخلف عليها حين استشهد عبد الله وعونا ومحمدا ابني جعفر فقتل عون ومحمد ابنا جعفر بالطف مع الحسين ابن علي ولا عقب لهما وعقب عبد الله بن جعفر على واسمعيل واسحق ومعاوية وتزوجها بعده أبو بكر الصديق فخلف منها محمدا ثم تزوجها علي بن أبي طالب فولدها أولادا درجوا ولا عقب له منها وأم أسماء العجوز الحرشية كان لها أربع بنات وهذه العجوز أكثر الناس أصهارا كانت عيونة الهلالية تحت النبي صلى الله عليه وسلم وأم الفضل تحت العباس بن عبد المطلب وسلمى تحت حمزة بن عبد المطلب وخلف منها بنتا وأسماء تحت من ذكرنا وأم جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب فروة بنت القاسم

متكلما

متكلما متحققا برأي الاشعرية وذا كر الكتب الاصول في الاعتقاد مشاركا في الادب متقدما في الطب ومن نظمه يمدح امام الحرمين رحمه الله تعالى

حب حبر يكنى أبا المعالى * هو ديني ففيه لا تعذلوني
أنا والله مغرم بهواه * عاذلوني بذكره عللوني

وكتب أبو الوليد بن الجنان الشاطبي يستدعي بعض اخوانه الى مجلس أنس بما صورته نحن في مجلس أغصانه الندامى وغمامه الصهبا فباقه الاما كنت لروض مجلسنا نسيما ولزهر حديثنا شميما وللجسم روحا وللطيب ريحا وبيننا عذراء زجاجتها خدرها وحبابها ثغرها بل شقيقة حوتها كمامة أو شمس حجبتها غمامة اذا طاف بها معصم الساقي فوردة على غصنها أو شربها مقهقهة فحمامة على فنها طافت علينا طوفان القمر على منازل الحلول فاتت وحياتك الكيلنا وقد آن حلولنا في الاكليل انتهى وقال أبو الوليد المذكور

فوق خد الورد دمع * من عيون السحب يذرف
برداء الشمس أضحى * بعد ما سال يجفف

وتذكرت هنا ذكر الورد ما حكاه الشيخ ابو البركات هبة الله بن محمد النصيبي المعروف بالوكيل وكان شيخا ظريفا فيه آداب كثيرة اذ قال كنت في زمن الربيع والورد في داري بنصيبين وقد احضر من بستاني من الورد والياسمين شيء كثير وعملت على سبيل الولع دائرة من الورد تقابلها دائرة من الياسمين فاتفق أن دخل علي شاعران كانا بنصيبين احدهما يعرف بالمهذب والآخر يعرف بالحسن بن البرقعيدي فقلت لهما اعملا في هاتين الدائرتين ففكرا ساعة ثم قال المهذب

يا حسنها دائرة * من ياسمين مشرق
والورد قد قابلها * في حلة من شفق
كعاشق وجهه * تغامزا بالحدق
فاحمر ذا من خجل * واصفر ذا من فرق

قال فقلت للحسن هات فقال سبقني المهذب الى ملحته في هذا المعنى وهو قولي

يا حسنها دائرة * من ياسمين كالحلى
والورد قد قابلها * في حلة من خجل
كعاشق وجهه * تغامزا بالمقل
فاحمر ذا من خجل * واصفر ذا من وجل

قال فعجبت من اتفاقهما في سرعة الاتحاد والمبادرة الى حكاية الحال انتهى ومن الطف قول بعضهم

أرى الورد عند الصبح قد مد لي يدا * يشير الى التقبيل في حالة اللمس
وبعد زوال الشمس ألقاه وجنة * وقد أثرت في وسطها قبلة الشمس

وقال ابن ظافر في بدائع البدائه اجتمع الوزير أبو بكر بن القبطرنة والاديب أبو العباس بن صارة الاندلسيان في يوم جلا ذهب برقه واذاب ورق ودقه والارض قد ضحكت لتعبيس

وسنذكر خبره فيما يرد من هذا الكتاب ومقتله في ايام معاوية بن ابي سفيان (ومات ابو قحافة) في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وهو ابن تسع وتسعين سنة وذلك في سنة ثلاث عشرة من الهجرة وهي السنة التي استخلف فيها عمر ابن الخطاب رضي الله عنه وقد قيل انه مات في سنة اربع عشرة (ولما بويع) ابو بكر في يوم السقيفة وحددت البيعة له يوم الثلاثاء على العامة خرج على فقال أفسدتم علينا امورنا ولم تستشر ولم ترع لنا حقا فقال ابو بكر بلى ولكن خشيت الفتنة وكان للمهاجرين والانصار يوم السقيفة خطب طويل ومحادثة في الامامة وخرج سعد بن عبادة ولم يبايع فصار الى الشام فقتل هناك في سنة خمس عشرة وليس كتابنا هذا موضعا لخبر مقتله ولم يبايعه احد من بني هاشم حتى ماتت فاطمة رضي الله تعالى عنها ولما ارتدت العرب الا اهل المسجدين ومن بينهما وانا سا من العرب قدم عدي ابن حاتم باهل الصدقة الى ابي بكر رضي الله تعالى عنه ففي ذلك يقول الحزين

ابن مالك الطائي وفيا وفاء لم ير الناس مثله * وسر بنا محمدا عدي بن حاتم وكان ابو بكر رضي الله عنه قد سمته اليهود

السماء واهتز تور بت عند نزول الماء فقال ابن القبطرنة

هذى البسيطة كاعب أبرادها * حلل الربيع وحليها النوار

فقال ابن صارة

وكأن هذا الجو فيها عاشق * قد شفه التعذيب والاضرار

ثم قال ابن صارة أيضا

واذا شكا فالبرق قلب خافق * واذا بكى فدموعه الامطار

فقال ابن القبطرنة

من أجل ذلة ذا وعزة هذه * يبكى الغمام وتضحك الازهار

وتذكرت هنا ما حكاه ابن ظافر فى الكتاب المذكور انه اجتمع مع القاضى الاعز يوما فقال له ابن ظافر أجز طار نسيم الروض من وكر الزهر

فقال الاعز وجاء مبلول الجناح بالمطر انتهى ويعجبنى قول ابن قرناص

أظن نسيم الروض والزهر قد روى * حديثا ففاحت من شذاه المسالك

وقال دنا فصل الربيع فكله * ثغور لما قال النسيم ضواحك

(رجع) الى الاندلسيين وما أرق قول ابن الزقاق

ورياض من الشقائق أضحت * يتهادى بها نسيم الرياح

زرتها والغمام يجلد منها * زهرات تفوق لون الراح

قلت ماذنبها فقال مجيبا * سرقت حمرة الخدود الملاح

وقال أبو اسحق بن خفاجة

تعلقته نشوان من خمر ريقه * له رشفها دونى ولى دونه السكر

ترقرق ماء مقلتاى و وجهه * ويذكى على قلبى ووجنته الجمر

أرق نسيبى فيه رقة حسنه * فلم أدر أى قبلها منهما السحر

وطبنا معا شعرا وثغرا كانما * له منطقى ثغر ولى ثغره شعر

وقال أبو الصلت أمية بن عبد العزيز

وقائلة ما بال مثلك خاملا * أ أنت ضعيف الرأى أم أنت عاجز

فقلت لها ذبى الى القوم أننى * لما لم يحوزوه من المجد حائز

وما فاتنى شئ سوى الحظ وحده * وأما المعالى فهى عندى غرائز

وقال جددت بقلبى وعبث * ثم مضى وما اكترث

واحربا من شادن * فى عقد الصبر نفث

يقتل من شاء بعينيه ومن شاء بعث

وقال الفاضل البليغ يحيى بن هذيل أحد أعيان شعراء الاندلس

نام طفل النبت فى حجر النعامى * لاهتزاز الطل فى مهد الخزامى

وسقى الوسمى أغصان النقا * فهوت تلثم أفواه الندامى

كحل الفجر لهم جفن الدجى * وغدا فى وجنة الصبح لثاما

عشر يوما ولما احتضر قال ما أنا الا على ثلاث فعلتها وددت انى تركتها وثلاث تركتها وددت أنى فعلتها وثلاث وددت انى سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها فاما الثلاث التى فعلتها وودت أنى تركتها فوددت انى لم أكن فتشت بيت فاطمة وذكر فى ذلك كلاما كثيرا ووددت انى لم أكن حرقت الفجاءة واطلقته نجيحا أو قتلته صريحا ووددت أنى يوم سقيفة بنى ساعدة قد رميت الامر فى عنق أحد الرجلين فكان أميرا وكنت وزيرا والثلاث التى تركتها وودت أنى فعلتها وددت أنى يوم أتيت بالاشعث بن قيس أسيرا ضربت عنقه فانه قد خيل الى أنه لا يرى شرا الا أعانه ووددت أنى كنت قذفت المشرق لعمر ابن الخطاب فكنت قد بسطت يمينى وشمالى فى سبيل الله ووددت أنى يوم جهزت جيش الردة ورجعت أقمت مكانى فان سلم المسلمون سلموا وان كان غير ذلك كنت صدرا للقناء أو مددا وكان أبو بكر قد بلغ مع الجيش مرحلة من المدينة وهو الموضع المعروف بذى القصة والثلاث التى وددت أنى سألت رسول الله صلى الله

تحسب البدر محيا تخجل * قد سقته راحة الصبح مداما
حوله الزهر كؤس قد غدت * مسكة الليل عليها ختاما

وتذكرت هنا قول الآخر وأظنه مشرقيا

بكر العارض تحدوه النعامى * فسقاك الرى يادار أماما
وتمشت فيك أرواح الصبا * يتأرجن بانفاس الخزامى
قد قضى حفظ الهوى أن تحسبي * للمحبين مناخا ومقاما
وبجرعاء الحمى قلبي فعج * بالحمى واقرأ على قلبي السلاما
وترحل فتحدث عجبا * أن قلبا سار عن جسم أقاما
قل لجير ان الغضى آها على * طيب عيش بالغضى لو كان داما
حملوا ريح الصبا من نشركم * قبل أن تحمل شيحا وثماما
وابعثوا أشباحكم لى فى الكرى * ان أذنتم لجفونى أن تناما

وخرج بعض علماء الاندلس من قرطبة الى طليطلة فاجتاز ببحر برين عكاشة الشجاع المشهور الذى ذكرنا فى هذا الباب ما يدل على شجاعته وقوته وأيده بقلعة رباح فنزل بخارجها فى بعض جنباتها وكتب اليه

يافريدا دون ثان * وهلالا فى العيان
عدم الراح فصارت * مثل دهن البيلسان

فبعث اليه بها وكتب معها

جاء من شعرك روض * حاده صوب اللسان
فبعثناها سلافا * كسجايا لك الحسان

وقال الوزير أبو عامر بن شهيد يتغزل

أصباح شيم أم برق بدا * أم سنى المحبوب أو رى ازندا
هب من مرقده منكسرا * مسبلا للكم مرخى الردا
يمسح النعسة من عينى رشا * صائد فى كل يوم أسدا
أوردته لطفا آياته * صفوة للعيش أرعته ددا
فهو من دل عراه زبدة * من مريج لم تخالط زبدا
قلت هب لى ياحبيبى قبلة * تشف من عمك تبريح الصدى
فانثنى يهتز من منكبه * مائلا لطفا وأعطانى اليدا
كلما كلمنى قبلته * فهو اما قال قولا رددا
كاد أن يرجع من لثمى له * وارتشاف الثغر منه أزردا
واذا استنجزت يوما وعده * أمطل الوعد وقال اصبر غدا
شربت أعطافه ماء الصبا * وسقاه الحسن حتى عربدا
فاذا ثبت به فى روضة * أغيد يغزو بنانا أغيدا
قام فى الليل بجيد أتلع * ينفض اللمة من دمع الندى

فان بنفسي منها حاجة ووددت اني سألته هل للانصار فى هذا نصيب فنعطيهم اياه وخلف من البنات اسماء ذات النطاقين وهى أم عبد الله بن الزبير وعمرت مائة سنة حتى عميت وعائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم (وقد تنوزع فى بيعة على) بن ابى طالب اياه فمنهم من قال بايعه بعد موت فاطمة بعشرة ايام وذلك بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بنيف وسبعين يوما وقيل بثلاثة اشهر وقيل ستة وقيل غير ذلك ولما نفذ ابو بكر الامر الى الشام كان فيما وصى به يزيد بن ابى سفيان وهو مشيع له فقال له اذا قدمت على أهل عملك فعدهم الخير وما بعده واذا وعدت فانجز ولا تكثرن عليهم الكلام فان بعضه ينسى بعضا وأصلح نفسك تصلح الناس لك واذا قدمت عليك رسل عدوك فأكرم منزلتهم فانه اول خبرك اليهم وأقلل جلسهم حتى يخرجوا وهم جاهلون بما عندك وامنع من قبلك من محادثتهم وكن انت الذى تلى كلامهم ولا تجعل سرك مع علانيتك فيخرج عملك واذا استشرت فاصدق الخبر تصدق لك المشورة ولا تكتم المستشار فتؤتى من قبل نفسك واذا بلغك عن العدو عورة فاكتمها حتى تعاينها

ومكان عازب عن جيرة * أصدقا وهم عين العدا
ذي نبات طيب أعراقه * كعذار الشعر في خد بدا
تحسب الهضبة منه جبلا * وحدو رالماء منه أبردا

وقال يرثي القاضي ابن ذكوان نجيب ذلك الاوان وقد افتن في الآداب وسن فيها سنة ابن داب وما فارق ربع الشباب شرخه ولا استبعد في الكهولة عفاره ولا مرخه وكان لابي عامر هذا قسيم نفسه ونسيم أنسه

ظننا الذي نادى محقا بموته * لعظم الذي أنحى من الرزء كاذبا
وخلنا الصباح الطلق ليلا وانما * هبطنا خدارياً من الحزن كاربا
ثكلنا الدنا لما استقل وانما * فقدناك ياخير البرية نائبا
وما ذهبت اذ حل في القبر نفسه * ولكنما الاسلام أدبر ذاهبا
ولما أبى الا التعمل رائما * مخناه أعناق الكرام ركائبا
يسير به النعش الاعز وحوله * أباعد كانوا للصواب أقاربا
عليه حفيف للملائك أقبلت * تصافح شيخا ذاكر الله تائبا
تخال لفيف الناس حول ضريحه * خليطا تخطى في الشريعة هاربا
اذا ما متروا سحب الدموع تقرعت * فروع البكا عن بارق الحزن لاهبا
فمن ذا الفصل القول يسطع نوره * اذا نحن ناوينا الالد المناوبا
ومن ذا ربيع المسلمين يقوتهم * اذا الناس شاموها بروقا كواذبا
فيالهف قلبي آه ذابت حشاشتي * مضى شيخنا الدفاع عنا النوائبا
ومات الذي غاب السرور لموته * فليس وان طال السرى منه آيبا
وكان عظيما يطرق الجمع عنده * ويعنو لدرب الكتيبة هائبا
وذا مقول عضب الغرارين صارم * يروح به عن حومة الدين ضاربا
أباحاتم صبر الاديم فانني * رأيت جميل الصبر أحلى عواقبا
ومازلت فينا ترهب الدهر سطوة * وصعبا به نعيي الخطوب المصاعبا
ساستعتب الايام فيك لعلها * لصحة ذاك الجسم تطلب طالبا
لئن أفلت شمس المكارم عنكم * لقد أسأرت بدر المعاوكوا كبا

قال في المطمح ودبت الى أبي عامر بن شهيد أيام العلويين عقارب برثت بها منه أباعد وأقارب واجهه بها صرف قطوب وانبرت اليه منها خطوب تبالما جفته عن المضجع وبقي بها الى يأرق ولا يهجع الى أن أعلقت في الاعتقال آماله وعقلته في عقال أذهب ماله فأقام مرتهنا ولقي وهنا وقال

قريب بمعتل الهوان مجيد * يجود ويشكو حزنه فيجيد
صبره عند الامام فياله * عدة للابناء الكرام حسود
وماضره الامزاح ورقة * ثنته سفيه الذكر وهو رشيد
جنى ماجنى في قبة الملك غيره * وطوق منه بالعظيمة جيد

من سؤالك (وقد امرضنا) عن ذكر كثير من الاخبار في هذا الكتاب طلبا للاختصار والايجاز (منها) خبر العنسي الكذاب المعروف بالهيعة وما كان من خبره باليمن وصنعاء وتنبيه ومقتله وما كان من فيروز وغيره من الابناء في امرهم وخبر طليحة وتنبيه وخبر سجاح بنت الحرث بن سويد وقيل بنت غطفان وتكنى ام صادرة وهي التي يقول فيها قيس بن عاصم

اضحت نبيتنا انثى نطيف بها
واصبحت انبياء الناس ذكرانا

(وفيها يقول الشاعر)

اضل الله سعي بني تميم
كما ضلت بخطبتها سجاح

وقد كانت مع ادعائها النبوة مكذبة بنبوة مسيلمة الكذاب ثم آمنت بنبوته وكانت قبل ادعائها النبوة متكهنة تزعم ان سيلها سيسيل سطيح والمأمون الحارثي وعمرو بن يحيى وغيرهم من الكهان وصارت الى مسيلمة فنكحها وما كان من خبر مسيلمة كذاب اليمامة وحربه لخالد بن الوليد وقتل وحشي له مع رجل من الانصار وذلك في سنة احدى عشرة وما كان من امره مع الانصار في يوم سقيفة بني ساعدة والمهاجرين

وما في الا الشعر أثبته الهوى * فسار به في العالمين مريد
أتوه بعالم آته متعرضا * لحسن المعاني تارة فازيد
فان طال ذكري بالمجون فانها * عظائم لم يصبر لهن جليد
وهل كنت في العشاق أول عاقل * هوت بجهاه أعين وخدود
فراق وشوق واشتياق وذلة * وجبار حفاظ على عتيد
فمن يبلغ الفتيان أني بعدهم * مقيم بدار الظالمين وحيد
مقيم بدار سا كنوها من الاذى * قيام على جمر الجمام قعود
ويسمع للعيسات في جنباتها * بسيط كتر جيع الصبا ونشيد
ولست بذي قدير وانما * على اللفظ من سخط الامام قيود
وقلت لصداح الجمام وقد بكى * على القصر القاوالدموع تجود
ألا أيها الباكي على من تحبه * كلانا معنى بالخلاء فريد
وهل أنت دان من محب نأى به * عن الالف سلطان عليه شديد
فصفق من ريش الجناحين واقفا * على القرب حتى ما عليه مزيد
ومازال يبكيني وأبكيه جاهدا * وللشوق من دون الضلوع وقود
الى أن بكى الجذلان من طول شجونا * وأجهش باب جانباه حديد
أطاعت أمير المؤمنين كتائب * تصرف في الاموال كيف تريد
فللشمس عنها بالنهار تاخر * وللبدر شخصا بالظلام عدود
الا انها الايام تلعب بالفتى * نحوس تهادى تارة وسعود
وما كنت ذا أيد فاذعن ذا قوى * من الدهر مبد صرفه ومعيد
وراضت صعابي سلطوة علوية * لها بارق نحو الندى ورعود
تقول التي من بينها كف مركبي * أفربك دان أم مداك بعيد
فقلت لها أمري الى من سمت به * الى المجد آباء له وجدود

ثم قال ولزمته آخر عمره علة دامت به سنين ولم تفارقه حتى تركته يدجنين وأحسب أن الله أراد بها تمحيصه واطلاقه من ذنب كان قنيصه فطهره تطهيرا وجعل ذلك على العقوله ظهيرا فانها أقعدته حتى حل في الحفة وعاودته حتى غدت لرونقه مشتهة وعلى ذلك فلم يعطل لسانه ولم يبطل احسانه ولم يزل يستريح الى القول ويزيح ما كان يجده من الغول وآخر شعر قاله قوله

ولما رأيت العيش لوى برأسه * وأيقنت أن الموت لاشك لاحقي
تمنيت أني ساكن في عباءة * باعلى مهب الريح في رأس شاهق
أردسقيط الطل في فضل عيشتي * وحيدا وأحسو الماء ثني المعالق
خليلي من رام المنية مرة * فقدرمتها خمسين قولة صادق
كاني وقد حان ارتحالي لم أعز * قديما من الدنيا بلحمة بارق
فمن مبلغ عني ابن حزم وكان لي * يدا في ملماتي وعند مضايقي

والله ان شئتم لنعيدنها جذعة

وقصة سعد بن عبادة وما كان من بشر بن سعد وتخلي الاوس عن معاضدة سعد خوفا أن يفوز بها الخزرج وأخبار من قعد عن البيعة ومن بايع وما قالت بنو هاشم وما كان من قصة فدك وما قاله أصحاب النص والاخبار في الامامة وما قالوه في امامة المفضول وغيره وما كان من فاطمة وكلامها متمثلة حين عدلت الى قبر أبيها عليه السلام من قبر صفية بنت عبد المطلب

قد كان عندك أنباء وهينمة
لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب

الى آخر الشعر الى غير ذلك مما تركنا ذكره من الاخبار في هذا الكتاب اذ كنا قد أتينا على جميع ذلك في كتابنا أخبار الزمان والكتاب الاوسط فاغنى ذلك عن ذكره ههنا والله أعلم

(ذكر خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه)

وبويع عمر بن الخطاب رضي الله عنه فلما أن دخلت سنة ثلاث وعشرين خرج حاجا فاقام الحج في تلك السنة ثم أقبل حتى دخل المدينة فقتله فيروز أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة يوم الاربعاء لاربع بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين فكانت ولايته

عشر سنين وستة أشهر
الله عليه وسلم وأبي بكر
عند رجلي النبي صلى الله عليه
وسلم وقيل ان قبورهم
مسطرة ابو بكر الى جنب النبي
صلى الله عليه وسلم وعمر الى
جنب أبي بكر وحج في خلافته
بالناس عبد الرحمن بن عوف
وجعلها شورى الى ستة
وهم علي وعثمان وطلحة
والزبير وسعد وعبد الرحمن
ابن عوف وصلى عليه صهيب
الرومي وكانت الشورى بعد
ثلاثة أيام

*(وذكر نسبه واعمامن
أخباره وسيره)*

هو عمر بن الخطاب بن
نفيل بن عبد العزى بن فرط
ابن رباح بن عبد الله بن
رداح بن عدي بن كعب وفي
كعب يجتمع نسبه مع النبي
صلى الله عليه وسلم وأمه
حنتمة بنت هشام بن المغيرة
ابن عبد الله بن عمرو بن مخزوم
وكانت سوداء وانما سمي
الفاروق لانه فرق بين
الحق والباطل وكنيته
أبو حفص وهو أول من سمي
بامير المؤمنين سماه عدي
ابن حاتم وقيل غيره والله
أعلم وكان أول من سلم عليه
بها المغيرة بن شعبة وأول
من دعاله بهذا الاسم على
المنبر أبو موسى الاشعري
فلما قرئ ذلك على عمر قال انى لعبد الله وانى لامير المؤمنين الحمد لله رب العالمين وكان متواضعا خشن

وأربع ليال وقتل في صلاة الصبح وهو ابن ثلاث وستين سنة ودفن مع النبي صلى

عليك سلام الله اني مفارق * وحسبك زادا من حبيب مفارق
فلا تنس تابيني اذا ما ذكرتني * وتذكار أيامي وفضل خلائقي
وحرك له بالله مهما ذكرتني * اذا غيبوني كل سهم غرائق
عسى هامتي في القبر تسمع بعضه * بترجيع شادا و بتطريب طارق
فلي في ادكاري بعد موتي راحة * فلا تمنعوها لي علالة زاهق
واني لارجو الله فيما تقدمت * ذنوبي به مما درى من حقائق

وكان أبو مروان عبد الملك بن حصن مستوليا على وزارة ابن عبدة ولسانه ينشد

وشيدت مجدي بين أهلي ولم أقل * ألا ليت قومي يعلمون صنيعي

وهبا ابن ذي النون بقوله

تائبت بالمأمون ظلما وانني * لآمن كلا حيث است مؤمنه
حرام عليه أن يجود ببشره * وأما الندى فاندب هنالك مدفنه
سطور المخازي دون أبواب قصره * بحجابه للقاصدين معنونه

فلما تمكن منه المأمون سجنه فكتب الى ابن هود من أبيات

أيارا كب الوجناء بلغ تحية * أمير جذام من أسير مقيد
ولما دهتني الحادثات ولم أجد * لها وزرا أقبلت نحوك أعتدي
ومثلك من بعدي على كل حاث * رمى بسهام للردى لم ترصد
فعلك أن تخلو بفكرك ساعة * لتنقذني من طول هم مجدد
وها أنا في بطن الثرى وهو حامل * فيسرع على رقبي الشفاعة مولدي
حنانيك ألفا بعد ألف فانني * جعلتك بعد الله أعظم مقصدي
وأنت الذي يدري اذا رام حاجة * تنيل بها الآراء من حيث يهتدي

فرق له ابن هود وتحيل حتى خلصه بشفاعته فلما قدم عليه أنشده

حياتي موهو به من علا كا * وكيف أرى عادلا عن ذرا كا
ولولم يكن لك من نعمة * على وأصبحت أبغي سوا كا
لنا ديت في الارض هل مسعف * مجيب فلم يصغ الا ندا كا

فطرب ابن هود وخلع عليه ثوب وزارته وجعله من أعلام سلطنته وامارته وقال المنصور ابن أبي عامر للشاعر المشهور أبي عمر يوسف الرمادي كيف ترى حالك معي فقال فوق قدري ودون قدرك فاطرق المنصور كالغضبان فانسل الرمادي وخرج وقد ندم على ما بدر منه وجعل يقول أخطأت لا والله ما يفلح مع الملوك من يعاملهم بالحق ما كان ضرني لو قلت له اني بلغت السماء وتمنطقت بالجوزاء وأنشد

متى يأت هذا الموت لا يلف حاجة * لنفسي الا قد قضيت قضاها

لا حول ولا قوة الا بالله ولما خرج كان في المجلس من يحسده على مكانه من المنصور فوجد فرصة فقال وصل الله مولانا الظفر والسعد ان هذا الصنف صنف زور وهذيان لا يشكرون نعمة ولا يرعون الا ولا ذمة كلاب من غلب وأصحاب من أخصب وأعداء من اجدب

وحسبك

وحسبك منهم ان الله جل جلاله يقول فيهم والشعراء يتبعهم الغاوون الى مالا يفعلون والابتعاد منهم أولى من الاقتراب وقد قيل فيهم ماظنك بقوم الصدق يحسن الامنهم فرفع المنصور رأسه وكان محامى أهل الادب والشعر وقد اسود وجهه وظهر فيه الغضب المفرط ثم قال مابال أقوام يشيرون فى شئ لم يستشاروا فيه ويسيئون الادب بالحكم فيما لا يدرون ارضى ام بسخط وأنت أيها المتبعث للشر دون ان يبعث قد علمنا غرضك فى اهل الادب والشعر عامة وحسدك لهم لان الناس كما قال القائل

من رأى الناس له فضلا عليهم حسدوه

وعرفنا غرضك فى هذا الرجل خاصة ولسنا ان شاء الله تعالى نبلغ احدا غرضه فى احد ولو بلغنا كم بلغنا فى جانبكم وانك ضربت فى حديد بارد واخطأت وجه الصواب فزدت بذلك احتقارا وصغارا واني ماطرقت من كلام الرمادى انكارا عليه بل رأيت كلاما يجل عن الاقدار الجليلة وتعجبت من تهذيبه له بسرعة واستنباطه له على قلة من الاحسان الغمام مالا يستنبطه غيره بالكثير والله لو حكمته فى بيوت الاموال لرأيت انها لا ترجح ما تكلم به قلبه ذرة واياكم ان يعود احد منكم الى الكلام فى شخص قبل ان يؤخذ معه فيه ولا تحكموا علينا فى اوليائنا ولو ابصرتم منا التغير عليهم فاننا لا نتغير عليهم بغضا لهم وانحرافا عنهم بل تأديبا وانكارا فانا من نريد ابعاده لم نظهر له التغير بل ننبذه مرة واحدة فان التغير انما يكون لمن يراد استبقاؤه ولو كنت مائل السمع لكل احد منكم فى صاحبه لتفرقتم ايدى سبا وجوبت انا مجانبة الاجر وانى قد اطلعتكم على ما فى ضميرى فلا تعدلوا عن مرضاتى فتجنبوا سخطى بما جنيتموه على انفسكم ثم امر أن يرد الرمادى وقال له أعد على كلامك فارتاع فقال الامر على خلاف ما قدرت الثواب أولى بكلامك من العقاب فسكن لتأنيسه واعاد ما تكلم به فقال المنصور بلغنا ان النعمان بن المنذر حشا فم النابغة بالدر لكلام استملحه منه وقد امرنا لك بما لا يقصر عن ذلك ماهو انوه واحسن عائدة وكتب له بمال وخلع وموضع يتعيش منه ثم رد رأسه الى المتكلم فى شان الرمادى وقد كاد يغوص فى الارض لوجد لشدة ما حل به مما رأى وسمع وقال والعجب من قوم يقولون الابتعاد من الشعراء أولى من الاقتراب نعم ذلك لمن ليس له مفاخر يريد تخليدها ولا أيادى يرغب فى نشرها فاين الذين قيل فيهم

على مكثريهم رزق من يعتريهم * وعند المقلين السماحة والبذل

واين الذى قيل فيه

انما الدنيا أبو دلف * بين مبداه ومحتضره
فاذا ولى أبو دلف * ولت الدنيا على أثره

أما كان فى الجاهلية والاسلام أكرم ممن قيل فيه هذا القول بلى ولكن صحبة الشعراء والاحسان اليهم أحيت غابر ذكرهم وخصتهم بمفاخر عصرهم وغيرهم لم تخلد الامداح مآثرهم فدثر ذكرهم ودرس نشرهم انتهى * ومن حكاياتهم فى العدل انه لما بنى المعتصم بن صمادح ملك المرية قصوره المعروفة بالصمادحية غصبوا أحد الصالحين فى جنة

يلبس الجبة الصوف المرقعة بالاديم ويشتمل بالعباءة ويحمل القربة على كتفه مع هيبة قد رزقها وكان أكثر ركابه الابل ورحله مشدودة بالليف وكذلك عماله مع ما فتح الله عليه من البلاد وأوسعهم من الاموال (وكان من عماله) سعد ابن عامر بن خريم فشكاه أهل حمص اليه وسألوه عزله فقال عمر اللهم لا تقل فراستى فيهم ماذا تشكون منه قالوا لا يخرج الينا حتى يرتفع النهار ولا يجيب أحدا بليل وله يوم فى الشهر لا يخرج الينا وقال عمر على به فلما جمع بينهم وبينه فقال ما تنقمون منه قالوا لا يخرج الينا حتى يرتفع النهار فقال ما تقول يا سعد قال يا أمير المؤمنين انه ليس لاهلى خادم فاعجن عجينى ثم أجلس حتى يختمر ثم أخبز خبزى ثم أتوضأ وأخرج اليهم قال وماذا تنقمون منه قالوا لا يجيب بليل قال قد كنت أكره أن أذكر هذا انى جعلت الليل كله لربى وجعلت النهار لهم قال وماذا تنقمون منه قالوا له يوم فى الشهر لا يخرج الينا قال نعم ليس لى خادم فاغسل ثوبى ثم أجففه فامسى فقال عمر الحمد لله الذى لم يقل فراستى فيكم يا أهل حمص فاستوصوا به اليكم خيرا

ألا ندفعها الى من يأتينا وأحوج ما كنا اليه قالت بلى فصرها صرة ثم دفعها الى من يثق به وقال انطلق بهذه الى فلان و بهذه الى يتيم بني فلان ومسكين آل فلان حتى بقي منها شئ يسير فدفعه الى امرأته وقال انفقي هذه ثم عاد الى خدمته فقالت له امرأته ألا تبعت بذلك المال فتشترى لنا منه خادما فقال سيأتيك أحوج ما تكونين اليه (ومن عماله على المدائن) سلمان الفارسي وكان يلبس الصوف ويركب الحمار بريذعته بغيرا كاف ويأكل خبز الشعير وكان ناسكا زاهدا فلما احتضر بالمدائن قال له سعد بن أبي وقاص يا أبا عبد الله قال نعم قال اذكر الله عند همك اذا هممت وعند يدك اذا قسمت فجعل سلمان يبكي فقال له يا أبا عبد الله ما يبكيك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان في الآخرة عقبة لا يقطعها الا المخفون وأرى هذه الاساودة حولي فنظر فلم يجد في البيت الا وطاء وركوة ومطهرة (وكان عامله) على الشام أبا عبيدة بن الجراح وكان يظهر للناس وعليه الصوف الجافي فعذل على ذلك وقيل له

وألحقوها بالصمادحية وزعم ذلك الصالح انها لا يتام من أقار به فبينا المعتصم يوما يشرب على الساقية الداخلة الى الصمادحية اذ وقعت عينه على انبوب قصبة مشمع فأمر من يأتيه به فلما أزال عنه الشمع وجد فيه ورقة فيها اذا وقفت أيها الغاصب على هذه الورقة فاذكر قوله تعالى ان هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزني في الخطاب لا اله الا الله أنت ملك قد وسع الله تعالى عليك ومكن لك في الارض ويحملك الحرص على ما يفني أن تضم الى جنتك الواسعة العظيمة قطعة أرض لأيتام حرمت بها حلالها وخبثت طيبها ولئن تحببت عني بسلطانك واقتدرت على بعظم شانك فنجتمع غدا بين يدي من لا يحجب عن حق ولا تضيع عنده شكوى فلما استوعب قراءتها دمعت عيناه وأخذته خشية خف عليه منها وكانت عادته رحمه الله تعالى وقال على بالمشتغلين ببناء الصمادحية فاحضروا فاستفسرهم عما زعم الرجل فلم يسعهم الا صدقه واعتذروا بان نقصها من الصمادحية يعيبها في عين الناظر فاستشاط غضبا وقال والله ان عيبها في عين الخالق أقبح من عيبها في عين المخلوق ثم أمر بان تصرف اليه واحتمل تعويرها الصمادحيته ولقدر بعض أعيان المرية وأخيارها مع جماعة على هذا المكان الذي أخرجت منه جنة الايتام فقال أحدهم والله لقد عورت هذه القطعة هذا المنظر العجيب فقال له اسكت فوالله ان هذه القطعة طراز هذا المنظر وفخره وكان المعتصم اذا نظر اليها قال اشعر تم أن هذا المكان المعوج في عيني أحسن من سائرما استقام من الصمادحية ثم ان وزيره ابن أرقم لم يزل يلاطف الشيخ والايتام حتى باعوها عن رضا بما اشتهوا من الثمن وذلك بعد مدة طويلة فاستقام بها بناء الصمادحية وحصل للمعتصم حسن السمعة في الناس والجزاء عند الله تعالى ولما مات المعتصم بن صمادح ركب البحر ابنه ولي عهده الواثق عز الدولة أبو محمد عبد الله وفارق الملك كما أوصاه المعتصم والده وفي ذلك يقول

لك الحمد بعد الملك أصبحت خاملا * بارض اغتراب لا أمر ولا حلى
وقد أصدأت فيها الجذاذة أنملي * كما نسيت ركض الجياد بها رجلي
فلا مسمعي يصغي لنغمة شاعر * ولا كفي لا تمتد يوما الى بذل

قال ابن اللبانة الشاعر ما علمت حقيقة جور الدهر حتى اجتمعت ببجاية مع عز الدولة بن المعتصم بن صمادح فاني رأيت منه خير من يجتمع به كأنه لم يخلقه الله تعالى الا للملك والرياسة واحياء الفضائل ونظرت الى همته تنم من تحت خوله كما ينم فرند السيف وكرمه من تحت الصدا مع حفظه لفنون الادب والتواريخ وحسن استماعه واسماعه ورقة طباعه ولطافة ذهنه ولقد ذكرته لاحد من صحبته من الادباء في ذلك المكان ووصفته بهذه الصفات فتشوق الى الاجتماع به ورغب الي في أن استأذنه في ذلك فلما أعلمت عز الدولة قال يا أبا بكر لتعلم أما اليوم في خول وضيق لا يتسع لنا معهما ولا يجمل بنا الاجتماع مع أسد لا سيما مع ذي أدب ونباهة يلقانا بعين الرحمة ويزورنا بمنة التفضل في زيارتنا وتكابد من الغاظ توجعه والحاظ تفجعه ما يجدد لنا هما قد بلي ويحيي كمدا قد فني وما لنا قدرة على ان نجود عليه بما يرضي به عن همتنا فدعناك أنفسا في قبر تتدرع لسهام الدهر بدرع الصبر

وأما

وأما أنت فقد اختلطت بنا اختلاط اللحم بالدم وامتزجت امتزاج الماء بالخمر فكأنا لم نكشف حالنا لسوانا ولا اظهرنا ما بنا لغيرنا فلا تحمل غيرك بحملك قال ابن البيانة فلا والله سمعي بلاغة لا تصدر الا عن سداد ونفس أبية متمكنة من أعنة البيان وانصرفت متمثلا

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده * ولم يبق الا صورة اللحم والدم
وكائن ترى من صامت لك معجب * زيادته أو نقصه في التكلم

وكتب اليه ابن البيانة

ياذا الذي هز أمداحي بحليته * وعزه أن يهز المجد والكرما
وأديك لازرع فيه اليوم تبذله * نخذ عليه لايام المنى سلما

فتحيل في قليل برووجهه اليه وكتب اليه

المجد يخجل من يفديك من زمن * ثناك عن واجب البر الذي علما
فدونك النزر من مصنف مودته * حتى يوفيك أيام المنى السلما

ومن شعر عز الدولة المذكور

اقدى أبا عمرو وان كان عاتبا * فلا خير في ود يكون بلا عتب
وما كان ذاك الود الا كبارق * أضاء لعيني ثم أظلم في قلبي

وقال الشقندي في الطرف ان عز الدولة أشعر من أبيه وأما أخوه رفيع الدولة الحاجب أبو زكريا يحيى بن المعتصم فله أيضا نظم رائق ومنه ما كتب به الى يحيى بن مطروح يستدعيه لانس

يا أخي بل سيدي بل سندي * في مهمات الزمان الانكد
تح بأفق غاب عنه بدره * في اختفاء من عيون الحسد
وتجل فجبيبي حاضر * وفمي يشتاق كاسي في يدي

فأجابه ابن مطروح وهو من أهل باغة بقوله

أيا عبد من أقل الاعبد * قبلتي وجه بأفق الاسعد
كلما اظمأني وردفا * منه لي الا بذاك المورد
ها أنا بالباب أبغي اذنكم * والظما قد مد للكاس يدي

وكان قد سلط عليه انسان مختل اذا رآه يقول هذا ألف لا شئ عليه يعني ان ملكه ذهب عنه وبقي فارغا منه فشكا رفيع الدولة ذلك الى بعض أصحابه فقال انا اكفيك مؤنته وأجتمع مع الاحمق واشترى له حلواء وقال له اذا رأيت رفيع الدولة بن المعتصم فسلم عليه وقبل يده ولا تقل هذا الف لا شئ عليه فقال نعم واشترط الوفاء بذلك الى أن لقيه فجرى نحوه وقبل يده وقال هذا هو باء بنقطة من أسفل فقامت قيامة رفيع الدولة وكان ذلك اشد عليه وكان به علة الحصا فظن أن الاحمق علم ذلك وقصده وصار كلما أحس به في موضع تجنبه واستأذن يوما على أحد وجوه دولة المرابطين فقال أحد جلسائه تلك أمة قد خلت استحقارا له واستثقالا للاذن له فبلغ ذلك رفيع الدولة فكتب اليه

ما كنت بالذي آثرته ما نلت * أنك بالشام وأمير المؤمنين وحولنا الاعداء فغير من زيك وأصلح من شارتك فقال

عليه في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم (وذكر الواقدي) في كتابه في فتوح الامصار ان عمر قام في المسجد فحمد الله وأثنى عليه ثم دعاهم الى الجهاد وحثهم عليه وقال انكم قد أصبحتم في غير دار مقام بالحجاز وقد وعدكم النبي صلى الله عليه وسلم فتح بلاد كسرى وقيصر فسيروا الى ارض فارس فقام ابو عبيدة فقال يا أمير المؤمنين أنا أول من انتدب من الناس فلما انتدب ابو عبيدة انتدب الناس وقيل لعمر أمر على الناس رجلا من المهاجرين أو الانصار فقال لا أؤمر عليهم الا أول من انتدب فامر أبا عبيدة وفي حديث آخر أنه قيل له أتؤمر رجلا من ثقيف على المهاجرين والانصار فقال كان أول من انتدب فوليته وقد أمرته أن لا يقطع امرا دون سلمة بن أسلم بن حويس وسليط بن قيس وأعلمته أنهما من أهل بدر وخرج فلقي جمعا من العجم عليهم رجل يقال له جالينوس فانهزم وسار أبو عبيدة حتى عبر الفرات وعقد له بعض الدهاقين جسرا فلما خلف الفرات وراءه أمر بقطع الجسر فقال له سلمة بن أسلم أيها الرجل انه ليس لك علم بما نرى وأنت تخالفنا وسوف تهلك من معك من المسلمين

فعلت أمتي لكن ذاتي لم تخل * وفي الفرع ما يغني اذا ذهب الاصل
وحاضركم لو قلتم قول ماجد * يكون له فيما يجيء به الفضل
وكل اناء بالذي فيه راشح * وهل يمنح الزنبور ما جمعه النحل
سأصرف وجهي عن جناب نحله * ولو لم تكن الا الى وجهك السبل
فما وضع تحتاجه بمرفع * ولا يرتضي فيه مقال ولا فعل
وقد كنت ذا عذل لعلك ترعوي * ولكن بار باب العلا يحمل العذل

وأما أخوهما أبو جعفر بن المعتصم فله ترجمة في المسهب والمطرب والمغرب ومن شعره

كتبت وقلبي ذو اشتياق ووحشة * ولو أنه يسطيع مر يسلم
جعلت سواد العين فيه سواده * وأبيضه طرسا وأقبلت ألثم
فخيل لي أني أقبل موضعا * يصافحه ذاك البنان المسلم

وأما أختهم أم الكرم فذكرناها مع النساء فانظر اجع * وقال أبو العلاء بن زهر

تمت محاسن وجهه وتكاملت * لما بدا وعليه صدغ مونق
وكذلك البدر المنير جماله * في أن تكنفه سماء أزرق

وقال أبو الفضل بن شرف

يا من حكى البيدق في شكله * أصبح يحكيك وتحكيه
أسفله أوسع أجزائه * ورأسه أصغر ما فيه

وقال ابن خفاجة

يا أيها الصب المعنى به * هاهو لا خل ولا خمر
سود ما ورد من خده * فصار فحما ذلك الجمر

وقال أبو عبد الله البياسي

صغر الرأس وطول العنق * شاهدا عدل بفرط الحمق

ولما سمعه أبو الحسن بن حريق قال

صغر الرأس وطول العنق * خلقة منكرة في الخلق
فاذا أبصرته من رجل * فاقض في الحين له بالحمق

وقال أبو الحسن بن الفضل يذكر مقاما قامه سهل بن مالك وابن عياش

لعمري لقد سر الخلافة قائما * بخطبته الغراء سهل بن مالك
وأما ابن عياش وقد كان مثله * فضلوا جميعا بين تلك المسالك
ومات وماتوا حسرة وحسادة * وغيظا فقلناها لك في الهوالك

وسهل بن مالك له ترجمة مطولة رحمه الله تعالى * ومن حكاياتهم في الوفاء وحسن الاعتذار والقيام بحق الاخاء أن الوزير الوليد بن عبد الرحمن بن غانم كان صديقا للوزير هاشم بن عبد العزيز ثابتا على مودته ولما قضى الله تعالى على هاشم بالاسر أجرى السلطان محمد بن عبد الرحمن الاموي ذكره في جماعة من خدامه والوليد حاضر فاستقصره ونسبه للطيش والعجلة والاستبداد برأيه فلم يكن فيهم من اعتذر عنه غير الوليد فقال أصلح الله تعالى الامير

في هذه القطعة فقال أيها الرجل تقدم فقاتل فقد حم ما ترى وقال سليط ان العرب لم تلق مثل جمع فارس قط ولا كان لهم بقتالهم فاجعل لهم ملجأ ومرجعا من هزيمة ان كانت فقال والله لا فعلت جبنت والله يا سليط فقال سليط والله ما جبنت وأنا أجرأ منك نفسا وقبيلا ولكن أشرت بالرأي فلما قطع أبو عبيدة الجسر والتحم الناس واشتد القتال نظرت العرب الى الميلة عليها التجافيف فرأوا شيأ لم يروا مثله قط فانهزم الناس جميعا ثم مان بالفرات أكثر ممن قتل بالسيف وخالف أبو عبيدة سليطا وقد كان عمر أوصاه أن يستشيره ولا يخالفه وكان رأي سليط أن لا يغبر حتى يعبروا عليه ولا يقطع الجسر فخالفه وقال سليط في بعض قوله لولا اني أكره خلاف الطاعة لانحزت بالناس ولكني أسمع وأطيع وان كنت قد أخطأت وأشرت عمر معك فقال له أبو عبيدة تقدم أيها الرجل فقال أفعل فتقدما فقتلا جميعا وقد كان أبو عبيدة في هذا اليوم ترجل وقد قتل من الفرس نحو ستة آلاف فدنا من الفيل ورمحه في يده فطعنه في عينه فقتل الفيل أبا عبيدة بيده ومال الناس وتراجعت رجال فارس فاخذ الناس

انه لم يكن على هاشم التعيير فى الامور ولا الخروج عن المقدور بل قد استعمل جهده واستفرغ نصحه وقضى حق الاقدام ولم يكن ملاك النصر بيده فخذله من وثق به ونكل عنه من كان معه فلم يزحزح قدمه عن موطن حفاظه حتى ملك مقبلا غير مدبر مبليا غير فشل فحوزى خيرا عن نفسه وسلطانه فانه لا طريق للام عليه وليس عليه ما جنته الحرب الغشوم وأيضا فانه ما قصد أن يجود بنفسه الا رضا للامير واجتنابا لسخطه فاذا كان ما اعتمد فيه ارضا جالب التقصير فذلك معدود فى سوء الحظ فأعجب الامير كلامه وشكر له وفاءه وأقصر فيما بعد عن تفنيده هاشم وسعى فى تخليصه واتصل الخبر بهاشم فكتب اليه الصديق من صدقك فى الشدة لا فى الرخاء والاخ من ذب عنك فى الغيب لا فى المشهد والوفى من وفى لك اذا خانك زمان وقد أتانى من كلامك بين يدى سيدنا جعل الله تعالى نعمته سرمدا ما زادنى بمودتك اغتباطا و بصداقتك ارتباطا ولذلك ما كنت أشد يدى على وصلك وأخصك باخائى وأنا الآن بموضع لا أقدر فيه على جزاء غير الثناء وأنت اقدر منى على أن تزيد ما بدأت به بان تتم ما شرعت فيه حتى تتكمل لك المنة و يستوثق عقد الصداقة ان شاء الله تعالى وكتب اليه بشعر منه

أيا ذا كرى بالغيب فى محفل به * تصامت جمع عن جواب به نصرى
أتتنى والبيداء بينى و بينها * رقى كلمات خلصتنى من الاسر
لئن قرب الله اللقاء فاننى * سأجزيك ما لا ينقضى غابر الدهر

فأجابه الوليد خلصك الله أيها البدر من سراركه وعجل بطلوعك فى أكمل تمامك وابدارك وصلنى شكرك على أن قلت ما علمت ولم أخرج عن النصح للسلطان بما ذكرته من ذلك والله تعالى شاهد على أن ذلك فى مجالس غير المجلس المنقول لسيدى ان خفيت عن المخلوق فما تخفى عن الخالق ما أردت بها الا أداء بعض ما أعتقده لك وكم سهرت وأنا نائم وقمت فى حقى وأنا قاعد والله لا يضيع أجر من أحسن عملا ثم ذكر أبياتا لم تحضرنى الآن * ومن حكاياتهم فى علو الهمة فى العلم والدنيا انه دخل أبو بكر بن الصائغ المعروف بابن باجة جامع غرناطة و به نحوى حوله شباب يقرؤن فنظروا اليه وقالوا له مستهزئين به ما يحمل الفقيه وما يحسن من العلوم وما يقول فقال لهم أجل اثنى عشر الف دينار وهاهى تحت ابطى وأخرج لهم اثنى عشرة ياقوتة كل واحدة منها بالف دينار وأما الذى أحسنه فاثنا عشر علما أدونها علم العربية الذى تبحثون فيه وأما الذى أقول فانتم كذا وجعل يسبهم هكذا انتقلت هذه الحكاية من خط الشيخ أبى حيان النحوى رحمه الله تعالى * ومن حكاياتهم فى الذكاء واستخراج العلوم واستنباطها أن أبا القاسم عباس بن فرناس حكيم الاندلس أول من استنبط بالاندلس صناعة الزجاج من الحجارة وأول من فلك بها كتاب العروض للخليل وأول من فلك الموسيقى وصنع الآلة المعروفة بالمثقال ليعرف الاوقات على غير رسم ومثال واحتال فى تطيير جثمانه وكسا نفسه الريش ومثله جناحين وطار فى الجو مسافة بعيدة ولكنه لم يحسن الاحتيال فى وقوعه فتأدى فى ذلك وخر ولم يدر أن الطائر انما يقع على زمكه ولم يعمل له ذنبا وفيه قال مؤمن بن سعيد الشاعر

حتى عقدوا الجسر فعبروا ومعهم المثنى بن حارثة وقد فقد من الناس أربعة آلاف غرقا وقتلا وكان على جيش فارس فى هذا اليوم هادويه ومعه راية فارس التى كانت لا فريدون حتى ثار الناس من الوهاد وهى المعروفة بدرفس كاسان وكانت من جلود النمور طولها اثنا عشر ذراعا وفى عرض ثمانية أذرع على خشب طوال موصل وكانت فارس تتيمن بها وتظهرها فى الايام الشديد وقد قدمنا الخبر عن هذه الراية فى أخبار العرس الاول فيما سلف من هذا الكتاب ولما قتل أبو عبيدة الثقفى بالجسر شق ذلك على عمر وعلى المسلمين فخطب عمر الناس وحثهم على الجهاد فأمرهم بالتأهب لارض العراق وعسكر بسرو وهو يريد الشخوص وقد استعمل على مقدمته طلحة بن عبيد الله وعلى ميمنته الزبير بن العوام وعلى ميسرته عبد الرحمن ابن عوف ودعا الناس فاستشارهم فاشاروا عليه بالمسير ثم قال لعلى ما ترى يا أبا الحسن اسير أم ابعث قال سر بنفسك فانه أهيب للعدو وأرهب له فخرج من عنده فدعا العباس فى

جل مشيخة قريش وشاورهم فقالوا أقم وابعث غيرك ليكون للمسلمين ان انهزموا فئة وخرجوا فدخل اليه

عبد الرحمن بن عوف فاستشاره فقال عبد الرحمن فديت بابي وامي أقم وابعث فانه ان انهزم جيشك فليس ذلك بهزيمتك وانك ان تهزم أو تقتل يكفر المسلمون ولا يشهدوا أن لا اله الا الله أبدا قال أشر علي من أبعث قال قلت سعد بن أبي وقاص قال عمر أعلم أن سعدا رجل شجاع ولكني أخشى أن لا يكون له معرفة بتدبير الحرب قال عبد الرحمن هو على ما تصف من الشجاعة وقد صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد بدرا فاعهد اليه عهدا وشاورنا فيما أردت أن تحدث اليه فانه لن يخالف أمرك ثم خرج فدخل عثمان عليه فقال له يا أبا عبد الله أشر علي أسير أم اقيم فقال عثمان اقم يا امير المؤمنين وابعث بالجيوش فانه لا آمن ان اتى عليك آت أن ترجع العرب عن الاسلام ولكن ابعث الجيوش ودار كها بعضها على بعض وابعث رجلا له تجربة بالحرب ومضربها قال عمر ومن هو قال علي بن ابي طالب فقال فالقه وكلمه وذاكره ذلك فهل تراه مسرعا اليه او لا فخرج عثمان فلقي عليا فذاكره ذلك فابى علي ذلك وكرهه فعاد عثمان فاخبره فقال له عمر ومن ترى قال سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل قال لنعم بصاحب ذلك وكان

من أبيات

يطم على العنقاء في طيرانها * اذا ما كسا جثمانه ريح قشعم

وصنع في بيته هيئة السماء وخيل للناظر فيها النجوم والغيوم والبروق والرعود وفيه يقول مؤمن بن سعيد أيضا

سماء عباس الاديب أبي القاسم ناهيك حسن رائقها
أما ضراطه استه فراعدها * فليت شعري ما لمع بارقها
لقد تمنيت حين دوتها * فكر في البصق في است خالقها

وانشد ابن فرناس الامير محمدا من أبيات

رأيت أمير المؤمنين محمدا * وفي وجهه بذر المحبة يثمر

فقال له مؤمن بن سعيد فجعلما ارتكبته جعلت وجه الخليفة محرثا يثمر فيه البذر فخجل وسبه * واول من اشتهر في الاندلس بعلم الاوائل والحساب والنجوم أبو عبيدة مسلم بن احمد المعروف بصاحب القبلة لانه كان يشرق في صلاته وكان عالما بحركات الكواكب واحكامها وكان صاحب فقه وحديث دخل المشرق وسمع بمكة من علي بن عبد العزيز وبمصر من المزني وغيره * ومنهم يحيى بن يحيى المعروف بابن السمينة من أهل قرطبة وكان بصيرا بالحساب والنجوم واللغة والعروض ومعاني الشعر والفقه والحديث والاخبار والجدل ودخل الى المشرق وقيل انه كان معتزلي المذهب * وأبو القاسم اصبغ بن السمح وكان بارعا في علم النجوم والهندسة وله تاليف منها كتاب المدخل الى الهندسة في تفسير اقليدس وكتاب كبير في الهندسة وكتابان في الاسطرلاب وزيج على مذاهب الهند المعروف بالسند هند * وأبو القاسم بن الصفار وكان عالما بالهندسة والعدد والنجوم وله زيج مختصر على مذاهب السند هند وله كتاب في عمل الاسطرلاب * ومنهم أبو الحسن الزهراوي كان عالما بالعدد والطب والهندسة وله كتاب شريف في المعاملات على طريق البرهان * ومنهم أبو الحكم عمر الكرماني من أهل قرطبة من الراسخين في علم العدد والهندسة ودخل المشرق واشتغل بحران وهو أول من دخل برسائل اخوان الصفا الى الاندلس * ومنهم أبو مسلم بن خلدون من أشراف اشبيلية وكان متصرفا في علوم الفلسفة والهندسة والنجوم والطب وتلميذه ابن برغوث وكان عالما بالعلوم الرياضية وتلميذه أبو الحسن مختار الرعيني وكان بصيرا بالهندسة والنجوم وعبد الله بن أحمد السرقطي كان ناقدا في علم الهندسة والعدد والنجوم ومحمد الليث كان بارعا في العدد والهندسة وحركات الكواكب وأبو يحيى قرطبي بصير بالهندسة والنجوم وخرج عن الاندلس سنة اثنتين واربعين واربعمائة ولحق بمصر ودخل اليمن واتصل بامرها الصليحي القائم بدعوة المستنصر العبيدي فحظي عنده وبعثه رسولا الى بغداد الى القائم بامر الله وتوفي باليمن بعد انصرافه من بغداد وأبو الوقشي الطليطلي عارف بالهندسة والمنطق والزيوج ممن يطول تعدادهم وكان الحافظ أبو الوليد هشام الوقشي من اعلم الناس بالهندسة وآراء الحكماء والنحو واللغة ومعاني الاشعار والعروض وصناعة الكتابة والفقه والشروط والفرائض وغيرها وهو كما قال الشاعر

وكان من العلوم بحيث يقضى * له فى كل فن بالجميع

ومن شعره قوله

قد بينت فيه الطبيعة أنها * بدقيق أعمال الهندس ماهره
عنيت بجسمه فخطت فوقه * بالمسك خطا من محيط الدائره

وعزم على ركوب البحر الى الحجاز فعاله ذلك فقال

لا ار كب البحر ولو أننى * ضربت فيه بالعصا فانفلق
ما ان رأت عينى أمواجه * فى فرق الا تناهى الفرق

وكان الوزير أبو المطرف عبد الرحمن بن شهيد مصنف الادوية المفردة آية الله تعالى فى الطب وغيره حتى انه عانى جميع ما فى كتابه من الادوية المفردة وعرف ترتيب قواها ودرجاتها وكان لا يرى التداوى بالادوية ما امكن بالاغذية او ما يقرب منها واذا اضطر الى الادوية فلا يرى التداوى بالمركبة ما وجد سبيلا الى المفردة واذا اضطر الى المركب لم يكثر التركيب بل يقتصر على اقل ما يمكنه وله غرائب مشهورة فى الابراء من الامراض الصعبة والعلل المخوفة بأيسر علاج واقربه * ومنهم ابن البيطار وهو عبد الله بن احمد المالقى الملقب بضياء الدين وله عدة مصنفات فى الحشائش لم يسبق اليها وتوفى بدمشق سنة ست واربعين وستمائة اكل عقارا قاتلا فمات من ساعته رحمه الله تعالى * ومن حكاياتهم فى الحفظ أن الاديب الاوحد حافظ اشبيلية بل الاندلس فى عصره ابا المتوكل الهيثم بن احمد بن ابى غالب كان اعجوبة دهره فى الرواية للاشعار والاخبار قال ابن سعيد اخبرنى من اثق به انه حضر معه ليلة عند احد رؤساء اشبيلية فجرى ذكر حفظه وكان ذلك فى اول الليل فقال لهم ان شئتم تختبرونى اجبتكم فقالوا له بسم الله انا نريد ان نحدث عن تحقيق فقال اختاروا اى قافية شئتم لا اخرج عنها حتى تعجبوا فاختاروا القاف فابتدأ من اول الليل الى ان طلع الفجر وهو ينشدوزن (أرق على ارق ومثلى يأرق) وسماره قد نام بعض وضج بعض وهو ما فارق قافية القاف وقال ابو عمران بن سعيد دخلت عليه يوما بدار الاشراف باشبيلية وحوله ادباء ينظرون فى كتب منها ديوان ذى الرمة فمد الهيثم يده الى الديوان المذكور فمنعه منه أحد الادباء فقال يا ابا عمران أواجب أن يمنعه منى وما يحفظ منه بيتا وأنا أحفظه فأكذبته الجماعة فقال اسمعونى وأمسكوه فابتدأ من أوله حتى قارب نصفه فأقسمنا عليه أن يكف وشهدنا له بالحفظ وكان آية فى سرعة البديهة مشهورا بذلك قال أبو الحسن بن سعيد عهدى به فى اشبيلية يملى على أحد الطلبة شعرا وعلى ثان موشحة وعلى ثالث زجلا كل ذلك ارتجالا وأما أحذ الحصار بغرناطة واشبيلية فى مدة الباجى خرج خروج القارظين ولا يدرى حيث ولا اين ومن شعره وقد نزل بداره عبيد السلطان وكتب به الى صاحب الانزال

كم من يد لك لا أقوم بشكرها * وبها أشير اليك ان خرست فى
وقد استترت بك فى الحديث فهل ترى * أن يدخل الغربان وكر الهيثم

وله

يحفى الفقير وغشى الناس قاطبة * باب الغنى كذا حكم المقادير

ضروب بالسيف رام بالنبل ولكنى اخشى ان لا يكون له معرفة بتدبير الحرب قال ومن هو يا أمير المؤمنين قال سعد قال عثمان هو صاحب ذاك ولكنه رجل غائب فى عمل قال عمر أرى ان اوجهه واكتب اليه ان يسير من وجهه ذلك قال عثمان ومره فليشاور قوما من اهل التجربة والتبصر بالحرب ولا يقطع الامور حتى يشاورهم ففعل عمر ذلك وكتب الى سعد بالتوجه نحو العراق (وقد كان جرير) بن عبد الله البجلى قدم على عمر وقد اجتمعت اليه بجيلة فسرحهم نحو العراق وجعل لهم ربعا فاظهروا عليه من السواد وساهمهم مع المسلمين وخرج عمر فشيعهم ولحق جرير بناحية الايلة ثم صاعد الى ناحية المدائن ونمى قدوم جرير الى مرزبان المدائن وكان فى عشرة آلاف من فارس من الاساورة وذلك بعد يوم الجسر ومقتل ابى عبيدة وسليط فقال بجيلة لجرير اعبر الدجلة الى المدائن فقال جرير ليس ذلك بالرأى وقد مضى أكثر فى ذلك عبرة من قتل اخوانكم يوم الجسر ولكن أمهلوا القوم فان جمعهم كثير حتى يعبروا اليكم فان فعلوا فهو الظفر ان شاء الله تعالى فاقامت الفرس أياما بالمدائن ثم

وانما الناس أمثال الفراش فهم * بحيث تبدو مصابيح الدنانير

وله عندي لفقدك أوجال أبيت بها * كأنني واضع كفي على قبس
ولا ملامة ان لم أهدنيره * حتى تمد اليها كف مقتبس
قد كنت أودع سر الشوق في طرس * لكنني خفت أن يعدو على الطرس

وانشد له أبو سهل شيخ دار الحديث بالقاهرة في املائه

قف بالكثيب لغيرك التأنيب * ان الكثيب هوى له محبوب
يا راحلين لنا عليكم وقفة * ولكم علينا دمعنا المسكوب
تخلي الديار من المحبة والهوى * أبدا وتعمر أضلع وقلوب

وقال ارتجالا في وصف فرس أصفر

أطرف فات طرفي أم شهاب * هفا كالبرق ضرمه التهاب
أعار الصبح صفحته نقابا * فصار به وصح لنا النقاب
فهما حث خال الصبح وافى * ليطلب ما استعار فما يصاب
اذا ما انقض كل النجم عنه * وضلت عن مسالكه السحاب
فيا عجبا له فضل الدراري * فكيف أزال أربعه التراب
سل الارواح عن أدنى مداه * فعند الريح قد يلفى الجواب

وقال أبو عمر الطلمنكي دخلت مرسية فتشبث بي أهلها يسمعون على الغريب المصنف فقلت انظروا ان يقرأ لكم وأمسكت أنا كتابي فأتوني برجل أعمى يعرف بابن سيده فقرأه على من أوله الى آخره فعجبت من حفظه وكان أعمى وابن سيده المذكور هو أبو الحسن علي بن احمد ابن سيده وهو صاحب كتاب المحكم ومن نظمه مما كتب به الى ابن الموفق

الا هل الى تقبيل راحتك اليمنى * سبيل فان الامن في ذاك واليمنا
ضحيت فهل في بردظلك نومة * لذي كبد حرى وذي مقلة وسنا

وتوفي ابن سيده المذكور سنة ثمان وخمسين واربعمائة وعمره نحو الستين رحمه الله تعالى

* ومن حكاياتهم في حب العلم ان المظفر بن الافطس صاحب بطليوس كان كما قال ابن الابار كثير الادب جم المعرفة محبا لاهل العلم جماعة للكتب ذا خزانة عظيمة لم يكن في ملوك الاندلس من يفوقه في ادب ومعرفة قاله ابن حيان وقال ابن بسام كان المظفر اديب ملوك عصره غير مدافع ولا منازع وله التصنيف الرائق والتأليف الفائق المترجم بالتذكرة والمشتهر ايضا اسمه بالكتاب المظفري في خمسين مجلدا يشتمل على فنون وعلوم من مغاز وسير ومثل وخبر وجميع ما يختص به علم الادب ابقاه للناس خالدا وتوفي المظفر سنة ستين واربعمائة وكان يحضر العلماء للمذاكرة فيفيدو يستفيد رحمه الله تعالى ومن التآليف الكبار لاهل الاندلس كتاب السماء والعالم الذي الفه احمد بن ابان صاحب شرطة قرطبة وهو مائة مجلد رأيت بعضه بفاس وتوفي ابن ابان سنة اثنتين وثمانين وثلثمائة رحمه الله تعالى ولاهل الاندلس دعابة وحلاوة في محاوراتهم واجوبة بديهية مسكتة والظرف فيهم والادب كالغريزة حتى في صبيانهم ويهودهم فضلا عن علمائهم وأكابرهم ولنذكر جملة

المرزبان وأخذهم السيف وغرق أكثرهم في دجلة واخذ المسلمون ما كان في عسكرهم وسار جرير فاجتمع مع المثنى بن حارثة الشيباني بالجلة فاقبل اليهما مهران في جيوشه فامتنع المسلمون من العبور اليهم فعبر مهران فقتله جرير بن عبد الله البجلي وحسان بن المنذر بن ضرار الضبي ضربه البجلي وطعنه الضبي وفاز جرير بمنطقته وسلبه وتنازع جرير وحسان في ايهما القاتل لمهران وقد كان جرير ضربه بعد ان طعنه حسان وحسان في ذلك ابيات

الم ترني خالست مهران نفسه
باسمر فيه كالخلال طرير
فخر صريعا والتقاني برجله
وبادر في رأس الهمام جرير

فقال قتيلي والحوادث جمة
وكاد جرير للسرور يطير

فقال أبا عمرو وقتلي قتلته
ومثلي قليل والرجال كثير

فارسل يمينا ان رمحك ناله
واكرم أن تحلف وانت أمير

(وقد تنازع) أهل الاخبار والسير في جرير والمثنى فمن الناس من ذهب الى أن جريرا كان المولى على الجيش ومنهم

من ذكر الجملة فنقول حكى عن عالم المرية القاضى ابى الحسن مختار الرعينى وكان فيه حلاوة ولوذعية ووقار وسكون انه استدعاه يوما زهير ملك المرية من مجلس حكمه فجاءه يمشى مشية قاض قليلا قليلا فاستعجله رسول زهير فلم يعجل فلما دخل عليه قال له يافقيه ماهذا البطء فتأخر الى باب المجلس وطلب عصا وشمر ثيابه فقال له زهير ماهذا قال هذا يليق باستعجال الحاجب لى فوقع فى خاطرى انه عزلنى عن القضاء وولانى الشرطة فضحك زهير واستحلاه ولم يعد الى استعجاله وهذا القاضى هو القائل وقد دخل حماما فجاس بازائه عامى اساء الادب عليه

الا لعن الحمام دارا فانه * سواء به ذو العلم والجهل فى القدر
تضيع به الآداب حتى كانها * مصابيح لم تنفق على طلعة الفجر

وروى ان المقرئ ابا عبد الله محمد بن الفراء امام النحو واللغة فى زمانه وكانت فيه فطنة ولوذعية ابطأ فى وجبه يوما الى تلامذته فطال بهم الكلام فى المذاكرة فقال احدهم نصف بيت وكان فيهم وسيم من ابناء الاعيان وكان ابن الفراء كثير الميل اليه فلما خرج قال له ياستاذ عملت نصف بيت ولو يدان تتمه فقال ماهو فقال * الا بأبى شادن اوطف * فقال الاستاذ ابن الفراء بديها

اذا كان ورد لك لا يقطف * وثغر ثنا لك لا يرشف
فأى اضطرار بنا ان نقول * الا بأبى شادن اوطف

وهذا ابن الفراء هو القائل

قل لى قد تبدلا * فاسل عنه كاسلا
لك سمع وناظر * وفؤاد فقلت لا
قيل غال وصاله * قلت لما غلا حلا
ايها العاذل الذى * بعذابى توكلا
عد صحيحا مسلما * لا تعير فتبتلى

وتذكرت بهذا ما انشده لسان الدين فى كتابه روضة التعريف بالحسب الشريف

قلت للساخر الذى * رفع الانف فاعتلى
انت لم تأمن الهوى * لا تعير فتبتلى

ومن بديع نظم ابن الفراء المذكور قوله

شكوت اليه بفرط الدنف * فأنكر من قصتى ما عرف
وقال الشهود على المدعى * واما انا فعلى الحلف

فجئنا الى الحاكم الامى قاضى الجون وشيخ الطرف
وكان بصيرا بشرع الهوى * ويعلم من اين تؤكل الكتف
فقلت له اقض ما بيننا * فقال الشهود على ما اتصف
فقلت له شهدت ادمعى * فقال اذا شهدت تنتصف
فغاضت دموعى من حينها * كغيض السحاب اذا ما يكف

الفرس ذلك وسار شيرانوى فى جمع فارس الاعظم ويقال له بوران وقد كانت جهرة الاساورة تقدمت وتقدم أمامهم رستم فتنحى المسلمون لما بلغهم مسيره فلحق جرير بكاظمة فنزلها وسار المثنى بقومه من بكر ابن وائل فنزل بسيراف وبها آثار كثيرة وهى من الكوفة على ثلاثة أميال من المنزل المعروف بواقصة وكان المثنى قد أصيب بجراحات كثيرة فى بدنه فى يوم الجسر وغيره فمات بسيراف رحمه الله تعالى (ولما ورد كتاب عمر) على سعد بن أبى وقاص فنزل زيالة على حسب ما أمره عمر ثم أتى سيراف وأتاه الناس من الشام وغيرها ثم سار فنزل العذيب وهو على فم البر وطرف السواد مما يلى القادسية فالتقى جيش المسلمين وجيش الفرس وعليهم رستم والمسلمون يومئذ فى ثمانية وثمانين ألفا وقيل ان من أسهم له ثلاثون ألفا والمشركون فى ستين ألفا امام جيوشهم الفيلة عليها الرجال وحرض الناس بعضهم بعضا وبرزوا أهل التجدات فأشبوا القتال وخرج اليهم أقرانهم من صناديد قريش فاعتوروا الضرب والطعن وخرج غالب بن عبد الله الاسدى فى ذلك اليوم وهو يقول

فخرك راسا الينا وقال * دعوا يا مهاتيك هذا الصلف
كذا تقتلون مشاهيرنا * اذا مات هذا فأين الخلف
واوما الى الورد ان يجتنى * واوما الى الريق ان يرتشف
فلما رآه حبيبي معى * ولم يختلف بيننا مختلف
ازال العناد فعانقته * كأنى لام وحبى الف
فظلت اعاتبه فى الجفا * فقال عفا الله عما سلف

وحكى عن الزهرى خطيب اشبيلية وكان اعرج انه خرج مع ولده الى وادى اشبيلية فصادف جماعة فى مركب وكان ذلك بقرب الاضحى فقال بعضهم له بكم هذا الخروف واشار الى ولده فقال له الزهرى ماهو للبيع فقال بكم هذا التيس واشار الى الشيخ الزهرى فرفع رجله العرجاء وقال هو معيب لا يجزئ فى الضحية فضحك كل من حضر وعجبوا من لطف خلقه * وركب مرة هذا النهر مع الباجى يوم خميس فلما أصبحا وصعد الزهرى يخطب يوم الجمعة والباجى حاضر قدامه فنظر اليه الباجى واومأ الى محل الحدث واخرج لسانه فجعل الزهرى يلمس عصا الخطبة يشير بالعصا الى جوابه على ما قصد رحمه الله تعالى * ومر العالم ابو القاسم بن ورد صاحب التآليف فى علم القرآن والحديث بجنة لاحد الاعيان فيها ورد فوقف بالباب وكتب اليه

شاعر قد اتاك يبغى اباه * عندما اشتاق حسنه وشذاه
وهو بالباب مصغيا للجواب * يرتضى بالذى فاذا تراه

فعندما وقف على البيتين علم انه ابن ورد فبادر من جنته اليه واقسم فى النزول عليه ونثر من الورد ما استطاع بين يديه * وحكى ان ابا الحسن سليمان بن الطراوة نحوى المرية حضر مع ندماء والى جانبه من اخذ بجامع قلبه فلما بلغت النوبة اليه استعفى من الشرب وابدى القطوب فأخذ ابن الطراوة الجام من يده وشرب بها عنه ويا بردها على كبده ثم قال بديها

يشرب بها الشيخ واشباله * وكل من تحمد اعقابه
والبكر ان لم يستطع صولة * تلقى على البازل اثقاله

ودخل عليه وهو مع ندمائه غلام والكاس فى يده فقال

الا بابى وغير ابى غزال * انى وبراحه للشرب راح
فقال منادمى فى الحسن صفه * فقلت الشمس جاء بها الصباح

وقال فيمن جاء بالراح

ولما رأيت الصبح لاح بخده * دعوتهم رفقا تلم لكم الشمس
وأطلعها مثل الغزالة وهو كالـ * ـغزال فتم الطيب والكمل الانس

وقال وقد شرب ليلة فى القمر

شربنا بصباح السما مدامة * بشاطى غدير والازاهر تنفع
وظل جهول يرقب الصبح ضلة * ومن أكوس لم يبرح الليل يصبح

وكان عبد الله بن الحاج المعروف بدغليس صاحب الموشحات يشرب مع ندماء ظراف فى جنة

فخرج اليه هرمز وكان من
ملوك الباب والابواب
وكان متوجا فاسره غالب
أسرا فاتى سعدا وكر راجعا
الى المطاردة وحمى الوطيس
وخرج عاصم بن عمر وهو
يقول
قد علمت بيضاء صفراء
اللبب
مثل اللجين يتغشاه
الذهب
أنى امرؤ لا من يصيبه
السبب
مثلى على مثلك يعديه
الكتب
فبرز اليه عظيم من أساورتهم
فخالاثم ان الفارس ولى
واتبعه عاصم حتى لحأ الى
صفوفهم وعموه وغاص
عاصم بينهم حتى ايس
الناس منه ثم خرج فى
مجنبات القلب وقدامه
بغل عليه صناديق
موكبية بآلة حسنة فأتى
به سعد بن مالك وعلى
البغل رجل عليه مقطعات
ديباج وقلنسوة مذهبة واذا
هو بخباز الملك وفى
الصناديق لطائف الملك
من الاخبصة والعسل
المعقود فلما نظر اليه سعد
قال انطلقوا الى أهل موقفه
وقولوا ان الامير قد نفلكم
هذا فكلوه (وكانت وقعة
القادسية) فى المحرم سنة أربع عشرة ومال سبعة عشر فيلا على كل فيل عشرون رجلا وعلى الفيلة

بهجة بفاتهم ورقة من ثقيل يرغب فى الاذن وكان له ابن مليح فكتب اليه مدغليس

سيدى هذا مكان * لايرى فيه بليه
غير تيس مصفعانى له بالصفع كديه
أوله ابن شافع فيه فيلقى بالتحيه
أيها القابل أقبل * سائقا تلك المطيه

وكان مدغليس هذا مشهورا بالانطباع والصنعة فى الازجال خليفة ابن قزمان فى زمانه وكان أهل الاندلس يقولون ابن قزمان فى الزجالين بمنزلة المتنبى فى الشعراء ومدغليس بمنزلة أبى تمام بالنظر الى الانطباع والصناعة فابن قزمان ملتفت الى المعنى ومدغليس ملتفت للفظ وكان أديبا معربا بالكلام مثل ابن قزمان ولكنه لما رأى نفسه فى الزجل أنجب اقتصر عليه ومن شعره قوله

ماضركم لو كتبتم * حرفا ولو باليسار
اذا نتم نور عينى * وسطلى واختيارى

وقال الخطيب الاديب النحوى أبو عبد الله بن الفراء المذكور قبل هذا بقريب الضرير فى صبى كان يقرأ عليه النحو اسمه حسن وهو فى غاية الجمال بعد أن سأله كيف تقول اذا تعجبت من حسنك فقال أقول ما أحسنى

ياحسنا مالك لم تحسن * الى نفوس بالهوى متعبه
رقت بالو ردو بالسوسن * صفحة خدبالسنى مذهبه
وقد أبى صدغك أن أجتنى * منه وقد ألدغنى عقربه
ياحسنه اذ قال ما أحسنى * وياذالك اللفظ ما أعذبه
فنوق السهم ولم يخطنى * واذرآنى ميتا أعجبه
وقال كم عاش وكم جنى * وحبه اياى قد عذبه
يرحمه الله على أننى * قتلى له لم أدر ما أوجبه

وقد كان ابن الفراء من فضلاء المائة السادسة ذكره ابن غالب فى فرحة الانفس فى فضلاء العصر من الاندلس وكان شاعرا مجيدا يعلم بالمرية القرآن والنحو واللغة وكانت فيه فطنة ولوذعية وذكاء والمعية خرق بها العوائد وحكى ان قاضى المرية قبل شهادته فى سطل ميزه فى حمام بالمس واختبره فى ذلك بحكاية طويلة وذكره صفوان فى زاد المسافر ووصفه بالخطيب وجده القاضى أبو عبد الله بن الفراء مشهور بالصلاح والفضل والزهد ومن العجائب انه ليس له ترجمة فى المغرب ولما كتب أمير المسلمين يوسف بن تاشفين الى أهل المرية يطلب منهم المعونة جاوبه بكتابه المشهور الذى يقول فيه ماصورته فاذكره أمير المسلمين من اقتضاء المعونة وتأخرى عن ذلك وان الباجى وجميع القضاة والفقهاء بالعدوة والاندلس أفتوا بأن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه اقتضاها وكان صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وضجيعه فى قبره ولا يشك فى عدله فليس أمير المسلمين بصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا بضجيعه فى قبره ولا ممن لا يشك فى عدله فان كان الفقهاء والقضاة أنزلوك بمنزلته فى العدل

أيام أبى بكر فى قصة مالك بن نويرة وغير ذلك وكان خالد بن الوليد بن خالد بن عمر تقدم الرجال والخيول فبعث الى بنى أسد لما نظر الى الموكب والفيول قد مالت الى بجيلة فأمرهم بعقوبتهم ومالت عشرون فيلا نحو القلب فخرج طليحة بن خويلد الاسدى مع فرسان بنى أسد فقتل منهم خمسمائة رجل سوى من قتل من غيرهم فباشروا قتال الفيلة حتى أوقفوها واشتد الجلاد على بنى أسد فى هذا اليوم من سائر الناس وهذا اليوم يعرف بيوم اغواث فلما أصبح الناس فى اليوم الثانى أشرف على الناس خيول المسلمين من الشأم والامداد سائرة قد غطت بأسنتها الشمس عليها هاشم بن عتبة بن أبى وقاص فى خمسة آلاف فارس من بنى ربيعة ومضر وألف من اليمن ومعه القعقاع بن عمرو وذلك بعد فتح دمشق بشهر وقد كان عمر رضى الله عنه كتب الى أبى عبيدة ابن الجراح بصرف أصحاب خالد بن الوليد الى العراق ولم يذكر فى كتابه خالدا فشح أبو عبيدة بتخلية خالد عن يده وبعث برجاله وعليهم هاشم بن عتبة على ماذكرنا وقد كان فى نفس عمر على خالد أشياء من القعقاع فى أوائل المدد فأيقن

أهل القادسية بالنصر على فارس وزال عنهم ملحمتهم بالامس من القتل والجراح وبرز القعقاع حين ورده امام الصف ونادى هل من مبارز فبرز اليه عظيم منهم فقال له القعقاع من انت قال انا بهمن جاذويه وهو المعروف بذى الحاجب فنادى القعقاع بالثارات ابى عبيدة وسليط واصحابهم يوم الجسر وقد كان ذو الحاجب مبارز المسلم على ما ذكرنا من قتله اياهم فما لا فقتله القعقاع ويقال ان القعقاع حمل فى ذلك اليوم ثلاثا وثلاثين حملة كل حملة يقتل فيها وكان آخر من قتل عظيما من عظمائهم يقال له بزرجمهر ففيه يقول القعقاع

جبو به حباشة بالنفس
هدارة مثل شعاع الشمس
فى أغواث من قبيل الفرس
أخس بالقوم أشد نخس
حتى يفيض معرى ونفسى

وبارز فى ذلك اليوم الاعور بن قطنة شهريار سجستان فقتل كل واحد منهما صاحبه فقال أخو الاعور فى ذلك

لم أر يوما كان أحلى وأمر
من يوم اغواث دواوين الشعر
من غير ضجك كان أسوا وأشر
واعتل سعد فتخلف فى حصن العذيب وجلس فى أعلاه يشرف على الناس وقد تواقف الفريقان جميعا وأمسى الناس ينتهون فلما سمع ذلك سعد قال لمن

فالله تعالى سائلهم عن تقاعدهم فيك وما اقتضاها عمر رضى الله تعالى عنه حتى دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحلف أن ليس عنده درهم واحد فى بيت مال المسلمين ينفقه عليهم فلتدخل المسجد الجامع هنالك بحضرة من أهل العلم وتحلف أن ليس عندك درهم واحد ولا فى بيت مال المسلمين وحينئذ تستوجب ذلك والسلام انتهى وأما ابن القراء الاخفش بن ميمون الذى ذكره الجارى فى المسهب فليس هو من هؤلاء بل هو من حصن الغيداق من أعمال قلعة بنى سعيد وأدب فى قرطبة ثم عاد الى حضرة غرناطة واعتكف بها على مدح وزيرها اليهودى وهو القائل

صانع محياه تلق النجح فى الامل * وانظر بناديه حسن الشمس فى الحمل
ما ان يلاقى خليل فيه من خلل * وكلما حال صرف الدهر لم يحل

وكان يهاجى المنفتل شاعر البيرة ومن هجاء المنفتل له قوله

لابن ميمون قريض * زمهرير البرد فيه
فاذا ما قال شعرا * تفقت سوق أبيه

ولما وفد على المرية مدح رفيع الدولة بن المعتصم بشعر فقال له بعض من أراد ضره يا سيدى لا تقرب هذا اللعين فانه قال فى اليهودى

ولكن عندى للوفاء شريعة * تركت بها الاسلام يبكى على الكفر

فقال رفيع الدولة هذا والله هو الحر الذى ينبغى أن يصطنع فلولا وفاؤه ما بكى كافرا بعد موته وقد وجدنا فى أصحابنا من لا يرعى مسلما فى حياته فقال فيه المنفتل

ان كنت أخفش عين * فان قلبك أعمى
فكيف تنثر نثرا * وكيف تنظم نظما

ومن شعر الاخفش المذكور قوله

اذا زرتكم غبا فلم ألق بالبر * وان غبت لم أطلب ولم أجر فى الذكر
فانى اذن أولى الورى بفراقكم * ولا سيما بعد التجلد والصبر

ولما وفد على المنصور بن أبى عامر الشاعر المشهور أبو عبد الله محمد بن مسعود الغسانى البجالى اتهم برهق فى دينه فسجنه فى المطبق مع الطليق القرشى والطليق غلام وسيم وكان ابن مسعود به كلفا يومئذ وفيه يقول

غدوت فى السجن خدنا لابن يعقوب * وكنت أحسب هذا فى الاكاذيب
رامت عداتى تعذيبى وما شعرت * ان الذى فعلوه ضد تعذيبى
راموا بعادى عن الدنيا وزخرفها * فكان ذلك ادناتى وتقريبى
لم يعلموا أن سجنى لا أبالمه * قد كان غاية مأمولى ومرغوبى

وسجن ابن مسعود والطليق قبله ووقع بينه وبين الطليق وعاد المدح هجاء فقال فيه

ولى جليس قربه منى * بعد الامانى كدانى
قد قذيت من لحظه مقلتى * وقرحت من لفظه أذنى
هون لى فى السجن من قربه * أشد فى السجن من السجن

لو أن خلقا كان ضدّ الله * زاد على يوسف فى الحسن
اذا ارتمى فكرى فى وجهه * سلط ابليسه على ذهنى
كانما يجلس من ذا وذا * بين كتيفين من المتن

وقال يخاطب المنصور من السجن

دعوت لما عيل صبرى فهل * يسمع دعواى الملك الحليم
مولاى مولاى الاعطفة * تذهب عنى بالعذاب الاليم
ان كنت أضمرت الذى زخرفوا * عنى فدعنى للقدير الرحيم
فعنده نزاعة للشوى * وعنده الفردوس ذات النعيم

وركب بعض أهل المرية فى وادى اشبيلية فمر على طاقة من طاقات شنتبوس وهو يغنى ٣خلنى من وادومن قوارب ومن تراها فى شنتبوس غرس الحبق الذى فى دارى أحب عندى من الفردوس فأخرجت رأسها جارية وقالت له من أى بلد أنت يا من غنى فقال من المرية فقالت وما أعجبك فى بلدك حتى تفضله على وادى اشبيلية وهو بوجه مالح وقفا أحرش وهذا من أحسن تعييب وذلك انها أتته بالنقيض من اشبيلية فان وجهها النهر العذب وقفاها بجبال الرحمة أشجار التين والعنب لا تقع العين الا على خضرة فى أيام الفرج وأين اشبيلية من المرية وفى المرية يقول السميسر شاعرها

بئس دار المرية اليوم دارا * ليس فيها لساكن ما يحب
بلدة لا تمار الا بريح * ربما قد تهب أو لا تهب

يشير الى أن مرافقها مجلوبة وأن الميرة تأتيها فى البحر من برالعدوة وفيها يقول أيضا

قالوا المرية فيها * نظافة قلت ايه
كانها طست تبر * و يبصق الدم فيه

وحكى مؤرخ الاندلس أبو العباس البياسى انه دخل عليه فى مجلس انس شيخ ضخم الجثة مستثقل فقال البياسى

اسقنى الكاس صاحيه * ودع الشيخ ناحيه

فقال الكاتب أبو جعفر أحمد بن رضى

ان تكن ساقيا له * ليس تروية ساقيه

وحكى ان العالى ادريس الحمودى لما عاد الى ملكه بمالقة وبخ قاضيها الفقيه أبا على بن حسون وقال له كيف بايعت عدوى من بعدى وصحبته فقال وكيف تركت أنت ملكك لعدوك فقال ضرورة القدرة حملتنى على ذلك فقال وأنا أيضا حصلت فى يد من لا يسعنى الا طاعته ومن نظم القاضى المذكور

رفعت من دهرى الى جائر * و يبتغى العدل باحكامى
أضحت به آمالكه مثل أشـ * ـكال خيال طوع أيامى
هذا لما أبرم ذا ناقض * كانهم فى حكم أحلام

وكان الفقيه العالم أبو محمد عبد الله الوحيدى قاضى مالقة بحرى كما قال الحجارى فى صباه طلق

على عدوهم وان سكتوا فأيقظونى فان ذلك شر
واشتد القتال فى الليل وكان أبو محجن الثقفى محبوسا فى أسفل القصر فسمع انتماء الناس فى آبائهم وعشائرهم ووقع الحديد وشدة البأس فتأسف على ما يفوته من تلك المواقف فجاء حتى صعد الى سعد بسبب شفعه و يستقيله و يسأله أن يخلى عنه ليخرج فرآه سعد ورده فانحدر راجعا فنظر الى سلمى بنت حفصة زوجة المثنى بن حارثة الشيبانى وقد كان سعد تزوجها بعده فقال يا بنت حفصة هل لك فى خير فقالت وما ذاك قال تخلين عنى وتعيرنى البلقاء والله على ان سلمنى الله أن أرجع اليك حتى أضع رجلى فى القيد فقالت وما انا وذاك فرجع يرسف فى قيده وهو يقول

كفى حزنا ان ترتدى الخيل بالقنا
وأترك مشدودا على وثاقيا
اذا قمت عنانى الحديد فأغلقت
مصارع من دونى وصم المناديا
وقد كنت ذا مال كثير وثروة
فقد تركونى واحدا لا أخا ليا

٣قوله خلنى الخ هكذا بالاصل وليتظر وقوله من الفردوس فى نسخة من الغروس هكذا بهامش الاصل

الجموح بعاقب بين غبوق وصبوح الى أن دعاه النذير فاهتدى منه بسراج منير وأحلته تلك الرجعة فيما شاء من الرفعة وقال بعض معاشريه كنت أماشيه زمن الشباب فكلما مررنا على امرأة يدعوحسنها وشكلها الى أن تحير فيه الالباب أمال اليها طرفه ولم ينع عنها صرفه ثم سايرته بعد ما رجع عن ذلك واقتصر فرأيته يغض البصر ويخلى الطريق معرضا الى ناحية منى فراجعته امرأة ولوحكت الشمس صاحبة فقلت له فى ذلك فقال

ذاك وقت قضيت فيه غرامى * من شبابى فى سترة الاظلام
ثم لما بدا الصباح لعينى * من مشيبى ودعته بسلام

ومن شعره فى صباه

لاترجوا رجعتى باللوم عن غرض * ولاتتركونى وصيدى فرصة الخلس
طلبتم رد قلبى عن صبابته * ومن يرد عنان الجامح الشرس

ولما أقصر بأطلله وعريت أفراس الصبا ورواحله قال

ولما بدا شيبى عففت عن الهوى * كما يهتدى حلف السرى بنجوم
وفارقت أشياع الصبابة والهلا * وملت الى أعلى علا وعلوم

ولما تألب بنوحسون على القاضى الوحيدى المذكور وصادر عنه العالم الاصولى أبو عبدالله بن الفخار وطلع فى حقه الى حضرة الامامة مراكش وقام فى مجلس أمير المسلمين ابن تاشفين وهو قد غص بأربابه وقال انه لمقام كريم نبدأ فيه بحمد الله على الدنو منه ونصلى على خيرة أنبيائه محمد الهادى الى الصراط المستقيم وعلى آله وصحابته نجوم الليل البهيم أما بعد فانا نحمد الله الذى اصطفاك للمؤمنين أميرا وجعلك للدين الحنيفى نصيرا وظهيرا ونفزع اليك عما دهمنا فى جنابك ونبث اليك ما ألحفنا من الضيم ونحن تحت ظل علاك وبابى الله ان يدهم من احتمى بأمير المسلمين و نصاب بضيم من ادرع بحصنه الحصين شكوى نقتبها بين يديك فى حق أمرك الذى عضده مؤيده لتسمع منها ماتختبره برأيك وتنقده وان قاضيك ابن الوحيدى الذى قدمته فى مالقة للاحكام ورضيت بعدله فيمن بها من الخاصة والعوام لم يزل يدل على حسن اختيارك بحسن سيرته و يرضى الله تعالى ويرضى الناس بظاهره وسريرته ما علمنا عليه من سوء ولا درينا له موقف خزى ولم يزل جار يا على ما يرضى الله تعالى ويرضيك ويرضينا الى أن تعرضت بنوحسون الى الطعن فى أحكامه والهذ من أعلامه ولم يعلموا أن اهتضام المقدم راجع على المقدم بل جمعوا فى لجاجهم فعموا وصموا وفعلوا ومضوا ما به هموا والى السحب يرفع الكف من قد جف عنه مسيل عين ونهر فلا سمعه بلاغة أعقبت نصره ونصر صاحبه * ومن شعر ابن الفخار المذكور يعرف بابن نصف الربض قوله

أمستنكر شيب المفارق فى الصبا * وهل ينكر النور المفتح فى الغصن
اظن طلاب المجد شيب مفرقى * وان كنت فى احدى وعشرين من سنى

وقوله اقبل عتابك ان الكريم * يجازى على حبه بالقبول

فلله عهد لأخيس بعهده فأطلقته وقالت شأنك وما أردت فاقتاد بلقاء سعد وأخرجها من باب القصر الذى يلى الخندق فركبها ثم دب عليها حتى اذا كان بحيال ميمنة المسلمين كبر ثم حمل على ميسرة القوم يلعب برمحه وسلاحه بين الصفين فأوقف ميسرتهم وقتل رجالا كثيرا من نساكهم ونكس آخرين والفريقان يرمقونه بأبصارهم وقد تنوزع فى البلقاء فمنهم من قال انه ركبها عريا ومنهم من قال بل ركبها بسرج ثم غاص فى المسلمين فخرج فى ميسرتهم وحمل على ميمنة القلب فأوقفهم وجعل يلعب برمحه وسلاحه لا يبدو له فارس الا هتكه فأوقفهم وهابته الرجال ثم رجع فغاص فى قلب المسلمين ثم برز أمامهم ووقف بازاء قلب المشركين ففعل مثل أفعاله فى الميمنة والميسرة وأوقف القلب حتى لم يبق زمنهم فارس الا اختطفه وحمل عن المسلمين الحرب فتعجب الناس منه وقالوا من هذا الفارس الذى لم نره فى يومنا فقال بعضهم هو ممن قدم علينا من اخواننا من الشأم من أصحاب هاشم ابن عتبة المرقال وقال بعضهم ان كان الخضر عليه السلام شهد الحرب وخل

وخل اجتنابك ان الزمان * يمر بتكديره ما احتلا
وواصل اخاك بعلاته * فقد يلبس الثوب بعد البلى
وقل كالذى قاله شاعر * نبيل وحقك ان تنبلا
اذا ما خليل اساءة * وقد كان فيما مضى مجملا
ذكرت المقدم من فعله * فلم يفسد الآخر الاولا

ولما وفد ابو الفضل بن شرف بن برجة فى زى تظهر عليه البداوة بالنسبة الى اهل حضرة المملكة المعظمى انشده قصيدته القافية

مطل الليل بوعد الغلق * وتشكى النجم طول الارق
ضربت ريح الصبا مسك الدجى * فاستعاد الروض طيب العبق
والاح الفجر خدا اخجلا * جال من رشح الندى فى عرق
جاور الليل الى انجمه * فتساقطن سقوط الورق
واستفاض الصبح فيه فيضة * أيقن النجم لها بالغرق
فانجلى ذاك الدنى عن حلك * وانمحى ذاك الدجى عن شفق
بأبى بعد الكرى طيف سرى * طارقا عن سكن لم يطرق
زارنى والليل ناع سدفه * وهو مطلوب بباقى الرمق
ودموع الطل تمرجا الصبا * وجفون الروض غرقى الحدق
فتأنى فى ازار ثابت * وتثنى فى وشاح قلق
وتجلى وجهه عن شعره * فتجلى فلق عن غسق
نهب الصبح دجى ليلته * فحبا الخد بيعض الشفق
سلبت عينا محدى سيفه * وتحلى خده بالرونق
وامتطى من طرفه ذا خبب * يلثم الغبراء ان لم يعنق
أشوس الطرف علته نخوة * يتهادى كالغزال الخرق
لو تملى بين أسراب المها * نازعته فى الحشا والعنق
حسرت دهمته عن غرة * كشفت ظلماؤها عن يقق
لبست أعطافه ثوب الدجى * وتحلى خده بالبرق
وانبرى تحسبه أجفل عن * لعة أو جنة أو ولق
مدركا بالمهل ما لا ينتهى * لاحقا بالرفق ما لم يلحق
ذو رضا مستتر فى غضب * ذو وقار منطوى فى خرق
وعلى خد كعضب أبيض * اذن مثل سنان أزرق
كلما نصبها مستمعا * بدت الشهب الى مسترق
حاذرت منه شباخطية * لا يجيد الخط ما لم يمشق
كلما شامت عذارى خده * خفقت خفق فؤاد فرق
فى ذرا ظمآن فيه هيف * لم يدعه للقصيب المورق

وانا وفدهم فى كل يوم * فان عتبوا فسل بهم وعريفا

٣١ ط نى

ولولا أن الملائكة لا تباشر الحروب لقلنا انه ملك وأبو محجن برز كالليث الضرغام قد هتك الفرسان كالعقاب يجول عليهم ومن حضر من فرسان المسلمين مثل عمرو ابن معديكرب وطليحة بن خويلد والقعقاع وهاشم ابن عتبة المرقال وسائر قبائل العرب وأبطالها ينظرون اليه وقد حارت فى أمره وجعل سعد يفكر و يقول وهو مشرف على الناس من فوق القصر والله لولا محبس أبى محجن لقلت هذا أبو محجن وهذه البلقاء فلما انتصف الليل تحاجز الناس وتراجعت الفرس على أعقابها وتراجع المسلمون الى مواضعهم على تعبيتهم ومصافهم وأقبل أبو محجن حتى دخل القصر من حيث خرج ولا يعلم به ورد البلقاء الى مربطها ووضع رجله فى القيد ورفع عقيرته وهو يقول

لقد علمت ثقيف غير فخر
بأنا نحن أكرمهم سيوفا
وأكرمهم دروعا سابغات
وأصبرهم اذا كرهوا الوقوفا
وليلة قادسية لم يشعروا بى
ولم أشعر بمهرجتى الزحوفا
فان أحبس فذلكم بلائى

يتلقانى بكف مصقع * يقتنى شأو عذار مفلق
ان يدر دورة طرف يلتمع * أو يجل جول لسان ينطق
عصفت ريح على اثبوبه * وجرت أكعبه فى زئبق
كلما قلبه باعدعن * متن ملساء كمثل البرق
جمع السرد قوى أزرارها * فتأخذن بعهد موثق
أوجبت فى الحرب من وخز القنا * فتوارت حلقا فى حلق
كلما دارت بها أبصارها * صورت منها مثال الحدق
زل عنه متن مصقول القوى * يرتمى فى مائها بالحرق
لونضا وهو عليه ثوبه * لتعرى عن شواظ محرق
اكمب من هبوات أخضر * من فرند أحمر من علق
وارتوت صفحاه حتى خلته * بحيا من لكفيك سقى
يابنى معن لقد ظلت بكم * شجر لولاكم لم تورق
لوسقى حسان احسانكم * مابكى ندمانه فى جلق
أودنا الطائى من حيكم * ماحدا البرق لربع الابرق
أبدعوا فى الفضل حتى كلفوا * كاهل الايام مالم يطق

فلما سمعها المعتصم لعبت بارتياحه وحسده بعض من حضر وكان من جملة من حسده ابن أخت غانم فقال له من أى البوادى أنت قال أنا من الشرف فى الدرجة العالية وان كانت البادية على بادية ولا أنكر خالى ولا أعرف بخالى فمات ابن اخت غانم خجلا وشمت به كل من حضر وابن شرف المذكور هو الحكيم الفيلسوف أبو الفضل جعفر ابن أديب افريقية أبى عبد الله محمد بن شرف الجذامى ولد ببرجة وقيل انه دخل الاندلس مع ابيه وهو ابن سبع سنين ومن نظمه قوله

رأى الحسن مافى خده من بدائع * فاعجبه ماضم منه وحرفا
وقال لقد ألفيت فيه نوادرا * فقلت له لا بل غريبا مصنفا

وقوله

قد وقف الشكر بى لديكم * فلست أقوى على الوفاده
وملت أقصى المراد منكم * فصرت أخشى من الزياده

وقوله

اذا ماعدوك يوما سما * الى رتبة لم تطق نقضها
فقبل ولا تأنفن كفه * اذا أنت لم تستطع عضها

وقوله وقد تقدم به على كل شاعر

لم يبق للجور فى أيامهم أثر * غير الذى فى عيون الغيد من حور

وأول هذه القصيدة قوله

قامت تجر ذيول العصب والحبر * ضعيفة الخصر والميثاق والنظر

وكان قد قصر أمداحه على المعتصم وكان يغدو عليه فى الاعياد وأوقات الفرج والفتوحات فوفد عليه مرة يشكو عاملا ناقشه فى قرية يحرث فيها وأنشده الرائية التى مر مطلعها الى أن بلغ

وان أترك أذيقهم الحتوفا
والله ماحبسنى بحرام
أكلته ولا شربته ولكنى
كنت صاحب شراب فى
الجاهلية وأنا امرؤ شاعر
يدب الشعر على لسانى
فأصف القهوة وتداخلنى
أريحية فأتلذ بمدحى
اياها فلذلك حبسنى لانى
قلت فيها
اذا مت فادفنى الى جنب
كرمة
تروى عظامى بعد موتى
عروقها
ولا تدفنى بالفلاة فانى
أخاف اذا مامت أن
لا أذوقها

وهى أبيات وقد كان بين سلمى وسعد كلام كثير أوجب غضبه عليها لذكرها المثنى عند مختلف المقنا فأقامت مغاضبة له عشية ازمار وليلة الهدار وليلة السوادحتى اذا أصبحت أتته فرضته وصالحته ثم أخبرته خبرها مع أبى محجن فدعا به فاطلقه وقال اذهب فانا مؤاخذك بشئ تقوله حتى تفعله قال لاجرم والله لا أجبت لسانى الى صفة قبيح أبدا وأصبح الناس فى اليوم الثالث وهم على مصافهم وهو يوم عماس وأصبحت الاعاجم على مواقفها وأصبح بين الفريقين كالدجلة العوراء والفرات فى عرض مابين الصفين وقد قتل من

قوله

قوله لم يبق للبعير البيت فقال له كم فى القرية التى تحرث فيها فقال فيها نحو خمسين بيتا فقال له أنا أسوغلك جميعها لهذا البيت الواحد ثم وقع له بها وعزل عنها نظر كل وال وله ابن فيلسوف شاعر مثله وهو أبو عبد الله محمد بن الفضل المذكور وهو القائل

وكريم أجارنى من زمان * لم يكن من خطوبه لى بد
منشد كلما أقول تناهى * مالمن يبتغى المكارم حد

وابن أخت غانم هو العالم اللغوى أبو عبد الله محمد بن معمر من أعيان مالقة متفنن فى علوم شتى الا أن الغالب عليه علم اللغة وكان قد رحل من مالقة الى المرية فحل عند ملكها المعتصم بن صمادح بالمكانة العلية وهو القائل فى ابن شرف المذكور

قولوا لشاعر برجة هل جاء من * أرض العراق فخاز طبع البحترى
وافى بأشعار تضج بكفه * وتقول هل أعزى لمن لم يشعر
ياجعفرا رد القريض لاهله * واترك مباراة لتلك الابحر
لاتزعمن مالم تكن أهلا له * هذا الرضاب لغير فيك الابخر

وذكره ابن اليسع فى مغربه وقال انه حدثه بداره فى مالقة وهو ابن مائة سنة وأخذ عنه عام أربعة وعشرين وخمسمائة وله تآليف منها شرح كتاب النبات لابى حنيفة الدينورى فى ستين مجلدا وغير ذلك * وغانم خاله الذى يعرف به هو الامام العالم غانم المخزومى نسبه لشهرة ذكره وعلو قدره ولما قرأ العالم الشهير أبو محمد بن عبدون فى أول شبابه على أبى الوليد بن ضابط النحوى المالقى جرى بين يديه ذكر الشعر وكان قد ضجر منه فقال

الشعر خطة خسف فقال ابن عبدون معرضا به حين كان مستجديا بالشعر وكان اذذاك شيخا

لكل طالب عرف
للشيخ عيبة عيب * وللفتى ظرف ظرف

وابن ضابط هو القائل فى المظفر بن الافطس

نظمنا لك الشعر البديع لاننا * علمنا بأن الشعر عندك ينفق
فان كنت منى بامتداح مظفرا * فانى فى قصدى اليك موفق

ودخل غانم المخزومى السابق ذكره وهو من رجال الذخيرة على الملك ابن حيوس صاحب غرناطة فوسع له على ضيق كان فى المجلس فقال

صير فؤادك للمحبوب منزلة * سم الخياط مجال للمحبين
ولا تسامح بغيضا فى معاشرة * فقلما تسع الدنيا بغيضين

وهو القائل

وقد كنت أغدو نحو قطرك فارحا * فها أنا أغدو نحو قبرك ثاكلا
وقد كنت فى مدحيك سحبان وائل * فها أنا من فرط التأسف باقلا

وله أيضا

الصبر أولى بوقار الفتى * من ملك يهتك ستر الوقار
من لزم الصبر على حالة * كان على أيامه بالخيار

فقال سعد أيها الناس من شاء غسل الشهيد الميت والرثيث ومن شاء فليدفنهم بدمائهم وأقبل المسلمون على قتلاهم فاحرزوهم وجعلوهم وراء ظهورهم وكان النساء والصبيان يدفنون الشهيد ويحملون الرثيث الى النساء ويعالجن فى كلومهم وكان بين موضع الوقعة مما يلى القادسية وبين حصن العذيب نخلة فاذا حمل الجريح وفيه تمييز وعقل ونظر الى تلك النخلة ولم يكن هنالك يومئذ نخلة غيرها واليوم بها نخل كثير قال لحامله قد قربت من السواد فأريحونى تحت ظل هذه النخلة فيرتاح تحتها ساعة فسمع رجل من الجرحى يقول

ألا فاسلمى يانخلة بين فارس
وبين العذيب لايجاورك النخل

وسمع آخر من بنى تيم الله وقد أريح تحتها وحشوته خارجة من جوفه وهو يقول

أيانخلة الجرحى ويانخلة العدا
سقتك الغوادى والغيوث الهواطل

وأتحف الاعور بن قطنة نخل من المعركة فسأل حامله أن يريحه تحتها فلما بلغ اليها قال

وكتب أبو على الحسن بن الغليظ الى صاحبه ابى عبد الله بن السراج وقد قدم من سفر

يا من أقلب طرفى فى محاسنه * فلا أرى مثله فى الناس انسانا
لو كنت تعلم ما لاقيت بعدك ما * شربت كاسا ولا استحسنت ريحانا

فورد عليه من حينه وقال أردت مجاوبتك فخفت أن أبطئ وصنعت الجواب فى الطريق

يا من اذا ما سقتنى الراح راحته * أهدت الى بها روحا ورحانا
من لم يكن فى صباح البين يأخذها * فليس عندى بحكم الظرف انسانا
فكن على حسن هذا اليوم مصطبحا * مذاكرا حسنا فيه واحسانا
وفى البساتين ان ضاق المحل بنا * مندوحة لا عدمنا الدهر بستانا

ووفد أبو على الحسن بن كسر بن المالقى المشهور على ملك اشبيلية السيد أبى اسحق ابراهيم ابن أمير المؤمنين يوسف ابن أمير المؤمنين عبد المؤمن بن على فأنشده قصيدة طار مطلعها فى الاقطار كل مطار وهو

قسما بحمص انه لعظيم * فهى المقام وأنت ابراهيم

ووصف الشاعر عطاء المالقى غادة جعلت على رأسها تاجا فقال

وذات تاج رصعوا دوره * فزاد فى لألائها باللآل
كانها شمس وقد توجت * بأنجم الجوزاء فوق الهلال
قد اشتكى الخلخال منها الى * سوارها فاشتبها فى المقال
وأجر ياذكر الوشاح الذى * ما زل من خصرها فى مجال
فقال لم ارض بما نلته * وليتنى مثلك ما ارال
اغص بالخصر وأعيابه * كغص ظمآن بماء زلال
وانما الدهر بغير الرضا * يقضى فكل غير راض بحال

وهو القائل

سل بحمامنا الذى * كل عن شكره فمى
كم ارانى بقربه * جنة فى جهنم

وكان يحضر حلقة الامام السهيلى وضى الوجه من تلامذته فانقطع لعارض فخرج السهيلى مارا فى الطريق الذى جرت عادته بالمشى فيه فوجد قناة تصلح فمنعته من المرور فرجع وسلك طريقا آخر فمر على دار تلميذه الوضى فقال له بعض اصحابه مما زحا بعبوره على منزله فقال نعم وانشد ارتجالا

جعلت طريقى على بابه * ومالى على بابه من طريق
وعاديت من اجله جيرتى * وآخيت من لم يكن لى صديق
فان كان قتلى حلالا لكم * فسيروا بروحى سيرا رفيق

وابو القاسم السهيلى مشهور عرف به ابن خلكان وغيره ويكنى ايضا بأبى زيد وهو صاحب كتاب الروض الانف وغيره واجتاز على سهيل وقد خرج به العدو لما اغار عليه وقتلوا اهله واقاربه وكان غائبا عنهم فاستأجر من اركبه دابة واتى به اليه فوقف باوائله وانشد

يا دار

أيا نخلة بين العقيب فتلعة * سقتك الغوادى الداجنات من الفسل

وأصبح الناس صبيحة يوم القادسية وهى صبيحة ليلة الهرير وهى تسمى ليلة القادسية من تلك الايام والناس حيارى ولم يغمض لليلتهم كلها وحرض رؤساء القبائل عشائرهم واشتد الجلاد الى أن جاء وقت الزوال فكان أول من زال حين قام قائم الظهيرة المرزبان فتأخر وسار حتى انتهى وانفرج القلب حين قام قائم الظهيرة وهبت ريح عاصف فقطعت طيارة رستم عن سريره فهوت فى نهر العقيق والريح دبور فسال الغبار عليهم وانتهى القعقاع وأصحابه الى سرير رستم فعثروا به وقد قام رستم عنه حين طارت الريح بالطيارة التى بغال قد قدمت عليهم بمال يومئذ فهى واقفة فاستظل فى ظل بغل منها وحمله وضرب هلال بن علقمة الجمل الذى رستم فى ظله فقطع حباله ووقع على رستم أحد العدلين ولا يراه هلال ولا يشعر به فأزال من ظهره فقاره ومضى رستم الى نحو نهر العقيق فرمى بنفسه فيه واقتحم هلال عليه فتناوله برجله ثم خرج به الى الخندق وضربه بالسيف حتى قتله ثم جاء به يجره حتى رماه بين أرجل البغال وصعد السرير ونادى قتلت رستم ورب الكعبة الى آلى

يادار أين البيض والآرام * أم أين جيران على كرام
راب الحبب من المنازل انه * حيا فلم يرجع اليه سلام
لما أجابني الصدى عنهم ولم * يبلغ المسامع للحبيب كلام
طارت ورق حمامها مترنما * بمقال صب والدموع سجام
يادار ما فعلت بك الايام * ضامتك والايام ليس تضام

وجرى بين السهيلي والرصافي الشاعر المشهور ما اقتضى قول الرصافي

عفا الله عني فاني امرؤ * اتيت السلامة من بابها
على أن عندي ان هاجني * كنائن غصت بنشابها
ولو كنت ارمي بها مسلما * لكان السهيلي اولى بها

وتوفي السهيلي بمراكش سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة وزرت قبره بها مرارا سنة عشر والف وسكر رحمه الله تعالى اشبيلية مدة ولازم القاضي ابابكر بن العربي وابن الطراوة وعنه اخذ لسان العرب وكان ضريرا ومن شعره ايضا لما قال كيف أمسيت مكان كيف اصبحت

ان قلت صبحا كيف امسيت مخطئا * فما انا في ذاك الخطا بملوم
طلعت وافني مظلم لفراقكم * فخلتك بدرا والمساء همومي

*وحكي ان الوزير الكاتب ابا الفضل بن حسداي الاسلامي السرقسطي وهو من رجال الذخيرة عشق جارية ذهبت بلبه وغلبت على قلبه فجن بها جنونه وخلع عليها ادبه وعلم بذلك صاحبها فزفها اليه وجعل زمامها في يديه فتنامى عن موضعه من وصلها أنفة من أن يظن الناس أن اسلامه كان من أجلها فحسن ذكره وخفي على كثير من الناس أمره ومن شعره قوله

وأطر بناغيم يمازج شمسه * يستطورا بالسحاب ويكشف
ترى قزحا في الجو يفتح قوسه * مكبا على قطن من الثلج يندف

وكان في مجلس المقتدر بن هود ينظر في مجلد فدخل الوزير الكاتب أبو الفضل بن الدباغ وأراد أن يندر به فقال له وكان ذلك بعد اسلامه يا أبا الفضل ما الذي تنظر فيه من الكتب لعله التوراة فقال نعم وجلدها من جلد دبغه من تعلم فغات خجلا وضحك المقتدر وأراد الشاعر أبو الربيع سليمان السرقسطي حضور نديم له فكتب اليه

بالراح والريحان والياسمين * وبكرة الندمان قبل الاذين
وبهجة الروض بأنداته * مقلدا منه بعقد ثمين
الا أجب بقاندائي الى الـ ـكاس تبدت لذة الشاربين
هامت بها الاعين من قبل أن * يخبرها الذوق بحق اليقين
لاحت لدينا شفقا معلنا * فكن لها بالله صحابي بين

وكتب علي بن خير التطيلي الى ابن عبد الصمد السرقسطي يستدعيه الى مجلس أنس انا أطال الله تعالى بقاء الكاتب سراج العلم وشهاب الفهم في مجلس قد عبقت تفاحه وضحكت راحه وخفقت حولنا الاطراب الوية وسالت بيننا اللهو أودية وحضرتنا مقلة

وانهزموا وأخذهم السيف من غرق وقتيل وقد كان ثلاثون الفا منهم قرنوا انفسهم بعضهم الى بعض بالسلاسل والحبال وتحالفوا بالنور وبيوت النيران لا يبرحون حتى يقتلوا أو يقتلوا فمشوا على الركب وقرع بين ايديهم قنابيل النشاب فقتل القوم جميعا (وقد تنوزع) فيمن قتل رستم فذهب الاكثر الى ان قاتله هلال بن علقمة بن تيم الرباب على ما قدمناه ومنهم من رأى ان قاتله رجل من بني اسد ولذلك يقول شاعرهم في ذلك اليوم وهو عمرو بن شاس الاسدي من ابيات

جلينا الخيل في اكناف هف
الى كسرى بوانقها رعالا
تركن بهم على الاصنام سحرا
وبالحقوين أياما طوالا
قتلنا رستما وبنيه قسرا
تثير الخيل فوقهم المعالا
تركنا منهم حيث التقينا
قيا ما لا يريدون ارتحالا

وأخذ ضرار بن الخطاب في ذلك اليوم من فارس الراية العظمى المقدم ذكرها أنها من جلود النمور المعروفة بدرفس كاسان وكانت مرصعة بالياقوت واللؤلؤ وأنواع الجوهر فعوض منها بثلاثين ألفا وكانت قيمتها ألفي ألف ومائتي ألف وقتل في ذلك اليوم حول هذه الراية

تسأل منك انسانها وصحيفة فلئن عنوانها فان رأيت أن تجعل الينا القصد لتحصل بك فى جنة الخلد صقلت نفوسا أصداها بعدك وأبرزت شمسا أدجاها فقدك فأجابه ابن عبد الصمد فضضت أيها الكاتب العليم والمصقع المخبر الصميم طابع كتاب ضمنى منه جوهر منتخب لا يشوبه مخشلب هو السحر الا انه حلال دل على ودحنيت ضلوعك عليه ووثيق عهد انتدب كريم سجيتك اليه فسالت فالق الحب وعام القلب بالحب أن يصوب لى حظى منك ويدر الى النوائب عنك ولم يمنعنى أن أصرف وجه الاجابة الى مرغوبك وامتطى جواد الانحدار الى محبوبك الا عارض ألم ألم بى فقيد بقيده نشاطى وتركنى أتحامل على فراشى كالسليم واستمطر الاصباح من الليل البهيم وانا منتظر لادباره (ومن لطف اهل الاندلس ورقة طباعهم) ماحكاه ابو عمر وبن سالم المالقى قال كنت جالسا بمنزلى بمالقة فهاجت نفسى أن اخرج الى الجبانة وكان يوما شديد الحر فراودتها على القعود فلم تمكنى من القعود فمشيت حتى انتهيت الى مسجد يعرف برابطة الغبار وعنده الخطيب ابو محمد عبد الوهاب بن على المالقى فقال لى انى كنت ادعو الله تعالى ان يأتينى بك وقد فعل فالحمد لله فأخبرته بما كان منى ثم جلست عنده فقال انشدنى فأنشدته لبعض الاندلسيين

غصبوا الصباح فقسموه خدودا * واستوعبوا قضب الاراك قدودا
وراوا حصا الياقوت دون نحورهم * فتقلدوا شهب النجوم عقودا
لم يكفهم حد الاسنة والظبا * حتى استعاروا أعينا وخدودا

فصاح الشيخ وأغمى عليه وتصبب عرقا ثم أفاق بعد ساعة وقال يابنى اعذرنى فشيئان يقهرانى ولا أملك نفسى عندهما النظر الى الوجه الحسن وسماع الشعر المطبوع انتهى وستأتى هذه الابيات فى هذا الباب أتم من هذا وعلى كل حال فهى لاهل الاندلس لا لابن دريد كما ذكره بعضهم وسياتى تسمية صاحبها الاندلسى كما فى كتاب المغرب لابن سعيد العنسى المشهور رحمه الله تعالى وقال بعض الادباء ليحيى الجزار وهو يبيع لحما ضأن لحم اناث الكباش مهزول فقال يحيى يقول للمشترين مهزولوا وقال التطيلى الاعمى فى وصف أسد رخام يرمى بالماء على بحيرة

أسد ولو أنى أنا * قشه الحساب لقلت صخره
وكانه أسد السما * ء يمج من فيه المجره

وحضر جماعة من أعيان الادباء مثل الابيض وابن بقى وغيرهما من الوشاحين واتفقوا على أن يصنع كل واحد منهم موشحة فما أنشد الاعمى موشحته التى مطلعها

ضاحك عن جمان * سافر عن بدر
ضاق عنه الزمان * وحواه صدرى

خرق كل منهم موشحته وتحاكمت امرأة الى القاضى أبى محمد عبد الله الازدى الاصبحى وكانت ذات جمال ونادرة فحكم لزوجها عليها فقالت له من يضيع قلبه كل طرف فاتر جدير أن يحكم بهذا تشير الى قوله

أين قلبى أضاعه كل طرف * فاتر يصرع الحليم لديه

والعذيب فذهب كثير من الناس الى ان ذلك كان فى سنة خمس عشرة ومنهم من رأى انه كان فى سنة أربع عشرة والذى قطع عليه محمد بن اسحق انها كانت فى خمس عشرة وقال فى سنة أربع عشرة أمر عمر بن الخطاب بالقيام فى شهر رمضان لصلاة التراويح وذهب كثير من الناس منهم المدائنى وغيره أن عمر أنفذ عتبة بن غزوان فى سنة أربع عشرة الى البصرة فنزلها ومصرها وذهب كثير من الناس انها مصرت فى ربيع سنة ست عشرة وان عتبة بن غزوان انما خرج اليها من المدائن بعد فراغ سعد بن أبى وقاص من حرب جلولاء وتكريت وان عتبة قدم البصرة وهى يومئذ تدعى أرض الهند وفيها حجارة بيض فنزل موضع الحربية ومصر سعد بن ابى وقاص الكوفة فى سنة خمس عشرة ودلهم على موضعها نفيلة الغسانى وقال لسعد أدلك على أرض ارتفعت عن البر وانحدرت عن الفلاة فدله على موضع الكوفة الى اليوم (قال المسعودى) وكان عمر لا يترك أحدا من العجم يدخل المدينة فكتب اليه المغيرة بن شعبة ان عندى غلاما كاتبا

كلما ازداد ضعفه ازداد فتكا * اي صبر ترى يكون عليه

وحضر ابو اسحق بن خفاجة مجلسا بمرسية مع ابي محمد جعفر بن عنق الفضة الفقيه السالمي وتذاكروا فاستطال ابن عنق الفضة ولعب باطراف الكلام ولم يكن ابن خفاجة يعرفه فقال له يا هذا لم تترك لاحد حظا في هذا المجلس فليت شعري من تكون فقال أنا القائل

الهوى علمني سهد الليال * ونظام الشعر في هذي اللآل
كلما هبت شمال منهم * لعبت بي عن يمين وشمال
وأرقت فكرتي أرواحها * فأتت منهن بالسحر الحلال
كان كا لملح اجاجا خاطري * وسحاب الحب أبدته زلال

فاهتز ابن خفاجة وقال من يكون هذا قوله لا ينبغي أن يجهل ولك المعذرة في جهلك فانك لم تعرفنا بنفسك فبالله من تكون فقال أنا فلان فعرفه وقضى حقه وحكى ابن غالب في فرحة الانفس ان الوزير ابا عثمان بن شنتغير وابا عمر بن عبد شلب وفدا رسولين على المعتمد بن عباد عن اقبال الدولة بن مجاهد والمعتصم بن صمادح والمقتدر بن هود لاصلاح ما كان بين المعتمد وبين ابن ذي النون فسر المعتمد بهم واكرمهم ودعاهم الى طعام صنعه لهم وكان لا يظهر شرب الراح منذ ولي الملك فلما رأوا انقباضه عن ذلك تحاموا الشراب فلما امر بكتب أجوبتهم كتب له ابو عامر

بقيت حاجة لعبد رغيب * لم يدع غيرها له من نصيب
هي خيرية المساء حديثا * وأنا في الصباح أخشى رقيبي
فاذا أمس كان عندي نهارا * لم تخفني عليه بعد الغروب
واذا الليل جن حدثت جلا * سي بما كان من حديث غريب
قيل ان الدجى لديك نهار * وكذاك الدجى نهار الاريب
فتمنيت ليلة ليس فيها * لذكا ذلك السنى من مغيب
حيث أعطيك في الخلاء وتعطيني مداما كمثل ريق الحبيب
ثم أغدو كاني كنت في النو * م وأخفي المنام خوف هزيب

والهزيب الرقيب العتيد في كلام أهل الاندلس فسر المعتمد وانبسط بانبساطه وضحك من مجونه وكتب اليه

يا مجابا دعا الى مستجيب * فسمعنا دعاءه من قريب
ان فعلت الذي دعوت اليه * كنت فيما رغبت عين رغيب

واستحضره فنادمه خاليا وكساه ووصله وانقلب مسرورا وظن المعتمد أن ذلك يخفى من فعله عن ابن شنتغير فاعلمه بالامر القائد بن مرتين فكاد يتفطر حسدا وكتب الى المعتمد

أنا عبد وليته كل بر * لم تدع من فنون برك فنا
غير رفع الحجاب في شربك الرا * ح فاذا جئته أن يتمنى
وتمني شراب سؤرك في الكا * س فبالله أعطه ما تمنى

فسر به أبياته وأجابه

وقد كان المغيرة جعل عليه كل يوم درهمين وكان يدعى أبا لؤلؤة وكان مجوسيا من أهل نهاوند فلبث ما شاء الله ثم أتى عمر يشكو اليه ثقل خراجه فقال له عمر وما تحسن من الاعمال قال نقاش نجار حداد فقال له عمر ما خراجك بكثير في كنه ما تحسن من الاعمال فضى عنه وهو مدبر فقال ثم مر بعمر يوما آخر وهو قاعد فقال له عمر ألم احدث عنك أنك تقول لو شئت ان اصنع رحا تطحن بالريح لفعلت فقال أبو لؤلؤة لاصنعن لك رحا يتحدث الناس بها ومضى ابو لؤلؤة فقال عمر اما العلج فقد توعدني آنفا فلما ازمع بالذي اوعده به أخذ خنجرا فاشتمل عليه ثم قعد لعمر في زاوية من زوايا المسجد في الغلس وكان عمر يخرج في السحر فيوقظ الناس فخرج به فثار اليه فطعنه ثلاث طعنات احداهن تحت سرته وهي التي قتلته وطعن اثني عشر رجلا من أهل المسجد فمات منهم ستة وبقي ستة ونحر نفسه بخنجره فمات فدخل عليه ابنه عبد الله ابن عمر وهو يجود بنفسه فقال له يا أمير المؤمنين استخلف على امة محمد فانه لو جاءك راعي ابلك أو غنمك وترك ابله او غنمه لا راعي بها لمته وقلت له

فقد استخلف أبو بكر وان اتركهم فقد تركهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيئس منه عبد الله حين سمع ذلك منه (وكان اسلام عمر) قبل الهجرة باربع سنين وكان يخضب بالحناء والكتم وكان له من الولد عبد الله وحفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وعاصم وفاطمة وزيد من ام وعبد الرحمن وفاطمة وبنات اخر وعبد الرحمن الاصغر وهو المحدود في الشراب وهو المعروف بابي شحمة من ام (وذكر عبد الله بن عباس) ان عمر ارسل اليه فقال يا ابن عباس ان عاملي حمص هلك وكان من أهل الخير واهل الخير قليل وقد رجوت أن تكون منهم وفي نفسي منك شئ لم أره منك واعياني ذلك فما رأيك في العمل قال لن اعمل حتى تخبرني بالذي في نفسك قال وما تريد الى ذلك قال اريده فان كان شيأ أخاف منه على نفسي خشيت منه عليها الذي خشيت وان كنت بريأ من مثله علمت اني لست من أهله فقبلت عملك هنالك فاتى فلما رأيت اوظننت شيأ الا عاينته فقال يا ابن عباس اني خشيت ان ياتي على الذي هو آت وأنت في عملك فتقول هلم الينا

يا كريم الخل في كل معنى * والكريم الخل ليس يعني
هذه الخمر تبتغيك فخذها * أو فدعها أو كيفما ماشئت كنا

وكان يقرأ في مجلس ملك السهلة ابي مروان بن رزين ذي الرياستين ديوان شعر محمد بن هانئ وكان القارئ فيه بله فلما وصل الى قوله * حرام حرام زمان الفقير * اتفق أن عرض للملك ما اشتغل به فقال للقارئ اين وقفت فقال في حرام فقام الملك وقال هذا موضع لا أقف سمعك فيه ادخل أنت وحدك ثم دخل الى قصره وانقلب المجلس ضحكا وكان للملك المذكور وزير من أعاجيب الدهر وهو الكاتب أبو بكر بن سدراى وذكره الحجاري في المسهب وقال ان له شعرا أرق من نسيم السحر وأندى من الطل على الزهر ومنه قوله

ماضركم لو بعثتم * ولو بأدنى تحيه
تهزني من شذاها * اليكم الاريحيه
خذوا سلامي اليكم * مع الرياح الندية
في كل سحرة يوم * تترى وكل عشية
يارب طال اصطباري * ما الوجد الا بليه
غيلان بالشرف أضحى * وحلت الغرب ميه

وقوله

سابغي المجد في شرق وغرب * فمساعي الفتى دون اغتراب
فان بلغت مأمولا فاني * جهدت ولم اقصر في الطلاب
وان انا لم افز بمراد سعي * فكم من حسرة تحت التراب

وقال ملك بلنسية مروان بن عبد العزيز لما ولي مكانه من لا يساويه

ولا غرو بعدي أن يسود معشر * فيضحى لهم يوم وليس لهم امس
كذاك نجوم الجو تبدو وتزدهرا * اذا ما توارت في مغار بها الشمس

وقال ابن دحية دخلت عليه وهو يتوضأ فنظر الى لحيته وقد اشتعلت بالشيب اشتعالا فانشد لنفسه ارتجالا

ولما رايت الشيب أيقنت أنه * نذير لجسمي بانهدام بنائه
اذا ابيض مخضر النبات فانه * دليل على استحصاده وفنائه

واعتل ابن ذي الوزارتين ابي عامر بن الفرج وزير المأمون بن ذي النون وهو من رجال الذخيرة والقلائد فوصف له ان يتداوى بالخمر العتيق وبلغه ان عند بعض الغلمان منها شيأ فكتب اليه يستهديه

ابعث بها مثل ودك * ارق من ماء خدك
شقيقة النفس فانضح * بها جوى ابني وعبدك

وهو القائل معتذرا عن تخلفه عمن جاءه منذرا

ما تخلفت عنك الا لعذر * ودليلي في ذاك خوفي علكا
هبك أن الفرار من غير عذر * اتراه يكون الا اليكا

وله من رسالة هنأ

اهنئ بالعيد من وجهه * هو العيد لولاح لى طالعا
وادعو الى الله سبحانه * بشمل يكون لنا جامعا

وكتب الى الوزير الحصرى يستدعيه ان يكون من ندمائه فكتب اليه الوزير الحصرى يستعلمه اليوم فلما اراده كتب اليه

هاقد اهبت بكم وكلكم هوى * واحقكم بالشكر منى السابق
كالشمس انت وقد اظل طلوعها * فاطلع وبين يديك فجر صادق

وله فى رئيس مرسية ابى عبد الرحمن بن طاهر وكان ممتع المحالسة كثير النادرة

قد رأينا منك الذى قد سمعنا * فغدا الخبر عاضد الاخبار
قد وردنا لديك بحرا غميرا * وارتقينا حيث النجوم الدرارى
ولكم مجلس لديك انصرفنا * عنه مثل الصباح عن الازهار

وشرب الاديب الفاضل ابو الحسن على بن حريق عشية مع من يهواه ورام الانفصال عنه لداره فمنعه سيل حال بينه وبين داره فبات عنده على غير اختياره فقال ابن حريق

ياليلة جادت الليالى * بهاء على رغم أنف دهرى
للسيل فيها على نعمى * يقصر عنها لسان شكرى
أبات فى منزلى حبيبى * وقام فى أهله بعذر
فبت لا حالة كحالى * ضجيع بدر صريع سكر
ياليلة القدر فى الليالى * لأنت خير من ألف شهر

ومن حسنات ابن حريق المذكور قوله

ياريح من بالمغرب الاقصى نوى * حلف النوى وحبيبه بالمشرق
لولا الحذار على الورى لالمت ما * بينى وبينك من زفير محرق
وسكبت دمعى ثم قلت لسكبه * من لم يذب من زفرة فليغرق
لكن خشيت عقاب ربى ان أنا * أحرقت أو أغرقت من لم أخلق

وله لم يبق عندى للصبابة * الا الاحاديث على الخمر
وله فقبلت اثرك فوق الثرى * وعانقت ذكرك فى مضجعى
وله ان ما كان فى وجنتها * وردته السن حتى نشفا
وذوى العناب من أنملها * فاعادته الليالى حشفا

وأورد له أبو بحر فى زاد المسافر قوله

كلمته فاحمر من خجل * حتى اكتسى بالسعد الورق
وسألته تقبيل راحته * فأبى وقال أخاف أحترق
حتى زفيرى عاق عن أملى * ان الشفاء بريقه شرق

وقوله فى السواقى

وكأنما سكن الاراقم جوفها * من عهد نوح مدة الطوفان
فاذا رأينا الماء يطفح نضنضت * من كل خرق حية بلسان

وتركتكم قال والله قد رأيت من ذلك فلم تراه فعل ذلك قال والله ما أدرى أضن بكم عن العمل فأهل ذلك أنتم أم خشى ان تبايعوا بمنزلتكم منه فيقع العقاب ولا بد من عتاب فقد قرعت لك قال فما رأيك قال قلت اراني لا اعمل لك قال ولم قلت ان عملت لك وفى نفسك ما فيها لم ابرح قذى فى عينك قال فأشر على قلت انى ارى ان تستعمل صحيحا منك صحيحا لك (وذكر) علقمة بن عبد الله المزنى عن معقل بن يسار أن عمر بن الخطاب شاور الهرمزان فى فارس واصبهان وادربيجان فقال له اصبهان الرأس وفارس واذربيجان الجناحان فان قطعت احد الجناحين نأى الرأس بالجناح الآخر وان قطعت الرأس وقع فابدأ بالرأس فدخل المسجد فاذا هو بالنعمان بن مقرن يصلى فقعد الى جنبه فلما قضى صلاته قال ما أرانى الا مستعملك قال أما جابيا فلا ولكن غازيا قال فانك غاز فوجهه وكتب الى أهل الكوفة أن يمدوه وبعث معه الزبير بن العوام

 وعمرو بن معديكرب وحذيفة وابن عمر والاشعث بن قيس فارسل النعمان المغيرة بن شعبة الى ملكهم

وقال الفيلسوف أبو جعفر بن الذهبى فيمن جمع بينه وبين أحد الفضلاء

أيها الفاضل الذى قد هدانى * نحو من قد حمدته باختيار
شكر الله ما أتيت وجازا * ك ولازلت نجم هدى لسارى
أى برق أفاد أى غمام * وصباح أدى لضوء نهار
واذا ما النسيم كان دليلى * لم يحلنى الا على الازهار

وأنشد أبو عبد الله محمد بن عبادة الوشاح المعتصم بن صمادح شعرا يقول فيه

ولولم أكن عبد الآل صمادح * وفى أرضهم أصلى وعيشى ومولدى
لما كان لى الا اليهم ترحل * وفى ظلهم أمسى وأضحى وأغتدى

فارتاح وقال يا ابن عبادة ما أنصفناك بل أنت الحر لا العبد فاشرح لنا فى أملك فقال أنا عبدكم كما قال ابن نباتة

لم يبق جودك لى شيأ أؤمله * تركتنى أصحب الدنيا بلا أمل

فالتفت الى ابنه الواثق يحيى ولى عهده وقال اذا اصطنعت الرجال فمثل هذا فاصطنع ضمه اليك وافعل معه ما تقتضيه وصيتى به ونبهنى اليه كل وقت فأقام نديما ولى العهد المذكور وله فيهما الموشحات المشهورة كقوله

كم فى قدود البان تحت اللثم من أقمر عواطى
بأغصل وبنان مثل العنم لم تنبرى للعاطى

ولما بلغ المعتصم أن خلف بن فرج السميسر هجاه احتال فى طلبه حتى حصل فى قبضته ثم قال له انشدنى ما قلت فى فقال له وحق من حصلنى فى يدك ما قلت شرا فيك وانما قلت

رأيت آدم فى نومى فقلت له * أبا البرية ان الناس قد حكموا
أن البرابر نسل منك قال اذن * حواء طالقة ان كان ما زعموا

فأباح ابن بلقين صاحب غرناطة دمى فخرجت الى بلادك هاربا فوضع على من أشاع ما بلغك عنى لتقتلنى أنت فيدرك ثاره منك ويكون الاثم عليك فقال وما قلت فيه خاصة مضافا الى ما قلته فى عامة قومه فقال لما رأيته مشغوفا بتشييد فلعته التى يتحصن فيها بغرناطة قلت

يبنى على نفسه سفاها * كأنه دودة الحرير

فقال له المعتصم لقد أحسنت فى الاساءة اليه فاختر هل أحسن اليك وأخلى سبيلك أم أجيرك منه فارتجل

خيرنى المعتصم * وهو بقصدى أعلم
وهو أن يجمع لى * أمنا ومنا أكرم

فقال خاطرك خاطر شيطان ولك الامن والامان فأقام فى احسانه بأوطانه حتى خلع عن ملكه وسلطانه ولما أنشده عمر بن الشهيد قصيدته التى يقول فيها

سبط البنان كأن كل غمامة * قد ركبت فى راحتيه أنامله
لا عيش الا حيث كنت واغا * تمضى لياليك العمر بعدك باطلا

التفت الى من حضر من الشعراء وقال هل فيكم من يحسن أن يجلب القلوب بمثل هذا فقال

فقال ما ترون فقالوا اقعد له فى بهية الملك فصعد على سريره ووضع التاج على رأسه وأقعد أبناء الملوك سماطين عليهم الاقراط واسورة الذهب والديباج وأذن للمغيرة فأخذ بضبعيه رجلان ومعه سيفه ورمحه قال فجعل المغيرة يطعن برمحه فى بسطهم يخرقها لينظروا فيغضبهم بذلك حتى قام بين يديه وجعل يكلمه والترجمان يترجم بينهما فقال انكم معشر العرب أصابكم جهد فان شئتم رمنا كم ور جعتم فتكلم المغيرة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال انا معشر العرب كنا أذلة يطؤنا الناس ولا نطؤهم ونأكل الكلاب والجيف ثم ان الله تعالى بعث منا نبيا فى شرف منا أوسطنا حسبا وأصدقنا حديثا وبعث النبى صلى الله عليه وسلم بعثه وأخبرنا باشياء وجدناها كما قال لنا وانه وعدنا فيما وعدنا به أنا سنملك ما ههنا ونغلب عليه وانى أرى ههنا هيئة وبزة ما من خلق يتاركيها يصيبونها أو يموتوا فقالت لى نفسى لو جعت جراء مثل هذا فقال

ووثبت فقعدت مع العلج على سريره حتى يتطير قال فوثبت وثبة فاذا أنا معه على سريره فجعلوا يلكزونى بأرجلهم ويجذبونى بأيديهم

أبو جعفر الخزاز البطرنى نعم ولكن للسعادة هبات وقد أنشدت مولانا قبل هذا أبياتا أقولها فيها

وما زلت أجنى منك والدهر محمل * ولا ثمر يجنى ولا الزرع يحصد
ثمارا يادانيات قطوفها * لاغصانها ظل على تمدد
يرى حار باماء المكارم تحتها * وأطيار شكرى فوقهن تغرد

فارتاح المعتصم وقال أأنت أنشدتنى هذا قال نعم قال والله كأنها ما مرت بسمعى الى الآن صدقت للسعد هبات ونحن نجيزك عليها بجائزتين الاولى لها والثانية لمطل واجبها وغمط احسانها انتهى * وقال بعض ذرية ملوك اشبيلية

نشر الورد بالخليج وقد درج أمواهه هبوب الرياح
مثل درع الكمى مزقها الطعن فسالت بها دماء الجراح

وقال ابن صارة فى النار نج

كرات عقيق فى غصون زبرجد * بكف نسيم الريح منها صوالج
تقبلها طورا وطورا تشمها * فهن خدود بيننا ونوافج

وقال أبو الحسن بن الزقاق ابن أخت ابن خفاجة

وما شق وجنته عابثا * ولكنها آية للبشر
جلاها لنا الله كما ترى * بها كيف كان انشقاق القمر

وقال ضربوا ببطن الوادين قبابهم * بين الصوارم والقنا الميادا
والورق تهتف حولهم طربا بهم * فبكل محنية ترنم شادى
يا بانة الوادى كفى حزنا بنا * أن لا نطارح غير بانة وادى

وقال نحن فى مجلس به كمل الانـ ـس ولو زرتنا لزاد كمالا
طلعت فيه من كؤس المحيا * ومن الزهر أنجم تتلالا
غير أن النجوم دون هلال * فلتكن منعما لمن الملالا

وقال وهويتها سمراء غنت وانثنت * فنظرت من ورقاء فى أملودها
تشدو ووسواس الحلى يجيبها * مهما انثنت فى وشيها وعقودها
أوليس من بدع الزمان حمامة * غنت فغنى طوقها فى جيدها

وقال لئن بكيت دما والعزم من شيمى * على الخليط فقد يبكى الحسام دما

وقال ابو تمام غالب بن رباح الحجام فى دولاب طار منه لوح فوقف

وذات شدو ما لها حلم * كل فتى بالضمير حياها
وطار لوح بها فأوقفها * كلمة العين حين أجراها

وكان المذكور ربى فى قلعة رباح غربى طليطلة ولا يعلم له أب وتعلم الحجامة فأتقنها ثم تعلق بالادب حتى صار آية وهو القائل فى ثريا الجامع

تحكى الثريا الثريا فى تألقها * وقد عراها نسيم نهى تتقد
كأنها الذوى الايمان افئدة * من التضرع جوف الليل ترتعد

هكذا فقال الملك ان شئتم قطعنا اليكم وان شئتم قطعتم الينا فقلت بل نقطع اليكم فقطعنا اليهم قال فقالوا كل خمسة وستة حتى لا تغزوا فدنونا اليهم فضايقناهم فرشقونا حتى أسرعوا فينا فقال المغيرة للنعمان انه قد أسرع فى الناس وقد جرحوا فلو حملت فقال النعمان انك لذو مناقب وقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم القتال وكان اذا لم يقاتل أول النهار انتظر حتى تزول الشمس وتهب الرياح وينزل النصر ثم قال انى هازلوائى ثلاث مرات فاما اول هزة فليقض الرجل حاجته وليتوضأ وأما الثانية فلينظر الرجل الى شسعه وليلزم سلاحه فاذا هززت الثالثة فاحملوا ولا يلوين أحد على أحد وان قتل النعمان وانى داع الى الله فسمعت دعوته وأقسمت على كل امرئ منكم لما أمن عليها وقال اللهم ارزق النعمان اليوم شهادة فى نصر وفتح عليهم فأمن القوم فهز ثلاثا ثم أدنى درعه وحمل ثم حمل الناس فكان أول صريع قال معقل فاتيت عليه

فذكرت عزمة لا أقف عليها وعلمت علما لا أعرف مكانه ووضعنا القتل فيهم ووقع ذوا الجناحين عن بغلة له شهباء فانشق

وقال زرت الحبيب ولا شئ أحاذره * فى ليلة قد لوت بالغمض أشفارا
فى ليلة خلت من حسن كواكبها * دراهما وحسبت البدر دينارا

وقال فى الثريا أيضا

انظر الى سرج فى الليل دشرتة * من الزجاج تراها وهى تلتهب
كانها السن الحيات قد برزت * عند الهبير فما تنفك تضطرب

وقال ترى النسر والقتلى على عدد الحصا * وقد مزقت أحشاءها والترائبا
مضرجة مما أكلن كانها * عجائز بالحناء خضبن ذوائبا

وقال وقد أبدع غاية الابداع وأتى بما يحير الالباب وان كان أبو نواس فاتح هذا الباب

وكاس ترى كسرى بها فى قراوة * غريقا ولكن فى خليج من الخمر
وما صورته فارس عبثا به * ولكنهم جاؤا باخفى من السحر
أشاروا بما كانوا له فى حياته * فتومى اليه بالسجود وما تدرى

وما أحلى قوله

الا قمعوان رمى عليك ظلامة * لما عنفت عليه بالمسواك
لا يحمل النور الانيق تمسه * كف يعود بشامة وارالك
وجلاؤه المخلوق فيه قد كفى * من أن يراع عراره بسواك

وقوله صغار الناس أكثرهم فسادا * وليس لهم لصالحة نهوض
ألم ترفى سباع الطير سرا * تسالمنا ويأكلنا البعوض

وقد بلغ غاية الاحسان فى قوله

فالملك ليس يرى مكانى * وقد كحلت لواحظه بنورى
كذا المسواك مطرحا مهانا * وقد أبقى جلاء فى الثغور

ومن حسناته قوله

لى صاحب لا كان من صاحب * فانه فى كبدى جرحه
يحكى اذا أبصر لى زلة * ذبابة تضرب فى قرحه

ولقيه أبو حاتم الحجارى على فرس فى غاية الضعف والرذالة قد أهلكها الوجى وكانا فى جماعتين فقال له يا أبا تمام أنشدنى قولك

وتحتى ريح تسبق الريح ان جرت * وما خلت أن الريح ذات قوائم
لها فى المدى سبق الى كل غاية * كأن لها سبقا يفوق عزائمى
وهمة نفسى نزهتها عن الوجى * فيا عجبا حتى العلالى البهائم

فلما أنشده اياها رد رأسه أبو حاتم الى الجماعتين وقال ناشدتكم الله أيجوز لحجام على فرس مثل هذه الرمكة الهزيلة العرجاء أن يقول مثل هذا فضحك جميع من حضر وأقبل أبو تمام من غيظه يسبه ومن شعر الحجام المذكور قوله

لا يفخر السيف والاقلام فى يده * قد صار قطع سيوف الهند للقصب
فان يكن أصلها لم يقو قوتها * فان فى الخمر معنى ليس فى العنب

من هذا قلت معقل بن يسار قال ما فعل الله بالناس قلت فتح الله عليهم قال الحمد لله كثيرا كتبوا بذلك الى عمر وقاصت نفسه واجتمع الناس الى الاشعث ابن قيس وأرسلوا الى أم ولده هل عهد الملك النعمان عهدا له أم عندك كتاب قالت سفط فيه كتاب فاخرجوه فاذا فيه ان قتل فلان ففلان وان قتل فلان ففلان فاقتتلوا وفتح الله على المسلمين فتحا عظيما (قال المسعودى) رحمه الله وهذه وقعة نهاوند وقد كان للاعاجم جمع كثير وقتل هنالك من المسلمين خلق كثير منهم النعمان بن مقرن وعمرو بن معديكرب وغيرهم وقبورهم الى هذا الوقت مبنية معروفة على نحو فرسخ من نهاوند فيما بينها وبين الدينور وقد أتينا على وصف هذه الوقعة فيما سلف من كتبنا (وذكر) أبو مخنف لوط بن يحيى قال لما قدم عمرو بن معديكرب من الكوفة على عمر سأله عن سعد بن أبى وقاص فقال فيه ما قال من الثناء ثم سأله عن السلاح فاخبره بما علم ثم سأله عن قومه فقال له أخبرنى عن قومك مذحج ودع طيأ قال سلنى عن أيهم شئت قال أخبرنى عن مذلة بن

خالد قال هم غرسان اعراضنا وشفاة امراضنا وهم أعتقنا وأتجبنا وأسرعنا طلبا وأقلنا هربا وهم أهل الصباح والسماح والرماح قال عمر فما أبقيت لسعد العشيرة قال هم أعظمنا خميسا وأسخانا نفوسا وخيرنا رئيسا قال فما أبقيت لمراد قال هم أوسعنا دارا وخيرنا جارا وأبعدنا ثارا وهم الاتقياء البررة والساعون المغفرة قال فاخبرني عن بني زبيد قال أنا عليهم ضنين ولو سألت الناس عنهم لقالوا هم الرأس والناس الاذناب قال فأخبرني عن طيئ قال خصوا بالجود وهم جمرة العرب قال فما تقول في عبس قال هم عظيم وزين أثير قال أخبرني عن جير قال رعوا العفو وشربوا الصفو قال فاخبرني عن كندة قال ساسوا العباد وتمكنوا من البلاد قال فاخبرني عن همدان قال أبناء الليل وأهل النيل يمنعون الجار ويوفون الذمار قال فاخبرني عن الازد قال هم أقدمنا ميلادا وأوسعنا بلادا قال فأخبرني عن الحرث بن كعب قال هم الحسكة المسكة تلقى المنايا على أطراف رماحهم قال فاخبرني عن لخم قال آخرنا ملكا وأولنا هلكا قال فاخبرني عن جذام قال أولئك كالعجوز العيراء وهم أهل مقال وفعال قال فاخبرني عن غسان قال أرباب في الجاهلية نجوم في الاسلام قال

وقال
تقلت على الاعداء الانها * خفت على السباب والابهام
أخذت من الليل البهيم سواده * وبدت تمزق أوجه الايام

وقال
نظر الحسود فازدرى لي هيئة * والفضل مني لا يزال مبينا
قبحت صفاتي من تغيير وده * صدأ المراة يقبح التحسينا

وقال
تصبروان أبدى العدو مذمة * فهما رمى ترجع اليه سهامه
كما يفعل النحل الملم بلسعه * يريد به ضرا وفيه حمامه

وقال
وبارد الشعر لم يؤلم به ولقد * أضر منه جميع الناس واعتزلا
كانه الصل لا تؤذيه رقيته * حتى اذا لجها في غيره قتلا

وقال ابن الزقاق
دعاك خليل والاصيل كانه * عليل يقضي مدة الرمق الباقي
الى شط منساب كان ماؤه * صفاء ضمير أو عذوبة أخلاق
ومهوى جناح للصبا يمسح الربا * خفي الخوافي والقوادم خفاق
على حين راح البرق في الجو مغمدا * ظباه ودمع المزن من جفنه راق
وقد حان مني للرياض التفاتة * حبست بها كاسي قليلا عن الساقي
على سطح خيري ذكرتك فانثنى * يميل بأعناق ويرنو بأحداق
فصل زهرات منه هذا كانها * وقد خضلت قطرا محاجر عشاق

ولما مدح الحسيب أبو القاسم بن سعدة الاوسي أمير المؤمنين عبد المؤمن بقوله
حنانيك مدعوا ولبيك داعيا * فكل بما ترضاه أصبح راضيا
طلعت علي أرجائنا بعد فترة * وقد بلغت منا النفوس التراقيا
وقد كثرت منا سيوف لدى العلا * ومن سيفك المنصور نبغي التقاضيا
وغيرك ناد ينازمانا فلم يجب * وعزمك لم يحتج علاه مناديا

كتب اسمه وزير عبد المؤمن في جملة الشعراء فلما وقف على ذلك عبد المؤمن ضرب على اسمه وقال انما يكتب اسم هذا في جملة الحساب لا تدنسوه بهذه النسبة فلسنا ممن يتغاضى على غمط حسبه ثم أجزل صلته وأمر له بضيعة يحرث له بها يعني بذلك انه من ذرية ملوك لان جده كان ملك وادي الحجارة * وقال أبو بكر محمد بن أزرق

هل علم الطائر في ايكه * بأن قلبي للحمى طائر
ذكرني عهد الصبا شجوه * وكل صب للصبا ذاكر
سقى عهود الحمى بالحمى * دمع له ذكرهم ناثر

وقال أبو جعفر بن ازرق
أراك ملكت الخافقين مهابة * بها ما تلح الشهب بالخفقان
وتغضي العيون عن سناك كانها * تقابل منك الشمس في اللمعان
وتصفر ألوان العداة كانما * رموا منك طول الدهر باليرقان

وقال أبو القاسم بن أزرق

ذاك الزمان الذى تقضى * ياليته عاد منه حين
بكل عمرى الذى تبقى * وما أنانى الشراغبين

وقال راشد بن عريف الكاتب

جمع فى مجلس ندامى * تحسدنى فيهم النجوم
فقال لى منهم نديم * مالك اذقت لا تقوم
فقلت ان قمت كل حين * فان حظى بكم عظيم
وليس عندى اذن ندامى * بل عندى المقعد المقيم

وقال الحسيب أبو جعفر بن عائش

ولى أخ أو ردسلسلا * لكنه يوردنى مالحا
ألقاه كى أبسطه ضاحكا * ويلتقينى أبدا كالحا
وليس ينفك عنائى به * مارمت من فاسده صالحا

قال الجارى وكتب الى جدى ابراهيم فى يوم صحو بعد مطر

اذا رأيت الجو يصحو فلا * تصحو سقاك الله من سكر
تعال فانظر لدموع الندى * مافعلت فى مبسم الزهر
ولا تقل انك فى شاغل * فليس هذا آخر الدهر
تخلف مافات سوى ساعة * تقتض فيها لذة الخمر

فأجابه

لبيك لبيك ولو أننى * أسعى على الرأس الى مصر
فكيف والدار جوارى وما * عندى من شغل ولا عذر
ولو غدا الى ألف شغل بلا * عذر تركت الكل للعشر
وكلما أبصرنى ناظر * يبابكم عظم من قدرى
الا الذى يشر بها دائما * ماحضرت فى الصو والقطر
وليس تقلى أبدا بعدها * الا الذى يعهد من شكرى

قال وفيه يقول جدى يمدحه

ولو كان ثان فى الندى لابن عائش * لما كان فى شرق وغرب أخو فقر
يهش الى الامداح كالغصن للصبا * وتنشر محياه ينوب عن الزهر
فيارب زد فى عمره ان عمره * حياة أناس قد كفوا كلفة الدهر

وقتله ابن مسعدة ملك وادى الحجارة الثائر بها ولما قدمه ليقتله قال ارفق على حتى أخاصم عن نفسى فقال على لسانك قتلناك فقال له لارفق الله عليك يوم تحتاج الى رفقه فقال بجبر وتيشه مارهبنا السيوف الحداد ونرهب دعاء الحساد وقال أبو الحسن على بن شعيب

انزعى الوشى فهو يسترحسنا * لم تحزه برقهن الثياب
ودعينى عسى اقبل ثغرا * لذ فيه الملى وطاب الرضاب
وعجيب أن تهجرينى ظلما * وشفيعى الى صباك الشباب

فأخبرنى عن الاوس اذ يقول والذين تبوؤا الدار والايمان الآية قال فأخبرنى عن خزاعة قال أولئك مع كنانة لنا نسبهم وبهم نصرنا قال فأى العرب أبغض اليك أن تلقاه قال أما من قوى فوادعة من همدان وغطيف من مراد وبلحرث من مذحج وأما من معد فعدى من فزارة ومرة من ذبيان وكلاب من عامر وشيبان من بكر ابن وائل ثم لو جلت بفرسى على مياه معد ماخفت هيج أحد مالم يلقنى حراها وعبداها قال ومن حراها وعبداها قال أما حراها فعامر بن الطفيل وعيينة ابن الحرث بن شهاب التيمى وأما عبداها فعنترة وسليك ثم سأله عن الحرب فقال سألت عنها خبيرا هى والله يا أمير المؤمنين مرة المذاق اذا شمرت عن ساق من صبر فيها فلقرو من ضعف فيها هلك قلت ولقد أحسن واصفها وأجاد الحرب أول ما تكون فتية تبدو بزينتها لكل جهول حتى اذا حميت وشب ضرامها عادت بجوزا غير ذات حليل شمطاء جزت رأسها وتنكرت مكروهة للشم والتقبيل

ثم سأله عن السلاح فأخبره حتى بلغ السيف فقال هنا لك قارعتك أملك عن نكلها فعلاه عمر بالدرة وقال بل

أمك قارعتك والله انى لاهم أن أقطع لسانك فقال الحمى أصرعتنى اليوم وخرج من عنده وهو يقول

وقال اخوه ابو حامد الحسين حين كبابه فرسه فحمل فى اسر العدو

وكنت اعد طرفى للرزايا * يخلصنى اذا جعلت تحوم
فاصبح للعداعونا لاتى * اطلت عناءه فانا الظلوم
وكم دامت مسراتى عليه * وهل شئ على الدنيا يدوم

وقال ابو الحسن على بن رجاء صاحب دار السكة والاحباس بقرطبة

ياسائلى عن حالتى انى * لااشتكى حالى لمن يضعف
مع انى احذر من نقده * لاسيما ان كان لاينصف

وانشد له الحميدى فى الجذوة

قل لمن نال عرض من لم ينله * حسبنا ذو الجلال والاكرام
لم يزدنى شيأ سوى حسنات * لاولا نفسه سوى آثام
كان ذا منعة فثقل ميزا * نى بهذا فصار من خدامى

وقال ابو محمد القاسم بن الفتح

ايام عمرك تذهب * وجميع سعيك يكتب
ثم الشهيد عليك منـ * ـك فأين اين المهرب

وقال ابو مروان عامر بن غصن

فديتك لاتخف منى سلوا * اذا ما غير الشعر الصغارا
اهيم بدن خمر صار خلا * واهوى لحية كانت عذارا

وقال قد الحف الغيم بانسكابه * والتحف الجو فى سحابه
وقام داعى السرور يدعو * حى على الدن وانتهابه
وتاه فيه النـ * ـديم مما * يزدحم الناس عند بابه

وكان أحد الاعلام فى الآداب والتاريخ والتأليف ونقم عليه المأمون بن ذى النون بسبب صحبته لرئيس بلده ابى عبيدة و بلغه انه يقع فيه فنكبه اشر نكبة وحبسه فكتب اليه من السجن

فديتك هل لى منك رحمى لعلنى * أفارق قبرا فى الحياة فانشر
وايس عقاب المذنبين بمنكر * ولكن دوام السخط والعتب منكر
ومن عجب قول العداة مثقل * ومثلى فى الحاحه الدهر يعذر

وألف المأمون رسالة السجن والمسجون والحزن والمحزون ورسالة اخرى سماها بالعشر كلمات وقال

ياقتيبة خيرة فدتهم * من حادثات الزمان نفسى
شربهم الخمر فى بكور * ونطقهم عندها بهمس
أما ترون الشتاء يلقى * فى الارض بسطا من الدمقس
مقطب عابس ينادى * يوم سرور و يوم انس

وأخبر عنه الحميدى فى الجذوة انه شاعر أديب دخل المشرق وتأدب وحج ورجع وشعره كثير

أتوعدنى كانك ذو رعين
بانعم عيشة أوذى نواس
فكم قد كان قبلك من
مليك
عظيم ظاهر الجبروت
قاسى
فأصبح أهله بادوا وأمسو
ينقل من أناس فى أناس
فلا يغررك ما لك كل ملك
يصير مذلة بعد الشماس
قال فاعتذر عمر اليه وقال
مافعلت مافعلته الا لانه
أن الاسلام أفضل وأع
من الجاهلية وفضله ع
الوفود وقد كان عمر آنس
عمرا بعد ذلك وأقبل يسا
ويذاكره الحروب وأخبار
فى الجاهلية فقال له عم
ياعمرو هل انصرفت عن
فارس قط فى الجاهلية
هيبة له قال نعم والله ما كنت
أستحل الكذب فى الجاهلية
فكيف أستحله فى الاسلام
لاحدثنك حديثا لم أحدث
به أحدا قبلك خرجت فى
جريدة خيل لبنى زبيد أريد
الغارة فاتيتنا قوما سراة فقال
عمر كيف عرفت أنهم سراة
قال رأيت مزاود وقدورا
مكفأة وقباب أدم حمرا ونعما
كثيرا وشاء قال عمرو فاهويت
الى أعظمها قبة بعد
ماحوينا السبى وكان
متبددا من البيوت واذا
امرأة مادة الشمال على فرش لها فلما نظرت الى والى الخيل استعبرت فقلت ما شأنك قالت والله ما أبكى نفسى ولكنى أبكى

وله أبيات كتبها فى طريق الحج الى أحد القضاة

يا قاضيا عدلا كأن أمامه * ملك يريه واضح المنهاج
طافت بعبدك فى بلادك علة * قعدت به عن مقصد الحجاج
واعتل فى البحر الاجاج فكن له * بحرا من المعروف غير اجاج

وقال الزاهد الورع المحدث أبو محمد اسمعيل بن الديوانى

ألا أيها العائب المعتدى * ومن لم يزل مؤذيا أزدد
مساعيك يكتبها الكاتبون * فبيض كتابك أو سود

وقال ابنه أبو بكر

خاصم عدوك باللسا * ن وان قدرت فبالسنان
ان العداوة ليس يصـ * ـلحها الخضوع مدى الزمان

وقال ابراهيم الحجارى جد صاحب المسهب

لئن كرهوا يوم الوداع فانني * أهيم به وجدا من أجل عناقه
أصافح من أهواه غير مسابر * وسر التلاقى مودع فى فراقه

وقال كن كما شئت انني لا أحول * غير مصغ لما يقول العذول
لله والله فى الفؤاد محل * ما اليه مدى الزمان وصول
ومرادى بأن تزور خفيا * ليت شعرى متى يكون السبيل

وقال قد توالت فى حالتينا الظنون * فلمصدق ما كذبته العيون
ومرادى بأن تلوح بأفقى * بدرتم وذاك ما لا يكون
أما قد ملت ما دعانى اليه * كثرة الياس والحديث شجون
واذا شئت أن تسفه رأيى * فعذلى من الرقيب مصون
وبه ما تشاء من كل معنى * كل من لم يجب له مجنون
والى كم تضل ليل الاماني * ومر الياس لاح صبح مبين

وقال سألته عن أبيه * فقال خالى فلان
فانظر عجائب ما قد * أتت به الازمان
دهر عجيب لديه * عن المعالى حران
فماله غير ذم * كما تدين تدان

وقال الكاتب العالم أبو محمد بن خيرة الاشبيلى صاحب كتاب الريحان والريعان يمدح السيد أبا حفص ملك اشبيلية ابن أمير المؤمنين عبد المؤمن من قصيدة

كأنما الافق صرح والنجوم به * كواعب وظلام الليل حاجبه
وللهلال اعتراض فى مطالعه * كأنه أسود قد شاب حاجبه
وأقبل الصبح فاستحيت مشارقه * وأدبر الليل فاستخفت كواكبه
كالسيد الماجد الاعلى الهمام أبى * حفص لرحلته ضمت مضاربه

وأنشد له ابن الامام فى سمط الجمان

حسد البنات عمى يسلمن الوادى فقلت لاصحابى لا تحدثوا شيأ حتى آتيكم ثم همزت فرسى حتى علوت كثيبا فاذا أنا بغلام أصهب الشعر أهدب أقنى أقب يخصف نعاله وسيفه بين يديه وفرسه عنده فلما نظر الى رمى النعل من يده ثم أحضر غير مكترث فأخذ سلاحه وأشرف على ثنية لما نظر الى الخيل محيطة ببيته ركب ثم أقبل نحوى وهو يقول

أقول لما منحتنى فاها
وألبستنى بكرة رداها
انى سأحوى اليوم من حواها
فليت شعرى اليوم من دهاها

فحملت عليه وأنا أقول

عمرو على طول الردى دهاها
بالخيل تتبعها على هواها
حتى اذا حل بها حواها
فاذا هو أزوغ من هرة فزاغ عنى ثم حمل على فضربنى بسيفه ضربة جرحنى فلما أفقت من ضربتى حملت عليه فزاغ والله ثم حمل على ثم صرعنى ثم استاق ما فى أيدينا ثم استوى على فرسى فلما رآنى أقبل وهو يقول

أنا عبيد الله محمود الشيم * وخير من يمشى بساق وقدم

عدوه يفديه من كل السقم فحملت عليه وأنا أقول رعيا

رعى المنزله الخصيب وظله * وسقى الثرى الغدق سح ربابه
ولها على ساداته لا أدعى * كلفا بزينبه ولا بربابه

ويعرف رحمه الله تعالى بابن المواعينى * وقال ابنه أبو جعفر أحمد

يا أخى هاتها وجب سـناها * عن مثير بها جنونا وسخفا
هذه الشمس ان بدت لضعيف العين زادت فى ذلك الضعف ضعفا
انما يشرب المدامة من ان * خشنت كفه جفاها وكفا

وكتب الوزير أبو الوليد اسمعيل بن حبيب الملقب بحبيب الى أبيه لما خلق الربيع من أخلاق الغر وسرق زهره من شيمك الزهر حسن فى كل عين منظره وطاب فى كل سمع خبره وتاقت النفوس الى الراحة فيه ومالت الى الاشراف على بعض ما يحتويه من النور الذى بسط على الارض حللا لاترى فى أثنائها خللا سلوك نثرت على الثرى وقد ملئت مسكا وعنبرا ان تسمتها فأرجه أو توسمتها فبهجه

فالارض فى برقه من يانع الزهر * تزرى اذا قستها بالوشى والحبر
قد أحكمتها أكف المزن واكفة * وطرزتها بما تهمى من الدرر
تبرجت فسبت منا العيون هوى * وفتنة بعد طول الستر والخفر

فاوجدنى سبيلا الى اعمال بصرى فيها لاجلو بصيرتى بمحاسن نواحيها والفصل على أن يكمل أوانه و يتصرم وقته وزمانه فلانخلنى من بعض التشفى منه لاصدر نفسى متيقظة عنه فالنفوس تصدأ كما يصدأ الحديد ومن سعى فى جلائها فهو الرشيد السديد ومن شعره يصف وردا بعث به الى أبيه

يا من تأزر بالمكارم وارتدى * بالمجد والفضل الرفيع الفائق
انظر الى خد الربيع مركبا * فى وجه هذا المهرجان الرائق
ورد تقدم اذ تأخر واغتدى * فى الحسن والاحسان أول سابق
وافاك مشتملا بثوب حيائه * خجلا لأن حياك آخر لاحق

وله أرى الباقلاء الباقل اللون لابسا * جرود سحاء من سحائبها غذى
ترى نوره يلتاح فى ورقاته * كبلق جياد فى جلال زمرذ

وقال اذا ما أدرت كؤس الهوى * ففى شربها لست بالمرتقل
مدام تعتق للناظرين * وتلك تعتق بالارجل

وكان وهو ابن سبع عشرة سنة ينظم النظم الفائق وينثر النثر الرائق وأبو جعفر بن الابار هو الذى صقل مرآته وأقام قناته وأطلعه شهابا ثاقبا وسلك به الى فنون الآداب طريقا لاحبا وله كتاب سماه بالبديع فى فضل الربيع جمع فيه أشعار أهل الاندلس خاصة أعرب فيه عن أدب غزير وحظ من الادب موفور وتوفى وهو ابن اثنتين وعشرين سنة واستوزره داهية الفتنة ورحى المحنة قاضى اشبيلية عباد جد المعتمد ولم يزل يصغى الى مقاله و يرضى بفعاله وهو ما جاوز العشرين اذ ذاك وأكثر نظمه ونثره فى الازاهر وذلك يدل على رقة نفسه رحمه الله تعالى * وقال الوزير الكاتب أبو الحسن على بن حصن

من يلقنى يودى كما أودى ارم
أتركهما على ظهر وضم
فزاغ والله عنى ثم حمل على
فضربنى ضربة أخرى ثم
صرخ صرخة ورأيت الموت
والله يا أمير المؤمنين ليس
دونه شئ وخفته خوفا لم
أخف قط احدا مثله وقلت
له من أنت ثكلتك أمك
فوالله ما اجترأ على أحد
قط الا عامر بن الطفيل
لاعجابه بنفسه وعمرو بن
كلثوم لسنه وتجربته فمن
أنت قال بلى من أنت خبرنى
والا قتلتك قلت أنا عمرو
ابن معديكرب قال وأنا
ربيعة بن مكدم قلت
اختر منى أحد ثلاث خصال
ان شئت اجتلدنا بسيفينا
حتى يموت الاعجز منا وان
شئت اصطرعنا وان شئت
السلم وانت يا ابن أخى
حدث فدجرحتنى جراحتين
ولا يرالان بى فوالله ما كف
عنى حتى نزلت عن فرسى
فاخذ بعنانه ثم أخذ بيدى
فى يده وانصرفنا الى الحى
وأنا أجر رجلى حتى طلعت
علينا الخيل فلما رأونى
غمزوا خيولهم الى فنادينهم
البكم وأرادوا ربيعة فقضى
والله كانه ليث حتى شقهم
ثم أقبل على فقال يا عمرو
لعل أصحابك يريدون غير
الذى تريد فصحت والله
القوم ما فيهم أحد ينطق وأعظموا ما رأوا منه فقلت يا ربيعة بن مكدم لا يريدون الا خيرا

وزير المعتضد بن عباد

على أن أتدلل * له وأن يتدلل
خد كأن الثريا * عليه قرط مسلسل

وقال طل على خده العذار * فافتضح الآس والبهار
وابيض ذا واسود هذا * فاجتمع الليل والنهار

وقال الوزير أبو الوليد بن طريف فى المعتمد بعد خلعه

يا آل عباد الاعطفة * فالدهر من بعدكم مظلم
من الذى يرجى لسيل العلا * ومن اليه يفد المعدم
ما أنكر الدهر سوى أنه * بجودكم فى فعله يزعم

وله من حلقت لحية جاره * فليسكب الماء على لحيته

وقد أجرينا فى هذا الكتاب ذكر جملة من أخبار المعتمد بن عباد ونظمه فى أماكن متعددة فلتراجع ومن نظمه

ثلاثة منعتها عن زيارتها * خوف الرقيب وخوف الحاسد الحنق
ضوء الجبين ووسواس الحلى وما * تحوى معاطفها من عنبر عبق
هب الجبين يفصل الكم تستره * والحلى تنزعه ما حيلة العرق

وقال يوم يقول الرسول قد أذنت * فأت على غير رقبة ولحج
أقبلت أهوى الى رحالهم * أهدى اليها بريحها الارج

قال ويستدل على الملوكية بالطيب فى المواطن التى يكون الناس فيها غير مروعين كالحمام ومعارك الحرب ومواسم الحج (رجع) الى ما كنا فيه وقال أبو العباس أحمد الخزرجى القرطبى

وفى الوجنات ما فى الروض لكن * لرونق زهرها معنى عجيب
وأعجب ما التحف منه أنى * أرى البستان يحمله قضيب

وقال الوزير أبو سليمان بن أبى أمية يخاطب رئيسا قد بلغه عن بعض أصحابه كلام فيه غض منه

هون عليك كلامه * واسمح له فيمن سمح
ماذا يسوءك ان هجا * ماذا يسرك ان مدح
أوما علمت بلى جهلت بأنه غل طمح
وخفى حقدك من * دأبوا لحتى اتضح
هذا بستن الوقا * رفكيف لو دار القدح
فاشكر عوارف ذى الجلا * لبما وقى وبما منح

وقال أبو على عمر بن أبى خالد يخاطب أبا الحسن على بن الفضل

أبا حسن وما قدمت عهود * لنا بين المنارة والجزيره
أتذكر أنسنا والليل داج * بخمر فى زجاجتها منيره

وفرسه ومضى ومضينا معه حتى نزل فقامت اليه صاحبته وهى ضاحكة تمسح وجهه ثم أمر بالرحل فتحرت فضربت علينا قباب فلما أمسينا جاءت الرعاء ومعهم أفراس لربيعة لم أر مثلها قط قال أما لو كان عندى بعضها ما لبثت فى الدنيا الا قليلا لانى لا أملك وما ينطق أحد من أصحابى فاقمنا عنده يومين ثم انصرفنا (قال) وقد كان عمرو بن معديكرب بعد ذلك بزمان أغار على كنانة فى صناديد قومه فأخذ غنائمهم وأخذ امرأة ربيعة ابن مكدم فبلغ ذلك ربيعة وكان غير بعيد فركب فى الطلب على فرس عرى ومعه رمح بلا سنان حتى لحقه فلما نظر اليه قال يا عمرو خل عن الظعينة وما معك فلم يلتفت اليه ثم اعاد اليه فلم يلتفت اليه فقال يا عمرو أما تقف فوقف عمرو وقال لقد أنصف القارة من راماها قف لى يا ابن أخى فوقف له ربيعة فحمل عليه عمرو وهو يقول

أنا ابن ثوار ووقاف الزلق
لست بأفون ولا فى خرق
واسد القوم اذا احمر الحدق * اذا الرجال عضهم ناب الغرق * وجدتنى بالسيف هتاك الخلق

اذا الملاح ضل رنا اليها * فابصر فى مناحيه مسيره

وقال الكاتب عبد الله المهيريس وكان حلو النادرة لما شرب عند الوزير أبى العلاء بن جامع وقد نظر الى فاختة فأعجبه حسنها ولحنها

الا خذها اليك أبا العلاء * على الامداح ترفل فى الثناء
وهبها قينة تجلى عروسا * خضيب الكف قانية الرداء
لاجعلها محل جليس انسى * واغنى بالهديل عن الغناء

وحكى انه ناوله ليمونة وأمره بالقول فيها فقال

أهدى الى بروضة ليمونة * وأشار بالتشبيه فعل السيد
فصمت حينا ثم قلت تجلدا * من فضة تعلوه صفرة عسجد

وقال الكاتب ابو بكر بن الباء يرثى احد بنى عبد المؤمن وقد عزل من بلنسية وولى اشبيلية ومات بها

كانك من جنس الكواكب لم تكن * تفارق طلوعا حالها وتواريا
تجليت عن شرق تروق تلألؤا * فلما انتحيت الغرب اصبحت هاويا

وكان محمد بن مروان بن زهر كما فى المغرب والمسهب والمطرب وقد قدمنا بعض أخباره منشأ الدولة العبادية أول من ثنى عليه الخناصر وتستحسنه البواصر فضاقت الدولة العبادية عن مكانه وأخرج عن بلده فاستصفيت أمواله فلحق بشرق الاندلس وأقام فيه بقية عمره ونشأ ابنه الوزير ابو مروان عبد الملك بن محمد فبلغ اشده حتى سد مسده ومال الى التفنن فى انواع التعاليم من الطب وغيره ورحل الى المشرق لاداء الفرض فملأ البلاد جلالة ونشأ ابنه أبو العلاء زهر بن عبد الملك فاخترع فضلا لم يكن فى الحساب وشرع نبلا قصرت عنه نتائج اولى الالباب ونشأ بشرق الاندلس والآفاق تتهادى عجائبه والشام والعراق تتدارس بدائعه وغرائبه ومال الى علم الابدان فلولا جلالة قدره لقلنا جاذب هاروت طرفا من سحره ولولا ان الغلو آفة المديح لما اكتفى فيه بالكناية عن التصريح ولم يزل مقيما بشرق الاندلس الى ان كان من غزاة امير المسلمين يوسف بن تاشفين ومن انضم اليه من ملوك الطوائف ما علم وشخص أبو العلاء معهم فلقيه المعتمد بن عباد واستماله واستهواه وكاد يغلب على هواه وتصرف عليه املاكه فحن الى وطنه حنين الكئيب الى عطنه والكريم الى سكنه ونزع الى مقترسلفه نزوع الكوكب الى بيت شرفه الا انه لم يستقر باشبيلية الا بعد خلع المعتمد وحل عند يوسف بن تاشفين محلا لم يحله الماء من العطشان ولا الروح من جسد الجبان ولما كتب اليه حسام الدولة بن رزين ملك السهلة بقوله

عاد اللئيم فانت من اعدائه * ودع الحسود بغيه وبدائه
لا كان الا من غدت أعداؤه * مشغولة أفواههم بجفائه
أأبا العلاء لئن حسدت لطالما * حسد الكريم بجوده ووفائه
فخر العلاء فكنت من آبائه * وزها السناء فكنت من أبنائه
كن كيف شئت مشاهدا أو غائبا * لا كان قلب لست فى سوداته

ثم وقف له عمرو فحمل عليه ربيعة وهو يقول

أنا الغلام بن السنانى لابذخ
كم من هزبر قد رآنى فانشدخ

فقرع بالرمح رأسه ثم قال خذها اليك يا عمرو ولولا أنى اكره قتل مثلك لقتلتك فقال عمرو لا ينصرف الا احدنا فقف لى فحمل عليه حتى اذا ظن انه قد خالطه السنان اذا هو حزم لفرسه ثم حمل عليه ربيعة فقرع بالرمح راسه ايضا وقال خذها اليك يا عمرو ثانية وانا الغلام ثم ان وصاحت به امراته السنان الله درك فاخرج سنانا من صبل ازاره كانه شعلة نار فركبه على رمحه فلما نظر اليه عمرو وذكر طعنته بلا سنان قال له عمرو خذ الغنيمة قال دعها وانج فقالت بنو زبيد اتترك غنيمتنا لهذا الغلام فقال لهم عمرو يا بنى زبيد والله لقد رأيت الموت الاحمر فى سنانه وسمعت صريره فى تركيبه فقالت بنو زبيد لا يتحدث العرب ان قوما من بنى زبيد فيهم عمرو بن معديكرب تركوا غنيمتهم لمثل هذا الغلام قال عمرو انه لا طاقة لكم به وما رأيت مثله قط

فانصرفوا عنه واخذ ربيعة امرأته والغنيمة وعاد الى قومه (قال المسعودى) رحمه الله تعالى ولعمر بن الخطاب رضى الله تعالى

الاسلام واخباره وسياساته حسان وما كان فى ايامه من الكوائن والاحداث وفتوح مصر قد اتينا على مبسوطها فى كتابنا اخبار الزمان والكتاب الاوسط واعاد ذكر فى هذا الكتاب لمعا مما لم نذكره فيما سلف من كتبنا وبالله التوفيق

(ذكر خلافة عثمان ابن عفان رضى الله تعالى عنه)

بويع يوم الجمعة غرة محرم سنة ثلاث وعشرين وقيل غير ذلك مما سنورده بعد هذا الموضع الى اثنين وعشرين من ذى الحجة سنة اربع وثلاثين فجميع ما ولى اثنتا عشرة سنة الا ثمانية ايام وقتل وهو ابن اثنتين وستين سنة ودفن بالمدينة بموضع يعرف بحش كوكب وكانت خلافته رضى الله تعالى اثنتى عشرة سنة الا ثمانية ايام

(ونذكر نسبه ولمعا من اخباره وسيره)

هو عثمان بن عفان بن ابى العاص بن امية من عبد شمس بن عبد مناف ويكنى بابى عبد الله وامه اروى بنت كريز بن جابر بن حبيب ابن عبد شمس وكان له من الولد عبد الله الاكبر وعبد الله الاصغر امهما رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وابان وخالد وسعيد والوليد والمغيرة وعبد الملك وقال

أجابه ياصار ما حسم العدا بضمائه * وتعبد الاحرار حسن وفائه
ما أثر العضب الحسام بذاته * الا بأن سميت من أسمائه

وكانه الحسام المذكور القول فى غلام قائم على رأسه وقد عذر فقال

محيت آية النهار فأضحى * بدرتم وكان شمس نهار
كان يعشى العيون نارا الى أن * أشغل الله خده بالعذار

وقال

عذار ألم فأبدى لنا * بدائع كنا لها فى عمى
ولو لم يجن النهار الظلا * م لم يستبن كوكب فى السما

وقال

يا راشقى بسهام ما لها غرض * الا الفؤاد وما منه له عوض
ومرضى يجحفون لحظها غنج * صحت وفى طبعها التمريض والمرض
أمنن ولو بخيال منك يؤنسنى * فقد يسد مسد الجوهر العرض

وهذا معنى فى غاية الحسن وكان بينه وبين الامام أبى بكر بن باجة بسبب المشاركة ما يكون بين النار والماء والارض والسماء ولما قال فيه ابن باجة

يا ملك الموت وابن زهر * جاوزتما الحد والنهايه
ترفقا بالورى قليلا * فى واحد منكما الكفايه

قال أبو العلاء

لابد للزنديق أن يصليا * شاء الذى يعضده أو أبى
قد مهد الجذع له نفسه * وسدد الرمح اليه الشبا

والذى يعضده مالك بن وهيب جليس أمير المسلمين وعاله وأما حفيده أبو بكر محمد بن عبد الملك بن زهر فهو وزير اشبيلية وعظيمها وطبيبها وكريمها ومن شعره

رمت كبدى أخت السماء فاقصدت * الا بأبى رام يصيب ولا يخطى
قريبة ما بين الخلا خيل ان مشت * بعيدة ما بين القلادة والقرط
نعمت بها حتى أتيحت لنا النوى * كذا شيم الايام تأخذ ما تعطى

وتوفى سنة خمس وتسعين وخمسمائة وأمر أن يكتب على قبره

تأمل بفضلك يا واقفا * ولاحظ مكانا رفعنا اليه
تراب الضريح على صفحتى * كانى لم أمش يوما عليه
أداوى الانام حذار المنون * فها أنا قد صرت رهنا لديه

رحمه الله تعالى وعفا عنه وفى هذه الابيات اشارة الى طبه ومعالجته للناس رحمه الله تعالى وقد ذكرت بعض أخباره فى غير هذا الموضع وقال ابو الوليد بن حزم

مرآك مرآك لا شمس ولا قمر * وورد خديك لا ورد ولا زهر
فى ذمة الله قلب أنت ساكنه * ان بنت بان فلا عين ولا أثر

وقال

لله أيام على وادى القرى * سلفت لنا والدهر ذو ألوان
اذ نجتنى فى ظله ثمر المنى * والطير ساجعة على الاغصان
والشمس تنظر من محاجر أرمد * والظل يركض فى النسيم الوانى
فلثمت فاه والتزمت عناقه * ويد الوصال على قفا الهجران

وقال ابن عبد ربه

يا قابض الكف لازالت مقبضة * فما أناملها للناس أرزاق
وغب اذا شئت حتى لا ترى أبدا * فما لفقدك في الاحشاء اقلاق

وقال في المدح

وما خلقت كفاك الا لاربع * عقائل لم تخلق لهن يدان
لتقبيل أفواه واعطاء نائل * وتقليب هندى وحبس عنان

وقال الكاتب أبو عبد الله بن مصادق الرندى الاصل

صارمته اذ رأت عارضه * عاد من بعد الشباب أشيبا
قلت ما ضرك شيب فلقد * بقيت فيه فكاهات الصبا
هو كالعنبر غال نفعه * وشذاه أخضرا أو اشهبا

وقال ووردة وردت في غير موقتها * والسحب قد هملت أجفانها هطلا
وانما الروض لما لم يفد ثمرا * يقر يكه انفقت في خده خجلا

وله لم أحتفل لقدوم العيد من زمن * قد كان يبهجني اذ كنت في وطني
لم ألق أهلي ولا الفي ولا ولدى * فليت شعري سروري واقع بمن

وقال يقول لي العاذل تب عن هوى * من ليس يدنيك الى مطلب
وكيف لي والدين دين الهوى * فلا أرى أرجع من مذهبي
ألبس باب التوب قد سده * طلوعه شمسا من المغرب

وله امنع كرائمك الخروج ولا * تظهر لذلك وجه منبسط
لا تعتبر منهن مسخطة * نيل الرضا في ذلك السخط
أولسن مثل الدر في شبه * والدر من صدف الى سفط

وقال المعتمد بن عباد

تم له الحسن بالعذار * واختلط الليل بالنهار
أخضر في أبيض تبدى * فذاك آسي وذا بهاري
فقد حوى مجلسي تماما * ان يك من ريقه عقاري

وقال ابن فرج الجياني رحمه الله تعالى

وطائعة الوصال صدرت عنها * وما الشيطان فيها بالمطاع
بدت في الليل سافرة فباتت * دياجي الليل سافرة القناع
وما من لحظة الا وفيها * الى فتن القلوب لها دواعي
فلكت الهوى جهات قلبي * لأجري في العفاف على طباعي
كذاك الروض ما فيه لمثلي * سوى نظر وشم من متاع
ولست من السوائم مهملات * فأتخذ الرياض من المراعي

وقال بأيهما أنا في الحسن بادي * بشكر الضعف أم طيف الرقاد
سري لي فازدري أملي ولكن * عففت فلم أنل منه مرادي

نجاله وحسنه وكان كثير التزوج كثير الطلاق وكان ابان ابرص احول قد حمل عنه اصحاب الحديث عدة من السنن وولي لبني مروان مكة وغيرها وكان الوليد صاحب شراب وفتوة ومجون وقتل ابوه وهو مخلق الوجه سكران عليه مصبغات واسعة وبلغ عبد الله من السن ستا وسبعين عاما فتقره ديك على عينه فكان ذلك سبب موته وعبد الله مات صغيرا ولا عقب له (وكان عثمان) في نهاية الجود والكرم والسماحة والبذل في القريب والبعيد فسلك عماله وكثير من اهل عصره طريقته وتأسوا في فعله وبنى داره في المدينة وشيدها بالحجر والكلس وجعل ابوابها من الساج والعرعر واقتنى اموالا وجنانا وعيونا بالمدينة (وذكر) عبد الله بن عتبة ان عثمان يوم قتل كان عند خازنه من المال خمسون ومائة الف دينار والف الف درهم وقيمة ضياعه بوادي القرى وحنين وغيرهما مائة الف دينار وخلف خيلا كثيرا وابلا (وفي ايام عثمان) اقتنى جماعة من اصحابه الضياع

والدور منهم الزبير بن العوام بنى داره بالبصرة وهي المعروفة في هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة

وماذكر من دوره وضياعه فعلوم غير مجهول الى هذه الغاية (وبلغ مال الزبير) بعد وفاته خمسين ألف دينار وخلف الزبير ألف فرس وألف عبد وألف امة وخططا بحيث ذكرنا من الامصار وكذلك طلحة ابن عبيد الله التيمى ابتنى داره بالكوفة المشهورة به هذا الوقت المعروفة بالكناس بدار الطلحتين وكانت غلته من العراق كل يوم ألف دينار وقيل اكثر من ذلك وبناحية سراة اكثر مما ذكر ما وشيد داره بالمدينة وبناها بالآجر والجص والساج وكذلك عبد الرحمن بن عوف الزهرى ابتنى داره ووسعها وكان على مربطه مائة فرس وله ألف بعير وعشرة آلاف من الغنم وبلغ بعد وفاته ربع ثمن ماله اربعة وثمانين الفا (وابتنى سعد) بن ابى وقاص داره بالعقيق فرفع سمكها ووسع فضاءها وجعل اعلاها شرفات (وقد ذكر) سعيد بن المسيب ان زيد بن ثابت حين مات خلف من الذهب والفضة ما كان يكسر بالفؤس غير ما خلف من الاموال والضياع بقيمة مائة الف دينار (وابتنى المقداد) داره بالمدينة فى الموضع المعروف بالجرف على اميال من المدينة فاجابه

وما فى النوم من حرج ولكن * جريت مع العفاف على اعتيادى

وقال الرصافى

وعيش أنس للسرور وقد بدا * من دون قرص الشمس ما يتوقع
سقطت فلم يملك نديمك ردها * فوددت يا موسى لو انك يوشع

وقال ابن عبد ربه

يراعة غرنى منها وميض سنى * حتى مددت اليها الكف مقتبسا
فصادفت حجرا لو كنت تضربه * من لؤمه بعصا موسى لما ابجسا
كانما صيغ من لؤم ومن كذب * فكان ذلك له روحا وذا نفسا

وقال ابن صارة فى فروة

أودت بذات يدى فريبة أرنب * كفؤاد عروة فى الضنى والرقة
يتجشم الفراء من ترقيعها * بعد المشقة فى قريب الشقة
نوأن ما أنفقت فى ترقيعها * يحصى لزاد على رمال الرقة
ان قلت بسم الله عند لباسها * قرأت على اذا السماء انشقت

وقال الغزالى

والمرء يعجب من صغيرة غيره * أى امرئ الا وفيه مقال
لسنا نرى من ليس فيه غميزة * أى الرجال القائل الفعال

وقال أبو حيان

لا ترجون دوام الخير من أحد * فالشر طبع وفيه الخير بالعرض
ولا تظن امرأ أسدى اليك يدا * من أجل ذاك بل أسداه للغرض

وقال ابن شهيد

ولما فشا بالدمع ما بين وجدنا * الى كاشحينا ما القلوب كواتم
أمرنا بامساك الدموع جفوننا * ليشجى بما نطوى عذول ولائم
أبى دمعنا يجرى مخافة شامت * فنظمه بين المحاجر ناظم
وراق الهوى منا عيون كريمة * تبسم حتى ما تروق المباسم

وقال فى الانتحال

و بلغت أقواما تجيش صدورهم * على وانى فيهم فارغ الصدر
أصاخوا الى قولى فاسمعت معجزا * وغاصوا على سرى فأعجزهم أمرى
فقال فريق ليس ذا الشعر شعره * وقال فريق أيمن الله ماندرى
فمن شاء فليغبرفانى حاضر * ولا شئ أجلى للشكوك من الخبر

وينظر الى مثل هذا قصة أبى بكر بن بقى حين استهدى من بعض اخوانه أقلاما فبعث اليه بثلاث من القصب وكتب معها

خذها اليك أبا بكر الاقصبا * كانما صاغها الصواغ من ورقه
يزهى بها الطرس حسنا ما نثرت بها * مسك المداد على الكافور من ورقه

فأجابه أبو بكر

أرسلت نحوى ثلاثا من قناشلب * مناآدة تطعن القرطاس فى ورقه
فاللحظ ينكرها والخط يعرفها * والرق يخدمها بالرق فى عنقه

فحسده عليه بعض من سمعه ونسبه الى الانتحال فقال ابو بكر يخاطب صاحبه الاوّل

وجاهل نسب الدعوى الى كلمى * لما رآه بمثل النبل فى حدقه
فقلت سن حنق لما تعرض لى * من ذا الذى اخرج اليربوع من نفقه
ماذم شعرى وايم الله لى قسم * الا امرؤ ليست الاشعار من طرقه
الشعر يشهد أنى من كواكبه * بل الصباح الذى يستن من أفقه

وقال ابن شهيد أيضا فى ضيف

وما انفك معشوق الثنا يغمده * ببشر وترحيب وبسط بنان
الى أن تشهى البين من ذات نفسه * وحن الى الاهلين حنة حانى
فأتبعته ما سدد خلف حاله * وأتبعنى ذكرا بكل مكان

وقال وبتنا نراعى الليل لم يطو برده * ولم يجل شيب الصبح فى فوده وخطا
تراه كملك الزنج من فرط كبره * اذا رام مشيا فى تبختره أبطا
مطلا على الآفاق والبدر تاجه * وقد جعل الجوزاء فى أذنه قرطا

وقال بعضهم فى لباس أهل الاندلس البياض فى الحزن مع ان أهل المشرق يلبسون فيه السواد

ألا يا أهل أندلس فطنتم * بلطفكم الى أمر عجيب
لبستم فى مآتمكم بياضا * فجئتم منه فى زى غريب
صدقتم فالبياض لباس حزن * ولا حزن أشد من المشيب

وقال ابو جعفر بن خاتمة

هل جسوم من النوى ودعوها * باقيات لسوء ما ودعوها
ياحداة القلوب ما العدل هذا * أتبعوها اجسامها ام ودعوها

وقال القسطلى يصف هول البحر

اليك ركبنا الفلك تهوى كانها * وقد ذعرت من مغرب الشمس غربان
على لجج خضر اذا هبت الصبا * ترامى بها فيه ثبير وثهلان
مواثل ترعى فى ذراها مواثلا * كما عبدت فى الجاهلية اوثان
مقاتل موج البحر والمهو والدجا * يموج بها فيها عيون وآذان
الا هل الى الدنيا معاد وهل لنا * سوى البحر قبر أو سوى الماء اكفان

وقال الرمادى يهنى ابن العطار الفقيه بمولود

يهنيك ما زادت الايام فى عددك * من فلذة برزت للسعد من كبدك
كانما الدهر دهر كان مكتئبا * من انفرادك حتى زاد فى عددك
لا خلفتك الليالى تحت ظل ردى * حتى ترى ولدا قد شب من ولدك

وقال ابن صارة فى النار

خمسمائة الف دينار وديونا على الناس وعقارات وغير ذلك من التركة ما قيمته مائة الف دينار وهذا باب يتسع ذكره ويكثر وصفه فيمن تملك من الاموال فى ايامه ولم يكن مثل ذلك فى عصر عمر ابن الخطاب بل كانت جادة واضحة وطريقة بينة (وحج عمر) فانفق فى ذهابه ومجيئه الى المدينة ستة عشر دينارا وقال لولده عبد الله لقد اسرفنا فى نفقتنا فى سفرنا هذا ولقد شكا الناس اميرهم سعد بن ابى وقاص وذلك فى سنة احدى وعشرين فبعث عمر محمد بن مسلمة الانصارى حليف بنى عبد الاشهل فحرق عليه باب قصر الكوفة وجمعهم فى مساجد الكوفة يسالهم عنه فحمده بعضهم وساءه بعض فعزله وبعث الى الكوفة عمار بن ياسر على الثغر وعثمان بن حنيف على الخراج وعبد الله بن مسعود على بيت المال وامره ان يعلم الناس القرآن ويفقههم فى الدين وفرض لهم فى كل يوم شاة فجعل شطرها وسواقطها لعمار ابن ياسر والشطر الآخر بين عبد الله بن مسعود وعثمان بن حنيف فاين عمر ممن ذكرنا واين هو عمن

هات التى للايك اصل ولادها * ولماجبين الشمس فى الاشماس
يتقشع الياقوت فى لباتها * بوساوس تشفى من الوسواس
انس الوحيد وصبح عين المجتلى * ولباس من امسى بغير لباس
حمراء ترفل فى السواد كانما * ضربت بعرق فى بنى العباس

وقال فيها أيضا

لابنة الزندفى الكوانين جمر * كالدرارى فى الليلة الظلماء
خبرونى عنها ولاتكذبونى * الديها صناعة الكيمياء
سبكت خمها سبائك تبر * رصعته بالفضة البيضاء
كلما ولول النسيم عليها * رفصت فى غلالة حمراء
سفرت عن جبينها فأرتنا * حاجب الليل طالعا بالعشاء
لوترانا من حولها قلت قوم * يتعاطون أكؤس الصهباء

وقال فيها الفقيه الاديب ابن اللبان

فخمذ كافى حشاه جمر * فقلت مسك وجلنار
أوخد من قدهويت لما * أطل من فوقه العذار

وكان أبو المطرف الزهرى جالسا فى باب داره مع زائر له فخرجت عليهما من زقاق جارية سافرة الوجه كالشمس الطالعة فحين نظرتهما على حين غفلة منها نفرت خيلة فرأى الزائر ما أبهته فكلفه وصفها فقال مرتجلا

ياطيبة نفرت والقلب مسكنها * خوفا لحتلى بل عمدا التعذيبى
لاتخشى فابن عبد الحق أنحلنا * عدلا يؤلف بين الظبى والذيب

وقال ابن شهيد

أصباح لاح أم بدر بدا * أم سنى المحبوب أورى زندا
هب من نعسته منكسرا * مسبل اللكم مرخ للردا
يمسح النعسة من عينى رشا * صائد فى كل يوم أسدا
قلت هب لى ياحبيبى قبلة * تشف من حبك تبريح الصدى
فانثنى يهتز من منكبه * قائلا لاثم أعطانى اليدا
كلما كلمنى قبلته * فهو ماقال كلاما رددا
قال لى يلعب صدفى طائرا * فترانى الدهر أجرى بالكدى
واذا استنجزت يوما وعده * قال لى يمطل ذكرنى غدا
شربت أعضاؤه خمر الصبا * وسقاه الحسن حتى عربدا
وشأبل غادة معكورة * عممت صبحا بليل أسودا
أخملت من عضة فى نهدها * ثم عضت وجهى عمدا
فأنا الجروح من عضتها * لاشفانى الله منها أبدا

وقال محمد بن هانئ فى الشيب

ولابصفا صلد عن الخير معزل * ولكننى اروى من الخمر هامتى * وامشى الملا بالساحب المسلسل بنتم

الله صلى الله عليه وسلم ابن ابى معيط على الكوفة وهو من اخبر النبى صلى الله عليه وسلم انه من اهل النار وعبد الله بن ابى سرح على مصر ومعاوية بن ابى سفيان على الشام وعبد الله ابن عامر على البصرة وصرف عن الكوفة الوليد ابن عقبة وولاها سعيد بن العاص وكان السبب فى صرف الوليد وولاية سعيد على ماروى ان الوليد بن عقبة كان يشرب مع ندمائه ومغنيه من اول الليل الى الصباح فلما آذنه المؤذنون بالصلاة خرج منفصلا فى غلائله فتقدم الى المحراب فى صلاة الصبح فصلى بهم اربعا وقال تريدون ان ازيدكم وقيل انه قال فى سجوده وقد اطال اشرب واسقنى فقال له بعض من كان خلفه فى الصف الاول ماتر يدلازادك الله مزيد الخير والله لاانجب الامن بعثك الينا واليا وعلينا اميرا وكان هذا القائل عتاب بن غيلان الثقفى (وخطب) الناس الوليد فحصبه الناس بحصباء المسجد فدخل قصره يترنح و يتمثل بابيات لتأبط شرا ولست بعيدا عن مدام وقينة

بنتم فلولا أن اغبر لمتى * ألقاكم يوما على غضابا
لخضبت شيبا فى مفارق لمتى * ومحوت محو النقس عنه شبابا
وخضبت مبيض الحداد عليكم * لو أننى اجد البياض خضابا
واذا أردت على المشيب وفادة * فاجعل مطيك دونه الاحقابا
فلتأخذن من الزمان حمامة * ولتدفعن الى الزمان غرابا

وكتب ابن عمار الى ابن زرين وقد عتب عليه ان اجتاز ببلده ولم يلقه

لم تثن عنك عنانى سلوة خطرت * ولا فؤادى ولا سمعى ولا بصرى
لكن عدتنى عنكم خجلة خطرت * كفانى العذر منها بيت معتذر
لو اختصرتم من الاحسان زرتكم * والعذب يهجر للافراط فى الخصر

وقال ابن الحداد

وانى لصب للتلاقى وانما * يصدر كابى عن معاهدك العصر
أذوب حياء من زيارة صاحب * اذا لم يساعدنى على بره الوفر

وقال ابن عبدربه

يا من عليه حجاب من جلالته * وان بدا لك يوما غير محجوب
ما أنت وحدك مكسوا ثياب ضنى * بل كلما بك من مضنى ومشحوب
ألقى عليك يد الضر كاشفة * كشاف ضر نبى الله أيوب

وقال النحلى

ولاعبة الوشاح بغصن بان * لها أثر بتقطيع القلوب
اذا سوت طريق العود نقرا * وغنت فى محب أو حبيب
فيمناها تقد بها فؤادى * ويسراها تعذبها ذنوبى

وقال ابن شهيد

كلفت بالحب حتى لو دنا أجلى * لما وجدت لطعم الموت من ألم
وعاقنى كرمى عمن ولهت به * ويلى من الحب أو ويلى من الكرم

وكان صوفى بشر يش حافظ للشعر فلا يعرض فى مجلسه معنى الا وهو ينشد عليه فاتفق أن عطس رجل بمجلسه فشمته الحاضرون فدعا لهم فرأى الصوفى انه ان شمته قطع انشاده بما لا يشاكله من النظم وان لم يشمته كان تقصيرا فى البر فرغب حين أصبح من الطلبة نظم هذا المعنى فقال الوزير الحسيب أبو عمرو بن أبى محمد

يا عاطسا يرحمك الله اذ * أعلمت بالحمد على عطستك
ادع لنا ربك يغفر لنا * وأخلص النية فى دعوتك
وقل له يا سيدى رغبتى * حضور هذا الجمع فى حضرتك
وأنت يا رب الندى والنوى * بارك رب الناس فى ليلتك
فان يكن منكم لنا عودة * فأنت محمود على عودتك

وهذا الوزير المذكور كان يصرف شعره فى أوصاف الغزلان ومخاطبات الاخوان وكتب

نادى وقد تمت صلاتهم
أأزيدكم ثملا وما يدرى
ليزيدهم أخرى ولو قبلوا
لقرنت بين الشفع والوتر
حبسوا عنانك فى الصلاة
ولو
خلوا عنانك لم تزل تجرى
وأشاعوا بالكوفة فعله
وظهر فسقه ومداومته
شرب الخمر فهجم عليه جماعة
من المسجد منهم أبو زينب
ابن عوف الازدى وابو جندب
ابن زهير الازدى وغيرهما
فوجدوه سكران مضطجعا
على سريره لا يعقل فأيقظوه
من رقدته فلم يستيقظ ثم
تقايأ عليهم ما شرب من
الخمر فانتزعوا خاتمه من
يده وخرجوا من فورهم
الى المدينة فاتوا عثمان
ابن عفان فشهدوا عنده
على الوليد انه شرب الخمر
فقال عثمان وما يدريكما
انه شرب خمرا فقالا هى
الخمر التى كنا نشربها فى
الجاهلية وأخرجا خاتمه
فدفعاه اليه فرزأه ما
ودفع فى صدورهما وقال
تجيئانى فخرجا واتيا على
ابن ابى طالب رضى الله عنه
واخبراه بالقصة فاتى عثمان
وهو يقول دفعت الشهود
وابطلت الحدود فقال له
عثمان فما ترى قال ارى
ان تبعث الى صاحبك فان

٣٤ ط نى اقاما الشهادة عليه فى وجهه ولم يدل بحجة اقمت عليه الحد فلما حضر الوليد دعاه عثمان فأقاما الشهادة

عليه ولم يدل بحجة فالقى عثمان السوط الى على فقال على لابنه الحسن قم يا بنى فأقسم عليه ما أوجب الله عليه فقال يكفيه بعض ما ترى فلما نظر الى امتناع الجماعة عن اقامة الحد عليه توقيا لغضب عثمان لقرابته منه اخذ على السوط ودنا منه فلما أقبل نحوه سبه الوليد وقال يا صاحب مكس فقال عقيل بن ابى طالب وكان ممن حضر انك لتتكلم يا ابن أبى معيط كأنك لا تدرى من انت وانت علج من اهل صفورية وهى قرية بين عكا والعجون من اعمال الاردن من بلاد طبرية كان ذكر أن اباه كان يهوديا منها فاقبل الوليد يزوغ من على فاجتذبه فضرب به الارض وعلاه بالسوط فقال عثمان ليس لك ان تفعل به هذا قال بلى وشر من هذا اذا فسق ومنع حق الله تعالى أن يؤخذ منه (وولى الكوفة) بعده سعيد ابن العاص فلما دخل سعد الكوفة واليا ابى ان يصعد المنبر حتى يغسل وامر بغسله وقال ان الوليد كان نجسا رجسا فلما اتصلت ايام سعيد بالكوفة ظهرت منه امور منكرة واشتبه بالاموال وقال فى بعض الايام وكتب به الى عثمان انما هذا السواد فيء لقريش فقال له الاشتر وهو مالك بن الحرث النخعى اتجعل ما افاء الله علينا بظلال سيوفنا ومراكز رماحنا بستانا لك ولقومك ثم خرج السبت

الى الشريشى شارح المقامات يستدعى منه كتاب العقد

ايا من غدا سلكا لجيد معارفه * ومن لفظه زهر أنيق لقاطفه
محبك أضحى عاطل الجيد فاتجد * بعقد على لباته وسوالفه

ووعك فى بعض الاعياد فعاده من أعيان الطلبة جملة فلما هموا بالانصراف أنشدهم ارتجالا

لله در أفاضل أمجاد * شرف الندى بقصدهم والنادى
لما أشار وا بالسلام وأزمعوا * أنشدتهم وصدقت فى الانشاد
فى العيد عدتم وهو يوم عروبة * يا فرحتى بثلاثة الاعياد

قال الشريشى فى شرح المقامات ولقد زرته فى مرضه الذى توفى فيه رحمه الله تعالى أنا وثلاثة فتيان من الطلبة فسألنى عنهم وعن آبائهم فلما أرادوا الانصراف تناول أحدهم محبرة وقال له اكتب وأملى عليه ارتجالا

ثلاثة فتيان يؤلف بينهم * ندى كريم لا أرى الله بينهم
تشابه خلق منهم وخليقة * فان قلت أين الحسن فانظره أين هم
وزينهم استاذهم اذ غدا لهم * معلم آيات فتهم دينهم
فان خفت من عين ففى الكل فلتقل * وقى الله رب الناس للكل عينهم

وقال الشريشى حدثنا شيخنا أبو الحسين بن زرقون عن أبيه أبى عبد الله قعد مع صهره أبى الحسن عبد الملك بن عياش الكاتب على بحر الجاز وهو مضطرب الامواج فقال له ابو الحسن أجز

وملتطم الغوارب موجته * بوارح فى منا كبها غيوم

فقال أبو عبد الله

تمنع لا يعوم به سفين * ولو جذبت به الزهر النجوم

وكان لابن عبدربه فتى يهواه فأعلمه انه يسافر غدا فلما أصبح عاقه المطر عن السفر فانجلى عن ابن عبدربه همه وكتب اليه

هلا ابتكرت لبين أنت مبتكر * هيهات يأبى عليك الله والقدر
مازلت أبكى حذار البين ملتهبا * حتى رثى لى فيك الريح والمطر
بارده من حمائم على كبد * نيرانها بغليل الشوق تستعر
آليت أن لا أرى شمسا ولا قمرا * حتى أراك فأنت الشمس والقمر

وقال ابن عبدربه

صل من هويت وان أبدى معاتبة * فأطيب العيش وصل بين اثنين
واقطع حبائل خدن لا تلائمه * فقلما تسع الدنيا بغيضين

وقال أبو محمد غانم بن الوليد المالقى

صير فؤادك للحبوب منزلة * سم الخياط مجال للعبين
ولا تسامح بغيضا فى معاشرة * فقلما تسع الدنيا بغيضين

وكان المتوكل صاحب بطليوس ينتظر وفود أخيه عليه من شنترين يوم الجمعة فأتاه يوم

السبت فلما لقيه عانقه وأنشده

تخيرت اليهود السبت عمدا * وقلنا فى العروبة يوم عيد
فلما أن طلعت السبت فينا * أطلت لسان محتج اليهود

وقال أبو بكر بن بقى

أقمت فيكم على الاقتار والعدم * لو كنت حرا أبى النفس لم أقم
فلا حديقتكم يجنى لها ثمر * ولا سماؤكم تهمل بالديم
أنا امرؤ ان نبت بى أرض أندلس * جئت العراق فقامت بى على قدم
ما العيش بالعلم الا حيلة ضعفت * وحرفة وكلت بالعدم والبرم

وقال الابيض فى الفقهاء المراثين

أهل الرياء لبستم ناموسكم * كالذئب يذبح فى الظلام الغاتم
فلكتم الدنيا بمذهب مالك * وقسمتم الاموال بابن القاسم
وركبتم شهب البغال بأشهب * وبأصبغ صبغت لكم فى العالم

وقال قل للامام سنا الائمة مالك * نور العيون ونزهة الاسماع
لله درك من همام ماجد * قد كنت راعينا فنعم الراعى
فضحت محمود النقيبة طاهرا * وتركتنا قنصا لشر سباع
أكلوا بك الدنيا وأنت بمعزل * طاوى الحشا متكفف الاضلاع
تشكوك دنيا لم تزل بك برة * ماذا رفعت بها من الاوضاع

وقال ابن صارة

يا من يعذبنى لما ملكنى * ماذا تريد بتعذيبى واضرارى
تروق حسنا وفيك الموت أجمعه * كالصقل فى السيف أو كالنور فى النار

وقال عبدون البلنسى

يا من محياه جنات مفتحة * وهجره لى ذنب غير مغفور
لقد تناقضت فى خلق وفى خلق * تناقض النار بالتدخين والنور

وقال الوزير ابن الحكيم

رسخت أصول علاكم تحت الثرى * ولكم على خط المجرة دار
ان المكارم صورة معلومة * أنتم لها الاسماع والابصار
تبدو شموس الدجن من أطواقكم * وتفيض من بين البنان بحار
ذلت لكم نسم الخلائق مثل ما * ذلت لشعرى فيكم الاشعار
فتى مدحت ولا مدحت سواكم * فمدحكم فى مدحه اضمار

وقال القاضى أبو جعفر برطال

أستودع الرحمن من لوداعهم * قلبى وروحى آذنا بوداعى
بانوا وطرفى والفؤاد ومقولى * بالك ومسلوب الفؤاد وداعى
فقول يا مولاى حفظهم ولا * تجعل تفرقنا فراق وداع

الاشتر واصحابه اياما لا يخرج لهم من عثمان فى سعيد شئ وامتدت أيامهم بالمدينة وقدم على عثمان امراؤه من الامصار منهم عبد الله بن سعد بن أبى سرح من مصر ومعاوية من الشام وعبد الله بن عامر من البصرة وسعيد بن العاص من الكوفة فاقاموا بالمدينة اياما لا يردهم الى امصارهم كراهة ان يرد سعيدا الى الكوفة وكره ان يعزله حتى كتب اليه من بامصارهم يشكون كثرة الخراج وتعطيل الثغور فجمعهم عثمان وقال ماترون فقال معاوية أما انا فراض بى جندى وقال عبد الله بن عامر بن كريز ليكفك امرؤ ما قبله اكفك ما قبلى وقال عبد الله بن سعد بن ابى سرح ليس بكثير عزل عامل للعامة وتولية غيره وقال سعيد بن العاص انك ان فعلت هذا كان اهل الكوفة هم الذين يولون ويعزلون وقد صاروا حلقا فى المسجد ليس لهم غير الاحاديث والخوض فجهزهم فى البعوث حتى يكون هم احدهم أن يموت على ظهر دابته قال فسمع مقالته عمرو بن العاص فخرج الى المسجد فاذا طلحة والزبير جالسان فى ناحية منه فقالا له الينا فصار اليهما فقالا له انا وراءك

وقال ابن خفاجة

وما هاجنى الا تألق بارق * لبست به برد الدجنة معلما

وهى طويلة وقال من أخرى

جمعت ذوائبه ونور جبينه * بين الدجنة والصباح المشرق

وقال ذوالوزارتين أبو الوليد بن الخضرمى البطليوسى فى غلام للمتوكل بن الافطس يرثيه

غالته أيدى المنايا * وكن فى مقلتيه

وكان يسقى الندامى * بطرفه ويديه

فصن ذوى وهلال * جارا الكسوف عليه

وقال الفقيه العالم أبو أيوب سليمان بن محمد بن بطال البطليوسى عالما فى المذهب المالكى وقد تحاكم اليه وسيمان أشقروا كحل فيمن يفضل بينهما

وشادنين ألمابى على مقة * تنازعا الحسن فى غايات مستبق

كأن لمة ذا من نرجس خلقت * على بهار وذا مسك على ورق

وحكما الصب فى التفضيل بينهما * ولم يخافا عليه رشوة الحدق

فقام يبدى هلال الدجن حجته * مبينا بلسان منه منطلق

فقال وجهى بدر يستضاء به * ولون شعرى مقطوع من الغسق

ولكل عينى سحر للنهى وكذا * لك الحسن أحسن ما يعزى الى الحدق

وقال صاحبه أحسنت وصفك لكن فاستمع لمقال فى متفق

أنا على أفق شمس النهار ولم * تغرب وشقرة شعرى شقرة الشفق

وفضل ما عيب فى العينين من زرق * أن الاسنة قد تعزى الى الزرق

قضيت للة الشقرا حيث حكمت * نورا كذا حبها يقضى على رمق

فقام ذو اللمة السوداء يرشقنى * سهام أجفانه من شدة الحنق

وقال جرت فقلت الجور منك على * قلبى ولى شاهد من دمعى الغدق

وقلت عفوك اذ أصبحت بينهما * فقال دونك هذا الجبل فاختنق

وكان فيه ظرف وأدب وعنوان طبقته هذه الابيات وقال

وغاب من الاكواس فيها ضراغم * من الراح ألباب الرجال فريسها

قرعت بها سن الحلوم فأقطعت * وقد كاد يسطو بالفؤاد رسيسها

وله رحمه الله تعالى شرح البخارى وأكثر ابن حجر من النقل عنه فى فتح البارى وله كتاب الاحكام وغير ذلك وترجمته شهيرة * وقال الاديب النحوى المؤرخ أبو اسحق ابراهيم ابن الاعلم البطليوسى صاحب التأليف التى بلغت نحو خمسين

ياحص لازلت دارا * لكل بؤس وساحه

ما فيك موضع راحه * الا وما فيه راحه

وهو شيخ أبى الحسن بن سعيد صاحب المغرب وأنشده هذين البيتين لما ضجر من الاقامة باشبيلية أيام فتنة الياجى * وقال الاديب الطبيب أبو الاصبغ عبد العزيز البطليوسى

قال الشر ما ترك شيأ من ردعليكم وامر بتجهيزكم فى البعوث وبكذا وكذا فقال الاشتر والله قد كنا نشكو سوء سيرته وما قمنا به خطباء فكيف وقد قمنا وايم الله على ذلك لولا أنى انفذت النفقة وانضيت الظهر لسبقته الى الكوفة حتى امنعه دخولها فقال له فعندنا حاجتك التى تقوتك فى سفرك قال فاسلفانى اذن مائة ألف درهم قال فاسلفه كل واحد منهما حسين ألف درهم فقسمها بين اصحابه وخرج الى الكوفة فسبق سعيد وصعد المنبر وسيفه فى عنقه ماوضعه بعد ثم قال اما بعد فان عاملكم الذى أنكرتم تعديه وسوء سيرته قد رد عليكم وامر بتجهيزكم فى البعوث فبايعونى على أن لا يدخلها فبايعه عشرة آلاف من اهل الكوفة وخرج راكبا متخفيا يريد المدينة او مكة فلقى سعيدا بواقصة فاخبره بالخبر فانصرف الى المدينة وكتب الاشتر الى عثمان انا والله ما منعنا عاملك الا ليفسد عليك عملك ولمن احببت فكتب اليهم انظروا من كان عاملكم ايام عمر بن الخطاب فولوه فنظروا فاذا هو أبو موسى الاشعرى فولوه (وفى سنة خمس وثلاثين) كثر الطعن على عثمان رضى الله عنه وظهر عليه النكير لاشياء ذكروها

الملقب بالقلندر

جرت مني الخمر مجرى دمي * فحل حياتي من سكرها
ومهما دجت ظلم للهموم * فثمز يقها بسنى بدرها

وخرج يوما وهو سكران فلقي قاصيا في نهاية من قبح الصورة فقال سكران خذوه فلما أخذه الشرطة قال للقاضي بحق من ولاك على المسلمين بهذا الوجه القبيح عليك الا ما فضلت على وتركتني فقال القاضي والله لقد ذكرتني بفضل عظيم ودرأعنه الحد * وقال ابن جاخ الصباغ البطليوسي وهو من أعاجيب الدنيا لا يقرأ ولا يكتب

ولما وقفنا غداة النوى * وقد أسقط البين ما في يدي
رأيت الهوادج فيها البدور * عليها البراقع من عسجد
وتحت البراقع مقلوبها * تدب على ورد خد ندي
تسالم من وطئت خده * وتلدغ قلب الشجي المكمد

وقال في المتوكل وقد سقط عن فرس

لا عتب للطرف ان زلت قوائمه * ولا يدنسه من عائب دنس
حملت جودا و باساقوقه ونهى * و كيف يحمل هذا كله الفرس

وقال الشاعر المشهور بالكميت البطليوسي

لا تلوموني فاني عالم * بالذي تأتيه نفسي وتدع
بالحيا والحياصبوتي * وسوى حبهما عندي بدع
فضل الجمعة يوم وأنا * كل أيامي بافراحي جمع

وقال أبو عبد الله محمد بن البين البطليوسي وهو ممن يميل الى طريقة ابن هانئ

غصبوا الصباح فقسموه خدودا * واستنهبوا قضب الاراك قدودا
ورأوا حصا الياقوت دون محلهم * فاستبدلوا منه النجوم عقودا
واستودعوا حدق المها أجفانهم * فبوا بهن ضراغما واسودا
لم يكفهم حمل الاسنة والظبا * حتى استعانوا أعينا ونهودا
وتضافروا بضفائر أبدوا لنا * ضوء النهار بليلها معقودا
صاغوا الثغور من الاقاحي بينها * ماء الحياة لواغتدى مورودا

وكان عند المتوكل مضحك يقال له الخطارة فشرب ليلة مع المتوكل وكان في السقاة وسيم فوضع عينه عليه فلما كان وقت السحر دب اليه وكان بالقرب من المتوكل فاحس به فقال له ما هذا يا خطارة فقال له يا مولاي هذا وقت تفريغ الخطارة الماء في الرياض فقال له لا تعد لئلا يكون ما أحمر فرجع الى نومه ولم يعد في ذلك كلمة بقية عمره معه ولا أنكر منه شيأ ولم يحدث بها الخطارة حتى قتل المتوكل رحمه الله تعالى والخطارة صنف من الدواليب الخفاف يستقى به أهل الاندلس من الاودية وهو كثير على وادي اشبيلية وأكثر ما يباكرون العمل في السحر * وقال الوزير أبو زيد عبد الرحمن بن مولود

أرقني يوما من الدهر على وفق الاماني

عن عثمان من اجله (ومن ذلك) ما نال عمار بن ياسر من الفتن والضرب والانحراف بني مخزوم عن عثمان من أجله (ومن ذلك) فعل الوليد بن عقبة في مسجد الكوفة وذلك انه بلغه عن رجل من اليهود من ساكني قرية من قرى الكوفة مما يلي جسر بابل يقال له زرارة يعمل انواعا من الشعبذة والسحر يعرف بمطروى فاحضره فأراه في المسجد ضربا من التخاييل وهو أن اظهر له في الليل فيلا عظيما على فرس في صحن المسجد ثم صار اليهودي ناقة يمشي على حبل ثم اراه صورة حمار دخل من فيه ثم خرج من دبره ثم ضرب عنق رجل ففرق بين جسده وراسه ثم امر السيف عليه فقام الرجل وكان جماعة من اهل الكوفة حضورا منهم جندب بن كعب الازدي فجعل يستعيذ بالله من فعل الشيطان ومن عمل يبعد من الرحمن وعلم ان ذلك هو ضرب من التخييل والسحر فاختط سيفه وضرب به اليهودي ضربة اطارت راسه ناحية من بدنه وقال جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا وقد قيل ان ذلك كان نهارا وان جندبا خرج الى السوق ودنا من بعض الصياقلة واخذ سيفا ودخل فضرب به عنق اليهودي وقال ان كنت صادقا فأحي نفسك

ثم دعني بعد هذا * كيفما شئت تراني

وقال أديب الاندلس وحافظها أبو محمد عبد المجيد بن عبدون الفهري المالقي وهو من رجال الذخيرة والقلائد وشهرته مغنية عن الزيادة يخاطب المتوكل وقد أنزله في دار وكفت عليه

أياساميا من جانبيه كليهما * سموّ حباب الماء حالا على حال
لعبدك دار حل فيها كانها * ديار لسلمى عافيات بذي خال
يقول لها لما رأى من دثورها * ألا عم صباحا أيها الطلل البالي
فقالت وما عيت جوابا بردها * وهل يعمن من كان في العصر الخالي
فرصاحب الانزال فيها بعاجل * فان الفتى يهذي وليس بفعال

وقال في جمع حروف الزيادة حسبما ذكره عنه في المغرب

سألت حروف الزائدات عن اسمها * فقالت ولم تكذب أمان وتسهيل

قلت وعلى ذكر حروف الزيادة فقد أكثر الناس في انتقاء الكلمات الضابطة لها وقد كنت جمعت فيها نحو مائة ضابط ولنذكر الآن بعضها فنقول منها أهوى تلمسانا ونظمتها فقلت

قالت حروف زيادات لسائلها * هل هويت بلدة أهوى تلمسانا

وجمعها ابن مالك في بيت واحد بأربعة أمثلة من غير حشو وهو

هناء وتسليم تلا يوم انسه * نهاية مسؤل أمان وتسهيل

ومنها هويت السمان وحكي أن أبا عثمان سئل عنها فانشد

هويت السمان فشيبني * وقد كنت قدما هويت السمانا

فقيل له اجبناه فقال اجبتكم مرتين وروي انه قال سألتمونيها فاعطيتكم ثلاثة اجوبة هكذا حكاه بعض المحققين وهو ارق مما حكاه غير واحد على غير هذا الوجه * ومنها اليوم تنساه الموت ينساه اسلمني وتاه هم يشاء لون التناهي سمو تنمي وسائله اسلمي تهاون تهاوني أسلم التمس هواني ماسألت يهون مؤنس التياه لم يأتناسهو يا ويس هل غمت نوبت سؤالهم نوبت مسائله سألتم هواني تاملها يونس اتاني وسهيل هوني مسألتها سألت مايهون وسليمان اتاه تسال من يهوى استملاني هو اسلمت وهناي هو استمالني سايل وانتهم ياهول استتم اتاه وسليمان قلت وليس هذا تكرارا مع السابق الذي هو وسليمان اتاه لان التقديم والتأخير يصيرهما شيئين * ومنها الوسمي هتان اوليتم سناه واليتم أنسه امسيت ونأله انله توسما املتني سهوا اتوسل بمنها سألتهن يوما سألت يومنها سألت مايوهن نهوى ماسألت يهون ماسألت وقد سبق سألت مايهون وعدهما شيئين من اجل التقديم والتأخير كما مر نظيره الاتنس يومه ليتاسن ماؤه سله موتى انا انسته اليوم سألتم هوينا آوى من تسأله وهين ماسألت وهني ماسألت مسألتي نواه * ومنها مسألتي هاون سهوان يتالم أيلتم سهوان اويلتم ناسه مسألتي اهون اوميت تنساه سموتن اليها امليت سهوان وسألتم هينا يهون ماتسال اتلومن سهيا

فامر له الوليد بمال وخلع عليه وحمله على بغلة وأمر له بغلام يقوده الى منزله فلما كان في الطريق قال له الغلام ان الوليد قد ندم على ما فعل بك وقد أمرني بقتلك فاهرب بنفسك فقال له جندب تقتلني بي قال ليس ذلك بكثير في مرضاة الله والدفع عن ولي من اولياء الله فلما اصبح الوليد دعا به وقد استعد لقتله فلم يجده فسأل السجان فاخبره بهربه فضرب عنق السجان وصلبه بالكناس (ومن ذلك) ما فعل بابي ذر وهو انه حضر مجلسه ذات يوم فقال عثمان ارأيتم من زكى ماله هل فيه حق لغيره فقال كعب لا يا امير المؤمنين فدفع ابو ذر في صدر كعب وقال له كذبت يا ابن اليهودي ثم تلا ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب الآية فقال عثمان اترون بأسا ان نأخذ مالا من بيت مال المسلمين فنتفقه فيما ينوبنا من امورنا ونعطيكموه فقال كعب لا باس بذلك فرفع ابو ذر العصا فدفع بها في صدر كعب وقال يا ابن اليهودي ما اجرأك على القول في ديننا فقال له عثمان ما اكثر اذاك لي غيب وجهك عني فقد آذيتني فخرج ابو ذر الى الشام فكتب معاوية الى عثمان ان ابا ذر تجتمع اليه الجموع ولا آمن ان يفسدهم عليك فان كان لك في القوم حاجة فاحملهم الينا فكتب اليه عثمان بحمله

اسلم وانتهى يتأمل سهوان يتأمل ناسوه يتأمل اسوه اينأمل نسوه الهوى اتنسم وليت ماه آسن تولين اسهما اتلواسهمين اول ساهمتني اسماؤه تنيل يتأملنه سوا اولم يتسناه آمن ويتساهل امستن لهوا توسميه لناء هوماتسألين لايها تتوسم ايهما تتوسل اتاني لسموه سميتهن اولا اولاهن سميت سلمتني اهوا اسلمتني هوا اونستميلها ابستهلونا هنأت الموسى سليم انتهوا وانت سائلهم ساءلته ينمو تهنألايسمو اسألي مؤنته سألتي موهنا التمسي هونا استملي اهون التناه موسى لهواء يتسنم نهوى ماتسأل ماؤه لينأسن تنسمي لهواه تلومي ان سها المتني سهوا ستولينا امه يتمهلون اسا امهلتني سوا التناسي وهم اهويت سلمان هويت المأنس المانس تهوى هويت ام ناسل اوليس تم هنا استوهن املى استهون المى استملن وهيأ اتسلمونيها ايتسلمونها الايتسمونه اليس توهمنا الايتسموه فهذه مائة واربعة وثلاثون تركيبا منها ماهو متين ومنها ماهو غير متين وقد جمع ابن خروف فيها اثنين وعشرين تركيبا محكيا وغير محكي واحسنها بيت ابن عبدون السابق ويليه بيت ابن مالك وقال الطغمي جامعها الاربع مرات

آلمتى سهوا تلومي ان سها * اوليس تم هنا الهوا يتسنم

هكذا بخطه يتسنم ولو قال يتنسم لكان انسب وقال ايضا

وليت ماسناه والتمسي هنا * ماتسألين هوالهنا يتوسم انتهى

قلت وقد جمعت في المغرب زيادة على ماتقدم وكنت قدرت رسالة فيها اسميها اتحاف اهل السيادة بضوابط حروف الزيادة * وقال ابو محمد عبد الله بن الليث يستدعي الوزير ابا الحسن الياوري في يوم غيم

رقم الربيع بروضنا ازهاره * فجرى على صفحاته انهاره
فعسى تشرفنا بهجة سيد * ألقى على ليل الخطوب نهاره
تتمتع الآداب من نفحاته * فيشم منها وردوه بهاره
ياسيدا بهر البرية سوددا * أبدى الينا سره وجهاره
يوم أطل الغيم وجه ضيائه * فعليك ياشمس العلا أظهاره

وقال ابو القاسم بن الابرش

أدر كاس المدام فقد تغنى * بفرع الايك طائره الصدوح
وهب على الرياض نسيم صبح * يمر كما دنا سار طليح
ومال النهر يشكو من حصاه * جراحات كما أن الجريح

وقال

حلفت ويشهد دمعي بما * أقاسيه من هجرك الزائد
فان كنت تجحد ما أدعي * وحاشاك تعرف بالجاحد
فان النبي عليه السلام * قضى باليمين مع الشاهد

وقال ابو الحسن علي بن بسام الشنتريني صاحب الذخيرة وشهرته تغني عن ذكره ونظمه دون نثره يخاطب ابا بكر بن عبد العزيز

أبا بكر المجتبى للأدب * رفيع العماد فريع الحسب

فحمله على بعير عليه قتب يابس معه خمسة من الصقالبة يطيرون به حتى اتوا به المدينة قد تسلخت بواطن افخاذه وكاد ان يتلف فقيل له انك تموت من ذلك فقال هيهات لن اموت حتى انفي وذكر جوامع ما نزل به بعد ومن يتولى دفنه فأحسن اليه في داره اياما ثم دخل اليه فجلس على ركبتيه وتكلم باشياء وذكر الخبر في ولد ابي العاص اذا بلغوا ثلاثين رجلا اتخذوا عباد الله خولا ومر في الخبر بطوله وتكلم بكلام كثير وكان في ذلك اليوم قد اتى عثمان بتركة عبد الرحمن بن عوف الزهري من المال فنصت البدر حتى حالت بين عثمان وبين الرجل القائم فقال عثمان اني لارجو لعبد الرحمن خيرا لانه كان يتصدق ويقري الضيف وترك ما ترون فقال كعب الاحبار صدقت يا أمير المؤمنين فقال ابو ذر العصا فضرب بها راس كعب ولم يشغله ما كان فيه من الالم وقال يا ابن اليهودي تقول لرجل مات وترك هذا المال ان الله اعطاه خير الدنيا وخير الآخرة وتقطع على الله بذلك وانا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما يسرني أن اموت وادع مايزن قيراطا فقال له عثمان وارعني وجهك فقال اسير الى مكة قال لا والله قال فتمنعني من بيت ربي اعبده

غير ماذكرت لك ولو تركتنى فى دار هجرتى ما اردت شيأ من البلدان فسيرنى حيث شئت من البلاد قال فانى مسيرك الى الربذة قال الله اكبر صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخبرنى بكل ما أنا لاق قال عثمان وما قال لك قال أخبرنى بانى أمنع عن مكة والمدينة واموت بالربذة ويتولى موارانى نفر ممن يردون من العراق نحو الحجاز وبعث أبوذر الى جمل له فحمل عليه امرأته وقيل ابنته وامر عثمان ان يتجافاه الناس حتى يسير الى الربذة فلما طلع عن المدينة ومروان يسيره عنها اذ طلع عليه على ابن ابى طالب رضى الله عنه ومعه ابناه وعقيل اخوه وعبد الله بن جعفر وعمار بن ياسر فاعترض مروان فقال يا على ان امير المؤمنين قد نحا الناس ان يصحبوا اباذر فى مسيره ويشيعوه فان كنت لم تدر بذلك فقد اعلمتك فحمل عليه على بن ابى طالب بالسوط بين اذنى راحلته وقال تنح قبحك الله الى النار ومضى مع ابى ذر فشيعه ثم ودعه وانصرف فلما اراد على الانصراف بكى ابوذر وقال رحمكم الله اهل البيت اذا رايتك يا ابا الحسن وولدك ذكرت بكم رسول الله صلى الله عليه وسلم وانظرى

أيلهى فيك الزمان المخون * ويعرب عنك لسان العرب
وان لم يكن أفقنا واحدا * فينظمنا شمل هذا الادب

وقد ذكرناه فى غير هذا المحل قوله

الا بادر فلا ثان سوى ما * عهدت الكاس والبدر التمام

الابيات وتأخر وفاته الى سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة وهو منسوب الى شنترين من الكور الغربية البحرية من أعمال بطليوس * وقال أبو عمر يوسف بن كوثر

مررت به يوما يغازل مثله * وهذا على ذا بالملاحة يمتن
فقلت اجمعا فى الوصل رأيكما فما * لمثلكما كان التغزل والمجن
عسى الصب يقضى الله بينكما له * بخير فقالا الى اشتهى العسل السمن

وقال أبو محمد بن سارة

أعندك أن البدر بات ضجيعى * فقضيت أوطارى بغير شفيع
جعلت ابنة العنقود بينى وبينه * فكانت لنا اما وكان رضيعى

وقال

أيام حارت الافكار فيه * فلم تعلم له الا قدار كنها
بجيد النيل منا عقد أنس * أقام بغير واسطة فمكنها

وقال أبو الحسن منذر الاشبونى

فديتك انى عن جنابك راحل * فهل لى يوما من لقائك زاد
وحسبك والايام خون غوادر * فراق كما شاء العداو بعاد

وقال خلف بن هرون القطينى

من أنبت الورد فى خديك ياقمر * ومن حمى قطفه اذ ليس مصطبر
الزهر فى الروض مقرون بأزمنة * وروض خدك موصول به الزهر

وكان لابن الحاج صاحب قرطبة ثلاثة أولاد من أجل الناس حسون وعزون ورحون فأولع بهم الامام أبو محمد بن السيد النحوى وقال فيهم

أخفيت سقمى حتى كاد يخفينى * وهمت فى حب عزون فعزونى
ثم ارحونى برحون فان ظمئت * نفسى الى ريق حسون فحسونى

ثم خاف على نفسه فخرج من قرطبة هكذا رأيته بخط بعض المورخين انتهى والله أعلم * وقال ابن خفاجة يداعب من يقل عذاره

أيها الناشه مهلا * ساءنى أن نهت جهلا
هل ترى فيما ترى الاشـ * ـباب قد تولى
وغراما قد تسرى * وفؤادا قد تسلى
أين دمع فيك يجرى * أين جنب يتقلى
أين نفس بك تهذى * وضلوع فيك تصلى
أى باك كان لولا * عارض وافى لولى
وتخلى عنك الا * أسفا لا يتخلى

وانطوى الحسن فهلا * أجل الحسن وهلا

أما بعد أيها النبيل النبيه فانه لا يجتمع العذار والتيه قد كان ذلك وغصن تلك الشبيبة رطب ومنهل ذلك المقبل عذب وأما العذار قد بقل والزمان قد انتقل والصب قد صحا فعقل فقد ركدت رياح الاشواق ورقدت عيون العشاق فدع عنك من نظرة التجني ومشية التثني وغض من عنانك وخذ في تراضي اخوانك وهش عند اللقاء هشة أريحية واقنع بالايماء رجع تحية فكاني بفنائك مهجورا وبزائرك ماجورا والسلام * وقال الرصافي لما بعث اليه من يهواه سكينا

تفاءلت بالسكين لما بعثته * لقد صدقت مني القيانة والزجر
فكان من السكين سكاك في الحشا * وكان من القطع القطيعة والهجر

وحضر الفقيه أبو بكر بن حبيش ليلة مع بعض الجلة وطفئ السراج فقال ارتجالا

أذلك السراج يرينا غرة سفرت * فباتت الشمس تستحيي وتستتر
أوخله فكفانا وجه سيدنا * لا يطلب النجم من في بيته قمر

وقصد أحد الادباء بمرسية أحد السادة من بني عبد المؤمن فأمر له بصلة خرجت على يد ابن له صغير فقال المذكور ارتجالا

تبرك بنجل جاء باليمن والسعد * يبشر بالتأييد طائفة المهدى
تكلم روح الله في المهد قبله * وهذا براء بدل اللام في المهد

وخرج الاستاذ أبو الحسن بن جابر الدباج يوما مع طلبته للنزهة بخارج اشبيلية وأحضرت بجنات فاخبارها ولاهدأ أوارها فما حاد عنها ولا كف ولا صرف حرها عن اقتضابها البنان ولا الكف فقال

أحلى مواقعها اذا قر بتها * وبخارها فوق الموائد سام
ان أحرقت لمسا فان أوارها * في داخل الاحشاء برد سلام

وقال أبو بكر أحمد بن محمد الابيض الاشبيلي يتهكم برجل زعم انه ينال الخلافة

أمير المؤمنين نداء شيخ * أفادك من نصائحه اللطيفه
تحفظ أن يكون الجذع يوما * سريرا من أسرتك المنيفه
أفكر فيك مصلوبا فأبكي * وتضحكني اماني السخيفه

وقال صفوان

ونهار أنس لو سألت دهرنا * في أن يعود بمثله لم يقدر
خرق الزمان لنابه عاداته * فلوافترحنا النجوم لم تعذر
في فتية علمت ذكاء بحسنهم * فتلفعت من غيمها في مئزر
والسرحة الغناء قد قبضت بها * كف النسيم على لواء اخضر
وكأن شكل الغيم منخل فضة * يلقى على الآفاق رطب الجوهر

واجتاز بعض الغلمان على أبي بكر بن يوسف فسلم عليه باصبعه فقال أبو بكر في ذلك وأشار في البيت الثالث الى أن والد الغلام كان خطيب البلد

من يعذرني من علي رد رسولي عما وجهته له وفعل كذا والله لنعطينه حتفه فلما رجع علي استقبله الناس فقالوا ان أمير المؤمنين عليك غضبان لتشييعك اباذر فقال علي غضب الخيل على اللجم ثم جاء فلما كان بالعشي جاء الى عثمان فقال له ما حملك على ما صنعت بمروان واجترأت علي وردد رسولي وأمري قال اما مروان فانه استقبلني يردني فرددته عن ردي وأما أمرك فلم ارده قال عثمان أولم يبلغك اني قد نهيت الناس عن أبي ذر وعن تشييعه فقال علي أوكل ما أمرتنا به من شئ يرى طاعة لله والحق في خلافه اتبعنا فيه أمرك بالله لا نفعل قال عثمان أقد مروان قال وما أقيده قال ضربت بين أذني راحلته قال على أما راحلتي فهي تلك فان أراد أن يضرب بها كما ضربت راحلته فليفعل وأما أنا فوالله لئن شتمني لاشتمنك أنت مثلها بما لا أكذب فيه ولا أقول الا حقا قال عثمان ولم لا يشتمك اذا شتمته فوالله ما أنت عندي بافضل منه فغضب علي بن أبي طالب وقال الى تقول هذا القول ومروان

تعدلني فانا والله أفضل منك وأبي أفضل من أبيك وأمي أفضل من أمك وهذه نبلي قد نثلتها وهلم

مر الغزال بنا مرو عانا فرا * كشبيهه في القفر ريع بصائده
لثم السلامي في السلام تسترا * ثم انثني حذر الرقيب الراصده
هلا تكلف وقفة لمحبه * ولو انها قصرا لجلسة والده

وقال أبو الحسن بن الحجاج

كم في حزنا أن المشارع جمة * وعندي اليها غلة وأوام
ومن نكد الايام أن يعدم الغنى * كريم وأن المكثرين لئام

وقال أبو القاسم القبتوري

واحسرتا لامور ليس يبلغها * مالي وهن مني نفسي وآمالي
أصبحت كالآل لا جدوى لدي وما * آليت جدا ولكن جدي الآلي

وقال أحمد بن أمية البلنسي

قال رئيسي حين فاوضته * ومادري أن مقامي عسير
أقم فقلت الحال لا تقتضي * فقال سر قلت جناحي كسير

وقال ابن برطلة

لله ما ألقاه من همة * لا ترتضي الا السها منزلا
ومن خمول كل ما رمت أن * اسمو به بين الورى قال لا

وكتب ابن خروف لبعض الرؤساء

يا من حوى كل مجد * بجده و بجده
أتاك نجل خروف * فامنن عليه بجده

و كتب أيضا لبعضهم يستدعي فروة

بهاء الدين والدنيا * ونور المجد والحسب
طلبت مخافة الانوا * من جدواك جلد أبي
وفضلك عالم أني * خروف بارع الادب
حلبت الدهر أشطره * وفي حلب صفا حلبي

و بعد كتبي لماذكرخشيت أن يكون لابن خروف المشرقي لا الاندلسي والله تعالى أعلم * وركب محبوب أبي بكر بن مالك كاتب ابن سعد بغلة رديف رجل يعرف بالدب فقال أبو بكر في ذلك

و بغلة ما لها مثال * يركبها الدب والغزال
كأن هذا وداعليها * سحابة خلفها هلال

وخرج محبوب لابي الحسن بن حريق يوما لنزهة وعرض سيل عاقه عن دخول البلد فبات ليلة عند أبي الحسن فقال في ذلك

يا ليلة جادت الامانى * بها على رغم أنف دهرى
تسيل فيها على نعمى * يقصر عنها لسان شكرى
أبات في منزلي حبيبي * وقام في أهله بعذر

فأقبل بنو لك فغضب عثمان واحمر وجهه فقام ودخل داره وانصرف علي فاجتمع اليه أهل بيته ورجال من المهاجرين والانصار فلما كان من الغد واجتمع الناس الى عثمان شكا اليهم عليا و قال انه يعيبني ويظاهر من يعيبني يريد بذلك ابا ذر وعمار بن ياسر وغيرهما فدخل الناس بينهما وقال له علي والله ما أردت تشييع أباذر الا لله وقد كان عمار حين بويع عثمان بلغه قول أبي سفيان صخر ابن حرب في دار عثمان عقيب الوقت الذي بويع فيه عثمان ودخل داره ومعه بنو أمية فقال أبو سفيان أفيكم أحد من غيركم وقد كان عمي قالوا لا قال يا بني أمية تلقفوها تلقف الكرة فوالذي يحلف به أبو سفيان ما زلت أرجوها لكم ولتصيرن الى صبيانكم وراثة فانتهره عثمان وساءه ما قال ونمى هذا القول الى المهاجرين والانصار وغير ذلك من الكلام فقام عمار في المسجد فقال يا معشر قريش أما اذا صرفتم هذا الامر عن أهل بيت نبيكم ههنا مرة وههنا مرة فانا آمن أن ينزعه الله فيضعه في غيركم كما نزعتموه من أهله ووضعتموه في غير أهله وقام المقداد فقال ما رأيت مثل ما أوذي به أهل هذا البيت بعد نبيهم فقال له عبد الرحمن بن عوف وما أنت وذاك يا مقداد بن عمرو فقال اني

وبت لاحالة كحالى * صريع سكر ضجيع بدر
يا ليلة القدر فى الليالى * لانت خير من الف شهر

وقال أبو الحسن بن الزقاق

عذيرى من هضيم الكشح أحوى * رخيم الدل قد لبس الشبابا
أعد الهجر هاجرة لقلبى * وصيروعده فيها سرابا

وقال أبو بكر بن الجزار السرقسطى

ثناء الفتى يبقى ويفنى ثراؤه * فلا تكتسب بالمال شيأ سوى الذكر
فقد أبلت الايام كعبا وحاتما * وذكرهما غض جديد الى الحشر

وقال الاديب أبو عبد الله الجذامى كان لشخص من أصحابنا قينة فبينما هو ذات يوم قد رام تقبيلها على اثر سوالك أبصره بمبسمها اذ مر فوال ينادى على فول بيده قال فكلفنى أن أقول فى ذلك شيأ فقلت

ولما نس يوم الانس حين سمحت لى * واهديت لى من فيك فول سوالك
ومر بنا الفوال للفول مادحا * وما قصده فى المدح فول سوالك

وشرب يوما ابو عبد الله المذكور عند بعض الاجلة وذرعه التى ء فارتجل فى العذر

لا تؤاخذ من اخل به * قهوة فى الكاس كالقبس
كيف يلهى فى المدام فتى * اخذته اخذ مفترس
دخلت فى الحلق مكرهة * ضاق عنها موضع النفس
خرجت من موضع دخلت * انفت من مخرج النجس

وجلس سلمة بن احمد الى جنب وسيم يكتب من محبرة فانصب الحبر منها على ثوب سلمة فخجل الغلام فقال سلمة

صب المداد وما تعمد صبه * فتورد الخد المليح الازهر
يا من يؤثر حبره فى ثوبنا * تأثير لحظك فى فؤادى اكبر

وكان لابى الحسن بن حزمون بمرسية محبوب يدعى ابا عامر وسافر ابو الحسن فبينما هو بخارج المرية اذ لقى فتى يشبه محبوبه وسأله عن اسمه فأخبره بأنه يدعى ابا عامر فقال ابو الحسن فى ذلك

الى كم افر أمام الهوى * وليس لذا الحب من آخر
وكيف أفر أمام الهوى * وفى كل وادابو عامر

وحضر ابو بكر بن مالك كاتب ابن سعد مع محبوبه لارتقاب هلال شوال فاغمى على الناس ورآه محبوبه فقال ابو بكر فى ذلك

توارى هلال الافق عن اعين الورى * ولاح لمن اهوا منه وحياه
فقلت لهم لم تفهموا كنه سره * ولكن خذوا عنى حقيقة معناه
بدا الافق كالمرآة راق صفاؤه * فابصر دون الناس فيه محياه

وكتب ابو بكر بن حبيش لمن يهواه بقوله

متى ما ترم شرحا لحالى وتبيينا * نخف على قلبى علومك تحيينا

أعجب من قريش وأنت تقول لهم على الناس أهل هذا البيت قد اجتمعوا على نزع سلطان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده من أيديهم أما والله يا عبد الرحمن لو أجد على قريش أنصارا لقاتلتهم كقتالى اياهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر وجرى بينهم من الكلام خطب طويل قد أتينا على ذكره فى كتابنا أخبار الزمان فى اخبار الشورى والدار (ولما كان سنة) خمس وثلاثين سار مالك ابن الحرث النخعى من الكوفة فى مائتى رجل وحكيم بن جبلة العبدى فى مائة رجل من أهل البصرة ومن اهل مصر ستمائة رجل عليهم عبد الرحمن بن عديس البلوى وقد ذكر الواقدى وغيره من أصحاب السير انه ممن بايع تحت الشجرة الى آخرين ممن كان بمصر مثل عمرو بن الجموح الخزاعى وسودان بن احمد التجيبى ومنهم محمد بن ابى بكر الصديق وقد كان تكلم بمصر وحرض الناس على عثمان لامر يطول ذكره كان السبب فيه مروان بن الحكم فنزلوا فى الموضع المعروف بخشب فلما علم عثمان نزولهم بعث الى على بن ابى طالب فاحضره وساله ان يخرج اليهم ويفاوضهم عنه كل ما يريدون من العدل وحسن السيرة فسار

اراد انى بحبك مولع * وكتب القاضي بن السليم الى الحكم المستنصر بالله

لو ان اعضاء جسمي ألسن نطقت * بشكر نعمالك عندى قل شكرى لك
او كان ملكني الرحمن من اجلى * شيأ وصلت به ياسيدى اجلك
ومن تكن في الورى آماله كثرت * فانما املى فى أن ترى أملك

وقال الوزير ابن ابى الخصال

وكيف أؤدى شكر من ان شكرته * على بر يوم زادنى مثله غدا
فان رمت اقضى اليوم بعض الذى مضى * رايت له فضلا على مجددا

وقال الرصافى

قلدت جيدا لعمرك من تلك الحلى * ماشاءه المنثور والمنظوم
وأشرت قدامى كانى لائم * وكأن كفى ذلك الملثوم

وقال

ويالك نعمة رمنا مداها * فما وصل اللسان ولا الضمير
عجزنا أن نقوم لها بشكر * على أن الشكور لها كثير

وقال ابن باجة

قوم اذا انتقبوا رأيت أهلة * واذا هم سفروا رأيت بدورا
لا يسألون عن النوال عفاتهم * شكرا ولا يحمون منه نقيرا
لو أنهم مسحوا على حدب الربا * باكفهم نبت الاقاح نضيرا

وقال ابن الابار يمدح اباز كريا سلطان افريقية

تحلت بعلياك الليالى العواطل * وداست لسقياك السحاب الهواطل
ومازينة الايام الا مناقب * يفرعها أصلان باس ونائل
اذا الطول والصول استقلا براحة * ترقت لها نحو النجوم أنامل

وقال ايضا فى سعيد بن حكم رئيس مرقة

سعيد أيد رئيس بئيس * فى اسار يره صفات الصباح
قرن فى افق المعالى تجلى * وتحلى بالسؤدد الوضاح
سلم البحر فى السماحة منه * جوادسموه بحر السماح

وقال ابو العباس احمد الاشبيلى

يا افضل الناس أجماعا ومعرفة * تغنى وما الحسن فى ريب ولا ريب
ورثت عن سلف ماشئت من شرف * فقد بهرت بموروث ومكتسب

وقال ابن زهر الحفيد

يامن يذكرنى بعهد احبتى * طاب الحديث بذكرهم و يطيب
اعد الحديث على من جنباته * ان الحديث عن الحبيب حبيب
ملأ الضلوع وفاض عن احنائها * قلب اذا ذكر الحبيب يذوب
مازال يخفق ضاربا بجناحه * يالبت شعرى هل نطير قلوب

وقال فى زهر الكتان

على اليهم فكان بينهم خطب طويل فاجابوه الى ما اراد وانصرفوا فلما صاروا الى الموضع المعروف بخمس اذا هم بغلام على بعير وهو مقبل من المدينة فتاملوه فاذا هو ورش غلام عثمان فقرروه فاقر واظهر كتابا الى ابن ابى سرح صاحب مصر اذا قدم عليك الجيش فاقطع يد فلان واقتل فلانا وافعل بفلان كذا واحصى اكثر من فى الجيش وأمر فيهم بما أمر وعلم القوم ان الكتاب بخط مروان فرجعوا الى المدينة واتفق رأيهم ورأى من قدم من العراق ونزلوا المسجد وتكلموا وذكروا ما نزل بهم من عمالهم ورجعوا الى عثمان فحصروه فى داره ومنعوه الماء فاشرف على الناس وقال ألا احد يسقينا وقال بم تستحلون قتلى وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلاث كفر بعد ايمان او زنا بعد احصان او قتل نفس بغير نفس ووالله ما فعلت ذلك فى جاهلية ولا اسلام فبلغ عليا طلبه له فبعث اليه بثلاث قرب ماء فاوصل اليه ذلك حتى خرج جماعة من موالى بنى هاشم وبنى امية وارتفع الصوت وكثر الضجيج واحدقوا بداره بالسلاح وطالبوه بمروان فابى ان يخلى عنه وفى الناس بنو زهرة لاجل عبد الله بن مسعود لانه كان من اهلا

اهلا بزهر اللازورد ومرحبا * فى روضة الكتان تعطفه الصبا
لو كنت ذا جهل لخلتك لجة * وكشفت عن ساق كما فعلت سبا

ولما قال الموشحة المشهورة التى أولها * صادنى ولم يدر ما صاداه * قال ابو بكر بن الجد لو سئل عما صاد لقال تيس بلحية حمراء ولما قال الموشحة التى اولها هات بنت العنب واشرب الى قوله وفده بأبى ثم بى سمعها ابوه فقال يفديه بالجوز السوداء واما انا فلا * وهنالك ابو بكر بن زهر الاصغر وهو ابن عم هذا الاكبر ومن نظم الاصغر

والله ما ادرى بما اتوسل * اذ ليس لى ذات بها اتوصل
لكن جعلت مودتى مع خدمتى * لعلاك احظى شافع يتقبل
ان كنت من ادوات زهر عاطلا * فالزهر منهن السماك الاعزل

وهذه الابيات خاطب بها المأمون بن المنصور صاحب المغرب * وقال الاديب ابو جعفر عمر ابن صاحب الصلاة

وما زالت الدنيا طريقا لها لك * تباين فى احوالها وتخالف
ففى جانب منها تقوم مآتم * وفى جانب منها تقوم معازف
فمن كان فيها قاطنا فهو ظاعن * ومن كان فيها آمنا فهو خائف

وقال ابو بكر محمد بن صاحب الصلاة يخاطب اخيل لما انتقل الى العدوة

لا تنكرن زمانا * رماك منه بسهم
وانت غاية مجد * فى كل علم وفهم
هذى دموعى حتى * يراك طرفى تهمى
يا ليت ما كنت اخشى * عليك عدوان هم
وانما الدهر يبدى * ما لا يجوز بوهم
ما زال شيبى مسى * لكل يقظان شهم

ولما وفد اهل الاندلس على عبد المؤمن قام خطيبا ماثرا وناظما فاتى بالعجب وباهى به اهل الاندلس فى ذلك الوقت وله فى عبد المؤمن

هم الالى وهبوا للحرب انفسهم * وانهبوا ما حوت ايديهم الصفدا
ما ان يغبون كل الشمس من رهج * كانما عينها تشكو لهم رمدا

وقال ابن السيد البطليوسى فى ابى الحكم عمرو بن مذحج بن حزم وقد غلب على لبه واخذ بمجامع قلبه

راى صاحبى عمرا فكلف وصفه * وحملنى من ذاك ما ليس فى الطوق
فقلت له عمرو كعمرو فقال لى * صدقت ولكن ذاك شب عن الطوق

وفيه يقول ابن عبدون

يا عمرو رد على الصدور قلوبها * من غير تقطيع ولا تحريق
وأدر علينا من خلالك اكؤسا * لم تأل تسكرنا بغير رحيق

وفيه يقول احدهما

ابى بكر وغيرهؤلاء ممن لا يحمل ذكره كتابنا فلما بلغ عليا انهم يريدون قتله بعث بابنيه الحسن والحسين ومواليه بالسلاح الى بابه لنصرته وأمرهم أن يمنعوه منهم وبعث الزبير ابنه عبد الله وبعث طلحة ابنه محمدا وأكثر أبناء الصحابة أرسلهم آباؤهم اقتداء بمن ذكرنا فصدوهم عن الدار فرمى من وصفنا بالسهام واشتبك القوم وجرح الحسن وشج قنبر وجرح محمد بن طلحة فخشى القوم أن يتعصب بنو هاشم وبنو أمية فتركوا القوم فى القتال على الباب ومضى نفر منهم الى دار قوم من الانصار فتسوروا عليها وكان ممن وصل اليه محمد ابن أبى بكر ورجلان آخران وعند عثمان زوجته وأهله ومواليه مشاغيل بالقتال فأخذ محمد بن أبى بكر بلحيته فقال يا محمد والله لو رآك أبوك لساءه مكانك فتراخت يده وخرج عنه الى الدار ودخل رجلان فوجداه فقتلاه وكان المصحف بين يديه يقرأ فيه فصعدت امرأته فصرخت وقالت قد قتل أمير المؤمنين فدخل الحسن والحسين ومن كان معهما من بنى أمية فوجدوه قد فاضت نفسه رضى الله عنه فبكى وابلغ ذلك عليا وطلحة والزبير وسعدا وغيرهم من المهاجرين

قل لعمرو بن مذحج * جاء ما كنت ارتجى
شارب من زبرجد * ولمى من بنفسج

وكتب اليه ابن عبدون

سلام كما هبت من المزن نفحة * تنفس عند الفجر من وجهها الزهر

ومنها

أباحسن أبلغ سلام فى يدى * أبى حسن وارفق فكلتاهما بحر
ولا تنس يمناك التى هى والندى * رضيعا لبان لا اللجين ولا التبر

فأجابه من أبيات

تحير ذهنى فى مجارى صفاته * فلم أدر شعرا ما به فهت أم سحر
أرى الدهر أعطاك التقدم فى ٣ * وان كان قد وافى أخيرا بك الدهر
لئن حازت الدنيا لك الفضل آخرا * ففى أخريات الليل ينبلج الفجر

ولعمرو فى أبى العلاء بن زهر

قدمت علينا والزمان جديد * ومازلت تبدى فى الندى وتعيد
وحق العلا لولم اتبسك العلا * لما اخضر فى أفق المكارم عود
فلو حوا بنى زهر فان وجوهكم * نجوم بأفلاك العلاء سعود

وقوله لابى الوليد ابن عمه

أنى لاعجب أن يدنو بنا وطن * ولا يقضى من العليا لنا وطر
لا غروان بعدت دار مصاقبة * بنا وجد بنا للعضرة السفر
فعجر العين لا يلقاه ناظرها * وقد توسع فى الدنيا به النظر

وقال ابن عمه أبو بكر محمد بن مذحج يخاطب ابن عمه أبا الوليد

ولما رأى حص استخفت بقدره * على انها كانت به ليلة القدر
تحمل عنها والبلاد عريضة * كما سل من غمد الدجى صارم الفجر

وقال أبو الوليد المذكور

أتجزع من دمعى وأنت أسلته * ومن نار أحشائى وأنت لهيبها
وتزعم أن النفس غيرك علقت * وأنت ولا منّ عليك حبيبها
اذا طلعت شمس على بسلوة * أثار الهوى بين الضلوع غروبها

وله أيضا

لما استتمالك معشرا لم أرضهم * والقول فيك كما علمت كثير
داريت دونك مهجتى فتماسكت * من بعدما كادت اليك تطير
فاذهب فغير جوانحى لك منزل * واسمع فغير وفائك المشكور

وقال

يقول وقد لمته فى هوى * فلان وعرضت شيأ قليلا
أتحسدنى قلت لا والذى * أحلك فى الحب رحبى وبيلا
وكيف وقد حل ذاك الجناب * وقد سلك الناس ذاك السبيلا

وله مما يكتب على قوس

انى اذا رفعت سماء عجاجتى * والحرب تقعد بالردى وتقوم

والانصار فاسترجع القوم وأتمما على الباب ولطم الحسن وضرب الحسين وشتم محمد بن طلحة ولعن عبد الله بن الزبير فقال له طلحة لا تضرب يا أبا الحسن ولا تشتم ولا تلعن لودفع مروان ما قتل وهرب مروان وغيره من بنى أمية وطلبوا ليقتلوا فلم يوجدوا وقال على لزوجته نائلة بنت الفرافصة من قتله وأنت كنت معه فقالت دخل اليه رجلان وقصت خبر محمد بن أبى بكر فلم ينكر ما قالت وقال والله لقد دخلت عليه وأنا أريد قتله فلما خاطبنى بما قال خرجت ولا أعلم بتخلف الرجلين عنى والله ما كان لى فى قتله سبب ولقد قتل وأنا لا اعلم بقتله وكان مدة ما حوصر عثمان فى داره تسعا وأربعين يوما وقيل أكثر من ذلك (وقتل) فى ليلة الجمعة لثلاث بقين من ذى الحجة وذكر أن أحد الرجلين كنانة بن بشر التجيبى ضربه بعمود على جبهته والآخر منهما سودان ابن حمران المرادى ضربه بالسيف على حبل عاتقه فخله (وقد قيل) ان عمرو ابن الحمق طعنه بسهام تسع طعنات وكان فيمن مال

٣ قوله ارى الدهر الخ هكذا بالاصل ووزنه ومعناه غير مستقيمين ولعل اصله التقدم فى الورى وان الخ اه

وتمرغوا الابطال في جنباتها * والموت من فوق النفوس يحوم
مرقت لهم منا الحتوف كانما * نحن الاهلة والسهام نجوم

وقال أبو الحسين بن قندلة في كلب صيد

فجعت بمن لو رمت تعبير وصفه * لقل ولو أني غرفت من البحر
باخطل وثاب طموح مؤدب * ثبوت يصيد النسر لو حل في النسر
كلون الشباب الغض في وجه سني * كأن ظلاما ليس فيه سوى البدر
اذا سار والبازي أقول تعجبا * ألا ليت شعري يسبق الطير من يجري

ولا يلتفت الى قول أبي العباس بن سيد فيه

الموت لا يبقي على مهجة * لا أسدا يبقى ولا نعثله
ولا شريفا لبني هاشم * ولا وضيعا لبني قندله

وكان ابن سيد مسلطا على هذا البيت قال ابن سعيد وانما يهجو الكلب القمر قال أبو العباس النبار كان أبو الحسين يلقب بالوزغة فوصلت الى بابه يوما فتحجب عني فكتبت على الباب

تحجب القندلي عني * فساء من فعله ضميري
ينفر من رؤيتي كأني * مضمخ الجيب بالعبير

قال ومن عادة الوزغة أن تكره رائحة الزعفران وتهرب منه * وقال أبو القاسم بن حسان

الا ليتني ما كنت يوما معظما * ولا عرفوا شخصي ولا علموا قصري
أكاف في حال المشيب بمثل ما * تحملته والغصن في ورق نضر
فعاش في الايام في خير عيشة * سوى رجل ناء عن اللهو والامر

وقال أبو بكر بن مرتين

صحبت منك العلا والفضل والكرما * وشيمة في الندى لا ترتضي السأما
مودة في ثرى الانصاف راسخة * وسمكها فوق أعناق السماء سما

وقال

أنصفتني فعضتك الود الذي * يجزى بصفوته الخليل المنصف
لا تشكرن سوى خلالك انها * جلبت اليك من الثناء ما يعرف

وقال

يا هلا لا يتجلى * وقضيبا يتثنى
كل أنس لم تكنه * فهو لفظ دون معنى

وقال القاضي أبو عبد الله محمد بن زرقون

ذكر العهد والديار غريب * فجرى دمعه وهج النحيب
ذكر العهد والنوى من حبيب * حبذا العهد والنوى والحبيب
اذ صفاء الوداد غير مشوب * بتجن وودنا مشبوب
واذا الدهر دهرنا واذا الدا * رقريب واذ يقول الرقيب

ومنها

أسأل الله عفوه فلئن سا * ءمقالي لقد تعف القلوب
قد ينال الفتى الصغائر طرفا * لا سواها والذنوب ذنوب
وأخو الشعر لا جناح عليه * وسواء صدوقه والكذوب

في الموضع المعروف بحش كوكب وهذا الموضع فيه مقابر بني أمية ويعرف أيضا بالمحل وصلى عليه جبير ابن معطم وحكيم بن حزام وأبو جهم بن حذيفة (ولما حوصر عثمان) كان أبو ايوب الانصاري رضي الله عنه يصلي بالناس ثم امتنع فصلى بهم سهل بن حنيف فلما كان يوم النحر صلى بهم علي وقيل ان عثمان قتل ومعه في الدار من بني أمية عثمانية عشر رجلا فيهم مروان بن الحكم (وفي مقتله) تقول زوجته نائلة بنت الفرافصة

ألا ان خير الناس بعد ثلاثة
قتيل النجيبي الذي جاء من مصر
ومالي لا أبكي وتبكي قرابتي
وقد غيبوا عنا فضول أبي عمرو

وقال حسان بن ثابت فيمن تخلف عنه وخذله من الانصار وغيرهم وأعان على قتله والله أعلم بما قاله من أبيات

خذلته الانصار انحضر المو
ت وكانت ولاية الانصار
من عذيري من الزبير ومن طلـ
ـحة اذ جاء أمره مقدار
فتولى محمد بن أبي بكـ
ـر عيانا وخلفه عمار

في شعره طويل يذكر فيه غير من ذكرنا وينسبهم الى التمالئ على قتله والرضا بما فعل به والله أعلم وكان

وقال
يامعدن الفضل والجود والحجا * لازلت من بحر العلا تغترف
عبدك بالباب فقل منعما * يدخل أو يصبر أو ينصرف

وقال الخطيب أبو عبد الله محمد بن عمر الاشبيلي

وكل الى طبعه عائد * وان صده المنع عن قصده
كذا الماء من بعد اسخانه * يعود سريعا الى برده

وقال امام اللغة أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي الاشبيلي

ما طلبت العلوم الا لاني * لم أزل من فنونها في رياض
ماسواها له بقلبي حظ * غير ما كان للعيون المراض

وقال
أشعرن قلبك ياسا * ليس هذا الناس ناسا
ذهب الابرار منهم * فبقوا بعد نحاسا
سامريين يقولو * ن جميعا لامساسا

وكان كتاب العين للخليل مختل القواعد فامتعض له هذا الامام وصقل صدأه كما يصقل الحسام وأبرزه في أجمل منزع حتى قيل هذا مما أبدع واخترع وله كتاب في النحو يسمى الواضح وصيره الحكم المستنصر مؤدبا لولده هشام المؤيد وبالجملة فهو في المغرب بمنزلة ابن دريد في المشرق * وقال النحوي أبو بكر محمد بن طلحة الاشبيلي وشعره رقيق خارج عن شعر النحاة ومنه

الى أي يوم بعده يرفع الخمر * وللورق تغريد وقد خفق النهر
وقد صقلت كف الغزالة افقها * وفوق متون الروض أردية خضر
وكم قد بكت عين السماء بدمعها * عليها ولولا ذاك ما بسم الزهر

وقال
بدا الهلال فلما * بدا نقصت وتما
كأن جسمي فعل * وسحر عينيه لما

وكان لا يملك نفسه في النظر الى الصور الحسان وأتاه يوما أحد أصحابه بولد له فتان الصورة فعند ما دخل مجلسه قصر عليه طرفه ولم يلتفت الى والده وجعل والده يوصيه عليه وهو لا يعلم ما يقوله ولم يلتفت الى والده وقد اتضح في طاعة هواه فقال له الرجل يا أبا بكر حقق النظر فيه لعله مملوك ضاع لك وقد جبره الله تعالى عليك ولكن على من يتركه عندك لعنة الله هذا ما علمت بمحضري والله ان غاب معك عن بصري لحظة لتفعلن به ما اشتهر عنك وأخذ ولده وانصرف به فانقلب المجلس ضحكا * وقال أبو جعفر أحمد بن الابار الاشبيلي وهو من رجال الذخيرة

زارني خيفة الرقيب مريبا * يتشكى منه القضيب الكثيبا
رشأ راش لي سهام المنايا * من جفون يسبي بهن القلوبا
قال لي ما ترى الرقيب مطلا * قلت دعه اتى الجناب الرحيبا
عاطه أكؤس المدام دراكا * وأدرها عليه كوبا فكوبا
واسقنيها من خمر عينيك صرفا * واجعل الكاس منك ثغرا شنيبا

عثمان حسانيا منحرفا عن غيره وكان عثمان اليه محسنا وهو المتوعد للانصار في قوله في شعره

يا ليت شعري وليت الطير يخبرني
ما كان شأن علي وابن عفانا
لنسمعن وشيكا في ديارهم
الله اكبر يا ثارات عثمانا

وكان عثمان رضي الله عنه كثيرا ما ينشد أبياتا قالها ويطيل ذكرها مالا يعرف لغيرها منه وهي

تفنى اللذاذة ممن نال صفوتها
من الحرام ويبقى الاثم والعار
تبقى عواقب سوء من مغبتها
لا خير في لذة من بعدها النار

وكان الوليد بن عقبة بن أبي معيط أخا عثمان لامه فسمع في الليلة الثانية من مقتل عثمان ينديه وهو يقول

بني هاشم ايه فما كان بيننا
وسيف ابن أروى عندكم وحرائبه
بني هاشم ردوا سلاح ابن أختكم
ولا تنهبوه ما تحل مناهبه
غدرتم به كي ما تكونوا مكانه
كما غدرت يوما بكسرى مرازبه

وهي أبيات فاجابه عن هذا الشعر وفيما رمى به بني هاشم ونسب اليهم الفضل ابن العباس بن عبد المطلب فقال

فلا تسألونا سيفكم ان سيفكم * أضيع وألقاه لدى الروع صاحبه

قال

قال لابد أن تدب عليه * قلت أبغي رشا وآخذ ذيبا
قال فابدأ بنا وثن عليه * قلت عمري لقد أتيت قريبا
فوثبنا على الغزال ركوبا * وسعينا على الرقيب دبيبا
فهل ابصرت أو سمعت بصب * نال مجدو به ونال الرقيبا

وانشد له ابن حزم

أوما رأيت الدهر أقبل معتبا * متنصلا بالعذر مما أذنبا
بالامس اذبل في رياضك ايكة * واليوم أطلع في سمائك كوكبا

وقيل انه خاطب بهما ابن عباد ملك اشبيلية وقد مات له بنت وولد له ابن وبعضهم ينسبهما لغيره * ودخل الاديب أبو القاسم العطار الاشبيلي حماما باشبيلية فجلس الى جانبه وسيم خمري العينين فاقتتن بالنظر اليه والمحادثة الى أن قام وقعد في مكانه اسود فقال

مضت جنة المأوى وجاءت جهنم * فها أنا أشقى بعدما كنت أنعم
وما كان الا الشمس حان غروبها * فاعقبها جنح من الليل مظلم

وقال الاديب المصنف أبو عمرو عثمان بن علي بن عثمان بن الامام الاشبيلي صاحب سمط الجمان

عذيري من الايام لا در درها * لقد حملتني فوق ما كنت أرهب
وقد كنت جلدا ما يهنهني النوى * ولا يستبيني الحادث المتغلب
يقاسي صروف الدهر مني مع الصبا * جذيل حكاك أو عذيق مرجب
وكنت اذا ما الخطب مد جناحه * على تراني تحته أتقلب
فقد صرت خفاق الجناح يروعني * غراب اذا أبصرته وهو ينعب
وأحسب من ألقى حبيبا مودعا * وان بلاد الله طرا محصب

وقد امتعض للاديب في صدر دولة بني عبد المؤمن بجمع شمل الفضلاء الذين اشتملت عليهم المائة السابعة الى مبلغ سنه منها في ذلك الاوان واستولى بذلك على خصل الرهان وانفرد بهذه الفضيلة التي لم ينفرد بها الافلان وفلان * وكان الاديب العالم الصالح أبو الحسن علي بن جابر الدباج الاشبيلي اماما في فنون العربية ولكن شهر باقراء كتب الآداب كالكامل للمبرد ونوادر القالي وما أشبه ذلك وكان مع زهده فيه لوذعيه ومن ظرفه ان أحد تلامذته قال لغلام جميل الصورة بالله أعطني قبلة تملك رمقي فشكاه الى الشيخ فقال له يا سيدي قار لي هذا كذا فقال له الشيخ واعطيته ما طلب فقال لا فقال له ما هذه الثقالة اكفاك أن حرمته حتى تشتكي به ايصا وحسبك من جلالة قدره ان اهل اشبيلية رضوا اماما في جامع العدبس وله

لما تبدت وشمس الافق بادية * ابصرت شمسين من قرب ومن بعد
من عادة الشمس تعشى عين ناظرها * وهذه نورها يشفي من الرمد

قال مالك بن وهب

أراميتي بالسحر من لحظاتها * نعيذك كيف الرمي من دون اسهم

سلوا أهل مصر عن سلاح ابن أختنا
فهم سلبوه سيفه وحرائبه
وكان ولي العهد بعد محمد
علي وفي كل المواطن صاحبه
على ولي الله أظهر دينه
وأنت مع الاشقين فيما تحاربه
وأنت امرؤ من اهل صيفور مارح
فمالك فينا من جميم تعاتبه
وقد أنزل الرحمن أنك فاسق
فمالك في الاسلام سهم تطالبه

(قال المسعودي) رحمه الله ولعثمان أخبار وسير وما ثر حسان قد أتينا على ذكرها في كتابنا أخبار الزمان والكتاب الاوسط وكذلك ما كان في ايامه من الكوائن والاحداث والفتوح والحروب مع الروم وغيرهم والله ولي التوفيق

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

تم الجزء الاول ويليه الجزء الثاني اوله ذكر خلافة امير المؤمنين علي بن ابي طالب كرم الله تعالى وجهه ورضي عنه

الا فاعلمي أن قد اصبت فواصلي * سهامك او في فلست بمسلم
فانسان عين الدهر أصمت فاحذري * مطالبة بالقلب واليد والفم
اما هو في غيل غداة غابه القنا * تحف به آساد كل ملثم
ولو أن لي ركاشديد ابنجدة * او بيت له من باس لحظك فارحمي

وهو اشبيلي كان من اهل الفلسفة كما في المسهب قال وهو فيلسوف المغرب ظاهر الزهد والورع استدعاه من اشبيلية امير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين الى حضرة مراكش وصيره جليسه وانيسه وفيه يقول بعض اعدائه

دولة لابن تاشفين علي * طهرت بالكمال من كل عيب
غير أن الشيطان دس اليها * من خبايا ماه مالك بن وهيب

وامر على مناظرة محمد بن تومرت الملقب بالمهدي الذي انشأ دولة بني عبد المؤمن * وقال أبو الصلت امية بن عبد العزيز المذكور في غير هذا الموضع من هذا الكتاب يستدعي بعض اخوانه

بعا ليك وجدك * جد بلقياك لعبدك
حضر الكل ولكن * لم يطب شيء لفقدك

وقال وراغب في العلوم مجتهد * لكنه في القبول جلمود
فهو كذي عنة به شبق * ومشتهى الاكل وهو معدود

وقال لئن عرضت نوى وعدت عواد * أدالت من دنوك بالبعاد
فما بعدت عن اللقيا جسوم * تدانت بالمحبة والوداد
ولكن قرب دارك كان اندى * على كبدي واحلى في فؤادي

وله في مجمرة

ومحرورة الاحشاء لم تدر ما الهوى * ولم تدر ما يلقى المحب من الوجد
اذا ما بدا برق المدام رأيتها * تثير غماما في الندى من الند
ولم أر نارا كالماشب جمرها * رأيت الندامى منه في جنة الخلد

وقوله من قصيدة

وان هم نكصوا يوما فلا عجب * قد يكهم السيف وهو الصارم الذكر
العود أحمد والايام ضامنة * عقبى النجاح ووعد الله منتظر

وقال تقريب ذي الامر لاهل النهى * أفضل ما ساس به أمره
هذا به أولى وماضره * تقريب أهل اللهو في الندره
عطارد في جعل أوقاته * أدنى الى الشمس من الزهره

وقوله تذكر في نقصان مالك دائما * وتغفل عن نقصان جسمك والعمر
ويثنيك خوف الفقر عن كل بغية * وخيفة حال الفقر شر من الفقر

وقوله يا ليلة لم تبن من القصر * كانها قبلة على حذر
لم تك الا كلا ولا ومضت * تدفع في صدرها يد السحر

*(ذكر خلافة أمير المؤمنين اليوم الذي قتل فيه عثمان ابن عفان رضي الله عنه فكانت خلافته الى أن استشهد أربع سنين وتسعة أشهر وثمانية أيام وقيل أربع سنين وتسعة أشهر الا يوما وكانت الفرقة بينه وبين معاوية على ما ذكرنا في خلافته وكان مولده في الكعبة وقيل ان خلافته كانت خمس سنين وثلاثة أشهر وسبع ليال واستشهد وهو ابن ثلاث وستين سنة وعاش بعد الضربة الجمعة والسبت وتوفي ليلة الاحد وقد قيل في مقدار عمره أقل مما ذكرنا وقد تنوزع في موضع قبره فمنهم من قال انه دفن في مسجد الكوفة ومنهم من قال انه حمل الى المدينة فدفن عند فاطمة ومنهم من قال حمل في تابوت على جمل وان الجمل تاه ووقع الى وادي طيء وقد قيل من الوجوه غير ما ذكرنا وقد أتينا على ذلك في كتابنا في أخبار الزمان والكتاب الاوسط (منذ كر نسبه ولمعا من أخباره وسيره) هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف و يكنى أبا الحسن وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم ابن عبد مناف ولم يكن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم الى وقتنا هذا من خلافة المتقي من اسمه علي وقال

وقال فيمن نظر اليه فأعرض عنه

قالوا ثني عنك بعد البشر صفحته * فهل اصاخ الى الواشي فغيره
فقلت لا بل درى وجدى بعارضه * فرد صفحته عمدا لابصره

وقال

حكمت الزمان تلونا * لحبها العاني الاسير
فوصالها برد الاصيل وهجرها حر الهجير

وقال يستدعي

هو يوم كما تراه مطير * جلب القر فيه والزمهرير
وأرانا الغمام والبرد ثوبين علينا كلاهما مجرور
ولدينا شمسان شمس من الرا * ح وشمس تسعى بها وتدور
فمن الرأى ان تشب الكوانين باجزالها وترخى الستور
فاترك الاعتذار فيه فترك الشرب في مثل يومنا تغرير

وقال

هو البحر غص فيه اذا كان ساكنا * على الدر واحذره اذا كان مزبدا

وقال

غبت عنا فغاب كل جمال * ونأى اذ نأيت كل سرور
ثم لما قدمت عاودنا الانس وقرت قلوبنا في الصدور
فلوانا نجزى البشير بنعمى * لوهبنا حياتنا للبشير

وقال

كم ضيعت منك اني حاصلا * كان من الاحزم أن يحفظا
فالفظ بها عنك فمن حقوما * يخفى صواب الرأى أن يلفظا
فان تعللت باطماعها * فانما تخلب مستيقظا

وقال

يقولون لي صبرا وانى لصابر * على نائبات الدهر وهي فواجع
سأصبر حتى يقضى الله ما قضى * وان أنا لم أصبر فانا صانع

وقال

بانى خود شموع * أقبلت تحمل شمعه
فالتقى نوراهما وا * ختلفا قدرا ورفعه
ومسير الشمس تهدى * بضوء النجم بدعه

وقال في فرس أشهب

واشهب كالشهاب أضحى * يلوح في مذهب الجلال
قال حسودى وقد رآه * يخب تحتى الى القتال
من أنجم الصبح بالثريا * واسرج البرق بالهلال

وقال

رمتني صروف الدهر بين معاشر * اصحهم ود اعد وقاتل
وما غربة الانسان في غير داره * ولكنها في قرب من لا يشاكل

وقال

أصبحت صب ادنفا مغرما * أشكو جوى الحب وأبكى دما
هذا وقد سلم اذ مرى * فكيف لو مر وما سلما

وقال

وقفنا للنوى فهفت قلوب * أضر بها الجوى وهمت شؤن
يناجى بعضنا بالحظ بعضا * فتعرب عن ضمائرنا العيون

وفيها يقول ببلاد نجران من أبيات كثيرة

أشاقتك هند أم ناك شؤالها * كذلك النوى أسبابها وانتقالها

وقد قيل انه بويع البيعة العامة بعد قتل عثمان بار بعة أيام وقد ذكرنا البيعة الاولى فيما سلف من هذا الكتاب وتنازع الناس في اسم أبي طالب أبيه وولد أبي طالب بن عبد المطلب أربعة ذكور وابنتان فطالب وعقيل وجعفر وعلى وفاختة وجمانة لأب وأم أمهم فاطمة بنت أسد بن هاشم وبين كل واحد من البنين عشر سنين بين جعفر وعلى عشر سنين وبين جعفر وعقيل عشر سنين وبين عقيل وطالب عشر سنين وأخرج مشركو قريش طالب بن أبي طالب يوم بدر الى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم كرها ومضى ولم يعرف له خبر وحفظ من قوله هذا اليوم يارب اما خرجوا بطالب في مقنب من تلكم المقانب فاجعلهم المغلوب غير الغالب والرجل المسلوب غير السالب وكان زوج فاختة بنت أبي طالب أبو وهب هبيرة ابن عمرو بن عابد بن عمرو ابن مخزوم وخلف عليها ابنا وبنتا وهاجرت ومات زوجها بنجران مشركا

وهي طويلة وكانت تسكن أم هانئ وقد استعمل على حين أفضت الخلافة اليه ابنها جعدة بن هبيرة وجعدة هو القاتل وأنى من مخزوم ان كنت سائلا

ومن هاشم أمي لخير قبيل فمن ذا الذي ينأى على بحاله

وخالي على ذو الندى وعقيل وجمانة بنت أبي طالب كان بعلها سفيان بن الحرث بن عبد المطلب وهي أول هاشمية ولدت بهاشمي كذلك ذكر الزبير بن بكار في كتابه في أنساب قريش وأخبارها وهاجرت وماتت بالمدينة في أيام النبي صلى الله عليه وسلم وكان مسير علي الى البصرة في سنة ست وثلاثين وفيها كانت وقعة الجمل وذلك في يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الاولى منها وقتل فيها من أصحاب الجمل وأهل البصرة وغيرهم ثلاثة عشر الفا وقتل من أصحاب علي خمسة آلاف وقد تنازع الناس في مقدار ما قتل من الفريقين فمن مقلل ومكثر فالمقلل يقول قتل بينهم سبعة آلاف على حسب ميل الناس وأهوائهم الى كل فريق منهم وكانت وقعة واحدة في يوم واحد وقيل انه كان بين خلافة علي الى وقعة الجمل وبين أول الهجرة خمس وثلاثون سنة وقال

فلا والله ما حفظت عهود * كما ضمنوا ولا قضيت ديون
ولو حكم الهوى يوما بعدل * لانصف من بغى ممن يخون
أمر بدارکم وأغض طرفي * مخافة أن تظن بي الظنون

ولما رأى عبد الرحمن بن سليق الحضرمي الاشبيلي في النوم انه مر على قبر وقوم يشربون حوله وسط أزاهر فأمروه ان يرثي صاحب القبر وهو أبو نواس الحسن بن هانئ قال

جادك يا قبر انسكاب الغمام * وعاد بالروح عليك السلام
فعنك أضحى الظرف مستودعا * واستترت عنا عيون الظلام

وقال أبو بكر محمد بن نصر الاشبيلي

وكأنما تلك الرياض عرائس * ملبوسهن معصفر ومزعفر
او كالقيان لبسن موشي الحلى * فلهن في وشي اللباس تبختر

وقال أحمد بن محمد الاشبيلي

اما ترى النرجس الغض الذكي بدا * كأنه عاشق شابت ذوائبه
او الخب شكا لما أضر به * فرط السقام فعادته حبائبه

وقال رب نيلوفر غدا مخجل الزا * ق اليه نفاسة وغرابه
كمليك الزنج في قبة بيضاء يدنو الدجا فيغلق بابه

وقال أبو الاصبغ بن سيد

كأنما النرجس في منظر الحسن الذي امثاله تبتغي
أنامل من فضة فوقه * كاس من التبر به أفرغا

وقال أبو اسحق ابراهيم بن خيرة الصباغ مما أنشده له أبو عامر بن سلمة في كتاب حديقة الارتياح

يوم كأن سحابه * لبست عمامي المصامت
حجبت به شمس الضحى * بمثال أجنحة الفواخت
فالغيث يبكي فقدها * والبرق يضحك مثل شامت
والرعد يخطب مفصحا * والجو كالمحزون ساكت
والروض يسقيه الحيا * والنور ينظر مثل باهت
فاشرب ولذ بجنسه * واطرب فان العمر فائت

وله رب ليل طال لا صبح له * ذي نجوم اقسمت ان لا تغور
قد هتكنا جنحه من فلق * من خدور ووجوه كالبدور
ان بدت تشبهها في كاسها * نار ابراهيم في برد ونور
صرعتنا أن علونا ظهرها * في ميادين التصابي والسرور
وكأنا حين قمنا معشر * نشروا بعد ممات من قبور

وقال أبو بكر بن حجاج

لما كتمت الحب لاعن قلى * ولم أجد الا البكا والعويل
ناديت والقلب به مغرم * يا حسبي الله ونعم الوكيل

وقال يقولون ان السحر في أرض بابل * وما السحر الا ما أرتك عجاجره
وما الغصن الا ما ثنى تحت برده * وما الدعص الا ما طوته مآزره
وما الدر الا ثغره وكلامه * وما الليل الا صدغه وغدائره

وهذه الابيات من قصيدة في محمد بن القاسم بن حمود ملك الجزيرة الخضراء أعادها الله تعالى * وقال الرصافي أبو عبد الله الشاعر المشهور وهو ابن رومي الاندلس في حريري

وبنفسي من لا أسميه الا * بعض المامة وبعض اشاره
هو والظبي في المجال سواء * ما استعار الغزال منه استعاره
اغيد يمسك الحرير بغيه * مثل ما يمسك الغزال العراره

وهو القائل يمدح أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي

لو جئت نار الهدى من جانب الطور * قبست ما شئت من علم ومن نور

ولابي جعفر أحمد بن الجزار

ومازلت أجني منك والدهر محمل * ولا ثمر يجني ولا زرع يحصد
ثمار اياد دانيات قطوفها * لاوراقها ظل على ممتد
يرى جاريا ماء المكارم تحتها * واطيار شكري فوقهن تغرد

ولما نفى ابو جعفر بن البني من ميورقة واقلع في البحر ثلاثة اميال ونشأت ريح ردته لم يتجاسر احد من اخوانه على اتيانه فكتب اليهم

احبتنا الالى عنتوا علينا * وأقصونا وقد ازف الوداع
لقد كنتم لناجذلا وانسا * فيا لعيش بعدكم انتفاع
اقول وقد صدرنا بعد يوم * اشوق بالسفينة ام نزاع
اذا طارت بنا حامت عليكم * كأن قلوبنا فيها اشراع

وله

غصبت الثريا في البعاد مكانها * وأودعت في عيني صادق نومها
وفي كل حال لم تزالي بخيلة * فكيف اعرت الشمس حلة ضوئها

وله في غلام يرمي الطيور

قالوا تصيب طيور الجو أسهمه * اذا رماها فقلنا عندها الخبر
تعلمت قوسها من قوس حاجبه * وأيد السهم من اجفانه الحور
يلوح في بردة كالنقس حالكة * كما اضاء بجنح الليلة القمر
وربما راق في خضراء مونقة * كما تفتح في اوراقه الزهر

وقال الاديب الكاتب القاضي ابو المطرف بن عميرة المخزومي لما قص شعر ملك الاندلس ريان بن مردنيش مزين في يوم رفع فيه ابو المطرف شعر انفرجت صلة المزين ولم تخرج صلة أبي المطرف

أرى من جاء بالموسى مواسي * وراحة من أذاع المدح صفرا
فأنجح سعي ذا اذ قص شعرا * وأخفق سعي ذا اذ قص شعرا

واسم أبي المطرف احمد وهو من جزيرة شقر من كورة بلنسية وكان الكاتب الحسيب

للقتال بصفين ستة أشهر وثلاثة عشر يوما وبين ذلك وأول الهجرة ست وثلاثون سنة وثلاثة عشر يوما وقتل بصفين سبعون ألفا من أهل الشام ومن أهل العراق خمسة وعشرون ألفا وكان المقام بصفين مائة يوم وعشرة أيام وقتل بها من الصحابة ممن كان مع علي خمسة وعشرون رجلا منهم عمار بن ياسر أبو اليقظان المعروف بابن سمية وهو ابن ثلاث وسبعين سنة وكانت عدة الوقائع بين أهل العراق والشام سبعون وقعة وفي سنة ثمان وثلاثين كان التقاء الحكمين وهما عمرو بن العاص وأبو موسى الاشعري بارض البلقاء من أرض دمشق وقيل بدومة الجندل وهي على عشرة أميال من دمشق وكان من أمرهما ما قد شهر وسنورد في هذا الكتاب جوامع ما ذكرناه ان كنا قد أتينا على مبسوط ذلك فيما سلف من كتبنا وفي هذه السنة جلت الخوارج وهم الشراة وكان ممن شهد صفين مع علي من اصحاب بدر سبع وثمانون رجلا منهم سبعة عشر من المهاجرين وسبعون من الانصار وشهد معه من الانصار ممن بايع تحت الشجرة وهي بيعة الرضوان من المهاجرين والانصار من أصحاب رسول الله

صلى الله عليه وسلم تسعمائة وكان جميع من شهد معه من الصحابة ألفين وثمانمائة وفى سنة ثمان وثلاثين

أبو جعفر أحمد بن طلحة يعشق علجا من علوج ابن هود ويعاشره فى غزواته وفيه يقول

ما أحضر الغزو من صلاح * كلا ولا رغبة الجهاد
لكن لكيما يكون داع * لقربنا خيرة الجياد

وقد تقدمت حكايته فانظر اجع وكان صنوبرى الاندلس أبو اسحق بن خفاجة وهو من رجال الذخيرة والقلائد والمذهب والمطرب والمغرب وشهرته تغنى عن الاطناب فيه مغرى بوصف الانهار والازهار وما يتعلق بهما وأهل الاندلس يسمونه الجنان ومن اكثر من شئ عرف به وتوفى سنة ثلاث او خمس وثلاثين وخمسمائة وولد سنة خمسين وأربعمائة ومن نظمه قوله

ربما استضحك الحباب حبيب * نفضت لونها عليه المدام
كلما مر قاصرا من خطاه * يتهادى كما تهادى الغمام
سلم الغصن والكثيب علينا * فعلى الغصن والكثيب السلام

وبات مع بعض الرؤساء فكاد ينطفئ السراج ثم تراجع نوره فقال

واغر ضاحك وجهه مصباحه * فأنار ذا اقمر او ذاك فرقدا
ما ان خبا تلقاء نور جبينه * حتى ذكا بذكائه فتوقدا

وله

كتبت وقلبى فى يديك أسير * يقيم كما شاء الهوى ويسير
وفى كل حين من هواك وادمعى * بكل مكان روضة وغدير

وله

كتابنا ولدينا البدر ندمان * وعندنا كؤس للراح شهبان
والقضب مائسة والطير ساجعة * والارض كاسية والجو عريان

ولما سئل أبو بكر محمد بن احمد الانصارى المعروف بالابيض عن لغة فعجز عنها بحضرة من خجل منه اقسم ان يقيد رجليه بقيد حديد ولا ينزعه حتى يحفظ الغريب المصنف فاتفق ان دخلت عليه امه فى تلك الحال فارتاعت فقال

ريعت عجوزى أن رأتنى لابسا * حلق الحديد ومثل ذاك الدروع
قالت جننت فقلت بل هى همة * هى عنصر العلياء والينبوع
سن الفرزدق سنة فتبعتها * انى لما سن الكرام تبوع

وكان شاعرا وشاحا وطاح دمه على يد الزبير أمير قرطبة لما هجاه بمثل قوله

عكف الزبير على الضلالة جاهدا * ووزيره المشهور كلب النار
مازال يأخذ سجدة فى سجدة * بين الكؤس ونغمة الاوتار
فاذا اعترته السهو صاح خلفه * صوت القيان ورنة المزمار

ولما بلغ الزبير عنه ذلك وغيره أمر باحضاره فقرعه وقال ما دعاك الى هذا فقال انى لم أر احق بالعبث منك ولو علمت ما أنت عليه من التخازى لعبوت نفسك انصافا ولم تكلفها الى أحد فلما سمع الزبير ذلك قامت قيامته وأمر بقتله وأنشد له ابن غالب فى فرحة الانفس قوله فى حلقة حائط

وحلقة كشعاع الشمس صافية * لو قابلت كوكبا فى الجو لانتهبا
تانق القين فى احكام صنعتها * حتى أفاض على اطرافها الذهبا

صلى الله عليه وسلم كان خروجه مع أهل النهروان من الخوارج وقعد عن بيعته جماعة عثمانية لم يروا الا الخروج عن الامر منهم سعد بن أبى وقاص وعبد الله بن عمر وبايع يزيد بعد ذلك والحجاج لعبد الملك بن مروان ومنهم قدامة بن مظعون ووهبان ابن صيفى وعبد الله بن سلام والمغيرة بن شعبة الثقفى وممن اعتزل من الانصار كعب بن مالك وحسان بن ثابت وكانا شاعرين وأبو سعيد الخدرى ومحمد بن مسلمة حليف بنى عبد الاشهل وفضالة بن عبيد وكعب بن عجرة ومسلمة ابن خالد فى آخرين ممن لم نذكرهم من العثمانية من الانصار وغيرهم من بنى أمية وسواهم وانتزع على أملاكا كانت لعثمان أقطعها جماعة من المسلمين وقسم ما فى بيت المال على الناس ولم يفضل أحدا على أحد وبعث أم حبيبة بنت أبى سفيان الى أخيها معاوية بقميص عثمان مخضبا بدمائه مع النعمان ابن بشير الانصارى واتصلت بيعة على بالكوفة وغيرها من الامصار وكانت أهل الكوفة أسرع اجابة الى بيعته وأحذله البيعة على أهلها أبو موسى الاشعرى حتى تكاثر الناس عليه كأنها

وكان عليها عاملا لعثمان وأتاه جماعة ممن تخلف عن بيعته من بني أمية منهم سعيد بن العاص ومروان ابن الحكم والوليد بن عقبة ابن أبي معيط فجرى بينه وبينهم خطب طويل وقال له الوليد انا لم نتخلف عنك رغبة عن بيعتك لكنا قوم وترنا الناس وخفنا على نفوسنا فعذرنا فيما نقول واضح أما أنا فقتلت أبي صبرا وضربني حدا وقال سعيد بن العاص كلاما كثيرا وقال له الوليد أما سعيد فقتلت أباه صبرا وأهنت مثواه وأما مروان فانك شتمت أباه وكبت عثمان في صنعه اياه وقد ذكر أبو مخنف لوط بن يحيى أن حسان بن ثابت وكعب ابن مالك والنعمان بن بشير قبل نفوذه بالقميص أتوا عليا في آخرين من العثمانية فقال كعب بن مالك يا أمير المؤمنين ليس مسيئا من أعتب وخير كفء ما محاه عذر في كلام كثير ثم بايع وبايع من ذكرنا جميعا وقد كان عمرو ابن العاص انحرف عن عثمان لانحرافه وتولية مصر غيره فنزل الشام فلما اتصل به أمر عثمان وما كان من بيعة علي كتب الى معاوية يهزه ويثير عليه بالمطالبة بدم عثمان وكان فيما كتب به اليه ما كنت

كأنها بيضة قد فد قونسها * وكل جنب لها بالطعن قد نقبا

وقال فيمن يحدث نفسه بالخلافة

أمير المؤمنين نداء شيخ * أفاد لك من اماليه اللطيفه
تحفظ أن يكون الجزع يوما * سيريرا من أسرتك المنيفه
واذكر منك مصلوبا فابكى * وتضحكني أمانيك السخيفه

وهاجى ابن سارة فقال فيه ابن سارة

ومن العجائب أن يكون الابيض * بحماره بين السوابق يركض

وقال امام النحاة بالاندلس أبو علي عمر الشلوبين فيمن اسمه قاسم

وعما شجا قلبي وفيض مدمعي * هوى قد قلبي اذ كلفت بقاسم
وكنت أظن الميم أصلا فلم تكن * وكانت كميم الحقت بالزراقم

والزراقم الحيات مشتقة من الزرقة والميم زائدة يريد أن ميم قاسم كميمها فهو قاس وهو منسوب الى حصن شلوبينية على ساحل غرناطة وله من الشهرة والتأليف ما يغني عن الاطناب في وصفه وله التوطئة وشرح الجزولية وغيرهما وكان مغفلا ومع ذلك فهو آية الله تعالى في العربية وكان في لسانه لكنة ولما أراد مأمون بني عبد المؤمن التوجه الى مرسية وقد ثار بها ابن هود وأنشده الشعراء وتكلم في مجلسه الخطباء قام الشلوبين وقال دعاء منه نلمك الله ونثرك يريد سلمك الله ونصرك لانه بلكنته يبدل السين والصاد ثاء فكان كما قال عاد المأمون وقد تم عسكره ونثر * ولما مرض الفقيه الزاهد أبو اسحق ابراهيم الالبيري دخل عليه الوزير أبو خالد هاشم بن رجاء فرأى ضيق مسكنه فقال لو اتخذت غير هذا المسكن لكان أولى بك فقال وهو آخر شعر قاله

قالوا ألا تسجيد بيتا * تعجب من حسنه البيوت
ففلت ما دا لكم صوابا * عيش كثير لمن يموت
لولا شتاء ولفح قيظ * وخوف لص وحفظ قوت
ونسوة يبتغين سترا * بنيت بنيان عنكبوت

وقال أبو بكر بن عبادة القزاز الموشح في ابن بسام صاحب الذخيرة

يا منيفا على السما كين سام * حزت خصل السباق عن بسام
ان تحك مدحة فانت زهير * أو تشب فعروة بن حزام
أو تباكر صيد المها فابن حجر * أو تبكي الديار فابن جذام
أو تذم الزمان وهو حقيق * فابو الطيب البعيد المرامي

ولما انتثر سلك نظام ملك لمتونة تغرق ملك الاندلس رؤساء البلاد وكان من جملتهم الامير أبو الحسن بن نزار لما له من الاصالة في وادي آش فحسده أهل بلده وقصدوا تاخيره عن تلك المرتبة فخطبوا في بلدهم لملك شرق الاندلس محمد بن مردنيش ووجهوا عماله وأوصاهم أن يخرج هذا الاسد من غيله ويفرق بينه وبين تأميله ورفعوا له أشعارا كان يستريح بها على كاسه ويتهيأ بمحضر من يركن اليه من جلاسه ومنها قوله وقد استشعر من نفسه

صانعا اذا قشرت من كل شئ تملكه فاصنع ما أنت صانع فبعث اليه معاوية فسار اليه فقال له معاوية يا يعني قال والله

في ذلك
معاوى لا أعطيك ديني ولم أنل
به منك دنيا فانظرن كيف
تصنع
فان تعطني مصرا فأربح
صفقة
أخذت بها شيخا يضر وينفع
وأتى المغيرة بن شعبة عليا
فقال له ان حق الطاعة
النصيحة وان الرأى اليوم
تحوز به ما في غد وان
التضارع اليوم تضييع به
ما في غد أقر معاوية على
عمله وأقر ابن عامر على عمله
وأقر العمال على أعمالهم
حتى اذا أتتك طاعتهم
وطاعة الجنود استبدلت
أو تركت قال حتى أنظر
فخرج من عنده وعاد اليه
من الغد فقال اني أشرت
عليك بالامس برأى وتعقبته
وانما الرأى أن تعاجلهم
بالنزع فتعرف السامع من
غيره ويستقل أمرك ثم
خرج فتلقاه ابن عباس
خارجا وهو داخل فلما
انتهى الى علي قال رأيت
المغيرة خارجا من عندك
فقيم جاءك قال جاءني امس
بكيت وكيت وجاءني
اليوم بذيت وذيت فقال
اما امس فقد نصحك وأما
اليوم فقد غشك قال فما
الرأى قال كان الرأى ان
تخرج حين قتل عثمان أو قبل ذلك فتأتي مكة فتدخل دارك فتغلق عليك بابك فان العرب كانت

بل

انها أهل للتقديم مستحقة لطالب سلفها القديم

الآن أعرف قدر النفع والضرر * فكيف أصدر ما اللك من صدر
وكيف أطلع في افق العلا قمرا * ويستهل بكفي واكف الدرر
وكيف أملأ صدر الدهر من رعب * وأستقل بحمل الحادث النكر
وأستعد لما ترمي الخطوب به * وأستطيل على الايام بالفكر
لكنني ربما بادرت منتهزا * فرصة مرقت كاللمح بالبصر
في أم رأسي ما يعيا الزمان به * ثم حافل بعدها الايام عن خبري

فعند ما وقف ابن مردنيش على هذا القول وجه الى وادي آش من حمله اليه وقيده وقدم به الى مرسية أسيرا بعد ما كان مرتقبا أن يقدم أميرا فلما وقعت عين ابن مردنيش عليه قال له امكن الله منك يا فاجر فقال أنت أعزك الله أولى بقول الخير من قول الشر ومن امكنه الله من القدرة على الفعل فما يليق به ان يستقدر بالقول فاستحيا منه وامر به للسجن فمكث فيه مدة وصدرت عنه اشعار في تشوقه الى بلاده منها قوله

لقد بلغ الشوق فوق الذي * حسبت فهل للتلاقي سبيل
فلو انني مت من شوقكم * غراما لما كان الا قليل
تعللني بالتداني المنى * وينشدني الدهر صبر جميل
فقل كبثينة اذ أصبحت * بعيدا فلم يسل عنها جميل
أغض جفوني عن غيرها * وسمعي عن اللوم فيها يميل

ولم يزل على حاله من السجن الى ان تحيل في جارية محسنة للغناء حسنة الصوت وصنع مرشحته التي اولها

نازع البدر اللياح * بنت الدمان
فلم يدع لك اقتراح * على الزمان

وفيها يقول

ياهل اقول للحسود * والعيس تحدى
بالاثمي على السراح * كانت امانى
أخرجها ذاك السماح * الى العنان

وجعل يلقيها على الجارية حتى حفظتها واحكمت الغناء بها واهداها الى ابن مردنيش بعد ما اوصاها انه متى دعاها الى الغناء وظفرت به في اطرب ساعة واسرها غنته بهذه الموشحة ولطفت في شأن رغبتها في سراح قائلها فلعل الله تعالى يجعل في ذلك سببا واتفق ان ظفرت بما اوصاها به واحسنت غناء الموشحة فطرب ابن مردنيش لسماع مدحه واعجبه مقاصد قائلها فسألها لمن هي فقالت لمولاي عبدك ابن نزار فقال اعيدي على قوله يا الاثمي على السراح فاعادته فداخلته عليه الرقة والارتياحية بما اصابه فامر في الحين بحل قيده واستدعى به الى موضعه في ذلك الوقت فلما دخل خلع عليه وادناه وقال له يا ابا الحسن قد امرنا لك بالسراح على رغم الحسود فارجع الى بلدك مباحا لك ان تطلب الملك بها وبغيرها ان قدرت فانت اهل لان تملك جميع الاندلس لا وادي آش فقال له والله يا سيدي

بل ألتزم طاعتك والاقرار بانك بعثتنى من قبر رمانى فيه الحساد والوشاة ثم شربا حتى تمكنت بينهما المطايبة فقال له يا ابن نزار الآن اريد أن اسألك عن شئ قال وما هو ياسيدى قال عما فى أم رأسك حين قلت

فى أم رأسى ما يعيا الزمان به * شر حافسل بعدها الايام عن خبرى

فقال له ياسيدى لا تسمع الى غرور نفس الفتنة على لسان نشوان لعبت بافكاره الامانى وغلبت على عقله الآمال والله لقد بقيت فى دارى أروم الاجتماع بجارية مهينة قدر سنة فما قدرت على ذلك ومنعتنى منها زوجتى فكيف أطلب ما دونه قطع الرؤس ونهب النفوس فضحك ابن مردنيش وجد له الاحسان وجهزه الى بلده وأمر عماله أن يشاركوه فى التدبير ويستأذنوه فى الصغير والكبير فتأثل به مجده وعظم سعده ومن شعره قوله

انظر الى الروض سحيرا وقد * بث به الطل علينا العيون
يرقب منا يقظة للسنى * فقل لها أهلا بداعى الجفون
وجهها شمسا الى أن ترى * شمس الضحى تطرق تلك الجفون

وقوله تنبه لمعشوق وكاس وقينة * وروض ونهر ليس يبرح خفاقا
فقد نبهت هذى الحدائق ورقها * وفتح فيها الصبح بالطل احداقا
ومهما تكن فى ضيقة فأدرلها * كؤس الطلى فالكرب يوسع ماضاقا

وقوله عطف القضيب مع النسيم تميلا * والنهر موشى الخمائل والحلى
تركته أعطاف الغصون مظللا * ولناعس النهج القويم مضللا
أمسى يغازلنا بمقلة أشهل * والطرف أسحر ماتراه أشهلا

وقال بعضهم استدعانى أبو الحسن بن نزار بمجلس أنس بوادى آش فلما احتفل مجلسنا وطابت لذتنا قال والله ما تمام هذه المسرة الا حضور أبى جعفر بن سعيد وهو الآن بوادى آش فوافقناه على ذلك لما نعلم من طيب حالتنا معهما وانهما لا يأتيان الا بما يأتى به اجتماع النسيم والروض فخلا فى موضع وكتب له

ياخير من يدعى لكاس دائر * ووجوه أقمار وروض ناضر
اناحضرنا فى الندى عصابة * معشوقة من ناظم أو ناثر
كل مخلى للذى يختاره * فى الامن من ناه له أو زاجر
ماان لهم شغل بفن واحد * بل كل مايجرى بوفق الخاطر
شدو ورقص واقتطاف فكاهة * وتعانق وتغامز بتواطر
وهم كما تدرى بأفق أنجم * لكن لنا شوق لبدر زاهر

سيدى لازلت متقدما لكل مكرمة هل يجمل التخلف عن نادقام فيه السرور على ساق وضحك فيه الانس بل فيه وانسدل به ستر الصون وفاء عليه ظل النعيم وسفرت فيه وجوه الطرب وركضت خيل اللهو وثار قتام اللذ وهطلت سحاب ماء الورد وجلبت الكؤس كالعرائس على كراسى العروس المثقلة بالعاج والآبنوس وكأن قطع النهار ممتزجة بقطع الظلام أو بنى حام قد خالطت بنى سام وعلى رؤس الاقداح تيجان نظمها امتزاج الماء بالراح

بان يلزموك شعبة من هذا الامر ويشبهون فيك على الناس وقال المغيرة بحقه فلم يقبل فغششته وذكرانه قال واما أنا فنصحته قبلها ولا أنصحه بعدها (قال المسعودى) وجدت فى وجه آخر من الروايات ان ابن عباس قال قدمت من مكة بعد مقتل عثمان بخمس ليال فجئت عليا ادخل عليه فقيل لى عنده المغيرة بن شعبة فجلست بالباب ساعة فخرج المغيرة فسلم على وقال متى قدمت قلت الساعة ودخلت على على وسلمت عليه فقال أين لقيت الزبير وطلحة قلت بالنواصف قال ومن معهما قلت أبو سعيد بن الحرث ابن هشام بن قتيبة من قريش فقال على اما انهم لم يكن لهم بد أن يخرجوا يقولون نطلب بدم عثمان والله يعلم انهم قتلة عثمان فقلت أخبرنى عن شأن المغيرة ولم خلا بك قال جاءنى بعد مقتل عثمان بيومين فقال أخلنى ففعلت فقال ان النصح رخيص وأنت بقية الناس وأنا لك ناصح وأنا أشير عليك أن لاترد عمال عثمان عاملك هذا فاكتب اليهم باثباتهم على أعمالهم فاذا بايعوا لك واطمأن

أمرك عزلت من أحببت واقررت من أحببت فقلت له والله لا أداهن فى دينى ولا أعطى الرياء فى أمرى قال

فطورا تستحي فيبدو خجلها وطورا تمتزج فيظهر وجلها والعود ترجمان المسرة قد جعلته أمه في حجرها كولد ترضعه بدرها وساقي الشرب كالغصن الرطيب أوراقه أردية الشرب وأزهاره الكؤس التي لا تزال تطلع وتغرب كالشموس ساق يفهم بالاشارة حلو الشمائل عذب العبارة ذو طرف ستيم وخد كأنه من خفره لطيم ولدينا من أصناف الفواكه والازاهر ما يحار فيه الناظر وهل تكمل لذة دون احضار خدود الورد وعيون النرجس وأصداغ الآس ونهود السفرجل وقدود قصب السكر ومباسم قلوب الجوز وسرر التفاح ورضاب ابنة العنب فقد اكتمل بهذه الاوصاف المختلسة من أوصاف الحبائب الطرب

فطار بجناح الشوق عند وصولها * اليك ولا تجعل سواك جوابها
فلا عين الا وهي ترنو بطرفها * اليك فسر في المطال حسابها
فقد أصبحت تعلو عليها غشاوة * لبعدك فاكشف عن سناها ضبابها

قال أبو جعفر فجعلت وصولي جواب ما نظم ونثر وألفيت الحالة تقصر عن خبرها الخبر فانغمسنا في النعيم انغماس عرف الزهر في النسيم ومر لنا يوم غض الدهر عنه جفنه حتى حسبناه عنوانا لما وعد الله تعالى به في الجنة * وشرب يوما مع أبي جعفر بن سعيد والكتندي الشاعر في جنة بزاوية غرناطة وفيها صهريج ماء قد أحدق به شجر نارنج وليمون وغير ذلك من الاشجار وعليه انبوب ماء تتحرك به صورة جارية راقصة بسوف وطيفور رخام يصنع في انبوبة الماء صورة خباء فقالوا نقتسم هذه الاوصاف الثلاثة فقال أبو جعفر يصف الراقصة

وراقصة ليست تحرك دون أن * يحركها سيف من الماء مصلت
يدور بها كرها فتقضي صوارما * عليه فلا تعيا ولا هو يبهت
أداهي دارت سرعة خلت أنها * الى كل وجه في الرياض تلفت

وقال ابن نزار في خباء الماء

رأيت خباء الماء ترسل ساعها * فنا زعها هب الرياح رداءها
تطاوعه طورا وتعصيه تارة * كراقصة حلت وضمت قباءها
وقد فابلت خير الانام فلم تزل * لديه من العليا تبدي حياءها
اذا أرسلت جود ا أمام يمينه * أبى العدل الا ان يرد اباءها

وقد قيل ان هذه الابيات صنعها بحضرة الامير أبي عبد الله بن مردنيش ملك شرق الاندلس وانه لما ألجأته الضرورة أن يرتجل في مثل ذلك شيأ وكانت هذه عنده معدة فزعم انه ارتجلها قال أبو عمر بن سعيد وهذا هو الصحيح فانه ما كانت عادته ان يخاطب عمي أبا جعفر بخير الانام فان كل واحد منهما كفؤ الآخر وقال الكتندي

وصهريج تخال به لجينا * يذاب وقد يذهبه الاصيل
كأن الروض يعشقه فمنه * على ارجائه ظل ظليل
وتمنحه أكف الشمس عشقا * دنانيرا فمنه لها قبول
اذا رفع النسيم القضب عنها * فحينئذ يكون لها سليل
وللنارنج تحت الماء لما * تبدى عكسها جرب ذليل

فان كنت قد أبيت فانزع حجة في اثباته فقد كان عمر ولاه الشام كلها فقلت له لا والله لا أستعمل معاوية يومين أبدا فخرج من عندي على ما أشار به ثم عاد فقال اني أشرت عليك بما أشرت به وأبيت علي فنظرت في الامر واذا انت مضيت لا ينبغي ان تأخذ أمرك بخدعة ولا يكون فيه دالسة قال ابن عباس فقلت له أما اول ما أشار عليك فقد نصحك وأما الآخر فقد غشك وانا اشير عليك ان تثبت معاوية فان بايع لك فعلى أن أقلعه من منزله قال لا والله لا أعطيه الا السيف ثم تمثل

فما منة ان منها غير عاجز * بعار اذا ما غالت النفس غالها

فقال يا أمير المؤمنين أنت رجل شجاع أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الحرب خدعة فقال علي بلى قلت أما والله لئن أطعتني لاصدرن بهم بعد ورد ولاتركنهم ينظرون في آثارهم الامر ولا يدرون ما كان وجهها من غير نقص لك ولا اثم عليك فقال يا ابن عباس لست من هنيا تك وهنيات معاوية في شيء يسير مالك عندي الطاعة والله ولي التوفيق

(ذكر الاخبار عن يوم الجمل وبدئه وما كان فيه من الحرب وغيره) ودخل طلحة والزبير مكة واليمون

وللیمون فیه دون سبك * جلاجل زخرفت نصبا تجول
فیروضابه صقلت جفونی * وأرهف متنه الزهر الكلیل
تناثر فیك أسلاك الغوادی * وقبل صفح جدوالك القبول
ولا برحت تجمع فیك شملا * من الاكیاس والكاس الشمول
بدور تستنیر بها نجوم * مع الاصباح لیس لها افول
تهیم بهم نسیم الروض الفا * فمن وجد له جسم علیل

وروی ان الوزیر أبا الاصبغ عبد العزیز بن الارقم وزیر المعتصم بن صماد حرأی رایة خضراء فیها ضیقة ۳ بیضاء فی ید علج من علوج المعتصم نشرها علی رأسه فقال

نشرت علیك من النعیم جناحا * خضراء صیرت الصباح وشاحا
تحكی بخفق قلب من عادیته * مهما یصافح صفحها الارواحا
ضمنت لك النعمی برأی ظافر * فترقب الفال المثیر نجاحا

وكان هذا الوزیر آیة الله تعالی فی الوفاء وأرسله المعتصم الی المعتمد بن عباد فاعجبت المعتمد محاولته ووقع فی قلبه فأراد افساده علی صاحبه وأخذ معه فی أن یقیم عنده فقال له ما رأیت من صاحبی ما أكره فأوثر عند غیره ما أحب ولو رأیت ما أكره لما كان من الوفاء ترك له فی حین فوض الی أمر ووثق بی وحملنی أعباء دولته فاستحسن ذلك ابن عباد وقال له فاكتم علی فلما عاد الی صاحبه ساله عن جمیع ما جری له فقال له فی أثناء ذلك وجری لی معه ما ان أعلمتك به خفت ان تحسب فیه كالامتنان والاستظهار وتظن أن خاطری فسد به وان كتمتك لم أوف النصیحة حقها وخفت أن تطلع علیه من غیری فیحطنی ذلك من عینك وتحسب فیه كیدا فحمل علیه فی أن یعلمه فأعلمه بعد أن تلطف هذا التلطف وهو من رجال الذخیرة والمسهب وابنه الوزیر أبو عامر من رجال القلائد ومن نظم أبی عامر

فتی الخیل یقتادها ذبلا * خفافا تباری القنا الذابلا
تری كل أجرد سامی التلیل * وتحسبه غصنا مائلا

وللوزیر الكاتب أبی محمد بن فرسان واسمه عبد البر وهو حسنة وادی آش یخاطب یحیی المیورقی

أنعم بشریح علی فعله * سبب الزیارة للحطیم ویثرب
ولئن تقول كاشح ان الهوی * أرست معالمه وانك مذهبی
فعقالتی ما ان ملكت وانما * عمری أبی حمل النجاد بمنكبی
وعجزت عن أن أستثیر كمینها * وأشق بالصمصام صدر الموكب

وهذه الابیات كتب بها الیه وقد أسن ومل من الجهد معه یرغب فی سراحه الی الحجاز رحمه الله تعالی وتقبل نیته بمنه ویمنه وقال حاتم بن حاتم بن سعید العنسی وكان صاحب سیف وقلم وعلم وعلم

یا دانیا منی وما أنا زائر * لا أنت معذور ولا أنا عاذر
ماذا یضرك اذ ظللت بظلمة * ان لا یطالع منك بدر زاهر

وسلم لا حاجة لی فی المسیر فقال ابن الزبیر بالله ما هذا الحواب ولقد غلط فیما اخبرك به وكان طلحة فی ساقة الناس فلحقها

لا یقصدان غیر مكة وقد كانت عائشة رضی الله عنها بمكة وقد كان عبد الله بن عامر عامل عثمان علی البصرة هرب عنها حین أخذ البیعة لعلی بها علی الناس حارثة ابن قدامة السعدی ومضر عثمان بن حنیف الانصاری الیها علی خراجها من قبل علی رضی الله عنه وانصرف من الیمن عامل عثمان وأعطی عائشة وطلحة والزبیر اربعمائة درهم وكراعا وسلاحا وبعث الی عائشة بالجمل المسمی عسكرا وكان شراؤه علیه بالیمن مائتی دینار فارادوا الشام فصدهم ابن عامر وقال ان به معاویة ولا ینقاد الیكم ولا یطیعكم لكن هذه البصرة لی بها صنائع وعدد فجهزهم بالف ألف درهم ومائة من الابل وغیر ذلك وسار القوم نحو البصرة فی ستمائة راكب فانتهوا فی اللیل الی ماء لبنی كلاب یعرف بالحوأب علیه ناس من بنی كلاب فعوت كلابهم علی الركب فقالت عائشة ما اسم هذا الموضع فقال لها السائق یحملها الحوأب فاسترجعت وذكرت ما قیل لها فی ذلك فقالت ردونی الی حرم رسول الله صلی الله علیه

وشهد معهما خمسون رجلا ممن كان معهم فكان ذلك اول شهادة زور اقيمت

وتوفي المذكور بغرناطة سنة ثلاث وتسعين وتسعمائة وقال التطيلي الاعمى في اسد نحاس يقذف الماء

اسد ولو أني انا * قشه الحساب لقلت صخره
فكانه اسد السما * يميج من فيه المجره

قال ابن ظافر صرنا في بعض العشايا على الساتين المجاورة للنيل فرأينا فيها بئرا عليها دولابان متحاذيان قد كادت افلاكهما نجوم القواديس ولعبت بقلوب ناظريهما لعب الاماني بالمعاليس وهما يثنان انين الاشواق ويفيضان ماء اغزر من دموع العشاق والروض قد جلا للاعين زبرجده والاصيل قد راقه حسنه فنثر عليه عسجده والزهر قد نظم جواهره في اجياد الغصون والسواقي قد اذالت من سلاسل فضتها كل مصون والنت قد اخضر شاربه وعارضه وطرف النسيم قد ركضه في ميادين الزهر راكضه ورضاب الغيث قد استقر من الطين في لمى وحيات المجاري حائرة تخاف من زمرد النبات أن يدركها العمى والبحر قد صقل النسيم درعه وزعفران الشمس قد ألقى في ذيل الجو ردعه فأوسعنا ذلك المكان حسنا وقلوبنا استحواذا وملأ ابصارنا وأسماعنا مسرة والتذاذا وملنا الى الدولابين شاكين أزمر احيى شجت قيان المطر بالحانها وشدت على عيدانها أم ذكرا نغما وطابا وكانا أغصانا رطابا فنفيا عنهما لذيذ الهجوع ورجعا النوح وافاضا الدموع طلبا للرجوع وجلسنا نتذاكر ما في تراكيب الدواليب من الاعاجيب ونتناشد ما وصفت به من الاشعار الغالية الاسعار فأفضى بنا الحديث الذي هو شجون الى ذكر قول الاعمى التطيلي في اسد نحاس يقذف الماء اسد ولو اني الخ فقال القاضي ابو الحسن علي بن المؤيد رحمه الله تعالى يتولد من هذا في الدولاب معنى يأخذ بمجامع المسامع ويطرب الرائي والسامع فتأملت ما قاله بعين بصيرتي البصيرة واستمددت مادة غريزتي الغزيرة فظهر لي معنى ملأني اطرابا واوسعني اعجابا واطرق كل منا ينظم ما جاش به مدتجره وانباه به شيطان فكره فلم يكن الا كنقرة العصفور الخائف من الناطور حتى كل ما اردناه من غير ان يقف واحد منا على ما صنعه الآخر فكان الذي قال

حبذا ساعة العشية والدو * لاب يهدي الى النفوس المسره
ادهم لا يزال يعدو ولكن * ليس يعدو ومكانه قد ذره
ذو عيون من القواديس يبكي * كل عين من فائض الدمع ثره
فلك دائر يرينا نجوما * كل نجم يبدي لدينا المجره

وكان الذي قلت

ودولاب يئن أنين ثكلى * ولا فقد اشكاه ولا مضره
ترى الازهار في ضحك اذا ما * بكى بدموع عين منه ثره
حكى فلكا تدور به نجوم * تؤثر في سرائرنا المسره
يظل النجم يشرق بعد نجم * ويغرب بعد منه تجري المجره

وعجبنا من اتفاقنا وقضى العجب منه سائر رفاقنا انتهى (رجع) وكان لابي محمد عبد الله

فاقسم ان ذلك ليس بالحواب في الاسلام فاتوا البصرة فخرج اليهم عثمان بن حنيف فسألهم وجرى قتال قال ثم انهم اصطلحوا بعد ذلك على كف الحرب الى قدوم علي فلما كان في بعض الليالي بيتوا عثمان ابن حنيف فاسروه وضربوه ونتفوا لحيته ثم ان القوم استرجعوا وخافوا على مخلفيهم بالمدينة من اخيه سهل بن حنيف وغيره من الانصار فخلوا عنه وارادوا بيت المال فمانعهم الخزان والموكلون به وهم السالحون فقتل منهم سبعون رجلا غير من جرح وخمسون من السبعين ضربت رقابهم صبرا من بعد الاسر وهؤلاء اول من قتلوا ظلما في الاسلام وصبروا وقتلوا حكيم بن جبلة العبدي وكان من سادات عبد القيس وزهاد ربيعة ونساكها وتشاح طلحة والزبير في الصلاة بالناس ثم اتفقوا على ان يصلي بالناس عبد الله بن الزبير يوما ومحمد بن طلحة يوما في خطب طويل كان بين طلحة والزبير الى ان اتفقا على ما وصفنا وسار علي من المدينة بعد اربعة اشهر وقيل غير ذلك في تسعمائة راكب منهم أربعمائة من المهاجرين والانصار ومنهم سبعون بدريا وباقيهم من الصحابة ابن

وقد كان استخلف على المدينة سهل بن حنيف الانصاري فانتهى الى

ابن شعبة الوادي آشي ابن شاعر فعرض عليه شعرا نظمه فاعجبه فقال

شعرك كالبستان في شكله * يجمع بين الآس والورد
فاصنع به ان كنت لي طائعا * ما يصنع الفارس بالبند

لشاعر الاندلس أبي عبد الله بن الحداد الوادي آشي وهو من رجال الذخيرة

لزمت قناعتي وقعدت عنهم * فلست أرى الوزير ولا الامير
وكنت سمير أشعاري سفاها * فعدت بها الفلسفتي سميرا

له في العروض تاليف مزج فيه بين الانحاء الموسيقية والآراء الخليلية ورد فيه على

لسرقسطي المنبوز بالحمار وله في المعتصم بن صمادح

لعلك بالوادي المقدس شاطئ * فللمنبر الهندي ما أنا واطئ
واني في رياك واجد ريحهم * بخمر الاسى بين الجوانح ناشئ
ولي في السرى من نارهم ومنارهم * هداة حداة والنجوم طوائ
لذلك ما حنت ركابي وحمحمت * عرابي وأوحى سيرها المتباطئ
فهل هاجني ماها جها ولعلها * الى الوجد من نيران قلبي لواجئ
رويدا فذا وادي لبيني وانه * لورد لباباتي واني لظامئ
موارد تهيامي ومسرح ناظري * فللشوق غايات بها ومبادئ

واعترض عليه بعضهم بانه همز في هذه القصيدة ما لا يهمز فقال

عجبت لغماز بن علمي بجهلهم * وان قناتي لا تلين من الغمز
تجلت لهم آيات فهمي ومنطقي * مبينة الاعجاز ملزمة العجز
ولاحت لهم همز به أو حديثه * وويل بها ويل لذي الهمز واللمز
رموها بنقص بيت فيه نقصهم * ومن لمس الافعى شكا ألم النكز
فان أنكرت أفهامهم بعض همزها * فقد عرفت أكبادهم صحة الهمز

وله وهو ما يتغنى به بالاندلس

فذر العقيق بجانبا لعقوقه * ودع العذيب عذيب ذات الخال
أفق محلي بالقواضب والقنا * للاغيد المعطار لا المعطال
حجبوك الامن توهم خاطري * وحموك الامن تصور بالي
والغار ظان جميل صبري والكرى * فمتى أرجي منك طيف خيال

ومن بدائعه قوله

سامح أخاك اذا أتاك بزلة * فخلوص شئ قلما يتمكن
في كل شئ آفة موجودة * ان السراج على سناه يدخن

وأنشد أحد الادباء هذين البيتين متمثلا فاعجبا المعتصم وسأل عن قائلهما فاخبر فتبسم وقال أتعرف الى من أشار بهذا المعنى قال ما أعرف الا انه مليح فقال المعتصم كنت في الصبا وهو معي ألقب بسراج الدولة فقاتله الله ما أشعره فسلوه فلما باحثوه في ذلك أقر بحسن حدس المعتصم واكتفته سعايات وكان ممن يغلب لسانه على عقله ففر من المرية

الربذة بين الكوفة ومكة من طريق الجادة وفاته طلحة والزبير وقد كان على أرادهم فانصرف حين فاتوه الى العراق في طلبهم ولحق بعلي من أهل المدينة جماعة من الانصار فيهم خزيمة ابن ثابت ذو الشهادتين وأتاه من طيئ ستمائة راكب وكاتب على من الربذة ابا موسى الاشعري ليستنفر الناس فبطهم ابو موسى وقال انما هي فتنة فنمى ذلك الى علي فولى على الكوفة قرظة ابن كعب الانصاري وكتب الى ابي موسى اعتزل عملنا يا ابن الحائك مذموما مدحورا فما هذا أول يومنا منك وان لك فيها لهنات وهنيات وسار علي بمن معه حتى نزل بذي قار وبعث ابنه الحسن وعمارا الى الكوفة يستنفر الناس فسار اعنها ومعهما من اهل الكوفة نحو من سبعة آلاف وقيل ستة آلاف وخمسمائة وستون رجلا فانتهى الى البصرة وراسل القوم وناشدهم الله فأبوا الا قتاله وذكر عن المنذر بن الجارود فيما حدث به ابو حنيفة الفضل بن الحباب الجمحي عن ابن عائشة

عن معن بن عيسى عن المنذر بن الجارود قال لما قدم علي رضي الله عنه البصرة دخل علي الطف فأتى الزاوية

وحبس أخوه بها فقال

الدهر لا ينفك من حدثانه * والمرء منقاد لحكم زمانه
وعلمت أن السعد ليس بمنجح * ما لا يكون السعد من أعوانه
والجد دون الجد ليس بنافع * والرمح لا يمضي بغير سنانه

و بلغت الابيات المعتصم فقال شعره أعقل منه صدق فانه لا يتهيأ له صلاح عيش الا باخيه وهو منه بمنزلة السنان من الرمح ثم أمر باطلاقه وبلحاقه به ولما قال في المعتصم

يا طالب المعروف دونك فاتر كن * دار المرية وارفض ابن صمادح
رجل اذا أعطاك حبة خردل * ألقاك في قيد الاسير الطامح
لو قد مضى لك عمر نوح عنده * لا فرق بينك والبعيد النازح

اغتاظ عليه وأبعده ففر من بلده ومن المنسوب اليه في النساء

خن عهدها مثل ما خانتك منتصفا * وامنح هواها بنسيان وسلوان
فالغيد كالروض في خلق وفي خلق * ان مر جان أتى من بعده جاني

وله

حيثما كنت ظاعنا أو مقيما * دمت رفيعا وعش منيعا سليما

وقال ابن دحية في المطرب ان من المجيدين في الجد والهزل ورقيق النظم والجزل صاحبنا الوزير أبا بلال وقال لي انه كان وبر دشبابه قشب وغصن اعتداله رطيب بقميص المسك متقمص و بعلم الحديث متخصص فاجتاز يوما و بيده مجلد من صحيح مسلم يقصر بعض الملوك الاكابر ومن بعض مناظره ناظر ومجلسه بخواص ندمائه حال وصوت المثاني والمثالث عال فقال أطلعوا الناهذا الفقيه فلعلنا نفحك منه فلما مثل بين يديه وحيا أمر الساقي بمناولته كاس الحميا فتقبض متأففا وأبدى تمعرا وتقشفا والسلطان يستغرب ضحكا بما هجم عليه و يد الساقي ممدودة اليه واتفق أن انشقت من ذاتها الزجاجة فظهر من السلطان التطير من ذلك فأنشد الفقيه مرتجلا

ومجلس بالسرور مشتمل * لم يخل فيه الزجاج من أدب
سرى باعطافه يرنحه * فشق أثوابه من الطرب

فسر السلطان وسرى عنه واستحسن من الفقيه مابدا منه وأمر له بجائزة سنية وخلعة رائقة وما أحسن قول ابن البراق

يا سر حسنة الحمى يا مطول * شرح الذي بيننا يطول
ولي دون عليك حلت * لو انه ينفع الحلول

وقوله

انظر الى الوادي اذا ما غردت * أطياره شق النسيم ثيابه
أتراه أطربه الهديل وزاده * طربا وحقك أن حللت جنابه

وله في غلام على فمه أثر المداد

يا عجبا للمداد أضحى * على فم ضمن الزلالا
كالفار أضحى على الحميا * والليل قد لامس الهلالا

وكتب أبو محمد عبد الله في معذرة الى بعض أصحابه من الاسر في طليطلة

رايته واذا تيجان القوم الاغلب عليها البياض و الصفرة مدججين في الحديد والسلاح فقلت من هذا فقيل ابو ايوب الانصاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهؤلاء الانصار وغيرهم ثم تلاهم فارس آخر عليه عمامة صفراء وثياب بيض متقلد سيفا متنكب قوسا معه راية على فرس اشقر في نحو الف فارس فقلت من هذا فقيل هذا خزيمة بن ثابت الانصاري ذو الشهادتين ثم مر بنا فارس آخر على فرس كميت معتم بعمامة صفراء من تحتها قلنسوة بيضاء و عليه قباء أبيض مصقول متقلد سيفا متنكب قوسا في نحو الف فارس من الناس ومعه راية فقلت من هذا فقيل لي أبو قتادة ابن ربعي ثم مر بنا فارس آخر على فرس أشهب عليه ثياب بيض وعمامة سوداء قد سدلها بين يديه ومن خلفه شديد الادمة عليه سكينة ووقار رافع صوته بقراءة القرآن متقلد سيفا متنكب قوسا معه راية بيضاء في ألف من الناس مختلفي التيجان حوله مشيخة وكهول وشباب كأن قد أوقفوا للحساب أثر السجود قد أثر في جباههم فقلت من هذا فقيل عمار بن ياسر في عدة من الصحابة من

لو كنت حيث تجيبني * لأدب قلبك ما أقول
يكفيك مني أنني * لا أستقل من الكبول
واذا أردت رسالة * لكم فما ألفى رسول
هذا وكم يتناوفني * أيماننا كاس الشمول
والعود يخفق والدنا * ن العنبري به يجول
حال الزمان ولم ازل * مذ كنت اعهده يحول

ولابي الحسن علي بن مهلهل الجليانى فى ابي بكر بن سعيد صاحب اعمال غرناطة فى دولة الملثمين

لولا النهود لما عراك تنهد * وعلى الخدود القلب منك يخدد
يا ناقذا قلبي بسهم جفونه * مالي على سهم رميت به يد

وقال ابو زكريا يحيى بن مطروح فى غلام كاتب اطل عذاره

يا حسنه كاتبا قد خط عارضه * فى خده حاكيا ما خط بالقلم
لام العذول عليه حين ابصره * فقلت دعني فزين البرد بالعلم
وانظر الى عجب مما تلوم به * بدر له هالة قد ت من الظلم
قولوا عن البحر ما شئتم ولا عجب * من عنبر الشحر او من در مبتسم

وله وقد عزل عن مالقة وال غير مرضي ونزل المطر على اثره وكان الناس فى جدب

ورب وال سرنا عزله * فبعضنا هناه البعض
قد واصلتنا السحب من بعده * ولذ فى اجفاننا الغمض
لو لم يكن من نحس شخصه * ما طهرت من بعده الارض

وكان الكاتب ابو بكر محمد بن نصر الاوسي مختصا بوزير عبد المؤمن ابي جعفر بن عطية فقال فيه

ابا جعفر نلت الذى نال جعفر * ولا زلت بالعليا تسر وتحبر
عليك لنا فضل و بروانعم * ونحن علينا كل مدح يحبر

وحدث من حضر مجلس الوزير ابن عطية وقد احس من عبد المؤمن التغير الذى افضى الى قتله وقد افتتح ابن نصر مطلع هذه القصيدة فتغير وجه ابي جعفر لان جعفر بن يحيى كان آخر امره الصلب فكأن هذا اعم الدعاء والعجب انه قتل مثل جعفر بعد ذلك وهذا الشاعر هو القائل

وما انا عن ذاك الهوى متبدل * وذا الغدر بالاخوان غير كريم
بغيرك اجرى ذكر فضلك فى الندى * كما قد جرى بالروض هب نسيم
وان كان عندى للجديد لذاذة * فلست بناس حرمة لقديم

ولابي عبد الله محمد بن علي اللوشي يخاطب صاحب المسهب

بي اليكم شوق شديد ولكن * ليس يبقى مع الجفاء اشتياق
ان يغيركم الفراق فودى * لو خبرتم يزيد فيه الفراق

وله لو أن لي قلبا كقلبك كنت اهجر هجركا

وقلنسوة بيضاء وعمامة صفراء متنكب قوسا متقلد سيفا تخط رجلاه فى الارض فى الف من الناس الغالب على تيجانهم الصفرة والبياض معه راية صفراء قلت من هذا قيل هذا قيس بن سعد بن عبادة فى الانصار وابنائهم وغيرهم من قحطان ثم مر بنا فارس على فرس أشهل فما رأينا أحسن منه عليه ثياب بيض وعمامة سوداء قد سدلها بين يديه بلواء قلت من هذا قيل هو عبد الله بن العباس فى عده من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم تلا موكب آخر فيه فارس أشبه الناس بالاولين قلت من هذا قيل قثم بن العباس او سعيد بن العاص ثم اقبلت المواكب والرايات يتقدم بعضها بعضا واشتبكت الرماح ثم ورد موكب فيه خلق من الناس عليهم السلاح والحديد مختلفو الرايات فى اوله راية كبيرة يتقدمهم رجل كأنما كسر وجبر (قال ابن عائشة وهذه صفة رجل شديد الساعدين تنظره الى الارض اكثر من تنظره الى فوق كذلك تخبر العرب فى وصفها اذا أخبرت عن الرجل انه كسر وجبر) كأنما على رؤسهم الطير وعن ميسرتهم شاب حسن الوجه قلت من هؤلاء قيل هذا على بن ابي طالب

يكفيك انك قد نسيت ولست أنسى ذكركا
ومن العجائب أنني * أفنى وأكتم سركا
كن كيفما تختاره * فالحب يبسط عذركا

وله هل عندكم علم بما فعلت بنا * تلك الجفون الفاتكات بضعفها
نصحا لكم أن تأمنوها انها * سحر النهى ما تبصرون بطرفها

ولابنه أبي محمد عبد المولى وكان ماجنا لما نعي اليه وهو على الشراب أحد أصحابه مرتجلا

انما دنياك أكل * وشراب وتحاب * ثم من بعد صراخ * ووداع وتراب

وله يانديم اشرب على أفق صقيل وحديقه
واسقني ثم اسقني * ثم اسقى خمرا وريقه
من غزال تطلع الشمس بخديه انيقه
لا تفوت ساعة من * كاس خمر وشقيقه
واجتنب ما سخرت جهلا له هذى الخليقه
رغبوا في باطل زو * ر وزهد في الحقيقه
ليس الا ما تراه * أنا أدرى بالطريقه

قال أبو عمران موسى بن سعيد قاتله ما هذا الاعتقاد الفاسد الذي لا ينبغي لاحد أن يعتقد به فقال هذا قول لا فعل وقد قال الله تعالى ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وانهم يقولون ما لا يفعلون ثم قال ابن سعيد ولولا أن حاكي الكفر ليس بكافر لما ذكرتها وهذا منزع من قال من المجوس

خذ من الدنيا بحظ * قبل أن ترحل عنها
فهي دار لا ترى من * بعدها أحسن منها

وهذا كفر صراح وقائله قد تقمص كفرا اللهم غفرا وطلب منه بعض الاردال أن يكتب له شفاعة عند أحد العمال فكتب له رسالة فيها هذه الابيات

كتبته مولاي في طالع * ما طار فيه طائر الميمن
وفكرة جائلة والحشا * ينهب بالهم وبالحزن
كلفنيه ساقط أحمق * مشتهر بالطعن والقرن
أكذب خلق الله أرداهم * أخوفهم في الخوف والامن
يكفر ما يسدي اليه ولا * يعذر خلفا سيئ الظن
فان صنعت الخير ألفيته * شرا وأضحى الجد ذا غبن
وانتقد الماس عليك الذي * تسدي له في أي ما فن
فافعل به ما هو أهل له * وبسمعه تفسيرا ولا كني
أهنه واصفعه ولا تزك السبواب يكرمه لدى الاذن
واقطع بفيه القول واحرمه من * رد جواب أنسه يدني
وكلما استنبط رأيا فهه ودعه مسخن الجفن

وهذان الحسن والحسين عن يمينه وشماله وهذا محمد بن الحنفية بين يديه معه الراية العظمى وهذا الذي خلفه عبد الله بن جعفر بن ابي طالب وهؤلاء مولد عقيل وغيرهم من فتيان بني هاشم وهؤلاء المشايخ اهل بدر من المهاجرين والانصار فساروا حتى نزلوا الموضع المعروف بالزاوية فصلى اربع ركعات وعفر خديه على التربة وقد خالط ذلك دموعه ثم رفع يديه يدعو اللهم رب السموات وما اظلت والارضين وما اقلت ورب العرش العظيم هذه البصرة اسألك من خيرها واعوذ بك من شرها اللهم انزلنا فيها خير منزل وانت خير المنزلين اللهم هؤلاء القوم قد خلعوا طاعتي وبغوا علي ونكثوا بيعتي اللهم احقن دماء المسلمين وبعث اليهم من يناشدهم الله في الدماء وقال علام يقاتلوني فأبوا الا الحرب فبعث رجلا من اصحابه يقال له مسلم معه مصحف يدعو الى الله فرموه بسهم فقتلوه فحمل الى علي وقالت امه

يارب ان مسلما اتاهم
يتلو كتاب الله لا يخشاهم
فخضبوا من دمه لحاهم

وامه قائمة تراهم
وامر علي رضي الله عنه ان يصافوهم ولا يبدؤهم بقتال ولا يرموهم بسهم ولا يضربوهم برمح حتى جاء عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي فهو

فهو اذا أكرمته فاسد * وصالح بالهون واللعن
شفاعتي في مثله هذه * فلا سقاه هاطل المزن

ودفع اليه الكتاب مختوما فسر به وحمله الى العامل وسافر اليه أياما فلما دفعه اليه قرأه وصحك ودفعه الى من يشاركه في ذلك من أصحابه فوعده بخير وأخره الى شغل لم يرضه فلما عاد منه قال له أخرجتني لارذل شغل وأخسه فما فائدة الشفاعة اذن فقال له أو تريد أن أفعل معك ما تقتضيه شفاعة صاحبك قال لا أقل من ذلك فأمر من يأتيه بالابيات فقرئت عليه فانصرف في أسوأ حال فلما دخل عليه غرناطة وكان عبد المولى تزوج فيها امرأة اغتبط بها فقال يا هذا الرجل بزي أهل البادية وزور كتابا على لسان زوجة لعبد المولى في بلدة أخرى وقال في الكتاب وقد بلغني انك تزوجت غيري وأردت أن أكتب اليك في أن تطلقني فوصاني كتابك نعرفني فيه أن الزوجة الجديدة لم توافق اختيارك وأنك ناظر في طلاقها فردني ذلك عما عزمت عليه فانظر في تجميل ما وعدت به من طلاقها فانك ان لم تفعل لم أبق معك أبدا فلما مر بدار عبد المولى رأى جاريته زوجته فقال لها أنا رجل بدوي أتيت من عند فلانة زوجة أبي محمد عبد المولى فعند ما سمعت ذلك أعلمت ستها وأخذت الكتاب فوقفت على ما فيه غير شاكة في صحته فلما دخل عبد المولى وجدها على خلاف ما فارقها عليه فسألها عن حالها فقالت أريد الطلاق فقال ما سبب هذا وأنا أرغب الناس فيك فألقت اليه الكتاب فلما وقف عليه حلف لها أن هذا ليس بصحيح وأن عدوا له اختلقه عليه فلم يفد ذلك عندها شيأ ولم يطب له بعد ذلك معها عيش فطلقها وعلم أن ذلك الرجل هو الذي فعل ذلك فقال له لا جزاك الله خيرا ولا أصلح لك حالا فقال وأنت كذلك فهذه بتلك والبادي أظلم فما كان ذنبي عندك حين كتبت في حق ما كتبت فقال له مثلك لا يقول ما ذنبي أنت كلك ذنوب

ألست بألام الثقلين طرا * وأثقلهم وأخشنهم لسانا
فهما تبغ براعند شخص * نزد منه بما تبغي هوانا

فانصرف عنه عالي اللسان بلعنته وكان أحد بني عبد المؤمن قد ألزمه أن ينسخ له كتابا بموضع منفرد فخطر له يوما جلد عميرة واتفق أن مر السيد يوما بذلك الموضع فنظر اليه في تلك الحال فقال له السيد ما تصنع فقال الدواة جمعت ولم أجد ما أسقيها به الا ماء ظهري فضحك السيد وامر له بجارية فقال

قل للعميرة طلقت بعد طول زواج
قد كان ماني ضياعا * يمرقي غير حاج
حتى حباني بحسنا * وقابل للنتاج
فكان ناقل خمر * من خمتم لزجاج
كانت تمر ضياعا * فاصبحت كالسراج

وقال حاتم بن سعيد

جنبوني عن المدامة الا * عند وقت الصباح او في الاصيل
واشفعوها بكل وجه مليح * ودعوني من كل قال وقيل

فقال على اللهم اشهد وأعذروا الى القوم ثم قام عمار بن ياسر بين الصفين فقال أيها الناس ما أنصفتم نبيكم حيث كشفتم عقباه تلك الخدور وأبرزتم عقيلته للسيوف وعائشة على جمل في هودج من دفوف الخشب قد ألبسوه المسوح وجلود البقر وجعلوا دونه اللبود قد غشي على ذلك بالدروع فدنا عمار من موضعها فنادى الى ماذا تدعيني قالت الى الطلب بدم عثمان فقال قتل الله في هذا اليوم الباغي والطالب بغير الحق ثم قال أيها الناس انكم لتعلمون أينا المماليء في قتل عثمان ثم أنشأ يقول وقد رشقوه بالنبل

فمنك البكاء ومنك العويل * ومنك الرياح ومنك المطر
وأنت أمرت بقتل الامام * وقاتله عندنا من أمر

وتواتر عليه الرمي واتصل فرك فرسه وزال عن موضعه فقال ماذا تنتظر يا أمير المؤمنين وليس لك عند القوم الا الحرب فقام علي رضي الله عنه فقال ايها الناس اذا هزمتموهم فلا تجهزوا على جريح ولا تقتلوا أسيرا ولا تتبعوا موليا ولا تطلبوا مدبرا ولا

 تكشفوا عورة ولا تمثلوا بقتيل ولا تهتكوا سترا ولا تقربوا من أموالهم الا ما تجدونه في عسكرهم من

واذا ماأردتم طيب عيشي * فاجبوني عن كل وجه ثقيل

وقال مالك بن محمد بن سعيد

اتاني زائرا فبسطت خدي * له و يقل بسط الخد عندي
فقلت له ايا مولاي ألفا * فقال وانت ألف اعبد عبدي
وعانقني وقبلني ونادى * بلاطف منه كيف رأيت وعدي

وقال في استهداء مقص

الا قل نعم في مطلب قد حكاه لا * يفصل اذ نبغي الوصال مفصلا
نشق به صدر النهار وقد بدا * ظلاما بامثال النجوم مكللا

وقال سارت كبدر ولیل الخدر يسترها * ولو بدا وجهها جاءتك بالفلق
ودونها من صليل اللامعات حمى * فالبرق والرعد دون الشمس في الافق

واجتمع بغرناطة محمد بن غالب الرصافي الشاعر المشهور ومحمد بن عبد الرحمن الكتندي الشاعر وغيرهما من الفضلاء والرؤساء فأخذوا يوما في أن يخرجوا لنجد أو لحوز مؤمل وهما منتزهان من أشرف وأطرف منتزهات غرناطة ليتفرجوا ويصقلوا الخواطر بالتطلع في ظاهر البلد وكان الرصافي قد أظهر الزهد وترك الخلاعة فقالوا ما الذي عن أبي جعفر بن سعيدا كتبوا له فصنعوا هذا الشعر وكتبوه له وجعلوا تحته أسماءهم

بعثنا الى رب السماحة والمجد * ومن ماله في مسلة الظرف من ند
ليسعدنا عند الصبيحة في غد * لنسعى الى الحو زالمؤمل أو نجد
نسرح منا أنفسا من شجونها * ثوت في شجون هن شر من اللحد
ونظفر من بخل الزمان بساعة * ألذ من العلياوأشهى من الخلد
على جدول مابين ألفاف دوحة * تهز الصبا فيها لواء من الرند
ومن كان ذا شرب يخلي بشأنه * ومن كان ذا زهد تركناه للزهد
وماظرفه يأبى الحديث على الطلى * ولا أن يديل الهزل حينا من الجد
تهز معاني الشعر أغصان ظرفه * ويمرح في ثوب الصبابة والوجد
ومانغص العيش المهنأ غير ان * يمازجه تكليف مالیس بالود
نظمنا من الخلان عقد فرائد * ولما نجد الا لك واسطة العقد
فاذا تراه لا عدمناك ساعة * فنحن بما نبديه في جنة الخلد
ورشدك مطلوب وامرك نحوه ار * تقاب وكل منك يهدى الى الرشد

فكان جوابه لهم

هو القول منظوما أو الدر في العقد * هو الزهر نفاح الصبا لم تذا الود
أتاني وفكري في عقال من الاسى * فحل بنفث السحر ماحل من عقد
ومن قبل علمي أين مبعث وجهه * علمت جناب الورد من نفس الورد
وأيقنت ان الدهر ليس براجع * لتقديم عصر أو وقوف على حد
فكل أوان فيه أعلام فضله * ترادف موج البحر ردا الى رد

صلى الله عليه وسلم لا سلاح عليه فنادى يا زبير اخرج الي فخرج شاكا في سلاحه فقيل لعائشة فقالت واحر باه باسماء فقيل لها ان عليا حاسر فاطمأنت واعتنق كل واحد منهما صاحبه فقال له علي ويحك يا زبير ما الذي أخرجك قال دم عثمان قال قتل الله أولانا بدم عثمان اما تذكر يوم لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني بياضة وهو راكب حماره فضحك الي رسول الله صلى الله عليه وسلم وضحكت أنت معه فقلت أنت يا رسول الله ما يدعو على زهوه فقال لك ليس به زهو أنحبه يا زبير فقلت اني والله لاحبه فقال لك انك والله ستقاتله وأنت له ظالم فقال الزبير أستغفر الله لو ذكرتها ما خرجت فقال يا زبير ارجع فقال وكيف أرجع الآن وقد التقت حلقتا البطان هذا والله العار الذي لا يغسل فقال يا زبير ارجع بالعار قبل أن تجمع العار والنار فرجع الزبير وهو يقول

اخترت عارا على نار مؤججة * ما ان يقوم لها خلق من الطين

نادى علي بامر لست أجهله * عار لعمرك في الدنيا وفي الدين

فقات حسبك من عدل أبا حسن * فبعض هذا الذى قد قلت يكفينى فقال ابنه عبد الله أين ٢٩٩ ٢ تدعنا فقال يا بنى أذكرنى أبو

فكم طيها من فائت مترقرق * يهز بما قد ضمرت معطف الصلد
فيا من بهم تزهى المعالى ومن لهم * قيادا لمعالى ماسوى قصدكم قصدى
فسمعا وطوعا للذى قد أشرتم * به لا أرى عنه مدى الدهر من بد
فقوموا على اسم الله نحو حديقة * مقلدة الاجياد موشية البرد
بها قبة تدعى الكمامة فاطلعوا * بها زهرا أذكى نسيما من الند
وعندى ما يحتاج كل مؤمل * من الراح والمعشوق والكتب والنرد
فكل الى ما شاءه لست ثانيا * عنانا له ان المساعد ذو الود
ولست خليا من تأنس قينة * اذا ما شدت ضل الخلى عن الرشد
لها ولد فى حجرها لا تزيله * أوان غناء ثم ترميه بالبعد
فيا ليتنى قد كنت منها مكانه * تقلبنى ما بين خصر الى نهد
ضمنت لمن قد قال انى زاهد * اذا حل عندى أن يحول عن الزهد
فان كان يرجو جنة الخلد آجلا * فعندى له فى عاجل جنة الخلد

فركبوا الى جنته فسر لهم أحسن يوم على ما اشتهوا وما زالوا بالراصافى الى أن شرب لما غلب عليه الطرب فقال الكندى

غلبناك عما رمته يا ابن غالب * براح وريحان وشدو وكاعب

فقال أبو جعفر

بدا زهده مثل الخضاب فلم يزل * به ناصلا حتى بدا زور كاذب

فلما غربت الشمس قالوا ما رأينا أقصر من هذا اليوم وما ينبغى أن يترك بغير وصف فقال أبو جعفر أبياته ثم قال بعد فكرة وهو من عجائبه التى تقدم بها المتقدمين وأعجز المتأخرين

لله يوم مسرة * أضواوا قصر من ذباله
لما نصبنا للمنى * فيه بأوتار حباله
طار النهار به كرا * تاع فأجفلت الغزاله
فكأننا من بعده * بعنا الهداية بالضلاله

والنهار ذكر الحباوى واليه أشار بقوله طار النهار والغزالة الشمس ولا يخفى حسن التوريتين فسلم له الجميع تسليم السامع المطيع وعلى ذكر الغزالة فى هذا الموضع فلابى جعفر أيضا فيها وهو من بدائعه قوله

بدا ذنب السرحان بنبئ أنه * تقدم بيت والغزالة خلفه
ولم ترعينى مثله من متابع * لمن لا يزال الدهر يطلب حتفه

وقوله

اسقنى مثل ما أمار لعينى * شفق ألبس الصباح جماله
قبل أن تبصر الغزالة تستد * رج منه على السماء غلاله
وتامل لعسجد سال نهرا * كرعت فيه أو تقضى غزاله

ومن نظم أبى جعفر قوله

لو لم يكن شدو الحمائم فاضلا * شدو القيان لما استخف الاغصنا

حسن بامر كنت قد أنسيته فقال لا والله ولكنك فررت من سيوف بنى عبد المطلب فانها طوال حداد تحملها فتية انجاد قال لا والله ولكنى ذكرت ما أنسانيه الدهر فاخترت العار على النار أبا لجبن تعيرنى لا أبا لك ثم أمال سنانه وشد فى الميمنة فقال على أفرجوا له فقد هلجوه ثم رجع فشد فى الميسرة ثم رجع فشد فى القلب ثم عاد الى ابنه فقال أيفعل هذا جبان ثم مضى منصرفا حتى أتى وادى السباع والاحنف ابن قيس معتزل فى قومه من بنى تميم فاتاه آت فقال له هذا الزبير مارا فقال ما أصنع بالزبير وقد جمع بين فئتين عظيمتين من الناس يقتل بعضهم بعضا وهو مار الى منزله سالما فلحقه نفر من بنى تميم فسبقهم اليه عمرو بن جرموز وقد نزل الزبير الى الصلاة فقال أتؤمى أو أؤمك فامه الزبير فقتله عمرو فى الصلاة وقتل الزبير رضى الله عنه وله خمس وسبعون سنة وقد قيل ان الاحنف بن قيس قتله بارسال من أرسل من قومه وقد رثته الشعراء وذكرت غدر ابن

جرموز به وممن رثاه زوجته عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل أخت سعيد بن زيد فقالت

غدر ابن جرموز بفارس بهمة * * * يوم اللقاء وكان غير معدد يا عمرو لو نبهته لوجدته * لا طائشا رعش الجنان ولا اليد

هبلتك امك ان قتلت لمسلما حلت عليك عقوبة المتعمد ما ان رأيت ولا سمعت بمثله فيمن مضى ممن يروح ويغتدي

وأتى عمرو عليا بسيف الزبير وخاتمه ورأسه وقيل انه لم يأت برأسه فقال على سيف طال ما جلا الكرب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لكنه الحين ومصارع السوء وقاتل ابن صفية في النار ففي ذلك يقول عمرو بن جرموز التميمي

أتيت عليا برأس الزبير وقد كنت أرجوبه الزلفه فبشر بالنار قبل العيان وبئس بشارة ذي التحفه

لسان عندي قتل الزبير وضرطة عنز بذي الجحفه

ثم نادى على رضي الله عنه طلحة حين رجع الزبير يا أبا محمد ما الذي أخرجك قال الطلب بدم عثمان قال على قتل الله أولانا بدم عثمان أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وأنت أول من بايعني ثم نكثت وقد قال الله عز وجل فمن نكث فانما ينكث على نفسه فقال أستغفر الله ثم رجع فقال مروان بن الحكم رجع الزبير ويرجع طلحة ما أبالي رميت ههنا أم ههنا فرماه

طرب ثنى حتى الجماد ترنحا * وأفاض من دمع السحائب أعينا

وقوله في الروض منك مشابه من أجلها * يهفو له طرفي وقلبي المغرم
الغصن قدوالازاهر حلية * والورد خدوالاقاحي مبسم

وقوله الا حبذا نهر اذا ما لحظته * أبى ان يرد اللحظ عن حسنه الانس
ترى القمرين الدهر قد عنيا به * يفضضه بدر وتذهبه شمس

وقوله وقد مر بقصر من قصور أمير المؤمنين عبد المؤمن وقد رحل عنه

قصر الخلافة لا اخليت من كرم * وان خلوت من الاعداد والعدد
جزنا عليه فلم تنقص مهابته * والفيل يخلو وتبقى هيبة الاسد

وقوله من أبيات

سرح لحاظك حيث شئت فانه * في كل موقع لحظة متأمل

وقوله أيضا ولقد قلت للذي قال حلوا * ههنا سر فانتما ما شئونا
لا تعين لنا مكانا ولكن * حيثما مالت اللواحظ ملنا

وقال الا هاتها ان المسرة قربها * وما الحزن الا في توالي جفائها
مدام بكي الابريق عند فراقها * فأضحك ثغر الكاس عند لقائها

وقال عرج على الحوزوخيم به * حيث الاماني ضافيات الجناح
واسبق له قبل ارتحال الندى * ولا تزره دون شاد وراح
وكن مقيما منه حيث الصبا * تمتار مسكا من أريج البطاح
والقضب مال البعض منها على * بعض كما يثني القدود الرماح
وشق جيب الصبر قصف اذا * شقت جيوب الظل منه الرياح
لم أحص كم غاديته ثابتا * واسترقصتي الراح عند الرواح

وقوله الا حبذا روض بكرناله ضحى * وفي جبهات الروض للطل أدمع
وقد جعلت بين الغصون تسمة * تمزق ثوب الظل منها وترقع
ونحن اذا ما ظللت القضب ركعا * نظل لها من هزة السكر نركع

وكان ابن الصابوني في مجلس أحد الفضلاء باشبيلية فقدم فيما قدم خيارا فجعل أحد الادباء يقشرها بسكين فخطف ابن الصابوني السكين من يده فألح عليه في استرجاعها فقال له ابن الصابوني كف عني والا جرحتك بها فقال له صاحب المنزل اكفف عنه لئلا يجرحك ويكون جرحك جبارا تعريضا بقول النبي صلى الله عليه وسلم جرح العجماء جبار فاغتاظ ابن الصابوني وخرج من الاعتدال وأخطأ بلسانه وما كف الا بعد الرغبة والتضرع ومن نظم ابن الصابوني

بعثت بمرآة اليك بديعة * فأطلع بسامي أفقها اقر السعد
لتنظر فيها حسن وجهك منصفا * وتعذرني فيما اكن من الوجد
فأرسل بذاك الخد لحظك برهة * لتجني منه ما جناه من الورد
مثالك فيها منك أقرب ملمسا * وأكثر احسانا وأبقى على العهد

وقوله في لابس أحمر

أقبل فى حلة موردة * كالبدر فى حلة من الشفق
تحسبه كلما أراق دمى * يمسح فى ثوبه ظبا الحدق

ورحل الى القاهرة والاسكندرية فلم يلتفت اليه ولا عوّل عليه وكان شديد الانحراف فانقلب على عقبه بعض يديه على ما جرى عليه فمات عندنا بابه الى الاسكندرية كمدا ولم يعرف له بالديار المصرية مقدار وحضر يوما بين يدى المعتضد الباجى ملك اشبيلية وقد نثرت أمامه جملة من دنانير سكت باسمه فأنشد

قد نفر الدينار والدرهم * لما علا ذين لكم ميسم
كلاهما يفصح عن مجدكم * وكل جزء منه فردفم

وعرفيها الى أن قال فى وصف الدنانير

كانها الانجم والبعد قد * حقق عندى انها الارجم

فأشار السلطان الى وزيره فأعطاه منها جملة وقال له بدل هذا البيت لئلا يبقى ذما وكان يلقب بالحمار ولذا قال فيه ابن عتبة الطبيب

يا عير حمص عيرتك الحمير * بأكلك البر مكان الشعير

وهو أبو بكر محمد ابن الفقيه أبى العباس احمد بن الصابونى شاعر اشبيلية الشهير الذكر والذى أظهره مأمون بنى عبد المؤمن وله فيه قصائد عدة منها قوله فى مطلع

استول سباقا على غاياتها * نجح الامور يبين فى بدآتها

وله الموشحات المشهورة رحمه الله تعالى ومن حكايات الصبيان أن ابن أبى الخصال وهو من شقورة اجتاز بادية وهو صبى صغير يطلب الادب فأضافه بها القاضى ابن مالك ثم خرج معه الى حديقة معروشة فقطف لهما منها عنقودا أسود فقال القاضى * انظر اليه فى العصا * فقال ابن ابى الخصال * كرأس زنجى عصى * فعلم انه سيكون له شان فى البيان وحدث ابو عبد الله ابن زرقون ان ابا بكر بن المنخل وابا بكر الملاح الشلبيين كانا متواخين متصافيين وكان لهما ابنان صغيران قد برعا فى الطلب وحازا قصب السبق فى حلبة الادب فتهاجى الابنان بأقذع الهجاء فركب ابن المنخل فى سحر من الاسحار مع ابنه عبد الله فجعل يعتبه على هجاء بنى الملاح و يقول له قد قطعت ما بينى و بين صديقى وصفيى أبى بكر فى اقذاعك بابنه فقال له ابنه انه بدأنى والبادى اظلم وانما يجب ان يلحى من بالشر تقدم فعذره ابوه فبينما هما على ذلك اذا قبلا على وادتنق فيه الضفادع فقال ابو بكر لابنه اجز * تنق ضفادع الوادى * فقال ابنه بصوت غير معتاد * فقال الشيخ * كأن نقيق مقولها * فقال ابنه * بنو الملاح فى النادى * فلما أحست الضفادع بهما صمتت فقال ابو بكر * وتصمتت مثل صمتهم * فقال ابنه اذا اجتمعوا على زاد * فقال الشيخ * فلا غوث للهوف * فقال الابن * ولا غيث لمرتاد * ولا خفاء أن هذه الاجازة لو كانت من الكبار لحصلت منها الغرابة فكيف ممن هو فى سن الصبا ومن حكايات النصارى واليهود من أهل الاندلس اعادها الله تعالى الى الاسلام عن قريب انه سميع مجيب ما حكى ان ابن المرغوى النصرانى الاشبيلى اهدى كلبة صيد للمعتمد بن عباد وفيها يقول

فى أكله فقتله فغربه على بعد الوقعة فى موضعه فى قنطرة قرة فوقف عليه فقال انا لله وانا اليه راجعون والله لكنت كارها لهذا أنت والله كما قال القائل

فتى كان يدنيه الغنى من صديقه
اذا ما هو استغنى ويبعده الفقر

كأن الثريا علقت فى يمينه وفى خده الشعرى وفى الآخر البدر

وذكر أن طلحة رضى الله عنه لما ولى سمع وهو يقول

ندامة هاندمت وضل حلمى
ولهفى ثم لهف أبى وأمى
ندمت ندامة الكسعى لما
طلبت رضا بنى حرم بزعمى

وهو يمسح عن جبينه الغبار وهو يقول وكان أمر الله قدرا مقدورا وقيل انه سمع وهو يقول هذا الشعر وقد جرحه فى جبهته عبد الملك ورماه مروان فى أكله وقد وقع صريعا يجود بنفسه وهو طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عبيد الله بن عمر ابن كعب بن سعيد بن تيم الله وهو ابن عم أبى بكر الصديق و يكنى أبا محمد * وأمه الصعبة وكانت ابنة أبى سفيان صخر بن حرب كذلك ذكر الزبير بن بكار فى كتابه فى أنساب قريش وقتل وهو ابن أربع وستين سنة وقيل غير ذلك ودفن بالبصرة وقبره ومسجده الى هذه الغاية وقبر

لم ار ملهى لذى اقتناص * ومكسبا مقنع الحريص
كمثل خطار ذات جيد * اتلع فى صفرة القميص
كالقوس فى شكلها ولكن * تنفذ كالسهم للقنيص
ان تخذت انفها دليلا * دل على الكامن العويص
لو انها تستطير برقا * لم يجد البرق من محيص

ومنها فى المديح

يشفع تنويله بود * شفع القياسات بالنصوص

وقال الله أكبر انت بدر طالع * والنقع دجن والكماة نجوم
والجود افلاك وانت مديرها * وعدوك الغاوى وهن رجوم

وقال نزلت فى آل مكعول وضيفهم * كنازل بين سمع الارض والبصر
لا تستضى بيضوء فى بيوتهم * ما لم يكن لك تطفيل على القمر

وسببهما انه نزل عندهم فلم يوقدوا له سراجا * وقال نسيم الاسرائيلى

يا ليتنى كنت طيرا * أطير حتى أراكا
بمن تبدلت غيرا * ولم نحل عن هواكا

وهو شاعر وشاح من أهل اشبيلية وذكره الحجارى فى المسهب * وقال ابراهيم بن سهل الاسرائيلى فى أصفر ارتجالا

كأن محياك له بهجة * حتى اذا جاءك ماحى الجمال
أصبحت كالشمعة لما جنى * منها الضياء اسود فيها الذبال

وهو شاعر اشبيلية ووشاحها وقرأت على أبى على الشلوبين وابن الدباج وغيرهما وقال العزفى حقه وكان أظهر الاسلام ماصورته كان يتظاهر بالاسلام ولا يخلو مع ذلك من قدح واتهام انتهى وسئل بعض المغاربة عن السبب فى رقة نظم ابن سهل فقال لانه اجتمع فيه ذلان ذل العشق وذل اليهودية ولما غرق قال فيه بعض الاكابر عاد الدر الى وطنه ومن نظم ابن سهل المذكور قوله

والمى بقلبى منه جمر مؤجج * تراه على خديه ينسدى ويبرد
يسائلنى من أى دين مذاعبا * وشمل اعتقادى فى هواه مبدد
فؤادى حنيفى ولكن مقلتى * مجوسية من خده النار تعبد

ومنه قوله

هذا أبو بكر يقود بوجهه * جيش الفتور مطرز الرايات
أهدى ربيع عذاره لقلوبنا * حر المصيف فشبها الفعلات
خد جرى ماء النعيم بجمره * فاسود مجرى الماء فى الجمرات

وذكر الحافظ أبو عبد الله محمد بن عمر بن رشيد الفهرى فى رحلته الكبيرة القدر والخرم المسماة بملء العيبة فيما جمع بطول الغيبة فى الوجهة الوجيهة الى الحرمين مكة وطيبة خلافا فى اسلام ابن سهل باطلا وكتب على هامش هذا الكلام الخطيب العلامة سيدى

وكان يدعى بالسجاد وقد تنوزع فى كنيته فقال الواقدى كان يكنى بابى سليمان وقال الهيثم بن عدى كان يكنى بابى القاسم وفيه يقول قاتله

واشعث سجاد بآيات ربه * قليل الاذى فيما ترى العين مسلم
شككت له بالرمح جيب قميصه * فخر صريعا لليدين وللفم
على غير شئ غير أن ليس تابعا * عليا ومن لا يتبع الحق يندم
يذكرنى حاميم والرمح شارع * فهلا تلا حاميم قبل التقدم

وقد كان أصحاب الجمل حملوا على ميمنة على وميسرته فكشفوها فاتاه بعض ولد عقيل وعلى يخفق نعاسا على قربوس سرجه فقال له يا عم قد بلغت ميمنتك وميسرتك حيث ترى وانت تخفق نعاسا قال اسكت يا ابن أخى فان لعمك يوما لا يعدوه والله لا يبالى عمك وقع على الموت او وقع الموت عليه ثم بعث الى ولده محمد بن الحنفية

وكان صاحب رايته احمل على القوم فابطأ محمد عليه وكان بازائه قوم من

الرماة ينتظر نفاد سهامهم فاتاه على فقال هلا حملت فقال لا اجد متقدما الا على سهم او سنان وانى لمنتظر أبو

أبو عبد الله بن مرزوق ما نصه صح لنا من أدركناه من أشياخنا انه مات على دين الاسلام انتهى ورأيت في بعض كتب الادب بالمغرب انه اجتمع جماعة مع ابن سهل في مجلس انس فسألوه لما أخذت منه الراح عن اسلامه هل هو في الظاهر والباطن أم لا فأجابهم بقوله للناس ما ظهر ولله ما استتر انتهى واستدل بعضهم على صحة اسلامه بقوله

تسليت عن موسى بحب محمد * هديت ولولا الله ما كنت أهتدى
وما عن قلى قد كان ذاك وانما * شريعة موسى عطلت بمحمد

وله ديوان كبير مشهور بالمغرب حاز به قصب السبق في النظم والترشيح وما أحسن قوله من قصيدة

تأمل لظى شوقي وموسى يشبها * تجد خير نار عندها خير موقد

وأنشد بعضهم له قوله

لقد كنت أرجو أن تكون مواصلي * فأسقيتني بالبعد فاتحة الرعد
فبالله بردا ما بقلبي من الجوى * بفاتحة الاعراف من ريقك الشهد

وقال الراعي رحمه الله تعالى سمعت شيخنا ابا الحسن علي بن سمعة الاندلسي رحمه الله تعالى يقول شيأ من لا يعجبه اسلام ابراهيم بن سهل وتوبة الزمخشري من الاعتزال ثم قال الراعي قلت وهما من مرويات اما اسلام ابراهيم بن سهل فيغلب على ظني صحته لعلمي برواته واما الثاني وهو توبة الزمخشري فقد ذكر بعضهم انه راى رسما بالبلاد المشرقية محكوما فيه بتضمن توبة الزمخشري من الاعتزال فقوى جانب الرواية انتهى باختصار وقال الراعي أيضا ما نصه وقد نسكت الاديب البارع ابراهيم بن سهل الاسرائيلي الاندلسي على الشيخ ابي القاسم في تغزله حيث قال

اموسى يا بعضي وكل حقيقة * وليس مجازا قولي الكل والبعضا
خفضت مكاني اذ جزمت وسائلي * فكيف جمعت الجزم عندي والخفضا

وفي هذا دليل على ان يهود الاندلس كانوا يشتغلون بعلم العربية فان ابراهيم قال هذين البيتين قبل اسلامه والله تعالى اعلم وقد روينا انه مات مسلما غريقا في البحر فان كان حقا فالله تعالى رزقه الاسلام في آخر عمره والشهادة انتهى ومن نظم ابن سهل في التوجيه باصطلاح النحاة قوله

رقت عوامله واحسب رتبتي * بنيت على خفض فلن تتغيرا

ومنه

تنأى وتدنو والتفاتك واحد * كالفعل يعمل ظاهرا ومقدرا

وقوله

اذا كان نصر الله وقفا عليكم * فان العدا التنوين يحذفه الوقف

وقوله

وقرأنا باب المضاف عناقا * وحذفنا الرقيب كالتنوين

وقوله

نبات بناء الحرف خارم طبعه * فصرت لتأثير العوامل جازما

وقوله

لك الثناء فان يذكرسوالك به * يوما فكالرابع المعهود في البدل

يعني الغلط وقوله

اذا اليأس ناجى النفس منك بلن ولا * اجابت ظنونى ربما وعساى

قال اقرب الناس قرابة وابغضهم اليك انا محمد اخوك يقول لك امير المؤمنين هل أصابك

فسكن بين الرماح والنشاب فوقف فاتاه على فضربه بقائم سيفه وقال ادركك عرق من أمك واخذ الراية وحمل وحمل الناس معه فما كان القوم الا كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف وطافت بنو امية بالجمل واقبلوا يرتجزون ويقولون

نحن بنو ضبة اصحاب الجمل
نازل الموت اذا الموت نزل
ردوا علينا شيخنا ثم بجل
عثمان ردوه باطراف الاسل
والموت احلى عندنا من العسل

وقطع على خطام الجمل سبعون يدا من بني ضبة معهم كعب بن سور القاضي متقلدا مصحفا كلما قطعت يد واحد منهم قام آخر فاخذ الخطام وقال انا الغلام الضبي ورمى الهودج بالنشاب والنبل حتى صار كانه قنفذ وعرقب الجمل وهو لا يقع وقد قطعت اعضاؤه واخذته السيوف حتى سقط ويقال ان عبد الله بن الزبير قبض على خطام الجمل وهو لا يقع وقد ناشده علي فخلى عنه ولما سقط الجمل ووقع الهودج جاء محمد بن ابي بكر فادخل يده فقالت من انت شيء قالت ما أصابني الاسهم

وقوله وقلت عساه ان اقت برق لى * وقد نسخت لاعنده ما اقتضت عسى
وقوله ينفى لى الحال ولكنه * يدخل لافى كل مستقبل
وقوله خفضت مقامى اذ جزمت وسائلى * فكيف جمعت الجزم عندى والخفضا

وقوله فى غلام شاعر

كيف خلاص القلب من شاعر * رقت معانيه عن النقد
يصغر نثر الدر عن نثره * ونظمه جل عن العقد
وشعره الطائل فى حسنه * طال على النابغة الجعدى

وحدث أبو حيان عن قاضى القضاة أبى بكر محمد بن أبى النصر الفتح بن على الانصارى الاشبيلى بغرناطة أن ابراهيم بن سهل الشاعر الاشبيلى كان يهوديا ثم أسلم ومدح رسول الله صلى الله عليه وسلم بقصيدة طويلة بارعة قال أبو حيان وقفت عليها وهى من أبدع ما نظم فى معناها وكان سن ابن سهل حين غرق نحو الاربعين سنة وذلك سنة تسع وأربعين وستمائة وقيل انه جاوز الاربعين وكان يقرأ مع المسلمين ويخالطهم وما أحسن قوله

مضى الوصل الا منية تبعث الاسى * أدارى بها همى اذا الليل عسعسا
أتانى حديث الوصل زورا على النوى * أعد ذلك الزور اللذيذ المؤنسا
ويا أيها الشوق الذى جاء زائرا * أصبت الامانى خذ قلوبا وأنفسا
كساتى موسى من سقام جفونه * ردا وسقانى من الحب أكؤسا

ومن أشهر موشحاته قوله

ليل الهوى يقظان * والحب ترب السهر
والصبر لى خوان * والنوم عن عينى برى

وقد عارضه غير واحد فشاقوا له غبارا * وأما ابراهيم بن الفخار اليهودى فكان قد تمكن عند الادفونش ملك طليطلة النصرانى وصيره سفيرا بينه وبين ملوك المغرب وكان عارفا بالمنطق والشعر قال ابن سعيد أنشدنى لنفسه يخاطب أديبا مسلما كان يعرفه قبل أن تعلو رتبته ويسفر بين الملوك ولم يزده على ما كان يعامله به من الاذلال فضاق ذرع ابن الفخار وكتب اليه

أيا جاعلا أمرين شبهين ماله * من العقل احساس به يتفقد
جعلت الغنى والفقر والذل والعلا * سواء فما تنفك تشقى وتجهد
وهل يستوى فى الارض نجد وتلعة * فتطلب تسهيلا وسيرك مصعد
وما كنت ذا ميز لمن كنت طالبا * بما كنت فى حال الفراغ تعود
وقد حال ما بينى وبينك شاغل * فلا تطلبنى بالذى كنت تعهد
فان كنت تأبى غير اقدام جاهل * فانك لا تنفك تلحى وتطرد
الا فأت فى أبوابه كل مسلك * ولا تك فلاحيثما قمت تقعد

قال ابن سعيد وأنشدنى لنفسه

ولما دجا ليل العذار بخده * تيقنت أن الليل أخفى وأستر

تقرى فى بيتك والله ما انصفك الذين اخرجوك اذ صانوا عقائلهم وابرزوك وامر أخاها محمد افانزلها فى دار صفية بنت الحرث بن ابى طلحة العبدى وهى ام طلحة الطلحات ووقع المودج والناس مفترقون يقتتلون والتقى الاشتر بن مالك بن الحرث النخعى وعبد الله بن الزبير فاعتركا وسقطا الى الارض عن فرسيهما والناس حولهما يجولون وابن الزبير ينادى اقتلونى ومالكا

واقتلوا مالكا معى فلا يسمعهما احد لشدة الجلاد ووقع الحديد ولا يراهما راء لظلمة النقع وترادف العجاج وجاء ذو الشهادتين خزيمة بن ثابت الى على فقال يا امير المؤمنين لا تنكس اليوم راس محمد وارد اليه الراية فدعا به ورد عليه الراية وقال اطعنهم طعن ابيك تحمد لا خير فى حرب اذا لم توقد بالمشرفى والقنا المسرد ثم استسقى فاتى بعسل وماء فحسا منه حسوة وقال هذا الطائفى وهو غريب البلد فقال له عبد الله بن جعفر ما شغلك ما نحن فيه عن علم هذا قال انه والله يا بنى ما حلا بصدر عمك شئ قط من امر الدنيا ثم دخل البصرة وكانت الوقعة فى الموضع المعروف بالحربية يوم الخميس واصبح

وأصبح غدا الى يقولون صاحب * فاخلو به جهرا ولا تستتر

وقال يمدح الادفونش لعنهما الله تعالى

حضرة الادفنش لا برحت * غادة ايامها عرس

فاخلع النعلين تكرمة * فى ثراها انها قدس

قال وأدخلونى الى بستان الخليفة المستنصر فوجدته فى غاية الحسن كانه الجنة ورأيت على بابه بوابا فى غاية القبح فلما سألنى الوزير عن حال فرجتى قلت رايت الجنة الا انى سمعت ان الجنة يكون على بابها رضوان وهذه على بابها مالك فضحك واخبر الخليفة بما جرى فقال له قل له انا قصدنا ذلك ولو كان رضوان عليها بوابا لخشينا ان يرده عنها ويقول له ليس هذا موضعك ولما كان هناك مالك ادخله فيها وهو لا يدرى ما وراءه ويخيل انها جهنم قال فلما اعلمنى الوزير بذلك قلت له الله اعلم حيث يجعل رسالاته * وكان فى زمان الياس بن المدور اليهودى الطبيب الرندى عاب آخر كان يجرى بينهما من المحاسدة ما يجرى بين مشتركين فى صنعة فأصلح الناس بينهما مرارا وظهر لالياس من ذلك الرجل الطبيب ما ينفر الناس منه فكتب اليه

لا تخدعن فما تكون مودة * ما بين مشتركين امرا واحدا

انظر الى القمرين حين تشاركا * بسناهما كان التلاقى واحدا

يعنى انهما مع المشاركة فى الضياء وجب التحاسد بينهما والتفرقة هذا يطلع ليلا وهذه تطلع نهارا واعتراضهما يوجب الكسوف * وكتب ايوب بن سليمان المروانى الى بسام بن شمعون اليهودى الوشقى فى يوم مطير لما كنت وصل الله تعالى اخاك وحفظك مطمح نفسى ومنتزع اختيارى من ابناء جنسى على جوانبك اميل وارتع فى رياض خلقك الجميل هزتنى خواطر الطرب والارتياح فى هذا اليوم المطير الداعى بكاؤه الى ابتسام الاقداح واستطاق البم والزير فلم ار معينا على ذلك ومبلغا ما هنالك الا حسن نظرك وتحشمك من المكارم ما جرت به عادتك وهذا يوم حرم الطرف فيه الحركة وجعل فى تركها الخير والبركة فهل توصل مكرمتك اخاك الى التخلى معك فى زاوية متكئا على دن مستندا الى خابية ونحن خلال ذلك نتجاذب أهداب الحديث التى لم يبق من اللذات الاهى ونخيل الالحاظ فيما تعودت عندك من الحاس والاسماع فى أصناف الملاهى وانت على ذلك قدير وكرمك بتكلفه جدير ولا يعيب المرء يوما على راحته الاكريم الطباع وها أنا والسمع منى الى الباب وذو الشوق حليف استماع

فان أتى داع بنيل المنى * ودع أشجانى ونم الوداع

وهذا المروانى من ذرية عبد العزيز أخى عبد الملك بن مروان وهو من أهل المائة السادسة * وكانت بالاندلس شاعرة من اليهود يقال لها قسمونة بنت اسمعيل اليهودى وكان أبوها شاعرا واعتنى بتأديبها وربما صنع من الموشحة قسما فأتمتها هى بقسم آخر وقال لها أبوها يوما أجيزى

لى صاحب ذو بهجة قد قابلت * منها بظهر واستحلت جرمها

من التاريخ وخطب الناس بالبصرة خطبته الطويلة التى يقول فيها يا أهل المسجد يا أهل المؤتفكة ائتفكت بأهلك من الدهر ثلاثا وعلى الله تمام الرابعة يا جند المرأة يا أتباع البهيمة رغا فاجبتم وعقر فانهزمتم أخلاقكم رقاق وأعمالكم نفاق ودينكم زيغ وشقاق وماؤكم جاج زعاق وقد ذم على أهل البصرة بعد هذا الموقف مرارا كثيرة وبعث بعبد الله ابن عباس الى عائشة يأمرها بالخروج الى المدينة فدخل اليها بغير اذنها واجتذب وسادة فجلس عليها فقالت يا ابن عباس أخطأت السنة المأمور بها دخلت الينا بغير اذننا وجلست على رحلنا بغير أمرنا فقال لها لو كنت فى البيت الذى خلفك فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دخلنا الا باذنك وما جلسنا على رحلك الا باذنك ان أمير المؤمنين يأمرك بسرعة الاوبة والتأهب للخروج الى المدينة فقالت أبيت ما قلت وخالفت ما وصفت فمضى الى على فخبره بامتناعها فرده اليها وقال ان أمير المؤمنين يعزم عليك أن ترجعى فانعمت وأجابت الى الخروج

وجهزها على وأتاها فى اليوم الثانى ودخل عليها ومعه الحسن والحسين وباقى أولاده وأولاد اخوته

وفتيان أهله من بني هاشم وقلن يا قاتل الاحبة فقال لو كنت قاتل الاحبة اقتلت من في هذا البيت وأشار الى بيت من تلك البيوت قد اختفى فيه مروان بن الحكم وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عامر وغيرهم فضرب من كان معه بايديهم الى قوائم سيوفهم لما علموا من في البيت مخافة أن يخرجوا فيغتالوهم فقالت لهم عائشة بعد خطب طويل كان بينهما اني أحب ان أقيم معك فاسير الى قتال عدوك عند سيرك فقال بل ارجعي الى البيت الذي تركك فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته أن يؤمن ابن أختها عبد الله ابن الزبير فامنه وتكلم الحسن والحسين في مروان فأمنه وأمن الوليد بن عقبة وولد عثمان وغيرهم من بني أمية وأمن الناس جميعا وقد كان نادى يوم الوقعة من ألقى سلاحه فهو آمن ومن دخل داره فهو آمن واشتد حزن علي على من قتل من ربيعة قبل ورود البصرة وهم الذين قتلهم طلحة والزبير من عبد القيس وغيرهم من ربيعة وجدد حزنه قتل زيد بن صوحان قتله في ذلك اليوم عمرو بن سبرة ثم قتل عمار بن ياسر عمرو بن سبرة في ذلك اليوم أيضا وكان علي يكثر من قوله وما

وغيرهم من شيعته من همدان فلما بصرت به النسوان صحن في وجهه ففكرت غير كثير وقالت

كالشمس منها المدبر يقبس نوره * أبدا ويكسف بعد ذلك جرمها

فقام كالمحتبل وضمها اليه وجعل يقبل رأسها ويقول أنت والعشر كلمات أشعر مني ونظرت في المرآة فرأت شعرها وقد بلغت أوان التزوج ولم تتزوج فقالت

أرى روضة قد حان منها قطافها * ولست أرى جان يمد لها يدا

فوا أسفا يمضي الشباب مضيعا * ويبقى الذي سألت ان اسميه مفردا

فسمعها أبوها فنظر في تزويجها وقالت في طبية عندها

يا طبية ترعى بروض دائما * اني حكيتك في التوحش والحور

أمسي كلانا مفردا عن صاحب * فلنصطبر أبدا على حكم القدر

واستدعى أبو عبد الله محمد بن رشيق القلعي ثم الغرناطي بعض أصحابه الى انس بقوله

سيدي عندي اترج ونارنج وراح
وجنى آس وزهر * وجانا لا يباح
ليس الا مطرب يسلي الندامى والملاح
ومكان لا تنهاك * قد نأى عنه الملاح
لا يرى يطلع فيه * دون أكواس صباح
فيه فتيان لهم في * لذة العيش جماح
طرحوا الدنيا يسارا * فاستراحت واستراحوا
لا كقوم أوجعتهم * لهم فيها نباح

وله

قال العذول الى كم * تدعو لمن لا يجيب
فقلت ليس عجيبا * أن لا يجيب حبيب
هون عليك فاني * مرحبه لا أتوب

قال أبو عمران بن سعيد دخلت عليه وهو مسجون بدار الاشراف باشبيلية وقد بقي عليه من مال السلطان اثنا عشر ألف دينار قد أفسدها في لذات نفسه فلما لحني أقبل يضحك ويشتغل بالنادر والحكايات الظريفة فقلت له قالوا انك أفسدت للسلطان اثني عشر ألف دينار وما أحسبك الا زدت على هذا العدد لما أراك فيه من المسرة والاستبشار فزاد ضحكا وقال يا أبا عمران أتراني اذا لزمت الهم والفكر يرجع على ذلك العدد الذي أفسدت ثم فكر ساعة وأنشدني

ليس عندي من الهموم حديث * كلما ساءني الزمان سررت
أتراني أكون للدهر عونا * فاذا مني بضر ضجرت
غمرة ثم تنجلي فكأني * عند اقلاع همها ما ضررت

وقال النحوي اللغوي أبو عيسى لب بن عبد الوارث القلعي

بدا ألف التعريف في طرس خده * فيا هل تراه بعد ذاك ينكر
وقد كان كافورا فهل أنا تارك * له عند ما حياه مسك وعنبر

وماخير روض لايرف نباته * وهل أفتن الاثواب الا المشهر

وقال أبى لى أن أقول الشعر أنى * أحاول أن يفوق السحر شعرى

وأن يصغى اليه كل سمع * ويعلو ذكره فى كل ذكر

قال الجارى أخبرنى انه احب أحد أولاد الاعيان ممن كان يقرأ عليه فلما خلا به شكا اليه مايجده فقال له الصبيان يفطنون بنا فاذا أردت أن تقول شيأ فاكتبه لى فى ورقة فلما سمعت ذلك منه تمكن الطمع منى فيه وكتبت له

يامن له حسن يفوق به الورى * صل هائما قد ظل فيك محيرا

وامنن على بقبلة أو غيرها * ان كنت تطمع فى الهوى أن تؤجرا

وكتب بعدها من الكلام مارأيته فلما حصلت الورقة عنده كتب الى فى غيرها أنا من بيت عادة أهله أن يكونوا اسم فاعل لا اسم مفعول وانما أردت أن يحصل عندى خطك شاهدا على ماقابلتنى به لئلا أشكوك الى أبى فيقول لى حاش لله ان يقع الفقيه فى هذا وانما أنت خبيث رأيته يطالبك بالتزام الحفظ فاختلقت عليه لأخرجك من عنده فأبقى معذبا معك ومعه وان أنا أوقفته على خطك صدقنى واسترحت ولكن لاأفعل هذا ان كففت عنى وان انتهيت فلا اخبر به احدا قال ابن عبد الوارث فلما وقفت على خطه علمت قدر ماوقعت فيه وجعلت ارغب اليه فى ان يرد الرقعة الى فأبى وقال هى عندى رهن على وفائك بأن لاترجع تتكلم فى ذلك الشان قال فكان والله يبطل القراءة فلا اجسرا كله لانى رأيت صيانتى وناموسى قد حصل فى يده وتبت من ذلك الحين عن هذا وامثاله * وقال جابر بن خلف الفحصى وكان فى خدمة عبد الملك بن سعيد وقرا مع ابى جعفر بن سعيد وتهذب معه يخاطبه حين عاثت الدئاب فى غنمه

ايا قائدا قد سما فى العلا * وساد علينا بذات وجد

غدا الذئب فى غنمى عائثا * وقد جئت مستعديا بالاسد

وكثر عليه الدين فكتب اليه ايضا

انى اياملك الغمر * اموت كذا من الضر

واخبط فى دجاهمى * ووجهك طلعة الفجر

فضحك وادى دينه * ولما خلع اهل المرية طاعة عبد المؤمن وقتلوا نائبه ابن مخلوف قدموا عليهم ابا يحيى بن الرميمى ثم كان عليه من النصارى ماعلم ففر الى مدينة فاس وبنى بها ضائعا خاملا يسكن فى غرفة ويعيش من النسخ فقال

امسيت بعد الملك فى غرفة * ضيقة الساحل والمدخل

تستوحش الارزاق من وجهها * فما تزال الدهر فى معزل

النسخ بالقوت لديها ولا * تقرعها كف اخ مفضل

وانشدها البعض الادباء فبينما هو ليلة ينسخ بضوء السراج واذا بالباب يقرع ففتحه فاذا شخص متنكر لايعرفه وقد مد يده اليه بصرة فيها جملة دنانير وقال خذها من كف اخ لايعرفك ولاتعرفه وانت المفضل بقبولها فأخذها وحسن بها حاله وقال له بعض هذا شعرك

فقل عمير بن الاهلب الضبى مخدوع المرأة التى ارادت ان تكون امير المؤمنين وخرجت عائشة من البصرة

فوجدت ابنين لها قد قتلا وقد كان قتل زوجها واخوان لها فيمن قتل قبل مجيء على البصرة فانشأت تقول

شهدت الحروب فشيبتنى * فلم أر يوما كيوم الجمل

أضر على مؤمن فتنة * وأقتله لشجاع بطل

فليت الظعينة فى بيتها * وليتك عكرم لم ترتحل

وقد ذكر المدائنى أنه رأى بالبصرة رجلا مصطلم الاذن فساله عن قصته فذكر انه خرج يوم الجمل ينظر الى القتلى فنظر الى رجل منهم يخفض رأسه ويرفعه وهو يقول

لقد أوردتنا حومة الموت أمنا

فلم ننصرف الا ونحن رواء

أطعنا بنى تيم لشقوة جدنا

وما تيم الا أعبد واماء

فقلت سبحان الله أتقول هذا عند الموت قل لا اله الا الله فقال يا ابن اللخناء اياى تأمر بالجزع عند الموت فوليت عنه متعجبا منه فصاح بى ادن منى لقنى الشهادة فصرت اليه فلما قربت منه استدنانى ثم التقم اذنى فذهب بها فجعلت ألعنه واذعو عليه فقال اذا صرت الى املك فقالت من فعل هذا بك

وقد بعث معها على اخاها عبد الرحمن بن ابي بكر وثلاثين رجلا وعشرين امرأة من ذوات الدين من عبد القيس وهمدان وغيرهما البسهن العمائم وقلدهن السيوف وقال لهن لا تعلمن عائشة انكن نسوة كانكن رجال وكن اللاتي تلين خدمتها وحملها فلما اتت المدينة قيل لها كيف رايت مسيرك قالت كنت بخير والله لقد اعطى علي بن ابي طالب فاكثر ولكنه بعث معي رجالا فعرفها النسوة امرهن فسجدت وقالت ما ازددت والله يا ابن ابي طالب الا كرما وودت اني لم اخرج وان اصابتني كيت وكيت من امور ذكرتها وانما قيل لي تخرجين فتصلحين بين الناس فكان ما كان وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب ان الذي قتل من اصحاب علي في ذلك اليوم خمسة آلاف ومن اصحاب الجمل وغيرهم من اهل البصرة وغيرهم ثلاثة عشر الفا وقيل غير ذلك ووقف على علي عبد الرحمن بن عتاب ابن اسيد بن ابي العاص ابن امية وهو قتيل يوم الجمل فقال لمن علي يعسوب قريش قتلت الغطاريف من بني عبد مناف شفيت نفسي وجدعت انفي فقال له الاشتر ما أشد جزعك عليهم يا أمير المؤمنين وقد أرادوا بك ما نزل بهم فقال لي انه قامت عني وعنهم نسوة لم يقمن عنك واصيب

ايام خلعك فهل قلت ايام امرك قال نعم لما قتل اهل المدينة ابن مخلوف عامل عبد المؤمن واكرهوني ان اتولى امرهم قلت

ارى فتنا تكشف عن لظاها * رمادا بالنفاق له انصداع
وآل بها النظام الى انتثار * وسادبها الاسافل والرعاع
سأجعل كل ما جشمت منها * بصدر فيه للهول اتساع

واصل بني الرميمي من بني امية ملوك الاندلس ونسبوا الى رميمه قرية من اعمال قرطبة وقال ابو بحر يوسف بن عبد الصمد

فوصلت اقطار الغبراء بهبة * ومدحت اقواما بغير صلات
اموال اشعاري غنمت فكاثرت * فجعلت مدحي للبخيل زكاتي

وهذا من غريب المعاني وفي بني عبد الصمد يقول بعض اهل عصرهم لما راى من كثرة عددهم والتئامهم بالسلطان

ملأت قلبي هموما مثل ما * ملأ الدنيا بنو عبد الصمد
كاثر الشيخ أبوهم آدما * فغدا أكثر نسلا وولد
كلهم ذئب اذا أمنته * والرعايا بينهم مثل النقد

وكان الوزير الكاتب أبو جعفر أحمد بن عباس وزر لزهير الصقلبي ملك المرية بذا الناس في وقته باربعة أشياء المال والبخل والعجب والكتابة قال أبو حيان وكان قبل محنته صير هجيراه أوقات لعب الشطرنج أو ما يسنح له هذا البيت

عيون الحوادث عني نيام * وهضمي على الدهر شيء حرام

وذاع هذا البيت في الناس حتى قلب له مصراعه الاخير بعض الادباء فقال

سوقظها قدر لا ينام وكان حسن الكتابة جميل الخط مليح الخطاب غزير الادب قوي المعرفة مشارك في الفقه حاضر الجواب جمع للدفاتر حتى بلغت أربعمائة ألف مجلد وأما الدفاتر المخرومة فلم يوقف على عددها لكثرتها وبلغ ماله خمسمائة ألف مثقال جعفرية سوى غير ذلك وكان مقتله بيد بادیس بن حبوس ملك غرناطة وكفى دليلا على اعجابه قوله

لي نفس لا ترتضي الدهر عمرا * وجميع الانام طرا عبيدا
لو ترقت فوق السماك محلا * لم تزل تبتغي هناك صعودا
أنا من تعلمون شيدت مجدي * في مكاني ما بين قومي وليدا

وكان يتهم بداء أبي جهل فيما ينقل حتى كتب بعض الادباء على برجه بالمرية

خلوت بالبرج فاذا الذي * تصنع فيه يا سخيف الزمان

فلما نظر اليه أمر أن يكتب

أصنع فيه كل ما اشتهى * وحاسدي خارجه في هوان

وكان الاعمى التطيلي شاعرا مشهورا وكان الصبيان يقولون له تحتاج كلا يا أستاذ فكان ذلك سبب انتقاله من مرسية وقيل له يا أبا بكر لم تقع في الناس فقال أنا أعمى وهم

لا يبرحون حفرا لها عذرى فى وقوعى فيهم فقال له السائل والله لا كنت قط حفرة لك وجعل يواليه بره وورفده ومن شعره

وجوه تعز على معشر * ولكن تهون على الشاعر
قرونهم مثل ليل المحب * وليل المحب بلا آخر

وله

زنجيكم بالفسوق دارى * يدلى من الحرص كالحمار
يخلو بنجل الوزير سرا * فيوجع الليل فى النهار

ومن شعر أبى جعفر أحمد بن الحيال الاستجى كاتب ابن الاحمر فيمن اسمه فضل الله

من الناس من يؤتى بنقد ومنهم * بكره ومنهم من ينالك اذا انتشى
ومنهم فتى يؤتى على كل حالة * وذلك فضل الله يؤتيه من يشا

ولعبد الملك بن سعيد الخازن

ما حمدنا لك اذ وقفنا ببابك * للذى كان من طويل حجابك
قد ذممنا الزمان فيك فقلما * أبعد الله كل دهر أتى بك

وقال فى المسهب كنت بمجلس القاضى ابن حمدين وقد أنشده شعراء قرطبة وغيرها وفى الجملة هلال شاعر غرناطة ومحمد بن الاسنجى شاعر اسنجة الملقب بزحكون فقام الاسنجى وأنشده قصيدة منها

اليك ابن حمدين انتخلت قصائدا * بها رقصت فى القضب ورق الحمائم
أنا العبد لكن بالمودة أشترى * اذا كان غيرى يشترى بالدراهم

فشكره ابن حمدين ونبه على مكان الاحسان فحسده هلال البيانى على ذلك فلما فرغ من القصيدة قال له هلال أعد على البيت الذى فيه ورق الحمائم فاعاده فقال له لو أزلت النقطة عن الحاء كنت تصدق فقال له فى الحين ولو أزلت أنت النقطة عن العين كنت تحسن وكان على عين هلال نقطة فكان ذلك من الاتفاق العجيب والجواب الغريب وعمل فيه ولما قال المقدم بن المعافى فى رثاء سعيد بن جودى

من ذا الذى يطعم أو يكسو * وقد عدا حلف الندى الرمس
لا اخضرت الارض ولا أورق السعود ولا اشرقت الشمس
بعد ابن جودى الذى لن ترى * اكرم منه الجن والانس

فقيل له أترثيه وقد ضربك فقال والله انه نفعنى حتى بذنوبه ولقد نهانى ذلك الادب عن مضارجة كنت اقع فيها على راسى افلا أرعى له ذلك والله ما ضربنى الا وانا ظالم له افابقى على ظلمى له بعد موته وقيل له لم لا تهجو مؤمن بن سعيد فقال لا اهجو من لو هجا النجوم ما اهتدى احدها وقال عبد الملك بن مروان بن نظيف

لا اشرب الراح الا * مع كل خرق كريم
ولست اعشق الا * ساجى الجفون رخيم

ومدح هلال البيانى ابن حمدين بقصيدة اولها

عرج على ذاك الجناب العالى * واحكم على الاموال بالآمال

اليوم الذى وجد فيه الكف بعد يوم الجمل بثلاثة أيام ودخل على بيت مال الكوفة فى جماعة من المهاجرين والانصار فنظر الى ما فيه من العين والورق فجعل يقول ياصفراء غرى غيرى وادام النظر الى المال مفكرا ثم قال اقسموه بين اصحابى ومن معى خمسمائة خمسمائة ففعلوا فانقص درهم واحد وعدد الرجال اثنا عشر الفا وقبض ما كان فى عسكرهم من سلاح ودابة ومتاع وآلة وغير ذلك فباعه وقسمه بين اصحابه واخذ لنفسه ما أخذ لكل واحد ممن معه من اصحابه واهله خمسمائة درهم فاتاه رجل من اصحابه فقال ياامير المؤمنين انى لم آخذ شيأ وخلفنى عن الحضور كذا وادلى بعذر فاعطاه الخمسمائة التى كانت له وقيل لابى لبيد الجهمى من الازد أتحب عليا قال وكيف أحب رجلا قتل من قومى فى بعض يوم الفين وخمسمائة وقتل من الناس حتى لم يكن أحد يعزى أحدا واشتغل أهل كل بيت عن لهم وولى على على البصرة عبد الله بن عباس

وسار الى الكوفة فكان دخوله اليها لاثنتى عشرة ليلة مضت من رجب وبعث الى الاشعث بن

فيه ابن حمدين الذى لنواله * من كل أرض شد كل رحال

فقال له القاضى ماهذا الوثوب على المدح من اول وهلة الاتدرى انهم عابوا ذلك كما عابوا الطول ايضا وان الاولى التوسط فقال له ياسيدى اعذرنى بمالك فى قلبى من الاجلال والمحبة فانى كلما ابتدأت فى مدحك لم يتركنى غرامى فى اسمك الا ان اتركه عند اول بيت فاستحسن ذلك منه واحسن اليه ومن هذه القصيدة

قاض موال بره ونواله * فله جميع العالمين موالى

وكان يهوى وسيما من متأدبى قرطبة فصنع فيه شعرا انشده منه

وكأن عينى برعى النجم فى الظلم * وعبرتى قد غدت ممزوجة بدم

فقال له الغلام انت لاتبرح تبكو كب من عينك ليلا ولا نهارا وعاشقا وغير عاشق فجعل هلال وكان على عينه نقطة * وحكى ابن حيان ان الامير عبد الرحمن عثرت به دابته وهو سائر فى بعض اسفاره وتأوأطأت فكاد يكبو لفيه ولحقه جزع وتمثل اثره بقول الشاعر

* ومالانرى عما يقى الله أكثر * وطلب صدر البيت فعزب عنه وأمر بالسؤال عنه فلم يوجد من يحفظه الا الكاتب محمد بن سعيد الزجالى وكان يلقب بالاصمعى لذكائه وحفظه فانشد الامير * نرى الشمس مما يتقى فنهابه * فاعجب الامير واستحسن شكله فقال له الزم السرادق وأعقب ابنا يسمى حامدا وحضر مع الوزير عبد الواحد بن يزيد الاسكندرانى فى مجلس فيه رؤساء فعرض عليهم فرس مطهم فتمثل فيه عبد الواحد بقول امرئ القيس * يريد السرى بالليل من خيل بربرا * ففهم الزجالى انه عرض بأنه من البربر فلم يحتمل ذلك وأراد الجواب فقال مدمجا لما أراده ومعرضا أحسن عندى من ليل يسرى بى فيه على مثل هذا يوم على الحال التى قال فيها القائل

و يوم كظل الرمح قصر طوله * دم الزق عنا واصطفاق المزاهر

وانما عرض للاسكندرانى بأنه كان يشهد مجالس الراحات فى أول أمره ومعرفة الغناء فقلق الوزير وشكاه الى الحاجب عيسى بن شهيد فاجتمع مع الزجالى وأخذ معه فى ذلك فحكى له الزجالى ماجرى من الاول الى الآخر وأنشد

وما الحر الا من يدين بمثل ما * يدان ومن يخفى القبيح و ينصف

هم شرعوا التعريض قذفا فعندما * تبعناهم لاموا علينا وعنفوا

ومن نوادر ابنه حامد انه غلط امامه فى قوله تعالى الزانية والزانى بأن قال فانكحوهما فانشده حامد

أبدع القارئ معنى * لم يكن فى الثقلين

أمر الناس جميعا * بنكاح الزانيين

وقال لبعض أصحابه حينئذ أما سمعتما أتى به امامنا من تبديل الحدود تضاحكا * وكتب الوزير أبو عبد الله بن عبد العزيز الى المنصور وصاحب بلنسية و يعرف بالمنصور الصغير قطعة أولها

يا أحسن الناس آدابا وأخلاقا * وأكرم الناس أغصانا وأوراقا

قيس يعزله عن أذربيجان وأرمينية وكان عاملا لعثمان فكان فى نفس الاشعث على ماذكرنا من العزل وماخاطبه به حين قدم عليه فيما اقتطع هنالك من الاموال ووجه بجرير بن عبد الله الى معاوية وقد كان جرير قال لعلى ابعثنى اليه فانه لم يزل لى مستنصحا ووادا فأتيه وأدعوه الى أن يسلم هذا الامر وأدعو أهل الشام الى طاعتك فقال الاشتر لاتبعثه ولاتصدقه فوالله انى لاظن هواه هواهم ونيته نيتهم فقال على دعه حتى ننظر مايرجع به الينا فبعثه وكتب الى معاوية معه يعلمه مبايعة المهاجرين والانصار اياه واجتماعهم عليه ونكث الزبير وطلحة وما أوقع الله بهما ويأمره بالدخول فى طاعته ويعلمه أنه من الطلقاء الذين لاتحل لهم الخلافة فلما قدم عليه جرير دافعه وساءله ان ينتظره وكتب الى عمرو بن العاص على ماقدمنا فى صدر هذا الباب فاشار عليه عمرو بالبعثة الى وجوه الشام وان يلزم على دم عثمان ويقاتلهم به فقدم جرير على على فاخبره خبرهم واجتماع اهل الشام مع معاوية على قتاله وانهم يكونون على عثمان ويقولون ان عليا قتله وآوى قتلته ومنع منهم وانهم لابد لهم من قتاله حتى يفنوه او يفنيهم فقال الاشتر قد كنت اخبرتك

ويا حيا الارض لم تنكبت عن سنني * وسقت نحوى ارعادا وابراقا
و يا سنى الشمس لم اظلمت فى بصرى * وقد وسعت بلاد الله اشراقا
من اى باب سعت غير الزمان الى * رحيب صدرك حتى قيل قد ضاقا
قد كنت أحسبنى من حسن رأيك لى * أنى أخذت على الايام ميثاقا
فالآن لم يبق لى بعد انحرافك لى * أسى عليه وأبدى منه اشفاقا

فاجابه بهذه القطعة

مازلت أوليك اخلاصا واشفاقا * وانثنى عنك مهما غبت مشتاقا
وكان من أملى ان أقتنيك أخا * فاخفق الامل المأمول اخفاقا
فقلت غرس من الاخوان أكلؤه * حتى أرى منه أثمارا واوراقا
فكان لما زها ازهاره ودنا * اثمارها حنظلا لم اس ذاقا
فلست اول اخوان سقيتهم * صفوى واعلقتهم بالقلب اعلاقا
فجازونى باحسانى ولا عرفوا * قدرى ولا حفظوا عهدا وميثاقا

والوزير المذكور قال فى حقه فى المطمع انه وزير المنصور بن عبد العزيز ورب السبق فى وده والتبريز ومنقض الامور ومبرمها ومحمد المتن ومضرمها اعتقل بالرهى واستقل بالامر والنهى على انتهاض بين الاكفاء واعتراض المحول سومه والاعفاء فاستمر غير مراقب وامر ماشاء غير ممتثل للعواقب ينتضى عزائم تنتضى فان الت من الايام مظلمة اضا الى ان اودى وغارمنه الكوكب الاهدى فانتقل الامر الى ابنه ابى بكر فناهيك من اى عرف ونكر فقد ربى على الدها وماصبا الى الطيبة والمها واستقل بالهول يقتحمه والامر بيديه ويلحمه فاى ندى افاض واى اجنحة مدى ماض فانقادت اليه الآمال بغير خطام ووردت من نداه بحر طام ولم يزل بالدولة قائما وموقظا من هجعتها ما كان نائما الى ان صار الامر الى المأمون بن ذى النون اسد الحروب ومسدد الثغور والدروب فاعتمد عليه واتكل ووكل الامر الى غير وكل فما تعدى الوزارة الى الرياسة ولا تردى بغير التدبير والسياسة فتركه مستبدا ولم يجد من ذلك بدا وكان ابو بكر هذا ذا رفعة غير متضائلة وآراء لم تكن آفلة ادرك بها ما احب وقطع غارب كل منافس وجب الى ان طلحه العمر وانضاه واغمده الذى انتضاه فخلا الامر الى ابنيه فتبلدا فى التدبير ولم يفرقا بين القبيل والدبير فغلب عليهما القادر بن ذى النون وجلب اليهما كل جلب ما خلا المنون فانجلوا بعد ما القوا ما عندهم وتخلوا وكان لابى عبد الله نظم مستبدع يوضع بين الجوانح و يودع انتهى المقصود من الترجمة * وكان للوزير ابى الفرج ابن مكبود قد اعياه علاجه وتهيأ للفساد مزاجه فدل على خمر قديمة فلم يعلم بها الا عند حكيم وكان وسيما للعس قسيما فكتب اليه

ارسل بها مثل ودك * ارق من ماء خدك
شقيقة النفس فانضح * بها جوى ابنى وعبدك

وكتب رحمه الله تعالى معتذرا عما جناه منذرا

واقام حتى لم يدع بابا يرجو منه الا فتحه ولا بابا يخاف منه الا أغلقه فقال جرير لو كنت ثم لقتلوك والله لقد ذكروا انك من قتلة عثمان قال الاشتر لو أتيتهم والله يا جرير لم يعيني جوابهم ولا ثقل على خطابهم ولحملت معاوية على خطة اعجلته فيها عن الفكر ولو اطاعنى امير المؤمنين قبل لحبسك واشباهك فى محبس فلا تخرجون منه حتى يستقيم هذا الامر فخرج جرير عند ذلك الى بلاد قرقيسيا والرحبة من شاطئ الفرات وكتب الى معاوية يعلمه ما نزل به وأنه أحب مجاورته والمقام فى داره فكتب اليه معاوية بالمسير اليه وبعث معاوية الى المغيرة بن شعبة الثقفى عند منصرف على من الجمل وقبل مسيره الى صفين بكتاب يقول فيه قد ظهر من رأى ابن أبى طالب ما كان يقدم من وعده لك فى طلحة والزبير فما الذى بقى فى رأيه فينا وذلك أن المغيرة بن شعبة لما قتل عثمان وبايع الناس عليا دخل عليه المغيرة فقال يا أمير المؤمنين ان لك عندى نصيحة فقال وما هى قال ان أردت أن يستقيم لك ما أنت فيه فاستعمل طلحة بن عبيد الله على الكوفة والزبير بن العوام على البصرة وابعث الى معاوية

بعهده على الشام حتى تلزمه رأى فيهما واما معاوية فلا والله لا يرانى الله أستعين به مادام على أبدا ولكنى أدعوه الى ما عرفته فان اجاب والا حاكمته الى الله فانصرف المغيرة وقال نصحت عليا فى ابن هند مقالة فردت فلا يسمع لها الدهر ثانيه

وقلت له أرسل اليه بعهده على الشام حتى يستقر معاويه ويعلم اهل الشام أن قد ملكته وام ابن هند عند ذلك هاو به فلم يقبل النصح الذى جئته به وكانت له تلك النصيحة كافيه

(قال المسعودى) رحمه الله وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب ما كان من المغيرة مع على وما اشار به وهذا احد الوجوه المروية فى ذلك فهذه جوامع ما يحتاج اليه من اخبار يوم الجمل وما كان فيه دون الاكثار والتطويل وتكرار الاسانيد فى ذلك والله ولى التوفيق

(ذكر جوامع مما كان بين اهل العراق واهل الشام بصفين)

طاعتك فاذا استقر قرارها رأيت فيه رأيك قال اما طلحة والزبير فسأرى

ما تغيبت عنك الا لعذر * ودليلى فى ذاك حرصى عليكا
هبك ان الفرار من غير ذنب * اتراه يكون الا اليكا

وقال فى الممطع فى حق ابى الفرج من ثنية رياسة وعترة نفاسة ما منهم الا من تحلى بالامارة وتردى بالوزارة واضاء فى آفاق الدول ونهض بين الخيل والخول وهو احد أمجادهم ومتقلد نجادهم فاقهم أدبا ونبلا وباراهم كرما تخاله وبلا الا انه بقى وذهبوا ولقى من الايام ما رهبوا فعاين تنكرها وشرب عكرها وجال فى الآفاق واستدر أخلاف الارزاق وأجال الرجاء قداحا متواليات الاخفاق فاخمل قدره وتوالى عليه جور الزمان وغدره فاندفنت آثاره وعفت أخباره وقد أثبت له بعض ما قاله وحاله قد أدبرت والخطوب اليه قد انبرت أخبرنى الوزير الحكيم أبو محمد المصرى وهو الذى آواه وعنده استقرت نواه وعليه كان قادما وله كان منادما انه رغب اليه فى أحد الايام أن يكون من جملة ندمائه وأن لا يحجب عنه وتكون منة من أعظم نعمائه فاجابه بالاسعاف واستساغ منه ما كان يعاف لعلمه بقلته وافراط خلته فلما كان ذلك اليوم كتب اليه

أنا قد أبهت بكم وكلكم هدى * وأحقكم بالشكر منى السابق
فالشمس أنت وقد أظل طلوعها * فاطلع وبين يديك فجر صادق انتهى

وقال الوزير أبو عامر بن مسلمة

حج الحجيج منى فمازوا بالمنى * وتفرقت عن خيفه الاشهاد
ولنا بوجهك حجة مبرورة * فى كل يوم تنقضى وتعاد

وقال الفتح فى حقه ما صورته بيت شرف باذخ ومفخر على ذوائب الجوزاء شامخ وزروا للعلماء فانجبتهم الادباء وانتبتهم العظماء وانتسبت لهم النعماء وتنفست عن نور بهجتهم الظلماء وابو عامر هذا هو جوهرهم المنتخل وجوادهم الذى لا يبخل وزعيمهم المعظم وسلك مفخرهم المنظم وكان فتى المدام ومستفتى الندام وأكثر من النعت للراح والوصف وآثر الافراح والقصف وارى قينات السرور مجلوة وآيات الحسن متلوة وله كتاب سماه حديقة الارتياح فى وصف حقيقة الراح واختص بالمعتضد اختصاصا جرعه رداه وصرعه فى مداه فقد كان فى المعتضد من عدم تحفظه للارواح وتهاونه باللوام فى ذلك والالواح فاطمان اليه أبو عامر واغتر وأنس الى ما ابسم من مؤانسته وافتر حتى أمكنته فى اغتياله فرصة لم يعلق بها حصة ولم يضيق عليه الا انه زلت به قدمه فسقط فى البحيرة وانكفا ولم يعلم به الا بعد ما طفا فاخرج وقد قضى وادرج منه فى الكفن حسام المجد منتضى فمن محاسنه قوله يصف السوسن وهو مما ابدع فيه واحسن

وسوسن راق مرآه ومخبره * وجل فى اعين النظار منظره
كانه اكؤس البلور قد صنعت * مسدسات تعالى الله مظهره
وبينها ألسن قد طوقت ذهبا * من بينها قائم بالملك يؤثره

الى

الى ان قال واجتمع بجنبة بخارج اشبيلية مع اخدان له علية فبينما هم يديرون الراح ويشربون من كاسها الافراح والجوصاح اذ بالافق قد غيم وارسل الديم بعد ما كسا الجو بمطارف الرذاذ واشعر الغصون دهر قباذ والشمس منتقبة بالسحاب والرعد يندبها بالانتحاب فقال

يوم كأن سحابه * لبست عمامات الصوامت
حجبت به شمس الضحى * بمثال اجنحة الفواخت
والغيث يبكى فقدها * والبرق يضحك مثل شامت
والرعد يخطب مفصحا * والجو كالمحزون ساكت

وخرج الى تلك الخميلة والربيع قد نشر رداه ونثر على معاطف الغصون نداه فاقام بها وقال

وخميلة رقم الزمان اديمها * بمفضض ومقسم ومشوب
رشفت قبيل الصبح ريق غمامة * رشف المحب مراشف المحبوب
وطردت فى أكنافها ملك الصبا * وقعدت واستوزرت كل أديب
وأدرت فيها الدهر كاس مدامة * مع كل وضاح الجبين مهوب

وقال الوزير الكاتب أبو حفص أحمد بن برد

قلبى وقلبك لا محالة واحد * شهدت بذلك بيننا الالحاظ
فتعال فلنغظ الحسود بوصلنا * ان الحسود بمثل ذاك يغاظ

وقال يا من حرمت لذاذتى بمسيره * هذى البوى قد صعرت لى خدها
رد جفونى من جمالك نظرة * والله يعلم ان رأيتك بعدها

وقال فى المطمع فى ابن برد المذكور انه غذى بالادب وعلا الى أسمى الرتب ومامن أهل بيته الا شاعر كاتب ملازم لباب السلطان مراقب ولم يزل فى الدولة العامرية بسبق يذكر وحق لا ينكر وهو بديع الاحسان بليغ القلم واللسان مليح الكتابة فصيح الخطابة وله رسالة السيف والقلم وهو أول من قال بالفرق بينهما وشعره مثقف المبانى مرهف كالحسام اليمانى وقد أثبت منه ما يلهيك سماعا ويريك الاحسان لماعا فمن ذلك قوله يصف البهار

تأمل فقد شق البهار كمائما * وأبرز عن نواره الخضل الندى
مداهن تبر فى أنامل فضة * على أذرع مخروطة من زبرجد

وله يصف معشوقا أهيف القد ممشوقا أبدى صفحة ورد وبدا فى ثوب لازورد

لما بدا فى لازور * دى الحرير وقد بهر
كبرت من فرط الجما * ل وقلت ما هذا بشر
فأجابنى لا تنكرن * ثوب السماء على القمر

وقال الوزير الكاتب أبو جعفر بن اللمائى

ألما فديتكما نستلم * منازل سلمى على ذى سلم

عنه بالبصرة وما كان يوم الجمل فلنذكر الآن جوامع من سيره الى صفين وما كان فيها من الحروب ثم نعقب ذلك بشأن الحكمين والنهروان ومقتله عليه السلام وكان سير على من الكوفة الى صفين لخمس خلون من شوال سنة ست وثلاثين واستخلف على الكوفة أبا مسعود عقبة بن عامر الانصارى فاجتاز فى مسيره بالمدائن ثم أتى الانبار وسار حتى نزل الرقة فعقد له هناك جسرا فعبر الى جانب الشام وقد تنوزع فى مقدار ما كان معه من الجيش فكثر ومقلل والمتفق عليه من قول الجميع تسعون ألفا وقال رجل من أصحاب على لما استقروا بما يلى الشام من أبيان كتب بها الى معاوية

اتيت معاوى قد أتاك الحافل
تسعون الفا كلهم مقاتل
عما قليل يضمحل الباطل

وسار معاوية من الشام وقد تنوزع فى مقدار من كان معه فكثر ومقلل والمتفق عليه من قول الجميع خمس وثمانون ألفا فسبق عليا الى صفين

وعسكر فى موضع سهل اوبيح اختاره قبل قدوم على على شريعة لم يكن على الفرات فى ذلك الموضع

منازل كنت بها نازلا * زمان الصبا بين جيد وفم
أما تجدن الثرى عاطرا * اذا ما الرياح تنفسن ثم

وقال فى المطمح فيه امام من أئمة الكتابة ومفجر ينبوعها والظاهر على مصنوعها يطبوعها اذا كتب نثر الدر فى المهارق ونمت فيه أنفاسه كالمسك فى المهارق وانطوى ذكره على انتشار احسانه مع امتداد لسانه فلم تظل لدوحه فروع ولا اتصل لها من نهر الاحسان كروع فاندفنت محاسنه من الاهمال فى قبر وانكسرت الآمال بعدم بدائعه كسرا بعد جبر وكان كاتب على بن حمود العلوى وذكر انه كان يرتجل بين يديه ولا يروى فيأتى على البديه بما يفعله المروى ويبديه فمن ذلك ما كتب به متفننا من ضمن رسالة روض القلم فى فنائك مونق وغصن الادب بمائك مورق وقد قذف بحر المنى درره وبعث روض نجد زهره فاهدى ذلك على يدى فلان الجارى فى جهده على مبانى قصده * وقال الوزير حسان بن مالك بن أبى عبدة فى المهرجان

أرى المهرجان قد استبشرا * غداة بكى المزن واستعبرا
وسربلت الارض امواهها * وجللت السندس الاخضرا
وهز الرياح صنابيرها * فضوعت المسك والعنبرا
تهادى به الناس الطافه * وسامى المقل به المكثرا

وقال فى حقه فى المطمح من بيت جلالة وفخر أصالة كانوا مع عبد الرحمن الداخل وتوغلوا معه فى متشعبات تلك المداخل وسعوا فى الخلافة حتى حضر مبايعها وكثر مشايعها وجدوا فى الفتنة وانعقادها وأخمدوا نار الفتنة عند اتقادها فانبرمت عراها وارتبطت أواخاها فظهرت البيعة واتضحت وأعلنت الطاعة وأفصحت وصاروا تاج مفرقها ومنهاج طرقها وهو ممن بلغ الوزارة بعد ذلك وأدركها وحل مطلعها وفلكها مع اشتهار فى اللغة والآداب وانخراط فى سلك الشعراء والكتاب وابداع لما ألف وانتهاض بما تكلف ودخل على المنصور بين يديه كتاب ابن السرى وهو به كلف وعليه معتكف فخرج وعمل على مثاله كتابا سماه ربيعة وعقيل جرد له من ذهنه أى سيف صقيل وأتى به منتضى مصورا فى ذلك اليوم من الجمعة الاخرى وأبرزه والحسن يتبسم عنه ويتفرى فسر به المنصور وأعجب ولا غاب عن بصره ساعة ولا حجب وكان له بعد هذه المدة حين أدجت الفتنة ليلها وأزجت ابلها وخيلها اغتراب كاغتراب الحرث بن مضاض واضطراب بين القوافى والمواضى كالحية النضناض ثم اشتهر بعد وافترله السعد وفى تلك المدة يقول يتشوق الى أهله

سقى بلدا أهلى به واقاربى * غواد بأثقال الحيا ورواح
وهبت عليهم بالعشى وبالضحى * نواسم برد والظلال فواتح
تذكرتهم والنأى قد حال دونهم * ولم أنس لكن أوقد القلب لافح
وعاشجانى هاتف فوق أيكة * ينوح ولم يعلم بما هو نائح
فقلت اتشديكفيك أنى نازح * وأن الذى أهواه عنى نازح

أسهل منها للوارد الى الماء بالشريعة مع أربعين ألفا وكان على مقدمته وبات على وجيشه فى البرعطاشا قد حيل بينهم وبين الورود الى الماء فقال عمرو بن العاص لمعاوية ان عليا لا يموت عطشا هو وتسعون ألفا من أهل العراق وسيوفهم على مواتقهم ولكن دعهم يشربون ونشرب فقال معاوية لا والله أو يموتوا عطشا كما مات عثمان وعلى يدور فى عسكره بالليل فسمع قائلا وهو يقول

أيمنعنا القوم ماء الفرات * وفينا الرماح وفينا الحجف
وفينا على له صولة * اذا خوفوه الردى لم يخف
ونحن غداة لقينا الزبير * وطلحة خضنا غمار التلف
فحابا لنا الامس أسد العرين * وما بالنا اليوم شاة النجف
وألقى فى قلوبهم الاشعث * ابن قيس رقعة فيها
لئن لم يحل الاشعث اليوم كربة * من الموت عنا للنفوس
تعلت
ونشرب من ماء الفرات * بسيفه

فهبنا اناسا قبل كانوا فقرت * فلما قرأها حمى وأتى عليا رضى الله عنه فقال له اخرج فى أربعة آلاف من الخيل حتى تهجم فى وسط عسكر معاوية فتشرب

ونستقى لاصحابك أو تموتوا عن آخركم وأنا أسير فى خيل ورجالة وراءك فسار

ولى صبية مثل الفراخ بقفرة * متى خاضتا فيها اطحتها الطوائح
اذا عصفت ريح أقامت رؤسها * فلم يلقها الا طيور بوارح
فمن لصغار بعد فقد أبيهم * سوى سانح فى الدهر لو عن سانح

واستوزره المستظهر عبد الرحمن بن هشام أيام الفتنة فلم يرض بالحال ولم يمض فى ذلك الانتحال وتثاقل عن الحضور فى كل وقت وتغافل فى ترك الغرور بذلك المقت وكان المستظهر يستبد بأكثر تلك الامور دونه وينفرد مغيبا عنه شؤنه فكتب اليه

اذا غبت لم أحضر وان جئت لم أسل * فسيان منى مشهد ومغيب
وأصبحت تيها وما كنت قبلها * لئيما ولكن الشبيه نسيب

وله رأت طالعا للشيب بين ذوائبى * فباحت بأسرار الدموع السواكب
وقالت أشيب قلت صبح تجارى * انار على أعقاب ليل نوائبى

ولما مات رثاه الوزير أبو عامر بن شهيد بقوله

أى كل عام مصرع لعظيم * أصاب المنايا حادثى وقديمى
وكيف اهتدائى فى الخطوب اذا دجت * وقد فقدت عيناى ضوء نجوم
مضى السلف الوضاح الا بقية * كغرة مسود القميص بهيم
فان ركبت منى الليالى هضيمة * فقبلى ما كان اهتضام تميم
أباعبدة انا غدرناك عندما * رجعنا وغادرناك غير ذميم
أنخذل من كنا نروض بأرضه * ونكرع منه فى اناء علوم
ويجلو العمى عنا بأنوار رأيه * اذا أظلمت ظلماء ذات غيوم
كأنك لم تلقح بريح من الحجا * عقائم افكار بغير عقيم
ولم نعتمد مغناك غدوا ولم نزر * رواحا لفصل الحكم دار حكيم انتهى

وقال الوزير الفقيه ابو ايوب بن امية

أمسك دار بين حياك النسيم به * ام عنبر الشحر ام هذى البساتين
بشاطئ الروض حيث الروض مؤتلق * والراح تعبق ام تلك الرياحين

وحلاه فى المطمح بقوله واحد الاندلس الذى طوقها فخارا وطبقها باوانه افتخارا ماشئت من وقار لا تحيل الحركة سكونه ومقدار يتمنى مخبر أن يكونه اذا لاح رايت المجد مجتمعا واذا فاه اضحى كل شئ مستمعا تكتحل منه مقل المجد وتنتحل المعالى افعاله انتحال ذى كلف بها ووجد لو تعرفت فى الخلق سجاياه لحمدت الشيم واستسقيت بحياه لما استمسكت الديم ودعى للقضاء فارضى واعفى عنه فكانه ما استقضى لديه تثبتت الحقائق وتبينت العلائق وبين يديه يسلك عين الجدد ويدع اللدد اللدد وله ادب اذا حاضر به فلا البحر اذا عصف ولا ابو عثمان اذا وصف مع حلاوة فيما شاءه تستهوى تحبيره وانشاءه وقد اثبت له بدعا يثنى اليها الاحسان جيدا واخدعا فمن ذلك قوله فى منزل حله متنزها

يا منزل الحسن اهواه وآلفه * حقا لقد جمعت فى صحنك البدع

بعد ما طارت كلانا * طيرة مست لمانا فله المن علينا * وبه درات رحانا

الاشعث وهو يقول مرتجزا

لاوردن خيلى الفراتا
شعث النواصى أو يقال ماتا

ثم دعا على الاشتر فسرحه فى أربعة آلاف من الخيل والرجالة فصار يوم الاشعث صاحب رايته وهو رجل من النخع يرتجز ويقول

يا أشتر الخيرات يا خير النخع
وصاحب النصر اذا عال الفزع

فخرج القوم وعالوا بالفزع

ان تسقنا اليوم فما هو بالبدع

ثم سار على رضى الله عنه وراء الاشتر بباقى الجيش ومضى الاشعث فارد وجهه حتى هجم على عسكر معاوية فازال أبا الاعور عن الشريعة وغرق منهم بشرا وخيلا وأورد خيله الفرات وذلك ان الاشعث داخلته الحمية فى هذا اليوم وكان يقدم رجله ثم يحث أصحابه فيقول ارجوهم مقدار هذا الرمح فيزيلوهم عن ذلك المكان فبلغ ذلك من فعل الاشعث عليا فقال هذا اليوم نصرنا فيه بالحمية وفى ذلك يقول رجل من أهل العراق

كشف الاشعث عنا
كربة الموت عيانا

وارتحل معاوية عن

لله ما اصطنعت نعماك عندى فى * يوم نعمت به والشمل مجتمع

وحل منية صهره الوزير ابى مروان بن الدب بعدوة اشبيلية المطلة على النهر المشتملة على بدائع الزهر وهو معرس بنيته فأقام بها اياما متأنسا ومجذوة السرور مقتبسا واولاه من التحف واهدى اليه من الطرف ما غمر كثره وبهر نفاسة واثره فلما ارتحل وقد اكتحل من حسن ذلك الموضع بما اكتحل كتب اليه

قل للوزير وابن الشكر من منن * جاءت على سنن تترى وتتصل
غشيت مغناك والروض الانيق به * يندى وصوب الحيا يهمى وينهمل
وجال طرفى فى ارجائه مرحا * وقت اجتيازى يستعلى ويستفل
يرنو بلفتته حيث ارتمى زهر * عليه من منثى أفنانه كلل
محل أنس نعمنا فيه آونة * من الزمان وواتانا به الأمل

وحل بعد ذلك متنزها بها على عادته فاحتفل فى موالاة ذلك البر واعادته فلما ارتحل كتب اليه

يا دار أمنك الزما * ن صروفه ونوائبه
ودنت سعودك بالدى * يهوى نزيلك آيبه
فلنعم ماوى الضيف أنـ * ـت اذا تحاموا جانبه
خطر شأوت به الدنا * وأذعنت لك فاطبه

وصنع له ابن عبد الغفور رسالة سماها بالساجعة حذا بها حذو ابى العلاء المعرى فى الصاهل والساجع وبعث بها اليه فعرضها عليه فأقامت عنده أياما ثم استدعاها منه فصرفها اليه وكتب معها بكرزفقتها أعزك الله تعالى نحولك وهرزت بمقدمها سنانك وسروك فلم ألفظها عن شبع ولا جهلت ارتفاعها عما يجتلى من نوعها ويستمع ولكن لما انست من أنسك بانخداعها وحرصك على ارتجاعها دفعت فى صدر الولوع وتركت بينها وبين مجاشمها تلك الربوع حيث الادب غض وماء البلاغة مرفض فأسعد أعزك الله بكرتها وسلها عن افانين معرتها بما تقطفه من ثمارك وتغرفه من بحارك وترتاح له ولاخوانه من نتائج افكارك وانها لشنشنة أعرفها فيكم من أخزم وموهبة خزتموها وأحرزتم السبق فيها منذ كم انتهى * وابن عبد الغفور هو الوزير أبو القاسم الذى قال فيه الفتح فتى زكا فرعا وأصلا وأحكم البلاغة معنى وفصلا وجرد من ذهنه على الاغراض نصلا قدها به وفراها وقدح زند المعالى حتى أوراها مع صون يراعة يديه ولا يكاد يبديه وشبيبة ألحقته بالكهول فأقفرت منه ربعها الماهول وشرف ارتقاه وسلف اقتدى أثره الكريم وافتداه وله شعر بديع السرد مفوف البرد وقد ابنت له منه ما الفيت وبالدلالة عليها كتفيت فمن ذلك قوله

تركت التصابى للصواب واهله * وبيض الغوانى للبيض والسمر للسمر
مدامى مدادى والكؤس محابرى * وندماى اقلامى ومنقلتى سفرى

وله لا تنكروا اننا فى رحلة أبدا * نحث فى نقف طورا وفى هدف

فى الموضع وورد الاشتر وقد فى الموضع الذى كان فيه معاوية فقال معاوية لعمرو بن العاص يا أبا عبد الله ما ظنك بالرجل اتراه يمنعنا الماء لمنعنا اياه وقد انحاز باهل الشام الى ناحية فى البر نائيا عن الماء فقال له عمرو لا ان الرجل جاء لغير هذا وانه لا يرضى حتى تدخل فى طاعته أو يقطع حبال عاتقك فارسل اليه معاوية يستأذنه فى وروده مشرعته واستقاء الناس من طريقه ودخل رسله عسكره فاباحه على كل ما سال وطلب منه ولما كان أول يوم من ذى الحجة بعد نزول على على هذا الموضع بيومين بعث الى معاوية يدعوه الى اتحاد الكلمة والدخول فى جماعة المسلمين وطالت المراسلة بينهما فاتفقوا على الموادعة الى آخر المحرم سنة سبع وثلاثين وامتنع المسلمون عن الغزو فى البحر والبر لاشتغالهم بالحروب وقد كان معاوية صالح ملك الروم على مال يحمله اليه لاشتغاله بعلى ولم يتم بين على ومعاوية صلح على غير ما اتفقا عليه من الموادعة فى المحرم وعزم القوم على الحرب بعد انقضاء المحرم ففى ذلك يقول حابس بن سعد الطائى صاحب راية معاوية

فدهـرنا سدفة ونحن انجمها * وليس يذكر مجرى النجم فى السدف
لو اسفر الدهر لى أقصرت عن سفرى * وملت عن كلفى بهذه الكلف

وله من قصيدة

رويدك يا بدر التمام فانني * أرى العيس حسرى والكواكب طلعا
كأن اديم الصبح قد قد انجما * وغود درع الليـــل فيهام رقعا
فانى وان كان الشباب محببا * الى وفى قلـــبى اجـل واوقعا
لآنف من حسن بشعرى مفترى * وآنف من حسن بشـعرى قنعا انتهى

وقال الوزير ابو الوليد بن حزم

اليـــك اباحفص وماعن ملالة * ثنيت عنانى والحبيب حبيب
مقالا يطير الجمر عن جنباته * ومن تحته قلب عليك يذوب
مضت لك فى أفياء ظلى صـــولة * لها بين احناء الضلوع دبيب
ولكن ابى الا اليـــك التفاتة * فزاد عليـــه من هواك رقيب
وكم بيننا لو كنت تحمد ما مضى * اذا العيش غض والزمان قشيب
وتحت جناح الغيم احشاء روضة * بها الحوق العاصفات وجيب
وللزهـــر فى ظل الرياض تبسم * وللطير منها فى الغصون نحيب

وقال فى الزهد

ثلاث وســـتون قد جزتها * فماذا تؤمل او تنتظـــر
وحل عليـــك نذير المشيب * فما ترعوى او فما تزدجر
تمـــر ليالى لـــك مراحثثا * وانت على ما ترى مســـتمر
فلو كنت تعقل ما يقتضى * من العمر لاعتضت خيرا بشر
فمالك لا تســـتعدادن * لدار المقام ودار المقـــر
أترغب عن فجأة للمنون * وتعـــلم أن ليس منها مفـــر
فاما الى جنـــة أزلفت * واما الى ســـقر تســـتعر

وقال ابن أبى زمنين

الموت فى كل حين ينشر الكفنا * ونحن فى غفلة عما يراد بنا
لا تطمئن الى الدنيا وبهجتها * وان توشحت من أثوابها الحسنا
أين الاحبة والجيران ما فعلوا * أين الذين هـــم كانوا الناسكنا
سقاهم الموت كاسا غير صافية * فصـــيرتهم لاطباق الثرى رهنا
تبكى المنازل منهم كل منسجم * بالمكرمات وترثى البر والمننا
حسب الحمام لوا بقاهم وأمهلهم * أن لا يظن على معلومه حسنا

وقال فى المطمع الفقيه أبو عبد الله محمد بن أبى زمنين فقيه متبتل وزاهد لا منحرف الى الدنيا ولا منفتل همرها هجر المنحرف وحل أوطانه فيها محل المعترف لعلمه بارتحاله عنها وتفويضه وايداله منها وتعويضه ينظر بقلبه لا بعينه وانتظر يوم فراقه وبينه ولم

من المحرم قبل غروب الشمس بعث الى أهل الشام انى قد احتجبت عليكم بكتاب الله ودعوتكم اليه وانى قد نبذت اليكم على سواء ان الله لا يحب الخائنين فلم يردوا عليه جوابا الا السيف بيننا وبينك أو يهلك الاعجز منا وأصبح على يوم الاربعاء وكان أول يوم من صفر فعبأ الجيش وأخرج الاشتر أمام الناس وأخرج اليه معاوية وقد تصاف أهل الشام وأهل العراق حبيب ابن مسلم الفهرى وكان بينهم قتال شديد واسفرت عن قتلى من الفريقين جميعا وانصرفوا فلما كان يوم الخميس وهو اليوم الثانى أخرج على هاشم بن عتبة بن أبى وقاص الزهرى المرقال وهو ابن أخى سعد ابن أبى وقاص وانما سمى المرقال لانه كان يرقل فى الحرب وكان أعور ذهبت عينه يوم اليرموك وكان من شيعة على وقد أتينا على خبره فى اليوم الذى ذهبت فيه عينه وحسن بلائه فى ذلك اليوم فى الكتاب الاوسط فى فتوح الشام فاخرج اليه معاوية أبا الاعور السلمى وهو سفيان ابن عوف وكان من شيعة معاوية والمنحرفين عن على وكان بينهم الحرب سجالا وانصرفوا فى آخر يومهم عن قتلى كثير وخرج

يكن له بعد ذلك بها اشتغال ولا في شعاب تلك المسالك ايغال وله تآليف في الوعظ والزهد وأخبار الصالحين تدل على تخليته عن الدنيا واتراكه والتفلت من حبائل الاغترار واشراكه والتنقل من حال الى حال والتأهب للارتحال ويستدل به على ذلك الانتحال فمنها قوله الموت في كل حين ينشر الكفنا * فذكر الابيات انتهى وقال خلف بن هرون يمدح الحافظ أبا محمد بن حزم

يخوض الى المجد والمكرمات * بحار الخطوب وأهوالها
وان ذكرت للعلا غاية * ترقى اليها وأعيى لها

وقال في المطمح فيه فقيه مستنبط ونبيه بقياسه مرتبط ما تكلم تقليدا ولا عدا اختراعا وتوليدا ما تمنت به الاندلس أن تكون كالعراق ولا حنت الانفس معه الى تلك الآفاق أقام بوطنه ومابرح عن عطنه فلم يشرب ماء الفرات ولم يقف عيشة الثمرات ولكنه أربى على من من ذلك غذى وأزرى على من هنالك نعل وحذى تفرد بالقياس واقتبس نار المعارف أي اقتباس فناظر بها أهل فاس وصنف وحبر حتى أفنى الانفاس ونابذ الدنيا وقد تصدت له بأفتن محيا وأهدت اليه أعبق عرف وريا وخلع الوزارة وقد كسته ملاها والبسته حلاها وتجرد للعلم وطلبه وجد في اقتنائه نجبه وله تآليف كثيرة وتصانيف أثيرة منها الايصال الى فهم كتاب الخصال وكتاب الاحكام لاصول الاحكام وكتاب القصد في الاهواء والملل والنحل وكتاب مراتب العلوم وغير ذلك مما لم يطر مثله من هنالك مع سرعة الحفظ وعفاف اللسان واللحظ وفيه يقول خلف بن هرون * يخوض الى المجد والمكرمات * ولابن حزم في الادب سبق لا ينكر وبديهة لا يعلم انه روى فيها ولا فكر وقد أثبت من شعره ما يعلم انه أوحد وما مثله فيه أحد ثم ذكر جملة من نظمه ذكرناها في غير هذا الموضع وكتب أبو عبد الله بن مسرة الى أبي بكر اللؤلؤي يستدعيه في يوم طين ومطر لقضاء أرب من الانس ووطر

أقبل فان اليوم يوم دجن * الى مكان كالضمير مكني
لنا بحكم فيه أشهى فن * فأنت في ذا اليوم أمشى مني

وقال في المطمح ان ابن مسرة كان على طريق من الزهد والعبادة سبق فيها وانتسق في سلك متقفيها وكانت له اشارات غامضة وعبارة عن منازل المتحدين غير واضحة ووجدت له مقالات رديه واستنباطات مرديه نسب بها اليه رهق ٣ وظهر له فيها مزحل عن الرشد ومزهق فتتبعت مصنفاته بالحرق واتسع في استباحتها الخرق وغدت مهجورة على التابين محجورة وكان له تنميق في البلاغة وتدقيق لمعانيها وترويق لاغراضها وتشييد لمبانيها انتهى وهو من نمط الصوفية الذين تكلم فيهم والتسليم أسلم والله تعالى بأمرهم أعلم * (ومن حكايات أهل الاندلس) في الانقباض عن السلطان والفرار من المناصب مع العذر اللطيف ما حكاه في المطمح في ترجمة الفقيه أبي عبد الله الحسني اذ قال كان فصيح اللسان جزيل البيان وكان أنوفا منقبضا عن السلطان لم يتشبث بدنيا ولم ينكث له مبرم عليا دعاه الامير محمد الى القضاء فلم يجب ولم يظهر رجاءه المحتجب وقال أبيت عن أمانة هذه الديانة كما أبت

على في اليوم الثالث وهو المهاجرين والانصار فيمن شرع معهم من الناس وأخرج اليه معاوية عمرو ابن العاص في تنوخ وبهراء وغيرهما من أهل الشام وكانت بينهم سجالا الى الظهر ثم حمل عمار بن ياسر فيمن ذكرنا فازال عمرا عن موضعه وألحقه بعسكر معاوية واسفرت عن قتلى كثيرة من أهل الشام ودونهم من أهل العراق وأخرج علي في اليوم الرابع وهو يوم السبت ابنه محمد ابن الحنيفة في همدان وغيرهما ممن خف معه من الناس فاخرج اليه معاوية عبيد الله بن عمر بن الخطاب في جيرولخم وجذام وقد كان عبيد الله بن عمر لحق بمعاوية خوفا من علي أن يقيده بالهرمزان وذلك أن أبا لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة قاتل عمر كان في أرض العجم غلاما للهرمزان فلما قتل عمر شد عبيد الله على الهرمزان فقتله وقال لا أترك بالمدينة فارسيا ولا في غيرها الا قتلته وكان الهرمزان عليلا في الوقت الذي قتل فيه عمر فلما صارت الخلافة الى علي أراد قتل عبيد الله بن عمر بالهرمزان لقتله اياه ظلما من غير سبب استحقه فلما أتى معاوية فاقتتلوا في ذلك اليوم وكانت على أهل الشام ونجا ابن عمر

السموات

في آخر النهار هربا وأخرج على في اليوم الخامس وهو يوم الاحد عبد الله بن العباس فاخرج اليه معاوية

السموات والارض عن حمل الامانة ابايه اشفاق لا ابايه عصيان ونفاق وكان الامير قد أمر الوزراء باجباره أو حمل السيف ان تمادى على تأبيه واصراره فلما بلغه قوله هذا أعفاه قال وكان الغالب عليه علم النسب واللغة والادب ورواية الحديث وكان مأمونا ثقة وكانت القلوب على حبه متفقة وله رحلة دخل فيها العراق ثم عاد الى هذه الاقاليم وعندما اطمأنت داره وبلغ اقصى مناه مداره قال * كأن لم يكن بين ولم تك فرقة * الابيات انتهى وهذه الابيات قدمناها في الباب الخامس في ترجمة القاضي ابن أبي عيسى فأنت ترى كلام الفتح قد اضطرب في نسبتها فمرة نسبها الى هذا ومرة نسبها الى ذاك وهي قطعة عرفها ذاك (ومن دعابات اهل الاندلس وملحهم) ما يحكى عن ابي الحلي وهو على ابو الحلي الكناني ابو الحسن قال لسان الدين كان شيخا ماجنا الحديث حافظا للمسائل الفقهية قائما على الدولة مضطلعا بمشكلاتها كثير الحكايات يحكى انه شاهد غرائب وملحا فينمقها عليه بعض الطلبة ويتعدون ذلك الى الافتعال والمداعبة حتى جمعوا من ذلك جزأ سموه السالك والحلي في اخبار ابن أبي الحلي فمن ذلك أنه كانت له هرة فدخل البيت يوما فوجدها قد بلت احدى يديها وجعلتها في الدقيق حتى علق بها ونصبتها ازاء كوة فأدرورفعت اليد الاخرى لصيده فناداها باسمها فزوت رأسها وجعلت أصبعها على فمها على هيئة المشير بالصمت وأشباه ذلك وتوفي المذكور سنة ٤٠٦ قال في الاحاطة (ومن اجوبة ملوك الاندلس) ان نزارا العبيدي صاحب مصر كتب الى المرواني صاحب الاندلس كتابا يسبه فيه ويهجوه فكتب اليه المرواني أما بعد فانك عرفتنا فهجوتنا ولو عرفناك لاجبناك والسلام فاشتد ذلك على نزار وأفحمه عن الجواب وحكي انه كتب الى العبيدي ملك مصر مفتخرا

ألا ابني مروان كيف تبدلت * بنا الحال او دارت علينا الدوائر
اذا ولد الماء لود مناتهـــللت * له الارض واهتزت اليه المنابر

(ومن غريب ما يحكى من قوة اهل الاندلس وشجاعتهم) أن الامير حريز بن عكاشة من ذرية عكاشة بن محصن صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل بساحته اذفونش ملك ملوك الروم فبدأهم بخراب ضياعها وقطع الشجر فكتب اليه حريز ليس من أخلاق القدر الفساد والتدمير فان قدرت على البلاد افسدت ملكك ولو كان الملك في عشرة أمثال عددي لم ينزل لي بساحة ولا تمكن منها براحة فلما وصلته الرسالة عف وأمر بالكف وبعث الملك يرغبه في الاجتماع به فاسترهنه في نفسه عدة من ملوك الروم فأجاب الى ما ارتهن ولما ساروا الى المدينة البيضاء وهي قلعة رباح غربي طليطلة خرج حريز بالأمة حربه يرمق الروم منه شخصا أوتي بسطة في الجسم والبسالة يتحدثون بآلات حربه ويعجبون من شجاعة قلبه ولما وصل فسطاط الملك تلقته الملوك بالرحب والسعة ولما أراد النزول عن فرسه ركز رمحه فأبصر الملك منه هيئة تشهد له بما عنه حدث وهيبة يجزع للقائها الشجاع ويكثر فدعاه الى البراز عظيم أبطالهم فقال له الملك يا حريز اريد أن أنظر الى مبارزتك هذا البطل فقال له حريز المبارز لا يبارز الا كفاءه وان لي بينة على صدق قولي أن ليس لي فيهم كفؤ هذا ومحى قدر كرتنه فمن ركب واقتلعه بارزته كان واحدا او عشرة

الوليد بن عقبة بن أبي معيط فاقتتلوا واكثر الوليد من سب بني عبد المطلب بن هاشم فقاتله ابن عباس قتالا شديدا وناداه ابرز الى يا صفوان وكان لقب الوليد وكانت الغلبة لابن عباس وكان يوما صعبا وأخرج على في اليوم السادس وهو يوم الاثنين سعيد بن قيس الهمداني وهو يومئذ فاخرج اليه معاوية ذا الكلاع وكانت بينهما الى آخر النهار وأسفرت عن قتلى وانصرف الفريقان جميعا وأخرج على في اليوم السابع وهو يوم الثلاثاء الاشتر في النخع وغيرهم فاخرج اليه معاوية حبيب ابن سلمة الفهري فكانت بينهم سجالا وصبر كلا الفريقين وتكاثروا وتواقفوا للحرب واسفرت عن قتلى منهما والجراح في أهل الشام أعم وخرج في اليوم الثامن وهو يوم الاربعاء على رضي الله تعالى عنه بنفسه في الصحابة من البدريين وغيرهم من المهاجرين والانصار وربيعة وهمدان قال ابن عباس رأيت في هذا اليوم عليا وعليه عمامة بيضاء

وكأن عينيه سراجا سليط وهو يقف على طوائف الناس في مراتبهم يحثهم ويحرضهم حتى انتهى الي وأنا في كثيف من الناس

قبل السلة والحظوا الشزر
واطعنوا الهبر وناخوا الصبا
وصلوا السيوف بالخطا
والنبال بالرماح وطيبوا عن
أنفسكم أنفسا فانكم بعين
الله ومع ابن عم رسول الله
عاودوا الكر واستقبحوا
الفر فانه عار فى الاعقاب ونار
يوم الحساب ودونكم هذا
السواد الاعظم والرواق
المطنب فاضربوا ثبجه فان
الشيطان راكب صعيده
معترض ذراعيه قد قدم
للوثبة يدا واخر للنكوص
رجلا فصبرا جميلا حتى تنجلى
عن وجه الحق وأنتم الاعلون
والله معكم ولن يتركم أعمالكم
وتقدم على للحرب على بغلة
رسول الله صلى الله عليه وسلم
الشهباء وخرج معاوية فى عدد
أهل الشام فانصرفوا عند
المساء وكل غير ظافر وخرج
فى اليوم التاسع على وهو يوم
الخميس وخرج معاوية
فاقتتلوا الى ضحوة من النهار
وبرز أمام الناس عبيد
الله بن عمر بن الخطاب فى أربعة
آلاف من المضرية معممين
بشقق الحرير الاخضر
متقدمين للموت يطلبون بدم
عثمان وابن عمر يقدمهم
وهو يقول

انا عبيد الله يمنعنى عمر
خير قريش من مضى ومن غبر * غير نبى الله والشيخ الاغر قد بطأت فى نصر عثمان مضر * والربعيون فلا أسقوا المطر فيه

فركب عظيمهم فلم يهتز الرمح من مكانه حين رامه ثم فعل ذلك مرارا فقال له الملك أرنى ياحويز كيف تقلعه فركب واشار بيده واقتلعه بجهد القوم ووصله الملك واكرمه انتهى وكان حويز هذا شاعرا ولما اجتاز به كاتب ابن ذى النون الوزير ابو المطرف بن المثنى كتب اليه

يافريدا دون ثانى * وهلالا فى العيان
عدم الراح فصارت * مثل دهن البلان

فجاوبه حويز وهو يومئذ امير قلعته

يافريد الايجارى * بين ابناء الزمان
جاء من شعرك روض * جاده صوب البيان
فبعثناها سلافا * كسجايا لك الحسان

وكان لحويز كاتب يقال له عبد الحميد بن لاطون فيه تغفل شديد فامره ان يكتب الى المأمون ابن ذى النون فى شأن حصن دخله النصارى فكتب وقد بلغنى ان الحصن الفلانى دخله النصارى ان شاء الله تعالى فهذه الواقعة التى ذكرها الله تعالى فى القرآن بل هى الحادثة الشاهدة باشراط الزمان فانا لله على هذه المصيبة التى هدت قواعد المسلمين وأبقت فى قلوبهم حسرة الى يوم الدين فلما وصل الكتاب للمأمون ضحك حتى وقع للارض وكتب لابن عكاشة جوابه وفيه وقد عهدناك منتقيا لامورك نقادا لصغيرك وكبيرك فكيف جاز عليك أمر هذا الكاتب الابله الجلف واسندت اليه الكتب عنك دون أن تطلع عليه وقد علمت ان عنوان الرجل كتابه ورائد عقله خطابه وما أدرى من أى شئ يتعجب منه هل من تعليقه ان شاء الله تعالى بالماضى أم من حسن تفسيره للقرآن ووضعه مواضعه ام من تورعه عن تأويله الا بتوقيف من سماع عن امام أم من تهويله الخاطر أعلى من يخاطبه ام من علمه بشأن هذا الحصن الذى لو انه القسطنطينية العظمى ما زاد على عظمه وهوله شيأ ولو أن حقيرا يخفى عن علم الله تعالى فى عنه هذا الحصن ناهيك من صخرة حيث لا ماء ولا مرعى منقطع عن بلاد الاسلام خارج عن سلك النظام لا يعبره الا لص فاجر أو قاطع طريق غير متظاهر حراسه لا يتجاوزون الخمسين ولا يرون خبز البر عندهم الا فى بعض السنين باعه احدهم بعشرين دينارا ولعمرى انه لم يغبن فى بيعه ولا ربح ارباب ابتياعه واراح من الشين بنسبته والنظر فى خداعه فليت شعرى ما الذى عظمه فى عين هذا الجاهل حتى خطب فى امره بما لم يخطب به فى حرب وائل فلما وقف حويز على الكتاب كتب لابن ذى النون جوابا منه وان المذكور ممن له حرمة قديمة تغنيه عن ان يمت بسواها وخدمة محمودا ولاها واواها ولسنا ممن اتسعت علمكه وعظمت حضرته فنحتاج الى انتقاء الكتاب والتحفظ فى الخطاب وانما نحن احلاس ثغور وكتاب كتائب لاسطور وان يكن الكاتب المذكور لا يحسن فيما يلقيه على القلم فانه يحسن كيف يصنع فى مواطن الكرم وله الوفاء الذى تحدث به فلان وفلان بل سارت بشأنه فى اقصى البلاد الركبان وليس ذلك يقدح عندنا فيه بل زاده لكونه دالا على صحة الباطن والسذاجة فى الاكرام والتنويه انتهى ولهذا الكاتب شبر بسقط فيه سقوط الاغبياء وقد يتنبه

فيه تنبيه الاذكياء فمنه قوله من قصيدة يمدح حويزا المذكور مطلعها

يذكرني بهم العنبر * وظلم ثنايا هم سكر

الى ان قال

ولولا معاليك ياذا الندى * لما كان في الارض من يشعر
فلا تنكرن زحاما على * ذراك وفي كفك الكوثر

ومشى في موكبه وهم في سفر وكان فصل المطر والطين فجعل فرسه في ذنب فرس ابن عكاشة فلما اثارت يد افرسه طينا جاء في عنق أميره فقطن لذلك الامير فقال له يا ابا محمد تتقدم فقال معاذ الله ان اسيء الادب بالتقدم على اميري فقال فان كان كذلك فتأخر مع الخيل فقال مثلي لا يزال على ركابك في مثل هذه المواضع فقال له فقد والله اهلكتني بما ترمي يد افرسك على من الطين فقال اعز الله الامير فوالله ما علمت ان يد فرسي تصل الى عنقك فضحك ابن عكاشة حتى كاد يسقط عن مركوبه وكان بسر قسطة غلام اسمه يحيى بن يطفت من بني يفرن قد نشأ عند ملكها المقتدر بن هود وتخلق بالركوب والادب وكان في غاية الجمال والحلاوة والظرف فعلق بقلب ابن هود وكتم حبه زمانا فلم يتمكن فكتب له

ياظبي بالله قل لي * متى ترى في حبالي
يمر عمري وحالي * من خيبتي منك خالي

فكتب له الغلام في ظهر الرقعة

ان كنت ظبيا فأنت الليث يرتبغي اغتيالي
وليس يخطر يوما * حلول غيل ببالي

ثم كتب بعدهما هذا ما اقتضاه حكم الجواب في النظم واما بعد فقد جعلت رسني بيد سيدي فعسى ان يقودني الى ما احب لا ما اكره والذي احبه ان يكون بيننا من المحبة ما يقضي بدوام الاخلاص وتأمن في مغبته من العار والقصاص فتركه مدة ثم كتب له يوما على الصورة التي ذكرها

ماذا ترى في يوم أمن طرزت * حلل السحاب به البروق المذهبه
واما وكاسي لاجليس غيره * ملآن لا يخلو الى ان تشربه
والانس ان يسرته متيسر * ومتى تصعبه فيا ما أصعبه

فاجابه

ياما لكا بذا المملوك بعلمه * وخلاله وعلوه في المرتبه
واقي ندالك فخرت عند جوابه * اذ ما تضمن ريبة مستغربه
انا اذا نخلو تهول حاسد * وغدا بهذا الامر ينصر مذهبه
هبني الى يوم تطيش به النهى * والبيض تنضى والقنا متناشبه
وهنالك فانظر لي بعين بصيرة * فالشبل يعرف أصله من جربه

ثم أعلاه الى درجة الوزارة والقيادة الى أن قتل في جيش كان قدمه عليه فقال فيه من قصيدة

ياصار ما أغمدته * عن ناظري الصوارم

أطلب بدم عثمان قال أنت تطلب بدم عثمان والله يطلبك بدم المرزبان وأمر على الاشتر النخعي بالخروج اليه فخرج الاشتر اليه وهو يقول

انى أنا الاشتر معروف السير
انى أنا الافعى العراقى الذكر
لست من الحى ربيع أو مضر
لكنى من مذحج البيض العرر

فانصرف عنه عبيد الله ولم يبارزه وكثرت القتلى يومئذ وقال عمار بن ياسر انى لارى وجوه قوم لا يزالون يقاتلون حتى يرتاب المبطلون والله لو هزمونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لكنا على الحق وكانوا على الباطل وتقدم عمار فقاتل ثم رجع الى موضعه فاستسقى فاتته امرأة من نساء بنى شيبان من مصاقبهم بعس فيه لبن فدفعته اليه فقال الله أكبر الله أكبر اليوم ألقى الاحبة تحت الاسنة صدق الصادق وبذلك خبر الناطق وهو اليوم الذى وعدت فيه ثم قال أيها الناس هل من رائح الى الله تحت العوالى والذى نفسى بيده لنقاتلنكم على تأويله كما قاتلناكم على ضربا يزيل الهام عن مقيله

٤١ ط نى تنزيله وتقدم وهو يقول نحن ضربناكم على تنزيله * فاليوم نضربكم على تأويله

وزهرة غيبتها * من الطيور وكاتم
يا كوكبا خر من أنجمي وأنى راغم
بكت على وشقت * جيوبهن الغمائم
قل للغمائم انى * أصبحت أحكى الجمائم
وأثر الدمع مهما * رأيت للزهر باسم
تالله لا لذ عيش * لمترف لك عادم

ولما رحل الوزير عبد البر بن فرسان من وادى آش الى على الميورقى صاحب فتنة افريقية أقبل عليه ثم ولى أخوه يحيى الامارة بعده فأسند جميع أموره اليه فقال يخاطبه

أجبنا ورحى ناصرى وحسامى * وعجزا وعزمى قائدى وامامى
ولى منك بطاش اليدين غضنفر * يحارب عن أشباله و يحامى
ألا غنيانى بالصهيل فانه * سماعى ورقراق الدماء مدامى
وحطا على الرمضاء رحلى فانها * مهادى وخفاق البنود خيامى

وكان الامير أبو عبد الله بن مردنيش ملك شرق الاندلس من ابطال عصره وكان يدفع فى المواكب و يشقها يمينا وشمالا منشدا

أكر على الكتيبة لا أبالى * أحتفى كان فيها أم سواها

حتى انه دفع مرة فى موكب من النصارى فصرع منهم وقتل وظهر منه ما أعجبت به نفسه فقال لشخص من خواصه عالم بأمور الحرب كيف رأيت قال لو رآك السلطان لزادفيما لك فى بيت المال وأعلى مرتبتك أمن يكون رأس جيش يقدم هذا الاقدام و يتعرض بهلاك نفسه الى هلاك من معه فقال له دعنى فانى لا أموت مرتين واذا مت أنا فلا عاش من بعدى

*(ومن حكاياتهم فى الظرف) أن القاضى أبا عبد الله محمد بن عيسى من بنى يحيى بن يحيى خرج الى حضور جنازة وكان لرجل من اخوانه منزل بقرب مقبرة قريش فعزم عليه فى الميل اليه فنزل وأحضر له طعاما وغنت جارية

طابت بطيب لثاتك الاقداح * وزها بحمرة وجهك التفاح
واذا الربيع تنسمت أرواحه * نمت بعرف نسيمك الارواح
واذا الحنادس ألبست ظلماءها * فضياء وجهك فى الدجى مصباح

فكتبها القاضى طرباً على ظهر يده قال الراوى فلقد رأيته يكبر على الجنازة والابيات على ظهر يده

*(ومن حكاياتهم فى البلاغة) ما ذكره فى المطمح أن الوليد بن عقال لما انصرف من الحج اجتمع مع أبى الطيب فى مسجد عمرو بن العاص بمصر ففاوضه قليلا ثم قال له أنشدنى لملح الاندلس يعنى ابن عبد ربه فانشده

يا لؤلؤا يسبى العقول أنيقا * ورشا بتعذيب القلوب رفيقا
ما أن رأيت ولا سمعت بمثله * درا يعود من الحياء عقيقا
واذا نظرت الى محاسن وجهه * أبصرت وجهك فى سناه غريقا
يا من تقطع خصره من رقة * ما بال قلبك لا يكون رقيقا

ويذهل الخليل عن خليله
الهادية العاملى وأبو حواء
السكسكى واختلفا فى سلبه
فاحتكما الى عبد الله بن
عمرو بن العاص فقال لهما
اخرجا عنى فانى سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول أو قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم وبغت
قريش بعمار مالهم ولعمار
يدعوهم الى الجنة ويدعونه
الى النار وكان قتله عند
المساء وله ثلاث وتسعون
سنة وقبره بصفين وصلى
عليه على عليه السلام ولم
يغسله وكان يغير شيبه
وقد تنوزع فى نسبه فمن
الناس من الحقه ببنى
مخزوم ومنهم من رأى أنه
من حلفائهم ومنهم من رأى
غير ذلك وقد أتينا على خبره
فى كتاب مزاهر الاخبار
وظرائف الآثار عند
ذكرنا لاشتراط الخمسين
الذين بايعوا عليا على الموت
وفى قتله يقول الحجاج بن
عربة الانصارى أبيا ثأر ثاه
بها

يا للرجال لعين دمعها
جارى
قد هاج حزنى أبو اليقظان
عمار
أهوى اليه أبو حواء فوارسه
يدعو السكون وللجيشين
اعصار
فاختل صدر أبى اليقظان معترضا * للرمح قد وجبت فيناله النار

أو يرجع الحق الى سبيله فتوسط القوم واشتبكت عليه الاسنة فقتله أبو

فلما كمل انشادها استعادها ثم صفق بيديه وقال يا ابن عبدربه لقد تأتيك العراق حبوا انتهى * وقال مؤلف كتاب واجب الادب مما يجب حفظه من مخترعات الاندلسيين قول ابن عبدربه

ياذا الذى خط العذار بخده * خطين هاجا لوعة و بلابلا
ماكنت أقطع أن لحظك صارم * حتى جلت من العذار حمائلا انتهى

وحكى أن الوزير أبا الوليد بن زيدون توفيت ابنته و بعد الفراغ من دفنها وقف الناس عند منصرفهم من الجنازة ليتشكروا لهم فقيل انه ما أعاد فى ذلك الوقت عبارة قالها الا حمد قال الصفدى وهذا من التوسع فى العبارة والقدرة على التفنن فى أساليب الكلام وهو أمر صعب الى الغاية وأرى انه أشق مما يحكى عن واصل بن عطاء انه ما سمعت منه كلمة فيها راء لانه كان يلثغ بحرف الراء لثغة قبيحة والسبب فى تهوين هذا الامر وعدم تهويله أن واصل ابن عطاء كان يعدل الى ما يرادف تلك الكلمة مما ليس فيه راء وهذا كثير فى كلام العرب فاذا أراد العدول عن لفظ فرس قال جواد أو ساع أو صافن أو العدول عن رمح قال قناة أو صعدة أو يزنى أو غير ذلك أو العدول عن لفظ صارم قال حسام أو لهذم أو غير ذلك وأما ابن زيدون فأقول فى حقه أقل ما كان فى تلك الجنازة وهو وزير ألف وئيس ممن يتعين عليه أن يتشكر له و يضطر الى ذلك فيحتاج فى هذا المقام الى ألف عبارة مضمونها الشكر وهذا كثير الى الغاية لاسيما من محزون فقد قطعة من كبده

ولكنه صوب العقول اذا انبرت * سحائب منه أعقبت بسحاب

وقد استعمل الحريرى هذا فى مقاماته عند ما يذكر طلوع الفجر وهو من القدرة على الكلام وأرى الخطيب بن نباتة ممن لا يلحق فى هذا الباب فانه أملى مجلدة معناها من أولها الى آخرها يا أيها الناس اتقوا الله واحذروه فانكم اليه راجعون وهذا أمر بارع معجز والناس يذهلون عن هذه النكتة انتهى كلام الصفدى ملخصا وقال فى الوافى بعد ذكره جملة من أحوال ابن زيدون ما نصه وقال بعض الادباء من لبس البياض وتختم بالعقيق وقرأ لابى عمرو وتفقه للشافعى وروى شعر ابن زيدون فقد استكمل الظرف وكان يسمى بخترى المغرب لحسن ديباجة نظمه وسهولة معانيه انتهى (رجع) الى كلام أهل الاندلس * وكان الاديب المحدث ابو الربيع سليمان بن على الشلبى الشهير بكتبريهوى من يخبى عليه و يقول انه أبرد من الثلج فخاطبه كثير بقوله

ياحبيبا له كلام خلوب * قلبت فى لظى هواه القلوب
كيف تعزو الى محبك بردا * ومن الحب فى حشاه لهيب
أنت شمس وقلت انى ثلج * فلهذا اذا طلعت اذوب

وقال ابن مهران مما يشتمل على اربعة امثال

المال زين والحياة شهية * والجود يفقر والشجاعة تقتل
والبخل عيب والجبان مذمم * والقصد احكم والتوسط اجمل

وقال ابن السيد البطليوسى متغزلا

قد عالج الحياة حتى ملا * لابد أن يفل أو يملا أسلمهم بذى الكعوب سلا ثم قصدها شم بن عتبة

قال الذى له تقتل ثلاث شرذمة
سيطت لحومهم بالبغى
فخار
فاليوم يعرف أهل الشام
أنهم
أصحاب تلك وفيها النار
والعار
ولما صرع عمار تقدم سعيد
ابن قيس الهمدانى فى
همدان وتقدم سعد بن
عبادة الانصارى فى الانصار
وربيعة وعدى بن حاتم فى
طيئ وسعيد بن قيس
الهمدانى فى أول الناس
فحملوا الجمع بالجمع واشتد
القتال وحطمت همدان
أهل الشام حتى قذفتهم
الى معاوية وقد كان
معاوية صمد فيمن كان
معه لسعيد بن قيس ومن
معه من همدان وأمر على
الاشتر أن يتقدم باللواء
الى أهل حمص وغيرهم
من أهل قنسرين فاكثر
القتل فى أهل حمص وقنسرين
بمن معه من القراء وأتى
المرقال بوميذ بمن معه فلا
يقوم له شئ وجعل يرقل كما
يرقل الفحل فى قيده وعلى
وراءه يقول يا أعور لا تكن
جبانا تقدم والمرقال يقول
قدما كثر القوم وما أقلا
أعور يبغى أهله محلا

نفسي الفداء لجؤذر حلو اللمى * مستحسن بصدوده احسانى
فى فيه سمط جوهر يروى الظما * لو علنى ببروده احيانى

ويخرج من هذه القطعة عدة قطع * وقال ابن صارة مضمنا

الى كم ينقد الدينار منى * ويطلب كف من عنه يحيد
ألم انشده فى وادى هيامى * بهلو كان يعطفه النشيد
حبيبى انت تعلم ما أريد * ولكن لا ترق ولا تجود
ولم غنيت حين تشكيتنى * منى شيطانها ابدا مريد
يريد المرء أن يؤتى مناه * ويأبى الله الا ما يريد

وقال ذو الرياستين ابو مروان عبد الملك بن رزين

بالله ان لم تزدجر * يا مشبه البدر المنير
لأسرحن نواظرى * فى ذلك الورد النضير
ولأكلنك بالمنى * ولاشربنك بالضمير

وقال ابن عبد ربه

اشرب على المنظر الانيق * وامزج بريق الحبيب ريقى
واحلل وشاح الكعاب رفقا * خوفا على خصرها الرقيق
وقل لمن لام فى التصابى * خذوا قليلا عن الطريق

وسيأتى ان شاء الله تعالى قريبا من بلاغة اهل الاندلس فى الجد والهزل ما فيه مقنع لمن اقتصر عليه * (ومن حكاياتهم فى عدم احتمال الضيم والذل والوصف بالانفة) انه لما ثار ايوب بن مطروح فى المائة الخامسة فى الفتنة على ملك غرناطة عبد الله بن بلقين بن حبوس وخاض بحار الفتنة حتى رماه موجها فيمن رمى على الساحل وحصل فيما بث عليهم يوسف ابن تاشفين من الجبائل وكانت له همة وانفة عظيمة وخلع عن امارته وحصل فى حبالته ادخل راسه تحته فانتظر من حضر معه ان يتكلم او يخرج راسه فلم يكن الا قليل حتى وقع ميتا رحمه الله تعالى * ولما ثار المهدى فى بافر يقية على بنى عبد المؤمن الثورة المشهورة وخدمه جلة من أعيان أهل الاندلس وكان من جملتهم مالك بن محمد بن سعيد العنسى كتب عنه من رسالة وبعد فانا لا نحتاج لك الى برهان على أمير لسانه الحسام ويده التأييد الربانى الذى لا يرام قد نصب خيامه بالبراح ولم يتخذ سورا غير سمر القنا وبيض الصفاح له من العزم رد ومن الحزم كمين اذا صدق الحسام ومنتضيه * فكل قرارة حصن حصين وهو من القوم الذين لا يجورون على جار ولا يرحلون بخزية ولا يتركون من عار دينهم دين التقوى وان كنت من ذلك فى شك فاقدم علينا حتى يصح لك اختبار الذهب بالسبك وأنت بالخيار فى الظعن والاقامة فان حللت نزلت خير منزل وان رحلت ودعت أفضل وداع وسرت فى كنف السلامة اذ قد شهرنا بأنا لا نقيد الا بالاحسان وأن ندع لاختياره كل انسان * (ومن حكايات أهل الاندلس فى الجود والفضل ومكارم الاخلاق) أن أبا العرب الصقلى حضر مجلس المعتمد بن عباد فأدخلت عليه جملة من دنانير السكة فأمر له

المرقال لذى الكلاع وهو أثبت فانى لست من فزعى مضر
نحن اليمانيون ما فينا ضجر
كيف ترى وقع غلام من عمر
ينمى ابن عفان ويلحى من غدر
يا أعور العين رمى فيها العور
سيان عندى من سعى ومن أمر
فاختلفا طعنتين فطعنه هاشم المرقال فقتله وقتل بعده سبعة عشر رجلا وحمل هاشم المرقال وحمل ذو الكلاع ومع المرقال جماعة من أسلم قد آلوا أن لا يرجعوا أو يفتحوا أو يقتلوا فاجتلد الناس فقتل هاشم المرقال وقتل ذو الكلاع جميعا فتناول ابن المرقال اللواء حين قتل أبوه فى وسط المعركة وكر فى الهجاج وهو يقول
يا هاشم بن عتبة بن مالك
أعز بشيخ من قريش هالك
يخبط الخيلين بالسنابك
أبشر بحور العين فى الارائك
والروح والريحان عند ذلك
ووقف على رضى الله عنه عنده مصرع المرقال ومن صرع حوله من الاسلميين وغيرهم فدعا لهم وترحم عليهم وقال من أبيات جزى الله خيرا عصبة أسلمية * صباح الوجوه صرعوا حول هاشم بخربطتين

بخريطتين منها وبين يديه تصاوير عنبر من جملتها صورة جمل مرصع بنفيس الدر فقال أبو العرب ما يحمل هذه الدنانير الاجمل فتبسم المعتمد وأمر له به فقال

أعطيتنى جملا جوناشفعت به * جملا من الفضة البيضاء لو جملا
نتاج جودك فى أعطان مكرمة * لاقد تصرف من منع ولا عقلا
فاعجب لشأنى فشأنى كله عجب * رفهتنى فحملت الحمل والجملا

ومن نظم أبى العرب المذكور

ألام اتباعى للاماني الكواذب * وهذا طريق المجد بادى المذاهب
أهم ولى عزمان عزم مشرق * وآخر يثنى همتى للمغارب
ولا بد لى أن أسأل العيس حاجة * تشق على أخفافها والغوارب
اذا كان أصلى من تراب فكلها * بلادى وكل العالمين أقاربى

وذكر الحافظ الحجارى فى المسهب أنه سأل عمه أبا محمد عبد الله بن ابراهيم عن أفضل من لقى من أجواد تلك الحلبة فقال يا ابن أخى لم يقدر أن يقضى لى الاصطحاب بهم فى شباب أمرهم وعنفوان رغبتهم فى المكارم ولكن اجتمعت بهم وأمرهم قد هرم وساءت بتغير الاحوال ظنونهم وملوا الشكر وضجروا من المروءة وشغلتهم المحن والفتن فلم يبق فيهم فضل للافضال وكانوا كما قال أبو الطيب

أتى الزمان بنوه فى شبيبته * فسرهم وأتيناه على الهرم

فان يكن أتاه على الهرم فانا أتيناه وهو فى سياق الموت ثم قال ومع هذا فان الوزير أبا بكر ابن عبد العزيز رحمه الله تعالى كان يحمل نفسه مالا يحمله الزمان ويبسم فى موضع القطوب ويظهر الرضا فى حال الغضب ويجهد أن لا ينصرف عنه أحد غير راض فان لم يستطع الفعل عوض عنه القول فات له فالمعتمد بن عباد كيف رأيته فقال قصدته وهو مع أمير المسلمين يوسف بن تاشفين فى غزوته للنصارى المشهورة فرفعت له قصيدة منها

لا روع الله سربا فى رحابهم * وان رمونى بترويع وابعاد
ولا سقاهم على ما كان من عطش * الا بعض ندى كف ابن عباد
ذى المكرمات التى مازالت تسمعها * أنس المقيم وفى الاسفار كالزاد
يا ليت شعرى ماذا يرتضيه لمن * ناداه يا موئلى فى جحفل النادى

فلما انتهيت الى هذا البيت قال أما ما أرتضيه لك فلست أقدر فى هذا الوقت عليه ولكن خذ ما ارتضى لك الزمان وأمر خادمه له فاعطانى ما اعيش فى فائدته الى الآن فانى انصرفت به الى المرية وكان يعجبنى سكناها والتجارة بها لكونها مينا لمراكب التجار من مسلم وكافر فتجرت فيها فكان ابقاء ما وجهنى على يديه رحمة الله تعالى عليه ثم أخذ البطاقة وجعل يجيل النظر والفكر فى القصيدة وأنا مترقب لنقده لكونه فى هذا الشان من أئمته وكثيرا ما كان الشعراء يحاكمونه لذلك الامن عرف من نفسه التبريز ووثق بها الى ان انتهى الى قولى

ولا سقاهم على ما كان من عطش * الا بعض ندى كف ابن عباد

فقال لاى شئ بخلت عليهم أن يسقوا بكفه فقلت اذن كان يلحقنى من العقد ما لحق ذا الرمة

وعمرو لا ينفد ثناه وذكره اذا سل بالبيض الخفاف الصوارم

واستشهد فى ذلك اليوم صفوان وسعد ابنا حذيفة ابن اليمان وقد كان حذيفة عليلا بالكوفة فى سنة ست وثلاثين فبلغه قتل عثمان وبيعة الناس لعلى فقال أخرجونى وادعوا الصلاة جامعة فوضع على المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبى وعلى آله ثم قال أيها الناس ان الناس قد بايعوا عليا فعليكم بتقوى الله وانصروا عليا ووازروه فوالله انه لعلى الحق آخرا وأولا وانه لخير من مضى بعد نبيكم ومن بقى الى يوم القيامة ثم أطبق يمينه على يساره ثم قال اللهم اشهد أنى قد بايعت عليا وقال الحمد لله الذى أبقانى الى هذا اليوم وقال لابنيه صفوان وسعد احلانى وكونا معه فسيكون له حروب كثيرة فيهلك فيها خلق من الناس فاجتهدا ان تستشهدا معه فانه والله على الحق ومن خالفه على الباطل وما ت حذيفة بعد هذا اليوم بسبعة أيام وقيل بأربعين يوما واستشهد عبد الله بن الحرث النخعى أخو الاشتر واستشهد فيه عبد الله وعبد الرحمن ابنا بديل بن

في قوله ولا زال منهلا بجرعائك القطر وكان طوفان نوح أهون عليهم من ذلك فتألقت غرته وبدت مسرته وقال انا لله على أن لم يعنا الزمان على مكافأة مثلك قال وكنت ممن زاره بسجنه بأغماث وحملتني شدة الحمية له والامتعاض لما حل به أن كتبت على حائط سجنه متمثلا

فان تسجنوا التسري لا تسجنوا اسمه * ولا تسجنوا معروفه في القبائل

ثم تفقدت الكتابة بعد أيام فوجدت تحت البيت لذلك سجناه

ومن يجعل الضرغام في الصيد بازه * تصيده الضرغام فيما تصيدا

فما أدري من جاوب بذلك ثم عدت له ووجدته قد محى وأعلمت بذلك ابن عباد فقال صدق المجاوب وأنا الجاني على نفسه والحافر بيده لرمسه ولما أردت وداعه امرلي باحسان على قدر ما استطاع فارتجلت

آليت لا أقبل احسانكم * والدهر فيما قد عراكم مسي
فني الذي أسلفتم غنية * وان يكن عندكم قد نسي

قال وفيه أقول من قصيدة

يا طالب الانصاف من دهره * طلبت أمرا غير معتاد
فلو يكون العدل في طبعه * لما عدا ملك ابن عباد

وللجاري المذكور كتاب في البديع سماه الحديقة وأنشد لنفسه فيه

وشادن ينصف من نفسه * أمنني من سطوة الدهر
ينام للشرب على جنبه * ويصرف الذنب الى الخمر

وله في فرس

ومستبق يحار الطرف فيه * ويسلم في الكفاح من الجماح
كأن أديمه ليل بهيم * تحجل باليسير من الصباح
اذا احتدم التسابق صار رجما * تقلب بين اجنحة الرياح

وكتب أبو العلاء ادريس بن أزرق الى ابن رشيق ملك مرسية وقد طالت اقامته عند ابن عبد العزيز

ألا ليت شعري هل أعود الى الذي * عهدت من النعمى لديكم بلا جهد
فوالله ما فارقتكم ما تخلصت * من الدهر عندي ساعة دون ما كد
فؤاذن كي أطير اليكم * فلا عار في شوق الى المال والمجد

ووقف بعض اعدائه على هذه الابيات فوشى بها الى ابن عبد العزيز قاصدا ضرره وكان ذلك في محفل ليكون أبلغ فقال والله لقد ذكرتني أمره ولقد أحسن الدلالة على حاله فان الرجل كريم وعلينا موضع اللوم لا عليه ووالله لاوسعنه مالا ووجدا بقدر وسعي ثم أخذ في الاحسان اليه حتى برئ رحمه الله تعالى

هكذا هكذا تكون المعالي * طرق الجد غير طرق المزاح

ولنذكر جملة من بني مروان بالاندلس فنقول قال محمد بن هشام المرواني صاحب كتاب

ورقاء الخزاعي في خلق من لم يبق الا الصبر والتوكل وأخذك الترس وسيف مصقل
ثم التمشي في الرعيل الاول
فقتل ثم قتل عبد الرحمن أخوه بعده فيمن ذكرنا من خزاعة ولما رأى معاوية القتل في أهل الشام وكلب أهل العراق عليهم استدعى بالنعمان بن جبلة التنوخي وكان صاحب راية قومه في تنوخ ونهد وقال له لقد هممت أن أولي قومك من هو خير منك مقدما وانصح منك دينا فقال له النعمان انا لو كنا ندعى الى جيش ممنوع لكان في لكع بعد الاناة فكيف ونحن ندعوهم الى سيوف قاطعة وردينية شاغرة وقوم ذوي بصائر نافذة والله لقد نصحتك على نفسي وآثرت ملكك على ديني وتركت لهواك الرشد وأنا أعرفه وحدت عن الحق وأنا أبصره وما وفقت لرشد حين أقاتل عن ملكك ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأول مؤمن به ومهاجر معه ولو أعطيناه ما أعطيناك لكان أرأف بالرعية وأجزل في العطية ولكن قد بذلنا لك الامر ولا بد من اتمامه كان غيا أو رشدا وحاشا ان يكون رشدا وسنقاتل عن تين الغوطة وزيتونها اذ حمنا

أخبار الشعراء

وروضة من رياض الحزن حالفها * طل اطلت به في افقها الحلل
كأنما الورد فيما بينها ملك * موف ونوارها من حوله خول

وكان في مدة الناصر وأدخل عليه يوما ليذاكره فاستحسنه وأمره بالتزام بنيه ليؤدبهم بحسن أدبه ويتخلقوا بخلقه فاستعفى من ذلك وقال ان الفتيان لا يتعلمون الا بشدة الضبط والقيد والاغلاظ وأنا أكره أن أعامل بذلك أولاد الخليفة فيكرهوني وقد يحقد لي بعضهم ذلك الى أن يقدر على النفع والضر فقالوا وكان يتعشق المستنصر بالله ولي عهد الناصر وهو غلام وله فيه

متع بوجهك جفني * يا كوكبا فوق غصن
يا من تحجب حتى * عن كل فكر وأذن
وخام الخوف فيه * فما يمر بذهن
فليس للطرف والقلـ * ـب غير دمع وحزن
فاني ذو ذنوب * وانت جنة عدن

وقال أخوه أحمد بن هشام

قطعت الليالي بارتجاء وصالكم * ومانلت منكم غير متصل الهجر
وما كنت أدري ما التصبر قبلكم * فعلمتموني كيف أقوى على الصبر
وما كنت ممن يعلق الصبر فكره * ولكن خشيت الصبر يذهب بالعمر

*(ومن حكاياتهم في علو الهمة) أنه كان سبب قراءته واجتهاده انه حضر مجلسا فيه القائد أحمد بن أبي عبدة وهو غلام فاستخبره القائد فرآه بعيدا من الادب والظرف ورأى له ذهنا قابلا للصلاح فقال أي سيف لو كانت عليه حلية فقامت من هذه الكلمة قيامته وثابت له همة ملوكية عطف بها على الادب والتعلم الى أن صار ابن أبي عبدة عنده كما كان هو عند ابن ابي عبدة اولا فحضر بعد ذلك معه وجالا في مضمار الادب فرأى ابن ابي عبدة جوادا لا يشق غباره فقال ماهذا اين هذا مما كان فقال ان كلمتك عملت في فكري ما اوجب هذا فقال والله ان هذه حلية تليق بهذا السيف فجزاك الله عن همتك خيرا ثم قال له سران لي عليك حقا اذ بعثتك على التأدب والتميز فاذا حضرنا في جماعة فلا تتطاول علي تقصيري وحافظ علي أن لا أسقط من العيون بارباء غيري علي فقال لك ذلك وزيادة وكان المنذر ابن الامير عبد الرحمن الاوسط سيئ الخلق في أول أمره كثيرا لاصغاء الى أقوال الوشاة مفرط القلق مما يقال في جانبه معاقبا على ذلك من يقدر على معاقبته مكثرا التشكي ممن لا يقدر عليه لوالده الامير عبد الرحمن فطال ذلك على الامير فقال لو كيل خاص به عارف بالقيام بما يكلفه به الموضع الفلاني الذي بالجبل الفلاني المنقطع عن العمران تبنى فيه الا بنية أسكن فيه ابني المنذر وأوصاه بالاجتهاد فيه ففرغ منه وعاد اليه فقال له تعلم المنذر أني أمرته بالانفراد فيه ولا تترك أحدا من أصحابه ولا أصحاب غيره يزوره ولا يتكلم معه البتة فاذا ضجر من ذلك وسألك عنه فقل له هكذا أمر أبوك فتولى الثقة ذلك على ما أمر به ولما حصل المنذر في ذلك المكان وبقي

خرج الى القتال قام اليه نساؤه فشددن عليه سلاحه ماخلا الشيبانية بنت هانئ بن قبيصة فخرج في هذا اليوم وأقبل على الشيبانية وقال لها اني قد عبأت اليوم لقومك وايم الله اني لارجو أن أربط بكل طنب من اطناب فسطاطي سيدا منهم فقالت ما أبغض الا أن تقاتلهم قال ولم قالت لانه لم يتوجه اليهم صنديد الا أبادوه وأخاف ان يقتلوك وكاني بك قتيلا وقد أتيتهم أسألهم أن يهبوا لي جيفتك فرماها بقوس فشجها وقال لها ستعلمين بمن آتيك من زعماء قومك ثم توجه فحمل عليه حريث بن جابر الجعفي فطعنه فقتله وقيل ان الاشتر النخعي هو الذي قتله وقيل ان عليا ضربه فقطع ما عليه من الحديد حتى خالط سيفه حشوة جوفه وان عليا قال حين هرب فطلبه لا يقيدنه بالهرزان لئن فاتني في هذا اليوم لا يفوتني في غيره وكلمت نساؤه معاوية في جيفته فامر ان يأتين ربيعة فيبذلن في جيفته عشرة آلاف ففعلن ذلك فاستأمرت ربيعة عليا فقال انما جيفته جيفة كلب لا يحل بيعها ولكن قد اجبتهم الى ذلك فاجعلوا جيفته لابنة هانئ بن قبيصة الشيباني زوجته فقالوا لنسوة عبيد الله ان شئتن شددناه

وحده وقد خوله ومن كان يستريح معه وينظر الى ماسلبه من الملك ضجر فقال للثقة عسى
ان يصلني غلماني وأصحابي اتانس بهم فقال له الثقة ان الامير أمر أن لا يصلك احد وان تبقى
وحدك لتستريح مما يرفع لك اصحابك من الوشاية فعلم ان الامير قصد محنته بذلك وتاديبه
فاستدعى دواة وكتب الى أبيه اني قد توحشت في هذا الموضع توحشا ما عليه من مزيد
وعدمت فيه من كنت آنس اليه وأصبحت مسلوب العز فقيد الامر والنهي فان كان ذلك
عقابا بالذنب كبير ارتكبته وعلمه مولاي ولم أعلمه فاني صابر على تأديبه ضارع اليه في
عفوه وصفحه

وان أمير المؤمنين وفعله * لكالدهر لا عار يما فعل الدهر

فلما وقف الامير على رقعته وعلم ان الادب بلغ به حقه استدعاه فقال له وصلت رقعتك
تشكو ما أصابك من توحش الانفراد في ذلك الموضع وترغب أن تأنس بخولك وعبيدك
وأصحابك ان كان لك ذنب يترتب عليه أن تطول سكناك في ذلك المكان وما فعلت ذلك
عقابا لك وانما رأيناك تكثر الضجر والتشكي من القال والقيل فأردنا احتبك بأن نحجب
عنك سماع كلام من يرفع لك وينم حتى تستريح منهم فقال له سماع ما كنت أضجر منه
أخف علي من التوحد والتوحش والتخلي مما أنا فيه من الرفاهية والامر والنهي فقال له فاذقد
عرفت وتأدبت فارجع الى ما اعتدته وعول على أن تسمع كأنك لم تسمع وترى كأنك لم تر
وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لو تكاشفتم ما تدافنتم واعلم انك أقرب الناس الي وأحبهم
في وبعد هذا فما يخلو صدرك في وقت من الاوقات عن انكار علي وسخط لما أفعله في
جانبك أو جانب غيرك مما لو أطلعني الله تعالى عليه لساءني لكن الحمد لله الذي حفظ ما بين
القلوب بستر بعضها عن بعض فيما يجول فيها انك لذو همة ومطمع ومن يكن هكذا يصبر
ويغض ويحمل ويبدل العقاب بالثواب ويصير الاعداء من قبيل الاصحاب ويصبر من
الشخص على ما يسوء فتدبري منه بعد ذلك ما يسر ولقد يخف علي اليوم من قاسيت من
فعله وقوله ما لو قطعتهم عضوا عضوا لما ارتكبوه مني ما شفيت منهم غيظي ولكن رأيت
الاغضاء والاحتمال لاسما عند الاقتدار أولى ونظرت الى جميع من حولي ممن يحسن
ويسيء فوجدت القلوب متقاربة بعضها من بعض ونظرت الى المسيء يعود محسنا والمحسن
يعود مسيئا وصرت أندم على من سبق له مني عقاب ولا أندم على من سبق له مني ثواب فالزم
يا بني سعالي الامور وان جاءها في التغاضي ومن لا يتغاضى لا يسلم له صاحب ولا يقرب
منه حاجب ولا ينال ما تترقى اليه همته ولا يظفر بأمله ولا يجده معينا حين يحتاج اليه فقبل
المنذر يده وانصرف ولم يزل يأخذ نفسه بما أوصاه والده حتى تخلق بالخلق الجميل وبلغ
ما أوصاه به أبوه ورفع قدره ومن شعره في ابن عم له

ومولى أبي الاأداى وانني * لاحلم عنه وهو بالجهل يقصد
تودد له فازداد بعدا وبغضة * وهل نافع عند الحسود التودد

وقوله

خالف عدوك فيما * انك فيه لينصع
فانما يبتغي أن * تنام عنه فيربح

وقيل ان هذا الشعر لبديل بن ورقاء قاله في ذلك اليوم ثم نادى على ومن

الى ذنب بغل ثم ضربناه حتى يدخل الى عسكر معاوية فصرخ وقال هذا أشد علينا وأخبر بن معاوية بذلك فقال لهن ائتوه الشيبانية فسلوها أن تكلمهم في جيفته ففعلن وأتت القوم وقالت انا بنت هانئ بن قبيصة وهذا زوجي القاطع الظالم قد حذرته فاصار اليه فهبوا لي جيفته ففعلوا والقت اليهم بطرف خزفادرجوه فيه ودفعوه اليها قد شد رجله الى طنب فسطاط من فساطيطهم ولما قتل عمار ومن ذكرنا في هذا اليوم حرض علي عليه السلام الناس وقال لربيعة أنتم درعي ورمحي فانتدب له ما بين عشرة آلاف الى أكثر من ذلك من ربيعة وغيرهم قد جادوا بانفسهم لله عز وجل وعلى أمامهم على البغلة الشهباء وهو يقول

من أي يومي من الموت أفر
أيوم لم يقدر أم يوم قدر
وحمل وحملوا معه حملة رجل واحد فلم يبق لاهل الشام صف الا انتقض وأهمدوا كل ما أتوا عليه حتى أتوا الى قبة معاوية وعلى لا يمر بفارس الا قده وهو يقول

أضربهم ولا أرى معاويه
الاخزرا العين العظيم الهاويه
تهوي به في النار أم هاويه

ومن كرم نفسه أن أحد التجار أهدى له جارية بارعة الحسن واسمها طرب ولها صنعة فى الغناء حسنة فعندما وقع بصره على حسنها ثم أذنه على غنائها أخذت بمجامع قلبه فقال لاحد خدامه ماترى أن ندفع لهذا التاجر عوضا عن هذه الجارية التى وقعت منا أحسن موقع فقال تقدر ما تساوى من الثمن وتدفع له بقدرها فقومت بخمسمائة دينار فقال المنذر للخديم ماعندك فيما ندفع له فقال الخمسمائة فقال ان هذا اليوم رجل أهدى لنا جارية فوقعت منا موقع استحسان نقابله بثمنها ولو أنه باعها من يهودى لوجد عنده هذا فقال له ان هؤلاء التجار لؤماء بخلاء وأقل القليل يقنعهم فقال وانا كرماء سمحاء فلا يقنعنا القليل لمن نجود عليه فادفع له ألف دينار واشكره على كونه خصنا بها واعلمه بأنها وقعت منا موقع رضا وفيها يقول

ليس يفيد السرور والطرب ● ان لم تقابل لواحظى طرب
أبهت فى الكاس لست أشربها * والفكر بين الضلوع يلتهب
يعجب منى معاشر جهلوا * ولو رأوا حسنها لما عجبوا

وقال له أبوه يوما ان فيك لتيها مفرطا فقال له حق لفرع أنت أصله أن يعلو فقال له يابنى ان العيون تمج التياه والقلوب تنفر عنه فقال يا أبى لى من العز والنسب وعلو المكان والسلطان مايحمل عن ذلك والى لم أر العيون الا مقبلة على ولا الاسماع الا مصغية الى وان لهذا السلطان رونقا يريقه التبذل وعلوا يخفضه الانبساط ولا يصونه ويشرفه الا التيه والانقباض وان هؤلاء الاذناب لهم ميزان يسبرون به الرجل منا فان رأوه راجحا عرفوا له قدر رجاحته وان رأوه ناقصا عاملوه بنقصه وصيروا تواضعه صغرا وتخفضه خسة فقال له أبوه لله أنت فابق وما رأيت * وكان له أخ أديب أيضا اسمه المطرف بن عبد الرحمن الاوسط ومن شعره

أفنيت عمرى فى الشر * ب والوجوه الملاح
ولم أضيع أصيلا * ولا اطلاع صباح
أحيى الليالى سهدا * فى نشوة ومراح
ولست أسمع ماذا * يقول داعى الفلاح

والعياذ بالله من هذا الكلام وحاكى الكفر ليس بكافر وعتبه أحد اخوانه على هذا القول فقال انى قلته وأنا لا أعقل ولم أعلم أنه يحفظ عنى وأنا أستغفر الله تعالى منه والذى يغفر الفعل الكرم من أن يعاقب على القول ومن جيد شعره قوله

يا أخى فرقت صروف الليالى * بيننا غير زورة الاحلام
فغدونا بعد ائتلاف وقرب * نتناجى بألسن الاقلام

وقال أخوهما الثالث هشام بن عبد الرحمن فيمن اسمه ريحان

أحبك يا ريحان ما عشت دائما * ولولاك لم أهو الظلام وسهده
ولولاك لم أحبب لى فى ذرا الدار غربان
وما عشق الريحان الا لانه * شريكك فى اسم فيه قلبى هيمان
على انه لم يكمل الظرف مجلس * اذا لم يكن فيه مع الراح ريحان

عمرو وقد أنصفك الرجل فقال له معاوية ما أنصفت وانك لتعلم انه لم يبارزه رجل قط الا قتله أو أسره فقال له عمرو وما تحمل بك الا لمبارزته فقال له معاوية طمعت فيها بعدى وحقدها عليه وقد قيل فى بعض الروايات ان معاوية أقسم على عمرو لما أشار عليه بهذا ان يبرز الى على فلم يجد عمرو من ذلك بدا فبرز فلما التقيا عرفه على وشال السيف ليضربه به فكشف عمرو عن عورته وقال مكره أخوك لا بطل فحول على وجهه وقال قبحت ورجع عمرو الى معاوية وقد ذكر هشام بن محمد الكلبى عن السرقى بن القطان أن معاوية قال لعمرو بعد انقضاء الحرب هل غششتنى منذ نصحتنى قال لا قال بلى والله يوم أشرت على بمبارزة على وأنت تعلم ما هو قال دعاك الى المبارزة فكنت من مبارزته على احدى الحسنيين اما أن تقتله فتكون قد قتلت قاتل الاقران وتزداد شرفا الى شرفك واما أن يقتلك فتكون قد استعجلت مرافقة الشهداء والصالحين

 وحسن أولئك رفيقا فقال معاوية يا عمرو الثانية أشر من الاولى وكان فى هذا اليوم من القتال مالم يكن

قبل ووجدت في بعض
بنفسه رفع رأسه فاذا
عبيدالله بن عمر مطروح
الى قربه جريحا فجثا حتى
دنا منه فلم يزل يمص على
ثديه حتى نبتت فيه
أسنانه لعدم السلاح
والقوة لانه أصيب فوقه
ميتا هو ورجل من بكر بن
وائل قد زحف الى عبيدالله
فحشأه وانصرف القوم
الى مواضعهم وخرج كل
فريق منهم يحملون من
أمكن من قتلاهم ومر
معاوية في خواص من
أصحابه في الموضع الذي
كان ميمنته فنظر الى عبدالله
ابن بديل بن ورقاء الخزاعي
معفرا بدمائه وقد كان
على ميسرة علي فحمل على
ميمنة معاوية فاصيب
على ما قدمنا آنفا فاراد
معاوية ان يمثل به فقال
عبدالله بن عامر وكان
صديقا لابن بديل والله
لاترك وايا ه فوهبه له
فغطاه بعمامته فوارا
فقال له معاوية قد والله
واريت كبشا من كباش
القوم وسيدا من سادات
خزاعة غير مدافع لو ظفرت
بنا خزاعة لاكلونا ولو انا في
جندل دون هذا الكبش
وانشأ يقول متمثلا

أخو الحرب ان عضت به الحرب عضها * وان شمرت يوما به الحرب شمرا

وكان

وله فيه

اذا أنا مازحت الحبيب فانما * قصدت شفاء الهم في ذلك المزح
فما العيش الا أن أراه مضاحكا * كما ضحك الليل البهيم عن الصبح

وقال أخوهم الرابع يعقوب بن عبدالرحمن

اذا أنا لم أجد يوما وقومي * لهم في الجود آثار عظام
فمن يرجى لتشييد المعالي * اذا قعدت عن الخير الكرام

ومدحه بعض الشعراء فأمر له بمال جزيل فلما كان مثل ذلك الوقت جاءه بمدح آخر فقال احد خدام يعقوب هذا اللئيم له دين عندنا يقتضيه فقال الامير يا هذا ان كان الله تعالى خلقك محبولا على كرم الصنائع فاجر على ما جبلت عليه في نفسك ولا تكن كالاجرب يعدي غيره وان هذا رجل قصدنا قبل فكان منا ما أشر به وحمله على العودة وقد ظن فينا خيرا فلا تخيب ظنه والحديث أبدا يحفظ القديم وقد جاءنا على جهة التهنئة بالعمر ونحن نسأل الله تعالى أن يطيل عمرنا حتى يكثر تردده وبديم نعمنا حتى نجد ما ننعم به عليه ويحفظ علينا مروءتنا حتى يعيننا على التجمل معه ولا يبلينا بخلس مثلك يقبض أيدينا عن اسداء الايادي وأمر للشاعر بما كان أمر له به قبل وأوصاه بالعود عند حلول ذلك الاوان مادام العمر * وقال اخوهم الخامس الامير محمد ابن الامير عبدالرحمن لاخيهم السادس ابان وقد خلا معه على راحة هل لك امل نبلغك اياه فقال لم يبق لي امل الا ان يديم الله تعالى عمرك ويخلد ملكك فأعجب ذلك الامير وقال ما مالت اليك نفسي من باطل وكان كل واحد منهما يهيم بالآخر وفي ذلك يقول ابان

يا من يلوم ولا يدري بما أمفتون لو ابصرته ما كنت تلحاني
من مازجت روحه روحي وشاطرني * باحسنه حين اهواه ويهواني

وكان للامير محمد ابن الامير عبدالرحمن ثلاثة اولاد نجباء القاسم والمطرف ومسلمة ولهم اخ رابع اسمه عثمان فمن نظم القاسم في عثمان اخيه وقد زاره فاستسقاه ماء فأبطأ عليه غلامه لعلة لم يقبلها القاسم

الماء في دار عثمان له ثمن * والخبز شئ له شان من الشان
فاسلح على كل عثمان مررت به * غير الخليفة عثمان بن عفان

وله

شغلت بالكيمياء دهري * فلم افد غير كل خسر
اتعاب فكر خداع عقل * فساد مال ضياع عمر

وقال شقيقه المطرف ويعرف بابن غزلان وهي امه وكانت مغنية بديعة محسنة عوادة اديبة

هل أتكي مشرفا على نهر * ارمي بطرفي اليه من قصري
عند اخ لو دهته حادثة * اعطيته ما احب من عمري

وقال اخوهما مسلمة

ان شيبا وصبوة لمحال * اولم يأن أن يكون زوال
فدع النفس عن مزاح ولهو * تلك حال مضت وجاء تلك حال

وكان يقول انى لا افارق الامن اختار مفارقتى ومن خادعنى انخدعت له وارتبته انى غير فطن بخداعه ليجبه امره وادخل عليه مسرة بنفسه ورايه * وقال محمد ابن الامير المنذر ابن الامير محمد فى جاريته الاراكة

قل للاراكة قدزا * دبالدتو اشتياقى
وهاج مابى اليها * مثلى للعناق
وانى وبقلبى * جمر جرى فى المآقى
طويت مابى ليوم * يكون فيه التلاقى
فان اعد لاجتماع * حرمت يوم افتراق
لا يعرف الشوق الا * من ذاق طعم الفراق

وقال عبد الله بن الناصر وقد اهدى له سعيد بن فرج ياسمينا ابيض واصفر وكتب معه

مولاى قد ارسلت نحوك تحفة * بمرادما ابغيه منك تذكر
من ياسمين كاللجين تبرجت * بيضا وصفرا والسماح يعبر

فأجابه بما نصه

اتاك نفسرى ولما يحل * منى على أضغاث احلام
فاجعله رسما دائما زائرا * منى ومنك غرة العام

وبعث اليه هذين البيتين مع ملء الطبق دنانير ودراهم فقال ابن فرج

قد سمعنا بجود كعب وحاتم * ماسمعنا جودا مدى العمر لازم
فدعائى بأن تدوم دعاء * لى لا زال طول ماعشت دائم
ماسمعنا كمثل هذا اختراعا * هكذا هكذا تكون المكارم

وتشبه هذه الحكاية حكاية اتفقت لبعض ملوك افريقية وذلك ان رجلا أهدى له فى فادوس ورد أحمر وأبيض فأمر أن يملأ له دراهم فقالت له جاريته من جواريه ان رأى الامير أن يلوّن ما أعطاه حتى يوافق ما أهداه فاستحسن ذلك الامير وأمر أن يملأ دنانير ودراهم وكان المروانى المذكور يسابر أحد الفقهاء الظرفاء فرا بجميل فقال عبد الله بطرفه الى وجهه وظهر ذلك لمسايره فتبسم ففهم عبد الله تبسمه فقال ان هذه الوجوه الحسان خلابة ولكنا لا نتغلغل فى نظرها ولا ندعى العفة عنها بالجملة وفيها اعتبار وتذكار بالحور العين التى وعد الله تعالى فقال له الفقيه احتج لرجك بما شئت فقال أو ماهى حجة تقبل فقال الفقيه يقبلها من رق طبعه وكاد يضيق عن الصبر وسعه فقال وأراك شريكا لى فقال ولولا ذلك لملتك فأطرق عبد الله ساعة ثم أنشد

أفدى الذى مر بى فقال له * لحظى ولكن ثنيته غضبا
ماذاك الا لخاف منتقد * فالله يعفو ويغفر الذنبا

فقال له الفقيه ان كنت ثنيت لحظك خوف انتقادى فانى أدعوه اليك حتى تملأه منه ولا تنسب الى ما نسبت فتبسم عبد الله وقال ولا هذا كله وقال له ان مثلك فى الفقهاء لمعدوم فقال له ما كنت الا أديبا ولكنى لما رأيت سوق الفقه بقرطبة نافقة اشتغلت به فقال له ومن عقل

أصحابه عليهم وقال ان هؤلاء ان يزولوا عن موقفهم دون طعن يخرج منه النسيم وضرب يفلق الهام ويطفح الطعام وتسقط منه المعاصم والاكف وحتى تشدخ جباههم بعدد الحديد وتنشر حواجبهم على الصدور والاذقان أين أهل الصبر وطلاب الاجر فثاب اليه عصابة من المسلمين من سائر الناس فدعا ابنه محمدا فدفع اليه الراية وقال امش بها نحو هذه الراية مشيا رويدا حتى اذا أشرعت فى صدورهم الرماح فأمسك حتى يأتيك أمرى ففعل واتاه على ومعه الحسن والحسين وشيوخ بدر وغيرهم من الصحابة وقد كردس الخيل فحملوا على غسان ومن يليها فقتلوا منها بشرا كثيرا وعادت الحرب فى آخر النهار كحالها فى أوله وحملت ميمنة معاوية وفيها عشرة آلاف من مذحج وعشرون ألفا مقنعون فى الحديد على ميسرة على فاقتطعوا ألف فارس فانتدب من أصحاب على عبد العزيز بن الحرث الجعفى وقال لعلى مرنى بامرك فقال شد الله ركبك سر حتى تنتهى الى

اخواننا المحاط بهم وقل لهم يقول لكم على كبروا ثم احملوا ونحمل حتى نلتقى فحمل الجعفى فطعن فى عرضهم حتى انتهى

اليهم فاخبرهم بمقالة على فكبروا ثم شدوا حتى التقوا بعلى وشدخوا سبعمائة من أهل الشام وقتل حوشب ذو ظليم وهو كبش من كباش اليمن فى أهل الشام وكان على راية هذيل بن سنان وغيرهامن ربيعة الحضين ابن المنذر بن الحرث بن وعلة الذهلى وفيه يقول على فى هذا اليوم

لمن راية سوداء يخفق ظلها
اذا اقلت قدمها حضين تقدما

فامره بالتقدم واختلط الناس وبطل النبل واستعملت السيوف وجثم الليل وتنادوا بالشعار وتقصفت الرماح وتصادم القوم وكان يعتنق الفارس الفارس ويقعان جميعا على الارض عن فرسيهما وكانت ليلة الجمعة وهى ليلة الهرير فكان جملة من قتل على يكفه فى يومه وليلته خمسمائة وثلاثة وعشرين رجلا أكثرهم فى اليوم وذلك انه كان اذا قتل رجلا كبرا ذا ضرب ولم يكن يضرب الاقتل ذكر ذلك عنه من كان يليه فى حربه ولا يفارقه من ولده وغيرهم وأصبح القوم على قتالهم وكسفت الشمس وارتفع القتام وتقطعت الالوية ولم يعرفوا مواقيت الصلاة وغدا الاشتر يرتجز وهو يقول نحن قتلنا حوشبا * لما غدا قداعلما وذا الكلاع قبله * ومعبدا ذقدما وقال

المرء أن لا يفنى عمره فيما لا ينفعه عصره وكان عبد الله المذكور يسمى الزاهد فبايع قوما على قتل والده الناصر وأخيه الحكم المستنصر ولى العهد فأخذ يوم عيد الاضحى سنة تسع وثلاثين وثلثمائة فذبح بين يديه رحمه الله تعالى وقال أخوه أبو الاصبغ عبد العزيز بن الناصر وقد دخل ابن له الكتاب فكتب أول لوح فبعثه الى أخيه الحكم المستنصر ملك الاندلس ومعه

هاك يا مولاى خطا * مطه فى اللوح مطا
ابن سبع فى سنيه * لم يطق للوح ضبطا
دمت يا مولاى حتى * يلد ابن ابنك سبطا

وله

زارنى من هممت فيه سحرا * يتهادى كنسيم السحر
اقبس الصبح ضياء ساطعا * فأضاء والفجر لم ينفجر
واستعار الروض منه نعمة * بثها بين الصبا والزهر
أيها الطالع بدرا نيرا * لاحلت الدهر الا بصرى

وكان مغرى مغرما بالخمر والغناء فقطع الخمر فبلغه أن المستنصر لما بلغه تركه للخمر قال الحمد لله الذى أغنانا عن مفاتحته ودله على ما نريد منه ثم قال لو ترك الغناء لكمل خيره فقال والله لاتركنه حتى تترك الطيور تغريدها ثم قال

أبانى صحة وحباه ونعمى * هى تدعوله ذه الالحان
وكذا الطير فى الحدائق تشدو * للذى سر نفسه بالقيان

وقال أخوه محمد بن الناصر لما قدم أخوهما المستنصر من غزوة

قدمت بحمد الله أسعد مقدم * وضدك أضحى لليدين وللفم
لقد حزت فيها السبق اذ كنت أهله * كما حاز باسم الله فضل التقدم

واما اخوهما محمد بن عبد الملك بن الناصر فقال الحجارى فيه انه لم يكن أحد ولد الناصر ممن لم يل الملك اشعر منه ومن ابن اخيه وكتب الى العزيز صاحب مصر

ألسنا بنى مروان كيف تبدلت * بنا الحال أو دارت علينا الدوائر
اذا ولد المولود منا تهللت * له الارض واهتزت اليه المنابر

وكان جواب العزيز له اما بعد فانك عرفتنا فهجوتنا ولو عرفناك لهجوناك وله فى الصنوبر

ان الصنوبر حصن * لديه حرز وباس
حفت مزاجل ارها * ب من عداه تراس
كانما هو ضد * لما حواه الرياس

وبعض سيوف الاندلس محفور صدر الرياس على صورة قشور الصنوبر الا ان تلك ناتئة وهذه محفورة وقال

اتانى وقد خط العذار بخده * كما خط فى ظهر الصحيفة عنوان
تزاحمت الالحاظ فى وجناته * فشقت عليه الشقائق أردان
وزدت غراما حين لاح كانما * تفتح بين الورد والآس سوسان

ان تقتلوا منا أبا اليقظان شيخا مسلما فقد قتلنا منكم سبعين رأسا بحرما

وقال لئن كنت خلاع العذار بشادن * وكاس فانى غير نزر المواهب
وانى لطعان اذا اشتجر القنا * ومقتحم طرفى صدور الكتائب
وانى اذا لم ترض نفسى بمنزل * وجاش بصدرى الفكر جم المذاهب
جليد يود الصخر لو أن صبره * كصبرى على مانابنى للنوائب
وأسرى الى ان يحسب الليل انتى * لطول مسيرى فيه بعض الكواكب

وأما ابن اخيه مروان بن عبد الرحمن بن عبد الملك بن الناصر فكان فى بنى امية شبه عبد الله بن المعتز فى بنى العباس بملاحة شعره وحسن تشبيهه ومن شعره القصيدة المشهورة

غصن يهتز فى غصن نقا * يجتنى منه فؤادى حرقا
سال لام الصدغ فى صفحته * سيلان التبر وافى الورقا
فتناهى الحسن فيه انما * يحسن الغصن اذا ما أورقا

ومنها أصبحت شمسا وفوه مغربا * ويد الساقى المحيى مشرقا
فاذا ما غربت فى فيه * تركت فى الخد منه شفقا

ومنها وكأن الورد يعلوه الندى * وجنة المحبوب تندى عرقا

قالوا وهذا النمط قد فاق به أهل عصره ويظن انه لا يوجد لاحد منهم أحلى وأكثر أخذا بمجامع القلوب من قوله

ودعت من أهوى أصيلا ليتنى * ذقت الحمام ولا أذوق نواه
فوجدت حتى الشمس تشكو وجده * والورق تندب شجوها بهواه
وعلى الاصائل رقة من بعده * فكأنها تلقى الذى ألقاه
وغدا النسيم مبلغا ما بيننا * فلذاك رق هوى وطاب شذاه
ما الروض قد مزجت به أنداؤه * سحرا بأطيب من شذا ذكراه
والزهر مبسمه ونكهته الصبا * والورد أخضله الندى خداه
فلذاك أولع بالرياض لانها * أبدا تذكرنى بمن أهواه

ولله قوله

وعشى كأنه صبح عيد * جامع بين بهجة وشحوب
هب فيه النسيم مثل محب * مستعيرا شمائل المحبوب
ظلت فيه ما بين شمسين هذى * فى طلوع وهذه فى غروب
وتدلت شمس الاصيل ولكن * شمسنا لم تزل بأعلى الجنوب
رب هذا خلقته من بديع * من رأى الشمس أطلعت فى قضيب
أى وقت قد أسعف الدهر فيه * وأجابت به المنى عن قريب
قد قطعناه نشوة ووصالا * وملأناه من كبار الذنوب
حين وجه السعود بالبشر طلق * ليس فيه أمارة للقطوب
ضيع الله من يضيع وقتا * قد خلا من مكدر ورقيب

وبات عند أحد رؤساء بنى مروان فقدم اليه ذلك الرئيس قدحا من فضة فيه راح أصفر وقال

وقيل لعلى قد أعطاك معاوية الحق دعاك الى كتاب الله فاقبل منه وكان أشدهم فى ذلك اليوم الاشعث بن قيس فقال على

أنحوا بصفين وقد
لاقوا نكالا مؤلما
وكان الاشتر فى هذا اليوم وهو يوم الجمعة على ميمنة على وقد أشرف على الفتح ونادت مشيخة أهل الشام الله الله فى الحرمات والنساء والبنات وقال معاوية هلم مخبأتك يا ابن العاص فقد هلكنا وتذكر ولاية مصر فقال عمرو أيها الناس من كان معه مصحف فليرفعه على رمحه فكثر فى الجيش رفع المصاحف وارتفعت الضجة ونادوا كتاب الله بيننا وبينكم من لثغور الشام بعد أهل الشام ومن لثغور العراق بعد أهل العراق ومن لجهاد الروم ومن للترك ومن للكفار ورفع فى عسكر معاوية نحو من خمسمائة مصحف وفى ذلك يقول الخباشى بن الحرث فاصبح أهل الشام قد رفعوا القنا
عليها كتاب الله خير قران
ونادوا عليا يا ابن عم محمد
أما تتقى أن تهلك الثقلان
فلما رأى كثير من أهل العراق ذلك قالوا نجيب الى كتاب الله ونتوب اليه وأحب القوم الموادعة

اشرب وصف فداك ابن عمك فقام اجلالا وشرب صائحا بسروره ثم قال الدواة والقرطاس فأحضرا وكتب

اشرب هنيئا لاعدالك الطرب * شرب كريم فى العلا منتخب
وافاك بالراح وقد ألبست * برد أصيل معلما بالحبب
فى قدح لم يذ يسقى به * غير أولى المجد وأهل الحسب
ما جار اذ أسقاك من كفه * فى جامد الفضة ذوب الذهب
فقم على رأسك برابه * واشرب على ذكراه طول الحقب

ويحكى انه لما قتل أباه وقد وجده مع جارية له كان يهواها سجنه المنصور بن أبى عامر مدة الى أن رأى فى منامه النبى صلى الله عليه وسلم يأمره باطلاقه فأطلقه فمن أجل ذلك عرف بالطليق * قال أحمد بن سليمان بن أحمد بن عبيد الله بن عبد الرحمن الناصرى ابن حزم لما عاداه علماء عصره

لما تحلى بخلق * كالمسك أو نشر عود
نجل الكرام ابن حزم * وقام فى العلم عودى
فتواه جددينى * جدواه أورق عودى

وله فى أبى عامر بن المظفر بن أبى عامر من قصيدة يمدحه بها

بأبى عامر وصلت حبالى * فزمانى به زمان سعيد
فتى زدت فيه ودا وشكرا * فداه وقد تناهى يزيد
كيف لى وصفه وفى كل يوم * منه فى المكرمات معنى جديد

وقال أبو عبد الله محمد بن محمد بن الناصر يرثى أبا مروان بن سراج

وكم من حديث للنبى أبانه * وألبسه من حسن منطقه وشيا
وكم مصعب للنحو قد راض صعبه * فعاد ذلولا بعدما كان قد أعيا

وقال عبيد الله بن محمد المهدى وهو من حسنات بنى مروان ويعرف بالاقرع

أقول لآمالى ستبلغ ان بدا * محيا ابن عطاف ونعم المؤمل
فقالت دعانى كل يوم تعلل * فقلت لها ان لاح يفنى التعلل
لئن كان منى كل حين ترحل * فانى ان أحلل به لست أرحل
فتى ترد الآمال فى بحر جوده * وليس على نعمى سواه المعول

وقال هذه فى الوزير ابن عطاف فضن عليه حتى يرجع الجواب فكتب اليه بقصيدة منها

أيها الممكن من قدرته * لا برالك الله الا محسنا
انما المرء بما قدمه * فتخير بين ذم وثنا
لا تكن بالدهر غرا واذا * كنت فانظر فعله فى ملكا
كل ما خولت منه ذاهب * انما تحمد منه الكفنا
مد كفا نحو كف طالما * أمطرت منه السحاب الهتنا
أو أرحنى بجواب ؤيس * فطال البر من شر العنا

فلم

فاصبحت اليوم مأمورا وقد أحببتم البقاء فقال الاشتران معاوية لا خلف له من رجاله ولك بحمد الله الخلف ولو كان له مثل رجالك لما كان له مثل صبرك ولا نصرك فاقدع الحديد واستعذ بالله وتكلم رؤساء أصحاب على نحو من كلام الاشتر فقال الاشعث بن قيس انا لك اليوم على ما كنا عليه أمس وليس ندرى ما يكون غدا وقد والله فل الحديد وكلت البصائر وتكلم معه غيره بكلام كثير فقال على ويحكم ما رفعوها الا انكم تعلمونها ولا يعلمون بها وما رفعوها لكم الا خديعة ودهاء ومكيدة فقالوا له انه ما يسعنا ان ندعى الى كتاب الله فنأبى أن نقبله فقال ويحكم انما قاتلتهم ليدينوا بحكم الكتاب فقد عصوا الله فيما أمرهم به ونبذوا كتابه فامضوا على حقكم وقصدكم وخذوا فى قتال عدوكم فان معاوية وابن العاص وابن أبى معيط وحبيب بن مسلمة وبنى النابغة وعدة غيرهؤلاء ليسوا باصحاب دين ولا قرآن وأنا أعرف بهم منكم صحبتهم أطفالا ورجالا فهم شر أطفال ورجال وجرى له مع القوم خطب طويل قد أتينا بعضه وتهددوه أن يصنع به ما صنع بعثمان

فلم يعطه شيأ وكان له كاتب فتحيل فى خمسين درهما فأعطاها له فلما سمع الوزير بذلك طرده وقال له من أنت حتى تحمل نفسك هذا وتعطيه قال فوالله ما لبث الا قليلا حتى مات الوزير وتزوج الكاتب بزوجته وسكن فى داره وتخول فى نعمته فحملنى ذلك على أن كتبت بالفحم فى حائط داره

أيا دار قولى اين ساكنك الذى * ابى لؤمه ان يترك الشكر خالدا
تسمى وزيرا والوزارة سبة * لمن قد أبى ان يستفيد المحامدا
وولى ولكن ليس يبرح ذمه * فهاهو قد ارضى عدوا وناقدا
واضحى وكيل كان يأنف فعله * نزيلك فى الحوص الممنع واردا
جزاه باحسان لذا واساءة * لذاك وساع ورث الحمد قاعدا

والمثل السائر فى هذا رب ساع لقاعد * وقال سليمان بن المرتضى بن محمد بن عبد الملك بن الناصر وكان فى غاية الجمال ويلقب بالغزال

قدم الربيع عليك بعد مغيب * فتلقه بسلافة وحبيب
فصل جديد فلتجدد حالة * يأتى الزمان بها على المرغوب
الجو طلق فالقه بطلاقة * واذا تقطب فالقه بقطوب
لله أيام ظفرت بها ومن * أهواه منقاد بغير رقيب

وله

لى فى كفالات الرماح لوانها * وفت ضمان يبلغ الآمالا
وكلت دهرى فى اقتضاء ضمانها * ضنابه أن لا يحول فحالا

وكان مولعا بالفكاهة والنادر محبا للظرفاء وكان يلتزم خدمته المضحك المشهور بالزرافة و يحضره معه ولعبوا فى مجلس سليمان لعبة أفضوا فيها الى أن تقسموا اثنين اثنين كل شخص ورفيقه فقال سليمان ومن يكون رفيقى فقال له المضحك يا مولاى وهل يكون رفيق الغزال الا الزرافة فضحك منه على عادته ودخل عليه وهو قاعد فى رحبة قصره وقد أطل عذاره فقال له ما تطلب الزرافة فقال ترعى الحشيش وأشار الى عذاره فقال له اعزب لعنك الله ومر سليمان به يوما وهو سكران وقد أوقف ذكره وجعل يقول له ماذا رأيت فى القيام فى هذا الزمان أما رأيت كل ملك قام كيف خلع وقتل والله انك سيئ الرأى فقال له سليمان وبم لقبت هذا الثائر فقال يا مولاى بصفته القائم فقال و يحتاج الى خاتم فقال نعم و يكون خاتم سليمان فقال له أخزاك الله ان الكلام معك لفضيحة * وقال سعيد بن محمد المروانى وقد هجره المنصور بن أبى عامر مدة لكلام بلغه عنه فدخل والمجلس غاص وأنشد

مولاى مولاى أما آن أن * تريحنى بالله من هجركا
وكيف بالهجر وأنى به * ولم أزل أسبح فى بحركا

فضحك ابن أبى عامر على ما كان يظهره من الوقار وقام وعانقه وعفا عنه وخلع عليه وله

والبدر فى جو السماء قد انطوى * طرفاه حتى عاد مثل الزورق
فتراه من تحت المحاق كانما * غرق الكثير وبعضه لم يغرق

وهو مأخوذ من قول ابن المعتز

ان شئت فاتاه الاشعث فسأله فقال له معاوية نرجع نحن وأنتم الى كتاب الله والى ما امر به فى كتابه تبعثون منكم رجلا ترضونه وتختارونه ونبعث برجل ونأخذ عليهما العهد والميثاق ان يعملا بما فى الكتاب ولا يخرجا عنه وننقاد جميعا الى ما اتفقا عليه من حكم الله فصوب الاشعث قوله وانصرف الى على فاخبره بذلك فقال اكثر الناس رضينا وقبلنا وسمعنا واطعنا فاختار اهل الشام عمرو بن العاص وقال الاشعث ومن ارتد بعد ذلك الى راى الخوارج رضينا نحن بابى موسى الاشعرى فقال على قد عصيتمونى فى اول الامر فلا تعصونى الآن انى لا ارى ان اولى ابا موسى الاشعرى فقال الاشعث ومن معه لا نرضى الا بابى موسى الاشعرى قال ويحكم ليس بثقة قد فارقنى وخذل الناس وفعل كذا وكذا وذكر اشياء فعلها ابو موسى ثم انه هرب شهورا حتى امنته ليكن هذا عبد الله بن عباس اوليه ذلك فقال الاشعث واصحابه والله لا يحكم فينا مضرى قال على فالاشتر قالوا وقد هاج هذا الامر الا الاشتر قال فاصنعوا الآن ما اردتم وافعلوا ما بدا لكم ان تفعلوه فبعثوا الى ابى موسى وكتبوا له القضية

(ذكر الحكمين وبدء التحكيم)

كان ابو موسى الاشعرى يحدث قبل وقعة صفين ويقول ان الفتن لم تزل فى بنى اسرائيل ترفعهم وتخفضهم حتى يبعثوا الحكمين يحكمان بما لا يرضى به من اتبعهما فقال سويد بن علقمة اياك ان ادركت ذلك الزمان أن تكون احد الحكمين قال انا قال نعم انت فكان يخلع قميصه ويقول لاجعل الله لى اذا فى السماء مصعدا ولا فى الارض مقعدا فلقيه سويد بن علقمة بعد ذلك فقال يا ابا موسى اتذكر مقالتك قال سل ربك العافية وكان فيما كتب فى الصحيفة أن يحيى الحكمان ما احيا القرآن ولا يتبعان الهوى ولا يداهنان فى شئ من ذلك فان فعلا فلا حكم لهما والمسلمون من حكمهما برآء وقال على للحكمين حين اكره على امرهما ورد الاشتر وكان قد اشرف فى ذلك اليوم على الفتح فاخبره مخبر بما قالوا فى على وانه لم يرده سلم الى معاوية وفعل به ما فعل بابن عفان فانصرف الاشتر خوفا على على على ٢ ان تحكما بما فى كتاب الله وكتاب الله كله لى فان لم تحكما بما فى كتاب الله فلا حكم لكما وصيروا الاجل

وانظر اليه كزورق من فضة * قد أثقلته حمولة من عنبر

وقال قاسم بن محمد المروانى يستعطف المنصور بن أبى عامر وقد سجنه لقول صدر عنه

ناشدتك الله العظيم وحقه * فى عبدك المتوسل المتحرم
بوسائل المدح المعاد نشيدها * فى كل مجمع كوكب أو موسم
لا تستبيح منى حمى ارعى له * يا من يرى فى الله أحمى محتمى

وقال الاصم المروانى يمدح أمير المؤمنين عبد المؤمن بن على بجبل الفتح معارضا بائية أبى تمام * السيف أصدق انباء من الكتب * بقصيدة طويلة منها

ما للعدا جنة أوقى من الهرب * أين المفر وخيل الله فى الطلب
وأين يذهب من فى رأس شاهقة * اذا رمته سماء الله بالشهب

ومنها وطود طارق قد حل الامام به * كالطور كان لموسى أيمن الرتب
لو يعرف الطود ما غشاه من كرم * لم يبسط النور فيه الكف للسحب
ولو تيقن بأس حل ذروته * لصار كالعين من خوف ومن رهب
منه يعاود هذا الفتح ثانية * أضعاف ما حدثوا فى سالف الحقب
و يلبس الدين غضا ثوب عزته * كأن أيام بدر عنه لم تغب

وقال فى نارنجة

وبنت أيك دنا من لثمها قزح * فصار منه على أرجائها اثر
يبدو لعينيك منها منظر عجب * زبرجد ونضار صاغه المطر
كأن موسى نبى الله اقبسه * نارا وجر عليها كفه الخضر

وقال وشادن قلت له صف لنا * بستاننا هذا ونارنجنا
فقال لى بستانكم جنة * ومن جنى النارنج نار اجنى

وقال فى زلبانى

لله سفاح يد الى مسحرا * فأفاد علم الكيميا بيمينه
ذهبت فضة خده بلواحظى * وكذاك تفعل ناره بجبينه

وقال وقد نزل فى فندق لا يليق بمثله

يا هذه لا تفندينى * أن صرت فى منزل هجين
فليس قبح المحل عما * يقدح فى منصبى ودينى
فالشمس علوية ولكن * تغرب فى حمأة وطين

وقال احمد المروانى

حلفت بمن رمى فأصاب قلبى * وقلبه على جمر الصدود
لقد اودى تذكره بقلبى * ولست أشك أن النفس تودى
فقيد وهو موجود بقلبى * فوا عجبا لموجود فقيد

وقال الاصبغ القرشى يرثى ابن شهيد وهو من اصحابه

ايا من به كان السرور مواصلا * واسلم قلبى للصبابة والفكر

ومنها لعمرك ما يجدى النعيم اذا نات * وجوههم عنى ولا صحة العمر

وقال سليمان بن عبد الملك الاموى

وذى جدل اطال القول منه * بلا معنى وقد خفى الصواب
فقلت اجبه فازداد ردا * فقلت له قد ازدحم الجواب
ولم ار غير صمتى من مريح * اذا ما لم يفد فيه الخطاب

وقال ابو يزيد بن العاصى

عابه الحاسد الذى لام فيه * أن رأى فوق خده جدريا
انما وجهه هلال تمام * جعلوا برقعا عليه الثريا

وله اذا شئت ان يصفو صديقك فاطرح * نزاع الذى بيديه فى الهزل والجد
وان كنت من اخلاقه فى جهنم * فأنزله من مثواك فى جنة الخلد
الى ان يتيح الله من لطف صنعه * فراقا جميلا فاجعل العذر فى البعد

وليكن هذا آخر ما نورده من كلام بنى مروان رحمهم الله تعالى * ولنرجع الى اهل الاندلس جملة فنقول ام ابو الحجاج المنصفى ان يكتب على قبره

قالت لى النفس اتاك الردى * وانت فى بحر الخطايا مقيم
هلا ادخرت الزاد قلت اقصرى * لا يحمل الزاد لدار النعيم

وقد ذكرنا هذين البيتين فى غير هذا الموضع * وقال ابن مرج الكحل اجتمعنا فى حانوت بعض الاطباء باشبيلية فاضجرناه بكثرة جلوسنا عنده وتعذرت المنفعة عليه من أجلنا فأنشدنا

خففوا عنا قليلا * رب ضيق فى براح
هل شكوتم من سقام * أو جلسنا للصحاح

فأضفت اليهما ثالثا وأنشدته اياها على سبيل المداعبة

ان أتيتم فقرادى * ذاك حكم المستراح

ودخل محمد بن غانم بن وليد مجلس باديس بن حبوس فوسع له على ضيق كان فيه فقال

صيغ فؤادك للحبوب منزلة * سم الخياط مجال للحبين
ولا تسامح بغيضا فى معاشرة * فقلما تسع الدنيا بغيضين

ودخل على أبى جعفر اللمائى بعض أصحابه عائدا فى علته التى مات فيها وجعل يروح عليه بمروحة فقال أبو جعفر على البديهة

روحنى عائدى فقلت له * لا لا تزدنى على الذى أجد
أما ترى النار وهى خامدة * عندهبوب الرياح تتقد

وقال الاعلم ليكن محفوظك من النظم مثل قول ابن القبطرنة

دعاك خليلك واليوم طل * وعارض وجه الثرى قد بقل
لقدرين فاحا وشمامة * وابريق راح ونعم المحل
ولو شاء زاد ولكنه * يلام الصديق اذا ما احتفل

وقال أبو عامر بن نيق الشاطبى

وكان الوقت الذى كتبت فيه الصحيفة لايام بقين من صفر سنة سبع وثلاثين وقيل بعد هذا الشهر منها وامر الاشعث بالصحيفة يقرؤها على الناس فرحا مسرورا حتى انتهى الى مجلس لبنى تميم فيه جماعة من زعمائهم منهم عروة ابن الزبير التميمى وهو أخو بلال الخارجى فقرأها عليهم فجرى بين الاشعث و بين أناس منهم خطب طويل وان الاشعث كان بدء هذا الامر والمانع لهم من قتال عدوهم حتى يفيئوا الى أمر الله وقال عروة بن أدية انما تحكمون فى دين الله وأمره ونهيه الرجال لا حكم الا لله فكان أول من قالها وحكم بها وقد تنوزع فى ذلك وشد سيفه على الاشعث فضم فرسه عن الضربة فوقعت فى عجز الفرس ونجا الاشعث وكادت العصبية أن تقع بين النزارية واليمانية لولا اختلاف كلمتهم فى الديانة والتحكيم وفى فعل عروة ابن أدية بالاشعث يقول رجل من بنى تميم فى أبيات عرويا عرو كل فتنة قوم
سلفت انما تكون فتيه
ثم تنمى و يعظم الخطب فيها
فاحذرن غب ما أتيت عريه

٤٣ ط نى أعلى الاشعث المعصب بالتا * ج حملت السلاح يا ابن اديه انها فتنة كفتنة ذى الخـ ـل ياعروة العصا والعصيه

ما أحسن العيش لو أن الفتى أبدا * كالبدر يرجو تماما بعد نقصان
اذا سبيل الى تخليـــــد مأثرة * اذا سبيل الى تخليـــد جثمان

وقال أبو الحسن الاورقى

عجبا لمن طلب المحا * مدوهو يمنع ماليه
ولباســـــط آماله * للخير لم يبسط يديه
لم لا أحب الضيف أو * أرتاح من طرب اليه
والضيف يأكل رزقه * عندى و يحمدنى عليه

وقال أبو عيسى بن لبون وهو من قوّاد المأمون بن ذى النون

نفضت كفى من الدنيا وقلت لها * اليك عنى فانى الحق أغتبن
من كسر بيتى لى روض ومن كتبى * جليس صدق على الاسرار مؤتمن
أدرى به ما جرى فى الدهر من خبر * فعنده الحق مسطور ومختزن
وما مصابى سوى موتى و يدفننى * قوم وما لهـــم علم بمن دفنوا

وقال أبو عامر بن الحمار

ولى صاحب أحنو عليه وانه * ليوجعنى حينا فلا أتوجع
أقيم مكانى ما جفانى وربما * يسائلنى الرجعى فلا اتمنع
كأنى فى كفيه غصن اراكة * تميل على حكم النسيم وترجع

وقال أبو العباس بن السعود

تبا لقلب عن الاحباب منصرف * يهوى أحبته ما خالس النظرا
مثل السجنجل فيه الشخص تبصره * حتى اذا غاب لم يترك به أثرا

ومرض أبو الحكم بن علندة فعاده جماعة من أصحابه فيهم فتى صغير السن فوفاه من بره ما أوجب تغيرهم فقطن لذلك وأنشدهم ارتجالا

تكثر من الاخوان للدهر عدة * فكثرة در العقد من شرف العقد
وعظم صغير القوم وابد أبحقه * فمن خنصرى كفيك تبدأ بالعقد

وقال القاضى أبو موسى بن عمران

ما للتجارب من مدى * والمرء منها فى ازدياد
قد كنت أحسب ذا العلا * من حاز علما واستفاد
فاذا الفقيه بغير ما * ل كالحمام بلا عماد
شرف الفتى بنضاره * ان الفقير أخو الجماد
ما العلم الا جوهر * قد بيع فى سوق الكساد

وقال أبو بكر بن الجزار السرقسطى

اياك من زلل اللسان فانما * عقل الفتى فى لفظه المسموع
والمرء يختبر الاناء بنقره * ليرى الصحيح به من المصدوع

وقال أبو عامر أحمد بن عبد الملك بن شهيد تناول بعض أصحابنا نرجسة فركبها فى وردة ثم دفعها

فانظر اليوم ما يقول على

واتبعه فذاك خير البريه وقد تنوزع فى مقدار من قتل من اهل الشام والعراق

بصفين فذكر احمد بن الدورقى عن يحيى بن معين ان عدة من قتل بها من الفريقين فى مائة يوم وعشره ايام مائة الف وعشرة آلاف من الناس من اهل الشام تسعون ألفا ومن اهل العراق عشرون الفا ونحن نذهب الى ان عدد من حضر الحرب من اهل الشام بصفين اكثر مما قيل فى هذا الباب وهو خمسون و مائة الف مقاتل سوى الخدم والاتباع وعلى هذا يجب ان يكون مقدار القوم جميعا من قاتل منهم ومن لم يقاتل من الخدم وغيرهم ثلثمائة الف بل اكثر من ذلك لان اقل من فيهم معه واحد يخدمه وفيهم من معه الخمسة والعشرة من الخدم و الاتباع واكثر من ذلك واهل العراق كانوا فى عشرين ومائة الف مقاتل دون الاتباع والخدم واما الهيثم ابن عدى الطائى وغيره مثل الشرقى بن القطامى وابى مخنف لوط بن يحيى فذكروا ما قدمناه وهو أن جملة من قتل من الفريقين جميعا سبعون الفا من اهل الشام خمسة واربعون الفا ومن اهل العراق خمسة وعشرون الفا فيهم خمسة وعشرون بدريا وان العدد كان يقع بالقضيب

الى

الى والى صاعد وقال قولا فأبهمت دوننا ابواب القول فدخل الزبير وكان اميا لا يذكر من الكلام الا ما علق بنفسه فى المجالس وينفذ مع هذا فى المطولات من الاشعار فأشعر بأمرنا فجعل يقول دون رويه

فالليل بين قداعيتهما * مليحة من ملح الجنه
نرجسة فى وردة ركبت * كقلة تطرف فى وجنه

وقال ابو محمد بن حزم فى طوق الحمامة

خلوت بها والراح ثالثة لنا * وجنح ظلام الليل قد مدواعتلج
فتاة عدمت العيش الا بقربها * فهل فى ابتغاء العيش ويحك من حرج
كانى وهى والكاس والخمر والدجا * حيا وثرى والدر والتبر والسبج

قال وهذه خمس تشبيهات لا يقدر أحد على أكثر منها اذ تضيق الاعاريض عنه قال أبو عامر ابن مسلمة ولا أذكر مثلها الا قول بعض

فأمطرت لؤلؤا من نرجس فسقت * ورد او عضت على العناب بالبرد

الا انه لم يعطف خمسة على خمسة كما صنع ابن حزم بل اكتفى بالعاشر فى التشبيهات قال ومن أغرب ما وقع لى من التشبيهات فى بيت قول ابن برون الاكشونى الاندلسى يصف فرسا وردا اغر محجلا

فكأن غرته وتحجيلاته * خمس من السوسان وسط شقائق

قال وهذا على التحقيق ستة على ستة ولم أسمع بمثله لاحد قال ابن الجلاب وكلام ابى عامر هذا لا يخلو من النقد * وقال ابن صارة

انظر الى البدر واشراقه * على غدير موجه يزهر
كشحذ من جمر أخضر * خط عليه ذهب أحمر

وقال أبو القاسم بن العطار الاشبيلى

ركبنا سماء النهر والجو مشرق * وليس لنا الا الحباب نجوم
وقد ألبسته الايك بردا ظلالها * وللشمس فى تلك البرود رقوم

وقال ابن صارة

والنهر قد رقت غلالة صبغه * وعليه من ذهب الاصيل طراز
تترقرق الامواج فيه كانها * عكن الخصور تضمها الاعجاز

وقال سهل بن مالك

ورب يوم وردنا فيه كل منى * وقل فى مثل ذاك اليوم أن نردا
فى روضتين بشطى سلسل شبم * كما اجتليت من المحبوب مفتقدا
يبدد القطر فى أثنائه حلقا * فتنظم الريح منها فوقه زردا

وقال ابن صارة

انظر النهر فى رداء عروس * صبغته بزعفران العشى
ثم لما هب النسيم عليه * هز عطفيه فى دلاص الكمى

يعرف ومن لا يعرف وفيهم من غرق وفيهم من قتل فى البر فاكلته السباع فلم يدركهم الاحصاء وغير ذلك مما يعسر ما وصفنا

وسمعت امراة بصفين وقد قتل لها ثلاثة اولاد وهى تقول

اعينى جودا بدمع سرب * على فتية من خيار العرب
وماضرهم غير جنى النفوس * باى امرئ من قريش غلب

ولما وقع التحكيم تباغض القوم جميعا يتبرأ الاخ من اخيه والابن من ابيه وامر على بالرحيل لعلمه باختلاف الكلمة وتفاوت الرأى وعدم النظام لامورهم وما لحقه من الخلاف منهم وكثرة التحكيم فى جيش أهل العراق وتضارب القوم بالمقارع وتعاول السيوف وتسابوا ولام كل فريق منهم الآخر فى رأيه وسار على يؤم الكوفة ولحق معاوية بدمشق من أرض الشام وفرق عساكره فلحق كل جند منهم ببلده ولما دخل على رضى الله عنه الكوفة انحاز عنه اثنا عشر ألفا من القراء وغيرهم فلحقوا حروراء قرية من قرى الكوفة وجعلوا عليهم شبيب بن ربعى التميمى

وعلى صلاتهم عبد الله بن الكواء اليشكرى من بكر بن وائل فخرج على اليهم وكانت له معهم مناظرات فدخلوا جميعا

وهب بن جابر بن حازم عن الصلت بن بهرام قال لما قدم على الكوفة جعلت الحرورية تناديه وهو على المنبر جزعت من البلية ورضيت بالقضية وقبلت الدنية لاحكم الا لله فيقول حكم الله أنتظر فيكم فيقولون ولقد أوحى اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين فيقول على فاصبر ان وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون * وفى سنة ثمان وثلاثين كان التقاء الحكمين بدومة الجندل وقيل بغيرها على ما قدمنا فى وصف التنازع فى ذلك وبعث على بعبد الله بن العباس وشريح بن هانئ الهمدانى فى أربعمائة رجل فيهم ابو موسى الاشعرى وبعث معاوية بعمرو بن العاص ومعه شرحبيل ابن الصمة فى اربعمائة فلما تدانى القوم من الموضع الذى كان فيه الاجتماع قال ابن عباس لابى موسى ان عليا لم يرض بك حكما لفضل غيرك والمتقدمون عليك كثير وان الناس أبوا غيرك وانى لاظن ذلك لشر يراد بهم وقد ضم داهية العرب معك ان نسيت فلا تنس أن عليا بايعه الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان وليس فيه خصلة فقد

ولبعضهم فى شكل يرمى الماء مجوفا مثل الخباء وتمزقه الريح أحيانا

ومطنب للماء ما أوتاده * الانتائج فكرطب حاذق
لعبت به أيدى الصبا فكانها * أيدى الصبابة بالفؤاد العاشق

وقال صفوان بن ادريس يصف تفاحة فى ماء

ولم أر فيما تشتهى العين منظرا * كتفاحة فى بركة بقرار
يفيض عليها ماؤها فكانها * بقية ند فى اخضر عذار

وقال أبو جعفر بن وضاح فى دولاب

ويا كية والروض يضحك كلما * ألحت عليه بالدموع السواجم
بروقك منها ان تأملت نحوها * زئير اسود والتفاف أراقم
تخلص من ماء الغدير سبائكا * فتنبتها فى الروض مثل الدراهم

وقال الوزير ابن عمار

يوم تكاثف غيمه فكانه * دون السماء دخان عود أخضر
والطل مثل برادة من فضة * منثورة فى تربة من عنبر
والشمس احيانا تلوح كانها * أمة تعرض نفسها للمشترى

وقال أبو الحسن بن سعد الخير

لله دولاب يفيض بسلسل * فى روضة قد ابتعت افنانا
قد طارحته بها الحمائم شجوها * فيجيبها ويرجع الالحانا
فكانه دنف يدور بمعهد * يبكى ويسأل فيه عمن بانا
ضاقت مجارى طرفه عن دمعه * فتفجرت اضلاعه اجفانا

وقال ابن ابى الخصال

وورد جنى طالعتنا خدوده * يشير ونشر بيعثان على السكر
وحف ترنجان به فكانه * خدود العذارى فى مقانعها الخضر

وقال ابن صارة

يارب نارنجة يلهو النديم بها * كانها كرة من احمر الذهب
أو جذوة حملتها كف قابسها * لكنها جذوة معدومة اللهب

وقال الخفاجى

ومياسة تزهو وقد خلع الحيا * عليها حلى حمرا وارديه خضرا
يذوب بها ريق الغمامة فضة * و يجمد فى اعطافها ذهبا نضرا

وقال ابن صارة ايضا

ونارنجة لم يدع حسنها * لعينى فى غيرها مذهبا
فطورا ارى ذهبا مضرما * وطورا ارى سفنا مذهبا

وقال ابن وضاح فى السرو

اياسرو لا يعطش منابتك الحيا * ولا يدع عن اعطافك الخضر النضر

فقد كسيت منك الجذوع عمثل ما * تلف على الخطى راياته الخضر

وقال ابو اسحق الخولانى

نيلوفر شكله كشكلى * يعوم فى بحر الدموع
قد البست عطفه دروعا * خود لريح الصبا شموع
يلوح اذ لونه كلونى * من فوق فضفاضة هموع
مثل مسامير مذهبات * فى حلقات من الدروع

وقال ابن الابار

وسوسنات ارت من حسنها بدعا * ولم يزل عصر مولانا يرى بدعه
شبيهة بالثريا فى تألفها * وفى تألقها تلتاح ملتمعه
هامت بيمناه تبغى أن تقبلها * واستشرفت تجتلى مرآه مطلعه
ثم انثنى بعضها من بعضها غلبا * على البدار فوافت وهى مجتمعه

ورفع هذه الابيات الى الامير أبى يحيى زكريا

وقال حازم

لانور يعدل نور اللوز فى أنق * وبهجة عند ذى عدل وانصاف
نظام زهر يظل الدر منتثرا * عليه من كل هامى القطر وكاف
بيضا ترى وهى أصداف لدر حيا * بيض غدت درر افى خضر أصداف

وقال ابن سعد الخير فى رمانة

وساكنة فى ظلال الغصون * بروض بروقك أفنانه
تضاحك أترابها فيه اذ * غدا الجو تدمع أجفانه
كما فتح الليث فاه وقد * تضرج بالدم أسنانه

وقال ابن نزار الوادى آشى

ورمانة قد فض عنها ختامها * حبيب أعار البدر بعض صفاته
فكسر منها نهد عذراء كاعب * وناولنى منها شبيه لداته

وقال بعضهم فى القراسيا ويقال له بالمغرب حب الملوك

ودوح تهدل اشطانه * رعى الدهر من حسنه ما اشتهى
فما احمر منه فصوص العقيق * وما اسود منه عيون المها

وقال بعضهم

وأين معاهد للحسن فيها * وللانس التقاء البهجتين
وللاوتار والاطيار فيها * لدى الاسحار أطرب ساجعين
فكم بدر تجلى من رباها * ومن بطحائها فى مطلعين
وأغصان يرتعى من تلعثيها * ومن ثمر القلوب بمرتعين
اذا أهوى لسوسنة يمينا * عجبت من التقاء السوسنين
وكم يوم توشح من سناه * ومن زهراتها فى حلتين

حين فارقه وهو يريد الاجتماع بابى موسى فقال يا اباعبد الله ان أهل العراق قد أكرهوا عليا على أبى موسى وأنا وأهل الشام راضون بك وقد ضم اليك رجل طويل اللسان قصير الرأى فأخذ الجد وطبق المفصل ولا تلقه برأيك كله ووافاهم سعد ابن أبى وقاص وعبد الله ابن عمر وعبد الرحمن بن يغوث الزهرى والمغيرة بن شعبة الثقفى وغيرهم وهؤلاء ممن قعد عن بيعة على فى آخرين من الناس وذلك فى شهر رمضان فلما التقى أبو موسى وعمرو قال عمرو لابى موسى تكلم وقل خيرا فقال أبو موسى بل تكلم انت يا عمرو فقال عمرو ما كنت لافعل واقدم نفسى قبلك ولك حقوق كلها واجبة لسنك وصحبتك رسول الله صلى الله عليه وسلم وانت ضيف فحمد الله ابو موسى واثنى عليه وذكر الحديث الذى حل بالاسلام والخلاف الواقع باهله ثم قال يا عمرو هلم الى امر يجمع الله فيه الالفة ويلم الشعث ويصلح ذات البين فجزاه عمرو خيرا وقال ان للكلام اول وآخرا ومتى تنازعنا الكلام

حطبا لم نبلغ آخره حتى ننسى اوله فاجعل ما كان من كلام نتصادر عليه فى كتاب يصير اليه امرنا قال فاكتب فدعا

وراح أصيله ما بين نهر * ودولاب يدور بمسمعين
بنهر كالسماء يجول فيه * سحائب من ظلال الدوحتين
تدرع للنواسم حين هزت * عليه كل غصن كالرديني
ملاعب في غرامي عند ذكرى * صباه وغضه المتلاعبين

وقال الوزير محمد بن عبد الرحمن بن هانئ

ياحرقة البين كويت الحشا * حتى أذبت القلب في أضلعه
أذكيت فيه النار حتى غدا * ينساب ذاك الذوب من مدمعه
ياسؤل هذا القلب حتى متى * تؤسي برشف الريق من منبعه
فان في الشهد شفاء الورى * لاسيما ان مص من مكرعه
والله يدني منكم عاجلا * ويبلغ القلب الى مطمعه

ولو لم يكن للاندلسيين غير كتاب شذور الذهب لكفاهم دليلا على البلاغة ومؤلفه هو علي ابن موسى بن علي بن محمد بن خلف أبو الحسن الانصاري الجياني نزيل فاس وولي خطابتها ولم ينظم أحد في الكيمياء مثل نظمه بلاغة معان وفصاحة ألفاظ وعذوبة تراكيب حتى قيل فيه ان لم يعلمك صناعة الذهب علمك الادب وفي عبارة بعضهم ان فاتك ذهبه لم يفتك أدبه وقيل فيه انه شاعر الحكماء وحكيم الشعراء وتوفي رحمه الله تعالى سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة * ولنذكر هنا نبذة من سرعة بديهة أهل الاندلس وان مر ت من ذلك جملة وستأتي أيضا زيادة على الجميع فنقول قال في بدائع البدائه ما صورته روى عبد الجبار بن حديس الصقلي قال صنع عبد الجليل بن وهبون المرسي الشاعر لنا نزهة بوادي اشبيلية فأقمنا فيه يومنا فلما دنت الشمس للغروب هب نسيم ضعيف غضن وجه الماء فقلت للجماعة أجيزوا * حاكت الريح مر الماء زرد * فاجازه كل منهم بما تيسر له فقال لي أبو تمام غالب بن رباح الحجاج كيف قلت يا أبا محمد * أعدت القسيم له فقال * أي درع لقتال لو جد * انتهى وقد ذكرنا في هذا الكتاب ما يخالف هذا فليراجع في محله ثم قال صاحب بدائع البدائه بعد ما سبق ما صورته وقد نقله ابن حديس الى غير هذا الوصف فقال

نثر الجو على الترب برد * أي در لنحور لو جد

فتناقض المعنى بذكر البرد وقوله لو جد اذ ليس البرد لا ما جده البرد اللهم الا أن يريد بقوله لو جد دام جوده فيصح و ينعقد عن التحقيق * ومثل هذا قول المعتمد بن عباد يصف فوارة

ولرب ساسلت لنا من مائها * سيفا وكان عن النواظر مغمدا
طبعته لجيا فزانت صفحة * منه ولو جدت لكان مهندا

وقد أخذت أنا هذا المعنى فقلت أصف روضا

فلو دام ذاك النبت كان زبرجدا * ولو جدت أنهاره كن بلورا

وهذا المعنى مأخوذ من قول علي التونسي الايادي من قصيدته الطائية المشهورة

ألؤلؤ قطر هذا الجو أم نقط * ما كان أحسنه لو كان يلتقط

وهذا المعنى كثير للقدماء قال ابن الرومي من قطعة في العنب الرازقي

عمرو بصحيفة وكاتب وكان الكاتب غلاما لعمرو فتقدم اليه ليبدأ به اولا دون ابي موسى لما اراد من المكر به ثم قال له بحضرة الجماعة اكتب فانك شاهد علينا ولا تكتب شيأ يأمرك به احدنا حتى تستأمر الآخر فيه فاذا امرك فاكتب واذا نهاك فانته حتى يجتمع رأينا اكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما تقاضى عليه فلان وفلان فكتب وبدأ بعمرو فقال له عمرو لا أم لك اتقدمني قبله كانك جاهل بحقه فبدأ باسم عبد الله ابن قيس وكتب تقاضيا على انهما يشهدان أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ثم قال عمرو نشهد ان ابا بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم عمل بكتاب الله وسنة رسول الله حتى قبضه الله اليه وقد ادى الحق الذي عليه قال ابو موسى اكتب ثم قال في عمر مثل ذلك ثم قال عمرو اكتب وان عثمان ولي هذا الامر بعد عمر على اجماع من المسلمين وشورى من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضا منهم وانه كان مؤمنا فقال ابو موسى الاشعري ليس هذا مما قعدناه قال عمرو والله لابد من ان يكون مؤمنا او كافرا قال ابو موسى اكتب قال عمرو فظلما قتل عثمان او مظلوما قال ابو موسى بل قتل مظلوما

لوانه يبقى على الدهور * قرط آذان الحسان الحور

قال علي بن ظافر وأخبرني من أثق به قال ركب المعتمد على الله أبو القاسم بن عباد للنزهة بظاهر اشبيلية في جماعة من ندمائه وخواص شعرائه فلما أبعد أخذ في المسابقة بالخيول فجاء فرسه بين الفرسانين سابقا فرأى شجرتين قد أينعت وزهت وبرزت منها ثمرة قد بلغت وانتهت فسدد اليها عصا كانت في يده فأصابها وثبتت على أعلاها فأطرب به ما رأى من حسنها وثباتها والتفت ليخبر به من لحقه من أصحابه فرأى ابن جامع الصباغ أول من لحق به فقال أجز * كانها فوق العصا * فقال * هامة زنجي عصى * فزاد طربه وسروره بحسن ارتجاله وأمر له بجائزة سنية * قال علي بن ظافر وأخبرني أيضا أن سبب اشتهار ابن جامع هذا ان الوزير ابا بكر بن عمار كان كثير الوفادة على ملوك الاندلس لا يستقر ببلدة ولا يستفزه عن وطره وطن وكان كثير التطلب لما يصدر عن ارباب المهن من الادب الحسن فبلغه خبر ابن جامع هذا قبل اشتهاره فمر على حانوته وهو آخذ في صناعة صباغته والنيل قد جرى على يديه ذيلا وأعادنهاره ما ليلا فأراد أن يعلم سرعة خاطره فأخرج زنده ويده بيضاء من غير سوء وأشار الى يده وقال كم بين رند وزند فقال ما بين وصل وصد فعجب من حسن ارتجاله ومبادرة العمل واستجماله وجذب بضبعه وبلغ من الاحسان اليه غاية وسعه وبلغني أيضا انه دخل سرقسطة فبلغه خبر يحيى القصاب السرقسطي فمر عليه ولحم خرفانه بين يديه فأشار ابن عمار الى اللحم وقال * لحم سباط الخرفان مهزول * فقال

* يقول للفلسفين مه زولوا * انتهى ولما صنع المتوكل على الله بن الافطس صاحب بطليوس هذا القسيم * الشعر خطة خسف * أرتج عليه فاستدعى أبا محمد عبد المجيد بن عبدون صاحب الرائية التي أولها * الدهر يفجع بعد العين بالاثر * وقد تكرر ذكره في هذا الكتاب وهو أحد وزراء دولته وخواص حضرته فاستجازه اياه فقال

لكل طالب عرف للشيخ عيبة عيب * وللفتى طرف ظرف وذكر ابن بسام في الذخيرة أن قائل القسيم الاول الاستاذ أبو الوليد بن ضابط وأن عبد المجيد أجازه ارتجالا وهو ابن ثلاث عشرة سنة وقد ذكرنا ما يقرب من ذلك في هذا الكتاب وقال ابن الغليظ المالقي قلت يوما للاديب أبي عبد الله بن السراج المالقي ونحن على جرية ماء أجز

شمر بنا على ماء كأن جريه * فقال بديها * بكاء محب بان عنه حبيب

فمن كان مشغوفا كثيبا بالفه * فاني مشغوف به وكثيب

وذكر ابن بسام في الذخيرة انه اجتمع ابن عبادة وابن القابلة السبتي بالمرية فنظر الى وسيم يسبح في البحر وقد تعلق بسكان بعض المراكب فقال ابن عبادة أجز

انظر الى البدر الذي لاح لك * فقال ابن القابلة * في وسط اللجة تحت الحلك *

قد جعل الماء سماء له * واتخذ الملك مكان الفلك

وقال ابو عامر بن شهيد لما قدم زهير الصقلي الى حضرة قرطبة من المرية وجه وزيره أبو جعفر ابن عباس الى لمة من أصحابنا منهم ابن بردو أبو بكر المرواني وابن الخياط والطبني فحضروا اليه فسألهم عني وقال وجهوا اليه فوافاني رسوله مع دابة بسرج حلي ثقيل فسرت اليه ودخلت

عمرو فهل تعلم لعثمان وليا اولى من معاوية قال ابو موسى لا قال عمرو افليس لمعاوية ان يطلب قاتله حيثما كان حتى يقتله او يعجز قال ابو موسى بلى قال عمرو للكاتب اكتب واملاه ابو موسى فكتب قال عمرو فانا نقيم البينة أن عليا قتل عثمان قال ابو موسى هذا أمر قد حدث في الاسلام وانما اجتمعنا لله فهلم الى أمر يصلح الله به أمة محمد قال عمرو وما هو قال ابو موسى قد علمت ان اهل العراق لا يحبون معاوية ابدا وان اهل الشام لا يحبون عليا ابدا فهل نخلعهما جميعا ونستخلف عبد الله بن عمرو كان عبد الله بن عمر على بيت ابي موسى قال عمرو افعل ذلك عبد الله بن عمر قال ابو موسى نعم اذا حمله الناس على ذلك فعل فعمد عمرو الى كل ما مال اليه ابو موسى فصوبه وقال له هل لك في سعد قال له ابو موسى لا وعدد له عمرو جماعة وابو موسى يأبى ذلك الا ابن عمر فاخذ عمرو الصحيفة وطواها وجعلها تحت قدمه بعد أن ختماها جميعا وقال عمرو ارايت ان رضي اهل العراق بعبد الله ابن عمرو ابى اهل الشام ايقاتل اهل الشام قال ابو موسى لا قال عمرو فان رضي اهل الشام وابى

المجلس وأبو جعفر غائب فتحرك المجلس لدخولي وقاموا جميعا الى حتى طلع ابو جعفر علينا ساحبا ذيلا لم أر أحدا سحبه قبله وهو يترنم فسلمت عليه سلام من يعرف قدر الرجال فرد ردا لطيفا فعلمت أن في أنفه نعرة لا تخرج الا بسعوط الكلام ولا تراض الا بمستحصد النظام ورأيت أصحابي يصيخون الى ترغه فقال لي ابن الخياط وكان كثير الانحاء على جالبا في المحاول ما يسوءه الى ان الوزير حضره قسيم وهو يسألنا اجازته فعلمت انى المراد فاستنشدته فأنشد * مرض الجفون ولثغة في المنطق * فقلت لمن حضر لا تجهدوا أنفسكم فما المراد غيري ثم أخذت الدواة فكتبت * سبيان جر اعشق من لم يعشق *

من لي بأنغ لا يزال حديثه * يذكي على الاحشاء جمرة محرق
ينبي فينبو في الكلام لسانه * فكانه من خمر عينيه سقي
لا ينعش الالفاظ من عثراتها * ولو انها كتبت له في مهرق

ثم قمت منهم فلم ألبث أن وردوا علي وأخبروني أن أبا جعفر لم يرض بما جئت به من البديهة وسألوني أن أحمل مكاوي العصاء على حتاره فقلت

أبو جعفر كاتب محسن * مليح سنا الخط حلو الخطابه
تعلا شحما ولحما وما * يليق تعلوه بالكتابه
له عرق ليس ماء الحياة * ولكنه رشح ماء الجنابه
جرى الماء في سفله جرى لين * فأحدث في العلو منه صلابه

وذكر الوزير أبو بكر بن اللبانة الداني في كتابه سقيط الدرر ولقيط الزهر أن المعتمد بن عباد صنع قبة في القبة المعروفة بسعد السعود فوق المجلس المعروف بالزاهي وهو سعد السعود يتيه فوق الزاهي * ثم استجاز الحاضرين فعجزوا فصنع ولده عبد الله الرشيد وكلاهما في حسنه متناهي *

ومن اغتدى سكا لمثل محمد * قد جل في العلياء عن الاشباه
لا زال يبلغ فيهما ما شاءه * ودهت عداه من الخطوب دواهي

وخرج القاضي الفقيه أبو الحسن علي بن القاسم بن محمد بن عشرة أحد رؤساء المغرب الاوسط في جماعة من أصحابه منهم محمد بن عيسى بن سوار الاشبوني ورجل يسمى بأبي موسى خفيف الروح ثقيل الجسم فجعل يعبث بالحاضرين بأبيات من الشعر يصنعها فيهم فصنع القاضي أبو الحسن معاتبا له * وشاعرا أثقل من جسمه * ثم استجاز ابن سوار فقال * تأتي معانيه على حكمه

يهجو فلا يهجى فهل عندكم * ظلامة تعدى على ظلمه
لسانه في هجوه حية * منية الحية في سمه
يصيب سر المرء في رميه * كأنما العالم في علمه
أما أبو موسى ففي كفه * عصا ابنه والسحر في نظمه

وفي المقتبس في تاريخ الاندلس أن الامير عبد الرحمن خرج في بعض أسفاره فطرقه خيال جاريته طروب أم ولده عبد الله وكانت أعظم حظاياه عنده وأرفعهن لديه لا يزال كلفا بها

هل العراق فيقاتل أهل العراق قال ابو موسى لا قال عمرو أما ذرأيت الصلاح في هذا الامر والخير للمسلمين فقام فاخطب الناس واخلع صاحبنا وتكلم يا عمرو هذا الرجل الذي تستخلف فقال ابو موسى بل ثبت قم فاخطب فانت أحق بذلك قال عمرو ما احب ان أتقدمك وما فعلت ولعلك للناس الا قول واحد فقم راشدا فقام أبو موسى فحمد الله واثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم قال ايها الناس انا قد نظرنا في امر نا فرأينا اقرب ما يحضرنا من الامن والصلاح لم الشعث وحقن الدماء وجمع الالفة خلعنا عليا ومعاوية وقد خلعت عليا كما خلعت عمامتي هذه واهوى الى عمامته فخلعها واستخلفا رجلا قد صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه وصحبه ابوه النبي صلى الله عليه وسلم فبرز في سابقته وهو عبد الله بن عمرو أطراه ورغب الناس فيه ونزل فقام عمرو فحمد الله واثنى عليه وصلى على رسوله صلى الله عليه وسلم ثم قال أيها الناس ان أبا موسى عبد الله ابن قيس خلع عليا وأخرجه من هذا الامر الذي يطلب وهو أعلم به الا واني خلعت عليا معه وأثبت معاوية على وعليكم وان أبا موسى قد كتب في الصحيفة أن عثمان

هائما بحبها فانثنى وهو يقول

شاقك من قرطبة السارى * فى الليل لم يدر به الدارى

ثم أتاه عبد الله بن الشمر نديمه فاستجازه كمال البيت فقال

زار خيالى ظلام الدجا * أحبب به من زائر سارى

وصنع الامير عبد الرحمن المذكور فى بعض غزواته قسيما وهو * نرى الذى مما يتقى فنهابه *

ثم ارتجل عليه وكان عبد الله بن الشمر نديمه وشاعره غائبا عن حضرته فأراد من يجيزه فأحضر بعض قواده محمد بن سعيد الزجالى وكان يكتب له فأنشده القسيم فقال

ومالانرى مما يتقى الله اكثر * فاستحسنه وأجازه وحمله استحسانه على أن استوزره وذكر ابن بسام أن المعتمد بن عباد أمر بصياغة غزال وهلال من ذهب فصيغا فاء وزنهما سبعمائة مثقال فأهدى الغزال الى السيدة ابنة مجاهد والهلال الى ابنه الرشيد فوقع له الى أن قال

بعثنا بالغزال الى الغزال * وللشمس المنيرة بالهلال

ثم أصبح مصطبحا وجاء الرشيد فدخل عليه وجاء الندماء والجلساء وفيهم أبو القاسم بن المرزبان فحكى لهم المعتمد البيت وأمرهم باجازته فبدر ابن المرزبان فقال

فذا سكنى أبوئه فؤادى * وذا نجلى أقلده المعالى

شغلت بذا الطلا خلدى ونفسى * ولكنى بذاك رخى بال

دفعت الى يديه زمام ملكى * محلى بالصوارم والعوالى

فقام يقرعينى فى مضاء * ويملك مسلكى فى كل حال

قد منا للعلاء ودام فينا * فانا للسماح وللنزال

ولما أنشد أبو القاسم بن الصيرفى قول عبد الله بن السمط

حار طرف تأملك * ملك أنت أم ملاك

قال بديها بل تعاليت وتبسة * فلك الارض والفلك

وذكر ابن بسام فى الذخيرة انه غنى يوما بين يدى العالى بالله الادريسى بمالقة بيت لعبد الله ابن المعتز

هل ترين البين يحتال * أن غدت للعين أجمال

فأمر الفقيه أبا محمد غانم بن الوليد المالقى باجازته فقال بديها

انما العالى امام هدى * حليت فى عصره الحال

ملك اقبال دولته * لذوى الافهام اقبال

قل لمن أكدت مطالبه * راحتاه الجاه والمال

وغنى أبو الحسن زرياب يوما بين يدى الامير عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل بهذين البيتين وهما لابى العتاهية

قالت ظلوم سمية الظلم * مالى رأيتك ناحل الجسم

يامن رمى قلبى بأقصده * أنت الخبير بموقع السهم

فقال عبد الرحمن هذان البيتان منقطعان فلو كان بينهما ما يوصلهما لكان أبدع فصنع

رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه وصحب أبوه النبى صلى الله عليه وسلم وأطراه ورغب الناس فيه وقال هو الخليفة علينا وله طاعتنا وبيعتنا على الطلب بدم عثمان فقال أبو موسى كذب عمرو لم نستخلف معاوية ولكنا خلعنا معاوية وعليا معا فقال عمرو بل كذب عبد الله بن قيس قد خلع عليا ولم يخلع معاوية (قال المسعودى رحمه الله) ووجدت فى وجه آخر من الروايات انهما اتفقا على خلع على ومعاوية وان يجعلا الامر بعد ذلك شورى يختار الناس رجلا يصلح لما فقدم عمرو أبا موسى فقال ابو موسى انى قد خلعت عليا ومعاوية فاستقبلوا أمركم وتنحى وقام عمرو من مكانه فقال ان هذا قد خلع صاحبه وأنا أخلع صاحبه كما خلعه واثبت صاحبى معاوية فقال أبو موسى مالك لا وفقك الله غدرت وفجرت انما مثلك كمثل الحمار يحمل أسفارا فقال له عمرو بل اياك يلعن الله كذبت وغدرت انما مثلك كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ثم وكزا با

موسى فألقاه لجنبه فلما رأى ذلك شريح بن هانئ قنع عمرا بالسوط وتحول أبو موسى فاستوى على

الى الكوفة وقد كانت خطته وأهله وولده بها وآلى أن لا ينظر الى وجه

عبيد الله بن قرناس بديها

فأجبتها والدمع منحدر * مثل الجمان وهى من النظم

فاستحسنه وأمر له بجائزة وذكر ابن بسام أيضا أن المعتمد بن عباد غنى بين يديه بقول ابن المعتز

وخمارة من بنات المجوس * ترى الزق فى بيتها شائلا
وزنارها ذهبا جامدا * فكانت لنا ذهبا سائلا

فقال بديها يجيزه

وقلت خذى جوهرا ثابتا * فقالت خذوا عرضا زائلا

وركب المعتمد فى بعض الايام قاصدا الجامع والوزير أبو بكر بن عمار يسايره فسمع أذان مؤذن فقال المعتمد

هذا المؤذن قد بدا باذانه * فقال ابن عمار يرجو بذاك العفو من رحمانه

فقال المعتمد

طوبى له من شاهد بحقيقة * فقال ابن عمار ان كان عقد ضميره كلسانه

وقال عبد الجبار بن حمديس الصقلى أقمت باشبيلية لما قدمتها على المعتمد بن عباد مدة لا يلتفت الى ولا يعبأ بى حتى قنطت لحبيبتى مع فرط تعبى وهممت بالنكوص على عقبى فانى لكذلك ليلة من الليالى فى منزلى اذ بغلام معه شمعة ومركوب فقال لى أجب السلطان فركبت من فورى ودخلت عليه فأجلسنى على مرتبة فتك وقال لى افتح الطاق التى تليك ففتحتها فاذا بكور زجاج على بعد والنار تلوح من بابيه وواقدة تفتحهما تارة وتدهما أخرى ثم دام سد أحدهما وفتح الآخر فحين تأملتهما قال لى أجز

أنظرهما فى الظلام قد نجما * فقلت كما رنا فى الدجنة الاسد

فقال يفتح عينيه ثم يطبقها فقلت فعل امرئ فى جفونه رمد

فقال فابتزه الدهر نور واحدة * فقلت وهل نجا من صروفه احد

فاستحسن ذلك وأمر لى بجائزة سنية وألزمنى خدمته وقد ذكرنا هذه الحكاية فى هذا الكتاب ولكن ما هنا أتم مساقا فلذلك نبهت عليه وذكر صاحب فرحة الانفس فى أخبار أهل الاندلس ان أمير المؤمنين عبد الرحمن الناصر جلس فى جماعة من خواصه ومعهم أبو القاسم لب وكان يعده للعون والتطايب فقال له اهج عبد الملك بن جهور يعنى أحد وزرائه فقال اخافه فقال لعبد الملك فاهجه أنت فقال أخاف على عرضى منه فقال اهجوه أنا وأنت ثم صنع لب أبو القاسم ذو لحية * كبيرة فى طولها ميل

فقال عبد الملك

وعرضها ميلان ان كسرت * والعقل مأبون ومخبول

فقال الناصر للب اهجه فقد هجاك فقال بديها

قال امين الله فى عصرنا * لى لحية أزرى بها الطول
وابن جهير قال قول الذى * مأكله القرضيل والفول

راحلته ولحق بمكة ولم يعد على ما بقى ومضى ابن عمر وسعد الى بيت المقدس وفى فعل الحكمين يقول ايمن ابن خريم بن فاتك الاسدى

لو كان للقوم رأى يعظمون به
عند الخطوب رموكم بابن عباس
لكن رموكم بوغد من ذوى يمن
لم يدر ما ضرب الخماس بالاسداس

وفى اختلاف الحكمين والحكمة يقول بعض من حضر ذلك

رضينا بحكم الله لا حكم غيره
وبالله ربا والنبى وبالذكر
وبالاصلع الهادى على امامنا
رضينا بذاك الشيخ فى العسر واليسر
رضينا به حيا وميتا فانه
امام الهدى فى موقف النهى والامر

ولابى موسى يقول ابن عباس

أبا موسى بليت وكنت شيخا
قريب العفو مخزون اللسان
وما عمرو صفاتك يا ابن قيس
ولا الله من شيخ يمانى
فامسيت العشية ذا اعتذار
ضعيف الركن منكوب العنان

تعض الكف من ندم وماذا * يرد عليك عض الكف للبنان وقيل انه لم يكن بينهما غير ما كتباه فى الصحيفة لولا

لولا حياتي من امام الهدى * نخست بالمنخس شو

ثم سكت فقال له الناصر هات تمام البيت فامتنع فقال له قولوا يعني تمام البيت كلمة فالها الناصر مسترسلا غير متحفظ من زيادة الواو وابدال الهاء واوا اذ صوابها قاله على حكم المشي مع الطبع والراحة من التكلف فقال اب يا مولانا أنت هبوته فغط الناصر والحاضرون وضحكوا وأمر له بجائزة والقرضيل شوك له ورق عريض تأكله البقر وقوله شو اسم الرجل بالرومية وقولوا اسم للاست بها فكأنه قال لولا حياتي من امام الهدى نخست بالمنخس الذي هو الذكر استه * وقال ابن ظافر اخبرني من اثق به قال اجتمع الوزير ابو بكر ابن القبطرنة والاستاذ ابو العباس بن صارة في يوم جلا ذهب برقه واذاب ورق ودقه والارض قد ضحكت لتعبيس السماء واهتزت وربت عند نزول الماء فترافدا في صفتها فقال ابن صارة

هذي البسيطة كاعب ابرادها * حلل الربيع وحليها النوار

فقال ابن القبطرنة

وكأن هذا الجو فيها عاشق * قد شفه التعذيب والاضرار

فقال ابن صارة

فاذا شكا فالبرق قلب خافق * واذا بكى فدموعه الامطار

فقال ابن القبطرنة

فمن اجل عزة ذا وذلة هذه * تبكي الغمام وتضحك الازهار

وقال ابو بكر محمد بن الزبيدي النحوي صاحب الشرطة يخاطب الوزير ابا الحسن جعفر بن عثمان المصحفي لما كتب كتابا له فيه فاضت نفسه بالضاد مبينا له الخطأ دون تصريح

قل للوزير السني محتده * لي ذمة منك انت حافظها
عناية بالعلوم معجزة * قد بهظ الاولين باهظها
يقر لي عمرها ومعمرها * فيها ونظامها وجاحظها
قد كان حقا قبول حرمتها * لكن صرف الزمان لافظها
وفي خطوب الزمان لي عظة * لو كان يثني النفوس واعظها
ان لم تحافظ عصابة نسبت * اليك قدما فمن يحافظها
لا تدعن حاجتي بطرحتها * فان نفسي قد فاظ فائظها

فاجابه المصحفي

خفض فواقا فانت أوحدها * علما ونقابها وحافظها
كيف تضيع العلوم في بلد * ابناؤها كلهم يحافظها
الفاظهم كلها معطلة * مالم يعول عليك لافظها
من ذا يساويك ان نطقت وقد * اقر بالعجز عنك حاظها
علم ثنى العالمين عنك كما * ثني عن الشمس من يلاحظها
وقد اتتني فديت شاغلة * للنفس أن قلت فاظ فائظها

يخطبا وذلك ان عمرا قال لابي موسى سم من شئت حتى أنظر معك فسمى أبو موسى ابن عمرو وغيره ثم قال لعمرو قد سميت أنا فسم أنت قال نعم اسمي لك أقوى هذه الامة عليها وأسدها رأيا واعلمها بالسياسة معاوية بن أبي سفيان قال لا والله ما هو لذلك باهل قال فاني لك باخر ليس هو بدونه قال من هو قال أبو عبد الله عمرو بن العاص قال فلما قالها علم ابو موسى أنه يلعب به فقال فعلتها لعنك الله فتسابا فلحق أبو موسى بمكة فلما انصرف أبو موسى انصرف عمرو بن العاص الى منزله ولم يأت الى معاوية فارسل اليه معاوية يدعوه فقال انما كنت أجيئك اذ كانت لي اليك حاجة فاما اذ كانت الحاجة الينا فانت أحق أن تأتينا فعلم معاوية ما قد وقع اليه فعند الرأي وأعمل الحيلة وأمر معاوية بطعام كثير فصنع ثم دعا بخاصته وموالية وأهله فقال اني سأغدو الى هذا فاذا دعوته فادعوا موالية وأهله فليجلسوا قبلكم فاذا شبع رجل وقام فليجلس رجل منكم مكانه فاذا خرجوا ولم يبق في البيت أحد فأغلقوا باب البيت واحذروا أن يدخل أحد منهم الا أن آمركم وغدا اليه معاوية وعمرو جالس

ولادعاه اليها فجاءه معاوية وجلس على الارض واتكأ على الفرش وذلك أن عمرا

فأوضحتها تغز بنادرة * قد بهظ الاولين باهظها

فاجابه الزبيدي وضمن شعره الشاهد على ذلك

اتاني كتاب من كريم مكرم * فنفس عن نفس تكاد تفيظ
فسر جميع الاولياء وروده * وسى رجال آخرين وغيظوا
لقد حفظ العهد الذي قد اضاعه * لدى سواه والكريم حفيظ
وباحثت عن فاظت وقبلي قالها * رجال لديهم في العلوم حظوظ
روى ذاك عن كيسان سهل وأنشدوا * مقال أبي الغياظ وهو مغيظ
وسميت غياظا ولست بغائظ * عدوا ولكن الصديق يغيظ
فلا رحم الرحمن روحك سية * ولاهي في الارواح حين تفيظ

قلت وفي خطاب الوزير بهذا البيت وان حكي عن قائله ما لا يخفى أن اجتنابه المطلوب على أنه قد يقال فاضت نفسه بالضاد كما ذكره ابن السكيت في خلل الالفاظ والله أعلم * وكتب الزبيدي المذكور الى أبي مسلم بن فهد

أبا مسلم أن الفتى بجنانه * ومقوله لا بالمراكب واللبس
وليست ثياب المرء تغني قلامة * اذا كان مقصورا على قصر النفس
وليس يفيد العلم والحلم والحجا * أبا مسلم طول القعود على الكرسي

وقال وقد استأذن الحكم المستنصر في الرجوع الى أهله باشبيلية ولم يأذن له فكتب الى جاريته سلمى

ويحك يا سلم لا تراعي * لابد للبين من زماع
لا تحسبيني صبرت الا * كصبر ميت على النزاع
ما خلق الله من عذاب * أشد من وقفة الوداع
ما بينها والحمام فرق * لولا المناحات والنواعي
ان يفترق شملنا وشيكا * من بعد ما كان ذا اجتماع
فكل شمل الى افتراق * وكل شعب الى انصداع
وكل قرب الى بعاد * وكل وصل الى انقطاع

واجتمع جماعة من الادباء فيهم أبو الحسن سهل بن مالك والمهر بن الفرس وغيرهما بمدينة سبتة سنة ٥٨١ فتذاكروا محبوبا لهم يسكن الجزيرة الخضراء أمامهم فقالوا ليقل كل واحد منكم شيأ فيه فقال سهل بن مالك

لما حططت بسبتة قتب النوى * والقلب يرجو أن يحول حاله
والجو مصقول الاديم كأنما * يبدي الخفي من الامور صقاله
عاينت من بلد الجزيرة ممكنا * والبحر يمنع أن يصاد غزاله
كالشكل في المرآة تبصره وقد * قربت مساقته وعز مناله

فقال الجماعة والله لا يقول أحد منا بعد هذا شيأ * ولما قرأ أبو محمد عبد الله بن مطروح البلنسي صداق املاك وغير فيه حال القراءة لفظة غير برفع ما كان منصوبا أو العكس أنشد

على فرشه فلم يقم له عنها كان يحدث نفسه انه قد ملك الامر واليه العهد يضعها فيمن يرى و يندب للخلافة من يشاء فجرى بينهما كلام كثير وكان مما قال له عمرو هذا الكتاب الذي بيني و بينه عليه خاتمي وخاتمه وقد اقر بأن عثمان قتل مظلوما فأخرج عليا من هذا الامر وعرض على رجالا لم أرهم أهلا لها وهذا الامر الى أستخلف من شئته قد أعطاني أهل الشام عهودهم ومواثيقهم فخادعه معاوية ساعة وأخرجه عما كانوا عليه وضاحكه وداعبه ثم قال يا أبا عبد الله هل من غداء قال أما والله شئ يشبع من ترى فلا فقال معاوية هلم يا غلام غداءك فجئ بالطعام المستعد فوضع فقال يا أبا عبد الله ادع مواليك وأهلك فدعاهم ثم قال له عمرو ادع أنت أصحابك قال نعم يأكل أصحابك ثم يجلس هؤلاء بعدهم فلما كلما قام رجل من حاشية عمرو قعد موضعه رجل من حاشية معاوية حتى خرج أصحاب عمرو وجلس أصحاب معاوية فقام الذي وكله بغلق الباب فاغلق الباب فقال له عمرو فعلتها فقال اي والله بيني و بينك أمر ان اخترأيهما شئت البيعة لي أو قتلك ليس والله غيرهما بديها

بديها بعد الفراغ معتذرا عن لحنه

غيرت غيرا فصرت عيرا * وهكذا من يجد سيرا

فأجابه الحافظ أبو الربيع بن سالم الكلاعي وكان الى جانبه بديهة

ما أنت ممن يظن فيه * بذاك جهل فظن خيرا

ووقف أبو أمية بن حدون بباب الاستاذ الشلوبين فكتب في ورقة أبو أمية بالباب ودفع الورقة لخادم الاستاذ فلما نظر اليها الاستاذ نون تاء أمية ولم يزد على ذلك وأمر الخادم بدفع الورقة اليه فلما نظر فيها أبو أمية انصرف علما منه أن الاستاذ صرفه فانظر الى فطنة الشيخ والتلميذ مع أن الشيخ منسوب الى التغفل في غير العلم * (ومن حكايات أهل الاندلس في العفو) أن المعتصم بن صمادح كان قد أحسن للنحلي البطليوسي ثم ان النحلي سار الى اشبيلية فمدح المعتضد بن عباد بشعر قال فيه

أبا دابن عباد البربرا * وأفنى ابن معن دجاج القرى

ونسي ما قاله حتى حل بالمرية فاحضره ابن صمادح لمنادمته وأحضر للعشاء موائد لبس فيها غير دجاج فقال النحلي يا مولاي ما عندكم في المرية غير الدجاج فقال انما أردنا أن نكذبك في قولك وأفنى ابن معن دجاج القرى فطار سكر النحلي وجعل يعتذر فقال له خفض عليك انما يتفق مثلك بمثل هذا وانما العتب على من سمعه فاحتمل منك في حق من هو في نصابه ثم أحسن اليه وخاف النحلي ففر من المرية ثم ندم فكتب الى المعتصم

رضا ابن صمادح فارقته * فلم يرضني بعده العالم

وكانت مريته جنة * فخشت بما جاءه آدم

فما زال يتفقده بالاحسان على بعد داره وخروجه عن اختياره انتهى * وقال في بلنسية أبو عبد الله الرصافي وقد خرج منها صاغرا

بلادي التي ربيت قو يدمتي بها * فريحا وآوتني قرارتها وكرا

مهادي ولين العيش في ريو الصبا * أبى الله أن أسمى اعتيادي بها خيرا

وقال أبو بكر محمد بن يحيى الشلطيشي

وفاة المرء سر لم يكاشف * ولم تثبت حقيقته درايه

سيفنى كل ذي شخص ونفس * وتلحق النهاية بالبدايه

وينصدع الجميع الى صدوع * تعود به البرية كالسرايه

كان مصائب الدنيا سهام * لها الايام أغراض الرمايه

فقل ما شئت ان الفقر بدء * وعش ما شئت ان الموت غايه

وقال أبو بكر محمد بن العطار البابسي وهو من رجال الذخيرة

أطيت عزمك منه متن سابحة * خلت الحباب على لباتها لبيا

تبدو على الموج أحيانا ويضمرها * كالعيس تعتسف الاهضاب والكثبا

وقال محمد بن الجيلي النحوي

وما الانس بالناس الذين عهدتهم * بأنس ولكن فقد رؤيتهم أنس

قلت لك قال فأولني اذا مصر

قال هي لك ما عشت فاستوثق كل واحد منهما من صاحبه وأحضر معاوية الخواص من أهل الشام ومنع أن يدخل معهم أحد من حاشية عمرو فقال لهم عمرو قد رأيت أن أبايع معاوية فلم أر أحدا أقوى على هذا الامر منه فبايعه أهل الشام وانصرف الى منزله خليفة ولما بلغ عليا ما كان من أمر أبي موسى وعمرو قال اني كنت تقدمت اليكم في هذه الحكومة ونهيتكم عنها فابيتم الا عصياني فكيف رأيتم عاقبة أمركم اذ أبيتم على والله اني لاعرف من حاكم على خلافي والترك لامري ولو أشاء أخذه لفعلت ولكن الله من ورائه يريد بذلك الاشعث بن قيس والله أعلم وكنت فيما أمرت به كما قال أخو بني خثعم

أمرتهم أمري بمنعرج اللوى * فلم يستبينوا الرشد الا ضحى الغد

من دعا الى هذه الخصومة فاقتلوه قتله الله ولو كان تحت عمامتي هذه الا أن هذين الرجلين الخاطئين اللذين اختبرتموهما حكمين قد تركا حكم الله وحكما بهوى أنفسهما بغير حجة ولا حق معروف فأماتا ما أحيا القرآن وأحييا

اذا سامت نفسي ودينى منهم * فحسبي أن العرض منى لهم ترس

وقال محمد بن حرب

طوبى لروضة جنة * لك قد نويت ورودها
نظمت على لباتها * أيدى الغمام عقودها
وسقت بماء الورد والـ * ـمسك الفتيت صعيدها
والطير تشدو فى الغصو * ن المائدات قصيدها
وتعير مع المستعـ * ـير تظيمها ونشيدها

وكان فى دار محمد بن اليسع شاعر الدولة العامرية وردة وكان يهدى وردها كل عام الى عارض الجيش أحمد بن سعيد فغاب العارض سنة فقال

قال لى الورد وقد لا * حظته فى روضتيه
وهو قد أينع طيبا * جمع الحسن لديه
أين مولاى الذى قد * كنت تهدينى اليه
قلت غاب العام فايأس * أن ترى بين يديه
فبدا يذبل حتى * ظهر الحزن عليه

وقال محمد بن أفلح

ما أستريح الى حال فاحمدها * بالبين قلبى وقبل البين قد ذهبا
ان كان لى أرب فى العيش بعدكم * فلا قضيت اذن من حبكم أربا

وقال أحمد بن توليد الكاتب

لم ارض بالذل وان قلا * والحر لا يحتمل الذلا
يا رب خل كان لى خامل * صار الى العزة ما خلا
حرمت المامى على بابه * ووصله لم أره حلا
تأبى على النفس من أن أرى * يوما على مستثقل كلا

وقال اسحق بن المنادم وقد أهدى له من بهواه تفاحة

مجال العين فى ورد الخدود * يذكرطيب جنات الخلود
وآرجة من التفاح تزهو * بطيب النشر والحسن الفريد
أقول لها وضمت المسك طيبا * فقالت لى بطيب أبى الوليد

وقال غالب بن عبد الله الثغرى

يا راحلا عن سواد المقلتين الى * سواد قلب عن الاضلاع قد رحلا
غدا الجسم وأنت الروح فيه فما * ينفك مرتحلا ما دمت مرتحلا
وللفراق جوى لو مر أبرده * من بعد فرقتكم بالماء لاشتعلا

وقال الوزير أبو الحسن بن الامام الغرناطى يهجو مراكش المحروسة

يا حضرة الملك ما اشهالك لى وطنا * لولا ضروب بلاء فيك مصبوب
ماء زعاق وجو كله كدر * وأكلة من بذنجان ابن معيوب

فتأهبوا للجهاد واستعدوا للمسير وأصبحوا فى عساكرهم ان شاء الله تعالى (قال المسعودى) وقد اختلفت الفرق من أهل ملتنا فى الحكمين وقالوا فى ذلك أقاويل كثيرة وقد اتينا على ماذهبوا اليه فى ذلك فى كتاب المقالات وماقاله كل فريق منهم ومن ايد قوله من الخوارج والمعتزلة والشيعة وغيرهم من فرق هذه الامة فى كتابنا فى المقالات فى اصول الديانات وذكرنا فى كتاب اخبار الزمان قول على فى مواقفه وخطبه وما قاله فى ذلك وما اكره عليه وما بينه لهم بعد الحكومة وما تقدم الحكومة من تحذيره اياهم منها حين الحوا فى تحكيم أبى موسى الاشعرى وعمرو حيث قال الا ان القوم قد اختاروا لانفسهم اقرب الناس مما يحبون وأخترتم لانفسكم اقرب الناس مما تكرهون انما عهدكم بعبد الله بن قيس بالامس وهو يقول الا انها فتنة فقطعوا فيها اوتاركم وكسروا قسيكم فان يك صادقا فقد اخطأ فى مسيره غير مستكره عليه وان يك كاذبا فقد لزمته التهمة وهذا كلام ابى موسى فى تخذيله الناس وتحريضه على الجلوس عن امير المؤمنين على فى حروبه ومسيره الى الجمل وغيره ثم ماقاله فى بعض

وابن معيوب هذا كان من خدام أبى العلاء بن زهر يزعم الناس انه سم ابن باجة لعداوته لابن زهر فى باذنجان * ولما بنى الفقيه أبو العباس بن القاسم قصره بسلا وشيده وصفته الشعراء وهنئته به ودعت له وكان بالحضرة حينئذ الوزير أبو عامر بن الحمار فلم يكن أعد شيأ فافكر قليلا ثم قال

يا أوحد الناس قد شيدت واحدة * هل فيها حلول الشمس فى الحمل
فما كدارك فى الدنيا الذى أمل * ولا كدارك فى الاخرى لذى عمل

وفيهم يقول ابى بقى فى موشحته الشهيرة التى آخرها

ان جئت أرض سلا * تلقاك بالمكارم فيدان
هم سطور العلا * ويوسف بن القاسم عنوان

وكان محمد بن عبادة بالمرية ومعه ابن القابلة السبتى فنظرا الى غلام وسيم يسبح وقد تعلق بسفينة فقال ابن عبادة

انظر الى البدر الذى لاح لك * فقال ابن القابلة فى وسط اللجة تحت الحلك
قد جعل الماء مكان السما * واتخذ الفلك مكان الفلك

وقال ابن خروف و يروى لغيره

أيتها النفس اليه اذهبى * فيه المشهور من مذهبى
مفتض الثغر له شامة * مسكية فى خده المذهب
أيأسنى التوبة من حبه * طلوعه شمسا من المغرب

واجتمع فى بستان ثلاثة من شعراء الاندلس وهم ابن خفاجة وابن عائشة وابن الزقاق فقال ابن خفاجة يصف الحال هنالك

لله نورية المحيا * تحمل نار ية الحيا
درنا بها تحت ظل دوح * قد راق مرأى وطاب ريا
تجسم النور فيه نورا * فكل غصن به ثريا

وقال ابن عائشة

ودوحة قد علت سماه * تطلع أزهارها نجوما
هفا نسيم الصبا علينا * فخلتها أرسلت رجوما
كانما الافق غار لما * بدت فاغرى بها النسيما

وقال ابن الزقاق

ورياض من الشقائق أضحت * يتهادى بها نسيم الرياح
زرتها والغمام يجلب منها * زهرات تريك لون الراح
قلت ماذنبها فقال مجيبا * سرقت حمرة الخدود الملاح

وقال الاديب أبو الحسن بن زنون وقع بيدى وأنا أسير بقيجاطة أعادها الله تعالى دار اسلام كتاب ترجمته كتاب التحف والظرف لابن عفيون فوجدت فيه قال الحسين ابن الضحاك

فى خلافته كلام كثير فقال وقد زعمت قريش أن ابن أبى طالب شجاع ولكن لا علم له بالحروب تربت أيديهم وهل فيهم أشد مراسا لها منى لقد نهضت فيها وما بلغت الثلاثين وها أنا ذا قد أربيت على نيف وستين ولكن لا رأى لمن لا يطاع (قال المسعودى) واذ قد تقدم ذكرنا الجمل من أخبار الجمل وصفين والحكمين فلنذكر الآن جوامع من أخبار يوم النهروان ونعقب ذلك بذكر مقتله عليه السلام وان كنا قد أتينا على مبسوط سائر ما تقدم لنا فى هذا الكتاب وما تأخر فيما سلف من كتبنا والله أعلم

(ذكر خروجه رضى الله عنه مع أهل النهروان وما لحق بهذا الباب من مقتل محمد ابن أبى بكر الصديق رضى الله عنه والاشتر النخعى وغير ذلك)

واجتمعت الخوارج فى أربعة آلاف فبايعوا عبد الله بن وهب الراسبى ولحقوا بالمدائن وقتلوا عبد الله بن خباب عامل على عليها ذبحوه وبقروا بطن امرأته وكانت حاملا وقتلوا غيرها من النساء وقد كان على انفصل عن الكوفة فى خمسة وثلاثين ألفا وأتاه من البصرة من

قبل ابن عباس وكان عامله
في سنة ثمان وثلاثين فنزل
على الانبار واتاه انيه
العساكر فخطب الناس
وحرضهم على الجهاد وقال
سيروا الى قتلة المهاجرين
والانصار قد طالما سعوا
في اطفاء نور الله وحرضوا
على قتل رسول الله صلى
الله عليه وسلم ومن معه
الا ان رسول الله امرني
بقتال القاسطين وهم
هؤلاء الذين سرنا اليهم
والناكثين وهم هؤلاء
الذين فرغنا منهم والمارقين
ولم نلقهم بعد فسيروا الى
القاسطين فهم أهم علينا
من الخوارج سيروا الى قوم
يقتلونكم كيما يكونوا
جبارين يتخذهم الناس
أربابا ويتخذون عباد الله
خولا ومالهم دولا فابوا الا
أن يبدؤا بالخوارج فسار
على اليهم حتى أتى النهروان
فبعث اليهم بالحرث بن مرة
العبدي رسولا يدعوهم
الى الرجوع فقتلوه وبعثوا
الى علي ان تبت من حكومتك
وشهدت على نفسك
بالكفر تبنا اليك وان ابيت فاعتزلنا
حتى نختار لانفسنا اماما
فانا منك برآء فبعث اليهم على
أن ابعثوا الي بقتلة اخواني
فأقتلهم ثم أثار كم الى ان
افرغ من قتال اهل المغرب ولعل الله يقلب قلوبكم فتبعثوا اليه كلنا قتلة أصحابك وكانا مستحل لدمائهم مشتركون وجثتهم

٣٥٢ عليها عشرة آلاف فيهم الاحنف بن قيس وحارثة بن قدامة السعدي و

ما كان أحوجني يوما الى رجل * في وسطه ألف دينار على فرس
في كفه حربة يفري الدروع بها * وصارم مرهف الحدين كالقبس
فلو رجعت ولم أظفر بمهجته * وقد خضبت ذباب الصارم الشكس
فلا اغتبطت بعيش وابتليت بما * يحول بيني وبين الشادن الانس

ووقف على هذه القطعة أبو نواس فقال

ما كان أحوجني يوما الى خنث * حلو الشمائل في باق من الغلس
في كمه قهوة يسبي النفوس بها * محكم الطرف للالباب مختلس
فلو رجعت ولم أظفر بتكته * وقد وريت من الصهباء كالقبس
فلا هنيت بعيش وابتليت بما * يكون منه صدود الشادن الانس
هذا الذي أشتهي من مني رجل * في وسطه ألف دينار على فرس

ووقف على ذلك الوزير أبو عامر بن نبق فقال

ما كان أحوجني يوما الى رجل * يرد الذكر في باق من الغلس
في حلقه غنة يشفي النفوس بها * وفي الحشا زفرة مشبوبة القبس
فلو رجعت ولم أوثر تلاوته * على سماع غناء الشادن الانس
فلا حمدت اذن نفسي ولا اعتمدت * بي النجائب قصد البيت ذي القدس
ولا أسلت لقبر المصطفى مقلا * تبكي عليه بهامي الدمع منبجس

قال ابن زنون فقلت وكل ينفق مما عنده ومن عجائب صنع الله تعالى انه عند فراغي من كتب
هذه القطعة وصل الفكاك الى وحل فيودي وأخرجني الى بلاد المسلمين وهي

ما كان أحوجني يوما الى رجل * يأتي فينبهني في فحمة الغلس
يفك قيدي وغلي غير مرتقب * ولا مبال من الحجاب والحرس
وقوله لي تأنيسا وتسلية * هذا سلاحي فالبسه وذا فرسي
فلو جبنت ولم أقبل مقالته * وأمتطي الطرف وثبا فعل مفترس
اذن خلعت لباس المجد من عنقي * وصار حظي منه حظ مختلس
وأخلفتني أمانيي التي طمعت * نفسي اليها واحسابي لكل مسي

وقال أبو بكر بن جيش وقد زاره بعض أوداته في يوم عيد مطر

أ كل ذا الاجمال في دا الجمال * لله أستحفظ ذاك الكمال
يا مالكا بالسبر رقي أما * يكفيك أن تملكني بالوصال
سرت الى ربعي زورا كما * سرى الى المهجور طيف الخيال
العيد لي وحدي بين الورى * حقا لاني قد رأيت الهلال
صومي مقبول وبرهانه * أني أدخلت جنان الوصال

وقال أبو بكر بن يوسف اللخمي وقد عاده في شكاية فتى وسيم من الاعيان كان والده
خطيب البلد

يا عائدي وهو أصل مابي * أفديك من ممرض طبيب
صميت لما رميت قلبي * بسهم ألحاظك المصيب

وجئتنى منكر السقمى * وتلك من عادة الحبيب
ياساعة قد غفرت فيها * ماكان للدهر من ذنوب
ما كان فى فضلها مثال * لولم تكن جلسة الخطيب

وخاطب أبو زيد بن أبى العافية أبا عبد الله بن العطار القرطبى بقصيدة منها هذا البيت

وكيف يفيق ذو صبر قصير * حليف وساوس حول طوال

يعرض له بطوله وحوله ولصاحبه محمد بن بلال بقصره فراجعه أبو عبد الله المذكور بهذه الابيات يعرض له فيها بجربه وكان أبو زيد أصابه جرب كثير

أجل يانافث السحر الحلال * أتانى منك نظم كاللآلى
يروقك أولا لفظا ومعنى * ويلدغ آخر الدغ الصلال
تعرض فيه أنك ذو مطال * حليف وساوس حول طوال
كأنك لم تجرب قط خلقا * ولم تعرف بتجربة الليالى
أأنسيت التجارب اذ تجارى * بهن الجرب باسمع الشمال
فلا تغفل عن التجريب يوما * ولو اعطيت فيه جراب سال
وجرب جار بيتك واختبره * وجرب جاره ان كان قالى
وجار بنيك لا تستحى منه * ومن تجار بابك لا تبالى
وأجربنا لك الجرباء تبصر * نجوم الافق تجرى بانتقال
وجرب أهل جربة تلف قوما * أبو البلس الجوارب والنعال
تجارا باعة تجروا بزيت * تسموا بالتجار بغير مال
اذا سمعوا بتمر فى جريب * جروا ببطالة التمر البوالى
اذا جربت هذا الخلق أبدى * لك التجريب أجربة خوالى
ترى بالنجح دهرا جر بؤسا * عليك وجار بالنوب الثقال

وخرج ثلاثة أدباء للنزهة خارج مرسية وصلوا خلف امام بمسجد قرية فاحطأ فى قراءته وسها فى صلاته فلما خرج أحدهم كتب على حائط المسجد

ياجلتى لصلاة * صليتها خلف جلف

فلما خرج الثانى كتب تحته

أغض عنها حياء * من المهيمن طرفى

فلما خرج الثالث كتب تحته

فليس تقبل منا * لو أنها ألف ألف

وقال أبو اسحق بن حنيف فى أحدب أحدم صبى فى خلوة فضربا وطيف بهما والاحدب معلق الصبى

رأيت اليوم محمولا * وأعجب منه من حمله
جمال الناس تحملهم * وهذا حامل جمله

وقال أبو الصلت الاندلسى

طبرستان فى هذا الوقت وهذا النهر عليه قنطرة تعرف بقنطرة طبرستان بين حلوان وبغداد من بلاد خراسان فقال على والله ما عبروه ولا يقطعونه حتى نقتلهم بالرميلة دونه ثم تواترت عليه الاخبار بقطعهم لهذا النهر وعبورهم هذا الجسر وهو يأبى ذلك ويحلف انهم لم يعبروه وان مصارعهم دونه ثم قال سيروا الى القوم فوالله لا يفلت منهم الا عشرة ولا يقتل منكم عشرة فسار على فاشرف عليهم وقد عسكروا بالموضع المعروف بالرميلة على ما قال لاصحابه فلما اشرف عليهم قال الله اكبر صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فتصاف القوم ووقف عليهم بنفسه فدعاهم الى الرجوع والتوبة فأبوا ورموا أصحابه فقيل له قد رمونا فقال كفوا فكروا القول عليه ثلاثا وهو يأمرهم بالكف حتى أتى برجل قتيل منشحط بدمه فقال على الله اكبر الآن حل قتالهم احملوا على القوم فحمل رجل من الخوارج على أصحاب على فخرج فيهم وجعل يغشى كل ناحية ويقول

٤ ط نى أضربهم ولو أرى عليا * ألبسته أبيض مشرفيا فخرج اليه على رضى الله عنه وهو يقول

* انى أراك جاهلا شقيا قد كنت عن كفاحه غنيا * هلم نابرزهه نا اليا

وقائلة مابال مثلك خاملا * أأنت ضعيف الرأى أم أنت عاجز
فقلت لها ذنبي الى القوم أننى * لما لم يجوزوه من المجد حائز

وكتب بعض المغاربة لابى العباس بن نصال يذكره بحاله

ياغارسالى ثمار مجد * سقيتها العذب من زلالك
أخاف من زهرها سقوطا * ان لم يكن سقيها بمالك

وكتب الكاتب أبو عبد الله القرطبي مستنجزا وعدا

أباعبد الاله وعدت وعدا * فانجز تربح الشكر الجزيلا
ولا تمطل فان المطل يعدو * من الاحسان رونقة الصقيلا
اذا كان الجميل يحب طبعا * فانى أكره الصبر الجميلا

وكتب ابن هزيل الفزارى للغنى بالله سلطان لسان الدين بن الخطيب

ليس يامولاى لى من جابر * اذ غدا قلبي من البلوى جذاذا
غير صلك أحرز تكتب لى * فيه يمناك اعتناء صح هذا

وقال أبو الحسن بن الزقاق فى غلام يهودى كان يجلس معه و ينادمه يوم سبت

وحبيب يوم السبت عندى أننى * ينادمنى فيه الذى أنا أحببت
ومن أعجب الاشياء أنى مسلم * حنيف ولكن خير أيامى السبت

وقال أبو حيان

و يعجبنى رشف تلك الشفاه * وعض الخدود وهصر القوام
محاسن فاقت قضيب الاراك * وورد الرياض وكاس المدام

وكتب أحد الادباء برسية الى فتى وسيم من أعيانها كان يلازم حانوت بعض القضاة بها للتفقه عليه بأبيات فى غرض فراجعه عنه أبو العباس بن سعيد بقوله

ما للمحب لدى غير صنبابة * تقضى عليه ولوعة وغرام
فدع الطماعة واستر ح باليأس من * وصل عليك الى الممات حرام

وقال السميسر

قرابة السوء شرداء * فاحمل أذاهم تعش حميدا
ومن تكن قرحة بفيه * يصبر على مصه الصديدا

وقال ابن خفاجة

ان للجنة بالاندلس * مجتلى عين وريا نفس
فسنى صحتها من شنب * ودجا ليلتها من لعس
فاذا ماهبت الريح صبا * صحت واشوقى الى الاندلس

وقال بعض الاندلسيين ممن لم يحضرنى اسمه الآن

اذا مال ذو ود بود صديقه * فيا أيها الخل المصاحب لى صل بى
فانى مثل الماء لينا لصاحبى * وناهيك للاعداء من رجل صلب

وقال أبو يحيى بن هشام القرطبي

يا أيها المبتغى عليا وجعل عليه على فقتله ثم خرج منهم آخر فحمل على الناس فقتل فيهم وجعل يكر عليهم وهو يقول أضربهم ولو أرى أباحسن المبتهة بصارمى ثوب غبن فخرج اليه على وهو يقول يا أيها المبتغى أباحسن اليك فانظر أينا يلقى الغبن وجعل عليه على وشكه بالرمح وترك الرمح فيه فانصرف على وهو يقول لقد رأيت أباحسن فرأيت ماتكره وحمل أبو أيوب الانصارى على زيد بن حصن فقتله وقتل عبد الله ابن وهب الذى قتل هانئ ابن حاطب الازدى وزياد ابن حفصة وقتل حرقوص ابن زهير السعدى وكان جملة من قتل من أصحاب على تسعة ولم يفلت من الخوارج الا عشرة وأتى على على القوم وهم أربعة آلاف فيهم المخدج ذو الثدية الا من ذكرنا من هؤلاء العشرة وأمر على بطلب المخدج فطلبوه فلم يقدروا عليه فقام على وعليه أثر الحزن لفقد المخدج فانتهى الى قتلى بعضهم فوق بعض فقال افرجوا ففرجوا يمينا وشمالا واستخرجوه فقال على رضى الله عنه الله أكبر ما كذبت على محمد وانه لناقص اليد ليس فيها عظم طرفها حلمة مثل ثدى المرأة عليها خمس شعرات وخائط

أوسبع رؤسها معقفة ثم قال ائتوني به فنظر الى عضده فاذا لحم مجتمع على منكبه كثدي المرأة عليه شعرات سود اذا مدت اللحمة امتدت حتى تحاذي بطن يده الاخرى ثم تترك فتعود الى منكبه فثنى رجله ونزل وخر لله ساجدا ثم ركب ومر بهم وهم صرعى فقال لقد صرعكم من غركم قيل ومن غرهم قال الشيطان وأنفس السوء فقال أصحابه قد قطع الله دابرهم الى آخر الدهر فقال كلا والذي نفسي بيده انهم لفي أصلاب الرجال وأرحام النساء لا تخرج خارجة الا خرجت بعدها مثلها حتى تخرج خارجة بين الفرات ودجلة مع رجل يقال له الاسمط يخرج اليه رجل منا أهل البيت فيقتلهم ولا يخرج بعدها خارجة الى يوم القيامة وجمع على ما كان في عسكر الخوارج فقسم السلاح والدواب بين المسلمين ورد المتاع والعبيد والاماء الى أهليهم ثم خطب الناس فقال ان الله قد أحسن اليكم وأعز نصركم فتوجهوا من فوركم هذا الى عدوكم فقالوا يا أمير المؤمنين قد كللت سيوفنا ونفدت نبالنا ونصلت أسنة رماحنا فدعنا نستعد بأحسن عدتنا وكان الذي كلمه بهذا الاشعث بن قيس فعسكر على بالنخيلة فجعل أصحابه يتسللون ويلحقون بأوطانهم فلم يبق معه الا نفر يسير ومضى الحرث بن

وخائط رائع جمالا * وصاله غاية اقتراحي
تنعم منه الخيوط فتلا * بين اقاح و بين راح
تراه في السلم ذا طعان * بنافذات بلا جراح
حلته اشبهت فؤادي * لكثرة الوخز في النواحي
تقطع الثوب راحتاه * كصنع الحاظه الملاح
فقبله ما رأيت بدرا * عمز قابردة الصباح

وقال أبو جعفر أحمد بن عبد الولي البلنسي

غصبت الثريا في البعاد مكانها * وأودعت في عيني صادق نومها
وفي كل حال لم تزالي بخيلة * فكيف أعرت الشمس حلة ضوئها

قال ابن الابار أنشد مؤلف قلائد العقيان هذين البيتين لابي جعفر البني اليعمري وأحدهما غالط من قبل اشتباه نسبهما والتفرقة بينهما مستوفاة من تأليفي المسمى بهداية المعتسف في المؤتلف والمختلف انتهى وأبو جعفر بن عبد الولي المذكور أحرقه القنبيطور لعنه الله تعالى حين غلبه بالروم على بلنسية قال ابن الابار وذلك في سنة ثمان وثمانين وأربعمائة وقيل ان احراقه كان سنة تسعين وأربعمائة انتهى وقال أبو العباس القيجاطي فيما انشده له ابن الطيلسان

ليس الخمول بعار * على امرئ ذي جلال
فليلة القدر تخفى * وتلك خير الليالي

وقال ابو محمد بن الجحاف المعافري البلنسي

اقول وقد خوفوني القران * وما هو من شره كائن
ذنوبي اخاف واما القران * فاني من شره آمن

وابوه ابو احمد هو المحرق ببلنسية كما ذكرناه في غير هذا الموضع وقال ابو العباس

و بين ضلوعي للصبابة لوعة * بحكم الهوى تقضي علي ولا أقضي
جنى ناظري منها على القلب ما جنى * فيا من رأى بعضا يعين على بعض

ودخل ابو القاسم بن عبد المنعم وكان أزرق وسيما ومعه ابو عبد الله الشاطبي وابو عثمان سعيد بن قوشترة على صاحب كتاب مشاحذ الافكار في مآخذ النظار فقال ابن قوشترة

عابوه بالزرق الذي يجفونه * والماء ازرق والسنان كذلكا

فقال الشاطبي

والماء يهدي للنفوس حياتها * والرمح يشرع للمنون مسالكا

فقال ابو بكر بن طاهر صاحب كتاب المشاحذ

وكذاك في اجفانه سبب الردى * لكن أرى طيب الحياة هنالكا

وهذا من بارع الاجازة وكم لاهل الاندلس من مثل هذا الديباج الخسرواني رحمهم الله تعالى وسامحهم وكتب الشيخ الامام العالم العلامة ابو عبد الله محمد بن الصائغ الاندلسي النحوي عند قول الحريري أمنا أن يعز زابثالث ما نصه قد جمع لهما بثالث ورابع في قافيتهما

وهو قول بعض الفضلاء

ما الامة السكعاء بين الورى * كمسلم حراتى ملأمه
فمه اذا استجديت من قول لا * فالحر لا يملأ منها فمه

ثم قال وبخامس وسادس

انقدمهوى أزره فانثنى * مه ياعذولى فى الذى انقدمه
مندمة قتل المعنى فلا * ترسل سهام اللحظ تأمن دمه انتهى

قلت رأيت فى المغرب فى هذا المعنى ما ينيف على سبعين بيتا كلها مساجلة لبيتى الحريرى رحمه الله تعالى وقال أبو بكر بن عبادة الشاعر فى أبى بكر والد الوزير أبى الوليد بن زيدون

أى ركن من الرياسة هيضا * وجموم من المكارم غيضا
حملوه من بلدة نحو أخرى * كى يواروا به ثراه الاريضا
مثل حمل السحاب ماء طبيبا * لتداوى به مكانا مريضا

وكان المذكور توفى فى ضيعة له ونقل تابوته الى قرطبة فدفن فى الربض سنة ٤٠٥ وولد سنة ٣٠٤ وقال أبو بكر بن قزمان صاحب الموشحات

وعهدى بالشباب وحسن قدى * حكى ألف ابن مقلة فى الكتاب
فصرت اليوم منحنيا كأنى * أفتش فى التراب على شبابى

وقال

يارب يوم زارنى فيه من * أطلع من غرته كوكبا
ذو شفة لمياء معسولة * ينشع من خديه ماء الصبا
قلت له هب لى بها قبلة * فقال لى مبتسما رحبا
فذقت شأ لم أذق مثله * لله ما أحلى وما أعذبا
أسعدنى الله باسعاده * ياشقوتى ياشقوتى لو أبى

قال لسان الدين كان ابن قزمان نسيج وحده أدبا وظرفا ولوذعية وشهرة قال ابن عبد الملك كان أديبا بارعا حلو الكلام مليح النثر مبرزا فى نظم الزجل قال لسان الدين وهذه الطريقة الزجلية بديعة تتحكم فيها ألقاب البديع وتتفسح لكثير مما يضيق على الشاعر سلوكه وبلغ فيها أبو بكر رحمه الله تعالى مبلغا حجره الله عن سواه فهو آيتها المعجزة وحجتها البالغة وفارسها المعلم والمبتدئ فيها والمتمم وقال الفتح فى حقه مبرز فى البيان ومحرز للسبق عند تسابق الاعيان اشتمل عليه المتوكل على الله فرقاه الى مجالس وكساه ملابس فامتطى أسمى الرتب وتبوأها ونال أسنى الخطط وملأها وقد أثبت له ما يعلم به رفيع قدره ويعرف كيف أساءله الزمان بغدره كقوله

ركبوا السيول من الخيول وركبوا * فوق العوالى السمر زرق نطاف
وتجللوا الغدران من مائيهم * مرتجة الاعلى الاكناف

والماذى العسل والنطاف جمع النطفة وهى الماء الصافى قل أو كثر وقال الفقيه أبو بكر ابن القوطية صاحب الافعال فى اللغة والغريب فى زمن الربيع

ضحك الثرى وبدا لك استبشاره * فاخضر شار به وطرعذاره

أنفسهم وقد أبى ذلك كثير من الناس وذكروا ان سامة بن لؤى ما أعقب وقد حكى عن على فيهم ما قد ذكرناه فى كتابنا فى أخبار الزمان ولست ترى ساميا الا منحرفا عن على من ذلك ما ظهر من على بن الجهم الشاعر السامى من التعصب والانحراف وقد أتينا على ذلك من شعره واخباره فى الكتاب الاوسط ولقد بلغ من انحرافه ونصبه العداوة لعلى عليه السلام انه كان يلعن أباه فسئل عن ذلك وبم استحق اللعن منه فقال بتسميته اياى عليا فسرح عليهم على معقل ابن قيس الرياحى فقتل الحرث ومن معه من المرتدين بسيف البحر وسبى عيالهم وذراريهم وذلك بساحل البحرين فنزل معقل بن قيس بعض كور الاهواز سبى القوم وكان هنالك مصقلة بن هبيرة الشيبانى عاملا على فصاح به النسوة امنن علينا فاشتراهم بثلثمائة ألف وأعتقهم وأدى من المال مائتى ألف وهرب الى معاوية فقال على قبح الله مصقلة فعل فعل السيد وفر فرار العبد لو أقام أخذناه ما قدرنا على أخذه فان أعسر انتظرناه وان عجز لم نؤاخذه بشئ وانفذ العتق فى ذلك ودنت

ودنت حدائقه وزر رنبته * وتعطرت أنواره وثماره
واهتز ذابل كل ماء قرارة * لما أتى متطلعا آذاره
وتعممت صلع الربا بنباته * وترنمت من عجبها أطياره

وقال فى المطمح فى حق ابن القوطية المذكور انه ممن له سلف وتنيه كلها شرف وهو أحد المجتهدين فى الطلب والمشتهرين بالعلم والادب والمتدبين للعلم والتصنيف والمرتبين له بحسن الترتيب والتأليف وكان له شعر نبيه وأكثره أوصاف وتشبيه انتهى وقال القاضى الاجل يونس بن عبد الله بن مغيث

أتواحسه اذ قيل جد تحوله * فلم يبق من لحم عليه ولا عظم
فعادوا قيصا فى فراش فلم يجد * ولا لمس شيء يدل على جسم
طواه الهوى فى ثوب سقم من الضنى * وليس بمحسوس بعين ولا وهم

وقال فى المطمح فيه انه قاضى الجماعة بقرطبة فاضل ورع مبرز فى النسك والزهاد دائم الارق فى التخشع والسهاد مع التحقق بالعلم والتميز بحمله والتحبز الى فئة الورع وأهله وله تآليف فى التصوف والزهد منها كتاب المنقطعين الى الله وكتاب المجتهدين وأشعار فى هذا المعنى منها قوله

فررت اليك من ظلمى لنفسى * وأوحشنى العباد وأنت أنسى
قصدت اليك منقطعا غريبا * لتؤنس وحدتى فى قعر رمسى
وللعظمى من الحاجات عندى * قصدت وأنت تعلم سر نفسى

ولما أراد المستنصر بالله غزو الروم تقدم الى أبى محمد والده بالكون فى صحبته ومسايرته فى غزوته فاعتذر بعذر يجده وألم لا يجده فقال له الحكم ان ضمن لى أن يؤلف فى أشعار خلفائنا بالمشرق والاندلس مثل كتاب الصولى فى أشعار خلفاء بنى العباس أعفيته من الغزاة وجازيته أفضل المجازاة فأجابه اليه على أن يؤلفه بالقصر فزعم انه رجل مزور وأن ذلك الموضع ممتنع على من يلم به ويزور فألفه بدار الملك المطلة على النهر وأكمله فيما دون شهر وتوفى المستنصر اذ ذاك انتهى وقال ابن سيده صاحب المحكم يخاطب اقبال الدولة

ألا هل الى تقبيل راحتك اليمنى * سبيل فان الامن فى ذاك واليمنا

قال فى المطمح الفقيه أبو الحسن على بن أحمد المعروف بابن سيده امام فى اللغة والعربية وهمام فى الفئة الادبية وله فى دلك أوضاع لافهام اخلافها استدرار واسترضاع حررها تحريرا واعاد طرف الذكاء بها قريرا وكان منقطعا الى الموفق صاحب دانية وبها ادرك أمانيه ووجد تجرده للعلم وفراغه وتفرد بتلك الاراغة ولاسيما كتابه المسمى بالمحكم فانه أبدع كتاب واحكم ولما مات الموفق رائش جناحه ومثبت غرره وأوضاحه خاف من ابنه اقبال الدولة وأطاف به مكروها بعض من كان حوله اذ أهل الطلب كحيات مساورة ففر الى بعض الاعمال المجاورة وكتب اليه منها مستعطفا

الا هل الى تقبيل راحتك اليمنى * سبيل فان الامن فى ذاك واليمنا
فتقضى هموم طالحته خطوبها * ولا غار بايقين منه ولا منا

يقول مصعلة بن هبيرة من أبيات تركت نساء الحى بكر بن وائل * واعتقت سبيا من لؤى بن غالب
وفارقت خير الناس بعد محمد
لمال قليل لا محالة ذاهب
وفى ذلك يقول الآخر
ومصعلة الذى قد باع بيعا
ربيحا يوم ناحية بن سام
ولمصعلة أفعال أتاها
وحيل عملها قد ذكرناها
وما قال فى ذلك من الشعر فى الكتاب الاوسط وقال على بن محمد بن جعفر العلوى فيمن انتمى الى سامة بن لؤى بن غالب بن محمد
أسامة منا فاما بنوه
فامرهم عندنا مظلم
اناس أتونا بانسابهم
خرافة مضطجع يحلم
وقلنا لهم مثل قول الوصى
وكل أقاويله محكم
اذا ما سئلت فلم تدر ما
تقول فقل ربنا أعلم
وفى سنة ثمان وثلاثين وجه معاوية عمرو بن العاص الى مصر فى أربعة آلاف ومعه معاوية بن حديج وابو الاعور السلمى واستعمل عمرا على احيائه ووفى له بما تقدم من ضمانه فالتقوا هم ومحمد بن أبى بكر وكان عامل على عليها بالموضع المعروف بالمنشأة فاقتتلوا فانهزم محمد لاسلام أصحابه اياه وتركهم له وصار الى موضع بمصر فاختفى فيه فأحيط بالدار فخرج اليهم محمد ومن معه

غريب نأى أهلوه عنه وشفه * هواهم فأمسى لا يقر ولا يهنا
فيا ملك الاملاك انى مخلأ * عن الورد لا عنه اذاد ولا أدنى
تحققت مكروها فأقبلت شاكيا * لعمرى أما أذون لعبدك أن يعنى
وان تتأكد فى دمى لك نية * فأنى بسيف لا أحب له جفنا
اذا ما غدا من حر سيفك باردا * فقدما غدا من برد نعماكم سخنا
وهل هى الا ساعة ثم بعدها * ستقرع ما عمرت من ندم سنا
ومالى من دهرى حياة ألذها * فتجعلها نعمى على وتمتنا
اذا ميتة ارضتك عنا فهاتها * حبيب الينا ما رضيت به عنا

وقال الفقيه ابو محمد غانم بن الوليد الاندلسى المخزومى المالقى

صبر فؤادك للمحبوب منزلة * سم الخياط محال للمحبين
ولا تسامح بغيضا فى معاشرة * فقلما تسع الدنيا بغيضين

وله

الصبر اولى بوقار الفتى * من قلق يهتك ستر الوقار
من لزم الصبر على حالة * كان على أيامه بالخيار

وقال فى المطمح فيه انه عالم متفرس وفقيه مدرس وأستاذ متجرد وامام لاهل الاندلس مجود وأما الادب فكان جل شرعته وهو رأس بغيته مع فضل وحسن طريقه وجد فى جميع الامور وحقيقه انتهى وقال المحدث الحافظ أبو عمر بن عبد البر يوصى ابنه بمقصورة

تجاف عن الدنيا وهون لقدرها * ووف سبيل الدين بالعروة الوثقى
وسارع بتقوى الله سرا وجهرة * فلا ذمة أقوى هديت من التقوى
ولا تنس شكر الله فى كل نعمة * يمن بها فالشكر مستجلب النعمى
فدع عنك ما لا حظ فيه لعاقل * فان طريق الحق أبلج لا يخفى
وشح بأيام بقين قلائل * وعمر قصير لا يدوم ولا يبقى
ألم تر أن العمر يمضى موليا * فجدته تبلى ومدته تفنى
نخوض ونلهو غفلة وجهالة * وننشر اعمالا وأعمارنا تطوى
تواصلنا فيه الحوادث بالردى * وتنتابنا فيه النوائب بالبلوى
عجبت لنفس تبصر الحق بينا * لديها وتأبى أن تفارق ما تهوى
وتسعى لما فيه عليها مضرة * وقد علمت أن سوف تجزى بما تسعى
ذنوبى أخشاها ولست بآيس * وربى أهل أن يخاف وأن يرجى
وان كان ربى غافرا ذنب من يشا * فانى لا ادرى أ أكرم أم أخزى

وقال فى المطمح الفقيه الامام العالم الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر امام الاندلس وعالمها الذى التاحت به معالمها صحح المتن والسند وميز المرسل من المسند وفرق بين الموصل والقاطع وكسا الملة منه نورا ساطع حصر الرواة وأحصى الضعفاء منهم والثقات وجد فى تصحيح السقيم وجد منه ما كان كالكهف والرقيم مع معلنات العلل ٢ وارهاف ذلك العلل والتنبيه والتوقيف والاتقان والتثقيف وشرح المقفل

من أصحابه فقاتلهم حتى حار وأضرموه بالنار وذلك بموضع فى مصر يقال له كوم شريك وقيل انه فعل به ذلك وبه شئ من الحياة وبلغ معاوية قتل محمد وأصحابه فاظهر الفرح والسرور وبلغ عليا قتل محمد وسرور معاوية فقال جزعنا عليه على قدر سرورهم فما جزعت على هالك منذ دخلت هذه الحرب جزعى عليه كان لى ربيبا وكنت أعده ولدا كان بى برا وكان ابن أخى فعلى مثل هذا نحزن وعند الله نحتسبه وولى على الاشتر مصر وانفذه اليها فى جيش فلما بلغ ذلك معاوية دس الى دهقان وكان بالعريش فارغبه وقال أترك خراجك عشرين سنة فاحتل للاشتر بالسم فى طعامه فلما نزل الاشتر العريش سأل الدهقان اى الطعام والشراب احب اليه قيل العسل فاهدى له عسلا وقال ان من امره وشانه كذا وكذا ووصفه للاشتر وكان الاشتر صائما فتناول منه شربة فما استقرت فى جوفه حتى تلف وأتى من كان معه على الدهقان ومن كان معه وقيل كان ذلك بالقلزم والاول أثبت فبلغ ذلك عليا فقال لليدين وللفم وبلغ ذلك معاوية فقال ان لله جندا من العسل وقبض أصحابه عن على فى هذه السنة ثلاثة واستدرك

واستدراك المغفل وله فنون هي للشريعة رتاج وفي مفرق الملة تاج أشهرت للحديث ظبا وفرعت لمعرفته ربا وهبت لتفهمه شمال وصبا وشفت منه وصبا وكان نقه والانفس على تفضيله متفقه وأما أدبه فلا تعبر لجته ولا تدحض حجته وله شعر لم نجد منه الا ما نفث به أنفة وأقصى فيه عن معرفة فمن ذلك قوله وقد دخل اشبيلية فلم يلق فيها مبرة ولم ير من أهلها تهلل أسرة فاقام بها حتى أخلقه مقامه واطبقه اغتمامه فارتحل وقال

تنكر من كنا نسر بقربه * وعاد زعافا بعدما كان سلسلا
وحق لجار لم يوافقه جاره * ولا امتنه الدار أن يتحولا
بليت بحمص والمقام ببلدة * طويلا لعمري مخلق يورث البلى
اذا هان حر عند قوم أتاهم * ولم يناعنهم كان أعمى وأجهلا
ولم تضرب الامثال الا لعالم * وما عوتب الانسان الا ليعقلا انتهى

وقال الفقيه أبو بكر بن أبي الدودس

اليك أبا يحيى مددت يد المنى * وقد ما غدت عن جود غيرك تقبض
وكانت كنور العين يلمع بالدجا * فلما دعاه الصبح لباه ينهض

وقال في المطمح انه من أبدع الناس خطا وأصحهم نقلا وضبطا اشتهر بالاقراء واقتصر بذلك على الامراء ولم يخط لسواهم ومطل الناس بذلك ولواهم وكان كثير التحول عظيم التنقل لا يستقر في بلد ولا يستظهر على حرمانه بجلد فقذفته النوى وطردته عن كل ثوى ثم استقر آخر عمره بأغمات وبهامات وكان له شعر بديع يصونه ابدا ولا يمتهنه بدا أخبرني من دخل عليه بالمرية فرآه في غاية الاملاق وهو في ثياب أخلاق وقد توارى في منزله توارى المذنب وقعد عن الناس قعود مجتنب فلما علم ما هو فيه وترفعه عمن يجتديه عاتبه في ذلك الاعتزال وآخذه حتى استنزله بغيض الانزال وقال له هلا كتبت الى المعتصم فما في ذلك ما يصم فكتب اليه اليك أبا يحيى مددت يدا لمى البيتين انتهى

* وقال الفقيه القاضي الفاضل أبو الفضل بن الاعلم حين أقلع وأناب وودع ذلك الجناب وتزهد وتنسك وتملك من طاعة الله بما تمسك وتذكر يوما ينجرد من أمله وينفرد فيه بعمله

الموت يشغل ذكره * عن كل معلوم سواه
فاعمل له ربع ادكا * رك في العشية والغداه
واكحل به طرف اعتبا * رك طول ايام الحياه
قبل ارتكاض النفس ما * بين التراثب واللهاه
فيقال هذا جعفر * رهن بما كسبت يداه
عصفت به ريح المنو * ن فصيرته كما تراه
فضعوه في اكفانه * ودعوه يجني ما جناه
وتمتعوا بمتاعه الحمقون واحووا ما حواه

أصبهان فخطب الناس وقال اغدوا الى عطاء رافع فوالله ما أنا لكم بخازن وكان في عطائه يأخذ كما يأخذ الواحد منهم ولم يكن بين علي ومعاوية من الحرب الا ما وصفنا بصفين وكان معاوية في بقية أعمال علي يبعث سرايا تغير وكذلك على كان يبعث من يمنع سرايا معاوية من أذية الناس وقد أتينا على ذكر السرايا والغارات فيما سلف من كتبنا (قال المسعودي رحمه الله) وقد تكلم طوائف من الناس ممن سلف وخلف من أهل الآراء في الخوارج وغيرهم من فعل على يوم الجمل وصفين وتباين حكمه فيهما وفيمن قتل من أهل صفين مقبلين ومدبرين واجهازه على جرحاهم ويوم الجمل لم يتبع موليا ولا أجهز على جريح ومن ألقى سلاحه أو دخل داره كان آمنا وما أجابهم به شيعة علي في تباين حكم علي في هذين اليومين لاختلاف حكمهما وهو أن أصحاب الجمل لما انكشفوا لم يكن لهم فئة يرجعون اليها وانما رجع القوم الى منازلهم غير محاربين ولا منابذين ولا لامره مخالفين فرضوا بالكف عنهم وكان الحكم فيهم رفع السيف اذ لم يطلبوا عليه أعوانا وأهل صفين كانوا يرجعون

يامنظرا مستبشعا * بلغ الكتاب به مداه
لقيت فيه بشارة * تشفى فؤادى من جواه
واقيت بعدك خير من * نباه ربى واجتباه
فى دار خفض ما اشتهت * نفس المقيم بها اتاه

وقال فى المطمع انه كهل الطريقة وفتى الحقيقة تدرع الصيانة وبرع فى الورع والديانة وتماسك عن الدنيا عفافا وما تماسك التماسا بأهلها والتفافا فاعتقل النهوض وتنقل فى مراتبها حتى استقر فيها فى السها وعطل ايام الشباب ومطل فيها سعاد وزينب والرباب الاساعات وقفها على المدام وعطفها الى الندام حتى تخلى من ذلك واترك وأدرك من المعلومات ما ادرك وتعرى من الشبهات وسرى الى الرشد مستيقظا من تلك السنات وله تصرف فى شتى من الفنون وتقدم فى معرفة المفروض والمسنون وأما الادب فلم يجاره فى ميدانه أحد ولا استولى على احسانه فيه حصر ولا حد وجده أبو الحجاج الاعلم وخلد منه ما خلد ومنه تقلد ما تقلد وقد أثبت لابى الفضل هذا ما يسقيك ماء الفضل زلالا ويريك سحر البيان حلالا فمن ذلك ما كتب به الى وقد مررت على شنت مرية بعد ما رحل عنها وانتقل واعتقل من نواناو ببنا ما اعتقل وشنت مرية هذه داره وبها كمل هلاله وابداره وفيها استقضى وشيم مضاؤه وانتضى فالتقينا بها على ظهر وتعاطينا ذكر ذلك الدهر فجددت من شوقه ما كان قد شب عن طوقه فرامنى على الاقامة وسامنى على ذلك بكل كرامة فأبيت الا النوى وانثنيت عن الثوى فودعنى وودعت الى ثلاث القطعة حين شيعنى

بشراى أطلعت السعود على * آفاق أنسى بدرها كملا
وكسا أديم الارض منه سنى * فكست بسائطها به حللا
ايه أبا نصر وكم زمن * قصرا دكارك عندى الاملا
هل تذكرن والعهد يجعلنى * هل تذكرن أيامنا الاولا
أيام نعشر فى أعنتنا * ونجر من أبرادنا خيلا
ونحل روض الانس مؤتنقا * ونحل شمس مرادنا الجملا
ونرى ليالينا مساعفة * تدعو رفاقتنا لنا الجفلى
زمن نقول على تذكره * ماتم حتى قيل قد رحلا
عرضت لزورتكم وما عرضت * الا لتسمق كل ما فعلا

ووافيته عشية من العشايا أيام ائتلافنا وعودنا الى مجلس الطلب واختلافنا فرأيته مستشيرا قاما تطلعا يرتاد موضعا يقيم به لثغور الانس مرتشفا ولثديه مرتضعا فحين مقلنى تقلدنى اليه واعتقلنى وملنا الى روضة قد سندس الربيع فى بساطها وديج الزهر دوانك اوساطها وأشعرت النفوس فيها بسرورها وانبساطها فأقمنا بها نتعاطى كؤس أخبار ونتهادى أحاديث جهابذة واحبار الى أن نثرز عنان العشى وأذهب الانس خوف العالم الوحشى فقمت وقام وعوج الرعب من ألسنتنا ما كان استقام وقال

الى فئة مستعدة وامام ويحمل راحلهم ويردهم فيرجعون الى الحرب وهم الى امامته منقادون ولرأيه متبعون ولغيره مخالفون ولامامته تاركون ولحقه جاحدون وبانه يطلب مالیس له قاتلون فاختلف الحكم لما وصفنا وتباين حكماهما لما ذكرنا ولكل فريق من السائل والمجيب كلام يطول ذكره ويتسع شرحه قد اتينا على استيعابه وما ذكره كل فريق منهم فيما سلف من كتبنا فأغنى ذلك عن اعادته والله اعلم

(ذكر مقتل على بن ابى طالب رضى الله عنه)

وفى سنة اربعين اجتمع بمكة جماعة من الخوارج فتذاكروا الناس وما هم فيه من الحرب والفتنة وتعاهدوا ثلاثة منهم على قتل على ومعاوية وعمرو بن العاص وتواعدوا واتفقوا على ان لا ينكص رجل منهم عن صاحبه الذى يتوجه اليه حتى يقتله أو يقتل دونه وهم عبد الرحمن بن ملجم لعنه الله وكان من تجيب وكان عداده فى مراد فنسب اليهم وحجاج بن عبد الله الصريمى ولقبه البرك وزادويه مولى بنى العنبر فقال ابن ملجم أنا أقتل عليا وقال البرك أنا أقتل معاوية

وعشية كالسيف الاحده * بسط الربيع بها الذعلى خده
عاطيت كاس الانس فيها واحدا * ماضره ان كان جمعا وحده

وتنزه يوما بحديقة من حدائق الحضرة قد اطرد نهرها وتوقد زهرها والريح يسقطه فينظم بلبة الماء ويتبسم به فتخاله كصفحة خضرة السماء فقال

انظر الى الازهار كيف تطلعت * بسماوة الروض الجود نجوما
ونساقطت فكأن مسترقا دنا * للسمع فانقضت عليه رجوما
والى مسيل الماء قد رقت به * صنع الرياح من الحباب رقوما
ترمى الرياح لها نثير أزاهر * فتمده فى شاطئيه رقيما

وله يصف قلم براعة وبرع فى صفته أعظم براعة

ومهفهف ذلق صليب المكسر * سبب لنيل المطلب المتعذر
متألق تنبيك صفرة لونه * بقديم صحبته لآل الاصفر
ماضره أن كان كعب براعة * وبحكمه اطردت كعوب السمهرى

وله عند ما شارف الكهولة واستأنف قطع صرة كانت موصولة

أما أنا فقد ارعويت عن الصبا * وعضضت من ندم على بنانى
فأطعت نصاحى ورب نصيحة * جاؤا بها فلجعت فى العصيان
أيام أصحب من ذبول شبيبتى * مرحا وأعثر فى فضول عنانى
وأجل كاسى أن ترى موضوعة * فعلى يدى أو فى يدى ندمانى
أيام أحيا بالغوانى والغنا * وأموت بين الراح والريحان
فى فتية فرضوا اتصال هواهم * فناهم دن من الادنان
هزت علاهم أريحيات الصبا * فهى النسيم وهم غصون البان
من كل مخلوع العنان لم يبل * فى غيه بمصارف الازمان

الى أن قال ومن نثره يصف فرسا انظر الى سليم الاديم كريم القديم كأنما نشأ بين الغبراء والنجوم نجم اذا بدا وهم اذا عدا يستقبل بغزال ويستدبر برال ويتحلى بشيات تقسيمات الجمال * وله يصف سرجا نزه جياد ومركب أجواد جميل الظاهر رحيب ما بين القادمة والآخر كأنما قد من الخدود أديمه واختص باتقان الحبك تقويمه * وله فى وصف لجام متناسب الاشلاء صريح الانتماء الى ثرى السماء فكله نكال وسائره جمال * وله فى وصف رمح مطرد الكعوب صحيح اتصال الغالب والمغلوب أخ ينوب كلما استنيت وصيب * وله فى وصف قيص كافورى الاديم بابلى الرسوم تباشر منه الجسوم ما يباشر الروض من النسيم * وله فى وصف بغل مترف النسب مستخبر الشرف آمن الكبب ان ركب امتنع اعتماله أو ركب استقل به أخواله * وله فى وصف حمار وثيق المفاصل عتيق النهضة اذا ونت المراسل انتهى ببعض اختصار * وقال الاديب الشاعر أبو عمرو يوسف بن هرون الكندى المعروف بالرمادى

أومى لتقبيل البساط خنوعا * فوضعت خدى فى التراب خضوعا

شهر رمضان وقيل ليلة احدى وعشرين فخرج عبد الرحمن بن ملجم المرادى الى على فلما قدم الكوفة أتى قطام بنت عمه وكان على قتل أباها وأخاها يوم النهروان وكانت أجمل أهل زمانها فخطبها فقالت لا أتزوج حتى تسمى لى فقال لا تسألينى شيأ الا أعطيته فقالت ثلاثة آلاف وعبدا وقينة وقتل على فقال ماسألت هو لك مهر الا قتل على فلا أرالك تدركينه قالت فالتمس غرته فان أصبته شفيت نفسى ونعمك العيش معى وان هلكت فما عند الله خير لك من الدنيا فقال والله ما جاء بى الى هذا المصر وقد كفيتها ربا منه الا ذلك وقد أعطيتك ما سألت وخرج من عندها وهو يقول

ثلاثة آلاف وعبد وقينة
وقتل على بالحسام المصمم
فلا مهر أغلى من على وان علا
ولا قتك الا دون قتك ابن ملجم

فلقيه رجل من أشجع يقال له شبيب بن بجيرة من الخوارج فقال له هل لك فى شرف الدنيا والآخرة فقال وما ذاك قال تساعدنى على قتل على قال ثكلتك أمك لقد جئت شيأ اداقد عرفت غناءه فى

ما كان مذهبه الخنوع لعبده * الا زيادة قلبه تقطيعا
قولوا لمن أخذ الفؤاد مسلما * يمن على برده مصدوعا
العبد قد يعصى وأحلف انني * ما كنت الا سامعا ومطيعا
مولاي يحيى في حياة كاسمه * وانا اموت صبابة وولوعا
لا تنكروا غيث الدموع فكل ما * ينحل من جسمي يكون دموعا

والرمادي المذكور عرف به غير واحد منهم الحافظ أبو عبد الله الحميدي في كتابه جذوة المقتبس وقال أظن أن أحد آبائه كان من أهل الرمادة وهي موضع بالمغرب وهو قرطبي كثير الشعر سريع القول مشهور عند الخاصة والعامة هنالك لسلوكه في فنون من المنظوم والمنثور مسالك حتى كان كثير من شيوخ الادب في وقته يقولون فتح الشعر بكندة وختم بكندة يعنون امرأ القيس والمتنبي ويوسف بن هرون على ان في كون المتنبي من كندة القبيلة كلاما مشهورا واخذ ابو عمر بن عبد البر عن الرمادي هذا قطعة من شعره وضمنها بعض تأليفه قال ابن حيان توفي الرمادي سنة ٤٠٣ وذكر ابن سعد في المغرب ان الرمادي اكتسب صناعة الادب من شيخه ابي بكر بن هذيل الكفيف عالم ادباء الاندلس وهو القائل رحمه الله تعالى

لا تلمني على الوقوف بدار * اهلها صيروا السقام ضجيعي
جعلوا الى الى هواهم سبيلا * ثم سدوا على باب الرجوع

وروى الرمادي عن أبي علي كتاب النوادر ومدح أبا علي بقصيدة كما أشرنا اليه في غير هذا الموضع وقال في المطمع انه شاعر مفلق انفرج له من الصناعة المغلق ومض له برقها المؤتلق وسال بها طبعه كالماء المندفق فأجمع على تفضيله المختلف والمتفق فتارة يحزن وأخرى يسهل وفي كلتاهما بالبديع يعل وينهل فاشتهر عند الخاصة والعامة بانطباعه في الفريقين وابداعه في الطريقين وكان هو وأبو الطيب متعاصرين وعلى الصناعة متغايرين وكلاهما من كنده ومامنهما الا مقدح في الاحسان زنده وتمادى بأبي عمرو طلق العمر حتى افرده صاحبه وندبه وهريق شبابه واستشن اديمه ففارق تلك الايام وبهجتها وادرك الفتنة فخاض لجتها واقام قرفا من هيجانها شرقا باشجانها ولحقته فيها افاقة نهكته وبعدت عنه الافاقة حتى اهلكته وقد اثبت من محاسنه ما يعجبك سرده ولا يمكنك نقده فمن ذلك قوله

شطت نواهم بشمس في هوادجهم * لولا تلألؤها في ليلهن عشوا
شكت محاسنها عيني وقد غدرت * لانها بضمير القلب تختمش
شعر ووجه تباري في اختلافهما * بحسن هذا وذاك الروم والحبش
شككت في سقمي منها افي فرشي * منها تنكست الا لطيف والفرش

الى ان قال وكان كلفا بفتى نصراني استهل لباس زناره والخلود معه في ناره وخلع برده لمسوحه وتشرع من صبيحه وراح في بيعته وغدا من شيعته ولم يشرب نصيبه حتى حط عليه صليبه فقال

الاسلام وسابقته مع النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابن ملجم ويحك اما تعلم انه قد حكم الرجال في كتاب الله وقتل اخواننا المصلين فنقتله ببعض اخواننا فاقبل معه حتى دخل على قطام وهي في المسجد الاعظم وقد ضربت كاتبها وهي معتكفة يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة مضت من شهر رمضان فاعلمتهما أن مجاشع بن وردان بن علقمة قد انتدب لقتله معهما فدعت لهما بحرير وعصبتهما واخذوا أسيافهم وقعدوا مقابلين لباب السدة التي يخرج منها على المسجد وكان علي يخرج كل غداة أول الاذان للصلاة وقد كان ابن ملجم مر بالاشعث وهو في المسجد فقال له فضحك الصبح فسمعها جعدة بن عدي فقال قتلته يا أعور قتلك الله وخرج علي رضي الله عنه ينادي أيها الناس الصلاة، فشد عليه ابن ملجم واصحابه وهم يقولون الحكم لله لا لك وضربه ابن ملجم على رأسه بالسيف في قرنه وأما شبيب فوقعت ضربته بعضادة الباب وأما ابن وردان فهرب وقال علي لا يفوتنكم الرجل وشد الناس على ابن ملجم يرمونه بالحصباء ويتناولونه ويصيحون فضرب ساقه رجل من همدان برجله وضرب المغيرة بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب وجهه فصرعه وأقبل به أدرها

أدرها مثل ريقك ثم صلب * كعادتهم على وهمى وكاسى
فيقضى ما أمرت به اجتلابا * لسرورى وزاد خضوع راسى

وله فى مثله

ورأيت فوق النحر در * عافاقعا من زعفران
فزجرته لونا سقما * مى بالنوى والزجر شانى
يامن نأى عنى كما * تنأى العيون الفرقدان
فأرى بعينى الفرقدين * ولا أراه ولا يرانى
لاقدرت لك أوبة * حتى يؤوب القارظان
هل ثم الا الموت فر * دا لا تكون منيتان

وله أيضا

اشرب الكاس يانصير وهات * ان هذا النهار من حسناتى
بأبى غرة ترى الشخص فيها * فى صفاء أصفى من المرآت
تنزح الناس نحوها بازدحام * كازدحام الحجيج فى عرفات
هاتها يانصير انا اجتمعنا * بقلوب فى الدين مختلفات
انما نحن فى مجالس لهو * نشرب الراح ثم أنت مواتى
فاذا ما انقضت ديانة ذا الله * واعتمدنا مواضع الصلوات
لومضى الدهر دون راح وقصف * لعددناه من السيئات

وشاعت عنه أشعار فى دولة الخلافة وأهلها سدد اليهم صائبات نبلها وسقاهم كؤس نهلها أوغرت عليه الصدور ونعرت عليه المنايا ولكن لم يساعدها المقدور فمحنه الخليفة دهرا وأسكنه من السكينة وعرا فاستعطفه أثناء ذلك واستلطفه وأجناه كل زهر من الاحسان وأقطفه فما أصغى اليه ولا ألغى موجدته عليه وله فى السجن اشعار صرح فيها ببثه وأفصح فيها عن جل الخطب لفقد صبره ونكثه فمن ذلك قوله

* ملك الامن من شجو يزيد تشوقى * ومنها

فوا أسفا بنا الزهراء فى حال خالع الأئمة لاستيفائهم فى التوثق
وحولى من أهل التأدب مأتم * ولا جؤذر الا بثوب مشقق
فلو أن فى عينى الحمام كروضها * وان كان فى ألوانه غير مشفق
ونادى حمامى مهجتى لتقلقلت * فهلا أجابت وهو عندى بمغنق
أعينى ان كانت لدمعى فضلة * تثبت صبرى ساعة فتدفقى
فلو ساعدت قالت أمن عدة الاسى * تنفث دمعى أم من البحر تستقى

ومنها

وقالت تظن الدهر يجمع بيننا * فقلت لها من لى بظن محقق
ولكننى فيما زجرت بعقلتى * زجرت اجتماع الشمل بعد التفرق
فقد كانت الاشعار فى مثل بعدنا * فلما التقت بالطيف قالت سنلتقى
أباكية يوما ولم يأت وقته * سينفد قبل اليوم دمعك فارفقى

الى أن قال وله أيضا

على كبرى تهمى السحاب وتذرف * ومن جزعى تبكى الحمام وتهتف

عليه عبد الله بن بحره وهو أحد بنى أبيه فرآه ينزع الحرير عن صدره فسأله عن ذلك فخبره مخبره فانصرف عبد الله الى رحله وأقبل اليه بسيفه فضربه حتى قتله وقيل ان عليا لم ينم تلك الليلة وانه لم يزل يمشى بين الباب والحجرة وهو يقول والله ما كذبت ولا كذبت وانها الليلة التى وعدت فلما صرخ بط كان للصبيان صاح بهن بعض من فى الدار فقال على ويحك دعهن فانهن نوائح وقد ذكر طائفة من الناس أن عليا رضى الله عنه أوصى الى ابنيه الحسن والحسين لانهما شريكاه فى آية التطهير وهذا قول كثير ممن ذهب الى القول بالنص ودخل عليه الناس يسألونه فقالوا يا أمير المؤمنين أرأيت ان فقدناك ولا نفقدك أنبايع الحسن قال لا آمركم ولا أنهاكم انتم ابصر ثم دعا الحسن والحسين فقال لهما اوصيكما بتقوى الله وحده ولا تبغيا الدنيا وان بغتكما ولا تأسفا على شئ منها قولا الحق وارحما اليتيم واعينا الضعيف وكونا للظالم خصما وللمظلوم عونا ولا تأخذكما فى الله لومة لائم ثم نظر الى ابن الحنفية فقال هل سمعت ما أوصيت به أخويك قال نعم قال أوصيك بمثله وأوصيك بتوقير أخويك وتزيين أمرهما ولا تقطعن

كأن السحاب الواكفات غواسلى * وتلك على فقدى نوائح هتف
الا ظعنت ليلى وبان قطينها * ولكننى باق فلوموا وعنفوا
وآنست فى وجه الصباح لبينها * نحولا كأن الصبح مثلى مدنف
واقرب عهد رشفة بلت الحشا * فعاد شتاء باردا وهو صيف
وكانت على خوف فولت كأنها * من الردف فى قيد الخلاخل ترسف

وله

قبلته قدام قسيسه * شربت كاسات بتقديسه
يفزع قلبى عندى ذكرى له * من فرطشوقى قرع ناقوسه

وسجن معه غلام من أولاد العبيدى فيه مجال وفى نفس متأمله من لوعته أوجال فكتب يخاطب الموكل بالسجن بقطعة منها

جليسك من اتلف الحب قلبه * ويلذع قلبى حرقة دونها الجمر
هلال وفى غير السماء طلوعه * وريم ولكن ليس مسكنه الخفر
تأملت عينيته فخلت فى السكر * ولاشك فى أن العيون هى الخمر
أناطقه كيما يقول وانما * أناطقه عمدا لينثر الدر
أناعبده وهو المليك كاسمه * فلى منه شطر كامل وله شطر

انتهى باختصار وقال محمد بن هانئ

قد مرونا على مغانيك تلك * فرأينا بها مشابه منك
عارضتها المها الجوادل سربا * عندا جراعها فلم نسل عنك
لايرع للهاذ كرك سرب * أشبهتك فى الوصف ان لم تكنك
كن عذيرى لقد رأيت معاجى * يوم تبكى بالجزع ولهى وأبكى
بحنين مرجع وتشك * وأنين مرجع كتشكى

وقال صاحب المطمح فى حقه الاديب أبو القاسم محمد بن هانئ دخر خطير وروض ادب مطير غاص فى طلب الغريب حتى أخرج درره المكنون وبهرج بافتنانه فيه كل الفنون وله نظم تتمنى الثريا أن تتوج به وتتقلد ويود البدر أن يكتب ما اخترع فيه وولد زهت به الاندلس وتاهت وحاسنت ببدائعه الاشمس وباهت فحسد المغرب فيه المشرق وغص به من بالعراق وشرق غير أنه نبت به أكنافها وشمخت عليه آنافها وبرئت منه وزويت الخيرات فيما عنه لانه سلك مسلك المعرى وتجرد من التدين وعرى وأبدى الغلو وتعدى الحق الجلو فجته الانفس وأزعجته الاندلس فخرج على غير اختيار وما عرج على هذه الديار الى أن وصل الزاب واتصل بجعفر بن الاندلسيه مأوى تلك الجنسيه فناهيك من سعد ورد عليه فكرع ومن باب ولج فيه وما قرع فاسترجع عنده شبابه وانتجع وبله ور بابه وتلقاه بتأهيل ورحب وسقاه صوب تلك السحب فافرط فى مدحه فيه فى الغلو وزاد وقرع عنده تلك المزاد ولم يتورع ولا ثناه ذو ورع وله بدائع يتحير فيها ويحار ويخال لرقتها أنها اسحار فانه اعتمد التهذيب والتحرير واتبع فى أغراضه الفرزدق مع جرير وأما تشبيهاته فخرق فيها المعتاد وماشاء منها اقتاد وقد أثبت له

أراد ونهما ثم قال لهما أوصيكما به فانه سيفكما وابن أبيكما فأكرماه واعرفا حقه فقال له رجل من القوم ألا تعهد يا أمير المؤمنين قال لا ولكن أتركهم كما تركهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فما ذا تقول لربك اذا أتيته قال أقول اللهم انك أبقيتنى فيهم ماشئت ان تبقينى ثم قبضتنى وتركتك فيهم فان شئت أفسدتهم وان شئت أصلحتهم ثم قال أما والله انها الليلة التى ضرب فيها يوشع بن نون ليلة سبع عشرة وقبض ليلة احدى وعشرين وبقى على الجمعة والسبت وقبض ليلة الاحد ودفن بالرحبة عند مسجد الكوفة وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب فى أخبار تنازع الناس فى موضع قبره وما قيل فى ذلك وقبض وقد أتى عليه اثنتان وسبعون سنة وقيل اثنتان وستون وقد قدمنا تنازع الناس فى مقدار سنه وكان كما قال الحسن والله لقد قبض فيكم الليلة رجل ما سبقه الاولون الا بفضل النبوة ولا يدركه الآخرون وان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يبعثه المبعث فيكتنفه جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره فلا يرجع حتى يفتح الله عليه وكان الذى صلى عليه الحسن انه فوكبر عليه سبعا وقيل غير ذلك ولم يترك صفراء ولا بيضاء الا سبعمائة

ما تحن له الاسماع ولا تتمكن منه الاطماع فمن ذلك قوله

اليلتنا اذ أرسلت وارد اوحفا * وبتنا نرى الجوزاء في أذنها شنفا
وبات لنا ساق يقوم على الدجا * بشمعة صبح لا تقط ولا تطفا
أغن غضيض خفف اللين قده * وثقلت الصهباء أجفانه الوطفا
ولم يبق ارعاش المدام له يدا * ولم يبق اعنات التثنى له عطفا
نزيف نضاه السكر الا ترنحا جة * اذا كل عنها الخصر حملها الردفا
يقولون حقف فوقه خيزرانة * أما يعرفون الخيزرانة والحقفا
جعلنا حشايا ثيابا مدامنا * وقدت لنا الازهار من جلدها لحفا
فمن كبد توحى الى كبد هوى * ومن شفة تؤوى الى شفة رشفا

ومنها كأن السماكين اللذين تراهما * على لبد تيه ضامنان له حتفا
فذا راجح يهوى اليه سنانه * وذا أعزل قد عض أغله لهفا
كأن سهيلا في مطالع أفقه * مفارق ألف لم يجد بعده الفا
كأن بني نعش ونعشا مطافل * بوجرة قد أضللن في مهمه خشفا
كأن سهاها عاشق بين عوّد * فأونة يبدو وأونة يخفى
كأن ندامى النسر والنسر واقع * قصصن فلم تسم الخوافي له ضعفا
كأن أخاه حين حوّم طائر * اتى دون نصف البدر فاختطف النصفا
كأن ظلام الليل اذ مال ميلة * صريع مدام بات يشرب بها صرفا
كأن عمود الصبح خافان معشر * من الترك نادى بالنجاشي فاستخفى
كأن لواء الشمس غرة جعفر * رأى القرن فازدادت طلاقته ضعفا

وله أيضا

فتقت لكم ريح الجلاد بعنبر * وأمدكم فلق الصباح المسفر
وجنيتم ثمر الوقائع يانعا * بالنصر من علوا لحديد الاحمر
أبى العوالى السمهرية والسيو * ف المشرفية والعديد الاكثر
من منكم الملك المطاع كأنه * تحت السوابغ تبع في حمير
جيش تعد له الليوث وقوفها * كالغيل من قصب الوشيج الاخضر
وكأنما سلب القشاعم ريشها * مما يشق من العجاج الاكدر
تحق النبول مع الدبور وسار في * جمع المرقل وعزمة الاسكندر
في فتية صدأ الحديد لباسهم * في عبقري البيض جنة عبقر
وكفاه من حب السماحة أنه * منها بموضع مقلة من محجر

ومنها نعماؤه من رحمة ولباسه * من جنة وعطاؤه من كوثر

وله أيضا من قصيدة في جعفر بن على

ألا أيها الوادي المقدس بالندى * واهل الندى قلبي اليك مشوق
ويا أيها القصر المنيف قبابه * على الزاب لا يبدو اليك طريق

فأتممت من كلاب النار حاجته * نص الشريعة برهانا وتبيانا وزاد بعضهم على هذه الابيات بيتا آخر وهو

لاهله مائتين وخمسين درهما ومصحفه وسيفه ولما أراد واقتل ابن ملجم لعنه الله قال عبد الله بن جعفر دعوني حتى أشفي نفسي منه فقطع يديه ورجليه وأحى له مسمارا حتى اذا صار جمرة كحله به فقال سبحان الذي خلق الانسان انك لتكحل عملك بملمول بصاص ثم ان الناس أخذوه وادرجوه في بواري ثم طلوها بالنفط وأشعلوا فيها النار فاحترق وفيه يقول عمران بن حطان الرقاشي يمدحه في ضربته من شعر له طويل

يا ضربة من تقي ما أراد بها
الا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
اني لاذكره يوما فاحسبه
أوفى البرية عند الله ميزانا
فاجابه القاضي أبو الطيب طاهر بن عبد الله الشافعي
اني لابرأ مما أنت قائله
عن ابن ملجم الملعون بهتانا
يا ضربة من شقي ما أراد بها
الا ليهدم للاسلام أركانا
اني لاذكره يوما فالعنه
دينا وألعن عمرانا وحطانا
عليه ثم عليه الدهر متصلا
لعائن الله اسرارا واعلانا

ويا ملك الزاب الرفيع عماده * بقيت بجمع المجد وهو فريق
فلم أنس لا أنس الامير اذا غدا * يروع قوى ملكه وبروق
فللعود مجرى من صفيحة وجهه * اذا كان من ذاك الجبين شروق
وهزته للمجد حتى كأنما * جرت في سجاياه العذاب رحيق
أما وأبي تلك الشمائل انها * دليل على أن النجار عتيق
فكيف بصبر النفس عنه ودونه * من الارض مغبر الفجاج عميق
فكن كيف شاء الناس أو شئت دائما * فليس لهذا الملك غيرك فوق
ولا تشكر الدنيا على نيل رتبة * فما نلتها الا وأنت حقيق

وله من أخرى

خليلي أين الزاب مني وجعفر * وجنات عدن نبت عنها وكوثر
فقبلي نأى عن جنة الخلد آدم * فما راقه من جانب الارض منظر
لقد سرني أني أمر ببابه * فيخبره عني بذلك مخبر
وقد ساءني أني أراه ببلدة * بها منك منه عظيم ومشعر
وقد كان لي منه شفيع مشفع * به يعصم الله الذنوب ويغفر
أتى الناس أفواجا اليك كأنما * من الزاب بيت او من الزاب محشر
فانت لمن قد رزق الله شمله * ومعشره والاهل اهل ومعشر

وله أيضا

ألا طرقتنا والنجوم ركود * وفي الحي أيقاظ وهن هجود
وقد أعجل الفجر الملمع خطوها * وفي اخريات الليل منه عمود
سريت عاطلا غضبي على الدهر وحده * ولم يدر نحر مادها وجيد
فما برحت الا ومن سلك ادمعي * قلائد في لباتها وعقود
ويا حسنها في يوم نضت سوالفا * تريح الى اترابها وتحيد
الم يأتها انا كبرنا عن الصبا * وانا بلينا والزمان جديد
ولا كالليالي ما لهن مواثق * ولا كالغواني ما لهن عهود
ولا كالمعز ابن النبي خليفة * له الله بالفخر المبين شهيد

وله من قصيدة يمدح بها يحيى بن علي بن رمان

قفا بي فلا مسرى سريت ولا نسري * والا ترى مشي القطا الوارد الكدر
قفا نتبين أين ذا البرق منهم * ومن حيث تأتي الريح طيبة النشر
لعل نرى الوادي الذي كنت مرة * أزورهم فيه تضوع للسفر
والا فاوادي السيل يعنبر * والا فما تدري الركاب ولا تدري
اكل كنيس بالعريم تظنه * كناس الظباء الدعج والشدن العفر
وهل عجبوا أني اسائل عنهم * وهم بين احناء الجوانح والصدر
وهل علموا أني ايمم ارضهم * ومالي بها غير التعسف من خبر

معارضة لبيتي اللعين بن حطان لعنه الله في ابن ملجم اجزاه الله
قل لابن ملجم والاقدار غالبة
هدمت ويلك للاسلام اركانا
قتلت افضل من يمشي على قدم
واول الناس اسلاما وايمانا
واعلم الناس بالقرآن ثم بما
سن الرسول لنا شرعا وتبيانا
صهر النبي ومولانا وناصره
اضحت مناقبه نورا وبرهانا
وكان منه على رغم الحسود له
مكان هرون من موسى بن عمرانا
وكان في الحرب سيفا صارما ذكرا
ليثا اذا ما لقي الاقران اقرانا
ذكرت قاتله والدمع منحدر
فقلت سبحان رب الناس سبحانا
اني لاحسبه ما كان من بشر
يخشى المعاد ولكن كان شيطانا
أشقى مراد اذا عدت قبائلها
وأخسر الناس عند الله ميزانا

ولى سكن تاتى الحوادث دونه * فيبعد عن عينى و يقرب من فكرى
اذا ذكرته النفس جاشت بذكره * كما عثر الساقى بجام من الخمر
فلا تسألانى عن زمانى الذى خلا * فوالعصر انى بعد يحيى لفى خسر
وآليت لا اعطى الزمان مقادتى * على مثل يحيى ثم اغضى على الوتر
حنينى اليه ظاعنا ومخيما * وليس حنين الطير الا الى الوكر

وله من قصيدة

فتكات طرفك ام سيوف ابيك * وكؤس خمرك ام مراشف فيك
اجللا دمرهفة وفيك محاجر * لا انت راحمة ولا اهلوك
يا بنت ذى السيف الطويل نجاده * اكذا يجوز الحكم فى ناديك
عيناى ام مغناك موعدنا على * وادى الكرى القاك ام واديك

وله ايضا

احببتها تيك الغباب قبابا * لا بالحداة ولا الركاب ركابا
فيها قلوب العاشقين تخالها * عنما بايدى البيض ام عنابا
والله لولا ان يعنفنى الهوى * و يقول بعض العاذلين تصابى
لكسرت دملجها بضيق عناقها * ورشفت من فيها البرود رضابا
بنتم فلولا ان اغيرلمتى * عبثا والقاكم على غضابا
لخططت شيبا فى مفارق لمتى * ومحوت محو النفس عنه شبابا
وخضبت مبيض الحداد عليكم * لو أنى اجد البياض خضابا
واذا اردت على المشيب وفادة * فاحثث مطيك دونه الاحقابا
فلتأخذن من الزمان حمامة * ولتبعثن الى الزمان غرابا

ومنها

قد طب الاقطار طيب ثنائه * من اجل ذا تجدا الثغور عذابا
لم تدنى ارض اليك وانما * جئت السماء ففتحت ابوابا
ورايت حولى وفد كل قبيلة * حتى توهمت العراق الزابا
ارض وطئت الدرمس رضراضها * والمسك تربا والرياض جنابا
ورايت اجبل ارضها منقادة * فحسبتها مدت اليك رقابا
سد الامام بها الثغور وقبلها * هزم النبى بقومك الاحزابا

انتهى

وقال ابن هانئ يصف الاسطول

معطفة الاعناق نحو متونها * كما نبهت أيدى الحواة الافاعيا
اذا ما وردنا الماء سوقا لبرده * صدرن ولم يشربن غرقى صواديا
اذا أعملوا فيها المجاذيف سرعة * ترى عقربا منها على الماء ماشيا

وقال الاديب أبو عمر أحمد بن فرج الجيانى رحمه الله تعالى

وطائعة الوصال غدوت عنها * وما الشيطان فيها بالمطاع
بدت فى الليل سافرة ظلام الدياجى منه سافرة القناع
ومامن لحظة الا وفيها * الى فتن القلوب لها دواعى

الا ابلغ معاوية بن حرب * فلا قرت عيون الشامتينا
انى شهر الصيام فصمتمونا * يخبر الناس طرا اجمعينا

لقوله فى شقى ظل محترما
ونال ما ناله ظلما وعدوانا
يا ضربة من تقى ما أراد بها
الا ليبلغ من ذى العرش رضوانا
بل ضربة من غوى أورثته لظى
مخلدا قد اتى الرحمن غضبانا
كانه لم يرد قصد ابن ضربته
الا ليصلى عذاب الخلد نيرانا

ولعمران بن حطان ولابيه حطان اخبار كثيرة قد اتينا على ذكرها فى كتابنا اخبار الزمان فى باب اخبار الخوارج من الازارقة والاباضية والحمرية والصفرية والمعجرية وغيرهم من فرق الخوارج الى سنة ثمان عشرة وثلثمائة وكان آخر من خرج منهم ربيعة المعروف بفروان فادخل على المقتدر بالله بعث به ابن حمدان من هرمونا وقد كان خرج فى ايامه ايضا المعروف بابى شعيب وقد فى الناس امير المؤمنين على رضى الله عنه فى ذلك الوقت والى هذه الغاية وذكروا مقتله وممن رثاه فى ذلك الوقت ابو الاسود الدؤلى من ابيات

فلمكت النهى هجاج شوقى * لاجرى بالعفاف على طباعى
وبت بها ببيت الطفل يظما * فيمنعه الفطام عن الرضاع
كذاك الروض ليس به لمثلى * سوى نظر وشم من متاع
ولست من السوائم مهملات * فأتخذ الرياض من المراعى

وقال
الروض حسن فقف عليه * واصرف عنان الهوى اليه
أما ترى نرجسا نضيرا * يرنو اليه بمقلتيه
نشر حبيبى على رباه * وصفرتى فوق وجنتيه

وقال
بمهلكة يستهلك الجد عفوها * ويترك شمل العزم وهو مبدد
ترى عاصف الارواح فيها كأنها * من الاين تمشى ظالع أو مقيد

وقال فى المطمح محرز الخصل مبرز فى كل معنى وفصل متميز بالاحسان منتم الى فئة البيان ذكى الخاطر مع قوة العارضه والمنة الناهضه حضر مجلس بعض القضاة وكان مشتهر الضبط مشهر المن انبسط فيه بعض البسط حتى ان أهله لا يتكلمون فيه الا رمزا ولا يخاطبون الا ايماء فلا تسمع لهم ركزا فكلم فيه خصماله كلاما استطار به عليه افضل بيانه وطلاقة لسانه ففارق عادة المجلس فى رفض الانفه وخفض الجة المؤتنفه وهز عطفه وحسر عن ساعده وأشار بيده مادا بها لوجه خصمه خارجا عن حد المجلس ورسمه فهم الاعوان بتقويمه وتثقيفه ووزعهم رهبة منه وخشية حتى تناوله القاضى بنفسه وقال له مهلا عافاك الله اخفض صوتك واقبض يدك ولا تفارق مركزك ولا تعد حقك واقصر عن ادلالك فقال له مهلا يا قاضى أمن المخدرات أنا فاخفض صوتى واستر يدى واغلى معاصمى لديك أم من الانبياء أنت فلا يجهر بالقول عندك وذلك لم يجعله الله تعالى الا لرسوله عليه الصلاة والسلام لقول الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى الى قوله لا تشعرون ولست به ولا كرامة وقد ذكر الله تعالى أن النفوس تجادل فى القيامة فى موقف الهول الذى لا يعدله مقام ولا يشبهه انقامه انتقام فقال تعالى يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها الى قوله تعالى وهم لا يظلمون لقد تعديت طورك وسلوت فى منزلك وانما البيان بعبارة اللسان وبالنطق يستبين الحق من الباطل ولابد فى الخصام من افصاح الكلام وقام وانصرف فبهت القاضى ولم يحر جوابا وكان فى الدولة صدرا من اعيانها وباسق درر تبيانها نفق فى سوقها وصنف وقرط محاسنها وشنف وله الكتاب الرائق المسمى بالحدائق وادركه فى الدولة سعى وفض له فيها رحى واعتقله الخليفة واوثقه فى مكان اخيه فلم يوض له عفو ولم يشب كدر حاله صفو حتى قضى معتقلا ونعى للناشبات نعيا مشكلا وله فى السجن اشعار كثيرة واقوال مبدعات منيرة فمن ذلك ما انشده ابن حزم يصف خيال طارقه بعد ما اسهره الوجد وارقه

يا أيها الناى الشاكر بادى * بشكر الطيف ام شكر الرقاد
سرى وازداد فى املى ولكن * عففت فلم اجد منه مرادى

اذا استقبلت وجه ابى حسين
رايت النور فوق الناظرينا
لقد علمت قريش حيث كانت
بانك خيرهم حسبا ودينا
وانطلق البرك الصريمى الى معاوية فطعنه بخنجر فى أليته وهو يصلى فاخذ وأوقف بين يديه فقال له ويلك وما أنت وما خبرك قال لا تقتلنى واخبره قال انا نبايعنا فى هذه الليلة عليك وعلى على وعلى عمرو فان أردت فاحبسنى عندك فان كنا قتلا والا خليت سبيلى فطلبت قتل على ولك على أن أقتله وان آتيك حتى أضع يدى فى يدك فقال بعض الناس قتله يومئذ وقال بعضهم حبسه حتى جاءه خبر قتل على فاطلقه وانطلق زاد وبه عمرو بن بكر التميمى الى عمرو بن العاص فوجد خارجة قاضى مصر جالسا على السرير يطعم الناس فى مجلس عمرو وقيل بل صلى خارجة بالناس الغداة ذلك اليوم وتخلف عمرو عن الصلاة لعارض فضربه بالسيف فدخل عليه عمرو وبه رمق فقال له خارجة والله ما أراد غيرك فقال عمرو ولكن الله أراد خارجة وأوقف الرجل بين يدى عمرو فسأله عن خبره فقص عليه القصة واخبره

ومافى النوم من حرج ولكن * جريت من العفاف على اعتيادى انتهى

وقال الشاعر المشهور ابو عبد الله محمد بن الحداد

ياغائبا خطرات القلب محضره * الصبر بعدك شئ لست اقدره
تركت قلبى وأشواقى تفطره * ودمع عينى وأحداقى تحدره
لو كنت تبصر فى تدبير حالتنا * اذن لاشفقت مما كنت تبصره
فالعين دونك لاتخلو بلذتها * والدهر بعدك لايصفو تكدره
أخفى اشتياقى وما أطويه من أسف * عن البرية والانفاس تظهره

قال فى المطمع هو شاعر مادح وعلى أيك الندى صادح لم ينطقه الا معن أو صماد ح فلم يرم مثواهما ولم ينتج سواهما واقتصر على المريه واختصر قطع المهامه وخوض البريه فعكف فيها بنثر درره فى ذلك المنتدى و يرشف ابدا ثغور ذلك الندى مع تميزه بالعلم وتحيزه الى فئة الوقار والحلم وانتمائه الى آية سلف ومذاهبه مذاهب أهل الشرف وكان له لسن ور واء يشهد ان له بالنباهه و يقلد ان كاهله ماشاء من الوجاهه وقد أثبت له بعض ماقذفه من درره وفاه به من محاسن غرره فمن ذلك قوله

الى الموت رجعى بعد حين فان أمت * فقد خلدت خلد الزمان مناقبى
وذكراى فى الآفاق طيبا كانها * بكل لسان طيب عذراء كاعب
ففى أى عام لم تبرز سوابقى * وفى أى فن لم تبرز كتائبى

وحضر مجلس المعتصم بحضور ابن اللبانة فانشد فيه قصيدا أبرز به من عرا الاحسان مالم ينفصم واستحر فيها بكم لبدائعها وقوافيها فاذا هو قد أغار على قصيد ابن الحداد الذى أوله عج بالحمى حيث الظباء العين فقال ابن الحداد مرتجلا

حاشا لعدلك يا ابن معن أن يرى * فى سلك غيرى درى المكنون
واليكها تشكو استلاب مطيها * عج بالحمى حيث الظباء العين
فاحكم لها واقطع لسانا لايدا * فلسان من سرق القريض يمين

وله ان المدامع والزفير * قد أعلنا مافى الضمير
فعلام أخفى ظاهرا * سقمى على به ظهير
هب لى الرضا من ساخط * قاسى بساحته الاسير

وله أيضا ايها الواصل هجرى * أنا فى هجران صبرى
ليت شعرى اى نفع * لك فى ادمان ضرى

وله ايضا يامشبه الملك الجعدى تسمية * ومخجل القمر البدرى انوارا

وله تطا لبنى نفسى بمافيه صونها * فاعصى و يسخو شوقها فأطيعها
ووالله مايخفى على ضلالها * ولكنها تهوى فلا استطيعها

وقال بخافقة القرطين قلبك خافق * وعن خرس القلبين دمعك ناطق
وفى مشرق الصدغين للبدر مغرب * وللفكر حالات وللعين سارق
وبين حصا الياقوت ماء وسامة * مخلأة عنه الظباء السوابق

قتلك فبكى فقيل له أجزعا من الموت مع هذا الاقدام فقال لا والله ولكن غما أن يفوز صاحباى بقتل على ومعاوية ولا أفوز انا بقتل عمرو فضرب عنقه وصلب وكان على رضى الله عنه كثيرا مايتمثل

تلكم قريش تمنانى لتقتلنى * فلا ورب مكة مابرحت ولا ظفروا
فان هلكت فرهن ذمتى لهم * بذات ودقين لايعفو لها أثر

وكان يكثر من ذكر هذين البيتين

أشد حيازيمك للموت * فان الموت لاقيكا
ولاتجزع من الموت * اذا حل بوديكا

وسمعا منه فى الوقت الذى قتل فيه فانه قد خرج الى المسجد وقد عسر عليه فتح باب داره وكان من جذوع النخل فاقتلعه وجعله ناحيه وانحل ازاره فشده وجعل ينشد هذين البيتين المتقدمين وقد كان معاوية دس أناسا الى الكوفة يشمتون موته وأكثر الناس القول فى ذلك حتى بلغ عليا فقال فى مجلسه قد أكثرتم من نعى معاوية والله مامات ولايموت حتى يملك ماتحت

 نى قدمى وانما أراد ابن الكلبانى يعلم ذلك منى فيبعث من يشيع ذلك فيكم ليعلم ويتيقن ماعندى

وحشو قباب الرقم احوى مقرطق * كما آس روض عطفه والقراطق

انتهى باختصار * وقال الاسعد بن بليطة

برامة ريم زارني بعد ما شطا * تقنصته بالحلم في الشط فاشتطا
رعى من افانين الهوى ثمر الحشا * جنيا ولم يرع العهود ولا الشرطا
خيال لمرقوم غرير برامة * تأوبني بالرقتين لدى الارطى
فأكسبني من خدها روضة الجنى * والدغني من صدغها حية رقطا
وبانت ذراعا هانجاد العاتقي * اذا التقتا بالحلي غنى لها الغطا
وسل اهتصاري غصنها من مخصر * طواه الضنى طي الطوامير فامتطا
وقد غاب كحل الليل في دمع فجره * الى ان تبدى الصبح في الليلة الشمطا

ومنها في وصف الديك

وقام لها ينعى الدجا وشقيقة * يدير لنا من عين اجفانه نقطا
اذا صاح اصغى سمعه لاذانه * وبادر ضربا من قوادمه الابطا
كأن أنوشروان اعلاه تاجه * وناطت عليه كف مارية القرطا
سبى حلة الطاوس حسن لباسها * ولم يكفه حتى سبى المشية البطا

ومن غزلها

غلامية جاءت وقد جعل الدجا * لخاتم فيها قص غاليه خطا
فقلت احاجيها بما في جفونها * وما في الشفاء اللعس من حسنها المعطى
محمرة العينين من غير سكرة * متى شربت الحاظ عينيك اسفنطا
ارى نكهة المسواك في خمرة اللمى * وشاربك المخضر بالمسك قد خطا
عسى قرح قبلته فأخاله * على الشفة الليماء قد جاء مختطا

وقال في المطمع في تحلية الاسعد انه سرد البدائع احسن السرد وافترس المعاني كالاسد الورد وابرز درر المحاسن من صدفها وحاز من فخر الاجادة وشرفها ومدح ملوكا طوقهم من مدائحه قلائد وزف اليهم منها خرائد وجلاها عليهم كواعب بالالباب لواعب فأسالت العوارف وما تقلص له من الحظوة ظل وارف وقد اثبت له ما يعترف بحقه ويعرف به مقدار سبقه فمن ذلك قوله

لو كنت شاهدنا عشية امسنا * والمزن يبكينا بعيني مذنب
والشمس قد مدت اديم شعاعها * في الارض تجنح غير أن لم تغرب

وقوله وتلذ تعذيبي كأنك خلتني * عودا فليس يطيب ما لم يحرق

وهو مأخوذ من قول ابن زيدون

تظنونني كالعود حقا وانما * تطيب لكم انفاسه حين يحرق

انتهى ببعض اختصار وقال الاديب أبو بكر عبادة بن ماء السماء وهو كما في المطمع من فحول الشعراء وأئمتهم الكبراء وكان منتجعا بشعره مسترجعا من صرف دهره وكانت له همة أطالت همه وأكثرت كمده وغمه

فيه وما يكون من أمره في يزيد ومروان وبنيه وذكر الحجاج وما يسومهم من العذاب فارتفع الضجيج وكثر البكاء والشهيق فقام قائم من الناس فقال يا أمير المؤمنين لقد وصفت أمورا عظيمة آلله ان ذلك كائن قال علي والله ان ذلك لكائن ما كذبت ولا كذبت فقال آخرون متى ذلك يا أمير المؤمنين قال اذا خضبت هذه من هذه ووضع احدى يديه على لحيته والاخرى على رأسه فأكثر الناس من البكاء فقال لا تبكوا في وقتكم هذا فستبكون بعدي طويلا وبكاتب أكثر أهل الكوفة معاوية سرا في أمورهم واتخذوا عنده الايادي فوالله ما مضت الا أيام قلائل حتى كان ذلك وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب بعد ذكرنا لزهده ولمع من كلامه وجمل من أخباره أيضا أخبار معاوية بن أبي سفيان والله ولي التوفيق

(ذكر لمع من كلامه وأخباره وزهده رضوان الله عليه)

لما لبس عليه السلام في أيامه ثوبا جديدا ولا اقتنى ضيعة ولا ربعا الا شيأ كان له بسرف مما تصدق به وحبسه والذي حفظ الناس عنه من خطبه في سائر مقاماته أربعمائة خطبة

يورقني الليل الذي أنا ناعسه * فتجهل ما أتى وطرفك عالمه
وفي المودج المرقوم وجه طوى الغشا * عن الحسن فيه الحسن فد حار واقه
اذا شاء وقفا أرسل الحسن فرعه * يضلهم عن منهج القصد فاحمه
أظلمار أو تقليده الدر أم زروا * بتلك اللآلي انهن تمائمه

وقال الاديب أبو عبد الله بن عائشة في فتى طرزت غلالة خده وركب من عارضه سنانا على صعدة قده

اذا كنت تهوى خده وهو روضة * به الورد غض والاقاح مفلج
فزد كلفا فيه وفرط صبابة * فقد زيد فيه من عذار بنفسج

وحلا في المطمع بأن قال اشتهر صونا وعفافا ولم يعقبه حضره زفافا فأثر انقباضا وسكونا واعتمد اليهار كونا الى أن أنهضه أمير المسلمين الى بساطه فهب من مرقد خموله وشب لبلوغ مأموله فبدا منه في الحال انزواء في تسنم تلك الرسوم والتواء وقعود عن مراتب الاعلام وجمود لا يحمد فيه ولا يلام الا أن أمير المسلمين ألقى عليه منه محبه جلبت اليه مسرى الظهور ومهبه وكان له أدب واسع المدى يانع كالزهر بالله الندى ونظم مشرق الصفحه عبق النفحه الا انه قليلا ما كان يحل ربعه ويذيل له طبعه وقد أثبت له منه ما يدع الالباب حائره والقلوب اليه طائره فمن ذلك قوله في ليلة سمحت له بفتى كان يهواه ونفحته هبة وصل أبدت جواه

لله ليل بات عندي به * طوع يدي من مهجتي في يديه
وبت أسقيه كؤس الطلا * ولم أزل اسهر شوقا اليه
عاطيته حمراء ممزوجة * كأنها تعصر من وجنتيه

وخرج من بلنسية يوما الى منية الوزير لاجل ابي بكر بن عبد العزيز وهي من ابدع منازل الدنيا وقد مدت عليها ادواحها الافنا واهدت اليها ازهارها العرف والريا والنهر قد غص بمائه والروض قد فحص بمثل المجسم سمائه وكانت لبني عبد العزيز فيها اطراب تهيأ لهم فيها من الايام آراب فلبسوا فيها الانس حتى ابلوه ونشروا فيها الحظ وطووه أيام كانوا بذلك الافق طلوعا لم تضم عليهم الثوب ضلوعا فقعد ابو عبد الله مع لمة من الادباء تحت دوحة من ادواحها فهبت ريح انس من ارواحها سطت باعصارها واسقطت لؤلؤها على باسم ازهارها فقال

ودوحة قد علت سماء * تطلع ازهارها نجوما
هفا نسيم الصبا عليها * فأرسلت فوقنا رجوما
كأنما الجو غار لما * بدت فأغرى بها النسيما

وكان في زمان عطلته ووقت اصفراره وعلته ومقاساته من العيش أنكده ومن التخوف اجهده كثيرا ما ينشرح بجزيرة شقر ويستريح ويستطيب تلك الريح ويجول في اجارع واديها وينتقل من نواديها الى بواديها فانها صحيحة الهواء قليلة الادواء خضلة العشب والازاهر قد احاط بها نهرها كما تحيط بالمعاصم الاساور والايك قد نشرت ذوائبها على

قال الذين اذا أحسنوا استبشروا واذا أساؤا استغفروا واذا ابتلوا صبروا واذا غصبوا غفروا (وكان) يقول الدنيا دار صدق لمن صدقها ودار عافية لمن فهم عنها ودار غنى لمن تزود منها الدنيا مسجد أحباء الله ومصلى ملائكة الله ومهبط وحيه ومتجر أوليائه اكتسبوا فيها الرحمة وربحوا فيها الجنة فمن ذا يذمها وقد آذنت بينها ونادت بفراقها ونعت نفسها وأهلها ومثلت لهم ببلائها البلاء وشوقت بسرورها الى السرور وراحت بفجيعة وابتكرت بعافية تحذيرا وترغيبا وتخويفا فذمها رجال غب الندامة وحمدها آخرون غب المكافأة ذكرتهم فذكروا تصاريفها وصدقتهم فصدقوا حديثها فيا أيها الذام للدنيا المغتر بغرورها متى استدامت لك الدنيا بل متى غرتك من نفسها أبمضاجع آبائك من البلى ام بمصارع امهاتك من الثرى كم قد علتك بكفها ومرضت بيدك من تبغي له الشفاء وتستوصف له الاطباء لم تنفعه بشفائك ولم تستعفه بطلبتك قد مثلت لك به الدنيا نفسك وبمصرعه مصرعك غدا لا ينفعك بكاؤك ولا يغني عنك احباؤك ولا تسمع في مدح الدنيا احسن من

صفيحه والروض قد عطر جوانبه بريحه وابو اسحق بن خفاجة هو كان منزع نفسه ومصرع انسه نفع له بالمنى عبق وشذا ومسح عن عيون مسراته القذى وغدا على ما كان وراح وجرى معها فتا فى ميدان ذلك المراح قريب عهد بالفطام ودهره ينقاد فى خطام فلما اشتعل رأسه شيبا وزرت عليه الكهول جيبا اقصر عن تلك الهنات واستيقظ من تلك السنات وشب عن ذلك الطوق واقصر عن الهوى والشوق وقنع بأدنى تحيه وما يستشعره فى وصف تلك العهاد من ارتحيه فقال

الا خليانى والاسى والقوافيا * أردد ها شجوى واجهش باكيا
أآمن شخصا للسرة باديا * واندب رسما للشبيبة باليا
تولى الصبا الا توالى فكرة * قدحت بها زندا ومازلت واريا
وقد بان حلوا العيش الا تعلة * تحدثنى عنها الامانى خاليا
ويا برد هذا الماء هل منك قطرة * تهل فاستسقى غمامك صاديا
وهيهات حالت دون حزوى وأهلها * ليال وأيام تحاكى الليا ليا
وقل فى كبير عاده صائد الظبا * ٢ اليهن متاجا وقد كان سالبا
فيا راكبا يستعمل الخط وقاصدا * ألا عج بشقر ارتحالا ومغاديا
وقف حيث سال النهر ينساب أرقما * وهب نسيم الايك ينفث راقيا
وقل لاثيلات هناك واجرع * سقيت أثيلات وحييت واديا

انتهى ببعض اختصار وابن عائشة أشهر من أن ينال فى أمره وليس الخبر كالعيان * وقال أبو عمرو يزيد بن عبد الله بن أبى خالد اللخمى الاشبيلى الكاتب فى فتح المهدية سنة ٦٠٢

كم غادر الشعراء من متردم * ذخرت عظائمه لخير معظم
تبعا لمستنجور الفتوح فانه * جاءت له بخوارق لم تعلم
من كل سامية المنال اذا انتمت * رفعت الى اليرموك صوت المنتمى
وتوسطت فى النهر وان بنسبة * كرمت ففازت بالمحل الاكرم

قال ابن الابار فى تحفة القادم هو صدر فى نبهائها وأدبائها يعنى اشبيلية ومن له قدر فى منجبيها ونجبائها والى سلفه ينسب العقل المعروف بحجر أبى خالد وتوفى بها سنة ٦١٢ وأورد له قوله

ويا للعوارى المنشآت وحسنها * طوائر بين الماء والجو عوما
اذا نشرت فى الجو أجنحة لها * رأيت به روضا ونورا منمنما
وان لم تهبه الريح جاء مصلتا * فدت له كفا خضيبا ومعصما
مجاذف كالحيات مدت رؤسها * على وجل فى الماء كى تروى الظما
كما أسرعت عدا أنامل حاسب * بقبض وبسط يسبق العين والفما
هى الهدب فى أجفان أكحل أوطف * فهل صنعت من عندم أو بكت دما

قال ابن الابار أجاد ما أراد فى هذا الوصف وان نظر الى قول أبى عبد الله بن الحداد يصف اسطول المعتصم بن صمادح

الآخرة قد دنت مقبلة ولهذه أبناء ولهذه أبناء فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا الا وكونوا من الزاهدين فى الدنيا والراغبين فى الآخرة ان الزاهدين فى الدنيا اتخذوا الارض بساطا والتراب فراشا والماء طيبا وقوضوا الدنيا تقويضا الا ومن اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات ومن أشفق من النار رجع عن المحرمات ومن زهد فى الدنيا هانت عليه المصيبات ومن راقب الخير سارع فى الخيرات الا وان لله عبادا يرون أهل الجنة فى الجنة منعمين مخلدين قلوبهم محزونة وشرورهم مأمونة أنفسهم عفيفة وحاجتهم خفيفة صبروا أياما قليلة فصارت لهم العقبى راحة طويلة أما الليل فصافوا أقدامهم تجرى دموعهم على خدودهم يجارون الى ربهم ويسعون فى فكاك رقابهم وأما النهار فعلماء حكماء برره أتقياء كانهم القداح براهم الخوف والعبادة ينظر اليهم الناظر فيقول مرضى وما بالقوم من مرض أم خولطوا فقد خالطهم أمر عظيم من ذكر النار ومن فيها (وقال لابنه الحسن) يا بنى استغن هام

هام صرف الردى بهام الاعادى * ان سمت نحوهم لها أجياد
وتراءت بشرعها كعيون * دأبها مثل خائفيها سهاد
ذات هدب من المجاذيف حالك * هدب بالك لدمعه اسعاد
حمم فوقها من البيض نار * كل من أرسلت عليه رماد
ومن الخط فى يدى كل در * ألف خطها على البحر صاد

قال وما أحسن قول شيخنا أبى الحسن بن حريق فى هذا المعنى من قصيد اقتدنيه

وكأنما سكان الاراقم جوفها * من عهد نوح خشية الطوفان
فاذا رأين الماء يطفح نضنضت * من كل خرق حية بلسان

قال ولم يسبقهم الى الاحسان وانما سبقهم بالزمان على بن محمد الايادى التونسى فى قوله

شرعوا جوانبها لجاذف اتعبت * شادى الرياح لها ولما تتعب
تنصاع من كثب كما نفر القطا * طورا وتجتمع اجتماع الربرب
والبحر يجمع بينها فكأنه * ليل يقرب عقربا من عقرب
وعلى جوانبها أسود خلافة * تختال فى عدد السلاح المذهب
وكأنما البحر استعار بزيهم * ثوب الجمال من الربيع المعجب

من هذه القصيدة القريدة فى ذكر الشراع

ولها جناح يستعار يطيرها * طوع الرياح وراحة المتطرب
يعلو بها حدب العباب مطاره * فى كل لج زاخر مغلولب
يسمو بآخذى الهواء منصب * عريان منسرح الذؤابة شوذب
يتنزل الملاح منه ذؤابة * لورام يركبها القطا لم يركب
وكأنما رام استراقة مقعد * للسمع الا انه لم يشهب
وكأنما جن ابن داود هم * ركبوا جوانبها بأعنف مركب
سجروا جواهم بينهم فتقاذفوا * منها بألسن مارج متلهب
من كل مسجون الحريق اذا انبرى * من سجنه انصلت انصلات الكوكب
عريان يقدمه الدخان كانه * صبح يكر على ظلام غيهب

ن أولها

اعجب بأسطول الامام محمد * وبحسنه وزمانه المستغرب
لبست به الامواج أحسن منظر * يبدو لعين الناظر المتعجب
من كل مشرفة على ما قابلت * اشراف صدر الاجدل المتنصب
نها

جوفاء تحمل موكبا فى جوفها * يوم الرهان وتستقل بموكب

ى طويلة من غرر القصائد وقد سرد جملة منها صاحب المناهج وغيره * وقال أبو عمر القسطلى

وحال الموج بين بنى سبيل * يطير بهم الى الصوب ابن ماء
أغر له جناح من صباح * يرفرف فوق جنح من سماء

خذه أبو اسحق بن خفاجة فقال

وجارية ركبت بها ظلاما * يطير من الصباح بها جناح

عمن شئت تكن نظيره وسل من شئت تكن حقيره وأعط من شئت تكن أميره (ودخل) عليه رجل من أصحابه فقال كيف أصبحت يا أمير المؤمنين قال أصبحت ضعيفا مذنبا آكل رزقى وأنظر أجلى قال وما تقول فى الدنيا قال وما أقول فى دار أولها غم وآخرها موت من استغنى فيها افتتن ومن افتقر فيها حزن حلالها حساب وحرامها عقاب قال فأى الخلق أنعم قال أجساد تحت التراب قد أمنت العقاب وهى تنتظر الثواب (ودخل) ضرار بن حمزة وكان من خواص على على معاوية وافدا فقال له صف لى عليا قال اعفنى يا أمير المؤمنين قال معاوية لابد من ذلك فقال اما اذ كان لابد من ذلك فانه كان والله بعيد المدى شديد القوى يقول فصلا ويحكم عدلا يتفجر العلم من جوانبه وتنطق الحكمة من نواحيه يجتنب من الطعام ما خشن ومن اللباس ما قصر وكان والله يجيبنا اذا دعوناه ويعطينا اذا سألناه وكنا والله على تقريبه لنا وقربه منا لا نكلمه هيبة له ولا نبتدئه لعظمه فى نفوسنا يبسم عن مثل نظم كاللؤلؤ المنظوم يعظم أهل الدين ويرحم المساكين

م فى المغبة يتيما ذا مقربة أو مسكينا ذا متربة يكسو العريان وينصر اللهفان ويستوحش من الدنيا وزهرتها ويأنس

الليل وظلمته وكاني به وقد ارخى الليل سدوله وغارت نجومه وهو في محرابه قابض على لحيته يتململ تململ السليم ويبكي بكاء الحزين ويقول يا دنيا غري غيري الي تعرضت أم الي تشوفت هيهات هيهات لاحان حينك قد ابنتك ثلاثا لا رجعة لي فيك عمرك قصير وعيشك حقير وخطرك يسير آه من قلة الزاد ووحشة الطريق فقال له معاوية زدني شيأ من كلامه فقال ضرار كان يقول أعجب ما في الانسان قلبه وله مواد من الحكمة واضدادها من خلافها فان سنح له الرجاء اماله الطمع وان مال به الطمع أهلكه الحرص وان ملكه القنوط قتله الاسف وان عرض له الغضب اشتد به الغيظ وان أسعده الرضا نسي التحفظ وان أماله الخوف فضحه الجزع وان أفاد مالا أطغاه الغنى وان عضته فاقة فضحه الفقر وان أجهده الجوع اقعده الضعف وان أفرط به الشبع كظته البطنة فكل تقصير به مضر وكل افراط له مفسد فقال له معاوية زدني كل ما وعيته من كلامه قال هيهات أن آتي على جميع ما سمعته منه ثم قال سمعته يوصي كميل بن زياد يا كميل ذب عن المؤمن فان ظهره حمى الله ونفسه كريمة على الله وظالمه خصم الله واحذركم من ليس له ناصر الا الله ومن

اذا الماء اطم أن ورق خضرا * علا من موجه ردف رداح
وقد فغر الحمام هناك فاه * وأتلع جيده الاجل المتاح

ولا يخفاك حسن هذه العبارة الصقيلة المرآة فالله تعالى يرحم قائلها * وقال ابن الابار وقد قلت أنا في ذلك

يا حبذا من بنات الماء سابحة * تطفو لماشب أهل النار تطفئه
تطيرها الريح غربانا بأجنحة السحائم البيض للاشراك ترزؤه
من كل أدهم لا يلفى به جرب * فالراكبه بالقار يهنؤه
يدعى غرابا وللفتخا سرعته * وهو ابن ماء وللشاهين جؤجؤه

واجتمع ابن أبي خالد وأبو الحسن بن الفضل الاديب عند أبي الحجاج بن مرطير الطبيب بحضرة مراكش وجرى ذكر قاضيها حينئذ أبي عمران موسى بن عمران بينهم وما كان عليه من القصور والبعد عما اتيح له وأوثر به فقال أبو الحجاج ليس فيه من أبي موسى شبه فقال أبو الحسن فأبوه فضة وهو شبه فقال ابن أبي خالد

كم دعاه اذ رآه عرة * وأباه اذ دعاه يا أبه

انتهى

وقال أبو العباس الاعمى

بهيمة لو جرى في الخيل أكبرها * لغابت الريح في الاجمال والغرر
تجري فللماء ساقا عائم درب * وللرياح جناحا طائر حذر
قد قسمتها يد التقدير بينهما * على السواء فلم تسبح ولم تطر

وقال عبد الجليل بن وهبون يصف الاسطول

يا حسنها يوما شهدت زفافها * بنت الفضاء الى الخليج الازرق
ورقاء كانت أيكة فتصورت * لك كيف شئت من الحمام الاورق
حيث الغراب يجر شملة عجبه * وكأنه من غرة لم ينعق
من كل لابسة الشباب ملاءة * حسب اقتدار الصانع المتأنق
شهدت لها الاعيان أن شواهنا * أسماؤها فتصحفت في المنطق
من كل ناشرة قوادم أجنح * وعلى معاطفها وهادة سودق
زأرت زئير الاسد وهي صوامت * وزحفن زحف مواكب في مأزق
ومجادف تحكي أراقم ربوة * نزلت لتكرع من غدير مترقرق

وقال ابن خفاجة

سقيا لها من بطاح خز * ودوح نهر بها مطل
فما ترى غير وجه شمس * أظل فيه عذار ظل

وهو من بديع الشعر وكم لابن خفاجة من مثله * وقال عبيد الله بن جعفر الاشبيلي وقد زار صاحبا له مرات ولم يزره هو فكتب على بابه

يا من يزار على بعد المحل ولا * يزور نا مرة من بين مرات
زر من يزورك واحذر قول عاذلة * تقول عنك فتى يؤتى ولا ياتي

ومن مجونياته سامحه الله تعالى

وأغيد ليس تعدوه الامانى * ولو حكمت عليه باشتطاط
سقيت الراح حتى مال سكرا * ونام على النمارق والبساط
وأسلمنى على طول التجنى * وأمكننى على فرط التعاطى
فأولجت المقادر جيد بكر * ولا كفران فى سم الخياط
وغنانى بصوت من حشاه * فاطربنى وبالغ فى نشاطى
فانقر المثالث والمثانى * بأطرب من تلاحين الضراط
ولولا الريق لم أظفر بشئ * على عدم اهتبالى واحتياطى
فلا تسخر بريق بعد هذا * فان الريق مفتاح اللواط

وقال أبو الحسن على بن جحد الزجال

كيف أصبحت أيهذا الحبيب * نحن مرضى الهوى وأنت الطبيب
كل قلب اليك يهفو غراما * وتجافى على منك القلوب
ان تلح حومت عليك هياما * أو تغب حنها عليك الوجيب
غير أنى من بينهم مستريب * حين تبدو وليس لى مايريب
كل ما قد ألقاه منك ومنى * دون هذا له تشتاق الجيوب

وقال أحمد المعروف بالكساد فى موسى الذى كان يتغزل فيه شعراء اشبيلية

ما لموسى قد ادخر الله لما * فاض نورا غشاه ضوء سناه
وأنا قد صعقت من نور موسى * لا أطيق الوقوف حين أراه

ولله دره فى رثاء موسى المذكور اذ قال

فر الى الجنة حوريها * وارتفع الحسن من الارض
وأصبح العشاق فى مأتم * بعضهم يبكى الى بعض

وقوله فيه هتف الناعى بشجو الابد * اذ نعى موسى بن عبد الصمد
ما عليهم ويحهم لو دفنوا * فى فؤادى قطعة من كبدى

ولقب بالكساد لقوله * وبيع الشعر فى سوق الكساد * وقال أبو القاسم بن أبى طالب الحضرمى المنيشى

صاغت يمين الرياح محكمة * فى نهر واضح الاسارير
فكلما ضاعفت بها لقما * قام لها القطر بالمسامير

قال أبو زيد عبد الرحمن العثمانى وهو من بيت امارة

لا تسلى عن حالتى فهى هذى * مثل حالى لا كنت يا من يرانى
ملنى الاهل والاخلاء لما * أن جفانى بعد الوصال زمانى
فاعتبر بى ولا يغرك دهر * ليس منه ذو غبطة فى أمان

قال أبو زكريا يحيى بن محمد الاوكشى

لا حبذا المال والافضال يتلفه * والبخل يحميه والاقدار تعطيه

يحل أجله حتى مر به رجل والبعير معقول فقال بكم هذا فقال بمائتى درهم فقال قد أخذته فوزن له الثمن فدفع على منه مائة

وقال لاتبكين لاخوان تفارقهم * فانني قبلك استخبرت اخواني
فاحمدتهم في حال قربهم * فكيف في حال ابعاد وهجران

وقال ابو عمران موسى الطريانى لما دخل يوم نيروز الى بعض الاكابر وعادتهم أن يصنعوا في مثل هذا اليوم مدائن من العجين لها صور مستحسنة فنظر الى صورة مدينة فاعجبته فقال له صاحب المجلس صفها وخذها

مدينة مسوره * تحار فيها البصره
لم تبنها الايدا * عداء أو مخدره
بدت عروسا تجتلى * من درملك مزعفره
ومالها مفاتح * الا البنان العشره

وقال أبو عمرو بن حكم

حاشا لمن أملكم أن يخيب * وينثني نحو العدا مستريب
هذا ولم أقر أني بشركم * نصر من الله وفتح قريب

وقال أبو الحسن علي بن الجعدى القرمونى

ايالك من زلل اللسان فانه * قدر الفتى من لفظه المسموع
فالمرء يخبر بالاناء بنقره * ليرى الصحيح به من المصدوع

وقال الفقيه أبو الحسن علي بن ليال في محبرة عاب محلاة بفضة

منعلة بالهلال ملجمه * بالتبر مجدولة من الشفق
كانما حبرها يتمع في * فرضتها سائلا من الغسق
فأنت مهما ترد تشبهها * في كل حال فانظر الى الافق

وقال في محبرة آبنوس

وخدية للعلم في أحشائها * كلف يجمع حرامه وحلاله
لبست رداء الليل ثم توشحت * بنجومه وتتوجت بهلاله

وقال ابو العباس أحمد بن شكيل الشريشي

تفاحة بت بها ليلتي * أبثها سري والشكوى
أضمها معتنقا لاثما * اذا ذكرت خد من أهوى

وقال تفاحة حامضة عضها * في مثل من قطب الوجها
ولم أخل من قبلها محسنا * يجري عليه العض والنجها

وقال أبو جعفر أحمد الشريشي

على حسن نور الباقلاء أدرها * على الصب كاسي خمرة وجفون
يذكرني بلق الحمام وتارة * يؤكد للاشجان شهل عيون

وقال عمرو بن غياث

وقالوا مشيب قلت واعجبا لكم * أينكر صبح قد تخلل غيهبا
وليس مشيبا ما ترون وانما * كميت الصبا لما جرى عاد أشهبا

وأر بعين درهما للذى هى فقال هذه تصديق لما جاء به أبوك صلى الله عليه وسلم من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وعن ابن عباس بقوم ينالون من على ويسبونه فقال لقائده أدنني منهم فادناه فقال أيكم الساب لله قالوا نعوذ بالله ان نسب الله فقال أيكم الساب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا نعوذ بالله ان نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أيكم الساب على بن أبي طالب قالوا أما هذه فنعم فقال أشهد لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سبني فقد سب الله ومن سب عليا فقد سبني فاطرقوا فلما ولى قال لقائده كيف رأيتهم فقال

نظروا اليك بأعين مزورة
نظر النيوس الى شفار الجازر

فقال زدني فداك أبي وأمي فقال

خزر العيون منكسي
أذقانهم
نظر الذليل الى العزيز
القاهر

قال زدني فداك أبي وأمي قال ما عندي مزيد ولكن عندي

أحياؤهم تجني على أمواتهم * والميتون فضيحة للغابر وقد ذكر جماعة من أهل النقل عن أبي عبد الله وقال

وقال الوزير أبو بكر محمد بن ذي الوزارتين أبي مروان عبد الملك بن عبد العزيز يخاطب ابن عبدون

في ذمة الفضل والعلياء مرتحل * فارقت صبري اذا فارقت موضعه
ضاعت به برهة أرجاء قرطبة * ثم استقل فسد البين مطلعه
عذرا الى المجد عني حين فارقني * ذاك الجلال فاعيا أن أشيعه
قد كنت أصحبته قلبي وأقعدني * ما كان أودعني عن أن أودعه

وفيهم يقول ابن عبدون

بحور بلاغة ونجوم عز * واطواد رواس من جلال

وقال الوزير الكاتب أبو القاسم بن ابي بكر بن عبد العزيز

ندبي لاعدمتك من نديم * ادرها في دجى الليل البهيم
فخير الانس أنس تحت ستر * يصان عن السفيه او الحليم

وقال الثائر ابو عبد الله الجزيري

في أم رأسي سر * يبدو لكم بعد حين
لابلغن مرادي * ان كان سعدي معيني
أولا فأكتب ممن * سعى لاظهار دين

وسبب قوله هذا أن بني عبد المؤمن لما غيروا رسم مهديهم وصيروا الخلافة ملكا وتوسعوا في الرفاهية وأهملوا حق الرعية جعل يستر وقال هذه الابيات وشاع سره في مدة ناصر بني عبد المؤمن فطلبه فغر ولم يزل يتنقل مستخفيا مع أصحابه الى أن حصل في حصن قواية من عمل مدينة بسطة فبينما هو ذات يوم في جامعها مع أصحابه وهم يأكلون بطيخا ويرمون قشره في صحن الجامع اذ أنكر ذلك رجل من العامة وقال لهم ما تتقون الله تعالى تتهاونون ببيت من بيوته فضحكوا منه واستهزؤا به وأهل تلك الجهة لا تحتمل شيأ من ذلك فصاح بفتية من العامة فاجتمع جمع وحملوا الى الوالي فكان عند الوالي من عرفه فقتلوا جميعا وأمر الناصر أن يرفع عن جميع أرض قولية جميع تكاليف السلطان * ولما عتب المنصور ابن أبي عامر على الكاتب عبد الملك الجزيري وسجنه في الزاهرة ثم صفح عنه قال وكتب به اليه

عجبت من عفو أبي عامر * لابد أن تتبعه منه
كذلك الله اذا ما عفا * عن عبده أدخله الجنه

فاستحسن ذلك وأعاده الى حاله * وقال على لسان بهار العامرية وهو النرجس

حدق الحسان تقر لي وتغار * وتضل في وصفي النهى وتحار
طلعت على قضبي عيون تمائمي * مثل العيون تحفها الاشفار
وأخص شيء بي اذا شبهته * در تمنطق سلكه دينار
أنا نرجس حقا بهرت عقولهم * بيديع تركيبي فقيل بهار

وقال في بنفسجها

شهدت لنوار البنفسج ألسن * من لونه الاحوى ومن ايناعه

نى أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم ومن خطبه قبل هذا وتزهيده في هذه الدنيا قوله في بعض مقاماته

الليلة التي ضربه فيها عبد الرحمن بن ملجم بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة على رسوله صلى الله عليه وسلم كل امرئ ملاقيه ما يفر منه والاجل تساق النفس اليه والهرب منه موافاتكم اطردت الايام أتحينها عن مكنون هذا الامر فالى الله عز وجل الا اخفاءه هيهات علم مكنون اما وصيتي فلا تشركوا به شيأ ومحمدا لا تضيع سنته اقيموا هذين العمودين حمل كل امرئ منكم مجهوده وخفف عن الحملة رب رحيم ودين قويم وامام عليم كما في اعصار ودوي رياح تحت ظل غمامة اضمحل راكدها فخطها من الارض حيا وبقي من بعدي خبرها واستكنه بعدوكة كاظمة بعد نطق ليعظكم هدوئي وخفوت اطرافي انه اوعظ لكم من نطق البليغ ودعتكم وداع امرئ مرصد للتلاق وغدا ترون ويكشف عن ساق عليكم السلام الى يوم المرام كنت بالامس صاحبكم واليوم عظة لكم وغدا فارقكم ان افق فانا ولي دمي وان امت فالقيامة ميعادي والعفو اقرب للتقوى الا تحبون

وخطبه ان الدنيا قد ادبرت وآذنت بوداع وان الآخرة قد اشرفت واقبلت باطلاع وان المضمار اليوم بالسباق غداً لا انكم في ايام امل وراءه اجل فمن اخلص في ايام امله قبل حضور اجله فقد حسن عمله فاعملوا الله في الرغبة كما تعملون في الرهبة الا واني لم ار كالجنة نام طالبها ولا كالنار نام هاربها الا وانه من لم ينفعه الحق يضره الباطل ومن لا يستقيم له الهدى يخزيه الضلال وقد امرتم بالظعن ودللتم على الزاد فان اخوف ما اخاف عليكم اتباع الهوى وطول الامل * وفضائل علي ومقاماته ومناقبه ووصف زهده ونسكه اكثر من ان يأتي عليه كتابنا هذا او غيره من الكتب او يبلغه اسهاب مسهب او اطناب مطنب وقد اتينا على جمل من اخباره وزهده وسيره وانواع من كلامه وخطبه في كتابنا المترجم بكتاب حدائق الاذهان في أخبار آل محمد عليه الصلاة والسلام وفي كتاب مزاهر الاخبار وظرائف الآثار للصفوة النورية والذرية الزكية أبواب الرحمة وينابيع الحكمة (قال المسعودي) والاشياء التي استحق بها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الفضل هي السبق الى الايمان والهجرة والنصرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم والقرب منه والقناعة وبذل النفس له

بشابه الشعر الاحم أعاره * القمر المنير الطلق نور شعاعه
ولربما جد النجيع من الطلى * في صارم المنصور يوم قراعه
فكأنه غير مخالف في لونه * لا في روائحه وطيب طباعه

وقال في القمر حين جعل يختفي بالسحاب ويبدو أمام المنصور

أرى بدر السماء يلوح حينا * فيظهر ثم يلتحف السحابا
وذلك انه لما تبدى * وأبصر وجهك استحيا وغابا

وقال الجاري في المسهب سألت أبا الحسن علي بن حفص الجزيري أن ينشدني شيأ من شعره فقال يا أبا محمد اذا لم ينظم الانسان مثل قول شرف

لم يبق للجور في أيامكم أثر * الا الذي في عيون الغيد من حور

فالاولى له أن يترك نظم الشعر الى أن خرجت معه يوما الى سيف الجزيرة الخضراء فلقي غلاما قد كدرونق حسنه السفر وأثر في وجهه كآثار الكلف في القمر فصافحه ثم قال

بأبي الذي صافحته فتوردت * وجناته وأنا نحوي قده
فتربدا كلف السرى في خده * لما توالى في الترحل جهده
لكن معالم حسنه تمت كما * قدتم في صدا الحسام فرنده

فحفظتها من سمعه ثم قلت له قد أخذت عنك من نظمك بغير شكرك فضحك وقال فاحفظ هذا وأنشد

لا تقولن فلان * صاحب قبل اختبار
وانتظر وبحك نقدا * لليل فيه والنهار
أنا جربت فلم ألـ * ـف صديقا باختياري

وأنشد

كم قد بكرت الى الرياض وقضبها * قد ذكرتني موقف العشاق
يا حسنها والريح يلحف بعضها * بعضا كاعناق الى اعناق
والورد خد والاقاحي مبسم * وغدا البهار ينوب عن احداق
لم انفصل عنها بكاس مدامة * حتى حملت محاسن الاخلاق

ولما كتب ابو الحسن بن سعيد الى الاديب القائد ابي العباس احمد بن بلال يستدعيه ليوم انس بقوله

ابا العباس لو ابصرت حرلى * ندامى بادروا العيش الهنيا
يبيحون المدام ولا انتقاد * ويقارهم ويزدادون غيا
وهم مع ما بذلت من عفاف * يحبون الصبية والصبيا
ويهوون المثالث والمثاني * وشرب الراح صبحا وعشيا
على الروض الذي يهدي لطرف * وانف منظرا بهجا وريا
فلا تلم السرى على ارتياح * حكى طربا بجانبه سريا
وبادر نحو نادمك الامين * ندالك فقد عهدتك لوذعيا

اجابه بقوله

ابيت سوى المعالي يا عليا * فما تنفك دهرك أريحيا

تميل

تميل اذا النسيم سرى كغصن * وتسرى للكارم مشرفيا
وترتاح ارتياحا بالمثانى * وتقتض الصبية والصبيا
وتهوى الروض قلده نداه * والبسه مع الحلل الحليا
وان غنى الحمام فلا اصطبار * وان خفق الخليع فنيت حيا
تذكرنى الشباب فلست ادرى * اصحا حين تذكرام عشيا
فلو ادركتنى والغصن غض * لادركت الذى تهوى لديا
ولم اترك وحقك قدر لحظ * وقد ناديتنى ذاك النديا

وقال بعض اهل الاندلس

وفرع كان يوعدنى بأسر * وكان القلب ليس له قرار
فنادى وجهه لاتخوف فاسكن * كلام الليل يمحوه النهار

ولست على يقين أن قائلهما أندلسى غير أنى رأيت فى كلام بعض الافاضل نسبتهما لاهل الاندلس والله تعالى أعلم * وقال أبو الوليد القسطلى

وفوق الدوحة الغناء دير * تلألأ صفحة وسجا قرارا
اذا ما انصب أزرق مستقيما * تدور فى البحيرة فاستدارا
يجرده فم الانبوب صلتا * حساما ثم يغلته سوارا

ولابى كثير الطريفى يمدح الناصر بن المنصور

فتوح لها بهنز شرق ومغرب * كما اطردت فى السمهرية أكعب
تجلت على الدنيا شموس منيرة * فلم يبق فى ليل الكآبة غيهب
أقام بها الاسلام شد ومغرد * وظلت بأرض الشرك بالخطب تخطب
فلا سمع الا وهو قد مال نحوها * ولا قلب الا فى مناها يقلب

وقال أبو عامر بن الجد

لله ليلة مشتاق ظفرت بها * قطعتها بوصال اللثم والقبل
نعمت فيها بأوتار تعللنى * أحلى من المن أو امنية الغزل
أحبب الى بها اذ كلها سحر * أراحت الصب من عذر ومن عذل

وقال الكاتب أبو عبد الله محمد الشبلى كاتب ملك افريقية عبد الواحد بن أبى حفص

مد الى الكاس من لحظه * لايحوج الشرب الى الكاس
ومنذ حيانى باسم فلم * أيأس ولكن كان لى آسى
وقال لولا الناس قبلته * ما أشأم الناس على الناس

وقال أبو بكر محمد بن المليح وهو من رجال الذخيرة على لسان حال سوار مذهب

أنا من الفضة البيضاء خالصة * لكن دهتنى خطوب غيرت جسدى
علقت غصنا على أحوى فأجسدنى * جرى الوشاح وهذى صفرة الجسد

وما أحسن قوله من قصيدة فى المعتضد والد المعتمد

غرته الشمس والحيا يده * بينهما للنجيع قوس قزح

والحكم والعفة والعلم وكل ذلك لعلى عليه السلام منه النصيب الاوفر والحظ الاكبر الى ما ينفرد به من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم حين آخى بين اصحابه أنت أخى وهو صلى الله عليه وسلم لاضد له ولا ند وقوله صلوات الله عليه أنت منى بمنزلة هرون من موسى الا انه لا نبى بعدى وقوله عليه الصلاة والسلام من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ثم دعاؤه عليه السلام وقد قدم اليه أنس الطائر اللهم أدخل الى احب خلقك اليك يأكل معى من هذا الطائر فدخل عليه على الى آخر الحديث فهذا وغيره من فضائله وما اجتمع فيه من الخصال مما تفرق فى غيره وله كل فضائل من تقدم وتأخر وقبض النبى صلى الله عليه وسلم وهو راض عنهم مخبر عن بواطنهم بموافقتها لظواهرهم بالايمان وبذلك نزل التنزيل وتولى بعضهم بعضا فلما قبض الرسول صلى الله عليه وسلم وارتفع الوحى حدثت أمور تنازع الناس فى صحتها ولا يقطع عليهم بها واليقين من أمورهم ما تقدم وما روى مما كان فى احداثهم بعد نبيهم صلى الله عليه وسلم فغير متيقن بل هو ممكن ونحن نعتقد

فيهم ما تقدم والله أعلم بما حدث والله ولي التوفيق *(ذكر خلافة الحسن بن علي بن ابي طالب رضي الله عنه)*

ثم بويع الحسن بن علي ابن ابي طالب بالكوفة بعد وفاة علي ابيه بيومين في شهر رمضان من سنة اربعين ووجه عماله الى السواد والجبل وقتل الحسن عبد الرحمن بن ملجم على حسب ما ذكرنا ودخل معاوية الكوفة بعد صلح الحسن بن علي لخمس بقين من شهر ربيع في سنة احدى واربعين وكانت وفاة الحسن وهو يومئذ ابن خمس وخمسين سنة بالسم ودفن بالبقيع مع امه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ولي التوفيق

(ذكر لمع من أخباره وسيره رضي الله عنه)

حدثنا جعفر بن محمد عن أبيه عن جده علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم قال دخل الحسين على عمي الحسن بن علي لما سقي السم فقام لحاجة الانسان ثم رجع فقال لقد سقيت السم عدة مرار فما سقيت مثل هذه لقد لفظت طائفة من كبدي فرأيتني أقلبه بعود في يدي فقال له الحسين يا أخي من سقاك قال وما تريد بذلك فان كان الذي أظنه فالله حسيبه وان كان غيره فما أحب ان يؤخذ بي بريء فلم يلبث بعد ذلك الا ثلاثا حتى

واما ابنه أبو القاسم فهو من رجال المسهب وكان اشتغل أول أمره بالزهد وكتب التصوف فقال له أبوه يا بني هذا الامر ينبغي أن يكون آخر العمر وأما الآن فينبغي أن تعاشر الادباء والظرفاء وتأخذ نفسك بقول الشعر ومطالعة كتب الادب فلما عاشرهم زينوا له الراح فتهتك في الخلاعة وفر الى اشبيلية وتزوج بامرأة لا تليق بحاله وصار يضرب معها بالدف فكتب اليه أبوه

يا سخنة العين يا بنيا * ليتك ما كنت لي بنيا
أبكيت عيني أطلت حزني * أمتذكري وكان حيا
حططت قدري وكان أعلى * في كل حال من الثريا
أما كفاك الزنا ارتكابا * وشرب مشمولة الحميا
حتى ضربت الدفوف جهرا * وقلت للشر جئ اليا
فاليوم أبكيك ملء عيني * ان كان يغني البكاء شيا

فاجاب أباه بقوله

يا لائم الصب في التصابي * ما عنك يغني البكاء شيا
أوجفت خيل العتاب نحوي * وقبل وثبتها اليا
وقلت هذا قصير عمر * فاربح من الدهر ما تهيا
قد كنت أرجو المتاب مما * فتنت جهلا به وغيا
لولا ثلاث شيوخ سوء * أنت وابليس والحميا

وقال أبو بكر محمد بن عبد القادر الشبلي يستدعي

فديتك يا كرنحو قبة روضة * تسيح بها الامواه والطير تهتف
وقد طلعت شمس الدنان بأفقها * ونحن لديها في انتظارك وقف
فلا تتخلف ساعة عن محلة * صدودك عمن حل فيها تخلف

وقال أخو امام نحاة الاندلس أبي محمد عبد الله بن السيد البطليوسي وهو أبو الحسن علي ابن السيد

يا رب ليل قد هتكت حجابه * بزجاجة وقادة كالكوكب
يسعى بها ساق أغن كأنها * من خده ورضاب فيه الاشنب
بدران بدر قد أمنت غروبه * يسعى ببدر طالع للمغرب
فاذا نعمت برشف بدر طالع * فانعم ببدر آخر لم يغرب
حتى ترى زهر النجوم كأنها * حول المجرة ربرب في مسرب
والليل منحفز يطير غرابه * والصبح يطرده بباز أشهب

ولما مدح أبو بكر محمد بن الروح الشلبي الامير ابراهيم الذي خطب به الفتح في القلائد وهو ابن أمير المسلمين يوسف بن تاشفين وكان يدل عليه وينادمه بقصيدته التي أولها

أنا شاعر الدنيا وأنت أميرها * فعلى لا يسري الى سرورها

اشار الامير الى مضحك له كان حاضرا أن يخبق له القول أنا شاعر الدنيا فقال له ابن الروح على

من

من خبقت يعنى انه يحتمل أن يكون ذلك الفعل لقوله أنا شاعر الدنيا أو لقوله وأنت أميرها ففطن الامير لما قصده وضحك وتغافل * وقال أبو بكر بن المخل الشلبى

كم ليلة دارت على كواكب * للغمر تطلع ثم تغرب فى فى
قبلتها فى كف من يسعى بها * وخلطت قبلتها بقبلة معصم
وكأن حسن بنانه مع كاسه * غيم يشير لنا ببعض الانجم

وقال ذو الوزارتين أبو بكر بن عمار

قرأت كتابك مستشفعا * بوجه أبى الحسن من رده
ومن قبل فض ختام الكتاب * قرأت الشفاعة فى خده

وقال

غزا القلوب غزال * جحت اليه العيون
قد خط فى الخد نونا * وآخر الحسن نون

قال الجارى وا كثار ابن عمار فى المعذرين واحسانه فيهم يدلك على انه كما قيل عنه كان مشغوفا بالكاس والاستلقاء من غير نعاس * وكان أبو الفضل بن الاعلم من أجل الناس وأذكاهم فى علم الادب والنحو وأقرأ علم النحو قبل أن يلتحى فقال ابن صارة فيه

أكرم بجعفر اللبيب فانه * مازال يوضح مشكل الايضاح
ماء الجمال بخده مترقرق * فالعين منه تجول فى ضحضاح
ماخده جرحته عينى انما * صبغت غلالته دماء جراحى
لله زاى زبرجد فى عسجد * فى جوهر فى كوثر فى راح
ذى طرة سبجية ذى غرة * عاجية كالليل والاصباح
رشأ له خد البرى ولحظه * ابدا شريك الموت فى الارواح

وقال الرمادى

ونور غيث مسبل * وقهوة تسلسل
تدور بين فتية * بخلقهم تمثل
والافق من سحابه * طل ضعيف ينزل
كأنه من فضة * براقة تغسل بل

وقال

بدر بدا يحمل شمسا بدت * وخدها فى الحسن من خده
تغرب فى فيه ولكنها * من بعد ذا تطلع فى خده

ومن نظم أبى الفضل بن الاعلم السابق الذكر

وعشية كالسيف الاحده * بسط الربيع بها النعلى خده
عاطيت كاس الانس فيها واحدا * ماضره أن كان جمعا وحده

وهو جعفر ابن الوزير أبى بكر محمد ابن الاستاذ الاعلم من رجال القلائد والمسهب وشمط الجمان وكان قاضى شنتمرية والاستاذ الاعلم هو امام نحاة زمانه ابو الحجاج يوسف بن عيسى من رجال الصلة والمسهب والسمط وهو شارح الاشعار الست ومن نظمه يخاطب المعتمد بن عباد

يا من تملكنى بالقول والعمل * ومبلغى فى الذى أملته أملى

معاوية دس اليها انك ان احتلت فى قتل الحسن وجهت اليك مائة الف درهم وزوجتك يزيد فكان ذلك الذى بعثها على سمه فلما مات وفى لها معاوية بالمال وارسل اليها انا نحب حياة يزيد ولولا ذلك لوفينا للك بتزويجه (وذكر) ان الحسن قال عند موته لقد حاقت شربته وبلغ امنيته والله ما وفى بما وعد ولا صدق فيما قال وفى فعل جعدة يقول النجاشى الشاعر وكان من شيعة على فى شعر له طويل

جعدة بكيه ولا تأمى
بعد بكاء المعول الثاكل
لم يسبل الستر على مثله
فى الارض من حاف ومن ناعل
كان اذا شبت له ناره
يرفعها بالسند العاقل
كيما يراها بائس مرمل
وفرد قوم ليس بالآهل
يغلى بنى اللحم حتى اذا
أنضجه لم يغل كل آكل

اعنى الذى اسلمنا هلكه للزمن المستخرج الماحل وفى ذلك يقول آخر من شيعة على رضى الله عنه

تأسف فكم للشمن سلوة
تفرج عنك غليل الحزن
بموت النبى وقتل الوصى

وقتل الحسين وسم الحسن (قال المسعودى رحمه الله) ووجدت فى كتاب الاخبار لابى الحسن على بن محمد بن سليمان النوفلى

كيف الثناء وقد أعجزتني نعما * مالي بشكري عليها الدهر من قبل
رفعت للعود أعلاما مشهرة * فبابك الدهر منها عام السبل

وقال أبو علي ادريس بن اليمان العبدري

قبلة كانت على دهش * اذهبت مابي من العطش
ولها في القلب منزلة * لو عدتها النفس لم تعش
طرقتني والدجا لبست * خلعا من جلدة الحنش
وكأن النجم حين بدا * درهم في كف مرتعش

وساله المعتضد أن يمدحه بقصيدة يعارض بها قصيدته السينية التي مدح بها ابن حمود فقال له اشعاري مشهورة وبنات صدري كريمة فمن أراد أن ينكح بكرها فقد عرف مهرها وكانت جائزته مائة دينار ومن مشهور شعره بالمغرب والمشرق قوله

ثقلت زجاجات أتتنا فرغا * حتى اذا ملئت بصرف الراح
خفت فكدت أن تطير بما حوت * وكذا الجسوم تخف بالارواح

وكانت بين الاديب الحسيب أبي عمرو بن طيفور والحافظ ابي الهيثم مهاجاة فقال فيه الحافظ

لابن طيفور قريض * فيه شوك وغموض
عدمت فيه القوافي * والمعاني والعروض

وقال فيه ابن طيفور

انما الهيثم سفر * من كلام الناس ضخم
لا تطالبه بفهم * ليس للديوان فهم

وقال أبو عمران بن سعيد اخبرني والدي انه زار ابن حمدين بقرطبة في مدة يحيى بن غانية فوجدته في هالة من العلماء والادباء فقام وتلقاني ثم قال يا أبا عبد الله ما هذا الجفاء فاعتذرت بأني أخشى التثقيل وأعلم أن سيدي مشغول بما هو مكب عليه فأطرق قليلا ثم قال

لو كنت تهوانا طلبت لقاءنا * لم يحجب الحب عن الحبيب بصابر
فدع المعاذر انما هي جنة * لمخادع فيها ولست بعاذر

فقلت تصديق سيدي عندي أحب الي وان ترتبت على فيه الملامة من منازعته منتصر الحق فاستحسن جوابي وقال لي كرره فانه والله ماح لكل ذنب ثم سألته كتب البيتين عنه فقال لي وما تكتب فيهما فقلت لا حد ما أخبر به والدي اذا أبت اليه فأملاهما علي فقلت من قائلهما قال قائلهما فعلمت أنهما له وقنعت بذلك * وقال الجياري صاحب المسهب في أخبار المغرب

كم بت من أسر السهاد بليلة * ناديت فيها هل لجنحك آخر
اذ قام هذا الصبح يظهر ملة * حكمت بان ذبح الظلام الكافر

وعلى ذكر المسهب فقد كنت كثيرا ما أستشكل هذه التسمية لما قال غير واحد ان المسهب انما هو بفتح الهاء كقولهم سيل مفعم بفتح العين والفقرة الثانية وهي المغرب تقتضي أن

عن صالح بن علي بن عطية الاصم قال حدثنا عبد الرحمن بن العباس الهاشمي عن أبي عون صاحب الدولة عن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس عن أبيه عن جده عن العباس بن عبد المطلب قال كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ أقبل علي بن أبي طالب فلما رآه اسفر في وجهه فقلت يا رسول الله انك لتسفر في وجه هذا الغلام فقال يا عم رسول الله والله لله أشد حبا له مني ولم يكن نبي الا وذريته الباقية بعده من صلبه وان ذريتي بعدي من صلب هذا انه اذا كان يوم القيامة دعي الناس باسمائهم واسماء امهاتهم ستر من الله عليهم الا هذا وشيعته فانهم يدعون باسمائهم واسماء آبائهم لصحة ولادتهم ولما دون الحسن رضي الله عنه وقف محمد بن الحنفية اخوه على قبره فقال لئن عزت حياتك لقد هدت وفاتك ولنعم الروح روح تضمنه كفنك ولنعم الكفن كفن تضمن بدنك وكيف لا تكون هكذا وأنت عقبة الهدى وخلف أهل التقوى وخامس أصحاب الكساء غذتك بالتقوى أكف الحق وارضعتك ثدي الايمان وربيت في حجر الاسلام فطبت حيا وميتا وان كانت انفسنا غير سخية بفراقك رحمك الله أبا محمد (ووجدت) في وجه آخر يكون

يكون بكسر الهاء ولم يزل ذلك يتردد فى خاطرى الى أن وقفت على سؤال فى ذلك رفعه المعتمد ابن عباد سلطان الاندلس الى الفقيه الاستاذ أبى الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى النحوى الشنتمرى المشهور بالاعلم ونص السؤال سألك ابقاك الله الوزير الكاتب أبو عمرو بن غطمش سلمه الله عن المسهب وزعم أنك تقول بالفتح والكسر والذى ذكر ابن قتيبة فى ادب الكاتب والزبيدى فى مختصر العين أسهب الرجل فهو مسهب اذا أكثر الكلام بالفتح خاصة فبين لى أبقاك الله تعالى ما تعتقد فيه والى أى كتاب تسند القولين لاقف على صحة من ذلك فأجابه وصل الى أدام الله تعالى توفيقك هذا السؤال العزيز وقفت على ما تضمنه والذى ذكرته من قول ابن قتيبة والزبيدى فى الكتابين موضوع كما ذكرته والذى احفظه وأعتقده أن المسهب بالفتح المكثر فى غير صواب وأن المسهب بالكسر البليغ المكثر فى الصواب الا أنى لا أسند ذلك الى كتاب بعينه ولكنى أذكره عن أبى على البغدادى عن كتاب البارع أو غيره معلقا فى عدة نسخ من كتاب البيان والتبيين على بيت فى صدره لمكى بن سوادة وهو

حصر مسهب جرى عجبان * خير عى الرجال عى السكوت

والمعلقة تقول العرب أسهب الرجل فهو مسهب وأحصن فهو محصن وألفج فهو ملفج اذا افتقر قال الخليل يقال رجل مسهب ومسهب قال أبو على أسهب الرجل فهو مسهب بالفتح اذا أكثر فى غير صواب وأسهب فهو مسهب بالكسر اذا اكثر واصاب قال ابو عبيدة اسهب الرجل فهو مسهب اذا اكثر من خرف وتلف ذهن وقال ابو عبيد عن الاصمعى اسهب الرجل فهو مسهب بالفتح اذا خرف وأهتر فان اكثر من الخطا قيل افند فهو مفند انتهت المعلقة فرأى مملوكك أيدك الله تعالى واعتقاده أن المسهب بالفتح لا يوصف به البليغ المحسن ولا المكثر المصيب ألا ترى الى قول الشاعر حصر مسهب انه قرن فيه المسهب بالحصر وذمه بالصفتين وجعل المسهب أحق بالعى من الساكت والحصر فقال

*خير عى الرجال عى السكوت * والدليل على أن المسهب بالكسر يقال للبليغ المكثر فى الصواب أنهم يقولون للجواد من الخيل مسهب بالكسر خاصة لانها بمعنى الاجادة والاحسان وليس قول ابن قتيبة والزبيدى فى المسهب بالفتح هو المكثر من الكلام بموجب أن المكثر هو البليغ المصيب لان الاكثار من الكلام داخل فى معنى الذم لانه من الثرثرة والهذر ألا تراهم قالوا رجل مكثار كما قالوا ثرثار ومهذار وقال الشاعر

*فلا تمارون ان ماروا بأكثار * فهذا ما عندى والله تعالى الموفق للصواب قال الاعلم ثم نظمت السؤال العزيز والجواب المذكور فقلت

سلام الاله وريحانه * على الملك المجتبى المنتخل
سلام امرئ ظل من سيبه * خصيب الجناب رحيب المحل
أتانى سؤالك أعززبه * سؤال مبر على من سال
يسائل عن حالتى مسهب * ومسهب المبتلى بالعلل
لما اختلفا فى بناء يهما * وحكمهما واحد فى فعل

حياتك نقدفع مماتك
وكيف لا تكون كذلك
وانت خامس أهل الكساء
وابن محمد المصطفى وابن
على المرتضى وابن فاطمة
الزهراء وابن شجرة طوبى
ثم انشأ يقول رضى الله عنه
أأدهن رأسى ام تطيب
مجالسى
وخدك معفور وانت
سليب
أأشرب ماء المزن من غير
مائه
وقد ضمن الاحشاء منك
لهيب
سأبكيك ما ناحت حمامة
ايكة
وما اخضر فى دوح الحجاز
قضيب
غريب وا كناف الحجاز
تحوطه
الا كل من تحت التراب
غريب
(ووجدت) فى بعض كتب
التواريخ فى اخبار الحسن
ومعاوية ان بخلافة
الحسن صح الخبر عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم الخلافة
بعدى ثلاثون سنة لان ابا
بكر الصديق رضى الله عنه
تقلدها سنتين وثلاثة اشهر
وثمانية ايام وعمر رضى
الله عنه عشر سنين واحد
عشر شهرا وثلاثة عشر يوما
وعثمان رضى الله عنه

احدى عشرة سنة واحد عشر شهرا وثلاثة عشر يوما وعلى رضى الله عنه اربع سنين وتسعة اشهر ويوما والحسن رضى الله

أتى ذا على مفعل لم يعل * وذاك على مفعل قد أعل
فقلت مقالا على صدقه * شهيد من العقل لا يستزل
بناء البليغ أتى سالما * سلامته من فضول الخطل
واسهب ذاك مسيئا فزل * ذليلا ثنى متنه فانخذل
وأحسن ذا فجرى وصفه * على سنن المحسن المستقل
فهذا مقالي مستبصرا * ولست كمن قال حدسا فضل
تقلدت في رأيه مذهبا * يخصك بين الطبا والاسل
سموك في الروع مستشرفا * الى مهجة المستميت البطل
كأنك فيها هلال السما * يزيد بهاء اذا ما أهل
بل أنت مطل كبدر السما * يمضي الظلام اذا ما أطل انتهى

قلت رأيت في بعض الحواشي الاندلسية أن ابن السكيت ذكر في بعض كتبه في بعض ما جعله بعض العرب فاعلا وبعضهم مفعولا رجل مسهب ومسهب لكثير الكلام وهذا يدل على انهما بمعنى واحد انتهى * وسأل بعض الادباء الاستاذ الاعلم المذكور عن المسئلة الزنبورية المقترنة بالشهادة الزورية الجارية بين سيبويه والكسائي أو الفراء والقضاء بينهم فيها وهي ظننت أن العقرب أشد لسعة من الزنبور فاذا هو هي أو اياها وعن نسب سيبويه هل هو صريح أو مولى وعن سبب لزومه الخليل بعد أن كان طلب الحديث والتفسير وعن علة تعرضه لمناظرة الكسائي والفراء وعن كتابه الجاري بين الناس هو هل أول كتاب أو أنشأه بعد كتاب أول ضاع كما زعم بعض الناس فأجاب أما المسئلة الزنبورية المأثورة بين سيبويه والكسائي أو بينه وبين الفراء على حسب الاختلاف في ذلك بحضرة الرشيد أو بحضرة يحيى بن خالد البرمكي فيما يروى فقد اختلفت الرواة فيها فمنهم من زعم أن الكسائي أو الفراء قال لسيبويه كيف تقول ظننت أن العقرب أشد لسعة من الزنبور فاذا هو هي أو اياها فاجاب سيبويه بعد أن اطرق شيأ فاذا هو اياها على بعض الاقاويل وزعم آخرون انه قال فاذ هو هي ففيها من الاختلاف عنهم ما ترى فان كان أجاب باذا هو هي فقد أصاب لفظا ومعنى ولم تدخل عليه في جوابه شبهة ولا علقة لمعترض لان اذا في المسئلة من حروف الابتداء المتضمنة للتعليق بالخبر فاذا عتيت المضمرين بعدها بالاسمين المظهرين لزمك أن تقول فاذا الزنبور العقرب أو اللسعة اللسعة أي مثلها سواء فلو قلت فاذا هو اياها بنصب الضمير الاخير للزمك ان تقول فاذا الزنبور العقرب بالنصب وهذا لا وجه له فاذا لم يجز نصب الخبر المظهر فكيف يجوز نصب الخبر المضمر الواقع موقعه ويروى في المسئلة أن الكسائي أو الفراء قال لسيبويه بعد أن اجاب برفع الضميرين على ما يوجبه القياس كيف تقول يا بصري خرجت فاذا زيد قائم أو قائما فقال سيبويه أقول قائم ولا يجوز النصب فقال الكسائي أقول قائم وقائما والقائم والقائم بالرفع والنصب في الخبر مع النكرة والمعرفة فتأول الكسائي والفراء في اختيارهما فاذا هو اياها حمل الخبر المضمر في النصب على الخبر المظهر مع الاعراب بوجه النصب فكأنه قال فاذا الزنبور العقرب كما تقول فاذا زيد قائما

عنه ثمانية اشهر وعشرة ايام فذلك ثلاثون سنة (وحدث) محمد بن جرير الطبري عن محمد بن حميد الرازي عن علي بن مجاهد عن محمد بن اسحق عن الفضل بن العباس بن ربيعة قال وفد عبد الله بن العباس على معاوية قال فوالله اني لفي المسجد اذ كبر معاوية في الخضراء فكبر أهل الخضراء ثم كبر اهل المسجد بتكبير اهل الخضراء فخرجت فاختة بنت قرظة بن عمرو بن نوفل بن عبد مناف من خوخة لها فقالت سرك الله يا امير المؤمنين ما هذا الذي بلغك فسررت به قال موت الحسن بن علي فقالت انا لله وانا اليه راجعون ثم بكت وقالت مات سيد المسلمين وابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال معاوية نعما والله ما فعلت انه كان كذلك اهلا ان يبكى عليه ثم بلغ الخبر ابن عباس رضي الله عنهما فراح فدخل على معاوية قال علمت يا ابن عباس أن الحسن توفي قال ذلك كبرت قال نعم قال والله ما موته بالذي يؤخر اجلك ولا حفرته بسادة حفرتك ولئن اصبناه فقد اصبنا بسيد المرسلين وامام المتقين ورسول رب العالمين ثم بعد بسيد الاوصياء فجبر الله تلك المصيبة ورفع تلك العبرة فقال ويحك يا ابن عباس ما كلمتك الا وجدتك معدا فيجبري

فيجرى المعرفة فى النصب مجرى النكرة وقولهما فى هذا خطأ من جهتين احداهما أن نصب الخبر بعد اذا لا يكون الا بعد تمام الكلام الاول فى الاسم مع حرف المفاجأة ومع كون الخبر نكرة كقولك خرجت فاذا زيد قائم لانك لو قلت خرجت فاذا زيد تم الكلام لتعلق المفاجأة بزيد على معنى حضوره ثم تبين حاله فى المفاجأة المتعلقة به فتقول قائما أى خرجت ففاجأنى زيد فى هذا الحال وقوله فى المسئلة اياها لا يتم الكلام فى الاسم الاول دونها ألا ترى أنك لو قلت ظننت أن العقرب أشد لسعة من الزنبور فاذا هو وسكت لم يتم الكلام أولا ولا أفدت بذكر المفاجأة وتعليقها بالزنبور فائدة وانما المفاجأة للضمير الآخر فلا بد من ذكره والاعتماد عليه وهذا يوجب الرفع فى الخبر لان الظرف له لا للخبر عنه فهذا بين واضح والجهة الاخرى فى غلطهما ان اياها معرفة والحال لا تكون الا نكرة فقد اجتمع فى قولهما أن أتيا بحال لم يتم الكلام دونها معرفة والحال لا تكون الا بعد تمام الكلام ومع التنكير فقد تبين خطؤهما واصابة سيبويه فى لزوم الرفع فى الخبر فقط وأما من زعم عن سيبويه انه قال خرجت فاذا زيد قائم بالرفع لا غير فباطل وكيف ينسب اليه وهو علمنا أن الظرف اذا كان مستقرا للاسم المخبر عنه نصب الخبر واذا كان مستقرا للخبر رفع الخبر ونحن نقول خرجت فاذا زيد فيتم الكلام وتظرت فاذا الهلال طالع فيتبعه الخبر رفعا كما تقول فى الدار زيد قائم وقائما واليوم سيرك سريع وسريعا ولكن الخبر اذا كان الظرف له ولم يتعلق الا به لم يكن الا رفعا كقولك اليوم زيد منطلق وغدا عمرو خارج لان الظرف لا يكون مستقرا للاسم المخبر عنه اذا كان زمانا والمخبر عنه جثة وكذلك المفاجأة اذا كانت للخبر لم يكن الا مرفوعا معرفة كان أو نكرة فاذا كانت للمخبر عنه والخبر نكرة انتصب على الحال بخرى قولك ظننت ان العقرب أشد لسعة من الزنبور فاذا هو هى وظننت زيدا عالما فاذا هو جاهل فى لزوم الرفع فى الخبر مجرى اليوم زيد منطلق وغدا عمرو خارج كما جرى خرجت فاذا زيد قائم وقائما فى جواز الرفع والنصب مجرى فى الدار زيد جالس وجالسا فتأمل الفرق بينهما وحصله فان النحويين المتقدمين والمتأخرين قد أغفلوا الفرق بين المفاجأتين وأما نصب الخبر المعرفة بعد اذا تم الكلام أو لم يتم فباطل لا تقوله العرب ولا يجيزه الا الكوفيون وان كان سيبويه رحمه الله تعالى اجاب بقوله فاذا هو اياها كما روى بعضهم فظاهر جوابه مدخول لما قدمت جوابه والخطأ فيه بين من جهة القياس كما ذكرنا فان كان قاله والتزمه دون الرفع فقد أخطأ خطأ لا مخرج له منه وان كان قد قاله وهو يرى ان الرفع أولى وأحق الا انه آثر النصب للاعراب حملا على المعنى الخفى دون ما يوجبه القياس واللفظ الجلى فجوابه عندى وجهان حسنان أحدهما أن يكون الضمير المنصوب وهو اياها كناية عن اللسعة لا عن العقرب والضمير المرفوع كناية عن الزنبور فكأنه قال ظننت أن العقرب أشد لسعة من الزنبور فاذا الزنبور لسعة العقرب أى فاذا الزنبور يلسع لسعة العقرب فاختزل الفعل لما تقدم من الدليل عليه بعد أن أضمر اللسعة متصلة بالفعل فكأنه قال فاذا الزنبور يلسعها فاتصل الضمير بالفعل لوجوده فلما اختزل الفعل انفصل الضمير لعدم الفعل ونظير هذا من كلام العرب قولهم انما أنت شرب الابل أى انما أنت تشرب شرب الابل فاختزل الفعل وبقى عمله فى المصدر ولم

أهل الخضراء ثم كبر أهل المسجد بتكبير أهل الخضراء فخرجت فاختة بنت قرظة من خوخة لها فقالت سرك الله يا امير المؤمنين ما هذا الذى بلغك قال اتانى البشير بصلح الحسن وانقياده فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابنى هذا سيد أهل الجنة وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المؤمنين فالحمد لله الذى جعل فئتى احدى الفئتين ولما صالح الحسن معاوية لما ناله من اهل الكوفة وما نزل به أشار عمرو بن العاص على معاوية وذلك بالكوفة أن يأمر الحسن فيقوم فيخطب الناس فكره ذلك معاوية وقال ما أريد أن يخطب قال عمرو لكنى أريد أن يبدو عيبه فى الناس بانه يتكلم فى امور لا يدرى ما هى ولم يزل به حتى أطاعه فخرج معاوية فخطب الناس وأمر رجلا أن ينادى بالحسن بن على فقام اليه فقال قم يا حسن فكلم الناس فتشهد فى بديهته ثم قال أما بعد أيها الناس فان الله هدانا كم باولنا وحقن دماءكم باخرنا وان لهذا الامر مدة والدنيا دول قال الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وان أدرى اقريب ام بعيد ما توعدون

برفع لانه غير الاسم الاول فلو أضمرت شرب الابل لاتصل الضمير بالفعل فلو حذفته لانفصل الضمير فقلت انما أنت اياه فتدبره تجده منقادا صحيحا والوجه الآخر أن يكون قوله فاذا هو اياها محمولا على المعنى الذى اشتمل عليه أصل الكلام من ذكر الظن أولا وآخرا لان الاصل فى تأليف المسئلة ظننت أن العقرب اشد لسعة من الزنبور فلما اسقط الزنبور ظننته هو اياها فاختصر الكلام لعلم المخاطب وحذف الظن آخرا لما جرى من ذكره أولا ودلت عليه اذا لما فيها من المفاجاة على الفعل الواقع بعد لما الدالة على وقوع الشئ لوقوع غيره فاذا جاز حذف الكلام ايثارا للاختصار مع وجود الدليل على المحذوف كان قولنا فاذا هو اياها بمنزلة قولنا فلما اسقط الزنبور ظننته هو اياها فحذف الظن مع مفعوله الاول وبقى الضمير الذى هو العماد والفصل مؤكدا للضمير المحذوف مع الفعل ودالا على ما يأتى بعده من الخبر المحتاج اليه فيكون فى حذف الخبر عنه لما تقدم من الدليل عليه مع الاتيان بالعماد والفصل المؤكد له المثبت لما بعده من الخبر المحتاج اليه مثل قوله ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم فحذف البخل الذى هو المفعول الاول لقوله يحسبن وبقى الضمير مؤكدا له مثبتا لما بعده من الخبر وجاز حذفه لدلالة يبخلون عليه والمعنى لا يحسبن الذين يبخلون البخل هو خيرا لهم فهو فى المسئلة عماد مؤكد لضمير الزنبور المحمول على الظن المضمر ومثبت لما يجئ بعده من الخبر الذى هو اياها فتفهمه فانه متمكن من جهة المعنى وجار من الاختصار لعلم المخاطب على قياس وأصل وشاهده القرآن فى الحذف واستعمال العرب النظائر وهى أكثر من أن تحصى فمنها قولهم ما أغفله عنك شيأ أى تثبت شيأ أودع الشك وقولهم لمن أنكر عليه ذكر انسان ذكره من أنت زيدا أى من أنت تذكر زيدا وربما قالوا من أنت زيد بالرفع على تقدير من أنت ذكرك زيد فحذفوا الفعل مرة وأبقوا عمله وحذفوا المبتدأ أخرى وأبقوا خبره وكل ذلك اختصار لعلم المخاطب بالمعنى وكذلك قولهم هذا ولا زعماتك أى هذا القول والزعم الحق ولا أتوهم زعماتك فحذف هذا العلم السامع مع تحصل المعنى وقيامه عند المخاطب والحمل فى كلامهم على المعنى أكثر من أن يحصى فان كان الضمير الاول فى المسئلة للزنبور والضمير الآخر للعقرب لم يجز البتة الا رفع الضميرين بالابتداء والخبر على حد قولك ظننت زيدا عاقلا فاذا هو أحمق وحسبت عبد الله قاعدا فاذا هو قائم ولو تقدم ذكر الخبر والمخبر عنه لقلت فاذا هو هو ولم يجز فاذا هو اياه البتة ويجوز فى المسئلة أن تقول فاذا هى هو على التقديم والتأخير على حد قولك فاذا العقرب الزنبور أى سواء فى شدة اللسعة كما تقول خرجت فاذا قائم زيد على تقدير فاذا زيد قائم ويجوز أن يكون هو كناية عن اللسع بدلالة اللسعة عليه وتكون هى كناية عن اللسعة على تقدير فاذا لسع الزنبور لسعة العقرب ويجوز فاذا هى هو على اضمار اللسعة واللسع والتقدير فاذا لسعة الزنبور لسع العقرب وهذا كله لا يجوز فيه الا الرفع عند البصريين لان الآخر هو الاول والخبر معرفة متعلق بالمفاجأة فلا يجوز فيه الحال والكوفيون يجيزون النصب كما تقدم وهو غلط بين وخطأ فاحش لا تقوله العرب ولا تعلق له بقياس فاعلمه ويجوز فى المسئلة فاذا هو هو على تقدير فاذا اللسع اللسع ويجوز فاذا هى هى على تقدير فاذا اللسعة اللسعة وفى هذا كفاية ان شاء الله تعالى ❊ وأما

انه يعلم الجهر من القول كلامه ذلك يا أهل الكوفة لم تذهب نفسى عنكم الا لثلاث خصال أذهلت مقتلكم لابى وسلبكم نقلى وطعنكم فى بطنى وانى قد بايعت معاوية فاسمعوا له وأطيعوا وقد كان أهل الكوفة انتهبوا سرادق الحسن ورحله وطعنوا بالخنجر فى جوفه فلما تيقن ما نزل به انقاد الى الصلح وقد كان على رضى الله عنه وكرم الله وجهه اعتل فأمر ابنه الحسن رضى الله عنه أن يصلى بالناس يوم الجمعة فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال ان الله لم يبعث نبيا الا اختار له نفسا ورهطا وبيتا فوالذى بعث محمدا بالحق لا ينتقص من حقنا أهل البيت أحد الا انتقصه الله من عمله مثله ولا يكون علينا دولة الا وتكون لنا العاقبة ولتعلمن نبأه بعد حين ❊ ومن خطب الحسن رضى الله عنه فى أيامه فى بعض مقاماته انه قال نحن حزب الله المفلحون وعترة رسول الله صلى الله عليه وسلم الاقربون وأهل بيته الطاهرون الطيبون وأحد الثقلين اللذين خلفهما رسول الله صلى الله عليه وسلم والثانى كتاب الله فيه تفصيل كل شئ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والمعول عليه فى

نسب سيبويه ففارسي مولى لبني الحرث بن كعب بن علة بن خلدة بن مالك وهو مذحج واسمه عمرو بن عثمان بن قنبر وكنيته أبو بشر ولقبه الذي شهر به سيبويه ومعناه بالفارسية رائحة التفاح وكان من أطيب الناس رائحة وأجلهم وجها وقيل معنى سى ثلاثون ومعنى بويه رائحة فكان معناه الذي ضوعف طيب رائحته ثلاثين مرة وأما سبب تعويله على الخليل في طلب النحو مع ما كان عليه من الميل الى التفسير والحديث فانه سأل يوما حماد بن سلمة فقال له أحدثك هشام بن عروة عن أبيه في رجل رعف في الصلاة بضم العين فقال له حماد أخطأت انما هو رعف بفتح العين فانصرف الى الخليل فشكا اليه ما لقيه من حماد فقال له الخليل صدق حماد ومثل حماد يقول هذا ورعف بضم العين لغة ضعيفة وقيل انه قدم البصرة من البيداء من قرى شيراز من عمل فارس وكان مولده ومنشؤه بها ليكتب الحديث ويرويه فلزم حلقة حماد بن سلمة فبينما هو يستملي على حماد قول النبي صلى الله عليه وسلم ليس من أصحابي الا من لو شئت لاخذت عليه ليس أبا الدرداء فقال سيبويه ليس أبو الدرداء بالرفع وظنه اسم ليس فقال حماد لحنت يا سيبويه فقال سيبويه سأطلب علما لا تلحنني فيه فلزم الخليل وبرع في العلم * وأما سبب وفوده على الرشيد ببغداد وتعرضه لمناظرة الكسائي والفراء فلما كانا عليه من تمكن الحال والقرب من السلطان وعلو همته وطلبه للظهور مع ثقته بعلمه لانه كان أعلم أهل زمانه وكان بينه وبين البرامكة أقوى سبب فوفد على يحيى بن خالد بن برمك وابنيه جعفر والفضل فعرض عليهم ما ذهب اليه من مناظرة الكسائي فسعوا له في ذلك وأوصلوه الى الرشيد فجرى بينه وبين الكسائي والفراء ما ذكروا شهر وكان آخر أمره ان الكسائي واصحابه لما ظهروا عليه بشهادة الاعراب على حسب ما التمسوا أن قال يحيى بن خالد أو الكسائي للرشيد يا أمير المؤمنين ان رأيت أن لا يرجع خائبا فعلت فامر له بعشرة آلاف درهم وانصرف الى الاهواز ولم يعرج على البصرة واقام هناك مدة الى ان مات كمدا وروى انه ذربت معدته فمات فيرون انه مات غما وروى ان الكسائي لما نعاه موته قال للرشيد ده يا أمير المؤمنين فاني أخاف ان اكون شاركت في دمه ولما احتضر وضع رأسه في حجر أخيه فقطرت دمعة من دموعه على خده فرفع عينيه وقال

أخيين كنا فرق الدهر بيننا * الى الامد الاقصى ومن يأمن الدهرا

مات على السنة والجماعة رحمه الله تعالى * وأما كتابه الجاري بين الناس فلم يصح انه أنشأه بعد كتاب آخر قبله على أن ذلك قد ذكر فهذا ما حضر فيما سألت عنه فمن قرأه وأشرف فيه على تقصير فليبسط العذر فانه لساعتين من نهار املاه يوم الثلاثاء عشي النهار لثمان خلون من صفر سنة ٤٧٦ انتهى وقال الالبيري رحمه الله تعالى

لاشئ أخسر صفقة من عالم * لعبت به الدنيا مع الجهال
فغدا يفرق دينه أيدي سبا * ويذيله حرصا بجمع المال
لاخير في كسب الحرام وقلما * يرجى الخلاص لكاسب الحلال
فخذ الكفاف ولا تكن ذا فضلة * فالفضل تسئل عنه اي سؤال

كان أبو الفضل بن الاعلم من أحسن الناس وجها وأذكاهم في علم النحو والادب وأقرأ

(ذكر لمع من أخباره وسيره ونوادر من بعض أفعاله) وفي سنة ثلاث وخمسين قتل معاوية حجر بن عدي

كانت بطاعة الله والرسول وأولى الامر مقرونة فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول ولو ردوه الى الرسول والى أولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم واذكركم الاصغاء لهتاف الشيطان انه لكم عدو مبين فتكونون كأوليائه الذين قال لهم لاغالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال اني بري ء منكم اني أرى ما لا ترون فتلقون للرماح ازرا وللسيوف جزرا وللعمد خطأ وللسهام غرضا ثم لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في ايمانها خيرا والله أعلم

(ذكر خلافة معاوية ابن أبي سفيان)

بويع معاوية في شوال سنة احدى واربعين ببيت المقدس فكانت أيامه تسع عشرة سنة وثمانية أشهر وتوفي في رجب سنة احدى وستين وله ثمانون سنة ودفن بدمشق بباب الصغير وقبره يزار في هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وعليه بيت مبني يفتح كل يوم اثنين وخميس

النحو فى صباه وفيه يقول ابن صارة الاندلسى رحمه الله تعالى

أكرم بجعفر اللبيب فانه * مازال يوضح مشكل الايضاح
ماء الجمال بوجهه متدفق * فالعين منه تجول فى ضحضاح
ماخطه جرحته عينى انما * صبغت غلالته دماء جراحى
لله زاى زبرجد فى عسجد * فى جوهر فى كوثر فى راح
ذى طرة سبجية ذى غرة * عاجية كالليل والاصباح
رشأ له خد البرىء ولحظه * أبدا شريك الموت فى الارواح

وقال محمد بن هانئ الاندلسى من قصيدة

السافرات كانهن كواكب * والناعمات كانهن غصون
ماذاعلى حلل الشقيق لوانها * عن لابسيها فى الخدود تبين
لاعطشن الروض بعدهم ولا * يرويه لى دمع عليه هتون
أأسير لحظ العين بهجة منظر * وأخونهم انى اذن لخؤون
لاالجوجو مشرف وان اكتسى * زهوا ولا الماء المعين معين
لايعدن اذا العبير له ثرى * والبان روح والشموس قطين
الظل لامتنقل والحوض لا * متكدر والامن لامنون

وقال القسطلى فى اسطول أنشأه المنصور بن أبى عامر من قصيدة

تحمل منه البحر بحرا من القنا * يروع بها أمواجه ويهول
بكل عمالات الشراع كانها * وقد حملت أسد الحقائق غيل
اذا سابقت شأو الرياح تخيلت * خيولا مدى أفراسهن خيول
سحائب تزجيها الرياح فان وقت * أطافت بأجياد النعام فيول
ظباء شمام مالهن مفاحص * وورق حمام مالهن هديل
سواكن فى أوطانهن كأنما * بها الموج حيث الراسيات نزول
كما رفع الآل الهوادج بالضحى * غداة استقلت بالخليط حمول
أراقم تحوى ناقع السم مالها * بما حملت دون العداة مقيل

وقد أطنب الناس فى وصف السفن وأطابوا وقرطسوا القريض وأصابوا وقد ذكرنا نبذة من ذلك فى هذا الكتاب * وقال أبو بحر صفوان بن ادريس التجيبى حدثنى بعض الطلبة بمراكش أن أبا العباس الجراوى كان فى حانوت وراق بتونس وهنالك فتى يميل اليه فتناول الفتى سوسنة صفراء وأومأ بها الى خديه مشيرا وقال أين الشعراء تجريكا للجراوى فقال ارتجالا

وعلوى الجمال اذا تبدى * أراك جبينه بدرا أنارا
أشار بسوسن يحكيه عرفا * ويحكى لون عاشقه اصفرارا

قال أبو بحر ثم سألنى ان أقول فى هذا المعنى فقلت بديها

أومى الى خده بسوسنة * صفراء صيغت من وجنتى عبده

الكندى وهو أول من أهل الكوفة وأربعة من غيرها فلما صار على أميال من الكوفة يراد به دمشق أنشأ ابنته تقول ولا عقب له من غيرها

ترفع أيها القمر المنير
لعلك ان ترى حجرا يسير
يسير الى معاوية بن حرب
ليقتله كذا زعم الامير
ويصلبه على باب دمشق
وتأكل من محاسنه النسور
تخيرت المنايا بعد حجر
وطاب لها الخورنق والسدير
ألا ياحجر حجر بنى عدى
تلقتك السلامة والسرور
أخاف عليك ما أردى عليا
وشيخا فى دمشق له زئير
ألا ياليت حجرا مات موتا
ولم ينحر كما نحر البعير
فان تهلك فكل عميد قوم
الى هلك من الدنيا يصير

ولما صار الى مرج عذراء على اثنى عشر ميلا من دمشق تقدم البريد بأخبارهم الى معاوية فبعث برجل أعور فلما أشرف على حجر وأصحابه قال رجل منهم ان صدق الزجر فانه سيقتل منا النصف وينجو الباقون فقيل له وكيف ذلك قال أما ترون الرجل المقبل مصابا باحدى عينيه فلما وصل اليهم قال لحجر ان أمير المؤمنين أمرنى بقتلك يارأس الضلال ومعدن الكفر والطغيان والمتولى

لم ترعينى من قبله غصنا * سوسنه نابت ازاورده
أعملت زجرى فقلت ربما * قرب خد المشوق من خده

فحدثنى المذكور انه اجتمع مع أبى بكر بن مجير رحمه الله تعالى قبل اجتماعه بى فى ذلك الموضع الذى اجتمع فيه بعينه فحدثه بالحكاية كما حدثنى وسأله أن يقول فى تلك الحال فقال بديها

بى رشأ وسنان مهما انثنى * حار قضيب البان فى قده
مذ ولى الحسن وسلطانه * صارت قلوب الناس من جنده
أودع فى وجنته زهرة * كانها تجزع من صده
وقد تفاءلت على فعله * أنى أرى خدى على خده

فتعجبت من توارد خاطرينا على معنى هذا البيت الاخير فال أبو بحر ثم قلت فى تلك الحال

أبرز من وجنته وردة * أودعها سوسنة صفرا
وانما صورته آية * ضمنها من سوسن عشرا

وقال بعضهم فى الباذنجان

ومستحسن عند الطعام مدحرج * غذاه غير الماء فى كل بستان
تطلع فى أفاعه فكأنه * قلوب نعاج فى مخاليب عقبان

وقال ابن خروف ويقال انها فى وصف دمشق

اذا رحلت عروبة عن حماها * تأوه كل أواه حليم
الى سبت حكى فرعون موسى * يجمع كل سحار عليم
فتبصر كل أملود قويم * يميس بكل تعبان عظيم
اذا انسابت أراها عليها * تذكرنا بها الليل البهيم
وشاهدنا بها فى كل حين * حبالا ألقيت نحو الكليم

وقال أبو القاسم بن هشام ارتجالا فى وسيم عض وردة ثم رمى بها وسئل ذلك منه امتحانا

ومعجز الاوصاف والوصاف فى * بردى جمال طرزا بالتيه
سوسان أمله تناول وردة * فعداه يمزقها أقاحى فيه
فكأننى شبهت وجنته بها * فرمى بها غضبا على التشبيه

وقال أيضا فيمن عض كلب وجنته

وأغيد وضاح المحاسن باسم * اذا قام الاسياف ناظره فر
تعمد كلب عض وجنته التى * هى الورد ذايناعا وأبقى بها أثر
فقلت لشهب الافق كيف صماتكم * وقد أثر العواء فى صفحة القمر

وقال آخر يصف شجة فى خد وسيم

عذيرى من ذى صفعة يوسفية * بها شجة جلت عن اللثم واللمس
يقولون من عجب أتحسن وصفها * فقلت هلال لاح فى شفق الشمس

وقال القاضى أبو الوليد الوقشى فيمن طر شاربه

قد بينت فيه الطبيعة أنها * لبديع أفعال المهندس باهره

كان معه ان الصبر على حد السيف لا يسر علينا مما تدعونا اليه ثم القدوم على الله وعلى نبيه وعلى وصيه أحب الينا من دخول النار وأجاب نصف من كان معه الى البراءة من على فلما قدم حجر ليقتل قال دعونى أصل ركعتين فجعل يطول فى صلاته فقيل له اجزعا من الموت فقال لا والكنى ما تطهرت للصلاة قط الا صليت وما صليت قط أخف من هذه وكيف لا أجزع وانى لارى قبرا محفورا وسيفا مشهورا وكفنا منشورا ثم قدم فخر والحق به من وافقه على قوله من أصحابه وقيل ان قتلهم كان فى سنة خمسين وذكر أن عدى بن حاتم الطائى دخل على معاوية فقال له معاوية ما فعلت الطرفات يعنى اولاده قال قتلوا مع على قال ما أنصفك على قتل أولادك وبقاء أولاده فقال عدى ما أصفك على اذ قتل وبقيت بعده فقال معاوية أما انه قد بقى قطرة من دم عثمان ما يمحوها الا دم شريف من أشراف اليمن فقال عدى والله ان فلوبنا التى أبغضناك بها لفى صدورنا وان أسيافنا التى قاتلناك بها لعلى عواتقنا ولئن أدنيت الينا من الغدر فترا لندنين اليك من الشر شبرا وان حز

عنيت بمبسمه فخطت فوقه * بالمسك خطا من محيط الدائره

وقال أبو الحسن بن عيسى

عابوه أسمر ناحلا ذا رقة * ومداوظنوا أن ذاك يشينه
جهلوا بأن السمهرى شبيهه * وخضابه بدم القلوب يزينه

وقال الاستاذ أبو ذر الخشنى

أنكر صحبى اذ رأوا طرفه * ذا حمرة يشقى بها المغرم
لا تنكروا ما احمر من طرفه * فالسيف لا ينكر فيه الدم

وقال أبو عبد الله محمد بن أبى خالص الرندى

ياشادنا برز العذار بخده * وازداد حسنا ليته لم يبرز
الآن أعلم حين جد بى الهوى * كم بين مختصر وبين مطرز

وقال أبو الحسين عبد الملك بن مفوز المعافرى

ومعذر من خده ورقيبه * شغلان حلا عقد كل عزيمة
خد وخب عيل صبرى منهما * هذا بنعمة وذا بنميمة

وقال أبو الوليد بن زيدون فيمن أصابه جدرى

قال لى اعتل من هويت حسود * قلت أنت العليل و يحك لاهو
ما الذى قد أنكرت من بثرات * ضاعفت حسنه وزانت حلاه
جسمه فى الصفاء والرقة الما * ء فلا غرو أن حباب علاه

وقال المهيثم

قالوا به جرب فقلت لهم قفوا * تلك الندوب مواقع الابصار
هو روضة والقد غصن ناعم * أرأيتم غصنا بلا نوار

وقال أبو بكر محمد بن عياض القرطبى فى مخضوبة الانامل

وعلقتها فتانة أعطافها * تزرى بغصن البانة المياد
من للغزالة والغزال بحسنها * فى الخد أو فى العين أو فى الهادى
خضبت أناملها السوا د وقلما * أبصرت أقلاما بغير مداد

وقال أبو الحسين النقرى

بدا بوسفا وشدا معبدا * فللعين ما تشتهى والاذن
كأن بأعلاه قمرية * تغرد من قده فى غصن

وقال ابن صارة

مقام حر بأرض هون * عجز لعمرى من المقيم
سافر فان لم تجد كريما * فمن لئيم الى لئيم

وقال المعتمد بن عباد رحمه الله تعالى

مولاى أشكو اليك داء * أصبح قلبى به قريحا
سخطك قد زادنى سقاما * فابعث الى الرضا مسيحا

الحلقوم وحشرجة الهزوم
فقال معاوية هذه كلمات حكم فاكتبوها وأقبل على عمدى محادثا له كأنه ما خاطبه بشئ (وذكر) أن معاوية ابن أبى سفيان تنازع اليه عمرو بن عثمان بن عفان وأسامة بن زيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أرض فقال عمرو لاسامة كافك تنكرنى فقال أسامة ما يسرنى تسبك بولائى فقام مروان ابن الحكم فجلس الى جانب الحسن وقام عبد الله بن عامر فجلس الى جانب أسامة فقام سعيد بن العاص فجلس الى جانب مروان فقام الحسين فجلس الى جانب الحسن وقام عبد الله ابن عامر فجلس الى جانب سعيد فقام عبد الله بن جعفر فجلس الى جانب الحسين وقام عبد الرحمن ابن الحكم فجلس الى جانب ابن عامر فقام عبد الرحمن ابن العباس فجلس الى جانب ابن جعفر فلما رأى ذلك معاوية قال لا تحملوا انا كنت شاهدا اذ أقطعها رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة فقام الهاشميون فخرجوا ظاهرين وأقبل الامويون عليه فقالوا ألا كنت أصلحت بيننا قال دعونى فوالله ما ذكرت

عيونهم تحت المغافر بصفين الا لبس على عقلى وان الحرب أولها نجوى وأوسطها شكوى وآخرها قال

قال بعضهم وقوله مسيحا من القوافى التى يتحدى بها وكتب الى أبيه جوابا عن تحفة

يا مالكا قد أصبحت كفه * ساخرة بالعارض الهاطل
قد أخجلتنى منه مثلها * يضيق القول على القائل
وان أكن قصرت فى وصفها * فحسنها عن وصفها شاغلى

وكتب الى وزيره ابن عمار

لما رأت نأى الكرى عن ناظرى * وردد ته لما انصرفت عليه
طلب البشير بشارة يجزى بها * فوهبت قلبى واعتذرت اليه

وقال فى جارية له كان يحبها وبينما هى تسقيه اذ لمع البرق فارتاعت

يروعها البرق وفى كفها * برق من القهوة لماع
يا ليت شعرى وهى شمس الضحى * كيف من الانوار ترتاع

ومن تواردالخواطر أن ابن عباد أنشد عبد الجليل بن وهبون البيت الاول وأمره أن يذيله فقال

ولن ترى أعجب من أنس من * من مثل ما يمسك يرتاع

وقال المعتمد رحمه الله تعالى

داوى ثلاثته بلطف ثلاثة * فشنى بذاك رقيبه لم يشعر
اسراره بتستر واواره * بتصبر وخياله بتوقر

وكانت له جارية اسمها جوهرة وكان يحبها فجرى بينهما عتاب ورأى أن كتب اليها يسترضيها فأجابته برقعة لم تعنونها باسمها فقال

لم تصف لى بعد والاقلم * لم أر فى عنوانها جوهره
درت بأنى عاشق لاسمها * فلم ترد للغيظ أن تذكره
قالت اذا أبصره ثابتا * قبله والله لا أبصره

وقال فى هذه الجارية

سرورنا بعدكم ناقص * والعيش لا صاف ولا خالص
والسعد ان طال عنا نجمه * وغبت فهو الآفل الناكص
سموك بالجوهر مظلومة * مثلك لا يدركه غائص

وقال فيها أيضا

جوهرة عذبنى * منك تمادى الغضب
فزفرتى فى صعد * وعبرتى فى صبب
يا كوكب الحسن الذى * زرى بزهر الشهب
مسكنك القلب فلا * ترضى له بالوصب

وقال فى جارية اسمها وداد

اشرب الكاس من ودادودادك * وتانس بذكرها فى انفرادك
قد رغاب عن جفونك مرآ * ه وسكناه فى سواد فؤادك

الطائف تؤدى الضريبة الى الحرث بن كلدة وكانت تنزل بالموضع الذى ينزل فيه البغايا بالطائف فارجاء عن الحضر فى محلة

تدنو بزينتها لكل جهول
ثم قال ما فى القلوب يشب الحروب والامر الكبير يدفعه الامر الصغير وتمثل قد يلحق الصغير بالجليل وانما القرم من الافيل وتسحق النخل من الفسيل (قال المسعودى) ولما هم معاوية بالحاق زياد بابى سفيان ابيه وذلك فى سنة أربعين شهد عنده زياد بن أسماء الحرمازى ومالك ابن ربيعة السلولى والمنذر ابن الزبير بن العوام أن اباسفيان اخبرانه ابنه وان اباسفيان قال لعلى عليه السلام حين ذكر زياد عند عمر بن الخطاب اما والله لولا خوف شخص يرانى ياعلى من الاعادى لبين امره صخر بن حرب ولم يكن المحجم عن زياد ولكنى اخاف صروف كف لها نقم ونفي عن بلادى فقد طالت محاولتى ثقيفا وتركى فيهم ثمر الفؤاد ثم زاده يقينا الى ذلك شهادة ابى مريم السلولى وكان اخبر الناس ببدء الامر وذلك انه جمع بين ابى سفيان وسمية ام زياد فى الجاهلية على زنا وكانت سمية من ذوات الرايات

يقال لها حارة البغايا وكان أخرج منها سهل بن حنيف فضرب زياد بعضهم بعضا حتى غلب عليها وما زال يتنقل فى كورها حتى صلح أمر فارس ثم ولاه على اصطخر وكان معاوية يتهدده ثم أخذ بسر بن أرطاة عبيد الله وسليمان ولديه وكتب اليه يقسم ليقتلنهما ان لم يرجع ويدخل فى طاعة معاوية ويرده على عمله فقدم زياد على معاوية وكان المغيرة بن شعبة قال لزياد قبل قدومه على معاوية ارم الغرض الاقصى ودع عنك الفضول فان هذا الامر لا يمد اليه أحد يدا الا الحسن بن على وقد بايع لمعاوية فخذها لنفسك قبل التوطين فال زياد فأشير على قال أرى أن تنقل أصلك الى اصله وتصل حبلك بحبله وتغير الناس منك اذا نا صماء فقال زياد يا ابن شعبة أأغرس عود فى غير منبته ولا مدرة فتحييه ولا عرق فيسقيه ثم ان زيادا عزم على قبول الدعوى وأخذ برأى ابن شعبة وارسلت اليه جويرية بنت أبى سفيان عن أمر أخيها فأتاها فأذنت له وكشفت عن شعرها بين يديه وقالت انت اخى اخبرنى بذلك أبو مريم ثم أخرجه معاوية الى المسجد وجمع الناس فقام فمات

وقال
لك الله كم أودعت قلبى من أسى * وكم لك ما بين الجوانح من كلم
لحاظك طول الدهر حرب لمهجتى * ألا رحمة تثنيك يوما الى سلمى

وقال
قلت متى ترحمنى * قال ولا طول الابد
قلت فقد أيأستنى * من الحياة قال قد

وأهدى أبو الوليد بن زيدون باكورة تفاح الى المعتضد والد المعتمد وكتب له معها

يا من تزينت الربا * ستحين ألبس ثوبها
جاءتك حامدة المدا * م فخذ عليها ما ذوبها

وقال المعتمد وقد أمره أبوه المعتضد أن يصف مجنا فيه كواكب فضة

مجن حكى صانعوه السما * لتقصر عنه طوال الرماح
وقد صوروا فيه شبه الثريا * كواكب تقضى له بالنجاح

وقال ابن اللبانة كنت بين يدى الرشيد بن المعتمد فى مجلس انسه فورد الخبر باخذ يوسف بن تاشفين غرناطة سنة ٤٩٣ فتفجع وتلهف واسترجع وتأسف وذكر قصر غرناطة فدعونا لقصره بالدوام ولملكه بتراخى الايام وأمر عند ذلك أبا بكر الاشبيلى بالغناء فغنى

يا دارمية بالعلياء فالسند * أقوت وطال عليها سالف الامد

فاسخالت مسرته وتجهمت اسرته وأمر بالغناء من ستارته فغنى

ان شئت أن لا ترى صبرا لمصطبر * فانظر على أى حال أصبح الطلل

فتأكدت طيره واشتد اربداد وجهه وتغيره وأمر مغنيه أحرى بالغناء فغنت

يا لهف نفسى على مال أفرقه * على المقلين من أهل المروآت
ان اعتدارى الى من جاء يسألنى * ما ليس املكه من احدى المصيبات

قال فتلافيت الحال بأن قلت

محل مكرمة لا هدمبناه * وشمل مأثرة لا شتت الله
البيت كالبيت لكن زاد اشرفا * ان الرشيد مع المعتضد كناه
ثاو على أنجم الجوزاء مقعده * وراحل فى سبيل السعد مسراه
حتم على الملك أن يقوى وقد وصلت * بالشرف والغرب يمناه ويسراه
يأس توقد فاجسرت لواحظه * ونائل شب فاخضرت عذاراه

فلعمرى لقد بسطت من نفسه وأعادت عليه بعض انسه على انى وقعت فيما وقع فيه الكل لقولى البيت كالبيت وأمر اثر ذلك ابا بكر بالغناء فغنى

ولما قضينا من منى كل حاجة * ولم يبق الا أن تزم الركائب

وأيقنا ان هذا التطير بعقبه التغير * وقد كان المعتضد بن عباد حين تصرمت ايامه وتدانى حمامه استحضر مغنيا يغنيه ليجعل ما يسمعه فألا وكان المغنى السوسى فأول شعر قاله

نطوى المنازل عما أن ستطوينا * فشمشعيها بماء المزن واسقينا

فمات بعد خمسة ايام وكان الغناء من هذا الشعر فى خمسة ابيات * وقال المعتمد بعد ما خلع وسجن

قد جد الدهر فاذا صنعا * كلما اعطى نفيسا نزعا
قد هوى ظلما بمن عاداته * أن ينادى كل من يهوى لعا
من اذا قيل الخناصم وان * نطق العافون همسا سمعا
قل لمن يطمع فى نائله * قد زال اليأس ذاك الطمعا
راح لا يملك الا دعوة * جبر الله العفاة الضيعا

وقال ابن اللبانة كنت مع المعتمد باغمات فلما قاربت الصدر وازمعت السفر صرف حبله واستنفد ما قبله وبعث الى مع شرف الدولة ولده وهذا من بنيه احسن الناس سمتا واكثرهم صمتا تخجله اللفظة وتجرحه اللحظة حريص على طلب الادب مسارع فى اقتناء الكتب مثابر على نسخ الدواوين مفتح فيها من خطه زهر الرياحين بعشرين مثقالا مرابطية وثوبين غير مخيطين وكتب معها ابياتا منها

اليك النزر من كف الأسير * وان تقنع تكن عين الشكور
تقبل ما يذوب له حياء * وان عذرته حالات الفقير

فامتنعت من ذلك عليه واجبته بأبيات منها

تركت هواك وهو شقيق دينى * لئن شقت برودى من عذورى
ولا كنت الطليق من الرزايا * اذا اصبحت اجفف بالاسير
جذيمة انت والزباء خانت * وما انا من يقصر عن قصير
تصرف فى الندى حبل المعالى * فتسمح من قليل بالكثير
وأعجب منك أنك فى ظلام * وترفع للعفاة منار نور
رويدك سوف توسعنى سرورا * اذا عاد ارتقاؤك للسرير
وسوف تحلنى رتب المعالى * غداة تحل فى تلك القصور
تزيد على ابن مروان عطاء * بها وأزيد ثم على جرير
تأهب أن تعود الى طلوع * فليس الخسف ملتزم البدور

واتبعتها ابياتا منها

حاش لله ان اجيح كريما * يتشكى فقرا وقد سد فقرا
وكفانى كلامك الرطب نيلا * كيف ألغى دراوأطلب تبرا
لم تمت انما المكارم ماتت * لاسقى الله بعدك الارض قطرا

ورأى ابن اللبانة احد ابناء المعتمد وهو غلام وسيم وقد اتخذ الصياغة صناعة وكان يلقب ايام سلطانهم من الالقاب السلطانية بفخر الدولة فنظر اليه وهو ينفخ الفحم بقصبة الصائغ وقد جلس فى السوق يتعلم الصياغة فقال

شكا تنالك يا فخر العلا عظمت * والرزء يعظم ممن قدره عظما
طوقت من نائبات الدهر مختنقة * ضاقت عليك وكم طوقتنا نعما

فى الجاهلية فقال ابغنى بغيا فأتيته وقلت لم أجد الا جارية الحرث بن كلدة سمية فقال ائتنى بها على دفرها وقذرها فقال له زياد مهلا يا أبا مريم انما بعثت شاهدا ولم تبعث شاتما فقال أبو مريم لو كنتم أعفيتمونى لكان احب الى وانما شهدت بما عاينت ورأيت والله لقد اخذ بكم درعها وأغلقت الباب عليهما وقعدت دهشان فلم ألبث أن خرج على يسمح جبينه فقلت مه يا اباسفيان فقال ما أصبت مثلها يا أبا مريم لولا استرخاء من ثديها ودفر من فيها فقام زياد فقال ايها الناس هذا الشاهد قد ذكر ما سمعتم ولست ادرى حق ذلك من باطله وانما كان عبد نبيا مبرورا أو وليا مشكورا والشهود اعلم بما قالوا فقام يونس بن عبد أخو صفية بنت عبيد بن اسد بن علاج الثقفى وكانت صفية مولاة سمية فقال يا معاوية قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الولد للفراش وللعاهر الحجر وقضيت انت ان الولد للعاهر وان الحجر للفراش مخالفة لكتاب الله تعالى وانصرافا عن سنة رسول الله صلى

 نى الله عليه وسلم بشهادة ابى مريم على زنا ابى سفيان فقال معاوية والله يا يونس لتنتهين أولا طيرن بلك طيرة

وعاد طوقك في دكان قارعة * من بعدما كنت في قصر حكى ارما
صرفت في آلة الصواغ اغلة * لم تدر الا الندى والسيف والقلما
يدعوك للتقبيل تبسطها * فتستقل الثريا أن تكون فما
ياصائغا كانت العليا تصاغ له * حليا وكان عليه الحلى منتظما
للنفخ في الصور هول ما حكاه سوى * هول رأيتك فيه تنفخ الفحما
وددت اذ نظرت عيني اليك به * لو أن عيني تشكو قبل ذاك عمى
ماحط قدرك الدهر لما حط عن شرف * ولا تحيف من أخلاقك الكرما
لح في العلا كوكبا ان لم تلح قمرا * وقم بها ربوة ان لم تقم علما
واصبر فرب بما أحدثت عاقبة * من يلزم الصبر يحمد غب مالزما
والله لو انصفتك الشهب لانكسفت * ولو وفى لك دمع العين لانسجما
أبكي حديثك حتى الدر حين غدا * يحكيك رهطا وألفاظا ومبتسما

وقال لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى وقفت على قبر المعتمد بن عباد بمدينة أغمات في حركة راحة أعملتها الى الجهات المراكشية باعثها لقاء الصالحين ومشاهدة الآثار سنة ٧٦١ وهو بمقبرة أغمات في نشز من الارض وقد حفت به سدرة والى جانبه قبر اعتماد حظيته مولاة رميك وعليهما هيئة التغرب ومعاناة الخمول من بعد الملك فلا تملك العين دمعها عند رؤيتهما فانشدت في الحال

قد زرت قبرك عن طوع باغمات * رأيت ذلك من أولى المهمات
لم لا أزورك يا أندى الملوك يدا * و ياسراج الليالي المدلهمات
وانت من لو تخطى الدهر مصرعه * الى حياتي لجادت فيه أبياتي
اناف قبرك في هضب يميزه * فتنتحيه حفيات التحيات
كرمت حيا وميتا واشتهرت علا * فانت سلطان أحياء وأموات
ماروء مثلك في ماض ومعتقدى * أن لا يرى الدهر في حال وفي آتي انتهى

وقد زرت انا قبر المعتمد بن عباد بمدينة اغمات سنة ١٠١٠ ورأيت فيه مثل ماذكره لسان الدين رحمه الله تعالى فسبحان من لا يبيد ملكه لا اله الا هو واخبار المعتمد كثيرة وقال وزيره ابو الوليد بن زيدون

متى اخف الغرام بصفحة جسمي * بألسنة الضنى المخرس الفصاح
فلو ان الثياب تنزعن عني * خفيت خفاء خصرك في الوشاح

وقال يخاطب المعتمد

وطاعة امرك فرض ارا * ه من كل مفترض اوكدا
هي الشرع اصبح دين الضمير * فلو قد عصاك لقد الحدا

وقال فيه

يا ندى يمنى الى القاسم غم * يا سنا بشر المحيا أشمس
وارتشف معسول ثغر اشنب * تحيب من عجاج ألعس

وقال

مهما امتدحت سواك قبل فانما * مدحي الى مدحي لك استطراد

بطيئا وقوعها فقال يونس هل الا الى الله ثم اقع قال نعم واستغفر الله فقال عبد الرحمن بن ام الحكم في ذلك ويقال انه ليزيد ابن مقرع الحميري ألا أبلغ معاوية بن حرب مغلغلة عن الرجل اليماني أتغضب ان يقال ابوك عف وترضى ان يقال ابوك زانى فاشهد ان رحمك من زياد كرحم الفيل من ولد الاتان وفي زياد اخوته يقول خالد النجاري ان زيادا ونافعا وابا بكرة عندي من اعجب العجب ان رجالا ثلاثة خلقوا من رحم انثى مخالفى النسب ذا قرشي فيما يقول وذا مولى وذا ابن عمه عربي ولما قتل علي كرم الله وجهه كان في نفس معاوية من يوم صفين على هاشم ابن عتبة بن ابي وقاص المرقال وولده عبد الله بن هاشم احن فلما استعمل معاوية زيادا على العراق كتب اليه اما بعد فانظر عبد الله بن هاشم بن عتبة فشد يده الى عنقه ثم ابعث به الى فحمله زياد من البصرة مقيدا مغلولا الى دمشق وقد كان زياد طرقه بالليل في منزله بالبصرة فادخل الى معاوية وعنده عمرو ابن العاص فقال معاوية لعمرو بن العاص هل تعرف هذا قال لا قال هذا الذي يقول أبوه يوم صفين

تغشى الميادين الفوارس حقبة * كيما يعاملها النزال طراد
وقال يحيينى بريحان التجنى * ويحجبنى معتقة السماح
فها انا قد غلمت من الايادى * اذا اتصل اغتباقى باصطباحى

وكتب الى ابى عامر يستدعيه

ابا المعالى نحن فى روضة * فانقل الينا القدم العاليه
انت الذى لو تشترى ساعة * منه بدهر لم تكن غاليه

وتذكرت هنا قول بعض المشارقة فيما اظن

لله ايام مضت مأنوسة * ما كان احسنها وانضرها معا
لو ساعة منها تباع شريتها * ولو انها بيعت بعمرى اجمعا

(رجع) وقال ابو القاسم اسعد من قصيدة فى المعتصم بن صمادح

وقد ذاب كحل الليل فى دمع فجره * الى أن تبدى الليل كالله الشمطا
كأن الدجا جيش من الزنج نافذ * وقد ارسل الاصباح فى اثره القبطا

ومنها اذا سار سار الجود تحت لوائه * فليس يحط المجد الا اذا حطا

وقال ابن خلعة المكفوف النحوى من قصيدة

ملك تملك حر المجد لا يده * نالت بظلم ولا مالت الى البخل
مهذب المجد ماضى الحد مضطلع * لما تحمله العلياء من ثقل
اغر لا وعده يخشى له ابدا * خلف ولا رايه يؤتى من الزلل
قد جاوزت نطق الجوزاء همته * به وما زحلت عن مرتقى زحل
يأبى له ان يحل الذم ساحته * ما صد من جلل او سد من خلل

ومنها ان لم تكن بكم حالى مبدلة * فما انتفاعى بعلم الحال والبدل

وقال ابن الحداد يمدح المعتصم بن صمادح

عج بالحمى حيث الغياض العين * فعسى تعن لنا المهاة العين
واستقبلن ارج النسيم فدارهم * نسدية الارجاء لا دارين
افق اذا مارمت لحظ شموسه * صدتك للنقع المثار دجون
أنى اراعى لهم و بين جوانحى * شرق يهون خطبهم فيهون
انى يصاب ضرابهم وطعانهم * صب بألحاظ العيون طعين
فكأنما بيض الصفاح جداول * وكأنما سمر الرماح غصون
ذرنى اسر بين الاسرة والظبا * فالقلب فى تلك القباب رهين
يا ربة القرط المعير خفوقه * قلبى أما لحراكه تسكين
ثور يذكك للصبابة مورد * وفتور طرفك للنفوس فتون
فاذا رقدت فوحى حبك منزل * واذا نطقت فانه تلقين

ومنها فى وصف قصر

راس بظهر النون الا انه * سام فقبته بحيث النون

قد عالج الحياة حتى ملا * لابد أن يفل او يفلا
اسلمهم بذى الكعوب سلا * لا خير عندى فى كريم ولى
فقال عمرو متمثلا
وقد ينبت المرعى على دمن الثرى
وتبقى حزازات النفوس كما هيا
دونك يا امير المؤمنين الضب الضب فاشخب اوداجه على اسباجه ولا ترده الى اهل العراق فانه لا يصبر على النفاق وهم اهل غدر وشقاق وخب ابليس ليوم هيجانه وان له هوى سيؤديه ورأيا سيطغيه وبطانة ستقويه وجزاء سيئة سيئة مثلها فقال عبد الله يا عمرو ان أقتل رجل اسلمه قومه وادركه يومه أفلا كان هذا منك اذ تحيد عن القتال ونحن ندعوك الى النزال وانت تلوذ بشمال النطاف وعقائق الرصاف كالامة السوداء والنعجة القوداء لا تدفع يد لامس فقال عمرو أما والله لقد وقعت فى لهاذم شذقم للاقران ذى لبد ولاحسبك منفلتا من مخالب امير المؤمنين فقال عبد الله اما والله يا ابن العاص انك لبطر

فى الرخاء جبان عند اللقاء غشوم اذا ولیت هياب اذا لقيت تهدر كما يهدر العود المنكوس المقيد بين مجرى الشول

هوجنة الدنيا تبوأ نزلها * ملك تملكه التقى والدين
فكأنما الرحمن عجلها له * ليرى بما قد كان ما سيكون
وكأن بانيه سمأ رفعا * يعدوه تحسين ولا تحصين
وجزاؤه فيه نقيض جزائه * شتان ما الاحياء والتحيين

ومنها في المديح

لا تلتقي الاحكام حيفا عنده * فكأنما الافعال والتنوين

ومنها

وبداهلال الافق أحنى ناسخا * عهد الصيام كأنه العرجون
فكأن بين الصوم خط نحوه * خطا خفيا بان منه النون

وقال عبد الجليل بن وهبون

زعموا الغزال حكاه قلت لهم نعم * في صده عن عاشقيه وهجره
وكذا يقولون المدام كريقه * يارب ما علموا مذاقة ثغره

وقال أبو الحسن علي بن أحمد بن أبي وهب الاندلسي

قالوا تد انيت من وداعهم * ولم نر الصبر عنك مغلوبا
فقلت للعلم أني بعد * أسمع لفظ الوداع مقلوبا

وهذا كقول بعض شعراء اليتيمة

اذا دهاك الوداع فاصبر * ولا يروعنك البعاد
وانتظر العود عن قريب * فان قلب الوداع عادوا

وقال ابن اللبانة

ان تكن تبتغي الوداع فدعني * عنك في حومة القتال أحامي
خذ جناني عن جنة ولساني * عن سنان وخاطري عن حسام

وقال القزاز يمدح ابن صمادح وخلط النسيب بالمديح

نفى الحب عن مقلتي الكرى * كما قد نفى عن يدي العدم
فقد قر حبك في خاطري * كما قر في راحتيك الكرم
وفرسلوك عن فكرتي * كما فر عن عرضه كل ذم
فحبي ومفخره باقيا * ن لا يذهبان بطول القدم
فابق لي الحب خال وجد * وأبقى له الفخر خال وعم

وقال أبو الحسن بن الحاج

أذوب اشتياقا يوم يحجب شخصه * واني على ريب الزمان لقاسي
وأذعر منه هيبة وهو المنى * كما يذعر المخمور أول كاس

وقال

من لي بطرف كان لي أبدا * منه بغير المدام مخمور
ما أصدق القائلين حين بدا * عاشق هذا الجمال معذور

وقال

أباجعفر مات قبلك الجمال * فأظهر خدك لبس الحداد
وقد كان ينبت نور الربيع * فقد صار ينبت شوك القتاد

لا يستحل في المدة ولا يرتجى في الشدة افلا كان هذا منك اذ عمرك الله قوام لم يعنفوا صغارا ولم يمزقوا كبارا لهم أيد شداد والسنة حداد يدعمون العوج ويذهبون الحرج يكثرون القليل ويشفون الغليل ويعزون الذليل فقال عمرو أما والله لقد رأيت أبالك يومئذ تحقق أحشاؤه وتبق أمعاؤه وتضطرب أصلاؤه كأنما انطبق عليه ضمد فقال عبد الله يا عمرو انا قد بلوناك ومقالتك فوجدنا لسانك كذوبا غادرا خلوت باقوام لا يعرفونك وجند لا يأسمونك ولو رمت المنطق في غير أهل الشام لحظ اليك عقلك ولتلجلج لسانك ولاضطرب فخذاك اضطراب القعود الذي أثقله حمله فقال معاوية ايها عنكما وأمر باطلاق عبد الله فقال عمرو لمعاوية امرتك امرا حازما فعصيتني وكان من التوفيق قتل ابن هاشم ألبس أبوه يا معاوية الذي أعان عليا يوم حز الغلاصم فلم ينثن حتى جرت من دمائنا بصفين أمثال البحور الخضارم وهذا ابنه والمرء يشبه شيخه ويوشك ان تقرع به سن نادم * فقال عبد الله يجيبه معاوى ان المرء عمرا أبت له * ضغينة صدر غشها غير نائم فهل

وهل كنت من عبد شمس فأخشى * عليك ظهور شعار السواد

وقال وما أحكمه

ما عجبي من بائع دينه * بلذة يبلغ فيها هواه
وانما أعجب من خاسر * يبيع أخراه بدنيا سواه

وقال من محنة يرثي فيها ابن صماد ح ويندب الاندلس زمن الفتنة

من لي بمعبول على ظلم الدهر * صحف في أحكامه جاء الجور
مر بنا يسحب أذيال الخفر * ما أحسد الظبي له اذ انفر

وأشبه الغصن به اذ اخطر

كافورة قد طرزت بمسك * جوهرة لم تمتهن بسلك
نبذت فيها ورعي ونسكي * بعد لجاجي في التقى ومحكي
فاليوم قد صح رجوعي واشتهر
نهيت قدما ناظري عن نظر * علما بما يجني ركوب الغرر
وقلت عرج عن سبيل الخطر * فاليوم قد عاين صدق الخبر
اذ بات وقفا بين دمع وسهر
سقى الحيا عهدا لنا بالطاق * معترك الالباب والاحداق
وملتقى الانفس والاشواق * أيأس فيه الدهر عن تلاقي
ور بما ساءك دهر ثم سر
أحسن به مطلعا ما أغربا * قابل من دجلة مرأى معجبا
ان طلعت شمس وقد هبت صبا * حسبته ينشر بردا مذهبا
يمنظر فيه جلاء للبصر
يارب أرض قد خلت قصورها * وأصبحت آهلة قبورها
يشغل عن زائرها مزورها * لا يأمل العودة من يزورها
هيهات ذاك الورد ممنوع الصدر
تنتحب الدنيا على ابن معن * كأنها ثكلى أصيبت بابن
أكرم مأمول ولا أستثني * أثنى بنعماه ولا أثني
والروض لا ينشر معروف المطر
عهدي به والملك في ذماره * والنصر فيما شاء من أنصاره
يطلع بدر التم من أزراره * وتكمس العقبة في ازوراره
و يحضر السودد أيان حضر
قل للنوى جدنا انطلاق * ما بعدت مصر ولا العراق
اذا جدا نحوهما اشتياق * ومن دواء الملل الفراق
ومن نأى عن وطن نال وطر
سار بذي بردن من الاصباح * راكب نشوى ذات قصد صاح

على انهم لا يقتلون أسيرهم اذا منعت منه عهود المسالم
وقد كان منا يوم صفين نفرة
عليك جناها هاشم وابن هاشم
قضى ما انقضى منها وليس الذي مضى
ولا ما جرى الا كاضغاث حالم
فان تعف عني تعف عن ذي قرابة
وان ترقتلي تستحل محارمي
فقال معاوية
أرى العفو عن عليا قريش وسيلة
الى الله في يوم العصيب القماطر
ولست أرى قتل العداة ابن هاشم
بادراك ثاري في لؤى وعامر
بل العفو عنه بعد ما بان جرمه
وزلت به احدى الجدود العواثر
فكان أبوه يوم صفين جمرة
علينا فاردته رماح شهابر
وحضر عبد الله بن هاشم ذات يوم مجلس معاوية
فقال معاوية من يخبرني عن الجود والنجدة والمروءة
فقال عبد الله يا أمير المؤمنين أما الجود فابتذال المال والعطية قبل السؤال واما النجدة فالجراءة على الاقدام والصبر عند

مسودة مبيضة الجناح * تسبح بين الماء والرياح
يزورها عن طافح المرج زور
يقتحم الهول بها اغترارا * في فتية تحبها سكارى
قد افترشن المسد المغارا * حتى اذا شارفت المنارا
هب كمابل العلل المحتضر
يؤم عدل الملك الرضى * الهاشمي الطاهر النقي
والمجتبى من صفوة النبي * من ولد السماح والمهدى
فخر معد ونزار ومضر
حيث ترى العباس يستقي به * والشرف الاعظم في نصابه
والامر موقوفا على أربابه * والدين لا تخلط الدنيا به
وسيرة الصديق تمضي وعمر

وقال ابن خفاجة في صفة قوس

عرجاء تعطف ثم ترسل تارة * فكأنما هي حية تنساب
واذا انتحت والسهم منها خارج * فهي الهلال انقض منه شهاب

وقال

وعسى الليالي أن تمن بنظمنا * عقدا كما كنا عليه وأكملا
فلربما نثر الجمان تعمدا * ليعاد أحسن في النظام وأجملا

وهو من قول مهيار

عسى الله يجعلها فرقة * تعود بأكمل مستجمع

وقول المتنبي

سألت الله يجعله رحيلا * يعين على الاقامة في ذراكا

وقال

اقض على خلك أو ساعد * عشت بجد في العلا صاعد
قد بكى جفني دما سائلا * حتى لقد ساعده ساعدي

وقال

وأسود يسجى في بركة * لا تكتم الحصباء غدرانها
كأنها في صفوها مقلة * زرقاء والاسود انسانها

وقال

حيا بها ونسيمها كنسيمه * فشر تمه من كفه في وده
منساغة فكأنها من ريقه * محمرة فكأنها من خده

وقال

لعمري لو أوضعت في منهج التقى * لكان لنا في كل صالحة نهج
فما يستقيم الامر والملك جائر * وهل يستقيم الظل والعود معوج

وقال يرثي صديقا من أبيات

تيقن أن الله أكرم جيرة * فأزمع عن دار الحياة رحيلا
فان أقفرت منه العيون فانه * تعوض منها بالقلوب بديلا
ولم أر أنسا قبله عاد وحشة * وبردا على الاكباد عاد غليلا
ومن تلك أيام السرور قصيرة * به كان ليل الحزن فيه طويلا

وقال

تفاوت نجلا أبي جعفر * فمن متعال ومن منسفل

اوزوار الاقدام وأما رضي الله عنه قيس بن سعد بن عبادة عن مصر وجه مكانه محمد ابن أبي بكر فلما وصل اليها كتب الى معاوية كتابا فيه من محمد ابن أبي بكر الى الغاوي معاوية بن صخر أما بعد فان الله بعظمته وسلطانه خلق خلقه بلا عبث منه ولا ضعف في قوته ولا حاجة به الى خلقهم لكنه خلقهم عبيدا وجعل منهم غويا ورشيدا وشقيا وسعيدا ثم اختار على علم واصطفى وانتخب منهم محمدا صلى الله عليه وسلم فانتخبه لعلمه واصطفاه لرسالته وائتمنه على وحيه وبعثه رسولا ومبشرا ونذيرا فكان اول من اجاب وأناب وآمن وصدق وأسلم وسلم أخوه وابن عمه علي بن ابي طالب صدقه بالغيب المكتوم وآثره على كل حميم ووقاه بنفسه كل هول وحارب حربه وسالم سلمه فلم يبرح مبتذلا لنفسه في ساعات الليل والنهار والخوف والجوع والخضوع حتى برز سابقا لا نظير له فيمن اتبعه ولا مقارب له في فعله وقد رايتك تساميه وانت انت وهو هو اصدق الناس نية وافضل الناس ذرية وخير الناس زوجة وافضل الناس ابن عم اخوه الشاري بنفسه يوم موته وعمه سيد الشهداء يوم

فهذا يمين بها أكله * وهذا شمال بها يغتسل

وقال ابن الرفاء

ولما رأيت الغرب قد غص بالدجا * وفي الشرق من ضوء الصباح دلائل
توهمت أن الغرب بحر أخوضه * وأن الذي يبدو من الشرق ساحل

وقال أبو محمد بن عبد البر الكاتب

لا تكثرن تأملا * وامسك عليك عنان طرفك
فلربما أرسلته * فرماك في ميدان حتفك

وقال أبو القاسم السميسر

يا آكلا كل ما اشتهاه * وشانم الطب والطبيب
ثمار ما قد غرست تجني * فانتظر السقم عن قريب
يجتمع الداء كل يوم * أغذية السوء كالذنوب

وكان كثير الهجاء وله كتاب سماه بشفاء الامراض في أخذ الاعراض والعياذ بالله تعالى

ومن قوله

خنتم فهنتم وكم أهنتم * زمان كنتم بلا عيون
فانتم تحت كل تحت * وأنتم دون كل دون
سكنتم يا رياح عاد * وكل ريح الى سكون

وقال

يا مشفقا من خمول قوم * ليس لهم عندنا خلاق
ذلوا وياطا لما أذلوا * دعهم يذوقوا الذي أذاقوا

وقال

وليتم فما أحسنتم مذوليتم * ولا صنتم عمن يصونكم عرضا
وكنتم سماء لا ينال منالها * فصرتم لدى من لا يسائلكم أرضا
ستسترجع الايام ما أقرضتكم * ألا انها تسترجع الدين والقرضا

وقال ابن شاطر السرقسطي

قد كنت لا أدري لأية علة * صار البياض لباس كل مصاب
حتى كساني الدهر سحق ملاءة * بيضاء من شيبي لفقد شبابي
فهذا تبين لي اصابة من رأى * لبس البياض على نوى الاحباب

وهذه عادة أهل الاندلس ولهذا قال الحصري

اذا كان البياض لباس حزن * بأندلس فذاك من الصواب
ألم ترني لبست بياض شيبي * لاني قد حزنت على الشباب

وما أحسن قوله رحمه الله تعالى

لو كنت زائرتي لراعك منظري * ورأيت بي ما يصنع التفريق
ولحال من دمعي وحر تنفسي * بيني وبينك لجة وحريق

وقال ابن عبد الصمد يصف فرسا

على سابح فرد يفوت بارب * له أربعا منها الصبا والشمائل
من الفتح خوان العنان كانه * مع البرق سار أو مع السيل سائل

اللعين ابن اللعين لم تزل انت وابوك تبغيان لرسول الله صلى الله عليه وسلم الغوائل وتجهدان في اطفاء نور الله تجمعان على ذلك الجموع وتبذلان فيه المال وتؤلبان عليه القبائل على ذلك مات ابوك وعليه خلفته والشهيد عليك من تدنى ويلجأ اليك من بقية الاحزاب ورؤساء النفاق والشاهد لعلي مع فضله المبين القديم انصاره الذين معه الذين ذكرهم الله بفضلهم واثنى عليهم من المهاجرين والانصار وهم معه كتائب وعصائب يرون الحق في اتباعه والشقاء في خلافه فكيف بالك الويل تعدل نفسك بعلي وهو وارث رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله ووصيه وابو ولده اول الناس له اتباعا واقربهم به عهدا يخبره بسره ويطلعه على امره وانت عدوه وابن عدوه فتمتع في دنياك ما استطعت بباطلك وليمددك ابن العاص في غوايتك فكأن اجلك قد انقضى وكيدك قد وهى ثم يتبين لك لمن تكون العاقبة العليا واعلم انك انما تكايد ربك الذي آمنك كيده ويئست من روحه فهو لك بالمرصاد وانت منه في غرور والسلام على من اتبع الهدى (فكتب اليه معاوية) من معاوية بن صخر الى الزاوي

به رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله مع كلام كثير لا شفيه تضعيف ولا يبك فيه تعنيف ذكرت فيه فضل ابن ابى طالب وقديم سوابقه وقرابته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومواساته اياه فى كل هول وخوف فكان احتجاجك على وعيبك لى بفضل غيرك لا بفضلك فاحمد ربا صرف هذا الفضل عنك وجعله لغيرك فقد كنا وأبوك فينا نعرف فضل ابن أبى طالب وحقه لازما لنا مبرورا علينا فلما اختار الله لنبيه عليه الصلاة والسلام ما عنده واتم له ما وعده واظهر دعوته فابلج حجته وقبضه الله اليه صلوات الله عليه كان ابوك وفاروقه اول من اجتره حقه وخالفه على أمره على ذلك اتفاقا واتسقا ثم انهما دعواه الى بيعتهما فابطأ عنهما وتلكأ عليهما فهما به الهموم وأراد به العظيم ثم انه بايع لهما وسلم لهما وأقاما لا يشركانه فى امرهما ولا يطلعانه على سرهما حتى قبضهما الله ثم قام ثالثهما عثمان فهدى بهديهما وسار بسيرهما فعبته انت وصاحبك حتى طمع فيه الاقاصى من اهل المعاصى فبلبتماله الغوائل واظهرتما عداوتكما حتى بلغتما فيه منا كما

وقال ابن عبد الحميد البرجى

أرح متن المهند والجواد * فقد تعبا بجدك فى الجهاد
قضيت بعزمة حق العوالى * فقض براحة حق الموادى

وقال عبادة

انما الفتح هلال طالع * لاح من أزراره فى فلك
خده شمس وليل شعره * من رأى الشمس بدت فى حلك

وقال ابن المطرف المنجم

يرى العواقب فى أثناء فكرته * كأن أفكاره بالغيب كهان
لا طرفة منه الا تحتها عمل * كالدهر لا دورة الا لها شان

وقال أبو الحسن بن البسع

راموا ملامى وكان اغرا * وذم حى وكان اطرا
لو علم العاذلون مابى * لانقلبت فيه لامهم را

وقال

لما قدمت وعندى * شطر من الشوق وافى
قدمت قلبى قبلى * فصنته حتى أوافى

ولما خاطب المستنصر ملك افريقية ابن سيد الناس بقوله

ما حال عينيك يا عين الزمان فقد * أورثتنى حزنا من أجل عينيكا
وليس لى حيلة غير الدعاء فيا * رب براوى الصحيحين حنانيكا

أجابه الحافظ أبو المطرف بن عميرة المخزومى خدمة عن الحافظ أبى بكر بن سيد الناس

مولاى حالهما والله صالحة * لما سألت فأعلى الله حالكا
ما كان من سفر أو كان من حضر * حتى تكون الثريا دون نعليكا

وقال الاديب أبو العباس الرصافى وهو من أصحاب أبى حيان

هذا هلال الحسن أطلع بيننا * وجميعنا بحلى محاسنه شغف
لما رأى ظل العذار بخده * ماء النعيم أتى اليه ليرتشف
فكأن ذاك الخد أنكر أمره * فاحمر من حنق عليه وقال قف

وقال

وعشية نعمت بها أرواحنا * والخمر قد أخذت هنالك حقها
وكأنما ابريقنا لما جثا * ألقى حديثا للكؤس وقهقها

وقال الامام الحافظ أبو الربيع بن سالم

كأنما ابريقنا عاشق * كل عن الخطو فأعمله
غازل من كاسى حبيبا له * فكلما قبله أخجله

وقال أبو القاسم بن الابرش

رأيت ثلاثة تحكى ثلاثا * اذا ما كنت فى التشبيه تنصف
فتم والنيل منفعة وحسنا * وشنتر ين مصر وأنت يوسف

وقال فى غريق وقيل انه مما تمثل به

الحمد لله على كل حال * قد أطفأ الماء سراج الجمال
أطفأه ما كان محيا له * قد يطفئ الزيت ضياء الزبال

وهو القائل

لو لم يكن لي آباء أسود بهم * ولم يؤسس رجال الغرب لي شرفا
ولم أنل عند ملك العصر منزلة * لكان في سيبويه الفخر لي وكفى
فكيف لو جمعت قد جمعتهما * وكل مختلق في مثل ذا وقفا

وقال أبو الحسن بن حريق

أصبحت تدبير مصرا كاسمها * وأبو يوسف فيها يوسفا

وقال أبو القاسم بن العطار الاشبيلي في بعض الهوزنيين وقد غرق في نهر طليرة عند فتحها

ولما رأوا أن لا مقر لسيفه * سوى هامهم لاذوا بأجرامهم
فكان من النهر المعين معينهم * ومن ثلم السد الحسام المثلم
فيا عجبا للبحر غالته نطفة * وللاسد الضرغام أرداه أرقم

وقال أبو العباس اللص

وقائلة والضنا شامل * علام سهرت ولم ترقد
وقد ذاب جسمك فوق الفرا * ش حتى خفيت على العوّد
فقلت وكيف أرى نائما * ورائي المنية بالمرصد

ولما قرئ عليه ديوان أبي تمام ومر فيه وصف سيف قال أنا أشعر منه حيث أقول

تراه في غداة الغيم شمسا * وفي الظلماء نجما أو ذبالا
يروعهم معاينة ووهما * ولو ناموا لروّعهم خيالا

وقال أبو اسحق الالبيري

تمر لداني واحدا بعد واحد * وأعلم اني بعدهم غير خالد
وأجمل موتاهم وأشهد دفنهم * كاني بعيد عنهم غير شاهد
فها أنا في علمي لهم وجهالتي * كمستيقظ يرنو بعقلة راقد

قيل ولو قال في البيت الثاني كأني عنهم غائب غير شاهد لكان أحسن وأبدع وأبرع في الصناعة الشعرية قاله ابن الابار رحمه الله تعالى * وقال الوزير أبو الوليد بن مسلمة

اذا خانك الرزق في بلدة * ورافاك من همها ما كثر
فمفتاح رزقك في بلدة * سواها فسر دها تنل ما يسر
كذا المبهمات بوسط الكتا * ب مفتاحها أبدا في الطرر

وقال أبو الطاهر اسمعيل الحشني الجياني المعروف بابن أبي راكب وقيل ان أخاه الاستاذ أبا بكر هو المعروف بذلك

يقول الناس في مثل * تذكر غائبا تره
فما لي لا أرى سكني * ولا انسي تذكره

وأنشد أبو المعالي الاشبيلي الواعظ بمسجد رحبة القاضي من بلنسية أبياتا منها

أنا في الغربة أبكي * ما بكت عين غريب
لم أكن يوم خروجي * من بلادي بعصيب

الجبال بحلمه لا يلين عن قسر قناته ولا يدرك ذو مقال اناته مهد مهاده و بنى لملكه وشاده فان يك ما نحن فيه صوابا فابوك استبد به ونحن شركاؤه ولولا ما فعل أبوك من قبل ما خالفنا ابن أبي طالب ولسلمنا اليه ولكنا رأينا أباك فعل ذلك به من قبلنا فاخذنا بمثله فعب اباك بما بدا لك أودع ذلك والسلام على من اناب

(ومما كتب به معاوية الى علي) أما بعد فلو علمنا ان الحرب تبلغ بنا وبك ما بلغت لم يجنها بعضنا على بعض وانا وان كنا قد غلبنا على عقولنا فقد بقي لنا منها ما نرد به ما مضى ونصلح به ما بقي وقد كنت سألتك الشام على ان لا تلزمني لك طاعة وأنا أدعوك اليوم الى ما دعوتك اليه أمس فانك لا ترجو من البقاء الا ما أرجو ولا تخاف من القتال الا ما أخاف وقد والله رقت الاجناد وذهبت الرجال ونحن بنو عبد مناف وليس لبعضنا على بعض فضل يستذل به عزيز ويسترق به حر والسلام

(فكتب اليه علي كرم الله وجهه) من علي بن ابي طالب

١٥ طين الى معاوية بن ابي سفيان اما بعد فقد جاءني كتابك تذكر فيه انك لو علمت ان الحرب تبلغ بنا وبك ما بلغت

عجبا لى ولتركى * وطنا فيه حبيبى

وقال أبو القاسم بن الانقر السرقسطى

احفظ لسانك والجوارح كلها * فلكل جارحة عليك لسان
واخزن لسانك ما استطعت فانه * ليث هصور والكلام سنان

وقال أبو القاسم خلف بن يحيى بن خطاب الزاهد مما نسبه لابى وهب الزاهد

قد تخيرت أن أكون مخفا * ليس لى من مطيهم غير رجلى
فاذا كنت بين ركب فقالوا * قدموا للرحيل قدمت نعلى
حيثما كنت لا أخلف رحلا * من رآنى فقد رآنى ورحلى

وقال أبو عبد الله بن محمد بن فتح الانصارى الثغرى

كم من قوى قوى فى تقلبه * مهذب الرأى عنه الرزق ينحرف
ومن ضعيف ضعيف الرأى مختبل * كأنه من خليج البحر يغترف

وقال أبو القاسم محمد بن نصير الكاتب

مضت أعمارنا ومضت سنونا * فلم نظفر بذى ثقة يدان
وجربنا الزمان فلم يفدنا * سوى التخويف من أهل الزمان

وحكى عن الفقيه الاديب النحوى ابى عبد الله محمد بن ميمون الحسينى قال كانت لى فى صبوتى جارية وكنت مغرى بها وكان أبى رحمه الله تعالى يعذلنى فيها ويعرض لى ببيعها لانها كانت تشغلنى عن الطلب والبحث عليه فكان عذله يزيدنى اغراء بها فرأيت ليلة فى المنام كان رجلا يأتينى فى زى أهل المشرق كل ثيابه بيض وكان يلقى فى نفسى انه الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهما وكان ينشدنى

تصبو الى محى ومحى لاتنى * تزهو ببلواك التى لاتنقضى
وتخاركك القوم الا لى ما منهم * الا امام أو وصى أو نبى
فاثن عنانك للهدى عن ذى الهوى * وخف الاله عليك ويحك وارعوى

قال فانتبهت فزعا مفكرا فيما رأيته فسألت الجارية هل كان لها اسم قبل أن تتسمى بالاسم الذى أعرفه فقالت لا ثم عاودتها حتى ذكرت انها كانت تسمى مية فبعتها حينئذ وعلمت انه وعظ وعظنى الله به عز وجل وبشرى * وقال ابن الحداد أول قصيدته حديقة الحقيقة

ذهب الناس فانفرادى أنيسى * وكتابى محدثى وجليسى
صاحب قد أمنت منه ملالا * واختلالا وكل خلق بئيس
ليس فى نوعه مجى ء ولكن * يلتقى الحى منه بالمرموس

وقال بعض أهل الجزيرة الخضراء

الحاظكم تجرحنا فى الحشا * ولحظنا يجرحكم فى الخدود
جرح بجرح فاجعلوا ذا بذا * فالذى أوجب جرح الصدود

وقال ابن النعمة انهما لابن شرف وقد ذكرناهما مع جوابهما فى غير هذا الموضع * وقال المعتمد بن عباد

لم يجنها بعضنا على بعض وانا
أعطيك اليوم ما منعتك امس واما استواؤنا فى الخوف والرجاء فلست بأمضى على الشك منى على اليقين وليس أهل الشام على الدنيا بأحرص من أهل العراق على الآخرة واما قولك نحن بنو عبد مناف فكذلك نحن وليس امية كهاشم ولا حرب كعبد المطلب ولا أبو سفيان كابى طالب ولا الطليق كالمهاجر ولا المبطل كالمحق وفى ايدينا فضل النبوة التى قتلنا بها العزيز ويعنابها الحر والسلام
(وحدث) أبو جعفر محمد ابن جرير الطبرى عن محمد ابن حميد الرازى عن أبى مجاهد عن محمد بن اسحق ابن ابى نجيح قال لما حج معاوية طاف بالبيت ومعه سعد فلما فرغ انصرف معاوية الى دار الندوة فأجلسه معه على سريره ووقع معاوية فى على وشرع فى سبه فزحف سعد ثم قال أجلستنى معك على سريرك ثم شرعت فى سب على والله لأن يكون فى خصلة واحدة من خصال كانت لعلى أحب الى من ان يكون لى ما طلعت عليه الشمس والله لأن أكون صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم لى من الولد ما على أحب الى من أن يكون لى ما طلعت عليه الشمس

اقنع بحظك في دنياك ما كانا * وعز نفسك ان فارقت أوطانا
في الله من كل مفقود مضى عوض * فأشعر القلب سلوانا وايمانا
أكلما سخت ذكرى طربت لها * سجت دموعك في خديك طوفانا
أما سمعت بسلطان شبيهك قد * برته سود خطوب الدهر سلطانا
وطن على الكره وارقب اثره فرجا * واستغنم الله تغنم منه غفرانا

وقال أبو عامر البرياني في الصنم الذي بشاطبة

بقية من بقايا الروم معجبة * أبدى الثبات بها من علمهم حكما
لم أدر ما أضمروا فيه سوى أمم * تتابعت بعد سموه لنا صنما
كالمبرد الفرد ما أخطا مشبهه * حقا لقد برد الايام والامما
كأنه واعظ طال الوقوف به * مما يحدث عن عاد وعن ارما
فانظر الى حجر صلد يكلمنا * أسمى وأوعظ من قس لمن فهما

قيل لو قال مكان حكما علما لاحسن * وقال السميسر

اذا شئت ابقاء أحوالكا * فلا تحرجاها على بالكا
وكن كالطريق لمحتازها * يمر وأنت على حالكا

وقال

هن اذا ما نلت حظا * فاخوا العقل يهون
فتى حطك دهر * فكما كنت تكون

وقال أبو الربيع بن سالم الكلاعي أنشدني أبو محمد الشلبي أنشدني أبو بكر بن مخلل لنفسه

مضت لي ست بعد سبعين حجة * ولي حركات بعدها وسكون
فيا ليت شعري أين أو كيف أو متى * يكون الذي لابد أن سيكون

وقال أبو محمد عبد الحق الاشبيلي

لا يخدعنك عن دين الهدى نفر * لم يرزقوا في التماس الحق تأييدا
عمى القلوب عموا عن كل فائدة * لانهم كفروا بالله تقليدا

وقال أبو محمد بن صارة

بنو الدنيا بجهل عظموها * فعزت عندهم وهي الحقيره
يهارش بعضهم بعضا عليها * مهارشة الكلاب على العقيره

وقال

اسعد عالمك في الحياة ولا تكن * تبقى عليه حذار فقر حادث
فالبخل بين الحادثين وانما * مال البخيل لحادث أو وارث

ودخل أبو محمد الطاتي القرطبي على القاضي أبي الوليد بن رشد فأنشده ارتجالا

قد قام لي السيد الهمام * قاضي قضاة الورى الامام
فقلت قم بي ولا تقم لي * فقلما يؤكل القيام

وقال الحافظ أبو محمد بن حزم

لا تلمني لان سبقت لحظ * فات ادراكه ذوي الالباب
يسبق الكلب وثبة الليث في المد * ويعلو النخال فوق اللباب

السيد محمد الحميري سائل قريشا بها ان كنت ذا عمه * من كان أثبتها في الدين اوتادا

ورسوله ويحب الله ورسوله ليس بفرار يفتح الله على يديه احب الي من ان يكون لي ما طلعت عليه الشمس والله لأن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي ما قال له في غزوة تبوك الا ترضى ان تكون مني بمنزلة هرون من موسى الا أنه لا نبي بعدي احب الي من ان يكون لي ما طلعت عليه الشمس وايم الله لا دخلت لك دارا ما بقيت ونهض (ووجدت) في وجه آخر من الروايات وذلك في كتاب علي بن محمد بن سليمان النوفلي في الاخبار عن ابن عائشة وغيره أن سعدا لما قال هذه المقالة لمعاوية ونهض ليقوم ضرط له معاوية وقال له اقعد حتى تسمع جواب ما قلت ما كنت عندي قط الا أم منك الآن فهلا نصرته ولم قعدت عن بيعته فاني لو سمعت من النبي صلى الله عليه وسلم مثل الذي سمعت فيه لكنت خادما له على ما عشت فقال سعد والله اني لاحق بموضعك منك فقال معاوية يا أبا عليك بنو عذرة وكان سعد فيما يقال لرجل من بني عذرة قال النوفلي وفي ذلك يقول

من كان يقدم في الهيجاء ان نكلوا
عنها وان بخلوا في أزمة جادا
من كان أعدلها حكما وأقسطها
حلما وأصدقها وعدا وابعادا
ان يصدقوك فلم يعدوا أبا حسن
ان أنت لم تلق للابرار حسادا
ان أنت لم تلق من تيم أخا صلف
ومن عدى لحق الله جحادا
أو من بني عامر أو من بني أسد
رهط العبيد ذوي جهل وأوغادا
أو رهط سعد وسعد كان قد علموا
عن مستقيم صراط الله صدادا
قوم تداعوا زنيما ثم سادهم
لولا خول بني زهر لما سادا
وكان سعد واسامة بن زيد وعبد الله بن عمر ومحمد بن سلمة ممن قعد عن علي بن أبي طالب وأبوا أن يبايعوه هم وغيرهم ممن ذكرنا من القعاد عن بيعته وذلك انهم قالوا انها فتنة ومنهم من قال لعلي أعطنا سيوفا نقاتل بها معك فاذا ضربنا بها المؤمنين لم تعمل فينا ونبت عن أجسامهم واذا

وقال أبو عبد الله الجبلي الطبيب القرطبي

اشدد يديك على كلب ظفرت به * ولا تدعه فان الناس قد ماتوا

قلت تذكرت بهذا قول الآخر

اشدد يديك بكلب ان ظفرت به * فأكثر الناس قد صاروا اخنازيرا

وقال محمد بن عبد الله الحضرمي مولى بني أمية

عاشر الناس بالجميل وستد وقارب
واحترس من أذى الكرا * م وجد بالمواهب
لا يسود الجميع من * لم يقم بالنوائب
ويحوط الاذى ويرعى * ذمام الاقارب
لا تواصل الا الشريف الكريم المناصب
من له خير شاهد * وله خير غائب
واجتنب وصل كل وغد دنيء المكاسب

وقال الكاتب الحافظ أبو عبد الله بن الابار

لله نهر كالحباب * ترقيشه سامي الحباب
يصف السماء صفاوة * فحصاه ليس بذي احتجاب
وكأنما هو رقة * من خالص الذهب المذاب
غارت على شطيه أبـ * ـكار المنى عصر الشباب
والظل يبدو فوقه * كالخال في خد الكعاب
لا بل أدار عليه خو * ف الشمس منه كالنقاب
مثل المجرة جرفيـ * ـها ذيله جون السحاب

وقال شتى محاسنه فمن زهر على * نهر تسلسل كالحباب تسلسلا
غربت به شمس الظهيرة لاتقي * احراق صفحته فيبدو مشعلا
حتى كساه الدوح من أفنانه * بردا بمزن في الاصيل مسلسلا
وكأنما لمع الظلال بمتنه * قطع الدماء جمدن حين تحللا

وقال يمدح المستنصر صاحب افريقية

ان البشائر كلها جمعت * للدين والدنيا وللامم
في نعمتين جسيمتين هما * برء الامام وبيعة الحرم

قال ابن الابار واخبرني بعض اصحابنا يعني ابا عمرو بن عبد الغني انه انشدهما الخليفة فسبقه الى عجز البيت الثاني فقلت له على البديهة

فخر لشعري على الاشعار يحفظه * خليفة الله كان الله حافظه

واشار بقوله بيعة الحرم الى ماذكره ابن خلدون وغيره واحد من المؤرخين ان اهل مكة خطبوا للمستنصر صاحب تونس بعرفة وكتبوا له بيعة من انشاء ابن سبعين المتصوف وقد ذكر ابن خلدون نص البيعة في ترجمة المستنصر فليراجعها من أرادها * وقال ابن الابار

ألا اسمع فى الامير مقال صدق * وخذه عن امرئ حدم الاميرا
متى يكتب ترد وشلا اجاجا * وان يركب ترد عذبا غديرا

وقال بجيا التجانى

أيها الصاحب الصفى مباح * لك عنى فيما نصصت الروايه
ان عنانى اسعافى قصدك فيها * فلكم لم تزل بها ذا عنايه
ولها شرطها فحافظ عليه * ثم كافئ وصيتى بالكفايه
وتحام الاخلال جهدك لاقيت من الله عصمة وحمايه

ونص استدعاء التجانى

ان رأى سيدى الذى حاز فى العلم مع الحلم والعلا كل غايه
وحوى المجد عن جدود كرام * كلهم فى السماح والفضل آيه
أن أرى عنه بالاجازة أروى * كل ما فيه لى تصح الروايه
من حديث وكل نظم ونثر * وفنون له بهن درايه
فله فى ذاك الثواب من الله ومنا الثناء دون نهايه
دام فى رفعة وعز وسعد * وأمان ومكنة وحمايه
ما تولى جيش الظلام هزيما * وعلت للصباح فى الافق رايه

ولابن الابار ترجمة واسعة ذكرتها فى أزهار الرياض فى أخبار عياض وما يناسبها مما يحصل به للنفس ارتياح وللعقل ارتياض فلتراجع فيه * وأما التجانى أبو عبد الله هذا المذكور فقد وصفه قريبه أبو الفضل محمد حفيد عمه فى كتابه الحلى التيجانيه قال ابن رشيد وجمعه باسمنا حفظه الله تعالى وشكره وقال فى موضع آخر انه باسمه واسم صاحبه الوزير ابن الحكيم رحمهما الله تعالى انتهى * وقال ابن مفوز أبو الحسين

اذا عرتك عيلة * يعجز عنها ما تجد
فلتقتصد فانه * ما عال قط مقتصد

وقال

حاز دنياه كلها * محرزا أكبر المنن
من حوى قوت يومه * آمنا سالم البدن

وقال

أعن أخاك فى الذى * يأمله وترتجيه
فالله فى عون الفتى * ما كان فى عون أخيه

وقال

أنفس ما أودعته * قلبك ذكرى موقظه
وخير ما أتلفته * مال أفاد موعظه

وقال أبو البركات القميحى أنشدنا أبو العباس بن مكنون وقد رأى اهتزاز الثمار وتمايلها مرتجلا

حارت عقول الناس فى ابداعها * السكرها أم شكرها تتأود
فيقول ارباب البطالة تنثنى * ويقول أرباب الحقيقة تسجد

قال الشيخ أبو البركات القميحى قلت لابن مكنون ما الذى يدل على انهما فى وصف الثمار فقال وطى أنت لهما فقلت

معرضون (وذكر) أبو مخنف لوط بن يحيى وغيره من الاخباريين ان الامر لما أفضى الى معاوية أتاه أبو الطفيل الكنانى فقال له كيف وجدك على خليلك أبى الحسن قال كوجد أم موسى على موسى وأشكو الى الله التقصير فقال معاوية أكنت فيمن حضر قتل عثمان قال لا ولكنى فيمن حضر فلم ينصره قال فما منعك من ذلك وقد كانت نصرته عليك واجبة قال منعنى ما منعك اذ تربص به ريب المنون وأنت بالشام فأنى أوما ترى طلبى بدمه نصرة له قال بلى ولكنك واياه كما قال الجعدى

لا الفينك بعد الموت تندبنى * وفى حياتى ما زودتنى زادا

ودخل على معاوية ضرار ابن الخطاب فقال له كيف حزنك على أبى الحسن قال حزن من ذبح ولدها على صدرها فما ترقأ عبرتها ولا يسكن حزنها (وجرى) بين معاوية وبين قيس بن سعد بن عبادة حين كان عاملا على مصر فكتب اليه معاوية أما بعد فانك يهودى ابن يهودى وان ظفر أحب الفريقين اليك عزلك واستبدل بك وان ظفر أبغضهما اليك

يا من أتى متنزها فى روضه * أزهارها من حسنها تتوقد
انظر الى الاشجار فى دوحاتها * والريح تنسف والطيور تغرد
فترى الغصون تمايلت أطرافها * وترى الطيور على الغصون تعربد

قال ابن رشيد غلط المذكور فى نسبته البيتين لابن مكنون وانما هما لابى زيد الفازازى من قصيدة أولها

نعم الاله بشكره تتقيد * فالله يشكر فى النوال ويحمد
مدت اليه أكفنا محتاجة * فأنالها من جوده ما تعهد

والبيتان فى أثنائها غير أن أولهما فى ديوانه هكذا تاهت عقول الناس فى حركاتها انتهى ورأيت فى روضة التعريف لسان الدين بعدهما بيتا ثالثا وهو

واذا أردت الجمع بينهما فقل * فى شكر خالقها تقوم وتقعد انتهى

وحكى أن حافظ الاندلس امام الادباء ورئيس المؤلفين حسنة الزمان نادرة الاحسان أبا محمد عبد الله بن ابراهيم الصنهاجى الجيارى صاحب كتاب المسهب كان سبب اتصاله بعبد الملك بن سعيد جد على بن موسى صاحب المغرب أنه وفد عليه فى قلعته فلما وقف ببابه وهو برى بداوة ازدراه البوابون فقال لهم استأذنوا لى على القائد فضحكوا به وقالوا له ما كان وجد القائد من يدخل عليه فى هذه الساعة الا أنت فذيده الى دواة فى خزامه وسحاءة وكتب بها بباب القائد الاعلى لازال آهلا بأهل الفضيلة رجل وفد عليه من شلب بقصيدة مطلعها عليك أحالنى الذكر الجميل فان رأى سيدى أن يحجب من بلده شلب ومن قصيده هذا فهو أعلم بما يأتى و يذر ولا عتب على القدر ورغب الى احد غلمانه فأوصل الورقة فلما وقف عليها القائد قال من شلب بلده وهذا مطلع قصيدته ما لهذا الشأن ولعله الوزير ابن عمار وقد نشر الى الدنيا عجلوا بالاذن له فأذن له فدخل و بقى واقفا لم يسلم ولا كلم احدا فاستثقله الحاضرون واستبردوا مقصده ونسبوه للجهل وسوء الادب فقال له احدهم مالك لا تسلم على القائد وتدخل مداخل الادباء والشعراء فقال حتى أخجل جميعكم قدر ما أخجلتمونى على الباب مع أقوام أنذال وأعلم أيضا من هو الكثير الفضول من أصحاب القائد أعزه الله تعالى فأكون أتقيه ان قدر لى خدمته فقال له عبد الملك أتأخذنا بما فعل السفهاء منا قال لا والله بل أغفر لك ذنوب الدهر أجمع وانما هى أسباب تقصدها النحاور بها مثلك أعزك الله تعالى وتمكن التأنيس ويحل قيد الهيبة ثم انشد من راسه ولا ورقة فى يده

عليك أحالنى الذكر الجميل * فصح العزم واقتصر الرحيل
وودعت الحبيب بغير صبر * ولم اسمع لما قال العذول
واسبلت الظلام على سترا * ونجم الافق ناظره كليل
ولم اشك المعير وقد دعانى * الى ارجائك الظل الظليل

وهى طويلة فأكرمه وقربه رحم الله تعالى الجميع * واهديت للمعتمد بن عباد شمعة فقال فى وصفها ابو القاسم بن مرزقان الاشبيلى وهو ممن قتل فى فتنة المعتمد

مدينة فى شمعة صورت * قامت حماة فوق اسوارها

نكل بك وقتلك وقد كان وادركه يومه ثم مات بحوران طريدا فكتب اليه قيس بن سعد اما بعد فانما انت وتى ابن وتى دخلت فى الاسلام كرها وخرجت منه طوعا لم يقدم ايمانك ولم يحدث نفاقك وقد كان أبى أوتر قوسه ورمى غرضه فشعب به من لم يبلغ عقبه ولا شق غباره ونحن انصار الدين الذى منه خرجت واعداء الدين الذى فيه دخلت (ودخل) قيس بن سعد بعد وفاة على ووقوع الصلح فى جماعة من الانصار على معاوية فقال لهم معاوية يا معشر الانصار بم تطلبون ما قبلى فوالله لقد كنتم قليلا فى كثيرا على ولقللتم حدى يوم صفين حتى رأيت المنايا تلظى فى أسنتكم وهممتم فى أنفسكم بأشد من وقع الاسنة حتى اذا أقام الله ما حاولتم مثله قلتم ارع وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم هيهات يا بن الحقير الغدرة فقال قيس تطلب ما قبلك بالاسلام الذى به الله لا بما منت به اليك الاحزاب وأما عداوتنا لك فلو شئت لكففتها عنك وأما هجاؤنا اياك فقول يزول باطله و يثبت حقه واما استقامة الامر

ومارأينا قبلها روضة * تتقد النار بنوارها
تصير الليل نهارا اذا * ما اقبلت ترفل فى نارها
كانها بعض الايادى التى * تحت الدجى تسرى بأنوارها
من ملك معتمد ماجد * بلاده أوطان زوارها

وقال أبو الاصبغ بن رشيد الاشبيلى لما هطلت باشبيلية سحابة بقطر أحمر يوم السبت الثالث عشر من صفر عام أربعة وستين وخمسمائة

لقد آن للناس أن يقلعوا * ويمشوا على السنن الاقوم
متى عهد الغيث ياغافلا * كلون العقيق أو العندم
اظن الغمائم فى جوها * بكت رحمة للورى بالدم

وفيها ايضا

لاتكن دائم الكآبة مما * قد غدا فى الثرى غمير انجيعا
لطم البرق صفحة المزن حتى * سال منه على الرياض نجيعا

وله فى دولاب

ومنجنون اذا دارت سمعت لها * صوتا اجش وطل الماء ينهمل
كان أقداحها ركب اذا سمعوا * منها حداء بكوا اللبين وارتحلوا

وله فيمن اسمه مالك

غزالى الجفون شقيق بدر * تبسم عن عقيق فوق در
له نفحات مسك أى مسك * له نفثات سحر أى سحر
شكوت له الهوى والهجر منه * فقال عليك باسمى سوف تدرى
تعلمت القساوة من سمى * وأحرقت القلوب بنار هجرى

وقال ابو بكر بن حجاج الغافقى فى موسى وسيم اشبيلية الذى كان شعراؤها يتغزلون فيه

من مبلغ موسى المليح رسالة * بعثت له من كافرى عشاقه
ماكان خلق واغبا عن دينه * لولم تكن توراته من ساقه

وقال

ان الزويلى فتى شاعر * قد اعجب العالم من نظمه
وانت ياموسى قد اخترته * واختار موسى قبل من قومه

وقال

على معاذ قرون لو يعاينها * فرعون ماقال لو قدلى على الطين
قالت له عرسه اذ جاء ينكحها * ماذا دهيت به من كل عنين
هلا استعنت بميمون فقال لها * انى استعنت على نفسى بميمون

وقال ابو وهب عبد الرؤف النحوى وكان له حظ فى قرض الشعر وكان سقاطا

ليس لمن ليست له لحية * باس اذا حصلته ليسا
وصاحب اللحية مستقبح * يشبه فى طلعته التيسا
ان هبت الريح تلاهت به * وماست الريح به ميسا

وقال ابو عبد الله محمد بن يحيى القلفاط

ياغزالا عن لى فابـ ـتز قلبى ثم ولى

شجاع اذا ما أمكنتنى فرصة * والا تكن لى فرصة فجبان

(وذكر أبو مخنف) لوط بن يحيى عن أبى الاغر التيمى

لله طاعة واما وصية رسول الله بنا فمن آمن به رعاها بعده وأما قولك يابى الحقير الغدرة فليس دون الله يد تحجزك منا يامعاوية فقال معاوية يموه ارفعوا حوائجكم وقد كان قيس بن سعد من الزهد والديانة والميل الى على بالموضع العظيم وبلغ من خوفه الله وطاعته اياه انه كان يصلى فلما أهوى للسجود اذا فى موضع سجوده ثعبان عظيم مطرق فمال عن الثعبان برأسه وسجد الى جانبه فتطوق الثعبان برقبته فلم يقصر من صلاته ولا نقص منها شيأ حتى فرغ ثم أخذ الثعبان فرمى به كذلك ذكر الحسن بن على بن عبد الله بن المغيرة عن معمر ابن خلاد عن أبى الحسن على بن موسى الرضا وقال عمرو بن العاص لمعاوية ذات يوم قد أعيانى ان أعلم أجبان أنت أم شجاع لانى أراك تتقدم حتى أقول أراد القتال ثم تتأخر حتى أقول أراد الفرار فقال له معاوية والله ما أتقدم حتى أرى التقدم غنما ولا أتأخر حتى أرى التأخر حزما كما قال القطامى

أنت مني بفؤادي * يا مني نفسي اولى

وقال احمد بن المبارك الحبيبي في الناصر قبل ان يلي عهد جده

يا عابد الرحمن فقت الورى * بهذه العلياوهذا الكرم
ما جعل الله الندى في امرئ * الاوقد جنبه كل ذم

واستدعى الوزير عبيد الله بن ادريس أبا بكر أحمد بن عثمان المروانى ونادمه ليلة فلما قرب الصباح قال له أين ما يحدث عنك من حسن الشعر فهذا موضعه فقال الدواة والقرطاس فأمر له باحضارهما فجعل يفكر ويكتب الى أن أنشده هذه الابيات

بتنا ندامى صفاء يستحث لنا * في جامد الفضة التبر الذي سبكا
كل مصيخ الى ما قال صاحبه * ولا يبالي أصدقا قال أم افكا
موفرون خفاف عند شربهم * ولا يخافون فيما أحدثوا درکا
لا تعدمن اذا أبصرتهم فرحا * اما ترى الصبح من بشر بهم ضحكا

وقال أبو محمد عبد الله المروانى في الخيري

عجبت من الخيري يكتم عرفه * نهارا ويسري بالظلام فيعرب
فتجني عروس الطيب منه يد الدجا * ويبدو له وجه الصباح فيحجب

وقال ابراهيم بن ادريس العلوى

للبين في تعذيب نفسي مذهب * ولنائبات الدهر عندي مطلب
أما دون الحادثات فانها * تأتي لوقت صادق لا يكذب

وخرج الاديب النحوى هذيل الاشبيلي يوما من مجلسه فنظر الى سائل عاري الجسم وهو يرعد ويصيح الجوع والبرد فأخذ بيده وتنقله الى موضع بلغته الشمس وقال له صح الجوع فقد كفاك الله مؤنة البرد * ومر المعتمد بن عباد ليلة مع وزيره ابن عمار بباب شيخ كثير التدبير والتهكم يمزج ذلك بالخراف ويضحك الشكلى فقال لابن عمار تعال نضرب على هذا الشيخ الساقط بابه حتى نضحك معه فضربا عليه الباب فقال من هذا فقال ابن عباد انسان يرغب أن تقدله هذه العتيلة فقال والله لو ضرب ابن عباد بابي في هذا الوقت ما فتحته له فقال فابى ابن عباد فقال مصفوع الف صفعة فضحك ابن عباد حتى سقط الى الارض وقال لوزيره امض بنا قبل أن يتعدى الصفع من القول الى الفعل فهذا شيخ ركيك ولما كان من غد تلك الليلة وجه له ألف درهم وقال لموصلها قل له هذه حق الالف صفعة التي كانت البارحة * وكان في زمان المعتمد السارق المشهور بالبازى الاشهب وكان له في السرقة كل غريبة وكان مسلطا على أهل البادية وبلغ من سرقته أنه سرق وهو مصلوب لان ابن عباد أمر بصلبه على ممر أهل البادية لينظروا اليه فبينما هو على خشبته على تلك الحال اذ جاءت اليه زوجته وبناته وجعلن يبكين حوله ويقلن لمن تتركنا نضيع بعدك واذا يبدوى على بغل وتحته حمل ثياب وأسباب فصاح عليه ياسيدى انظرني في أي حالة أنا ولي عندك حاجة فيها فائدة لي ولك فقال وما هي قال انظر الى تلك البقرة أرهقني الشرط رميت فيها مائة دينار فعسى تحتال في اخراجها وهذه زوجتي وبناتي يمكن بغلك خلال ما تخرجها فعمد البدوى الى حمل

قال بينا انا واقف بين كثيب كانهما شعلتا نار أو عينا ارقم وبيده صفيحة له يمانية يقلبها والمنايا تلوح في شفرتها وهو على فرس صعب فبينا هو يعنفه ويمنعه ويلين من عريكته اذ هتف به هاتف يقال له غرار بن أدهم من أهل الشام يا عباس هلم الى النزال قال فالنزول اذا فانه اياس من الحياة فنزل اليه الشامي وهو يقول

ان تركبوا فركوب الخيل عادتنا
أو تنزلون فانا معشر نزل

وثنى العباس وركه وهو يقول

الله يعلم أنا لا نحبكم
ولا نلومكم أن لا تحبونا

ثم عصر فضلات درعه في مخزمه يريد منطقته ودفع فرسه الى غلام له أسود كانني والله انظر فلا أقل شعره ثم زحف كل واحد منهما الى صاحبه وكف الفريقان اعنة الخيول ينظرون ما يكون من الرجلين فتكافحا بسيفيهما ملبا نهارهما لا يصل واحد منهما الى صاحبه لكمال لامته الى ان لحظ العباس وهنا في درع الشامي فاهوى اليه بيده وهتكه الى تندوته ثم عاد لحاولته وقد أفرج له مفتق الدرع فضربه العباس ضربة انتظم بها جوانح صدره فخر الشامي لوجهه فكبر الناس ودلى

ودلى نفسه فى البئر بعد ما اتفق معه على أن يأخذ النصف منها فلما حصل أسفل البئر قطعت زوجة السارق الحبل وبقى حائرا يصيح وأخذت ما كان على البغل مع بناتها وفرت به وكان ذلك فى شدة حر وما سبب الله شخصا يغيثه الا وقد غبن عن العين وخلص فتحيل ذلك الشخص مع غيره على اخراجه وسألوه عن حاله فقال هذا الفاعل الصانع احتال على حتى مضت زوجته و بناته بثيابى وأسبابى ورفعت هذه القصة الى ابن عباد فتعجب منها وأمر باحضار البازى الاشهب وقال له كيف فعلت هذا مع انك فى قبضة الملكة فقال له ياسيدى لو علمت قدر لذتى فى السرقة خليت ملكك واشتغلت بها فلعنه وضحك منه ثم قال له ان سرحتك واحسنت اليك وأجريت عليك رزقا يقلك أتتوب من هذه الصنعة الذميمة فقال يامولاى كيف لا أقبل التوبة وهى التى تخلصنى من القتل فعاهده وقدمه على رجال أنجاد وصاروا من جملة حراس أحواز المدينة * ويحكى ان منصور بنى عبد المؤمن لما أراد بناء صومعة اشبيلية العظيمة القدر احضر لها العرفاء والصناع من مظانهم فعرف بشيخ مغفل صحيح المذهب عارف بالبناء الذى يجهله كثير من الصناع فأحضر فقال له المنصور كم تقدر ان ينفق على هذه الصومعة فضحك وقال ياسيدى البنيان انما هو مثل ذكر ليس يقدر حتى يقوم فكاد المنصور يفتضح من الضحك وصرف وجهه عنه و بقيت حكايته يضحك عليها زمانا * وكان احد المقرئين المعروف بالكساد شاعرا وشاحا زجالا اشبيليا وقال فى موسى الدى تغزل فيه ابن سهل

ما لموسى قد ذخر الله لما * فاض نور أغشاه ضوء سناه
وأنا قد صعقت من نور موسى * لا أطيق الوقوف حين أراه

وقال فى رثائه

فر الى الجنة حوريها * وارتفع الحسن من الارض
وأصبح العشاق فى مأتم * بعضهم يبكى على بعض

وقال فيه

هتف الناعى بشجو الابد * اذ نعى موسى بن عبد الصمد
ما عليهم وحدهم لو دفنوا * فى فؤادى قطعة من كبدى

ولابن سهل الاسرائيلى فى موسى هذا ما هو مثبت فى ديوانه * وكأحمد بن أحمد بن ابى بكر القرموطى المرسى من أعرف اهل الاندلس بالعلوم القديمة المنطق والهندسة والعدد والموسيقى والطب فيلسوفا طبيبا ماهرا آية الله فى المعرفة بالاندلس يقرئ الامم بألسنتهم فنونهم التى يرغبون فيها وفى تعلمها ولما تغلب طاغية الروم على مرسية عرف له حقه فبنى له مدرسة يقرئ فيها المسلمين والنصارى واليهود وقال له يوما وقد ادنى منزلته لو تنصرت وحصلت الكمال كان لك عندى كذا وكنت كذا فأجابه بما اقنعه ولما خرج من عنده قال لاصحابه انا عمرى كله أعبد الها واحدا وقد عجزت عما يجب له فكيف حالى لو كنت اعبد ثلاثة كما طلب الملاشمى انتهى * وقال ابو عبد الله محمد بن سالم القيسى الغرناطى يخاطب السلطان على ألسنة اصحابه الاطباء الذين ببابه موريا باسمائهم

قد جمعنا يا بكم سطر علم * لبلوغ المنى ونيل الاراده
ومن اسمائنا لكم حسن فال * سالم ثم غالب وسعاده

وراثى قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين الآية فالتفت فاذا بعلى رضى الله عنه فقال يا ابن الاغر من المبارز لعدونا قلت ابن اخيكم العباس بن ربيعة قال وانه لهو العباس قلت نعم فقال يا عباس ألم أنهك وعبد الله ابن عباس ان تحلا بمركز أو تبارزا أحدا قال ان ذلك كما قلت قال على فاقعد فيما بدا لك فأدعى الى البراز فلا أجيب قال طاعة امامك أولى بك من اجابة عدوك وتغيظ واستطار ثم تطامن وسكن ورفع يديه مبتهلا فقال اللهم اشكر للعباس مقامه واغفر ذنبه اللهم انى قد غفرت له فاغفر له وتأسف معاوية على غرار بن أدهم وقال متى ينطف مثله ايطل دمه لاها الله الا رجل يشرى نفسه يطلب بدم غرار فانتدب له رجلان من لخم من اهل الياس ومن صناديد الشأم فقال اذهبا فايكما قتل العباس فله مائة أوقية من التبر ومثلها من اللجين وبعدهما من برود اليمن فأتياه فدعواه الى البراز وصاحا بين الصفين يا عباس يا عباس ابرز الى الداهى فقال ان لى سيدا أريد ان أوامره فاتى عليا وهو

وقال ابو عبد الله بن عمر الاشبيلي الخطيب

وكل الى طبعه عائد * وان صده المنع عن قصده
كذا الماء من بعد اسخانه * يعود سريعا الى برده

وقال الكاتب ابو زيد عبد الرحمن العثماني لما تغير حاله باشبيلية

لا تسلني عن حالتي فهي هذي * مثل حالي لا كنت يا من يراني
ملي الاهل والاخلاء لما * ان جفاني بعد الوصال زماني
فاعتبر بي ولا يغرك دهر * ليس منه ذو غبطة في امان

ودخل الاديب النحوي ابو عمران موسى الطبراني الى بعض الاكابر يوم نيروز وعادتهم ان يصنعوا في مثل هذا اليوم مدائن من العجين لها صور مستحسنة فنظر الى مدينة اعجبته فقال له صاحب المجلس صفها وخذها فقال

مدينة مسوره * تحار فيها البصره
لم تبنها الايدا * عذراء او مخدره
بدت عروسا تجتلى * من درملك مزعفره
وما لها مفاتح * الا لبنان العشره

ورفع الى القائد أبي السرور صاحب ديوان سبتة قصيدة يعرض له فيها بزاد وقد عزم على سفر فأنعم عليه بذلك ثم أتبعه بتحف مما يكون في الديوان مما يجلبه الافرنج الى سبتة ولم يكن التمس منه ذلك ولا خطر بخاطره فكتب اليه

أيا سابقا بالذي لم يجل * بفكري ولم يبد لي في خطاب
ويا غائصا في بحار الندى * ويا فاتحا للعلا كل باب
كذا فلتكن نعم الاكرمين * تفاجي بنيل المنى والطلاب
ولم أر أعظم من نعمة * أتتني ولم تك لي في حساب
سأشكرها شكر عهد الرضى * وأذكرها ذكر غض الشباب

وكتب مجاهد صاحب دانية الى المنصور بن أبي عامر الاصغر ملك بلنسية رقعة ولم يضمنها غير بيت الحطيئة

دع المكارم لا ترحل لبغيتها * واقعد فانك أنت الطاعم الكاسي

فأخرجت المنصور وأقامته وأقعدته فأحضر وزيره أبا عامر بن التاكرني فكتب عنه

شتمت مواليها عبيد نزار * شيم العبيد شتيمة الاحرار

فسلا المنصور عما كان فيه * ومن شعر المذكور في المنصور

انهض على اسمك انه منصور * وارم العدو فانه مقهور
ولو اغتنيت عن النهوض كفيتهم * فبذكر بأسك كلهم مذعور
ولتبلغن مدى مرادك فيهم * و يكون يوم في العدا مشهور

وقال له المنصور يوما والله لقد سئمت من هؤلاء الجند ووددت الراحة منهم فقال له يصبر مولاي ولا بد من الساعة فهي على حالتين اما ان يكون أمرك اليه أو يكون أمره اليك والحمد لله

فأخبره الخبر فقال علي والله يود معاوية انه مابقي من بني هاشم نافخ ضرمة الا طفاه في بطنه اطفاء لنور الله (ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون) اما والله ليملكنكم من ارجال ورجال يسومونهم سوم الخسف حتى تعفو الآثار ثم قال يا عباس ناولني سلاحك بلاحي فناوله ووثب على فرس العباس وقصد اللخميين فلم يشكا انه العباس فقالا له أذن لك صاحبك فتحرج ان يقول نعم فقال (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير) وكان العباس أشبه الناس في جسمه وركوبه بعلي فبرزله احدهما فأخطاه ثم برزله الآخر فالحقه بالاول ثم أقبل وهو يقول (الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) ثم قال يا عباس خذ سلاحك وهات سلاحي فان عادلك احد فعد لي وغاب الخبر الى معاوية فقال قبح الله اللجاج انه لعقور ما ركبته قط الا خذلت فقال عمرو ابن العاص المخذول والله اللخميان والمغرور من غررته لا أنت المخذول قال اسكت ايها الرجل فليس هذا من شانك قال وان لم يكن رحم الله اللخميين ولا أراه يفعل قال دلك والله أضيق لحجتك وأخسر الذي

الذى رفعه عن الحالة الاولى وقال بعض المجانين فى رندة

قبح الرندة مثل ما * قبحت مطالعة الذنوب
بلد علمه وحشة * ما ان يفارقه القطوب
ماحلها أحد فينـ * ـوى بعد بين أن يؤوب
لم آتها عند الضحى * الا وخيل الى الغروب
أفق أغم وساحة * تملا القلوب من الكروب

وقال حبلاص الشاعر الرندى

لا تفرحن بولاية سوغتها * فالثور يعلف أشهرا كى يذبحا

وله فى بعض رؤساء الملثمين من قصيدة

ولو لم تكن كالبدر نورا ورفعة * لما كنت غرا بالسحاب ملثما
وما ذاك الا للنوال علامة * كذا القطر مهما لثم الافق انهمى

فاهتز الملثم وأعجبه وأمر له بكسوة وذهب * ولما ذكر أبو بكر بن عمر الرندى فى مجلس بعض الرؤساء بحضرة أبى الحسن على بن سعيد وأطنب فى الثناء عليه وعمر المجلس بشكره وأخبر بذلك أطرق ساعة ثم قال

لا تذكرن ما غاب عنى من ثنا * أطنبت فيه فليس ذلك يجهل
فتى حضرت بمجلس وجرى به * خبرى فان الذكر فيه يحمل

ولما نفى بنو ذى النون أرقم من نسبهم لانه كان ابن أمة مهينة واقعها أبو الظافر فى حال سكره ولم يكن فيهم من يتظلم ويتولع بالادب غيره وولى ابنه يحيى وكان أحسد من طلعت عليه الشمس فمال على أرقم بالاذاية حتى فر عن مملكته وقال مرتجلا

لئن طبتم نفسا بتركى دياركم * فنفسى عنكم بالتفرق أطيب
اذا لم يكن لى جانب فى دياركم * فما العذر لى أن لا يكون تجنب
زعمتم بأنى لست فرعا لاصلكم * فهلا علمتم أننى عنه أرغب
وحسبى اذا ما البيض لم ترع نسبة * بأنى الى سيفى ورمحى أنسب
وان مدت الايام عمرى للعلا * يشرق ذكرى فى الورى و يغرب

وكتب الوزير الكاتب أبو محمد بن سفيان الى أبى أمية بن عصام قاضى القضاة بشرق الاندلس عين زمانه فوقعت نقطة على العين فتوهمها وظن انه أبهمها واعتقدها وعددها وانتقدها فقال

لا تلزمى ما جنته براعة * طمست بريقتها عيون ثناء
حقدت على لزامها فتحولت * أفعى تمج سمامها بسخاء
غدر الزمان وأهله عرف ولم * أسمع بغدر براعة وإباء

وشرب المأمون بن ذى النون مع أبى بكر محمد بن أرفع رأسه الطليطلى وحفل من رؤساء ندمائه كابن لبون وابن سفيان وابن الفرج وابن المثنى فجرت مذاكرة فى ملوك الطوائف فى ذلك العصر فقال كل واحد ما عنده بحسب غرضه فقال ابن أرفع رأسه ارتجالا

من مصافهم دونه ثم رجع وهو يقول يالهف نفسى فاتنى معاويه * فوق طمر كالعقاب الضاريه

بن أبى طالب على الحق وانا على ضده فقال معاوية مصر والله اعتمك ولولا مصر لافيتك بصيرا ثم ضحك معاوية ضحكا ذهب به كل مذهب قال مم تضحك يا أمير المؤمنين اضحك الله سنك قال اضحك من حضور ذهنك يوم بارزت عليا وابدائك سوأتك اما والله يا عمرو لقد واقعت المنايا ورأيت الموت عيانا ولو شاء لقتلك ولكن أبى ابن أبى طالب فى قتلك الا تكرما فقال عمرو اما والله انى لعن يمينك حين دعاك الى البراز فاحولت عيناك وبدا سحرك وبدا منك ما اكره ذكره لك من نفسك فاضحك أودع (وذكر ابو مخنف) لوط ابن يحيى ان معاوية برز فى بعض أيام صفين أمام الناس وكر على ميسرة على وكان على فيها فى ذلك الوقت يعبى الناس فغير على لامته وجواده وخرج بلامة بعض أصحابه وصمد له معاوية فلما تدانيا انتبه معاوية فغمز برجليه على جواده وعلى وراءه حتى فاته ودخل فى مصاف أهل الشام فاصاب على رجلا

وقدم عمرو بن العاص من مصر على معاوية في بعض الايام فلما رآه معاوية قال يموت الصالحون وانت حي * تخطاك المنايا لا تموت

فاجابه عمرو

فلست بميت ما دمت حيا * ولست بميت حتى تموت

(وذكر) ان معاوية لما نظر الى عساكر أهل العراق وقد أشرفت وأخذت الرجال مراتبها من الصفوف ونظر الى على على فرس أشقر حاسر الرأس يرتب الصفوف كانه يغرسهم في الارض غرسا فيثبتون كانهم بنيان مرصوص قال لعمرو يا أبا عبد الله اما تنظر الى ابن أبي طالب وما هو عليه فقال له عمرو من طلب عظيما خاطر بعظيم وقد كان معاوية في سنة اربعين بعث بشر ابن ارطاة في ثلاثة آلاف حتى قدم المدينة وعليها ابو ايوب الانصاري فتنحى وجاء بشر حتى صعد المنبر وتهدد أهل المدينة بالقتل فاجابوه الى بيعة معاوية وبلغ الخبر عليا فانفذ حارثة ابن قدامة السعدي في ألفين ووهب ابن مسعود في ألفين ومضى بشر الى مكة ثم سار الى اليمن وكان عبد الله بن العباس بها فخرج عنها ولحق بعلي واستخلف عليها عبد الله بن عبد المدان الحرثي وخلف ابنيه عبد الرحمن وقثم عند امهما جويرية بنت قارظ الكنانية يقذف

دعوا الملوك وأبناء الملوك فمن * أضحى على البحر لم يشتق الى نهر
ما في البسيطة كالمأمون ذو كرم * فانظر لتصديق ما اسمعت من خبر
يا واحدا ما على علياء مختلف * مذ جاد كفك لم نحتج الى المطر
وقد طلعت لنا شمسا فانظرت * عين الى كوكب يهدى ولا قمر
وقد بدوت لنا وسطى ملوكهم * فلم تعرج على شذر ولا درر

فدخل ابن ذي النون من الارتياح ما ليس عليه مزيد وأمر له باحسان جزيل عتيد وقال أبو أحمد عبد المؤمن الطليطلي

رأيت حيائي قادحا في معيشتي * ويصعب تركي للحياء ويقبح
وقد فسد الناس الذين عهدتهم * وقد طال تأنيي لمن ليس يصلح

وله

ولما غدوا بالغيد فوق جمالهم * طفقت أنادي لا أطيق بهم همسا
عسى عيس من أهوى تجود بوقفة * ولو كوقوف العين لاحظت الشمسا

وقال الزاهد ابو محمد عبد الله بن الغسال

أعندكم علم بأني متيم * والا فما بال المدامع تسجم
وما بال عيني لا تغمض ساعة * كاني في رعي الدراري منجم

وكان الوزير أبو جعفر الوقشي تياها معجبا بنفسه ومن شعره في غرضه الفاسد

اذا لم أعظم قدر نفسي واتني * عليم بما حازته من عظم القدر
فغيري معذور اذا لم يبرني * ولا يكبر الانسان شيء سوى الكبر

وله

يرومون بي غير المكان الذي له * خلقت وبعضي منكر ذاك من بعضي
فقولوا لبدر الافق يترك سماءه * ويحتل من اجل التواضع في الارض

وقال

تكبروا ان كنت الصغير تظاهرا * وباعدا خاصدق مني ما اشتهى قربا
وكن تابعا للهر في حفظ أمره * الست تراه عند ما يصر الكلبا

وقال له بعض ندماء ملكه يوما صاحب جيان بن همشك يا ابا جعفر انت جملة محاسن وفيك الادوات العلية التي هي اهل لكل فضيلة غير انك قد قدحت في ذلك كله بكثرة عجبك واذا مشيت على الارض تشمئز منها فقال له كيف لا اشمئز من شيء اشترك معك في الوطء عليه ففضل جميع من حضر من جوابه وله جوابا لمن اعتذر عن غيبته عنه

لك الفضل في ان لا تلوح لناظري * وتبعد عني ما بقيت مدى الدهر
فوجهك في لحظي كما صور الردى * ولفظك في سمعي حديث عن الفقر
ومن حازما قد حزته من ركاكة * وغاب فلا يحتج الى كلفة العذر

وله

لك يومان لم تلح لعيناني * ولك الفضل في زيارة شهر
ولك الفضل في زيارة عام * ولك الفضل في زيارة دهر
ولك الفضل أن تغيب عني * ذلك الوجه ما تطاول عمري

وله وقد شرب على صهريج فاختنق الاسد الذي يرمي بالماء فنفخ فيه رجل ابخر فجرى

ليث بديع الشكل لا مثل له * صيغ من الماء له سلسله

يقذف بالماء على جنبه * كأنه عاف الذي قبله

وقال أبو الوليد هشام الوقشي

برح بي أن علوم الورى * اثنان ما ان فيهما من مزيد
حقيقة يعجز تحصيلها * و باطل تحصيله لا يفيد

وقال

وفاره يركبه فاره * مر بنا في يده صعده
سنانها مشتمل لحظه * وقدها منتعل قده
يزحف للسالك في جحفل * من حسنه وهو يرى وحده
قلت لنفسي حين مدت لها الآمال والآمال ممتده
لا تطمعي فيه كما الشمس لا * يطمع في تدنيسه حده

وقال

عجبا للمدام ماذا استعارت * من سجايا معذبي وصفاته
طيب أنفاسه وطعم ثنايا * ه وسكر العقول من لحظاته
وسناوجهه وتوريد خديـ * ـه ولطف الديباج من بشراته
والتداوي منها بهالك التداوي * برضا من هويت من سطواته
وهي من بعد ذا على حرام * مثل تحريم جنى رشفاته

ومن تآليفه نكت الكامل للمبرد وقد مر ذكر هذا الرجل الفرد قبل هذا وحضر يوما مجلس ابن ذي النون فقدم نوع من الحلوى يعرف بآذان القاضي فتهافت جماعة من خواصه عليها يقصدون التندير فيه وجعلوا يكثرون من أكلها وكان فيما قدم من الفاكهة طبق فيه نوع يسمى عيون البقر فقال له المأمون يا قاضي أرى هؤلاء يأكلون أذنيك فقال وأنا أيضا آكل عيونهم وكشف عن الطبق وجعل يأكل منه وكان هذا من الاتفاق الغريب * وكان الفاضل أبو الحسين ابن الوزير أبي جعفر الوقشي آية الله في الظرف وكيف لا ووالده الوزير أبو جعفر وصهره أبو الحسين بن جبير وشيخه في علم المويسيقى والتهذيب والظرف والتدريب أبو الحسين بن الحسن بن الحاسب شيخ هذه الطريقة وقد رزق أبو الحسين المذكور فيها ذوقا مع صوت بديع أشهى من الكاس للغليع قال أبو عمران بن سعيد ما سمعته الا تذكرت قول الرصافي

ومطارح مما تجس بنانه * لحنا أفاض عليه ماء وقاره
يثني الحمام فلا يروح لوكره * طربا ورزق بنيه في منقاره

وكنت أرتاح الى لقائه ارتياح العليل الى شفائه ولم أزل أقرع بابا بابا وأخرق للاتصال حجابا حجابا حتى هجمت مع شفيع لا يرد عليه وجلست بين يديه فينثذ حوضه حسبه على الاكرام وتلقى بما اوسع من البشر والسلام وقال ليعلم سيدي اني كنت اود الناس في لقائه واحبهم في اخائه والحمد لله الذي جعلني انشد

وليس الذي يستتبع الوبل رائدا * كمن جاءه في داره رائد الوبل

ثم قام الى خزانته فأخرج منها عود غناء يطرب دون ان تجس اوتاره وتلحن اشعاره واندفع يغني دون ان اسأله ذلك ولا اتجشم تكليفه الدخول في تلك المسالك

بالمدينة و بين المسجدين خلقا كثيرا من خزاعة وغيرهم وكذلك بالجرف قتل بها خلقا كثيرا من رجال همذان وقتل بصنعاء خلقا كثيرا من الابناء ولم يبلغه عن أحد انه يمالئ عليا أو يهواه الا قتله وبما اليه خبر حارثة بن قدامة السعدي فهرب وظفر حارثة بابن اخي بشر مع أربعين من أهل بيته فقتلهم وكانت جويرية أم ابني عبد الله بن العباس اللذين قتلهما بشر تدور حول البيت ناشرة شعرها وهي من أجمل الناس وهي تقول ترثيهما

هما من أحس من ابني اللذين هما
كالدرتين تشظى عنهما الصدف
هما من أحس من ابني اللذين هما
سمعي وقلبي فقلبي اليوم مختطف
هما من أحس من ابني اللذين هما
مخ العظام فمخي اليوم مزدهف
نبئت بشرا وما صدقت ما زعموا
من قولهم ومن الافك الذي وصفوا

أنحى على ودجي ابني مرهفة * مشحوذة وكذاك الاثم يقترف

(وذكر الواقدي) قال دخل عمرو بن العاص يوما على

وما زلت ارجو فى الزمان لقاءكم * فقد يسر الرحمن ما كنت ارتجى
فذكركم ما زلت اتلوه دائبا * اذا ذكروا ما بين سلمى ومنعج

فلما فرغ من استهلاله وعمله قبلت راسه وقلت له لا ادرى علام اشكرك قبل هل على تحيلك بما لم تدعنى اسالك فى شأنه ام على ما تفردت باحسانه فما هذا الصوت قال هذا نشيد خسروان من تلحينى قال وانشدنى لنفسه

حننت الى صوت النواعير سحرة * فاضعى فؤادى لا يقر ولا يهدا
وفاضت دموعى مثل فيض دموعها * اطار حمائل الصبابة والوجدا
وزاد غرامى حين اكثر عاذلى * فقلت له اقصر ولا تقدح الزندا
اهيم بهم فى كل واد صبابة * وازداد مع طول البعاد لهم ودا

وانشدنى لنفسه

ولقد مررت على المنازل بعدهم * ابكى واسأل عنهم وانوح
واقول ان سألوا بحالى فى النوى * ما حال جسم فارقته الروح

وقال وكتب الى

ياحسرة ما قضت من لذة وطرا * اين الزمان الذى يرجى به الخلف
ابكيك ملء جفونى ثم يرجعنى * الى التصبر انى سوف انصرف

قال ابو عمران وكنت فى ايام الفتنة اذا ركبت الى الاعمال هولت على نفسى ما القى من اهوالها بقولى مع خاطرى * اين الزمان الذى يرجى به الخلف * انتهى * وكان ابو الحسن على بن الجهارة ممن برع فى الالحان وعلمها وهو من اهل غرناطة واشتهر عنه انه كان يعمد الى الشعراء فيقطع العود بيده ثم يصنع منه عودا للغناء وينظم الشعر ويلحنه ويغنى به فيطرب سامعيه ومن شعره قوله

اذا ظن وكر امقلتى طائر الكرى * راى هدبها فارتاع خوف الحبائل

وقال بعض العلماء فى حقه انه آخر فلاسفة الاندلس قال واعجب ما وقع له فى الشعر انه دخل سلا وقد فرغ ابن عشرة من بناء قصره والشعراء تنشده فى ذلك فارتجل ابن الجهارة هذين البيتين وانشدهما بعدهم

ياواحد الناس قد شيدت واحدة * فحل فيها محل الشمس فى الحمل
فما كدارك فى الدنيا الذى املا * ولا كدارك فى الاخرى لذى عمل

وسيأتى ذكر هذين البيتين * وكان اهل الاندلس فى غاية الاستحضار للمسائل العلمية على البديهة قال ابن مسرى أملى علينا ابن المناصف النحوى بدانية على قول سيبويه هذا باب ما الكلام العربية عشر بن كراسا بسط القول فيها فى مائة وثلاثين وجها انتهى وهذا وأشباهه يكفيك فى تبحر أهل الاندلس فى العلوم بما سئل العالم منهم عن المسئلة التى يحتاج فى جوابها الى مطالعة ونظر فلم يحتج الى ذلك وبذكر من فكره ما لا يحتاج معه الى زيادة * (ومن الحكايات فى مثل ذلك أن الاديب البليغ الحافظ أبا بكر بن حبيش لما قال فى تخميسه المشهور بماذا على كل من الحق أوجبت اعترض عليه أبو زكريا اليفرنى

ولما حضرته الوفاة قال اللهم لا براءة لى فأعتذر ولا قوة لى فانتصر امرتنا فعصينا ونهيتنا فركبنا اللهم بما

المؤمنين ما بقى مما تستلذه فقال اما النساء فلا أرب لى فيهن وأما الثياب فقد لبست من لينها وجيدها حتى وهى بها جلدى فما ادرى أيها ألين وأما الطعام فقد أكلت من لينه وطيبه حتى ما أدرى ايه الذ واطيب وانما الطيب فقد دخل خياشيمى منه حتى ما أدرى ايه اطيب فاشئ الذ عندى من شراب بارد فى يوم صائف ومن أن أنظر الى بنى وبنى بنى يدورون حولى فما بقى منك يا عمرو قال مال أغرسه فاصيب من ثمرته ومن غلته فالتفت معاوية الى وردان فقال ما بقى منك ياوردان قال صنيعة كريمة سنية أعقلها فى اعناق قوم ذوى فضل واخطار لا يكافؤننى بها حتى القى الله تعالى وتكون لعقبى فى اعقابهم بعدى فقال معاوية تبا لمجلسنا سائر اليوم ان هذا العبد غلبنى وغلبك وفى سنة ثلاث واربعين مات عمرو بن العاص بن وائل ابن سهم بن سعيد بن سعد بمصر وله تسعون سنة وكانت ولايته مصر عشر سنين وأربعة أشهر

بما نصه استعمل الخمس ماذا فى البيت تكثيرا وخبرا والمعروف من كلام العرب استعمالها استفهاما فجاء به بقوله أما استعمالها استفهاما كما قال فكثير لا يحتاج الى شاهد وأما استعمالها فى ألسن فصحاء العرب للكثرة فكثير لا يحتاج الى شاهد لو وصل بحث واستعمل مكث فلم يعترض على ولى ولا تشكك فى جلى

وليس يصح فى الافهام شئ * اذا احتاج النهار الى دليل

قال الله تعالى فى سورة يونس قل انظروا ماذا فى السموات والارض وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون ووقع فى صحيح البخارى فى رثاء المقتولين من المشركين يوم بدر

وماذا بالقليب قليب بدر * من الفتيان والشرب الكرام

وماذا بالقليب قليب بدر * من الشيزى تكلل بالسنام

وفى السير فى رثاء المذكورين أيضا

ماذا ببدر فالعقنقل من مراز به جماجم

وهذا الشعر لأمية بن أبى الصلت الثقفى ووقع فى الاغانى للوليد بن يزيد يرثى نديما له يعرف بابن الطويل

لله قبر ضمنت * فيه عظام ابن الطويل

ماذا تضمن اذ ثوى * فيه من الرأى الاصيل

والخير طويل وأجلى من هذا وأعلى وأحق بكل تقديم وأولى ولكن الواو لا تفيد رتبة ولا تتضمن نسبة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذا أنزل الليلة من الفتن وهو فى الصحاح ووقع فى الحماسة وقد أجمعوا على الاستشهاد بكل ما فيها

ماذا أجال وثيرة بن سماك * من دمع باكية عليه وباك

فى الحماسة أيضا واظنها لابى دهبل

ماذا رزئنا غداة الحل من زمع * عند التفرق من خيم ومن كرم

وقع فى نوادر القالى لكعب بن سعد الغنوى يرثى أخاه أبا المغوار

هوت أمه ما يبعث الصبح غاديا * وماذا يرد الليل حين يؤوب

وقع فى شعر الخنساء ترثى أخاها صخرا

ألا تبكيان أم الذين غدوا به * الى القبر ماذا يحملون الى القبر

وماذا يوارى القبر تحت ترابه * من الجود فى بؤسى الحوادث والدهر

لجرير وهو فى الحماسة

ان الذين غدوا بلبك غادروا * وشلا بعينك لا يزال معينا

غيضن من عبراتهن وقلن لى * ماذا لقيت من الهوى ولقينا

فى الحماسة ايضا * ماذا من البعدين البخل والجود * ووقع فى الحماسة أيضا وهو لامرأة

هوت أمهم ماذا بهم يوم صرعوا * بجيشان من أسباب مجد تصرما

زادت ماذا تصرم لهم يوم صرعوا بجيشان من أسباب مجد تصرما ومما يستظهر به قول أبى طيب المتنبى

اصبعه فى فيه حتى مات وصلى عليه ابنه عبد الله يوم الفطر فبدأ بالصلاة عليه قبل صلاة العيد ثم صلى بالناس بعد ذلك صلاة العيد وكان ابو موسى المستهزئين وفيه نزلت ان شانئك هو الابتر (وولى معاوية) ابنه عبد الله بن عمرو ما كان لابيه وخلف عمرو من العين ثلثمائة الف دينار وخمسة وعشرين الف دينار ومن الورق الفى الف درهم وضيعته المعروفة بالرهط قيمتها عشرة آلاف درهم وفيه يقول ابن الزبير الاسدى الشاعر من ابيات المراثى

الدهر اخنت صروفه
على عمرو السهمى تجبى له مصر
فلم يغن عنه حزمه واحتياله
ولا جمعه ما اتيح له الدهر
وامسى مقيما بالعراء وضللت
مكايده عنه واموال الدثر

وفى سنة خمس واربعين ولى معاوية زيادا ابن ابيه البصرة واعمالها وقال لما دخلها

الارب مسرور بما لا يسره
وآخر محزون بما لا يضره

وقد كان معاوية عزل فى هذه السنة شقران بن عوف العامرى وأمر أن يبلغ الطوانة فاصيب معه خلق من الناس فعم الناس الحزن بمن أصيب بارض الروم وبلغ معاوية أن

ماذا لقيت من الدنيا وأعجبها * انى بما أنا باك منه محسود

وقوله أيضا

وماذا بعصر من المضحكات * ولكنه ضحك كالبكاء

ومن ملح المتأخرين كان بمرسية أبو جعفر المذكور في المطمع وكان يلقب بالبقيرة فقال فيه بعض أهل عصره

قالوا البقيرة تهجونا فقلت لهم * ماذا دهيت به حتى من البقر
هذا وليس بثور بل هو ابنته * وأين منزلة الانثى من الذكر

وأنشد صاحب الزهر ولا أذكر قائله

ماذا لقيت من المستعربين ومن * قياس قولهم هذا الذي ابتدعوا
ان قلت قافية بكرا يكون لها * معنى يخالف ما قالوا وما وضعوا
قالوا الحت وهذا الحرف منتصب * وذاك خفض وهذا بس يرتفع
وضربوا بين عبد الله واجتهدوا * و بين زيد فطال الضرب والوجع

وقال صاحب الزهر أنشد أبو حاتم ولم يسم قائله

ألا في سبيل الله ماذا تضمنت * بطون الثرى واستودع البلد القفر

هذا ما حضر بفضل الله من الاستشهاد على أن ماذا تستعمل بمعنى الخبر والتكثير ووالله الذي لا اله غيره ما طالعت عليه كتابا ولا فتحت فيه بابا وانما هو نثالة من حوض التذكار وصبابة مما علق به شرك الافكار وأثر مما سلك به السمع أيام خلو الذرع وعقدت عليه الحبى في عصر الصبى ورحم الله من تصفح وتلمح فتسمح وصحح ما وقع اليه من الاعتلال وأصلح ما وضع لديه من الاختلال فخير الناس من أخذ بالبر والايناس فبصر من جهله وادكر عن وهله وانما المؤمنون اخوه وتحابهم في الله رفعة وحظوه ولهم في السلف الكريم ومحافظتهم على الود القديم اسوة كريمة وقدوه انتهى قال ابن الطراح انظر تحصيل هذا الامام والرئيس الاسمى النفيس واستحضاره كلام الادباء وسير النقاد البلغاء ومساجلته مع فرسان المعاني ووصفه تلك المغاني وقد كان حامل لواء الادب وفائق أبناء جنسه في مراقب الطلب وهذه الكلمة أعني ماذا جرت بسببها مناظرة بين الاستاذ أبي الحسين بن أبي الربيع النحوي المشهور وبين مالك بن المرحل بسبتة حتى ألف مالك كتاب الرمي بالحصا والضرب بالعصا وفيه هنات لا ينبغي لعاقل أن يذكرها ولا الذي طوى في البيان أن ينشرها وفي ذلك قال الاستاذ أبو الحسين رحمه الله تعالى

كان ماذا اليتها عدم * جنبوها قربها الندم
ليتني يا مال لم أرها * انها كالنار تضطرم

انتهى

وقوله يا مال ترخيم مالك وحكى الاستاذ ابن غازي انهم اختلفوا هل يقال كان ماذا أم لا وقال ان الاستاذ ابن أبي الربيع تطفل على مالك بن المرحل في الشعر كما ان ابن المرحل تطفل عليه في النحو قال ومن نظم مالك بن المرحل في هذه القضية

اذا اتكأت على الانماط مرتفقا
بدير مروان عندي أم كلثوم
فخلف عليه ليغزون وأردف به شقران فسميت هذه الغزاة غزاة الرادفة وبلغ الناس فيها الى القسطنطينية وفيها مات أبو أيوب الانصاري ودفن هناك على باب القسطنطينية واسم أبي أيوب خالد بن زيد وقد قيل ان أبا أيوب مات في سنة احدى وخمسين غاز يا مع يزيد وقد أتينا على خبر هذه الغزاة وما كان من يزيد فيها في الكتاب الاوسط وفي سنة تسع وأربعين كان الطاعون بالكوفة فهرب منها المغيرة بن شعبة وكان واليها ثم عاد اليها فطعن فمات فرأى رجل أعرابي عليه وهو يدفن فقال

ارسم ديار للمغيرة تعرف
عليها دوانى الانس والجن تعزف
فان كنت قد لاقيتها مان بعدنا
وفرعون فاعلم أن ذا العرش منصف

(وذكر) أن المغيرة ركب الى هند بنت النعمان بن المنذر وهي في دير لها في الحيرة مترهبة وهو أمير الكوفة يومئذ وقد كانت هند عجمت فلما جاء الدير استأذن عليها فأتتها

عاب قوم كان ماذا * ليت شعري كان ماذا
ان يكن ذلك جهلا * منهم فكان ماذا انتهى

ومن نظم ابن حبيش المذكور قوله

اذا ماشئت أن تحيا هنيا * رفيع القدر ذا نفس كريمه
فلا تشفع الى رجل كبير * ولا تشهد ولا تحضر وليمه

وله أيضا

لا عمان الى لقياكم قدمي * ولو تجشمت بين الطين والماء
لأن يبل ثيابي الغيث أهون بي * من أن تحرق نار الشوق أحشائي

و أبو زكريا المعترض على ابن حبيش هو الفقيه النحوي الاديب أبو زكريا يحيى بن علي بن سلطان اليفرني ولد سنة ٦٤١ و برع في العربية وكان يلقب في المشرق جبل النحو وكان عند نفسه مجتهدا وكان لا يجيز نكاح الكتابيات خلافا للامام مالك وهو مذهب الامام أحمد ابن حنبل رحمه الله تعالى و يتمسك بقوله تعالى وجعل بينكم مودة ورحمة وكان يرى أن الطلاق لا يكون الا مرتين مرة للاستبراء ومرة للانفصال ولا يقول بالثلاث وهو خلاف الاجماع وكان يقول في تهيه عليه الصلاة والسلام من أكل ذي ناب من السباع أي مأكول كل ذي ناب وتبقى هي على الاباحة و يدل عليه قوله تعالى وما أكل السبع وكان يقول في قوله تعالى ان هذان لساحران الهاء اسم ان وذان لساحران جملة خبر لان ولا تحتاج لرابط لانها تفسيرية والمعنى عنده وأسروا النجوى قالوا انهما أي نجوانا هذان لساحران أي قولنا هذان لساحران تثبيطا للناس عن اتباعهما وخط المصحف يرده لكن في المصحف أشياء كتبت على غير المصطلح مثل مال هذا ولا اوضعوا ولا اذبحنه قال ابن الطراح ورأيت هذا المعنى لغيره وأظنه ابن النحاس وتوفي اليفرني المذكور سنة ٧٠٠ ومن شعره

ماذا على الغصن المياس لو عطفا * على صبابة صب حالف الدنفا
يا رحمة لفؤادي من معذبه * كم ذا يحمله أن يحمل الكلفا
و يا رعى الله دهرا ظل يجمعنا * في ظل عيش صفا من طيبه وصفا
مودة بيننا في الحب كاملة * ونحن لا نعرف الاعراض والصلفا

(رجع) الى كلام الاندلسيين قال صالح بن شريف الرندي رحمه الله تعالى في سكين الكتابة

أنا صمصامة الكتابة مالي * من شبيه في المرهفات الرقاق
فمكاني في الحسن يوم وصال * ومكاني في القطع يوم فراق

وقال في المقص

ومصطحبين ما اتهما بعشق * وان وصفا بضم واعتناق
لعمر أبيك ما اجتمعا لشئ * سوى معنى القطيعة والفراق

ولبعض الاندلسيين

هلا اقتدى ذو خلة بفعالنا * فيكون واصل خله كوصالنا
مهما يجئ أحد ليقطع بيننا * نقطعه ثم نعد لاحسن حالنا

اليه أثاثا فالتفت اليه وسادة من شعر فلما دخل قعد عليها وقال أنا المغيرة فقالت له قد عرفتك عامل المدورة فما جاء بك قال أتيتك خاطبا اليك نفسك قالت اما والصليب لو أردتني لدين أو جمال ما رجعت الا بحاجتك ولكني أخبرك الذي أرمت ذلك له قال وما هو قالت اردت انك تتزوج بي حتى تقوم في الموسم في العرب فتقول تزوجت ابنة النعمان قال ذلك اردت ولكن اخبريني ما كان ابوك يقول في هذا الحي من ثقيف قالت كان ينسبهم من اياد وقد افتخر عنده رجلان من ثقيف احدهما من بني سالم والآخر من بني يسار فسألهما عن انسابهما فانتسب احدهما الى هوازن والآخر الى اياد فقال ابي ما الحي معد على اياد فضل نفر جاوابي يقول ان ثقيفا لم تكن هوازنا ولم تناسب عامرا ومازنا الا حديثا واثبتوا لها سنا فقال المغيرة اما نحن فنحن هوازن وابوك اعلم قال فاخبريني اي العرب كان احب الى ابيك قالت اطوعهم له قال ومن اولئك قالت بكر بن وائل قال فأين بنو تميم قالت ما استعتبهم

٥٣ ط ل في طاعة قال فقيس قالت ما اقتربوا اليه بما يحب الا استعتبوه بما يكره قال فكيف اطاع

وجرح بعض الكتاب يده بالمقص فانشده أحد جلسائه وغالب ظني انه اندلسي

عداوة لا لكفك من قديم * فلا تعجب لمقراض لئيم
لئن أدماك فهو للا شبيه * وقد يعدو اللئيم على الكريم

ولما ألف ابن عصفور كتابه المغرب في النحو انتقده جماعة من أهل قطره الاندلسيين وغيرهم منهم ابن الصائغ وابن هشام والجزيري وله عليه المنهج المعرب في الرد على المغرب وفيه تخليط كثير وتعسف

وفي تعب من يحسد الشمس نورها * ويأمل أن يأتي لها بضريب

ومنهم ابن الحاج وأبو الحسن حازم القرطاجني الخزرجي وسماه شداد الزبار على جفلة الحمار وابن مؤمن القابسي وبهاء الدين بن النحاس * ومن شعر حازم الاندلسي المذكور قوله

لم تدر اذ سألتك ما أسلاكها * أبكيت أسى أم قطعت أسلاكها

وعارضه التجاني بقوله

ياساحر الالحاظ يافتاكها * فتياجوازالصدمن أفتاكها

*(ومن حكاياتهم في المجون وما يجري مجراه أن الوزير أبا بكر بن المليح كان له ابن شاب فاسترسل مع الادب الى أن خرج من القول الى الفعل وأتى باشياء لا تليق بمثله فكتب اليه أبوه

ياسخنة العين يابنيا * ليتك ما كنت لي بنيا
أبكيت عيني أطلت حزني * أمت صبري وكان حيا
حططت قدري وكان أعلى * في كل حال من الثريا
أما كفاك الزنا ارتكابا * وشرب مشمولة الحميا
حتى ضربت الدفوف جهرا * وقلت للشرجي هيا
فاليوم أبكيك ملء عيني * لو كان يغني البكاء شيا

فأجابه ابنه بقوله

ياأثم الصب في التصابي * ماعنك يغني البكاء شيا
أوجفت خيل العتاب نحوي * وقبل وثبتها اليا
وقلت عمر المنا قصير * فارج من العيش ماتهيا
قد كنت أرجو المتاب مما * فتنت جهلا به وغيا
لولا ثلاث شيوخ سوء * أنت وابليس والحميا انتهى

وقال أبو جعفر بن صفوان المالقي رحمه الله تعالى

سألته الاتيان نحوي مقبلا * فقال سل نحوي كي تحصلا
قرأت باب الجمع من شوقي له * وهو بالاشتغال عني قد سلا
للاستغاثة ابتدأت تاليا * وهو لافعال التعدي قد تلا
وكلما طلبت منه في الهوى * عطفا غدا يطلب مني بدلا
وان أرم محض اضافة له * أعمل في قطعي عنه الحيلا

يهوى فانصرف المغيرة ولما هلك المغيرة ضم معاوية الكوفة الى زياد فكان اول من جمع له ولاية العراقين البصرة والكوفة وفي سنة ثمان وار بعين قبض معاوية فدك من مروان بن الحكم وقد كان وهبها له قبل ذلك فاستردها وقد كان معاوية حج في سنة خمسين وامر بحمل منبر النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة الى الشام فلما حمل كسفت الشمس ورؤيت الكواكب بالنهار فجزع من ذلك واعظمه ورده الى موضعه وزاد فيه ست مراق وفي سنة ثلاث وخمسين هلك زياد ابن ابيه بالكوفة في شهر رمضان وكان يكنى ابا المغيرة وقد كان كتب الى معاوية انه قد ضبط العراق بيمينه وشماله فارغة فجمع له الحجاز مع العراقين واتصلت ولايته باهل المدينة فاجتمع الصغير والكبير بمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وضجوا الى الله ولاذوا بقبر النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة ايام لعلمهم بما هو عليه من الظلم والعسف فخرجت في كفه بثرة ثم حكها ثم سرت واسودت فصارت اكلة سوداء فهلك بذلك وهو ابن خمس وخمسين سنة وقيل اثنتين وخمسين ودفن بالنوبة في

في ألف الوصل ظللت باحثا * وهو بباب الفصل قد تكفلا
فلست موصولا وليس عائدا * وليس حالي عن أسى منتقلا
فيا مني نفسي ومن لفهمه * دانت فهوم الاذكياء النبلا
وجدي موقوف عليك لا أرى * عنك مدى الدهر له منتقلا
فما الذي يمنع من تسكينه * والوقف بالتسكين حكم أعملا
والحب مرفوع اليك مفرد * فلم ترى لضمتي مستثقلا
فالضم للرفع غداة علامة * في مفرد مثلي فأوضح مشكلا
لازلت للهيام عني رافعا * للوصل ناصبا لقولي معملا
للشوق مسكنا لهجري صارفا * بالقرب من حال البعاد مبدلا
تجزم أمرا في الاماني ماضيا * وتبتدي بما تشا مستقبلا

وقال محمد بن ادريس القضاعي الاصطبوني

علاه رياض أورقت بمحامد * تنور بالجدوى وتثمر بالامل
تسح عليها من نداه غمامة * تروي ثرى المعروف بالعل والنهل
وهل هو الا الشمس نفسا ورفعة * فيقرب بالجدوى ويبعد بالامل
تعم أياديه البرية كلها * فدان وقاص جود كفيه قد شمل

وقال محمد التطيلي الهذلي من أعيان غرناطة

حارت علي لواحظ الآرام * لما رمت أجفانها بسهام
حكمت علي بحكمها فتسمت * الضنى منها لدى أحكام
يا قاتلي عمدا بسيف لحاظه * أغمد ظباه قبل وقع حسام
كم رمت وصلك والصدود يصدني * ويفل عزمي امره ومرامي
اني عدمت النفس يوم فراقكم * والين اسلمها الى الاعدام
كيف المقام وأصل جسمي ناحل * ان النفوس مقيمة الاجسام
صعب العلاج فليس يمكن برؤها * حتى يعود الشهر مثل العام
قد كنت أفرح بالسلو فها أنا * قد زم قلبي في الهوى بزمام
مالت به نحو الفتون بدائع * من شادن يحكيه بدر تمام
فقوام أنفسنا بلذة وصله * وجميع أعيننا عليه سوام
قد أبرزت خداه روض محاسن * عظمت على الافكار والاوهام
تندى بماء شبيبة وتنعم * فتروق روق الزهر في الاكمام
فكأنما وجناتها في لونها * ورد الرياض ربا بصوب غمام
وكأنما درع الدجى من شعره * قد حاكه منها يد الاظلام
وكأنما برق حواه ثغره * مسك أذيف بعنبر ومدام
وكأنما سيف نضت ألحاظه * سيف الامير محمد الاسلام
ذاك الامير محمد بن محمد * ناهيك من ملك أغر همام

عرضه على السيف فذكر عبد الرحمن بن السائب قال حصرت فصرت الى الرحبة ومعي جماعة من الانصار فرأيت شيأ في منامي وأنا جالس في الجماعة وقد خفقت وهو اني رأيت شيأ طويلا قد اقبل فقلت ما هذا فقال انا النقاد ذو الرقبة بعثت الى صاحب هذا القصر فانتبهت فزعا فما كان الا مقدار ساعة حتى خرج خارج من القصر فقال انصرفوا فان الامير عنكم مشغول واذا به قد اصابه ماذكرنا من البلاء وفي ذلك يقول عبد الله بن السائب من ابيات ما كان منتهيا عما اردنا حتى تأتى له النقاد ذو الرقبه فاسقط الشق منه ضربة ثبتت لما تناول ظالما صاحب الرحبه

يعني بصاحب الرحبة علي بن ابي طالب رضي الله عنه وقد ذهب جماعة الى ان عليا دفن في القصر بالكوفة ويقال ان زيادا طعن في يده وانه شاور شريحا في قطعها فقال له لك رزق مقسوم واجل معلوم واني اكره ان كان لك مدة ان تعيش اجذوان حم اجلك ان تلقى ربك مقطوع اليد فاذا سألك لم قطعتها قلت بعضا للقائك وفرارا من قضائك فلام الناس شريحا فقال انه استشارني والمستشار مؤتمن ولولا

ملك علا فوق السماك علاؤه * وسما فادرك غاية الاعظام
لو كان يعقل السها لاتاه فى * شكل الفتاة ملثما بلثام
أو كان يرضى بالمجرة أجردا * لجرت الى الاسراج والالجام
فالسعد يفعل للامانى قولها * والنصر يخدمه مع الايام
واليوم يعشقه ويحسد ليله * فيه كعشق سيوفه للهام
نامت عيون الشرك خوف سنانه * لولا مما اكتحلت بطيف منام
بهر الانام بسيفه وبيأسه * فسبى وأنعم أيما انعام
فالمعتفى يجنى جزيل هباته * والمعتدى يصلى الردى بحسام
مهما استعنت به فضيغم معرك * واذا استجرت به فطود شمام
أجرى مياه العدل بعد جفوفها * وأزال نار الظلم بعد ضرام
كم من كتيبة جحفل قد هدها * فى معرك بمهند صمصام
المقتنى الجرد المذاكى عدة * للكر فى الاعداء والاقدام
من كل مبيض كأن أديمه * لون الصباح أتى عقيب ظلام

ومنها يا خير من ركب الجياد وقادها * تحت اللواء وعدة الاقوام
لازلتم والسعد يخدم أمركم * فى غبطة موصولة بدوام
حتى يصير الأمن فى أرجائنا * عبدا يقوم لنا على الاقدام
والله ينصركم ويعلى مجدكم * ماسح اثر الغمام وماء غمام

وكان يحيى السرقسطى أديبا فرجع الى الجزائر فلم الحاجب ابن هود أبا الفضل ابن حسداى أن يوبخه على ذلك فكتب اليه

تركت الشعر من عدم الاصابه * وملت الى التجارة والقصابه

فاجابه يحيى

تعيب على مألوف القصابه * ومن لم يدر قدر الشئ عابه
ولو أحكمت منها بعض شئ * لما استبدلت منها بالجابه
ولو تدرى بها كانى ووجدى * علمت علام أحتمل الصبابه
وانك لو طلعت على يوما * وحولى من بنى كلب عصابه
لما لك سار أيت وقلت هذا * هزبر صير الاوضام غابه
وكم شهدت لنا كلب وهر * بأن المجد قد حزنا لبابه
فتكفى بنى العنزى فتكا * أقر الدهر فيهم والمهابه
ولم نقلع عن الثورى حتى * مزجنا بالدم القانى لعابه
ومن يغترمنهم بامتناع * فان الى صوار منا ايابه
و يبرز واحد منا لالف * فيغلبهم وذلك من الغرابه

ومنها أبا الفضل الوزير أجب ندائى * وفضلك ضامن عنك الاجابه
وأصغ الى شكوى شكور * أطلت على صناعته عتابه

أن الناس قد اسوانى منكر زمان قد سلف ومعروف زمان يؤتنف و يزيد حبيب قريب فان توله عهدك فعن غير كبر من أو مرض مضن وحقك

معاوية وفد الامصار من العراق وغيرها فكان ممن وفد من أهل العراق الاحنف بن قيس فى آخرين من وجوه الناس فقال معاوية للضحاك بن قيس انى جالس من غد للناس فأ تكلم بما شاء الله فاذا فرغت من كلامى فقل فى يزيد الذى يحق عليك وادع الى بيعته فانى قد أمرت عبد الرحمن بن عثمان الثقفى وعبد الله بن عمارة الاشعرى وثور بن معن السلمى ان يصدقوك فى كلامك وان يجيبوك الى الذى دعوتهم اليه فلما كان من الغد قعد معاوية فاعلم الناس بما رأى من حسن رعيته يزيد ابنه وهديه وان ذلك دعاه الى ان يوليه عهده ثم قام الضحاك ابن قيس فأجابه الى ذلك وحض الناس على البيعة ليزيد وقال لمعاوية اعزم على ما أردت ثم قام عبد الرحمن بن عثمان الثقفى وعبد الله بن عمارة الاشعرى وثور بن معن فصدقوا قوله ثم قال معاوية أين الاحنف بن قيس فقام الاحنف فقال

وحقك ما تركت الشعر حتى * رأيت البخل قد أوصى صحابه
وحتى زرت مشتاقا خليلي * فأبدى لي التحيل والكآبه
وظن زيارتي لطلاب شئ * فنافرني وغلظ لي حجابه

وقال الاديب أبو الحسن بن الحداد

قالت وأبدت صفحة * كالشمس من تحت القناع
بعت الدفاتر وهي آ * خر ما يباع من المتاع
فأجبتها ويدي على * كبدي وهمت بانصداع
لا تعجبي مما رأيـ * ـت فنحن في زمن الضياع

وقال الاديب أبو زكريا بن مطروح من أهل مدينة باغة وقد عزل والٍ فنزل المطر على اثره وهو من أحسن شعر قاله وكان الوالي غير مرضي

ورب وال سرنا عـ * ـزله * فبعضنا هناه البعض
قد واصلتنا السحب من بعده * ولذ في أجفاننا الغمض
لو لم يكن من نحس شخصه * ما طهرت من بعده الارض

وقال القاضي أبو البركات بن الحاج البلفيقي رحمه الله تعالى

وعشية حكمت على من تاب من * أهل الخلاعة أن يعود لما مضى
جمعت لنا شمل السرور بفتية * جمعوا من اللذات شملا مرتضى
ما عاقني عن أن أسير بسيرهم * الا الرياء مع الخطابة والقضا

وقال أبو الحجاج يوسف الفهري من أهل دانية

أبى الله الا أن أفارق منزلا * يطالعني وجه المنى فيه سافرا
كأن على الايام أن لا أحله * رويدا فما أغشاه الا مسافرا

وقال بعضهم في الرثاء

عبرات تفيض حزنا وثكلا * وشجون تعم بعضا وكلا
ليس الا صبابة أضرمتها * حسرة تبعث الاسى ليس الا

ولابي جعفر البغيل أحد شعراء المرية وكتابها

عزاء على هذا المصاب الذي دهى * وشتت شمل الانس من بعدما انتهى
بفرع علاء في منابت سؤدد * تسامى رقيا في المعالي الى السها
أصبت به من بعد ما تم مجده * وقد شمخت منه الشماريخ وازدهى
فأية شمس فيه للبعد كورت * وأي بناء للكارم قد هوى
فصبرا عليه لا رزئت بمثله * فمثلك من يعزى الى الحلم والنهى

وقال الكاتب الماهر أبو جعفر أحمد بن أيوب اللبائي المالقي

طلعت طلائع للربيع فاطلعت * في الروض ورد اقبل حين أوانه
حيا أمير المؤمنين مبشرا * ومؤملا للنيل من احسانه
ضنت سحائبه عليه بمائه * فأتاه يستقيه ما عبنبانه

من يأمرك ولا يقدر لك
ويشير عليك ولا يتظر لك
فقام الضحاك بن قيس
مغضبا فذكر اهل العراق
بالشقاق والنفاق وقال اردد
رأيهم في نحورهم وقام عبد
الرحمن بن عثمان فتكلم
بنحو كلام الضحاك ثم قام
رجل من الازد فاشار الى
معاوية وقال انت امير
المؤمنين فاذا مت فأمير
المؤمنين يزيد فمن ابى هذا
فهذا واخذ بقائم سيفه
فسله فقال له معاوية اقعد
فأنت من اخطب الناس
فكان معاوية اول من
بايع ليزيد ابنه بولاية
العهد وفي ذلك يقول عبد
الله بن هشام السلولي
فان تاتوا برملة او بهند
نبايعها اميرة مؤمنينا
اذا مامات كسرى قام
كسرى
نعد ثلاثة متتابعينا
فيا لهفا لو ان لنا الوفا
ولكن لا نعود كما عهدنا
اذا الضربة مواحتى تعودوا
بمكة تلعقون بها السخينا
خشينا الغيظ حتى لو شربنا
دماء بني امية ما روينا
لقد ضاعت رعيتكم وانتم
تصيدون الارانب غافلينا
وانفذت الكتب ببيعة
يزيد الى الامصار وكتب
معاوية الى مروان بن الحكم وكان على المدينة يعلمه باختياره يزيد ومبايعته اياه بولاية العهد ويأمره بمبايعته واخذ البيعة

له على من قبله فلما قرا مروان ذلك خرج مغضبا في اهل بيته واخواله من بني كنانة حتى اتى دمشق فنزلها ودخل على معاوية يمشي بين السماطين حتى اذا كان منه بقدر ما يسمعه صوته سلم وتكلم بكلام كثير يوبخ به معاوية منه اقسم الامور يا ابن ابي سفيان واعدل عن تأميرك الصبيان واعلم ان لك من قومك نظراء وان لك على مناواتهم وزراء فقال له معاوية انت نظير امير المؤمنين وعدته في كل شديدة وعضده والثاني بعد ولي عهده وجعله ولي عهد يزيد ورده الى المدينة ثم انه عزله عنها وولاها الوليد ابن عتبة بن ابي سفيان ولم يف لمروان بما جعل له من ولاية عهد يزيد ابن معاوية

(ذكر جمل من أخلاقه وسياسته وطرائف من عيون اخباره)

قد ذكرنا فيما تقدم جملا من اخباره وسيره فلنذكر الآن وهذا الباب جملا من أخلاقه وسياسته واخباره وغير ذلك مما يلحق بهذا المعنى الى وفاته كان من اخلاق معاوية انه كان يأذن في اليوم والليلة خمس مرات كان اذا صلى الفجر جلس للقاص حتى يفرغ من قصصه ثم يدخل فيؤتى بصحيفة فيقرأ جزأه ثم يدخل الى منزله فيأمر وينهى ثم يصلي اربع ركعات ثم يخرج الى مجلسه فيأذن لخاصة الخاصة فيحدثهم ويحدثونه ويدخل عليه واوليتني

دامت لنا أيامه موصولة * بالعز والتمكين في سلطانه

وقال أبو جعفر أحمد بن طلحة من جزيرة شقر

ياهل ترى أطرف من يومنا * قد جيدا لافق طوق العقيق
وأنطق الورق بعيدانها * مطربة كل قضيب ورق
والشمس لا تشرب خمر الندى * في الروض الا بكؤس الشقيق

وقال أبو جعفر الغساني من اهل وادي آش واستوطن غرناطة ثم مات بالمرية فكتب على حمالة قراب لموطا الامام مالك بعد ما استنجد قراح أدباء عصره واستصرخ اختراعاتهم لنصره فكلهم قصر عن غرضه وأداء مفترضه فقال هو

ياطالبا لكمالك * حفظي أتم كمالك
فما تقلدت مثلي * اذلم تقلد كمالك

وقال أبو بكر يحيى بن بقي

خذها على وجه الربيع المخصب * لم يقض حق الروض من لم يشرب
همي سماء علاوهمي مارد * فارجه من تلك الكؤس بكوكب

وهو رحمه الله تعالى صاحب الابيات المشهورة

زخرحته عن أضلع تشتاقه * كيلا ينام على فراش خافق

وانتقد عليه بعض اللطفاء فقال انه كان جافي الطبع حيث قال زخرحته ولو قال باعدت عنه أضلعا تشتاقه لكان أحسن *وقال السلطان المتوكل بن الافطس صاحب بطليوس يستدعي

انهض أبا طالب الينا * واسقط سقوط الندى علينا
فحسن عقد بغير وسطى * مالم تكن حاضر الدنيا

وتذكرت هنا قول بعض المشارقة فيما أظن والله تعالى أعلم

نحن في مجلس أنس * مابه غير محبك
فتصدق بحضور * واجمع الوقت بقربك
وخف الآن عتابي * مثل خوفي عند عتبك

*(رجع) وقال أبو عبد الله بن خلصة الضرير

ولو جاد بالدنيا وثنى بمثلها * لظن من استصغارها انه ضنا
ولا عيب في انعامه غير أنه * اذا من لم يتبع مواهبه منا

وله أيضا

ياما لكا حسدت عليه زمانه * اما خلت من قبله وقرون
مالي ارى الآمال بيضا وضحا * ووجوه آمالي حوالك جون
انا آمن فرق وراج آيس * وروصد ومسرح مسجون
لا تعدني انواء سيبك لاعدا * ك النصر والتأييد والتمكين

وقال ابن اللبانة

كرمت فلا بحر حكاك ولا حيا * وفت فلا عجم شأتك ولا عرب

وأوليتني مثل الجميل فواله * عسى الصحو من نعمائك يتبعه السكب

وقال ابو على اليمانى

ابنات الهديل اسعدن أو عد * ن قليل العزاء بالاسعاد
بيد أنى لا ارتضى ما فعلتن * فأطوا قكن فى الاجياد

وقال ابو جعفر احمد بن الدود من كلمه

فغدت غوادى الحى عنك عجائبا * واسل الحاظ الرباب ربابا

وقال ابن ابى الخصال فى مليحة لها اربع جوار قبيحات

وليلة طولها على سنة * بات بها الجفن نادبا وسنه
بأربع بينهن واحدة * كسيئات وبينها حسنه

وقال غالب بن تمام الملقب بالحجام

صغار الناس اكثرهم قبيحا * وليس لهم بصالحة نهوض
الم ترنى سباع الطير نسرا * يسالمها ويؤذينا البعوض

وقال ابن عائشة

وروضة قد علت سماء * تطلع أزهارها نجوما
هفا نسيم الصبا عليها * فخاتها ارسلت رجوما
كأنما الجو غار لما * بدت فأغرى بها النسيما

وله يصف فرسا وهو من بدائعه

قصرت له تسع وطالت اربع * وزكت ثلاث منه للتأمل
وكأنما سال الظلام بمتنه * وبدا الصباح بوجهه المتهلل
وكأن راكبه على ظهر الصبا * من سرعة أو فوق ظهر الشمأل

وقال

تربة مسك وجو عنبرة * وغيم ندو طش ماورد
كأنما جائل الحباب به * يلعب فى جانبيه بالنرد

وتروى هذه الابيات لغيره وقال

هم سلبونى حسن صبرى اذ بانوا * باقمار أطواق مطالعها بان
لئن غادرونى باللوا ان مهجتى * مسايرة أظعانهم حيثما كانوا

وقال أبو محمد بن سفيان وهو من أبدع المخلص

فقلت وجفنى قد تداعت شؤنه * وحرضلوعى مقعد ومقيم
لئن دهمت دهم الخطوب وآلمت * فان أباعيسى أغر كريم

وقال ابن الزقاق

بأبى وغير أبى أغن مهفهف * مهضوم ماتحت الوشاح خميصه
لبس الفؤاد ومزقته جفونه * فاتى كيوسف حين قد قميصه

وقال

سلام على أيامكم ما بكى الحيا * وسقيا لدالك العهد ما ابتسم الزهر
كأن لم نبت فى ظل أمن تضمنا * من الليلة الظلماء أردية خضر

فضلة عشائه من جدى بارد او فرخ او ما يشبهه ثم يتحدث طويلا ثم يدخل منزله لما اراد ثم يخرج فيقول ياغلام اخرج الكرسى فيخرج الى المسجد فيوضع فيسند ظهره الى المقصورة ويجلس على الكرسى ويقوم الاحداث فيتقدم اليه الضعيف والاعرابى والصبى والمرأة ومن لا احد له فيقول ظلمت فيقول اعزوه ويقول عدى على فيقول ابعثوا معه ويقول صنع بى فيقول انظروا فى امره حتى اذا لم يبق احد دخل فجلس على السرير ثم يقول ائذنوا للناس على قدر منازلهم ولا يشغلنى احد عن رد السلام فيقال كيف اصبح امير المؤمنين اطال الله بقاءه فيقول بنعمة من الله فاذا استووا جلوسا قال ياهؤلاء انما سميتم اشرافا لانكم شرفتم من دونكم بهذا المجلس ارفعوا الينا حوائج من لا يصل الينا فيقوم الرجل فيقول استشهد فلان فيقول افرضوا لولده ويقول آخر غاب فلان عن اهله فيقول تعاهدوهم اعطوهم اقضوا حوائجهم اخدموهم ثم يؤتى بالغداء ويحضر الكاتب فيقوم عند راسه ويقدم الرجل فيقول له اجلس على المائدة فيجلس فيمد يده فيأكل لقمتين او ثلاثا والكاتب يقرأ كتابه فيأمر فيه بامر

فيقال يا عبد الله أعقب فيقوم الحوائج أربعون او نحوهم على قدر الغداء ثم يرفع الغداء و يقال للناس اجيزوا فينصرفون فيدخل منزله فلا يطمع فيه طامع حتى ينادى بالظهر فيخرج فيصلى ثم يدخل فيصلى اربع ركعات ثم يجلس فيأذن للخاصة الخاصة فان كان الوقت وقت شتاء اتاهم بزاد الحاج من الاخبصة اليابسة والخشكانج والاقراص المعجونة باللبن والسكر من دقيق السميذ والكعك المنضد والفواكه اليابسة وان كان وقت صيف اتاهم بالفواكه الرطبة ويدخل اليه وزراؤه فيؤامرونه فيما احتاجوا اليه بقية يومهم ويجلس الى العصر ثم يخرج فيصلى العصر ثم يدخل منزله فلا يطمع فيه طامع حتى اذا كان فى آخر اوقات العصر خرج فجلس على سريره و يؤذن للناس على منازلهم فيؤتى بالعشاء فيفرغ منه مقدار ما ينادى بالمغرب ولا ينادى له باصحاب الحوائج ثم يرفع العشاء وينادى بالمغرب فيخرج فيصليها ثم يصلى بعدها اربع ركعات يقرأ فى كل ركعة خمسين آية يجهر تارة ويخافت اخرى ثم يدخل منزله فلا يطمع فيه طامع حتى ينادى

ولم تغتبق تلك الاحاديث قهوة * وكم مجلس طيب الحديث به خمر
ألا فى ضمان الله فى كل ساعة * يجدد لى فيها شوق له ذكر
يذكرنيه البرق جذلان باسما * ويذكرنى اسفار غرته الفجر
وما رق زهر الروض الا تبسمت * لناظر عينى منه آدابه الزهر

وقال يحيى السرقسطى

هاتها عسجدية كوثريه * بنت كرم رحيقة عطريه
كلما شفها الخمول تقوت * فاعجبوا من ضعيفة وقويه
رب خمارة سريت اليها * والدجا فى ثيابه الزنجيه
ومنها كم عقار بدلته بعقار * وثياب صبغتها خمريه
ان خير البيوع ما كان نقدا * ليس ما كان آجلا بنسيه

وله

نسيتم الظلم لعمالكم * وغمتم عن قبح أعمالكم
والله لو حكمتم ساعة * ما خطر العدل على بالكم

وقال الرصافى فى الدولاب

وذى حنين يكاد شجوا * يختلس الانفس اختلاسا
اذا غدا للرياض جارا * قال لها المحل لا مساسا
يبتسم الروض حين يبكى * بأدمع ما رأين باسا
من كل جفن يسل سيفا * صار له عقده رياسا

وخرج أبو بكر الصابونى لنزهة بوادى اشبيلية وكان يهوى فتى اسمه على فقال

أباحسن أباحسن * بعادك قد نفى وسنى
وما أنسى تذكره * فهل أنسى فيذكرنى

و يشبه هذا قول الطاهر بن أبى ركب

يقول الناس فى مثل * تذكر غائب آثره
فمالى لا أرى سكنى * وما أنسى تذكره

وكتب بعض الادباء الى ابن حزم الاندلسى بقوله

سألت الوزير الفقيه الاجل * سؤال معدل على من سأل
فقلت أيا خير مسترشد * و يا خير من عن امام نقل
أيحرم ان نالنى قبلة * غزال ترشف فيه الغزل
وعانقنى والدجا خاضب * فبتنا ضجيعين حتى نصل
وجئتك أسأل مسترشدا * فبين فديتك ان قد سأل

فأجابه ابن حزم بقوله

اذا كان ما قلته صادقا * وكنت تحريت جهد المقل
وكان ضجيعك طاوى الحشا * أعار المهاة احوار المقل
قريب الرضا وله غنة * تميت الهموم وتحيى الجذل

فني أخذ أشهب عن مالك * عن ابن شهاب عن الغير قل
بترك الخلاف على جمعهم * على أن ذلك حـــل وبل

ونظر الرصافي يوما الى صبي يبكي ويأخذ من ريقه ويمل عينيه كي يحكي أثر البكاء فارتجل الرصافي

عذيري من جذلان يبدي كآبة * وأضلاعـــه مما يحاوله صعر
أميلد مياس اذا قاده الصبا * الى ملح الادلال أيده السحـــر
يمل ما تحت مقلتيه بريقه * ليحكي البكا عمدا كما ابتسم الزهر
أيوهم أن الدمع بل جفونه * وهل عصرت يوما من النرجس الخمر

وكان المذكور أعني الرصافي يميل في شبيبته لبعض فتيان الطلبة وأجمع الطلبة على أن يصنعوا نزهة بالوادي الكبير بمالقة فركبوا زورقا للسير الى الوادي فوافق أن اجتمع في الزورق شمل الرصافي بمحبوبه ثم ان الريح الغربية عصفت وهاج البحر ونزل المطر فنزلوا من الزورق وافترق شمل الرصافي من محبوبه فارتجل في ذلك ويقال انها من أول شعره

غاربي الغـرب اذ رآني * مجتمع الشمل بالحبيب
فأرسـل المـاء عن فراق * وأرسل الريح عن رقيب

فلما سمع ذلك استاذه استنبله وقال له انك ستكون شاعر زمانك * وحكي ان أبا بكر بن مجير قال في ابن لابي الحسن بن القطان بمحضر والده

جاء في يسـاره * قوس وفي اليمنى قدح
كانه شـمس بدت * وحولها قوس قزح
يالائمي في حبـه * ما كل مـن لام نصح

فقال ابن عياش الكاتب هذه أبيات لاندلسي استوطن المشرق في تركي فأقسم أبو بكر انه لم يسمع شيأ من ذلك وانما ارتجلها وقيل انها لابي الفتح محمد بن عبيد الله من أهل بغداد وأولها جد بقلبي ومزح فالله أعلم بحقيقة الامر * وخرج أبو بكر بن طاهر وأبو ذر الخشني والقاضي أبو حفص بن عمر وهو اذ ذاك وسيم فأثرت الشمس في وجهه فقال أبو ذر

وسمتك الشمس ياقمر * سمة في القلب تنتشر

فقال الآخر علمت قدر الذي صنعت * فأنت صفراء تعتذر

وقال أبو الحسن البلنسي الصوفي كان لي صديق أمي لا يقرأ ولا يكتب فعلق فتى وكان خرج لنزهة فأثرت الشمس في وجهه فأعجبه ذلك وأنشد

رأيت أحد لما جاء من سفر * والشمس قد أثرت في وجهه أثرا
فانظر لما أثرته الشمس في قمر * والشمس لا ينبغي أن تدرك القمرا

واجتمع أبو الوليد الوقشي وأبو مروان عبد الملك بن سراج القرطبي وكانا فريدي عصرهما حفظا وتقدما فتعاورا وتسالما ثم بادر أبو الوليد بالسؤال وقال كيف يكون قول القائل

ولو أن مابي بالحصا فعل الحصا * وبالريح لم يسمع لهن هبوب

ما ينبغي أن يكون مكان فعل الحصا فقال أبو مروان فلق الحصا فقال وهمت انما يكون فلق

والحاشية فيؤامره الوزراء فيما ارادوا صدرا من ليلتهم ويستمر الى ثلث الليل في اخبار العرب وايامها واحوالها وملوكها وسياستها لرعيتها وسائر ملوك الامم وحروبها ومكايدها وسياستها لرعيتها وغير ذلك من اخبار الامم السالفة ثم تأتيه الطرف الغريبة من عند نسائه من الحلوى وغيرها من المآكل اللطيفة ثم يدخل فينام ثلث الليل ثم يقوم فيقعد فيحضر الدفاتر فيها سير الملوك واخبارها والحروب والمكايد فيقرأ ذلك عليه غلمان له مرتبون وقد وكلوا بحفظها وقراءتها فتمر بسمعه كل ليلة جمل من الاخبار والسير والآثار وأنواع السياسات ثم يخرج فيصلي الصبح ثم يعود فيفعل ما وصفنا في كل يوم وقد كان هم بأخلاقه جماعة بعده مثل عبد الملك ابن مروان وغيره فلم يدركوا خلقه ولا اتقانه للسياسة ولا التأني للامور ولا مداراته للناس على منازلهم ورفقه بهم على طبقاتهم وبلغ من احكامه للسياسة واتقانه لها واجتذابه قلوب خواصه وعوامه أن رجلا من اهل

٥٤ ط ني السكوفة دخل على بعير له الى دمشق في حال منصرفهم عن صفين فتعلق به رجل من دمشق فقال هذه ناقتي

الحصا ليكون مطابقا لقوله لم يسمع لهن هبوب يريد أن ما به يحرك ماشأنه السكون و يسكن ماشأنه الحركة فقال أبو مروان ما يريد الشاعر بقوله

وراكعة في ظل غصن منوطة * بلؤلؤة نيطت بعنقار طائر

وكان اجتماعهما في مسجد فأقيمت الصلاة أثر فراغ ابن سراج من انشاد البيت فلما انقضت الصلاة قال له الوقشي ألغز الشاعر باسم أحد فالراكعة الحاء والغصن كناية عن الالف واللؤلؤ الميم ومنقار الطائر الدال فقال له ابن سراج ينبغي أن تعيد الصلاة اشغل خاطرك بهذا الالغز فقال له الوقشي بين الاقامة وتكبيرة الاحرام فكتكته والبيت لعبد الله بن الدمينة و بعده

ولو أني أستغفر الله كلما * ذكرتك لم تكتب علي ذنوب

وقال الوزير أبو الحسن بن أضحى

ومستشفع عندي بخير الورى عندي * واولاهم بالشكر مني و بالحمد
وصلت فلما لم اقم بجزائه * لعفت له رأسي حياء من المجد

وكان سبب قوله هذين البيتين انه كتب اليه أحد الورراء شافعا لاحد الاعيان فلما وصل اليه بره وأنزله وأعطاه عطاء استعظمه واستنزله وخلع عليه خلعا وأطلعه من الجمال بدرا لم يكن مطلعا ثم اعتقد انه قد جاء مقصرا فكتب اليه معتذرا بالبيتين هكذا حكاه في الفتح وقال بعد ذلك ما صورته ومن باهر جلاله وظاهر خلاله انه اعف الناس بواطن واشرفهم في التقى مواطن ما علمت له صبوة ولا حلت له الى مستنكر جبوة مع عدل لا شئ يعدله وتحجب عما يتقي مما يرسل عليه حجابه و يسدله وكان لصاحب البلد الذي يتولى القضاء به ابن من احسن الناس صوره وكانت محاسن الاقوال والافعال عليه مقصوره مع ما شئت من لسن وصوت حسن وعفاف واختلاط بالبهاء والتعفف قال الفتح وحلنا لاحدى ضياعه بقرب من حضرة غرناطة فحللنا قرية على ضفة نهر احسن من شادن مهر تشقها جداول كالصلال ولا ترمقها الشمس من تكاثف الظلال ومعنا جملة من اعيانها فأحضرنا من انواع الطعام وارانا من فرط الاكرام والانعام مالا يطاق ولا يحد و يقصر عن بعضه العد وفي اثناء مقامنا بدا لي من ذلك الفتى المذكور ما انكرته فقابلته بكلام اعتقده وملام احقده فلما كان من الغد لقيت منه اجتنابه ولم ار منه ما عهدته من الانابه فكتبت اليه مداعبا له فراجعني بهذه القطعة

اتنئي أبا نصر نبيجة خاطر * سريع كرجع الطرف في الخطرات
فأعربت عن وجدي كبير طويته * بأهيف طاوي الحشا فاتر اللحظات
غزال احم المقلتين عرفته * بخيف مني للحسن اوعر فات
رماك فأصمى والقلوب رميه * لكل كحيل الطرف ذي فتكات
وظن بأن القلب منك محصب * فلبك من عينيه بالجمرات
تقرب بالنسك في كل منسك * وضحى غداة النحر بالمهجات
وكانت له جيان مثوى فأصبحت * ضلوعك مثواه بكل فلاة

أخذت مني بصفين فارتفع معاوية على الكوفي وأمره بتسليم البعير اليه ففعل الكوفي اصلحك الله انه جمل وليس بناقة فقال معاوية هذا حكم قد مضى ودس الى الكوفي بعد تفرقهم فاحضره وسأله عن ثمن بعيره فدفع اليه ضعفه وبره واحسن اليه وقال له ابلغ عليا اني اقابله بمائة الف ما فيهم من يفرق بين الناقة والجمل ولقد بلغ من أمرهم في طاعتهم له انه صلى بهم عند مسيرهم الى صفين الجمعة في يوم الاربعاء وأعاروه رؤسهم عند القتال وحملوه بها وركنوا الى قول عمرو بن العاص ان عليا هو الذي قتل عمار ابن ياسر حين أخرجه لنصرته ثم ارتقى بهم الامر في طاعته الى أن جعلوا لعن علي سنة ينشأ عليها الصغير ويهلك عليها الكبير (قال المسعودي) وذكر بعض الاخباريين انه قال لرجل من أهل الشام من زعمائهم وأهل الرأي والعقل منهم من أبو تراب هذا الذي يلعنه الامام على المنبر قال أراه لصا من لصوص الفتن (وحكى الجاحظ) قال سمعت رجلا من العامة وهو حاج وقد ذكر له البيت يقول اذا أتيته من يكلمني منه وانه اخبره صديق له انه قال له رجل منهم وقد سمعه يصلي

يعز علينا ان تهيم فتنطوى * كئيبا على الاشجان والزفرات
فلو قبلت للناس فى الحب فدية * فديناك بالاموال والبشرات

ومن ايثاره ديانته وعلامة حفظه للشرع وصيانته وقصده مقصد المتورعين وجريه جرى المتشرعين ان احد اعيان بلده كان متصلا به اتصال الناظر بسواده محتفلا فى عينه وفؤاده لا يسأمه الى مزوره ولا يفرده فى حادث يعروه وكان من الادب فى منزلة تقتضى اسعافه ولا توردة من تشفيعه فى مورد قد عافه فكتب اليه ضارعا فى رجل من خواصه اختلط بمرأة طلقها ثم تعلقها وخاطبه فى ذلك بشعر فلم يسعفه وكتب اليه مراجعا

أيا أيها السيد المجتبى * ويا ايها الالمعى العليم
أتتنى ابياتك المحكمات * بما قد حوت من بديع الحكم
ولم ار من قبلها مثلها * وقد نفثت سحرها فى الكلم
ولكنه الدين لا يشترى * بنثر ولا بنظام نظيم
وكيف ابيح حمى ما نعا * وكيف احال ما قد حرم
الست اخاف عقاب الاله * وناره موجعة تضطرم
أ أصرفها طالقا بتة * على أنك قد طنى واجترم
ولو أن ذاك الغوى الذوى * تثبت فى أمره ما ندم
ولكنه طاش مستعجلا * فكان أحق الورى بالندم

انتهى كلام الفتح الذى أردت جلبه هنا ولاخفاء أن هذه الحكاية مما يدخل فى حكايات عدل قضاة الاندلس ومن نظم ابن أضحى المذكور ما كتب به الى بعض من يعز عليه

يا ساكن القلب رفقا لم تقطعه * الله فى منزل قد ظل مثواكا
يشيد الناس للحصين منزلهم * وأنت تهدمه بالعنف عينا كا
والله والله ماحي لفاحشة * أعاذنى الله من هذا وعافاكا

وله فى مثل ذلك

روحى اليك فرديه الى جسدى * من لى على فقده بالصبر والجلد
بالله زورى كثيبا لا عزاء له * وشرفيه ومثواه غداة غد
لو تعلمين بما ألقاه يا أملى * يا بغيتى الود تصفيه بداييد
عليك منى سلام الله ما بقيت * آثار عينيك فى قلبى وفى كبدى

واذ وصلت الى هذا الموضع من كلام أهل الاندلس فقد رأيت أن أذكر جملة من نساء أهل الاندلس اللاتى لهن اليد الطولى فى البلاغة كى يعلم أن البراعة فى أهل الاندلس كالغريزة لهم حتى فى نسائهم وصبيانهم * (فمن النساء المشهورات بالاندلس أم السعد بنت عصام الحميرى من أهل قرطبة وتعرف بسعدونة ولها رواية عن أبيها وجدها وغيرهما كما حكاه ابن الابار فى ترجمتها من التكملة وأنشدت لنفسها فى تمثال نعل النبى صلى الله عليه وسلم تكملة لقول غيرها

سألتم التمثال اذ لم أجد * للثم نعل المصطفى من سبيل

قال كنت مارا فى السوق ببغداد فاذا أنا برجل عليه الناس مجتمعون فنزلت عن بغلتى وقلت لشئ ما هذا الاجتماع ودخلت بين الناس واذا برجل يصف كحلا معه انه ينجع من كل داء يصيب العين فنظرت اليه فاذا عينه الواحدة برشاء والاخرى مأسوكة فقلت له يا هذا لو كان كحلك كما تقول نفع عينيك فقال لى أها هنا اشتكت عيناى انما اشتكتا بمصر فقال كلهم صدق وذكر انه ما انفلت من نعالهم الا بعد كد (وذكر) لى بعض اخوانى ان رجلا من العامة بمدينة السلام رفع الى بعض الولاة الطالبين لاصحاب الكلام على جاره انه يتزندق فسأله الوالى عن مذهب الرجل فقال انه مرجىء قدرى أباضى رافضى فلما نص عن ذلك قال انه يبغض معاوية بن الخطاب الذى قاتل على بن العاص فقال له الوالى ما أدرى على أى شئ احسدك على علمك بالمقالات أو على بصرك بالانساب (وأخبرنى) رجل من اخواننا من أهل العلم قال كنا نقعد نتناظر فى أبى بكر وعمر وعلى ومعاوية ونذكر ما يذكره أهل العلم وكان قوم من العامة يأتون فيستمعون منا فقال لى ذات يوم بعضهم وكان من اعقلهم واكبرهم

ماصورته لعلـني أحظى بتقبيله * في جنة الفردوس أسنى مقيل
في ظل طوبى ساكنا آمنا * أسقى بأكواس من السلسبيل
وأمسح القلب به علـه * يسكن ماجاش به من غليل
فطالما استشفى باطلال من * يهواه أهل الحب في كل جيل

وأنشدني ابن جابر الوادي آشي عن شيخه المحدث أبي محمد بن هرون القرطبي لجدته سعدونة وأظنها هذه

آخ الرجال مـن الابا * عدوا الاقارب لاتقارب
ان الاقارب كالعقا * رب أو أشد من العقارب

هكذا نقله الخطيب ابن مرزوق ورأيت نسبة البيتين لابن العميد فالله اعلم * ومنهن حسانة التميمية بنت أبي الحسين الشاعر تأدبت وتعلمت الشعر فلما مات ابوها كتبت الى الحكم وهي اذذاك بكر لم تتزوج

انى اليـك ابا العاصي موجعـة * ابا الحسين سقته الواكف الديم
قد كنت أرتع في نعماه عاكفـة * فاليوم آوي الى نعماك ياحكم
انت الامام الذي انقاد الانام له * وملكته مقاليـد النهى الامم
لاشئ أخشى اذا ما كنت لي كنفا * آوي اليـه ولا يعروني العـدم
لازلت بالعـزة القعساء مرتديا * حتى تذل اليـك العرب والعجم

فلما وقف الحكم على شعرها استحسنه وأمر لها بأجراء مرتب وكتب الى عامله على البيرة فجهزها بجهاز حسن ويحكى انها وفدت على ابنه عبد الرحمن بشكية من عامله جابر بن لبيد والى البيرة وكان الحكم قد وقع لها بخط يده تحرير أملاكها فلم يفدها فدخلت الى الامام عبد الرحمن فأقامت بفنائه وتلطفت مع بعض نسائه حتى أوصلتها اليه وهو في حال طرب وسرور فانتسبت اليه فعرفها وعرف أباها ثم أنشدته

الى ذي الندى والمجد سارت ركائبي * على شحط تصلى بنار الهواجر
ليجبر صدعي انه خير جابر * ويمنعني من ذي الظلامة جابر
فاني وأيتامي بقبضة كفه * كذي ريش أضحى في مخالب كاسر
جدير لمثلي أن يقال مروعة * لموت أبي العاصي الذي كان ناصري
سقاه الحيا لو كان حيا لما اعتدى * على زمان باطش بطش قادر
أيعدو الذي خطته يمناه جابر * لتدسام بالاملاك احدى الكبائر

ولما فرغت رفعت اليه خط والده وحكت جميع أمرها فرق لها وأخذ خط أبيه فقبله ووضعه على عينيه وقال تعدى ابن لبيد طوره حتى رام نقض رأي الحكم وحسبنا أن نسلك سبيله بعده ونحفظ بعد موته عهده انصرفي باحسانة فقد عزلته لك ووقع لها بمثل توقيع أبيه الحكم فقبلت يده وأمر لها بجائزة فانصرفت وبعثت اليه بقصيدة منها

ابن المشامين خير الناس مأثرة * وخـير منتجع يوما لرواد
ان هز يوم الوغى أثناء صعدته * روى أنابيبها من صرف فرصاد
قل للامام أيا خير الورى نسبا * مقابلا بين آباء وأجـداد

لحية كم تطنبون في علي فيه قال أليس هو ابو فاطمة قلت ومن كانت فاطمة قال امرأة النبي عليه السلام بنت عائشة أخت معاوية قلت فما كانت قصة علي قال قتل في غزاة حنين مع النبي صلى الله عليه وسلم وقد كان عبد الله بن علي حين خرج في طلب مروان الى الشام وكان من قصة مروان ومقتله ماقد ذكر ونزل عبد الله بن علي الشام ووجه الى أبي العباس السفاح اشياخا من اهل الشأم من أرباب النعم والرياسة فحلفوا لابي العباس السفاح انهم ماعلموا الرسول الله صلى الله عليه وسلم قرابة ولا أهل بيت يرثونه غير بني امية حتى وليتم الخلافة فقال في ذلك ابراهيم بن المهاجر البجلي

أيها الناس اسمعوا أخبركم * عجبا زاد على كل العجب
عجبا من عبد شمس انهم * فتحوا للناس أبواب الكذب
ورثوا احمد فيما زعموا * دون عباس بن عبد المطلب
كذبوا والله ما نعلمه * يحرز الميراث الا من قرب

وقد كان ببغداد رجل في أيام هرون الرشيد متطبب يطبب العامة بصفاته وكان دهريا يظهر أنه من أهل السنة والجماعة ويلعن أهل البدع ويعرف بالسني تنقاد اليه العامة فكان

جوّدت طبعى ولم ترض الظلامة لى * فهاك فضل ثناء رائح غاد
فان أفت فنى نعماك عاطفة * وان رحلت فقد زوّدتنى زادى

*(ومنهن أم العلاء بنت يوسف الجبارية ذكرها صاحب المغرب وقال انها من أهل المائة الخامسة ومن شعرها

كل ما يصدر منكم حسن * وبعليا كم تحلى الزمن
تعطف العين على منظركم * وبذكراكم تلذ الاذن
من يعش دونكم فى عمره * فهو فى نيل الامانى يغبن

وعشقها رجل أشيب فكتبت اليه

الشيب لا يخدع فيه الصبى * بحيلة فاسمع الى نصحى
فلا تكن أجهل من فى الورى * يبيت فى الجهل كما يضحى

ولها أيضا

أفهم مطارح أحوالى وما حكمت * به الشواهد واعذرنى ولا تلم
ولا تكلنى الى عذر ابينه * شر المعاذير ما يحتاج للكلم
وكل ما جئته من زلة فبما * أصبحت فى ثقة من ذلك الكرم

والجبارية بالراء المهملة نسبة الى وادى الجبارة *(ومنهن امة العزيز قال الحافظ ابو الخطاب ابن دحية فى كتاب المطرب من أشعار المغرب أنشدتنى اخت جدى الشريفة الفاضلة امة العزيز الشريفة الحسنية لنفسها

لحاظكم تجرحنا فى الحشا * ولحظنا يجرحكم فى الخدود
جرح بجرح فاجعلوا ذا بذا * فما الذى اوجب جرح الصدود انتهى

قلت هذا السؤال يحتاج الى جواب وقد رأيت لبلدينا القاضى الامام الفاضل ابى الفضل قاسم العقبانى التلمسانى رحمه الله تعالى جوابه والغالب انه من نظمه وهو قوله

اوجبه منى ياسيدى * جرح بخد ليس فيه الجحود
وأنت فيما قلته مدع * فأين ما قلت وأين الشهود انتهى

*(ومنهن أم الكرام بنت المعتصم بن صمادح ملك المرية) *قال ابن سعيد فى المغرب كانت تنظم الشعر وعشقت الفتى المشهور بالجمال من دانية المعروف بالسمار وعملت فيه الموشحات ومن شعرها فيه

يا معشر الناس ألا فاعجبوا * مما جنته لوعة الحب
لولا لم ينزل بدر الدجا * من أفقه العلوى للترب
حسبى بمن أهواه لو أنه * فارقنى تابعه قلبى

*(ومنهن الشاعرة الغسانية البجانية) بالنون نسبة الى بجانة وهى كورة عظيمة وتشتهر باقليم المرية وهى من أهل المائة الرابعة فمن نظمها من ابيات

عهدتهم والعيش فى ظل وصلهم * انيق وروض الوصل أخضر فينان
ليالى سعد لا يخاف على الهوى * عتاب ولا يخشى على الوصل هجران

قائما على قدميه فقال لهم معاشر المسلمين قلتم لا ضار ولا نافع الا الله فلا شئ تسألونى عن مضاركم ومنافعكم الجؤا الى ربكم وتوكلوا على بارئكم حتى يكون فعلكم مثل قولكم فيقبل بعضهم على بعض فيقولون اى والله قد صدقنا فكم من مريض لم يعالج حتى مات ومنهم من كان يترك حتى يسكن ثم يريه الماء فيصف له الدواء فيقول ايمانك ضعيف ولا ولادلك لتوكلت على الله كما أمرك فهو يريك فكان يقتل بقوله هذا خلقا كثيرا تزهيدا اياهم فى معالجة مرضاهم ومن اخلاق العامة ان يسودوا غير السيد ويفضلوا غير الفاضل ويقولوا بعلم غير العالم وهم اتباع من سبق اليهم من غير تمييز بين الفاضل والمفضول والفضل والنقصان ولا معرفة للحق من الباطل عندهم ثم انظر هل ترى اذا اعتبرت ماذكرنا ونظرت فى مجالس العلماء هل تشاهدها الا مشحونة بالخاصة من اولى التمييز والمروءة والحجى وتقصد العامة فى احتشادها وجوعها فلا تراهم الدهر الا مرقلين الى قائد دب

وضارب بدف على سياسة قرد ومنشوقين الى اللهو واللعب أو مختلفين الى مشعبذ منمس مخرف أو

(ومنهن العروضية مولاة أبي المطرف عبد الرحمن بن غلبون الكاتب تسكنت بلنسية وكانت قد أخذت عن مولاها النحو واللغة لكنها فاقته في ذلك وبرعت في العروض وكانت تحفظ الكامل للمبرد والنوادر للقالي وتشرحهما قال أبو داود سليمان بن نجاح قرأت عليها الكتابين وأخذت عنها العروض توفيت ببانية بعد سيدها في حدود الخمسين والاربعمائة رحمها الله تعالى * (ومنهن حفصة بنت الحاج الركونية الشاعرة الاديبة المشهورة بالجمال والحسب والمال ذكرها الملاحي في تاريخه وأنشد لها مما قالته في أمير المؤمنين عبد المؤمن ابن علي ارتجالا بين يديه

يا سيد الناس يا من * يؤمل الناس رفده
أمن على بطرس * يكون للدهر عدة
تخط يمناك فيه * الحمد لله وحده

وأشارت بذلك الى العلامة السلطانية عند الموحدين فانها كانت أن يكتب السلطان بيده بخط غليظ في رأس المنشور الحمد لله وحده وتذكرت بذلك والشيء بالشيء يذكر انه لما أقفل السلطان الناصر أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين يعقوب المنصور ابن أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن بن علي سلطان المغرب والاندلس من افريقية سنة ثلاث وستمائة بعد فتح المهدية هنأته الشعراء بذلك ثم اجتمع أبو عبد الله بن مرج الكحل بالشعراء والكتاب فتذاكروا الفتح وعظمه فأنشدهم ابن مرج الكحل في الوقت لنفسه

ولما توالى الفتح من كل وجهة * ولم تبلغ الاوهام في الوصف حده
تركنا أمير المؤمنين لشكره * بما أودع السر الالهي عنده
فلا نعمة الا تؤدي حقوقها * علامته بالحمد لله وحده

فاستحسن الكتاب له ذلك ووقع أحسن موقع * وحكى صاحب كتاب روح الشعر وروح السحر وهو الكاتب أبو عبد الله محمد بن الجلاب الفهري أن أمير المؤمنين يعقوب المنصور لما أقفل من غزوة الاراكة المشهورة وكانت يوم الاربعاء تاسع شعبان سنة احدى وتسعين وخمسمائة ورد عليه الشعراء من كل قطر يهنئونه فلم يمكن لكثرتهم أن ينشد كل انسان قصيدته بل كان يختص منها بالانشاد البيتين او الثلاثة المختارة فدخل أحد الشعراء فأنشده

ما أنت في امراء الناس كلهم * الا كصاحب هذا الدين في الرسل
أحييت بالسيف دين الهاشمي كما * أحياه جدك عبد المؤمن بن علي

فأمر له بألفي دينار ولم يصل أحدا غيره لكثرة الشعراء وأخذا بالمثل منع الجميع أرضى للجميع قال وانتهت رقاع القصائد وغيرها الى ان حالت بينه وبين من كان امامه لكثرتها انتهى * (رجع الى أخبار حفصة وأنشد لها أبو الخطاب في المطرب قولها

ثنائي على تلك الثنايا لانني * أقول على علم وأنطق عن خبر
وأنصفها لا كذب الله انني * رشفت بها ريقا أرق من الخمر

وتولع بها السيد أبو سعيد عبد المؤمن ملك غرناطة وتغير بسببها على أبي جعفر بن سعيد حتى أدى تغيره عليه ان قتله وطلب أبو جعفر منها الاجتماع فطلته قدر شهرين فكتب لها

مستمعين الى قاص كذاب أو مجتمعين حول مضروب اوو قوفا عند مصلوب ينعق بهم ويصاح بهم فلا يرتدعون لا ينكرون منكرا ولا يعرفون معروفا ولا يبالون ان يلحقوا البار بالفاجر والمؤمن بالكافر وقد بين ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله فيهم حيث يقول الناس اثنان عالم او متعلم وما عدا ذلك همج رعاع لا يعبأ الله بهم وكذلك ذكر عن علي وقد سئل عن العامة فقال همج رعاع اتباع كل ناعق لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجؤا الى ركن وثيق واجمع الناس في تسميتهم على انهم غوغاء وهم الذين اذا اجتمعوا غلبوا واذا تفرقوا لم يعرفوا ثم تدبر تفرقهم في احوالهم ومذاهبهم فانظر الى اجماع ملئهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قام يدعو الخلق الى الله اثنتين وعشرين سنة وهو ينزل عليه الوحي ويمليه على اصحابه فيكتبونه ويدونونه ويلتقطونه لفظة لفظة وكان معاوية في هذه المدة بحيث علم الله ثم كتب له صلى الله عليه وسلم قبل وفاته بشهور فاشادوا من ذكره ورفعوا من منزلته بأن جعلوه كاتبا للوحي وعظموه بهذه الكلمة واضافوه اليها وسلبوها عن غيره واسقطوا بذكر سواه واصل ذلك العادة والالف وما ولدوا عليه ومانشؤا فيه فالعوا وقت التحصيل والبلوغ يا

يامن اجانب ذكر اسمه وحبي علامه
ماان أرى الوعد يقضى * والعمر اخشى انصرامه
اليوم ارجوك لاان * يكون لى فى القيامه
لوقد بصرت بحالى * والليل أرخى ظلامه
أنوح شوقا ووجدا * اذ تستريح الحمامه
صب أطال هواه * على الحبيب غرامه
لمن يتيه عليه * ولا يرد سلامه
ان لم تنيلى أريحى * فاليأس يثنى زمامه

فاجابته

يامدعى فى هوى الحسن والغرام الامامه
أتى قريضك لكن * لم أرض منه نظامه
امدعى الحب يثنى * ياس الحبيب زمامه
ضللت كل ضلال * ولم تفدك الزعامه
مازلت تعجب مذ كنت فى السباق السلامه
حتى عثرت وأخللت بافتضاح الملامه
بالله فى كل وقت * يبدى السحاب انسجامه
والزهر فى كل حين * يشق عنه كمامه
لوكنت تعرف عذرى * كففت غرب الملامه

ووجهت هذه الابيات مع موصل ابياته بعد ما لعنته وسبته وقالت له لعن الله المرسل والمرسل فما فى جميعكما خير ولالى برؤيتكما حاجة وانصرف بغاية من الخزى ولما أطل على ابى جعفر وهو فى قلق لانتظاره قال له ماوراءك ياعصام قال ما يكون وراءمن وجهه خلف الى فاعلة تاركه اقرأ الابيات تعلم فلما قرأ الابيات قال للرسول ما أسخف عقلك واجهلك انها وعدتنى للقبة التى فى جنتى المعروفة بالكمامة سربنا فبادروا الى الكمامة فما كان الا قليلا واذا بها قد وصلت وأراد عتبها فانشدت

دعى عد الذنوب اذا التقينا * تعالى لانعد ولاتعدى

وجلسا على أحسن حالة واذا برفعة الكندى الشاعر لابى جعفر وفيها

اباجعفر يا ابن الكرام الاماجد * خلوت بمن تهواه رغما لحاسد
فهل لك فى خل قنوع مهذب * كتوم عليم باختفاء المراصد
يبيت اذا يخلو المحب بحبه * ممتع لذات بخمس ولائد

فقرأها على حفصة فقالت لعنه الله قد سمعنا بالوارش على الطعام والواغل على الشراب ولم نسمع اسما لمن يعلم باجتماع محبين فيروم الدخول عليهما فقال لها بالله سمه لنكتب له بذلك فقالت اسميه الحائل لانه يحول بينى وبينك ان وقعت عينى عليه فكتب له فى ظهر رقعته

يامن اذا ما أتانى * جعلته نصب عينى
تراك ترضى جلوسا * بين الحبيب وبينى

وسر بورود ه لاختياره اياه على أخيه وأوسعه حلما واحتمالا فقال له يا أبا يزيد كيف تركت علما فقال

الانهى بعد اذ أكرمتنى
فشديد عادة منتزعة
وقال آخر معاتبا لصاحبه
ولكن فطام النفس اثقل محملا
من الضهرة الصماحين ترومها
وقد قالت حكماء العرب العادة املك بالارب وقالت حكماء العجم العادة هى الطبيعة الثانية وقد صنف ابو عقال الكاتب كتابا فى اخلاق العوام يصف فيه اخلاقهم وشيمهم ومخاطباتهم وسماه بالملهى ولولا انى اكره التطويل والخروج عما قصدنا اليه فى هذا الكتاب من الايجاز لشرحت من نوادر العامة واخلاقها وظرائف افعالها عجائب ولذكرت مراتب الناس فى اخلاقهم وتصرفهم فى احوالهم (فلنرجع) الآن الى اخبار معاوية وسياسته وما اوسع الناس من اخلاقه وما افاض عليهم من بره وعطائه وشملهم من احسانه مما اجتذب به القلوب واستدعى به النفوس حتى آثروه على الاهل والقرابات من ذلك أنه وفد عليه عقيل بن ابى طالب منجعا وزائرا فرحب به معاوية

ان كان ذاك فماذا * تبغي سوى قرب حيني
والآن قد حصلت لي * بعد المطال بديني
فان أتيت فدفعا * منها بكلتا اليدين
اوليس تبغي وحاشا * لك ان ترى طير بين
وفي مبيتك بالخمس كل قبح وشين
فليس حقك الا الخلو بالقمرين

وكتب له تحت ذلك ما كان منها من الكلام وذيل ذلك بقوله

سمالك من اهواه حائل * ان كنت بعد العتب واصل
مع ان لونك مزعج * لو كنت تحبس بالسلاسل

فلما رجع اليه الرسول وجده قد وقع بطهورته نجاسة وصار هتكة فلما قرأ الابيات قال للرسول اعلمهما بحالي فرجع الرسول واخبرهما بذلك فكاد أن يغشى عليهما من الضحك وكتبا اليه ارتجالا كل واحد بيتا بيتا وابتدأ أبو جعفر فقال

قل للذي خلصنا * من الوقوع في الخرا
ارجع كما شاء الخرا * يا ابن الخرا الى ورا
وان تعد يوما الى * وصال ناسرف ترى
يا اسقط الناس وبا * انذلهم بلا مرا
هذا مدى الدهر تلا * قي لو أتيت في الكرا
يا لحية تشغف في السخر * وتشتنا العنبرا
لاقرب الله اجتماعا * عابك حتى تقبرا

ومن شعرها

سلام يفتح في زهره الكمام وينطق ورق الغصون
على نازح قد ثوى في الحشا * وان كان تحرم منه الجفون
فلا تحسبوا العبد ينساكم * فذلك والله مالا يكون

وقولها من أبيات

ولو لم يكن نجما لما كان ناظري * وقد غبت عنه مظلما بعد نوره
سلام على تلك المحاسن من شجج * تناءت بنعماه وطيب سروره

وقولها سلوا البارق الخفاق والليل ساكن * اظل بأحبابي يذكرني وهما
لعمري لقد اهدى لقلبي خفقه * وأمطرني مهل عارضه الجفنا

ونسب بعض اليها البيتين المشهورين

أغار عليك من عيني رقيبي * ومنك ومن زمانك والمكان
ولو اني خبأتك في عيوني * الى يوم القيامة ما كفاني

والله تعالى أعلم وكتبت الى أبي جعفر

رأست فما زال العداة بظلمهم * وعلمهم النامي يقولون لم رأس

لرددت عليك أبا يزيد جوابا
تألم منه ثم أحب معاوية
ان يقطع كلامه مخافة ان
يأتي بشئ يحفظه فوثب
عن مجلسه وأمر له ان ينزل
وحمل اليه مالا عظيما فلما
كان من غد جلس وارسل
اليه فاتاه فقال له يا ابا يزيد
كيف تركت علينا اخاك
قال تركته خيرا لنفسه منك
وانت خير لي منه فقال له
معاوية انت والله كما قال
الشاعر
واذا عددت نخار آل محرق
فالمجد منهم في بني عتاب
فعل المجد من بني هاشم
منوط فيك يا ابا يزيد ما تغيرك
الايام والليالي فقال عقيل
اصبر لحرب انت جانيها
لابد ان تصلى بحاميها
وانت والله يا ابن ابي سفيان
كما قال الآخر
واذا هوازن اقبلت بغفارها
يوما فخرتهم بآل مجاشع
بالحاملين على الموالي
عزمهم والضاربين
يوم القارع * ولكن انت
يا معاوية اذا افتخرت بنو
امية فيمن تفخر فقال معاوية
عزمت عليك ابا يزيد
لما امسكت فاني لم اجلس
لهذا وانما اردت ان اسألك
عن اصحاب علي فانك

ذو معرفة بهم فقال عقيل سل عما بدا لك فقال ميز لي اصحاب علي وابدأ بآل صوحان فانهم مخاريق الكلام وهل

وهل منكر أن ساد أهل زمانه * جموح الى العلياء ون عن الدنس

وقال ابن دحية حفصة من أشراف غرناطة رخيمة الشعر رقيقة النظم والنثر انتهى ومن قولها في السيد أبي سعيد ملك غرناطة تهنئه بيوم عيد وكتبت بذلك اليه

ياذا العلا وابن الخليفة والامام المرتضى
يهنيك عيد قد جرى * فيه بما تهوى القضا
وأتاك من تهواه في * قيد الانابة والرضا
ليعيد من لذاته * ماقد تصرم وانقضى

وذكر الملاحي في تاريخه انها سألتها امرأة من أعيان غرناطة أن تكتب لها شيأ بخطها فكتبت اليها

ياربة الحسن بل ياربة الكرم * غضي جفونك عما خطه قلمي
تصفحيه بلحظ الود منعطفة * لاتخفلي بردي الخط والكلم

واتفق ان بات أبو جعفر بن سعيد معها في بستان بحوز مؤمل على ما يبيت به الروض والنسيم من طيب النفحة ونضارة النعيم فلما حان الانفصال قال أبو جعفر وكان يهواها كما سبق

رعى الله ليلا لم يرح بمذمم * عشية وارانا بحوز مؤمل
وقد خفقت من نحو نجد أريحة * اذا نفحت هبت بريا القرنفل
وغرد قمري على الدوح واثنى * قضيب من الريحان من فوق جدول
يرى الروض مسرورا بما قد بداله * عناق وضم وارتشاف مقبل

وكتب بها اليها بعد الافتراق تحبيبه على عادتها في مثل ذلك فكتبت اليه بقولها

لعمرك ماسر الرياض بوصلنا * ولكنه ابدى لنا الغل والحسد
ولاصفق النهر ارتياحا لقربنا * ولاغرد القمري الا لما وجد
فلاتحسن الظن الذي أنت أهله * فما هو في كل المواطن بالرشد
فما خلت هذا الافق أبدى نجومه * لامرسوى كيما تكون لنا رصد

وقال ابن سعيد في الطالع السعيد كتبت حفصة الركونية الى بعض أصحابها

ازورك أم تزورفان قلبي * الى ما تشتهي أبدا يميل
فثغري مورد عذب زلال * وفرع ذؤابتي ظل ظليل
وقد أملت أن تظما وتضحى * اذا وافى اليك بي المقيل
فعجل بالجواب فما جميل * اباؤك عن بثينة يا جميل

قال التجاني تشبه أبيات حفصة هذه أبيات أنشدها ابن أبي الحسين في تاريخه لسلمى بنت القراطيسي من أهل بغداد وكانت مشهورة بالجمال وهي

عيون مها الصريم فداء عيني * وأجياد الظباء فداء جيدي
أزين بالعقود وان نحري * لازين للعقود من العقود
ولا أشكو من الاوصاب ثقلا * وتشكو قامتي ثقل النهود

وبلغت هذه الابيات المقتفي أمير المؤمنين فقال اسألوا هل تصدق صفتها قولها فقالوا

أقران يرتق فاقتق * ويفتق مارتق قليل النظير
وأما زيد وعبد الله فانهما نهران جاريان يصب فيهما الخلجان ويغاث بهما البلدان رجلا جد لا لعب معه وأما بنو صوحان فكما قال الشاعر

اذا نزل العدو فان عندي
اسودا تخلس الاسد النفوسا
فاتصل كلام عقيل بصعصعة فكتب اليه بسم الله الرحمن الرحيم ذكر الله اكبر به يستفتح المستفتحون وانتم مفاتيح الدنيا والآخرة اما بعد فقد بلغ مولاك كلامك لعدو الله وعدوه فحمدت الله على ذلك وسألته ان يفي بك الى الدرجة العليا والقضيب الاحمر والعمود الاسود فانه عمود من فارقه الدين الازهر ولئن نزعت بك نفسك الى معاوية طلبا لماله انك لذو علم بجميع خصاله فاحذر ان تعلق بك ناره فيضلك عن الحجة فان الله قد رفع عنكم اهل البيت ماوضعه في غيركم فما كان من فضل او احسان فبكم وصل الينا فأجل الله اقداركم وحمى اخطاركم وكثب آثاركم فان اقداركم مرضية

 واخطاركم محمية وآثاركم بدرية وانتم سلم الله الى خلقه ووسيلته الى طرقه ايد عليه ووجوه جليه

وتغرس الا فى منابتها النخل

(وحدث) ابو الهيثم عن ابى سفيان عمرو بن يزيد عن البراء بن يزيد عن محمد بن عبد الله بن الحرث الطائى ثم احد بنى عفان قال لما انصرف على من الجمل قال لاخذنه من بالباب من وجوه العرب قال محمد بن عمير بن عطارد التميمى والاحنف بن قيس وصعصعة ابن صوحان العبدى ورجال سماهم فقال ائذن لهم فدخلوا فسلموا بالخلافة فقال لهم انتم وجوه العرب عندى ورؤساء اصحابى فأشيروا على فى امر هذا الغلام المترف يعنى معاوية فافتتنت بهم المشورة عليه فقال صعصعة ان معاوية ترفه الهوى وحببت اليه الدنيا فهانت عليه مصارع الرجال وابتاع آخرته بدنياهم فان تحمل فيه برأى ترشد وتصب ان شاء الله والتوفيق بالله وبرسوله وبك يا امير المؤمنين الرأى ان ترسل اليه عينا من عيونك وثقة من ثقاتك بكتاب تدعوه الى بيعتك فان اجاب واناب كان له مالك وعليه ما عليك والا جاهدته وصبرت لقضاء الله حتى يأتيك اليقين فقال على لقد عزمت عليك يا صعصعة الا كتبت الكتاب بيدك وتوجهت به الى معاوية فطلب ما يكون أجزم منها فقال اسألوا عن عفافها فقالوا له هى أعف الناس فأرسل اليها مالا جزيلا وقال تستعين به على صيانة جمالها ورونق بهجتها انتهى *(رجع الى حفصة)

وقال أبو جعفر بن سعيد أقسم ما رأيت ولا سمعت بمثل حفصة ومن بعض ما أجعله دليلا على تصديق عزمى وبرقسمى أنى كنت يوما فى منزلى مع من يحب أن يخلى معه من الاجواد الكرام على راحة سمعت بهاغفلات الايام فلم نشعر الا بالباب يضرب فخرجت جارية تنظر من الضارب فوجدت امرأة فقالت لها ما تريدين فقالت ادفعى لسيدك هذه الرقعة فجاءت برقعة فيها

زائر قد أتى بجيد الغزال * مطلع تحت جنحه للهلال
بلحاظ من سحر بابل صيغت * ورضاب يفوق بنت الدوالى
يفضح الورد ما حوى منه خدّ * وكذا الثغر فاضح للاّلى
ما ترى فى دخوله بعد اذن * أو تراه لعارض فى انفصال

قال فعلمت أنها حفصة وقت مبادرة الباب وقابلتها بما يقابل به من يشفع له حسنه وآدابه والغرام به وتفضله بالزيارة دون طلب فى وقت الرغبة فى الانس به انتهى قلت واذ قد جرى ذكر أبى جعفر بن سعيد سابق الخابية فلنلم ببعض أحواله فنقول هو أبو جعفر أحمد بن عبد الملك بن سعيد العنسى قال قريبه أبو الحسن على بن موسى بن سعيد فى المغرب سمعت أبى يقول لا أعلم فى بنى سعيد أشعر منه بل لا أعلم فى بلده وعشق حفصة شاعرة الاندلس وكانا يتجاوبان تجاوب الحمام ولما استبد والده بأمر القلعة حين ثار أهل الاندلس بسبب صولة بنى عبد المؤمن على الملثمين اتخذه وزيرا واستنابه فى أموره فلم يصبر على ذلك واستعفى فلم يعفه وقال أفى مثل هذا الوقت الشديد تركن الى الراحة فكتب اليه

مولاى فى أى وقت * أنال فى العيش راحه
ان لم أنلها وعمرى * ما ان أنار صباحه
وللملاح عيون * تميل نحو الملاحه
وكاس راحى ما ان * تميل منى راحه
والحظ عنى أعمى * لم يقترب لى ساحه
وأنت دونى سور * من العلا والرجاحه
فأعفنى وأقلنى * مما رأيت صلاحه
ما فى الوزارة حظ * لمن يريد ارتياحه
كل وقال وقيل * مما يطيل نباحه
أنسى أتى مستغيثا * فاترك فديت سراحه

فلما قرأ الابيات قال لا ينفع الله بما لا يكون مركبا فى الطبع مائلة له النفس ثم وقع على ظهر ورقته قد تركنا سراح أنسك والحقنا يومك بامسك ولما رجع ثوار الاندلس الى عبد المؤمن وبايعه عبد الملك بن سعيد فغمره احسانا وبرا وولى السيد أبو سعيد بن عبد المؤمن غرناطة طلب كاتبا من أهلها فوصف له فضل أبى جعفر وحسبه وأدبه فاستكتبه

فطلب أن يعفيه فابى الى أن شرب أبو جعفر يوما مع بعض خواصه وخرج ثانى يوم الى الصيد وكان اليوم ذا غيم وبرد فلما اشتد البرد مالوا الى خيمة ناطور وجعلوا يصطلون ويشربون على ما اصطادوا فحمل أبا جعفر بقية السكر على أن قال يصف يومه ويستطرد بما فى نفسه

ويوم تجلى الافق فيه بعنبر * من الغيم لذنا فيه باللهو والقنص
وقد بقيت فينا من الامس فضلة * من السكر تغرينا بمنتهب الفرص
ركبنا له صهبا وليلا وبعضنا * اصيلا وكل ان شدا الجهل رقص
وشهب براة قد رجمنا بشهبها * طيورا يساغ اللهو ان شكت الغصص
وعن شفق تغزى الصباح او الدجا * اذا اونقت ما قد تحرك او قص
وملنا وقد نلنا من الصيد سؤلنا * على قنص اللذات والبرد قد قرص
بخيمة ناطور توسط عذبها * جحيم به من كان عذب قد خلص
أدرنا عليه مثله ذهبية * دعته الى الكبرى فلم يجب الرخص
فقل لحريص ان يرانى مقيدا * بخدمته لا يجعل الباز فى القفص
وما كنت الا طوع نفسى فهل ارى * مطيعا لمن عن شأو فخرى قد نقص

فكان من اصحابه من حفظ هذين البيتين ووشى بهما للسيد فعزله اسوأ عزل ثم بلغه بعد ذلك انه قال لحفصة الشاعرة ما تحبين فى ذلك الاسود وأنا أقدر أن اشترى لك من سوق العبيد عشرة خيرا منه وكان لونه مائلا الى السواد فاسرها فى نفسه الى ان فر عبد الرحمن بن عبد الملك ابن سعيد الى ملك شرق الاندلس محمد بن مردنيش فوجد له بذلك سببا فقتله صبرا بالقبة وكان عبد الملك بن سعيد يذكر ابنه ابا جعفر لعبد المؤمن وينشده من شعره رغبة فى تشريفه بالحضور بين يديه وانشاده فى مجلسه فأمره بحضوره فعند ما دخل عليه قبل يده وانشد قصيدة منها قوله

عليك احالى داعى النجاح * ونحوك حثنى حادى الفلاح
وكنت كساهر ليلا طويلا * ترنح حين بشر بالصباح
وذى جهل تغلغل فى قفار * شكا ظمأ فدل على القراح
دعانا نحو جهلك طيب ذكر * ويذكر للرياض شذا الرياح

وله فى غلام اسود ساق ارتجالا

ادار علينا الكاس ظبى مهفهف * غدا نشره واللون للعنبر الشحرى
وزاد لنا حسنا بزهر كؤسه * وحسن ظلام الليل بالانجم الزهر

وقوله فيه وقد لبس ابيض

وغصن من الآبنوس ارتدى * بعاج كليل علاه فلق
يحاكى لنا الكاس فى كفه * صباح بجنح علاه شفق

وقوله مما كتب به الى اخيه محمد وقد ورد منه كتاب بانعام

وافى كتابك ينبى * عن سابغ الانعام
فقلصت در ودر * من زاخر وغمام

فاتحة الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله على امير المؤمنين الى معاوية سلام عليك أما بعد ثم اكتب ما أشرت به على واجعل عنوان الكتاب ألا الى الله تصير الامور قال اعفنى من ذلك قال عزمت عليك لتفعلن قال أفعل فخرج بالكتاب وتجهز وسار حتى ورد دمشق فأتى باب معاوية فقال لآذنه استأذن لرسول أمير المؤمنين على ابن أبى طالب وبالباب أردفة من بنى أمية فأخذته الايدى والنعال لقوله وهو يقول أتقتلون رجلا ان يقول ربى الله وكثرت الجلبة واللغط فاتصل ذلك بمعاوية فوجه بمن يكشف الناس عنه فكشفه واثم أذن لهم فدخلوا فقال لهم من هذا الرجل قالوا رجل من العرب يقال له صعصعة بن صوحان معه كتاب من على فقال والله لقد بلغنى أمره هذا أحد سهام على وخطباء العرب ولقد كنت الى لقائه شيقا ائذن له يا غلام فدخل عليه فقال السلام عليك يا ابن أبى سفيان هذا كتاب أمير المؤمنين فقال معاوية أما انه لو كانت الرسل تقتل فى جاهلية أو اسلام لقتلتك ثم اعترضه معاوية فى الكلام وأراد ان يستخرجه ليعرف

وقوله يذم حماما

يارب حمام لعنا بنا * أبدى الينا كل حمام
أفق له قطر حميم كما * أصمت سهام من يدى رامى
يخرق مصبا للدخان الذى * لاح كغيم العارض الهامى
وقيم يجذبنى جذبة * وتارة يكسرا بهامى
و يجمع الاوساخ من لؤمه * فى عضدى قصد الاعلامى
وازدحم الاقذال فيه وقد * ضجوا ضجيجا دون افهام
و جملة الامر دخلنا بنى * سام وعدنا كبنى حام

وله فى ضد ذلك والنصف الاخير لابن بقى

لا أنس ما عشت حماما ظفرت به * وكان عندى أحلى من جنى الظفر
نعمت جسمى فى ضدين مغتنما * تنعم الغصن بين الشمس والمطر

وقال له السيد أبو سعيد بن عبد المؤمن صاحب غرناطة ما أنت الا حسن الفراسة وافر العقل فقال

نسبتم لمن هذبتموه فراسة * وعقلا ولولاكم للازمه الجهل
وما هو أهل للثناء وانما * علاكم لتقليد الاياد له أهل
وما أنا الا منكم واليكم * ومافى من خير فأنتم له أصل

وقال ولما رأيت السعد فى صفح وجهه * منيرا دعانى ما رأيت الى الشكر
وأقبل يدى لى غرائب نطقه * وما كنت أدرى قبله منزع السحر
فأصغيت اصغاء الحديب الى الحيا * وكان ثنائى كالرياض على القطر

وله لا تكثرن عتابى * ان طال عنك فراقى
فما يضر بعاد * يطول والود باقى

وله ما خدمنا كم لأن تشفعوا فينا بدار الجزاء يوم الحساب
ذاك يوم أنا وأنت سواء * فيه كل يخاف سوء العقاب
انما الشان الذى فى هذه الدنيا بسلطانكم عن الاصحاب
واذا ما خذلتموهم بشكوى * وبخلتم عنهم برد الجواب
فاعذروهم ان يطلبوا من سواكم * نصرة وارفعوا حال العتاب
واذا أرض مجدب لفظته * فله العذر فى اتباع السحاب

وله وقد تقدم أمامه فى ليلة مظلمة أحد أصحابه فطفئ السراج فى يده فقال لوقته

لى من جبينك هادى * فى الليل نحو مرادى
فما أريد سراجا * يدلنى لرشادى
أنى وكفك شهب * يبدو بها ذا تقادى

وله فى قوادة

قوادة تفخر بالعار * أقود من ليل على سار

قريحته أطبعا أم تكلفا
لقى افترس واذا انصرف
احترس قال فمن أى أولاده
أنت قال من ربيعة قال
وما كان ربيعة قال كان
يطيل النجاد و يعول
العباد و يضرب بيقاع
الارض العماد قال فمن
أى اولاده أنت قال من
جديلة قال وما كان جديلة
قال كان فى الحرب سيفا
قاطعا وفى المكرمات غيثا
نافعا وفى اللقاء لهبا ساطعا
قال فمن أى أولاده انت
قال من عبد القيس قال
وما كان عبد القيس قال
كان حضريا خصيبا أبيض
وهابا الضيفه ما يجد ولا
يسأل عما فقد كثير المرق
طيب العرق يقوم للناس
مقام الغيث من السماء
قال ويحك يا ابن صوحان
فما تركت لهذا الحى من
قريش مجدا ولا فخرا قال
بلى والله يا ابن أبى سفيان
تركت لهم ما لا يصلح الا
بهم ولهم تركت الابيض
والاحمر والاصفر والاشقر
والسرير والمنبر والملك الى
المحشر وأنى لا يكون ذلك
كذلك وهم منار الله فى
الارض ونجومه فى السماء
ففرح معاوية وظن أن
كلامه يشتمل على قريش
كلها فقال صدقت يا ابن
صوحان ان ذلك لكذلك فعرف صعصعة ما أراد فقال ليس لك ولا لقومك فى ذلك اصدار ولا ايراد ولا

بعدتم عن أنف المرعى وعلوتم من عذب الماء قال فلم ذلك ويلك يا ابن صوحان قال الويل لاهل النار ذلك لبني هاشم قال قم فأخرجوه فقال يصعصعة الصدق ينبئ عنك لا الوعيد من أراد المشاجرة قبل المحاورة فقال معاوية لشئ ماسوده قومه وددت والله أني من صلبه ثم التفت الى بني أمية فقال هكذا فلتكن الرجال (وحدث) منصور ابن وحشي عن أبي الغماض عبد الله بن محمد الهاشمي عن الوليد بن البختري العبسي عن الحرث بن مسمار البهراني قال حبس معاوية صعصعة بن صوحان العبدي وعبد الله ابن الكوّاء اليشكري ورجالا من أصحاب علي مع رجال من قريش فدخل عليهم معاوية يوما فقال نشدتكم بالله الا ما قلتم حقا وصدقا أي الخلفاء رأيتموني فقال ابن الكوّاء لولا انك عزمت علينا ما قلنا لانك جبار عنيد لا تراقب الله في قتل الاخيار ولكنا نقول انك ما علمنا واسع الدنيا ضيق الآخرة قريب الثرى بعيد المرعى تجعل الظلمات نورا والنور ظلمات فقال معاوية ان الله أكرم هذا الامر بأهل الشام الذابين عن بيضته النازكين لحارمه ولم يكونوا كمثال أهل العراق المنتهكين لمحارم الله والمحلين ما حرم الله

ولاجة في كل دار وما * يدري بها من حذقها داري
طريفة مقبولة الملتقى * خفيفة الوطء على الجار
تحافها لا ينطوي دائما * أقلق من رابة بيكار
قد بيت مذ عرفت نفعها * ما بين فتاك وشطار
جاهلة حيث ثوى مسجد * عارفة حانة خمار
بسامة مكثرة برها * ذات فكاهات وأخبار
علم الرياضات حوته وسا * سته بتقويم واسحار
مبتاعة للنعل من كيسها * موسرة في حال اعسار
تكاد من لطف أحاديثها * تجمع بين الماء والنار

وما سمعنا في هذا الباب أحسن من هذا والبيت السائر

تقود من السياسة ألف بغل * اذا حرنت بخيط العنكبوت

وشرب ليلة مع أصحاب له وفيهم وسيم فأعرض بجانبه وقطب فتكدر المجلس فقال أبو جعفر

يا من نأى عنا الى جانب * صدا كميل الشمس عند الغروب
لا تزوعنا وجهك المجتلى * فالشمس لا يعهد منها قطوب
ان دام هذا الحال ما بيننا * فاننا عما قليل قلوب
ما نشتكي الدهر ولا خطبه * لولاك ما دارت علينا خطوب

وله أيا الأمي في حمل صحبة جاهل * قطوب الحيا سيئ اللحظ والسمع
لمنفعة ترجى لديه صحبته * وان كان ذا طبع يخالفه طبعي

كما احتمل الانسان شرب مرارة الدواء لما يرجو لديه من النفع

وله وقد أحسن ما شاء

تركتكم لا كارها في جنابكم * ولكن أبى ردى الى بابكم دهري
وطاحت بي الاطماع في كل وجهة * تنقلني من كل سهل الى وعر
وما باختياري فارق الخلد آدم * وما عن مراد لاذ أيوب بالصبر
ولكنها الايام ليست مقيمة * على ما اشتهاه مشته أمد العمر
وانك ان فكرت فيما أتيته * تيقنت أن الترك لم يك عن غدر
ولكن لجاج في النفوس اذا انقضى * رجعت كما قد عاد طير الى وكر
واني لمنسوب اليكم وان نأت * بي الدار عنكم والغدير الى القطر
واني لمثن بالذي نلت منكم * مقيم على ما تعلمون من البر
وان ختمكم يوما فحاني المنى * وساء لديكم بعد احماده ذكري
على أنني أقررت أني مذنب * وذو المجد من يغني المقر عن العذر

وله يصف نارا

نظرت الى نار تصول على الدجا * اذا ما حسبناها تدانت تبعد
ترفعها أيدي الرياح وتارة * تخفضها مثل المكبر يسجد

والمحرمين ما أحل الله فقال عبد الله بن الكواء يا ابن أبي سفيان ان لكل كلام جوابا ونحن نخاف جبروتك فان كنت تطلق ألسنتنا ذبنا عن أهل العراق بألسنة حداد لا يأخذها في الله لومة لائم والا فانا صابرون حتى يحكم الله ويضعنا على فرجه قال والله لا يطلق لك لسان ثم تكلم صعصعة فقال تكلمت يا ابن أبي سفيان فابلغت ولم تقصر عما أردت وليس الامر على ما ذكرت أني يكون الخليفة من ملك الناس قهرا ودانهم كبرا واستولى بأسباب الباطل كذبا ومكرا أما والله مالك في يوم بدر مضرب ولا رمى وما كنت فيه الا كما قال القائل (لا حلى ولا سيرى) ولقد كنت أنت وأبوك في العير والنفير من أحلب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما أنت طليق ابن طليق أطلقكما رسول الله صلى الله عليه وسلم فاني تصلح الخلافة لطليق فقال معاوية لولا أني أرجع الى قول أبي طالب حيث يقول

قابلت جهلهم حلما ومغفرة ... والعفو عن قدرة ضرب من الكرم

لقتلتكم (وحدث) أبو جعفر محمد بن حبيب قال أخبرنا أبو الهيثم يزيد بن رجاء الغنوي قال أخبرنا الوليد بن الخيري عن أبيه عن أبي مزروع الكلبي قال دخل صعصعة ابن صوحان على معاوية فقال

والا فمن لا يملك الصبر قلبه ... يقوم به غيظ هناك ويقعد
لما السن تشكو بها ما أصابها ... وقد جعلت من شدة القر ترعد

وله على لسان انسان أخلقت بردته

مولاي هذي بردتي أخلقت ... وليس شيء دونها أملك
وصرت من باس ومن فاقة ... أبكي اذا أبصرتها تضحك

وله يستدعي أحد أبناء الرؤساء الى يوم اجتماع

تدار كنا فانا في سرور ... وما بسواك يكتمل السرور
أهلة أنسنا بك في تمام ... أليس تتم بالشمس البدور

وله وقد خطر على منزله من له اليه ميل وقال لولا أخاف الثقيل لدخلت وانصرف فلما علم أبو جعفر كتب اليه

مولاي لم تقصد تعذيب من ... يهوى وما قصدك مجهول
طلبت تخفيفا ببعدي فما ... تخفيف من تهواه تثقيل
غيرك ان زارني ضجرة ... ولج منه القال والقيل
وأنت ان زرت حياة وما ... العيش اذا ما طال مملول

وله وقد جلس الى جانبه رجل تكلم فأنبأ عن علو قدر فسأله عن بلده فقال اشبيلية ففكر ثم قال

يا سيدا لم أكن من قبل أعرفه ... حتى تكلم مثل الروض بالعبق
وزادني أن غدا في حص منشؤه ... لقد نشا كل بين البدر والافق

وله وقد حضر مجلسا مع اخوان له في انبساط ومزاح فدخل عليهم أحد ظرفاء الغرب بوجه طلق وبشاشة فاهتز لما سمع بينهم وجعل يصل ما يحتاج من مزاحهم الى صلة بأحسن منزع وأنبل مقصد فأنشده أبو جعفر ارتجالا

يا سيدا قد ضمه مجلس ... حل به للمزح اخوان
لم يلق من فجأته خجلة ... ولا ثناه عنه كتمان
كأنه من جمعنا واحد ... لم ينب منا عنه انسان
ولم نكن ندريه لكن بدا ... في وجهه للظرف عنوان

وله وقد لقي أحد اخوانه وكان قد أطال الغيبة عنه فدار بينهما ما أوجب ان قال

ان لحت لم تلمع سواك الاعين ... أو غبت لم تذكر سواك الالسن
أنت الذي ما ان يمل حضوره ... ومغيبه السلوان عنه يؤمن

وله وهو من آياته

اني لاحمد طيفها وألومها ... والفرق بينهما الدى كبير
هي ان بدت لي شيبة في جفوة ... والطيف في حين المشيب يزور
واذا توالى صدها أو بينها ... واني على أن المزار عسير

وله وقد سار بعض الاراذل بماله فنكب في سفره وعاد فقيرا بأسوأ احواله

اغدو لا يغنى عنك القيل والقال * فالجود مبتسم والفضل يختال
قالوا فلان رماه الله فى سفر * رآه رأيا بما حالت به الحال
فاب منه سليبا مثل مولده * عليه ذل وتفجيع واقلال
فقلت لا خفف الرحمن عنه فلم * يكن لديه على القصاد اقبال
فقل له دام فى ذل ومسغبة * ولا أعيدت له فى المال آمال
قد كان حقك حسن المال يستره * فاليوم أصبحت لا عقل ولا مال

وله وقد سافر أحد الرؤساء من أصحابه

أيا غائبا لم يغب ذكره * ولا حال عن وده حائل
لئن مال دهرى بى عنكم * فقلبى نحوكم ماثل
فانى شاهدت منكم علا * من العز قس بها ماثل
لئن طال بى البعد عن لحظكم * فما فى حياتى اذن طائل

وله وهو من حسناته

شقت جيوب فرحا عندما * آبت وفى البعد تشق القلوب
فقلت هذا موقف ما يشق الـ * ـجيب فيه غير صب طروب
فابتسمت زهوا وقالت كذا * الافق لعود الشمس شق الجيوب

وله وقد اجمع رأيه على أن يفد على أمير المؤمنين عبد المؤمن فأخذ فى ذلك مع أصحاب له فجعلوا يثنونه عن ذلك وظهر عليهم الحسد له فقال

سر نحو ما تختار لا تسمع * ما قاله زيد ولا عمرو
كلهم يحسد ما رمته * مهما يا عدر أيك الدهر
عجبت من رام صدر العلا * يروم أن يصفو له دهر

فقالوا له اتهمتنا فى الود فقال لو لم أتهمكم كنت أتهم عقلى والعياذ بالله تعالى من ذلك وكيف لا أتهمكم وقد غدوتم تثنونى عن زيارة خليفة لوالدى عنده مكان وله علينا احسان ولى شافع عنده مقرب لمجلسه عقلى ولسانى ولكى أنا المخطئ الذى عدلت عن العمل بقول القائل

ولم يستشر فى أمره غير نفسه * ولم يرض الا قائم النفس صاحبا

وله فى شعاع الشمس والقمر على النهر

ألا حبذا نهر اذا ما لحظته * أبى أن يرد اللحظ عن حسنه الانس
ترى القمرين الدهر قد عنيا به * يفضضه بدر وتذهبه شمس

وله فى والده وقد شن عليه درعا

أيا قائد الابطال فى كل وجهة * تطير قلوب الاسد فيها من الذعر
لقد قلت لما أن رأيتك دارعا * أيا حسن ما لاح الحباب على البحر
وأنشدت والابطال حولك هالة * أيا حسن ما دار النجوم على البدر

وقوله وقد بلغه أن حاسدا شكره

متى سمعت ثناء * عمن غدا لك حاسد

قال البصرة واسطة العرب ومنتهى الشرف والسودد وهم أهل الخطط فى أول الدهر وآخره وقد دارت بهم سروات العرب كدوران الرحا على قطبها قال فاخبرنى عن اهل الكوفة قال قبة الاسلام وذروة الكلام ومصان ذوى الاعلام الا ان بها اجلافا تمنع ذوى الامر الطاعة وتحرجهم عن الجماعة وتلك اخلاق ذوى الهيئة والقناعة قال فاخبرنى عن اهل الحجاز قال اسرع الناس الى فتنة واضعفهم عنها واقلهم عناء فيها غبراء لهم ثباتا فى الدين وتمسكا بعروة اليقين يتبعون الائمة الابرار ويخلعون الفسقة الفجار فقال معاوية من البررة والفسقة فقال يا ابن أبى سفيان ترك الخداع من كشف القناع على وأصحابه من الائمة الابرار وأنت وأصحابك من أولئك ثم أحب معاوية أن يمضى صعصعة فى كلامه بعد ان بان فيه الغضب فقال أخبرنى عن القبة الحمراء فى ديار مضر قال أسد مضر بلاء بين غيلين اذا ارسلتها افترست واذا تركتها احترست فقال معاوية

وايالك والحمل على قوم لقوم

هنالك يا ابن صوحان العز الراسى فهل فى قومك مثل هذا قال هذا لاهله دونك يا ابن ابى سفيان

فكان منك انخداع * به فرأيك فاسد
بصدره منك نار * لهيبها غير خامد
وغله لك مازد * ت في السعادة زائد
واغاذاك منه * كالحب في فخ صائد

وله أبصره من يلوم فيه * فقال ذا في الجمال فائق
أما ترى ما دهيت منه * كان عذولا فصار عاشق

وله في أبيه وقد سجنه عبد المؤمن

مولاي ان يحبسك خير خليفة * فبذاك فخرك واعتلاء الشان
فالجفن يحبس نوره من غبطة * والمرهفات تصان في الاجفان
فابشر فتنزع الدرمن أصدافه * يعليه للاسلاك والتيجان
واثن غدا من ظل دونك مطلقا * ان القذى ملقى عن الاجفان
والعين تحبس دائما أجفانها * وهداية الانسان بالانسان
والطرس يختم ماحواه نفاسة * ويهان ما يبدو من العنوان
فاهنأ به لكن مليا مكثه * سجنا لغير مذلة وهوان
فلتعلون رغم الاعادي بعده * بذرى الخلافة في ذرى كيوان

مولاي غيرك يعزى بما لم يزل يجرى على الكرام ويذكر تأنيساله في الوحشة بما يطرأ من الكسوف والخسوف على الشمس المنيرة والبدر التمام

وأنت تعلم الناس التعزى * وخوض الموت في الحرب السجال

وقد كان مولاي أنشدني لعلي بن الجهم قائلا ان أحدا لم يسل نفسه عما ناله من السجن بمثله

قالوا سجنت فقلت ليس بضائري * سجني وأي مهند لا يغمد

الابيات ماذا نفيدك من العلم وصدرك ينبوعه وبخاطرك لا يزال غروبه وطلوعه وانما هي عادة تبعناها أدبا وقضينا بها في النفس من الاعلام بالتوجع والتفجع أربا ولعل الله تعالى يتبع هذه التسلية بتهنئه ويعقب بالنعمة هذه المرزئه قال فامر الملك بتسريحه اثر ذلك فلما اجتمع وجهه بوجهه جعل يحمد الله تعالى جهرا ويغرد بهذه الابيات وكان سراحه بكرة

طلعت علينا كالغزالة بالضحى * وعزك طماح ووجهك مشرق
فغفر الذنب الذهر أجمع انه * أتى اليوم من حسناه ما هو أليق
فلح في سماء العز بالسعد طالعا * وقدرك سام أفقه ليس يلحق
فقد سرحت لما غدوت مسرحا * قلوب وأفكار وسمع ومنطق

فاهتز أبوه من شدة الطرب وقال له والله انك لتملأ الدنيا الى عقد الكرب وله يعتذر وقد دعي الى مجلس أنس سيدي ساعدك سولك لما وصل الى أخيك المعتضد بك رسولك قابله بما يجب من القبول وأبدى له من الشغل ما منع من الوصول

ومن ذا الذي يدعى لعدن فلا يرى * على الرأس اجلالا اليها يبادر

من أحب قوما حشر معهم قال والله ما أنا عنهم براض ولكني أقول فيهم وعليهم هم والله أعلام الميل واذناب في الدين والميل ان تغلب رايتها اذا رشحت خوارج الدين برازخ اليقين من نصروه فلج ومن خذلوه زيغ قال فاخبرني عن مضر قال كنانة العرب ومعدن العز والحسب يقذف البحر بها أذيه والبر رديه ثم أمسك معاوية فقال له صعصعة سل يا معاوية والا أخبرتك بما تحيد عنه قال وماذاك يا ابن صوحان قال اهل الشام قال فاخبرني عنهم قال اطوع الناس لمخلوق واعصاهم للخالق عصاة الجبار وخلفة الاشرار فعليهم الدمار ولهم سوء الدار فقال معاوية والله يا ابن صوحان انك لحامل مدية منذ ازمان الا ان حلم ابن أبي سفيان يرد عنك فقال صعصعة بل امر الله وقدرته ان امر الله كان قدرا مقدورا

(حدث) ابو الهيثم قال حدثني ابو البشر محمد بن بشر الغزاري عن ابراهيم بن عقيل البصري قال قال معاوية يوما وعنده صعصعة وكان قدم عليه بكتاب على وعنده وجوه الناس الارض لله وانا خليفة الله فما آخذ من مال الله فهو لي وما تركت منه كان جائزا لي فقال صعصعة ولكن

ولكن الاضطرار لا يكون معه اختيار وانى لأشوق الناس الى مشاهدة تلك المكارم وأحبهم فى محاضرة تلك الآداب المترادفة ترادف العمائم ولكن شغلنى عارض قاطع وبرغمى أنى لدعوتك عاص وله طائع وانى بعد ذلك لحامل على تلك السجية الكريمة فى الغفران مستجيرا بالخلاص الذى أعهد من خرق فلان ومكر فلان فانى متى غبت لا أعدم مترصدا قرحة يقع عليها ذبابه ومستجمعا اذا أبصر فرصة سل عليها ذبابه

ولكننى أدرى بانى نازح * ودان سواء عند من يحفظ العهدا

وانى لاقول وقد غبت عن تلك الحضرة العليه وجانبت ذلك الجناب السامى والمثابة السنيه

لئن غبت عن نوره نورناظرى * فحسبى لديه أن أغيب عقابا

وسوف أوافيه مقرا بزلتى * وفى حلمه أن لا يطيل حسابا

وله فى قصر النهار ولو لم يكن له غيره لكفاه

لله يوم مسرة * أضواو أقصر من ذباله

لما نصبنا للمنى * فيه باوتار حباله

طار النهار به كمر * تاع وأجفلت الغزاله

وهذا المعنى لم يسبق اليه ولم يقدر أحد أن ينزعه من يديه * ولما وصل صحبة والده الى اشبيلية افتتن بواديها واعتكف على الخلاعة فيها مصعدا ومنحدرا بين بساتينه ومنازهه فرليلة بطريانة فمال نحو منزه فيه طرب سمعه فاستوقفه هنالك وهو فى الزورق متكىء وأصحابه وأصحاب ابيه مظهرون انحطاطهم عنه فى المرتبة فأخرج رأسه أحد الانذال المعتادين بالنادر من شرجب والشرجب هو الدرابزين من خشب فيه طاقات وطريانة مقابلة اشبيلية وبها المنازه والابنية الحسنة فضرط له ذلك النذل بغاية ما قدر فرفع رأسه وقد أخذ منه السكر ولم يعتد مثل ذلك فى بلده وقال يا سفلة أتقدم على بهذا قبل معرفتى فثنى عليه واحدة أخرى ثم رفع ثوبه عن ذكره وهو منعظ وقال يا وزير اجعل هذا عندك وديعة حتى أعرف من تكون ثم رفع ما على استه من ثيابه وقال واعمل من هذا غلافا للعيتك فاذا عرفناك ذهبناه لك فغلبه الضحك على الخرج وجعل أصحابه يقولون له ما سمعت ان من دخل هذا الوادى يعول على هذا وامثاله فمال عن ذلك المنزه قليلا واطرق ساعة وقال

نهر حص لا عدمنا * لك فما مثلك نهر

فيك يلتذ ارتياح * ابد الدهر وسكر

كل عمر قد حلا منـ * ـك فذاك العمر عمر

خصه الله بمعنى * فيه للالباب سر

يلعن الانسان فيه * وهو يصفى و يسر

ثم سأل بعد ذلك عن رب المنزه فسمى له واعلم ان ابن سيد الشاعر المشهور باللص كان حاضرا وانه املى على السفلة ما قال وصنع فكتب له ابو جعفر

يا سمى وان افادا شتراك * غير ما يرتضيه فضل وود

أكذا يزدرى الخليل بأفق * أنت فيه ولم يكن منك رد

الكلام قال العلم بالتعلم ومن لا يعلم يجهل قال معاوية ما احوجك الى ان اذيقك وبال امرك قال ليس ذلك بيدك ذلك بيد الذى لا يؤخر نفسا اذا جاء اجلها قال ومن يحول بينى وبينك قال الذى يحول بين المرء وقلبه قال معاوية اتسع بطنك للكلام كما اتسع بطن العير للشعير قال اتسع بطن من لا يشبع ودعا عليه من لا يجمع (قال المسعودى) ولصعصعة ابن صوحان اخبار حسان وكلام فى نهاية البلاغة والفصاحة والايضاح عن المعانى على ايجاز واختصار (ومن ذلك) خبره مع عبد الله بن العباس وهو ما حدث به المدائنى عن زيد ابن طليح الذهلى الشيبانى قال اخبرنى ابى عن مصقلة ابن هبيرة الشيبانى قال سمعت صعصعة بن صوحان وقد ساله ابن عباس ما السودد فيكم فقال اطعام الطعام ولين الكلام وبذل النوال وكف المرء نفسه عن السؤال والتودد للصغير والكبير وان يكون الناس عندك شرعا قال فما المروءة قال اخوان اجتمعا فان لقيا قهرا وان كان حارسهما قليل وصاحبهما

٥٦ ط بى جليل تحاجان الى صيانة مع نزاهة وديانة قال فهل تحفظ فى ذلك شعرا قال نعم اما سمعت قول مرة بن ذهل

لا أرى من سلطت وغدا ولكن * ليس يخفى عليك من هو وغد

فلما وقف على هذه الابيات كتب له مولاى وسيدى وأجل ذخرى للزمان وعضدى الذى أفخر بمشاركة اسمه وتنيه هذه الصناعة بذكره ورسمه

وخير الشعر أشرفه رجالا * وشر الشعر ما قال العبيد

سلام كنسيم على ذلك المقام الكريم ورحمة الله تعالى وبركاته وان كان مولاى لم يفا تحنى بالسلام ولا رآنى أهلا لمقاومة الكرام لكن حط قدرى عنده مانسب لى من الذنب المختلق ولا والله ما نطقت بلسان ولا كنت ممن رمق بل الذى زور راسيدى فى هذه الوشاية كان المعين عليها والملم اليها فبادر اليكم قبل أن أسبقه فاتسم باسقط خطتين النذالة الاولى والوشاية الاخرى ولولا أن المجالس بالامانات وأن الخلاعة بساط يطوى على ما كان فيه لكنت أسبق منه لكنى يأبى ذلك خلقى وما تادبت به ومع ذلك فانى أقول

فان كنت ذا ذنب فقد جئت تائبا * ومثلك غفار ومثلك قابل

ولولا ما أخشى من التثقيل وما أتوقع من الخجل اذا التقى الوجهان لاتيت حتى بلغت فى الاعتذار بالمشافهة ما لا يسع القرطاس لكننى متكل على حلم سيدى واغضائه متوسل فى الغفران اليه بعلائه وكتب تحت ذلك شعرا طويلا منه

ولا غرو أن تعفو وأنت ابن من غدا * تعود عفوا عن كبار الجرائم
لكم آل عمار بيوت رفيعة * تشيد من كسب الثنا بدعائم
اذا نحن أذنبنا رجونا ثوابكم * ولم نقتنع بالعفو دون المكارم
وانك فرع من أصول كريمة * ولا تلد الازهار غير الكمائم
وانى مظلوم لز ورسمعتـــه * وقد جئت أرجو العفو فى زى ظالم

فأجابه أبو جعفر بما نصه سيدى الذى أكبر قدره وأجل ذكره وأجزل شكره وصل جوابك الذى لو كان لك من الذنب ما تحمله ابن ملجم لاضربت لك عنه صفحا ونسيت بما تأخر ما تقدم ومعاذ الله أن أنسب لفضلك عيبا فأذم لك حضورا أو غيبا وانما قصدت بالمعاتبة ما تحتها من المطارحة والمداعبة على أن سيدى لو تيقنت أنه ظالم لانشدت

منذ غدا طرفك لى ظالما * آليت لا أدعو على ظالم

لكننى أتيقن خلاف ذلك وأعلم حتى كأنى حاضر ما كان هنالك وقد أطلت عليك وبعد هذا فلتعتمد على ان تصل الى أو أصل اليك فهذا يوم كما قال البستى

يوم له فضـــل على الايام * مزج السحاب ضياءه بظلام
فالبرق يخفق مثل قلب هائم * والغيم يبكى مثل جفن هام
فاختر لنفسك أربعا هن المنى * وبهن تصفو لذة الايام
وجه الحبيب ومنزلا مستشرفا * ومغنيا غردا وكاس مدام

وقد حضرت عند محبك الثلاثة فكن رابعها ونادت بك هم الامانى فكن بفضلك سامعها ومركز أفلاك هذه المسرة حين كتب هذه الرقعة الى مجدك منزه مطل على جزيرة سنبوس لا أزال أترنم فيه بقول ابن وكيع

ابن شيبان حيث يقول
واذا تقابل مجريان لغاية
عثر المعين واسلمته الارجل
ويجىء الصريح مع العتاق
مقودا

قرب الجياد فلم يجئه الا فكل
فى ابيات فقال له ابن عباس
لوان رجلا ضرب آباط ابله
مشرقا ومغربا لفائدة هذه
الابيات ما عنفته انا منك
يا ابن صوحان لعلى علم
وحلم واستنباط ما قد عفا
من اخبار العرب فن الحليم
فيكم قال من ملك غضبه
فلم يفعل وسعى اليه بحق أو
باطل فلم يقبل ووجد قاتل
أبيه وأخيه فصفح ولم
يقتل ذلك الحليم يا ابن
عباس قال فهل تجد ذلك
فيكم كثيرا قال ولا قليلا
وانما وصفت لك أقواما
لا تجدهم الا خاشعين
راهبين لله مريدين ينيلون
ولا ينالون فأما الآخرون
فانهم سبق جهلهم حلمهم
ولا يبالى أحدهم اذا ظفر
ببغيته حين الحفيظة من
كان بعد أن يدرك زعمه
ويقضى بغيته ولو وتره
أبوه لقتل أباه أو أخوه
لقتل أخاه أما سمعت الى
قول ريان بن عمرو بن
زيان وذلك ان عمرا أباه
قتله مالك بن كومة فاقام
ريان زمانا ثم غزا مالكا فاتاه
فى مائتى فارس صباحا وهو فى اربعين بيتا فقتله وقتل أصحابه وقتل عمه فيمن
قم

قم فاسقنى والخليج مضطرب * والريح تثنى ذوائب الغضب
كانها والرياح تعطفها * صف قنا سندسية العذب
والجو فى حلة ممسكة * قد طرزتها البروق بالذهب

فان كان سيدى فى مثل هذا المكان جرينا اليه جرى الحلبة لنحصل الرهان وان كان فى كسر بيته فليبادر الى محل تقصر عنه همة قيصر وكسرى وان أبطأ فان الرفاع بالاستدعاء لاتزال عليه تترى وان كان لايجدى هذا الكلام فما نقنع من العقوبة المؤلمة بالملام وعلى المودة المرعية الدعية أكمل مايكون من السلام فعندما قرأ الرقعة ركب اليه زورقا وصنع هذه الابيات فى طريقه فعند وصوله أنشده اياها

ركبت اليك النهر يابحر فالقنا * بما يتلقى جوده كل قادم
بفيض ولكن من مدام وهزة * ولكن الى بذل الندى والمكارم
وكنا نسمى قبل كونك حاتما * ومذ لحت فينا لم نعد ذكر حاتم
بآل سعيد يفخر السعد والعلا * فأيديهم تلغى أيادى الغمائم

فامتلأ أبو جعفر سرورا وخلع عليه ما كان عنده هالك و وعده بغير ذلك فأطرق لينظم شيأ فى شكره فأقسم عليه أن لايشغل خاطره فى ذلك الوقت عن الارتياح وحث أكؤس الراح فاقبلوا على شأنهم وكان ابن سيد فى ذلك الحين متسترا بشرب الراح وكان عند أبى جعفر خديم كثير النادر والالتفات يخاف أهل التستر من مثله فقال ابن سيد هات دواة وقرطاسا فاعطاه ذلك فكتب

ياسيدى قد علمت انى * بهذه الحال لاأظاهر
أخشى اناسا لهم عيون * تواظر منى المعاير
احذرهم طاقتى وانى * وثقت بالله فهو غافر
ولاتقس حالتى بحال * منك اعتذارا فالفرق ظاهر
فأنت ان كنت ذا جهار * غير مبال فالجاه ساتر
لاتخش من قول ذى اعتراض * ولاحسود عليك قادر
وانى قد رأيت ممن * يكثر القول وهو ساخر
ماقد أراب العفيف منه * ضحك وظن به مجاهر
أخشى اذا قيل كيف كنتم * قال بحال تسرنا ظاهر
واللص مابيننا صريعا * بكل كاس عليه دائر
مطرحا للصلاة يصغى * لصولة الدف والمزامر
فأغتدى سيدى مشارا * الى مهما مررت خاطر
وان أتيت الملوك أبغى * نوالهم قيل أى شاعر
يذكر فى شعره خلافا * وهو لزور المحال ذاكر
بالامس قد كان ذا انتهاك * فحاله بعد ذاك عاذر
ان كان هذا فان حظى * وافى لربح فاز خاسر

فارس تكلأ الصحابة منه * بحسام يمر مر الحريق لاتراه لدى الوغى فى مجال * يغفل الضرب لا ولا فى مضيق

فلو أمى ثقفت بحيث كانوا
لبل ثيابها علق صيب
ولو كانت أمية أخت عمرو
بهذا الماء ظل لها نحيب
شهرت السيف فى الادنين منى
ولم تعطف أواصرنا قلوب

فقال ابن عباس فمن الفارس فيكم حدثنى حدثا أسمعه منك فانك تضع الاشياء مواضعها يا ابن صوحان قال الفارس من قصر أجله فى نفسه وضخم على أمله بضرسه وكانت الحرب أهون عليه من أمسه ذلك الفارس اذا وقدت الحروب واشتدت بالانفس الكروب وتداعوا للنزال وتزاحفوا للقتال وتخالسوا المهج واقتحموا بالسيوف اللجج قال أحسنت والله يا ابن صوحان انك لسليل أقوام كرام خطباء فصحاء ماورثت هذا عن كلالة زدنى قال نعم الفارس كثير الحذر مدير النظر يلتفت بقلبه ولايدير خرزات صلبه قال أحسنت والله يا ابن صوحان الوصف فهل فى مثل هذه الصفة من شعر قال نعم لزهير بن جناب الكلبى يرثى ابنيه عمرا حيث يقول

فقال له أبو جعفر يا أبا العباس اشرب هنيئا غير مقدر ما قدرت فلو كان هذا المضحك على الصفة التي ذكرت كان الذنب منسوبا الي في كوني أحضر في مجلسي من يهتك ستر المستورين ومهما تره هنا بهذه الخفة والطيش والتسرع للكلام فانه اذا فارقنا أثقل من جبل وأصمت من سمكة متزي بزي خطيب في نهاية من السكون والوقار (وتحت الثياب العار لو كان باديا) فكن في امن ماشربت معي فاني والله لا أسمع أحدا من أصحابنا تكلم في شأنك بأمر الا عاقبته أشد العقاب والذنب في ذلك راجع الي فكن ابن سيد وجعل يحث الاقداح ويمرح أشد المراح على ما كان يظهره من الانقباض تقية لما يخشاه من الاعتراض الى أن قاربت الشمس الغروب ومد لها في النهر معصم مخضوب فقال أبو جعفر

انظر الى الشمس قد ألصقت على الارض خدا

فقال ابن سيد

هي المراة لكن * من بعدها الافق يصدا

فقال أبو جعفر

مدت طرازا على النهر عند ما لاح بردا

فقال ابن سيد

أهدت لطرفك منه * ما للاكارم يهدى

فقال أبو جعفر

درع اللجين عليه * سيف من التبر سدا

فقال ابن سيد

فاشرب عليه هنيئا * وزد سرورا وسعدا

ثم لما أظلم الليل نظروا الى منارة سنتبوس قد عكست مصابيحها في النهر والى النجوم قد طلعت فيه فقال ابن سيد

اخلع على النهر ثوب السكر افذلك واجب

فقال أبو جعفر

وانظر الى السرج فيه * كالزهر ذات الذوائب

وحين صفق للافق نقطته الكواكب

فقبل ابن سيد رأسه وقال ما تركت بعدهذا مقالا لقائل ثم جعلوا يشربون فقال أبو جعفر

سقني والافق برد * بنجوم الليل معلم

فقال ابن سيد

و بساط النهر منها * وهو فضي مدرهم

فقال أبو جعفر

وزواق الليل مرخى * والشذا بالروض قدنم

فقال ابن سيد

من يراه يخله في الحرب يوما * انه أخرق مضل الطريق

في أبيات فقال له ابن عباس فأين أخواك منك يا ابن صوحان صفهما لا عرف ورثكم قال أما زيد فكما قال أخو غي

فتى لا يبالي أن يكون بوجهه اذا نال خلان الكرام شحوب

اذا ما ترا آه الرجال تحفظوا فلم ينطقوا الا وهو قريب

حليف الندى يدعو الندى فيجيبه اليه ويدعوه الندى فيجيب

يبيت الندى يا أم عمرو صجيعه اذا لم يكن في المنقيات حلوب

كأن بيوت الحي ما لم يكن بها بسائس ما يلتقي بهن غريب

في أبيات كان والله يا ابن عباس عظيم المروة شريف الاخوة جليل الخطر بعيد الاثر كثير العروة أليف البدو سليم جوانح الصدر قليل وساوس الدهر ذا كر الله طرفي النهار و زلفا من الليل الجوع والشبع عنده سيان لا ينافس في الدنيا وأقل أصحابه من ينافس فيها يطيل السكوت ويحفظ الكلام وان نطق نطق بمقام يهرب منه الدعار الاشرار و يألفه الاحرار الاخيار فقال ابن عباس ما ظنك برجل من أهل الجنة رحم والندى

والندى في الزهر منثو * وعلى عقد منظم

فقال أبو جعفر

والصبا جرت على ميـ * ـت الطلى كف ابن مريم

فقال ابن سيد

كان مبهوتا فلما * نفخت فيـ * ـه تكلم

فقال أبو جعفر

وكان الكاس والقهـ * ـوة دينار ودرهـ * ـم

فقال ابن سيد

وبدا الدف يناغي الـ * ـعود والمـ * ـزمار هيم

فقال أبو جعفر

فاذاع الانس منا * كل ما كان مكتم

فقال ابن سيد

أي عيش يهتك المسـ * ـتور لو كان ابن أدهم

فقال أبو جعفر

هكذا العيش ودعني * من زمان قد تقدم

فقال ابن سيد

حين لاخمر سوى ما * بكؤس البيض من دم

فقال أبو جعفر والله ما تعديت ما حال الساعة في خاطري فاني ذكرت أيام الفتنة وما كابدنا فيها من المحن وانا لم نزل في مصادمة ومقارعة ثم رأيت ما نحن الآن فيه بهذه الدولة السعيدة التي أمنت وسكنت فشكرت الله تعالى ودعوت بدواتي ثم لما طلع الفجر قال أبو جعفر

نثر الطل عقوده * ونضا الليل برده

فقال ابن سيد

وبدا الصبح بوجه * مطلع فينا سعوده

فقال أبو جعفر

وغدا ينشر لما * نثر الليـ * ـل بنوده

فقال ابن سيد

فهلم اشرب وقبل * من غدا ينطق عودة

فقال أبو جعفر

ثم صافحه على رغـ * ـم النوى وافرك نهوده

فقال ابن سيد

واجعل الشكر على ما * نلته منه جحوده

فقال أبو جعفر يا أبا العباس انك أغرت على التهامي في هذا البيت في قوله

وشكر أيادي الغانيات جحودها قال فلم لقبت بالاص لولا هذا وأمثاله ما كان ذلك

النحيزة أحوذي الغريزة لا ينهنهه منهنه عما أراه ولا يركب من الامر الا عتاده سمام عدى و بازل قرى صعب المقاده جزل الرفاده أخو أخوان وفتى فتيان وهو كما قال البرجمي عامر ابن سنان

سمام عدى بالنبل يقتل من رمى

و بالسيف والرمح الردينى مشعب

مهيب مفيد للنوال معود بفعل الندى والمكرمات مجرب

في أبيات فقال له ابن عباس أنت يا ابن صوحان باقر علم العرب (ومن أخبار صعصعة) ما حدث به أبو جعفر محمد بن حبيب الهاشمي عن أبي الهيثم يزيد بن رجاء الغنوي قال وقف رجل من بني فزارة على صعصعة فاسمعه كلاما (منه) بسطت لسانك يا ابن صوحان على الناس فتهيبوك أما لئن شئت لا كونن لك لصادقا فلا تنطق الا جددت لسانك بأذرب من ظبة السيف بعضب قوى ولسان على ثم لا يكون لك في ذلك حل ولا ترحال فقال صعصعة لو أجد غرضا

منك لرميت بل أرى شيخا ولا اخال مثالا الا كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيأ أما لو كنت كفؤا

والاص المذكور اسمه أحمد بن سيد يكنى أبا العباس وهو من مشهوري شعراء الاندلس ولما أنشد أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي بجبل الفتح قوله

غمض عن الشمس واستقصر مدى زحل * وانظر الى الجبل الراسي على جبل

قال له أنت شاعر هذه الجزيرة لولا أنك بدأتنا بغمض وزحل والجبل ومن بديع نظم الاص قوله

سلبت قلبي بلحظ * أبا الحسين خلوب
فلم أسمه بلص * وأنت لص القلوب

ولما اجتمع ابو جعفر بن سعيد المترجم به بالاص أبي العباس المذكور في جبل الفتح عندما وفد فضلاء الاندلس على عبد المؤمن واستنشده فجعل ينشده ما استجفاه به لخروجه عن حلاوة منزع أبي جعفر الى أن أنشده قوله

وما أفنى السؤال لكم نوالا * ولكن جودكم أفنى السؤالا

فقال له أبو جعفر لا جعلك الله في حل من نفسك يكون في شعرك مثل هذا وتنشدني ما كان يحملني على أن أسأت معك الادب والله لو لم يكن لك غير هذا البيت لكنت به أشعر أهل الاندلس * وكتب لابي جعفر أبو الحكم بن هرون في يوم بارد بغرناطة

يا سمي في علم مجدك ما يحـ ـتاج فيه هذا النهار المطير
ندف الثلج فيه قطنا علينا * ففررنا بعدلكم نستجير
والذي أبتغيه في اللفظ منه * ورضاب الذي هويت نظير
يوم قر يود من حل فيه * لو تبدى لمقلتيه سعير

فوجه بما طلب وجاوبه بما كتب

أيها السيد الاجل الوزير * الذي قدره معلى خطير
قد بعثنا بما أشرت اليه * دمت للانس والسرور تشير
كان لغزا فكككته دون فكر * ان فهمي بما تريد خبير

ومن نظم أبي الحكم

اذا ضاقت عليك فول عنها * وسر في الارض واختبر العبادا
ولا تمسك رحالك في بلاد * غدوت بأهلها خبرا معادا

ولما مدح أبو القاسم أخيل بن ادريس الرندي عبد المؤمن في جبل الفتح بقصيدة أولها

ما الفخر الا لآل عبد المؤمن * أثنى عليه كل عبد مؤمن

قال أبو جعفر بن سعيد دعاه التجنيس الى الضعف والخروج عن المقصود والاولى أن لو قال شاد الخلافة وهو أول مبتنى ومن هذه القصيدة

أما ابن سعد فهو أول مارق * يا ليته بأبيه سعد يكتنى
ما قدر مرسية وحكمك نافذ * ان شئت من عدن لارض المعدن

فلما أكملها قال له عبد المؤمن أجدت فقال ارتجالا

من لي أمير المؤمنين بموقفي * هذا وقولك لي أجدت ولم تنى
فلقد مدحتك خائفا أن لا يفي * لسني بما يعيي جميع الالسن

لرميت حصائل شباذب من ذلق السنان ولرشقتك بنبال تردعك عن النضال ولخطمتك بخطام يخزم منك موضع الزمام فاتصل الكلام بابن عباس فاستضحك من الفزاري وقال أما لو كلف أخو فزارة نفسه نقل الصخور من جبال شمام الى الهضاب لكان أهون عليه من منازعة أخي عبد القيس خاب أبوه ما أجهله يستجهل أخا عبد القيس وقواه المريرة ثم تمثل

صبت عليه ولم تنصب من أمم
ان الشقاء على الاشقين مصبوب

(وحدث) المبرد عن الرياشي عن ربيعة بن عبد الله النميري قال أخبرني رجل من الازد قال نظرت الى أبي ايوب الانصاري في يوم النهروان وقد علا عبد الله بن وهب الراسبي فضربه ضربة على كتفه فأبان يده وقال بؤبها الى النار يا مارق فقال عبد الله ستعلم اينا اولى بها صليا قال وابيك اني لاعلم اذا قبل صعصعة بن صوحان فوقف وقال اولى بها والله صليا من ضل في الدنيا عميا وصار الى الآخرة شقيا ابعدك الله وانزحك اما والله لقد انذرتك هذه الصرعة بالامس فأبيت الا نكوصا على عقبيك فذق يا مارق وبال امرك وشرك ابا ايوب في قتله ضربة ضربه

ولابن

ولابن ادريس المذكور

أيها البدر هل علمت بأنى * لم أبت راعيا لحياك ودا
انا لو بات من حكيت بجنبى * لم يكن عنه ناظرى يتعدى

وله

شتان ما بينى وبينك فى الهوى * أنا أبتغيك وأنت عنى تصدف
واذا عتبتك وارعويت يبين لى * فى الحين منك بأن ذاك تكلف
ياليت شعرى كيف يقضى وصلنا * والعمر يفنى والمواعد تخلف

وقيل له لما هجره عبد المؤمن اكتب له واعتذر وبرهن عن نفسك فقال ما يكون أمير المؤمنين هجرنى الا وقد صح عنده ولا أنسبه فى أمرى لقلة التثبت والجور وانما أرغب فى عفوه ورحمته فكان هذا الكلام ألان عليه قلب عبد المؤمن لما بلغه وكان قد نقل عنه حساده انه قال كيف تصح له الخلافة وليس بقرشى * ولا بأس أن نزيد من اخبار اللص الذى جرى ذكرناله مع أبى جعفر بن سعيد فنقول هو النحوى المبرز فى الشعر أبو العباس أحمد بن سعيد الاشبيلى ذكره ابن دحية فى المطرب وأخبر انه شيخه وختم كتاب سيبويه مرتين على النحوى ابى القاسم بن الرمالك واجتمع به ابو جعفر بن سعيد بجبل الفتح كما سبق ولقب اللص لاغارته على أشعار الناس وله

شاموا الردى فأشموا الترب أنفهم * ولم يبالوا بما فيها من الشمم

ثم جعل يقول قطع الله لسانى ان كان اليوم على وجه الارض من يعرف يسمعه فضلا عن أن يقوله وله القصيدة الشهيرة

ندالك الغيث ان محل توالى * وأنت الليث ان شاؤا القتالا
سلبت الليث شدة ساعديه * نعم وسلبت عينيه الغزالا
وما أفنى السؤال لكم نوالا * ولكن جودكم أفنى السؤالا

وقد تقدم هذا البيت فى حكايته مع ابن سعيد * وقال فى حلقة خياط وهو من محاسنه

كانها بيضة وخز الرماح بها * بادو قونسها بالسيف قد قطعا

وقال فالليل ان واصلت كالليل ان هجرت * أشكو من الطول ما اشكو من القصر

* (رجع الى أخبار أبى جعفر بن سعيد) * قال فى الازهار المنثورة فى الاخبار المأثورة ما نصه لما قبض على الوزير أبى جعفر بن عبد الملك بن سعيد العنسى وثقف بمالقة دخل اليه ابن عمه ووصل الى الاجتماع به ريثما استؤذن السيد ابو سعيد ابن الخليفة عبد المؤمن فى أمره قال فدمعت عيناى حين رأيته مكبولا فقال لى أعلى تبكى بعد ما بلغت من الدنيا أطايب لذاتها فأكلت صدور الدجاج وشربت فى الزجاج ولبست الديباج وتمتعت بالسرارى والازواج واستعملت من الشمع السراج الوهاج وركبت كل هملاج وها أنا فى يد الحجاج ومنتظر محنة الحلاج فادم على غافر لا يحتاج الى اعتذار ولا الى احتجاج قال فقلت افلا يؤسف على من ينطق بهذا الكلام ثم يفقد وقت عنه فكان آخر العهد به انتهى * رجع الى أخبار النساء) * ومن أشهرهن بالاندلس ولادة بنت المستكفى بالله محمد بن عبد الرحمن ابن عبيد الله بن الناصر لدين الله وكانت واحدة زمانها المشار اليها فى أوانها حسنة المحاضرة

واتيا به عليا فقالا هذا راس الفاسق الناكث المارق عبد الله بن وهب فنظر اليه فقطب وقال شاه هذا الوجه حتى خيل الينا انه يبكى ثم قال قد كان اخور اسب حافظا لكتاب الله تاركا لحدود الله ثم قال لهما اطلبا لى ذا الثدية فطلب فلم يوجد فرجعا اليه وقالا ما أصبنا شيأ فقال والله لقد قتل فى يومه هذا وما كذبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا كذبت عليه قوموا بجمعكم فاطلبوه فقامت جماعة من أصحابه فتفرقوا فى القتلى فأصابوه فى دهاس من الارض فوقه زهاء مائة قتيل فاخرجوه بجر برجله ثم اتى به على فقال اشهدوا أنه ذو الثدية وقد ذكرنا أخبار ذى الثدية فيما سلف من هذا الكتاب ولعلى فى ربيعة كلام كثير يمدحهم فيه ويرثيهم شعرا ومنثورا وقد كانوا انصاره واعوانه والركن المنيع من أركانه فمن بعض ذلك قوله يوم صفين

لمن راية سوداء يخفق ظلها * اذا قيل قدمها حسين تقدما
فيوردها فى الصف حتى يعلها * حياض المنايا تقطر الموت والدما
جزى الله قوما قاتلوا فى لقائه * لدى الموت قدما ما أعز وأكرما

مشكورة المذاكرة كتبت بالذهب على الطراز الايمن

انا والله أصلح للعالى * وأمشى مشيتى وأتيه تيها

وكتبت على الطراز الايسر

وأمكن عاشقى من صحن خدى * وأعطى قبلتى من يشتهيها

وكانت مع ذلك مشهورة بالصيانة والعفاف وفيها خلع ابن زيدون عذاره وقال فيها القصائد الطنانة والمقطعات وكانت لها جارية سوداء بديعة المعنى فظهر لولادة أن ابن زيدون مال اليها فكتبت اليه

لو كنت تنصف فى الهوى ما بيننا * لم تهو جاريتى ولم تتخير

وتركت غصنا مثمرا بجماله * وجنحت للغصن الذى لم يثمر

ولقد علمت بانني بدر السما * لكن ولعت لشقوتى بالمشترى

ولقبت ابن زيدون بالمسدس وفيه تقول

ولقبت المسدس وهو نعت * تفارقك الحياة ولا يفارق

فلو طى وما بون وزان * وديوث وقرنان وسارق

وقالت فيه ان ابن زيدون على فضله * يعشق قضبان السراويل

لو أبصر الاير على نخلة * صار من الطير الابابيل

وقالت فيه أيضا

ان ابن زيدون على فضله * يغتابنى ظلما ولا ذنب لى

يلحظنى شزرا اذا جئته * كأننى جئت لاحصى على

وقالت ولادة تهجو الاصبحى

يا أصبحى اهنأ فكم نعمة * حاتك من ذى العرش رب المنن

قد نلت باست ابنك ما لم ينل * بفرج بوران أبوها الحسن

وكتبت اليه لما أولع بها بعد طول تمنع

ترقب اذا جن الظلام زيارتى * فانى رأيت الليل أكتم للسر

وبى منك ما لو كان بالشمس لم تلح * وبالبدر لم يطلع وبالنجم لم يسر

ووفت بما وعدت ولما أرادت الانصراف ودعته بهذه الابيات

ودع الصبر محب ودعك * ذائع من سره ما استودعك

يقرع السن على ان لم يكن * زاد فى تلك الخطا اذ شيعك

يا أخا البدر سنا وسنا * حفظ الله زمانا أطلعك

ان يطل بعدك ليلى فلكم * بت أشكو قصر الليل معك

وكتبت اليه

ألا هل لنا من بعد هذا التفرق * سبيل فيشكو كل صب بما لقى

وقد كنت أوقات التزور فى الشتا * أبيت على جمر من الشوق محرق

فكيف وقد أمسيت فى حال قطعه * لقد عجل المقدور ما كنت أتقى

ربيعة اعنى انهم اهل نجدة
و بأس اذا لاقوا خميسا عرمرما

(وذكر) المدائنى ان معاوية اسر جميل بن كعب الثعلبى وكان من سادات ربيعة وشيعة على وانصاره فلما وقف بين يديه قال الحمد لله الذى أمكننى منك الست القائل يوم الجمل

اصبحت الامة فى امر عجب
والملك مجموع غدا لمن غلب

قد قلت قولا صادقا غير كذب
ان غدا تهلك أعلام العرب

قال لا تقل ذلك فانها مصيبة
قال معاوية وأى نعمة أكبر من أن يكون الله قد أظفرنى برجل قد قتل فى ساعة واحدة عدة من حماة أصحابى اضرب واعنقه فقال اللهم اشهد أن معاوية لم يقتلنى فيك ولا لانك ترضى قتلى ولكن قتلنى على حطام الدنيا فان فعل فافعل به ما هو أهله وان لم يفعل فافعل به ما أنت أهله فقال معاوية قاتلك الله لقد سببت فابلغت فى السب ودعوت فبالغت فى الدعاء ثم أمر به فاطلق

وتمثل معاوية بابيات للنعمان بن المنذر لم يقل النعمان غيرها فياذا كر ابن الكلبى وهى

تمر الليالى لا أرى البين ينقضى * ولا الصبر من رق التشوق معتقى
سقى الله أرضا قد غدت لك منزلا * بكل سكوب هاطل الوبل مغدق

فأجابها بقوله

لحى الله يوما لست فيه بملتقى * محياك من أجل النوى والتفرق
وكيف يطيب العيش دون مسرة * وأى سرور للكئيب المؤرق

وكتبت فى أثناء الكلام بعد الشعر وكنت ربما حثثتنى على ان أنبهك على ما أجد فيه عليك نقدا وانى انتقدت عليك قولك سقى الله أرضا قد غدت لك منزلا فان ذا الرمة قد انتقد عليه قوله مع تقديم الدعاء بالسلامة

ألا يا اسلمى يا دار مى على البلا * ولا زال منهلا بجرعائك القطر

اذ هو أشبه بالدعاء على المحبوب من الدعاء له وأما المستحسن فقول الآخر

فسقى ديارك غير مفسدها * صوب الربيع وديمة تهمى انتهى

و بسببها خاطب ابن عبدوس بالرسالة المشهورة التى شرحها غير واحد من أدباء المشارقة كالجمال بن نباتة والصفدى وغيرهما وفيها من التلميحات والتدبرات ما لا مزيد عليه وقد ذكر ولادة ابن بشكوال فى الصلة فقال كانت أديبة شاعرة جزلة القول حسنة الشعر وكانت تناضل الشعراء وتساجل الادباء وتفوق البرعاء وعمرت عمرا طويلا ولم تتزوج قط ومات لليلتين خلتا من صفر سنة ثمانين وقيل أربع وثمانين وأربعمائة رحمها الله تعالى * وكان أبوها المستكفى بايعه أهل قرطبة لما خلعوا المستظهر كما ألمعنا به فى غير هذا الموضع وكان خاملا ساقطا وخرجت هى فى نهاية من الادب والظرف حضور شاهد وحرارة وابد وحسن منظر ومخبر وحلاوة مورد ومصدر وكان مجلسها بقرطبة منتدى لاحرار المصر وفناؤها ملعب الجياد النظم والنثر يعشو أهل الادب الى ضوء غرتها ويتهالك أفراد الشعراء والكتاب على حلاوة عشرتها وعلى سهولة حجابها وكثرة منتابها تحلط ذلك بعلو نصاب وكرم انساب وطهارة أثواب على انها أوجدت للقول فيها السبيل بقلة مبالاتها ومجاهرتها بلذاتها ولما مرت بالوزير أبى عامر بن عبدوس وأمام داره بركة تتولد عن كثرة الامطار وربما استمدت بشئ مما هنالك من الاقذار وقد نثر أبو عامر كيسه ونظر فى عطفه وحشر أعوانه اليه فقالت له

أنت الخصيب وهذه مصر * فتدفقا كلا كما بحر

فتركته لا يحير حرفا ولا يرد طرفا * وقال فى المغرب بعد ذكره أنها بالغرب كعليه بالشرق الا ان هذه تزيد بمزيته الحسن الفائق وأما الادب والشعر النادر وخفة الروح فلم تكن تقصر عنها وكان لها صنعة فى الغناء وكان لها مجلس يغشاه أدباء قرطبة وظرفاؤها فيرفيه من النادر وانشاد الشعر كثير لما اقتضاه عصرها من مثل ذلك وفيها يقول ابن زيدون

بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا * شوقا اليكم ولا جفت مآقينا

وقال أيضا يخاطب ابن عبدوس لاشتراكه معه فى هواها

اثرت هزبر الشرى اذ بض * ونبهته اذ هدا فاغتمض

ويخاف شدة نكالها

(وذكر) لوط بن يحيى وابن دأب والهيثم بن عدى وغيرهم من نقلة الاخبار ان معاوية لما احتضر تمثل هو الموت لا منجى من الموت والذى تحاذر بعد الموت ادهى وافظع ثم قال اللهم اقل العثرة واعف عن الزلة وجد بحلمك على جهل من لم يرج غيرك ولم يثق الا بك فانك واسع المغفرة وليس لذى خطيئة مهرب فبلغ ذلك سعيد بن المسيب فقال لقد رغب الى من لا مرغوب اليه مثله وانى لأرجو أن لا يعذبه الله

(وذكر) محمد بن اسحق وغيره من نقلة الآثار أن معاوية دخل الحمام فى بدء علته التى كانت وفاته فيها فرأى تحول جسمه فبكى لفنائه وما قد أشرف عليه من الدثور الواقع بالخليقة وقال متمثلا

أرى الليالى أسرعت فى نقضى * أخذن بعضى وتركن بعضى
حنين طولى وحنين عرضى * أقعدننى من بعد طول نهضى

وايس من برئه أنشأ يقول ولما أزف أمره وحان فراقه واشتدت علته

ومازلت تبسط مسترسلا * اليه يد البغي لما انقبض
حذار حذار فان الكريم * اذا سيم خسفا أبى فامتعض
وان سكون الشجاع النهو * ض ليس بمانعه ان يعض
عمدت لشعري ولم تتئد * تعارض جوهره بالعرض
اضاقت أساليب هذا القريض * ام قد عفا رسمه فانقرض
لعمري فوقت سهم النضال * وأرسلته لو اصبت الغرض

ومنها

وغرك من عهد ولادة * سراب تراءى وبرق ومض
هي المايعز على قابض * ويمنع زيدته من مخض

*(ومن اخبار ولادة مع ابن زيدون ماقاله الفتح في القلائد ان ابن زيدون كان يكلف بولادة ويهيم ويستضيء بنور محياها في الليل البهيم وكانت من الادب والظرف وتتميم السمع والطرف بحيث تختلس القلوب والالباب وتعيد الشيب الى اخلاق الشباب فلما حل بذلك الغرب وانحل عقدة صبره بيد الكرب فر الى الزهراء ليتوارى في نواحيها ويتسلى برؤية موافيها فوافاها والربيع قد خلع عليها برده ونشر سوسنه ووردة وأترع جداولها وانطق بلابلها فارتاح ارتياح جيد بوادي القرى وراح بين روض يانع وريح طيبة السرى فتشوق الى لقاء ولادة وحن وخاف تلك النوائب والمحن فكتب اليها يصف فرط قلقه وضيق أمده اليها وطلقه ويعلمها انه ماسلا عنها بخمر ولا خبا ما في ضلوعه من ملتهب الجمر ويعاتبها على اغفال تعهده ويصف حسن محضره بها ومشهده

انى ذكرتك بالزهراء مشتاقا * والافق طلق ووجه الارض قد راقا
وللنسيم اعتلال في اصائله * كأنما رق لي فاعتل اشفاقا
والروض عن مائه الغضي مبتسم * كما حلت عن اللبات اطواقا
يوم كأيام لذات لنا انصرمت * بتنا لها حين نام الدهر سراقا
نلهو بما يستميل العين من زهر * حال الندى فيه حتى مال اعناقا
كأن اعينه اذ عاينت ارقي * بكت لما بي فسال الدمع رقراقا
وردة تألق في ضاحي منابته * فازداد منه الضحى في العين اشراقا
سرينا فحه نيلوفر عبق * وسنان نبه منه الصبح احداقا
كل يهيج لنا ذكرى تشوقنا * اليك لم يعد عنها الصدر ان ضاقا
لو كان وفق المنى في جمعنا بكم * لكان من أكرم الايام اخلاقا
لاسكن الله قلبا عن ذكركم * فلم يطر بجناح الشوق خفاقا
لوشاء حملى نسيم الريح حين هفا * وافاكم بفتى اضناه مالاقى
ياعلق الاخطر الاسنى الحبيب الى * نفسي اذا ما اقتنى الاحباب اعلاقا
كان التجازي بمحض الود مذ زمن * ميدان أنس جرينا فيه أطلاقا
فالآن أحدما كنا لعهدكم * سلوتم وبقينا نحن عشاقا انتهى

وقال أيضا ان ابن زيدون لم يزل يروم دنو ولادة فيعذر ويباح دمه دونها ويهدر

و كنت كذي طمر بن عاش ببلغة
من الدهر حتى زار أهل المقابر

(قال المسعودي) ولمعاوية اخبار كثيرة مع علي وغيره وقد أتينا على الغرر من أخباره وما كان في أيامه في كتابنا اخبار الزمان والاوسط وغيرهما من كتبنا مما أفرد للآثار وهذا باب كبير والكلام فيه وفي غيره مما تقدم وتأخر في هذا الكتاب كثير ومن ضمن الاختصار لم يجز له الاكثار وانما نذكر في كل باب من هذا الكتاب طرفا من كل نوع من العلوم والاخبار وما انتخبناه من ظرائف الآثار ليستدل الناظر فيه بما ذكرنا على المراد مما تركنا ذكره وقد تقدم وصفه وبسطه فيما سلف من كتبنا واذ قد تقدم ماذكرنا فلنذكر الآن جملا من فضل الصحابة وغيرهم عليهم السلام اذ كانوا حجة على من بعدهم وقدوة لمن تأخر عنهم وبالله التأييد *(ذكر الصحابة ومدحهم وعلي والعباس وفضلهما) *دخل عبد الله بن عباس على معاوية وعنده وجوه قريش فلما سلم وجلس قال له معاوية اني أريد ان أسألك عن مسائل قال سل عما بدا لك قال ما تقول في أبي بكر قال

لسوء أثره فى ملك رطبة ووالياها وقبائح كان ينسبها اليه ويواليها أحقدت بنى جهور عليه وسددت أسهمهم اليه فلما يئس من لقياها وحجب عنه محياها كتب اليها يستديم عهدها ويكدودها ويعتذر من فراقها بالخطب الذى غشيه والامتحان الذى خشيه ويعلمها انه ما سلا عنها بخمر ولا خبا ما فى ضلوعه من ملتهب الجمر وهى قصيدة ضربت فى الابداع بسهم وطلعت فى كل خاطر ووهم ونزعت منزعا قصر عنه حبيب وابن الجهم وأولها

بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا * شوقا اليكم ولا جفت مآقينا
نكاد حين تناجيكم ضمائرنا * يقضى علينا الاسى لولا تأسينا

وأخبار ولادة كثيرة وفيما ذكرناه كفاية *(ومن المشهورات بالاندلس اعتماد جارية المعتمد بن عباد وام أولاده وتشتهر بالرميكيه وفى المسهب والمغرب انه ركب المعتمد فى النهر ومعه ابن عمار وزيره وقد زردت الريح النهر فقال ابن عباد لابن عمار أجز (صنع الريح من الماء زرد) فأطال ابن عمار الفكرة فقالت امرأة من الغسالات (أى درع لقتال لو جد) فتعجب ابن عباد من حسن ما أتت به مع عجز ابن عمار ونظر اليها فاذا هى صورة حسنة فأعجبته فسألها أذات زوج هى فقالت لا فتزوجها وولدت له اولاده الملوك النجباء رحمهم الله تعالى وحكى البعض منهم صاحب الهداية بسنده الى السلفى بسنده الى بعض أدباء الاندلس وسماه ولم يحضرنى الآن انه هو الذى قال للمعتمد (اى درع لقتال لو جد) قال فاستحسنه المعتمد وكنت رابعا فى الانشاد فجعلنى ثانيا واجازنى بجائزة سنية قال ابن ظافر وقد أخذت هذا المعنى فقلت

اصف روضا فلو دام ذا الثبات كان زبرجدا * ولو جدت انهاره كان بلورا

ولما قال ابن ظافر

قد ادكن الشمس على المائها * فكسا الفضة منه ذهبا

قال القاضى الاعز

*(رجع) ولما خلع المعتمد وسجن باغمات قالت له ياسيدى لقد هنا هنا فقال

قالت لقد هنا نعما * مولاى أين جاهنا * قلت لها الهنا * صيرنا الى ها

*وحكى انها قالت له وقد مرض ياسيدى ما لنا قدرة على مرضاتك فى مرضائك ولما قال الوزير ابن عمار قصيدته اللامية الشهيرة فى المعتمد والرميكية أغرت المعتمد به حتى قتله وضربه بالطبرزين فعلق رأسه وترك الطبرزين فى رأسه فقالت الرميكية قد بقى ابن عمار هدهدا والقصيدة أولها

ألا حى بالغرب حيا حلالا * أناخو اجمالا وحازوا جمالا
وعرج بيومين ام القرى * ونم فعسى أن تراها خيالا

ويومين قريه باشبيلية كانت دنيا أولية بنى عباد وفى هذه القصيدة يقول معرضا بالرميكية

تخيرتها من بنات الهجان * رميكية ما تساوى عقالا
فجاءت بكل قصير العذار * لئيم النجارين عما وخالا
فصار القعود ولكنهم * أقاموا عليها قروناطوالا
أتذكر أيامنا بالصبا * وأنت اذا لحت كنت الهلالا
اعانق منك القضيب الرطيب * وارشف من فيك ماء زلالا

زاجرا وبالمعروف آمرا وبالليل قائما وبالنهار صائما فاق اصحابه ورعا وكفافا وسادهم زهدا وعفافا فغضب الله على من أبغضه وطعن عليه قال معاوية ايها يا ابن عباس فما تقول فى عمر بن الخطاب قال رحم الله أبا حفص عمر كان والله حليف الاسلام وماوى الايتام ومنتهى الاحسان ومحل الايمان وكهف الضعفاء ومعقل الحنفاء قام بحق الله عز وجل صابرا محتسبا حتى أوضح الدين وفتح البلاد وأمن العباد فاعقب الله على من ينقصه اللعنة الى يوم الدين قال فما تقول فى عثمان قال رحم الله ابا عمرو كان والله أكرم الجعدة وافضل البررة هجادا بالاسحار كثير الدموع عند ذكر النار نهاضا عند كل مكرمة سباقا الى كل منحة حييا أبيا وفيا صاحب جيش العسرة وختن رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله فاعقب الله على من يلعنه لعنة اللاعنين الى يوم الدين قال فما تقول فى على قال رضى الله عن أبى الحسن كان والله علم الهدى وكهف التقى ومحل النجى وبحر الندى وطود النهى وكاشف العلى للورى داعيا الى المحجة

وأقنع منك بدون الحرام * فتقسم جهدك ان لا حلالا
سأهتك عرضك شيأ فشيأ * واكشف سترك حالا فحالا

ومنها

فيا عامر الخيل يا زيدها * منعت القرى وأبحت العيالا

وسبب قول ابن عمار هذه القصيدة ان المعتمد ندربه وذيل على قصيدته الرائية المذكورة في القلائد بعد قوله

كيف التفات بالخديعة من يدى * رجل الحقيقة من بنى عمار

وسخر به في أبيات مشهورة قال الفتح في حق المعتمد بعد كلام ومازالت عقارب تلك الداخلة تدب وريحها العاصفة تهب ونارها تقد وضلوعها تحنو وتعقد وتضمر الغدر وتعتقد حتى دخل البلد من واديه وبدت من المكروه بواديه وكر عليه الدهر بعوائده وعواديه وهو مستمسك بعرى لذاته منغمس فيها بذاته ملقى بين جواريه مغتر بعوائد ملكه وعواريه التي استرجعت منه في يومه ونبهه فواتها من نومه ولما انتشر الداخلون في البلد وأوهنوا القوى والجلد خرج والموت يشعر في ألحاظه ويتصور من ألفاظه وحسامه بعد بضائه ويتوقد عند انتضائه فلقيهم رحبة القصر وقد ضاق بهم فضاؤها وتضعضعت من رجتهم أعضاؤها فحمل فيهم حملة صيرتهم فرقا وملأتهم فرقا ومازال يوالي عليهم الكر المعاد حتى أوردهم النهر وما بهم جواد وأودعهم حشاه كانهم له فؤاد ثم انصرف وقد أيقن بانتهاء حاله وذهاب ملكه وارتحاله وعاد الى قصره واستمسك فيه يومه وليلته مانعا لحوزته دافعا للذل عن عزته وقد عزم على أفضع أمر وقال بيدى لا بيد عمرو ثم صرفه تقاه عما كان نواه فنزل من القصر بالقسر الى قبضة الاسر فقيد للعين وحان له يوم شر ساطن أنه يحين ولما قيدت قدماه وذهبت عنه رقة الكبل ورحماه قال يخاطبه

اليك فلو كانت فنونك أسعرت * تضرم منها كل كف ومعصم
مخافة من كان الرجال بسيبه * ومن سيفه في جنة او جهنم

ولما آلمه عضه ولازمه كسره ورضه وأوهاه ثقله واعياه نقله قال

تبدلت من ظل عز البنود * بذل الحديد وثقل القيود
وكان حديدى سنانا ذليقا * وعضبا رقيقا صقيل الحديد
فقد صار ذا لؤذا ادهما * يعض بساقى عض الاسود

ثم جمع هو واهله وحلتهم الجوارى المنشآت وضمتهم جوانحها كانهم أموات بعد ما ضاق عنهم القصر وراق منهم العصر والناس قد حشروا بضفتى الوادى وبكوا بدموع كالغوادى فساروا والنوح يحدوهم والبرح باللوعة لا يعدوهم وفي ذلك يقول ابن اللبانة

تبكى السماء بمزن رائح غاد * على البهاليل من أبناء عباد
على الجبال التي هدت قواعدها * وكانت الارض منهم ذات اوتاد
عريسة دخلتها النائبات على * اساود لهم فيها وآساد
وكعبة كانت الامال تخدمها * فاليوم لاعا كف فيها ولا باد

يا

ياضيف أقفر بيت المكرمات فخذ * فى ضم رحلك واجمع فضلة الزاد
وياموءمل واديهم لسكبه * جف القطين وجف الزرع بالوادى
وأنت يافارس الخيل التى جعلت * تختال فى عدد منهم وأعداد
ألق السلاح وخل المشرفى فقد * أصبحت فى لهوات الصيغم العادى
لما دنا الوقت لم تخلف له عدة * وكل شئ بميقات وميعاد
ان يخلعوا فبنو العباس قد خلعوا * وقد خلت قبل حمص أرض بغداد
حموا حريمهم حتى اذا غلبوا * سيقوا على نسق فى حبل مقتاد
وأنزلوا عن متون الشهب واحتملوا * فويق دهم لتلك الخيل انداد
وعيث فى كل طوق من دروعهم * فصيغ منهن أغلال لاجياد
نسيت الاغداة النهر كونهم * فى المنشآت كاموات بألحاد
والناس قد ملؤا البرين واعتبروا * من لؤلؤ طافيات فوق أزباد
حط القناع فلم تستر مخدرة * ومزقت أو جه تمزيق أبراد
حان الوداع فضجت كل صارخة * وصار خ من مقدات ومن فاد
سارت سفائنهم والنوح يصحبها * كانها ابل يحدو بها الحادى
كم سال فى الماء من دمع وكم حملت * تلك القطائع من قطعات أكباد

انتهى ماقصدجلبه من كلام الفتح رحمه الله تعالى وسامحه * وقال ابن اللبانة فى كتاب نظم السلوك فى مواعظ الملوك فى اخبار الدولة العبادية ان طائفة من اصحاب المعتمد خاطرت عليه فأعلم باعتقادها وكشف له عن مرادها وحض على هتك حرمها واغرى بسفك دمها فابى ذلك مجده الاثيل ومذهبه الجميل وماخصه الله تعالى به من حسن اليقين وصحة الدين الى ان امكنتهم الغرة فانتصروا بغاث مستنسر وقاموا بجمع غير مستبصر فبرز من قصره متلافيا لامره عليه غلالة ترف على جسده وسيفه يتلظى فى يده

كان السيف راق وراع حتى * كان عليه شيمة منتضيه
كان الموت أودع فيه سرا * ليرفعه الى يوم كريه

فلقى على باب من أبواب المدينة فارسا مشهورا بنجدة فرماه الفارس برمح التوى على غلالته وعصمه الله تعالى منه وصب هو سيفه على عاتق الفارس فشقه الى اضلاعه فخر صريعا سريعا فرأيت القائمين عندما تسنموا الاسوار تساقطوا منها وبعدما أمسكوا الابواب تخلوا عنها وأخذوا على غير طريق وهوت بهم ريح المهيبة فى مكان سحيق فظننا أن البلد من أقذائه قد صفا وثوب العصمة علينا قد ضفا الى أن كان يوم الاحد الحادى والعشرون من رجب فعظم الخطب فى الامر الواقع واتسع الخرق فيه على الراقع ودخل البلد من جهة واديه وأصيب حاضره بعادية باديه بعد أن ظهر من دفاع المعتمد وبأسه وترامية على الموت بنفسه مالا مزيد عليه ولا انتهى خلق اليه فشنت الغارة فى البلد ولم يبق فيه على سبد لاحد ولا لبد وخرج الناس عن منازلهم يسترون عوراتهم بأاملهم وكشف وجوه المخدرات العذارى ورأيت الناس سكارى وماهم بسكارى وزحل

وهلك يزيد بحوارين من أرض دمشق لسبع عشرة ليلة خلت من صفر سنه أربع وستين وهو ابن ثلاث

الآية قاموا بعمالم الدين وناصحوا الاجتهاد للمسلمين حتى تهذبت طرقه وقويت اسبابه وظهرت آلاء الله واستقر دينه ووضحت اعلامه وأذل الله بهم الشرك وأزال روحه ومحا دعائمه وصارت كلمة الله العليا وكلمة الذين كفروا السفلى فصلوات الله ورحمته وبركاته على تلك النفوس الزاكية والارواح الطاهرة العالية فقد كانوا فى الحياة لله اولياء وكانوا بعد الموت أحياء أصحياء رحلوا الى الآخرة قبل ان يصلوا اليها وخرجوا من الدنيا وهم بعد فيها فقطع عليه معاوية الكلام وقال ايها يا ابن عباس حدثنى فى غير هذا

(ذكر ايام يزيد بن معاوية ابن أبى سفيان)

وبويع يزيد بن معاوية فكانت أيامه ثلاث سنين وثمانية أشهر الاثمانى ليال وأخذ يزيد لابنه معاوية ابن يزيد البيعة على الناس قبل موته ففى ذلك يقول عبد الله بن همام السلولى تلقفها يزيد عن أبيه

خذها يامعاوى عن يزيدا
فقد علقت بكم فتلقفوها
ولاترموا بها الغرض البعيدا

بالمعتمد وآله بعد استئصال جميع ماله لم يصحب معه بلغة زاد ولا بغية مراد فأمضيت عزيمتى فى اتباعه فوصلت اليه باغمات عقب ثقاف استنقذه الله منه فذكرت له شعرا كان لى فى صديق اتفق له مثل ذلك فى الشهر بعينه من العام الماضى وهو الامير أبو عبد الله بن الصفار وهو

لم تقل فى الثقاف كان ثقافا * كنت قلبا به وكان شغافا
يمكث الزهر فى الكمام ولكن * بعد مكث الكمام يدنو قطافا
واذا ما الهلال غاب لغيم * لم يكن ذلك المغيب انكسافا
انما أنت درة للعوالى * ركب الدهر فوقها أصدافا
حجب البيت منك شخصا كريما * مثل ما تحجب الدنان السلافا
أنت للفضل كعبة ولوانى * كنت أستطيع لاستطعت الطوافا

قال أبو بكر وجرت بينى وبينه مخاطبات ألذ من غفلات الرقيب وأشهى من رشفات الحبيب وأدل على السماح من فجر على صباح انتهى ثم قال ولما خلع المعتمد وذهب الى اغمات طلب من حواء بنت تاشفين خباء عارية فاعتذرت بأنه ليس عندها خباء فقال

هم أوقدوا بين جفنيك نارا * أطالوا بها فى حشاك استعارا
أما يخجل المجد أن زوّدوك * ولم يصحبوك خباء معارا
فقد قنعوا المجد ان كان ذاك * وحاشاهم منك خزيا وعارا
يقل لعينك أن يجعلوا * سوادا العيون عليكم شعارا

ثم انه بقى ماسورا باغمات الى سنة ٤٨٢ فاخذ بها لقة رجل كبير يعرف بابن خلف فسجن مع أصحاب له فنقبوا السجن وذهبوا الى حصن منت ميور ليلا فاخرجوا قائدها ولم يضروه وبينما هم كذلك اذ طلع عليهم رجل فسألوه فاذا هو عبد الجبار بن المعتمد فولوه على أنفسهم وظن الناس انه الراضى فبقى فى الحصن ثم أقبل مركب من الغرب يعرف بمركب ابن الزرقاء فانكسر بمرسى الشجرة قريبا من الحصن فاخذوا بنوده وطبوله وما فيه من طعام وعدة فاتسعت بذلك حالتهم ثم وصلت أم عبد الجبار اليه ثم خاطبه أهل الجزيرة وأهل أركش فدخلها سنة ٤٨٨ ولما بلغ خبر عبد الجبار الى ابن تاشفين أمر بثقاف المعتمد فى الحديد وفى ذلك يقول

قيدى أما تعلمنى مسلما * أبيت أن تشفق أو ترحما
يبصرنى فيلك أبو هاشم * فينثنى القلب وقد هشما

وبقى الى أن توفى رحمه الله سنة ٤٨٨ وقد ساق الفتح قضية ثورة عبد الجبار بن المعتمد بعبارته البارعة فقال وأقام بالعدوة برهة لا يروع له سرب وان لم يكن آمنا ولا يثور له كرب وان كان فى ضلوعه كامنا الى أن ثار أحد بنيه بأركش معقل كان مجاور الاشبيلية مجاورة الانامل للراح ظاهرا على بسائط وبطاح لا يمكن معه عيش ولا يتمكن من منازلته جيش فغدا على أهلها بالمكاره وراح وضيق عليهم المتسع من جهاتها والبراح فسار نحوه الامير سير بن ابى بكر رحمة الله عليه قبل أن يرتد طرف استقامته اليه فوجده

وقد رثاه الاخطل النصرانى فقال من قصيدة

لعمرى لقد دلى الى الخلد خالد * جنازة لا نكس الفؤاد ولا غمر
مقيم بحوّارين ليس يريمها * سقته الغوادى من ثرى ومن قبر

فى أبيات

(ذكر مقتل الحسين بن على بن أبى طالب عليه السلام ومن قتل معه من أهل بيته وشيعته)

ولما مات معاوية أرسل أهل الكوفة الى الحسين ابن على انا قد حبسنا انفسنا على بيعتك ونحن نموت دونك ولسنا نحضر جمعة ولا جماعة بسببك وطولب الحسين البيعة ليزيد بالمدينة فسام التأخير وخرج يتهادى بين مواليه ويقول

لا ذعرت السوام فى فلق الصبـ * ـح مغيرا ولا دعيت يزيدا
يوم أعطى مخافة الموت ضيما * والمنايا ترصدنى ان أحيدا

ولحق بمكة فأرسل ابن عمه مسلم بن عقيل الى الكوفة قال له سر الى أهل الكوفة فان كان حقا ما كتبوا به عرفنى حتى الحق بك فخرج مسلم من مكة فى النصف من شهر رمضان حتى قدم الكوفة لخمس خلون من شوال والامير عليها النعمان بن بشير الانصارى فنزل على

رجل يقال له عوسجة مستترا فلما ذاع خبر قدومه بايعه من اهل الكوفة اثنا عشر الف رجل وقيل ثمانية عشر الفا فكتب بالخبر الى الحسين وسألة القدوم اليه فلما هم الحسين بالخروج الى العراق أتاه ابن عباس فقال له يا ابن عم قد بلغني انك تريد العراق وانهم أهل غدر وانما يدعونك للحرب فلا تعجل وان أبيت الا محاربة هذا الجبار وكرهت المقام بمكة فالحق بالى اليمن فانها في عزلة ولك فيها انصار واخوان فأقم بها وبث دعاتك واكتب الى أهل الكوفة وانصارك بالعراق فيخرجوا اميرهم فان قووا على ذلك ونفوه عنها ولم يكن بها احد يعاديك اتيتهم وما انا بغدرهم بآمن وان لم يفعلوا الحقت بمكانك الى ان تأتي الله بأمره فان فيها حصونا وشعابا فقال الحسين يا ابن عم اني لأعلم انك لي ناصح وعلى شفيق ولكن مسلم بن عقيل كتب الى باجتماع اهل المصر على بيعتي ونصرتي وقد اجمعت على المسير قال انهم من حوت وجرت وهم اصحاب ابيك واخيك وقتلتك غدا مع اميرهم انك لو قد خرجت فبلغ ابن زياد خروجك استنفرهم اليك وكان الذين كتبوا اليك اشد من عدوك فان عصيتني وابيت الا الخروج الى الكوفة فلا تخرجن

وشره قد تسعر وصدره قد تغير وجمره متسعر وأمره متوعر فنزل عدوته وحل للعزم حبوته وتدارك داءه قبل اعضاله ونازله وما اعدت لات نضاله وانحشدت اليه الجيوش من كل قطر وأفرغ في مسالكه كل قطر فبقي محصورا لا يشد اليه الا سهم ولا ينفذ عنه الا نفس أو وهم وامتلك شهورا حتى عرضه أحد الرماه بسهم فرماه فاصماه فهوى في مطلعه وخر قتيلا في موضعه فدفن الى جانب سريره وأمن عاقبة تغريره وبقي اهله ممتنعين مع طائفة من وزرائه حتى اشتد عليهم الحصر وارتدعنهم النصر وعمهم الجوع وأغب أجمانهم الهجوع فنزلت منهم طائفة متهافته وولت بأنفاس خافته فتبعهم من بني ورغب في التنعم من شقي فوصلوا الى قبضه الممات وحصلوا في غصة الممات فوسمهم الحيف وتقسمهم السيف ولما زار الشبل خيفت سورة الاسد ولم يرج صلاح الكل والبعض قد فسد فاعتقل المعتمد خلال تلك الحال واثناءها وأحل ساحة الخطوب وفناءها وحين اركبوه أسودا وأورثوه حزنا بات له معاودا قال

غيرك اعمى تيه الالحان * ثقلت على الارواح والابدان
فكان كالثعبان قيدك في الورى * فغدا عليك القيد كالثعبان
متمددا لحذاك كل ممدد * متعطفا لارحمة للعاني
قلبي الى الرحمن يشكو بثه * ما خاب من يشكو الى الرحمن
يا سائلا عن شأنه ومكانه * ما كان أغنى شانه عن شان
ها بيتك قيدته وذلك قصره * من بعد أي مقاصر وقيان

ولما فقد من كان يجالسه وبعد عنه من كان يؤانسه ونمادى كربه ولم تسلمه حربه قال

تؤمل للنفس الشحيحة فرجة * وتأبى الخطوب السود الا تماديا
لياليك من زاهيك أصفى صحبتها * كذا صحبت قبل الملوك الليا ليا
نعيم وبؤس ذا لذلك ناسخ * وبعدهما نسخ المنايا الامانيا

ولما امتدت مدته واشتدت عليه قسوة الكيل وشدته وأقلقته هموم وأطبقته غموم وتوالت عليه الشجون وطالت لياليه الجون قال

أبناء أسرك قد طبقن آفاقا * بل قد عممن جهات الارض افلاقا
سرت من الغرب لا يطوى لها قدم * حتى أتت شرقها تنعاك اشراقا
فاحرق الفجع أكبادا وأفئدة * وأغرق الدمع آماقا وأحداقا
قد ضاق صدر المعالي اذ نعيت لها * وقيل ان عليك القيد قد ضاقا
اني غلبت وكنت الدهر ذا غلب * للعالمين وللسباق سباقا
قلت الخطوب أدلتني طوارقها * وكان غربي الى الاعداء طراقا
متى رأيت صروف الدهر تاركة * اذا انبرت لذوي الاخطار أرماقا

وقال لي من أثقه لما ثار ابنه حيث ثار وأثار من حقد أمير المسلمين عليه ما أثار جزع جزعا مفرطا وعلم أنه قد صار في أنشوطة الشر متورطا وجعل يتشكى من فعله ويتظلم ويتوجع منه ويتألم ويقول عرض بي للمحن ورضي لي أن امتحن ووالله ما أبكي الا انكشاف من

نساءك وولدك معك اليه فكان الذى رد عليه لأن اقتل والله بمكان كذا احب الى من ان استحل بمكة فيقتل ابن عباس منه وخرج من عنده فمر بعبد الله بن الزبير فقال قرت عينك يا ابن الزبير وانشد بالك من قبرة بمعمر * خلا لك الجو فبيضى واصفرى ونقرى ما شئت ان تنقرى هذا حسين يخرج الى العراق ويخليك والحجاز وبلغ ابن الزبير انه يريد الخروج الى الكوفة وهو اثقل الناس عليه قد غمه مكانه بمكة لان الناس ما كانوا يعدلونه بالحسين فلم يكن شئ يؤتاه أحب اليه من شخوص الحسين عن مكة فاتاه فقال أبا عبد الله ما عندك فوالله لقد خفت الله فى جهاد هؤلاء القوم على ظلمهم واستذلالهم الصالحين من عباد الله فقال حسين قد عزمت على اتيان الكوفة فقال وفقك الله أما لو أن لى مثل انصارك ما عدلت عنها ثم خاف أن يتهمه فقال ولو أقمت بمكانك فدعوتنا وأهل الحجاز الى بيعتك أجبناك وكنا اليك سراعا وكنت أحق بذلك من يزيد وأبى يزيد

(ودخل) أبو بكر بن الحرث بن هشام على الحسين فقال يا ابن عم ان الرحم يظاثرنى عليك بكيت

فوالله انى لخائف ان تقتل كما قتل عثمان ونساؤه وولده ينظرون

أتخلفه بعدى ويخيفه بعدى ثم أطرق ورفع رأسه وقد تهللت أسرته وظللته مسرته ورأيته قد استجمع وتشوف الى السماء وتطلع فعلمت أنه قد رجا عودة الى سلطانه وأوبة الى أوطانه فما كان الا بمقدار ما تنداح دائره أو تلتفت مقلة حائره حتى قال

كذا يهلك السيف فى جفنه * الى هزكنى طويل الحنين
كذا يعطش الرمح لم أعتقله * ولم تروه من نجيع يمينى
كذا يمنع الطرف عالك الشكيم مرتقبا غرة فى كمين
كأن الفوارس فيه ليوث * تراعى فرائسها فى عرين
الا شرف يرحم المشرفى مما به من سمات الوتين
الا كرم يغش السمهرى * ويشفيه من كل داء دفين
الا حسنة لابن محنية * شديد الحنين ضعيف الانين
يؤمل من صدرها ضمة * تبوئه صدر كبر معين

وكانت طائفة من أهل فاس قد عاثوا فيها وفسقوا وانتظموا فى سلك الطغيان واتسقوا ومنعوا جفون أهلها السنات وأخذوا البنين من حجور آبائهم والبنات وتلقبوا بالاماره وأركبوا السوء نفوسهم الاماره حتى كادت أن تقفر على أيديهم وتدثر رسومها بافراط تعديهم الى أن تدارك أمير المسلمين رحمه الله تعالى أمرهم وأطفأ جمرهم وأوجعهم ضربا وأقطعهم ماشاء حزنا وكربا وسجنهم باغمات وضمتهم جوانح الملمات والمعتمد اذ ذاك معتقل هنالك وكانت فيهم طائفة شعريه مدنية أو بريه فرغبوا الى سجانهم أن يستريحوا مع المعتمد من أشجانهم فخلى ما بينهم وبينه وغمض لهم فى ذلك عينه فكان المعتمد رحمه الله تعالى يتسلى بمجالستهم ويجد اثر مؤانستهم ويستريح اليهم بجواه ويبوح لهم بسره ونجواه الى أن شفع فيهم واطلق اوثاقهم وانفرج لهم مبهم اغلاقهم وبقى المعتمد يشتكى من ضيق الكبل ويبكى بدمع كالوبل فدخلوا عليه مودعين ومن بشه متوجعين فقال

أما لانسكاب الدمع فى الخد راحة * لقد آن أن يفنى ويفنى به الخد
هبوا دعوة يا آل فاس لمبتلى * بما منه قد عافاكم الصمد الفرد
تخلصتم من سجن اغمات والتوت * على قيود لم يحن فكها بعد
من الدهم أما خلقها فأساود * تلوى واما الايد والبطش فالاسد
فهنيئتم النعما ودامت لكلكم * سعادته ان كان قد خاننى سعد
خرجتم جماعات وخلفت واحدا * ولله فى أمرى وأمركم الحمد

ومر عليه فى موضع اعتقاله سرب قطا لم يعلق لها جناح ولا تعلق بها من الايام جناح ولا عاقها عن أفراخها الا شرك ولا أعوزها البشام ولا الارالك وهى تمرح فى الجو وتسرح فى مواقع النو فتنكد بما هو فيه من الوثاق وما دون أحبته من الرقباء والاغلاق وما يقاسيه من كبله ويعانيه من وجده وخبله وفكر فى بناته وافتقارهن الى نعيم عهدنه وحبور حضرنه وشهدنه فقال

بكيت الى سرب القطا اذ مررن بي * سوارح لا سجن يعوق ولا كبل
ولم تك والله المعيد حسادة * ولكن حنينا ان شكلي لها شكل
فأسرح لا شملي صديع ولا الحشا * وجيع ولا عيناي يبكيهما ثكل
هنيئا لها اذ لم يفرق جميعها * ولا ذاق منها البعد عن أهلها أهل
واذ لم تبت مثلي تطير قلوبها * اذا اهتز باب السجن أو صاصل القفل
وماذاك مما يعتريه وانما * وصفت التي في جبلة الخلق من قبل
لنفسي أن ألقى الحمام تشوف * سواي يحب العيش في ساقه كبل
الا عصم الله القطا في فراخها * فان فراخي خانها الماء والظل

وفي هذه الحالة زاره الاديب أبو بكر بن اللبانة وهو أحد شعراء دولته المرتضعين درها المتبعين درها وكان المعتمد رحمه الله تعالى يميزه بالتشوف والاحسان ويجوزه على فرسان هذا الشان فلما رآه وحلقات الكبل قد عضت بساقيه عض الاسود والتوت عليه التواء الاساود السود وهو لا يطيق اعمال قدم ولا يريق دمعا الا ممزوجا بدم ماعهده فوق منبر وسرير ووسط جنة وحرير تخفق عليه الالويه وتشرق منه الاندية وتكف الامطار من راحته وتشرف الاقدار بحلول ساحته ويرتاع الدهر من اوامره ونواهيه ويقصر النسر أن يقارنه أو يضاهيه نديه بكل مقال يلهب الاكباد ويثير فيه لوعة الحرث ابن عباد أبدع من أنا شيد معبد وأصدع للكبد من مراثي أربد أو بكاء ذي الرمة بالمربد سلك فيها للاحتفاء طريقا لاحبا وغدا فيها الذبول الوفاء ساحبا فمن ذلك قوله

انفض يديك من الدنيا وساكنها * فالارض قد أقفرت والناس قد ماتوا
وقل لعالمها السفلي قد كتمت * سريرة العالم العلوي اعمات
طوت مظلتها الابل مذ لتها * من لم تزل فوقه للعز رايات
من كان بين الندى والبأس انصله * هنديه وعطاياه هنيدات
رماه من حيث لم تسترها سابغة * دهر مصيباته نبل مصيبات
أنكرت الالة والقيود به * وكيف تنكر في الروضات حيات
غلطت بينهما بين عقد له * وبينها فاذا الانواع اشتات
وقلت هن ذؤابات فلم عكست * من رأسه نحو رجليه الذؤابات
حسبتها من قناه أو أعنته * اذا بها لثقاف المجد آلات
دروه ليثا فخافوا منه عادية * عذرتهم فلعدو الليث عادات
لو كان يفرج عنه بعض آونة * قامت بدعوته حتى الجمادات
بحر محيط عهدناه تجيء له * كنقطة الدارة السبع المحيطات
لهفي على آل عباد فانهم * أهلة ما لها في الافق هالات
راح الحيا وغدا منهم بمنزلة * كانت لنا بكر فيها وروحات
أرض كأن على أقطارها سرجا * قد أوقدت هن بالادهان أنبات
وفوق شاطئ واديها رياض ربا * قد ظللتها من الانشام دوحات

أبوك أشد بأسا والناس له أرجى ومنه أسمع وعليه أجمع فسار الى معاوية والناس مجتمعون عليه الا أهل الشام وهو أعز منه فخذلوه وتثاقلوا عنه حرصا على الدنيا وضنا بها فخرعوه الغيط وخالفوه حتى صار الى ما صار اليه من كرامة الله ورضوانه ثم صنعوا باخيك بعد أبيك ما صنعوا وقد شهدت ذلك كله ورأيته ثم أنت تريد أن تسير الى الذين عدوا على أبيك وأخيك تقاتل بهم أهل الشام وأهل العراق ومن هو أعد منك وأقوى والناس منه أخوف وله أرجى فلو بلغهم مسيرك اليهم لاستطغوا الناس بالاموال وهم عبيد الدنيا فيقاتلك من قد وعدك أن ينصرك ويخذلك من أنت أحب اليه ممن ينصره فاذكر الله في نفسك فقال الحسين جزاك الله خيرا يا ابن عم فقد أجهدك رأيك ومهما يقض الله يكن فقال وعند الله نحتسب

أبا عبد الله ثم دخل على الحرث بن خالد بن العاص ابن هشام المخزومي وهو الى مكة وهو يقول

كم نرى ناصحا يقول فيعصى * وظنين المغيب يلفى نصيحا

فقال وماذاك فاخبره بما قال للحسين فقال نصحت له ورب الكعبة واتصل الخبر بيزيد فكتب الى

كان واديها سلك بلبتها * وغاية الحسن أسلاك ولبات
نهر شربت بعبريه على صور * كانت لها من قبيل الراح سورات
وربما كنت اسمو للخليج به * وفي الخليج لاهل الراح راحات
وبالغروسات لاجفت منابتها * من النسيم غروسات جنيات

ولم تزل كبده تتوقد بالزفرات وخلده يتردد بين النكبات والعثرات ونفسه تتقسم بين الاشجان والحسرات الى أن شفته منيته وجاءته بها أمنيته فدفن باغمات وأريح من تلك الازمات (وعطلت المآثر من حلاها * وافردت المفاخر من علاها) ورفعت مكارم الاخلاق وكسدت نفائس الاعلاق وصار أمره عبرة في عصره وصاب أندى عبرة في مصره وبعد ايام وافى أبو بحر بن عبد الصمد شاعره المتصل به المتوصل الى المنى بسببه فلما كان يوم العيد وانتشر الناس ضحى وظهر كل متوار وضحا قام على قبره عند انفصالهم من مصلاهم واختيالهم بزينتهم وحلاهم وقال بعد أن طاف بقبره والتزمه وخر على تربه ولثمه

ملك الملوك أسامع فأنادي * أم قد عدتك عن السماع عوادي
لما خلت منك القصور فلم تكن * فيها كما قد كنت في الاعياد
قبلت من هذا الثرى لك خاضعا * وتخذت قبرك موضع الانشاد

وهي قصيدة أطال انشادها وبنى بها اللواعج وشادها فانحشر الناس اليه وانحفلوا وبكوا ببكائه وأعولوا وأقاموا أكثر نهارهم مطيفين به طواف الحجيج مديمين للبكاء والنحيج ثم انصرفوا وقد نزفوا ماء عيونهم وأقرحوا مآقيهم بفيض شؤنهم وهذه نهاية كل عيش وغاية كل ملك وجيش والايام لاتدع حيا ولا تألو اكل تشرطيا تطرق رزاياها كل سمع وتفرق منابتها كل جمع وتصمي كل ذي أمر ونهي وترمي كل مشيد بوهي ومن قبله طوت النعمان بن الشقيقة ولوت مجازه في تلك الحقيقة انتهى ماقصدنا جلبه من كلام الفتح مما يدخل في أخبار المعتمد بن عباد لمناسبة تامة وكلام الفتح كله الغاية وليس الخبر كالعيان ولذا قال بعض من عرف به انه أراد أن يفضح الشعراء الذين ذكرهم في كتبه بنثره سامحه الله تعالى وأخبار المعتمد رحمه الله تعالى تحتمل مجلدات وآثاره الى الآن بالعرب مخلدات وكان من النادر الغريب قولهم في الدعاء للصلاة على جنازته الصلاة على الغريب بعد اتساع ملكه وانتظام سلكه وحكمه على اشبيلية وأنحائها وقرطبة وزهرائها وهكذا شأن الدنيا في تدريسها نحوندبتها واغرائها * وقد توجه لسان الدين الوزير بن الخطيب الى أغمات لزيارة قبر المعتمد رحمه الله تعالى ورأى ذلك من المهمات وأنشد على قبره ابياته الشهيرة التي ذكرتها في جملة نظمه الذي هو أرق من النسيم وابهج من المحيا الوسيم * قلت وقد زرت أنا قبر المعتمد والرميكية أم أولاده حين كنت بمراكش المحروسة عام عشرة والف وعمي على أمر القبر المذكور وسألت عنه من نظن معرفته له حتى هدي اليه شيخ طعن في السن وقال لي هذا قبره ملك ملوك الاندلس وقبر حظيته التي كان قلبه بحبها خفاقا غير مطمئن فرأيته في ربوة

عبيد الله بن زياد بتوليته أهله وحشمه وعليه عمامة سوداء قد تلثم بها وهو راكب بغلة والناس يتوقعون قدوم الحسين فجعل ابن زياد يسلم على الناس فيقولون وعليك السلام يا ابن رسول الله قدمت خير مقدم حتى انتهى الى القصر وفيه النعمان ابن بشير فتحصن فيه ثم أشرف عليه فقال يا ابن رسول الله مالي ولك وما حملك على قصد بلدي من بين البلدان فقال ابن زياد لقد طال يومك يا نعيم وحصر اللئام عن فيه فعرفه ففتح له وتنادى الناس ابن مرجانه وحصبوه بالحصباء ففاتهم ودخل القصر ولما اتصل خبر ابن زياد بمسلم تحول الى هانئ ابن عروة المرادي ووضع ابن زياد الرصد على مسلم حتى علم بموضعه فوجه محمد ابن الاشعث بن قيس الى هانئ فجاءه فسأله عن مسلم فانكره فاغلظ له ابن زياد القول فقال هانئ ان لزيادا أبيك عندي بلاء حسنا وأنا أحب مكافأته به فهل لك في خير قال ابن زياد وما هو قال تشخص الى أهل الشام أنت وأهل بيتك سالمين باموالكم فانه قد جاء حق من هو أحق من حقك وحق صاحبك فقال ابن زياد دنوه مني فانوه منه فضرب وجهه

حسبما وصفه ابن الخطيب رحمه الله تعالى في الابيات وحصلت لي من ذلك المحل خشية وادكار وذهبت بي الافكار في ضروب الآيات فسبحان من بؤتي ملكه من يشاء لا اله غيره وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين * وما أحسن قول الوزير ابن عبدون في مطلع رائيته الشهيرة

الدهر يفجع بعد العين بالاثر * فما البكاء على الاشباح والصور

(وهو القائل)

يا نائم الليل في فكر الشباب أفق * فصبح شيبك في أفق النهى بادي
غضت عنا فلك أيدي الدهر ناسخة * علما بجهل واصلاحا بافساد
وأسلمت للمنايا آل مسلمة * وعبدت للرزايا آل عباد
لقد هوت منك خانتها قوادمها * بكوكب في سماء المجد وقاد
ومنها ومائك كان يحيي شول قرطبة * أستغفر الله لا بل شول بغداد
شق العلوم تطافا والعلا زهرا * فبين ما بين رواد ووراد

وأين هذه القصيدة في مدحهم من قصيدة الغض منهم وهي قول أبي الحسن جعفر بن ابراهيم ابن الحاج اللورقي

تعز عن الدنيا ومعروف أهلها * اذا عدم المعروف في آل عباد
حللت بهم ضيفا ثلاثة أشهر * بغير قرى ثم ارتحلت بلا زاد

وهذا يدلك على أن الشعراء لم يسلم من لسانهم من أحسن فضلا عمن أساء من العظماء والرؤساء وما أمدح قول أبي محمد بن غانم فيهم

ومن الغريب غروب شمس في الثرى * وضياؤها باق على الآفاق

وقال في المطمح في حق بني عباد وأوليتهم ما صورته الوزير أبو القاسم محمد بن عباد هذه بقية منتماها في لخم ومرماها الى مفخر ضخم وجدهم المنذر بن ماء السماء ومطلعهم في جو تلك السماء وبنو عباد ملوك أنس بهم الدهر وتنفس منهم عن أعبق الزهر وعمروا ربع الملك وأمروا بالحياة والملك ومعتضدهم أحد من أقام وأقعد وتبوأ كاهل الارهاب واقتعد وافترش من عريشته وافترس من مكايد فريسته وزاحم بعود وهد كل طود وأخمل كل ذي زي وشاره وختل بوحي واشاره ومعتمدهم كان أجود الاملاك وأحد نيرات تلك الافلاك وهو القائل وقد شغل عن منادمة خواص دولته بمنادمة العقائل

لقد حننت الى ما اعتدت من كرم * حنين أرض الى مستأخر المطر
فهاتها خلعا أرضى السماح بها * محفوفة في أكف الشرب بالبدر

وهو القائل وقد حن في طريقه الى فريقه

اد ار النوى كم طال فيك تلذذي * وكم عقتني عن دار أهيف أغيد
حلفت به لو قد تعرض دونه * كماة الاعادي في النسيج المسرد
لجردت للضرب المهند فانقضى * مرادي وعزما مثل حد المهند

على وجهه ورأسه وضرب هانئ بيده الى قائم سيف شرطي من تلك الشرط فجاذبه الرجل ومنعه السيف وصاح اصحاب هانئ بالباب قتل صاحبنا فخافهم ابن زياد وامر بحبسه في بيت الى جانب مجلسه واخرج اليهم ابن زياد شريحا القاضي فشهد عندهم انه حي لم يقتل فانصرفوا ولما بلغ مسلما ما فعل ابن زياد بهانئ امر منادیا فنادى يا منصور وكانت شعارهم فتنادى اهل الكوفة بها فاجتمع اليه في وقت واحد ثمانية عشر الف رجل فسار الى ابن زياد فتحصن منه فحصره في القصر فلم يمس مسلم ومعه غير مائة رجل فلما نظر الى الناس يتفرقون عنه سار نحو ابواب كنده فما بلغ الباب الا ومعه منهم ثلاثة ثم خرج من الباب فاذا ليس معه منهم أحد فبقي حائرا لا يدري أين يذهب ولا يجد أحدا يدله على الطريق فنزل عن فرسه ومشى متلددا في أزقة الكوفة لا يدري أين يتوجه حتى انتهى الى باب مولاة للاشعث بن قيس فاستسقاها ماء فسقته ثم سألته عن حاله

فاعلمها بقضيته فرقت له وآوته بفناء ابنها فعلم بموضعه فلما أصبح غدا الى محمد بن الاشعث فاعلمه فضي

والقاضي أبو القاسم هذا جدهم وبه سفر مجدهم وهو الذي اقتنص لهم الملك النافر واختصهم منه بالحظ الوافر فانه اخذ الرياسة من ايدي جابر واضحى من ظلال اعيان اكابر عندما اناخت بها اطماعهم واصاخت اليها اسماعهم وامتدت اليها من مستحقيها اليد واتلموا اجيادا زانها الجيد وفغر عليها فوه حتى هجا بيت العبدي وتصدى اليها من تحضر وتبدى فاقتعد سنامها وغاربها وابعد عنها عجمها واعاربها وفاز من الملك باوفر حصه وغدت سمته به صفة مختصه فلم يمح رسم القضاء ولم يتسم بسمة الملك مع ذلك النفوذ والمضاء ومازال يحمي حوزته و يجلو عزته حتى حوته الرجام وخلت منه تلك الآجام وانتقل الملك الى ابنه المعتضد وحل منه في روض غمق له وتضد ولم يعمر فيه ولم يدم ولاه وتسمى بالمعتضد بالله وارتمى الى أبعد غايات الجود بما أناله وأولاه لولا بطش في اقتضا النفوس كدر ذلك المنهل وعكر أثناء ذلك صفو العل والنهل ومازال للارواح قابضا وللوثوب عليها رابضا يخطف اعداءه اختطاف الطائر من الوكر و ينتصف منهم بالدهاء والمكر الى أن أفضى الملك الى ابنه المعتمد فاكتحل منه طرفه الرمد وأحد مجده وتقلد منه أي باس ونجده ونال به الحق مناه وجدد سناه وأقام في الملك ثلاثا وعشرين سنه لم تعدم له فيها حسنة ولا سيرة مستحسنه الى أن غلب على سلطانه وذهب به من اوطانه فنقل الى حيث اعتقل وقام كذلك الى ان مات ووارته تربة اغمات وكان للقاضي جده أدب غض ومذهب مبيض ونظم يرتجله كل حين و ينفثه أعطر من الرياحين فمن ذلك قوله يصف النيلوفر

يا ناظرين لذا النيلوفر البهج * وطيب مخبره في الفوح والارج
كأنه جام در في تألقه * قد أحكموا وسطه فصا من السبج

انتهى المقصود منه وهو أعني الفتح يشيد قصور الشرف اذا مدح و يهدم معاقلها اذا هجا وقدح * ومن أغراضه قوله في المطمع في حق الاديب أبي جعفر بن البتي رافع رايات القريض وصاحب آيات التصريح والتعريض أقام شرائعه وأظهر بدائعه اذا نظم ازرى بالعقود وأتى بأحسن من رقم البرود وكان أليف علمان وحليف كفر لا ايمان مانطق متشرعا ولا رمق متورعا ولا اعتقد حشرا ولا صدق بعثا ولا نشرا تنسك مجونا وفتكا وتمسك باسم التقى وقد هتكه هتكا لا يبالي كيف ذهب ولا بم تمذهب وكانت له أهاجي جرع بها صابا ودرع منها أوصابا وقد أثبت له ما يرشف ريقا و يشرب تحقيقا فمن ذلك قوله يتغزل

من لي بغرة فاتن يختال في * حلل الجمال اذا بدا وحليه
لو شمت في وضح النهار شعاعها * ما عاد جنح الليل بعد مضيه
شرقت لآلي الحسن حتى خلصت * ذهبية في الخد من فضيه
في صفحتيه من الجمال ازاهر * غذيت بوسمي الحيا ووليه
سلمت محاسنه لقتل محبه * من سحر عينيه حسام سميه

وله فيه

ابن الاشعث الى ابن زياد رجلا فاقتحموا على مسلم الدار فثار عليهم بسيفه وشد عليهم فاخرجهم من الدار ثم حملوا عليه الثانية فشد عليهم وأخرجهم أيضا فلما رأى ذلك علوا ظهر البيوت فرموه بالحجارة وجعلوا يلهبون النار باطراف القصب ثم يلقونها عليه من فوق البيوت فلما رأى ذلك قال أكل ما أرى من الاحلاب لقتل مسلم بن عقيل يا نفس اخرجي الى الموت الذي ليس عنه محيص فخرج اليهم مصلتا سيفه الى السكة فقاتلهم واختلف هو وبكير بن حمران الاحمري ضربتين فضرب بكير فم مسلم فقطع السيف شفته العليا وشرع في السفلى وضربه مسلم ضربه منكرة في رأسه ثم ضربه أخرى على حبل العاتق فكاد يصل الى جوفه وهو يرتجز و يقول

اقسم لا أقتل الا حرا
وان رأيت الموت شيأ مرا
كل امرئ يوما ملاق شرا
أخاف ان اكذب أو اغرا

فلما رأوا ذلك تقدم اليه محمد بن الاشعث فقال له فانك لا تكذب ولا تغدر وأعطاه الامان فامكنهم من نفسه وحملوه على بغلة وأتوا به ابن زياد وقد سلبه ابن الاشعث حين أعطاه الامان سيفه وسلاحه وفي ذلك يقول بعض الشعراء كيف

كيف لا يزداد قلبي * من جوى الشوق خبالا
واذا قلت على * بهر الناس جمالا
هو كالغصن وكالبد * رقواما واعتدالا
اشرق البدر كمالا * وانثنى الغصن اختيالا
ان من رام سلوى * عنه قد رام محالا
لست اسلو عن هواه * كان رشدا او ضلالا
قل لمن قصر فيه * عذل نفسي او اطالا
دون أن تدرك هذا * تسلب الرقي الهلالا

وكنت بميورقة وقد حلها متسما بالعباده وهو أسرى الى الفجور من خيال أبي عباده وقد لبس أسمالا ولبس منه أقوالا وأفعالا سجوده هجوده واقراره بالله جحوده وكانت له رابطة لم يكن للوازمها مرتبطا ولا بسكناها مغتبطا سماها بالعقيق وسمى فتى كان يتعشقه بالحمى وكان لا يتصرف الا في صفاته ولا يقف الا بعرفاته ولا يؤرقه الا جواه ولا يشوقه الا هواه فاذا بأحد دعاة حبيبه ورواة تشبيبه قال له كنت البارحة بحماه وذكر له خبرا ورى به عنى وعماه فقال

تنفس بالحمى مطلول أرض * فاودع نشره نشرا شمالا
فصحت العيون الى كسلى * تجر فيه أردانا خضالا
أقول وقد شممت الترب مسكا * بنفحتها يمينا او شمالا
نسيم جاء يبعث منك طيبا * ويشكو من محبتك اعتلالا

ولما تقرر عند ناصر الدولة من امره ما تقرر وتردد على سمعه انتهاكه وتكرر اخرجه من بلده ونفاه وطمس رسم فسقه وعفاه فأقلع الى المشرق وهو جار فلما صار من ميورقة على ثلاثة بحار نشأت له ريح صرفته عن وجهته الى فقد مهجته فلما الحق بميورقة اراد ناصر الدولة اماحته واخذ ثار الدين منه واراحته ثم آثر صفحه واخذ ذلك الجرو لفحه واقام اياما ينتظر ريحا علها تزجيه ويستهديها التخلص وتنجيه وفي اثناء بلوته لم يتجاسر احد على اتيانه من اخوته فقال يخاطبهم

احبتنا الا لي عتبوا علينا * فأقصرنا وقد ازف الوداع
لقد كنتم لنا جذلا وانسا * فهل في العيش بعدكم انتفاع
اقول وقد صدونا بعد يوم * اشوق بالسفينة ام نزاع
اذا طارت بنا حامت عليكم * كأن قلوبنا فيها شراع

وله يتغزل

بني العرب الصميم الارعيتم * ما آثركم بآثار السماح
وفعتم نازلكم فعشا اليها * بوهن فارس الحمى الوقاح
فهل في القعب فضل تنضحوه * به من محض البان اللقاح
لعل الرسل شائبة الثنايا * بشهد من ندى نور الاقاح

وله ايضا

وكأنما رشا الحمى لما بدا * لك في مضلعة الحديد المعلم

فشلا ولولا انت كان منيعا
وقتلت وافد آل بيت محمد
وسلبت أسيافا له ودروعا
فلما صار مسلم الى باب القصر نظر الى قلة مبردة فاستسقاهم منها فمنعهم مسلم بن عمر الباهلي وهو أبو قتيبة بن مسلم ان يسقوه فوجه عمرو ابن حريث فأتاه بماء في قدح فلما رفعه الى فيه امتلأ القدح دما فصبه وملأه له الثانية فلما رفعه الى فيه سقطت ثنايا فيه وامتلأ دما فقال الحمد لله لو كان من الرزق المقسوم لشربته ثم أدخل الى ابن زياد فلما انقضى كلامه ومسلم يغلظ له في الجواب امر به فأصعد الى أعلى القصر ثم دعا الاحمري الذي ضرب مسلم فقال كن انت الذي تضرب عنقه لتأخذ بثارك من ضربته فأصعدوه الى اعلى القصر فضرب بكير الاحمري عنقه فأهوى رأسه الى الارض ثم أتبعوا رأسه جسده ثم امر بهانئ بن عروة فاخرج الى السوق فضرب عنقه صبرا وهو يصيح يا آل مراد وهو شيخها وزعيمها وهو يومئذ ركب في أربعة آلاف دارع وثمانية آلاف راجل واذا أجابتها أحلافها من كندة وغيرها كان في ثلاثين ألف دارع فلم يجد زعيمهم منهم أحدا شلا ولا خذلانا فقال الشاعر وهو يرثي هانئ بن عروة ومسلم بن عقيل ويذكر ما نالهما

غضب الغمام قسيه فارا كها * من حسن معطفه قويم الاسهم

وله ايضا

نظرت اليه فاتقاني بمقلة * ترد الى نحري صدور رماح
حميت الجفون يا رشا الحمى * واظلمت ايامي وانت صباحي

وقال

قالوا تصيب طيور الجو اسهمه * اذا رماها فقلنا عندنا الخبر
تعلمت قوسها من قوس حاجبه * وايد السهم من الحاظه الحور
يروح في بردة كالنقس حالكة * كما اضاء بجنح الليلة القمر
وربما راق في خضراء مورقة * كما تفتح في اوراقه الزهر انتهى

وقال في ترجمة ابن اللبانة ابو الحسن شاعر سمح متقلد بالاحسان متشح ام الملوك والرؤساء ويمم تلك السعادة القعساء فانتجع مواقع خيرهم واقتطع ماشاء من ميرهم وتمادت ايامه الى هذا الاوان فجالت به في ميدان الهوان فكسد نفاقه وارتدت آفاقه وتوالى عليه حرمانه واخفاقه وادركته وقد خبته سنونه وانتظرته منونه ومحاسنه كعهدها في الانقاد وبعدها من الانتقاد وقد اثبت منها ما يعذب جنى وقطافا ويستعذب استنزالا واستلطافا فمن ذلك قوله يستنجد الامير الاجل ابا اسحق ابن امير المسلمين

قل للامير ابن الامير بل الذي * ابدى به في المكرمات وفي الندى
والمجتنى بالزرق وهي بنفسج * ورد الجراح مضعفا ومنضدا
جاءتك آمال العفاة ظواميا * فاجعل لها من ماعجودك موردا
وانثر على المداح سيبك انهم * نثروا المدائح لؤلؤا وزبرجدا
فالناس ان ظلموا فانت هو الحمى * والناس ان ضلوا فانت هو الهدى

اخبرني وزير السلطان ان هذه القطعة لما ارتفعت اعتنت بجملة الشعراء وشفعت فانجز لهم الموعود واورق لهم ذلك العود وكثر اللغط في تعظيمها واشتهرت تنظيمها وحصل له بها ذكر وانصقل له بسببها فكر وله من قطعة يصف بها سيفا

كل نهر توقدت شفرتاه * كاتقاد الشهاب في الظلماء
فهو ما مر كب فوق نار * او كنار قد ركبت فوق ماء

[illegible]

على [illegible] من مصاب وجب * على من اصيب به المنتجب
وقلب فروق ولب خفوق * ونفس تشب وهم نصب
فقد خشعت للتقى هضبة * ذؤابتها في صميم العرب
من الجاعلات محاريبها * هوادجها ايدا والقتب
من القائمات بظل الدجا * ولا من تسامر الا الشهب
فكم ركعت اثرها في الدجا * تناجي بها ربها من كثب
وكم سكبت في اواني السجود * مدامع كالغيث لما انسكب
وقد خلفت ولدا باسلا * فصيحا اذا ماقرا او خطب

الى بطل قد هشم السيف وجهه
وآخر يهوى في طمار قتيل
أصابهما أمر الامير فاصبحا
أحاديث من يسعى بكل سبيل
ترى جسدا قد غير الموت لونه
ونضح دم قد سال كل مسيل
أيترك أسماء المها بي آمنا
وقد طلبته مذبج بذحول
فتى هو أحيا من فتاة حيية
وأقطع من ذي شفرتين صقيل

ثم دعا ابن زياد ببكير بن حمران الذي ضرب عنق مسلم فقال أقتلته قال نعم قال فما كان يقول وأنتم تصعدون به لتقتلوه قال كان يكبر ويسبح الله ويهلل ويستغفر الله فلما أدنيناه لنضرب عنقه قال اللهم احكم بيننا وبين قوم غرونا وكذبونا ثم خذلونا وقتلونا فقلت الحمد لله الذي أقادني منك وضربته [illegible] أقال لي [illegible] على ابن زيد أثر [illegible] الموت قال وضربته الثانية فقتلته ثم اتبعنا رأسه جسده وكان ظهور مسلم بالكوفة يوم الثلاثاء ثمان ليال مضين من ذي الحجة سنة ستين وهو اليوم الذي ارتحل فيه الحسين من مكة الى الكوفة وقيل يوم الاربعاء يوم عرفة لتسع مضين من ذي الحجة سنة ستين ثم أمر ابن زياد

يفل السيوف بأقلامه * ويكسر صم القنا بالقصب

وكان القائد أبو عمرو عثمان بن يحيى بن ابراهيم أجل من جال في خلد واستطال على جلد رشا يحيي باحتشامه و يسترد البدر بلثامه ويزري بالغصن تثنيه و يثمر الحسن لو دنت قطوفه لجتنيه مع لوذعية تخالها ساحرا بالا وسجية يختال فيها الفضل اختيالا وكان قد بعد عن أنسنا بحمص وانتضي من تلك القمص وكان بثغر الاشبونة فسده ولم ينفرج لنا من الانس بعده ما يسد مسده الى أن صدر فأسرع الينا وابتدر فالتقمنا وبتنا ليلة تام عنها الدهر وغفل وقام لنا عما شئنا فيها وتكفل فبينا نحن نفض ختاما ونفض عنا غبار الوحشة وقتاما اذا أنا بابن لبان هذا وقد دخل اذنه علينا فأمرناه بالنزول وتلقيناه بالترحيب وأنزلناه بمكان من المسرة رحيب وسقيناه صغارا وكبارا وأريناه اعظاما واكبارا فلما شرب طرب وكلما كرعها التحف السلوة وتدرعها ومازال يشرب أقداحا و ينشد فينا أمداحا و يفدي بنفسه و يسهي الاستزادة من أنسه فهتكنا الظلام بما أهداه من البديع واجتلينا محاسنه كالصريع وانفصلت ليلته عن أتم مسره واعم مبره وارتحل عثمان أعزه الله الى ثغره وأقام به برهة من دهره فشبت بها اليه مجددا عهدا ومتضلعا من مؤانسته شهدا فكتب ابن لبان هذه القطعة من القصيدة يذهب الى شكره و يجتهد في تجديد ذكره

ما شام انسان انسان كعثمان * ولا كبغيته من حسن احسان
بدر السيادة يبدو في مطالعه * من المحاسن محفوفا بشهبان
له التمام وما بالافق من قمر * تم دون أن يرمى بنقصان
به الشبيبة تزهى من نضارتها * كما تساقط طل فوق بستان
معصفر الحسن للابصار ناصعه * كأنه فضة شيبت بعقيان
نبئت عنه بأنباء اذا نعت * تعطلت نفحات المسك والبان
قامت عليه براهين تصدقها * كالشكل قام عليه كل برهان
قد زادها ابن عبيد الله من وضح * ما زادت الشمس في لون وفي لان
بالله بلغه تسليمي اذا بلغت * تلك الركاب وعج
وليت أني لو شاهدت أنسكما * على كؤس وط
فألفظ الكلم المنثور بينكما * كأنما هو مز
لله درك يادا الخطتين لقد * خططت بالمدح فيه كل ديوان
كلا كما البحر في جود وفي كرم * أو الغمامة تسقي كل ظمآن
ان كان فارس هيجاء ومعترك * فانت فارس افصاح وتبيان
فاذكر أبا نصر المعمور منزله * بالرقد ما شئت من مثنى ووحدان
قصائد الاخي ودوان نزحت * بك الركاب الى أقصى خراسان

انتهى * وقال في ترجمة الاديب أبي بكر عبد المعطي بيت شعر ونباهه وأبو بكر ممن انتبه خاطره للبدائع أي انتباهه وله أدب باهر ونظم كما سفرت أزاهر وقد أثبت له جالا يبلغ

بني هاشم وأول رأس حمل من رؤسهم الى دمشق فلما بلغ الحسين القادسية لقيه الحر بن يزيد التميمي فقال له أين تريد يا ابن رسول الله قال أريد هذا المصر فعرفه بقتل مسلم وما كان من خبره ثم قال ارجع فاني لم أدع خلفي خيرا أرجوه لك فهم بالرجوع فقال له أخو مسلم والله لا نرجع حتى نصيب بثارنا أو نقتل كلنا فقال الحسين لا خير في الحياة بعدكم ثم سار حتى لقي خيل عبيد الله بن زياد عليها عمر بن سعد بن أبي وقاص فعدل الى كربلاء وهو في مقدار خمسمائة فارس من أهل بيته وأصحابه ونحو مائة راجل فلما كثرت العساكر على الحسين أيقن أنه لا محيص له فقال اللهم

الذي تولى قتله رجل من مذحج واحتز رأسه وانطلق به الى ابن زياد وهو يرتجز

أنا قتلت الملك المحجبا
قتلت خير الناس أما وابا
وخيرهم اذ ينسبون نسبا

فبعث به زياد الى يزيد بن معاوية ومعه الرأس فدخل الى يزيد وعنده أبو برزة الاسلمي فوضع الرأس بين يديه فأقبل ينكث

بالقضيب ويقول نفلق هاما من رجال أحبة * علينا وهم كانوا أعق وأظلما فقال له أبو بردة ارفع قضيبك فطالما والله ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع فيه على فيه يلثمه وكان جميع من حضر مقتل الحسين من العساكر ومحاربيه وتولى قتله من أهل الكوفة خاصة لم يحضرهم شامي وكان جميع من قتل مع الحسين في يوم عاشوراء بكربلاء سبعة وثمانين منهم ابنه علي بن الحسين الاكبر وكان يرتجز ويقول

انا علي بن الحسين بن علي
نحن وبيت الله أولى بالنبي
تالله لا يحكم فينا ابن الدعي

وقتل من ولد أخيه الحسن ابن علي عبد الله بن الحسن والقاسم بن الحسن وابو بكر ابن الحسن ومن اخوته العباس بن علي وعبد الله ابن علي وجعفر بن علي وعثمان بن علي ومحمد بن علي وهو الاصغر ومن ولد جعفر بن ابي طالب محمد ابن عبد الله بن جعفر وعون ابن عبد الله بن جعفر ومن ولد عقيل بن ابي طالب عبد الله بن عقيل وعبد الله ابن مسلم بن عقيل وذلك لعشر خلون من المحرم سنة اربع وستين وقتل الحسين وهو ابن خمس وخمسين سنة وقيل ابن تسع وخمسين سنة وقيل غير ذلك ووجد بالحسين يوم قتل ثلاث وثلاثون طعنة واربع وثلاثون ضربة

خيوط

آمالا فمن ذلك قوله وقد اجتمعنا في ليلة لم يضر بها وعد ولم يعزب عنها سعد وهو قعدي قد شب عن طوق الانس في الندى وما قال خلا عمرو ولا عدا والكهولة قد قبضته وأقعدته عن ذلك وما أنهضته

امام المنثر والمنظوم فتح * جميع الناس ليل وهو صبح
له قلم جليل لا يجارى * يقر بفضله سيف ورمح
يبارى المزن ما سحت سماحا * وان شحت فليس لديه شح

وكان مرتسما في عسكر قرطبة وكان ابن سراج يقوم له بكل ما يخفى تطلبه خيفة من لسانه ومحافظة على احسانه ولما خرج الى اقليش خرج معه وجعل يسير من شيعه فلما حصلوا بفحص سرادق وهو موضع توديع المفارق للفارق قرب منه أبو الحسين بن سراج لوداعه وأنشده في تفرق الشمل وانصداعه

هم رحلوا عنا لامر لهم عنا * فما أحد منهم على أحد حنا
وما رحلوا حتى استفادوا نفوسنا * كانهم كانوا أحق بها منا
فيا ليتني لم أبتغ القرب داركم * ظننا بكم ظنا فاخلفتم الظنا
غدرتم ولم أغدر وخنتم ولم أخن * وقلتم ولم أعتب وجرتم وما جرنا
وأقسمتم أن لا تخونوني في الهوى * وقد ذمام الحب خنتم وما خنا
ترى تجمع الايام بيني وبينكم * ويجمعنا دهر نعود كما كنا

فلما استتم افتياده لحق بالسلطان واعتذر اليه بمرض خلفه وهو يخاف تلفه فاذن له بالانصراف وكتب الى أبي الحسين بن سراج

أما والهدايا ما رحلنا ولا حلنا * وان عز من دون الترحل ما عنا
تركنا ثواب الفضل والعز للعزا * على مضض منا وعدنا كما كنا
وليس لنا منكم على البين سلوة * وان كان أنتم عندكم سلوة عنا

وجمعتنا عشية ببعض الرحال بقرطبة ومعنا ملة من الاخوان وهو في جملتهم مناهض لاعيانهم وجلتهم بفضل أدبه وكثرة حبه فجعل يرتجل ويروي وينشر محاسن الآداب ويطوي ويمتعنا بتلك الاخبار ويقطعنا منها جانب اعتبار ويطلعنا على اقبال الايام وعلى الادبار

أيا ابن عبد الله يا ابن الاكارم * لقد بخلت عنك ذوب الغمائم
لك القلم الاعلى الذي عطل القنا * وفل ظبات المرهفات الصوارم
وأخلاق الزهر الازاهر بالربا * ترف بثوب الغيوث السواجم
بقيت لتشييد المكارم والعلى * نظاهرها بالسالف المتقادم

واجتمع عند أبيه ملة من أهل الادب وذوي المنازل والرتب في عشية غيم أعقب مطرا وخدا فيه البرق أسطرا والبرد يتساقط كدرمن نظام ويترا آكثنا ياغادة ذات ابتسام وهو غلام ما نضا برد شبابه ولا انتضى مرهف آدابه فقال معرضا بهم ومتعرضا لتحقق أدبهم

كان الهواء غدير جمد * بحيث البرود تذيب البرد

خيوط وقد عقدت في الهواء * وراحة ريح تحل العقد

وشرب في دار ابن الاعلم في يوم لم ير الدهر فيه اساءه وليل نسخ نور أنسه مساءه ومعهم جملة من الشعراء وجماعة من الوزراء منهم أبناء القبطرنة فوقع بينهم عتاب وتعذال وامتهان في ميدان المشاجرة وابتذال آل به الى تجريد السيف وتكدير ما صفا بذلك الحيف فسكنوه بالاستنزال وثنوه عن ذلك النزال وقال في المطمع في حق أبي بكر يحيى ابن بقي القرطبي صاحب الموشحات البديعة كان نبيل السيرة والنظام كثير الارتباط في سلكه والانتظام أحرز خصالا وطرز بمحاسنه بكرا وآصالا وجرى في ميدان الاحسان الى أبعد أمد وبنى من المعارف أثبت عمد الا أن الايام حرمته وقطعت حبل رعايته وصرمته فلم تتم له وطرا ولم تسجم عليه الحظوة مطرا ولا سوغت من الحرمة نصيبا ولا أنزلته مرعى خصيبا فصار راكب صهوات وقاطع فلوات لا يستقر يوما ولا يستحسن نوما مع توهم لا يظفره بأمان وتقلب ذهن كالزمان الا أن يحيى بن علي بن القاسم نزعه من ذلك الطيش وأقطعه جانبا من العيش ورقاه الى سمائه وسقاه صيب نعمائه وفيأه ظلاله وبوأه أثر النعمة يحوس خلاله فصرف به اقواله وشرف بعواقبه فعاله وأفرده منها بأنفس در وقصده منها بقصائد غر انتهى المقصود من ترجمته في المطمع * وقال في حقه في القلائد رافع راية القريض وصاحب آية التصريح فيه والتعريض أقام شرائعه وأظهر روائعه وصار عصيه طائعه اذا نظم أزرى بنظم العقود وأتى بأحسن من رقم البرود وطغا عليه حرمانه فاصفاله زمانه انتهى * وابن بقي المذكور هو القائل

بأبي غزال عازلته مقلتي * بين العذيب وبين شطي بارق

الابيات المذكورة في غير هذا الموضع ومن موشحاته قوله

عبث الشوق بقلبي فاشتكى * ألم الوجد فلبت أدمعي

أيها الناس فؤادي شغف
وهو من بني الهوى لا ينصف
كم أداري به ودمعي يكف

أيها الشادن من علمكا * بسهام اللحظ قتل

بدر تم تحت ليل أغطش
طالع في غصن بان منتشي
أهيف القد بخد أرقش

ساحر الطرف ولم ذاقتكا * بقلوب الاسد بين الاضلع

أي ريم رمته فاجتنبا
واثني يهتز من سكر الصبا
كقضيب هزه ريح الصبا

قلت هب لي ياحبيبي وصلكا * واطرح أسباب هجري وادع

التنحي ثم نزل فاحتز رأسه وفي ذلك يقول الشاعر

وأي رزية عدلت حسينا
غداة تبينه كفا سنان

وقتل معه من الانصار أربعة وباقي من قتل معه من أصحابه على ما قدمنا من العدة من سائر العرب وفي ذلك يقول مسلم بن قتيبة مولى بني هاشم

عين جودي ببعرة وعويل
واندبي ان ندبت آل الرسول
وابن عم النبي غوثا أخاهم
ليس فيما يسوب بالمخذول
وسمي النبي غودر فيهم
قد علوه بصارم مصقول
واندبي كهلهم فليس اذا ما
عد في الخير كهلهم كالكهول
لعن الله حيث كان زيادا
وابنه والعجوز ذات البعول

وأمر عمرو بن سعد أصحابه أن يوطئوا خيلهم الحسين

أهل العمارية وهم قوم من بني عامر من بني أسد الحسين وأصحابه بعد قتلهم بيوم وكان عدة من قتل من أصحاب سعد في حرب الحسين عليه السلام ثمانية وثمانين رجلا

٥٩ ط ني * (ذكر أسماء ولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه) * الحسن والحسين ومحسن وأم كلثوم الكبرى

قال خدى زهره مذفوفا
جرحت عيناى سفار هفا
حذرا منه بأن لا يقطفا
ان من رام جناه هلكا * فأزل عنك علال الطمع
ذاب قلبي فى هوى ظبي غرير
وجهه فى الدجن صبح مستنير
وفؤادى بين كفيه أسير
لم أجد للصبر عنه مسلكا * فانتصارى بانسكاب الادمع

وقال رحمه الله تعالى

خذ حديث الشوق عن نفسى * وعن الدمع الذى همعا
ماترى شوقى قد اتقدا
وهمى بالدمع واطردا
واغتدى قلبي عليك سدا
آه من ماء ومن قبس * بين طرفى والحشا جمعا
بأبى ريم اذا سفرا
أطلعت أزراره قمرا
فاحذروه كلما نظرا
فبألحاظ الجفون قسى * انامنها بعض من صرعا
أرتضيه جارا وعدلا
قد خلعت العذر والعذلا
انما شوقى اليه جلا
كم وكم أشكو الى اللعس * ظمئى لو أنه نقعا
صال عبد الله بالحور
وبطرف فاتر النظر
حكمه فى انفس البشر
مثل حكم الصبح فى الغلس * ان تجلى نوره صدعا
شبهته بالرشا الاتم
فلعمرى انهم ظلموا
فتغنى من به السقم
أى ظبي القفر والكنس * من غزال فى الحشا رتعا

انتهى وله ايضا

ماردنى لابس * ثوب الضنا الدارس * الاقمر
فى غصن مائس * شعاعه عاكس * ضوء البصر

وزينب الكبرى أمهم الحنفية وقيل ابنة جعفر ابن قيس بن مسلمة الحنفى وعبد الله وأبو بكر أمهما ليلى بنت مسعود النهشلى وعمر ورقية أمهما تغلبية ويحيى وأمه أسماء بنت عميس الخثعمية وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب أن جعفرا الطيار استشهد وخلف عليها عرنا ومحمدا وعبد الله وأن عقب جعفر منها من عبد الله ابن جعفر ان أبا بكر الصديق تزوجها بعده وخلف عليها محمدا ثم تزوجها على فخلف عليها يحيى وانها ابنة العجوز الحرسية التى كانت أكرم الناس أصهارا وقد تقدم فيما سلف من هذا الكتاب تسمية أصهار العجوز الحرسية وان أولهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعفر والعباس وعبد الله أمهم أم البنين بنت حزام الوحيدية ورملة وأم الحسن أمهما أم سعد بنت عروة ابن مسعود الثقفى وأم كلثوم الصغرى وزينب وجمانة وميمونة وخديجة وفاطمة أم الكرام ونفيسة وأم سلمة وأم أبيها وقد أتينا على أنساب آل أبى طالب ومن أعقب منهم ومصارعهم وغير ذلك من أخبارهم فى كتابنا أخبار الزمان (والعقب) الملى من خمسة الحسن والحسين ومحمد

أسير كالسيل * اليه لا باع * الا وداد
والطيف فى خيل * لمن اسراع * مع الرقاد
يا كوكب الليل * ان كنت ترتاع * فلم فؤادى
كالاسد العابس * لكنه خانس * من الحسود

ومن نظمه قصيدة مدح يحيى بن على بن القاسم المذكور بها منها فى المديح قوله

نوران ليسا يحجبان عن الورى * كرم الطباع ولاجمال المنظر
وكلاهما جعا ليحيى فليدع * كتمان نور علائه المتشهر
فى كل أفق من جمال ثنائه * عرف يزيد على دخان المجمر
ردنى شمائله ورد فى جوده * بين الحديقة والغمام المعطر
يد رعليه من الوقار سكينة * فيها القيطة كل ليث مخدر
مثل الحسام اذا انطوى فى غمده * ألقى المهابة فى نفوس الحضر
أربى على المزن الملث لانه * أعطى كما أعطى ولم يستعبر

ومنها

أقبلت مرتاد الجود لك انه * صوب الغمامة بل زلال الكوثر
ورأيت وجه الخجع عندك أبيضا * فركبت نحوك كل نجح أخضر

وهى طويلة وقوله أربى على المزن الملث البيت هو معنى تلاعب الشعراء بكرته وأورده كل منهم على حسب مقدرته فقال بعض

من قاس جدواك بالغمام فما * أنصف فى الحكم بين شيئين
أنت اذا جدت ضاحك أبدا * وهو اذا جاد دامع العين

وقال آخر

ما نوال الغمام يوم ربيع * كنوال الامير يوم سخاء
فنوال الامير بدرة عين * ونوال الغمام قطرة ماء

وهما من شواهد البديع وقال أبو عبد الله الحوضى التلمسانى فى قصيدة مدح بها سلطان تلمسان أبا عبد الله الزيانى

أصبح المزن من عطائك يحكى * يوم الاثنين للانام عطاء
كيف يدعى لك الغمام شبيها * ولقد فقته بسنا وسنا
أنت تعطى اذا تقصر مالا * وهو يعطى اذا تطول ما

(رجع) وذكر العماد فى الخريدة ابن بقى المذكور وأورد له جملة من المقصد ومحاسنه كثيرة رحمه الله تعالى وبقى على وزن على (رجع الى بنى عباد رحمهم الله تعالى) وقال ابن اللبانة فى بنى عباد ما نصه بعباد أصفهم وأحليهم وأى منقبة من الجلالة أوليهم فهم القوم الذين تجل مناقبهم عن العد والاحصاء ولا يتعرض لها بالاستيفاء والاستقصاء ملوك بهم زينت الدنيا وتحلت وترقت حيث شاءت وحلت ان ذكرت الحروب فعليهم يوقف منها الخبر اليقين او عدت المآثر فهم فى ذلك فى درجة السابقين أصبح الملك بهم مشرق القسام والايام ذات بهجة وابتسام حتى أناخ بهم الحمام وعطل من محاسنهم الوراء والامام فنقل الى العدم وجودهم ولم يرع باسهم وجودهم وكل ملك آدمى ففقود وما تؤخره الا لاجل

وأنساب غيرهم من قريش بنى هاشم وغيرهم الزبير ابن بكار فى كتابه فى أنساب قريش وأحسن من هذا الكتاب فى انساب آل أبى طالب الكتاب الذى سمع من طاهر بن يحيى العلوى الحسينى بمدينة النبى صلى الله عليه وسلم وقد صنف فى انساب آل ابى طالب كتب كثيرة منها كتاب العباس من ولد العباس بن على وكتاب أبى على الجعفرى وكتاب المهلوى العلوى من ولد موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنه وفى قتيل الطف يقول سليمان ابن قبة يرثيه على ما ذكره الزبير بن بكار فى كتاب أنساب قريش من أبيات

فان يتبعوه عائد البيت يصبحوا
كعاد تعمت عن هداها فضلت
ألم تر أن الارض أضحت مريضة
بقتل حسين والبلاد اقشعرت

فلا يبعد الله الا يارها * وان أصبحت منهم برغمى تجللت *(ذكر ما جرى من أخبار يزيد وسيره ونوادر من بعض أفعاله)*

معدود فأول ناشئة ملكهم وحصل الامر تحت ملكهم عظيمهم الاكبر وسابقة شرفهم الاجل الاشهر وزينهم الذي يعد في الفضائل بالوسطى والمختصر محمد بن عباد ويكنى أبا القاسم واسم والده اسمعيل ومن شعره قوله

ياحبذا الياسمين اذ يزهر * فوق غصون رطيبة نضر
قد امتطى للجمال ذروتها * فوق بساط من سندس أخضر
كأنه والعيون ترمقه * زمرذ في خلاله جوهر

انتهى ولنذكر كلام ابن اللبانة وغيره في حقهم فنقول وصف المعتضد رحمه الله تعالى بما صورته المعتضد أبو عمرو عباد رحمه الله تعالى لم تخل أيامه في أعدائه من تقييد قدم ولا عطل سيفه من قبض روح وسفك دم حتى لقد كانت في باب داره حديقة لا تثمر الا رؤسا ولا تنبت الا رئيسا ورؤسا فكان نظره اليها أشهى مقترحاته وفي التلفت اليها استعمل جل بكره وروحاته فبكى وأرق وشتت وفرق ولقد حكي عنه من أوصاف التجبر ما ينبغي أن تصان عنه الاسماع ولا يتعرض له بتصريح ولا لماع ومن نظمه عفا الله عنه

أتلك أم الحسن * تشدو بصوت حسن
تمدني ألحانها * من الغناء المدني
تقود مني ساكنا * كأنني في رسن
أوراقها أستارها * اذا شدت في فنن

وقوله شربنا وجفن الليل يغسل كحله * بماء صباح والنسيم رقيق
معتقة كالتبر أما بخارها * فنجم وأما جسمها فرقيق

وقوله قد وجدنا الحبيب يصفي وداده * وجدنا ضميره واعتقاده
قرب الحب من فؤاد محب * لا يرى هجره ولا ابعاده

وقال عند حصول رندة في ملكه

لقد حصنت يا رنده * فصرت لملكنا عده
أفادتنا كأرماح * وأسياف لها حده

وقال رحمه الله تعالى

اشرب على وجه الصباح * وانظر الى نور الاقاح
واعلم بأنك جاهل * مالم تقل بالاصطباح
فالدهر شئ بارد * مالم تسخنه براح

انتهى ومن حكايات المعتضد عباد ما ذكره غير واحد أن ابن جاخ الشاعر ورد على حضرته فدخل الدار المخصوصة بالشعراء فسألوه فقال اني شاعر فقالوا أنشدنا من شعرك فقال

اني قصدت اليك ياصاد * قصد الغليق بالجرى للوادي

فضحكوا منه وازدروه فقال بعض عقلائهم دعوه فان هذا شاعر وما يبعد ان يدخل مع الشعراء ويندرج في سلكهم فلم يبالوا بكلام الرجل وتنادروا على المذكور فبقي معهم وكان لهم في تلك الدولة يوم مخصوص لا يدخل فيه على الملك غيرهم وربما كان يوم الاثنين فقال

ولما أفضى الامر الى يزيد البلدان وأمراء الاجناد لتعزيته بأبيه وتهنئته بالامر فلما كان في اليوم الرابع خرج شعثا أغبر فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ان معاوية كان حبلا من حبال الله مده الله ما شاء أن يمده ثم قطعه حين شاء أن يقطعه وكان دون من قبله وخير من بعده ان يغفر الله له فهو أهله وان يعذبه فبذنبه وقد وليت الامر بعده ولست أعتذر من جهل ولا أشتغل بطلب علم فعلى رسلكم فان الله اذا أراد شيأ كان اذكروا الله واستغفروه ثم نزل ودخل منزله ثم أذن للناس فدخلوا عليه لا يدرون أيهنئونه أم يعزونه فقام عصام بن أبي صيفي فقال السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته أصبحت قد رزئت خليفة الله وأعطيت خلافة الله ومنحت هبة الله قضى معاوية نحبه فغفر الله له ذنبه وأعطيت بعده الرياسة فاحتسب عند الله أعظم الرزية واحمده على أفضل العطية فقال يزيد ادن مني يا ابن أبي صيفي فدنا حتى جلس قريبا منه ثم قام عبد الله بن مازن فقال السلام عليك يا أمير المؤمنين رزئت خير

بعض لبعض هذه شنعة بنا ان يكون مثل هذا البادي يقدم علينا ويجترئ على الدخول معنا فاتفقوا على ان يكون هو أول متكلم في اليوم المخصوص بهم عند جلوس السلطان وقد رأوا أن يقول مثل ذلك الشعر المضحك فيطرده عنهم ويكون ذلك حسما لعلة اقدام مثله عليهم فلما كان اليوم المذكور وقعد السلطان في مجلسه ونصب الكرسي لهم رغبوا منه أن يكون هذا القادم أول متكلم في ذلك اليوم فأمر بذلك فصعد الكرسي وانتظروا أن ينشد مثل الشعر المضحك المتقدم فقال

قطعت يا يوم النوى أكبادي * وحرمت عن عيني لذيذ رقادي
وتركتني أرعى النجوم مسهدا * والنار تضرم في صميم فؤادي
فكأنما آلى الظلام أليـة * لا ينجلي الا الى ميعـاد
لي بين بين أين تقتاد النوى * ابلى الذين تحملوا بسعاد
ولرب خرق قد قطعت نياطه * والليل يرفل في ثياب حداد
بشملة حرف كأن زميلها * سرح الرياح وكل برق غادي
والنجم يحدوها وقد ناديتها * ياناقتي عوجي على عباد
ملك اذا ما أضرمت نار الوغى * وتلاقت الاجناد بالاجناد
فترى الجسوم بلا رؤوس تنثني * وترى الرؤوس التي بلا أجساد
يا أيها الملك المؤمل والذي * قدماسما شرفا على الانداد
ان القريض لكاسد في أرضنا * وله هنا سوق بغير كساد
فخلبت من شعري اليك قوافيا * يفنى الزمان وذكرها متمادي
من شاعر لم يضطلع أدباولا * خطت يداه صحيفة بمداد

فقال له الملك أنت ابن جاخ فقال نعم فقال اجلس فقد وليتك رياسة الشعراء وأحسن اليه ولم يأذن في الكلام في ذلك اليوم لاحد بعده انتهى (رجع الى أخبار بقية بني عباد) المعتمد على الله ابو القاسم محمد بن المعتضد ابي عمرو عباد ابن القاضي ابي القاسم بن عباد رحمه الله تعالى ملك مجيد واديب على الحقيقة مجيد وهمام تحـ[illegible] افنى الطغاة بسيفه وأباد وأنسى بسيبه ذكر الحرث بن عباد فا[illegible] وغررا ونظم معاليه في اجيادها جواهر ودررا وشيد في كل مع[illegible] مستغربة وبادرة مستظرفة اوقاته وآناءه فنفقت به للعامد [illegible] احسانه اي بسوق منع وقرى وراش وبرى ووصل وفرى وكان له من ابنائه عدة أقمار نظمهم نظم السلك وزين بهم سماء ذلك الملك فكانوا معاقل بلاده وحماة طارفه وتلاده الى أن استدار الزمان كهيئته واخذ البؤس في فيئته واعتز الخلاف وظهر وسل الشتات سيفه وشهر والمعتمد رحمه الله تعالى يطلب نفسه أثناء ذلك بالثبات بين تلك الثبات والمقام في ذلك المقام الى أن بدل القطب بالواقع واتسع الخرق على الراقع فاستعضد بابن تاشفين فورد عليه كتابه يشعره بالوفاء فثاب اليه فكر خاطره وفاء وثبت خلال تلك المدة للنزال ودعا من رام حربه نزال الى أن أصبح والحروب قد نهبته والايام

أعطيت طاعة خلق الله كلهم * وانت ترعاهم والله يرعاكا
وفي معاوية الباقي لنا خلف *

وأعانك على الرعية فقد اصبحت قريش مفجوعة بعد استهامها مسرورة بما احسن الله اليها من الخلافة بك والعقبى من بعده ثم انشأ يقول

الله اعطاك التي لا فوقها * وقد اراد الملحدون عوقها
عنك فيأبى الله الا سوقها * اليك حتى قلدوك طوقها

فقال له يزيد ادن مني يا ابن ماذن فدنا منه حتى جلس قريبا منه ثم قام عبد الله بن همام فقال آجرك الله يا أمير المؤمنين على الرزية وصبرك على المصيبة وبارك لك في العطية ومنحك محبة الرعية مضى معاوية لسبيله غفر الله له واورده موارد البر ورووفقك لصالح السياسة أصبت بأعظم المصائب ومنحت أفضل [illegible]

بك ويحفظك ويحفظ لك وعليك وانشأ يقول

اصبر يزيد فقد فارقت ذا مقة * واشكر حباء الذي بالملك
أصفاكا
أصبحت لا رزء في الاقوام نعلمه * كمثل رزئك ولا عقبى كعقباكا
أما نعيت ولا سمع بمثلك لا *

فقال له يزيد ادن مني يا ابن ارتفع من مجلسه امر لكل واحد منهم بمال على مقداره في نفسه ومحله في قومه وزاد في اعطائهم ورفع مراتبهم وقد اتينا في كتابنا اخبار الزمان على ما كان من خبر يزيد وغيبته في حال وفاة ابيه معاوية ومسيره من ناحية حمص حتى بلغه ما بأبيه من العلة وروده على ثنية العقاب من ارض دمشق فأغنى ذلك عن اعادة هذا الخبر في هذا الكتاب وذكر عدة من الاخباريين واهل السير ان عبد الملك بن مروان دخل على يزيد فقال اريضة لك الى جانب ارض لي ولي فيها سعة فأقطعنيها فقال يا عبد الملك انه لا يتعاظمني كبير ولا اخدع عن صغير فأخبرني عنها والا سألت غيرك فقال ما بالحجاز أعظم منها قدرا قال قد أقطعتك رحمك الله ودعا له فلما ولى قال يزيد ان الناس يزعمون ان هذا يصير خليفة فان صدقوا فقد صانعناه وان كذبوا فقد وصلناه وكان يزيد صاحب طرب وجوارح وكلاب وقرود وفهود ومنادمة على الشراب وجلس ذات يوم على شرابه وعن يمينه ابن زياد وذلك بعد قتل الحسين فاقبل على ساقيه فقال

تسترجع منه ماوهبته قتل ذلك العرش واعتدت الليالي حين أمنت من الارش فنقل من صهوات الخيول الى بطون الاجفان وهذه الدنيا جميع ما فيها زائل وكل من عليها فان فما اغنت تلك المملكة وما دفعت وليتها ما ضرت اذ لم تكن نفعت وكل يلقى مجله ومؤجله ويبلغ الكتاب أجله * وقال الفقيه القاضي أبو بكر بن خميس رحمه الله تعالى حين ذكر تاريخ بني عباد وقد ذكر الناس للمعتمد من أوصافه ما لا يبلغ مع كثرته الى انصافه وانا الآن أذكر نبذا من أخباره وأردفها بما وقفت عليه من منظومات أشعاره فانه رحمه الله تعالى جم الادب رائقه عالي النظم فائقه كان يسمى بمحمد ويكنى بابي القاسم على كنية جده القاضي استبد بالامر عند موت أبيه المعتضد وفي ذلك يقول الحصري رحمه الله تعالى

مات عباد ولكن * بقي الفرع الكريم * فكأن الميت حي * غير أن الضاد ميم

قال ابن اللبانة رحمه الله تعالى ولم يزل المعتمد بخير الى أن كانت سنة خمس وسبعين وأربعمائة ووصل اليهودي ابن شاليب لقبض الجزية المعلومة مع قوم من رؤساء النصارى وحلوا بباب من ابواب اشبيلية فوجه لهم المعتمد المال مع جماعة من وجوه دولته فقال اليهودي والله لا اخذت هذا العام ولا آخذه منه الا سحرا وبعد هذا العام لا آخذ منه الا أجفان البلاد ردوه اليه فرد المال الى المعتمد وأعلم بالقصة فدعا بالجند وقال ائتوني باليهودي وأصحابه واقطعوا حبال الخباء ففعلوا وجاؤا بهم فقال اسجنوا النصارى واصلبوا اليهودي الملعون فقال اليهودي لا تفعل وأنا أفتدي منك بزنتي مالا فقال والله لو اعطيتني العدوة والاندلس ما قبلتهما منك فصلب فبلغ الخبر النصراني فكتب فيهم فوجه اليهم فاقسم النصراني أن يأتي من الجنود بعدد شعر رأسه حتى يصل الى بحر الرفاق وأمير المسلمين يوسف بن تاشفين امداد له محاصر سبتة فجاز المعتمد اليه ووعده بنصرته فرجع وحث ملوك الاندلس على الجهاد ثم وصل الى ابن تاشفين فكانت غزوة الزلاقة المشهورة ورجع ابن تاشفين الى المغرب ثم جاز بعد ذلك الى الاندلس وتوهم ابن عباد انه اذا أخذ البلاد يأخذ أموالها ويترك الاجفان فعزم ابن تاشفين على ان يخلع ملوك الاندلس ودارت اذذاك مكايد جمة ثم وجه ابن تاشفين من سبتة الى المعتمد يطلب منه الجزيرة الخضراء وفيها ابنه يزيد فكتب اليه معتذرا عنها فلم يكن الا كلمح البصر واذا بمائة شراع قد أطلت على الجزيرة فطير ابنه الحمام اليه فأمره باخلائها فظهر عند ذلك ابن تاشفين وقيل انه لم يجز المرة الاولى حتى طلب من المعتمد الجزيرة لتكون عدة له وكان ذلك بدسيسة بعض أهل الاندلس نصحا لابن تاشفين ثم شرع ابن تاشفين في خلع ملوك الاندلس وقتالهم وأرسل الى كل مملكة جماعة من أهل دولته واجناده يحاصرونها وأرسل الى حضرة المعتمد اشبيلية وشرع في قتالها والناس قد ملوا الدولة العبادية وسئموها على ما جرت به العادة من حب الجديد لا سيما وقد ظهر من ابن عباد من التهتك في الشرب والملاهي ما لا يخفى أمره فتمنى أكثر الناس الراحة من دولتهم ولما اشتد مخنق المعتمد وجه عن النصارى فاعدلهم ابن تاشفين من لقيهم في الطريق فهزمهم وجهز ابن تاشفين القطائع لاشبيلية وجد في حصارها والمعتمد مع ذلك منغمس في لذاته

وقد ألقى الامور بيد ابنه الرشيد فلم يشعر ابن عباد الا والعسكر معه فى البلدة أفاق من نومه وصحا من سكره وركب فرسه وحسامه فى يده وليس عليه الا ثوب واحد فوافق العسكر قد دخل من باب الفرج ووافى هنالك طبالا فضربه بسيفه ضربة قسمه بها نصفين ففر الناس أمامه وتراموا من السور ووقف حتى بان الباب وفى ذلك يقول الابيات المذكورة فيما يأتى ان يسلب القوم العدا الى آخره فلما وصل الى الصباغين وجد ابنه ما لكا مقتولا فاسترحم له ودخل القصر وزاد الامر بعد ذلك ودخل البلد من كل جهاته فطلب الامان له ولمن معه فامن وجميع من له وأعدت له مراكب واجتاز الى طنجة فلقيه الحصرى الشاعر وكان قد ألف له كتاب المستحسن من الاشعار فلم يقض بوصوله اليه الا وهو على تلك الحالة فلما أخذ المعتمد الكتاب قال للحصرى ارفع ذلك البساط فخذ ما تحته فوالله ما أملك غيره فوجد تحته جملة مال فأخذه ثم انتقل حتى وصل أغمات ولم يزل بها الى أن مات رحمه الله تعالى * وقال الفتح فى ترجمته ما نصه ملك قمع العدا وجمع الباس والندى وطلع على الدنيا بدر هدى لم يتعطل يوما كفه ولا بنانه آونة تراعه وآونة سنانه وكانت أيامه مواسم وثغوره بواسم ولياليه كلها درر والزمان حجولا وغررا لم يغفلها من سمات عوارف ولم يخلها من ظل ايناس وارف ولا عطلها من مآثرة تبقى أثرها بادية ولقى مقتفيه منها الى الفضل هادية وكانت حضرته مطمعا للهمم ومسرحا لآمال الامم ومغذقا للكل كى وموقفا لكل ذى أمل حى لم تخل من وفد ولم يصح جوها من انسحام رفد فاجتمع تحت لوائه من جماهير الكماة ومشاهير الحماة أعداد يغص بهم الفضاء وانجاد يزهى بهم النفوذ والمضاء وطلع فى سمائه كل نجم متقد وكل ذى فهم منتقد فأصبحت حضرته ميدانا زهان الاذهان ومضمار الاحراز الخصل فى كل معنى وفصل فلم يلتحق برمامه الا كل بطل نجد ولم ينتسق فى نظامه الا ذكاء وجد فأصبح عصره أجل عصر وغداه مصره أكمل مصر تسفح فيه ديم الكرم ويفصح فيه لسان سيف وقلم ويفضح الرضا فى وصفه أيام ذى سلم وكان قومه وبنوه لتلك الحلبة زينا ولتلك الجملة عينا ان ركبوا خلت الارض فلكا يحمل نجوما وان وهبوا رأيت الغمام سجوما وان أقدموا أحجم عنترة العبسى و[illegible] الاوسى ثم انحرفت الايام فالوت باشراقه وأذوت يانع ابراقه فلم [illegible] ولم تنفع تلك المنن الجسام فتملك بعد الملك وحط من فلكه الى الفلك

الرياح وناهضا يجيبه البكاء والصياح قد ضجت عليه أباديه وارتجت حوانت ناديه وأصحت منازله قد بان عنها الانس والحبور وألوت بهجتها الصبا والدبور فبكت العيون عليه دما وعاد موجود الحياة عدما وصار أحرار الدهر فيه خدما فسحقا لدنيا مارعت حقوقه ولا ابقت شروقه فكم احياها لبنيها وابداها رائقة لجنيها وهى الايام لا يبقى من تجنيها ولا تبقى على مواليها ومدانيها ادثرت آثار جلق واخمدت نار المحلق وذللت عزة ابن شداد وهدت القصر ذا الشرفات من سنداد ونعمت بؤس النعمان واكمنت غدر هاله فى طلب الامان انتهى ثم ذكر الفتح من أخباره وأشعاره ومجالس انسه وغير ذلك من أمره نبذا ذكرنا بعضها فى هذا الكتاب * وقال فى ترجمة ابنه الراضى بالله أبى خالد

ثم أم المغنين فغنوا وغلب على اصحاب يزيد وعماله ما كان يفعله من الفسوق وفى ايامه ظهر الغناء بمكة والمدينة واستعملت الملاهى واظهر الناس شرب الشراب وكان له قرد يكنى بأبى قيس يحضره مجلس منادمته ويطرح له متكأ وكان قردا خبيثا وكان يحمله على أتان وحشية قد ريضت وذللت لذلك بسرج ولجام ويسابق بها الخيل يوم الحلبة فجاء فى بعض الايام سابقا فتناول القصبة ودخل الحجرة قبل الخيل وعلى أبى قيس قباء من الحرير الاحمر والاصفر مشهر وعلى رأسه قلنسوة من الحرير ذات ألوان بشقائق وعلى الاتان

[illegible] بعض شعراء الشام فى ذلك اليوم

تمسك أبا قيس بفضل عنانها
فليس عليها ان سقطت ضمان
الا من رأى القرد الذى سبقت به
جيادا أمير المؤمنين أتان
وفى يزيد وتملكه وتجبره كادت لهيبته الجبال تزول

وانقياد الناس الى ملكه يقول الاخوص ملك تدين له الملوك مبارك *

تجبى له بلخ ودجلة كلها * ٤٧٢ وله الفرات وماسقى والنيل وقيل ان الاخوص قال هذا فى معاوية بعد وفاته يرثيه ولما

يزيد بن المعتمد ما نصه ملك تفرع من دوحة سناء أصلها ثابت وفرعها فى السماء وتحدر من سلالة أكابر ورقاة أسرة ومنابر وتصرف أثناء شبيبته بين دراسة معارف وافاضة عوارف وكلف بالعلم حتى صار ملهج لسانه وروضة أجفانه لا يستريح منه الا الى فرس سائل الغره ميمون الاسره يسابق به الرياح ويحاسن بغرته البدر اللياح عريق فى السناء عتيق الاقتناء سريع الوخد والارقال من آل عوج أو ولد المقال الى أن ولاه أبوه الجزيرة الخضراء وضم اليها رندة الغراء فانتقل من متن الجواد الى ذروة الاعواد واقلع عن الدراسة الى تدبير الرياسة ومازال يدبرها بجوده ونهاه ويورد الآمل فيها مناه حتى غدت عراقا وامتلأت اشراقا الى أن اتفق فى أمر الجزيرة ما اتفق وخاب فيها الرجاء وأخفق واستحالت بهجتها وأحالت عليها من الحال لجتها فانتقل الى رندة معقل أشب ومنزل للسمالك منتسب وأقام فيها رهين حصار ومهين حماة وأنصار ولقيت ريحه كل اعصار حتى رمته سهام الخطوب عن قسيها وامكنت منه يدى مسيها فحواه رمسه وطواه عن غداه أمسه حسبما بسطنا القول فيه فيما مر من أخبار أبيه انتهى والذى أشار اليه هنا وأحال عليه فيما تقدم له من أخبار المعتمد هو قوله بعد حكايته قتل المأمون ابن المعتمد بقرطبة وسياقه أخبار ذلك ما نصه ثم انتقلوا الى رندة احدى معاقل الاندلس المتنعه وقواعدها السامية المرتفعه تطرده منها على بعد مرتقاها ودنو النجوم من ذراها عيون لانصبابها دوى كالرعد القاصف والرياح العواصف ثم تتكون واديا يلتوى بجوانبها التواء الشجاع ويزيدها فى التوعر والامتناع وقد تجونت نواحيها وأقطارها وتكونت فيها البانا تها وأوطارها لا يتعذر لها مطلب ولا يتعثر فيها عدو الا عقله ناب أو مخلب فلما أناخوا منها على بعد وأقاموا من الرجاء فيها على غير وعد وفيها ابنه الراضى لم يحمل بأناختهم بازائه ولا عدها من أرزائه لامتناعه من منازلتهم وارتفاعه عن مطاولتهم الى أن انقضى فى أمر اشبيلية ما انقضى وأفضى أمر أبيه الى ما أفضى فحمل على مخاطبته لينزل عن صياصيه ويمكنهم من نواصيه فنزل برابيه وأبقى على أرماق ذويه بعد أن عاقدهم مستوثقا وأخذ عليهم عهدا من الله وموثقا فلما وصل اليهم وحصل فى يديهم مالوا به عن الحصن وجرعوه الردى وأقطعوه الثرى حين اودى وفى ذلك يقول المعتمد يرثيهما وقد رأى قرية تائحة بشجنها ناثحة بفننها على سكنها وامامها وكر فيه طائران يرددان نغما ويغردان ترحة وترنما

بكت أن رات الفين ضمهما وكر * مساء وقد اخنى على الفها الدهر
وباحت فباحت واستراحت بسرها * ومانطقت حرفا يباح به سر
فمالى لا ابكى ام القلب صخرة * وكم صخرة فى الارض يجرى بها نهر
بكت واحدا لم يشجها غير فقده * وابكى لآلاف عديدهم كثر
بنى صغير أو خليل موافق * يمزق ذا فقر ويغرق ذا بحر
نجمان زين للزمان احتواهما * بقرطبة النكداء أو رندة القبر
غدرت اذن ان ضن جفنى بقطرة * وان لؤمت نفسى فصاحبها الصبر

قتل الحسين بن على رضى الله عنهما بكربلاء وحمل رأسه ابن زياد الى يزيد خرجت بنت عقيل بن ابى طالب فى نساء من قومها حواسر لما قد ورد علينا من قتل السادات وهى تقول

ماذا تقولون ان قال النبى لكم
ماذا فعلتم وأنتم آخر الامم
بعترتى وباهلى بعد مفتقدى
نصف أسارى ونصف ضرجوا بدم
ما كان هذا جزائى اذ نصحت لكم
أن تخلفونى بشر فى ذوى رحمى

وفى فعل ابن زياد بالحسين يقول ابو الاسود الدؤلى من قصيدة

أقول وذا الشمس جزع ووجد
أزال الله ملك بنى زياد
وأبعدهم بما غدروا وخانوا
كما بعدت ثمود وقوم عاد

ولما شمل الناس جور يزيد وعماله وعمهم ظلمه وما ظهر من فسقه من قتله ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وانصاره وما ظهر من شرب الخمور وسيره سيرة فرعون بل كان فرعون أعدل منه فى رعيته وانصف منه لخاصته وعامته أخرج أهل المدينة عامله عليهم وهو عثمان بن محمد بن أبى سفيان فقل

فقل للنجوم الزهر تبكي معي * لمثلهما فالحزن الانجم الزهر

انتهى * وقال في ترجمة الراضي ماصورته وكان المعتمد رحمه الله تعالى كثيرا ما يرميه بملامه ويصميه بسهامه فربما استلطفه بمقال أفصح من دمع المحزون وأملح من روض المحزون فانه كان ينظم من بديع القول لآلئ وعقودا تسل من النفوس سخائم وحقودا وقد أثبت من كلامه في بث آلامه واستعارة عذله وملامه ماتستبدعه وتحمله النفوس وتودعه فمن ذلك ماقاله وقد أنهض جماعة من اخوته وأقعده وأدناهم وأبعده

اعيذك أن يكون بنا خمول * ويطلع غيرنا ولنا الفضول
حنانيك ان يكن جرمي قبيحا * فان الصفح عن جرمي جميل
ألست بفرعك الزاكي وماذا * يرجى الفرع خانته الاصول

ثم قال الفتح بعد كلام ومرت عليه يعني الراضي هوادج وقباب فيها حبائب كن له وأحباب الفهن أيام خلائه من دوله وجال معهن في ميدان المنى أعظم جوله ثم انتزعوا منه بعده واودعوا الهوادج من بعده ووجهوا هدايا الى العدوة والموايها المام قريش بدار الندوة فقال

مروا بنا أصلا من غير ميعاد * فاوقدوا نار قلبي أي ايقاد
واذكروني اياما لهوت بهم * فيها ففازوا بايثاري واحادي
لاغروان زاد في وجدي مرورهم * فرؤية الماء تذكي غلة الصادي

ولما وصل العدو لورقة اعلم أن العدو قد جيش لها واحتشد ونهد نحوها وقصد ليتركها خاوية على عروشها طاوية الجوانح على وحوشها فتعرض له العدو دون بغيته وطلع عليه من ثنيته وأمر الراضي بالخروج اليه في عسكر جرده لمحاربته وأعده لمصادمته ومضاربته فاظهر التمرض والتشكي وأضمر التقاعس والتلكي فرارا من المصادمة واحجاما عن المساومة وجزعا من منازلة الاقران ومقابلة ذوابل المران ومقاساة الطعان وملافاة ابطال كالرعان ورأى أن المطالعة أرجح من المقارعة ومعاناة العلوم أربح من مداواة الكلوم فقد كان عاكفا على تلاوة ديوان عارفا باجادة صدر وعنوان فعلم المعتمد مانواه وتحقق مالواه فاعرض عنه ونفض يده منه وتوجه المعتمد مع ذلك الجيش الذي لم تنشر بنوده ولا نصرت جنوده فعند ما لاقوا العدو لاذوا بالفرار وعاذوا باعط القرار وتفرقوا في تلك الاقاريت وفروا من تخطف أولئك العفاريت

من بقي مع المعتمد واهتضمه وخضم ما في العسكر وهضمه وغدت مضاربه ومجرى مذاكيه وآب اخسر من بائع السدابه ومضيع الامانه فاطبقت سماء المعتمد على أرضه وشغلته عن اقامة نوافله وفرضه فكتب اليه الراضي

لايكرثنك خطب الحادث الجاري * فما عليك بذاك الخطب من عار
ماذا على ضيغم أمضى عزيمته * أن خانه حد أنياب واظفار
لئن أتولك فن جبن ومن خور * قد ينهض العير نحو الضيغم الضاري
عليك للناس أن تبقى لنصرتهم * وما عليك لهم استعاد أقدار

الدعوة لنفسه وذلك في سنة ثمانين وستين وكان اخراجهم لما ذكرنا من بني أمية وعامل يزيد عن اذن ابن الزبير فاغتنمها مروان منهم اذ لم يقبضوا عليهم ويحملوهم الى ابن الزبير فتوا السير نحو الشام وغشي فعل أهل المدينة ببني امية وعامل يزيد الى يزيد فسير اليهم بالجيوش من أهل الشام عليهم مسلم بن عقبة المري الذي أخاف المدينة ونهبها وقتل أهلها وبايعه أهلها على أنهم عبيد ليزيد وسماها طيبة وسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم طيبة وقال من اخاف المدينة أخافه الله فسمى مسلم هذا العنه الله بمجرم ومسرف لما كان من فعله

و يقال ان يزيد حين جرد هذا الجيش وعرض عليه

رم على وادي القرى

أجمع السكران من قوم ترى

يريد بهذا القول عبد الله ابن الزبير وكان عبد الله يكنى بابي بكر وكان يسمى يزيد السكران

٦٠ ط في الخمير وكتب الى ابن الزبير ادعوا لملك في السماء فاني * أدعو لملك رجال ملك وأشعرا

لو يعلم الناس فيما أنت قادم لهم * بكوا لانك من ثوب الصبا عارى
ولو أطاقوا انتقاصا من حياتهم * لم يتحفوك بشئ غير أعمار

فغضب عنه وجه رضاه ولم يستنزله بذلك ولا استرضاه وتمادى على اعراضه وقعد عن اظهاره وانهاضه حتى بسطته سوانح السلو وعطفته عليه جوانح الحنو فكتب اليه يهنزل غلب فيه كل منزع جزل وهو

الملك فى طى الدفاتر * فتخل عن قود العساكر
طف بالسرير مسلما * وارجع لتوديع المنابر
وازحف الى جيش المعا * رف تقهر الحبر المقامر
واطعن باطراف اليرا * ع تصرت فى ثغر المحابر
واضرب بسكين الدوا * ة مكان ماضى الحد باتر
أولست اسطاليس ان * ذكر الفلاسفة الاكابر
وأبو حنيفة ساقط * فى الرأى حين تكون حاضر
وكذاك ان ذكر الخليل فأنت نحوى وشاعر
من هرمس من سيبويه من ابن فورك اذ تناظر
هذى المكارم قد حويت فكن لمن حاباك شاكر
واقعد فانك طاعم * كاس وقل هل من مفاخر
لجبت وجه رضاى عنك وكنت قد تلقاه سافر
اولست تذكر وقت لو * رقة وقلبك ثم طائر
لا يستقر مكانه * وأبوك كالضرغام خادر
هلا اقتديت بفعله * واطعته اذ ذاك آمر
قد كان ابصر بالعوا * قب والموارد والمصادر

فكتب اليه الراضى مراجعا بقطعة منها

مولاى قد أصبحت كافر * بجميع ما تحوى الدفاتر
وفللت سكين الدوا * ة ظللت للاقلام كاسر
وعلمت أن الملك ما * بين الاسنة والبواتر
والمجد والعلياء فى * ضرب العساكر بالعساكر
لا ضرب أقوال باقوال ضعيفات مناكر
قد كنت أحسب من سفا * هتها أصل المفاخر
فاذا بها فرع لها * والجهل للانسان عاذر
لا يدرك الشرف الفتى * الا بعال وباتر
وهجرت من سميتهم * وجدت أنهم أكابر
لو كنت تهوى منيتى * لوجدتنى للعيش هاجر
ضعك الموالى بالعبيد اذا تؤمل غير ضائر

كيف النجاة بأن تجيب منهم * فان تقتلونا يوم حرة واقم * فنحن على الاسلام أول من قتل ونحن تركنا كم ببدر أذلة * وابنا باسياف لنا منكم ثكل ان

الموضع المعروف بالحرة وعليهم مسرف فخرج الى حربه أهلها عليهم عبد الله ابن مطيع العدوى وعبد الله بن حنظلة الغسيل الانصارى وكانت وقعة عظيمة قتل فيها خلق كثير من الناس من بنى هاشم وسائر قريش والانصار وغيرهم من سائر الناس فمن قتل من آل أبى طالب اثنان عبد الله بن جعفر بن ابى طالب وجعفر بن محمد بن على بن ابى طالب ومن بنى هاشم من غير آل أبى طالب الفضل بن العباس بن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب وحمزة بن عبد الله ابن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب والعباس بن عتبة ابن ابى لهب بن عبد المطلب وبضع وتسعون رجلا من سائر قريش ومثلهم من الانصار وأربعة آلاف من سائر الناس [illegible] الاحصاء دون من لم يعرف وبايع الناس على انهم عبيد ليزيد ومن أبى ذلك أمره مسرف على السيف غير على بن الحسين بن على ابن ابى طالب السجاد وعلى ابن عبد الله بن العباس ابن عبد المطلب وفى وقعة الحرة يقول محمد بن اسلم

ان كان لي فضل فمنك وهل لذاك النور ساتر
أو كان لي نقص فني غير أن الفضل غافر
ذكرت عبدك ساعة * يبقى لها ما عاش ذاكر
بالبيت قد غيبته عنه ها احدى المقابر
أتريد مني أن أكو * ن كمن غدا في الدهر قادر
هيهات ذلك مطمع * يعيي الاوائل والاواخر
لا تنس يا مولاي قو * لة ضارع لا قول فاخر
ضبط الجزيرة عندما * نزلت بقفرتها العساكر
أيام ظلت بها فر * يدا ليس غير الله ناصر
اذ كان يعشى ناظري * لمع الاسنة والبواتر
و يصم اسماعي بها * قرع الحجارة بالحوافر
وهي الحضيض سهولة * لكن نبت بها مخاطر
هبني اسأت كما اسأ * ت أما لهذا العتب آخر
هب زلتي لبنوتي * واغفر فان الله غافر

فقربه وأدناه وصفح عما كان جناه ولم تزل الحال آخذة في البوار والامور معتلة اعتلال حب الفرزدق للنوار حتى مضوا لغير طيه وقضوا بين الصوارم والرماح الخطيه حسبما سردناه وعلى ما اوردناه واذا أراد الله سبحانه انفاذ أمر سبق في علمه فلا مرد له ولا معقب لحكمه لا اله الا هو رب العالمين انتهى كلام الفتح * وعلى الجملة فكانت دولة بني عباد بالاندلس من أبهج الدول في الكرم والفضل والادب حتى قال ابن اللبانة رحمه الله تعالى ان الدولة العبادية بالاندلس أشبه شيء بالدولة العباسية ببغداد سعة مكارم وجمع فضائل ولذلك ألف فيها كتابا مستقلا سماه الاعتماد في اخبار بني عباد ولا يلتفت لكلب عقور نبح بقوله

مما يزهدني في أرض اندلس * اسماء معتضد فيها ومعتمد
ألقاب مملكة في غير موضعها * كالهر يحكي انتفاخا صولة الاسد

لان هذه مقالة متعسف كافر للنعم ومثل ذلك في حقهم لا يقدح ومازالت [illegible] وتمدح * وللمعتمد أولاد ملوك منهم المأمون والرشيد والراضي والمعتمد وغير خبر بعضهم وكان الداني المذكور مائلا الى بني عباد بطبعه اذ كان المعتمد هو الذي جذب بضبعه وله فيه المدائح الانيقة التي هي أذكى من زهر الحديقة فمن ذلك قوله من قصيدة يمدحه بها ويذكر أولاده الاربعة الذين عمروا من المجد أربعه وهم الرشيد عبيد الله والراضي يزيد والمأمون والمؤتمن وكانوا نجم ذلك الافق وغيوث ذلك الزمن ولقد أجاد في ذلك كل الاجاده وأطال لمجدهم نجاده

يغيثك في محل يعينك في ردى * يروعك في درع ويروقك في برد
جمال واجمال وسبق وصولة * كشمس الضحى كالمزن كالبرق كالرعد

به الى مسرف وهو معتاظ عليه فتبرأ منه ومن آبائه فلما رآه وقد أشرف عليه ارتعد وقام له وأقعده الى جانبه وقال له سلني حوائجك فلم يسأله في أحد ممن قدم الى السيف الا شفعه فيه ثم انصرف عنه فقيل لعلي رأيناك تحرك شفتيك فما الذي قلت قال قلت اللهم رب السموات السبع وما أظللن والارضين السبع وما أقللن رب العرش العظيم رب محمد وآله الطاهرين أعوذ بك من شره وأدرأ بك في نحره أسألك ان تؤتيني خيره وتكفيني شره وقيل لمسلم رأيناك تسب هذا الغلام وسلفه فلما أتى به اليك رفعت منزلته فقال ما كان ذلك لرأي مني لقد ملئ قلبي منه رعبا وأما علي بن عبد الله فان أخاه [illegible]

[illegible] أبا العباس قوم من لؤي
وأخوالي الملوك بنو وليعه
[illegible] منعوا ذماري يوم جامت
كتائب مسرف وبني اللكيعه
أرادني التي لا عز فيها
فحالت دونه أبدي ربيعه
ولما نزل بأهل المدينة ما وصفنا من القتل والنهب

والرق والسبي وغير ذلك مما عنه أعرضنا من مسرف خرج عنها يريد مكة في جيوشه من أهل الشام ليوقع بابن الزبير وأهل

بهجته شاد العلا ثم زادها * بناء بابناء هاجنة الد
بأربعة مثل الطباع تركبوا * لتعديل ذكر المجد والشرف الصد

والمأمون بن المعتمد قتله المعتونة بقرطبة والراضي يزيد قتلوه برندة كما سقناخبره آنفا وفي حالتهم هذه يقول الشاعر المشهور عبد الجبار بن حديس الصقلي

ولما رحلتم بالندى في اكفكم * وقلقل رضوى منكم وثبير
رفعت لساني بالقيامة قد دنت * فهذي الجبال الراسيات تسير

وفي قضية المعتمد يقول الداني المذكور

لكل شئ من الاشياء ميقات * وللفتى في مناياهن غايات
والدهر في صفة الحرباء منغمس * لو أن حالاته فيها استعالات
ونحن من لعب الشطرنج في يده * وطالما قربت بالبيدق الشاة
انفض يديك من الدنيا وزينتها * فالارض قد أقفرت والناس قد ماتوا
وقل لعالمها الارضي قد كمت * سريرة العالم العلوي اغمات

وهي طويلة ذكرها الفتح وغيره وللداني أيضا قصيدة عملها في المعتمد وهو باغمات سنة ١٨٦

تنشق ريحان السلام فانما * افض به مسكا عليك مختما
وقل لي مجازا ان عدمت حقيقة * لعلك في نعمى فقد كنت منعما
أفكر في عصر مضى بك مشرفا * فيرجع ضوء الصبح عندي مظلما
وأعجب من افق المجرة اذ رأى * كسوفك شمسا كيف أطلع أنجما
لئن عظمت فيك الرزية اننا * وجدنا لك منها في الرزية أعظما
قناة سعت للطعن حتى تقسمت * وسيف اطال الضرب حتى تثلما

ومنها

بكى آل حمود ولا كمحمد * وأولاده صوب الغمامة اذ همى
حبيب الى قلبي حبيب وقومه * عسى طلل يدنو بهم ولعلما
صباحهم كنا به نحمد السرى * فلما عدمناهم سرينا على عمى
وكنا رعينا العز حول حماهم * فقد أجدب المرعى وقد أقفر الحمى
وقد ألبست أيدي الليالي قلوبهم * مناسج سدى الغيث فيها وألحما
تصور خلت من ساكنيها فغابها * سوى الادم نعشي حول واقفة الدمى
تجيب بها الهام الصدى ولطالما * اجاب القيان الطائر المترغا
كأن لم يكن فيها أنيس ولا التقى * بها الوفد جمعا والخميس عرمرما

ومنها

حكيت وقد فارقت ملكك مالكا * ومن ولهي احكي عليك متمما
مصاب هوى بالنيرات من العلا * ولم يبق في أرض المكارم معلما
تضيق على الارض حتى كأنما * خلقت وإياها سوارا ومعصما
ندبتك حتى لم يخل لي الاسى * دموعا بها ابكي عليك ولا دما

مكة بأمر يزيد وذلك في سنة على الجيش الحصين بن نمير فسار الحصين حتى أتى مكة وأحاط بها وعاذ ابن الزبير بالبيت الحرام وكان قد سمى نفسه العائذ بالبيت وشهر بهذا حتى ذكرته الشعراء في اشعارها من ذلك ما قدمنا من قول سليمان بن قتبة

فان تتبعوه عائذ البيت تصجوا * كعادتهم من هدها فضلت

ونصب الحصين فيمن معه من أهل الشام المجانيق والعرادات على مكة والمسجد من الجبال والفجاج وابن الزبير في المسجد ومعه المختار بن أبي عبيد الثقفي داخلا في جملته منضافا الى بيعته منقادا الى امامته على شرائط شرطها عليه لا يخالف له رأيا ولا يعصى له أمرا فتواردت أحجار المجانيق والعرادات على البيت ورمي مع الاحجار بالنار والنفط ومشاقات الكتان وغير ذلك من المحرقات وانهدمت الكعبة واحترقت البنية ووقعت صاعقة فاحرقت من أصحاب المجانيق أحد عشر رجلا وقيل أكثر من ذلك يوم السبت لثلاث خلون من شهر ربيع الاول من السنة المذكورة قبل وفاة يزيد بأحد عشر يوما

وانى على رسمى مقيم فان امت * سأجعل للباكين رسمى موسما
بكاك الحيا والريش شقت جيوبها * عليك وناح الرعد باسمك معلما
ومزق ثوب البرق واكتست الضحى * حدادا وقامت انجم الجو اتما
وحاربك الاصباح وجدا فاهتدى * وغارا خوك البحر غيضا فاطما
وماحل بدر التم بعدك دارة * ولا اظهرت شمس الظهيرة مبسما
قضى الله ان حطوك عن ظهر اشقر * بشم وان امطوك اشأم ادهما

وكان قد انفكت عنه القيود فاشار الى ذلك بقوله فيها

قيودك ذابت فانطلقت لقد غدت * قيودك منهم بالمكارم ارحما
عجبت لان لان الحديد وان قسوا * لقد كان منهم بالسريرة اعلما
سيعجبك من نجى من السجن يوسفا * ويؤويك من آوى المسيح بن مريما

ولابى بكر الدانى المذكور فى البكاء على اياامهم وانتثار نظامهم عدة مقطعات وقصائد هى قرة عين الطالب ونجعة الرائد وقد اشتمل عليها جزء لطيف صدره عنه فى هيئة تصنيف سماه السلوك فى وعظ الملوك ووفد على المعتمد وهو باغمات عدة وفادات لم يخل فى جمعها من افادات وقال فى احداها هذه وفادة وفاء لا وفادة اجتداء قال غير واحد من النادر الغريب انه نودى على جنازته الصلاة على الغريب بعد عظم سلطانه وسعة اوطانه وكثرة صقالبته وحشمه وعظم امره وشانه فتبارك من له العزة والبقاء والدوام واجتمع عند قبره جماعة من الاقوام الذين لهم فى الادب حصه ولقضية المعتمد فى صدورهم غصه منهم البالغ فى البلاغة الامد شاعره ابو بحر عبد الصمد وكان به خصيصا وكم البسه من بره حلة وقميصا فقال من قصيدة طويلة اجاد فيها ماشا وجلب بها الى النفس الحاضرين بعد الانس ايحاشا مطلعها

ملك الملوك اسامع فأنادى * ام قد عدتك عن السماع عوادى
لما خلت منك القصور ولم تكن * فيها كما قد كنت فى الاعياد
قبلت فى هذا الثرى لثما خاضعا * وجعلت قبرك موضع الانشاد

فلما بلغ من انشاده الى مراده قبل الثرى ومرغ جسمه وعفر خده فبكى كا ... وحذفه ذلك عن سرور العيد وصده اذ كانت هذه القصة يوم ...

* ويحكى ان رجلا راى فى منامه اثر الكائنة على المعتمد بن عباد كا ... قرطبة فاستقبل الناس وانشد هذه الابيات متمثلا

ربى ركب قد اناخوا عيسهم * فى ذرا مجدهم حين بسق
سكت الدهر زمانا عنهم * ثم ابكاهم دما حين نطق

وعاش ابو بكر بن اللبانة المعروف بالدانى المذكور آنفا بعد المعتمد وقدم ميورقة آخر شعبان سنة ٤٨٩ ومدح ملكها مبشر بن سليمان بقصيدة مطلعها

ملك روعك فى حلى ريعانه * راقت برونقه صفات زمانه

وابن هذا من امداحه فى المعتمد * وتذكرت هنا من احوال الدانى انه دخل على ابن عمار

فنى ذلك يقول ابو حرة المديني
ابن غمير يشمس ما تولى
قد احرق المقام والمصلى
وليزيد وغيره اخبار عجيبة ومثالب كثيرة من شرب الخمر وقتل ابن الرسول ولعن الوصي وهدم البيت واحراقه وسفك الدماء والفسق والفجور وغير ذلك مما قد ورد فيه الوعيد باليأس من غفرانه كوروده فيمن جحد توحيده وخالف رسله وقد أتينا على الغرر من ذلك فيما سلف من كتبنا والله ولى التوفيق

* (ذكر أيام معاوية بن يزيد بن معاوية ومروان بن الحكم والمختار بن أبى عبيد الله وعبد الله بن الزبير ولمع من أخبارهم وسيرهم وبعض ما كان فى أيامهم) * (قال المسعودى) وملك معاوية بن يزيد بن معاوية ... سنة ...

... سمى وكان يكنى بأبى يزيد وكنى حين ولى الخلافة بأبى ليلى وكانت هذه الكنية للمستضعف من العرب وفيه يقول الشاعر
انى أرى فتنة هاجت مراجلها
والملك بعد أبى ليلى لمن غلبا

ولما حضرته الوفاة اجتمعت اليه بنو أمية فقالوا له اعهد الى من رأيت من أهل بيتك فقال والله ما ذقت حلاوة

خلافتكم فكيف اتقلدوزرها وتفعلون أنتم حلاوتها واتحمل مرارتها اللهم انى برىء منها فمثل عنها اللهم انى لا اجد نفرا كاهل الشورى فاجعلها اليهم ينصبون من يرونه أهلا لها فقالت له أمه ليت أنك خرقة حيضة ولم أسمع منك هذا الكلام فقال لها وليتنى يا أماه خرقة حيضة ولم أتقلد هذا الامر أتفوز بنو أمية بحلاوتها وأبوء بوزرها ومنعها أهلها كلا انى لبرىء منها (وقد تنوع) فى سبب وفاته فمنهم من رأى أنه سقى شربة ومنهم من رأى أنه مات حتف أنفه ومنهم من رأى أنه طعن وقبض وهو ابن اثنتين وعشرين سنة ودفن بدمشق وصلى عليه الوليد ابن عتبة بن أبى سفيان ليكون الامر له من بعده فلما كبر الثانية طعن فسقط ميتا قبل تمام الصلاة فقدم عثمان بن عتبة بن أبى سفيان فقالوا نبايعك على ان لا أحارب ولا أباشر الا فابوا ذلك عليه فصار الى مكة ودخل فى جملة ابن الزبير وزال الامر عن آل حرب فلم يكن فيهم من يرومها ولا يتشوف نحوها ولا يرتجى أحد منهم لها وبايع أهل العراق عبد الله بن الزبير فاستعمل على الكوفة عبد الله بن مطيع العدوى فقال المختار بن أبى عبيد الثقفى لابن الزبير انى لاعرف قوما لو أنهم اول

فى مجلس فأراد ان يندر به وقال له اجلس يا دانى بغير الف فقال له نعم يا ابن عمار بغير ميم وهذا هو الغاية فى سرعة الجواب والاخذ بالثار فى المزاح * ونظيره وان كان من باب آخر ان المعتمد مر مع وزيره ابن عمار ببعض ارجاء اشبيلية فلقيتهما امراة ذات حسن مفرط فكشفت وجهها وتكلمت بكلام لا يقتضيه الحياء وكان ذلك بوضع الجباسين الذين يصنعون الجبس والجيارين الصانعين للجير باشبيلية فالتفت المعتمد الى موضع الجيارين وقال يا ابن عمار الجيارين ففهم مراده وقال فى الحال يا مولاى والجباسين فلم يفهم الحاضرون المراد وتحيروا فسألوا ابن عمار فقال له المعتمد لا تبعها منهم الاغالية وتفسيرها ان ابن عباد صحف الحيازين بقوله الجيارين اشارة الى أن تلك المراة لو كان لها حياء لازدانت فقال له والجباسين وتصحيفه والخناثين أى هى وان كانت جميلة بديعة الحسن لكن الخنا شانها وهذا شأو لا يلحق * ومن أخبار المعتمد انه جلس يوما والبراة تعرض عليه فاستحث الشعراء فى وصفها فصنع ابن وهبون بديها

للصيد قبلك سنة مأثورة * لكنها بك أبدع الاشياء
تمضى البزاة وكلما أمصبتها * عاطيتها بخواطر الشعراء

فاستحسنها واسنى جائزته * وذكر ابن بسام ان أبا العرب الصقلى حضر مجلس المعتمد يوما وقد حمل اليه حمل وافرة من قراريط الفضة فأمر له بكيسين منها وكان بين يديه تماثيل عنبر من جملتها جمل مرصع بالذهب واللآلئ فقال له أبو العرب معرضا ما يحمل هذين الكيسين الا جمل فتبسم المعتمد وأمر له به فقال أبو العرب بديها

أجدينى جملا جوناشفعت به * جملا من الفضة البيضاء لو جملا
تتاج جودك فى أعطان مكرمة * لا قد تصرف من منع ولا عقلا
فاعجب لشأنى فشأنى كله عجب * رفهتنى فحملت الحمل والجملا

وذكر الجارى هذه القصة فقال قعد المعتمد فى مجلس احتفل فى تنضيده واحضار الطرائف الملوكية وكان فى الجملة تمثال جمل من بلور وله عينان من ياقوتتين وقد حلى بنفائس الدر فأنشده أبو العرب قصيدة فامر له بذهب كثير مما كان بيده من السكة الجديدة فقال معرضا بذلك الجمل ما يحمل هذه الصلة الا جمل فقال خذ هذا الجمل فانه حمال أثقال فارتجل شعرا منه * رفهتنى فحملت الحمل والجملا * وذكر ان ذلك الجمل بيع بخمسمائة مثقال فسارت بهذا الخبر الركائب وتهادته المشارق والمغارب * وتباحث المعتمد مرة مع الجلساء فى بيت المتنبى الذى زعم انه أمير شعره

أزورهم وسواد الليل يشفع لى * وأثنى وبياض الصبح يغرى بى

فقال ما قصر فى مقابلة كل لفظة بضدها الا أن فيه نقدا خفيا ففكروا فيه فلما فكروا قالوا له ما وقفنا على شئ فقال الليل لا يطابق الا بالنهار ولا يطابق بالصبح لان الليل كلى والصبح جزئى فتعجب الحاضرون وأثنوا عليه لدقيق انتقاده قال الصفدى قلت ليس هذا بنقد صحيح والصواب مع أبى الطيب لانه قال أزورهم وسواد الليل يشفع لى فهذا محب يزور أحبابه فى سواد الليل خوفا ممن يشى به فاذا لاح الصبح أغرى به الوشاة ودل عليه أهل النميمة والصبح

أول ما يغرى به قبل النهار وعادة الزائر المريب أن يزور ليلا وينصرف عند انفجار الصبح خوفا من الرقباء ولم تجر العادة ان الخائف يتلبث الى أن يتوضح النهار ويمتلئ الافق نورا فذكر الصبح هنا أولى من ذكر النهار والله أعلم انتهى قلت كان يختلج فى صدرى ضعف ما قال الصفدى حتى وقفت على ما كتبه البدر المشتكى ومن خطه نقلت ما صورته هو ما انتقد عليه المعنى انما انتقد عليه مطابقة الليل بالصبح فان ذلك فاسد انتهى فحمدت الله على الموافقة انتهى * وقال فى بدائع البدائه جلس المعتمد للشرب وذلك فى وقت مطر أجرى كل وهدة نهرا وحلى جيد كل غصن من الزهر جوهرا وبين يديه جارية تسقيه وهى تقابل وجهها بنجم المكاس فى راحة كالثريا تخجل الزهر بطيب العرف والريا فاتفق أن لعب البرق بحسامه وأجال سوطه المذهب يسوق به ركامه فارتاعت لخطفته وذعرت من خيفته فقال المعتمد بديها

روعها البرق وفى كفها * برق من القهوة لماع
عجبت منها وهى شمس الضحى * كيف من الانوار ترتاع

واستدعى عبد الجليل بن وهبون المرسى وأنشده البيت الاول مستجيزا فقال عبد الجليل

ولن أرى أعجب من آنس * من مثل ما يمسك يرتاع

فاستحسنه وأمر له بجائزة قال ابن ظافر وبيته عندى أحسن من بيت المعتمد انتهى * وقال ابن بسام كان فى قصر المعتمد فيل من الفضة على شاطئ بركة يقذف الماء وهو الذى يقول فيه عبد الجليل بن وهبون من بعض قصيدة

ويفرغ فيه مثل النصل بدع * من الافيال لا يشكو ملالا
رعى رطب اللجين فجاء صلدا * تراه قلما يخشى هزالا

فجلس المعتمد يوما على تلك البركة والماء يجرى من ذلك الفيل وقد أوقدت شمعتان من جانبيه والوزير أبو بكر بن الملح عنده فصنع الوزير فيهما عدة مقاطيع بديها منها

ومشعلين من الاضواء قد قرنا * بالماء والماء بالدولاب مقرون
لاحا لعينى كالنجمين بينهما * خط المجرة ممدود ومعطوف

وقال أيضا كانما النار فوق الشمعتين سنا * والماء من منفذ الانبوب منسكب
غمامة تحت جنح الليل هامعة * فى جانبيها خفاق البرق يضطرب

وقال أيضا وانبوب ماء بين نارين ضمنا * هما لكنوز الرا[illegible]
كأن اندفاع الماء بالماء حية * يحركها فى الماء لمع [illegible]

وقال أيضا كأن سراجى سرجهم فى التظائها * وأنبوب ماء الفيل [illegible]
كريم تولى كبره من كليهما * لئيمان فى انفاقه يعذلانه

ولما مات والد المعتمد واستقل بالملك قال ذو الوزارتين بن زيدون يرثى المعتضد ويمدح المعتمد بقصيدة طويلة أولها

هو الدهر فاصبر للذى أحدث الدهر * فمن شيم الاحرار فى مثلها الصبر
ستصبر صبر اليأس أو صبر وحشة * فلا تؤثر الوجه الذى معه الوزر

من هم قال شيعة بنى هاشم بالكوفة قال كن أنت ذلك الرجل فبعثه الى الكوفة فنزل ناحيه منها وجعل يظهر البكاء على الطالبيين وشيعتهم ويظهر الحنين والجزع لهم ويحث على أخذ الثار لهم والمطالبة بدمائهم فمالت الشيعة اليه وانضافوا الى جملته وسار الى قصر الامارة فأخرج مطيعا منه وغلب على الكوفة وابتنى لنفسه دارا واتخذ بستانا أنفق عليه أموالا عظيمة أخرجها من بيت المال وفرق الاموال على الناس بها تفرقة واسعة وكتب الى ابن الزبير يعلمه انه انما أخرج ابن مطيع عن الكوفة لعجزه عن القيام بها ويسوم ابن الزبير أن يحتسب له بما أنفقه من بيت المال فأبى ابن الزبير ذلك عليه فخلع المختار طاعته وجحد [illegible]

[illegible] يع له ويقول بإمامته ويظهر دعوته وأنفذ اليه مالا كثيرا فابى على أن يقبل ذلك منه أو يجيبه عن كتابه وسبه على رؤس الملا فى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم وأظهر كذبه وفجوره ودخوله على الناس باظهار الميل الى آل أبى طالب فلما يئس المختار من على بن الحسين كتب الى عمه محمد بن الحنفية يريده على مثل ذلك

فأشار عليه على بن الحسين ان لا يجيبه الى شئ من ذلك فان الذى يحمله على ذلك اجتذابه القلوب

الناس بهم وتقربه اليهم بمحبتهم وباطنه مخالف لظاهره فى الميل اليهم والتولى لهم والبراءة من أعدائهم بل هو من أعدائهم لا من أوليائهم والواجب عليه ان يشهر أمره ويظهر كذبه على حسب ما فعل هو وأظهر من القول فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى ابن الحنفية ابن عباس فأخبره بذلك فقال له ابن العباس لا تفعل فانك لا تدرى ما أنت عليه من ابن الزبير فأطاع ابن عباس وسكت عن عيب المختار واشتد أمر المختار بالكوفة وكثر رجاله ومال الناس اليه وأقبل يدعو الناس على طبقاتهم ومقاديرهم فى أنفسهم وعقولهم فمنهم من يخاطبه بامامة محمد بن الحنفية ومنهم من يرفعه عن هذا فاطمه بان الملك يأتيه بالوحى ويخبره بالغيب وتتبع قتلة الحسين فقتلهم قتل عمر بن سعد بن أبى وقاص الزهرى وهو الذى تولى حرب الحسين يوم كربلاء وقتله ومن معه فزاد ميل أهل الكوفة اليه ومحبتهم له وأظهر ابن الزبير الزهد فى الدنيا والعبادة مع الحرص على الخلافة وقال انما بطأنى شبر فما عسى ان يسع ذلك من الدنيا وأنا العائذ بالبيت والمستجير بالرب ولا

حذر لك من أن يعقب الرزء فتنة * يضيق بها عن مثل ايمانك العذر
اذا أسف الثكل اللبيب فشفه * رأى أفدح الثكلين أن يذهب الاجر
مصاب الذى يأسى بموت توابه * هو البر لا الميت الذى أحرز القبر
حياة الورى نهج الى الموت مهيع * لهم فيه ايضاع كما يوضع السفر

ومنها

اذا الموت أضحى قصد كل معمر * فان سواء طال أو قصر العمر
ألم تر أن الدين ضيم ذماره * فلم يغن أنصار عديدهم دثر
بحيث استقل الملك ثانى عطفه * وبرز من أذياله العسكر المجر
هو الضيم لو غير القضاء برومه * ثناه المرام الصعب والمسلك الوعر
اذا عترت جرد العناجيج فى القنا * بليل عجاج ليس يصدعه فجر

ومنها

أعبادى أوفى الملوك لقد عدا * عليك زمان من محبته الغدر

الى أن قال بعد أبيات كثيرة

الا أيها المولى الوصول عبيده * لقد رابنا أن تملوا الصلة الهجر
بغاديك داعينا السلام كعهده * فما يسمع الداعى ولا يرفع الستر
أعتب علينا ذا وعن ذلك الرضا * فتسمع أم بالمسمع المعتلى وقر

ومنها

وكيف بنسيان وقد ملأت يدى * جسام أياد منك أيسرها الوفر
وان كنت لم أشكر لك المنن التى * تملتها تترى فلا بقى الكفر
فهل علم الثغر المقدس أننى * مسوغ حال حار فى كنهها الدهر
وان مناتى لم يضعه محمد * خليفتك العدل الرضى وابنك البر
هو الظافر الاعلى المؤيد بالذى * له فى الذى وفاه من صنعه سمر
له فى اختصاصى ما رأيت وزادنى * مزية زلفى من تناتجها الفخر
وأرغم فى برى أنوف عصابة * لقاؤهم جهم ولحظهم شزر
اذا ما استوى فى الدست عاقد حبوة * وقام سماطا حفله فلى الصدر
وفى نفسه العلياء لى متبوأ * يساجلنى فيه السما كان والنسر

ومنها

لك الخير ان الرزء كان غيابة * طلعت لنا فيها كما طلع البدر
فقرت عيون كان أسعدها البكا * وقرت قلوب كان أزلفها الزعر
ولما قدمت الجيش بالامر أشرقت * اليك من الآمال آفاقها الغبر

ومنها

فقضيت من فرض الصلاة لبانة * فشيعها نسك وقارنها طهر
ومن قبل ما قدمت مثنى نوافل * يلاقى بها من صام من غيره فطر
ورحت الى القصر الذى غض طرفه * بعيد التسامى أن غدا غيره القصر
وأجل عن التاوى العزاء فان توى * فانك لا الوانى ولا الضرع الغمر
وما أعطت السبعون قبل أولى النجاء * من اللب ما أعطاك عشر ولك العمر
ألست الذى ان ضاق ذرع بحادث * تبلج منه الوجه واتسع الصدر
فلا تهض الدنيا جناحك بعده * فمنك لمن هاضت نوائبها جبر

ولازلت موفور العديد بقرة * لعينك مشدودا بها ذلك الآزر
فانك شمس في سماء رياسة * تطلع منها حولنا انجم زهر
شككنا فلم تشمت لايام دهرنا * بهاوسن أم هز أعطافها سكر
وماان تغشتها مغازلة الكرى * وماان تمشت في معاطفها الخمر
سوى نشوات من سجايا عملك * يصدق في علياتها الخبر الخبر
أرى الدهر ان يبطش فانت يمينه * وان تحمك الدنيا فأنت لها ثغر
وكم سائل بالغيب عنك أجبته * هنالك الايادي الشفع والسود الوتر
هنالك التقى والعلم والحلم والنهى * وبذل اللهاوالبأس والنظم والنثر
همام اذا لاقى المنا جزرده * واقبل له خطر واد باره حصر
محاسن ماللروض سامره الندى * رواه اذانصت حلاها ولانشر
متى انتشقت لم تدر دارين مسكها * حياء ولم يفخر بعنبره النحر
عطاء ولامن وحكم ولاهوى * وحلم ولاعجز وعز ولا كبر
قداستوفت النعماء فيك تمامها * علينا فنا الحمد لله والشكر

وكتب ابن زيدون المذكور الى المعتمد رحمهما الله تعالى يشوقه الى تعاطي الحميا في قصوره البديعة التي منها المبارك والثريا

فز بالنجاح وأحرز الآمالا * وخذ المنى وتحجز الآمالا
وليهنك التأييد والظفر الذي * صدقاك في السمة العلية فالا
ياأيها الملك الذي لولاه لم * تجد العقول الناشدات كمالا
أما الثريا فالثريا رتبة * وافادة وانافة وجمالا
قدشاقها الانبا [illegible] ت اليك خيالا
رفد ورودكها التغم [illegible] الا
ونأمل القصر المبارك جنة * [illegible]
وأدر هنالك من المدام كؤسها * و أتمها واسـ[illegible]
قصر يقر العين منه مصنع * بهج الجوانب لومشى لاختال
لازالت تفترش السرور حدائقا * فيه وتلتحف النعيم ظلالا

وأهدى اليه تفاحا واعتقد أن يكتب معه قطعة فبدأ بها ثم عرض له غيرها فتركها ثم ابتدا

دونك الراح حامده * وفدت خير وافده
وجدت سوق ذو بها * عندك اليوم كاسده
فاستحالت الى الجسو * دوجاءت مكايده

وكتب الى المعتمد

ياأيها الظافر نلت المنى * ولا أتاك فيك محذور
ان الخلال الزهر قد ضمها * ثوب عليك الدهر مزرور
لازال للعد الذي شدته * ربع بتعميرك معمور

فيه يقول الصاحب بن عباد يخبر أن سوف تكفيك قبضة وبطنك شبر أو أقل من الشبر وأنت اذا مانلت شيأ قضمته كما قضمت نار الغضى حطب السدر

ان الموالي أمست وهي عاتبة على الخليفة تشكو الجوع والحربا
ماذا علينا وماذا كان يرزؤنا أي الملوك على ماحولنا غلبا

وفيه يقول بعد مفارقته اياه

مازال في سورة الاعراف يقرؤها حتى فؤادي مثل الخز في اللين
لو كان بطنك شبرا قد شبعت وقد أفضلت فضلا كثير المساكين
ان امرأ كنت مولاه فضيعني يرجو الفلاح لعمري حق مغبون

وفيه يقول أيضا

فيارا كبا اما عرصت فبلغن كبير بني العوام ان قيل

٦١ ط ني فلو كنت تجزى أو تثيب بنعمة * قريبا لرد ذلك المعطوف على عمرو وذلك أن يزيد بن معاوية كان قد ولى الوليد

ابن عتبة بن أبي سفيان وكان عمرو منحرفا عن عبد الله فلما تصاف القوم انهزم رجال عمرو وأسلموه فظفر به أخوه عبد الله فأقامه للناس بباب المسجد الحرام مجردا ولم يزل يضرب به بالسياط حتى مات وحبس عبد الله ابن الزبير الحسن بن محمد ابن الحنفية في الحبس المعروف بحبس عارم وهو حبس موحش مظلم وأراد قتله فعمل الحيلة حتى تخلص من السجن وتعسف الطريق على الجبال حتى أتى مني وبها أبوه محمد بن الحنفية ففي ذلك يقول كثير

تخبر من لاقيت أنك عائذ
بل العائذ المظلوم في سجن عارم

ومن برهذا الشيخ بالخيف من منى
من الناس يعلم أنه غير ظالم

سمي نبي الله وابن وصيه
وفكاك أغلال وفاضي مغارم

وقد كان ابن الزبير عمد الى من بمكة من بني هاشم فحبسهم في الشعب وجمع لهم حطبا عظيما ووقعت فيه شرارة من نار لم يسلم من الموت أحد وفي القوم محمد ابن الحنفية وحدث النوفلي علي بن سليمان عن فضيل بن عبد الوهاب الكولي عن أبي عمران الرازي عن

وافاك نظم لي في طيه * معنى معمى اللفظ مستور
مرامه يصعب مالم يجع * بالسر قمري وشحرور

وذكر أبيانا فيها أسماء طيور عمي بها عن بيت طيره فيها والبيت المطير فيه

أنت ان تغرز ظافر * فليطع من ينافر

ففكه المعتمد وجاوبه

ياخير من يلحظه ناظري * شهادة ماشانها زور
ومن اذا خطب دجاليله * لاح به من رأيه نور
جاءتني الطير التي سرها * نظم به قلبي مسرور
شعر هو السحر فلا تنكروا * أني به ماعشت مسحور
اللفظ والقرطاس ان شبها * قيل هما مسك وكافور
هوى لحسن الطير من فكرتي * صقر تولى وهو مقهور
ولاح لي بيت فؤادي له * داباعلي ودك مقصور
حظك من شكري ياسيدي * حظ غالي منك موفور
قصرت في نظمي فاعذر فمن * ضاهالك في التقصير معذور
فأنت ان تنظم وتنثر فقد * أعوز منظوم ومنثور
لايعدكم روض من الحظ في الاكرام والترفيع مطور

فكتب اليه ابن زيدون

حظي من نعماك موفور * وذنب دهري بك مغفور
وجاني ان رامه أزمة * جبر لدى ظلك محجور
يا ابن الذي سرب الهدى آمن * منذ انبرى يحميه مخفور
وآمر الدهر الذي لم يزل * يصغي اليه منه مأمور
ألبس جنك الدهر أسنى الحلى * بظافر منحاه منصور
قام وفي المأثور يامن له * مجد مع الايام مأثور
عبدك ان أكثر من شكره * فهو بما توليه مكثور
ان تعف عن تقصيره منعما * فاليسر أن يقبل معسور
ان حلال السحر ان صغته * في صحف الانفس مسطور
نظم زهاني به اذ جاءني * علق عظيم القدر مذخور
لاغرو أن أقتن اذ لاحظت * فكري منه أعين حور
تنم عن معناه ألفاظه * كماوشى بالراح بلور
جهلت اذ عارضته غير أن * لابد أن ينفث مصدور
يا آل عباد موالاتكم * ذاك من الاعمال مبرور
ان الذي يرجو موازاتكم * من المناوين لمغرور
مكانه منكم كما انحط عن * منزلة المرفوع مجرور

لا زلتم في غبطة ما انجلى * عن فلق الاصباح ديجور
ولا تزل تجري بما شئتم * أعماركم لله مقدور

وكتب المعتمد الى ابن زيدون بعد أن فك معمى كتب به اليه ابن زيدون ما صورته

العين بعدك تقذى * بكل شئ تراه
فليجل شخصك عنها * ما المغيب جناه

وقد قدمنا من كلام أبي الوليد بن زيدون رحمه الله تعالى ما فيه كفاية (رجع الى بني عباد) قال ابن حديس لما قدمت وافدا على المعتمد بن عباد استدعاني وقال افتح الطاق فاذا بكير زجاج والنار تلوح من بابيه وواقده يفتحهما تارة ويسدهما أخرى ثم أدام سد أحدهما وفتح آخر فعين تأملتهما قال لي أجز

انظر هما في الظلام قد نجما * فقلت * كمارنا في الدجنة الاسد
فقال يفتح عينيه ثم يطبقها * فقلت * فعل امرئ في جفونه رمد
فقال فابتزه الدهر نور واحدة * فقلت * وهل نجا من صروفه أحد

فاستحسن ذلك وأطربه وأمر لي بجائزة وألزمني الخدمة * وعلى ذكر ابن حديس فما أحسن قوله

أراك ركبت في الاهوال بحرا * عظيما ليس يؤمن من خطوبه
تسير فلكه شرقا وغربا * وتدفع من صباه الى جنوبه
واصعب من ركوب البحر عندي * أمور أنت آتيها ركوبه

ولغيره

ان ابن آدم طين * والبحر ماء يذيبه
لولا الذي فيه يتلى * ما جاز عندي ركوبه

وقال ابن حديس في هذا المعنى

لا أركب البحر أخشى * على منه المعاطب
طين أنا وهو ماء * والطين في الماء ذائب

(رجع الى بني عباد رحمهم الله تعالى) قال ابن بسام أخبرني الحكيم النديم المطرب أبو بكر الاشبيلي قال حضرت مجلس الرشيد بن المعتمد بن عباد وعنده الوزير أبو بكر بن عمار فلما دارت الكاس وتمكن الانس وغنيت أصواتا ذهب الطرب يخاطب الرشيد

ما ضر أن قيل اسحق وموصله * ها أنت أنت وما
أنت الرشيد فدع من قد سمعت به * وان تشابه أخلاق وأعراق
لله درك داركا مشعشعة * واحضر بساقيك ما قامت بناساق

وكان الرشيد هذا أحد أولاد المعتمد النجبا وله أخبار في الكرم يقضي الناظر فيها من أمرها عجبا وكذلك اخوته وقد ألممنا في هذا الكتاب بجملة من محاسنهم وأمهم اعتماد الملقبة بالرميكية هي التي ترجمناها في هذا الموضع واقتضت المناسبة ذكر أمر بني عباد فلنعد الى ما كنا بصدده من أخبارها رحمها الله تعالى فنقول قال ابن سعيد في بعض مصنفاته كان المعتمد كثيرا ما يأنس بها ويستظرف نوادرها ولم تكن لها معرفة بالغناء وانما كانت مليحة

من الكوفة من قبل المختار فنفرنا معه في أربعة آلاف فارس فقال أبو عبد الله هذه خيل عظيمة وأخاف أن يبلغ ابن الزبير الخبر فيحمل على بني هاشم فيأتي عليهم فانتدبوا معي فانتدبنا معه في ثمانمائة فارس جريدة خيل فاشهر ابن الزبير الالوية والرايات تخفق على رأسه قال فجئنا الى بني هاشم فاذا هم في الشعب فاستخرجناهم فقال لنا ابن الحنفية لا تقتلوا الا من قاتلكم فلما رأى ابن الزبير تمرنا له وافدامنا عليه لاذ بأستار الكعبة وقال أنا عائذ الله (وحدث) النوفلي في كتابه في الاخبار عن ابن عائشة عن أبيه عن حماد ابن سلمة قال كان عروة بن الزبير يعذر أخاه اذا جرى ذكر بني هاشم وحصره اياهم في الشعب وجمعه

بنو هاشم وجمع لهم الحطب لاحراقهم اذهم أبوا البيعة فيما سلف وهذا خبر لا يحتمل ذكره هنا وقد أتينا على ذكره في كتابنا في مناقب أهل البيت وأخبارهم المترجم بكتاب حدائق الاذهان وخطب

ابن الزبير فقال قد بايعني الناس ولم يتخلف الا هذا الغلام محمد بن الحنفية وأنا موعدي وبينه أن تغرب الشمس ثم انصرم

الوجه حسنة الحديث حلوة النادر كثيرة الفكاهة لها في كل ذلك نوادر محكية وكانت في عصرها ولادة بنت محمد بن عبد الرحمن وهي أبدع منها ملحا وأحسن افتنانا وأجل منصبا وكان أبوها أمير قرطبة ويلقب بالمستكفي بالله وأخبار أبي الوليد بن زيدون معها وأشعاره فيها مشهورة انتهى ملخصا * ومن أخبار الرميكية القصة المشهورة في قولها ولا يوم الطين وذلك انها رأت الناس يمشون في الطين فاشتهت المشي في الطين فأمر المعتمد فسحقت أشياء من الطيب وذرت في ساحة القصر حتى عمته ثم نصبت الغرابيل وصب فيها ماء الورد على أخلاط الطيب وعجنت بالايدي حتى عادت كالطين وخاضتها مع جواريها وغاصبها في بعض الايام فاقسمت انها لم ترمنه خيرا قط فقال ولا يوم الطين فاستحيت واعتذرت وهذا مصداق قول نبينا صلى الله عليه وسلم في حق النساء لو أحسنت الى احداهن الدهر كله ثم رأت منك شيئا قالت ما رأيت منك خيرا قط قلت ولعل المعتمد أشار في أبياته الرائية الى هذه القضية حيث قال في بنانه

يطأن في الطين والاقدام حافية * كانها لم تطأ مسكا وكافورا

ويحتمل أن يكون أشار بذلك الى ما جرت به عادة الملوك من ذر الطيب في قصورهم حتى يطؤه باقدامهم زيادة في التنعم وسبب قول المعتمد ذلك ما حكاه الفتح فقال وأول عيد أخذه يعني المعتمد باغمات وهو سارح وما غير الشجون له مبارح ولا زى الاحالة الخمول واستحالة الخمول فدخل اليه من يسلم عليه وفيهم بناته وعليهن أطمار كانها كسوف وهن أقمار يبكين عند التساؤل ويبدين الخشوع بعد التخايل والضياع قد غير صورهن وحير نظرهن وأقدامهن حافية وآثار نعمين عافية فقال

فيما مضى كنت بالاعياد مسرورا * فساءك العيد في اغمات مأسورا
ترى بناتك في الاطمار جائعة * يغزلن للناس ما يملكن قطميرا
برزن نحوك للتسليم خاشعة * أبصارهن حسيرات مكاسيرا
يطأن في الطين والاقدام حافية * كانها لم تطأ مسكا وكافورا
لا خد الا تشكي الجدب ظاهرة * وليس الا مع الانفاس ممطورا
افطرت في العيد لا عادت مسامته * فكان فطرك للاكباد تفطيرا
قد كان دهرك ان تأمره ممتثلا * فردك الدهر منهيا ومأمورا
من بات بعدك في ملك يسر به * فانما بات بالاحلام مغرورا

انتهى * وقال الفتح أيضا ولما نقل المعتمد من بلاده واعرى من طارفه وتلاده وحمل في السفين واحل في العدوة محل الدفين تندبه منابره وأعواده ولا يدنو منه زواره ولا عواده بقي أسفا تتصعد زفراته وتطرد اطراد المذانب عبراته لا يخلو بمؤانس ولا يرى الا عريناً بدلا من تلك المكانس ولما لم يجد سلوا ولم يؤمل دنوا ولم ير وجه مسرة مجلوا تذكر منازله فشاقته وتصور بهجتها فراقته وتخيل استيحاش اوطانه واجهاش قصره الى قطانه واظلام جوه من اقماره وخلوه من حراسه وسماره فقال

بكى المبارك في اثر ابن عباد * بكى على اثر غزلان وآساد

ذاره عليه نارا فدخل هي حجاب قوى فجعل ابن عباس ينظر الى الشمس ويفكر في كلام ابن الحنفية وقد كادت الشمس ان تغرب فوافاهم أبو عبد الله الجدلي فيما ذكرنا من الخيل وقالوا لابن الحنفية ائذن لنا فيه فأبى وخرج الى ايلة فأقام بها سنين ثم قتل ابن الزبير كذلك حدث عمر ابن حبة التميمي عن عطاء بن مسلم فيما أخبرنا به أبو الحسن المهراني البصري بمصر وأبو اسحق الجوهري بالبصرة وغيرهما وهؤلاء الذين وردوا الى ابن الحنفية هم الشيعة الكيسانية وهم القائلون بامامة محمد بن الحنفية وقد تنازعت الكيسانية بعد قولهم بامامة محمد بن الحنفية فمنهم من قطع بموته ومنهم من زعم انه لم يمت وانه حي في جبال رضوى وقد تنازع كل فريق من هؤلاء أيضا وانما سموا بالكيسانية لاضافتهم الى المختار بن أبي عبيد الثقفي وكان اسمه كيسان ويكنى أبا عمرة أو هو غير المختار وقد أتينا على أقاويل فرق الكيسانية وغيرهم من فرق الشيعة وطوائف الامة في كتابنا في المقالات في أصول الديانات وذكرنا قول كل فريق منهم وما أيد به مذهبه وقول من ذكر منهم أن ابن الحنفية بكت

بكت ثريا ه لانعمت كوا كبها * بمثل نوء الثريا الرائح الغادي
بكى الوحيد بكى الزاهى وقبته * والنهر والتاج كل ذله بادى
ماء السماء على افيائه درر * يانجمة البحر دومى ذات از باد

وفى ذلك يقول ابن اللبانة

أستودع الله أرضا عند ماوضحت * بشائر الصبح فيها بدلت حلكا
كان المؤيد بستانا بساحتها * يجنى النعيم وفى علياتها فلكا
فى امره لملوك الدهر معتبر * فليس يغتر ذو ملك بما ملكا
تبكيه من جبل خرت قواعده * فكل من كان فى بطحائه هلكا

وكان القصر الزاهى من اجل المواضع لديه وابهاها واحبها اليه واشهاها لاطلاله على النهر واشرافه على القصر وجماله فى العيون واشتماله بالزهر والزيتون وكان له به من الطرب والعيش المزرى بحلاوة الضرب مالم يكن بحلب لبنى حمدان ولا لسيف بن ذى يزن فى رأس غمدان وكان كثيرا مايدير به راحه ويجعل فيه انشراحه فلما امتد الزمان عليه بعدوانه وسد عليه ابواب سلوانه لم يحن الا اليه ولم يتمن غير الحلول لديه فقال

غريب بارض المغربين أسير * سبكى عليه منبر و سرير
وتندبه البيض الصوارم والقنا * ويهمل دمع بينهن غزير
مضى زمن والملك مستأنس به * واصبح منه اليوم وهو نفور
برأى من الدهر المضل فاسد * متى صلحت للصالحين دهور
أدل بنى ماء السما ء زمانهم * وذل بنى ماء السماء كبير
فياليت شعرى هل ابيتن ليلة * أمامى وخلفى روضة وغدير
بمنبتة الزيتون مورثة العلا * تغنى حمام أو ترن طيور
بزاهرها السامى الذى جاده الحيا * تشير الثريا نحونا وتشير
ويلحظنا الزاهى وسعد سعوده * غيورين والصب المحب غيور
تراه عسير الا يسير امنا له * [illegible]

انتهى * وقال الحجارى فى المسهب ان ا [illegible]
جارية مغنية قد نشأت بالعدوة واهل العد [illegible]
اشبيلية وقد كثر الارجاف بان سلطان الملثمين يعرج بقصد [illegible]
خاطر ابن عباد بالفكر فى ذلك فخرج بها الى قصر الزهراء على نهر اشبيلية وقعد على الراح فخطر بفكره أن غنت عندما انتشى هذه الابيات

حلوا قلوب الاسد بين ضلوعهم * ولووا عمائمهم على الاقمار
وتقلدوا يوم الوغى هندية * امضى اذا انتضيت من الاقدار
ان خوفوك لقيت كل كريهة * أو أمنوك حللت دار قرار

فوقع فى قلبه أنها عرضت بسادا تها فلم يملك غضبه ورمى بها فى النهر فهلكت انتهى فقدر الله تعالى أن كان تمزيق ملكه على يدهم تصديقا للعارية فى قولها

أضر بعشر والوك منا * وسمولك الخليفة والامام وعادوا فيك أهل الارض طرا *

الغاية وقد ذكر جماعة من الاخباريين ان كثيرا الشاعر كان كيسانيا ويقول ان محمد بن الحنفية هو المهدى الذى يملؤها عدلا كما ملئت جورا وحكى الزبير بن بكار فى كتابه انساب قريش فى انساب آل أبى طالب وأخبارهم منه قال أخبرنى عمر قال قال كثير أبيات له يذكر فيها ابن الحنفية رضى الله عنه وأولها

هو المهدى خبرناه كعب
أخو الاحبار فى الحقب الخوالى
أقر الله عينى اذ دعانى
أمين الله يلطف فى السؤال
وأثنى فى هواى على خيلا
وساءل عن بنى وكيف حالى

وفيه يقول أيضا كثير

الا ان الائمة من قريش
ولاة الحق أربعة سواء
على والثلاثة من بنيه

[illegible]

وسبط لاتراه العين حتى
يقود الخيل يتبعها اللواء
يغيب لايرى فيهم زمانا
برضوى عنده عسل وماء

وفيه يقول السيد الحميرى وكان كيسانيا

ألا قل للوصى فدتك نفسى
أطلت بذلك الجبل المقاما
مغيبك عنهم سبعين عاما

* ان خوفولك لقيت كل كريهة * وحصره جيوش لمتونة الملثمين حتى أخذوه قهرا وسيق الى امير المسلمين والقصة مشهورة * وقال الفتح في شأن حصار المعتمد ما صورته ولما تم في الملك أمده واراد الله تعالى أن تخرعمده وتنقرض ايامه وتنقوض عن عراص الملك خيامه نازلته جيوش أمير المسلمين ومحلاته وظاهرته فساطيطه ومظلاته بعد ما ثرت حصونه وقلاعه وسعرت بالنكاية جوانحه واضلاعه واخذت عليه الفروج والمضايق وانثنت اليه الموانع والعوائق وطرقته طوارقها بالاضرار وامطرته من النكاية كل ديمة مدرار وهوساه بروض ونسيم لاه براح ومحياوسيم زاه بفتاة تنادمه ناه عن هدم انس هو هادمه لا يصيخ الى نباسمه ولا ينيخ الاعلى لهو يفرق جموعه جمعه وقد ولى المدامة ملامه وثنى الى ركنها طوافه واستلامه وتلك الجيوش تجوس خلاله وتقلص ظلاله وحين اشتد حصاره وعجز عن المدافعة أنصاره ودلس عليه ولاته وكثرت ادواؤه وعلاته فتح باب الفرج وقد لفح شواظ الهرج فدخلت عليه من المرابطين زمره واشتعلت من التقلب جمره تاجج اضطرامها وسهل بها ايقاد الفتنة واضرامها وعند ما سقط الخبر عليه خرج حاسرا عن مفاضته جاحا كالمهر قبل رياضته فلحق اوائلهم عند الباب المذكور وقد انتشروا في جنباته وظهروا على البلد من اكثر جهاته وسيفه في يده يتلمظ للطلى والهام ويعد بانفراج ذلك الاستبهام فرماه أحد الداخلين برمح تخطاه وجاوز مطاه فبادره بضربة أذهبت نفسه واغربت شمسه ولقي ثانيا فضربه وقسمه وخاض جيش ذلك الداء وحسمه فاجلوا عنه وولوا فرارا منه فأمر بالباب فسد وبني منه ما هدم ثم انصرف وقد اراح نفسه وشفاها وابعد الله تعالى عنه الملامة ونفاها وفي ذلك يقول عند ما خلع وودع من المكروه ما اودع

ان يسلب القوم العدا * ملكي وتسلمني الجموع
فالقلب بين ضلوعه * لم تسلم القلب الضلوع
قد رمت يوم نزالهم * أن لا تحصنني الدروع
وبرزت ليس سوى القميص على الحشا شئ دفوع
أجلى تأخر لم يكن * بهواه ذلي والخضوع
ما سرت قط الى القتا * لو كان من املي الرجوع
شيم الالى انا منهم * والاصل تتبعه الفروع

وما زالت عقارب تلك الداخلة تدب ثم ذكر الفتح تمام هذا الكلام فراجعه فيما مر بنحو ثلاث ورقات * ومن حكايات مجالس انسه أيام ملكه قبل أن ينظمه صرف الدهر في سلكه ما حكاه الفتح عن ذخر الدولة انه دخل عليه في دار المزينية والزهر يحسد اشراق مجلسه والدر يحكي اتساق تانسه وقد رددت الطير شدوها وجودت طربها ولهوها وجددت كلفها وشجوها والغصون قد التفت بسندسها والازهار تحيي بطيب تنفسها والنسيم يلم بها فتضعه بين أجفانها وتودعه أحاديث آذارها ونيسانها وبين يديه فتى من فتيانه يتثنى تثني القضيب ويحمل الكاس في راحة أبهى من الكف الخضيب وقد توشح وكأن الثريا

وفيه يقول السيد أيضا

يا شعب رضوى ما لمن بك لا يرى
وبنا اليه من الصبابة أولق
حتى متى والى متى وكم المدى
يا ابن الرسول وأنت حي ترزق

وللسيد فيه اشعار كثيرة لا يأتي عليها كتابنا هذا

(وذكر) علي بن محمد بن سليمان النوفلي في كتابه الاخبار مما سمعناه من ابي العباس بن عمار قال حدثنا جعفر بن محمد النوفلي قال حدثنا اسمعيل الساحر وكان راوية السيد الحميري قال ما مات السيد الاعلى قوله بالكيسانية وأنكر قوله في القصيدة التي أولها

تجعفرت باسم الله والله أكبر

قال أبو الحسن علي بن محمد النوفلي عقيب هذا الخبر وليس يشبه هذا شعر السيد لان السيد مع فضاحته وجزالة قوله لا يقول تجعفرت باسم الله وذكر عمر بن شبة النميري عن مساور بن السائب أن ابن الزبير خطب أربعين يوما لا يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وقال لا يمنعني أن أصلي عليه الا أن تشمخ رجال بآنافها وذكر سعيد بن جبير أن عبد الله بن عباس دخل على ابن الزبير فقال له ابن الزبير أنت الذي وشاه

وشاحه وانار فكأن الصبح من محياه كان اتضاحه فلما ناوله الكاس خاطرته سوره وتخيل أن الشمس تهديه نوره فقال المعتمد

لله ساق مهفهف غنج * قد قام يسقى فجاء بالعجب
أهدى لنا من لطيف حكمته * فى جامد الماء ذائب الذهب

ولما وصل لورقة استدعى ذا الوزارتين القائد أبا الحسن بن البسع ليلته تلك فى وقت لم يخف فيه زائر من مراقب ولم يبد فيه غير نجم ثاقب فوصل وما للام الى فؤاده وصول وهو يتخيل أن الجو صوارم ونصول بعد أن وصى بما خلف وودع من تخلف فلما مثل بين يديه آنسه وازال توجسه وقال له خرجت من اشبيلية وفى النفس غرام طويته بين ضلوعى وكفكفت فيه غرب دموعى بفتاة هى الشمس أو كالشمس اخالها لا يحول قلبها ولا يخلخالها وقد قلت فى يوم وداعها عند نظر كبدى وانصداعها

ولما التقينا للوداع غدية * وقد خفقت فى ساحة القصر رايات
بكينا دما حتى كأن عيوننا * تجرى الدموع الحمر منها جراحات

وقد زارتنى هذه الليلة فى مضجعى وأبرأتنى من توجعى ومكنتنى من رضابها وقبلتنى بدلالها وخضابها فقلت

أباح لطيفى طيفها الخد والنهدا * فعض بها تفاحة واجتنى وردا
ولو قدرت زارت على حال يقظة * ولكن حجاب البين ما بيننا مدا
أما وجدت عنا الشجون معرجا * ولا وجدت منا خطوب النوى بدا
سقى الله صوب القطر أم عبيدة * كما قد سقت قلبى على حره بردا
هى الظبى جيدا والغزالة مقلة * وروض الرياعرفا وغصن النقا قدا

فكر راستجادته وأكثر استعادته فأمر له بخمسمائة دينار وولاه لورقة من حينه فال الفتح وأخبرنى ابن اللبانة انه استدعاه ليلة الى مجلس قد كساه الروض وشيه وامتثل الدهر فيه أمره ونهيه فسقاه الساقى وحياه وسنح له الانس عن مونق محياه فقام للمعتمد مادحا وعلى دوحة تلك النعماء صادحا فاستجـ [illegible] وقد امتلات يداه وغمر جوده ونداه فلما حل بمنزله [illegible] العقار ومعهما

جاءتك ليلا فى ثياب نهار * من نورها وغلالة البدر
كالمشترى قد لف من مريخه * اذ لفه فى الماء جذوة نار
لطف الجمود لذا وذاقت ألفا * لم يلق ضد ضده بنفار
يتحير الراؤن فى نعتيهما * أصفاء ماء أم صفاء درارى

وقال الفتح أيضا وأخبرنى ذو الدولة انه استدعاه فى ليلة قد ألبسها البدر رواءه وأوقد فيها إضاءه وهو على الحيرة الكبرى والنجوم قد انعكست فيها تخالها زهرا وقابلتها المجرة فسالت فيها نهرا وقد أرجت نوافح النـد وماست معاطف الرند وحسد النسيم الروض فوشى بأسراره وأفشى حديث آسه وعراره ومشى مختالا بين لبات النور وأزراره

يقول ليس المسلم الذى يشبع ويجوع جاره فقال ابن الزبير انى لا كتم بغضكم أهل هذا البيت منذ أربعين سنة وجرى بينهم خطب طويل فخرج ابن عباس من مكة خوفا على نفسه فنزل الطائف فتوفى هنالك ذكر هذا الخبر عمر بن شبة النميرى عن سويد بن سعيد يرفعه الى سعيد بن جبير فيما حدثنا به المهرانى بمصر والكلابى بالبصرة وغيرهما عن عمر ابن شبة وحدث النوفلى فى كتابه فى الاخبار عن الوليد بن هشام المخزومى قال خطب ابن الزبير فقال من على فبلغ ذلك ابنه محمد ابن الحنفية حتى وضع له كرسى قدامه فعلاه وقال يا معاشر قريش شاهت الوجوه أينتقص على وأنتم حضور ان عليا كان [illegible] شارهم [illegible] ظلمهم فثقل عليهم فرموه بصرفة الاباطيل وانا معشر له على نهج من أمره بنو الحسبة من الانصار فان تكن لنا الايام دولة تنثر عظامهم وتحسر عن أجسادهم والابدان يومئذ بالية وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون فعاد ابن الزبير الى خطبته وقال عذرت بنى الفواطم يتكلمون فما بال بنى الحنفية فقال

وهو وجم ودمعه منسجم وزفراته تتر جم عن غرامه وتجمجم عن تعذر مرامه فلما نظر اليه استدناه وقربه وشكا اليه من الهجران ما استغر به وأنشده

أيا نفس لا تجزعى واصبرى * والا فان الهوى متلف
حبيب جفاك وقلب عصاك * ولاح لحاك ولا منصف
شجون منعن الجفون الكرى * وعوضنها أدمعا تنزف

فانصرف ولم يعلمه بقصته ولا كشف له عن غصته انتهى * وقال الفتح أيضا أخبرنى ذخر الدولة بن المعتضد انه دخل عليه فى ليلة قد امتنى السرور منامها وامتطى الحبور غاربها وسنامها وراع الانس فؤادها وستر بياض الامانى سوادها وغازل نسيم الروض زوارها وعوادها ونور السراج قد قلص اذيالها ومحا من جبين الارض نيالها والمجلس مكلس بالمعالى وصوت المثانى والمثالث عالى والبدر قد كمل والتحف بضوئه القصر واشتمل وتزين بسناه وتجمل فقال المعتمد

ولقد شربت الراح يسطع نورها * والليل قد مد الظلام رداءه
حتى تبدى البدر فى جوزائه * ملكا تناهى بهجة وبهاءه
وتناهضت زهر النجوم يحفه * لألاؤها فاستكمل اللألاء
لما أراد تنزها فى غربة * جعل المظلة فوقه الجوزاء
وترى الكواكب كالمواكب حوله * رفعت ثرياها عليه لواء
وحكيته فى الارض بين كواكب * وكواعب جمعت سناوسناء
ان نشرت تلك الدروع حنادسا * ملأت لباهذى الكؤس ضياء
واذا تغنت هذه فى مزهر * لم تأل تلك على الستريك غناء

وأخبرنى ابن اقبال الدولة انه كان عنده فى يوم قد نشر من غمه رداء ند واسكب من قطره ماء ورد وأبدى من برده لسان نار وأظهر من قزحه حنا باقوس آس حفت بنرجس وجلنار والروض قد بعث رياه وبث الشكر لسقياه فكتب الى الطبيب الاديب أبى محمد المصرى

أيها الصاحب الذى فارقت عينى ونفسى منه السنا والسناء
نحن فى المجلس الذى يهب الرا * حة والسمع الغنى والغناء
نتعاطى التى تنسى من الرقة واللذة الهوى والهواء
فأته تلف راحة ومحيا * قد أعدالك الحيا والحياء

فوافاه وألفى مجلسه وقد تلعت فيه الاباريق أجيادها وأقامت فيه خيل السرور طرادها وأعطته الامانى انطباعها وانقيادها وأهدت الدنيا اليومه مواسمها وأعيادها وخلعت عليه الشمس شعاعها ونشرت فيه الحدائق ايناعها فادبرت الراح وتعوطيت الاقداح وطار النفوس الابتهاج والارتياح واظهر المعتمد من ايناسه ما استرق به نفوس جلاسه ثم دعا بكبير فشربه كما غربت الشمس فى ثبير وعندما تناولها قام المصرى ينشد أبياتا يمثلها

اشرب هنيأ عليك التاج مرتفعا * بشاد مهزودع غمدان للمن

فانقطع ابن الزبير ودخل على أمه أسماء فأخبرها فقالت صدق

ابن هاشم جدتى أوليست فاطمة بنت عمرو بن عائذ جدة أبى أما والله لولا خديجة بنت خويلد ما تركت فى بنى أسد عظما الا هشمته وان نالتنى فيه المصائب صبرت (حدثنا) ابن عمار عن على بن محمد بن سليمان النوفلى قال حدثنى ابن عائشة والعتبى جميعا عن ابويهما والفاظهما متقاربة قالا خطب ابن الزبير فقال مابال أقوام يفتون فى المتعة وينتقصون حوارى الرسول وأم المؤمنين عائشة ما بالهم أعمى الله قلوبهم كما أعمى أبصارهم يعرض بابن عباس فقال ياغلام أصمدنى صعدة فقال يا ابن الزبير قد أنصف القارة من راماها انا اذا ما فتة نلقاها ترد أولاها على أخراها أما قولك فى المتعة فسل أمك تخبرك فان أول متعة سطع مجمرها لحمر سطع بين أمك وأبيك يريد متعة الحج وأما قولك حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد لقيت أباك فى الزحف وأنامع امام هدى فان يكن على ما أقول فقد كفر بقتالنا وان يكن على ما تقول فقد كفر بهمر به عنا

فأنت أولى بتاج الملك تلبسه * من هوذة بن على وابن ذى يزن

فطرب حتى زحف عن مجلسه واسرف فى تأنسه وأمر فخلعت عليه خلع لا تصلح الا للخلفاء وأدناه حتى أجلسه مجلس الاكفاء وأمر له بدنانير عددا وملأله بالمواهب يدا وله فى غلام رآه يوم العروبة من ثنيات الوغى طالعا ولطالى الابطال قارعا وفى الدماء والغا واستشع كؤس المنايا ساثغا وهو ظبى قد فارق كناسه وعاد أسدا قد صارت القنا أخياسه ومتكاثف الحجاج قد مزقه اشراقه وقلوب الدارعين قد شككتها أحداقه فقال

ابصرت طرفك بين متجر القنا * فبدا لطرفى انه فلك

أوليس وجهك فوقه قمرا * يجلى بنير نوره الحلك

وقال فيه ولما اقتحمت الوغى دارعا * وقنعت وجهك بالمغفر

حسبنا محياك شمس الضحى * عليها سحاب من العنبر

وقد جمع بنا القلم فى ترجمة المعتمد بن عباد بعض جموح وما ذلك الا لما علمنا أن نفوس الادباء الى أخباره رحمه الله تعالى شديدة الطموح وقد جعل الله تعالى له كما قال ابن الابار فى الحلة السيراء رقة فى القلوب وخصوصا بالمغرب فان أخباره وأخبار الرميكية الى الآن متداولة بينهم وان فيها لاعظم عبرة رحم الله تعالى الجميع (رجع الى أخبار النساء)

*(ومنهن) العبادية جارية المعتضد عباد والد المعتمد اهداها اليه مجاهد العامرى من دانية وكانت أديبة ظريفة كاتبة شاعرة ذاكرة لكثير من اللغة قال ابن علىم فى شرحه لادب الكاتب لابن قتيبة وذكر الموسعة وهى خشبة بين حبلين يجعل كل واحد منهما طرفها على عنقه ما صورته وبذكر الموسعة اغربت جارية لمجاهد اهداها الى عباد كاتبة شاعرة على علماء اشبيلية بالغرمة التى تظهر فى أذقان بعض الاحداث وتعترى بعضهم فى الخدين عند الضحك فاما التى فى الذقن فهى النونة ومنه قول عثمان رضى الله تعالى عنه وسموا نونته لتدفع العين وأما التى فى الخدين عند الضحك فهى الغصة فما كان فى ذلك الوقت فى اشبيلية من عرف منهما واحدة *وسهر عباد ليلة لامر حزبه وهى نائمة فقال

تنام ومد نفها يسهر * وتصبر عنه ولا يصبر

فاجابته بديهة بقولها

لئن دام هذا وهذا له * سيهلك وجدا ولا يشعر

ويكفيك هذا شاهدا على فضلها رحمها الله تعالى وسامحها *(ومنهن) عباد وأمها الرميكية السابقة الذكر وكانت بثينة هذه نحوا من أمها فى الجمال والشعر ولما أحيط بابيها ووقع النهب فى قصره كانت فى جملة من سبى ولم يزل [illegible] عليها فى وله دائم لا يعلمان ما آل اليه أمرها الى أن كتبت اليهما بالشعر المشهور المتداول بين الناس بالمغرب وكان أحد تجار أشبيلية اشتراها على انها جارية سرية ووهبها لابنه فنظر من شأنها وهيئت له فلما أراد الدخول عليها امتنعت وأظهرت نسبها وقالت لا أحل لك الا بعقد النكاح ان رضى أبى بذلك وأشارت عليهم بتوجيه كتاب من قبلها الا بيها وانتظار جوابه فكان الذى كتبته بخطها من نظمها ما صورته

فى متعة النساء ومتعة الحج وتنازعهم فى ذلك وماذكر عن النبى صلى الله عليه وسلم من انه حرمها عام خيبر ولحوم الحمر الاهلية وماذكر فى حديث الربيع ابن سبرة عن أبيه وقول عمر كانتا فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو تقدمت بالنهى لفعلت بفاعل ذلك كذا وكذا وما روى عن جابر قال تمتعنا فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلافة أبى بكر وصدر من خلافة عمر وغير ذلك من أقاويلهم فى كتابنا المترجم بكتاب الاستنصار وفى كتاب الصفوة وفى كتابنا المترجم بالكتاب الواجب فى الفروض اللوازم وما قال الناس فى غسل الرجلين ومسحهما والمسح على الخفين وطلاق ال[illegible]

[illegible] من ابن جريج قال حدثنى منصور بن شيبة عن صفية بنت أبى عبيد عن أسماء بنت أبى بكر قالت لما قدمنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع أمر من لم يكن

 معه هدى ان يحل قالت فأحللت فلبست ثيابى وتطيبت وجئت حتى جلست الى جنب الزبير

تخاف أتخاف أن أبت عليك فهذا الذى أراد ابن عباس وقد ذكر هذا

اسمع كلامى واسمع لمقالتى * فهى السلوك بدت من الاجياد
لا تنكروا أنى سبيت وأننى * بنت الملك من بنى عباد
ملك عظيم قد تولى عصره * وكذا الزمان يؤول للافساد
لما أراد الله فرقة شملنا * واذا قنا طعم الاسى من زاد
قام النفاق على أبى فى ملكه * فدنا الفراق ولم يكن بمراد
فخرجت هاربة فقارنى امرؤ * لم يأت فى اعجاله بسداد
اذ باعنى بيع العبيد فضمنى * من صاننى الامن الانكاد
وأرادنى لنكاح نجل طاهر * حسن الخلائق من بنى الانجاد
ومضى اليك بسوم رأيك فى الرضا * ولأنت تنظر فى طريق رشادى
فعساك يا أبتى تعرفنى به * ان كان من يرتجى لوداد
وعسى رميكية الملوك بفضلها * تدعونا باليمن والاسعاد

فلما وصل شعرها لابيها وهو باغمات واقع فى شراك الكروب والازمات سر هو وأمها بحياتها ورأيا أن ذلك للنفس من أحسن امنياتها اذ علما ما آل أمرها وجبر كسرها اذ ذاك أخف الضررين وان كان الكرب قد ستر القلب منه بحجاب رين وأشهد على نفسه بعقد نكاحها من الصبى المذكور وكتب اليها أثناء كتابه مايدل على حسن صبره المشكور

بنيتى كونى به برة * فقد قضى الدهر باسعافه

وأخبار المعتمد بن عباد تذيب الاكباد فلنرجع الى ذكر نساء الاندلس فنقول * (ومنهن) حفصة بنت حمدون من وادى الحجارة ذكرها فى المغرب وقال انها من أهل المائة الرابعة ومن شعرها

رأى ابن جميل أن يرى الدهر مجملا * فكل الورى قد عمهم سيب نعمته
له خلق كالخمر بعدا مزاجها * وحسن فما أحلاه من حين خلقته
بوجه كمثل الشمس يدعو ببشره * عيونا وبعشيها باقراط هيبته

ولها أيضا

لى حبيب لا ينثنى لعتاب * واذا ما تركته زاد تيها
قال لى هل رأيت لى من شبيه * قلت أيضا وهل ترى لى شبيها

ولها تذم عبيدها

يارب انى من عبيدى على * جمر الغضا ما فيهم من نجيب
أما جهول ابله متعب * أوفطن من كيده لا يجيب

وقال ابن الابار انها كانت أديبة عالمة شاعرة وذكرها ابن فرج صاحب الحدائق وأنشد لها أشعارا منها قولها

ياوحشتى لاحبنى * ياوحشة متماديه
ياليلة ودعتهم * يالية هى ماهيه

* (ومنهن) زينب المرية كانت أديبة شاعرة وهى القائلة

فقال قومى عنى فقلت ما الحديث عن أبى عاصم غير النوفلى وقد تنازع الناس فى ذلك فمنهم من رأى انه عنى متعة النساء ومنهم من رأى انه أراد متعة الحج لان الزبير تزوج أسماء بكرا فى الاسلام زوجه أبو بكر معلنا فكيف تكون متعة النساء ولما هلك يزيد بن معاوية وولها معاوية بن يزيد نعى ذلك الى الحصين بن نمير ومن معه فى الجيش من أهل الشام وهو على حرب ابن الزبير فهادنوا ابن الزبير ونزلوا مكة فلقى الحصين عبد الله فى المسجد فقال له هل لك يا ابن الزبير أن أحملك الى الشام وأبايع لك بالخلافة فقال له عبد الله رافعا صوته أبعد قتل أهل الحرة لا والله حتى أقتل بكل رجل خمسة من أهل الشام فقال الحصين من زعم يا ابن الزبير انك داهية فهو أحمق أكلمك سرا وتكلمنى علانية أدعوك أن أستخلفك فترفع الحرب وتزعم انك تقاتلنا فاستعلم أينا المقتول وانصرف أهل الشام الى بلادهم مع الحصين فلما صاروا الى المدينة جعل أهلها يهتفون بهم ويتوعدونهم ويذكرون قتلاهم بالحرة فلما أكثروا من ذلك

يا أيها الراكب الغادي مطيته * عرج أنبيك عن بعض الذي أجد
ما عالج الناس من وجد تضمنهم * الا ووجدي بهم فوق الذي وجدوا
حسبي رضاه وأني في مسرته * ووده آخر الايام أجتهد

*(ومنهن) غاية المنى وهي جارية أندلسية متأدبة قدمت الى المعتصم بن صمادح فاراد اختبارها فقال لها ما اسمك فقالت غاية المنى فقال لها أجيزي اسئلوا غاية المنى فقالت

من كساجسمي الضنا وأراني مولها * سيقول الهوى انا هكذا أورد السالمي هذه

الحكاية في تاريخه قال ابن الابار وقرأت بخط الثقة حكيا عن القاضي أبي القاسم بن حبيش قال سيقت لابن صمادح جارية لبيبة تقول الشعر وتحسن المحاضرة فقال تحمل الى الاستاذ ابن الفراء الخطيب ليختبرها وكان كفيفا فلما وصلته قال ما اسمك فقالت غاية المنى فقال أجيزي

سل هوى غاية المنى * من كساجسمي الضنا
فقالت تجيزه وأراني متيما * سيقول الهوى أنا

فحكى ذلك لابن صمادح فاشتراها انتهى *(ومنهن) حمدة ويقال حمدونة بنت زياد المؤدب من وادي آش وهي خنساء المغرب وشاعرة الاندلس ذكرها الملاحي وغيره وممن روى عنها أبو القاسم بن البراق ومن عجيب شعرها قولها

ولما أبى الواشون الا فراقنا * ومالهم عندي وعندك من ثار
وشنوا على أسماعنا كل غارة * وقل حماتي عند ذاك وأنصاري
غزوتهم من مقلتيك وادمعي * ومن نفسي بالسيف والسيل والنار

وبعض يزعم أن هذه الابيات لمهجة بنت عبد الرزاق الغرناطية وكونها لحمدة أشهر والله سبحانه وتعالى أعلم * وخرجت حمدة مرة للوادي مع صبية فلما نضت عنها ثيابها وعامت قالت

أباح الدمع أسراري بوادي * له للحسن آثار بوادي
فمن نهر يطوف بكل روض * ومن روض يرف بكل وادي
ومن بين الظباء مهاة انس * سبت لبي وقد ملكت فؤادي
لها لحظ ترقده لامر * وذاك الامر يمنعني رقادي
اذا سدلت ذوائبها عليها * رأيت البدر في أفق [illegible]
كأن الصبح مات له شقيق * فمن حزن تسربل [illegible]

وقال ابن البراق في سوق هذه الحكاية أنشدتنا حمدة العوفية لنفسها [illegible] بالرملة من نواحي وادي آش فرأت ذات وجه وسيم أعجبها فقالت وبين الروايتين خلاف اباح الدمع الى آخره ونسب بعضهم الى حمدة هذه الابيات الشهيرة بهذه البلاد المشرقية وهي

وقائلة له الرمضاء واد * سقاه مضاعف الغيث العميم
حللنا وحشه فحنا علينا * حنو المرضعات على الفطيم
وأرشفنا على ظمأ زلالا * ألذ من المدامة للنديم

الجيش فقال يا أهل المدينة ما هذا الايعاد الذي توعدونا انا والله ما دعونا الى كاسلبايعة رجل منهم ولا الى رجل من بلقين ولا الى رجل من لخم أو جذام ولا غيرهم من العرب ولكن دعونا كم الى هذا الحي من قريش يعني بني أمية ثم الى طاعة يزيد بن معاوية وعلى طاعته قاتلناكم فاياانا توعدون أما والله انا لأبناء الطعن والطاعون وفضلات الموت والمنون فحاشتم ومضى القوم الى الشام وحمل الى ابن الزبير من صنعاء الفسيفساء التي كان بناها ابرهة الحبشي في كنيسته التي اتخذها هنالك ومعها ثلاث أساطين من رخام فيها وشي منقوش قد حشي النقش و[illegible]

[illegible] في بناء الكعبة وشهد عنده سبعون شيخا من قريش ان قريشا حين بنت الكعبة عجزت نفقتهم فنقصوا من سعة البيت سبعة اذرع من اساس ابراهيم الخليل الذي اسسه هو واسمعيل عليهما السلام فبناه ابن الزبير وزاد فيه الاذرع المذكورة وجعل فيه الفسيفساء والاساطين وجعل له بابين بابا يدخل منه وبابا

يصد الشمس أنى واجهتنا * فيحجبها ويأذن للنسيم
يروع حصاه حالية العذارى * فتلمس جانب العقد النظيم

وممن جزم بذلك الرعيني وقال ان مؤرخي بلاد الاندلس نسبوها لجمدة من قبل أن يوجد المنازي الذي ينسبها له أهل المشرق وقد رأيت أن أذكر كلامه برمته ونصه كافت من ذوي الالباب وقول أهل الآداب حتى ان بعض المتعلمين تعلق بهذه الاهداب وادعى نظم هذين البيتين يعني ولما أبى الواشون الى آخر ما فيهما من المعاني والالفاظ العذاب وما غره في ذلك الابعد دارها وخلو هذه البلاد المشرقية من أخبارها وقد تلبس بعضهم أيضا بشعارها وادعى غير هذا من أشعارها وهو قولها وقانا لفعة الرمضاء واد* الى آخره وان هذه الابيات نسبها أهل البلاد للمنازي من شعرائهم وركبوا التعصب في جادة ادعائهم وهي أبيات لم يحلبها ٣ غير لسانها ولا رقم برديها غير احسانها ولقد رأيت المؤرخين من أهل بلادنا وهي الاندلس أثبتوها لما قبل أن يخرج المنازي من العدم الى الوجود ويتصف بلفظة الموجود انتهى وهو أبو جعفر الاندلسي الغرناطي نزيل حلب وحكى ابن العديم في تاريخ حلب ما نصه وبلغني أن المنازي عمل هذه الابيات ليعرضها على أبي العلاء المعري فلما وصل اليه أنشده الابيات فجعل المنازي كلما أنشده المصراع الاول من كل بيت سبقه أبو العلاء الى المصراع الثاني الذي هو تمام البيت كما نظمه ولما أنشده قوله

نزلنا دوحة فحنا علينا * حنو الوالدات على الفطيم

قال أبو العلاء * حنو الوالدات على الفطيم * فقال المنازي انما قلت على اليتيم فقال أبو العلاء الفطيم أحسن انتهى وهذا يدل على أن الرواية عنده حنو الوالدات وقد تقدم المرضعات والله تعالى أعلم* وقال ابن سعيد يقال لنساء غرناطة المشهورات بالحسب والجلالة العربيات لمحافظتهن على المعاني العربية ومن أشهرهن زينب بنت زياد الوادي آشي وأختها حمدة وحمدة هذه هي القائلة وقد خرجت الى نهر منقسم الجداول بين الرياض مع نسائها فسبحن في الماء وتلاعبن * أباح الدمع أسراري بوادي* الابيات انتهى (ومنهن) عائشة بنت أحمد القرطبية قال ابن حيان في المقتبس لم يكن في زمانها من حرائر الاندلس من يعدلها علما وفهما وأدبا وشعرا وفصاحة تمدح ملوك الاندلس وتخاطبهم بما يعرض لها من حاجة وكانت حسنة الخط تكتب المصاحف وماتت عذراء لم تنكح سنة أربعمائة* وقال في المغرب انها من عجائب زمانها وغرائب أوانها وأبو عبد الله الطبيب عمها ولو قيل انها أشعر منه لجاز ودخلت على المظفر بن المنصور بن أبي عامر وبين يديه ولد فارتجلت

أرالك الله فيه ما تريد * ولا برحت معالمه تزيد
فقد دلت مخايله على ما * تؤمله وطالعه السعيد
تشوقت الجياد له وهز الحسام هوى وأشرقت البنود
وكيف يخيب شبل قد نمته * الى العليا ضراغمة أسود
فسوف تراه بدرا في سماء * من العليا كواكبه الجنود
فأنتم آل عامر خير آل * زكا الابناء منكم والجدود

زاده ابن الزبير في البيت فأمره عبد الملك بهدمه ورده الى ما كان عليه آنفا من بناء قريش وعصر الرسول صلى الله عليه وسلم وان يجعل له بابا واحدا ففعل الحجاج ذلك واستوثق الامر لابن الزبير وأخذت له البيعة بالشام وخطب له على سائر منابر الاسلام الا منبر طبريتة من بلاد الاردن فان حسان بن مالك بن بحدل أبى أن يبايع لابن الزبير وأرادها لخالد ابن يزيد بن معاوية وكان القيم بأمر بيعة ابن الزبير بمكة عبد الله بن مطيع العدوي ففي ذلك يقول قضاعة الاسدي وكان بايع لابن الزبير ثم نكث دعا ابن مطيع للبياع فجئته الى بيعة قلبي لها غير آلف فناولني حسناء لا المستها بكفي ليست من اكف الخلائف

وهلك يزيد بن معاوية ومعاوية بن يزيد وعبيد الله بن زياد على البصرة أمير فخطب الناس واعلمهم بموتهما وان الامر شورى لم ينصب له أحد وقال لا أرض اليوم أوسع من أرضكم ولا عددا أكثر منكم عددكم ولا مال أكثر من مالكم في بيت مالكم مائة ألف ألف درهم عطاء مقاتلتكم ستون ألفا وعطاؤهم وليدكم

وليدكم لدى رأى كشيخ * وشيخكم لدى حرب وليد

وخطبها بعض الشعراء ممن لم ترضه فكتبت اليه

أنا لبوة لكنني لا أرتضى * نفسي مناخا طول دهري من أحد
ولو أنني أختار ذلك لم أجب * كلبا وكم غلقت سمعي عن أسد

*(ومنهن) مريم بنت أبي يعقوب الانصاري سكنت اشبيلية وأصلها والله أعلم من شلب وذكرها ابن دحية في المطرب وقال انها أديبة شاعرة مشهورة وكانت تعلم النساء الادب وتحتشم لدينها وفضلها وعمرت عمرا طويلا سكنت اشبيلية واشتهرت بها بعد الار بعمائة وذكرها الحميدي وأنشد لها جوابها لما بعث المهدي اليها بدنانير وكتب اليها

مالي بشكر الذي أوليت من قبل * لو أنني حزت نطق اللسن في الحلل
يا فذة الظرف في هذا الزمان ويا * وحيدة العصر في الاخلاص في العمل
أشبهت مريما العذراء في ورع * وفقت خنساء في الاشعار والمثل

ونص الجواب منها

من ذا يجاريك في قول وفي عمل * وقد بدرت الى فضل ولم تسل
ما نلت بشكر الذي نظمت في عنقي * من اللآلي وما أوليت من قبل
هنيئا بحلي أصبحت راهبة * بها على كل أنثى من حلى عطل
لله أخلاق الغرانيق سقيت * ماء الفرات فرقت رقة الغزل
أشبهت مروان من غارت بدائعه * وأنجدت وغدت من أحسن المثل
من كان والده العضب المهند لم * يلد من النسل غير البيض والاسل

ومن شعرها وقد كبرت

وما يرتجى من بنت سبعين حجة * وسبع كنسج العنكبوت المهلهل
تدب دبيب الطفل تسعى الى العصا * وتمشي بها مشي الاسير المكبل

*(ومنهن) أسماء العامرية من أهل اشبيلية كتبت الى عبد المؤمن بن علي رسالة تمت فيها اليه بنسبها العامري وتسأله في رفع الانزال عن دارها والاعتقال عن مالها وفي آخرها قصيدة أولها

عرفنا النصر والفتح المبينا * لسيدنا أمير المؤمنينا
اذا كان الحديث عن المعالي * رأيت حديثكم فيه [illegible]

ومنها

رويتم علمه فعلمتموه * وصنتم عهده فغدا مصونا

*(ومنهن) أم الهناء بنت القاضي أبي محمد عبد الحق بن عطية سمع [illegible] وكانت حاضرة النادرة سريعة التمثل من أهل العلم والفهم والعقل ولما تأيف في القبور ولما ولي أبوها قضاء المرية دخل داره وعيناه تذرفان وجد المفارقة وطنه فأنشدته متمثلة

يا عين صار الدمع عندك عادة * تبكين في فرح وفي أحزان

وهذا البيت من جملة أبيات هي

جاء الكتاب من الحبيب بأنه * سيزورني فاستعبرت أجفاني

عدوكم وينصف مظلومكم من ظالمكم ويوزع بينكم أموالكم فقام اليه أشراف أهلها ومنهم الاحنف بن قيس التميمي وقيس بن الهيثم السلمي ومسمع بن مالك العبدي فقالوا ما نعلم ذلك الرجل غيرك أيها الامير وانت احق من قام على امرنا حتى تجتمع الناس على خليفة فقال اما لو استعملتم غيري لسمعت وأطعت وقد كان على الكوفة عمرو بن حريث الخزاعي عاملا لعبيد الله بن زياد فكتب اليه عبيد الله يعلمه بما دخل فيه أهل البصرة ويأمره أن يأمر أهل الكوفة بما دخل فيه أهل البصرة فقام يزيد بن رويم الشيباني فقال الحمد لله الذي أطلق أيماننا لا حاجة لنا في بني أمية ولا في امارة ابن مرجانة وهي أم عبيد الله وأم أبيه [illegible]

[illegible] ن بجاز [illegible] ع أهل الكوفة ولاية بني أمية وامارة ابن زياد وأرادوا أن ينصبوا لهم أميرا الى أن ينظروا في أمرهم فقال جماعة عمرو بن سعد بن أبي وقاص يصلح لها فلما هموا بتأميره أقبل نساء من همدان وغيرهم من

نساء كندة والانصار وربيعة والنخع حتى دخلن المسجد الجامع صارخات باكيات معولات يندبن الحسين

و يقال أمارضي عمر بن سعد بقتل الحسين حتى أراد أن يكون أميرا علينا على الكوفة فبكى الناس وأعرضوا عن عمر

غلب السرور على حتى انه * من عظم فرط مسرتي أبكاني

و بعده البيت وبعده

فاستقبلي بالبشر يوم لقائه * ودع الدموع لليلة الهجران

*(ومنهن) مهجة القرطبية صاحبة ولادة رحمهما الله تعالى وكانت من أجمل نساء زمانها وعلقت بها ولادة ولازمت تأديبها وكانت من أخف الناس روحا ووقع بينها و بين ولادة ما اقتضى أن قالت

ولادة قد صرت ولادة * من غير بعل فضع الخاتم
حكت انامل لكنه * نخلة هذى ذكر قائم

قال بعض الاكابر لو سمع ابن الرومي هذا الاقر لها بالتقدم ومن شعرها

لئن قد حمى عن ثغرها كل حائم * فما زال يحمي عن مطالبه الثغر
فذلك تحميه القواضب والقنا * وهذا حماه من لواحظها السحر

وأهدى اليها من كان يهيم بها خوخا فكتبت اليه

يا مقتفيا بالخوخ أحبابه * أهلا به من منجل للصدور
حكى ندى الغيد تقبيله * لكنه أخزى رؤس الامور

*(ومنهن) هند جارية أبي محمد عبد الله بن مسلمة الشاطبي وكانت أديبة شاعرة كتب اليها أبو عامر بن تيق يدعوها للحضور عنده بعودها

ياهند هل لك في زيارة فتية * نبذوا المحارم غير شرب السلسل
سمعوا البلابل قد شدوا فتذكروا * نغمات عودك في الثقيل الاول

فكتبت اليه في ظهر رقعته

ياسيدا حاز العلا عن سادة * شم الانوف من الطراز الاول
حسبي من الاسراع نحوك أنني * كنت الجواب مع الرسول المقبل

*(ومنهن) الشلبية قال ابن الابار ولم أقف على اسمها وكتبت الى السلطان يعقوب المنصور تتظلم من ولاة بلدها وصاحب خراجها

قد آن أن تبكي العيون الآبيه * ولقد أرى أن الحجارة باكيه
يا قاصد المصر الذي يرجى به * ان قد رالرحمن رفع كراهيه
نادالامير اذا وقفت ببابه * يارا عيا ان الرعية فانيه
أرسلتها هملا ولا مرعى لها * وتركتها نهب السباع العاديه
شلب كلا شلب وكانت جنة * فأبادها الطاغون نارا حاميه
خافوا وما خافوا عقوبة ربهم * والله لا تخفى عليه خافيه

فيقال انها ألقيت يوم جمعة على مصلى المنصور فلما قضى الصلاة وتصفحها بحث عن القضية فوقف على حقيقتها وأمر للمرأة بصلة *وحكى ان بعض قضاة لوشة كانت له زوجة فاقت العلماء في معرفة الاحكام والنوازل وكان قبل أن يتزوجها ذكر له وصفها فتزوجها وكان في مجلس قضائه تنزل به النوازل فيقوم اليها فتشير عليه بما يحكم به فكتب اليه بعض

وكان المبرزون في ذلك نساء همدان وقد كان على عليه السلام مائلا الى همدان مؤثرا لهم وهو القائل

فلو كنت بوابا على باب جنة * لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

وقال عبيت همدان وعبوا جيرا * ولم يكن بصفين منهم أحد مع معاوية وأهل الشام الا ناس كانوا بغوطة دمشق بقرية تعرف بعين برما ما فيها منهم قوم الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ولما اتصل خبر أهل الكوفة بابن الزبير أنفذ اليهم عبد الله بن مطيع العدوى على ما قدمنا آنفا فتولى أمرهم حتى وجه المختار في أثره ونظر مروان بن الحكم اطباق الناس على مبايعة ابن الزبير واجابتهم له فأراد أن يلحق به و ينضاف الى جلته فمنعه من ذلك عبيد الله بن زياد عند لحاقه بالشام وقال له انك شيخ بني عبد مناف فلا تحمل فصار مروان الى الجابية من أرض الجولان بين دمشق والاردن واستمال الضحاك ابن قيس الفهري الناس ورأسهم وانحاز عن مروان وأراد دمشق فسبقه اليها الاشدق عمرو بن سعيد بن العاص فدخلها وصار

اصحابه

أصحابه مداعبا بقوله

بلوشة قاض له زوجة * وأحكامها في الورى ماضيه
فيا ليته لم يكن قاضيا * ويا ليتها كانت القاضيه

أطلع زوجته عليه حين قرأه فقالت ناولني القلم فناولها فكتبت بديهة

هو شيخ سوء مزدري * له شيوب عاصيه
كلا لئن لم ينته * لنسفعا بالناصيه

سمعت بعض أشياخنا يحكي القضية عن لسان الدين بن الخطيب وانه هو الذي كتب بداعب زوج المرأة فكتبت اليه

ان الامام ابن الخطيب * له شيوب عاصيه الى آخره فالله أعلم

(ومن) نزهون الغرناطية قال في المغرب من أهل المائة الخامسة ذكرها الحجاري في نسبه ووصفها لخفة الروح والانطباع الزائد والحلاوة وحفظ الشعر والمعرفة بضرب الامثال مع جمال فائق وحسن رائق وكان الوزير أبو بكر بن سعيد أولع الناس بمحاضرتها مذاكرتها ومراسلتها فكتب لها مرة

يا من له ألف خل * من عاشق وصديق
أرأك خليت للنا * س منزلا في الطريق

فأجابته حللت أبا بكر محل امنعته * سواك وهل غير الحبيب له صدري
وان كان لي كم من حبيب فانما * يقدم أهل الحق حب أبي بكر

قيل لو قالت وان كان خلا لي كثيرا الخ لكان أجود ولما قال فيها المخزومي

على وجه نزهون من الحسن صحة * وتحت الثياب العار لو كان باديا
فواصد نزهون توارك غيرها * ومن قصد البحر استقل السواقيا

قالت ان كان ما قلت حقا * من بعض عهد كريم
فصار ذكري ذميما * يعزى الى كل لوم
وصرت أقبح شئ * في صورة المخزومي

وقد تقدمت حكايتها في الباب الاول من هذا فانظر اجمع * وقال لها بعض الثقلاء ما على من أكل معك خمسمائة سوط فقالت

وذي ثقوة لما رآني رأى له * غنيه يصلي مني جاحم الضرب
فقلت له كلها هنيئا فانما * خلقت الى لبس المطارف [illegible]

وقال ابن سعيد في طالعه لما وصف وصول ابن قزمان الى [illegible] الزاوية من خارجها بنزهون القلاعية الادبية وما جرى بينه [illegible] ب رجال بديع وكان يلبس غفارة صفراء على زي الفقهاء حينئذ أحسب [illegible] بحره بني اسرائيل الا أنك لا تسر الناظرين فقال لها ان لم أسر الناظرين فأنا أسر السامعين وانما يطلب سرور الناظرين منك بأفاعيلك الصانعة وتمكن السكر من ابن قزمان وآل الامر الى أن تدافعوا معه حتى رموه في البركة فما خرج الا وهو قد شرب كثيرا من الماء وثيابه تهطل فقال اسمع

لما الله قوما أمروا خيط باطل * على الناس يعطى ما يشاء ويمنع واشترط حسان بن مالك وكان رئيس قحطان وسيدها بالشام

لمروان هل لك فيما أقوله
لك فهو خير لي ولك قال
مروان وما هو قال أدعو
الناس اليك وآخذها لك
على أن تكون لي من بعدك
فقال مروان لا بل بعد
خالد بن يزيد بن معاوية
فرضي الاشدق بذلك ودعا
الناس الى بيعة مروان
فأجابوا ومضى الاشدق
الى حسان بن مالك بالاردن
فأرغبه في بيعة مروان فمنع
لها ويبايع مروان بن الحكم
ابن أبي العاص بن أمية بن
عبد شمس بن عبد مناف
ويكنى أبا عبد الملك وأمه
آمنة بنت علقمة بن صفوان
وذلك بالاردن وكان أول
من بايعه أهلها وتمت بيعته
وكان مروان أول من
أخذها بالسيف كرها على
ما قيل بغير رضا من عصبة
من الناس بل كل خوفه
الاعداء [illegible]

[illegible] مروان فانه
أحدها على ما وصفنا وبايع
مروان بعده لخالد بن يزيد
ولعمرو بن سعيد الاشدق
بعد خالد وكان مروان يلقب
بخيط باطل وفي ذلك يقول
عبد الرحمن بن الحكم

يا وزير ثم أنشد

ايه أبا بكر ولاحول لى * بدفع أعسان وانذال
وذات فرج واسع دافق * بالماء يحكى حال أذيالى
غرقتنى فى الماء ياسيدى * كفره بالتغريق فى المال

فأمر بتجريد ثيابه وخلع عليه ما يليق به ومر لهم يوم بعد عهدهم بمثله ولم ينتقل ابن قزمان من غرناطة الامن بعد ما أجزل له الاحسان ومدحه بما هو ثابت له فى ديوان أجزاله ٣ وحكى عنه فيما أظن أعنى ابن قزمان ويحتمل انه غيره انه تبع احدى الماجنات وكان أحول فأعجبته فى نفسها وأشارت اليه أن يتبعها فاتبعها حتى أتت به سوق الصاغة باشبيلية فوقفت على صائغ من صياغها وقالت له يامعلم مثل هذا يكون فص الخاتم الذى قلت لك عنه تشير الى عين ذلك الاحول الذى تبعها وكانت قد كلفت ذلك الصائغ أن يعمل لها خاتما يكون فصه عين ابليس فقال لها الصائغ جئينى بمثال فانى لم أر هذا ولا سمعت به قط وحكاها بعضهم على وجه آخر وانها ذهبت الى الصائغ وقالت له صور لى صورة الشيطان فقال لها ائتينى بمثال فلما تبعها ابن قزمان جاءته به وقالت له مثل هذا فسأل ابن قزمان الصائغ فجعل ولعنها وكتب ابن قزمان على باب جنته

وقائل ياحسنها جنة * لايدخل الحزن على بابها
فقلت والحق له صولة * أحسن منها مجد أربابها

وله

كثير المال تمسكه فيفنى * وقد يبقى مع الجود القليل
ومن غرست يداه ثمار جود * ففى ظل الثناء له مقيل

(رجع) الى أخبار نزهون حكى انها كانت تقرأ على أبى بكر المخزومى الاعمى فدخل عليهما أبو بكر الكتندى فقال يخاطب المخزومى * لو كنت تبصر من تجالسه * فأفحم وأطال الفكر فما وجد شيأ فقالت نزهون * لغدوت أحرس من خلاخله

البدر يطلع من ازرته * والغصن يمرح فى غلائله

وكانت ناجبة ومن شعرها قولها

لله در الليالى ما أحيسنها * وما أحيس منها ليلة الاحد
لو كنت حاضرنا فيها وقد غفلت * عين الرقيب فلم تنظر الى أحد
أبصرت شمس الضحى فى ساعدى قمر * بل ريم خازمة فى ساعدى أسد

وهذا المعنى متفق مع قول ابن الزقاق

ومرتجة الارداف أما قوامها * فلدن وأما ردفها فرداح
ألمت فبات الليل من قصر بها * يطير ولا غير السرور جناح
فبت وقد زارت بانعم ليلة * يعانقنى حتى الصباح صباح
على عاتقى من ساعديها حمائل * وفى خصرها من ساعدى وشاح

وابن الزقاق هذا له فى النظم والغوص على المعانى الباع المديد ومن نظمه قوله

رئيس الشرق محمود السجايا * يقصر عن مدائحه البليغ

على مروان ما كان لهم من الشروط ٤٩٦ على معاوية وابنه يزيد وابنه معاوية بن يزيد منها أن يفرض لهم لالفى رجل ألفين ألفين وان مات قام ابنه أو ابن عمه مكانه وعلى أن يكون لهم الامر والنهى وصدر المجلس وكل ما كان من حل وعقد فعن رأى منه ومشورة فرضى مروان بذلك وانقاد اليه وقال له مالك بن هبيرة السكسكى انه ليست لك فى أعناقنا بيعة وليس نقاتل عن عرض دنيا فان تمكن لنا على ما كان لنا معاوية ويزيد نصرناك وان تكن الاخرى فوالله ماقريش عندنا الاسواء فأجابه مروان الى ماسأل وسار مروان نحو الضحاك ابن قيس الفهرى وقد انحازت قيس وسائر مضر وغيرهم من نزار الى الضحاك ومعه أناس من قضاعة عليهم وائل بن عمرو العدوى وكانت معه راية عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم لابيه وأظهر الضحاك ومن معه خلافة ابن الزبير والتقى مروان والضحاك ومن معهما بمرج راهط على أميال من دمشق فكانت بينهم الحروب سجالا وكثرت اليمانية عليهم وبواديها مع مروان فقتل الضحاك ابن قيس رئيس جيش ابن الزبير قتله رجل من تيم اللات وقتل معه نزاروا كثرهم من قيس

نسمه يحيي وهو ميت * كما ان السليم هو اللديغ
يعاف الورد ان ظمئت حشاه * وفي مال اليتيم له ولوغ

قوله كتبت ولو اني أستطيع * لاجلال قدرك بين البشر
قددت اليراعة من أنملي * وكان المداد سواد البصر

قوله غر يريارى الصبح اشراق خده * وفي مفرق الظلماء منه نصيب
ترف بفيه ضاحكا اقحوانة * ويهتز في برديه منه قضيب

قوله ومهفهف نبت الشقيق بخده * واهتز أملود النقا في برده
ماء الشبيبة والغرام أرق من * صقل الحسام المنتقى وفرنده
يحيي الورى بتحية من وصله * من بعد ما ورد الحمام بصده
ان كنت أهديت الفؤاد له فقل * أي الجوى بجوانح لم يهده

قوله أرق نسيم الصبا عرفه * وراق قضيب النقا عطفه
ومر بنا يتهادى وقد * نضى سيف أجفانه طرفه
ومد لمسه راحة * نفلت الاقاح دنا قطفه
اشارت بتقبيلها للسلام * فقال في ليتني كفه

قوله بأبي من لم يدع لي لحظه * في الهوى من رمق حين رمق
جمعت نكهته في ثغره * عبقا في نرجس يسبي الحدق
وبدت خجلته في خده * شفقا في فلق تحت غسق

قال وعشية لبست ملاءة شقيق * تزهى بلون للخدود أنيق
أبقت بها الشمس المنيرة مثل ما * أبقى الحياء بوجنتي معشوق
لو أستطيع شربتها كفايها * وعدلت فيها عن كؤس رحيق

قال في مسامرة كتاب زعماء

لله ليلتنا التي استجدي بها * فلق الصباح لدفعة الاظلام
طرأت علي مع النجوم بأنجم * من فتية بيض الوجوه كرام
ان حوربوا فزعوا الى بيض الظبا * أو خوطبوا فزعوا الى الاقلام
فترى البلاغة ان ظرت اليهم * والبأس بين براعة وحسام

قال وبجدين في السرى قد تعاطوا * غفوات الهوى بغير منام
جفوا وانحنوا على العيس حتى * خلتهم يعتبون أيدي الزمام
نبذوا الغمض وهو حلو الى أن * وجدوه سلافة في الرؤس

وقال وحبيب يوم السبت عندي أنني * يا دمني فيه الذي أنا أحببت
ومن أعجب الاشياء أني مسلم * حنيف ولكن خير أيامي السبت

ولنقتصر من نساء الاندلس على هذا المقدار ونعد الى ما كنا فيه من جلب كلام بلغاء الاندلس ذوي الاقدار فنقول قال الخفاجي رحمه الله تعالى

وهاتفة في البان تملي غرامها * علينا وتتلو من صبابتها صحفا

والمال لا يؤخذ الا غصبا
دعوت غساتا لهم وكلبا
والكسكيين رجالا غلبا
والقين تمشي في الحديد نكبا
والاعوجيات يثبن وثبا
يحملن سروات وديناصلبا

وفي ذلك يقول أخوه عبد الرحمن بن الحكم

أرى أحاديث أهل النجد قد بلغت
أهل الفرات وأهل الفيض والنيل
وكان زفر بن الحرث العامري ثم الكلابي مع الضحاك فلما أمعن السيف في قومه ولى ومعه رجلان من بني سليم فقص فرساهما وغشيتهما اليمانية من خيل مروان فقالا له انج بنفسك فانا مقتولان فولى راكضا ولحق الرجلان فقتلا

وفي هذا اليوم يقول زفر بن الحرث الكلابي من أبيات كثيرة

لعمري لقد أبقت وقيعة راهط
وتبقي حزازات النفوس كما هيا
أربي سلاحي لا أبا لك انني
أرى الحرب لا يزداد الا تماديا
أتذهب كلب لم تنلها رماحنا
وتترك قتلى راهط هي ماهيا

فلم يرمني نبوة بعد هذه * فراري وتركي صاحبي ورائيا عشية أعدو في الغريفين لا أرى

عجبت لما تشكوا الفراق جهالة * وقد جاوبت من كل ناحية الفا
ويشجي قلوب العاشقين أنينها * وما فهموا مما تغنت به حرفا
ولو صدقت فيما تقول من الاسى * لما لبست طوقا ولا خضبت كفا

وقال الاستاذ أبو محمد بن صارة

متى تلتقي عيناي بدر مكارم * تود الثريا أنها من مواطئه
ولما أهل المدجنون بذكره * وفاح تراب البيد مسكا لواطئه
عرفنا بحسن الذكر حسن صنيعه * كما عرف الوادي بخضرة شاطئه

وقال يتغزل

يا من تعرض دونه شحط النوى * فاستشرفت لحديثه اسماعي
اني لمن يحظى بقربك حاسد * ونواظري يحسدن فيك رقاعي
لم تطوك الايام عني انما * نقلتك من عيني الى أضلاعي

وقال الاديب أبو القاسم بن العطار

عبرنا سماء الجو والنهر مشرق * وليس لنا الا الحباب نحوم
وقد ألبسته الايك بردا ظلالها * وللشمس في تلك البرود رقوم

وله أيضا لله بهجة نزهة ضربت به * فوق الغدير رواقها الانسام
فمع الاصيل النهر درع سابغ * ومع الضحى يلتاح فيه حسام

وقال أيضا هبت الريح بالعشي فحاكت * زرد الغدير ناهيك جنه
وانجلى البدر بعد هذا فحاكت * كفه للقتال منه أسنه

وقال أيضا لله حسن حديقة بسطت لنا * منها النفوس سوالفا ومعاطف
تختال في حلل الربيع وحليه * ومن الربيع قلائد ومطارف

وله وسنان ما ان يزال عارضه * يعطف قلبي بعطفة اللام
أسلمني للهوى فواحزني * أن سرني عفتي واسلامي
لحاظه أسهم وحاجبه * قوس وانسان عينه رامي

وارتجل أبو جعفر بن حاتمة رحمه الله تعالى لما بات في قرية بيش

لله منزلنا بقرية بيش * كاد الهوى فيها ادكاري يشي
رحنا اليها والبطاح كأنها * صحف مذهبة بابريز العشي

فأجازه الوزير ابن جزي بقوله

في فتية هزت حيا الانس من * أعطافهم فالكل منها منتشي
يأتي علاهم بالصحيح ولفظهم * بالمنتقى وجمالهم بالمدهش

وقال السلطان أبو الحجاج الناصر النصري مرتجلا أيام مقامه بظاهر جبل الفتح سنة ٨٢٠

ولم يتركوا أوطانهم عن مرادهم * ولكن لأحوال أشابت مفارق
أقام بها ليل التهاني تقلبا * وقد سكنت جهلا نفوس الخلائق
فعوضتها ليل الصبابة بالسرى * وأنس التلاقي بالحبيب المفارق

من الخوف الا من علي ولا ليا * أبذهب يوم واحد ان أسأته بصالح أيامي وتحسن بلائيا * أبعد ابن عمرو وابن معن تتابعا
ومقتل همام أمني الامانيا وتلاحق الناس ممن حضر الوقعة من أجنادهم بارض الشام وكان النعمان بن

بشير والياعلى حمص قد خطب لابن الزبير مماثلا للضحاك فلما بلغه قتله وهزيمة الزبيرية خرج عن حمص هاربا فسار ليلته جمعاء مغير الابدري أين يأخذ فاتبعه خالد بن عدي الكلاعي فيمن خف معه من أهل حمص فلحقه وقتله وبعث برأسه الى مروان وانتهى زفر بن الحرث الكلابي في هزيمته الى قرقيسيا فغلب عليها واستقام الشأم لمروان وبث فيه رجاله وعماله وسار مروان في جنوده من الشأم الى أهل مصر فحاصرها وخندق عليها خندقا عما يلي المقبرة وكانوا زبيرية عليهم لابن الزبير عبد الرحمن بن عتبة بن يحدم وسيد الفسطاط يومئذ وزعيمها أبو رشدين كريب بن ابرهة بن الصباح فكان بينهم وبين مروان قتال يسير وتوافقوا على الصلح وقتل مروان أكثر بني الحمام صبرا وكان فارس مصر فقال أبو رشدين لمروان ان شئت والله أعدناها جذعة يعني يوم الدار بالمدينة فقال مروان ما أشاء من ذلك شيأ وانصرف عنها وقد استعمل عليها ابنه عبد العزيز وقدم مروان الشأم فنزل الصبرة على ميلين من طبرية من بلاد الاردن فاحضر حسان بن مالك وأرغبه وأرهبه فقام حسان في الناس خطيبا ودعاهم الى بيعة عبد الملك بن مروان بعد مروان وبيعة عبد العزيز بن ولم

ولم يثنني طرف من النوم ناعس * ولا معطف للبان وسط الحدائق
ولا منهض الاشبال فى عقر غيرهم * ولا ملعب الغزلان فوق النمارق
وعاطيتها صبح الدياجى مدامة * تميل بها الركبان فوق الايانق
اذا ما قطعنا بالمطى تنوفة * دلجنا الاخرى بالجياد السوابق
بحيث التقى موسى مع الخضر آية * عسى ترجع العقبى كموسى وطارق
من عاذرى من غزال زانه حور * قدهام لما بدا فى حسنه البشر
ألحاظه كسيوف الهند ماضية * لها بقلبى وان سالمتها أثر

وقال القاضى أبو القاسم بن حاتم

شكوت بما دهانى وكان سرا * لمن ليست مودته صحيحه
فقال مصيبة عادت ثلاثا * لعصبتها الثمانة والفضيحه

وقال الفقيه محمد بن سعيد الاندلسى مخاطبا للفقيه الفخار

خفف علينا قليلا أيها العلم * فربما كان فينا من به ألم
لا يستطيع نهوضا من تألمه * وان تمادى قليلا حانت القدم
كفى وصية مولانا وسيدنا * محمد فاسمعوا ما قال والتزموا

وقال ابن جبير اليحصبى فيمن أهدى اليه تفاحا

خليل لم يزل قلبى قديما * يميل بفرط صاغية اليه
أتانى مقبلا والنشر يبدى * وسائل بره كرمت لديه
وجاء بعرف تفاح ذكى * فقلت أتى الخليل بسيبويه
فأهدى من جناه بكل شكل * يلوح جمال مهديها عليه

الفقيه سيدى ابراهيم البدوى

قطعت ياسى فصنت وجهى * عن الوقوف لذى وجاهه
قصدت ربى فكان حسبى * ألبسنى فضله وجاهه
فلا يرى ينثنى عنانى * مدى حياتى الا اتجاهه

وقال ابن خليل السكونى فى فهرسته شاهدت بجامع العديس باشبيلية ربعة مصحف فى أسفاره يعنى به لغو خطوط الكوفة الا انه أحسن خطا وابينه وأبرعه

الاستاذ أبو الحسين بن الطفيل بن عظيمة هذا خط ابن مقلة وأنشد

خط ابن مقلة من ارعاه مقلته * ودت جوارحه لو

ثم قسناه وفعه بالضابط فوجدنا أنواعها تتماثل فى القدر والوضع فالالف الى [illegible] واللامات كذلك [illegible] فات والواوات وغيرها بهذه النسبة انتهى (قلت) رأيت بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام مصحفا بخط ياقوت المستعصمى بهذه المثابة وهو من الاوقاف الرستمية ورأيت بالحجرة الشريفة على صاحبها الصلاة والسلام مصحفا مكتوبا فى آخره ما صورته كتبته بقلم واحد فقط ما قط الا مرة فقط انتهى (رجع) وقال ابن عبدون رحمه الله تعالى

أنه مات مطعونا ومنهم من رأى أنه مات حتف أنفه ومنهم من رأى أن فاختة بنت أبى هاشم بن عتبة أم خالد ابن يزيد بن معاوية هى التى قتلته وذلك ان مروان حين أخذ البيعة لنفسه ولخالد بن يزيد بعده ولعمرو ابن سعيد بن خالد ثم بدا له غير ذلك فجعلها لابنه عبد الملك بعده ثم لابنه عبد العزيز ودخل عليه خالد بن يزيد فكلمه وأغلظ له فغضب من ذلك وقال أتكلمنى يا ابن الرطبة وكان مروان قد تزوج بأمه فاختة ليذله بذلك ويضع منه فدخل خالد على أمه فقبح لها تزوجها بمروان وشكا اليها ما نزل به منه فقالت لا يعيبك بعدها فمنهم من رأى انها وضعت على نفسه وسادة وقعدت فوقها مع جواريها حتى مات ومنهم من رأى انها أعدت له لبنا مسموما فلما دخل عليها ناولته اياه

[illegible]

مروان يشير الى أم خالد يخبرهم انها قتلته وأم خالد تقول بأبى أنت حتى عند النزع لم تشتغل عنى انه يوصيكم بى حتى مات

وكانت أيامه تسعة أشهر وأياما قلائل وقيل ثمانية وأشهر وقيل غير ذلك مما سنورده عند ذكرنا المدة التى ملكت فيها بنو أمية

من الاعوام فنحن نذكر من بعد هذا الكتاب ان شاء الله تعالى وهلك مروان وهو ابن ثلاث وستين سنة وقد ذكر غير ذلك فى سنه وكان قصيرا أحمر وولد لستين . . . وخلف من الهجرة وهلك بعد أخذ البيعة لولده بثلاثة أشهر وقد ذكر ابن أبى خيثمة فى كتابه فى التاريخ أن النبى صلى الله عليه وسلم توفى ومروان له ثمان سنين وكان لمروان عشرون أخا وثمان أخوات وله من الولد أحد عشر ذكرا وثلاث بنات وهم عبد الملك وعبد العزيز وعبد الله وأبان وداود وعمرو وأم عمرو وعبد الرحمن وأم عثمان وعمرو وأم عمرو وبشر ومحمد ومعاوية وقد ذكرنا هؤلاء ومن أعقب منهم ومن لم يعقب وقد كان يزيد بن معاوية تخلف من الولد أكثر مما تخلف مروان وذلك أنه تخلف معاوية وخالد وعبد الله الاكبر وأبا سفيان وعبد الله الاصغر وعمرا وعاتكة وعبد الرحمن وعبد الله الذى لقبه الاصغر وعثمان وعتبة الاعور وأبا بكر ومحمدا ويزيد وأم يزيد وأم عبد الرحمن ورملة وصفية

(ذكر أيام عبد الملك بن مروان)

وبويع عبد الملك بن مروان ليلة الاحد غرة شهر رمضان من سنة خمس وستين ثم بعث الحجاج بن يوسف الى عبد الله بن الزبير ومن معه من المناصف بمكة فقتل عبد الله يوم الثلاثاء لسبع عشرة مضين من جمادى الآخرة سنة ثلاث وسبعين وكانت ولاية ابن الزبير تسع سنين وعشر ليال ابن

أذهبن من فرق الفراق نفوسا * ونثرن من در الدموع نفيسا
فتبعتها نظر الشجى فخدقت * رقباؤها نحوى عيونا شوسا
وحلان عقد الصبر اذ ودعتنى * فحلان أفلاك الخدور شموسا
حلته اذ حلته حتى خلته * عرشا لها وحبتها بلقيسا
فازور جانبها وكان جوابها * لو كنت تهوانا صحبت العيسا

وهى طويلة (قلت) ما أظن لسان الدين نسج قصيدته من هذا البحر والروى الا على منوال هذه وان كان الحافظ التنسى قال انه نسجها على منوال قصيدة أبى تمام حسبما ذكرنا ذلك فى محله فليراجع * وقال أبو عبد الله بن المناصف قاضى بلنسية ومرسية رحمه الله تعالى

ألزمت نفسى خمولا * عن رتبة الاعلام
لا يخسف البدر الا * ظهوره فى تمام

وتذكرت به قول غيره

ليس الخمول بعار * على امرئ ذى جلال
فليلة القدر تخفى * وتلك خير الليالى

وقال الوزير ابن عمار وقد كتب له أبو المطرف بن الدباغ شافعا لغلام طرله عذار

أتانى كتابك مستشفعا * بوجه أبى الحسن مورده
ومن قبل قضى ختم الكتاب * قرأت الشفاعة فى خده

وقال القاضى الاديب والفيلسوف الاريب أبو الوليد الوقشى قاضى طليطلة

برح بى أن علوم الورى * قسمان ما ان فيهما من مزيد
حقيقة يعجز تحصيلها * وباطل تحصيله لا يفيد

وقال أبو عبد الله بن الصفار وهو من بيت القضاء والعلم بقرطبة

لا تحسب الناس سواء منى * ما اشتبهوا فالناس أطوار
وانظر الى الاحجار فى بعضها * ماء وبعض ضمنه نار

وهذا مثل قول غيره

الناس كالارض ومنها هم * من خشن الطبع ومن لين
مر وتشكى الرجل منه الوجى * والشد يجعل فى الاعين

ومن نظم ابن الصفار المذكور

اذا نويت انقطاعا * فاعمل حساب الرجوع

وقال أبو مروان الجزيرى

ومن العجائب والعجائب جمة * أن يلهج الاعمى بعيب الاعور

وقال حسان بن المصيصى كاتب الظافر بن عباد ملك قرطبة

لا تأمنن من العدو لبعده * ان امرأ القيس اشتكى الطعاما

وقال الشيخ الاكبر سيدى محيى الدين بن عربى قدس سره العزيز فى كتابه الاسفار عن نتائج الاسفار أنشدنى الكاتب الاديب أبو عمرو بن مهيب باشبيلية لنفسه ايضا تاعلمانى حمود بن ابراهيم

ذكر مقتل ابن الزبير بعد هذا الموضع من هذا الكتاب عند ذكرنا لجامع ملك بني أمية ثم هاجت فتنة ابن الاشعث في شعبان سنة اثنتين وثمانين ثم توفي عبد الملك بن مروان بدمشق يوم السبت لاربع عشرة مضت من ٥٠١ شوال سنة ست وثمانين

ن أبي بكر المرعي وكان أجمل أهل زمانه رآه عندنا زائرا وقد خط عذاره فقلت يا أبا عمرو
تنظر الى حسن هذا الوجه فعمل الابيات في ذلك وهي

وقالوا العذار جناح الهوى * اذا ما استوى طار عن وكره
وليس كذلك خبرهم * فما بعذري أو عذره
اذا كمل الحسن في وجنة * فخاتمه ويك من شعره

انتهى * قال بعضهم رأيت آخر الكتاب المذكور بعد فراغه شعرا نسبه اليه وهو

اياحاضرا بجماله في خاطري * ومحببا بجلاله عن ناظري
ان غبت عن عيني فانك نورها * وضمير سرك سائر في سائري
ومن العجائب أنني أبدا الى * رؤياك ذو شوق مديد وافر
مع انني ما كنت قط بمجلس * الا وكنت منادمي ومسامري

انتهى * وأنشد في الاحاطة لعبد الله الجذامي

اياسيدي أشكو لمجدك أنني * صددت مرارا عن مثولي بساحتك
شكاة اشتياق أنت حقا طبيبها * وما راحتي الا بتقبيل راحتك

قال وهو عبد الله بن عبد الله بن أحمد بن محمد الجذامي فاضل ملازم للقراءة عاكف على الخير مشارك في العربية خاطب للرياسة الادبية اختص بالامير أبي علي المنصور ابن السلطان أيام مقامه بالاندلس ومما خاطبه به معتذرا أياسيدي البيتين انتهى * وقال في ترجمة عبد الله بن أحمد المالقي قاضي غرناطة وكان فقيها بارع الادب انه كتب الى أبي نصر صاحب القلائد والمطمح أثناء رسالة بقوله

تفتحت الكنانة عن نسيم * نسيم المسك في خلق كريم
أبا نصر رسمت لها رسوما * تخال رسومها وضح النجوم
وقد كانت عفت فأثرت منها * سراجا لاح في الليل البهيم
فقمت من الصناعة كل باب * فصارت في طريق مستقيم
فكتاب الزمان ولست منهم * اذا راموا مرامك في هموم
فما قس بابدع منك لفظا * ولا سحبان مثلك في العلوم

انتهى * وقال الذهبي وقد جرى ذكر محمد بن المسن المذحجي الاندلسي بن الكناني انه أديب شاعر متفنن ذو تصانيف جل عنه ابن حزم ومن شعره

ألا قد هجرنا الهجر واتصل الوصل * وباتت ليالي [illegible]
فسعدى نديمي والمدامة ريقها * ووجنتها [illegible]

وقال العلامة محمد بن عبد الرحمن الغرناطي

الشعب ثم قبيلة وعمارة * بطن وفخذ والفصيلة تابعه
فالشعب مجتمع القبيلة كلها * ثم القبيلة للعمارة جامعه
والبطن تجمعه العمائر فاعلمن * والفخذ تجمعه البطون الواسعه
والفخذ يجمع للفصائل هاكما * جاءت على نسق لها متتابعه

وكانت ولايته من منذ بويع الى ان توفي احدى وعشرين سنة وشهرا ونصفا وبقي بعد عبد الله بن الزبير واجتماع من اجتمع عليه من الناس ثلاث عشرة سنة وأربعة أشهر الاسبع ليال وسنذكر ما فعله من وقت استقامة من استقام له من الناس وقبض وهو ابن ست وستين سنة وقيل أكثر من ذلك وكان يحب الشعر والفخر والتقريظ والمدح وكان عماله على مثل مذهبه فالحجاج بالعراق والمهلب بخراسان وهشام ابن اسمعيل بالمدينة وغيرهم بغيرها وكان الحجاج من أظلمهم وأسفكهم للدماء وسنذكر في هذا الكتاب جوامع من ذكره فيما يلي هذا الباب

* (ذكر جمل من افعاله وسيره ولمع مما كان في أيامه ونوادر من اخباره) *

ولما أقضى الامر [illegible]

ب أخبار الناس ثم يجلس
يصلح لمنادمته غير الشعبي
فلما حمل اليه ونادمه قال له
يا شعبي لا تشاعدني على
ما تهجو ولا ترده على الجماعة في
مجلسي ولا تكلفني جواب
التشميت والتهنئة ولا جواب السؤال والتعزية ودع عنك كيف أصبح الامير وكيف أمسى وكني بقدر

فخر يمة شعب وان كنانة * لقبيلة منها الفضائل شائعه
وقريشها تسمى العمارة باقتى * وقصى بطن للاعادى قامعه
ذاهاشم فخذوذاعباسها * أثر الفصيلة لاتناط بسابعه

وكتبت هذه الابيات وان لم تشتمل على بلاغة لما فيها من الفائدة ولان بعض الناس سألنى فيها لغرابتها والاعمال بالنيات * ولما دخل أبو محمد الكلابى الجيانى على القاضى ابن رشد قام له فأنشده أبو محمد بديهة

قام لى السيد الهمام * قاضى قضاة الورى الامام
فقلت قم بى ولا تقم لى * فقلما يؤكل القيام

وقال أبو عبد الرحمن بن حجاف البلنسى

لئن كان الزمان أراد حطى * وحاربنى بانياب وظفر
كفانى أن تصافينى المعالى * وان عادينتنى يا أم دفر
فما اعتز اللئيم وان تسامى * ولا هان الكريم بغير وفر

وقال أبو محمد بن برطلة

ألا انما سيف الفتى صون نفسه * فنافس بأوفى ذمة واخاء
يزينك مرأى أو يعينك حاجة * فيحسن حالى شدة ورخاء

وقال أيضا

أنفسى صبرا لاير وعلك حادث * بارتاجه واستشعرى عاجل الفتح
فرب اشتداد فى الخطوب لفرجة * كما انشق ليل طال عن فلق الصبح

وقال أيضا

متى يدنو لوعدكم انتجاز * ويبعد عن حقيقته المجاز
أيحسن أن يؤمكم رجائى * فيوقف لا يرد ولا يجاز
وجدكم كفيل بالامانى * ومطلوبى قريب مستجاز
اذا ما امكنت فرص المساعى * فعجز أن يطاولها انتهاز
وها أنا قد هززتكم حساما * ويحسن للهنيدة اهتزاز
فما الانصاف أن ينضى كهام * ويودع غمده العضب الجراز
كما نم العراق بعذب بحر * ويشقى بالظما البرح الحجاز
فاعيى الناس فى المقدار حلم * تجاذبه خمول واعتزاز

وأنشد الشيخ أبو بكر بن حبيش لابن وضاح البيت المشهور وهو

اسرى وأسير فى الآفاق من قر * ومن نسيم ومن طيف ومن مثل

وابن حبيش المذكور هو أبو بكر محمد بن الحسن بن يوسف بن حبيش بفتح الحاء وقد عرف به تلميذه ابن رشيد الفهرى فى رحلته فقال بعد كلام أما النظم فبيده عنانه وأما النثر فان مال اليه توكف له بنانه مع تواضع زائد على صلة عصره عائد لقيته بمنزله ليوم أو يومين من مقدمى على تونس فتلقى بكل فن يونس وصادفته بحالة مرض من وثء فى رجله عرض وعنده جملة من العواد من الصدور والاجداد فأدنى وقرب وسهل ورحب وتفاوض

ما أستطعمك واجعل بدل صواب القول واذا سمعتنى أتحدث فلا يفوتنك منه شئ وأرنى فهمك من طرفك وسمعك ولا تجهد نفسك فى تطريتى صوابى ولا تستدع بذلك الزيادة فى كلامى فان اسوأ الناس حالا من استكذبه الملوك بالباطل وان اسوأ الناس حالا منهم من استخف بحقهم

واعلم ياشبى أن أقل من هذا يذهب بالف الاحسان ويسقط حق الحرمة فان الصمت فى موضعه ربما كان أبلغ من المنطق فى موضعه وعند اصابته وفرصته وقال عبد الملك للشعبى يوما من أين يهب الريح قال لا علم لى يا أمير المؤمنين قال عبد الملك اما مهب الشمال فمن مطلع بنات نعش وأما مهب الصبا فمن مطلع الشمس الى مطلع سهيل وأما الجنوب فمن مطلع سهيل الى مغرب الشمس واما الدبور فمن مغرب الشمس الى مطلع بنات نعش وفى سنة خمس وستين تحركت الشيعة بالكوفة وتلاقوا بالتلاوم والتنادم حين قتل الحسين فلم يغيثوه ورأوا انهم قد اخطؤا خطأ كبيرا بدعاء الحسين اياهم ولم يجيبوه ولقتله الى جانبهم فلم ينصروه ورأوا انهم لا يغسل عنهم ذلك الجرم

لك الصدور في فنون من الادب كانها الشذور الى أن خاضوا في الاحاجي واستضاؤا
نوار أفكارهم في تلك الدياجي فخضت معهم في الحديث وأنشدتهم بيتين كنت
نعتهما وأنا حديث لقصة بلغتني عن أبي الحسن سهل بن مالك وهي انه كان يسائل
صحابه وهو في المكتب ويقول لهم أخرجوا اسمي فكل ينطق على تقديره فيقول لهم انكم
تصيروه مع انه سهل فنظمت هذا المعنى فقلت

وما اسم فكه سهل يسير * يكون مصغر انجم يسير
مصحفه له في العين حسن * وقلبي عند صاحبه أسير

كان الشيخ أبو بكر على فراشه فزحف مع مابه من ألم الى محبرة وطرس وقلم وكتب البيتين
له وقال للحاضرين ارووا هذين البيتين عن قائلهما ومن شيوخ ابن حبيش المذكور
عبد الله بن عسكر المالقي كتب له ولاخيه أبي الحسين بخطه اجازة جميع ما يجوز له وعنه
من آخرها هذه الابيات

اجبتكما لكن مقرا بانني * اقصر فيما رمتماعن مداكما
فانكما بدران في العلم أشرقا * فسلم اذعانا وقسرا عداكما
فسيروا على حكم الوداد فانني * أجود بنفسي أن تكون فداكما

ل ابن رشيد وقد جمع صاحبنا أبو العباس الاشعري لابن حبيش فهرسة جامعة ولما وقف
يها ابن حبيش كتب في أولها ما نصه الحمد لله حق حمده أحسن هذا الفاضل فيما صنع
حسن الله اليه وبالغ فيما جمع بلغ الله تعالى به أشرف المراتب لديه غير أني أقول واحده
سر برقي لها بجاحده وأصرح بمقال لا يسعني كتمه بحال والله ما أنا للاجادة باهل
رامها الدي بسهل اذ من شرط المجيز أن يعد فيمن كمل ويعد العلم والعمل اللهم
كيف ينيل من عدم وفرا أو يجيز من أصبح صدره من المعارف قفرا وصحيفته
الصالحات صفرا وكيف يرتسم في ديوان الجله من يتسم بالافعال المخله ومتى يقترن
بالابريز أو يوصف الكبريت بالتبريز ومن ضعف النهى مجانسة الاقمار بالسنها
تعظم التوبيخ تشييخ من لا يصلح للتشييخ وان هذا المجموع ليروق ويعجب ولكنه
لا يستوجب وان القراءة قد تحصلت ولكن القواعد ما تأصلت وان القارئ
ولكن المقروء عليه عدم ولقد شكرت لهذا السري ما جلب وكتبت مستفاله عما
وقرنت الى درة هذا المخشلب قلت وحلي عاطل ونطق عط
نه وتعالى ينفع بما أخلص له عند الاعتقاد ويسمح للبهرج
تب محمد بن الحسن بن يوسف بن حبيش اللخمي حامدا لله تعالى
طفى وعلى آله أعلام الطهارة والهدى ومسلما تسليما وكتب أيضا رحمه الله تعالى في
اب استجازة المسؤل مبذول ان شاء الله تعالى على التجيز ولكن شروط الاجازة
جودة في المجاز معدومة في المجيز والله تعالى يصفح بكرمه ومنه ويشكر كل فاضل على
تحصيل ظنه وهو المسؤل سبحانه أن يحفظ بعنايته مهجاتهم ويرفع بالعلم والعمل درجاتهم
تمهم بالكمال الرائق المعجب ويقربا لنجيبين عين المنيب كتبه ابن حبيش انتهى

والمسيب بن محمد الفزاري
وعبد الله بن سعد بن نفيل
الازدي وعبد الله بن وال
التميمي ورفاعة بن شداد
البجلي فعسكروا بالتخيلة
بعد أن كان لهم مع المختار
ابن عبيد الثقفي خطب
طويل بتثبيطه الناس
عنهم عن أراد الخروج
معهم ففي ذلك يقول عبد الله
ابن الاحمر يحرض على
الخروج والقتال من أبيات
صحوت وقد صحوا الصبي
والعواديا
وقلت لاصحابي أجيبوا المناديا
وقولوا له أذ قام يدعو الى
الهدى
وقبل الدعا لبيك لبيك
داعيا
في شعر طويل يحث فيه
على الخروج ويرثي الحسين
ومن قتل معه ويلوم شيعته
بتخلفهم عنه ويذكرأنهم
قد تابوا الى الله وأنابوا
اليه من الكبائر التي
[illegible]

[illegible]

ووالدا
حسينا لاهل الدين ان
كنت ناعيا
ليبك حسينا مرمل ذو خصاصة
عديم وأمام تشكى المواليا
فاضحى حسين للرماح دريئة * وغودر مسلوبا لدى الطف ثاويا

وقال الوزير الكاتب أبو بكر بن القطربة يمجد بازيا من المنصور بن الافطس صاحب بطليوس

يا أيها الملك الذي آباؤه * شم الانوف من الطراز الاول
حليت بالنعم الجسام قسيمة * عنقي فخر يدي كذاك بأجدل
وامنن بعضا في الجناح كأنما * جذبت قوادمه بريح شمأل
متلفتا والطل ينثر برده * منه على مثل اليماني المخمل
أغدو به عجبا أصرف في يدي * ريحا وآخذ مطلقا بمكبل

وأدخلت على المعتمد يوما بازكورة ترجس فكتب الى ابن عمار يستدعيه

قد زارنا النرجس الذكي * وآن من يومنا العشي
وعندنا مجلس أنيق * وقد نظمنا وفيه روي
ولي خليل غداسمي * ياليته ساعد السمي

فأجاب ابن عمار

لبيك لبيك من مناد * له الندى الرحب والندى
ها أنا بالباب عبد قن * قبلته وجهك السني
شرفه والداه باسم * شرفته أنت والنبي

واصطبح المعتمد يوم غيم مع أم الربيع واحتجب عن الندماء فكتب اليه ابن عمار

تجهم وجه الافق واعتلت النفس * لان لم تلح للعين أنت ولا شمس
فان كان هذا منكما عن توافق * وضمكما أنس فيهنيكما الانس

فأجابه المعتمد بقوله

خليلي قولا هل على ملامة * اذا لم أغب الا لتحضرني الشمس
وأهدي باكواس المدام كواكبا * اذا أبصرتها العين هشت لها النفس
سلام سلام أنتما الانس كله * وان غبتما أم الربيع هي الانس

واستدعى جماعة من اخوان ابن عمار منه شرابا في موضع هو فيه مفقود فبعث لهم به وبرمانتين وتفاحتين وكتب لهم مع ذلك

خذا هما مثل ما استدعيتماها * عروسا لا ترف الى الشام
ودونكم بها ثدين فتاة * أضفت اليهما ذي غلام

وشرب ذو الوزارتين القائد أبو عيسى بن لبون مع الوزراء والكتاب ببطحاء لورقة عند أخيه وابن اليسع غائب فكتب اليه

لو كنت تشهد يا هذا اعشيتنا * والمزن يسكن أحيانا وينهدر
والارض مصفرة بالمزن طافية * أبصرت در اعليه التبر ينتثر

وقال الجاري من القصيدة المشهورة * عليك أحالني الذكر الجميل * في وصف زيه البدوي المستقل وما في طيه

ومثلي بدنه خمر * يخف به ومنظره ثقيل

سقى الله قبرا ضم من المجد والتقى
بغربية الطف الغمام الغواديا
فيا أمة تاهت وضلت سفاهة
انيبوا فأرضوا الواحد المتعاليا
ثم ساروا يقدمهم من سمينا من الرؤساء وعبيد الله ابن الاحمر يقول
خرجن يلعن بنا أرسالا * عوابسا تحملنا أبطالا
تريد أن تلقى بها الاقيالا * القاسطين الغدر الضلالا
وقد رفضنا الولد والاموالا * والخفرات البيض والحجالا
نرضى به ذا النعم المفضالا
فانتهوا الى قرقسياء من شاطئ الفرات وبها زفر بن الحرث الكلابي فاخرج اليهم الانزال وساروا من قرقسياء ليسبقوا الى عين الوردة وقد كان عبد الله بن زياد توجه من الشام الى حربهم في ثلاثين الفا واتصل على مقدمته من الرقة خمسة أمراء منهم الحصين بن نمير السكوني وشراحيل بن ذي الكلاع الحميري وادهم بن محرز الباهلي وربيعة بن المخارق الغنوي وجبلة بن عبد الله الخثعمي حتى اذا صاروا الى عين الوردة التقى الاقران وقد كان قبل ذلك لهم مناوشات في الطلائع فاستشهد سليمان بن صرد الخزاعي ولما

ولما انصرف ابن سعيد عن ابن هود عذله ابن هود على تحوله عنه فقال النفس تواقه ومالى بغير التغرب طاقه ثم قال

يقولون لى ماذا الملال تقيم فى * محل فعند الانس تذهب راحلا
فقلت لهم مثل الحمام اذا شدا * على غصن أمسى بأخر نازلا

وقد رأيت أن اكفر ما تقدم ذكره من الهزل الذى أتينا به على سبيل الاحماض بما لا بد منه من الحكم والمواعظ وما يناسبها (فنقول) قال أبو العباس بن الخليل

فهموا اشارات الحبيب فهاموا * وأقام أمرهم الرشاد فقاموا
وتوسموا بمدامع منهلة * تحت الدياجى والانام نيام
وتلوا من الذكر الحكيم جوامعا * جمعت لها الالباب والافهام
ياصاح لو أبصرت ليلهم وقد * صفت القلوب وصفت الاقدام
لرأيت نور هداية قد حفهم * فسرى السرور وأشرق الاظلام
فهم العبيد الخادمون مليكهم * نعم العبيد وأفلح الخدام
سلموا من الآفات لما استسلموا * فعليهم حتى الممات سلام

وقال العالم الكبير الشهير صاحب التآليف أبو محمد عبد الحق الاشبيلى رحمه الله تعالى

قالوا صف الموت يا هذا وشدته * فقلت وامتد منى عندها الصوت
يكفيكم منه أن الناس ان وصفوا * أمرا يروعهم قالوا هو الموت

وقال الخطيب الاستاذ أبو عبد الله محمد بن صالح الكنانى الشاطبى نزيل بجاية

جعلت كتاب ربى لى بضاعه * فكيف أخاف فقرا أو ضاعه
وأعددت القناعة رأس مال * وهل شئ أعز من القناعه

وقال القاضى الكبير الاستاذ الشهير أبو العباس أحمد بن الغماز البلنسى نزيل أفريقية

هو الموت فاحذر أن يجيئك بغتة * وأنت على سوء من الفعل عاكف
واياك أن تمضى من الدهر ساعة * ولا لحظة الا وقلبك واجف
وبادر باعمال تسرك أن ترى * اذا نشرت يوم الحساب الصحائف
ولا تيأسن من رحمة الله انه * لرب العباد بالعباد لطائف

وقال رحمه الله تعالى

أما آن للنفس أن تخشعا * أما آن للقلب أن يقلعا
أليس الثمانون قد أقبلت * فلم تبق فى لدة مطمعا
تقضى الزمان ولا مطمع * لما قد مضى منه أن يرجعا
تقضى الزمان فواحسرتى * لما فات منه وما ضيعا
ويا ويلتاه لذى شيبة * يطيع هوى النفس فيما دعا
وبعدا وسحقا له اذ غدا * يسمع وعظا ولن يسمعا

وقال الاستاذ الزاهد أبو اسحق الالبيرى الغرناطى رحمه الله تعالى

كل امرئ فيما يدين يدان * سبحان من لم يخل منه مكان

الحصين بن نمير بسهم فقتله فأخذ الراية المسيب بن نجبة الفزارى وكان من وجوه أصحاب على رضى الله عنه وكر على القوم وهو يقول

قد علمت ميالة الذوائب * واضحة اللبات والترائب
أنى غداة الروع والمقانب * أشجع من ذى لبدة مواثب

فقاتل حتى قتل فاستقتل التوابون وكسروا أجفان السيوف وسالت عليهم عساكر أهل الشأم كالليل ينادون الجنة الجنة الى التقية من أصحاب أبى تراب الجنة الجنة الى الترابية وأخذ راية التوابين عبد الله بن سعيد بن نفيل وأتاهم اخوانهم يحثون السير خلفهم من أهل البصرة وأهل المدائن فى نحو من خمسمائة فارس عليهم المثنى بن مخربة وسعيد بن حذيفة وهم يقولون أقلنا ربنا تفريطنا فقد تنادى فقيل لعبد الله بن

فقال ذاك لو جاؤا ونحن أحياء فكان أول من استشهد فى ذلك الوقت من محققهم من أهل المدائن كثير بن عمرو المدنى ومن

٦ ط نى سعيد بن سعيد الحنفى وعبد الله بن الخمال الطائى وقتل عبد الله بن سعيد بن نفيل فلما علم من بقى

من الترابيين أن لا طاقة

البجيلي

الى مؤنا نزا أبو الحويرث

عبدي في جابية الناس

وطلب منهم أهل الشام

المكافأة والمتاركة لما رأوا

من بأسهم وصبرهم مع

قلتهم فلحق أهل الكوفة

بمصرهم وأهل المدائن

والبصرة ببلادهم وسمع

الترابيون في سيرهم

ورجوعهم من عين الوردة

قائلا يقول رافعا عقيرته

ياعين بكي ابن الصرد

بكي اذا الليل خمد

كان اذا الباس مكد

تخاله فيه أسد

مضى حميدا قد رشد

في طاعة الاعلى الصمد

وقد ذكر أبو مخنف لوط بن

يحيى وغيره من أصحاب

التواريخ والسير من قتل

من الترابيين مع سليمان

ابن صرد الخزاعي على عين

الوردة وأسماءهم فعللهم

وحكى أبو مخنف في كتابه

في أخبار الترابيين المترجم

بعين الوردة قصيدة عزاها

الى أعشى همدان طويلة

يرثي بها أهل عين وردة من

الترابيين ويصف ما فعلوه

منها

توجه من دون الثوية سائرا

الى ابن زياد في الجموع

الكثائب

فساروا وهم من بين ملتمس التقى * وآخر عاجز بالامس تائب

وقال

لهم عن بازاتهم من أهل الشام انحازوا عنهم وارتحلوا وعليهم رفاعة بن شدا

ياعامر الدنيا لتكنها وما * هي بالتي يبقى بها سكان

تفنى وتبقى الارض بعدك مثل ما * يبقى المناخ ويرحل الركبان

أأسرفي الدنيا بكل زيادة * وزيادتي فيها هي النقصان

وقال أيضا رحمه الله تعالى

وذي غنى أوهمته همته * ان الغنى عنه غير منفصل

يجر أذيال عجبه بطرا * واختال للكبرياء في الحلل

برته أيدي الخطوب برته * فاعتاض بعد الجديد بالسمل

فلا تثق بالغنى فآفته الـ * ـفقر وصرف الزمان ذو دول

كفى بنيل الكفاف عنه غنى * فكن به فيه غير محتفل

وقال رحمه الله تعالى

لاشئ أخسر صفقة من عالم * لعبت به الدنيا مع الجهال

فغدا يفرق دينه أيدي سبا * ويديله حرصا لجمع المال

لاخير في كسب الحرام وقلما * يرجى الخلاص لكاسب الحلال

فخذ الكفاف ولا تكن ذا فضلة * فالفضل تسئل عنه أي سؤال

وقال رحمه الله تعالى

الشيب نبه ذا النهى فتنبها * ونهى الجهول فما استقام ولا انتهى

فالى متى ألهو وأخدع بالمنى * والشيب أفجع ما يكون اذا لها

ما حسنه الا التقي لا أن يرى * صبابا لحاظ الجآذر وا لمها

أنى يقاتل وهو مغلول الشبا * كابي الجواد اذا استقل تأوها

محق الزمان هلاله فكأنما * أبقى له منه على قدر السها

فغدا حسيرا يشتهي أن يشتهى * ولكم جرى طلق الجموح كما اشتهى

ان أن أواه وأجهش بالبكا * لذنوبه ضحك الجهول وقهقها

ليست تنبهه العظات ومثله * في سنه قد آن أن يتنبها

فقد اللذات وزاد غيا بعدهم * هلا تيقظ بعدهم وتنبها

يا ويحه ماباله لاينتهي * عن غيه والعمر منه قد انتهى

وقال الاستاذ ولي الله سيدي أبو عبد الله بن العريف

من لم يشافه عالما باصوله * فيقينه في المشكلات ظنون

من أنكر الاشياء دون تيقن * وتثبت فعاند مفتنون

الكتب تذكرة لمن هو عالم * وصوابها بعد العمى مخزون

والفكر غواص عليها مخرج * والحق فيها لؤلؤ مكنون

وقال أبو القاسم بن الابرش

أيأسوني لما تعاظم ذنبي * أتراهم هم الغفور الرحيم

فذروني وما تعاظم منه * انما يغفر العظيم العظيم

وقال أبو العباس بن صقر الغرناطي أو المري وأصله من سرقسطة

أرض العدو بظاهر متصنع * ان كنت مضطرا الى استرضائه
كم من فتى التقى بوجه باسم * وجوانحى تتقد من بغضائه

وقال الكاتب الشهير الشهيد أبو عبد الله محمد بن الابار القضاعي البلنسي رحمه الله تعالى من أبيات

ياشقيق النفس أوصيك وان * شق فى الاخلاص ماتنتهبه
لاتبت فى كمد من كيد * رب ضيق عاد رحبا مخرجه
و بلطف الله أصبح واثقا * كل كرب فعليه فرجه

ولابن الابار المذكور ترجمة طويلة استوفيت منها ما أمكنني فى أزهار الرياض فى أخبار عياض وما يناسبها مما يحصل للنفس به ارتياح وللعقل ارتياض قال الغبريني فى عنوان الدراية لم يكن له من الشعر الا قصيدته السينية التي رفعها للامير أبي زكريا رحمه الله تعالى يستنجده و يستصرخه لنصرة الاندلس لكان فيها كفاية وان كان قد نقدها ناقد وطعن عليه فيها طاعن ولكن كما قال أبو العلاء المعري

تكلم بالقول المضلل حاسد * وكل كلام الحاسدين هراء

ولم يكن له من التآليف الا كتابه المسمى بمعادن اللجين فى مراثي الحسين لكفاه فى ارتفاع درجته وعلو منصبه وسمو رتبته ثم قال توفي بتونس ضحوة يوم الثلاثاء الموفى عشرين لمحرم سنة ٦٥٨ ومولده آخر شهر ربيع سنة ٥٩٥ ببلنسية رحمه الله تعالى وسامحه انتهى وقال ابن علوان انه يتصل سنده به من طرق منها من طريق الراوية أبي عبد الله محمد بن جابر القيسي الوادي آشي عن الشيخ المقرى المحدث المتبحر أبي عبد الله محمد بن حيان الاوسي الاندلسي نزيل تونس عنه ومن طريق والدي صاحب عنوان الدراية عن الخطيب أبي عبد الله بن صالح عنه انتهى (قلت) وسندي اليه عن العم عن التنسي عن أبيه عن ابن مرزوق عن جده الخطيب عن ابن جابر الوادي آشي به كما مر * وقال ابن عبد ربه

بادر الى التوبة الخلصاء مجتهدا * والموت ويحك لم يمدد اليك يدا
وارقب من الله وعدا ليس يخلفه * لابد لله من انجاز ماوعدا

وقال الصدر أبو العلاء بن قاسم القيسي

ياواقف الباب فى رزق يؤمله * لاتقنطن فان الله فاتحه
ان قدر الله رزقا أنت طالبه * لاتيأسن فان [illegible]

وقال الاعمى التطيلي

تنافس الناس فى الدنيا وقد علموا * أن سوف تفنى [illegible]
قل للمحدث عن لقمان أو لبد * لم يترك الدهر لقمانا ولا لبدا
وللذى همه البنيان يرفعه * ان الردى لم يغادر فى الثرى أحدا
مالابن آدم لاتفنى مطامعه * يرجو غدا وعسى أن لايعيش غدا

وقال أبو العباس التطيلي

بخامهم جمع من الشام بعده
جموع كموج البحر من كل جانب
فما برحوا حتى أثيرت جموعهم
ولم ينج منهم ثم غير عصائب
وغودر أهل الصبر صرعى فاصبحوا
تعاورهم ريح الصبا والجنائب
وأضحى الخزاعي الرئيس مجدلا
كأن لم يقاتل مرة ويحارب
ورأس بني سميع وفارس قومه
جميعا مع التيمي هادي الكتائب
وعمرو بن عمرو وابن بشر وخالد
وبكر وزيد والحليس بن غالب
أبو غير ضرب يفلق الهام ضربه
وطعن باطراف الاسنة صائب
فيا خير حشر للعراة أهانه
[illegible]
السلواعب
فان تقتلوا فالقتل أكرم ميتة
وكل فتى يوما لاحدى النوائب

وما قتلوا حتى أصابوا عصابة * محلين نورا كالليوث الضوارب وقيل ان وقعة الوردة كانت فى سنة ست وستين وفى ايام عبد الملك

ابن مروان توفى الحرث الاعور صاحب ٨٠ على عليه السلام وهو الذى دخل على على فقال يا امير المؤمنين الا ترى الى الناس

والناس كالناس الا أن تجربهم * وللبصيرة حكم ليس للبصر
كالايد مشتبهات فى منابتها * وانما يقع التفضيل فى الثمر

وقال القاضى أبو العباس بن العماز البلنسى

من كان يعلم لا محالة انه * لابد أن يودى وان طال المدى
هلا استعد لمشهد يجزى به * من قد أعد من اهتدى ومن اعتدى

وقال أيضا

هو الموت فاحذر أن يجيئك بغتة * وأنت على سوء من الفعل عاكف
واياك أن تمضى من الدهر ساعة * ولا لحظة الا وقلبك واجف
فبادر باعمال يسرك أن ترى * اذا طويت يوم الحساب الصحائف
ولا تيأسن من رحمة الله انه * لرب العباد بالعباد لطائف

ولما استوزر باديس صاحب غرناطة اليهودى الشهير بابن نغولة وأعضل داؤه المسلمين قال زاهد البيرة وغرناطة أبو اسحق الالبيرى قصيدته النونية المشهورة التى منها فى اغراء صنهاجة باليهود

الا قل لصنهاجة أجمعين * بدور الزمان وأسد العرين
مقالة ذى مقة مشفق * نصيح النصيحة دنيا ودين
لقد زل سيدكم زلة * أقر بها أعين الشامتين
تخير كاتبه كافرا * ولو شاء كان من المؤمنين
فعز اليهود به وانتموا * وسادوا وتاهوا على المسلمين

وهى قصيدة طويلة فثارت اذ ذاك صنهاجة على اليهود وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وفيهم الوزير المذكور وعادة أهل الاندلس ان الوزير هو الكاتب فاراح الله العباد والبلاد ببركة هذا الشيخ الذى نور الحق على كلامه باد وقال أبو الطاهر الجيانى المشهور بابن أبى ركب بفتح الراء وسكون الكاف

يقول الناس فى مثل * تذكر غائبا تره
فمالى لا أرى سكنى * ولا أنسى تذكره

وكان أبو الطاهر هذا فى جملة من الطلبة فمر بهم رجل معه محبرة آبنوس تأنق فى حليتها واحتفل فى عملها فأراهم اياها وقال أريد أقصد بها بعض الاكابر وأريد أن تتمموا الحتفالى بأن تصنعوا لى بينكم أبيات شعر أقدمها معها فأطرق الجماعة وقال أبو الطاهر

وأقتل من عدا العلا زنجية * فى حلة من حلية تتبختر
صفراء سوداء الحلى كأنها * ليل تطرزه نجوم تزهر

فلم يغب الرجل عنهم الا يسيرا واذا به قد عاد اليهم وفى يده قلم نحاس مذهب فقال لهم وهذا أعددته للدفع مع هذه المحبرة فتفضلوا بأكمال الصنيعة عندى بذكره فبدر أبو الطاهر وقال

حملت باصفر من نجار حليها * تخفيه احيانا وحينا تظهر
خرسان الا حين يرضع ثديها * فتراه ينطق ما يشاء ويذكر

قد اقبلوا على هذه الاحاديث وتركوا كتاب الله قال وقد فعلوها قال نعم قال أما انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ستكون فتنة قلت فما المخرج منها يا رسول الله قال كتاب الله فيه نبأ ما كان قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ارادالهدى فى غيره اضله الله هو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم والصراط المستقيم وهو الذى لا تزيغ عنه العقول ولا تلتبس به الالسن ولا تنقضى عجائبه ولا يعلم علم مثله هو الذى لما سمعته الجن قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد من قال به صدق ومن زال عنه عدا ومن عمل به أجر ومن تمسك به هدى الى صراط مستقيم خذها اليك يا أعور (ولما كان) ومن قعقعين الوردة ما قدمنا سار عبيد الله بن زياد فى عساكر الشام يؤم العراق فلما انتهى الى الموصل وذلك فى سنة ست وستين التقى هو

ابراهيم بن الاشتر النخعى وابراهيم على خيل العراق من قبل المختار بالجازر فكانت بينهم وقعة عظيمة قال

قتل فيها ابن مرجانة عبيد الله بن زياد والحصين بن نمير وشرحبيل بن ذى

قال ابن الابار فى تحفة القادم وحضر يوما فى جماعة من أصحابه وفيهم أبو عبد الله بن زرقون فى شعبان فى مكان فلما تملوا من الطعام قال أبو الطاهر لابن زرقون أجزيا أبا عبد الله وأنشد

جدت لشعبان المبارك شبعة * تسهل عندى الجوع فى رمضان
كما جد الصب المتيم زورة * تحمل فيها الهجر طول زمان

فقال دعوها بشعبانية ولوانهم * دعوها بشعبانية لكفانى

انتهى * وقال أبو عبد الله بن خميس الجزائرى

تحفظ من لسانك ليس شئ * أحق بطول سجن من لسان
وكن للصمت ملتزما اذا ما * أردت سلامة فى ذا الزمان

وقال أيضا

كن حلس بيتك مهما فتنة ظهرت * تخلص بدينك وافعل دائما حسنا
وان ظلمت فلا تحقد على أحد * ان الضغائن فاعلم تنشئ الفتنا

وقال بدا لى أن خير الناس عيشا * من امنه الاله من الانام
فليس لخائف عيش لذيذ * ولو ملك العراق مع الشام

وله جانب جميع الناس تسلم منهم * ان السلامة فى مجانبة الورى
واذا رأيت من امرئ يوما أذى * لا تجزه أبدا بما منه ترى

وله من أدب ابنا له صغيرا * قرت به عينه كبيرا
وارغم الانف من عدو * يحسد نعماه كثيرا

وقال أبو محمد بن هرون القرطبى

بيد الاله مفاتح الرزق الذى * أبوابه مفتوحة لم تغلق
عجبا لذى فقر يكلف مثله * فى الوقت شيأ عنده لم يخلق

وقال أيضا

لعمرك ما الانسان يرزق نفسه * ولكنما الرب الكريم يسخره
وما بيد المخلوق فى الرزق حيلة * تقدمه عن وقته أو تؤخره

وقال الاديب الاستاذ أبو محمد بن صارة رحمه الله تعالى

يا من يصيخ الى داعى السقاة وقد * نادى به الناعيان الشيب والكبر
ان كنت لا تسمع الذكرى ففيم ثوى * فى رأسك الواعيان السمع والبصر
ليس الاصم ولا الاعمى سوى رجل * لم يهده الهاديان العقل والنظر
لا الدهر يبقى ولا الدنيا ولا الفلك الاعلى ولا النيران الشمس والقمر
ليرحلن عن الدنيا وان كرهت * فراقها الناويان البدو والحضر

وقال رحمه الله تعالى فى ابنة مات له

الا يا موت كنت بنا رؤفا * فقدت الحياة لنا بزوره
جعلت لفعلك المشكور رمسا * كفيت مؤنة وسترت عوره
فأنكرنا الضريح بلا صداق * وجهزنا الفتاة بغير شوره

الكلاع وابن حوشب ذى ظليم وعبد الله بن اياس السلمى أبو سدير بن وغالب الباهلى وأشراف أهل الشام وذلك أن عمير بن الحباب السلمى كان على ميمنة ابن زياد فى ذلك الجيش وكان فى نفسه ما فعل بقومه من مضر وغيرهم من نزار يوم مرج راهط فصاح يا لثارات قيس يا لمضر يا لنزار فتزاحمت نزار من مضر وربيعة على من كان معهم فى جيشهم من أهل الشام من قحطان وقد كان عمير كاتب ابراهيم بن الاشتر سرا قبل ذلك والتقيا فتواطآ على ما ذكرنا وحمل ابراهيم بن الاشتر رأس ابن زياد وغيره الى المختار فبعث به المختار الى عبد الله ابن الزبير بمكة وقد كان عبد الملك بن مروان سار فى جيوش أهل الشام فنزل بطنان ينتظر ما يكون من ابن زياد فأتاه خبر مقتله

جيش بالمدينة لحرب ابن الزبير ثم جاءه خبر دخول بابل بن قيس فلسطين من قبل ابن الزبير ومسير مصعب بن الزبير من المدينة الى فلسطين ثم جاءه خبر ملك الروم لاوى بن قسطا ونزوله المصيصة يريد الشام ثم جاءه خبر دمشق وأن عبيدها

وأنشد أبو عبد الله بن الحاج البكري الغرناطي في بعض مجالسه قوله

ياغاديا في غفلة ورائحا * الى متى تستحسن القبائحا
وكم الى كم لاتخاف موقفا * يستنطق الله به الجوارحا
ياعجبا منك وكنت مبصرا * كيف تجنبت الطريق الواضحا
كيف تكون حين تقرا في غد * صحيفة قد ملئت فضائحا
أم كيف ترضى أن تكون خاسرا * يوم يفوز من يكون رابحا

ومن روى عنه هذه الابيات الكاتب الرئيس أبو الحسن بن الجياب وتوفي ابن الحاج المذكور سنة ٧١٥ رحمه الله تعالى * وقال حافظ الاندلس ومحدثها أبو الربيع سليمان ابن موسى بن سالم الكلاعي رحمه الله تعالى

الهي مضت للعمر سبعون حجة * ولي حركات بعدها وسكون
فيا ليت شعري أين أو كيف أومتى * يكون الذي لابد أن سيكون

والصواب انهما لغيره كما ذكرته في غير هذا الموضع وبالجملة فهما من كلام الاندلسيين وان لم يحقق ناظمهما التعيين * وقال أبو بكر يحيى التطيلي رحمه الله تعالى

اليك بسطت الكف في لمة الدجا * نداء غريق في الذنوب عريق
رجاء ضميري كي تخاص جملتي * وكم من فريق شافع لفريق

وحكي ان بعض المغاربة كتب الى الملك الكامل بن العادل بن أيوب رقعة في ورقة بيضاء ان قرئت في ضوء السراج كانت فضية وان قرئت في الشمس كانت ذهبية وان قرئت في الظل كانت حبرا أسود وفيها هذه الابيات

لئن صدني البحر عن موطني * وعيني بأشواقها زاهره
فقد زخرف الله لي مكة * بأنوار كعبته الزاهره
وزخرف لي بالنبي يثربا * وبالملك الكامل القاهره

فقال الملك الكامل قل

وطيب لي بالنبي طيبة * وبالملك الكامل القاهره

وأظن أن المغربي أندلسي لقوله لئن صدني البحر عن موطني فلذلك أدخلته في أخبار الاندلسيين على غير تحقيق في ذلك والله أعلم * وأنشد أبو الوليد المعروف بابن الخليع قال أنشدنا أبو عمر بن عبد البر النمري الحافظ

تذكرت من يبكي علي مداوما * فلم ألف الا العلم بالدين والخبر
علوم كتاب الله والسنن التي * أتت عن رسول الله مع صحة الاثر
وعلم الالى من ناقديه وفهمها * له اختلفوا في العلم بالرأي والنظر

وأنشد له أيضا

مقالة ذي نصح وذات فوائد * اذا من ذوي الالباب كان استماعها
عليكم بآثار النبي فانه * من أفضل أعمال الرشاد اتباعها

وقال أبو الحسن عبد الملك بن عياش الكاتب الازدي الليابري وسكن أبوه قرطبة

مكابرة وأن خيل الاعراب أغارت على حمص وبعلبك والبقاع وغير ذلك مما نمي اليه من المفظعات في تلك الليلة فلم ير عبد الملك في ليلة قبلها أشد ضحكا ولا أحسن وجها ولا أبسط لسانا ولا أثبت جنانا منه تلك الليلة تجلدا وسياسة للملوك فترك اظهار الفشل وبعث باموال وهدايا الى ملك الروم فشغله وهادنه وسار الى فلسطين وبها بابل بن قيس على جيش ابن الزبير فالتقوا باجنادين فقتل بابل بن قيس وعامة أصحابه وانهزم الباقون ونمى خبر قتله وهزيمة الجيش الى مصعب بن الزبير وهو في الطريق فولى راجعا الى المدينة ففي ذلك يقول رجل من كلب من المروانية

قتلنا باجنادين سعدا وبابلا * قصاصا بما لاقى خنيس ومنذر

ورجع عبد الملك الى دمشق فنزلها وسار ابراهيم ابن الاشتر فنزل نصيبين وتحصن منه أهل الجزيرة ثم استخلف على نصيبين ولحق بالمختار بالكوفة وفي سنة سبع وستين سار مصعب بن الزبير من البصرة وقد كان أخوه عبد الله بن الزبير أنفذه الى العراق واليا فنزل جوراء

عصيت هوى نفسي صغيرا وعندما * رمتني الليالي بالمشيب وبالكبر
أطعت الهوى عكس القضية ليتني * خلقت كبيرا وانتقلت الى الصغر

وقيل ان ابنه أبا الحسن علي بن عبد الملك قال بيتا مفردا في معنى ذلك وهو

هنيئا له اذ لم يكن كابنه الذي * أطاع الهوى في حالتيه وما اعتبر

وقيل ان هذا البيت رابع أربعة أبيات * وقال أبو اسحق بن خفاجة لما اجتمع به أبو العرب وسأله عن حاله وقد بلغ في عمره احدى وثمانين سنة فأنشده لنفسه

أي عيش أو غداء أو سنه * لابن احدى وثمانين سنه
قلص الشيب به ظل امرئ * طالما جر صبا حارسنه
تارة تسطو به سيئة * تسخن العين وأخرى حسنه

وقال أبو محمد عبد الوهاب بن محمد القيسي المالقي

الموت حصاد بلا منجل * يسطو على القاطن والمنجلي
لا يقبل العذر على حالة * ما كان من مشكل أو من جلي

وقال الشيخ عبد الحق الاشبيلي الازدي صاحب كتاب العاقبة والاحكام وغيرهما

ان في الموت والمعاد لشغلا * واد كار الذي الهى وبلاغا
فاغتنم خطتين قبل المنايا * صحة الجسم يا أخي والفراغا

وقال أبو الفضل عبد المنعم بن عمر بن عبد الله بن حسان الغساني من أهل جليانة من عمل وادي آش

ألا انما الدنيا بحار تلاطمت * فما أكثر الغرقى على الجنبات
وأكثر من صاحبت يغرق الفه * وقل فتى ينجي من الغمرات

وكان المذكور من أهل العلم والادب رحل وحج وتجول في البلاد ونزل القاهرة المعزية وكان أحد السياحين في الارض وله تآليف منها جامع انماط الوسائل في القريض والخطب والرسائل وأكثره نظمه ونثره رحمه الله تعالى * وقال عبد العليم بن عبد الملك ابن حبيب القضاعي الطرطوشي

وما الناس الا كالصحائف عبرة * وألسنهم الا كمثل التراجم
اذا اشتجر الخصمان في فطنة الفتى * فقوله في ذاك أعدل حاكم

وقال أبو الحكم عبد المحسن البلنسي

من كان للدهر خدنا في تصرفه * أبدت له صفحة [illegible]
من كان خلوا من الآداب سربله * من الليالي [illegible]

وقال أبو حاتم عمر بن محمد بن فرج من أهل مبرتله مدينة [illegible] الدين القضاعي

شهب السماء ضياؤها مستور * عنا اذا أفلت توارى النور
فانزع هديت الى شهاب نوره * متألق آماله تبصير
تشفي جواهر القلوب من العمى * ولطالما انشرحت بهن صدور

قتل محمد بن الاشعث وابنان له ودخل قصر الامارة بالكوفة وتحصن فيه وكان يخرج كل يوم لمحاربة مصعب وأصحابه وأهل الكوفة وغيرهم والمختار معه خلق كثير من الشيعة قد سموا الحسينية من الكيسانية وغيرهم فخرج اليهم ذات يوم وهو على بغلة له شهباء فحمل عليه رجل من بني حنيفة يقال له عبد الرحمن ابن أسد فقتله واحتز رأسه وتنادوا بقتله فقطعه أهل الكوفة وأصحاب مصعب أعضاء وأبى مصعب أن يعطي الامان لمن بقي في القصر من أصحابه فحاربوا الى أن أضربهم الجهد ثم أمنهم وقتلهم بعد ذلك فكان ممن قتل مع مصعب عبد الله بن الحسين بن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه وله خبر مع المختار في تخلصه منه ومضيه الى البصرة وخوفه على نفسه

[illegible] الزمان فكان جملة من أدركه الاحصاء ممن قتله مصعب مع المختار سبعة آلاف رجل كل هؤلاء

طالبوا بدم الحسين وقتلوا أعداءه فقتلهم مصعب وسماهم الحسينية وتتبع مصعب الشيعة بالقتل بالكوفة وغيرها

فاذا أتى فيه حديث محمد * خذ فى الصلاة عليه يا مغرور
وترحم على القضاعى الذى * وضع الشهاب فسعيه مشكور

وقال الاستاذ أبو محمد غانم بن الوليد المخزومى المالقى

ثلاثة يجهل مقدارها * الأمن والصحة والقوت
فلا تثق بالمال من غيرها * لو أنه در و ياقوت

وتذكرت بهذا قول الآخر

اذا ما القوت يأتى لك والصحة والأمن
وأصبحت أخا حزن * فلا فارقك الحزن

وكل ذلك أصله الحديث النبوى من أصبح آمنا فى سربه معافى فى بدنه معه قوت يومه فكأنما سيقت له الدنيا بحذافيرها وأخبرنا شيخنا القاضى أبو عبد الله محمد بن قاسم القيسى مفتى مدينة فاس وخطيبها سنة عشر وألف قال حدثنا شيخنا أبو عبد الله محمد بن أبى الفضل التونسى نزيل فاس الشهير بخروف حدثنا الامام سيدى فرج الشريف الطخطعانى قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم يقول من أصبح آمنا فى سربه الحديث * (رجع) *

وقال الاستاذ العارف بالله سيدى أبو العباس أحمد بن العريف الاندلسى دفين مراكش وقد زرت قبره بها سنة ١٠١٠

اذا نزلت بساحتك الرزايا * فلا تجزع لها جزع الصبى
فان لكل نازلة عزاء * بما قد كان من فقد النبى

وقال رحمه الله تعالى

شدوا الرحال وقد نالوا المنى بمنى * وكلهم بأليم الشوق قد باحا
راحت ركائبهم تندى روائحها * طيبا بما طاب ذاك الوفد أشباحا
نسيم قبر النبى المصطفى لهم * راح اذا سكروا من أجله فاحا
يا راحلين الى المختار من مضر * زرتم جسوما وزرنا نحن أرواحا
أنا أقمنا على شوق وعن قدر * ومن أقام على عذر كمن راحا

وقال أبو محمد المحاربى

داء الزمان وأهله * داء يعز له العلاج
أطلعت فى ظلمائه * رأيا كما سطع السراج
لمعاشر أعيا تقا * فى من قناتهم اعوجاج
كالدر ما لم تختبر * فاذا اختبرت فهم زجاج

وقال أبو عبد الله غريب الثقفى القرطبى

تهددنى بمخلوق ضعيف * يهاب من المنية ما أهاب
له اجل ولى اجل وكل * سيبلغ حيث يبلغه الكتاب
وما يدرى لعل الموت منه * قريب أينما منه المصاب

وله

أيها الآمل ما ليس له * طالما غرك جهلا أمله

والثانية ابنة النعمان بن بشير الانصارى وقالتا كيف تتبرأ من رجل يقول ربى الله كان صائم نهاره قائم ليله قد بذل دمه لله ولرسوله فى طلب قتلة ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهله وشيعته فأمكنه الله منهم حتى شفى النفوس فكتب مصعب الى أخيه عبد الله يخبرهما وما قالتاه فكتب اليه أن رجعتا عما هما عليه وتبرأتا منه والا فاقتلهما فعرضهما مصعب على السيف فرجعت بنت سمرة ولعنته وتبرأت منه وقالت لو دعوتنى الى الكفر مع السيف لكفرت اشهد أن لمختار كافر وأبت ابنة النعمان بن بشير وقالت شهادة أرزقها فاتركها كلا انها موتة ثم الجنة والقدوم على الرسول وأهل بيته والله لا يكون آتى مع ابن هند فاتبعه واترك ابن أبى طالب اللهم اشهد أنى متبعة لنبيك وابن بنته وأهل بيته وشيعته ثم قدمها فقتلت صبرا فى ذلك يقول الشاعر

ان من أعجب الاعاجيب عندى
قتل بيضاء حرة عطبول
قتلوها ظلما على غير جرم * ان لله در هلمن قتيل

كتب القتل والقتال علينا * وعلى الغانيات جر الذيول ربما

ربما بات يمنى نفسه * غانه دون مناه أجله
وفتى بكر فى حاجاته * عاجلا أعقبه ثاجله
قل لمن مثل فى أشعاره * يذهب المرء ويبقى مثله
نافس المحسن فى احسانه * فسيكفيك مسيئا عمله

قال ابن الابار وهذا البيت الاخير فى برنامج الطبنى * وقال أبو الحسين سليمان بن الطراوة النحوى المالقى

وقائلة اتصبو للغوانى * وقد أمضى بمفرقك النهار
فقلت لما حثثت على التصابى * أحق الخيل بالركض المعار

وقال الحافظ أبو الربيع بن سالم

اذا رمت نفسى مجال أحلتها * على أمل ناء فقصرت به النفس
وأنزل أرجاء الرجاء ركائبى * اذا رام المامابساحتى اليأس
وان أوحشتنى من أمانى نسوة * فلى فى الرضا بالله والقدر الانس

وقال أبو الحسن سلام بن عبد الله بن سلام الباهلى الاشبيلى مما أنشده لنفسه فى كتابه الذى سماه بالذخائر والاعلاق فى أدب النفوس ومكارم الاخلاق

اذا تم عقل المرء تمت فضائله * وقامت على الاحسان منه دلائله
فلا تنكر الابصار ماهو فاعله * ولا تنكر الاسماع ماهو قائله

وكان ابو المذكور من وزراء المعتمد بن عباد رحم الله تعالى الجميع * وقال أبو بكر الزبيدى اللغوى

اترك الهم اذا ما طرقك * وكل الامر الى من خلقك
واذا أمل قوم أحدا * فالى ربك فامدد عنقك

وقال القاضى أبو الوليد هشام بن محمد القيسى الشلبى المعروف بابن الطلاء وضت القاضى أبا محمد عبد الله بن شبرين مايحذر من فتنة النظر الى الوجوه الحسان فقلت

لاتنظرن الى زى رونق أبدا * واحذر عقوبة مايأتى به النظر
فكم صريع رأيناه صريع هوى * من نظرة قادها يوما له القدر

فاجابنى فى المعنى الذى انتحيته

اذا نظرت فلا تولع بتقليب * فربما نظرة عادت بتعذيب

ورب هنا للتكثير * وقال الاستاذ ابن حوط الله

أتدرى انك الخطاء حقا * وأنك بالذى تاتى رد
وتغتاب الالى فعلوا وقالوا * وذاك الظن والافك

قال فى الاحاطة أبو محمد عبد الله بن سليمان بن داود بن عمر بن حوط الله الانصارى الخزرجى كان فقيها جليلا أصوليا كاتبا أديبا شاعرا متفننا فى العلوم ورعا دينا حافظا ثبتا فاضلا درس كتاب سيبويه ومستصفى أبى حامد الغزالى وكان رحمه الله تعالى مشهورا بالعقل والفضل معظما عند الملوك معلوم القدر لديهم يخطب فى مجالس الامراء والمحافل الجمهورية

خمس وستين وثانمائة هو الذى تنسب اليه الاثارة من الخوارج اذ كنا أتينا فى كتابنا اخبار الزمان على ذكر حروب الخوارج مع المهلب وغيره ممن سلف وخلف وذكرنا شأن مرداس بن عمرو بن بلال التميمى وعطية بن الاسود الحنفى وأبى فديك وسودة الشيبانى ووقعة ابن الماجور الخارجى مع المهلب ومقتله وظفر المهلب بهم فى ذلك اليوم وخبر عبد ربه وأخبار خوارج اليمن كابى حمزة المختار بن عوف الازدى وبيهس الهيصمى مع ماتقدم من ذكرنا لفرق الخوارج فى كتابنا المقالات فى أصول الديانات من الاباضية وهم سراة عمان من الازد وغيرهم من الازارقة والنجدات والحمرية والصفرية وغيرهم من فرق الخوارج وبلدانهم من الارض مثل بلاد سنجار وتل أعفر من بلاد ديار ربيعة والسن والبواقريح

وهم المعروفون بالسراة منهم وأسلم المعروف بابن سادلوبه وقد كان ملك على أعمال ابن أبى الساج من

٦٥ ط ني بلاد اذربيجان وارمان والبيلقان وارمينية ومن سكن منهم بلاد سجستان وجبال هراة وهشتاذ

مقدما فى ذلك بلاغة وفصاحة الى أبعد مضمار ولى قضاء اشبيلية وقرطبة ومرسية وسبتة وسلا وميورقة فتظاهر بالعدل وعرف بما بطن من الدين والفضل وكان من العلماء العاملين مجانبا لاهل البدع والاهواء بارع الخط حسن التقييد وسمع الحديث فحصل له سماع لم يشاركه فيه أحد من اهل الغرب وسمع على الجهابذة كابن بشكوال وغيره وقرأ اكثر من ستين تاليفا بين كبار وصغار وكمل له على أبى محمد بن عبد الله بن قراعة وسماع نحو من ستة وثلاثين تأليفا منها الصحيحان واكثر عن ابن حبيش وابن الفخار والسهيلى وغيرهم ومولده فى محرم سنة ٥٤١ ومات بغرناطة سحر يوم الخميس ثانى ربيع الاول سنة ٦١٢ ونقل منها فى تابوته الذى احمد فيه يوم السبت تاسع عشر شعبان من السنة المذكورة الى مالقة فدفن بها رحمه الله تعالى انتهى و بعضه بالمعنى مختصرا وللمذكور ترجمة واسعة جدا ولمعت بما ذكر على وجه التبرك بذكره رحمه الله تعالى ورضى عنه * وقال أبو المتوكل الهيثم ابن أحمد السكونى الاشبيلى

يخفى الفقير و يغشى الناس قاطبة * باب الغنى كذا حكم المقادير
وانما الناس أمثال الفراش فهم * يرون حيث مصابيح الدنانير

وقال تلميذه ابن الابار أنشدنى بعض اصحابنا عنه هذين البيتين ولم أسمعهما منه انتهى (قلت) وبهذا تعرف وهم من نسب البيتين الى عبد المهيمن الحضرمى وقد انشدهما ايضا ابن الجلاب الفهرى فى روح الشعر وروح الشحر * وقال أبو محمد القاسم بن الفتح الحجارى المعروف بابن افرولة

ركابى بارجاء الرجاء مناخة * وراشدها علمى بانك لى رب
وانك علام بما أنا قائل * كما أنت علام بما أضمر القلب
لئن آداها ذنب تولت بعبئه * لقد قرعت بابا به يغفر الذنب

وقال ايضا

عجبا لحبر قد تيقن انه * سيرى اقتراف يديه فى ميزانه
ثم امتطى ظهر المعاصى جهرة * لم يثنه التأنيب عن عصيانه
أنى عصى ولكل جزء نعمة * من نفسه وزمانه ومكانه

وقال الشاعر الكبير الشهير أبو بكر يحيى بن عبد الجليل بن مجبر الفهرى

ان الشدائد قد تغشى الكريم لأن * تبين فضل سجاياه وتوضحه
كبرد القين اذ يعلو الحديد به * وليس يا كله الا يصلحه

وقال

لا تغبط المجدب فى علمه * وان رأيت الخصب فى حاله
ان الذى ضيع من نفسه * فوق الذى أثمر من ماله

وقال أبو الحجاج يوسف بن احمد الانصارى المنصفى البلنسى

قالت لى النفس أتاك الردى * وأنت فى بحر الخطايا مقيم
هل اتخذت الزاد قالت اقصرى * هل يحمل الزاد لدار الكريم

و بوشنج من بلاد خراسان وحريتو منهم ببلاد حران اصلهم وصاهد بين كرمان وفارس ومنهم ببلاد تيهرت المغرب ومنهم ببلاد حضرموت وغيرها من بقاع الارض وفى سلطنة عبد الملك مات أبو العباس عبد الله بن العباس بن عبد المطلب فى سنة ثمان وستين وقيل فى سنة تسع وستين بالطائف وأمه لبابة بنت الحرث بن حزن من ولد عامر بن صعصعة وله احدى وسبعون سنة وقيل انه ولد قبل الهجرة بثلاث سنين وقد ذكر عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس أنه قال قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ابن عشر سنين وصلى عليه محمد بن الحنفية وكان قد ذهب بصره لبكائه على على والحسن والحسين وكانت له وفرة طويلة يخضب شيبه بالحناء وهو الذى يقول

ان يأخذ الله من عينى نورهما * ففى لسانى وقلبى منهما نور
قلبى ذكى وعقلى غير مدخول * وفى فمى صارم كالسيف مأثور

وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم دعا له حين وضع له الماء للطهر فى بيت خالته ميمونة زوج النبى صلى الله عليه وسلم فقال اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل وقيل لابن عباس وكان

وكان المنصف المذكور صالحا وله رحلة حج فيها وسال الى علم التصوف رحمه الله تعالى وله فيه أشعار رحلت عنه * وقال أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن الصائغ القرشي الاموي الاندلسي مخمسا أبيات عز الدين بن جماعة قاضي القضاة رحمه الله تعالى

هم الابي على مقدار منصبه * وبسط راحته في طي منصبه
ما أنت والدهر تشكو من تقلبه * يا مبتلى بقضاء قد بليت به
عليك بالصبر واحذر يا أخي جزعك
صبرا فلا صبر في حرب العدا أحد * ذر العدو يمته الغيظ والحسد
ولا يكن لك الا الله معتمد * واعلم بان جميع الخلق لو قصدوا
أذاك لم يقدروا والله قد رفعك
أعلاك في رتب غر معظمة * بالعرف معروفة بالعلم معلمة
ومن يناويك في بهماء مظلمة * فاصرف هواك وجانب كل مظلمة
واصحب فديتك من بالنصح قد نفعك
قد اجتليت من الايام تبصرة * وقد كفاك المدى والذكر تذكرة
فاشكر وقدم مع الاخلاص معذرة * واسال الملك في الاسحار مغفرة
منه وكن معه حتى يكون معك

وتوفي المذكور بالقاهرة في الثامن عشرون العام سنة ٧٤٩ * وقال أبو عبد الله الحميدي

الناس نبت وأرباب القلوب لهم * روض وأهل الحديث الماء والزهر
من كان قول رسول الله حاكمه * فلا شهود له الا الالى ذكروا

وقال أيضا

من لم يكن للعلم عندي فنائه * أرج فان بقاءه كفنائه
بالعلم يحيا المرء طول حياته * فاذا انقضى احياه حسن ثنائه

وقال ايضا

دين الفقيه حديث يستضيء به * عند الحجاج والا كان في الظلم
ان تاه ذو مذهب في قفر مشكلة * لاح الحديث له في الوقت كالعلم

ولما تعرض بعض من لا يبالي بما ارتكب الى اصحاب الحديث بقوله

أرى الخير في الدنيا يقل كثيره * وينقص نقصا والحديث يزيد
فلو كان خيرا كان كالخير كله * ولكن [illegible]
ولابن معين في الرجال مقالة * فيسئل [illegible]
فان يك حقا قوله فهي غيبة * وان يك [illegible]

أجابه الامام أبو عبد الله الحميدي بقصيدة طويلة منها

وأني الى ابطال قولك قاصد * ولي من شهادات النصوص جنود
اذا لم يكن خيرا كلام نبينا * لديك فان الخير منك بعيد
وأقبح شيء أن جعلت لما أتى * عن الله شيطانا وذاك شديد

الحكمين فقال منعه من ذلك حائل القدر وقصر المدة ومحنة الابتلاء أما والله لو بعثني مكانه لاعترضت مدارج نفسه ناقضا لما أبرم ومبرما لما نقض أسفا اذا طار وأطير اذا أسف ولكن مضى قدر وبقي أسف ومع اليوم غدا وللآخرة خير للمتقين وكان لابن عباس من الولد علي وهو أبو الخلفاء من بني العباس والعباس ومحمد والفضل وعبد الرحمن وعبيد الله وأبابة وأمهم رعبة بنت مسرح الكندية فأما عبيد الله ومحمد والفضل فلا اعقاب لهم (وفي سنة سبعين) قتل عبد الملك بن مروان عمرو بن سعيد بن العاص الاشدق وهو عمرو بن سعيد بن العاص ابن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف وكان ذا شهامة وفصاحة وبلاغة واقدام وكان بينه وبين عبد الملك محادثات ومكاتبات وخطب [illegible]

اليه عمرو واستدراج النعم اياك أفادك البغي ورائحة الغدرة أو رثتك الخفة زجرت عما وافت عليه

وندبت الى ما تركت سعيه ولو كان ضعف الاسباب يؤيس للطالب ما انتقل سلطان ولا ذل عزيز ومن قريب يبين

وقد كان عبد الملك سار الى زفر بن الحرث الكلابي وهو بقرقيسيا من بلاد

وما زلت في ذكر الزيادة مجبا * بها تبدئ التلبيس ثم تعيد
كلام رسول الله وحي ومن يرم * زيادة شئ فهو فيه عنيد

ومنها في ابن معين

وما هوا لاواحد من جماعة * وكلهم فيما حكوه شهود
فان صد من حكم الشهادة جاهل * فان كتاب الله فيه عتيد
ولولا رواة الدين ضاع واصبحت * معالمه في الآخرين تبيد
هم حفظوا الآثار من كل شبهة * وغيرهم عما اقتنوه رقود
وهم هاجروا في جمعها وتبادروا * الى كل أفق والمرام كؤود
وقاموا بتعديل الرواة وجرحهم * فدام صحيح النقل وهو جديد
بتبليغهم صحت شرائع ديننا * حدود تحروا حفظها وعهود
وصح لاهل النقل منها احتجاجهم * فلم يبق الا عاند وحقود
وحسبهم أن الصحابة بلغوا * وعنهم رووا ليستطاع جحود
فمن حاد عن هذا اليقين فمارق * مريد لاظهار الشكوك مريد
ولكن اذا جاء الهدى ودليله * فليس لموجود الضلال وجود
وان رام أعداء الديانة كيدها * فكيدهم بالمخزيات مكيد

وقال ابو بكر محمد بن محمد بن محرز الزهري البلنسي والتزم الراء في كل كلمة

اشكر لربك وانتظر * في اثر عسر الامر يسرا
واصبر لربك وادخر * في ستر ضر الفقر أجرا
فالدهر يعثر بالورى * والصبر بالاحرار احرى
والوفر أظهر معشرا * والفقر بالاخيار يغرى

وقال ايضا

اقنع بما أوتيته تنل الغنى * واذا دهتك ملمة فتصبر
واعلم بان الرزق مقسوم فلو * رمنا زيادة ذرة لم نقدر
والله أرحم بالعباد فلا تسل * بشرا تعش عيش الكرام وتؤجر
واذا سخطت لضر حالك مرة * ورأيت نفسك قد عدت فاستبصر
وانظر الى من كان دونك تذكر * لعظيم نعمته عليك فتشكر

وقال الحافظ أبو محمد بن حزم أنشدني والدي أحمد بن سعيد بن حزم

اذا شئت أن تحيا غنيا فلا تكن * على حالة الا رضيت بدونها

وقال القاضي أبو العباس أحمد بن العماز البلنسي نزيل تونس

وقالوا أما تخشى ذنوبا أتيتها * ولم تك ذا جهل فتعذر بالجهل
فقلت لهم هبني كما قد ذكرتم * تجاوزت في قولي واسرفت في فعلي
أما في رضا مولى الموالي وصفحه * رجاء ومسلاة لمقترف مثلي

وانشد رحمه الله تعالى لنفسه في اليوم الذي مات فيه وهو آخر ما سمع منه ليلة عاشوراء

من صريع بفي وأسير غفلة الرحبة وخلف عمرو بن سعيد بدمشق فبلغه أن عمرا قد دعا الى بيعته بدمشق فكر راجعا اليها فامتنع عمرو فيها فناشده عبد الملك الرحم وقال له لا تفسد أهل بيتك وما هم عليه من اجتماع الكلمة وفيما صنعت قوة ارجع الى بيعتك فاني سأجعل لك العهد فرضي وصالح ودخل عبد الملك وعمرو متحيز منه في نحو خمسمائة يزولون معه حيث زال وقد تنازع أهل السير في كيفية قتل عبد الملك اياه فمنهم من رأى أن عبد الملك قال لحاجبه و يحك أتستطيع اذا دخل عمرو أن تغلق الباب قال نعم قال فافعل وكان عمرو رجلا عظيم الكبر لا يرى لاحد عليه فضلا ولا يلتفت وراءه اذا مشى الى أحد فلما فتح الحاجب الباب دخل عمرو فاغلق الحاجب الباب دون أصحابه ومضى عمرو لا يلتفت وهو يظن أن أصحابه قد دخلوا معه كما كانوا يدخلون فعاتبه عبد الملك طويلا وقد كان وصى صاحب حرسه أبا الزعيزعة بان يضرب عنقه فكلمه عبد الملك

وأغلظ له القول فقال يا عبد الملك أتستطيل علي كأنك ترى لك علي فضلا ان شئت والله نقضت

امعهد بيني وبينك ثم نصبت لك الحرب فقال عبد الملك قد شئت ذلك فقال وأنا قد

سنة ٦٩٣

ادعوك يارب مضطرا على ثقة * بما وعدت كما المضطر يدعوكا
دارك بعفوك عبدا لم يزل أبدا * في كل حال من الاحوال يرجوكا
طالت حياتي ولما اتخذ عملا * الا محبة أقوام أحبوكا

وقال ابن الزقاق ويقال انها مكتوبة على قبره

اخواني الموت قد حال دوننا * وللموت حكم نافذ في الخلائق
سبقتكم للموت والعمر طيبة * وأعلم أن الكل لابد لاحق
بعيشكم أو باضطجاعي في الثرى * ألم نك في صفو من العيش رائق
فمن مربي فليمض لي مترحما * ولابك منسيا وفاء الاصادق

وقال الخطيب أبو عبد الله محمد بن صالح الكناني الشاطبي ومولده سنة ٦١٤

أرى العمر يفنى والرجاء طويل * وليس الى قرب الحبيب سبيل
حباه اله الخلق أحسن سيرة * فما الصبر عن ذاك الجمال جميل
متى يشتفي قلبي بلثم ترابه * ويسمح دهر بالمزار بخيل
دلالت عليه في اوائل اسطري * فذاك نبي مصطفى ورسول

وقال أيمن بن محمد الغرناطي نزيل طيبة على ساكنها الصلاة والسلام

أرى حجرات قد أحاطت عراصها * ببحر محيط حصره غير ممكن
بحار المعاني والمعالي وان طمت * لدى لجه تفنى وعن هوله تني
محمد المحمود في كل موطن * أبو القاسم المختار من خير معدن
نبي اذا أبصرت غرة وجهه * تيقنت أن العز عز المهيمن
لك الله من بدر اذا الشمس قابلت * محياه قالت ان ذا طالع سني

وله كل القلوب مطيعة لك في الهوى * جانب فديتك من تشا أو والى
الحسن وال والقلوب رعية * وعلى الرعية أن تطيع الوالى

وقال أيضا

الا أيها الباكي على ما يفوته * من الحظ في الدنيا جهلت وما تدري
على فوت حظ من جوار محمد * حقيق بأن تبكي الى آخر العمر
ستدري اذا ما قد رفع اللوا * وأحمد هادينا الى موقف الحشر
من الفائز المغبوط في يوم حشره * أجار النبي المصطفى أم أخو الوفر

وله فررت من الدنيا الى ساكن الحمى * فيا فرار محب [illegible]
لجأت الى هذا الجناب وانما * لجأت الى [illegible]
وناديت مولاي الذي عنده الغنى * نداء عليل في [illegible]
أمولاي اني قد أتيتك لائذا * وأنت طبيبي يا أجل طبيب
فقال لك البشرى ظفرت من الرضا * بأوفر حظ مجزل ونصيب
تناومت في أطلال ليل شبيبتي * فأدركني بالفجر صبح مشيبي

فعلت فقال عبد الملك شيبا أبا الزعيزعة شأنك فالتقت عمرو الى أصحابه فلم يرهم في الدار فدنا من عبد الملك فقال ما يدنيك مني قال ليمسني رحمك وكانت أم عمرو عمة عبد الملك تحت الحكم بن أبي العاص بن وائل فضرب به أبو الزعيزعة فقتله فقال له عبد الملك ارم برأسه الى أصحابه فلما رأوا رأسه تفرقوا ثم خرج عبد الملك فصعد المنبر وذكر عمرا فوقع فيه وذكر خلافه وشقاقه ونزل من المنبر وهو يقول

ادنيته مني لتسكن نفرة * فاصول صولة حازم مستمكن
غضبا ومحماة لدي انه * ليس المسيء سبيله كالمحسن

وقيل ان عمرا خرج من منزله يريد عبد الملك فعثر بالبساط فقالت له امرأته نائلة بنت فرافصة بن وكيع بن مسعود أنشدك الله أن لا تأتيه فقال دعيني عنك فوالله لو كنت نائما ما أيقظني [illegible]

[illegible] عبد الملك وقد أغلقت الابواب اني كنت حلفت لئن ملكتك لاشدنك في حامعة فاتى بحامعة فوضعها في عنقه وشدها عليه فايقن عمرو أنه قاتله فقال أنشدك الله يا أمير المؤمنين فقال له عبد الملك يا أبا أمية ما لك يشت

وقال أبو بكر الزبيدي اللغوي

لولم تكن نار ولا جنة * للمرء الا انه يقبر
لكان فيه واعظ زاجر * ناه لمن يسمع أو يبصر

ولقد صدق رحمه الله تعالى ورضي عنه * ولبعض فقهاء طبيرة

رأيت الانقباض أجل شئ * وادعى في الامور الى السلامه
فهذا الخلق سالمهم ودعهم * فرؤيتهم تؤول الى الندامه
ولا تعنى بشئ غير شئ * يقود الى خلاصك في القيامه

وأمر الكاتب أبو بكر بن مفاوز بكتب هذه الابيات على قبره وهي له

أيها الواقف اعتبارا بقبري * استمع فيه قول عظمي الرميم
أودعوني بطن الضريح وخافوا * من ذنوب كلومها بادميمي
قلت لا تقنطوا فعفو الهي * حسن الظن بالرؤف الرحيم
ودعوني بما كسبت رهينا * غلق الرهن عنده وهو ريم

وقال الخطيب بن صفوان

رأيتك يدنيني اليك تباعدي * فأبعدت نفسي لابتغائي في القرب
هربت له مني اليه فلم يكن * لي البعد في قربي فصح به قربي
فيارب هل نعمى على العبد بالرضا * ينال بها فوزا من القرب بالقرب

وقال الوادي آشي وهذا النظم معناه جليل ونكر ان القرب وان قبح عند العروضي فهو عند المحب جميل وهم القوم يسلم لهم في الافعال والاقوال وترتجى بركتهم في كل الاحوال انتهى * وقال بعض قدماء الاندلس

سئمت الحياة على جهها * وحق لذي السقم أن يسأما
فلا عيش الا لذي صحة * تكون له للتقى سلما

وذيله آخرهم فقال

ولا داء الا لمن لم يزل * يقارب في دينه مأثما
فلست تعالج جرح الهوى * هديت بمثل التقى مرهما

وقال أبو جعفر أحمد السياسي القيسي المري

اذا ماجنى يوما عليك جناية * ظلوم يدق السمر ياسا ويقصف
فلا تنتقم يوما عليه بما جنى * وكل آمره للدهر فالدهر منصف

وقال أيضا

ليس حلم الضعيف حلما ولكن * حلم من لو يشاء صال اقتدارا
من تغاضى عن السفيه بحلم * أصبح الناس دونه أنصارا
من يزوج كريمة الهمة الطـ * ـاعلوا فقد أجاد الخيارا
ستريه عند الولادة منها * العلم والحلم والانا مكبارا

وقال الخطيب الصالح أبو اسحق بن أبي العاصي

في الدرع للقتال فايقن عمرو بالشر فقال أنشدك الله أن تخرجني الى الناس في الجامعة فقال له عبد الملك وتماكرني أيضا وأنا أمكر منك تريد أن أخرجك الى الناس فيمنعوك ويستنقذوك من يدي وخرج عبد الملك الى الصلاة وأمر أخاه عبد العزيز بقتله اذا خرج وقد قيل ان عمرو ابنه الوليد بذلك فلما دنا منه عبد العزيز ناشده عمرو بالرحم فتركه فلما رجع عبد الملك من الصلاة ورآه حيا قال لعبد العزيز والله ما أردت قتله من أجلكم الا لا يحوزها دونكم ثم أضجعه فقال له عمرو أغدرا يا ابن الزرقاء فذبحه ووالى أخو عمرو يحيى بن سعيد الى الباب بمن معه من رجاله ليكسره فخرج اليه الوليد ووالى عبد الملك فاقتتلوا واختلف الوليد ويحيى فضربه يحيى بالسيف على أليته فانصرع وألقى رأس عمرو الى الناس فلما رأوه تفرقوا من بعد أن ألقى عليهم من أعلى الدار بدر الدنانير فاشتغلوا بها عن القتال وقال عبد الملك وابيك لئن كانوا قتلوا الوليد لقد أصابوا بثارهم وقد كان الوليد فقد حين ضرب وذلك ان ابراهيم ابن عدي احتمله فادخله بيت القراطيس في المعمعة وأتى عبد الملك يحيى بن سعيد واجتمعت الكلمة

اعمل بعلمك تؤت علما نافعا * يجدوى علوم المرء منهج الاقوم
واذا الفتى قد نال علما ثم لم * يعمل به فكأنه لم يعلم

وقال موطئا على البيت الاخير

أمولاى أنت العفو الكريم * لبذل النوال وللمعذره
على ذنوب و تعنيفها * ومن عندك الجود والمغفره

وقال الخطيب المتصوف الشهير أبو جعفر أحمد بن الزيات من بلش مالقة

يقال خصال أهل العلم ألف * ومن جمع الخصال الالف سادا
ويجمعها الصلاح فمن تعدى * مذاهبه فقد جمع الفسادا

وقال أيضا

ان شئت فوز اب طلوب الكرام غدا * فاسلك من العمل المرضى منهاجا
واغلب هوى النفس لا يغررك خادعه * فكل شئ يحط القدر منهاجا

يقال الاديب الكبير الشهير أبو محمد عبد الله بن محمد بن سارة البكرى الشنترينى رحمه الله تعالى

بنو الدنيا بجهل عظموها * فجلت عندهم وهى الحقيره
يهارش بعضهم بعضا عليها * مهارشة الكلاب على العقيره
أى عذر يكون لا أى عذر * لابن سبعين مولع بالصبابه
وهو ما لم تبق منه الليالى * فى اناء الحياة الا الصبابه

وقال أيضا

ولقد طلبت رضا البرية جاهدا * فاذا رضاهم غاية لا تدرك
وأرى القناعة للفتى كنزا له * والبر أفضل مايه يتمسك

وقال أبو محمد بن صاحب الصلاة الدانى ويعرف بعبدون

وعجل شيبى ان دا الفضل مبتلى * بدهر غداذو النقص فيه مؤملا
ومن نكد الدنيا على المرء أن يرى * بها الحر يشقى والئيم موملا
متى ينعم المعتر عينا اذا اعتفى * جوادا مقلا أو غنيا مبخلا

وقال أبو الحكم عبيد الله الاموى مولاهم الاندلسى

اذا كان اصلاحى لجسمى واجبا * فاصلاح نفسى لا محالة أوجب
وان كان مايفنى الى النفس معجبا * فان الذى يبقى الى العقل أعجب

وقال الفقيه الزاهد أبو اسحق ابراهيم بن مسعود الالبيرى رحمه الله تعالى

لله أكياس جفوا أوطانهم * فالارض أجمعها لهم أوطان
جالت عقولهم مجال تفكر * وجلالة فبدا لهم [illegible]
وركبت بحار الفهم فى فلك النهى * وجرى بها الاخلا[illegible]
فرست بهم لما انتقوا بحفونهم * مرسى لهم فيه [illegible]

وقال أبو جعفر بن خاتمة رحمه الله تعالى

يا من يغيث الورى من بعد ما قنطوا * ارحم عبادا أكف الفقر قد بسطوا
عودتهم بسط أرزاق بلا سبب * سوى جميل رجا منحوه انبسطوا

ثم عاد من العراق الى باجيرا ففى ذلك يقول الشاعر أبيت يا مصعب الا

أتينا على ذلك فى كتابنا أخبار الزمان وقد ذكرنا شعر أخته فيه وكانت تحت الوليد بن عبد الملك فيما يرد من هذا الكتاب فى أخبار المنصور اذ هو الموضع المستحق له دون هذا الموضع لما تغلغل بنا الكلام وتسلسل بنا القول نحوه وأقام عبد الملك بدمشق بقية سنة سبعين وقد كان مصعب بن الزبير خرج حين صفا له العراق بعد قتل المختار وأصحابه حتى انتهى الى الموضع المعروف بباجيرا مما يلى الجزيرة يريد الشأم لحرب عبد الملك فبلغه مسير خالد بن عبد الله ابن خالد بن أسيد من مكة الى البصرة فى ولده وعدة من مواليه نا كثا لبيعة عبد الله بن الزبير فنزل بعض نواحى البصرة وان قوما قد انضافوا اليه من ربيعة ومنهم عبد الله بن الوليد ومالك بن مسمع البكرى وصعوان بن الايهم التميمى

بعد الله فخرج هاربا بابنيه حتى لحقوا بعبد الملك وانصرف مصعب راجعا الى البصرة وذلك فى سنة احدى وسبعين فى كل يوم للشباجيرا

وعدت بالفضل في وردوفي صدر * بالجود ان اقسطوا والحلم ان قسطوا
عوارف ارتبطت شم الانوف لها * وكل صعب بقيد الجود يرتبط
يا من تعرف بالمعروف فاعترفت * بجم انعامه الاطراف والوسط
وعالما بخفيات الامور فلا * وهم يجوز عليه لا ولا غلط
عبد فقير ببابالجود منكسر * من شأنه أن يوافي حين ينضغط
مهما أتى لمد الكف أخجله * قبائح وخطايا أمرها فرط
ياواسعا ضاق خطو الخلق عن نعم * منه اذا خطبوا في شكرها خبطوا
وناشرا بيد الاجمال رحمته * فليس يلحق منه مزقا قنط
ارحم عبادا بضنك العيش قد قنعوا * فاينما سقطوا بين الورى لقطوا
اذا توزعت الدنيا فما لهم * غير الجنة الخف والثرى بسط
لكنهم من ذرا عليائك فنط * سام رفيع الذرا ماوقه غبط
ومن يكن بالذي يهواه مجتمعا * فما يبالي أقام الحي أم شحطوا
نحن العبيد وأنت الملك ليس سوى * وكل شئ يرجى بعد ذا شحط

وقال رحمه الله تعالى

ملاك الامر تقوى الله فاجعل * تقاه عدة لصلاح أمرك
وبادر نحو طاعته بعزم * فما تدري متى يمضي بعمرك

وقال أيضا

اذا كنت تعلم أن الامور * بحكم الاله كما قد قضى
ففيم التفكر والحكم ماض * ولا رد للحكم مهما مضى
فضل الوجود كما شاءه * مدبره وابغ منه الرضا

وقال

اذا ما الدهر نابك منه خطب * وشد عليك من حنق عقاله
فكل لله أمرك لا تفكر * ففكرك فيه خبط في حباله

وقال

عدوك داره ما استطعت حتى * يعود لديك كالخل الشفيق
فما في الارض أردى من عدو * وما في الارض أجدى من صديق

وقال

ان اعرضت دنياك عنك بوجهها * وغدت ومنها في رضاك نزاع
فاحذر بنيها واحتفظ من شرهم * ان البنين لأمهم أتباع

وقال

يا مجيب المضطر عند الدعاء * منك دائي وفي يديك دوائي
جذبتني الدنيا اليها بضبعي * ودعتني لحتفي وشقائي
يا الهي وأنت تعلم حالي * لا تذرني شماتة الاعداء

وقال الحافظ الكبير الشهير أبو عبد الله الحميدي صاحب الجمع بين الصحيحين رحمه الله تعالى

كتاب الله عز وجل قولي * وما صحت به الآثار ديني
وما اتفق الجميع عليه بدأ * وعودا فهو عن حق مبين
فدع ما صد عن هذي وخذها * تكن منها على عين اليقين

وقال

طريق الزهد أفضل ما طريق * وتقوى الله بادية الحقوق

ونزل عبد الملك بن مروان ابن الزبير فنزل على امامته وبايعه وسار عبد الملك فنزل على نصيبين وفيها يزيد والحبيشي مواليا الحرث في الفي فارس ممن بقي من أصحاب المختار يدعوان الى امامة محمد بن الحنفية فحاصرهم فنزلوا على حكمه وانضافوا الى جملته وخرج مصعب في أهل العراق وذلك في سنة اثنتين وسبعين يريد عبد الملك وداف اليه عبد الملك في عساكر مصر والجزيرة والشام فالتقوا بمسكن قرية من أرض العراق على شاطئ دجلة وعلى مقدمة عبد الملك الحجاج بن يوسف بن أبي عقيل الثقفي وقيل على ساقته وقد جد أمره في قيامه بما أهل له فكاتب عبد الملك رؤساء أهل العراق ممن هو بعسكر مصعب وغيرهم وصار يرغبهم ويرهبهم فكان فيمن كتب اليه ابراهيم ابن الاشتر النخعي فلما أتاه كتابه مع الجاسوس اعتقله في رحله وأتى مصعبا بالكتاب قبل أن يفضه ويعلم ما فيه فقال له مصعب أقرأته فقال أعوذ بالله أن أقرأه حتى يقرأه الامير وآتي يوم القيامة غادرا قد نقضت بيعته وخلعت طاعته فلما تأمل مصعب ما فيه وجده أمانا له وولاية لما شاء من العراق واقطاع

فثق بالله يكفك واستعنه * يعنك وذر بنيات الطريق

وقال أبو بكر مالك بن جبير رحمه الله تعالى

رحلت وأنني من غير زاد * وما قدمت شيأ للمعاد
ولكني وثقت بجود ربي * وهل يشقى المقل مع الجواد

وتوفي المذكور بأربونة أعادها الله تعالى الى الاسلام سنة ٥٦١ * وقال ابن جبير اليحصبي وهو الكاتب أبو عبد الله محمد

كلما رمت أن أقدم خيرا * لمعادي ورمت أني أتوب
صرفتني بواعث النفس قسرا * فتقاعست والذنوب ذنوب
رب قلب قلبي لعزمة خير * لمتاب ففي يديك القلوب

ولتعلم أن كلام أهل الاندلس بحر لا ساحل له ويرحم الله تعالى لسان الدين بن الخطيب حيث قال في صدر الاحاطة وهذا الغرض الذي وضعناه هذا التأليف يطابنا به ما قصدنا به من المباهاة والافتخار بالاكثار واستيعاب النظام والنثار ويحملنا فيه خوف السآمة على الاختصار والاقتصار وكفى بهذا اجلاء في الاعذار والله تعالى مقيل العثار وساتر العيب المثار بفضله انتهى * ونختم هذا الباب بقول أبي زكريا يحيى بن سعد بن مسعود القلتي

عفوك اللهم عنا * خير شيء نتمنى
رب انا قد جهلنا * في الذي قد كان منا
وخطينا وخطلنا * ولهونا ومجنا
ان نكن رب أسأنا * ما أسأنا بك ظنا

وذيلته بقولي

فأنلنا الحلم بالحسنى وانعاما ومنا آمين

(الباب الثامن)

في ذكر تغلب العدو الكافر على الجزيرة الخضراء بعد صرف وجوه الكيد اليها وتصريبه بين دلو كها ور وسائها بمكره واستعماله في أمرها حيل فكره حتى استولى دمره الله تعالى عليها ومحا منها التوحيد واسمه وكتب على مشاهدها ومعاهدها وسمه وقرر مذهب التثليث والرأي الخبيث لديها واستغاث أهلها استغاثة ملهوف بالنظم والنثر أهل ذلك العصر من سائر الاقطار حتى تعذرت بحصارها مع قلة حماتها وأنصارها المآرب والاوطار وجاءها الاعداء من خلفها ومن بين يديها أعاد الله تعالى اليها كلمة الاسلام فيها شريعة سيد الانام عليه أفضل الصلاة والسلام ورفع يد الكفر عنه آمين يا معين (قال) غير واحد من المؤرخين أول من جمع قل النصارة غلبة العرب لهم على بلاي من أهل اشتوريش من أهل جليقية كان رجع أهل بلده فهرب من قرطبة أيام الحر بن عبد الرحمن الثقفي الثاني من امراء العرب بالاندلس وذلك في السنة السادسة من افتتاحها وهي سنة ثمان وتسعين من الهجرة وثار النصارى معه على نائب الحر بن عبد الرحمن فطردوه وملكوا البلاد وبقي الملك فيهم الى الآن وكان عدة

بكتاب فقال مصعب لا تقال ابراهيم والله لقد كاتبهم وما كاتبني حتى كاتب غيري ولا امتنعوا من ايصال المال اليك الا لبغضه والغدر بك فاطعني وابد أبهم فأمرهم على السيف أو استوثق منهم في الحديد والق هذا الرجل فأبى مصعب ذلك وتجهز ما كان في عسكره من ربيعة لقتاله ابن زياد بن ظبيان البكري وكان من سادات ربيعة وزعماء بكر بن وائل وسار ابراهيم بن الاشتر على مقدمة مصعب في مشرعة الخيل فلقي خيل عبد الملك ومقدمته عليها أخوه محمد ابن مروان وبلغ عبد الملك ورود ابراهيم ومنازلته محمدا أخاه فبعث الى محمد عزمت عليك أن لا تقاتل في هذا اليوم وقد كان مع عبد الملك منجم مقدم وقد أشار على عبد الملك أن لا تحارب له خيل في ذلك اليوم فانه منحوس وليكن حربه بعد ثلاث فانه ينصر

[illegible]

[illegible] ت من الكذب فقال عبد الملك للمنجم ولمن حضر الا ترون ثم رفع طرفه الى السماء وقال

من ملك منهم الى آخر أيام الناصر لدين الله اثنين وعشرين ملكا انتهى * وقال عيسى ابن أحمد الرازى فى أيام عنبسة بن سحيم الكلبى قام بأرض جليقية علج خبيث يقال له بلاى من وقعة أخذ النصارى بالاندلس وجد الفرنج فى مدافعة المسلمين عما بقى بأيديهم وقد كانوا لا يطمعون فى ذلك ولقد استولى المسلمون بالاندلس على النصرانية وأجلوهم وافتتحوا بلادهم حتى بلغوا اربونة من أرض الفرنجة وافتتحوا بلبلونة من جليقية ولم يبق الا الصخرة فانه لا ذبها ملك يقال له بلاى فدخلها فى ثلثمائة رجل ولم يزل المسلمون يقاتلونه حتى مات أصحابه جوعا وبقى فى ثلاثين رجلا وعشر نسوة ولا طعام لهم الا العسل يشتارونه من خروق الصخرة فيتقوتون به حتى أعيا المسلمين أمرهم واحتقروا بهم وقالوا ثلاثون علجا ما عسى أن يجيء منهم فبلغ أمرهم بعد ذلك من القوة والكثرة ما لا خفاء به وفى سنة ٣٣ أهلك الله تعالى بلاى المذكور وملك ابنه قاقله بعده وكان ملك بلاى تسع عشرة سنة وابنه سنتين فملك بعدهما اذفونش بن بيطر جد بنى اذفونش هؤلاء الذين اتصل ملكهم الى اليوم وأخذوا ما كان المسلمون أخذوه من بلادهم انتهى باختصار وقال المسعودى بعد ذكره غزوة سمورة أيام الناصر ما صورته وأخذ ما كان بايدى المسلمين من ثغور الاندلس مما يلى الفرنجة ومدينة اربونة خرجت عن أيدى المسلمين سنة ٣٣٠ مع غيرها مما كان بأيديهم من المدن والحصون وبقى ثغر المسلمين فى هذا الوقت وهو سنة ٣٣٦ من شرق الاندلس طرطوشة وعلى سائر بحر الروم مما يلى طرطوشة آخذا فى الشمال افراغه على نهر عظيم ثم لارده انتهى * ومن أول ما استرد الافرنج من مدن الاندلس العظيمة مدينة طليطلة من يد ابن ذى النون سنة ٤٧٥ وفى ذلك يقول عبد الله بن فرج اليحصبى المشهور بابن العسال

يا أهل اندلس حثوا مطيكم * فما المقام بها الا من الغلط
الثوب ينسل من أطرافه وأرى * ثوب الجزيرة منسولا من الوسط
ونحن بين عدو لا يفارقنا * كيف الحياة مع الحيات فى سفط

ويروى صدر البيت الثالث هكذا

من حاور الشر لا يأمن بوائقه * كيف الحياة مع الحيات فى سفط

وتروى الابيات هكذا

حثوا رواحلكم يا أهل أندلس * فما المقام بها الا من الغلط
السلك ينثر من أطرافه وأرى * سلك الجزيرة منثورا من الوسط
من جاور الشر لا يأمن عواقبه * كيف الحياة مع الحيات فى سفط

وقال آخر

يا أهل اندلس رحلوا المعارفا * فى العرف عارية الاردات
ألم تروا بيدق الكفار فرزنه * وشاهنا آخر الابيات شهمات

وقال بعض المؤرخين أخذ الاذفونس طليطلة من صاحبها القادر بالله بن المأمون يحيى بن ذى النون بعد أن حاصرها سبع سنين وكان أخذه لها فى منتصف محرم سنة ٤٧٨ انتهى وفيه بعض مخالفة لما قبله فى وقت أخذها وسيأتى قريبا بعد ما يؤيده قال وهى مدينة حصينة قديمة أزلية من بناء العمالقة على ضفة النهر الكبير ولها قصبة حصينة فى غاية المنعة ولها

فاقتتلوا حتى غشيهم المساء فقال عتاب بن ورقاء التميمى وكان مع ابن الاشتر يا ابراهيم ان الناس قد جهدوا فرهم بالانصراف حسدا له لاشرافه على الفتح فقال ابراهيم وكيف ينصرفون وعدوهم بازائهم فقال عتاب فر الميمنة أن تنصرف فابى ابراهيم ذلك فمضى اليهم عتاب فامرهم بالانصراف فلما زالوا عن مصافهم أكبت ميسرة محمد عليهم واختلط الرجال وصمدت الفرسان لابراهيم واشتبكت عليه الاسنة فبرى منها عدة رماح واسلمه من كان معه فاقتلع من سرجه وداروا به الرجال وازدحموا عليه فقتل بعد أن أبلى وبكى فيهم وقد تنوزع فيمن أخذ رأسه منهم من زعم أن ثابت بن يزيد مولى الحصين بن نمير الكندى هو الذى أخذ رأسه ومنهم من ذكر ان عبيد ابن ميسرة مولى بنى بكر ثم من بنى رفاعة هو الذى أخذ رأسه وأتى عبد الملك بجسد ابراهيم فالقى بين يديه فاخذه مولى الحصين ابن نمير وأخذ خطبا وأحرقه بالنار وسار عبد الملك فى صبيحة تلك الليلة من موضعه حتى نزل بدير الجاثليق من أرض السوداء وأقبل عبيد الله بن زياد بن ظبيان وعكرمة بن أبى

قنطرة واحدة عجيبة البنيان على قوس واحد والماء يدخل تحته بعنف وشدة جري ومع آخر النهر ناعورة ارتفاعها في الجو تسعون ذراعا وهي تصعد الماء الى أعلى القنطرة ويجري الماء على ظهرها فيدخل المدينة وطليطلة هذه دار مملكة الروم وبها كان البيت المغلق الذي كانوا يتحامون فتحه حتى فتحه لذريق فوجد فيه صورة العرب انتهى وقد تقدم شئ من هذا فيما مر من هذا الكتاب (وقد حكى) ابن بدرون في شرح العبدونية أن المأمون يحيى بن ذي النون صاحب طليطلة بنى بها قصرا تأنق في بنائه وأنفق فيه مالا كثيرا وصنع فيه بحيرة وبنى في وسطها قبة وساق الماء الى رأس القبة على تدبير أحكمه المهندسون فكان الماء ينزل من أعلى القبة حواليها محيطا بها متصلا بعضه ببعض فكانت القبة في غلالة من ماء سكب لا يفترق والمأمون بن ذي النون قاعد فيها لا يمسه من الماء شئ ولو شاء أن يوقد فيها الشمع لفعل فبينما هو فيها اذ سمع منشدا ينشد

أتبنى بناء الخالدين وانما * بقاؤك فيها لو علمت قليل
لقد كان في ظل الاراك كفاية * لمن كل يوم يعتريه رحيل

فلم يلبث بعد هذا الا يسيرا حتى قضى نحبه انتهى وقال ابن خلكان ان طليطلة أخذت يوم الثلاثاء مستهل صفر سنة ٤٧٨ بعد حصار شديد انتهى وقال ابن علقمة ان طليطلة أخذت يوم الاربعاء لعشر خلون من المحرم سنة ٤٧٨ وكانت وقعة الزلاقة التي نشأت في السنة بعدها انتهى وقد رأيت أن أذكر هنا وقعة الزلاقة التي نشأت عن أخذ طليطلة وما يتبع ذلك من كلام صاحب الروض المعطار وغيره فنقول انه لما ملك يوسف بن تاشفين اللتونى المغرب وبنى مدينتي مراكش وتلمسان الجديدة وأطاعته البربر مع شكيمتها الشديدة ومهدت له الاقطار الطويلة المديدة تاقت نفسه الى العبور لجزيرة الاندلس فهم بذلك وأخذ في انشاء المراكب والسفن ليعبر فيها فلما علم بذلك ملوك الاندلس كرهوا المسلمين بجزيرتهم وأعدوا له العدة والعدد وصعبت عليهم مدافعته وكرهوا أن يكونوا بين عدوين الفرنج عن شمالهم والمسلمين عن جنوبهم وكانت الفرنج تشتد وطأتها عليهم وتغير وتهب وربما يقع بينهم صلح على شئ معلوم كل سنة يأخذونه من المسلمين فالفرنج ترهب ملك المغرب يوسف بن تاشفين اذ كان له فيهم كبير وصيت عظيم لنفاذ أمره وسرعة تملكه بلاد المغرب وانتقال الامر اليه في أسرع وقت مع ما ظهر لابطال المسلمين من مشايخ صناجة في المعارك من ضربات السيوف التي تقد الفارس والطعنات التي تنظم الكلى فكان له بسبب ذلك ناموس ورعب في قلوب المنتدبين لقتاله وكان ملوك الاندلس يفيؤون الى ظله ويحذرونه خوفا على ملكهم مهما عبر اليهم وعاين بلادهم فلما رأوا مادلهم جوره اليهم وعلموا ذلك راسل بعضهم بعضا يستنجدون آراءهم في أمره وكان مفزعهم في ذلك المعتمد بن عباد لانه أشجع القوم وأكبرهم ملكا فوقع اتفاقهم على مكاتبته لما تحققوا انه يقصدهم يسألونه الاعراض عنهم وانهم تحت طاعته فكتب عنهم كاتب من أهل الاندلس كتابا (وهو) أما بعد فانك ان أعرضت عنا نسبت الى كرم ولم تنسب الى عجز وان جنادا عيلت نسبنا الى عقل ولم ننسب الى وهن وقد اخترنا لانفسنا أجمل نسبتيها فاختر

تصاف القوم فانفرد مصعب وتخلى عنه من كان معه من مضر واليمن وبقي في شبعة نفر منهم اسمعيل بن طلحة ابن عبيد الله التيمي وابنه عيسى بن مصعب فقال لابنه عيسى يا بني اركب فانج فالحق بمكة بعملك فاخبره بما صنع بي أهل العراق ودعني فاني مقتول فقال له لا والله لا يتحدث بنا قريش أني فررت عنك ولا أحدثهم عنك أبدا فقال له مصعب اما اذ أبيت فتقدم أمامي حتى أحتسبك فتقدم عيسى فقاتل حتى قتل وسأل محمد بن مروان أخاه عبد الملك أن يؤمن مصعبا فاستشار عبد الملك من حضره فقال له علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب لا تؤمنه وقال خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بل أمنه وارتفع الكلام بين علي وخالد حتى تسابا على مصافهما فأمر عبد الملك أخاه محمدا

[illegible] امسك امير المؤمنين على نفسك ومالك وكل ما احدثت وان تنزل أي البلاد شئت ولو أرادك غير ذلك لانزل بك فأنشدك الله في نفسك وأقبل رجل من أهل الشام الى عيسى بن مصعب ليجتز رأسه فعطف عليه مصعب والرجل غافل

عبد الله بن زياد بن ظبيان فاختلفا ضربتين سبق مصعب بالضربة الى رأسه وكان مصعب قد أتخن بالجراح وضربه عبد الله فقتله واحتز رأسه وأتى به عبد الملك فسجد عبد الملك وقبض عبيد الله بن زياد على قائم سيفه فاجتذبه من غمده حتى أتى على أكثره بلا ليضرب عبد الملك في حال سجوده ثم ندم واسترجع فكان يقول بعد ذلك ذهب الغشك من الناس اذ هممت ولم أفعل فاكون قد قتلت عبد الملك ومصعبا ملكي العرب في ساعة واحدة وتمثل عبيد الله عند مجيئه برأس مصعب

نعاطي الملوك الحق ما أسطوا لنا
وليس علينا قتلهم بمحرم

وقال عبد الملك متى تغذو قريش مثل مصعب وكان قد قتل مصعب يوم الثلاثاء لثلاث عشرة خلت من جمادى الاولى سنة اثنتين وسبعين وأمر عبد الملك بصعب وابنه عيسى فدفنا بدير الجاثليق ودعا عبد الملك أهل العراق الى بيعته فبايعوه وقد كان مسلم بن عمرو الباهلي من صنائع معاوية وابنه يزيد وكان في ذلك اليوم في جيش

لنفسك أكرم نسبتيك فانك بالحمل الذي لا يجب أن تسبق فيه الى مكرمة وان في استبقائك ذوي البيوت ما شئت من دوام لامرك وثبوت والسلام فلما وصله الكتاب مع تحف وهدايا وكان يوسف بن تاشفين لا يعرف باللسان العربي لكنه ذكي الطبع يجيد فهم المقاصد وكان له كاتب يعرف اللغتين العربية والمرابطية فقال له أيها الملك هذا الكتاب من ملوك الاندلس يعظمونك فيه ويعرفونك انهم أهل دعوتك وتحت طاعتك ويلتمسون منك أن لا تجعلهم في منزلة الاعادي فانهم مسلمون وذوو بيوتات فلا تغيرهم وكفى بهم من وراءهم من الاعادي الكفار وبلدهم ضيق لا يحتمل العساكر فأعرض عنهم اعراضك عمن أطاعك من أهل المغرب فقال يوسف بن تاشفين لكاتبه فما ترى أنت فقال أيها الملك اعلم أن تاج الملك وبهجته شاهده الذي لا يرد فانه خليق بما حصل في يده من الملك والمال أن يعفو اذا استعفى وأن يهب اذا استوهب وكما وهب جليلا جزيلا كان لقدره أعظم فاذا عظم قدره تأصل ملكه واذا تأصل ملكه تشرف الناس بطاعته واذا كانت طاعته شرفا جاءه الناس ولم يتجشم المشقة اليهم وكان وارث الملك من غير اهلاك لاخرته واعلم أن بعض الملوك الحكماء الاكابر البصراء بطريق تحصيل الملك قال من جاد ساد ومن ساد قاد ومن قاد ملك البلاد فلما ألقى الكاتب هذا الكلام على السلطان يوسف بلغته فهمه وعلم صحته فقال للكاتب أجب القوم واكتب بما يجب في ذلك واقرأ علي كتابك فكتب الكاتب بسم الله الرحمن الرحيم من يوسف بن تاشفين سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته تحية من سالمكم وسلم عليكم وانكم مما في أيديكم من الملك في أوسع اباحه مخصوصين مما بأكرم ايثار وسماحه فاستديموا وفاءنا بوفائكم واستصلحوا أخاءنا باصلاح اخائكم والله ولي التوفيق لنا ولكم والسلام فلما فرغ من كتابه قرأه على يوسف بن تاشفين بلسانه فاستحسنه وقرن به ما يصلح لهم من التحف ودرق اللمط التي لا توجد الا ببلاده وأنفذ ذلك اليهم فلما وصلهم ذلك وقرؤا كتابه فرحوا به وعظموه وسروا بولايته وتقوت نفوسهم على دفع الفرنج عنهم وأزمعوا ان رأوا من الفرنج ما يريبهم انهم يرسلون الى يوسف بن تاشفين يعبر اليهم أو يمدهم باعانة منه وكان ملك الافرنج الاذفونش لما وقعت الفتنة بالاندلس وثار الخلاف وكان كل من حاز بلدا وتقوى فيه ملكه وادعى الملك وصاروا مثل ملوك الطوائف فطمع فيهم الاذفونش بسبب ذلك وأخذ كثيرا من ثغورهم فقوى شأنه وعظم سلطانه وكثرت عساكره وأخذ طليطلة من صاحبها القادر بالله بن المأمون يحيى بن ذي النون بعد أن حاصرها سبع سنين وكان أخذه لها في منتصف محرم سنة ثمان وسبعين وأربعمائة فزاد لعنه الله تعالى بملكه طليطلة قوة الى قوته وأخذ يجوس خلال الديار ويستفتح المعاقل والحصون (قال) ابن الاثير في الكامل وكان المعتمد بن عباد أعظم ملوك الاندلس ومتملكا أكثر بلادها مثل قرطبة واشبيلية وكان مع ذلك يؤدي الضريبة الى الاذفونش كل سنة فلما تملك الاذفونش طليطلة أرسل اليه المعتمد الضريبة المعتادة فلم يقبلها منه وأرسل اليه يهدده ويتوعده بالمسير الى قرطبة لفتحها الا أن يسلم اليه جميع الحصون المنيعة ويبقي السهل للمسلمين وكان الرسول في جمع كثير نحو خمسمائة فارس فانزله المعتمد

به عبد الملك وقد أخذ له منه الامان فقيل له أنت ميت لا ترجو

وفرق أصحابه على قواد عسكره ثم أمر قواده أن يقتل كل منهم من عنده من الكفرة واحضر الرسول وسمعه حتى خرجت عيناه وسلم من الجماعة ثلاثة نفر فعادوا الى الاذفونش وأخبروه الخبر وكان متوجها الى قرطبة ليحاصرها فرجع الى طليطلة ليجمع آلات الحصار ويكثر العدد والعدة انتهى وقال الفقيه أبو عبد الله عبد الله بن عبد المنعم الحميري في كتابه الروض المعطار وذكر المدن والاقطار ما ملخصه انه لما اشتغل المعتمد بغزو ابن صمادح صاحب المرية حين تأخر الوقت الذي كان يدفع فيه الضريبة للاذفونش وأرسلها اليه بعد ذلك استشاط الطاغية غضبا وتنشط وطلب بعض الحصون زيادة على الضريبة وأمعن في التجني وسأل في دخول امرأته القمبيطة الى جامع قرطبة لتلد فيه اذ كانت حاملا لما أشار عليه بذلك القسيسون والاساقفة لمكان كنيسة كانت في الجانب الغربي منه معظمة عندهم عمل عليها المسلمون الجامع الاعظم وسأل أن تنزل امرأته المذكورة بالمدينة الزهراء غربي مدينة قرطبة وهي التي أنشأ بناءها الناصر لدين الله وأمعن في بنائها وأغرب في حسنها وجلب اليها الرخام الملون والمرمر الصافي والحوض المشهور من البلاد والاقطار وكان يثيب على الساريه بكذا وكذا غير الثمن وأجرة الحمل وأنفق فيها الاموال العظيمة واشتغل بها وكان يباشر الصناع بنفسه حتى تخلف عن حضور الجمعة ثلاث مرات متواليات وحضر في الرابعة وكان الخطيب يومئذ الفقيه الزاهد منذر بن سعيد البلوطي فعرض به في الخطبة ووبخه على رؤس الملا وقصته في ذلك مشهورة وبناء الزاهرا أيضا من أعظم مباني الاسلام فمن أراد الوقوف على ذلك فعليه بتاريخ ابن حيان (ولنرجع) الى الاذفونش فان الاطباء والقسوس لما أشاروا ان تكون المرأة المذكورة ساكنة بالزهراء وتتردد الى الجامع المذكور وحتى تكون ولادتها بين طيب نسيم الزهراء وفضيلة موضع الكنيسة من الجامع المذكور وكان السفير في ذلك يهوديا كان وزيرا الاذفونش فامتنع ابن عباد من ذلك فراجعه فاباه وأيأسه من ذلك فراجعه اليهودي في ذلك وأغلظ له في القول وواجهه بما لم يحتمله ابن عباد فأخذ ابن عباد محبرة كانت بين يديه وضرب بها رأس اليهودي فانزل دماغه في حلقه وأمر به فصلب منكوسا بقرطبة وسقي لما سكن غضبه الفقهاء من حكم ما فعله باليهودي فبادره الفقيه محمد بن الطلاع بالرخصة في ذلك لتعدي الرسول حدود الرسالة الى ما استوجب به القتل اذ ليس له ذلك وقال للفقهاء انما بادرت بالفتوى خوفا أن يكسل الرجل عما عزم عليه من منابذة العدو وعسى الله أن يجعل في عزيمته للمسلمين فرجا وبلغ الاذفونش ما صنعه ابن عباد فأقسم بآلهته ليغزونه باشبيلية وليحاصرنه في قصره فجرد جيشين جعل على أحدهما كلبا من مساعير كلابه وأمره أن يسير على كورة باجة من غرب الاندلس ويغير على تلك النخوم والجهات ثم يمر على بلنسية الى اشبيلية وجعل موعده أمام طريانة للاجتماع معه ثم زحف الاذفونش بنفسه في جيش آخر عرم فسلك طريق غير الطريق التي سلكها الآخر وكلاهما عاث في البلاد وخرب ودمر حتى اجتمعا لموعدهما بضفة النهر الاعظم قبالة قصر ابن عباد وفي أيام مقامه هنالك كتب الى ابن عباد زار يا عليه كثر بطول سقامي في مجلسي الذباب واشتد على الحر فأتحفني من قصرك بمروحة

الحياة فما يبك من الجراح
فما تصنع بالامان قال ليسلم
مالي وياًمن ولدي بعدي
فلما وضع بين يدي عبد الملك
قال قطع الله يد ضاربك
كيف لم يجهز عليك
أكفرت صنائع آل جهور
معك فأمنه على ماله وولده
ومات من ساعته وفي
مصرع مصعب بدير
الجاثليق من أرض العراق
يقول عبد الله بن قيس
الرقيات
لقد أورث المصرين عارا
وذلة
قتيل بدير الجاثليق مقيم
فما نعمت لله بكر بن وائل
ولا صبرت عند اللقاء تميم
جزى الله بصرا بابن الملامة
ولوفيهم ان اللئيم لئيم
وفي ذلك يقول شاعر اهل
الشام من ابيات
لعمري لقد أصحرت خيلنا
بأكناف دجلة للمصعب
يهزون كل طويل القنا
تعتدل النصل والقلب
اذا ما منافق أهل العرا
ق عوتب يوما فلم يعتب

حسن
وجمال وهيئة وكمال في
الصورة وفيه يقول ابن
قيس الرقيات من كلمة

انما مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلماء وقد أتينا على اخبار مصعب وسكينة بنت

أروح بها على نفسي وأطرد بها الذباب عن وجهي فوقع له ابن عباد بخط يده في ظهر الرقعة قرأت كتابك وفهمت خيلاءك واعجابك وسأنظر لك في مراوح من الجلود اللطية تروح منك لا تروح علىك ان شاء الله تعالى فلما وصلت الاذفونش رسالة ابن عباد وقرئت عليه وعلم مقتضاها أطرق اطراق من لم يخطر له ذلك ببال وفشا في الاندلس توقيع ابن عباد وما أظهر من العزيمة على جواز يوسف بن تاشفين والاستظهار به على العدو فاستبشر الناس وفرحوا بذلك وفتحت لهم أبواب الآمال وأما ملوك طوائف الاندلس فلما تحققوا عزم ابن عباد وانفراده برأيه في ذلك اهتموا منه ومنهم من كاتبه ومنهم من كلمه مواجهة وحذروه عاقبة ذلك وقالوا له الملك عقيم والسيفان لا يجتمعان في غمد واحد فاجابهم ابن عباد بكلمته السائرة مثلا رعي الجمال خير من رعي الخنازير ومعناه أن كونه مأكولا ليوسف بن تاشفين أسير ا يرعى جماله في الصحرا خير من كونه ممزقا للاذفونش أسير اله يرعى خنازيره في قشتالة وقال لعذاله ولوامه يا قوم اني من أمري على حالين حالة يقين وحالة شك ولا بد لي من احداهما اما حالة الشك فاني أن استندت الى ابن تاشفين او الى الاذفونش ففي الممكن أن يفي لي ويبقى على وفائه ويمكن ان لا يفعل فهذه حالة شك وأما حالة اليقين فاني ان استندت الى ابن تاشفين فاني ارضي الله وان استندت الى الاذفونش اسخطت الله تعالى فاذا كانت حالة الشك فيها معارضة فلأي شئ أدع ما يرضي الله وآتي ما يسخطه فحينئذ قصر أصحابه عن لومه ولما عزم أمر صاحب بطليوس المتوكل عمر بن محمد وعبد الله بن حبوس الصنهاجي صاحب غرناطة أن يبعث اليه كل منهما قاضي حضرته ففعلا واستحضر قاضي الجماعة بقرطبة أبا بكر عبد الله بن أدهم وكان أعقل اهل زمانه فلما اجتمع عنده القضاة باشبيلية اضاف اليهم وزيره أبا بكر بن زيدون وعرفهم أربعتهم انهم رسله الى يوسف بن تاشفين وأسند الى القضاة ما يليق بهم من وعظ يوسف بن تاشفين وترغيبه في الجهاد وأسند الى وزيره ما لابد منه في تلك السفارة من ابرام العقود السلطانية وكان يوسف بن تاشفين لا تزال تفد عليه وفود ثغور الاندلس مستعطفين مجهشين بالبكاء ناشدين بالله والاسلام مستنجدين بفقهاء حضرته ووزراء دولته فيسمع اليهم ويصغي لقولهم وترق نفسه لهم فاعبرت رسل ابن عباد البحر الاورسل يوسف بالمرصاد ولما انتهت الرسل الى ابن تاشفين أقبل عليهم وأكرم مثواهم واتصل ذلك بابن عباد فوجه من اشبيلية اسطولا نحو صاحب سبتة فانتظمت في سلك يوسف ثم جرت بينه وبين الرسل مراوضات ثم انصرفت الى مرسلها ثم عبر يوسف البحر عبورا سهلا حتى أتى الجزيرة الخضراء ففتحوا له وخرج اليه أهلها بما عندهم من الاقوات والضيافات وأقاموا له سوقا جلبوا اليه ما عندهم من سائر المرافق واذنوا للغزاة في دخول البلد والتصرف فيها فامتلأت المساجد والرحبات بالمطوعين وتواصوا بهم خيرا هذا مساق صاحب الروض المعطار * وأما ابن الاثير فانه لما ذكر وقعة الزلاقة ذكر ما تقدم من فعل المعتمد بالارسال وقتلهم وتخوف أكابر الاندلس من الاذفونش وانه اجتمع منهم رؤساء وسار وا الى القاضي عبد الله بن محمد وقالوا له الا تنظر ما قد نزل بالمسلمين من الصغار والذلة واعطائهم الجزية بعد أن كانوا يأخذونها وقد غلب على البلاد الفرنج ولم يبق الا القليل

الحسين زوجه وعائشة المقرى قال حدثني سويد ابن سعيد قال حدثنا مروان ابن معاوية الفزاري عن محمد بن عبد الرحمن عن ابي مسلم النخعي قال رأيت رأس الحسين جيء به فوضع في دار الامارة بالكوفة بين يدي عبيد الله بن زياد ثم رأيت رأس عبيد الله ابن زياد قد جيء به فوضع في ذلك الموضع بين يدي مصعب بن الزبير ثم رأيت رأس مصعب بن الزبير قد جيء به فوضع في ذلك الموضع بين يدي عبد الملك وقد قيل في وجه آخر من الروايات فرأى عبد الملك مني اضطرابا فسألني فقلت يا أمير المؤمنين دخلت هذه الدار فرأيت رأس الحسين بين يدي ابن زياد في هذا الموضع ثم دخلتها فرأيت رأس ابن زياد بين يدي المختار فيه ثم دخلتها فرأيت رأس المختار بين يدي مصعب بن الزبير وهذا رأس مصعب بين يديك فوقاك الله يا امير المؤمنين. قال فوثب عبد الملك ابن مروان وامر بهدم الطاق الذي على المجلس ذكر هذا الحديث عن الوليد ابن خباب وغيره وسار عبد الملك من دير الجاثليق حتى نزل النخيلة بظهر الكوفة فخرج اليه اهل الكوفة فبايعوه ووافى الناس بما كان وعدهم به في

وان

وان دام هذا الامر عادت نصرانية كما كانت أولا وقد رأينا رأيا نعرضه عليك قال وما هو قالوا نكتب الى عرب أفريقية ونبذل لهم اذا وصلوا الينا شطر أموالنا ونخرج معهم مجاهدين فى سبيل الله فقال لهم انا نخشى ان يصلوا الينا أن يخربوا بلادنا كما فعلوا بافريقية ويتركوا الافرنج ويبدؤا بنا والمرابطون أصلح منهم وأقرب الينا فقالوا له فكاتب أمير المسلمين واسأله العبور الينا أو اعانتنا بما تيسر من الجند فبينما هم فى ذلك يتراوضون اذ قدم عليهم المعتمد بن عباد قرطبة فعرض عليه القاضى بن أدهم ما كانوا فيه فقال له المعتمد ابن عباد أنت رسولى اليه فى ذلك فامتنع وانما أراد أن يبرئ نفسه من ذلك فألح عليه المعتمد فسار الى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين فوجده ببنته وأبلغه الرسالة وأعلمه بما فيه المسلمون من الخوف من الاذفونش ففى الحال أمر بعبور العساكر الى الاندلس وأرسل الى مراكش فى طلب من بقى من العساكر فاقبلت اليه يتلو بعضها بعضا فلما تكاملت عنده عبر البحر واجتمع بالمعتمد بن عباد باشبيلية وكان المعتمد قد جمع عساكره أيضا وخرج من أهل قرطبة عسكر كثير وقصده المطوعة من سائر بلاد الاندلس ووصلت الاخبار الى الاذفونش فجمع عساكره وحشد جنوده وسار من طليطلة وكتب الى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين كتابا كتبه له بعض غواة أدباء المسلمين يغلظ له فى القول ويصف ما معه من القوة والعدد العدد وبالغ فى ذلك فلما وصل وقرأه يوسف أمر كاتبه أبا بكر بن القصيرة أن يجيبه وكان كاتبا مفلقا فكتب وأجاد فلما قرأه على أمير المسلمين قال هذا كتاب طويل وأحضر كتاب الاذفونش وكتب فى ظهره الذى يكون ستراه وأرسله اليه فلما وقف عليه الاذفونش ارتاع وعلم انه بلى برجل لا طاقة له به وذكر ابن خلكان أن يوسف بن تاشفين أمر بعبور الجمال عبر منها ما أغص الجزيرة وارتفع رغاؤها الى عنان السماء ولم يكن أهل الجزيرة رؤا جملا قط ولا خيلهم فصارت الخيل تجمح من رؤية الجمال ومن رغائها وكان ليوسف فى عبور الجمال أى مصيب فكان يحدق بها عسكره ويحضرها للعرب فكانت خيل الفرنج تجمح منها وقدم يوسف بين يديه كتابا الى الاذفونش يعرض عليه فيه الدخول فى الاسلام أو الجزية أو الحرب كما هى السنة ومن جملة ما فى الكتاب بلغنا يا اذفونش انك دعوت الى الاجتماع بنا وتمنيت ان تكون لك سفن تعبر فيها البحر الينا فقد عبرنا اليك وقد جمع الله تعالى فى هذه الساحة بيننا وبينك وسترى عاقبة دعائك ومادعاء الكافرين الا فى ضلال انتهى بمعناه وأكثره بلفظه ثم نرجع الى كلام صاحب الروض المعطار فانه أقعد بتاريخ الاندلس اذ هو منهم وصاحب البيت أدرى بالذى فيه قال رحمه الله تعالى فلما عبر يوسف وجميع جيوشه الى الجزيرة الخضراء انزعج الى اشبيلية على أحسن الهيئات جيشا بعد جيش وأميرا بعد أمير وقبيلا بعد قبيل وبعث المعتمد ابنه الى لقاء يوسف وأمر عمال البلاد بجلب الاقوات و[illegible] يوسف ما سره من ذلك ونشطه وتواردت الجيوش مع أمرائها على اشبيلية وخرج يوسف من اشبيلية فى مائة فارس ووجوه أصحابه فلما أتى محلة يوسف [illegible] ركضوا نحوه فبرز اليه يوسف وحده والتقيا منفردين وتصافحا وتعانقا وأظهر كل صاحبه المودة والخلوص وشكرا نعم الله تعالى وتواصيا بالصبر والرحمة وبشرا أنفسهما بما

روح شديد الغيرة وله جارية اذا خرج من منزله الى المسجد أو غيره ختم بابه حتى يعود

ترغيبه وترهيبه وولى على البصرة خالد بن عبد الله ابن خالد بن اسد وعلى الكوفة بشر بن مروان أخاه وخلف معه جماعة من أهل الرأى والمشورة من أهل الشام منهم روح ابن زنباع الجذامى وبعث بالحجاج بن يوسف لحرب ابن الزبير بمكة وساوى بقية أهل الشام الى دار مملكته دمشق وكان بشر ابن مروان أديبا ظريفا يحب الشعر والسمر والسماع والمعاقرة وقد كان أخوه عبد الملك قال له ان روحا عمك الذى لا ينبغى أن تقطع أمرا دونه لصدقه وعفافه ومناصحته ومحبته لنا أهل البيت فاحتشم بشر منه وقال لندمائه أخاف ان انبسطنا ان يكتب روح الى أمير المؤمنين بذلك وانى لاحب من الانس والاجتماع ما يحبه مثلى فقال له بعض ندمائه من اهل العراق بحسن مساعدته ولطيف حملته أنا أكفيك

الجائزة وحسن المكافأة ان هو أتى له ما وعد به وكان بعد أن يقفله فاخذ الفتى

استقبالا من غزو أهل الكفر وتضرعا الى الله تعالى فى أن يجعل ذلك خالصا لوجهه مقربا اليه
واقترفا فاديوسف محلته وابن عباد الى جهته وألحق ابن عباد ما كان أعده من هدايا وتحف
وضيافات أوسع بها على محلة يوسف بن تاشفين وباتوا تلك الليلة فلما أصبحوا وصلوا الصبح
ركب الجميع وأشار ابن عباد على يوسف بالتقدم نحو اشبيلية ففعل ورأى الناس من عزة
سلطانهم ما سرهم ولم يبق من ملوك الطوائف بالاندلس الا من بادر أو أعان وخرج اوا خرج
وكذلك فعل العصاة ويون مع يوسف كل صقع من اصقاعه راطوا وكابدوا وكان الاذفونش
لما تحقق الحركة والحرب استنفر جميع أهل بلاده وما يليها وما وراءها ورفع القسيسون
والرهبان والاساقفة صلبانهم ونشروا أناجيلهم فاجتمع له من الجلالقة والافرنجة مالا
يحصى عدده وجواسيس كل فريق تتردد بين الجميع وبعث الاذفونش الى ابن عباد ان
صاحبكم يوسف قد تعنى من بلاده وخاض البحار وانا كفيه العناء فيما بقى ولا أكلفكم تعبا
أمضى اليكم والقاكم فى بلادكم رفقا بكم وتوفيرا عليكم وقال لخاصته واهل مشورته انى رأيت
انى ان مكنتهم من الدخول الى بلادى فناجزونى فيها وبين جدرها وور بما كانت الدائرة
على يتحكمون البلاد ويحصدون من فيها غداة واحدة ولكنى أجعل يومهم معى فى حوز
بلادهم فان كانت على اكتفوا بما نالوه ولم يجعلوا الدروب وراءهم الابعد أهبة أخرى فيكون
فى ذلك صون لبلادى وجبر لمكاسرى وان كانت الدائرة عليهم كان منى فيهم وفى بلادهم
ما خفت أنا أن يكون منى وفى بلادى اذا ناجزونى فى وسطها ثم برز بالمختار من جنوده وأنجاد
جموعه على باب دربه وترك بقية جموعه خلفه وقال حين نظر الى ما اختاره منهم هؤلاء اقاتل
الجن والانس وملائكة السماء فالمقل يقول المختارون اربعون ألف دارع ولكل واحد
اتباع وأما النصارى فيجبون عن يزعم ذلك ويرون انهم أكثر من ذلك كله واتفق الكل
ان عدد المسلمين أقل من الكفرة ورأى الاذفونش فى نومه كانه راكب فيل يضرب نقيرة
طبل فهالته الرؤيا وسأل عنها القسوس والرهبان فلم يجبه أحد فدس يهوديا عمن يعلم تأويلها
من المسلمين فدل على معبر فقصها عليه ونسبها لنفسه فقال له المعبر كذبت ما هذه الرؤيا لك
ولا أعبرها لك الا ان صدقتنى بصاحب الرؤيا فقال له اكتم على الرؤيا للاذفونش فقال
المعبر صدقت ولا براها غيره والرؤيا تدل على بلاء عظيم ومصيبة فادحة فيه وفى عسكره
وتفسيرها قوله تعالى الم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل وأما ضربه النقيرة فتأويلها فاذا نقر
فى الناقور فذلك يوم عسير الآية فانصرف اليهودى وذكر للاذفونش ما وافق خاطره
ثم خرج من بلاد الاندلس وتقدم السلطان يوسف فقصده وتأخر ابن عباد لبعض مهماته ثم
انزعج يتفوا ثره بجيش فيه حماة الثغور ورؤساء الاندلس وجعل ابنه عبد الله على مقدمته
وسار وهو ينشد لنفسه متفائلا مكملا البيت المشهور

لابد من فرج قريب * يأتيك بالعجب العجيب
غز وعليك مبارك * سيعود بالفتح القريب
لله سعدك انه * نكس على دين الصليب
لابد من يوم يكو * ن له أخا يوم القليب

دواة وأتى منزل روح عشيا
الدرجة ولم يزل يحتال
ليلته حتى توصل الى بيت
روح فكتب على حائط
فى أقرب المواضع من مرقد
روح
يا روح من لبنيات وأرملة
أذا نعاك لاهل المغرب
الناعى
ان ابن مروان قد حانت
منيته
فاحتل لنفسك يا رو ح بن
زنباع
ولا يغرنك انكار ومنعمة
واسمع هديت مقال الناصح
الداعى
ورجع الى مكانه بالدهليز
فبات فيه فلما أصبح روح
خرج الى الصلاة فتبعه
غلمانه والفتى متنكر فى
جملتهم مختلط بهم فلما عاد
روح وافتتح باب حجرته
تبين الكتابة وقرأها
فراعه ذلك وانكره وقال
ما هذا فوالله ما يدخل
حجرتى انسى سواى ولا حظ
لى فى المقام ثم نهض الى بشر
فقال يا ابن أخى أوصنى بما
أحببت من حاجة وسبب
عند أمير المؤمنين قال أو
تريد النهوض يا عم قال
نعم قال ولم هل أنكرت شيأ
أو رأيت قبيحا يسعك
المقام عليه قال لا والله بل
جزاك الله عن نفسك وعن
سلطانك خيرا ولكن أمر حدث ولا بد لى من الانصراف الى أمير المؤمنين فاقسم عليه أن يخبره فقال له

ووافت الجيوش كلها بطليوس فانتخوا بظاهرها وخرج اليهم صاحبها المتوكل عمر بن محمد بن الافطس فلقيهم بما يجب من الضيافات والاقوات وبذل المجهود وجاءهم الخبر بشخوص الاذفونش ولما اوذف بعضهم الى بعض أذكى المعتمد عيونه فى محلات العصراويين خوفا عليهم من مكايد الاذفونش اذهم غرباء لا علم لهم بالبلاد وجعل يتولى ذلك بنفسه حتى قيل ان الرجل من العصراويين لا يخرج على طرف المحلة لقضاء أمر أو حاجة الا ويجد ابن عباد بنفسه مطيفا بالمحلة بعد ترتيب الخيل والرجال على أبواب المحلات وقد تقدم كتاب السلطان يوسف الى الاذفونش يدعوه الى احدى الثلاث المأمور بها شرعا فامتلأ الكافر غيظا وعتوا وطغا وراجعه بما يدل على شقائه وقامت الاساقفة والرهبان ورفعوا صلباتهم ونشروا أناجيلهم وتبايعوا على الموت ووعظ يوسف وابن عباد أصحابهما وقام الفقهاء والصالحون مقام الوعظ وحضوهم على الصبر والثبات وحذروهم من الفشل والفرار وجاءت الطلائع تخبر أن العدو مشرف عليهم صبيحة يومهم وهو يوم الاربعاء فأصبح المسلمون وقد أخذوا مصافهم فكع الاذفونش ورجع الى اعمال المكر والخديعة فعاد الناس الى محلاتهم وباتوا ليلتهم ثم أصبح يوم الخميس فبعث الاذفونش الى ابن عباد يقول غدا يوم الجمعة وهو عيدكم والاحد عيدنا فليكن لقاؤنا بينهما وهو يوم السبت فعرف المعتمد بذلك السلطان يوسف وأعلمه انها حيلة منه وخديعة وانما قصده القتل بنا يوم الجمعة فليكن الناس على استعداد له يوم الجمعة كل النهار وبات الناس ليلتهم على أهبة واحتراس وبعد مضى جزء من الليل انتبه الفقيه الناسك أبو العباس أحمد بن رميلة القرطبى وكان فى محلة ابن عباد فرحا مسرورا يقول انه رأى النبى صلى الله عليه وسلم تلك الليلة فى النوم فبشره بالفتح والموت على الشهادة فى صبيحة تلك الليلة فتأهب ودعا وتصرع ودهن رأسه وتطيب وانتهى ذلك الى ابن عباد فبعث الى يوسف يخبره بها تحقيقا لما توقعه من غدر الكافر بالله تعالى ثم جاء بالليل فارسان من طلائع المعتمد يخبران انهما أشرفا على محلة الاذفونش وسمعا ضوضاء الجيوش واضطراب الاسلحة ثم تلاحق بقية الطلائع متحققين بتحرك الاذفونش ثم جاءت الجواسيس من داخل محلتهم تقول استرقنا السمع فسمعنا الاذفونش يقول لاصحابه ابن عباد مسعر هذه الحروب وهؤلاء العصراويون وان كانوا أهل حفاظ وذوى بصائر فى الحروب فهم غير عارفين بهذه البلاد وانما قادهم ابن عباد فاقصدوه واهجموا عليه واصبروا فان انكشف لكم هان عليكم العصراويون بعده ولا أرى ابن عباد يصبر لكم ان صدقتموه الحملة فعند ذلك بعث ابن عباد الكاتب أبا [illegible] القصيرة الى السلطان يوسف يعرفه باقبال الاذفونش ويستحثه نصرته فمضى ابن القصيرة [illegible] المحلات حتى جاء يوسف بن تاشفين فعرفه بحلية الامر فقال له قل له انى سأقرب [illegible] تعالى وأمر يوسف بعض قواده أن يمضى بكتيبة رسمها له حتى يدخل محلة [illegible] نارا مادام الاذفونش مشتغلا مع ابن عباد وانصرف ابن القصيرة الى المعتمد فلم يصله الا وقد غشيته جنود الطاغية فصدم ابن عباد صدمة قطعت آماله ومال الاذفونش عليه بجموعه وأحاطوا به من كل جهة فهاجت الحرب وحمى الوطيس واستحر القتل فى أصحاب ابن

بخبر الكتابة وقال ليس يدخل خبرتى غيرى وغير جاريتى فلانة وما كتب ذلك الا الجن أو الملائكة فقال له بشرا قبحانى أرجو أن لا يكون لهذا حقيقة فلم يثنه شئ وسار الى الشام فاقبل بشر على الشراب والطرب فلما لقى روح عبد الملك انكر أمره وقال ما اقدامك الا لحادثة حدثت أو لأمر كرهته فاثنى على بشر وحدثه وقال لا بل لام لا يمكننى ذكره حتى نخلو فقال عبد الملك لجلسائه انصرفوا وخلا بروح فاخبره بقصته وانشده الابيات فضحك عبد الملك حتى استغرب وقال ثقلت على بشر وأصحابه حتى احتالوا لك بما رأيت فلا ترع ولما اتصل قتل مصعب باخيه عبد الله أضرب عن ذكره حتى تحدث بذلك العبيد والاماء فى سكك المدينة ومكة فصعد المنبر وجبينه يرشح فقال الحمد لله ملك [illegible] والآخرة ثوفى الملك

[illegible]

كل شئ قدير الا انه لن يذل الله من كان الحق معه ولن يعز من كان أولياء

الشيطان حزبه انه أتانا خبر من العراق أحزننا وأفرحنا قتل مصعب فاما الذى احزننا من ذلك فان العراق

عباد وصبر ابن عباد صبر لم يعهد مثله لاحد واستبطأ السلطان يوسف وهو يلاحظ طريقه وعضته الحروب واشتد عليه وعلى من معه البلاء وأبطأ عليه النصر او يون وساءت الظنون وانكشف بعض أصحاب ابن عباد وفيهم ابنه عبد الله وأثخن ابن عباد جراحات وضرب على رأسه ضربة فلقت هامته حتى وصلت الى صدغه وجرحت يمنى يديه وطعن فى أحد جانبيه وعقرت تحته ثلاثة افراس كلما هلك واحد قدم له آخر وهو يقاسى حياض الموت ويضرب يمينا وشمالا وتذكر فى تلك الحالة ابنا له صغيرا كان مغرما به تركه فى اشبيلية عليلا وكنيته أبو هاشم فقال

أباهاشم هشمتنى الشفار * فلله صبرى لذاك الاوار
ذكرت شخيصك تحت العجاج * فلم يثنى ذكره للفرار

ثم كان أول من وافى ابن عباد من قواد ابن تاشفين داود بن عائشة وكان بطلا شجاعا شهما فنفس بجيشه عن ابن عباد ثم أقبل يوسف بعد ذلك وطبوله تصعد أصواتها الى الجو فلما أبصره الاذفونش وجه حملته اليه وقصده بعظيم جنوده فبادر اليهم السلطان يوسف وصدمهم بجمعه فردهم الى مركزهم وانتظم به شمل ابن عباد واستنشق ريح الظفر وتباشر بالنصر ثم صدقوا جميعا الحملة فتزلزلت الارض بحوافر خيولهم وأظلم النهار بالعجاج والغبار وخاضت الخيل فى الدماء وصبر الفريقان صبرا عظيما ثم تراجع ابن عباد الى يوسف وحمل معه حملة جاء معها النصر وتراجع المنهزمون من أصحاب ابن عباد حين علموا بالتحام الفئتين وصدقوا الحملة فانكشف الطاغية ومر هاربا منهزما وقد طعن فى احدى ركبتيه طعنة بقى يخمع بها بقية عمره وعلى سياق ابن خلكان أن ابن تاشفين نزل على أقل من فرسخ من عسكر العدو فى يوم الاربعاء وكان الموعد فى المناجزة فى يوم السبت فغدر الاذفونش ومكر فلما كان سحر يوم الجمعة منتصف رجب أقبلت طلائع ابن عباد والروم على اثرها والناس على طمانينة فبادر ابن عباد للركوب وبث الخبر فى العساكر فهاجت بأهلها ووقع البهت ورجفت الارض وصار الناس فوضى على غير تعبية ولا أهبة ودهمتهم خيل العدو فأحاطت بابن عباد وحطمت ما تعرض لها وتركت الارض حصيدا خلفها وجرح ابن عباد جراحا أساء وفر رؤساء الاندلس وتركوا محلاتهم وأسلموها وظنوا انه وهى لا يرفع ونازلة لا تدفع وظن الاذفونش أن السلطان يوسف فى المنهزمين ولم يعلم أن العاقبة للمتقين فركب أمير المسلمين وأحدق به جياد خيله ورجله من صنهاجة رؤساء القبائل وقصدوا محلة الاذفونش فاقتحموها ودخلوها وفتكوا فيها وقتلوا وضربت الطبول وزعقت البوقات فاهتزت الارض وتجاوبت الجبال والآفاق وتراجع الروم الى محلاتهم بعد أن علموا أن أمير المسلمين فيها فصدموا أمير المسلمين فخرج لهم عنها ثم كر عليهم فأخرجهم منها ثم كروا عليه فخرج لهم عنها ولم تزل الكرات بينهم تتوالى الى أن أمر أمير المسلمين حشمه السودان فتر جل منهم زهاء أربعة آلاف ودخلوا المعترك بدرق اللمط وسيوف الهند ومزاريق الزان فطعنوا الخيل فرمحت بفرسانها وأجمت عن أقرانها وتلاحق الاذفونش بأسود نفذت مزاريقه فأهوى ليضربه بالسيف فلتقى به الاسود وقبض على عنانه وانتضى

الحميم لذعة يجدها حميمه أفرحنا بان القتل له شهادة ويحمل الله له ولنا فى ذلك الخيرة أما والله انا لانموت حتفا كميتة آل أبى العاص وانما نموت قعصا بالرماح وقتلا تحت ظلال السيوف الاوان الدنيا عارية من الملك القهار الذى لا يزول سلطانه ولا يتبدل فان تقبل الدنيا على لا آخذها أخذ الاشر البطر وان تدبر عنى لا أبكى عليها بكاء الحزين المهين فأتى الحجاج الطائف فاقام بها شهورا ثم زحف الى مكة فحاصر ابن الزبير بها وكتب الى عبد الملك انى قد ظفرت بابى قبيس فاما ورد كتابه على عبد الملك بحصار ابن الزبير بمكة والظفر بابى قبيس كبر عبد الملك فكبر من فى داره واتصل التكبير بمن فى جامع دمشق فكبروا واتصل ذلك باهل الاسواق ثم سألوا عن الخبر فقيل لهم ان الحجاج حاصر ابن الزبير بمكة وظفر بابى قبيس فقالوا لا رضى حتى يحمله الينا مكبلا على رأسه برنس على جمل يمر بنا فى الاسواق الترابى الملعون وكان حصار الحجاج لابن الزبير بمكة هلال ذى القعدة سنة اثنتين وسبعين وفيها قتل مصعب ومنع ابن الزبير الحجاج أن يطوف بالبيت ووقف الحجاج بالناس محرما بحجرا

خنجرا كان متمنطقا به فاثبته في فخذه فهتك حلق درعه ونفذ من فخذه مع بدأ دسر جه وكان وقت الزوال وهبت ريح النصر فانزل الله سكينته على المسلمين ونصر دينه القويم وصدقوا الحملة على الاذفونش وأصحابه فأخرجوهم عن محلتهم فولوا ظهورهم وأعطوا أعناقهم والسيوف تصفعهم والرماح تطعنهم الى أن لحقوا ربوة لجؤا اليها واعتصموا بها وأحدقت بهم الخيل فلما أظلم الليل انساب الاذفونش وأصحابه من الربوة وافلتوا بعد ما تشبثت بهم أطفار المنية واستولى المسلمون على ما كان في محلتهم من الآلات والسلاح والمضارب والاوانى وغير ذلك وأمر ابن عباد بضم رؤس قتلى المشركين فاجتمع من ذلك تل عظيم انتهى وبعضه بالمعنى (رجع) الى كلام صاحب الروض المعطار قال ولما الاذفونش الى تل كان يلى محلته في نحو خمسمائة فارس كل واحد منهم مكلوم وأبادا القتل والاسر من عداهم من أصحابهم وعمل المسلمون من رؤسهم ما آذن يؤذنون عليها والمخذول ينظر الى موضع الوقيعة ومكان الهزيمة فلا يرى الا نكالا محيطا به وبأصحابه وأقبل ابن عباد على السلطان يوسف وصافحه وهناه وشكره وأثنى عليه وشكر يوسف صبر ابن عباد ومقامه وحسن بلائه وجميل صبره وسأله عن حاله عندما أسلمته رجاله بانهزامهم عنه فقال له هم هؤلاء قد حضروا بين يديك فليغبروك وكتب ابن عباد الى ابنه باشبيلية كتابا مضمونه كتابى هذا من المحلة المنصورة يوم الجمعة الموفى عشرين من رجب وقد أعز الله الدين ونصر المسلمين وفتح لهم الفتح المبين وهزم الكفرة المشركين وأذاقهم العذاب الاليم والخطب الجسيم فالحمد لله على ما يسره وسناه من هذه المسرة العظيمه والنعمة الجسيمه في تشتت شمل الاذفونش والاحتواء على جميع عساكره أصلاه الله نكال الجحيم ولا أعدمه الوبال العظيم المقيم بعد اتيان النهب على محلاته واستئصال القتل في جميع أبطاله وحماته حتى اتخذ المسلمون من هاماتهم صوامع يؤذنون عليها والحمد على جميع صنعه ولم يصبنى والحمد لله الا جراحات يسيرة آلمت لكنها فرجت بعد ذلك فلله الحمد والمنه والسلام واستشهد في ذلك اليوم جماعة من الفصلاء والعلماء وأعيان الناس مثل ابن رميلة صاحب الرؤيا المذكورة وقاضي مراكش أبي مروان عبد الملك المصمودي وغيرهما رحمهم الله تعالى (وحكى) أن موضع المعترك كان على اتساعه ما كان فيه موضع قدم الا على ميت أو دم وأقامت العساكر بالموضع أربعة أيام حتى جمعت الغنائم واستؤذن في ذلك السلطان يوسف فعف عنها وآثرها ملوك الاندلس وعرفهم أن مقصده الجهاد والاجر العظيم وما عند الله في ذلك من الثواب المقيم فلما رأت ملوك الاندلس ايثار يوسف لهم بالغنائم استكثروه وأحبوه وشكروا له ذلك ولما بلغ الاذفونش الى بلاده وسأل عن أبطاله وشجعانه وأصحابه ففقدهم ولم يسمع الا نواح الثكالى عليهم اهتم ولم يأكل ولم يشرب حتى هلك غما وه

المأوية ولم يخلف الا بنتا واحدة جعل الامر اليها فتحصنت بطليطلة ور

اشبيلية ومعه السلطان يوسف بن تاشفين فأقام السلطان يوسف بن تاشف

ثلاثة أيام ووردت عليه من المغرب أخبار تقتضي العزم فسافر وذهب معه ابن عباد يوما وليلة فخلف ابن تاشفين وعزم عليه في الرجوع وكانت جراحاته تورمت عليه فسير معه ولده

يخرج الى عرفة بسبب الحجاج فكانت عدة حصار الحجاج لابن الزبير بمكة خمسين ليلة ودخل ابن الزبير على أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه وقد بلغت مائة سنة لم تقع لها سن ولا ابيض لها شعر ولم ينكر لها عقل على حسب ما قدمنا من خبرها في هذا الكتاب فقال يا امه كيف تجدينك قالت أنى لشاكية يا بني فقال لها ان في الموت راحة قالت لعلك تمنيه لى وما أحب أن أموت حتى يأتى على أحد طرفيك اما قتلت فأحتسبك واما ظفرت فقرت عينى بك وأوصى عبد الله بما يحتاج من أمره وأمر نساءه اذا بلغن الواعية عليه ان يضممن أمه أسماء اليهن وكان عروة ابن الزبير على رأى عبد الملك بن مروان وكان كتب عبد الملك بن مروان الى الحجاج يأمره بتعاهد عروة وأن لا يسوءه في نفسه وماله فخرج عروة الى الحجاج ورجع الى أخيه فقال هذا

الملك على ما احدثت أنت ومن معك وأن تنزل أي البلاد شئت لك بذلك عهد الله وميثاقه وغير ذلك من الكلام فأبى عبد الله قبول ذلك وقالت له أمه أسماء أي بني لا تقبل خطة تخاف على نفسك

عبد الله الى أن وصل البصرة وعبر الى المغرب ولما رجع ابن عباد الى اشبيلية جلس للناس وهنئ بالفتح وقرأت القراء وقامت على رأسه الشعراء فانشدوه قال عبد الجليل بن وهبون حضرت ذلك اليوم وأعددت قصيدة أنشدها بين يديه فقرأ القارئ الا تنصروه فقد نصره الله فقلت بعد الى ولشعري والله ما أبقت لي هذه الآية معنى أحضره وأقوم به ولما عزم السلطان يوسف بن تاشفين الى بلاده ترك الامير سيري بن أبي بكر أحد قواده المشاهير وترك معه جيشا برسم غزو الفرنج فاستراح الامير المذكور أياما قلائل ودخل بلاد الاذفونس وأطلق الغارة ونهب وسبى وفتح الحصون المنيعة والمعاقل الصعبة العويصة وتوغل في البلاد وحصل أموالا وذخائر عظيمة ورتب رجالا وفرسانا في جميع ما أخذه وأرسل للسلطان يوسف جميع ما حصله وكتب له يعرفه أن الجيوش بالثغور مقيمة على مكابدة العدو وملازمة الحرب والقتال في أضيق العيش وأنكده وملوك الاندلس في بلادهم وأهليهم في أرغد عيش وأطيبه وسأله مرسومه فكتب اليه أن يأمرهم بالنقلة والرحيل الى أرض العدو ففعل فذاك ومن أبى حاصره وقاتله ولا تنفس عليه ولتبدأ بمن والى الثغور ولا تتعرض للمعتمد بن عباد الا بعد استيلائك على البلاد وكل بلد أخذته فول فيه أميرا من عساكرك فأول من ابتدأ به من ملوك الاندلس بنو هود وكانوا برطه بضم الراء المهملة وبعدها واو ساكنة وطاء مهملة مفتوحة وبعدها هاء ساكنة وهي قلعة منيعة من عاصمات الذرى وماؤها ينبع من أعلاها وفيها من الاقوات والذخائر المختلفات ما لا تفنيه الازمان فحاصرها فلم يقدر عليها ورحل عنها وجند أجنادا على هيئة الفرنج وزيهم وأمرهم أن يقصدوها ويغيروا عليها وكمن هو وأصحابه بقرب منها فلما رآهم أهل القلعة استضعفوهم فنزلوا اليهم ومعهم صاحب القلعة فخرج عليه سيري المذكور وقبضه باليد وتسلم الحصن ثم نازل بني طاهر بشرق الاندلس فأسلموا له البلاد ولحقوا بابراء العدوة ثم نازل بني صمادح بالمرية ولها قلعة حصينة فحاصرهم وضيق بهم ولما علم ابن صمادح الغلب أسف ومات غبنا فأخذ القلعة واستولى على المرية وجميع أعمالها ثم قصد بطليوس وكان بها المتوكل عمر بن محمد بن الافطس المتقدم ذكره فحاصره وأخذه واستولى على جميع أعماله وماله ولم يبق له الا المعتمد ابن عباد فكتب للسلطان يوسف يعرفه بما فعل ويسأله مرسومه في ابن عباد فكتب اليه يأمره أنه يعرض عليه النقلة لبر العدوة بجميع الاهل والعشيرة فان رضي والا فحاصره وخذه وأرسل به كسائر أصحابه فواجهه وعرفه بما رسم به السلطان يوسف وسأله الجواب فلم يجب بنفي ولا اثبات ثم انه نازل اشبيلية وحاصره بها وألح عليه فأقام الحصار شهرا ودخل البلد قهرا واستخرجه من قصره مخمل وجميع أهله وولده الى العدوة فنزل باغمات وأقام بها الى أن مات رحمه الله تعالى وعفا عنه * وأما ابن الاثير ففي كلامه تقديم وتأخير وبعض خلاف لما رأيناه وأخبار المعتمد بن عباد وما رآه من الملك والعز في كل حاضر وباد وما قاساه في الاسر من الضيق والعسر وسوء العيش أمر عجيب يتعظ به العاقل الاريب وأما مادحته الشعراء وأجزل بتعلمه في حالي يسره وعسره وملكه وأسره وطيه ونشره وتجهمه وبشره فهو كثير وفي كتب التواريخ منه عظيم وثير وقد قدمنا منه في هذا الكتاب ما يبعث الاعتبار

منها مخافة القتل مت كريما
فقالت يا بني وهل تسلم الشاة من السلخ بعد الذبح ودخلوا على ابن الزبير في المسجد وقت الصلاة وقد التجأ الى البيت وهم ينادون يا ابن ذات النطاقين فقال ابن الزبير متمثلا وعيرها الواشون أني أحبها وتلك شكاة ظاهر عنك عارها
ونظر الى طائفة منهم قد اقبلوا نحوه بالسيوف فقال لاصحابه من هؤلاء قالوا أهل مصر قال قتلة عثمان أمير المؤمنين ورب الكعبة فحمل عليهم فضرب رجلا منهم به أدمة فقده وقال صبرا يا ابن حام وتكاثر عليه الرجال من أهل الشام ومصر فلم يزل يضرب فيهم حتى أخرجهم عن المسجد ورجع الى البيت وهو يقول
ولست بمبتاع الحياة بسبة ولا مبتغ من رهبة الموت سلما
فاستلم الحجر ثم تكاثروا عليه فحمل عليهم وهو يقول
قد سن أصحابك ضرب الاعناق
وقامت الحرب بنا على ساق
فأتاه حجر فصك جبينه فأدماه وأوضحه فقال

وإياك ان تؤسر أو تطعى بيدك فقال يا أمه اني أخاف ان يمثل بي بعد القتل

ولسنا على الاعقاب تدمى كلومنا * ولكن على أقدامنا تقطر الدما

ويثير

ويثير وخصوصا فى الباب السابع من هذا التأليف الذى هو عند المنصف أثير وفى المعتمد وأبيه المعتضد يقول بعض الشعراء

من بنى منذر وذاك انتساب * زاد فى فخرهم بنو عباد
فتيمم تلد سواها المعالى * والمعالى قليلة الاولاد

وقال ابن القطاع فى كتابه لمح الملح فى حق المعتمد انه اندى ملوك الاندلس راحه وأرحبهم ساحه وأعظمهم شمادا وأرفعهم عمادا ولذلك كانت حضرته ملتقى الرحال وموسم الشعراء وقبلة الآمال ومألف الفضلاء حتى انه لم يجتمع بباب أحد من الملوك من اعيان الشعراء وأفاضل الادباء ما كان يجتمع ببابه وتشتمل عليه حاشيتا جنابه * وقال ابن بسام فى الذخيرة للمعتمد شعر كما انشق الكمام عن الزهر لو صار مثله ممن جعل الشعر صناعه واتخذه بضاعه لكان رائقا معجبا ونادرا مستغربا فمنه قوله

أكثرت هجرك غير أنك ربما * عطفتك أحيانا على الامور
فكأنما زمن التهاجر بيننا * ليل وساعات الوصال بدور

قال وهذا المعنى ينظر الى قول بعضهم من أبيات

اسفر ضوء الصبح عن وجهه * فقام ذاك الخال فيه بلال
كأنما الخال على خده * ساعات هجر فى زمان الوصال

وعزم على ارسال حظاياه من قرطبة الى اشبيلية فخرج معهن يشيعهن فسايرهن من أول الليل الى الصبح فودعهن ورجع وأنشد أبياتا منها

سايرتهم والليل عقد ثوبه * حتى تبدى للنواظر معلما
فوقفت ثم مودعا وتسلمت * منى يد الاصباح تلك الانجما

وهذا المعنى فى نهاية الحسن ثم ذكر من كلامه جملة (عودوا انعطاف) ولما جاء أمير المسلمين يوسف بن تاشفين الى ناحية غرناطة بعد ما حصر بعض حصون الفرنج فلم يقدر عليه خرج الى لقائه صاحب غرناطة عبد الله بن بلكين فسلم عليه ثم عاد الى بلده ليخرج له التقادم فغدر به ودخل البلد وأخرج عبد الله ودخل قصره فوجد فيه من الذخائر والاموال ما لا يحد ولا يحصى ثم رجع الى مراكش وقد أعجبه حسن بلاد الاندلس وبهجتها وما بها من المبانى والبساتين والمطاعم وسائر الاصناف التى لا توجد فى سائر بلاد العدوة اذ هى بلاد بربر واجلاف عربان فجعل خواص يوسف يعظمون عنده بلاد الاندلس ويحسنون له أخذها ويوغرون قلبه على المعتمد بأشياء نقلوها عنه فتغير على المعتمد وقصد مشارفة الاندلس (وحكى) ابن خلدون أن علماء الاندلس أفتوا ابن تاشفين بجواز خلع المعتمد وغيره من ملوك الطوائف و بقتالهم ان امتنعوا فجهز يوسف العساكر الى الاندلس وحاصر سير بن أبى بكر أحد عظماء دولة يوسف اشبيلية و بها المعتمد فكان من دفاعه وشدة ثباته ما هو معلوم ثم أخذ أسيرا وصار طرف الملك بعده حسيرا * وفى وصف ذلك يقول صاحب القلائد بعد كلام ثم جمع هو وأهله وحلتهم الجوارى المنشآت وضمتهم كأنهم أموات بعد ما ضاق عنهم القصر وراق منهم المصر والناس قد حشروا بضفتى الوادى يبكون بدموع كالغوادى فساروا

القوا أغماد السيوف وليصن
كل منكم سيفه كما يصون
وجهه لا ينكسر سيف أحدكم
فيقعد كالمرأة ولا يسأل
رجل منكم أين عبد الله
من يسأل عنى فانى فى
الرعيل الاول ثم أنشأ
يقول
يارب ان جنود الشأم قد
كثروا
وهتكوا من حجاب البيت
أستارا
يارب انى ضعيف الركن
مضطهد
فابعث الى جنودا منك
أنصارا
وتكاثر أهل الشأم عليه
ألوفا من كل باب فحمل
عليهم فشدخ بالحجارة
فانصرع وأكب عليه
مولیان له وأحدهما يقول
العبد يحمى ربه و يحتمى
حتى قتلوا جميعا وتفرق من
كان معه من أصحابه وأمر به
الحجاج فصلب بمكة وكان
مقتله يوم الثلاثاء لاربع
عشرة ليلة خلت من جمادى
الاولى سنة ثلاث وسبعين

الكذاب فهو المختار وأما المبير فما أظنك الا وسنذكر لمعا من أخبار الحجاج فيما يرد من هذا الكتاب وان كنا

والنوح يحدوهم والبوح باللوعة لا يعدوهم انتهى * ولما فرغ أمير المسلمين يوسف ابن تاشفين من أمر غزوة الزلاقة المتقدم ذكرها ورجع تكرم له ابن عباد وسأله أن ينزل عنده فعرج الى بلاده اذ أجابه الى ما طلب فلما انتهى ابن تاشفين الى اشبيلية مدينة المعتمد وهى من أجل المدن وأحسنها منظرا وأمعن يوسف النظر فيها وفى محلها وهى على نهر عظيم متبحر تجرى فيه السفن بالبضائع جالبة من بر المغرب وحاملة اليه وفى غربيها رستاق عظيم مسيرة عشرين فرسخا يشتمل على آلاف من الضياع كلها تين وعنب وزيتون وهذا هو المسمى بشرف اشبيلية وتمتار بلاد المغرب كلها بهذه الاصناف منه وفى جانب المدينة قصور المعتمد وأبيه المعتضد فى غاية الحسن والبهاء وفيها أنواع ما يحتاج اليه من المطعوم والمشروب والملبوس والمفروش وغير ذلك فأنزل المعتمد يوسف بن تاشفين فى أحدها وتولى من اكرامه وخدمته ما أوسع شكر ابن تاشفين له وكان مع ابن تاشفين أصحاب له ينبهونه على حسن تلك الحال وتأملها وما هى عليه من النعمة والاترف ويغرونه باتخاذ مثلها ويقولون له ان فائدة الملك قطع العيش فيه بالتنعم واللذة كما هو والمعتمد وأصحابه وكان ابن تاشفين عاقلا مقتصدا فى أموره غير متطاول ولا مبذر غير سالك نهج الترف والتأنق فى اللذة والنعيم اذ ذهب صدر عمره فى بلاده بالصحراء فى شظف العيش فأنكر على من أغراه بذلك الاسراف وقال له الذى يلوح لى من أمر هذا الرجل يعنى المعتمد انه مضيع لما فى يده من الملك لان هذه الاموال الكثيرة التى تصرف فى هذه الاحوال لابد أن يكون لها أرباب لا يمكن أخذ هذا القدر منهم على وجه العدل أبدا فأخذه بالظلم واخراجه فى هذه الترهات من أفشى الاستهتار ومن كانت همته فى هذا الحد من التصرف فيما لا يعد والاجوفين متى يستجد همة فى ضبط بلاده وحفظها وصون رعيته والتوفير لمصالحها ولعمرى لقد صدق فى كل ذلك ثم ان يوسف بن تاشفين سأل عن أحوال المعتمد فى لذاته هل تختلف فتنقص عما هو عليه فى بعض الاوقات فقيل له بل كل زمانه على هذا فقال أفكل أصحابه وأنصاره على عدوه ومنجديه على الملك ينال حظا من ذلك فقالوا لا قال فكيف تروز رضاهم عنه فقالوا لا رضا لهم عنه فاطرق وسكت وأقام عند المعتمد على تلك الحال أياما وفى أثنائها استأذن رجل على المعتمد فدخل وهو ذو هيئة رثة وكان من أهل البصائر فلما مثل بين يديه قال أصلحك الله أيها السلطان ان من أوجب الواجبات شكر النعمة وان من شكر النعمة اهداء النصائح وانى رجل من رعيتك حالى فى دولتك الى الاختلال أقرب منها الى الاعتدال ولكننى مع ذلك مستوجب لك من النصيحة ما للملك على رعيته فمن ذلك خبر وقع فى أذنى من بعض أصحاب ضيفك هذا يوسف بن تاشفين يدل على انهم يرون أنفسهم وملكهم أحق بهذه النعمة منك وقد رأيت رأيا فان آثرت الاصغاء اليه قلته فقال المعتمد له قله فقال له رأيت أن هذا الرجل الذى أطلعته على ملكك مستأسد على الملوك قد حكم على رفقائه بير العدوة وأخذ الملك من أيديهم ولم يبق على واحد منهم ولا يؤمن أن يطمع الى المطمع فى ملكك بل فى ملك جزيرة الاندلس كلها لما قد عاينه من هناءة عيشك وانى لمتخيل مثل ذلك لسائر ملوك الاندلس وان له من الاقارب وغيرهم من يؤدى الحلول بما أنت فيه من خصب الجناب وقد ارى الاذفونش

ثلاث سنين ثم جمع له العراق بعد موت بشر بن مروان بالبصرة ومات جابر ابن عبد الله الانصارى فى أيام عبد الملك بالمدينة وذلك فى سنة ثمان وسبعين وقد ذهب بصره وهو ابن نيف وتسعين سنة وقد كان قدم الى معاوية بدمشق فلم يأذن له أياما فلما أذن له قال يا معاوية أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من حجب ذا فاقة وحاجة حجبه الله يوم فاقته وحاجته فغضب معاوية وقال له لقد سمعته يقول انكم ستلقون بعدى أثرة فاصبروا حتى تردوا على الحوض أفلا صبرت قال ذكرتنى ما نسيت وخرج فاستوى على راحلته ومضى فوجه اليه معاوية بستمائة دينار فردها وكتب اليه وانى لاختار القنوع على الغنى اذا اجتمعا والماء بالبارد العض وأقضى على نفسى اذا الامر نابنى وفى الناس من يقضى عليه ولا يقضى

والبس أثواب الحياء وقد أرى * بمكان الغنى أن لا أهين له عرضى وقال لرسوله قل له والله وجيشه

والنجاز واليمن واليمامة

و جيشه واستأصل شأفتهم واعدملك منه أقوى ناصر عليه لو احتجت اليه فقد كان لك منه أقوى عضد وأوفى مجن وبعد فانه ان فات الامر فى الاذفونش فلا يفتك الحزم فيما هو ممكن اليوم فقال له المعتمد وما هو الحزم اليوم فقال أن تجمع أمرك على قبض ضيفك هذا واعتقاله فى قصرك وتحزم انك لا تطلقه حتى يأمر كل من بجزيرة الاندلس من عسكره أن يرجع من حيث جاء حتى لا يبقى منهم احد بالجزيرة طفل فما فوقه ثم تتفق أنت وملوك الجزيرة على حراسة هذا البحر من سفينة تجرى فيه له ثم بعد ذلك تستحلفه باغلظ الايمان أن لا يضمر فى نفسه عودا الى هذه الجزيرة الا باتفاق منكم ومنه وتأخذ منه على ذلك رهائن فانه يعطيك من ذلك ما تشاء فنفسه أعز عليه من جميع ما يلتمس منه فعند ذلك يقتنع هذا الرجل ببلاده التى لا تصلح الا له وتكون قد استرحت منه بعد ما استرحت من الاذفونش وتقيم فى موضعك على خير حال و يرتفع ذكرك عند ملوك الجزيرة ويتسع ملكك وينسب هذا الاتفاق لك الى سعادة وحزم وتهابك الملوك ثم أعمل بعد هذا ما يقتضيه حزمك فى مجاورة من عاملته هذه المعاملة واعلم أنه قد تهيأ لك من هذا أمر سماوى تتفانى الامم وتجرى بحار الدم دون حصول مثله فلما سمع المعتمد كلام الرجل استصوبه وجعل يفكر فى انتهاز الفرصة وكان للمعتمد ندماء قد انهمكوا معه فى اللذات فقال احدهم لهذا الرجل الناصح ما كان المعتمد على الله وهو امام أهل المكرمات عن يعامل بالحيف و يغدر بالضيف فقال الرجل انما الغدر أخذ الحق من يد صاحبه لا دفع الرجل عن نفسه المحذور اذا ضاق به فقال ذلك النديم ضيم مع وفاء خير من حزم مع جفاء ثم ان ذلك الناصح استدرك الامر وتلافاه فشكر له المعتمد ووصله بصلة واتصل هذا الخبر بيوسف فاصبح غاديا فقدم له المعتمد الهدايا السنية والتحف الفاخرة فقبلها ثم رحل انتهى خبر وقعة الزلاقة وما يتبعه ملخصا من كتب التاريخ (ولما) انقرض بالاندلس ملك ملوك الطوائف بنى عباد و بنى ذى النون و بنى الافطس وبنى صمادح وغيرهم انتظمت فى سلك اللمتونيين و كانت لهم فيها وقعات بالاعداء مشهورة فى كتب التواريخ (ولما) مات يوسف بن تاشفين سنة خمسمائة قام بالملك بعده ابنه أمير المسلمين على بن يوسف وسلك سنن أبيه وان قصر عنه فى بعض الامور ودفع العدو عن الاندلس مدة الى أن قيض الله تعالى للثورة عليه محمد بن تومرت الملقب بالمهدى الذى اسس دولة الموحدين فلم يزل يسعى فى هدم بنيان لمتونة الى أن مات ولم يملك حضرة سلطنتهم مراكش ولكنه ملك كثيرا من البلاد فاستخلف عبد المؤمن بن على فكان من استيلائه على [illegible] اللمتونيين ما هو معروف ثم جاز الى الاندلس وملك كثيرا منها ثم اخرج [illegible] مهدية أفريقية وملك بلادا فريقية وضمها لملكه وتسمى بامير المؤمنين ولما [illegible] الاذفونش صاحب طليطلة وبلاد الجلالقة الى قرطبة ومعه أربعون [illegible] ها وكان أهلها فى غلاء شديد فبلغ الخبر عبد المؤمن فجهز اليهم جيشا يحتوى على اثنى ن فارس فلما اشرفوا على الاذفونش رحل عنها وكان فيها القائد أبو الغمر السائب الى صاحب جيش عبد المؤمن يحيى بن ميمون فبات فيها فلما اصبح رأى الفرنج عادوا انهم ونزلوا فى المكان الذى كانوا فيه فلما عاين ذلك رتب هنالك ناسا وعاد الى عبد [illegible] ك وتعالى فى كل يوم وليلة ثلثمائة وستين لحظة أو قال نظرة لعله أن ينظر الى منها بنظرة أو قال بلحظة فيرحمنى

الحنفية فى سنة احدى وثمانين فى أيامه بالمدينة ودفن بالبقيع وصلى عليه أبان بن عثمان بن عفان باذن ابنه أبى هاشم وكان محمد يكنى بأبى القاسم وقبض وهو ابن خمس وستين وقيل انه خرج الى الطائف هاربا من ابن الزبير فمات بها وقيل انه مات ببلاد أيلة وقد تنوزع فى موضع قبره وقدمنا قول الكيسانية ومن قال منهم انه يجيل رضوى وكان له من الولد الحسن وأبو هاشم والقاسم وابراهيم

(حدثنا) نصر بن على قال حدثنا أبو أحمد الزبيرى عن يونس بن أبى اسحق قال حدثنا سهيل بن عبيد ابن عمر الخابورى قال كتب ابن الحنفية الى عبد الملك ان الحجاج قد قدم بلدنا فقد خفته فأحب ان لا تجعل له على سلطانا ولا لسانا فكتب عبد الملك الى الحجاج ان محمد بن على [illegible] تعفنى منك

فلقيه فى الطواف فعض على شفته ثم قال لم يأذن لى فيك أمير المؤمنين فقال له محمد ويحك أو ما علمت

المؤمن ثم رحل الفرنج الى ديارهم وفى السنة بعدها دخل جيش عبد المؤمن الى الاندلس فى عشرين ألفا عليهم الغتاتى فصار اليه صاحب غرناطة ميمون وابن همشك وغيرهما فدخلوا تحت طاعة الموحدين وحرصوا على قصد ابن مردنيش ملك شرق الاندلس و بلغ ذلك ابن مردنيش فخاف وارسل الى صاحب برشلونة من الافرنج يستنجده فتجهز اليه فى عشرة آلاف من الافرنج عليهم فارس وسار صاحب جيش عبد المؤمن الى أن قارب ابن مردنيش فبلغه أمر البرشلونى الافرنجى فرجع ونازل مدينة المرية وهى بايدى الروم فحاصرها فاشتد الغلاء فى عسكره فرجع الى اشبيلية فاقام فيها وسار عبد المؤمن الى سبتة فجهز الاساطيل وجمع العساكر ثم سار عبد المؤمن سنة ٥٤٧ الى المهدية فملكها وملك أفريقية وضخم ملكه كما قدمناه ولما مات بويع بعده ولده يوسف بن عبد المؤمن ولما تمهدت له الامور واستقرت قواعد ملكه رحل الى جزيرة الاندلس لكشف مصالح دولته وتفقد احوالها وكان ذلك سنة ست وستين وخمسمائة وفى صحبته مائة ألف فارس من الموحدين والعرب فنزل بحضرة اشبيلية وخافه ملك شرق الاندلس مرسية وما انضاف اليها الامير الشهير أبو عبد الله محمد بن سعد المعروف بابن مردنيش وحمل على قلب ابن مردنيش فمرض مرضا شديدا ومات وقيل انه سم ولما مات جاء أولاده وأهله الى أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن وهو باشبيلية فدخلوا تحت حكمه وسلموا الاحكام البلاد فصاهرهم واحسن اليهم واصبحوا عنده فى اعز مكان ثم شرع فى استرجاع البلاد التى استولى عليها الافرنج فاتسعت مملكته بالاندلس وصارت سراياه تعبر الى باب طلبطلة وقيل انه حاصرها فاجتمع الفرنج كافة عليه واشتد الغلاء فى عسكره فرجع عنها الى مراكش حضرة ملكه ثم ذهب الى أفريقية فهدها ثم رجع الى حضرته مراكش ثم جاز البحر الى الاندلس سنة ثمانين وخمسمائة ومعه جمع كثيف وقصد غربى بلادها فحاصر مدينة شنترين وهى من اعظم بلاد العدو وبقى محاصرا لها شهرا فاصابه المرض فمات فى السنة المذكورة وحمل فى تابوت الى اشبيلية وقيل اصابه سهم من قبل الافرنج والله سبحانه وتعالى أعلم بحقيقة الحال * وفى ابنه السيد اسحق يقول مطرف التصيبى رحمه الله تعالى

سعد كما شاء العلا والفخار * تصرف الليل به والنهار
ما دانت الارض لكم عنوة * وانما دانت لامر كبار
مهدتموها فصفا عيشها * واتصل الابن فنعم القرار
ومنها فالشاة لا يختلها ذئبها * وان اقامت معه فى وجار

ولما مات يوسف قام بالامر بعده ابنه الشهير أمير المؤمنين يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن فقام بالامر أحسن قيام ولما مات يوسف المذكور رثاه أديب الاندلس أبو بكر يحيى ابن مجبر بقصيدة طويلة أجاد فيها واولها

جل الاسى فأسل دم الاجفان * ما الشؤن لغير هذا الشان

ويعقوب المنصور هو الذى أظهر أبهة ملك الموحدين ورفع راية الجهاد ونصب ميزانه وبسط الاحكام الشرعية وأظهر الدين وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر وأقام الاذفونش

الروم وقد كان توعده فكتب اليه ملك الروم ليست هذه من معيشتك ولا من سجية آبائك ما قالها الا نبى أو رجل من أهل بيت نبى (وذكر) الشعبى قال أنفذنى عبد الملك الى ملك الروم فلما وصلت اليه جعل لا يسألنى عن شىء الا أجبته وكانت الرسل لا تطيل الاقامة عنده فحبسنى أياما كثيرة حتى استطبت خروجى فلما أردت الانصراف قال لى من أهل بيت المملكة أنت قلت لا ولكنى رجل من العرب فى الجملة فهمس بشىء فدفعت الى رقعة وقيل لى اذا أديت الرسائل عندوصولك الى صاحبك أوصل اليه هذه الرقعة قال فأديت الرسائل عند وصولى الى عبد الملك ونسيت الرقعة فلما صرت فى بعض الدار اذبدات بالخروج تذكرتها فرجعت فأوصلتها اليه فلما قرأها قال لى أقال لك شيأ قبل أن يدفعها اليك قلت نعم قال لى من أهل بيت المملكة انت قلت لا ولكنى رجل من العرب فى الجملة ثم خرجت من عنده فلما بلغت الباب رددت فلما مثلت بين يديه قال لى اتدرى ما فى الرقعة قلت لا قال اقرأها فلما قرأتها فاذا فيها عجبت من قوم فيهم مثل هذا

كيف ملكوا غيره فقلت له والله لو علمت ما حملتها وانما قال هذا لانه لم يرك قال أفتدري لم كتبها ٥٣٧ قلت لا قال حسدني عليك

القريب والبعيد وله في ذلك أخبار وفيه يقول الاديب أبو اسحق ابراهيم بن يعقوب المكانسي الاسود الشاعر المشهور

أزال حجابه عني وعيني * تراه من المهابة في حجاب
وقربني تفضله ولكن * بعدت مهابة عند اقترابي

وكثرت الفتوحات في أيامه وأول ما نظر فيه عند صيرورة الامر اليه بلاد الاندلس فنظر في شأنها ورتب مصالحها وقرر المقاتلين في مراكزهم ورجع الى كرسي مملكته مراكش المحروسة وفي سنة ٥٨٦ بلغه أن الافرنج ملكوا مدينة شلب وهي من غرب الاندلس فتوجه اليها بنفسه وحاصرها وأخذها وأنفذ في الوقت جيشا من الموحدين والعرب ففتح أربع مدن مما بأيدي الافرنج من البلاد التي كانوا أخذوها من المسلمين قبل ذلك بأربعين سنة وخافه صاحب طليطلة وسأله المدنة والصلح فهادنه خمس سنين وعاد الى مراكش وأنشد القائد أبو عبد الله بن وزير الشلبي وهو من أمراء كتاب اشبيلية قصيدة يخاطب بها يعقوب المنصور فيما جرى في وقعة مع الافرنج كان الشلبي المذكور مقدما فيها

ولما تلاقينا جرى الطعن بيننا * فمنا ومنهم طائحون عديد
وجال غرار الهند فينا وفيهم * فمنا ومنهم قائم وحصيد
فلا صدر الا فيه صدر مثقف * وحول الوريد للحسام ورود
صبرنا ولا كهف سوى البيض والقنا * كلانا على حر الجلاد جليد
ولكن شددنا شدة فتبلدوا * ومن يتبلد لا يزال يحيد
فولوا وللسمر الطوال بهامهم * ركوع وللبيض الرقاق سجود

(رجع) الى أخبار المنصور بعد مدنة الافرنج ولما انقضت مدة المدنة ولم يبق منها الا القليل خرج طائفة من الافرنج في جيش كثيف الى بلاد المسلمين فنهبوا وسعوا وعاثوا عيثا فظيعا فانتهى الخبر اليه فتجهز لقصدهم في جيوش موفرة وعساكر مكتبة واحتفل في ذلك وجاز الى الاندلس سنة ٥٩١ فعلم به الافرنج فجمعوا جمعا كثيرا من أقاصي بلادهم وأدانيها وأقبلوا نحوه وقيل انه لما أراد الجواز من مدينة سلا مرض مرضا شديدا ويئس منه اطباؤه فعاث الاذفونش في بلاد المسلمين بالاندلس وانتهز الفرصة وتفرقت جيوش المسلمين بسبب مرض السلطان فأرسل الاذفونش يتهدد ويتوعد ويرعد ويبرق وطلب بعض الحصون المتاخمة له من بلاد الاندلس وخلاصة الامر أن المنصور توجه بعد ذلك الى لقاء النصارى وتزاحف الفريقان فكان المصاف شمالي قرطبة على قرب قلعة رباح في يوم الخميس تاسع شعبان سنة ٥٩١ فكانت بينهم وقعة عظيمة استشهد فيها جمع كبير من المسلمين (وحكي) أن يعقوب المنصور جعل مكانه تحت الاعلام السلطانية الشيخ أبا يحيى ابن أبي حفص عم السلطان أبي زكريا الحفصي الذي ملك بعد ذلك افريقية وخطب له بالاندلس فقصدا الافرنج الاعلام ظنا أن السلطان تحتها فأثروا في المسلمين أثرا قبيحا بشر الفريقان وظن السلطان يعقوب قد أشرف عليهم بعد كسر شوكتهم فهزمهم شر هزيمة وهرب الى مكانهم وزر الطائفة يسيرة وهذه وقعة الارك الشهيرة الذكر (وحكي) أن الذي حصل

وأرادان يغريني بقتلك قال فتأدى ذلك الى ملك الروم فقال ما أردت الا ما قال وذكر عند معاوية عبد الملك فقال هو آخذ بثلاث وتارك لثلاث آخذ بقلب الناس اذا حدث ويحسن الاستماع اذا حدث وبأيسر الامرين اذا خولف تارك للمراء تارك للغيبة تارك لما يعتذر منه وقال لعبد الملك بعض جلسائه يوما أريد الخلوة بك فلما خلا به قال له عبد الملك بشرط ثلاث خصال لا تطر نفسي عندك فانا أعلم بها منك ولا تغتب عندي أحدا فلست أسمع منك ولا تكذبني فلا رأي لمكذب قال أتأذن في الانصراف قال اذا شئت وذكر الهيثم وغيره من الاخباريين أن عبد الملك بلغه عن عامل من عماله أنه قبل الهدايا فاستخصه اليه فلما دخل عليه قال له أقبلت هدية منذ وليت قال يا أمير المؤمنين بلادك عامرة وخراجك موفور ورعيتك على أفضل حال قال أجب فيما سألتك عنه اقبلت هدية منذ وليتك قال نعم قال ان كنت قبلت ولم تعوض انك للئيم ولئن كنت أنت أهديتها من غير مال أو استكفيته ما لم يكن مثله مستكفاه انك لخائن جائر وفيما أتيت أمر

لبيت المال من دروع الافرنج ستون الفا واما الدواب على اختلاف أنواعها فلم يحصر لها عدد ولم يسمع بعد وقعة الزلاقة بمثل وقعة الارك هذه وربما صرح بعض المؤرخين بأنها أعظم من وقعة الزلاقة وقيل ان فل الافرنج هربوا الى قلعة رباح فتحصنوا بها فحاصرها السلطان يعقوب حتى أخذها وكانت قبل للمسلمين فأخذها العدو فردت فى هذه المرة ثم حاصر طليطلة وقاتلها أشد قتال وقطع أشجارها وشن الغارات على ارجائها وأخذ من أعمالها حصونا وقتل رجالها وسبى حريمها وخرب منازلها وهدم أسوارها وترك الافرنج فى أسوا حال ولم يبرز اليه أحد من المقاتلة ثم رجع الى اشبيلية وأقام الى سنة ٥٩٣ فعاد الى بلاد الافرنج وفعل فيها الافاعيل فلم يقدر العدو على لقائه وضاقت على الافرنج الارض بما رحبت فطلبوا الصلح فأجابهم اليه لما بلغه من ثورة الميرقى عليه بافريقية مع قراقوش مملوك بنى أيوب سلاطين مصر والشام ثم توفى السلطان يعقوب سنه ٥٩٥ وما يقال انه ساح فى الارض وتخلى عن الملك ووصل الى الشام ودفن بالبقاع لا أصل له وان حكى ابن خلكان بعضه وممن صرح ببطلان هذا القول الشريف العرناطى فى شرح مقصورة حازم وقال ان ذلك من هذيان العامة لولوعهم بالسلطان المذكور * وتولى بعده ولده محمد الناصر المشؤم على المسلمين وعلى جزيرة الاندلس بالخصوص فانه جمع جموعا اشتملت على ستمائة الف مقاتل فيما حكاه صاحب الذخيرة السنية فى تاريخ الدولة المرينية ودخله الاعجاب بكثرة من معه من الجيوش فصادف الافرنج فكانت عليه وعلى المسلمين وقعة العقاب المشهورة التى خلا بسببها أكثر المغرب واستولى الافرنج على أكثر الاندلس بعدها ولم ينج من الستمائة الف مقاتل غير عدد يسير جدا لم يبلغ الالف فيما قيل وهذه الوقعة هى الطامة على الاندلس بل المغرب جميعا وما دك الا لسوء التدبير فان رجال الاندلس العارفين بقتال الافرنج استخف بهم الناصر ووزيره فشنق بعضهم ففسدت النيات فكان ذلك من بخت الافرنج والله غالب على أمره وكانت وقعة العقاب هذه المشؤمة سنة ٦٠٩ ولم تقم بعدها للمسلمين قائمة تحمد * ولما مات الناصر سنة عشرين وستمائة ولى بعده ابنه يوسف المستنصر وكان مولعا بالراحة فضعفت الدولة فى أيامه * وتوفى سنة ٦٢٠ فتولى عم أبيه عبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن فلم يحسن التدبير وكان اذ ذاك بالاندلس العادل بن المنصور فرأى أنه أحق بالامر فاستولى على ما بقى فى أيدى المسلمين من الاندلس بغير كلفة ولما خلع عبد الواحد وخنق بمراكش ثارت الافرنج على العادل بالاندلس وتصاف معهم فانهزم ومن معه من المسلمين هزيمة شنعاء فكانت الاندلس قرحا على قرح فهرب العادل وركب البحر يروم مراكش وترك باشبيلية ابا العلاء ادريس ودخل العادل مراكش بعد خطوب ثم قبض عليه الموحدون و[illegible] بن الناصر صغير السن غير مجرب للامور فادعى حينئذ الخلافة أبو العلاء ادريس باشبيلية وبايعه أهل الاندلس ثم بايعه أهل مراكش وهو مقيم بالاندلس فثار على أبى العلاء بالاندلس الامير المتوكل محمد بن يوسف الجذامى ودعا الى بنى العباس فمال الناس اليه ورجعوا عن ابى العلاء فخرج عن الاندلس اعنى أبا العلا وترك ما وراء البحر لابن هود ولم يزل أبو العلاء يحارب يحيى بن الناصر الى ان قتل يحيى وصفا الامر لابى

لا تخلو فيه من دناءة أو
قال الوليد بن اسحق قال
قال ابن عباس كانت
عاتكة بنت يزيد بن
معاوية وأمها أم كلثوم
بنت عبد الله بن عامر تحت
عبد الملك بن مروان ففضلت
عليه فطلب رضاها بكل
شئ فأبت عليه وكانت
أحب الناس اليه فشكا
ذلك الى خاصته فقال له
عمرو بن بلال رجل من بنى
أسد كان قد تزوج بنت
زنباع الجذامى مالى عليك
ان أرضيتها قال أحكمك
فخرج وجلس ببابها يبكى
فقالت خاصتها مالك أبا
حفص قال فزعت الى ابنة
عمى فاستأذنوا لى عليها
فأذنت له و بينهما ستر
فقال قد عرفت حالى مع
أمراء المؤمنين معاوية
ويزيد ومروان وعبد الملك
ولم يكن لى غير ابنين فعدا
أحدهما على الآخر فقتله
فقال أمير المؤمنين انا قاتل
المتعدى قلت له انا ولى
الدم وقد عفوت فابى
على وقال ما أحب أن أعود
و[illegible] هذا وهو قاتله
با[illegible] الله
الا ما طلبته منه فقالت
لا أكلمه قال ما أظنك
تكسبين شيأ هو أفضل
من احياء نفس ولم يزل
خواصها وخدمها وحاشيتها حتى قالت على بثيابى فلبست وكان بينها و بين عبد الملك بن مروان قد

العلاء بالمغرب دون الاندلس ثم مات سنة ٦٣٠ * وبويع ابنه الرشيد وبايعه بعض أهل الاندلس ثم توفي سنة ٦٤٠ * وولي بعده أخوه السعيد وقتل على حصن بينه وبين تلمسان سنة ٦٤٦ * وولي بعده المرتضى عمر بن ابراهيم بن يوسف بن عبد المؤمن وفي سنة ٦٦٥ دخل عليه الواثق المعروف بابي دبوس ففر ثم قبض وسيق الى الواثق فقتله ثم قتل الواثق بنو مرين سنة ٦٦٨ وبه انقرضت دولة بني عبد المؤمن وكانت من أعظم الدول الاسلامية فاستولى بنو مرين على المغرب وأما المتوكل بن هود فملك معظم الاندلس ثم كثرت عليه الخوارج قريب موته وقتله غدرا وزيره ابن الرميمي بالمرية واغتنم الافرنج الفرصة بافتراق الكلمة فاستولوا على كثير مما بقي بايدي المسلمين من البلاد والحصون ثم آل الامر الى أن ملك بنو الاحمر وخطب بعض الاندلس لابي زكريا الحفصي صاحب افريقية وقد سبق الكلام على أكثر المذكور هنا وأعدناه لتناسق الحديث ولما في بعضه من زيادة الفائدة على البعض الآخر وذلك لا يخفى على المتأمل وقد بسطنا في الباب الثالث أحوال ابن هود وابن الاحمر وغيرهما رحم الله تعالى الجميع * ثم استفحل ملك يعقوب بن عبد الحق صاحب المغرب وحضرة ملك فاس فانتصر به أهل الاندلس على الافرنج الذين تكالبوا عليهم فاجتاز الى الاندلس وهزم الافرنج أشد هزيمة حتى قال بعضهم ما انصر المسلمون من العقاب حتى دخل يعقوب المريني وهتك في بعض غزواته بملك من النصارى يقال له ذو ننذ ويقال انه قتل من جيشه أربعين ألفا وهزمهم اشد هزيمة ثم تتابعت غزواته بالاندلس وجوازه للجهاد وكان له من بلاد الاندلس رندة والجزيرة الخضراء وطريف وجبل طارق وغير ذلك وأعز الله تعالى به الدين بعد تمرد الفرنج المعتدين * ولما مات ولي بعده ابنه يوسف بن يعقوب ففر اليه الاذفونش ملك النصارى لاذ به وقبل يده ورهن عنده تاجه فأعانه على استرجاع ملكه ولم يزل ملوك بني مرين يعينون أهل الاندلس بالمال والرجال وتركوا منهم حصة معتبرة من أقارب السلطان بالاندلس غزاة فكانت لهم وقائع في العدوة مذكورة ومواقف مشكورة وكان عند ابن الاحمر منهم جماعة بغرناطة وعليهم رئيس من بيت ملك بني مرين يسمونه شيخ الغزاة (ولما) أفضى الملك الى السلطان الكبير الشهير أبي الحسن المريني وخلص له المغرب وبعض بلاد الاندلس أمر بانشاء الاساطيل الكثيرة برسم الجهاد بالاندلس واهتم بذلك غاية الاهتمام فقضى الله تعالى أن استولى الافرنج على كثير من تلك المراكب بعد اخذهم الجزيرة الخضراء وكان الافرنج جمعوا جموعا كثيرة برسم الاستيلاء على ما بقي للمسلمين بالاندلس فاستنفر أهل الاندلس السلطان أبا الحسن المذكور فجاء بنفسه الى سبتة فرضة المجاز ومحل أساطيل المسلمين فاذا بالافرنج جاؤا بالسفن التي لا تحصى ومنعوه العبور وأغاثه أهل الاندلس حتى استولوا على الجزيرة الخضراء وأنكوه في مراكبه أعظم نكاية ولله الامر وقد أفصح عن ذلك كتاب صدر من السلطان أبي الحسن المذكور الى سلطان مصر والشام والحجاز الملك الصالح ابن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون الصالحي الالفي رحم الله تعالى الجميع وهذه نسخة الكتاب المذكور الذي خاطبه به أمير المسلمين السلطان أبو الحسن المريني المذكور ملك المغرب رحمه الله تعالى السلطان الملك

زدمته فاقرت بفجره ثم دخلت فاقبل الخصي يشتد فقال يا أمير المؤمنين هذه عاتكة قال ويلك ورأيتها قال نعم اذ طلعت وعبد الملك على سريره فسلمت فكلمت فقالت أما والله لولا مكان عمرو بن بلال ما أتيتك آلا أن عدا أحدا بنيه على الآخر فقتله وهو ولي الدم وقد عفا أعزمت لتقتلنه قال اي والله وهو راغم فأخذت بيده فاعرض عنها فاخذت برجله فقبلتها فقال هو لك وتراضيا بعد أن نكعها ثلاثا وراح عبد الملك فجلس مجلسه للخاصة فدخل عمرو بن بلال فقال له يا ابا حفص ألطفت الحيلة في القعادة ولك الحكم فقال يا أمير المؤمنين ألف دينار ومزرعة بما فيها من الآلات والرقيق قال هي لك قال وفرائض لولدي وأهل بيتي قال وذلك كله وبلغ عاتكة الخبر فقالت ويلي على القوادا نما خدعني وكتب عبد الملك الى الحجاج أن صف لي الفتنة فكتب اليه ان الفتنة ريست بالنعوي وتخص بالشكوى وتنتج بالخطب فكتب اليه انك قد أصبت واحسنت الصفة فان أردت أن يستقيم لك من قبلك فخزعهم بالجماعة وأعطهم عطاء الفرقة وألصق بهم الحاجة (وحدثنا) القعنبي قال حدثنا أبو الوليد الصباح بن الوليد قال حدثنا أبو رياش عتبة بن تميم عن

الصالح ابن السلطان الملك الشهير الكبير الناصر محمد بن قلاوون ووصل الى مصر في النصف وقيل في العشر الاواخر من شعبان المكرم سنة ٧٤٠ بعد البسملة والصلاة من عند أمير المسلمين المجاهد في سبيل الله رب العالمين المنصور بفضل الله المتوكل عليه المعتمد في جميع أموره لديه سلطان البرين حامي العدوتين مؤثر المرابطة والمثاغر مولى زحزب الاسلام حق الموازره ناصر الاسلام مظاهر دين الملك العلام ابن مولانا امير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين فخر السلاطين حامي حوزة الدين ملك البرين امام العدوتين عمهد البلاد مبدد شمل الاعاد مجند الجنود المنصور الرايات والبنود محط الرحال مبلغ الآمال أبي سعيد ابن مولانا امير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين حسنة الايام حسام الاسلام أبي الاملاك مشجي أهل العناد والاشراك مانع البلاد رافع علم الجهاد مدوخ أقطار الكفار مصرخ من ناداه للانتصار القائم لله باعلاء دين الحق أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق أخلص الله لوجهه جهاده ويسر في قهر عداة الدين مراده الى محل ولدنا الذي طلع في أفق العلا بدرا تما وصدع بانواع الفضائل ظلاما وظلما وجمع شمل المملكة الناصرية فاعلى منها علما واحيا لها رسما حائط الحرمين القائم بحفظ القبلتين باسط الامان قابض كف العدوان الجزيل النوال الكفيل تامينه بحياطة النفوس والاموال قطب المجد وسماكه حسب الحمد وملاكه السلطان الجليل الرفيع الاصيل الكافل العادل الفاضل الكامل الشهير الخطير الاضخم الافخم المعان المؤزر المؤيد المظفر الملك الصالح أبو الوليد اسمعيل ابن محل أخينا الشهير علاؤه المستطير في الآفاق ثناؤه زين الايام والليال كمال عين انسان المجد وانسان عين الكمال وارث الدول النافث بصحيح رأيه في عقود أهل الملل والنحل حامي القبلتين بعدله وحسامه الناصي في حفظ الحرمين أجر اضطلاعه بذلك وقيامه هازم احزاب المعاندين وجيوشها هادم الكنائس والبيع فهي خاوية على عروشها السلطان الاجل الهمام الاحفل الافخم الاضخم الفاضل العادل الشهير الكبير الرفيع الخطير المجاهد المرابط المقسط عدله في الجائر والقاسط المؤيد المظفر المنعم المقدس المطهر زين السلاطين ناصر الدنيا والدين أبي المعالي محمد ابن الملك الارضى الهمام الامضى والد السلاطين الاخيار عاقد لواء النصر في قهر الارمن والفرنج والتتار محيي رسوم الجهاد معلي كلمة الاسلام في البلاد جمال الايام كمال الاعلام فاتح الاقالم صالح ملوك عصره المتقدم الامام المؤيد المنصور المسدد قسيم أمير المؤمنين فيما تقلد الملك المنصور سيف الدنيا والدين قلاوون مكن الله له تمكين أوليائه ونمى دولته التي أطلعها له السعد شمسا في حائه واحسن ايزاعه للشكر أن جعله وارث آبائه سلام كريم يفوح زهر الرباسراه وينافح نسيم الصبا بجراه يحببه رضوان بدوم مادامت تقل الفلك حركاته وتتولاه روح وريحان تحييه به رحمة الله وبركاته (أما بعد) حمد الله مالك الملك جاعل العاقبة للتقوى صدعا باليقين ودفعا للشك وخاذل من أسر في النفاق النجوى قاصر على الدخن والافك والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسوله الذي محا بانوار الهدى ظلم الشرك

قال ان أهل العراق استحلوا قدري قبل انقضاء أجلي اللهم لا تسلطنا على من هو خير منا ولا تسلط علينا من نحن خير منه اللهم سلط سيف أهل الشام على أهل العراق حتى يبلغ رضاك فاذا بلغه فلا تجاوز بخطك وكتب عبد الملك الى الحجاج أنت سالم فلم يعرف ما أراد بذلك فكتب الى قتيبة يسأله عن ذلك وبعث الكتاب مع رسول فلما ورد الى [illegible] وله [illegible] رسول فعمل واستحيا فقر أقتيبة وأراد أن يقول له اقعد فقال اضرط قال قد فعلت فاستحيا قتيبة وقال ما أردت الا أن أقول لك اقعد فغلطت فقال قد غلطت أنا وغلطت أنت قال قتيبة ولا سواء أغلط أنا من نفي وتغلط أنت من استك أعلم أمير المؤمنين أن سالما كان لعبد الرجل وكان عنده أسرا وكان يسمى به [illegible] وجلدة بين العين والانف سالم فأراد عبد الملك ان لك عندي بمنزلة سالم فلما أتى الحجاج بالرسالة كتب له عهدا على خراسان وقد حكي نحو هذا الخبر عن رجل كان في مجلس خالد بن عبد الله

وتبيه الذي ختم به الانبياء وهو واسطة ذلك السلك ودحاه حجة الحق فمادت بالكفرة
محمولة الافلاك وماجت بهم حاملة الفلك والرضا عن آله وصحبه الذين سلكوا سبيل
هداه فسلك في قلوبهم أجل السلك وملكوا أعنة هواهم فلزموا من محجة الصواب
أنهج السلك وصابروا في جهاد الاعداء فزاد خلوصهم مع الابتلاء والذهب يزيد خلوصا على
السبك والدعاء لاولياء الاسلام وحماته الاعلام بنصر لمضائه في العدا أعظم الفتك
ويسر بقضائه درك آمال الظهور واحفل بذلك الدرك فكتبناه اليكم كتب الله لكم رسوخ
القدم وسبوغ النعم من حضرتنا بمدينة فاس المحروسة وصنع الله سبحانه يعرف مذاهب
الطاف ويكيف مواهب تلهج الالسنة في القصور عن شكرها بالاعتراف ويصرف
ن أمره العظيم وقضائه المتلقى بالتسليم ما يتكون بين النون والكاف ومكانكم
تشد سلطانه وسلطانكم المجيد مكانه وولاؤكم الصحيح برهانه وعلاؤكم الفسيح في مجال
ملال ميدانه والى هذا زاد الله سلطانكم تمكينا وأفاد مقامكم تحصينا وتحسينا وسلك بكم
ن سنن من خلفتموه سبيلا مبينا فلا خفاء بما كانت عقدته أيدي التقوى ومهدته
سائل التي على الصفاء تطوى بيننا وبين والدكم نعم الله روحه وقدسه وبقربه مع الابرار
علين آنسه من مواخاة احكمت منها العهود تالية الكتب والفاتحة وحفظ عليها
كم الاخلاص معوذتاها المحبة والنية الصالحة فانعقدت على التقوى والرضوان واعتضدت
بارف الارواح عند تنازح الابدان حتى استحكمت وصلة الولاء والتأمت كلمة
نسب لحمة الاخاء فما كان الاوشيكا من الزمان ولا عجب قصر زمن الوصلة أن يشكوه
فلان وردوارد أو ورد رنق المشارب وحقق قول من يسأل الركبان عن كل غائب أنبأ
نشأ الله تعالى بنفسه الزكيه واكنان درته السنيه وانقلابه الى ما أعد له من
نازل الرضوانيه بجليل ما وقر لفقده في الصدور وعظيم ما تأثرت له النفوس لوقوع
ث المقدور حتما للاسلام بتلك الاقطار واشفاقا من أن يعتور قاصدي بيت الله الحرام
جراء الفتن عارض الاضرار ومساهمة في مصاب الملك الكريم والولي الحميم ثم عميت
خبار وطويت طي السجل الآثار فلم نر مخبرا صدقا ولا معلما بمن استقر له ذلكم الملك
نا وفي أثناء ذلك حفزنا للعركة عن حضرتنا استصراخ أهل الاندلس وسلطانها وتواتر
خبار بان النصارى أجمعوا على خراب أوطانها ونحن اثناء ذلكم الشان نستخبر الوراد
ن تلكم البلدان عما أجلى عنه ليل الفتن بتلكم الاوطان فبعد لأي وقعنا منها على
بير وجاءنا بوقاية حرم الله بكم البشير وتعرفنا أن الملك استقر منكم في نصابه وتداركه
تعالى منكم بفاتح الخير من أبوابه فاطفأ بكم نار الفتنة وأخمدها وأبرأ من أدواء النفاق
هل البلاد وأفسدها فقام سبيل الحج سابلا وتعبر طريقه لمن جاء قاصدا وقافلا ولما
ت بهذا الخبر القرائن وتواترت بتنقل الحاضر المعاين آثار حفظ الاعتقاد البواعث
الصحيح تجرمحقا الموارث فاصدرنا لكم هذه المخاطبة المتفننة الاطوار الجامعة بين
الاستبشار الملتمس العزاء والهناء ثوبي الشعار والدثار ومثل ذلكم الملك رضوان
عليه من تجل المصائب لفقدانه وتحل عرا الاصطبار بموته ولات حين أوانه لكن الصبر

فقال أقسمت عليك
لتضرطن قال قد ضرطت
فجعل خالد واعتذر اليه
وأمر له بمال وأهدى الى
عبد الملك أترسة مكللة
بالدر والياقوت فاعجبته
وعنده جماعة من خاصته
وأهل خلوته فقال لرجل من
جلسائه اسمه خالد اغمز
منها ترسا وأراد ان يمتحن
صلابته فقام فغمزه فضرط
فاستخفه عبد الملك فضحك
جلساؤه فقال كم دية
الضرطة فقال بعضهم
أربعمائة درهم وقطيفة
فأمر له بذلك فأنشأ يقول
رجل من القوم

أيضرط خالد من غمز ترس
ويحبوه الامير بها ايدورا
فيالك ضرطة جلبت غناه
ويالك ضرطة أغنت فقيرا
يودا الناس لو ضرطوا اقالوا
من المال الذي أعطى عشيرا
ولو نعلم بان الضرط يغني
ضرطنا أصلح الله الاميرا

فقال عبد الملك أعطوه
أربعة آلاف درهم ولا
حاجة لنا في ضراطك
(وحدث) أحمد بن سعيد
الدمشقي والطوسي وغيرهما
في كتاب الاخبار
المعروف بالموقعيات عن
الزبير بن بكار قال حدثنا
محمد بن عبد الرحمن بن محمد

ابن يزيد بن عتبة بن ابي لهب قال حج عبد الملك في بعض اعوامه فامر للناس بالعطاء فخرجت بدرة مكتوب عليها من

قريش مثلنا ومثلكم أن أخوين في الجاهلية خرجا مسافرين فنزلا في ظل شجرة تحت صفاة فلما دنا الرواح خرجت اليهما من تحت الصفاة حية تحمل دينارا فألقته اليهما فقالا ان هذا لمن كنز فأما عليها ثلاثة أيام كل يوم تخرج اليهما دينارا فقال أحدهما لصاحبه الى متى ننتظر هذه الحية ألا نقتلها ونحفر هذا الكنز فنأخذه فنهاه [illegible] ورصد الحية حتى خرجت فضربها بضربة جرحت [illegible] فقتلها فثارت [illegible] ورجعت الى جحرها فدخله [illegible] وأقام حتى اذا كان من الغد خرجت الحية معصوبا رأسها ليس معها شئ فقال لها ما هذه اني والله ما رضيت ما أصابك ولقد نهيت أخي عن ذلك فهل لك أن نجعل [illegible] قال ولم ذلك قالت اني لا علم أن نفسك لا تطيب لي أبدا وأنت ترى قبر أخيك ونفسي لا تطيب لك أبدا وأنا أذكر هذه الشجة وأنشدهم شعر النابغة ليسمعوا

أجل ما ارتداه ذو عقل حصين والاجر أولى بما اقتناه ذودين متين ومثلكم من لا يخف وقاره ولا يشف عن ظهور الجزع الحادث اصطباره ومن خلفكم فسامات ذكره ومن تقدمكم باثاره فما زال بل زاد فخره. وقد طالت والحمد لله العيشة الراضية بالحقب وطاب بين مبداه ومحتضره هنيأ بما من الاجر اكتسب وصار حميدا الى خير المنقلب ووفد من كرم الله على أفضل ما منح موقنا ووهب فقدار تضاكم الله بعده محياطة أرضه المقدسة وحماية زوار بيته مقيلة أو معرسة ونحن بعد بسط هذه التعزية نهنئكم بما خولكم الله أجل التهنية وفي ذات الله الايراد والاصدار وفي مرضاته سبحانه الاضمار والاظهار فاستقبلوا دولة التي العز عليها رواقه وعقد الظهور عليها نطاقه وأعطاها أمان الزمان عقده وميثاقه ونحن على ما عاهدنا عليه الملك الناصر رضوان الله عليه من عهوده موثقه وموالاته محققه وثناء كمائمه عن أذكى من الزهر غب القطر مفتقه ولم يغب عنكم ما كان من بعثنا المصحفين الاكرمين اللذين خطتهما منا اليمين وأوتيهما الرغبة من الحرمين الشريفين الى قرار مكين وانه كان لوالدكم الملك الناصر تولاه الله برضوانه وأورده موارد احسانه في ذاكم من الفعل الجميل والصنع الجليل ما ناسب مكانه الرفيع وشاكلة فضله من البر الذي لا يضيع حتى طبق فعله الآفاق ذكرا وطوق أعناق الوراد والقصادبرا وكان من أجل ما به تحفى وأتحف وأعظم ما بعرفه الى رضا الملك العلام في ذلك تعرف اذنه للتوجهين اذ ذاك في شراء رباع توقف على المصحفين ورسم المراسم المباركة بتحرير ذلك الوقف مع اختلاف الجديدين فجرت أحوال القراء فيها بذلك الخراج المستفاد ريثما يصلحهم من خراج ما وقفناه عليهم بهذه البلاد على ما رسمه رحمة الله عليه من عناية بهم متصله واحترام في تلك الاوقاف فوائدها به متوفرة متحصله وقد أمرنا مؤدي هذا الكتاب وموفده على جلالكم كاتبنا الاسنى الفقيه الاجل الاحظى الاكمل أبا المجد ابن كاتبنا الشيخ الفقيه الاجل الحاج الاتقى الارضى الافضل الاحظى الاكمل المرحوم ابي عبد الله بن ابي مدين حفظ الله عليه رتبته ويسر في قصد البيت الحرام بغيته بأن يتفقد احوال تلك الاوقاف ويتعرف تصرف الناظر عليها وما فعله من سداد واسراف وان يخبر لنا من يرتضى لذلك ويحمد تصرفه فيما هنالك وخاطبنا سلطانكم في هذا الشان جريا على الود الثابت الاركان واعلاما بما للوالد كم رحمه الله تعالى في ذلك من الافعال الحسان وكما لكم يقتضي تخليد ذلكم البر الجميل وتجديد عمل ذلكم الملك الجليل وتشييد ما اشتمل عليه من الشراء الاصيل والاجر الجزيل والتقدم بالاذن السلطاني في اعانة هذا الوافد بهذا الكتاب على ما يتوخاه في ذلك الشان من طرق الصواب وثناؤنا عليكم الثناء الذي يفاوح زهر الربا ويطارح نغم حمام الايك مطربا وبحسب المصافاة ومقتضى الموالاة تشرح لكم المتزايدات بهذه الجهات وننبئكم بموجب ابطاء انفاذ هذا الخطاب على ذلكم الجناب وذلك انه لما وصلنا من الاندلس الصريخ ونادى منا للجهاد عزم المثل نداته يصيخ أنبأنا أن الكفار قد جمعوا احزابهم من كل صوب وحتم عليهم باهم اللعين التناصر من كل أوب وأن تقصد طوائفهم البلاد الاندلسية بايجافها وتنقص بالمنازلة أرضها من أطرافها

ليعوا كلمة الاسلام منها و يقلصوا ظل الايمان عنها فقدمنا من يشتغل بالاساطيل من القواد وسرنا على اثرهم الى سبتة منتهى الغرب الاقصى وباب الجهاد فحاورناها الاوقد أخذ أخذه العدو الكفور وسدت أجفان الطواغيت على التعاون مجازا العبور وبرزا من أجفانهم بما لا يحصى عددا وأرصدوها بجمع البحر حيث المجاز الى دفع العدا وتقلصوا عن الانبساط فى البلاد واجتمعوا الى الجزيرة الخضراء أعادها الله بكل من جمعوه من الاعاد لكنا مع انسداد تلك السبيل وعدم أمور نستعين بها فى ذلكم العمل الجليل حاولنا امداد تلكم البلاد بحسب الجهد وأصرخناهم بمن أمكن من الجند وجهزنا أجفانا مختلسين فرصة الاجازة تتردد على خطر بمن جهز للجهاد جهازه وأمرنا الصاحب الاندلس من المال بما يجهز به حركته لمداناة محلة حزب الضلال وأجرينا له وجيشه العطاء الجزل مشاهرة وأرضخنا لهم فى النوال ما نرجو به ثواب الآخرة وجعلت أجفاننا تتردد فى مينا السواحل وتلج أبواب الخوف الماجل لاحرازا لامن الآجل مشحونة بالعدد الموفورة والابطال المشهورة والخيل المسومة والاقوات المقومة فمن ناج حارب دونه الاجل وشهيد مضى لما عند الله عز وجل ومازالت الاجفان تتردد على ذلك الخطر حتى تلف منها سبع وستون قطعة غزوية أجرها عند الله يدخر ثم لم نقنع بهذا العمل فى الامداد فبعثنا أحد أولادنا أسعدهم الله تعالى مساهمة به لاهل تلك البلاد فلقى من هول البحر وارتجاجه والحاح العدو ولجاجه مابه الامثال تضرب وبمثله يتحدث ويستغرب ولما خلص لتلك العدوة بعد أبقته الشدائد نزل بارا ه الكافر الجاحد حتى كان منه بفرسخين أو أدنى وقد ضرب بعطن يصابح العدو و يماسيه بحرب بها يفنى وقد كان من مددنا بالجزيرة جيش شريت شرارته وقويت فى الحرب ادارته يبلون البلاء الاصدق ولا يبالون بالعدو وهم منه كالشامة البيضاء فى البعير الاورق الا ان المطاولة بحصرها فى البحر مدة ثلاثة أعوام ونصف ومنازلتها فى البر نحو عامين معقودا عليها الصف بالصف أدى الى فناء الاقوات فى البلد حتى لم يبق لاهله قوت شهر مع انقطاع المدد وبه من الخلق ما يربى على عشرة آلاف دون الحرم والولد فكتب الينا سلطان الاندلس يرغب فى الاذن له فى عقد الصلح ووقع الاتفاق على انه لاستخلاص المسلمين من وجوه النجع فاذنا له فيه الاذن العام ادفى اصراخه واصراخ من بقطره من المسلمين توخينا ذلك المرام هنالك دعى النصارى الى السلم فاستجابوا وقد كانوا علموا فناء القوت وما استرابوا فتم الصلح الى عشر سنين وخرج من بها من فرسان ورجال وأهل وبنين ولم يرزؤا مالا ولا عدة ولا لقوا فى خروجهم غير النزوح عن أول أرض مس الجلد ترابها شده ووصلوا الينا فاجزلنا لهم العطاء وأسلمناهم عما جرى بالحياء فمن خيل تزيد على الالف عتاقها وخلع ترتى على عشرة آلاف أطواقها وأموال عمت الغنى والفقير ورعاية شملت الجميع بالعيش النضير وكف الله ضرا لطواغيت عما عداها وما انقلبوا بغير مدرة عفار سمها وصم صداها وقد كان من لطف الله حين قضى باخذ هذا الثغر أن قدر لنا فتح جبل طارق من أيدى الكفر وهو المطل على هذه المدرة والفرصة منها ان شاء الله تعالى متيسرة حتى يفرق عقد الكفار ويفرج

عمر بن الخطاب فكان فظا غليظا مضيفا عليكم فسمعتم له وأطعتم ثم وليكم عثمان فكان سهلا فعدوتم عليه فقتلتموه و بعثنا عليكم مسلما يوم الحرة فقتلنا كم فنحن نعلم يا معشر قريش أنكم لا تحبوننا أبدا وأنتم تذكرون يوم الحرة ونحن لا نحبكم أبدا ونحن نذكر قتل عثمان (وحدث) المدينى وابن دأب أن روح بن زنباع جلس عبد الملك رأى منه اعراضا وجفوة فقال للوليد بن عبد الملك أما ترى ما بأبيك من أمير المؤمنين باعراضه عنى بوجهه حتى لقد فغرت السباع بأفواهها نحوى وأهوت بمخالبها الى وجهى فقال له الوليد احتل له فى حديث تضحكه به كما احتال مرزبان نديم سابور ابن ملك فارس قال روح وما كان من خبره مع الملك قال الوليد كان مرزبان هذا من سمار سابور فظهرت له من سابور جفوة فلما علم ذلك تعلم نباح الكلاب وعى الذئاب ونهيق الحمير وزقاء الديوك وتصهيل الخيل ومثل هذا ثم توصل الى موضع يقرب من مجلس خلوة الملك

وفراشه وأخفى أثره فلما خلا الملك نبح نباح الكلاب فلم يشك الملك أنه كلب فقال الملك ما هذا فعوى عى الذئاب فنزل

الصوت وأحدث صوتا آخر من أصوات البهائم فانحجموا عنه ثم اجتمعوا فاقتحموا عليه فأخرجوه فلما نظروا اليه قالوا للملك هذا مرزبان الفحل فضحك الملك ضحكا شديدا وقال له ويلك ما حملك على هذا قال ان الله سخرني كلبا وحمارا وكل خلق لما غضبت على فاسر الملك بالخلع عليه ورده الى مرتبته التي كان فيها وتجدد للملك بسرور فقال [illegible]

عبد الله بن عمر هل كان يمزح أو يسمع المزاح قال [illegible] عمر [illegible] ولا [illegible] ح [illegible] سعدم الوليد وسبقه بالدخول فتبعه روح فلما اطمأن بهما مجلس عبد الملك قال الوليد يا أبا زرعة هل كان ابن عمر يمزح أو يسمع المزاح قال روح حدثني ابن أبي عتيق ان امرأته عاتكة بنت [illegible]

[illegible] ذهب الأنام بما يعيش به
وقرت عينك أيها القمر
أنفقت مالك غير محتشم
في كل زانية وفي خمر

وكان ابن أبي عتيق صاحب غزل وفكاهة فاخذ هذين البيتين في رقعة وخرج فاذا هو بابن عمر فقال وأحسنت

بهذه الجهة منهم مجاورو هذه الاقطار فلولا اجلابهم من كل جانب وكونهم سدوا مسالك العبور بمجاميعهم من الاجفان والمراكب لما بالينا باصفاقهم ولحملنا بعون الله عقد اتفاقهم ولكن للموانع أحكام ولاراد لما جرت به الاقلام وقد أمرنا لذلك التغر بمزيد المدد وتخيرنا له ولسائر تلك البلاد العدد والعدد وعدنا لحضرتنا فاس لتستريح الجيوش من وعثاء السفر وترتبط الجياد وتنتخب العدد لوقت اظهور المنتظر وتكون على أهبة الجهاد وعلى مرقبة الفرصة عند تمكنها في الاعادي وعند عودنا من تلك المحاولة تيسر الركب الحجازي موجها الى هنالكم رواحله فاصدرنا اليكم هذا الخطاب اصدار الود الخالص والحب اللباب وعندنا لكم ما عند أحنى الآباء واعتقادنا فيكم في ذات الله لا يخشى جديده من البلاء ومالكم من غرض بهذه الانحاء فوفى قصده على أكمل الاهواء موالى تميمه على أجل الآراء والبلاد باتحاد الود متحده والقلوب والايدي على ما فيه مرضاة الله عز وجل منعقده جعل الله ذلكم خالصا لوجه العباد مدخورا اليوم التناد مسطورا في الاعمال الصالحة يوم المعاد بمنه وفضله وهو سبحانه يصل لكم سعدا تتفاخر به سعود الكواكب وتتضافر على الانقياد له صدور المواكب وتتقاصر عن نيل مجده متطاولات المناكب والسلام الاتم يخصكم كثيرا أثيرا ورحمة الله وبركاته وكتب في يوم الخميس السادس والعشرين لشهر صفر المبارك من عام خمسة وأربعين وسبعمائة وصورة العلامة وكتب في التاريخ المؤرخ بهو نسخة الجواب عن ذلك من انشاء خليل الصفدي شارح لامية العجم في سادس شهر رمضان سنة خمس وأربعين وسبعمائة بعد البسملة في قطع النصف بقلم الثلث عبد الله وليه صورة العلامة ولده اسمعيل بن محمد السلطان الملك الصالح السيد العالم العادل المؤيد المجاهد المرابط المظفر المنصور عماد الدنيا والدين سلطان الاسلام والمسلمين محيي العدل في العالمين منصف المظلومين من الظالمين وارث الملك ملك العرب والعجم والترك فاتح الاقطار واهب الممالك والامصار اسكندر الزمان مملك أصحاب المنابر والاسرة والتخوت والتيجان ظل الله في أرضه القائم بسنته وفرضه مالك البحرين خادم الحرمين الشريفين سيد الملوك والسلاطين جامع كلمة الموحدين ولي أمير المؤمنين أبو الفداء اسمعيل ابن السلطان الشهيد السعيد الملك الناصر ناصر الدنيا والدين أبي الفتح محمد ابن السلطان الشهيد السعيد الملك المنصور سيف الدنيا والدين قلاوون خلد الله تعالى سلطانه وجعل الملائكة أنصاره وأعوانه يخص المقام العالي الملكي الاجل الكبير المجاهد المؤيد المرابط المثاغر المعظم المكرم المظفر المعمر الاسعد الاصعد الاوحد الامجد الانجد السني السري المنصور أبا الحسن علي ابن أمير المسلمين أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق أمده الله بالظفر وقرن عزمه بالتأييد في الاتصال والبكر سلام وشت البروق وشائعه وادنرت الكواكب ودائعه واستوعب الزمان ماضيه ومستقبله ومضارعه وثناء اتخذ النفحات المسكية طلائعه ونبه للتغريد في الروض سواجعه وجلى في كاسه من الشفق الاحمر مدامه ومن النجوم فواقعه أما بعد حمد الله على نعم أدت لنا الامانة في عود سلطنته والدفاع الموروثه وأجلستنا على سرير مملكة زرابيها بين النجوم مبثوثه

وأحسنت بنا الخلف عن سلف عهوده في الاعناق غير منكورة ولا منكوثه وصلاته على سيدنا محمد عبده ورسوله وعلى آله وصحبه الذين بلغ بجهادهم في الكفرة غاية أمله وسوله صلاة تقط بالرضوان سيولها وتجر بالغفران ذيولها ما تراسل أصحاب وتواصل أحباب ويوضح للعلم الكريم ورود كتابكم العظيم وخطابكم الفائق على الدر النظيم تفاخر الخمائل سطوره ويصبغ خد الورد بالخجل منثوره ويحكي الرياض اليانعة فالآلفات غصونه والمميزات عليها طيوره ويخلع على الآفاق حلل الايام والليالي فالطرس صباحه والنقس دجوره لفظه يطرب ومعناه يغرب فيغرب وبلاغته تدل على أنه آية لان شمس بيانها طلعت من المغرب فاتخذناه سطوره وريحانا ورجعنا ألفاظه ألحانا ورجعنا الى الجد فشبهنا ألفاته بظلال الرماح ووزنه بصقال الصفاح وحروفه المفرقة بافواه الجراح وسطوره المنتظمة بالفرسان المزدحمة في يوم الكفاح وانتهينا الى ما أودعتموه من اللفظ المسجوع والمعنى الذي يطرب طائره المسموع والبلاغة التي فضح المتطبع بيانها المطبوع فاما العزاء باخيكم الوالد قدس الله روحه وسقى عهده وأحسن لسلفه خلفا بعده فلنا برسول الله أسوة حسنة ولولا الوثوق بأنه في عدة الشهداء ما رأى القلب قراره ولا الطرف وسنه عاش سعيدا يملك الارض ومات شهيدا يفوز بالجنة يوم العرض قد خلد الله ذكره يسير مسير الشمس في الآفاق ويوقف على نضارة حداثته نظرات الاحداق وورثنا منه حسن الاخاء لكم والوفاء بعهود مودة تشبه في اللطف شمائلكم وأما الهناء بوراثة ملكه والانخراط مع الملوك في سلكه فقد شكرنا لكم منحى هذه المنحه وقابلناها بثناء يعطر النسيم في كل نفحه ووقفنا عليها حمدا جعل الود علينا ايراده وعلى أنفاس سرحة الروض شرحه وتحققنا به حسن ودكم الجميل وكريم اخائكم الذي لا يميد طود رسوخه ولا يميل وأما ما ذكرتموه من أمر المصحفين الشريفين اللذين وقفتموهما على الحرمين المنيفين وانكم جهزتم كاتبكم الفقيه الاجل الاسني الاسمى أبا المحمد ابن كاتبكم أبي عبد الله بن أبي مدين أعزه الله تعالى لتفقد أحوالهما والنظر في أمر أوقافهما فقد وصل المذكور بمن معه في حرز السلامة وأكرمنا نزلهم وسهلنا بالترحيب سبلهم وجمعنا على بذل الاحسان اليهم شملهم وحضر المذكور بين أيدينا وقر بناه وسمعنا كلامه وخاطبناه وأمرنا في أمر المصحفين الشريفين بما أشرتم ورسمنا لنوابنا في نواحي أوقافهما بما ذكرتم وهذا الوقف المبرور جار على أحسن عادة ألفها وأثبت قاعدة عرفها مرعي الجوانب محمي المنازل والمضارب آمن من ازالة رسمه أو ازالة حكمه بدره أبدا في مطالع تمه وزهره دائما يرقص في كمه لا يزداد الا تخليدا ولا اطلاق ثبوته الا تقييدا ولا عتق اجتهاده الا تقليدا جريا على قاعدة أوقاف مما لكنا وعادة تصرفاتنا في مسالكنا ولمزيد الرعاية وافادة الحماية ووفادة العناية وأما ما وصفتموه من أمر الجزيرة الخضراء وما لاقاه أهلها ومني به من الكفار حزبها وسهلها فانه شق علينا سماعه الذي أنسى أهل الايمان وعد تديه نوب الزمان كل قلب بأنامل الخفقان وطالما فزتم بالظفر ورزقتم النصر على عدوكم فجر ذيل الهزيمة وفر لكن الحروب سجال وكل زمان لدولة ولرجاله رجال ولو أمكنت المساعدة لطارت

فقال له الحاجب ليس هذا بوقت ادن على الامير فقال أعلمه بمكاني فدخل فاستأذن له فقال له سليمان مرحبا بك

استرجع فقال له ما تري فيمن هجاني بهذا الشعر قال أرى أن تعفو وتصفح قال والله يا أبا عبد الرحمن لئن لقيته بناحية لأنيكنه نيكا جيدا فاخذ ابن عمر خذلة وعدة وارتدلونه وقال مالك غضب الله عليك قال ما هو الا ما قلت لك وافترقا فلما كان بعد أيام لقيه فاعرض عنه ابن عمر فقال يا أبا عبد الرحمن اني لقيت صاحب البيتين ونكته فصعق عبد الله بن عمر فلما رأى ما حل به دنا منه وقال له في أذنه انها امرأتي فقبل ما بين عينيه وضحك وقال أحسنت فزدها فضحك عبد الملك حتى فحص برجله وقال له قاتلك الله يا روح ما أطيب حديثك ومديده اليه فقام اليه روح فاكب عليه وقبل أطرافه وقال يا أمير المؤمنين الذنب فأعتذر ام الملالة فأصبر وأرجو عاقبتها قال لا والله ماذاك لشئ نكرهه ثم عاد الى أحسن حالاته (وقد حكي) مثل هذا عن عبد الملك بن مهلهل الهمداني وكان سمير السليمان بن المنصور وكان سليمان قد جفاه فاتاه يوما في قائم الظهيرة واحتدام الهجير فاستأذن

بنا اليكم عقبان الجياد المسومة وسالت على صدوركم أباطحهم بقينا العوج جقوسها منا المقومة وكحلنا عيون النجوم بمراود الرماح وجعلنا ليل الفجاج غرقا ببروق الصفاح واتخذنا رؤسهم لصوائج القوائم كرات وفرجنا مضايق الحرب بتوالي السكرات وعطفنا عليهم الاعنة وخضنا جداول السيوف ودسنا شوك الاسنة وفلقنا الصخرات بالصرخات وأسلنا العبرات بالرعبات ولكن أين الغاية من هذا المدى المتطاول وأين الثريا من يد المتناول ومالنا غير امدادكم بجنود الدعاء الذي نرفعه نحن ورعايانا والتوجه الصادق الذي تعرفه ملائكة القبول من سجايانا وأما ما قدمتموه من الاحسان التي طرقها طيف التلاف وأم حرم فنائها الفناء وطاف به بعد الالطاف فقد روع هذا الخبر قلب الاسلام ونوع له الحزن على اختلاف الاصباح والاظلام وهذه الدار ما يخلو صفوها من كدر القدر وطالما أنامت بالامس أول الليل وخاطبت بالخطب في السحر ولكن في بقائكم ما يسلي من خطب العطب ومع سلامة نفوسكم الكريمة فالامر هين لان الدريفدى بالذهب وأما ما رأيتموه من الصلح فرأي عتيد مبارك وأمر ما قيه فارطعزم وان كان فيتدارك والامر يجيء كما يحب لا كما نحب والحروب يزورها نصرها تارة ويغب ومع اليوم غدا وقد يرد الله الردى ويعيد الظفر بالعدا وأما عودكم الى فاس المحروسة طلبا لاراحة من عندكم من الجنود وتجهيز المن يصل من عندكم الى الحجاز الشريف من الوفود فهذا أمر ضروري التدبير سروري التسمير لان النفوس تمل وثير المهاد فكيف ملازمة صهوات الجياد وتسأم من مجالسة الشرب فكيف بممارسة الحرب وتعرض عن دوام اللذة فكيف بمباشرة المنايا الفذة وهذا جبل طارق الذي فتح الله به عليكم وساق هدى هديته اليكم لعله يكون سببا الى ارتجاع ما شرد وحسما لهذا الطاغية الذي مرد ورد الهذا النازل الذي قدم ورد الصبر لما ورد فعادة الالطاف الالهية بكم معروفه وعزماتكم الى جهات الجهاد مصروفه وقد تفاءلنا لكم من هذا الجبل بانه طارق خير من الرحمن يطرق وجبل يعصم من سهم يمرق من قسي الكفار ويمرق وأما ما قتنموه من الخيل العتاق والملابس التي تطلع بدور الوجوه من مشارق الاطواق والاموال التي زكت عند الله تعالى ونمت على الانفاق فعلى الله عز وجل خلفها ولكم في منازل الدنيا والاخرة سرفها وشرفها واليكم تساق هدايا أثنيتها وتحفكم تحفها واذا وصل وفدكم الحاج وأنار له بوجه اقبالنا عليهم ليلهم الداج كانوا مقيمين تحت ظل اكرامنا وشمول اسعافنا فلهم وانعامنا يتحولون تحفا أنتم سببها ويثنا ولون طرفا في كؤس الاعتناء بهم تنضدها واذا كان أوان الرحيل الى الحج فسحنا لهم الطريق وسهلنا لهم الرفيق وبلغناهم بحول الله تعالى مناهم من منى وسؤلهم ممن اذا زاروا حجرته الشريفة حازوا الراحة من العناء وفازوا بالغنى واذا عادوا علمنا هم بكل جميل نسيم مشقة ذلك الدرب ويخيل اليهم أن لا مسافة لمسافر بين الشرق والغرب وعمرناهم بالاحسان في العود اليكم وأمرنا هم بما ينهونه شفاء الديكم وعناية الله تعالى تحوط ذاتكم وتوفر لاخذ الثار حماتكم وتخصكم بتأييد تنزلون روضه الانضر وتجنون به ثمر النصر اليانع من ورق الحديد الاخضر وتحفكم بسعد لا يبلى قشيبه وعز لا يعوشبا به مشيبه

الى نحو منزلي وقد أمسيت فبينا أنا في طريقي اذ أذن مؤذن فدنوت ثم صعدت الى مسجد مغلق فصعدت ثم صعدت ثم صعدت قال سليمان فبلغت السماء فكان ماذا قال فتقدم انسان اما كردي أو طيطاني فأقام القوم بكلام ما أفهمه ولغة ما أعرفها فقال ويل لكل ومة رمامالا وعدده قال يريد ويل لكل همزة لمزة الذي جمع مالا وعدده فاذا خلفه سكران ما يعقل سكرا فلما سمع قراءته ضرب بيديه ورجليه وجعل يقول أيرعنكي در ليلكي في حرام قارئك ومصليك فضحك سليمان حتى مرغ على فراشه وقال ادن مني يا أبا محمد فانت أطيب أمة محمد ثم دعا بخلعة وقال الزم الباب واغد في كل يوم وعاد الى أحسن حالاته عنده

(ذكر جمل من أخبار الحجاج وخطبه وما كان منه في بعض أفعاله)

كانت أم الحجاج عند الحرث ابن كلدة فدخل عليها في السحر فوجدها تغسل فبعث اليها بطلاقها فقالت لم بعثت الي بطلاقي الشيء رابك مني قال نعم دخلت عليك السحر وأنت تغسلين فان كنت بادرت الغداء فانت شرهة وان كنت بت والطعام بين اسنانك فانت قذرة فقالت كلي وأحسنت

وتحيته المباركة تهاديكم وتراوحكم وتغاوحكم انفاسها المعبرة وتناغكم جنه وكرمه انتهى (ورأيت) بخط منشئ هذا الجواب الصلاح الصفدي رحمه الله تعالى اثر ذكره ما نصه أما بعد حمد الله تعالى على نعمائه وصلاته على سيدنا محمد عبده ورسوله خاتم أنبيائه فقد قرأ الشيخ الامام العالم العامل العلامة المفيد القدوة عز الدين أبو يعلى حمزة ابن الرئيس الكبير الفاضل القاضي قطب الدين موسى بن أحمد ابن شيخ السلامية الاحدى أمتع الله بفوائده الكتاب الوارد من سلطان المغرب الملك المجاهد المرابط أبي الحسن المريني صاحب مراكش تغمده الله تعالى برحمته والجواب عنه عن السلطان الشهيد الملك الصالح عماد الدين اسمعيل ابن السلطان الشهيد الملك الناصر محمد قدس الله تعالى روحهما من انشائي وأنا أسمع ذلك جميعا من أولهما الى آخرهما قراءة اطربت السمع لفصاحتها وأمالت العطف لرجاحتها

وأخجلت ورق الحمى بالسوا * ن صدحت في ذروة الغصن
تكاد من لطف ومن رقة * تدخل في الاذن بلا اذن

وذلك في مجلس واحد في ذي القعدة سنة ٧٥٦ بالجامع الاموي بدمشق المحروسة فان رأى رواية ذلك عني فله علو الرأي في تشريفي بذلك وكتبه خليل بن ايبك الصفدي الشافعي عفا الله عنه انتهى وكان السلطان أبو الحسن المريني المذكور كتب ثلاثة مصاحف شريفة بخطه وأرسلها الى المساجد الثلاثة أتى تشد اليها الرحال ووقف عليها أوقافا جليلة كتب ترقيمه سلطان مصر والشام بمساحتها من انشاء الاديب الشهير جمال الدين بن نباتة المصري ونص ما يتعلق به الغرض منه هنا قوله وهو الذي مديمنه بالسيف والقلم فكتب في أصحابها وسطر الختمات الشريفة فايد الله حزبه بما سطر من أحزابها واتصلت ملائكة النصر بلوائه تغدو وتروح وكثرت فتوحه لاملينا الغرب فقالت أوقاف الشرق لابد للفقراء من فتوح ثم وصلت ختمات شريفة كتبها بقلمه المجيد الجعدي وخط سطورها بالعربي وطالما خط في صفوف الاعداء بالمنصدي ورتب عليها أوقافا تجري اقلام الحساب في اطلاقها وطلقها وحبس املاكا شامية تحدث بنعم الاملاك التي سرت من مغرب الارض الى مشرقها والله تعالى يمتع من وقف هذه الختمات بما سطر له في أكرم الصحائف وينفع الجالس من ولاة الامور في تقريرها ويتقبل من الواقف انتهى * قلت وقد رأيت أحد المصاحف المذكورة وهو الذي ببيت المقدس وربعته في غاية الصنعة * وقال بعض المشارقة في حق السلطان أبي الحسن ما صورته ملك أضاء المغرب بأنوار هلاله وجرت الى المشرق انواء نواله وطابت نسماته واشتهرت عزماته كان حسن الكتابة كتب الانابة ذا بلاغة وبراعة وشهامة وشجاعة كتب بخطه ثلاثة مصاحف ووقفها على المساجد الثلاثة أقام في الملك عشر سنين وسبعة أيام ثم صرف بولده أبي عنان بمدحوب يطول شرحها انتهى من كتاب نزهة الانام * ولما ذكر الامام الخطيب أبو عبد الله بن مرزوق في كتابه المسند الصحيح الحسن من أخبار السلطان أبي الحسن أمر الربعة التي أرسلها السلطان أبو الحسن بخطه قال ما ملخصه وأرسل معها السلطان الملك الناصر بن قلاوون صاحب الديار المصرية من أحجار الياقوت العظيم القدر والثمن ثمانمائة وخمسة وعشرين ومن الزمرد مائة وثمانية وعشرين

التقى أبو الحجاج فولد له الحجاج بن يوسف مشوها لا دبر له فثقب عن دبره وأبى أن يقبل ثدي أمه وغيرها فأهمهم أمره فيقال ان الشيطان تصور لهم في صورة الحرث بن كلدة فقال ما خبركم فقالوا ابني ولد ليوسف من الفارعة وكان اسمها وقد أبى ان يقبل ثدي أمه فقال اذبحوا جديا أسود وأولغوه دمه فاذا كان في اليوم الثاني ففعلوا به كذلك فاذا كان في اليوم الثالث فاذبحوا له تيسا أسود وأولغوه دمه ثم اذبحوا له أسود سالخا فاولغوه دمه واطلوا به وجهه فانه يقبل الثدي في اليوم الرابع قال ففعلوا به ذلك فكان بعد لا يصبر عن سفك الدماء لما كان منه في بدء أمره هذا وكان الحجاج يخبر عن نفسه أن أكثر ما انه سفك الدماء وارتكاب الامور لا يقدم عليها غيره ولا سبق اليها سواه (حدثنا) أبو جعفر محمد بن سليمان بن داود البصري المقرئ قال حدثني ابن عائشة وغيره قال سمعت أبي يقول لما غلبت الخوارج على البصرة بعث اليهم عبد الملك جيشا فهزموه ثم بعث اليهم آخر فهزموه

الخوارج فقيل له ليس لهم الا المهلب بن أبي صفرة فبعث الى المهلب فقال على أن لي خراج ما ابليتهم

ومن الزبرجد مائة وثمانية وعشرين ومن الجوهر النفيس الملوكي ثلثمائة وأربعة وستين وأرسل حللا كثيرة منها مذهبة ثلاثة عشر ومن الاتاق عشرين مذهبة ومن الخلادي ستة وأربعين ومن القنوع ستة وعشرين مذهبة ومن الحررات المحتمة ثمانمائة ومن الرصان عشرين شقة والاكسية المحررة أربعة وعشرين والبراس المحررة ثمانية عشر والمشققات مائة وخمسين واحرام الصوف المحررة عشرين ومن شقق الملف الرفيع ستة عشر ومن الفضالي المنوعة والفرش والخاد المنبوق والحال ثمانمائة وأوجه اللعف المذهبة عشرين وحائطان حلة وحنابل مائة واثني عشر كلها حرير وفرش جلد مخروز بالذهب والفضة ومن السيوف المحلاة بالذهب المنظم بالجوهر عشرة والسروج عشرة بركب ذهب والمهاميز الذهب كذلك وثلاث ركب فضة وستة مزججة مذهبة ومضمتان من ذهب مما يليق بالملوك وشاشية حديد بذهب مكلل بالجوهر ومن لزمات الفضة عشرة وسرج مخروزة بالفضة عشرة وعشر علامات مشتة مذهبة وعشر رايات مذهبة وعشر براقع مذهبة وعشر أمثلة مرقومة وثلاثين جلد اشرك وأربعة آلاف درقة لطم منها مائتان بنود الذهب وثمانية عشر بنود الفضة وخباء قبة كبيرة من مائة بنيقة لها أربعة أبواب وقبة أخرى مضربة من ست وثلاثين بنيقة مبطنة بحلة مذهبة وهي حرير أبيض ومرابطها حرير ملون وعمودها عاج وآبنوس واكبارها من فضة مذهبة ومن البزاة الاحرار المنتقاة أربعة وثلاثين ومن عتاق الخيل العراب ثلثمائة وخمسا وثلاثين ومن البغال الذكور والاناث مائة وعشرين ومن الجمال سبعمائة وتوجهت مع هذه الهدية أم برسم الحج مع الربعة المكرمة وأعطى الحرة أم أخته أم ولد أبيه مريم ثلاثة آلاف وخمسمائة ذهبا ولقاضي الركب ثلثمائة وكسوة ولقائد الركب أربعمائة وكساوي متعددة وبغلات وللرسول المعين للهدية ألفا ولشيخ الركب أحمد بن يوسف بن أبي محمد صالح خمسمائة ولجماعة الضعفاء من الحجاج ستمائة وبرسم العطاء للعرب ثلاثة آلاف وثمانمائة ولشراء ربع ستة عشر ألفا وخمسمائة ذهبا انتهى *وذكر في الكتاب المذكور أن السلطان أبا الحسن الموصوف اهدى هدايا غير هذه لكثير من الملوك ومنها الصاحب الاندلس صلة وصدقة وهدية في مرات ومنها الملوك النصارى بعدة هداياهم ومنها سلاطين السودان كصاحب مالي ومنها لصاحب افريقية ومنها الصاحب تلمسان انتهى *وقال مؤرخ مصر المقريزي في كتاب السلوك في سنة ٧٣٨ ما نصه وفي ثاني عشرين من رمضان قدمت الحرة من عند السلطان أبي الحسن علي بن عثمان بن يعقوب المريني صاحب فاس تريد الحج ومعها هدية جليلة الى الغاية نزل لحملها من الاصطبل السلطاني ثلاثون قطارا من بغال النقل سوى الجمال وكان من جملتها أربعمائة فرس منها مائة جرة ومائة قفل ومائتا بغل وجميعها بسرج ولجم مسقطة بالذهب والفضة وبعضها سرجها وركبها كلها ذهب وكذلك شكيمها وعدتها اثنان وأربعون رأسا منها سرجان من ذهب مرصع بجوهر وفيها اثنان وثلاثون بازا وفيها سيف قرابه ذهب مرصع وحياصة ذهب مرصع وفيها مائة كساء وغير ذلك من القماش الغالي وكان قد خرج المهمندار الى لقائهم وأنزلهم بالقرافة قريب مسجد الفتح

أحالت فلاحق للشعلى فعملوا يقولون ولى عبد الملك على العراق رجلا ضعيفا وجعل يقول بعثت للمهلب حتى يحارب الخوارج فركب دجلة ثم كتب المهلب الى عبد الملك انه ليس عندي رجال أقاتل بهم فاما بعثت الي بالرجال واما خليت بيني وبين البصرة فخرج عبد الملك الى أصحابه فقال ويلكم من للعراق فسكت الناس وقام الحجاج فقال أنا لها قال اجلس ثم قال ويلكم من للعراق فصمتوا وقام الحجاج الثالثة فقال والله أنا لها يا أمير المؤمنين قال أنت زنبورها فكتب اليه عهده فلما بلغ القادسية أمر الجيش أن يقيلوا وان يروحوا وراءه ودعا بجمل عليه قتب فجلس عليه بغير خشبة ولا وطاء وأخذ الكتاب بيده ولبس ثياب السفر وتعمم بعمامته حتى دخل الكوفة وحده فجعل ينادي الصلاة جامعة وما منهم رجل جالس في مجلسه الا ومعه العشرون والثلاثون وأكثر ذلك من أهله وماليه وصعد المنبر وتلثم ممسكا قوسه فجلس واضعا ابهامه على فيه فقال بعضهم لبعض قوموا حتى نصبه قال له بعض أهل

وهم جمع كثير أحد وكاد يوم طلوع الهدية من الايام المذكورة تغرق السلطان الهدية على الامراء باسرهم على قدر رتبهم حتى نفدت كلها سوى الجواهر واللؤلؤ فانه اختص به قدرت قيمة هذه الهدية بما يزيد على مائة ألف دينار ثم نقلت الحرة الى الميدان بمن معها ورتبها من الغنم والدجاج والسكر والحلوى والفاكهة في كل يوم بكرة وعشية ما عدا هم وفضل عنهم فكان مرتبهم كل يوم عدة ثلاثين رأسا من الغنم ونصف أردب أرز وقنطار حب رمان وربع قنطار سكر وعثمان فانوسيات شمع وتوابل الطعام وحمل اليها برسم النفقة مبلغ خمسة وسبعين الف درهم وأجرة حمل أثقالهم مبلغ ستين الف درهم ثم خلع على جميع من قدم مع الحرة فكانت عدة الخلع مائتين وعشرين خلعة على قدر طبقاتهم حتى خلع على الرجال الذين قادوا الخيول وحمل الى الحرة من الكسوة ما يجل قدره وقيل لها أن على ما تحتاج اليه ولا يعوزها شيء سوى ما تريد عناية السلطان باكرامها واكرام من معها حيث كانوا فتقدم السلطان الى النشو والى الامير أحمد أن يتجهزا بتجهيزها اللائق بها فقاما بذلك واستخدما لها السقائين والضوية وهيآ كل ما تحتاج اليه في سفرها من أصناف الحلاوات والسكر والدقيق والبقسماط وطلبا الجمالة لحمل جهازها وازودتها وندب السلطان للسفر معها جمال الدين متولي الجيزة وأمره أن يرحل بها في مركب لها بمفردها قدام المحمل ويمتثل كل ما تأمر به وكتب لامير مكة والمدينة بخدمتها أتم خدمة انتهى * وقال في سنة خمس وأربعين وسبعمائة ما نصه وفي نصف شعبان قدمت الحرة أخت صاحب المغرب في جماعة كثيرة وعلى يدها كتاب السلطان أبي الحسن يتضمن من السلام وأن يدعو له الخطباء في يوم الجمعة ومشايخ الصلاح وأهل الخير بالنصر على عدوهم ويكتب الى أهل الحرمين بذلك وذلك أن في السنة الحالية كانت بينه وبين الفرنج وقعة عظيمة قتل فيها ولده ونصره الله تعالى بمنه على العدو وقتل كثيرا منهم وملكوا منهم الجزيرة الخضراء فعمر الفرنج مائتي شيني وجمعوا طوائفهم وقصدوا المسلمين وأوقعوا بهم على حين غفلة فاستشهد عالم كثير ونجا أبو الحسن في طائفة من الزامه بعد شدائد وملك الفرنج الجزيرة واسروا وسبوا وغنموا شيئا يجل وصفه ثم مضوا الى جهة غرناطة ونصبوا عليها مائة منجنيق حتى صالحهم أهلها على قطيعة يقومون بها وتهادنوا مدة عشر سنين اه كلامه وقد تقدم نص هذا الكتاب الموجه من السلطان أبي الحسن فيما سيرجع قريبا * وقال ابن مرزوق في المسند الصحيح بعد كلام ما ملخصه وكان يعني السلطان أبا الحسن مجتهدا في الجهاد بنفسه وحرمه وجاز للاندلس برسم ذلك بنفسه وأظهر آثاره الجميلة ومنها ارتجاع جبل الفتح ليد المسلمين بعد أن انفق عليه الاموال وصرف اليه الجنود والحشود وكان من عمالته هو والجزيرة وريدة ونازلته جيوشه مع ولده وخواصه وضيقوا به الى أن استرجعوه ليد المسلمين وأنفق على بنائه اجمال مال واعتنى بتحصينه وبنى حصنه وأبراجه وسوره وجامعه ودوره ومخازنه ولما كاد يتم ذلك نازله العدو برا وبحرا فصبر المسلمون صبر الكرام فخيب الله تعالى أمل العدو وعاد خاسرا والمنة لله فرأى أن يحصن سفح الجبل بسور يحيط به من جميع جهاته حتى لا يطمع عدو في منازلته ولا يجد سبيلا للتضييق عند محاصرته أي الناس ذلك من المحال فانفق الاموال وأنصف العمال فأحاط بجموعه حاطة المالة

حصر الرجل ما يقدر على الكلام ومن قائل يقول أمر الى ما أخرجته فلما غص المجلس بأهله سكن اللثام عن وجهه ثم قام ونحى العمامة عن رأسه فوالله ما حمد الله ولا أثنى عليه ولا صلى على نبيه وكان أول ما بدأهم به أن قال

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا
متى أضع العمامة تعرفوني
أنا والله لا أرى أبصارا
طامحة وأعناقا ممتطاولة ورؤسا
قد أينعت وحان قطافها
وأنا أناصاحبها كأني أنظر
الى الدماء ترقرق بين
العمائم واللمى
هذا أوان الحرب فاشتدي
زيم
قد لفها الليل بسواق حطم
ليس براعي ابل ولا غنم
ولا بجزار على ظهر وضم
وقال
قد لفها الليل بعصلبي
أروع خراج من الدوى
مهاجر ليس باعرابي
وقال
قد شمرت عن ساقها فشدوا
وجدت الحرب بكم فجدوا
والقوس فيها وترعريد
مثل ذراع البكر أو أشد
ان أمير المؤمنين تركنا له
فوجدني أمرها طعما
وأحدها سنانا وأقواها
قدما فان تستقيموا نستقم
ولا أقبل منكم غير ما أعمل

بالهلال وأما بناؤه للمحاسن والطوالع فامر غير مجهول اهـ (وقد رأيت) أن أذكر هنا بعض
انشاء لسان الدين بن الخطيب في شأن ما يتعلق بحصل الفتح وغيره من بلاد الاندلس وحال
العدو الكافر وما يخرط في هذا السلك فمن ذلك على لسان سلطانه يخاطب به أحد السلاطين
من أولاد السلطان أبي الحسن المريني (ونصه) المقام الذي يصرح ويجد ويتهم في الفضل
ويجد ويسعف ويسعد ويبرق في سبيل الله ويرعد فيأخذ الكفر من عزماته المقيم المقعد
حتى ينجز من نصر الله تعالى الموعد مقام محل أخينا الذي حسن الظن بمعده جميل وحد
الكفر بسعده كليل وللاسلام فيه رجاء وتأميل ليس للقلوب عنه عميل السلطان الكذا
ابن السلطان الكذا أبقاه الله تعالى وعزمه الماضي لصولة الكفر قامعا وتدبيره الناجع
لشمل الاسلام جامعا وملكه الموفق لنداء الله مطيعا سامعا معظم مقداره وملتزم اجلاله
واكباره المعتد في الله بكرم شيمته وطيب نجاره المستظهر على عدو الله باسراعه الى تدمير
الكافر وبداره سلام عليكم ورحمة الله وبركاته أما بعد حمد الله مجيب دعوة السائل ومتقبل
الوسائل ومتيح النعم الجلائل مربح من عامله في هذا الوجود الزائف الزائل والايام
القلائل بالمتاع الدائم الطائل والنعيم غير الحائل ومقيم أود الاسلام المائل باولى
المكارم من أوليائه والفضائل والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله المتقدم من
الغوائل المنجي من الروع المائل الصادع بدعوة الحق الصائل بين العشائر والفصائل
الذي ختم به وبرسالته ديوان الرسل والرسائل وجعله في الاواخر شرف الاوائل فحبه كنز
العائل والصلاة عليه زكاة القائل والرضا عن آله وصحبه وعترته وحزبه تجان الاحياء
والقبائل المتميزين بكرم السجايا وطيب الشمائل والدعاء لقام اخوتكم في البكر
والاصائل بالسعد الصادق الاخايل والصنع الذي تتبرج مواهبه تبرج العقائل والنصر
الذي تهزله الصعاد الملدعطف المتراخ المتخايل فانا كتبناه اليكم كتب الله لكم عزا يانع
الجمائل ونصرا يتكفل للكتائب المسدونة في الجهاد ومرضاة رب العباد بسرد المحامل
واقناع السائل من حرامغرناطة حرسها الله تعالى ولازائد بفضل الله سبحانه الا استبصار
في التوكل على من بيده الامور وتسبب مشروع تتعلق به باذن الله تعالى أحكام القدر المقدور
ورجاء فيما وعد به من الظهور يتضاعف على توالي الايام وترادف الشهور والحمد لله
كثيرا كما هو أهله فلا فضل الا فضله ومقامكم المعروف محله الكفيل بالارواء منهله وعله
والى هذا وصل الله تعالى سعدكم وحرس مجدكم ووالى النعم عندنا وعندكم فاننا في
هذه الايام أهمنا من امر الاسلام مارنق الشراب ونغص الطعام وذاد المنام لما
تحققنا من عمل الكفر على مكايدته وسعي الضلال والله الواقي في استئصال بقيته
وعقد النوادي للاستشارة في شأنه وشروع الحيل في هدم أركانه ومن يؤمل من
المسلمين لدفع الردى وكشف البلوى وبث الشكوى واهلها طهم الله تعالى وتولاهم
وتمم هوائد لطفه الذي أولاهم فهو مولاهم في غفلة ساهون وعن المغبة فيه لاهون
قد شغلتهم دنياهم عن دينهم وعاجلهم عن آجلهم وطول الامل عن نافع العمل
الا من نور الله تعالى قلبه بنور الايمان وتعلل بنا صحة الله تعالى والاسلام تعلل السليم

فررت عن ذكاء وفشت
عن تجربة والله لاحونكم
لحوا لعود ولا عصبنكم
عصب السلمة ولاضربنكم
ضرب غراب الابل ولاقرعنكم
قرع المروة يا أهل
العراق طالما سعيتم في
الضلالة وسلكتم سبيل
الغواية وسننتم سنن السوء
وتماديتم في الجهالة يا عبيد
العصا وأولاد الاماء أنا
الحجاج بن يوسف أنا والله
لا أعد الا وفيت ولا أحلف
الا بريت فاياكم وهذه
الزرافات والجماعات وقال
وقيل ومايكون وما هو
كائن وما أنتم وذاك يا بني
الكيعة ليبطر الرجل في
أمر نفسه وليحذر أن يكون
من فرائسي يا أهل العراق
انما مثلكم كما قال الله عز
وجل مثل قرية كانت
آمنة مطمئنة يأتيها رزقها
رغدا من كل مكان فكفرت
بانعم الله فاذاقها الله لباس
الجوع والخوف الآية
فاسرعوا واستقيموا
واعتدلوا ولا تميلوا وشايعوا
وبايعوا واصفحوا واعلموا
أنه ليس مني الا كثار
والاهدار ولا منكم الفرار
والنفار انما هو انتضاء
السيف ثم لا أغمده في شتاء
ولا صيف حتى يقيم الله
لامير المؤمنين أودكم ويذل به صعبكم اني نظرت فوجدت الصدق مع البر ووجدت البر في الجنة ووجدت واستدل

واستدل بالشاهد على الغائب وصرف الفكر الى مطالب الامم النوائب فلما رأينا
أن الدولة المرينية التي هي على ممر الايام تحمي العدا وتتوعد من يكيد المدى وثقة
الاسلام التي اليها تضم وكفه الذي اليه يلما قد أذن الله تعالى في صلاح امورها ونم
شعثها واقامة صفاها بان صرف الله تعالى عنها هنات الغدر واراحها من مس
الضر ورد قوسها الى يد بارئها وصيرها الى وارثها واقام لرعي مصالحها من حسن
الظن بحسبه ودينه ورجي الخير من ثمرات غصنه ومن لم يعلم الا الخير من سعيه والسداد
من سيرته ومن لا يسترب المسلمون بصحة عقده واستقامة قصده أردنا أن نخرج
لكم عن العهدة في هذا الدين الحنيف الذي وسمت دعوته وجوه أحبابكم شملهم الله تعالى
بالعافية وتشبث به أنفس من صار الى الله تعالى من السلف تغمدهم الله بالرحمة والمغفرة
وفي هذا القطر الذي بلاده ما بين مكفول يجب رعيه طبعا وشرعا وجار يلزم حقه دينا
ودنيا وحمية وفضلا وعلى الحالين فعليكم بعد الله المعول وفيكم المؤمل فارعونا اسماعكم
المباركة نقص عليكم ما فيه رضا الله والمنجاة من نكيره والفخر والاجر وحفظ النعم والخلف
في الذرية بهذا وعدت الكتب المنزله والرسل المرسله وهو أن هذا القطر الذي
تعددت فيه المحاريب والمنابر والراكع والساجد والذاكر والعابد والعالم والاغيف
والارملة والضعيف قد انقطع عنه ارفاد الاسلام وشحت الايدي به منذ أعوام وسلم
الى عبدة الاصنام وقوبلت ضرائره بالاعذار والمواعيد المستغرقة للاعمار وان
عرضت شواغل وفتن وشواغب واحن فقد كانت بحيث لا يقطع السبب بجملته
ولا يذهب المعروف بكليته

ولا بد من شكوى الى ذي مروءة * يواسيك أو يسليك أو يتوجع

ولو كانت الاشغاب تقطع المعروف وتصرف عن الواجب لم يفتح المقدس والدكم جبل الفتح وهو
منازل أخاه بسجلماسة ولا امده ولده السلطان أبو عنان وهو بمراكش وبالامس بعثنا
الى الجبل وسماته في جملة ما أهمنا مبلغ جهد وسداد من عوز وقد فضلت عن ضرائرنا
وال فرضت من اجل الله على عباده وطعام سمحنا به على الاحتياج اليه في سبيل جهاده
وسهم المتغلب منها لجانب الله بحبة ولا أقطعه منها ذرة مستخفا به جل وعلا متهاونا بتكبيره
وهي وهو أحق أن يخشى فضاعت الامور واختلت الثغور وتشذبت الحامية وتبددت
العدد وخلت المخازن وهلكت بها الجراذن وعظمت بها عسرة الاسلام أضعاف
ما عظمت حيرته أيام ما كانت تكافحها هم الملوك الكرام والخلفاء العظام والوزراء
والنصحاء والاشياخ الامجاد قدس الله تعالى أرواحهم وضاعف أنوارهم ولا كالحسرة
في الجبل باب الاندلس وركاب الجهاد محسنة بني مرين وما أثر آل يعقوب وكرامة الله
للسلطان المقدس أبي الحسن والد الملوك وكبير الخلفاء والمجاهدين والدكم الذي تردد على قبره
مع الساعات والانفاس وفود الرحمة وهدايا الزلفة وريحان الجنة فلولا انكم على علم من
حوله لشرحنا الجمل وشكلنا المهمل اغاهو اليوم شيخ مائد وظل بائد ولولا أن الله تعالى
شغل السداعنه بفتنة لم يصرف وجهه الا اليه ولا حوم طيره الا عليه ولكان بصدد ان

واتفاصكم الى محلة
عدو كم مع المهلب وقد
أمرتكم بذلك وأجلت لكم
ثلاثا وأعطيت الله عهدا
يؤاخذني به ويستوفيه مني
أن لا أجد أحدا من بعث
المهلب بعدها الا ضربت
عنقه وانتهبت ماله يا غلام
اقرأ عليهم كتاب أمير
المؤمنين فقال الكاتب
بسم الله الرحمن الرحيم من
عبد الله عبد الملك بن
مروان أمير المؤمنين الى
من بالعراق من المؤمنين
والمسلمين سلام عليكم فاني
أحمد الله اليكم فقال الحجاج
اسكت يا غلام ثم قال
مغضبا يا أهل العراق
والنفاق والشقاق ومساوئ
الاخلاق يا أهل الفرقة
والضلال يسلم عليكم أمير
المؤمنين فلا تردون عليه
السلام أما والله لئن بقيت
لكم لاحونكم لحو العود
ولاؤدبنكم أدبا سوى هذا
الادب هذا أدب ابن سمية
وهو صاحب شرطة كان
بالعراق اقرأ يا غلام
الكتاب فلما بلغ السلام
قال أهل المسجد وعلى أمير
المؤمنين السلام ورحمة الله
وبركاته ثم نزل وأمر للناس
باعطياتهم والمهلب يومئذ
بمرجان يقاتل الازارقة
فلما كان اليوم الثالث

حاضر الحجاج بغته بعرض الناس فمر به عمير بن ضابئ البرجمي ثم أحد بني الحدادية وكان من أشراف أهل الكوفة وكان

يتخذه الصليب دارا وان يقربه عينا والعدوة فضلا عن الاندلس قد لوسعها شرا وارهق ما يجاوره عسرا نسأل الله تعالى بجوده وجهه أن لا يؤدالوجوه بالقبح فيه ولا يسم المسلمين الشكلة وما دونه فهو وان أنعش بالتعليل عليله ووقع بالجهد خلقه لحم على وضم الا ان يصل الله تعالى وقايته ويوالى دفاعه وحمايته لا اله الا هو الولى النصير ومازلنا نشكو الى غير المصمت ونمد اليد الى المدبر عن الله المعرض ونخطب له زكاة الاموال من المباني الضخمة والخزائن الثرة والاهراء الطامية والحظ التافه من المفترض برسمه فتمضى الايام لا تزيد الضرائر فيها الا ضيقا ولا الاحوال الا شدة ولا الثغر الا ضعة ولا نعلم أن نظرا وقع له ولا فكرا أعمل فيه الا ما كان من تسخير رعيته الضعيفة وبلالة جباه السخيفة في بناء قصر بمنت ميور من جباله

شاده مرمرا وجلله كاسـ ـفا للطير في ذاره وكور

جلب اليه الزليج واختلفت فيه الاوضاع في رأس نيق لا مل نزوة وسوء فكرة فلما تم أقطع العمران فهو اليوم ممتنع البوم وحظ الخراب فلا حول ولا قوة الا بالله حتى جاء أمر الله تعالى الصيحة من البر فصار اليد من العمل الصالح نعوذ بالله من ذلك ونسأله الالهام والسداد والتوفيق والرشاد وقد بذلنا جهدنا قولا وفعلا وموعظة ونصحا واستدعينا تلك الجهة صدقة المسلمين محمولة على أكتاد العباد الضعفاء الذين كانت صدقاتهم فاتحيه رضى الله تعالى عنهم ترفدهم ونوافلهم تعهدهم فحاول ذلك الجؤار حلوبا ولا استدعى مطلوبا ولا رفد امجلوبا فالى متى تنضى ركاب الصبر وقد بلغ الغاية واستنفد البلالة بعد أن أعاد الله تعالى العهد وجبر المال واصلح السعى واجرى ينابيع الخير وانشق رياح الافالة وجملة ما نريد أن نقرره فهو الباب الجامع والقصد الشامل والداعى والباعث أن صاحب قشتالة لما عاد الى ملكه ورجع الى قصره جرت بيننا وبينه المراسلة التي استقرت بعدم رضاه عن كدحنا النصره ومظاهرتنا اياه على أمره وان كنا قد بلغنا جهدا وأبعدنا وسعا واجلت عن شروط ثقيلة لم نقبلها واغراض صعبة لم نكملها ونحن نحقق انه اما أن تهيج حفيظته وتثور احنته فيكشف وجه المطالبة مستكثرا بالامة التي داس بها أهل قشتالة فراجع أمره غلابا وحقه ابتزازا واستلابا أو يصرفها ويهادن المسلمين بخلال مالا يدع جهة من جهات دينه الغريب الا عقد معها صلحا وأخذ عليها ما عانتها اياه عهدا ثم تفرغ الى شفاء غليله وبلوغ جهده ولا شك انها تجيبه صرفا لباسه عن نحورها ومقارضه كما وقع باطريرة من مضيق صدورها ومؤسف جمهورها وكل من له دين ما فهو يحرص على التقرب الى من دانه به وكلفه وظائف تكليف رجاء لموعده وخوفا من وعيده وبالله ندفع ما لا نطيق من جموع تداعت من الجزر وراء البحور والبر المتصل الذي لا تقطعه الرفاق ولا تحصى ذرعه الحذاق وقد أصبحنا بدار غربة ومحل روعة ومفترس نبوة ومظنة فتنة والاسلام عدده قليل ومنتجعه في هذه البقعة جديب وعهده بالارفاد والامداد من المسلمين بعيد ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا الى آخر السورة واذا تداعت أمم الكفر نصرة لدينها المكذوب وحمية لصليبها المنصوب فمن يستدعى لنصر دين الله وحفظ أمانة نبيه الا أهل ذلك الوطن

من بعث المهلب فقال أصلح الله الامير اني شيخ كبير ومن عليل ضعيف ولي عدة أولاد فليعفني الامير اليهم شاء كافى أشدهم ظهرا وأكرمهم فرسا وأنعمهم أداة قال الحجاج لا بأس بشاب مكان شيخ فلما ولى قال له عنبسة بن سعيد ومالك بن اسماء اصلح الله الامير أتعرف هذا قال لا قال هو عمير بن ضابئ التميمي الذي وثب على أمير المؤمنين عثمان وهو مقتول فكسر ضلعا من أضلاعه فقال انه كان حبس أبي شيخا كبيرا ضعيفا فلم يطلقه حتى مات في سجنه فقال الحجاج أما أمير المؤمنين عثمان فنغزوه بنفسك وأما الازارقة فنبعث اليهم بالبدل أوليس أبوك الذي يقول

هممت ولم أفعل وكدت وليتني
فعلت وأوليت البكاء حلائله

أما والله ان في قتلك أيها الشيخ لاصلاح المصرين ثم أقبل يصعد بصره اليه و يعض على لحيته مرة ويسرحها أخرى ثم أقبل عليه فقال يا عمير سمعت مقالتي على المنبر فقال نعم قال والله انه لقبيح بمثلي أن يكون كذابا قم اليه يا غلام فاضرب عنقه ففعل فلما قتل ركب الناس كل صعب وذلول وخرجوا على وجوههم يريدون المهلب فازدحموا على الجسر حتى سقط

حيث

حيث لا أذن بذكر الله تعالى غلا الا فاق وكلمة الاسلام قد همت الرباو الوهاد اغا الاسلام غريق قد تشبث باهدابكم يناشدكم الله فى بقية الرمق وقبل الرمى تراش السهام وهذا أوان الاصغاء واختيار النجاة واعداد الاقوات قبل أن يضيق المجال وتمنع الموانع وقد وجهنا هذا الوفد المبارك للحضور بين يديكم مقررا الضرورة منهيا الرغبة مذكرا بما يقرب عند الله مذكرا الذمام الاسلام جالبا على من وراءهم بحول الله تعالى من المسلمين البشرى التى تشرح الصدور وتسنى الآمال وتستدعى الدعاء والثناء فالمؤمن كثير باخيه ويد الله مع الجماعة والمسلمون يد على من سواهم والمؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا والتعاون على البر والتقوى مشروع وفى الذكر الحكيم مذكور وحق الجار مشهور وما كان جبريل يوصى به فى الصحيح مكتوب وكراع المسلمين اجتماع كلمة الكفر فنرجو أن يرقع الكفر من العز بالله وشد الحيازيم فى سبيل الله ونفير النفرة لدين الله والشعور بحماية الثغور وعمرانها واراحة علالها وجلب الاقوات اليها وانشاء الاساطيل وجبر ما تلف من عدة البحر أمور تدل على ماوراءها وتخبر بمشيئة الله تعالى عما بعدها وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى ومن خطب على رضى الله تعالى عنه أما بعد فان الجهاد باب من أبواب الجنة فمن تركه رهبة ألبسه الله تعالى سيما الخسف ووسمه بالصغار وما بعد الدنيا الا الآخرة وما بعد الآخرة الا حدى داريا البغاء أبى الله شك ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون والاعتناء بالجبل عنوان هذا الكتاب ومقدمة هذا الباب والغفلة عنه منذ أعوام قد صيرتنا الا نقنع باليسير وقد أبرمته المواعيد وغير رسومه الانتظار ومن المنقول ارجوا السائل ولو جاء على فرس والاسراف فى الخير أرجح فى هذا المحل من عكسه وكان بعض الاجواد يقول وقد أقترا للهم هب لى الكثير فان حالى لا تقوم على القليل وعسى أن يكون النظر له بنسبة الغفلة عنه والامتعاض مكافئا للازراء به وخلو البحر يغتنم لامداده وارفاده قبل أن يثوب نظر الكفر الى قطع المدد وسد البحر ومن ضيع الحزم ندم ولا عذر لمن علم والله عز وجل يطلع من قبلكم على مافيه شفاء الصدور وجبر القلوب وشعب الصدوع وما نقص مال من صدقة والعام الواحد كالى الاثنين والدين دينكم والبلاد بلادكم ومحل رباطكم وجهادكم وسوق تجاراتكم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وقد فلدنا العهد وقلدنا علينا المصروف العناية بفضل الله تعالى الينا والله المستعان وعليه التكلان والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته انتهى ﴿ وفى اعتقادى أن هذا المكتوب للسلطان أبى الحسن عبد العزيز ابن السلطان أبى الحسن المرينى وأن المراد بالمتغلب الوزير عمر بن عبد الله الذى ظفر به أبو فارس المذكور واستقل بالملك بعد محو اثره حسبما ذكرناه فى غير هذا المحل والله سبحانه أعلم (ومن انشاء لسان الدين) على لسان سلطانه فى استنهاض عزم صاحب فاس السلطان المرينى لنصرة الاندلس (ما نصه) المقام الذى يؤثر حظ الله اذا اختلفت الخطوط وتعددت المقاصد ويشرع الادنى منه اذا تفاضلت المشارع وتمايزت الموارد بما جعل عادة حلمه وفضله الشارد ويسع ولرق ظله الصادر والوارد والغائب والشاهد والبعيد من نصر الله للاسلام العوائد ويسد الذرائع ويدر الفوائد مقام محل أخينا الذى

العراب الى المهلب فما أتت على المهلب عاشرة حتى ازدحموا عليه فقال من هذا الذى استعمل

ذلك قال أهل هذا البعث ازدحموا على الجسر حتى ضاق بهم قال انطلق فاعقد لهم جسرين وخرج عبد الله ابن الزبير الاسدى مذعورا حتى اذا كان عند الجماعين لقيه رجل من قومه يقال له ابراهيم فقال له ما الخبر فقال ابن الزبير الشر الشر قتل عمير من بعث المهلب وأنشأ يقول

أقول لابراهيم لما لقيته
أرى الامر أمسى مهلكا متصعبا
تجهز فاما أن تزور ابن ضابئ
عميرا واما أن تزور المهلبا
هما خطتا خسف نجاؤك منهما
ركوبك حيرانا من البلج اشهبا
فاضحى ولو كانت خراسان دونه
رآها مكان السوف أو هو أقربا
والافما الحجاج مغمد سيفه
مدى الدهر حتى يترك الطفل أشيبا

وخرج الناس هربا الى السواد وأرسلوا الى أهاليهم أن زودونا ونحن بمكاننا وقال الحجاج لصاحب الجسر افتح ولا تحل بين أحد وبين الخروج ووجه

على العراق من هذا الذى
عبد الرحمن بن محمد بن
الاشعث على سجستان
وبست والرخج فحارب من
هنالك من امم الترك وهم
أنواع من الترك يقال
لهم الطغرغر والجلج وحارب
من يلى تلك البلاد من
ملوك الهند مثل زنبيل
وغيره وقد قدمنا فيما سلف
من هذا الكتاب مراتب
ملوك الهند وغيرهم من
ملوك العالم وذكرنا ملكة
كل واحد منهم والصقع
الذى هو به وذوى السياسات
منهم وبينا أن كل ملك يلى
هذا الصقع من بلاد الهند
يقال له زنبيل فخلع ابن
الاشعث طاعة الحجاج
وصار الى بلاد كرمان فثنى
بخلع عبد الملك وانقاد الى
طاعته أهل الرى والجبال
وما بين الكوفة والبصرة
وغيرهما وسار الحجاج الى
البصرة وسار الاشعث
اليه فكانت له حروب
عظيمة وفى عبد الرحمن بن
الاشعث يقول

خلع الملوك وسار تحت لوائه
شجر العراق وعراعر
الاقدام

وكتب الحجاج بن يوسف
الى عبد الملك يعلمه بخبر ابن
الاشعث فكتب اليه عبد الملك لعمرى لقد خلع طاعة الله بيمينه وسد بابه بشماله وخرج من الدين

حسنت فى الملك سيره وتعاضد فى الفضل خبره وخيره ودلت شواهد مدارك المقو
وتغمده للعقوق على أن الله تعالى لا يهمله ولا يذره فملك فخره منسقة درره ووجه ملك
شادخة غرره السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا أبقاه الله ورفيع
علاؤه هامية لديه منن الله تعالى وآلاؤه مزدانة بكواكب السعد سماؤه محروسة بعز
النصر أرجاؤه مكملا من فضل الله تعالى فى نصر الاسلام وكبت عبدة الاصنام أمله
ورجاؤه معظم قدره الذى يحق له التعظيم وموقر سلطانه الذى له الحسب الاصيل والمجد
الصميم الداعى الى الله تعالى باتصال سعادته حتى ينتصف من عدو الاسلام الغريم ويتاح
على يد سلطانه الفتح الجسيم فلان سلام كريم طيب عميم ورحمة الله وبركاته أما بعد حمد
الله الذى لا يضيع اجر من أحسن عملا ولا يخيب أمل من اخلص الرغبة اليه أملا ومو فى من
ترك له حقه أجوه المكتوب متمما مكملا وجاعل الجنة لمن اتقاه حق تقاته نزلا مالك الملوك
الذى جل وعلا وجبار الجبابرة الذى لا يحدون عن قدره محيصا ولا من دونه موئلا والصلاة
والسلام على سيدنا ومولانا محمد الذى أنزل الله تعالى عليه الكتاب مفصلا وأوضح طريق
الرشد وكان مغفلا وفتح باب السعادة ولولاه كان مقفلا والرضا عن آله وأصحابه وعترته
وأحزابه الذين ساهموه فيما مار وماحلا وخلفوه من بعد بالسير التى راقت مجتلى ورفعوا
عماد دينه فاستقام لا يعرف ميلا وكانوا فى الحلم والعفو مثلا والدعاء لمقامكم الاسمى بالنصر
الذى يلفى نصه صريحا لا متأولا والصنع الذى يبهر حالا ومستقبلا والعز الذى يرسو جبلا
والسعد الذى لا يبلغ أمدا ولا أجلا فانا كتبناه اليكم أصحب الله تعالى ركابكم حلف التوفيق
حلا ومرتحلا وعرفكم عوارف اليمن الذى يثير جذلا ويدعو وافد الفتح المبين فيرد
مستجلا من حراء غرناطة حرسها الله تعالى ولا زائد بفضل الله سبحانه ثم بما عندنا من
التشيع لمقامكم حرس الله تعالى سلطانه ومهد أوطانه الا الخير الذى نسأل بعده تحسين
العقبى وتوالى عادة الرحمى والحمد لله على التى هى أزكى وسدل جناح الستر الاضفى
وصلة اللطائف التى هى أكفل وأكفى وأبر وأوفى ومقامكم عندنا العدة التى بها نصول
ونرهب والعمدة التى نظيل فى ذكرها ونسهب وقد أوفدنا عليكم كل ما زاد لدينا
أوفتح الله تعالى به علينا ونحن مهما شد المختق بكم نستنصر أو تراخى فنى ودكم نستبصر
أو فتح الله تعالى فابوابكم نهنى ونبشر وقررنا عندكم أن العدو فى هذه الايام توقف
عن بلاد المسلمين فلم تصل منه اليها سريه ولا بطشت له يد جريه ولا افترعت من تلقائه
ثنيه ولا ندرى أمكيدة تدبر أم آراء تنقض بحول الله وتتبر أو لشاغل فى الباطن لا يظهر
وبعد ذلك وردت على بابنا من بعض كبارهم وزعماء أقطارهم مخاطبات
يندبون فيها الى جنوحها للسلم فى سبيل النصح لا يادسلفت منا لهم قررها ورسائل ذكرها فلم
يخف عنا أنه أمر دبر بليل وخبية تحت ذيل فظهر لنا أن نسبر الغور ونستقصر الامر
فوجهنا اليه على عادتنا مع سلفه لتعتبر ما لديه ونتظر الى بواطن أمره ونبحث عن زيد قومه
وعمره فتاتى ذلك وجر مفاوضة فى الصلح أعدنا لاجلها الرسالة واستشعرنا السالة ووازنا
الاحوال واختبرنا واعتززنا فى الشروط ما قدرنا ونحن نرتقب ما يخلق الله تعالى من مهادنة

تحصل

عريانا وانى لأرجو أن يكون هلاكه وهلاك أهل بيته واستئصالهم فى

تحصل بها الاقوات المهيأة للانتساف وتسكن ماساء البلاد المسلمة من هذا الارجاف
وتفرغ الوقت لمعاودة هذه الاماثل الهاف أو حرب يبلغ الاستبصار فيه غايته حتى يظهر الله
تعالى فى نصر الفئة القليلة آيته ولم نجعل سبب الاعتزاز فيما أردناه وشموخ الانف فيما
أصدرناه الا ما أشعنا من عزمكم على نصرة الاسلام وارتقاب خفوق الاعلام والنهوض
الى دعوة الرسول عليه الصلاة والسلام وان الارض حمية لله تعالى قد اهتزت والنفرة قد
غلبت النفوس واستفزت واستظهرنا بكتبكم التى تضمنت ضرب المواعد وشمرت عن
السواعد وأن الخيل قد اطلقت الى الجهاد فى سبيل الله الاعنة والثنايا سدتها بروق
الاسنة وفرض الجهاد قد قام به المؤمنون والاموال قد سمح بها المسلمون وهذه الامور
التى تمثلت بقريبها أو بعيدها أحوال الاسلام والامانى المعدة لتزجية الايام ثم اتصل
بنا الخبر الكارث بما كان من حور العزائم المؤمنة بعد كورها وتسويف مواعد النصرة بعد
استشعار فورها وان الحركة معملة الى مراكش الجهة التى فى يديكم زمامها واليكم وان
تراخى الطول ترجع أحكامها والقطر الذى لا يفوتكم مع الغفلة ولا يعجزكم عن الصولة
ولا يطلسكم ان تركتموه ولا يمنعكم ان طرقتموه وعركتموه فسقط فى الايدى الممدودة
واختلفت المواعد المحدودة وخسئت الابصار المرتقبة ورجعت المعاقل الاشبه وساءت
الظنون وذرفت العيون وأكذب الفضلاء الخبر ونفوا أن يعتبر وقالوا هذا لا يمكن
حيث الدين الحنيف والملك المنيف والعلماء الذين أخذ الله تعالى ميثاقهم وحمل النصيحة
أعناقهم هذا المفترض الذى يبعد والقائم الذى يقعد ياباه الله تعالى والاسلام وتاباه
العلماء الاعلام وتنهاه المآذن والمنابر وتاباه المسمم والاكابر فبادرنا نستطلع طلع
هذا النبأ الذى اذا كان باطلا فهو الظن ولله المن وان كان خلافه لرأى ترجع وتنفق
بقرب الملك وتجمع فنحن نوفد كل من يقدم الى الله تعالى بهذا القطر فى شفاعه ويمد اليه
كف ضراعه ومن يوسم بصلاح وعباده ويقصد فى الدين بث افاده يتطارحون عليكم
فى نقض ما أبرم ونسخ ما أحكم فانكم تجنون به على من استنصركم عكس ما قصد وتحلون
عليه ما عقد وهب العذر يقبل فى عدم الاعانه وضرورة الاستعانة والاستكانه أى عذر
يقبل فى الاطراح والاعراض الصراح كأن الدين غير واحد كأن هذا القطر لكلمة
الاسلام جاحد كأن ذمام الاسلام غير جامع كأن الله غير راء ولا سامع فنحن نسألكم بالله
الذى تساءلون به والارحام ونأنف لكم من هذا الاحجام وتتطارح عليكم أن تتركوا
حظكم فى أهل تلك الجهة حتى يحكم الله بيننا وبين العدو الذى يتكالب علينا وديارنا
بعد ما تضاءل لاستغفاركم ولا نكلفكم غير اقتراب داركم وما سامكم المسلمون بها شططا ولا
حملوكم الا قصدا وسفا وما ذهبتم اليه لا يفوت ولا يبعد وقد تجاورت البيوت انما القائت
وراءكم من حديث تأنف من سماعه أوداؤكم ودين يشمت به أعداؤكم فأسعفوا
شفاعة فيمن بتلك الجهة المراكشية قصدنا وحاشى احسانكم أن يرى فيه ردنا وأنتم
أهل الخيار فيما يجر به الله على يديكم من قدره أو يلهمكم اليه من نصره وجوابكم مرتقب
جميلا يليق بكم ويجمل بحسبكم والله سبحانه يصل سعدكم ويحرس مجدكم والسلام

رسوله صلى الله عليه وسلم ثم قال يا أهل العراق ان الشيطان استبطنكم فقالها اللهم منكم والعظم والاطراف

ذلك على يد أمير المؤمنين
وما جوابه عندى فى خدمة
الطاعة الا قول القائل
أناة وحلما وانتظارا بهم غدا
فما أنا بالقالى ولا الضرع
الغمر
أظن صروف الدهر بينى
وبينكم
ستحملكم منى على مركب
وعر
ألم تعلموا انى تخاف عزائمى
وان قناتى لا تلين على
الكسر
ودخل ابن الاشعث
الكوفة وكتب الحجاج
كتابا الى عبد الملك يذكر
فيه جيوش ابن الاشعث
وكثرتها ويستنجد عبد
الملك ويسأله الامداد وقال
فى كتابه واغوثاه يا الله
واغوثاه يا الله واغوثاه
يا الله فامده بالجيوش
وكتب اليه يا لبيك يا لبيك
يا لبيك فالتقى الحجاج وابن
الاشعث بالموضع المعروف
بدير الجماجم فكانت بينهم
وقائع نيف وثمانون وقعة
تفانى فيها خلق وذلك فى
سنة اثنتين وثمانين وكانت
على ابن الاشعث فمضى حتى
انتهى الى ملوك الهند
ولم يزل الحجاج يحتال فى قتله
حتى قتل وأتى برأسه فنظر
الحجاج منبر الكوفة فحمد
الله وأثنى عليه وصلى على

الكريم عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته انتهى (ومن انشاء لسان الدين) ايضا فى مخاطبة سلطان فاس والمغرب على لسان سلطان غرناطة فيما يقرب من الانحاء السابقة (ما نصه) المقام الذى أقمار سعده فى انتظام واتساق وجياد عزه الى الغاية القصوى ذات استباق والقلوب على حبه ذات اتفاق وعناية الله تعالى عليه مديدة الرواق وأياديه المجة فى الاعناق الزم من الاطواق وأحاديث مجده سمر النوادى وحديث الرفاق مقام محل أبينا الذى شأن قلوبنا الاهتمام بشانه وأعظم مطلوبنا من الله تعالى سعادة سلطانه السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا أبقاه الله تعالى والصنائع الالهية تحط ببابه والالطاف الخفيه تعرس فى جنابه والنصر العزيز يحف بركابه وأسباب التوفيق متصلة بأسبابه والقلوب الشجية لفراقه مسرورة باقترابه معظم سلطانه الذى له الحقوق المحتومة والفواضل المشهورة المعلومه والمكارم المسطورة المرسومه والمفاخر المنسوقة المنظومه الداعى الى الله تعالى فى وقاية ذاته المعصومه وحفظها على هذه الامة المرحومه الامير عبد الله يوسف ابن أمير المسلمين أبى الوليد اسمعيل بن فرج بن نصر سلام كريم طيب عمم كما سطعت فى غيهب الشدة أنوار الفرج وهبت نواسم ألطاف الله عاطرة الارج يخص مقامكم الاعلى ورحمة الله وبركاته أما بعد حمد الله جالى الظلم بعد اعتكارها ومقيل الايام من عثارها ومزين سماء الملك بشموسها المحتجبة وأقمارها ومريح القلوب من وحشة أفكارها ومنشئ سحاب الرحمة على هذه الامة بعد افتقارها وشدة اضطرابها واضطرارها ومتداركها باللطف الكفيل بتمهيد أوطانها وتيسير أوطارها والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله صفوة النبوة ومختارها ولباب مجدها السامى ونجارها نبى الملاحم وخائض تيارها ومذهب رسوم الفتن ومطفئ نارها الذى لم ترعه الشدائد باضطراب بحارها حتى بلغت كلمة الله ما شاءت من سطوع أنوارها ووضوح آثارها والرضا عن آله وأصحابه الذين تمسكوا بعهده على أحلاء الحوادث وأمرارها وباعوا نفوسهم فى اعلاء دعوته الحنيفة واظهارها والدعاء لمقامكم الاعلى باتصال السعادة واستمرارها وانسحاب العناية الالهية واسدال أستارها حتى تقف الايام ببابكم موقف اعتذارها وتعرض على مثابتكم ذنوبها راغبة فى اغتفارها فانا كتبناه اليكم كتب الله تعالى لكم أوفى ما كتب لصالحى الملوك من مواهب اسعاده وعرفكم عوارف الآلاء فى اصدار أمركم الرفيع وايراده وأجرى الفلك الدوار بحكم مراده وجعل لكم العاقبة الحسنى كما وعد به فى محكم كتابه المبين للصالحين من عباده من حمراء غرناطة حرسها الله تعالى وليس بفضل الله الذى عليه فى الشدائد الاعتماد والى كنف فضله الاستناد ثم ببركة جاه نبينا الذى وضح بهدايته الرشاد الا الصنائع التى تشام بوارق اللطف من خلالها وتخبر سيماها بطلوع السعود واستقبالها وتدل مخايل يمنها على حسن مآلها فلله الحمد على نعمه التى نرغب فى كمالها ونستدرعذب زلالها وعندنا من الاستبشار باتساق أمركم وانتظامه والسرور بسعادة ايامه والدعاء الى الله تعالى فى اظهاره واتمامه مالا تفى العبارة باحكامه ولا تتعاطى حصر أحكامه والى هذا العهد

مصلح

والأعضاء وجرى منكم مجرى الدم ٥٠٠ وافضى الى الاضلاع والاخاخ فحشى ما هنالك شقاقا واختلافا ونفاقا ثم أربع فيه وعشش وباض فيه ففرخ واتخذتموه دليلا تتابعونه وقائدا تطاوعونه ومأمرا تستأمرونه ألستم أصحابى بالاهواز حين سعيتم بالغدر فاستجمعتم على وحيث ظننتم أن الله سيخذل دينه وخلافته وأقسم بالله انى لأراكم بطرفى وأنتم تتسللون لواذا منهزمين سراعا مفترقين كل امرئ منكم على عنقه السيف رعبا وجبنا ويوم الزاوية وما يوم الزاوية بها كان فشلكم وتخاذلكم وبراءة الله منكم وتوليكم على أكتافكم السيوف هاربين لا يسأل الرجل عن بنيه ولا يلوى امرؤ على أخيه حين عض لكم السلاح وقصمتكم الرماح ويوم دير الجماجم بها كانت الملاحم والمعارك العظائم ضربا يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله فالذى أرجوه منكم يا أهل العراق أم ما الذى أتوقعه ولماذا استبقيكم ولاى شئ ادخركم ألاهرات بعد العدوات أم للنزوة بعد النزوات وما الذى أراقب بكم وما الذى انتظر فيكم ان بعثتم الى ثغوركم جبنتم وان أمنتم أرجفتم نافقتم لا تجز ونجسية ولا تشكرون نعمة يا أهل العراق هل استنبحكم ناجح أو استشلاكم غاو

أو استنفدكم ناكث أو استنفركم عاص الا تابعتموه وبايعتموه

الله تعالى أمركم وولاه وصان سلطانكم وتولاه فقد علم الحاضر والغائب وخلص الخلوص الذى لا تغيره الشوائب ما عندنا من الحب الذى وضحت منه المذاهب وانا لما اتصل بنا ما جرت به الاحكام من الامور التى صحبت مقامكم فيها العناية من الله والعصمه وجعل على العباد والبلاد الوقاية والنعمه لا يستقر بقلوبنا القرار ولا تتاتى بأوطاننا الاوطار تشوقا لما تتيحه لكم الاقدار ويبرزه من سعادتكم الليل والنهار ورجاؤنا فى استئناف سعادتكم يشتد على الاوقات ويقوى علما بان العاقبة للتقوى وفى هذه الايام عميت الانباء وتكالبت فى البر والبحر الاعداء واختلفت الفصول والاهواء وعاقت الوارد الانواء وعلى ذلك من فضل الله الرجاء ولو كنا نجد للاتصال بكم سببا أو نلفى لاعاتكم مذهبا لما شغلنا البعد الذى بيننا اعترض والعدو بساحتنا فى هذه الايام ربض وكان خديعكم الذى رفع من الوفاء رايه خافقه واقتنى منه فى سوق الكساد بضاعة نافقه الشيخ الاجل الاوفى الاود الاخلص الاصفى أبو محمد بن احيانا سنى الله مأموله و بلغه من سعادة امركم سوله وقد ورد على بابنا وتحيز الى اللحاق بجنابنا ليتيسر له من جهتنا القدوم ويتأتى له باعانتنا الغرض المروم فبينما نحن ننظر فى تتميم غرضه واعانته على الوفاء الذى قام بفرضه اذا تصل بنا خبر قرقورتين من الاجفان التى استعنتم بها على الحركه والعزمة المقترنة بالبركه حطت احداهما بمرسى المنكب والاخرى بمرسى المريه فى كنف العنايه الالهيه فتلقينا من الواصلين فيها الانباء المحققة بعد التباسها والاخبار التى يغنى نصها عن قياسها وتعرفنا ما كان من عزمكم على السفر وحركتكم المعروفه باليمن والظفر وانكم استخرتم الله تعالى فى اللحاق بالاوطان التى يؤمن قدومكم خائفها و يؤلف طوائفها ويسكن راجفها و يصلح احوالها ويسكن أهوالها وانكم سبقتم حركتها بعشرة أيام مستظهرين بالعزم المبرور والسعد الموفور واليمن الرائق والسفور والاسطول المنصور فلا تسألوا عن انبعاث الآمال بعد سكونها ونهوض طيور الرجاء من وكونها واستبشار الامة المحمدية منكم بقرة عيونها وتحقق ظنونها وارتياح البلاد الى دعوتكم التى ألبستها ملابس العدل والاحسان وقلدتها قلائد السير الحسان وما منها الا من باح بما يخفيه من وجده وجهر بشكر الله تعالى وحمده وابتهل اليه فى تيسير عرس مقامكم الشهير وتتميم قصده واستئناس نور سعده وكم مطل الانتظار بديوان آمالها والمطاولة من اعتلالها وأما نحن فلا تسألوا عن استشعار دنو حبيبه بعد طول مغيبه انماه وصدر راجعه فؤاده وطرف ألفه رقاده وفكر ساعده مراده فما بلغنا هذا الخبر بادرنا الى انجاز ما بذلنا لخديمكم المذكور من الوعد واغتنمنا ميقات هذا السعد لنصل سببه باسبابكم و يسرع لحاقه بجنابكم فعنده خدم نرجو أن ييسر الله تعالى أسبابها ويفتح بنيتكم الصالحة أبوابها وقد شاهد من امتعاضنا ذلك المقام الذى ندين له بالتشيع لكريم الوداد ونصل له على بعد المزار ونزوح الاقطار سبب الاعتداد ما يغنى عن القلم واللسان وقد ألقينا اليه من ذلك كله ما يلقيه الى مقامكم الرفيع العماد وكتبنا الى من [illegible] لا تنا نحذلهم ما يكون عليه عملهم فى بر من يرد عليهم من جهة أبوتكم الكريمه

وآويتموه وكنتم موه
يا أهل العراق هل شغب
شاغب أو نعب ناعب
أو دنى كاذب الا كنتم
أنصاره وأشياعه يا أهل
العراق لم تنفعكم التجارب
وتحفظكم المواعظ
أو تعظكم الوقائع هل يجمع
فى صدوركم ما أوقع الله
بكم عند مصادر الامور
وموارد ها يا أهل الشام
انا لكم كالطلسم الراصح
عن فراخه ينفى عنهن القذى
ويكنهن من المطر ويحفظهن
من الذباب ويحميهن من
سائر الدواب لا يخلص
اليهن معه قذى ولا يفضى
اليهن بذا ولا يمسهن أذى
يا أهل الشام أنتم العدة
والعدد والجند والحرب
ان حارب محارب أو جانب
مجانب وما أنتم وأهل
العراق الا كما قال نابغة بنى
جعدة

وان تداعيكم حظيهم
ولم ترزقوه ولم نكذب
كقول اليهود قتلنا المسيح
ولم يقتلوه ولم يصلب
فى أبيات ولما أسرف الحجاج
فى قتل أسارى دير الجماجم
وأعطى الاموال بلغ ذلك
عبد الملك فكتب اليه أما
بعد فقد بلغ أمير المؤمنين
سرفك فى الدماء وتبذيرك
فى الاموال ولا يحتمل أمير
المؤمنين هاتين الخصلتين لاحد من الناس وقد حكم عليك أمير المؤمنين فى الدماء فى الخطأ الدية وفى

ذات الحقوق العظيمه والايادى الحديثة والقديمه وهم يعلمون فى ذلك بحسب المراد وعلى شاكلة جميل الاعتقاد ويعلم الله تعالى أننا لم نعق العوائق الكبيره والموانع الكثيره والاعداء الذين ذهبت بهم فى الوقت هذه الجزيره ما قدمنا علا على اللحاق بكم والاتصال بسببكم حتى نوفى لابوتكم الكريمة حقها ونوضح من المسرة طرقها لكن الاعذار واضحة وضوح المثل السائر والله العالم بالسرائر والى الله تعالى نبتهل فى أن يوضح لكم من التيسير طريقا ويجعل السعد لكم مصاحبا ورفيقا ولا يعدمكم عنايته منه وتوفيقا ويتم سرورنا عن قريب بتعريف أنبائكم السارة وسعود كم الداره فذلك منه سبحانه غاية آمالنا وفيه اعمال ضراعتنا وابتهالنا هذا ما عندنا بادرنا الاعلامكم به اسرع البدار والله تعالى يوفد علينا أكرم الاخبار بسعادة ملككم السامى المقدار ويسر ماله من الاوطار ويصل سعدكم ويحرس مجدكم والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته انتهى * وكان طاغية النصارى الملعون لكثرة ما مارس من أمور ملوك الاندلس وسلاطين فاس كثيرا ما يدس لاقارب الملوك القيام على صاحب الامر ويزين له الثورة ويعده بالامداد بالمال والعدة وقصده بذلك كله توهين المسلمين وافساد تدبيرهم ونسخ الدول بعضها ببعض لما له فى ذلك من المصلحة حتى بلغ أبعده الله تعالى من أمله الغاية (ومن انشاء لسان الدين بن الخطيب) رحمه الله تعالى عن سلطان الاندلس الى سلطان فاس المرينى يعتذر عن فرار الامير أبى الفضل المرينى الذى كان معتقلا بغرناطة فتحيل الطاغية فى أمره حتى خرج طالبا للملك (ما نصه) المقام الذى شهد الليل والنهار باصالة سعادته وجرى الفلك الدوار بحكم ارادته وتعود الظفر بمن يناوبه فاطرد والحمد لله جريان عادته فوليه محقق لافادته وعدوه مرتقب لابادته وحلل الصنائع الالهية تضفو على اعطاف مجادته مقام محل أخينا الذى سهم سعده صائب وأمل من كاده خاسر خائب وسير الفلك المدار فى مرضاته دائب وصنائع الله تعالى له تعجبها الالطاف الحائب فسبحان شاهد منه فى عصمة وغائب السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا أبقاه الله تعالى مسدد السهم ماضى العزم تجل سعوده عن تصور الوهم ولا زال مرهوب الحد ممتثل الرسم موفور الحظ من نعمة الله تعالى عند تعدد القسم فائزا بفلج الخصام عند لدد الخصم معظم قدره وملتزم بره مبتهج بما يسبيه الله تعالى له من اعزاز نصره واظهار أمره فلان سلام كريم طيب برعيم يخص مقامكم الاعلى ومثابتكم الفضلى التى حازت فى الفخر الامد البعيد وفازت من التأييد والنصر بالحظ السعيد ورحمة الله تعالى وبركاته أما بعد حمد الله الذى فسح لملككم الرفيع فى العز مدى وعرفه عوارف آلائه وعوائد النصر على أعدائه يوما وغدا وحرس سماء علائه بشهب من قدره وقضائه فمن يستمع الآن يجد له شهابا راصدا وجعل نجع آماله وحسن مآله قياسا مطردا فرب مريد ضره ضر نفسه وهاديا اليه اهدى وماهدى والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد نبيه ورسوله الذى ملأ الكون نورا وهدى وأحيا اسم الحق وقد صارت طرائق قددا أعلى الانام يدا وأشرفهم محتدا الذى بجاهه نلبس أثواب السعادة جددا ونظفر بالنعيم الذى لا ينقطع

العمد المقود فى الاموال عنده منع حق واعطاء باطل فان كنت أردت الناس له فما أغناهم عنك وان كنت أردتهم لنفسك فما أغناك عنهم وسيأتيك من أمير المؤمنين أمران لين وشدة فلا يؤنسنك الا الطاعة ولا يوحشنك الا المعصية وظن بامير المؤمنين كل شئ الا احتمالك على الخطا واذا أعطاك الظفر على قوم فلا تقتلن جانحا ولا أسيرا وكتب فى أسفل كتابه

اذا أنت لم تطلب أمورا كرهتها
وتطلب رضائى بالذى أنت طالبه
وتخشى الذى يخشاه مثلى هاربا
الى الله منه ضيع الدر حالبه
فان ترمنى غفلة قرشية
فيا ربما قد غص بالماء شاربه
وان ترمنى وثبة أموية
فهذا وهذا كل ذا انا صاحبه
فلا تلمنى والحوادث جمة
فانك مجزى بما أنت كاسبه
ولا تعدما يأتيك منى وان تعد
يقوم بها يوما عليك نوادبه
ولا تدفعن للناس حقا علمته
ولا تعطين ما ليس لله جانبه

وهى أبيات من جيد ما اخترناه من قول عبد الملك فلما قرأ الحجاج كتابه كتب

أما بعد فقد أتانى كتاب أمير المؤمنين يذكر فيه سرفى الدماء وتبديرى أبدا

أبدا والرضا عن آله واصحابه الذين رفعوا السماء سنته عمدا وأوضحوا من سبيل اتباعه مقصدا وتقبلوا شيمه الطاهرة تركا وسجدا سيوفا على من اعتدى ونجوما لمن اهتدى حتى علت فروع ملته صعدا واصبح بناؤها مديدا مخلدا والدعاء لقائمكم الاسمى بالنصر الذى يتوالى مثنى وموحدا كما جمع لكم ما تفرق من الالقاب على توالى الاحقاب فعسى سيفكم سفاحا وعلمكم منصورا وراؤكم رشيدا وعزمكم مؤيدا فانا كتبناه اليكم كتب الله تعالى لكم صنعا يشرح للاسلام خلدا ونصرا يقيم للدين الحنيف أودا وعزما يملأ أفئدة الكفر كمدا وجعلكم ممن هيأله من أمره رشدا ويسر لكم العاقبة الحسنى كما وعد به فى كتابه العزيز والله أصدق موعدا من حراء غرناطة جرسها ولا زائد بفضل الله سبحانه الا استطلاع سعودكم فى آفاق العناية واعتقاد جيل صنع الله فى البداية والنهاية والعلم بان ملككم تحدى من الظهور على أعدائه بآيه وأجرى جياد السعد فى ميدان لا يحد بغايه وخرق حجاب المعتاد بما لم يظهر الا لاصحاب الكرامة والولايه ونحن على ما علمتم من السرور بما يهز لملككم المنصور عطفا ويسدل عليه من العصمة سجفا فقاسمه الارتياح لمواقع نعم الله تعالى نصفا ونصفا ونعقد بين أنباء مسرته وبين الشكر لله حلفا ونعد التشيع له مما يقربنا الى الله زلفى ونؤمل من امداده وترتقب من جهاده وقتا يكفل به الدين ويكفى وتروى غلل النفوس وتشفى والى هذا وصل الله سعدكم ووالى نصركم وعضدكم فانا من لدن صدر عن أخيكم أبى الفضل ما صدر من الانقياد لخدع الآمال والاغترار بموارد الآل وقال رأيه فى اقتحام الاهوال وتورط فى هفوة حار فيها حيرة أهل الكلام فى الاحوال وناصب من أمرهم السعيد جبلا قضى الله له بالاستقرار والاستقبال ومن ذا يزاحم الاطواد ويزحزح الجبال وأخلف الظن منا فى وفائه واضمر عملا استأثر بعنا باخفائه واستعان من عدو الدين بمعين فلما يورى لمن استنصر به زند ولا اخفق لمن تولاه بالنصر يد وان الطاغية اعانه وأنجده ورأى انه سهم على المسلمين سدده وعضب للفتنة جرده فسخر له الفلك وأمل أن يستخدمه بسبب ذلك الملك فأورده المهالك وأظلم الحلك علما أن طرف سعادته كاب وسحاب آماله غير ذات انسكاب وقدم عزته لم تستقر من السداد فى غرز ركاب فان نجاح أعمال النفوس مرتبط بنياتها وغايات الامور مقصر فى بداياتها وعوائد الله تعالى فيمن نازع قدرته لا تجهل ومن غالب أمر الله خاب منه المعول فبينما نحن نرتقب حسار تلك الصفقة المعقودة وخمود تلك الشعلة الموقودة وصلنا كتابكم يشرح الصدور ويشرح الاخبار ويهدى طرف المسرات ويرى أكف الاستبشار ويعرب بلسان حال المسارعة والابتدار عن الود الواضح وضوح النهار والتحقق بخلوصنا الذى يعلمه عالم الاسرار فاعادى الافادة وأبدى وأسدى من الفضائل الجلائل ما أسدى فعلم منه ما آل من رام يقدح زند الشتات من بعد الالتئام ويثير عجاجة المنازعة من بعد ركود القتام هيهات تلك قلادة الله تعالى التى ما كان يتركها غير متلثم ولم يدر أنكم نصبتم له من الحزم حبالة لا يفلتها قنيص وسددتم له من السعد سهما لا عنه من محيص بما كان من ارسال جوارح الاسطول السعيد فى مطاره حائلا بينه

قضيت حق أهل الطاعة
بما استحقوه فان كان قتلى
أولئك العصاة سرفا
واعطائى أولئك المطيعين
تبذيرا فليسوغنى أمير
المؤمنين ما سلف وليحتمل
فيه حدا أنتهى اليه ان
شاء الله تعالى ولا قوة الا
بالله ووالله ما على من عقل
ولا قود ما أصبت القوم
خطأ فافديهم ولا أعطيتهم
الا لثا ولا قتلت الا فيلا
واما ما أنا منتظره من أمرك
فاليهما عدة وأعظمهما
محنة فقد هيأت للعدة
الجلاد وللمحنة الصبر وكتب
فى أسفل كتابه
اذا أنا لم أتبع رضاك وأتقى
أذاك فيومى لا تزول
كواكبه
وما المرئ بعد الخليفة جنة
تقيه من الامر الذى هو كاسبه
أسالم من سالمت من ذى
قرابة
ومن لم تسالمه فانى محاربه
اذا فارف الحجاج منك خطيئة
فقامت عليه فى الصباح نوادبه
اذا أنا لم أدن الشفيق لنفسه
وأقصى الذى تسرى الى
عقاربه
فمن ذا الذى يرجو نوالى
ويتقى
مصاولتى والدهر بينى وبينه

وهي أبيات من جيد
صولتي ولن أعود لشيء يكرهه
(وحدث) حماد الراوية أن
الحجاج سهر ليلة بالكوفة
فقال لحرسي ائتني بمحدث
من المسجد فاعترض رجلا
جسيما عظيما فقال اجب
الامير فانطلق به حتى أدخله
اليه فلم يسلم ولا نطق حتى
قال له الحجاج ايه ما عندك
فقال له الرجل ايه ما عندك
فقال للحرسي أخوجه أخرج
الله نفسك أمرتك أن تأتيني
بمحدث فاتيتني بمرعوب قد
ذهب فؤاده فخرج الحجاج
ومعه صرة دراهم الى المسجد
فجعل يتناول الناس
فيأخذونها حتى انتهى
الى شيخ فاعطاه فنبذها
فاعادها الحجاج فردها ففعل
ذلك الحجاج ثلاثا فدنا منه
الحجاج وقال أنا الحجاج
ودخل القصر فقال للحرسي
الحقني به فدخل فسلم بلسان
ذلق وقلب شديد فقال له
الحجاج ممن الرجل فقال من
بني شيبان قال ما اسمك
قال سبرة بن الجعد قال
ياسبرة هل قرأت القرآن
قال جمعته في صدري وان
عملت به فقد حفظته وان لم
أعمل به فقد ضيعته قال فهل
تفرض قال اني لافرض
الصلب وأعرف الاختلاف
في الجد قال فهل تبصر البقه قال اني لابصر ما أفرم به أعلى وأرشد من العمى من قومي قال فهل تعرف

توبين أوطاره فما كان الا التسمية والارسال ثم الامساك والقتال ثم الاقتيات
والاستعمال فيالله من زجر استنطق لسان الوجود فحدله واستنصر البحر فخذله وصارع
القدر فخذله لما جدله وان خدامكم استولوا على ما كان فيه من مؤمل غاية بعيده ومنتب
الى نسبة غير سعيده وشانئ غمرته من الكفار خدام الماء وأولياء النار تحكمت فيهم
أطراف العوالي وصدور الشفار وتحصل منهم من تخطاه الحمام في قبضة الاسار فعجبنا من
تيسير هذا المرام واخماد الله لهذا الضرام وقلنا تكيف لا يحصل في الاوهام
وتسديد لا تستطيع اصابته السهام كما قدح الخلاف زندا اطفأ سعدكم شعلته أو أظهر
الشتات ألما ابرأ يمن طائركم علته ماذاك الا لنية صدقت معاملتها في جنب الله تعالى وصحت
واسترسلت بركتها وسحت وجهاد نذرتموه اذا فرغت شواغلكم ونمت واهتمام بالاسلام
يكفيه الخطوب التي أهمت فنحن نهنيكم بمنح الله ومنته ونسأله أن يلبسكم من اعانته أوقى
جنته فاملنا أن تطرد آمالكم وتنجح في مرضاة الله أعمالكم مقامكم هو العمدة التي يدافع
العدو بسلاحها وتنبلج ظلمات صفاحها وكيف لا تهنيكم بصنع على جهتنا يعود وبأفاقنا
تطلع منه السعود فتيقنوا ما عندنا من الاعتقاد الذي رسومه قد استقلوا كفت وديمه
بساحة الود قد وكفت والله عز وجل يجعل لكم الفتوح عادة ولا يعدمكم عناية وسعادة
وهو سبحانه يعلي مقامكم وينصر اعلامكم ويهني الاسلام أيامكم والسلام الكريم
يخصكم ورحمة الله وبركاته (وكان) سلطان الاندلس في الازمان المتأخرة كثيرا ما يشم أرج
الفرج في سلم الكفار ومهادنتهم حيث لم يقدر في الغالب على مقاومتهم ولذلك لما قتل
السلطان أبو الحجاج الذي كان لسان الدين كاتبه ووزيره وقام بالامر بعده ابنه محمد الغني بالله
الذي ألقى مقاليده لسان الدين أكد أمر السلم وانتظم ما يبرمه القضاء الجزم والقدر الحتم
(ومن انشاء لسان الدين) في ذلك على لسان الغني مخاطبا السلطان فاس والمغرب أبي عنان
(ما صورته) المقام الذي يغني عن كل مفقود بوجوده ويهز الى جميل العوائد أعطاف
باسه وجوده وتستضيء عند اظلام الخطوب بنور سعوده وتورث من الاعتماد عليه اسنى ذخر
يرثه الولد عن آبائه وجدوده مقام محل أبينا الذي يرعى الاذمة شانه وصلة الراعي سجية
انفرد بها سلطانه ومواعد النصر ينجزها زمانه والقول والفعل في ذات الله تعالى تكفلت
بهما يده الكريمة ولسانه وتطابق فيهما اسراره واعلانه السلطان الكذا ابن السلطان
الكذا ابن السلطان الكذا أبقاه الله تعالى محروسا من غير الايام جنابه موصولة بالوقاية
الالهية أسبابه مسدولا على ذاته الكريمة ستر الله تعالى وحجابه مصروفا عنه من صروف
القدر ما يعجز عن رده بوابه ولا زال ملجأ تنفق لديه الوسائل التي تدخرها الاولاد أولياؤه
وأحبابه ويسطر في صحف الغفر ثوابه وتشتمل على مكارم الدين والدنيا أثوابه وتتكفل
بنصر الاسلام وجبر القلوب عند طوارق الايام كتائبه وكتابه معظم ما أعظم من
السائر من اجلاله وشكر خلاله على لاحب طرقه المستضيء في ظلمة الخطب بنور أفقه
الامير عبد الله محمد ابن أمير المسلمين أبي الحجاج ابن أمير المسلمين أبي الوليد بن فرج بن نصر
سلام كريم منيب برعيم يخص مقامكم الاعلى ورحمة الله تعالى وبركاته أما بعد حمد الله

الذي

ي لا راد لامره ولا معارض لفعله مصرف الامر بقدرته وحكمته وعدله الملك الحق
ي بيده ملاك الامر كله مقدر الآجال والاعمار فلا يتأخر شئ عن ميقاته ولا يبرح عن محله
ل الدنيا مناخ قلعة لا يغتبط العاقل بمائه ولا بظله وسبيل رحلة فما أكثب ظعنه من
والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد صفوته من خلقه وخيرة أنبيائه وسيد رسله الذى
م بسببه الاقوى وتتمسك بحبله وتعديد الافتقار الى فضله ونجاهد فى سبيله من
به أوجاد عن سبله وتصل اليه ابتغاء مرضاته ومن أجله والرضا عن آله وأحزابه
ارهم وأهله المستولين من ميدان الكمال على خصله والدعاء لمقامكم الاعلى بعز نصره
ناء فضله فانا كتبناه اليكم كتب الله تعالى لكم وقاية لا تطرق الخطوب حماها وعصمة
جمع منها سهام النوائب كلما فوقها الدهر ورماها وعناية لا تغير الحوادث اسمها ولا
ماها وعزايزاحم أجرام الكواكب منتماها من حراء غرناطة حرسها الله تعالى ونعم
ه سبحانه تتواتر لديناد فعا ونفعا وألطافه تتعرفها وتراوشفعا ومقامكم الابوى هو المستند
لاقوى والمورد الذى ترده آمال الاسلام فتروى وتهوى اليه أفئدتهم فتجد ما تهوى
منابتكم العدة التى تأسست مبانيها على البر والتقوى والى هذا وصل الله تعالى سعدكم
أبقى مجدكم فانا لما نعلم من مساهمة مجدكم التى تقتضيها كرام الطباع وطباع الكرم
وتدعو اليها ذمام الرعى ورعى الذمم نعرفكم بعد الدعاء لملككم بدفاع الله تعالى عن ارتقائه
امتاع المسلمين ببقائه بما كان من وفاة مولانا الوالد نفعه الله تعالى بالسعادة التى البسه
حلتها والشهادة التى فى أعماله الزكية كتبها والدرجة العالية التى حتمها له وأوجبها
ها تصير الينا من أمره وضم بنا من نشره وسدل على من خلفه من ستره وانها العبرة لمن ألقى
السمع وهو غلة تهز الجمع وترسل الدمع وحادثة أجل الله سبحانه فيها الدفع وشرح
لها وان أخرس اللسان هولها وأسلم العبارة قولها وحولها انه رضى الله تعالى عنه لما برز
حمة سنة هذا العبد مستشعرا شعار كلمة التوحيد مظهرا سمة الخضوع للولى الذى
ع بين يديه رقاب العبيد آمنا بين قومه وأهله متسربلا فى حلل نعم الله تعالى وفضله
ر العين باكتمال عزه واجتماع شمله قد احترس بأقصى استطاعته واستظهر
سان طاعته والاجل المكتوب قد حضر والارادة الالهية قد أنفذت القضاء والقدر
د بعد الركعة الثانية من صلاته أتاه أمر الله لميقاته على حين الشباب غض جلبابه
والسلاح زاخر عبابه والدين بهذا القطر قد ابيع بالامن جنابه وأم من يقول للشئ كن
فيكون قد بلغ كتابه ولم يرعه وقد اطمأنت بذكر الله تعالى القلوب وخلصت الرغبات
الى فضله المطلوب الاشقى قيضه الله لسعادته غير معروف ولا منسوب وخبيث لم يكن بمعتبر
ولا محسوب تخلل الصفوف المعقوده وتجاوز الابواب المسدوده وخاض الجموع
المشهوده والامم المحشورة الى طاعة الله المحشوده لا تدل العين عليه شارة ولا بزه ولا تحمل
على الحذر من مثله انفة ولا عزه وانما هو خبيث محرور وكلب عقور وحية سمها وحى
محذور وآلة مصرفة لينفذ بها قدر مقدور فلما طعنه وأثبته وأعلق به شرك الحين فما
أفلته قبض عليه من المخلصان الاولياء من خبر ضميره وأحكم تقريره فلم يجب عند

الشعر قال انى لارى
المثل والشاهد قال المثل
قد عرفناه فما الشاهد قال
اليوم يكون للعرب من
أيامها علمه شاهد من
الشعر فانى أروى ذلك
الشاهد فاتخذه الحجاج
سميرا فلم يدع طلب شيأ
من الحديث الا وجد عنده
منه علما وكان يرى رأى
الخوارج من أصحاب
قطرى بن الفجاءة التميمى
والفجاءة أمه وكانت من
بنى شيبان وانما هو رجل
من تميم وكان قطرى يومئذ
يحارب المهلب فبلغ قطريا
مكان سبرة من الحجاج
فكتب اليه بابيات منها
لشتان ما بين ابن جعد
وبيننا
اذا نحن رحنا فى الحديد
المظاهر
نجاهد فرسان المهلب كلما
صبور على وقع السيوف
البواتر
وراح يجر الخز عند أميره
أمير بتقوى ربه غير آمر
أبا الجعد أين العلم والحلم
والنهى
وميراث آباء كرام العناصر
ألم تر أن الموت لاشك نازل
ولابد من بعث الا لى فى
المقابر
حفاة عراة والتراب لديهم
فمن بين ذى رمح وآخر حاسر

فان الذى قد نلت منى واغما * حسبات فى الدنيا كرقعة طائر

وتب توبة تهدى اليك شهادة

فانك ذو ذنب ولست بكافر

وسر نحونا تلق الجهاد غنيمة

تفدك ابتياعا رابحا غير خاسر

هى الغاية القصوى الرغيب ثوابها

اذا نال فى الدنيا الغنى كل تاجر

فلما قرأ كتابه بكى وركب فرسه وأخذ سلاحه ولحق بقطرى وطلبه الحجاج فلم يقدر عليه ولم يرع الحجاج الا وكتاب قد ورد منه فيه شعر قطرى الذى كان كتب به اليه وفى أسفل الكتاب الى الحجاج أبيات منها

فمن مبلغ الحجاج أن سميره

قلاكل دين غير دين الخوارج

رأى الناس الا من رأى مثل رأيه

ملاعين تراكين قصد المخارج

فاقبلت نحو الله بالله واثقا

وما كربى غير الاله بفارج

الى عصبة أما النهار فانهم

هم الاسد أسد الغيل عند التهايج

وأما اذا ما الليل جن فانهم

قيام بأنواح النساء النوائح

ينادون للتحكيم تالله انهم

رأوا حكم عمرو كالرياح الهوائج

وحكم ابن قيس مثل ذا فأعصموا

بجبل شديد المتن ليس بناهج

فطرح الحجاج هذا الكتاب الى عنبسة بن سعيد فقال أمرنا

الاستفهام جوابا يعقل ولاعثر على شئ عنه ينقل لما فمن الله أفادبراءة الذمم وتعاورته للعين أيدى التمزيق وأتبع شلوه بالتحريق واحتمل مولانا الوالد رحمه الله تعالى الى القصر وبه ذماء لم يلبث بعد الفتكة العمرية الا يسير من اليسير وتخلف الملك ينظر من الطرف الحسير وينهض بالجناح الكسير وقد عاد جمع السلامة الى التكسير الا أن الله تعالى تدارك هذا القطر الغريب بأن أقامنا مقامه لوقته وحينه ورفع بناء عماد ملكه ولم شعث دينه وكان جميع من حضر المشهد من شريف الناس ومشروفهم وأعلامهم ولفيفهم قد جمعه ذلك الميقات وحضر الاولياء الثقات فلم تختلف علينا كلمة ولا شذت منهم عن بيعتنا نفس مسلمة ولا أخيف برى ولا حذر بحرى ولا فرى فرى ولا وقع لبس ولا استوحشت نفس ولا نبض للفتنة عرق ولا أغفل للدين حق فاستفد النقل الى نفسه ولم يعدم من فقيدنا غير شخصه وبادرنا الى مخاطبة البلاد نهدها ونسكنها ونقرر الطاعة فى النفوس ونمكنها وأمرنا الناس بها بكف الايدى ورفع التعدى والعمل من حفظ شروط المسالمة المعقودة بما يجدى ومن شره منهم للفرار عاجلناه بالانكار وصرفنا على النصارى ما أوصاه مصحبا بالاعتذار وخاطبنا صاحب قشتالة نرى ما عنده فى صلة السلم الى امدها من الاخبار واتصلت بنا البيعات من جميع الاقطار وعفى على حزن المسلمين بوالدنا ماظهر عليهم بولايتنا من الاستبشار واسبغوا تطير بهم أجنحة الابتدار جعلنا الله تعالى ممن قابل الحوادث بالاعتبار وكان على حذر من تصاريف الاقدار واختلاف الليل والنهار واعاننا على اقامة دينه فى هذا الوطن الغريب المنقطع بين العدو الطاغى والبحر الزخار وألهمنا من شكره ما يتكفل بالمزيد من نعمه ولا قطع عنا عوائد كرمه وان فقدنا والدنا فانتم لنا من بعده الوالد والذخر الذى تكرم منه العوائد والحب يتوارث كما ورد فى الاخبار التى صحت منها الشواهد ومن أعد مثلكم لبنيه فقد تيسرت من بعد الممات أمانيه وتأسست قواعد ملكه وتشيدت مبانيه فالاعتقاد الجميل موصول والفروع لما فى التشييع اليكم أصول وفى تقريركم محصول وأنتم ردء المسلمين بهذه البلاد المسلمة الذى يعينها بارفاده وينصرهم بانجاده ويعامل الله تعالى فيها بصدق جهاده وعند ما استقر هذا الامر الذى تبعت المحنة فيه انحه وراقت من فضل الله تعالى ولطفه فيه الصفحه وأخذنا البيعة من أهل حضرتنا بعد استدعاء خواصهم وأعيانهم وتراحمت على رقها المنشور وخطوط أيمانهم وتأصلت قواعد الفاظها ومعانيها فى قلوبهم وآذانهم وضمنوا الوفاء بما عاهدوا الله عليه وقد خبرسلفنا والحمد لله وفاء ضمانهم بادرنا تعريف مقامكم الذى نعلم مساهمته فيما ساء وسر واحلى وأمر عملا بمقتضى الخلوص الذى ثبت واستقر والحب الذى ما مال يوما ولا ازور وما أحق تعريف مقامكم بوقوع هذا الامر المحذور وانجلاء ليله عن صبح الصنع البادى السفور وان كنا قد خاطبنا من خدامكم من يبادر اعلامكم بالامور الا انه امر له ما بعده وحادث يأخذ حذه ونبعث الى بابكم من شاهد الحال ما بين وقوعها الى استقرارها رأى العيان وتولى تسديد الامور باعماله الكريمة ومقاصده الحسان ليكون أبلغ فى البرواشرح للصدر وأوعب للبيان فوجهنا اليكم وزيرا

وكاتب سرنا الكذا ابن فلان والقينا اليه من تقرير تعويلنا على ذلك المقام الاسنى
تنادنا من التشيع اليه الى الركن الوثيق المبنى ما نرجو ان يكون له فيه المقام الاسنى
ثمرة العذبة المجنى فلاهتمامه بهذا الغرض الاكيد الذي هو اساس بنائنا وقامع
اثنا آثرنا توجيهه على توفر الاحتياج اليه ومدار الحال عليه والمرغوب من أبوتكم
ملة ان يتلقاه قبولها بما يليق بالملك العالي والخلافة السامية المعالي والله عز وجل يديم
كم لصلة الفضل المتوالي ويحفظ مجدكم من غير الايام والليالي وهو سبحانه يصل سعدكم
ترس مجدكم ويوالي نصركم وعضدكم والسلام الكريم يخصكم ورحمة الله وبركاته
حي * وقوله في هذه الرسالة فوجهنا اليكم وزيرا مرنا الى آخره هو لسان الدين
به الله تعالى اذ هو كان الوزير اذ ذاك والسفير في هذه القضية ومن صفحات هذا الكلام
فهم لك ما نال لسان الدين رحمه الله تعالى من الرياسة والجاه ونفوذ الكلمة بالاندلس
المغرب رحمه الله تعالى وقد اكرمه السلطان أبو عنان في هذه الوفادة وغيرها غاية الاكرام
كان المقصود الاعظم من هذه الوفادة استعانة سلطان الاندلس الغني بالله بالسلطان أبي
نان على طاغية النصارى كما المعنا بذلك في الباب الثاني من القسم الثاني الذي يتعلق بلسان
دين وكان السلطان أبو عنان ابن السلطان أبي الحسن معتنيا بالاندلس غاية الاعتناء
خصوصا بجبل الفتح حتى انه بلغ من اعتنائه به أن أمر عليه ولده أبا بكر السعيد وهو الذي
لى الملك بعده (ومن انشاء لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى) على لسان سلطانه
ا خاطب به الامير ابا سعيد المذكور اذ قلده والده جبل الفتح وهو الامارة التي أشرق في
ماء الملك شهابها واتصلت باسباب العز اسبابها واشتملت على الفضل والطهارة
ثوابها وأجلت قداح المفاخر فكان الى جهة الله تعالى انتدابها امارة محل أخينا الذي
اسس على مرضاة الله تعالى أصيل فخره واتسم بالمرابط المجاهد على اقتبال سنه
جدة عمره وبدأ بفضل الجهاد صحيفة أجره وافتتح بالرباط والصلاح ديوان نهيه وأمره
ا يسره من سعادة نصبته وحباه من عز نصره الامير الاجل الاعز الارفع الاسنى الاطهر
الاظهر الامنع الاصعد الاسمى الاوفق الارضى محل أخينا العزيز علينا المهداة أنباء
المأمول جواره اليا أبي بكر السعيد ابن محل والدنا الذي مقاصده للاسلام وأهله على
مرضاة الله تعالى جاريه وعزائمه على نصر الملة الحنيفية متباريه السلطان الكذا أبو عنان
ابن السلطان الكذا أبي الحسن ابن السلطان الكذا أبي سعيد ابن السلطان يعقوب بن عبد
الحق أبقاه الله تعالى سديدة آراؤه ناجحة أعماله مسرة أغراضه من فضل الله تعالى متممة
آماله رحيبا في المدى مجاله يكنفه من الله تعالى ومحل أبيه غمام وارفة ظلاله هام
نواله حتى يرضى الله تعالى مصاعه بين يديه ومصاله وتمضي في الاعداء أمام رايته المنصورة
نصاله أخوه المسرور بقربه المنطوي على مضمر حبه أمير المسلمين محمد ابن امير المسلمين
أبي الحجاج ابن أمير المسلمين أبي الوليد بن فرج بن نصر سلام كريم طيب برعيم يخص اخوتكم
الفضلي وامارتكم التي آثار فضلها بحول الله تتلى ورحمة الله تعالى وبركاته أما بعد حمد
الله على ما كيف من الطافه المشرقة الانوار ويسره لهذه الاوطان بنصرته من الاوطار

اشعارا كثيرة منها قوله من أبيات

عجبت لحالات البلا والدهر
وللعين يأتي المرء من حيث
لا يدري
وللناس يأتون الضلالة
بعدما
أتاهم من الرحمن نور من
البدر
والله لا يخفى عليه صنيعنا
حفيظ علينا في المقام وفي
السفر
علا فوق عرش فوق سبع
ودونه
سماء يرى الارواح من
دونها تجري

وقد قيل ان هذا الشعر لغيره من الخوارج ولاصناف الخوارج أخبار حسان من الازارقة والاباضية وغيرهما قد أتينا على ذكرها في كتابنا أخبار الزمان والاوسط وذكرنا ما اتفقت عليه الخوارج واجتمعت عليه من الاصول من اكفارهم عثمان وعليا والخروج على الامام الجائر وتكفير من ركب الكبائر والبراءة من الحكمين أبي موسى عبد الله بن قيس الاشعري وعمرو بن العاص السهمي وحكمهما والبراءة ممن صوب حكمهما أو رضي

به واكفار معاوية وناصريه ومقلديه ومحبيه فهذا ما اتفقت عليه الخوارج من الشراة والحرورية ثم اختلفوا بعد ذلك

الكتاب في باب ذكر الحكمين أن أول من حكم بصفين عروة بن أدية التميمي وقيل ان أول من حكم بصفين يزيد بن عاصم المحاربي وقيل ان أول من حكم رجل من بني سعد بن زيد مناة بن تميم وكان أول من شرى بصفين من المحكمة رجل من بني يشكر وكان من وجوه ربيعة ممن كان مع علي فانه حكم في ذلك اليوم قال لاحكم الا لله ولا طاعة لمن عصى الله وخرج عن الصف فحمل على أصحاب علي فقتل منهم رجلا ثم حمل على أصحاب معاوية فقاموه ولم يقدر على قتل أحد منهم وكر على أصحاب علي فقتله رجل من همدان وقد أتى الهيثم ابن عدي وأبو الحسن المدائني وأبو البختري القاضي وغيرهم على أخبار الخوارج وأصنافهم فيما أفردوه من كتبهم وذكر أصحاب المقالات في الآراء والديانات ما تنازعوا فيه من مذاهبهم وذلك في كتابنا في المقالات في أصول الديانات وذكرنا من خرج منهم من وقت التحكيم في عصر عصر الى آخر من خرج منهم بديار ربيعة على بني حمدان وذلك في سنة ثمان عشرة وثلثمائة وهو المعروف

فكلما مادجت بها شدة طلع الفرج عليها طلوع النهار وكلما اضطرب منها جانب أعاده بفضل الله تعالى من أقامه لذلك واختاره الى حال السكون والقرار والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله المصطفى المختار الذي أكد عليه جبريل صلوات الله عليه حق الجوار حتى كاد يلحقه بالوسائل والاقرب الكبار الذي وصانا بالالتئام واتصال اليد في نصرة الاسلام فنحن نقابل وصاته بالبدار ونجري على نهجه الواضح الآثار ونرتجي باتباعه الجمع بين سعادة هذه الدار وتلك الدار والرضا عن آله وأصحابه وأنصاره واحزابه أكرم الآل والاصحاب والاحزاب والانصار الذين كانوا كما أخبر الله تعالى عنهم على لسان الصادق الاخبار رحماء بينهم أشداء على الكفار والدعاء لامارتكم السعيدة بالتوفيق الذي تجري به الامور على حسب الاختيار والعز المنيع الذمار والسعد القويم المدار والوقاية التي يامن بها اهلها من الشرار فانا كتبناه اليكم كتب الله تعالى لكم أسنى ما كتب للامراء الارضياء الاخيار ومتعكم من بقائه والدكم بالعدة العظمى والسيرة الرحمى والجلال الرفيع المقدار من حراء غرناطة حرسها الله تعالى ولازائد بفضل الله سبحانه ثم ببركة سيدنا ومولانا محمد رسوله صلى الله عليه وسلم الذي أوضح برهانه الالطاف باهره وعنايته من الله تعالى باطنة وظاهره وبشارة بالقبول واردة وبالشكر صادره والله تعالى يصل لدينا نعمه ويوالي فضله وكرمه والى هذا فاننا اتصل بنا في هذه الايام ما كان من عناية والدكم محل أبينا أبقاه الله تعالى بهذه البلاد المستندة الى تاميل مجده واقطاعها الغاية التي لا فوقها من حسن نظره وجميل قصده وتعيينكم الى المقام بمحل الفتح ابلاغا في اجتهاده الديني وجده فقلنا هذا خبر ان صدق مخبره وتحصل منتظره فهو فخر تجددت أثوابه واعتناه تقتحت أبوابه وعمل عند الله تعالى ثوابه فان الاندلس عصمها الله تعالى وان أنجدته عدده واموالة ونجحت في نصرها مقاصده الكريمة وأعماله لا تدري موقع النظر لها من نفسه وزيادة يومه في العناية على أمسه حتى يسمح لها ولده ويخصها بقرة عينه وفلذة كبده فلما ورد الخبر الذي راقت منه الحبر ووضحت من سعادته الغرر باجازتكم البحر واختياركم في حال الشبيبة الغمر وصدق مخيلة الدين فيكم واستقراركم في الثغر الشهير الذي افتتحه سيف جدكم واستنقذ سعد أبيكم سرورنا بقرب المزار ودنو الدار وقابلناصنع الله تعالى بالاستبشار ووثقنا ان لم نزل على ثقة من عناية الله تعالى وعناية محل والدنا بهذه الاقطار وجدنا الله تعالى على هذه الآلاء المشرقة والنعم المغدقة والصنائع المتألقة بادرنا نهنئ اخوتكم أولا بما يسره الله تعالى لكم من سلامة المجاز ثم بما منحكم الله تعالى من فضل الاختصاص بهذا الغرض والامتياز فامارتكم الامارة التي أخذت باسباب السماء وركبت الى الجهاد في سبيل الله تعالى بجياد الخيل والماء وأصبحت على حال الشبيبة تتعاطى حلوق الاعداء ونحن أحق بهذا الهناء ولكنها عادة الود وسنة الاخاء فالله عز وجل يجعله مقدما ميمون الطائر متهلل البشائر تتهلل بصنع الله تعالى بعده وجوه القبائل والعشائر ويجري بخبر سعادتكم مجرى المثل السائر ويشكر محل والدنا فيما كان من اختياره ويزيد ايثاره ويجازيه

رون وخرج ببلاد كفربيونى ونوردالى نصيبين فكانت له مع أهلها حرب

أسر فيها وقتل منهم خلق عظيم والمعروف بأبى شبيب خرج فى بنى ماللث وغيرهم من ربيعة وقد كان أدخل على المقتدر بالله وقد كان بعد العشرين والثلثمائة للاباضية ببلاد عمان مما يلى بلاد بروى وغيرها حروب وتحكيم وخروج وامام نصبوه فقتل وقتل من كان معه وفى سنة سبع وسبعين كانت للحجاج حروب مع شبيب الخارجى وولى عنه الحجاج بعد قتل ذريع كان فى أصحابه حتى أحصى عددهم بالقضيب فدخل الكوفة وتحصن فى دار الامارة ودخل شبيب وأمه وزوجته غزالة الكوفة عند الصباح وقد كانت غزالة نذرت أن تدخل مسجد الكوفة فتصلى فيه ركعتين تقرأ فيهما سورة البقرة وآل عمران فاتوا الجامع فى سبعين رجلا فصلوا به الغداة وخرجت غزالة مما كانت أوجبته على نفسها فقال الناس بالكوفة فى تلك السنة

وفت لغزالة نذرها

يارب لاتغفر لها

وكانت الغزالة من الشجاعة والفروسية بالموضع العظيم وكذلك أم شبيب وقد كان

عبد الملك سين بالغ فى حرب الحجاج وتحصنه فى دار الامارة بالكوفة من شبيب بعث من الشام

رأى من سمع فى ذاته بقلة اختباره ومذ رأينا ان هذا الغرض لا يجرى فيه بالكتابة دون استنابه وجهنا لكم من يقوم بحقه ويجرى من تقريره الثانى على أوضح طرقه وهو قائد الكذا رأيكم يصفى لما يلقيه ويقابل بالقبول ما من ذلك يؤديه والله تعالى يصل سعدكم ويحرس مجدكم والسلام انتهى * وكان الطاغية الملعون أيام سلطان أبى عنان رحمه الله تعالى نازل جبل الفتح ثم كفى الله تعالى شره فى ذلك التاريخ من انشاء لسان الدين) على لسان سلطانه أبى الحجاج يخاطب أبا عنان سلطان فاس والمغرب خصه المقام الذى رحى له الملك الاصيل بافلاذه وأدى منه الاسلام الى ملثه الاحمى لاذه وكفلت السعود بامضاء أمره المطاع وانفاذه وشأى حلبة الكرم فكان وحيد جاده وفذ افذاذه وابتدع غرائب الجود فقال لسان الوجود نعمت البدعة هذه مقام ل أخينا الذى أركان مجده راسية راسخة وغرر عزه بادية باذخه وأعلام فخره سامية باخه وآيات سعده محكمة ناسخه السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان لكذا أبقاه الله تعالى يجرى بسعده الفلك ويجلى بنور هديه الحلك ويسطر حسنات ملكه الملك ويشهد بفضل بأسه ونداه النادى والمعترك معظم حقوقه التى تأكد فرضها المثنى على مكارمه التى أعيا الاوصاف البليغة بعضها أمير المسلمين يوسف ابن أمير المسلمين أبى الوليد اسمعيل بن فرج بن نصر سلام كريم طيب برعيم يخص اخوتكم الفضلى ورحمة الله وبركاته أما بعد حمد الله الذى هيأ لملة الاسلام بمظاهرة ملككم المنصور الاعلام اظهارا واعزازا وجعل لها العاقبة الحسنى بيمن مقامكم الاسنى تصديقا لدعوة الحق وانجازا يسهل لها بسعدكم كل صعب المرام وقدستها صروف الايام لياواعوازا وأتاح لها بكم وليا يسوم أعداءها استلابا وابتزازا ويسكن آمالها وقد استشعرت انحفازا حمدا يكون على حلل النعم العميمة والآلاء الكريمة مرارا والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله الذى بهرت آياته وضوحا واعجازا واستغرقت الكمال صفاته حقيقة لا مجازا نبيه الذى بين للغلق أحكام دينه الحق امتناعا وجوازا ويسر لهم وقد ضلوا فى مفاوز الشك تجازا والرضا عن آله وأصحابه المستولين على ميادين فضائل الدنيا والدين اختصاصا لها وامتيازا فكانوا غيوثا ان وجدوا محلا وليوثا ان شهدوا ابرازا والدعاء لمقام اخوتكم الاسمى بنصر على أعدائه تبدى له الجياد المجرد ارتياحا والرماح الملد اهتزازا وعزيطا من أكناف البسيطة وأرجائها المحيطة سهلا وعزازا ويمن يشمل من بلاد الايمان أقطارا نازحة ويوم أحوازا وسعد تجول فى ميدان ذكره المذاع أطراف السنة اليراع اسهابا وايجازا ونفر يحوب جيوب الاقطار جوب المثل السيار عراقا وحجازا ولازالت كتائب سعده تتهبز فرص الدهر انتهازا وتوسع ممالكات الكفر انتهابا واحتيازا فانا كتبناه الى مقامكم كتب الله تعالى لكم سعدا ثابت المراكز وعزا لا تلين قناته فى يد الضائر وثناء لا يثنى عنان سراه عرض المفاوز وصنعا رحيب الجوانب رغيب الجوائز من جراء عفر ناطة حرسها الله تعالى وفضله عز وجل قد أدال العسير يسرا وأحال القبض بسطا وقرب نوازح الآمال بعد أن تناءت ديارها شحطا وراض مركب الدهر الذى كان

لايلين لمن استعطى وقرب غريم الرجاء في هذه الارجاء وكان مشتطا والتوكل عليه سبحانه وتعالى قد احكم منه اليقين والاستبصار المبين ربطا ومشروط المزيد من نعمه قد لزم من الشكر شرطا ومقامكم هو عدة الاسلام اذا جد حفاظه وظله الظليل اذا قبع للكفر شواظه وملجؤه الذي تنام في كنف أمنه أيقاظه ووزره الذي الى نصره تمد أيديه وتشير ألحاظه فني أرجاء ثنائه تسرح معانيه وألفاظه ولخطب تمجيده وتحميده يقول قسه وتحتفل عكاظه وتشسعنا الى ذلك الجناب الكريم طويل عريض ومقدمات ودنا اياه لايعترضها نقيض وأفلاك تعظيمنا له ليس لأوجها الرفيع حضيض وأنوار اعتقادنا الجميل فيه يشف سواد الحبر عن أوجهها البيض والى هذا ألهمكم الله تعالى ثوب السعادة المعادة فضفاضا كما صرف بركة ايالتكم الكريمة على ربوع الاسلام ووجوه الليالي والايام وقد ازورت اعراضا وبسطت آمالها وقد استشعرت انقباضا فانا ورد علينا كتابكم الذي كرم أنحاء وأغراضا وجالت البلاغة من طرسه الفصيح المقال رياضا ووردت الافكار من معانيه الغرائب والفاظه المزرية بدر النحور والترائب بحور انسة وحياضا فاجتلينا منه حلة من حال الودسابغه وحجة من حجج المجد بالغه وشمسا في فلك السعد بازغه الذي بين المقاصد الكريمة وشرحها وجلا الفضائل العميمة وأوضحها فما أكرم شيم ذلك الجلال وأسمعها وأفضل خلال ذلك الكمال وأربحها حثثتم فيه على احكام السلم التي تحوط الانفس والحريم بسياج ويداوي القطر العليل منها بأنجع علاج والحال ذات احتياج وساحة الجبل عصمه الله تعالى ميدان هياج ومتبوأ علاج ومظنة اختلاف للظنون الموحشة واختلاج فخضر لدينا محتمله وزيركم الشيخ الاجل الاعظم الموقر الاسمى الخاصة الاحظى أبو علي ابن الشيخ الوزير الاجل الحافل الفاضل المجاهد الكامل أبي عبد الله بن محلى والشيخ الفقيه الاستاذ الاعرف الفاضل الكامل أبو عبد الله ابن الشيخ الفقيه الاجل العارف الفاضل الصالح المبارك المبرور المرحوم أبي عبد الله القشتالي وصل الله سبحانه سعادتهما وحرس مجادتهما حالين من مراتب ترفيعنا أعلى محل الاعزاز وواردين على أحلى القبول الذي لاتشاب حقيقته بالمجاز عملا بما يجب علينا لمن يصل الينا من تلك الانحاء الكريمة والاحواز فتلقيناما اشتملت عليه الاحالة السلطانية من الود الذي كرم مفهوما ونصا والبر الذي ذهب من مذاهب الفضل والكمال الامد الاقصى وقد كان سبقهما صنع الله جل جلاله بما خلف الظنون وشرح الصدور وأقر العيون فلم يصلا الينا الا وقد أهلك الله تعالى الطاغيه ومزق أحزابه الباغيه نعمة منه سبحانه وتعالى ومنة ملأت الصدور انشراحا وعمت الارجاء افراحا وعنوانا على سعد مقامكم الذي راق غررا في المكرمات وأوضاحا ومديده الى سهام المواهب الالهية فاز أعلاها قداحا فتشوفت نفوس المسلمين الى ما كانت تؤمله من فضل الله تعالى وترجوه وبدت في القضية التي أشرتم باعمالها الوجوه وانبعثت الآمال الى ما آلت اليه هذه الحال انبعاثا والتاثت أمور العدو قصمه الله تعالى التياثا وانتقض غزله من بعد قوته بفضل الله تعالى أنكاثا واحتملت المسئلة التي تفضلتم بعرضها وأشرتم الى غرضها مأخذا

الى شبيب فحاربوه فانهزم شبيب وقتلت الغزالة وأمه ومضى شبيب في فوارس من أصحابه واتبعه سفيان من أهل الشام فلحقه بالاهواز فولى شبيب فلما حصل على جسر دجيل نفر به فرسه وعليه الحديد الثقيل من درع ومغفر فالقاه في الماء فقال له بعض أصحابه أغرقا يا أمير المؤمنين قال ذلك تقدير العزيز العليم فألقاه دجيل ميتا بشطه فحمل على البريد الى الحجاج فامر الحجاج بشق بطنه واستخراج قلبه فاستخرج فاذا هو كالحجر اذا ضربت به الارض نبا عنها فشق فاذا في داخله قلب صغير كالكرة فشق فاصيب علقة الدم في داخله وفي سنة اثنتين وثمانين قتل الحجاج ابن القرية لخروجه مع ابن الاشعث وانشائه الكتب له ووضعه الصدور والخطب وكان ابن القرية من البلاغة والعلم والفصاحة بالموضع الموصوف وقد أتينا على خبر مقتله وما كان من كلامه مع الحجاج وقد كان قتله صبرا في الكتاب الاوسط وان قتله اياه كان بالسيف وقيل بل قدم اليه فضربه الحجاج بحربة في نحره فاتى عليه وابن القرية القائل الناس ثلاثة عاقل واحمق وفاجر فاما واما

بحاثا فانتهينا في هذه الحال الى رسوليكم أعزهما الله تعالى ما يلقيانه الى مقامكم الاعلى
بشابتكم الفضلى وما يتزيد عندنا من الامور فر كاتب التعريف بها اليكم محفوفه
بحرثياتها بين يدى مقامكم الرفيع مبثوثه وقد اضطربت أحوال الكفر وقالت آراؤه
أستحكم بالشتات داؤه وارتجت بزلزال الفتن أرجاؤه وتيسرت آمال الاسلام بفضل الله
تعالى ورجاؤه وما هو الا السعد ذلل لكم صعب العدو ويروضه والله سبحانه يهيئ لكم
كل الجهاد حتى تقضى بكم فروضه وأما الذى لكم عندنا من الخلوص الصافية شرائعه
بالماء الذى هو الروض تارج ذائعه فأوضح من فلق الصبح اذا أشرقت طلائعه جعله
الله تعالى في ذاته ووسيلة الى مرضاته ورسولا كم يشرحان لكم الحال بجزئياته ويقرران
عندنا من الود الذى سطع نور آياته وهو سبحانه وتعالى يصل لكم سعدا سامى المراتب
بالتراقى ويجمع لكم بعد بعد المدى وتمهيد دين المدى بين نعيم الدنيا والنعيم الباقى
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته انتهى * وأبين من هذا في القضية كتاب آخر من
انشاء لسان الدين رحمه الله تعالى (صورته) من أمير المسلمين عبد الله يوسف ابن أمير المسلمين
ابى الوليد اسمعيل بن فرج بن نصر الى محل أخينا الذى نثنى على مجادته أكرم الثناء
ونجدد له ما سلف بين الاسلاف الكرام من الولاء وتحفه من سعادة الاسلام وأهله بالاخبار
السارة والانباء الطاهان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا أبقاه
الله تعالى رفيع المقدار كريم المآثر والآثار وعرفه من عوارف فضله كل مشرق
الانوار كفيل بالحسنى وعقبى الدار سلام كريم بر عميم يخص جلالكم الارفع
برحمة الله وبركاته أما بعد حمد الله على عميم آلائه وجزيل نعمائه ميسر الصعب بعد
شائه والكفيل بتقريب الفرج وادنائه له الحمد والشكر ملء أرضه وسمائه والصلاة
والسلام على سيدنا محمد خاتم رسله الكرام وأنبيائه الهادى الى سبيل الرشد وسوائه مطلع
الحق يجلو ظلم الشك بضيائه والرضا عن آله وأصحابه وأنصاره وأحزابه وخلفائه
الغرين في الدنيا والآخرة تحت لوائه الباذلين نفوسهم في اظهار دينه القويم واعلائه
وبعد فاتم الله تعالى لمقامكم بتيسير أمله من فضل الله سبحانه ورجائه واختصاصه بأوفر الحظوظ من
ولائه فانا كتبناه اليكم كتبكم الله تعالى فيمن ارتضى قوله وعمله من أوليائه
ونعرفكم عوارف السعادة المعادة في نهاية كل أمر وابتدائه من حمراء غرناطة حرسها الله
تعالى ولا زائد بفضل الله سبحانه ثم ببركة سيدنا ومولانا محمد رسوله الكريم الذى أوضح
برهانه وعظم أمره ورفع شانه ثم بما عندنا من الود الكريم وتجديد العهد القديم لمقامكم
أعلى الله تعالى سلطانه الا الخير الهامى السحاب والتيسير المتين الاسباب واليمن المفتح
الابواب والسعد الجديد الاثواب ومقامكم معتمد بترفيع الجناب متعمد بالود
الخالص والاعتقاد اللباب معلوم له فضل الدين وأصالة الاحساب والى هذا وصل الله
تعالى سعدكم مديد الاطناب ثاقب الشهاب وأطلع عليكم وجوه المشائر سافرة النقاب
فانه قد كان بلغكم ما آلت الحال اليه بطاغية قشتالة الذى كلب على هذه الاقطار الغربية
من وراء البحار وما سلمها من الاوصاب والاضرار وانه جرى في ميدان الاملاء والاغترار

أصاب وان كلم أجاب وان
سمع العلم وعى وان سمع
الفقه روى وأما الاحمق
فان تكلم عجل وان حدث
ذهل وان حمل على القبيح
حمل وأما الغادر فان
استأمنته خافك وان
صاحبته شانك وان استكتم
لم يكتم وان علم لم يعلم
وان حدث لم يصدق وان
فقه لم يفقه (وذكر المدائنى)
أن الحجاج لم يكن يظهر
لندمائه منه بشاشة ولا
سماحة في الخلق الا في يوم
دخلت عليه ليلى الاخيلية
فقال لها بلغنى أنك مررت
بقبر توبة بن الحمير وعدلت
عنه فوالله ما وفيت له ولو
كان هو بمكانك وأنت بمكانه
ما عدل عنك قالت أصلح
الله الامير لى عذر قال وما
هو قالت سمعته وهو يقول
ولو أن ليلى الاخيلية سلمت
على وفوق جندل وصفائح
لسلمت تسليم البشاشة
أو زقا
اليها صدى من جانب القبر
صائح
وكان مني نسوة قد سمعن
قوله فكرهت أن أكذبه
فاستحسن الحجاج قولها
وقضى حوائجها وانبسط
في محادثتها فلم ير منه بشاشة
وأريحية داخلته مثل ذلك
اليوم (وذكر) حماد

الراوية غير هذا الوجه وهو ان زوج ليلى حلف عليها وقد اجتاز بقبر توبة لئلا ان تنزل وتأتى وتسلم

ومحص المسلمون على يده بالوقائع العظيمة الكبار وانه نكث العهد الذى عقده وحل الميثاق الذى أكده وحمله الطمع الفاضح على أن أجلب على بلاد المسلمين بخيله ورجله ودهمها بتيار سيله وقطع ليله وأمل أن يستولى على جبل الفتح الذى يدعى منه فتحها وطلع للملة المحمدية صبحها فضيقه حصارا واتخذه دارا وعند ما عظم الاشفاق وأظلمت الآفاق ظهر فينا لقدرة الله تعالى الصنع العجيب ونزل الفرج القريب وقبل الدعاء السميع المجيب وطرق الطاغية جند من جنود الله تعالى أخذه أخذ رابيه ولم يبق له من باقيه فهلك على الجبل حتف انفه وغالته غوائل حتفه فتفرقت جموعه وأحزابه وانقطعت أسبابه وتجلل لنار الله تعالى مآبه وأصبحت البلاد مستبشرة ورأينا أن هذه البشارة التى يأخذ منها كل مسلم بالنصيب الموفور ويشارك فيما جلبته من السرور أنتم أولى من تحفه بطبريا ها ونطلع عليه جميل محياها لما تقرر عندنا من دينكم المتين وفضلكم المبين وعلمكم فى المساهمة على شاكلة صالحى السلاطين فاذلك الافضل نيتكم للمسلمين فى هذه البلاد وأثر ما عندكم من جميل الاعتقاد وقد ورد علينا رسولكم القائد أبو عبد الله محمد بن أبى الفتح أعزه الله تعالى مقررا لما لديكم من الود الراسخ القواعد والخلوص الصافى الموارد الواضح الشواهد وأثنى على مكارمكم الاصيله وألقى ما عندكم من المذاهب الجميله فقابلنا ذلك بالشكر الذى يتصل سببه ويتضح مذهبه وسألنا الله تعالى أن يجعله ودا فى ذاته ووسيلة الى مرضاته وتعرفنا ما كان من تفضلكم بالطريدة المفتوحة المؤخر وما صدر عن الرئيس المعروف بالناظر من خدام دار الصنعة بالمريه من قبح محاولته وسوء معاملته فأمرنا بقطع جرايته وثقافه بمطمورة القصبة جزاء لجنايته ولولا اننا توقفنا أن يكون عظيم عقابه مما لا يقع من مقامكم بوفقه لمشهور عفافه ورفقه لجعلناه نكالا لامثاله وعبرة لاشكاله وقد وجهنا جفنا سفر بالاسباق الخيل التى ذكرتم وايصال ما اليه من ذلك أشرتم ويكمل القصد ان شاء الله تعالى تحت لحظ اعتنائكم وفضل ولائكم هذا ما تزيد عندنا عرفانا كم به عملا على شاكلة الود الجميل والولاء الكريم الجملة والتفصيل فعرفونا بما يتزيد عندكم يكن من جملة أعمالكم الفاضله ومكارمكم الحافله والله تعالى يصل سعدكم ويحرس مجدكم والسلام الكريم عليكم ورحمة الله وبركاته انتهى (ومن انشاء لسان الدين) فيما يتعلق بالاندلس وانقطاعها وانها الاغنى لما عن العدوة وغير ذلك ما صورته المقام الذى بنور سعادته تتجلى الغماء وتتصل النعماء من نيته قد حضل منها جانب الله تعالى الانتماء واتفقت منها المسميات والاسماء مقام محل أبينا الذى تتفيأ هذه الجزيرة الغربية أفياء نيته الصالحة وعمله وتثق بحسن العاقبة اعتمادا على وعد الله تعالى المنزل على خيرة رسله وتجتنى ثمار النجح من أفنان آرائه المؤالفة تألق الصبح حالى رينه وعجله وتتعرف حالى المودود والمكروه عارفة الخير والخيرة من قبله أبقاه الله تعالى يحسم الادواء كلما استشرت ويحلى موارد العاقبة كلما أمرت ويعفى على آثار الاطماع الكاذبة مهما خدعت بخلبها وغرت ويضمن سعده عودة الامور الى أفضل

عليه وتكذبه حيث يقول جاءت الى القبر ودموعها على صدرها كغر السحاب فقالت السلام عليك يا توبة فلم تستتم النداء حتى انفرج القبر عن طائر كالحمامة البيضاء فضربت صدرها فوقعت ميتة فاخذوا فى جهازها وكفنها ودفنت الى جانب قبره وللعرب فيما ذكرنا كلام كثير على حسب ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب فى آرائهم ومذاهبهم فى الهام والصدى والصفر وقد كانت العرب تعقل الى جانب قبر الميت اذا دفن ناقته وتجعل عليه برذعته وحشيته يسمونها البلية وقد ضربوا بذلك أمثالهم وذكره خطباؤهم فى خطبهم فقالوا البلايا على الولايا وقد كان بعضهم يتطير بالسانح ويتيامن بالبارح وبعضهم يضاد هذا فيتطير بالبارح ويتيامن بالسانح فاهل نجد يتيامنون بالسانح وأهل التهائم بالضد من ذلك على حسب ما قدمنا من قول عبيد الراعى فيما سلف من هذا الكتاب (حدثنا) المنقرى قال حدثنا عبد العزيز بن الخطاب الكوفى قال حدثنا فضيل بن مرزوق قال لما غلب بشر بن أرطاة على اليمن وكان من قتله لابنى عبد الله بن العباس وأهل مكة والمدينة ما كان

ما عليه استقرت سنن مقامه الذي هو بالتعظيم حقيق وموقر ملكه الذي لا يلتبس منه
في الغمر والعز طريق ولا يختلف في فضله العميم ومجده الكريم فريق أما بعد فحمدا لله
المثيب المعاقب الكفيل لاهل التقوى بحسن العواقب المشيد بالعمل الصالح الى أرفع
المراقي والمراتب يهدي من يشاء ويضل من يشاء فبقضائه وقدره اختلاف المسالك
والمذاهب وآله والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله الحاشر العاقب ونبيه الكريم
الرؤف الرحيم ذي المفاخر السامية والمناقب والرضا عن آله وأصحابه وأنصاره وأحزابه
الذين ظاهروه في حياته باعمال السمر العوالي والبيض القواضب وخلفوه في أمته بخلوص
الضمائر عن شوب الشوائب فكانوا في سماء ملته كالنجوم الثواقب والدعاء لمقامكم
الاسمى بالسعادة المعادة في الشاهد من الزمن والغائب والنصر الذي يقضي بعز الكتائب
والصنع الذي تطلع من ثناياه غرر الصنائع النجائب من جمر اغر ناطقة حرسها الله تعالى ولا
زالت بفضل الله سبحانه ثم بما عندنا من الاعتداد بمقامكم أعلى الله تعالى سلطانه وشمل
بالتمهيد أوطانه الاتشيع ثابت ويزيد واخلاص ما عليه في ميدان الاستطاعة مزيد
وتعظيم أشرق منه جيد وثناء عراف فوق رياضه تحميد وتمجيد والى هذا وصل الله تعالى
سعدكم وحرس الطاهر الكريم مجدكم فقد وصلنا كتابكم الذي هو على الخلوص
والاعتقاد عنوان وفي الاحتجاج على الرضا والقبول برهان تنطق بالفصل أصوله
وتشير الى كرم المقدر وعه الزكية وأصوله ويحق أن ينسب الى ذلك الفخر الاصيل
محصوله عرفتمونا بما ذهب اليه عيسى بن الحسين من الخلاف الذي ارتكبه وسبيل
الصواب الذي انتكبه وتنبهون على ما حده الحق في مثل ذلك وأوجبه حتى لا يصل أحد
من جهتنا سببه ولا يظاهر معه مسانده ولا يسعف في الابواء طلبه فاستوفينا ما استدعاه
ذلك البيان الصريح وجلبه وخطه القلم الفصيح وكتبه وليعلم مقامكم وهو من اصالة
الظر غني عن الاعلام ولكن لابد من الاستراحة بالكلام والتنفث بنفثات الاقلام
أنا انما نجري أمورنا مع هذا العدو الكافر الذي رمينا بجواره وبلينا والحمد لله بمصادمة
تياره على تعداد أقطاره واتساع براريه وبحاره بأن تكون الامة المحمدية بالعدوتين
تحت وفاق وأسواق النفاق غير ذات نفاق والجماهير تحت عهد من الله تعالى وميثاق
فهما تعرفنا ان اثنين اختلف منهما بالعدوتين عقد ووقع بينهما في قبول الطاعة رد
واقعه وعظمت لدينا مواقعه وسألنا أن يتدارك الخرق راقعه لما نتوقعه من التشاغل
عن نصرنا وتفرغ العدو الى ضرنا فكيف اذا وقعت الفتنة في صقعنا وقطرنا انما هي
شعلة في بعض بيوتنا وقعت وحادثة الى جهتنا أشرعت وان كان لسوانا لفظها فلما معناها
وعلى وطننا يعود جناها فنحن أحرص الناس على اطفائها واخمادها وأسعى في اصلاح
فسادها والمشار عليه في كفها واستشادها وما الظن بدار فدنا بابها وآمال رثت أسبابها
وجزيرة لا تستقيم أحوال من بها الا بالسكون وسلم العدو المغرور المفتون حتى تقضي منه
باعانتكم الديون وان اضطرابها اغا هو داء نستنصر من رأيكم فيه بطبيب وهدف خطب نرميه
من عزمكم بسهم مصيب وأمر نضرع في تداركه الى سميع الدعاء مجيب ونحن فيه يد أمام

٧٢ ط في بعيش قال زدني قال الغني فاني رأيت الفقير لا ينتفع بعيش قال زدني قال لا أجد مزيدا (حدثنا) الجوهري

محمد صلى الله عليه وسلم
ثم قال ان بشر بن أرطاة قد
غلب على اليمن والله ما
أرى هؤلاء القوم الا سيغلبون
على ما في أيديهم وما ذلك
بحق في أيديهم ولكن
بطاعتهم واستقامتهم
ومعصيتكم لي وتناصرهم
وتخاذلكم واصلاح بلادهم
وافساد بلادكم وتالله
يا أهل الكوفة لوددت أني
صرفتكم صرف الدنانير
العشرة بواحد ثم رفع يديه
فقال اللهم اني قد ملتهم
وملوني وسئمتهم وسئموني
فأبدلني بهم خيرا منهم
وأبدلهم بي شرا مني اللهم
عجل عليهم بالغلام الثقفي
الذيال الميال يأكل
خضرتها ويلبس فروتها
ويحكم فيها بحكم الجاهلية
لا يقبل من محسنها ولا
يتجاوز عن مسيئها قال وما
كان ولد الحجاج يومئذ
(حدثنا) الجوهري عن
سليمان بن أبي شيخ
الواسطي عن محمد بن يزيد
عن سفيان بن حسين قال
سأل الحجاج الجوهري ما
النعمة قال الامن فاني
رأيت الخائف لا ينتفع
بعيش قال زدني قال الصحة
فاني رأيت السقيم لا ينتفع
بعيش قال زدني قال الشباب
فاني رأيت الشيخ لا ينتفع

يد كم ومقصدنا فيه تبيع لقصدكم وتعرفنا على حسن اشارتكم جاد وعزمنا الى
مرضاتكم متبار وعقدنا فى مشايعة أمركم غير متوار وقد كنا لاول اتصال هذا الخبر
العين والاثر بادرنا تعريفكم بجميع ما اتصل بنا فى شانه ولم نطوعنكم شيأ من اسراره
اعلانه وبعثنا رسولنا الى بابكم العلى نستعذب اطانه ونرتجى تمهيد هذا الوطر بتمهيد
أوطانه وبادرنا بالمخاطبة من وجبت مخاطبته من أهل مربلة واشبونة تثبت بصائرهم فى
الطاعة وتقويها ونعدهم بتوجيه من يحفظ جهاتهم ويحميها وعجلنا الى بعضها مددا من
الرماة والسلاح ليكون ذلك عدة فيها وعملنا ما أوجب الله تعالى من الاعمال التى يرتلف بها
ويرتضيها وكيف لا نظاهر أمركم الذى هو العدة المذخوره والعشة الناصرة المنصوره
والباطل سراب يخدع والحق اليه يرجع والبغى يردى ويصرع وكم تقدم فى الدهر
منتزشذ عن الطاعه وخرج عن الجماعه ومخالف على الدول فى العصور الاول بهرج
الحق زائفه ورجم بشهب الاسنة طائفه وأخذت عليه الضيعة وهاده وتنائفه فتقلص
ظله ونبا به عن الحق محله وكما قال يذهب الباطل وأهله لاسما وسعادة ملككم قد
وطأت المسالك ومهدتها وقهرت الاعداء وتعبدتها وأطفأت جدا ول سيوفكم النار التى
أوقدتها وكأن بالاء وراذا أعمتم فيها رأيكم السديد وقد عادت الى خير أحوالها والبلاد
بيمن تدبيركم قد نشى ما ظهر من اعتلالها وعلى كل حال فانا نحن الى تكميل مرضاتكم
مبادرون وفى أغراضكم الدينية واردون وصادرون ولاشارتكم التى تتضمن الخير
والخيرة منتظرون عندنا من ذلك عقائد لا يحتمل نصها التاويل ولا يقبل صحيحها
التعليل فلتكن ابوتكم من ذلك على أوضح سبيل فشمس النهار لا تحتاج الى
دليل والله تعالى يسنى لكم عوائد الصنع الجميل حتى لا يدع عزمكم مغصوبا
الارده ولا ثلما فى ثغر الدين الاسده ولا هدفا متعاصيا الاهده ولا عرقا من الخلاف
الاجده وهو سبحانه يبقى ملككم ويصل سعده ويعلى أمره ويحرس مجده والسلام
الكريم يخصكم ورحمة الله وبركاته انتهى (ومن انشائه رحمه الله تعالى) من جملة رسالة على
لسان سلطانه أبى الحجاج يخاطب الرعايا ما نص محل الحاجة منه والى هذا فقد علمتم ما كانت
الحال آلت اليه من ضيقة البلاد والعباد بهذا الطاغية الذى جرى فى ميدان الامل جرى
الجموح ودارت عليه خمرة النخوة والخيلاء مع الغبوق والصبوح حتى طمع بسكر اغتراره
ومحص المسلمون على يده بالوقائع التى تجاوز منتهى مقداره وتوجهت الى استئصال
الكلمة مطامح أفكاره ووثق بانه يطفئ نور الله بناره ونازل جبل الفتح فشد مخنق حصاره
وادار أشياعه فى البر والبحر دور السوار على أسواره وانتهز الفرصة بانقطاع الاسباب
وانبهام الابواب والامور التى لم تجر للسامين بالعدوتين على ما ألوف الحساب وتكالب
التثليث على التوحيد وساءت الظنون فى هذا القطر الوحيد المنقطع بين الامة الكافره
والبحور الزاخره والمرام البعيد واتناصابرنا بالله تعالى تيار سيله واستضأنا بنور التوكل
عليه فى جنح هذا الخطب وبجنة ليله ولجأنا الى من بيده نواصى الخلائق واعتلقنا من
حبله المتين بأوثق العلائق وفسحنا مجال الامل فى ذلك الميدان بانضايق وأخلصنا فيه

عن مسلم بن ابراهيم أبى عمرو الفراهيدى عن الصلت بن دينار قال سمعت الحجاج يقول قال الله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم فهذه لله وفيها مشنرية وقال واسمعوا واطيعوا وهذه مقيل

قيل العثار ومثوى أولى الاضطرار قلوبنا ورفعنا اليه أمرنا ووقفنا عليه مطلوبنا ولم
نصر مع ذلك في ابرام العزم واستشعار الحزم واعداد الثغور باقصى الامكان وبعث
الجيوش الى ما يلينا من بلاده على الاحيان فرحم الله تعالى انقطاعنا الى كرمه والتجاءنا
الى حرمه بفضله سبحانه نظم الشدة ومد على الحريم والاطفال ظلال رحمته الممتدة
وعرفنا وارف الصنع الذي قدم به العهد على طول المدة ورماه بجيش من جيوش قدرته
أغنى من ايجاف الركاب واحتشاد الاحزاب وأظهر فينا قدرة ملكه عند انقطاع الاسباب
واستخلاص العباد والبلاد من بين الظفر والناب فقد كان جمع على الحق بأباطيله
وسد المجاز بأساطيله ورمى الجزيرة الاندلسية بشؤبوب شره وصيرها فريسة بين غربان
بحره وعقبان بره فلم يخلص الى المسلمين من اخوانهم مرقبة الاعلى الخطر الشديد والافلات
من يد العدو الغيد مع توفر العزائم والحمد لله على العمل الحميد والسعي فيما يعود على
الدين بالتأييد وبينما شفقتنا على جبل الفتح تقيم وتقعد وكلب الاعداء عليه يبرق ويرعد
واليأس والرجاء خصمان هذا يقرب وهذا يبعد اذ طلع علينا البشير بانفراج الازمة وحل
تلك العزمة وموت شاه تلك الرقعة وأبقاه الله تعالى على تلك البقعة وانه سبحانه أخذ
الطاغية أكمل ما كان اغترارا وأعظم أنصارا وزلزلت أرض عزه وقد أصابت قرارا
وان شهاب سعده قد اصبح آفلا وعلم كبره انقلب سافلا وان من بيده ملكوت السموات
والارض طرقه بحتفه وأهلكه برغم أنفه وان محلته عاجلها التباب والتبار وعاثت
في منازلها النار وتمخض عن سوء عاقبتها الليل والنهار وان حماتها يخربون بيوتهم بايديهم
وينادي بشتات الشمل لسان مناديهم وتلاحق الفرسان من جبل الفتح المعقل الذي عليه
من عناية الله تعالى رواق مضروب والرباط الذي من حاربه فهو المحروب فأخبرت بانفراج
الضيق وارتفاع العائق عن الطريق وبرء الداء الذي أشرق بالريق وان النصارى دمرها
الله تعالى جدت في ارتحالها وأسرعت بجيفة طاغيتها الى سوء مآلها وجالها وسمعت للنار
والنهب باسلابها وأموالها فبهرنا هذا الصنع الالهي الذي مهد الاقطار بعد رجفانها وأنام
العيون بعد سهاد اجفانها وسألنا الله تعالى أن يعيننا على شكر هذه النعمة التي ان سلطت
وليها قوى البشر فضحتها وربحتها وأيأس اللطائف الخفية كيف سريانه في الوجود وشاهدنا
بالعيان أنوار اللطائف الالهية والوجود وقلنا انما هو الفتح الاول شفع بثان وقواعد الدين
الحنيف أيدت من صنع الله تعالى بيبان اللهم لك الحمد على نعمك الباطنة والظاهرة
ومننك الوافرة انك ولينا في الدنيا والآخرة انتهى (ومن انشاء لسان الدين رحمه الله
تعالى) من أخرى مما يتعلق بضيق حال المسلمين بالاندلس ماصورته وان تشوفتم الى أحوال
هذا القطر ومن به من المسلمين بمقتضى الدين المتين والفضل المبين فاعلموا اننا في هذه
الايام ندافع من العدو تيارا ونكابر بحرا زخارا ونتوقع الان وفي الله تعالى خطوبا كبارا
ونمد اليد الى الله تعالى انتصارا ونلجأ اليه اضطرارا ونستمد دعاء المسلمين بكل قطر
استعدادا به واستظهارا ونستثير من خواطر الفضلاء ما يحفظ أخطارا وينشئ ريح روح
الله طيبة معطارا فان القوم من الاعظم خيوم دين النصرانية الذي يأمرها فتطيع ومخالفته

في هذا الشعب قد خلوا في
غيره لكانت دماؤهم لي
حلالا لا عذيري من أهل
هذه الجزيرة يلقى أحدهم
الحجر الى الارض ويقول
الى أن يبلغها يكون فرج
الله لاجعلهم كالرسم
الدائر وكالامس الغابر
عذيري من عبد هذيل
يقرأ القرآن كانه رجز
الاعراب أما والله لو
أدركته لضربت عنقه
يعني عبد الله بن مسعود
عذيري من سليمان بن
داود يقول لربه رب اغفر لي
وهب لي ملكا لا ينبغي
لاحد من بعدي كان والله
فيما علمت عبدا حسودا
بخيلا (وحدثنا) المنقري
عن عبيد بن أبي السري
عن محمد بن هشام بن الساثب
عن أبيه عن عبد الرحمن
ابن الساثب قال قال الحجاج
يوما لعبد الله بن هانئ
وهو رجل من أدد حي من
اليمن وكان شريفا في قومه
وقد شهد مع الحجاج
مشاهده كلها وشهد معه
تحريق البيت وكان من
أنصاره وشيعته والله
ما كافأناك بعد ثم أرسل
الى اسماء بن خارجة وكان
من فزارة أن زوج عبد الله
ابن هانئ ابنتك فقال
لا ولا كرامة فقال

بالسياط فقال أنا أزوجه فزوجه ثم بعث الى سعيد بن قيس الهمداني رئيس اليمامة أن زوج عبد الله بن هانئ ابنتك

الفاسق فزوجه فقال له الحجاج يا عبد الله قد زوجتك بنت سيد فزار قوابنة سيد همدان وعظيم كهلان وما أردها لك نقال لا تقل أصلح الله الامير ذلك فان لنا منا قب ما هي لاحد من العرب قال وما هذه المناقب قال ما سب أمير المؤمنين عثمان في نادلنا قط قال هذه والله منقبة قال وشهد منا صفين مع أمير المؤمنين معاوية سبعون رجلا وما شهد مع أبي تراب منا الا رجل واحد كان والله ما علمته امرأ سوء قال وهذه والله منقبة قال وما منا أحد تزوج امرأة تحت أبي تراب ولا تولاه قال وهذه والله منقبة قال وما منا امرأة الا نذرت ان قتل الحسين أن تنحر عشر جزائر لما ففعلت قال وهذه والله منقبة قال وما منا رجل علم من أبيه شتم أبي تراب ولعنه الا فعل وقال وأزيدكم ابنيه الحسن والحسين وأمهما قال وهذه والله منقبة قال وما أحد من العرب له من الملاحة والصباحة مالنا وضحك وكان دميما شديد الادمة يحسدوا في رأسه شعر مائل الشدق أحول قبيح الوجه مائل الحولة (المنقري) عن جعفر بن عمرو الحرضي سالك

لا نستطيع رمي هذه الامة الغربية المنقطعة منهم بحرا الا بسد طريقها ولا يحصى فريقها التفت على أخي صاحب قشتالة وعزمها أن تملكه بلده وتبلغه أمله ويكون الكل يدا واحدة على المسلمين ومناصبة هذا الدين واستئصال شأفة المؤمنين وهي شدة ليس لاهل هذا الوطن بها عهد ولا عرفها نجد ولا وهد وقد اقتحموا الحدود الغربية والله تعالى ولي هذه الامة الغربية وقد جعلنا مقاليد أمورنا بيد من يقوي الضعيف ويدرأ الخطب المخيف ورجونا أن نكون ممن قال الله تعالى فيهم الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل وهو سبحانه المرجو في حسن العقبى والمآل ونصر فئة الهدى على فئة الضلال وما قل من كان الحق كنزه ولا ذل من استمد من الله عزه قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين الآية ودعاء من قبلكم من المسلمين مدد موفور والله سبحانه على كل حال محمود مشكور انتهى (ومن أخرى) طويلة من جملتها ما صورته وقد اتصل بنا الخبر الذي يوجب نصح الاسلام ورعي الجوار والذمام وما جعل الله تعالى للأموم على الامام ايقاظكم من مراقدكم المستغرقه وجمع أهوائكم المتفرقه وتنبيهكم الى مصادمة الشدائد المرعدة المبرقه وهو أن كبير دين النصرانية الذي اليه ينقادون وفي مرضاته يصادقون ويعادون وعند رؤية صليبه يكبرون ويسجدون لما رأى الفتن قد أكلتهم خضما وقضما وأوسعتهم هضما فلم تبق عصبا ولا عظما ونثرتهم كان نظما أعمل نظره فيما يجمع منهم ما افترق ويرفع ما طرق ويرفوما مزق الشتات وخرق فرمى الاسلام بامة عددها القطر المثال وأمرهم وشأنهم الامتثال أن يدمنوا لمن ارتضاه من أمته الطاعة ويجمعوا في ملته الجماعه ويطلع الكل على هذه الفئة القليلة الغريبة بغتة كقيام الساعه وأقطعهم قطع الله تعالى بهم العباد والبلاد والطارف والتلاد وسوغهم الحريم والاولاد وبالله تعالى نستدفع ما لا نطيقه ومنه نسأل عادة الفرج فما سدت طريقه الا أثار إبنا غفلة الناس مؤذنة البوار وأشفقنا للدين المنقطع من وراء البحار وقد أصبح مضغة في لهوات الكفار وأردنا ان نهزكم بالموعظة التي تكحل البصائر بميل الاستبصار فان جبر الله تعالى الخواطر بالضراعة اليه والانكسار ونسخ الاعسار بالايسار وأنجد اليمين باختها اليسار والا فقد تعين في الدنيا والآخرة حظ الخسار فان من ظهر عليه عدو دين الله تعالى وهو من الله مصروف وبالباطل مشغوف وبغير العرف معروف وعلى الحطام المسلوب عنه ملهوف فقد تله الشيطان للجبين وقد خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين ومن نفذ فيه أوله قدر الله في أداء الواجب وبذل المجهود وأفرد بالعبودية وجه الواحد الاحد المعبود ووطن النفس على الشهادة المبوئة دار الخلود العائدة بالحياة الدائمة والوجود أو الظهور على عدوه المحشور اليه المحشود صبرا على المقام المحمود وبيعا من الله تعالى تكون الملائكة فيه الشهود حتى تعين بذلك في ذلك البناء المهدوم بقوة الله والمهدود والسواد الاعظم المعدود كان على أمر به بالخيار المودود قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين الآية انتهى (وقال) صاحب مناهج الفكر بعد وصفه لجزيرة الاندلس وأقطارها ما صورته ولم تزل هذه الجزيرة منتظمة لملة الكفار في

عن عبد الملك بن وهب قال سمعت عمران بن مسلم بن أبي بكر الغنوي يقول

سمعت الشعبي يقول لما

سلك الانقياد والوفاق الى ان طما بحر فيها سيل العناد والشقاق فامتاز كل رئيس منهم بصقع كان مسقط رأسه وبيعلبه مستقلا يعتصم فيه من المخاوف بافراسه فصار كل منهم يشن الغارة على جاره ويحاربه في عقر داره الى أن ضعفوا عن لقاء عدو في الدين يعادي ويراوح معاقلهم بالعيث ويغادي حتى لم يبق في أيديهم منها الا ما هو في ضمان هدنة مقدره وأتاوة في كل عام على الكبير والصغير مقرره كان ذلك في الكتاب مسطورا وقدرا في سابق علم الله مقدورا انتهى وهذا قاله قبل أن يستولي العدو على جميعها والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين (ونرجع) الى ما كنا بصدده من أخذ النصارى قواعد الاندلس فنقول قد قدمنا أوائل هذا الباب أن طليطلة أعادها الله تعالى من أول ما أخذ الكفار من المدن العظام بالاندلس (قال) ابن بسام لما توالت على أهل طليطلة الفتن المظلمة والحوادث المصطلمة وترادف عليهم البلاء والجلاء واستباح الفرنج لعنهم الله تعالى أموالهم وأرواحهم كان من أعجب ما جرى من النوادر الدالة على الخذلان أن الحنطة كانت تقيم عندهم مخزونة خمسين سنة لا تتغير ولا يؤثر فيها طول المدة بما يمنع من أكلها فلما كانت السنة التي استولى عليها العدو وفيها لم ترفع الغلة من الاندر حتى أسرع فيها الفساد فعلم الناس أن ذلك بمشيئة الله تعالى لامر أراده من شمول البلوى وعموم الضراء فاستولى العدو على طليطلة وأنزل من بها على حكمه وخرج ابن ذي النون منها على أقبح صورة وأفظع سيرة ورآه الناس وبيده اصطرلاب يأخذ به وقتا يرحل فيه فتعجب منه المسلمون وضحك عليه الكافرون وبسط الكافر العدل في أهل المدينة وحبب التنصر الى عامة طغامها فوجد المسلمون من ذلك ما لا يطاق حمله وشرع في تغيير الجامع كنيسة في ربيع الاول سنة ست وتسعين وأربعمائة ومما جرى في ذلك اليوم أن الشيخ الاستاذ المقامي رحمه الله تعالى صار الى الجامع وصلى فيه وأمر مريد له بالقراءة ووافاه الفرنج لعنهم الله تعالى وتكاثروا والتغيير القبلة فاجسر أحدهم على ازعاج الشيخ ولا معارضته وعصمه الله تعالى منهم الى أن أكمل القراءة وسجد سجدة ورفع رأسه وبكى على الجامع بكاء شديدا وخرج ولم يعرض أحد له بمكروه وقيل لملك النصارى ينبغي أن تلبس التاج لكن كان قبلك في هذا الملك فقال حتى تأخذ قرطبتهم وأعد لذلك ناقوسا تأتي فيه وفيما رصع به من الجواهر فاكذبه الله وأزعجه وورد أمير المسلمين وناصر الدين يوسف بن تاشفين فاقصر فيما أثر من اذلال المشركين وارغام الكافرين واستدرك أمور المسلمين انتهى ملخصا وقدم مطولا * وكانت قبلها وقعة بطرنة سنة ست وخمسين وأربعمائة وذلك أن الفرنج خذلهم الله تعالى انتدبت منهم قطعة كثيفة ونزلت على بلنسية في السنة المذكورة وأهلها جاهلون بالحرب ممرضون عن أمر الطعن والضرب مقبلون على لذات اللذات من الاكل والشرب وأظهر الفرنج الندم على منازلتها والضعف عن مقاومة من فيها وخدعوهم بذلك فانخدعوا واطمعوهم فطمعوا وكمن في عدة أماكن جماعة من الفرسان وخرج أهل البلد بثياب زينتهم وخرج معهم أميرهم عبد العزيز بن أبي عامر فاستدرجهم العدو لعنهم الله تعالى ثم عطفوا عليهم فاستأصلوهم بالقتل والاسر وما نجا منهم الا من حسنت أجله وخلص الامير نفسه ومحافظ عنيه انه

قلت لي الحجاج موتقا فلما دخلت عليه استقبلني يزيد بن مسلم فقال انا لله يا شعبي على ما بين دفتيك من العلم وليس بيوم شفاعة بؤ للامير بالشرك وبالنفاق على نفسك فبالحري أن تبوء منه فلما دخلت استقبلني محمد بن الحجاج فقال لي مثل مقالة يزيد فلما مثلت بين يدي الحجاج فقال وأنت يا شعبي فيمن خرج علينا وكثر قلت نعم أصلح الله الامير أخون بنا المبرك وأجدب الجناب وضاق المسلك واكتنفنا السهاد واستحلسنا الخوف ووقعنا في فتنة لم نكن فيها بررة أتقياء ولا فجرة أقوياء قال صدق والله ما برروا فتجروا علينا ولا قووا فتجبروا أطلقوا عنه قال الشعبي ثم احتاج الى فريضة فقال ما تقول في أخت وأم وجد قلت اختلف فيها خمسة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله وزيد وعلي وعثمان وابن عباس قال فما قال فيها ابن عباس فلقد كان معنيا قلت جعل الجد أبا وأعطى الام الثلث ولم يعط الاخت شيأ قال فما قال فيها عبد الله قلت جعلها من ستة فاعطى

الاخت النصف وأعطى الام السدس وأعطى الجد الثلث قال فما قال فيها زيد قلت جعلها من تسعة فاعطى

الام ثلاثة وأعطى الاخت سهمين وأعطى الجد أربعة قال فما قال فيها أمير المؤمنين علي رضي الله عنه جعلها اثلاثا قال فما قال فيها أبو تراب قلت جعلها ستة أعطى الأخت النصف وأعطى الام الثلث وأعطى الجد السدس قال فضرب بيده على أنفه وقال انه المرء يرغب عن قوله (المنقري) عن أبي عبد الرحمن العتبي عن أبيه قال أراد الحجاج الحج فخطب الناس وقال يا أهل العراق اني قد استعملت عليكم محمد أوبه الرغبة عنكم أما انكم لا تستأهلونه وقد أوصيته فيكم خلاف وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم بالانصار فانه أوصى أن يقبل من محسنهم و يتجاوز عن مسيئهم وقد أوصيته ان لا يقبل من محسنكم ولا يتجاوز عن مسيئكم أما اني اذا وليت عنكم انكم تقولون لا أحسن الله له الصحابة ومامنعكم من تعجيله الا الفراق وأنا أعجل لكم الجواب لا أحسن الله عليكم الخلافة ثم نزل (العتبي) عن عبد الغني بن محمد بن جعفر عن الهيثم بن عدي عن أبي عبد الرحمن الكناني عن ابن عباس الهمداني عن عبيد بن أبي المخارق قال استعملني الحجاج على الفلوجة فقلت أيها

أنشدنا أعياه الامر

خليلي ليس الرأي في صدر واحد * أشيروا علي اليوم ما تريان

وفي أهل بلنسية يقول بعض الشعراء حين خرجوا في ثياب الزينة والترفه

لبسوا الحديد الى الوغى ولبستم * حلل الحرير عليكم ألوانا

ما كان أقبحهم وأحسنكم بها * لو لم يكن يطرنه ما كانا

قال ابن بسام وهكذا جرى لاهل طليطلة فان العدو خذله الله تعالى استظهر عليهم وقتل جماهيرهم وكان من جملة ما غنمه الفرنج من أهلها لما خرجوا اليهم في ثياب الترفه ألف غفارة خارجا عما سواها انتهى (وقال) ابن حيان وكان تغلب العدو خذله الله تعالى على بربشتر قصبة بالدمرطانية وهي تقرب من سرقسطة سنة ست وخمسين وأربعمائة وذلك أن جيش الاردمليش نازلها وحاصرها وقصر يوسف بن سليمان بن هود في حمايتها ووكل أهلها الى نفوسهم فأقام العدو عليها أربعين يوما ووقع فيما بين أهلها تنازع في القوت لقلته واتصل ذلك بالعدو فشدد القتال عليها والحصر لها حتى دخل المدينة الاولى في خمسة آلاف مدرع فدهش الناس وتحصنوا بالمدينة الداخلة وحرت بينهم حروب شديدة قتل فيها خمسمائة افرنجي ثم اتفق أن القناة التي كان الماء يجري فيها من النهر الى المدينة تحت الارض في سرب موزون انهارت وفسدت ووقعت فيها صخرة عظيمة سدت السرب بأسره فانقطع الماء عن المدينة ويئس من بها من الحياة فلاذوا بطلب الامان على أنفسهم خاصة دون مال وعيال فاعطاهم العدو الامان فلما خرجوا نكث بهم وغدر وقتل الجميع الا القائد ابن الطويل والقاضي ابن عيسى في نفر من الوجوه وحصل للعدو من الاموال والامتعة ما لا يحصى حتى ان الذي خص بعض مقدمي العدو لحصنه وهو قائد خيل رومة نحو ألف وخمسمائة جارية أبكارا ومن أوقار الامتعة والحلي والكسوة خمسمائة جمل وقدر من قتل واسر مائة ألف نفس وقيل خمسون ألف نفس (ومن نوادر) ما جرى على هذه المدينة لما فسدت القناة وانقطعت المياه أن المرأة كانت تقف على السور وتنادي من يقرب منها أن يعطيها جرعة ماء لنفسها أو لولدها فيقول لها اعطيني ما معك فتعطيه ما معها من كسوة وحلي وغيره قال وكان السبب في قتلهم انه خاف من يصل انجدتهم وشاهد من كثرتهم ما هاله فشرع في القتل لعنه الله تعالى حتى قتل منهم نيفا على ستة آلاف قتيل ثم نادى الملك بتامين من بقي وأمر أن يخرجوا فازدحموا في الباب الى أن مات منهم خلق عظيم ونزلوا من الاسوار في الحبال للخشية من الازدحام في الابواب ومبادرة الى شرب الماء وكان قد تحير في وسط المدينة قدر سبعمائة نفس من الوجوه وحاروا في نفوسهم وانتظروا ما ينزل بهم فلما خلت من أسر وقتل وأخرج من الابواب والاسوار وهلك في الزحمة نودي في تلك البقية بان يبادر كل منهم الى داره باهله وله الامان وأرهقوا وأزعجوا فلما حصل كل واحد منهم بمن معه من أهله في منزله اقتسمهم الافرنج لعنهم الله تعالى بأمر الملك وأخذ كل واحد منهم جهارا بمن فيها من أهلها نعوذ بالله تعالى وكان من أهل المدينة جماعة قد عاذوا برؤس الجبال وتحصنوا بها واضع منيعة وكادوا فيها يكونون من العطش فامنهم الملك على نفوسهم وبرز الى صور الملك من العطش فأطلق

سبيلهم

فجيل بن صهيب فارسلت اليه فجاءني شيخ

سبيلهم فبينما هم في الطريق اذ لقيتهم خيل الكفر فلم يشهد الحادثة فقتلوهم الا القليل ممن نجا بأجله قال وكان الفرنج لعنهم الله تعالى لما استولوا على أهل المدينة يقتضون البكر بحضرة أبيها والثيب بعين زوجها وأهلها وجرى من هذه الاحوال ما لم يشهد المسلمون مثله قط فيما مضى من الزمان ومن لم يرض منهم أن يفعل ذلك في خادم أو ذات مهنة أو وخش اصطاهن خوله وغلمانه يعيثون فيهن عيثة و بلغ الكفرة منهم يومئذ ما لا تلحقه الصفة على الحقيقة ولما عزم ملك الروم على التفول الى بلده تخير من بنات المسلمين الجواري الابكار والثيبات ذوات الجمال ومن صبيانهم الحسان الوفاعدة جلهم معه ليهديهم الى من فوقه وترك من رابطة خيله بير بشتر ألفا وخمسمائة ومن الرجالة ألفين (قال) ابن حيان وأختم هذه الاخبار الموقظة لقلوب اولى الالباب بنادرة منها يكتفى باعتبارها عما سواها وهي أن بعض تجار اليهود جاء بير بشتر بعد الحادثة ملتمسا فدية بنات بعض الوجوه ممن نجا من أهلها حصلن في سهم قومس من الرابطة فيها كان يعرفه قال فهديت الى منزله فيها واستأذنت عليه فوجدته جالسا مكان رب الدار مستويا على فراشه رافلا في نفيس ثيابه والمجلس والسرير كما خلفهما ربهما يوم محنته لم يغير شيأ من رياشهما وزينتهما ووصائفه مضمومات الشعور قائمات على رأسه ساعيات في خدمته فرحب بي وسألني عن قصدي فعرفته وجهه واشرت الى وفور ما أبذله في بعض اللواتي على رأسه وفيهن كانت حاجتي فتبسم وقال بلسانه ما أسرع ما طمعت فيمن عرضناه لك أعرض عن هنا وتعرض لمن شئت ممن صيرته لحصني من سبي واسراى من أقاربك فيمن شئت منهم فقلت له أما الدخول الى الحصن فلا أرى لي فيه ويقربك أنست وفي كنفك اطمأننت فسمني ببعض ما هنا فاني أصير الى رغبتك فقال وما عندك قلت العين الكثير الطيب والبز الرفيع الغريب فقال كأنك تشهيني ما ليس عندي يا باجه ينادي بعض أولئك الوصائف يريد باجة فغيره بحمته قومي فاعرضي عليه ما في ذلك الصندوق فقامت اليه وأقبلت بيدر الدنانير وكياس الدراهم واسفاط الحلي فكشف وجعل بين يدي العلج حتى كادت توارى شخصه ثم قال لها أدني الينا من تلك التخوت فأدنت منه عدة من قطع الوشي والخز والديباج الفاخر مما حاز له ناظري وبهت واستزلت ما عندي ثم قال لي لقد كثر هذا عندي حتى ما ألذبه ثم حلف بالهه انه لو لم يكن عنده شيء من هذا ثم بذل له باجه في ثمن تلك ما سخت بها يدي فهي ابنة صاحب المنزل وله حسب في قومه اصطفيتها لمزيد جمالها ولادتي حسبما كان قومها يصنعون بنسائنا نحن أيام دولتهم وقد ردلنا الكرة عليهم فصرنا فيما تراه وأزيدك بأن تلك الخودة الناعمة وأشار الى جارية أخرى قائمة الى ناحية مغنية والدها الذي كانت تشدو له على نشواته الى أن أيقظنا من نوماته يا فلانة بنادي بالكنة خذي عودك فغنى زائرنا بشعبوك قال فأخذت العود وقعدت تسويه وانى لاتأمل دمعها يقطر على خدها فتسارق العلج مسحه واندفعت تغني بشعر ما فهمته انا فضلا عن العلج فصار من الغريب أن حث شربه هو عليه وأظهر الطرب منه فلما ثبت مما عنده بقيت منطلقا غضه وارتدت لتجارتي سواه واطلعت لكثرة مال ذي القوم من السبي والمغنم على ما طال بعجبي به فهذا فيه مقنع لمن تدبره وتذكر لمن تذكره (قال ابن حيان) قد أشفينا

وبركتك ومشورتك فاخر بحاجبيه فرفعا بخرقة حرير وقال ما حاجتك قلت استعملني الحجاج على الفلوجة وهو ممن لا يؤمن شره فاشر علي قال أيما أحب اليك رضا الحجاج أو رضا بيت المال أو رضا نفسك قلت اني أحب رضا كل هؤلاء وأخاف الحجاج فانه جبار عنيد قال فاحفظ عني أربع خلال افتح بابك ولا يكن للك حاجب فيأتيك الرجل وهو على ثقة من لقائك وهو أجدر أن يخافك عمالك وأطل الجلوس لاهل عملك فانه قلما أطال عامل الجلوس الا هيب مكانه ولا تخالف حكمك بين الناس وليكن حكمك على الشريف والوضيع سواء فلا يطمع فيك أحد من أهل عملك ولا تقبل من أهل عملك هدية فان مهديها لا يرضى من ثوابها الا اضعافها فهاسمع ما في ذلك من المقالة القبيحة ثم اسلخ ما بين اقفيتهم الى عجوب اذنابهم فيرضوا عنك ولا يكون للحجاج عليك سبيل (المغربي) عن يوسف بن موسى القطان عن جرير عن المغيرة عن الربيع بن خالد قال سمعت الحجاج يخطب على المنبر وهو يقول ان لخليفة أحدكم في أهله أكرم عليه أم رسوله في حاجته فقلت لقد علم أن لا أم لي

بشرح هذه الحالة العامة مصائب جليلة موجبة بوشك القاعة طالما حذروا أسلافنا فما بها احتملوه عن قبلهم من اثارة ولا شك عند ذوي الالباب أن ذلك عادها نامن داء التقاطع وقد أمرنا بالتواصل والالفة فأصبحنا من استشعار ذلك والتمادي عليه على شفا خوف يؤدي الى الهلكة لا محالة انتهى بمعض اختصار ومذكر بعده كلاما في ذم أهل ذلك الزمان من أهل الاندلس وانهم يعللون أنفسهم بالباطل وأن من أدل الدلائل على جهلهم اغترارهم بزمانهم وبعدهم عن طاعة خالقهم ورفضهم وصية نبيهم وغفلتهم عن سد ثغورهم حتى أطل عدوهم الساعي لاطفاء نورهم يجوس خلال ديارهم ويستقري بسائط بقاعهم ويقطع كل يوم طرفا ويبيد أمة ومن لدينا وحوالينا من أهل كلتنا صموت عن ذكرهم لهاة عن بثهم ما أن يسمع عندنا بمسجد من مساجدنا أو محفل من محافلنا مذكرهم أو داع فضلا عن ناقر اليهم أو ماش لهم حتى كأنهم ليسوا منا أو كأن بثقهم ليس بغض الينا وقد بخلنا عليهم بالدعاء بخلنا بالغناء عجائب فاتت التقدير وعرضت للتغيير ولله عاقبة الامور واليه المصير انتهى ولقد صدق رحمه الله تعالى فان البلاء سرى اليهم جميعا كما تراه ولا حول ولا قوة الا بالله (وقال) قبله ان بريشتر هذه تناسختها قرون المسلمين منذ ثلثمائة وثلاث وستين سنة من عهد الفتوح الاسلامية بجزيرة الاندلس فرسخ فيها الايمان وتدوورس القرآن الى أن طرق الناعي بها قرطبة فاصدر رمضان من العام فصك الاسماع واطار الافئدة وزلزل أرض الاندلس قاطبة وصير لكل شغلا يشغل الناس في التحدث به والتساؤل عنه والتصور لحلول مثله اياما لم يغار فوا فيها عادتهم من استبعاد الوجل والاغترار بالامل والاستناد الى امراء الفرقة المهل الذين هم منهم ما بين فشل ووكل يصدونهم عن سواء السبيل ويلبسون عليهم وضوح الدليل ولم تزل آفة الناس منذ خلقوا في صنفين هم كالملح فيهم الامراء والفقهاء بصلاحهم يصلحون وبفسادهم يفسدون فقد خص الله تعالى هذا القرن الذي نحن فيه من اعوجاج صنيعهم لدينا بما لا كفاية له ولا مخلص منه فالامراء القاسطون قد نكبوا عن نهج الطريق زيادا عن الجماعة وجريا الى الفرقة والفقهاء أئمتهم صموت عنهم صدوف عما أكده الله تعالى عليهم من التبيين لهم قد أصبحوا ما بين آكل من حلوائهم وخابط في أهوائهم وبين مستشعر مخافتهم آخذ في التقية من صدقهم وأولئك هم الاقلون فيهم فما القول في أرض فسد ملحها الذي هو المصلح لجميع أغذيتها وما هي الا مشفية من بوارها ولقد طما العجب من افعال هؤلاء الامراء لم يكن عندهم لهذه الحادثة الا الفزع لحفر الخنادق وتعلية الاسوار وشد الاركان وتوثيق البنيان كاشفين لعدوهم عن السوأة السوأى من القائهم يومئذ بأيديهم اليه أمورا قبيحات الصور مؤذنات الصدور بانحاز الغير

أمور لو تدبرها حكيم * اذا النهي وجب ما استطاعا

انتهى باختصار * ثم قال ابن حيان فلما كان عقب جمادى الاولى سنة ٣٧٨ شاع الخبر بقرطبة برجوع المسلمين اليها وذلك أن أحمد المقتدر بن هود المغرط فيها والمتهم على أهلها لانحرافهم الى أخيه محمد لما مع امداد الخلية عبادوسي لاصمات سوء المقالة منه وقد كتب الله تعالى عليه منها ما لا يمحوه الا عفوه فتأهب لقصد بشترش جمع من المسلمين فخالفوا

خلفت ابدا ولمن رايت العتبي عن أبيه أن الحجاج وجه الخصيان بن القبعثري الى بلاد كرمان ليأتيه بخبر ابن الاشعث عند خلعه فوصل من عنده فلما صار ببلاد كرمان ضرب بنباءه ونزل فاذا هو باعرابي قد أقبل عليه فقال السلام عليك فقال له الخصيان كلمة مقولة قال له الاعرابي من أين جئت قال من ورائي قال وأين تريد قال أمامي قال وعلام جئت قال على فرسي قال وفيم جئت قال في ثيابي قال اتأذن لي أن أدنو اليك قال وراءك أوسع لك قال والله ما أريد طعامك ولا شرابك قال لا تعرض بهما فوالله لا تذوقهما قال أوليس عندك الا ما أرى قال بل هراوة من ارزن أضرب بها رأسك قال ان الرمضاء قد أحرقت قدمي قال بل عليهما يبردان قال فكيف ترى فرسي هذا قال أراه خيرا من شر منه وأرى آخر أمره منه قال قد علمت هذا قال لو علمته ما سألتني عنه فتركه الاعرابي ومضى ثم دخل على عبد الرحمن بن الاشعث فقال ما وراءك يا غضبان قال الشر تغد بالحجاج قبل ان يتعشى بك ثم صعد المنبر فخطب بعايب الحجاج والبراءة منه ودخل ابن الاشعث في أمره فلم يلبث الا قليلا ثم أسر ابن الاشعث الكفار

الكفار بها جلادا ارتاب منه كل جبان وأعز الله سبحانه أهل الحفيظة والشجعان وحمى الوطيس بينهم الى أن نصر الله تعالى أولياءه وخذل أعداءه وولوا الادبار مقتحمين أبواب المدينة فاقتحمها المسلمون عليهم وملكوهم أجمعين الامن فر من مكان الوقعة ولم يدخل المدينة فاجيل السيف فى الكافرين واستوصلوا أجمعين الامن استرق من أصاغرهم وفدى من أعاظمهم وسبوا جميع من كان فيها من عيالهم وأبنائهم وملكوا المدينة بقدرة الخالق البارئ وأصيب فى منحة النصر المتاح طائفة من حماة المسلمين المجاهدين فى نصر الدين نحو الخمسين كتب الله تعالى شهادتهم وقتل فئة من أعداء الله الكافرين نحو ألف فارس وخمسة آلاف راجل فغسلها المسلمون من رجس الشرك وجللوها من صدا الافك انتهى وليت طليطلة البائسة استرجعت كمذه ومع هذا فقد غلب العدو بعد على الكل والله سبحانه المرجو فى الادالة (وقال) ابن الكردبوس أخذ العدو مدينة تطيلة وأختها طرشونة سنة أربع وعشرين وخمسمائة ولما صار أمر بلنسية الى الفقيه القاضى أبى أحمد بن جحاف قاضيها صيرها الامير المسلمين يوسف بن تاشفين محصر بها القادر بن ذى النون الذى مكن اذفونش من طليطلة فهجم عليه القاضى فى لمة من المرابطين وقتله ودفع ابن جحاف لما لم يعهد من تدبير السلطان ورجعت عنه طائفة الملثمين الذين كان يعتد بهم وجعل يستصرخ الى أمير المسلمين فيبطئ عليه وفى أثناء ذلك انهض يوسف بن احمد بن هود صاحب سرقسطة لذاريق الطاغية للاستيلاء على بلنسية فدخلها وعاهده القاضى بن جحاف واشترط عليه احضار ذخيرة كانت للقادر بن ذى النون فاقسم انها ليست عنده فاشترط عليه انه ان وجدها عنده قتله فاتفق انه وجدها عنده فاحرقه بالنار وعاث فى بلنسية وفيها يقول ابن خفاجة حينئذ

عاثت بساحتك الظبا يادار * ومحا محاسنك البلى والنار
فاذا تردد فى جنابك ناظر * طال اعتبار فيك واستعبار
أرض تقاذفت الخطوب بأهلها * وتمخضت بخرابها الاقدار
كتبت يد الحدثان فى عرصاتها * لا أنت أنت ولا الديار ديار

وكان استيلاء القبنطور لعنه الله تعالى عليها سنة ثمان وثمانين وأربعمائة وقيل فى التى قبلها وبه جزم ابن الابار قائلا فتم حصار القبنطور اياها عشرين شهرا وذكر انه دخلها صلحا وقال غيره انه دخلها وحرقها وعاث فيها وممن أحرق فيها الاديب أبو جعفر بن البناء الشاعر المشهور رحمه الله تعالى وعفا عنه فوجه أمير المسلمين يوسف بن تاشفين الامير أبا محمد مزدلى فنقضها الله تعالى على يديه سنة خمس وتسعين وأربعمائة وتوالى عليها أمراء الملثمين ثم صارت ليحيى بن غانية الملثمى ولى جميع شرق الاندلس فقدم عليها أخاه عبد الله بن غانية ولما ثارت الفتنة فى المائة السادسة أخرجهم مروان بن عبد العزيز الى أن قام عليه جيش بلنسية سنة تسع وثلاثين وخمسمائة وبايعوا الابن عياض ملك شرق الاندلس ففر مروان الى المرية ثم رجعت بلنسية الى أبى عبد الله بن مردنيش ملك شرق الاندلس بعد ابن عياض وقدم عليه أخاه أبا الحجاج يوسف بن سعد بن مردنيش الى أن رجع أبو الحجاج الى جهة بنى عبد المؤمن الى أن ولى عليها السيد أبو زيد عبد الرحمن ابن السيد أبى عبد الله بن أبى حفص ابن أمير المسلمين

أصلح الله الامير بلاد ماؤها وشل وثمرها دقل ولصها بطل والخيل بها ضعاف وان كثر الجند بها جاعوا وان قلوا ضاعوا قال الست صاحب الكلمة الخبيثة تغدبالحجاج قبل أن يتعشى بك قال أصلح الله الامير ما نفعت من قيلت له ولا ضرت من قيلت فيه قال لأقطعن يديك ورجليك من خلاف ثم لاصلبنك قال لا أرى الامير اصلحه الله يفعل ذلك فأمر به فقيد والقى فى السجن فاقام به حتى بنى الحجاج خضراءه واسطا فلما استتم بناؤها جلس فى صحنها وقال كيف ترون قبتى هذه قالوا ما بنى لخالق قبلك مثلها قال فان فيها مع ذلك عيبا فهل فيكم مخبرى به قالوا والله ما نرى بها عيبا فأمر باحضار الغضبان فأتى به يرسف فى قيوده فلما دخل عليه قال له الحجاج أرأيت ياغضبان سمينا قال أيها الامير القيد والرتعة ومن يكن ضيف الامير يسمن قال فكيف ترى قبتى هذه قال أرى قبة ما بنى لاحد مثلها الا ان بها عيبا فان امنتنى الامير اخبرته به قال قل آمنا قال بغيت فى غير بلدك لغير ولدك لا تتمتع به

ولا تنعم فما لا يتمتع فيه من طيب ولا لذة قال ردوه فانه صاحب الكلمة الخبيثة قال أصلح الله الامير ان

عبد المؤمن بن علي فثار العادل بمرسية تمنع واعتز وأظهر طاعة في باطنها معصية ودام على ذلك مع أبي العلاء المأمون وكان قائد الاعنة المشار اليه في الدفاع عن بلنسية الامير زيان ابن أبي الحملات بن أبي الحجاج بن مردنيش فأخرجه من بلنسية وملكها وفر السيد الى النصارى ولم يزل أمر بلنسية يضعف باستيلاء العدو على أعمالها الى أن حصرها ملك برشلونة النصراني فاستغاث زيان بصاحب افريقية أبي زكريا بن أبي حفص وأوفد عليه في هذه الرسالة كاتبه الشهير أبا عبد الله بن الابار القضاعي صاحب كتاب التكملة واعتاب الكتاب وغيرهما فقام بين يدي السلطان منشدا قصيدته السينية الفريدة التي فضحت من باراها وكبادونها من جاراها وهي

أدرك بخيلك خيل الله أندلسا * ان السبيل الى منجاتها درسا
وهب لها من عزيز النصر ما التمست * فلم يزل منك عز النصر ملتمسا
وعاش عما تعانيه حشاشتها * فطالما ذاقت البلوى صباح مسا
يا للجزيرة أضحى أهلها جزرا * للعاديات وأمسى جدها تعسا
في كل شارقة للعام بارقة * يعود مأتمها عند العداعرسا
وكل غاربة اجمال شائبة * تثني الامان حذارا والسرور أسى
تقاسم الروم لا نالت مقاسمهم * الا عقائلها المحجوبة الانسا
وفي بلنسية منها وقرطبة * ما ينسف النفس أو ما ينزف النفسا
مدائن حلها الاشراك مبتسما * جذلان وارتحل الايمان منبئسا
وصيرتها العوادي الغاديات بها * يستوحش الطرف منها ضعف ما أنسا
فمن دسا كر كانت دونها حرسا * ومن كنائس كانت قبلها كنسا
يا للمساجد عادت للعدا بيعا * وللنداء غدا أثناءها جرسا
لهفي عليها الى استرجاع فائتها * مدارسا للثنا في أصبحت درسا
وأربعا نعمت أيدي الربيع لها * ما شئت من خلع موشية وكسا
كانت حدائق للاحداق مونقة * فصوح النصر من أدواحها وعسا
وحال ما حولها من منظر عجب * يستجلس الركب أو يستركب الجلسا
سرعان ما عاث جيش الكفر واحربا * عيث الربا في مغانيها التي كنسا
وابتز بزتها مما تحيفها * تحيف الاسد الضاري لما افترسا
فأين عيش جنيناه بها خضرا * وأين عصر جلبناه بها سلسا
محا محاسنها طاغ أتيح لها * ما نام عن هضمها حينا ولا نعسا
ورج أرجاءها لما أحاط بها * فغادر الشم من أعلامها خنسا
خلال الجوفامتدت يداه الى * ادراك مالم تطأ رجلاه مختلسا
وأكثر الزعم بالتثليث منفردا * ولو رأى راية التوحيد مانبسا
صل حبلها أيها المولى الرحيم فما * أبقى المراس لها حبلا ولا مرسا
وأحى ما طمست منها العداة كما * أحييت من دعوة المهدي ما طمسا

الحديد قد أكل لحمي وبرى كنا له مقرنين قال أنزلوه فلما استوى على الارض قال اللهم أنزلني منزلا مباركا وأنت خير المنزلين قال جروه فلما جروه قال بسم الله مجراها ومرساها ان ربي لغفور رحيم قال أطلقوا عنه (المقري) عن عبد الله بن محمد بن حفص التميمي عن الحسين بن عيسى الحنفي قال لما هلك بشر بن مروان وولي الحجاج العراق بلغ ذلك أهل العراق فقام الغضبان بن القبعثرى الشيباني بالمسجد الجامع بالكوفة خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يا أهل العراق ويا أهل الكوفة ان عبد الملك قد ولى عليكم من لا يقبل من محسنكم ولا يتجاوز عن مسيئكم الظلوم الغشوم الحجاج ألا وان لكم من عبد الملك منزلة بما كان منكم من خذلان مصعب وقتله فاعترضوا هذا الخبيث في الطريق فاقتلوه فان ذلك لا يعد منكم خلعا فانه متى يعلوكم على متن منبركم وصدر سريركم وقاعة قصركم ثم قتلتموه عد خلعا فاطيعوني وتعدوا به قبل أن يتعشى بكم فقال له أهل الكوفة جننت يا غضبان بل ننتظر سيرته فان رأينا منكرا أزلناه قال ستعلمون فلما قدم الحجاج الكوفة

أيام صرت لنصر الحق مستبقا * ويت من نوره ذاك الهدى مقتبسا
وقمت فيها بأمر الله منتصرا * كالصارم اهتز أو كالعارض انبجسا
تعمو الذى كشف التجسيم من ظلم * والصبح ماحية أنواره الغلسا
وتقتضى الملك الجبار مهجته * يوم الوغى جهرة لا ترقب الخلسا
هذى رسائلها تدعوك من كثب * وأنت أفضل مرجو لمن يئسا
وافتك جارية بالنجح راجية * منك الاسير الرضا والسيد الندسا
خاضت خضارة يعليها ويخفضها * عبابه فتعانى اللين والشرسا
وربما سبحت والريح عاتية * كما طلبت بأقصى شده الفرسا
تؤم يحيى بن عبد الواحد بن أبى * حفص مقبلة من تربه القدسا
ملك تقلدت الاملاك طاعته * دينا ودنيا فغشاها الرضا لبسا
من كل غاد على يمناه مستلما * وكل صاد الى نعماه ملتمسا
مؤيد لو رمى نجما لاثبته * ولو دعا أفقا لبى وما احتبسا
تالله ان الذى تزجى السعود له * ما جال فى خلد يوما ولا هجسا
امارة يحمل المقدار رايتها * ودولة عزها يستصحب القعسا
يبدى النهار بها من ضوئه شنبا * ويطلع الليل من ظلمائه لعسا
ماضى العزيمة والايام قد نكلت * طلق المحيا ووجه الدهر قد عبسا
كأنه البدر والعلياء هالته * تحف من حوله شهب القنا حرسا
تدبيره وسع الدنيا وما وسعت * وعرف معروفه واسى الورى وأسا
قامت على العدل والاحسان دولته * وأنشرت من وجود الجود مارمسا
مبارك هديه باد سكينته * ما قام الا الى حسنى وما جلسا
قد نور الله بالتقوى بصيرته * فما يبالى طروق الخطب ملتبسا
برى العصاة وراش الطائعين فقل * فى الليث مفترسا والغيث مرتجسا
ولم يغادر على سهل ولا جبل * حيا لقاحا اذا وافيته بخسا
فرب أصيد لا تلقى به صيدا * ورب اشوس لا تلقى له شوسا
الى الملائك ينمى والملوك معا * فى نبعة أثمرت للمجد ما غرسا
من ساطع النور صاغ الله جوهره * وصان صيقله أن يقرب الدنسا
له الثرى والثريا خطتان فلا * أعز من خطتيه ما سما ورسا
حسب الذى باع فى الاخطار بركبها * اليه محياه ان البيع ما وكسا
ان السعيد امرؤ ألقى بحضرته * عصاه محترما بالعدل محترسا
فظل يوطن من أرجائها حرما * وبات يوقد من أضوائها قبسا
بشرى لعبد الى الباب الكريم حدا * آماله ومن العذب المعين حسا
كأنما يتطى واليمن يعصبه * من البحار طريقا نحوه يبسا
فاستقبل السعد وضاحا أسرته * من صفحة فاض منها النور وانعكسا

عبد الملك بأمره أن يبعث اليه بثلاثين جارية عشرا من النجائب وعشرا من قعد النكاح وعشرا من ذوات الاحلام فلما نظر الى الكتاب لم يدر ما وصفه من الجوارى فعرضه على أصحابه فلم يعرفوه فقال له بعضهم اصلح الله الامير ينبغى أن يعرف هذا من كان فى أوليته بدويا فله معرفة أهل البدو ثم غزا فله معرفة أهل الغزو ثم شرب الشراب فله بذاء أهل الشراب قال واين هذا قيل فى حبسك قال ومن هو قيل الغضبان الشيبانى فاحضر فلما مثل بين يديه قال أنت القائل لاهل الكوفة يتغدون بى قبل أن أتعشى بهم قال أصلح الله الامير ما نفعت من قالها ولا ضرت من قيلت فيه قال ان أمير المؤمنين كتب الى كتابا لم أدر ما فيه فهل عندك شئ منه قال يقرأ على فقرئ عليه فقال هذا بين قال وما هو قال أما النجيبة من النساء فالتى عظمت هامتها وطال عنقها وبعدما بين منكبيها وثديها واتسعت راحتها وثخنت ركبتها فهذه اذا جاءت بالولد جاءت به كالليث وأما

قعد النكاح فهن ذوات الاعجاز منكسرات الثدى كثيرات اللحم يقرب بعضهن من بعض فأولئك يشغفن

وقبل الجود طفاحا غوار به * من راحة غاص فيها البحر وانغمسا
يا أيها الملك المنصور أنت لما * عليا توسع أعداء المدى تعسا
وقد تواترت الانباء أنك من * يحيي بقتل ملوك الصفر اندلسا
طهر بلادك منهم انهم نجس * ولا طهارة مالم تغسل النجسا
وأوطئ الفيلق الجرار أرضهم * حتى يطأطئ رأسا كل من رأسا
وانصر عبيدا بأقصى شرقها شرقت * عيونهم أدمعا تهمى زكا وخسا
هم شيعة الامر وهي الدار قد نهكت * رامتي لم تباشر جسمها انتكسا
فاملأ هنيئا لك التأييد ساحتها * جردا سلاهب أو خطية دعسا
واضرب لها موعدا بالفتح ترقبه * لعل يوم الاعادي قد أتى وعسا

فبادر السلطان باعانتهم وشحن الاساطيل بالمدد اليهم من المال والاقوات والكسى فوجدوهم في هوة الحصار الى أن تغلب الطاغية على بلنسية ورجع ابن الابار بأهله الى تونس وكان تغلب العدو على بلنسية صلخا يوم الثلاثاء السابع عشر لصفر من سنة ست وثلاثين وستمائة فهزت هذه القصيدة من الملك عطف ارتياح وحركت من جنانه أخفض جناح ولشغفه بها وحسن موقعها منه أمر شعراء حضرته بمعاوبتها غير واحد وحال العدو بين بلنسية وبينه وتعاهد أهلها مع النصارى على أن يسلموها في أنفسهم وذلك سنة سبع وثلاثين وستمائة أعادها الله تعالى للاسلام * وكانت وقعة كنندة على المسلمين قبل هذا التاريخ بمدة وكنندة ويقال قنندة بالقاف من حيز دورقة من عمل سرقسطة من الثغر الاعلى وكانت الهزيمة على المسلمين جبرهم الله تعالى قتل فيها من المطوعة نحو من عشرين ألفا ولم يقتل فيها من العسكر أحد وكان على المسلمين الامير ابراهيم بن يوسف بن تاشفين الذي ألف الفتح باسمه قلائد العقيان وكانت سنة أربع عشرة وخمسمائة وممن حضرها الشيخ أبو علي الصدفي السابق الذكر وقرينه في الفضل أبو عبد الله بن الفراء خرجا غازيين فكانا ممن فقد فيها * وقال غير واحد ان العسكر انصرف مغلولا الى بلنسية وان القاضي أبا بكر بن العربي كان ممن حضرها وسئل مخلصه منها عن حاله فقال حال من ترك الخباء والعباء وهذا مثل عند المغاربة معروف يقال لمن ذهبت ثيابه وخيامه بمعنى انه ذهب جميع ماله * ودخل العدو لوشة سنة اثنتين وعشرين وستمائة مع السيد أبي محمد البياسي في الفتنة التي كانت بينه وبين العادل فما توافيا أشد العيث ثم ردها المسلمون الى أن أخذت بعد ذلك كما يأتي * ودخل العدو مدينة المرية يوم الجمعة السابع عشر من جمادى الاولى سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة عنوة (وحكى) أبو زكريا الجعيدي عن أبي عبد الله بن سعادة الشاطبي المعمر أن أبا مروان بن ورد أتاه في النوم شيخ عظيم الهيئة فرمى يديه في عضديه من خلفه وهزهما عنيفا حتى أرعبه وقال له قل

ألا أيها المغرور ويحك لا تنم * فلله في ذا الخلق أمر قد انبهم
فلابد أن يرزوا بأمر يسوءهم * فقد أحدثوا جرما على حاكم الامم

قال وكان هذا في سنة أربعين وخمسمائة فلم يمض الا يسير حتى تغلب الروم على المرية في سنة

القرم وبرون الظماء نواما كما نبس الحساب الناقة فتخرجه من كل شعر وظفر وعرق قال الحجاج أخبرني بشر النساء قال اصلح الله الامير شر هن الصغيرة النقبة الحديدة الركبة السريعة الوثبة الواسطة في نساء الحي التي اذا غضبت غضب لها مائة واذا سمعت كلمة قالت لا والله لا أنتهي حتى أقرها قرارها التي في بطنها جارية وتتبعها جارية وفي جرها جارية قال الحجاج على هذه لعنة الله ثم قال ويحك فاخبرني بخير النساء قال خير هن القريبة القامة من السماء الكثيرة الاخذ من الارض الودود الولود التي في بطنها غلام وفي جرها غلام ويتبعها غلام قال ويحك فاخبرني بشر الرجال قال شرهم البعوط الرعبوط المحمود في جوم الحي الذي اذا سقط لاحداهن دلو في بئر انحط عليه حتى يخرجه فهن يجزينه الخير اويقان عافى الله فلانا قال على هذا لعنة الله فاخبرني بخير الرجال قال غيرهم الذي يقول فيه الشماخ التغلبي

فتى ليس بالراضي بادنى معيشة * ولا في بيوت الحي بالمتوجج

اثنتين

اثنتين وأربعين وخمسمائة بعد تلك الرؤيا بعامين أونحوهما انتهى * وهو مما حكاه ابن الابار الحافظ فى كتاب التكملة له * وفى وقعة المرية هذه استشهد الرشاطى الامام المشهور وهو أبو محمد عبد الله بن على بن عبد الله بن على بن خلف بن أحمد بن عمر اللخمى الرشاطى المرى وكانت له عناية كبيرة بالحديث والرجال والرواة والتواريخ وهو صاحب كتاب اقتباس الانوار والتماس الازهار فى نسب الصحابة ورواة الآثار أخذه الناس عنه واحسن فيه وجمع وما قصر وهو على اسلوب كتاب ابى سعد بن السمعانى الحافظ المسمى بالانساب * وولد الرشاطى سنة ٤٦٦ بقرية من اعمال مرسية يقال لها اوريوالة بفتح الهمزة وسكون الواو وكسر الراء وضم المثناة التحتية وبعد الالف لام مفتوحة وبعدها هاء وتوفى شهيدا بالمرية عند تغلب العدو عليها صبيحة الجمعة ٢٠ جمادى الاولى سنة ٥٤٢ والرشاطى بضم الراء وفتح الشين المخففة وذكر هو أن احد اجداده كان فى جسمه شامة كبيرة وكانت حاضنته مجمية فاذا لاعبته قالت رشاطة وكثر ذلك منها فقيل له الرشاطى انتهى ملخصا من وفيات الاعيان وبعضه بالمعنى * وبعد اخذ النصارى المرية هذه المرة رجعت الى ملك المسلمين واستنقذها الله تعالى على يد الموحدين وبقيت بأيدى اهل الاسلام سنين وكان اول الولاة عليها حين استولى عليها امير المسلمين عبد المؤمن بن على رجلا يقال له يوسف ابن مخلوف فثار عليه اهل المرية وقتلوه وقدموا على انفسهم الرميمى فأخذها النصارى منه عنوة كما ذكرنا واحصى عدد من سبى من ابكارها فكان اربعة عشر الفا * وقال ابن حبيش آخر الحفاظ بالاندلس كنت فى قلعة المرية لما وقع الاستيلاء عليها اعادها الله تعالى للاسلام فتقدمت الى زعيم الروم السلطين وهو ابن بنت الاذفونش وقلت له انى أحفظ نسبك منك الى هرقل فقال لى قل فذكرته له فقال لى اخرج أنت وأهلك ومن معك طلقاء بلا شئ وابن حبيش شيخ ابن دحية وابن حوط الله وأبى الربيع الكلاعى رحمهم الله تعالى ولما أخذت المرية أقبل اليها السيدان أبو حفص وأبو سعيد ابنا أمير المؤمنين عبد المؤمن فحصرا النصارى بها وزحف اليهما أبو عبد الله بن مردنيش ملك شرق الاندلس محاربا لهما فكانا يقاتلان النصارى والمسلمين داخلا وخارجا ثم رأى ابن مردنيش العار على نفسه فى قتالهم مع كونهم يقاتلون النصارى فارتحل فقال النصارى ما رحل ابن مردنيش الا وقد جاءهم مدد فاصطلحوا ودخل الموحدون المدينة وقد خربت وضعفت الى أن أحيا رمتها الرئيس أبو العباس أحمد بن كمال وذلك ان أخته أخذت سبية فى دخلة عبد المؤمن لبجانة فاختلت بقصره واعتنت باخبائها فولاه بلده فصلح به حالها وكان جوادا حسن المحاولة كثير الرفق واشتهر من ولاتها فى مدة بنى عبد المؤمن فى المائة السابعة الامير أبو عمران بن أبى حفص عم ملك افريقية أبى زكريا * ولما كانت سنة خمس وعشرين وستمائة وثارت الاندلس على مأمون بنى عبد المؤمن بسبب قيام ابن هود بمرسية قام فى المرية بدعوة ابن هود أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبى يحيى بن الرميمى وجده ابو يحيى هو الذى أخذها النصارى من يده ولما قام بدعوة ابن هود وفد عليه بمرسية وولاه وزارته وصرف اليه سياسته وآل امره معه الى ان اغراه بان يحصن قلعة المرية ويجعلها له عدة وهو يبغى ذلك عدة

فقال له حسبك كم حبسنا عطاءك قال ثلاث سنين فامر له بها وخلى سبيله (المنقرى) عن محمد بن السرى عن هشام بن محمد ابن السائب عن أبى عبد الله الضبى قال لما فرغ الحجاج من دير الجماجم وقدم على عبد الملك ومعه أشراف اهل المصرين أدخلهم عليه فبينما هم عنده اذ تذاكروا البلدان فقال محمد بن عمير ابن عطارد أصلح الله الامير ان الكوفة أرض ارتفعت عن البصرة وحرها وعمقها وسفلت عن الشام ووبائها وجاورها الفرات فعذب ماؤها وطاب ثمرها فقال خالد بن صفوان الاهتمى أصلح الله الامير نحن أوسع منهم بريه وأسرع منهم فى السريه وأكثر منهم قندا وعاجا وساجا وباسا ماؤنا صفو وخيرنا عفو لا يخرج من عندنا الا قائد وسائق وناعق فقال الحجاج أصلح الله أمير المؤمنين انى بالبلدين خبير وقد وطئتهما جميعا فقال له قل فانت عندنا مصدق فقال أما البصرة فحجور شمطاء دفراء بحراء أوتيت من كل حسن وزينة وأما الكوفة فشابة حسناء جميلة لاحلى لها ولا زينة فقال عبد الملك فضلت الكوفة على البصرة (المنقرى) عن عمر بن الخطاب الباهلى عن اسمعيل

لنفسه وترك ابن هود فيها جارية تعلق ابن الرميمى بها واجتمع معها فبلغ ذلك ابن هود فبادر الى المرية وهو مضمر الايقاع بابن الرميمى فتغدى به قبل ان يتعشى به وانتزح من قصره ميتا ووجهه فى تابوت الى مرسية فى البحر واستبد ابن الرميمى بملك المرية ثم ثار عليه ولده وآل الامر بعد احوال الى ان تملكها ابن الاحمر صاحب غرناطة وبقيت فى يد اولاده بعده الى ان اخذها العدو الكافر عند ما طوى بساط بلاد الاندلس كما سننبه عليه والله غالب على امره * وما احسن قول ابى اسحق ابراهيم بن الدباغ الاشبيلى فى هزيمة العقاب باشبيلية وقائلة اراك تطيل فكرا * كأنك قد وقفت لدى الحساب

فقلت لها أفكر فى عقاب * غدا سببا لمعركة العقاب

فما فى ارض اندلس مقام * وقد دخل البلا من كل باب

وقول القائد ابى بكر ابن الامير ملك شلب ابى محمد عبد الله ابن وزيرها يخاطب منصور بنى عبد المؤمن وقد التقى هو واصحابه مع جماعة من الفرنج فتناصفوا ثم كان الظفر للمسلمين

ولما تلاقينا جرى الطعن بيننا * فمنا ومنهم طائحون عديد

وحال غرار المنذ فينا وفيهم * فمنا ومنهم قائم وحصيد

فلا صدر الا فيه صدر منقف * وحول الوريد للحسام ورود

صبرنا ولا كف سوى البيض والقنا * كلانا على حد الحلاد جليد

ولكن شددنا شدة فتبلدوا * ومن يتبلد لا يزال يحيد

فولوا والسمر الطوال بهامهم * ركوع والبيض الرقاق سجود

وكان المذكور من فرسان الاندلس وكان ابنه الفاضل أبو محمد غير مقصر عنه فروسية وقدرا وأدبا وشعرا وولاه ناصر بنى عبد المؤمن مدينة قصر أبى دانس فى الجهة الغربية وقتله ابن هود باشبيلية وزعم أنه يروم القيام عليه ومن شعره قوله فى ابن صاحب أعمال اشبيلية

لا تيأسن من الخلافة بعدما * ولى ابن عمرو خطة الاشراف

تبا لدهر هذه أفعاله * يضع النوافج فى يدى كناف

(رجع) ودخل العدو كورة ماردة من محمد بن هود سنة ست وعشرين وستمائة وكان مفتتح المصائب على يده أعادها الله تعالى للاسلام وهى قاعدة بلاد الجوف فى مدة العرب والعجم والحضرة المستجدة بعدها هى مدينة بطليوس وبين ماردة وقرطبة خمسة أيام * وملك بطليوس وماردة وما اليها المظفر محمد بن المنصور بن الافطس مشهور وهو من رجال القلائد والذخيرة وهو أديب ملوك عصره بلا مدافع ولا منازع وله التصنيف الرائق والتأليف الفائق المترجم بالتذكر المظفرى خمسون مجلدا اشتمل على فنون وعلوم من مغازى وسير ومثل وخبر وجميع علوم الادب وقال يوما والله ما يمنعنى من اظهار الشعر الا كونى لا أقول مثل قول أبى العشائر بن حمدان

أقرأت منه ما تخط يد الوغى * والبيض تشكل والاسنة تنقط

وقول أبى فراس ابن عمه

ابن خالد قال سمعت الشعبى يقول سمعت الحجاج يقول بكلام ما سبقه اليه أحد سمعته يقول أما بعد فان الله عز وجل كتب على الدنيا الفناء وعلى الآخرة البقاء فلا فناء لما كتب عليه البقاء ولا بقاء لما كتب عليه الفناء فلا يغرنكم شاهد الدنيا من غائب الآخرة فطول الامل يقصر الاجل (المنقرى) عن سهل بن تمام بن بزيع عن عباد بن حبيب بن المهلب عن أبيه قال لما قتل المهلب بن عبد ربه بن الصعير بكرمان قال ائتونى برجل له بيان وعقل ومعرفة أوجهه الى الحجاج برؤس من قتلنا فدلوه على بشر بن مالك الحرشى فلما دخل على الحجاج قال ما اسمك قال بشر بن مالك الحرشى قال كيف تركت المهلب قال تركته صالحا نال ما رجا وأمن ما خاف قال فكيف فاتكم قطرى قال كادنا من حيث كدناه قال أفلا طلبتموه قال كان الحسد أهم علينا من القتل قال أصبتم قال فكيف كان بنو المهلب قال كانوا أعداء البيات حتى يأمنوا وأصحاب السرج حتى يردوا قال أجل فايهم أفضل قال ذاك الى أبيهم أيهم شاء ان يستكفيه أمرا كفاه قال انى أرى لك عقلا فقل قال هم كالحلقة المستديرة لا يدرى أين طرفاها قال ان هم من ابيهم قال فضله عليهم وحدثنا

وجدنا العوالي في مقام * تحدث عنه ربات الحجال
كأن الخيل تعلم من عليها * فتبعض على بعض تعالى

فأين هذا من قولي

أنفت من المدام لان عقلي * أعز علي من أنس المدام
ولم أرتح الى روض وزهر * ولكن للعمائل والحسام
اذا لم أملك الشهوات قهرا * فلم أبغي الشفوف على الانام

وله رحمه الله تعالى

بالحظ زد فتورا * تزد على اقتدارا
فاللحظ كالسيف أمضى * ما برق غرارا

وابنه المتوكل من رجال القلائد والمسهب وكان في حضرة بطليوس كالمعتمد بن عباد باشبيلية قد أناخت الآمال بحضرتهما وشدت رحال الآداب الى ساحتهما يتردد أهل الفضائل بينهما كتردد النواسم بين جنتين وينظر الادب منهما عن مقلتين والمعتمد أشعر والمتوكل أكتب (رجع) وقال الفاضل الكاتب أبو عبد الله محمد الغازي وقيل انها وجدت برقعة في جيبه يوم موته

الروم تضرب في البلاد وتغنم * والجور يأخذ ما بقي والمغرم
والمال يورد كله قتالة * والجند تسقط والرعية تسلم
وذوو التعين ليس فيهم مسلم * الا معين في الفساد مسلم
أسفي على تلك البلاد وأهلها * الله يلطف بالجميع ويرحم

وقيل ان هذه الابيات رفعت الى سلطان بلده فلما وقف عليها قال بعد ما بكى صدق رحمه الله تعالى ولو كان حيا ضربت عنقه * وهذا الغازي أخو الشاعر الشهير الكاتب الكبير أبي زيد عبد الرحمن الغازي صاحب الامداح في سيد الوجود محمد صلى الله عليه وسلم وهو كما قال فيه بعضهم صاحب القلم الاعلى والقدح المعلى أبرع من ألف وصنف وأبدع من قرظ وشنف فقد طاع القلم لبنانه والنظم والنثر لبيانه كان نسيج وحده رواية وأخبارا ووحيد نسجه رويه وابتكارا وفريد وقته خبرا وأخبارا وصدر عصره ايرادا واصدارا صاحب فهوم ورافع ألوية علوم أما الادب فلا يسبق فيه مضماره ولا يشق غباره ان شاء انشا أو شاء وشى ساحل الطبع عذب النبع له في مدح النبي صلى الله عليه وسلم بدائع قد خضع البيان لها وسلم أعجز بتلك المعجزات نظما ونثرا وأوجز في تحبير تلك الآيات البينات فجلا سحرا ورفع للقوافي راية استظهار تخير فيها الاظهر فهم وعشر وشفع وأوتر وأما الاصول فهي من فروعه في متفرق منظومه ومنثوره ومجموعه وأما النسب فالى حفظه انتسب وأما الايام والدول ففي تاريخه الاواخر والاول وقد سبك من هذه العين في منثوره وموزونه ما يشهد باضافتها الى فنونه وله سماع في الحديث ورواية وفهم بقوانينه ودرايه سمع من أبي الوليد اليزيد بن عبد الرحمن بن بقي القاضي ومن أبي الحسن جابر بن أحمد القرشي التاريخي وهو آخر من حدث عنه ومن أبي عبد الله

تجري السوالف في أغر كأنه * برد تحدر من متون غمام لو كنت صادقة بما حدثتنا * لوصلت ذاك فكان غير لمام

الفضل وكانوا مع وال يقاتل بهم مقاتلة الصعلوك ويسوسهم سياسة الملوك فله منهم بر الاولاد ولهم منه شفقة الوالد قال هل كنت هيأت ما ارى قال لا يعلم الغيب الا الله قال فالتفت الحجاج الى عنبسة فقال هذا الكلام المخلوق لا الكلام المصنوع (وأخذ الحجاج) جرير ابن الخطفى فأراد قتله فمشى اليه قومه من مضر فقالوا أصلح الله الامير لسان مضر وشاعرها هبه لنا فوهبه لهم (وكانت هند) بنت اسماء زوج الحجاج ممن طالبه فقالت للحجاج أتأذن لجرير علي يوما أستنشده من وراء حجاب فقال لها نعم فأمرت بمجلس لها فهيئ فجلست فيه والحجاج معها ثم بعثت الى جرير فدخل عليها يسمع كلامها ولا يراها فقالت يا ابن الخطفى أنشدني ما شببت به في النساء فقال لها ما شببت بامرأة قط ولا خلق الله شيأ هو أبغض الى من النساء قالت يا عدو الله وأين قولك

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا
وقت الزيارة فارجعي بسلام

التبيبي كثيرا وهو أول من حدث عنه في حياة الحافظ أبي الطاهر السلفي اذ قدم عليهم تلمسان وأجازه الحافظ السهيلي وابن خلف الحافظ وغيرهما ولد بعد الخمسين والخمسمائة وتوفي بمراكش سنة ٦٣٧ رحمه الله تعالى انتهى ملخصا (رجع) ولما ثارت الاندلس على طائفة عبد المؤمن كان الوالي بجزيرة ميورقة أبو يحيى بن أبي عمران التيملي فأخذها الفرنج منه كذا قال ابن سعيد وقال ابن الابار انها أخذت يوم الاثنين الرابع عشر من صفر سنة سبع وعشرين وستمائة انتهى وقال المخزومي في تاريخ ميورقة ان سبب أخذها من المسلمين ان أميرها في ذلك الوقت محمد بن علي بن موسى كان في الدولة الماضية أحد أعيانها وواليها سنة ست وستمائة واحتاج الى الخشب المجلوب من يابسة فأنفذ طريدة تجرية وقطعة حربية فعلم بها والي طرطوشة فجهز اليها من أخذها فعظم ذلك على الوالي وحدثت نفسه بالغزو لبلاد الروم وكان ذلك رأيا مشؤوما ووقع بينه وبين الروم وفي آخر ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين وستمائة بلغه ان مشطعا من برشلونة ظهر على يابسة ومركبا آخر من طرطوشة انضم اليه فبعث ولده في عدة قطع اليه حتى نزل في مرسى يابسة ووجد فيه لاهل جنوة مركبا كبيرا فأخذه وسار حتى أشرف على المشطع فقاتله وأخذه وظن أنه غالب الملوك وغاب عنه انه أشأم من عاقر الناقة وأن الروم لما بلغهم الخبر قالوا الملكهم وهو من ذرية اذفونش كيف يرضى الملك بهذا الامر ونحن نقاتل بنفوسنا وأموالنا فأخذ عليهم العهد بذلك وجمع عشرين ألفا من اهل البلاد وجهز في البحر ستة عشر ألفا وشرط عليها حمل السلاح * وفي سنة ست وعشرين وستمائة اشتهر أمر هذه الغزوة فاستعد لها الوالي وميز نيفا على ألف فارس ومن فرسان الحضر والرعية مثلهم ومن الرجالة ثمانية عشر ألفا وذلك في شهر ربيع الاول من السنة ومن سوء الاتفاق أن الوالي أمر صاحب شرطته أن يأتيه باربعة من كبراء المصر فساقهم وضرب أعناقهم وكان فيهم ابنا خاله وخالهما أبو حفص بن سيري ذو المكانة الوجيهة فاجتمعت الرعية الى ابن سيري فأخبروه بما نزل وعزوه فيمن قتل وقالوا هذا أمر لا يطاق ونحن كل يوم الى الموت نساق وعاهدوه على طلب الثار وأصبح الوالي يوم الجمعة منتصف شوال والناس من خوفه في أهوال ومن أمر العدو في اهمال فأمر صاحب شرطته باحضار خمسين من أهل الوجاهة والنعمة فأحضرهم واذا بفارس على هيئة النذير دخل الى الوالي وأخبره بان الروم قد أقبلت وانه عد فوق الاربعين من القلوع وما فرغ من اعلامه حتى ورد آخر من جانب آخر وقال ان اسطول العدو قد تظاهر وقال انه عد سبعين شراعا فصح الامر عنده فسمح لهم بالصفح والعفو وعرفهم بخبر العدو وأمرهم بالتجهز فخرجوا الى دورهم كالمنشورين من قبورهم ثم ورد الخبر بان العدو قرب من البلد فانهم عدوا مائة وخمسين قلعا ولما عبر وقصد المرسى أخرج الوالي جماعة تمنعهم النزول فباتوا على المرسى في الرجل والخيل وفي الثامن عشر من شوال وهو يوم الاثنين وقع المصاف وانهزم المسلمون وارتحل النصارى الى المدينة ونزلوا منها على الحربية الحزنية من جهة باب الكحل ولم يزل الامر في شدة وقد أشرفوا على أخذ البلد ولما رأى ابن سيري أن العدو قد استولى على البلد خرج الى البادية ولما كان يوم الجمعة الحادي عشر من صفر

سرت الهموم فبتن غير نيام * وأخو الهموم يروم كل مرام قال ما قلت هذا ولكني أنا الذي أقول

لقد جردا لحجاج للحق سيفه * من سد مطلع النفاق عليهم

الا فاستقيموا لا يميلن مائل * أم من يصول كصولة الحجاج

ومايستوي داعي الضلالة والهدى * قاتلوا

ولا حجة الخصمين حق وباطل

قالت دع عنك هذا فأين قولك

خليلي لا تستغزرا الدمع في هند

أعيذكما بالله أن تجدا وجدي

ظمئت الى شرب الشراب وحسنه

كذي غربة يرجو هداها ومايجدي

قال لها ما قلت هذا ولكني أنا الذي أقول

ومن يأمن الحجاج أما عقابه * فمر وأما عقده فوثيق

يسر لك البغضاء كل منافق * كما كل ذي بر عليك شفيق

قالت دع عنك هذا فاين قولك

ياعاذلي دعا الملامة واقصرا * طال الهوى وأطلتما التفنيدا

اني وجدت ولو أردت زيادة * في الحب عندي ماوجدت مزيدا

فقال باطل أصلحك الله ولكني أنا الذي أقول

قاتلوا البلد قتالا شديدا ولما كان يوم الاحد أخذ البلد وأخذ منه أربعة وعشرون ألفا قتلوا على دم واحد وأخذ الوالى وعذب وعاش بعد ذلك خمسة وأربعين يوما ومات تحت العذاب وأما ابن سيرى فانه صعد الى الجبل وهو منيع لا ينال من تحصن فيه وجمع عنده ستة عشر الف مقاتل وما زال يقاتل الى أن قتل يوم الجمعة عاشر ربيع الآخر سنة ثمان وعشرين وستمائة وجد من آل جيلة بن الايهم الغسانى وأما الحصون فاخذت فى آخر رجب سنة ثمان وعشرين وستمائة وفى شهر شعبان لحق من نجا من المسلمين الى بلاد الاسلام انتهى ماذكره ابن عميرة المخزومى ملخصا * وكان بميورقة جماعة أعلام وشعراء ومن شعرا بن عبد الولى الميورقى

هل أمان من لحظك الفتان * وقوام يميل كالخيزران
مهجتى منك فى جحيم ولكن * جفونى قد متعت فى جنان
فتنتنى لواحظ ساحرات * لست أخشى من فتنة الشيطان

ولما استولى النصارى على ميورقة فى التاريخ المتقدم ثار بجزيرة ميورقة وهى قريبة منها الجواد العادل العالم أبو عثمان سعيد بن حكم القرشى وكان واليها من قبل الوالى أبى يحيى المقتول وتصالح مع النصارى على ضريبة معلومة واشترط أن لا يدخل جزيرته أحد من النصارى وضبطها أحسن ضبط قال أبو الحسن على بن سعيد أخبرنى أحد من اجتمع به أنه لقى منه براجب اليه الاقامة فى تلك الجزيرة المنقطعة وذكر أنه ركب معه فنظر الى حمالة سيف ضيقة قد أثرت فى عنقه فأمر له باحسان وغنباز وكتب معه

حمالة السيف توهى جيد حاملها * لاسيما يوم اسراع وانجاز
وخير ما استعمل الانسان يومئذ * لحسم علتها الباس غنباز

والغنباز عند أهل المغرب صنف من الملبوس غليظ يستر العنق * وأصل أبى عثمان من مدينة طابيرة من غرب الاندلس وقد ألفت باسمه التآليف المشهورة بالمغرب ككتاب روح الشعر وروح الشعر وغيره * وأخذ العدو ميورقة بعد مدة * وأخذ العدو جزيرة شقر صلحا سنة تسع وثلاثين وستمائة فى آخرها * وأخذ العدو دمره الله تعالى مدينة سرقسطة يوم الاربعاء لاربع خلون من رمضان سنة اثنتى عشرة وخمسمائة * وكان استيلاء الافرنج على شرق الاندلس شاطبة وغيرها واجلاؤهم من بشاركم من المسلمين فيما تغلبوا عليه منها فى شهر رمضان سنة خمس وأربعين وستمائة * وكان استيلاء العدو دمره الله تعالى على مدينة قرطبة يوم الاحد الثالث والعشرين من شوال سنة ست وثلاثين وستمائة * وكان تملك العدو مرسية صلحا ظهر يوم الخميس العاشر من شوال قدم أحمد بن محمد بن هود ولد والى مرسية بجماعة من وجوه النصارى فملكهم اياها صلحا ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم * وحصر العدو اشبيلية سنة خمس وأربعين وستمائة * وفى يوم الاثنين الخامس من شعبان المذكور سنة بعدها ملكها الطاغية صاحب قشتالة صلحا بعد منازلتها حولا كاملا وخمسة أشهر أو نحوها * وقال ابن الابار فى ترجمة أبى على الشلوبين من التكملة ما صورته وتوفى بين يدى منازلة الروم اشبيلية ليلة الخميس منتصف صفر سنة خمس وأربعين وستمائة وفى العام القابل ملكها الروم

أم من يعار على النساء حفيظة
اذ لا يثق بغيرة الازواج
هذا ابن يوسف فافهموا
وتفهموا
برح الخفاء وليس حيث
يفاجى
فلرب ناكث بيعتين تركته
وخضاب لحيته دم الاوداج
فقال الحجاج ياعدو الله
تحرض على النساء فقال
لا والذى أكرمك أيها
الامير ما فطنت لهذا البيت
قبل ساعتى هذه وما علمت
بمكانك فاقلنى جعلنى الله
فداك فقد فعلت فأمرت له
بجارية وكسوة وأوفده
الحجاج على عبد الملك ولما
انهزم بن الاشعث بدير
الجماجم حلف الحجاج أن
لا يؤتى باسير الا ضرب عنقه
فاتى باسرى كثير وكان
أول من أتى به اعشى
همدان الشاعر وهو أول
من خلع عبد الملك والحجاج
بين يدى ابن الاشعث
بسجستان فقال له الحجاج
ايه أنت القائل
من مبلغ الحجاج أنى قد جنيت
عليه حربا
ووضعت فى كفى امرئ
جلدا اذا ما لامرئ جلد

انتهى * وكانت وقعة أنيجة التي قتل فيها الحافظ أبو الربيع الكلاعي رحمه الله تعالى يوم الخميس لعشر بقين من ذي الحجة سنة أربع وثلاثين وستمائة ولم يزل رحمه الله تعالى متقدما أمام الصفوف زحفا الى الكفار مقبلا على العدو ينادي بالمنهزمين أعن الجنة تفرون حتى قتل صابرا محتسبا برد الله تعالى مضجعه وكان دائما يقول ان منتهى عمره سبعون سنة لرؤيا رآها في صغره فكان كذلك ورثاه تلميذه الحافظ أبو عبد الله بن الابار بقصيدته الميمية الشهيرة التي أولها

أما باشلاء العلا والمكارم * تقد بأطراف القنا والصوارم
وعوجا عليها مأربا ومغازة * مصارع خصت بالطلى والجماجم
تحيي وجوها في الجنان وجيهة * مجاسد من نسج الظبا واللهازم

وهي طويلة ومن شعر الحافظ أبي الربيع المذكور

توالت ليال للغواية جون * وفي صباح للرشاد مبين
ركاب شباب أزمعت عنك رحلة * وجيش مشيب جهزته منون
ولا أكذب الرحمن فيما أجنه * وكيف ولا يخفى عليه جنين
ومن لم يخل أن الرياء يشينه * فمن مذهبي أن الرياء يشين
لقد ريع قلبي للشباب وفقده * كما ريع بالعلق الفقيد ضنين
وآلمني وخط المشيب بلمتي * فغطت بقلبي للشجون فنون
وليل شبابي كان أنضر منظرا * وآنق مهما الاحظته عيون
فآها على عيش تكدر صفوه * وأنس خلا منه صفا وحنون
ويا ويح نفسي أو فؤادي كلما * تزيد شيبي كيف يعديكون
حرام على قلبي سكون بغرة * وكيف مع الشيب الممض سكون
وقالوا شباب المرء شعبة جنة * فمالي عراني للشباب جنون
وقالوا اشتعال الشيب حدثان ما أتى * ولم يعلموا أن الحديث شجون

وقال أيضا

أمولي الموالي ليس غيرك لي مولى * وما أحد يا رب منك بذا أولى
تباركت وجه وجهت نحوه المنى * فاوزعها شكرا وأوسعها طولا
وما هو الا وجهك الدائم الذي * أقل حلى عليائه يخرس القولا
تبرأت من حولي اليك وقوتي * فكن قوتي في مطلبي وكن الحولا
وهبلي الرضا مالي سوى ذاك مبتغى * ولو لقيت نفسي على نيله الهولا

وكان رحمه الله تعالى حافظا للحديث مبرزا في نقده تام المعرفة بطرقه ضابطا لاحكام أسانيده ذاكرا للرجال ربان من الادب خطب يبلنسية واستقضي وكان مع ذلك من أولي الحزم والبسالة والاقدام والجزالة حضر الغزوات وباشر القتال بنفسه وابلى بلاء حسنا وروى عن أبي القاسم بن حبيش وطبقته وصنف كتابا سماه مصباح الظلم في الحديث والاربعون عن أربعين شيخا الاربعين من الصحابة والاربعون السباعية والسباعيات من حديث

يجلى بك الرحمن كربا نبئت أن بني بو
سف خر من زاق فتبا وهي أبيات وأنت القائل
شطت نوى من داره الايوان ايوان كسرى من قوى الريحان
من عاشق أمسى برام الكسان ان ثقيفا منهم الكذابان
كذابها الماضي وكذاب ثان
أمكن ربي من ثقيف همدان
يوما من الليل يسلي ما كان وأنت القائل
وسألتماني المجد أين محله فالمجد بين محمد وسعيد
بين الاشج وبين قيس باذخ
يخر لوالده وللاولود
قال لا ولكني الذي أقول
أبى الله الا أن يتم نوره
ويطفئ نور الفقعسين فيخمدا
وينزل ذلا بالعراق وأهله
بما نقضوا العهد الوثيق المؤكدا
وما أحدثوا من بدعة وضلالة
من القول لم يصعد الى ذروة العدا
قال لسنا نحمدك على هذا القول انما قلته
تأسفا على أن لا تكون ظفرت وتحرضا لاصحابك وليس عن هذا سألتك أخبرني عن قولك

الصدفي وحلية الأمالي في الموافقات والعوالي وتحفة الوارد ونجعة الوراد والمسلسلات والابتهادات وكتاب الاكتفاء في مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم ومغازي الثلاثة الخلفاء وميدان السابقين وحلبة الصادقين المصدقين في غرض كتاب الاستيعاب ولم يكمله والمعجم فيمن وافقت كنيته زوجه من الصحابة والاعلام "باخبار البخاري الامام والمعجم في مشيخة أبي القاسم بن حبيش وبرنامج رواياته وجنى الرطب في سني الخطب ونكتة الامثال ونفثة السحر الحلال وجهد النصيح في معارضة المعري في خطبة الفصيح والامتثال لمثال المبهج في ابتداع الحكم واختراع الامثال ومفاوضة القلب العليل ومنابذة الامل الطويل بطريقة المعري في ملقى السبيل ومجازفتي اللحن للاحن الممتحن ماتة مسئلة ملغزة ونتيجة الحب الصميم وزكاة المنثور والمنظوم في مثال النعل النبوية على لابسها الصلاة والسلام قال ابن رشيد لو قال وزكاة النثير والنظيم لكان احسن وله كتاب الصحف المنشره في القطع المعشره وديوان رسائل سفر وديوان شعره سفر وكتب الى الاديب الشهير أبي بحر صفوان بن ادريس المرسي عقب انفصاله من بلنسية

نة ٥٨٧

أحن الى نجد ومن حل في نجد * وماذا الذي يغني حنيني أو يجدي
وقد أوطنوها وادعين وخلفوا * محبهم رهن الصبابة والوجد
تبين بالبين اشتياقي اليهم * ووجدي فساوى ما أجن الذي أبدي
وضاقت علي الارض حتى كأنها * وشاح بخصر أو سوار على زند
الى الله أشكو ما ألاقي من الجوى * وبعض الذي لاقيته من جوى يردي
فراق أخلاء وصد أحبة * كأن صروف الدهر كانت على وعد
فيا سرحتى نجد ندامتي * له ابدا شوق الى سرحتي نجد
ظمئت فهل ظل يبرد لوعتي * ضحيت فهل ظل يسكن من وجدي
ويا زمنا قد بان غير مذمم * لعل لانس قد تصرم من رد
ليالي نجني الانس من شجر المنى * ونقطف زهر الوصل من شجر الصد
وسقيا لاخوان باكناف حاجر * كرام السجايا لا يحولون عن عهد
وكم لي بنجد من سري معهد * ولا كابن ادريس أخي البشر والمجد
أخوهمة كالزهر في بعد نيلها * وذو خلق كالزهر رغب الحيا الغمد
تجمعت الاضداد فيه جيدة * فمن خلق سبط ومن حسب جعد
أيا راحلا أودى بصبري رحيله * وقلل من عزمي وثلم من حدي
أتعلم ما يلقى الفؤاد لبعدكم * الا مذ نأيتم ما يعيد ولا يبدي
فيا ليت شعري هل تعود لنا المنى * وعيشا كما غنمت حاشيتي برد
عسى الله أن يدني السرور بقربكم * فيسدو ومنا الشمل منتظم العقد

انتهى * وقال الحافظ القاضي أبو بكر بن العربي في أحكام القرآن عند تفسير قوله تعالى انفروا خفافا وثقالا ما صورته ولقد نزل بنا العدو قصمه الله تعالى سنة سبع وعشرين

من أخبار عبد الملك والحجاج وقد أتينا على مبسوط هذه الاخبار مما ورد في هذا الكتاب في كتابنا أنباء الزمان

أمكن ثقيفا من همدان ولم يمكن همدان من ثقيف وعن قولك بين الاشج وبين قيس باذخ

يخ لوالده وللمولود والله لا تبخع لاحد بعدها وأمر به فضربت عنقه ولم يزل يؤتى برجل رجل حتى أتي برجل من بني عامر وكان من فرسان الحجاج مع ابن الاشعث فقال له والله لاقتلنك شر قتلة قال والله ما ذلك لك قال ولم قال لان الله يقول في كتابه العزيز فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب أوزارها وأنت قد قتلت فاثخنت وأسرت فاثخنت فاما أن تمن علينا أو تفدينا عشائرنا فقال له الحجاج أكفرت قال نعم وغيرت وبدلت قال خلوا سبيله ثم أتي برجل من ثقيف فقال له الحجاج أكفرت قال نعم قال الحجاج لكن هذا الذي خلفك ليكفر وخلفه رجل من السكون قال السكوني أحسن نفضي نخاعه والله لو كان شئ أشد من الكفر ليؤتينه نخلي سبيله ما فهمنه سهل

ونحسا ثقة فاس ديارنا وأسر جيرتنا وتوسط بلادنا في عدد حدد الناس عنده فكان كثيرا وان لم يبلغ ما حدوده فقلت للوالي والمولى عليه هذا عدو الله قد حصل في الشرك والشبكة فلتكن عندكم بركه ولتكن منكم الى نصرة الدين المتعينة عليكم حركه فليخرج اليه جميع الناس حتى لا يبقى منهم أحد في جميع الاقطار فيحاط بهم فانه هالك لا محالة وان يسر كم الله له فغلبت الذنوب ورجحت بالمعاصي القلوب وصار كل أحد من الناس تعلبا ياوي الى وجاره وان رأى المكيدة بجاره فانا لله وانا اليه راجعون وحسبنا الله ونعم الوكيل انتهى *ولا خفاء أن هذا كان قبل أخذ العدو الجزيرة وشرق الاندلس وسرقسطة وميورقة وغيرها مما قدمنا ذكره والبدايات عنوان النهايات * وقال أبو جعفر الوقشي البلنسي نزيل مالقة يمدح أمير المؤمنين يوسف ابن أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي

أبت غير ماء بالنخيل ورودا * وهامت به عذب الجمام برودا
وقالت لحاديها أتم زيارة * على العشر في وردي له فازيدا
غلبتك ما هذا القنوع وبانا * عهدتك لا تثنين عنه وريدا
أنونا اذا ما كنت منه قريبة * وضبا اذا ما كان عنك بعيدا
ردي حضرة الملك الظليل رواقه * لعمري ففيها تحمدين ورودا
بحيث امام الدين يوسع فضله * جميع البرايا مبدئا ومعيدا
أعاد اليها الانس بعد شروده * وأحيا لنا ما كان منه أبيدا
ولين أيام الزمان بعدله * وكانت حديدا في الخطوب حديدا
فلا ليلة الا يروقك حسنها * ولا يوم الا عاد يفضل عيدا

ومنها يصف حال الاندلس ويبعث على الجهاد

ألا ليت شعري هل يعدن لي المدى * فابصر شمل المشركين طريدا
وهل بعد يقضي في النصارى بنصرة * تغادرهم للرهفات حصيدا
ويغزو أبو يعقوب في شنت ماقب * يعد عيد الكافرين عميدا
ويلقى على افرنجهم عبء كلكل * فيتركهم فوق الصعيد هجودا
يغادرهم جرحى وقتلى مبرحا * ركوعا على وجه الفلا وسجودا
ويفتك من أيدي الطغاة نواعما * تبدلن من نظم الحجول قيودا
وأقبلن في خشن المسوح وطالما * سحبن من الوشي الرقيق برودا
وغبر منهن التراب ترائبا * وخد دمنهن العبير خدودا
فحق لدمعي أن يفيض لا ترق * تملكها دمع المدامع سودا
ويا لهف نفسي من معاصم طفلة * تجاور بالقد الاليم نهودا
ويا أسفي ما ان يزال مرددا * على شمل أعياد أعيد بديدا
وآها بعد الصوت منتحبا على * خلود يار لو يكون مفيدا

وقال في آخرها وهو مما استحسنه الناس

حملت اليه من ظلامي قلادة * يلقبها أهل الكلام قصيدا

والاوسط التالي له الذي ما قدمنا من الشرط فيما سلف من هذا الكتاب وبالله العون والقوة

(ذكر أيام الوليد بن عبد الملك)

بويع الوليد بن عبد الملك بدمشق في اليوم الذي توفي فيه عبد الملك وتوفي الوليد بدمشق للنصف من جمادى الآخرة من سنة ست وتسعين فكانت ولايته تسع سنين وثمانية أشهر وليلتين وهلك وهو ابن ثلاث وأربعين سنة وكان يكنى بابي العباس

(ذكر لمع من أخباره وسيره وما كان من الحجاج في أيامه)

كان الوليد جبارا عنيدا ظلوما غشوما وخلف من الولد أربعة عشر ذكرا منهم يزيد وعمرو ويسر العالم والعباس وكان يدعى فارس بني مروان لشهامته فعدل الوليد بالامر عن ولده بعده اتباعا لوصية عبد الملك على حسب ما رتبها وكان نقش خاتمه يا وليد انك ميت فكان كلما هم أن يجعل الامر في ولده قلب القصب فقرأ انك ميت فيقول لاها الله لا خالفت فيما أمر به اني لميت وفي سنة تسع وثمانين ابتدأ الوليد ببناء المسجد الجامع بدمشق ومسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فأنفق عليهما غدت

قصدت يوم انشاد القريض وحيدة * كما قصدت فى المعلوات وحيدا

ولما عهدت الاندلس لعبد المؤمن وبنيه كان لهم فيها وقائع مع عدو الدين واجتاز اليها عبد المؤمن ثم لما ولى بعده ملكه ابنه يوسف دخل الاندلس سنة ٦٦٥ وفى صحبته مائة ألف فارس من المغرب والموحدين فنزل باشبيلية فخافه الامير أبو عبد الله محمد بن سعد بن مردنيش صاحب شرق الاندلس مرسية وأعمالها وما انضاف اليها فحمل على قلبه فرض فات وشرع السلطان يوسف فى استرجاع بلاد المسلمين من أيدى الفرنج فاتسعت مملكته بالاندلس وأغارت سراياه على طليطلة اذهى قاعدة ملكهم ثم انه حاصرها فاجتمعت طائفة الفرنج عليه واشتد الغلاء فى عسكره فرحل عنها وعاد الى حضرة ملكه مراكش المحروسة ولم يزل أهل الاندلس بعد ظهور النصارى دمرهم الله تعالى على كثير منها يستنهضون عزائم الملوك والسوقة لاخذ الثار بالنظم والنثار فلم ينفعهم ذلك حتى اتسع الخرق واعضل الداء أهل الغرب والشرق فمن القصائد الموجهة فى ذلك قول بعضهم لما أخذت بلنسية يخاطب صاحب افريقية أبا زكريا عبد الواحد بن أبى حفص

نادت أندلس فلب نداءها * واجعل طواغيت الصليب فداءها
صرخت بدعوتك العلية فأجبها * من عاطفاتك ما يقى حوباءها
واشدد بجلبك جرد خيلك أزرها * تردد على أعقابها أرزاءها
هى دارك القصوى أوت لابالة * ضمنت لهامع نصرها ايواءها
وبها عبيدك لابقاء لهم سوى * سبل الضراعة يسلكون سواءها
خلعت قلوبهم هنالك عزاءها * لما رأت أبصارهم ماساءها
دفعوا الابكار الخطوب وعونها * فهم الغداة يصابرون عناءها
وتنكرت لهم الليالى فاقتضت * سراءها وقضتهم ضراءها
تلك الجزيرة لابقاء لها اذا * لم يضمن الفتح القريب بقاءها
رش أيها المولى الرحيم جناحها * واعقد بارشية النجاة رشاءها
أشفى على طرف الحياة ذماؤها * فاستبق للدين الحنيف ذماءها
حاشاك أن تفنى حشاشتها وقد * قصرت عليك نداءها ورجاءها
طافت بطائفة المدى آمالها * ترجو بيحيى المرتضى احياءها
واستشرفت أمصارها لامارة * عقدت لنصر المستضام لواءها
ياحسرتى لعقائل معقولة * سئم المدى نحو الضلال هداءها
أبه بلنسية وفى ذكراك ما * يمرى الشؤن دماءها لاماءها
كيف السبيل الى احتلال معاهد * شب الاعاجم دونها هيجاءها
والى ربا وأباطح لم تعر من * حلل الربيع مصيفها وشتاءها
طاب المعرس والمقيل خلالها * وتطلعت غرر المنى أثناءها
بأبى مدارس كالطلول دوارس * نسخت نواقيس الصليب نداءها
ومصانع كسف الضلال صباحها * فيظاله الراقى اليه مساءها

وحكى عثمان بن مرة الحولانى قال لما ابتدأ الوليد بنيانه مسجد دمشق وجد فى حائط المسجد لوح من حجارة فيه كتابة باليونانية فعرض على جماعة من أهل الكتاب فلم يقدروا على قراءته فوجه به الى وهب بن منبه فقال هذا مكتوب فى أيام سليمان بن داود عليهما السلام فقرأه فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم يا ابن آدم لو عاينت ما بقى من يسير أجلك لزهدت فيما بقى من طول أملك وقصرت من رغبتك وحيلك وانما تلقى ندمك اذا زلت بك قدمك وأسلمك أهلك وانصرف عنك الحبيب وودعك القريب ثم صرت تدعى فلا تجيب فلا أنت الى أهلك عائد ولا فى عملك زائد فاغتنم الحياة قبل الموت والقوة قبل الفوت وقبل أن يؤخذ منك بالكظم ويحال بينك وبين العمل وكتب زمن سليمان بن داود فأمر الوليد أن يكتب بالذهب على اللازورد فى حائط المسجد بنا الله لا نعبد الا الله أمر ببنا هذا المسجد وهدم الكنيسة التى كانت فيه عبد الله الوليد أمير المؤمنين فى ذى الحجة سنة سبع وثمانين وهذا الكلام مكتوب بالذهب فى مسجد دمشق الى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ووفد الحجاج

وقوس عربية فقال له
الوليد اركب يا أبا محمد
فقال دعني يا أمير المؤمنين
استكثر من الجهاد فان
ابن الزبير وابن الاشعث
شغلاني عنك فعزم عليه
الوليد حتى ركب ودخل
الوليد داره وتفضل في
غلالة ثم أذن للحجاج
فدخل عليه في حاله تلك
وأطال الجلوس عنده فبينما
هو يحادثه اذ جاءت جارية
فسارت الوليد ومضت ثم
عادت فسارته ثم انصرفت
فقال الوليد للحجاج أتدري
ما قالت هذه يا أبا محمد قال
لا والله قال بعثتها الى ابنة
عمي أم البنين بنت عبد العزيز
تقول ما بجالستك لهذا
الاعرابي المتسلح في السلاح
وأنت في غلالة فارسلت
اليها انه الحجاج فراعها
ذلك وقالت والله ما أحب
أن يخلو بك وقد قتل
الخلق فقال الحجاج يا أمير
المؤمنين دع عنك مفاكهة
النساء وزخرف القول فانما
المرأة ريحانة وليست
بقهرمانة فلا تطلعهن
على سرك ولا مكايدة
عدوك ولا تطلعهن في غير
أنفسهن ولا تشاورهن
بأكثر من فريضتهن واياك
ومشاورتهن في الامور فان
رأيهن الى أفن وعزمهن الى وهن واكفف عليهن من أبصارهن بحجبك ولا تملكهن الواحدة بستهن من صدق

ناحت بها الورقاء تسمع شدوها * وغدت تريح نوحها وبكاءها
عجبا لاهل النار حلوا جنة * منها تمد عليهم أفياءها
أملت لهم فتعجلوا ما أملوا * أيامهم لا سوغوا املاءها
بعدا لنفس أبصرت اسلامها * فتوكفت عن حزبها اسلاءها
أما العلوج فقد أحالوا حالها * فمن المطيق علاجها وشفاءها
أهدى اليها بالمكاره جارح * للكفر كره ماءها وهواءها
وكفى أسى أن الفواجع جمة * فمتى يقاوم أسوها أسواءها
هيهات في نظر الامارة كفها * تخشاه ليث الشرى كان كفاءها
مولاي هاك معادة أبناءها * لتنيل منك معادة أبناءها
جرد ظبالك لمحو آثار العدا * تقتل ضراغمها وتسب ظباءها
واستدع طائفة الامام لغزوها * تسبق الى أمثالها استدعاءها
لا غرو أن يعزى الظهور لسلة * لم يبرحوا دون الورى ظهراءها
ان الاعاجم للاعارب نهبة * مهما أمرت بغزوها أحياءها
تالله لو بست لها أدبابها * لطوت عليها أرضها وسماءها
ولو استقلت عوفها لقتالها * لاستقبلت بالمقربات عفاءها
أرسل جوارحها تجثك بصيدها * صيدا وناداطعنها أرحاءها
هبوا لها يا معشر التوحيد قد * آن المبوب وأحرزوا علياءها
ان الحفائظ من خلالكم التي * لا يرهب الداعي بهن خلاءها
هي نكتة المحيا فهيا لابها * تجدوا سناها في غد وسناءها
أولوا الجزيرة نصرة ان العدا * تبغي على أقطارها استيلاءها
نقصت بأهل الشرك من أطرافها * فاستحفظوا بالمؤمنين غناءها
حاشاكم أن تضمروا الغاءها * في أزمة أو تضمروا اقصاءها
خوضوا اليها بحرها يصح لكم * رهواوجوبوا نحوها بيداءها
وافى الصريخ مثوبا يدعولها * فاجعلوا قصدا الثواب ثواءها
دار الجهاد فلا تفتكم ساحة * ساوت بها أحياؤها شهداءها
هذي رسائلها تناجي بالشجى * وقفت عليها رينها ونجاءها
ولرعا أنهت سوالب للنهى * من كائنات حلت انهاءها
وفدت على الدار العزيزة تجتلي * آلاءها أو تجتلى آراءها
مستقيات من غيوث غيائها * ماوقعه يتقدم استقاءها
قد أمنت في سبلها أهواءها * اذ سوغت في ظلها أهواءها
وبحسبها أن الامير المرتضى * مترقب بفتوحها آناءها
في الله ما ينوبه من ادراكها * بكلاءة يغدي أبي اكلاءها
بشرى لاندلس تحب لقاءه * ويحب في ذلك الالا لقاءها

صدق الرواة المخبرون بأنه * يشفي ضناها أو يعيد رواءها
ان دوّخ العرب الصعاب مقادة * وأبى عليها أن تطيع اباءها
فكأن بغداد العرمرم فالقا * هام الاعاجم ناسفا أرجاءها
أنذرهم بالبطشة الكبرى فقد * نذرت صوارمه الرقاق دماءها
لا يعتدم الزمن انتصار مؤيد * تتسوّغ الدنيا به سراءها
ملك أمدّ النسيرين بنوره * وأفاده لألؤه لألاءها
خضعت جبابرة الملوك لعزه * ونضت بكف صغارها خيلاءها
أبقى أبو حفص امارته له * قسما اليها حامسلا أعباءها
سل دعوة المهدي عن آثاره * تنبيك أن ظباه قمن ازاءها
فغزا عداها واسترق رقابها * وحمى حماها واسترد بهاءها
قبضت يداه على البسيطة قبضة * قادت له في قدّه امراءها
فعلى المشارق والمغارب ميسم * لمداه شرف وسمه أسماءها
تلمو بتونسها بحار جيوشه * فيزور زاخر موجها زوراءها
وسع الزمان فضاق عنه جلالة * والارض طراضنكها وفضاءها
ما أزمع الايغال في اكنافها * الا تصيد عزمه زعماءها
دانت له الدنيا وشم ملوكها * فاحتل من رتب العلاء شماءها
ردت سعادته على أدراجها * ليل الزمان ونهنهت علداءها
ان يعتم الدول الغزيرة بأسه * فالآن يولي جوده اعطاءها
تقع الجلائل وهو راس راسخ * فيها يوقع للسعود جلاءها
كالطود في عصف الرياح وقصفها * لا رهوها يخشى ولا هوجاءها
سامي الذوائب في أعز ذؤابة * أعلت على قمم النجوم بناءها
بركت بكل محلة بركاته * شفعا يبادر بذلها شفعاءها
كالغيث صب على البسيطة صوبه * فسقى عمائرها وجاد قواءها
يغنيه عبد الواحد الارضي الى * عليا فنجح بأسها وسخاءها
في تبعة كرمت وطابت مغرسا * وسمت وطالت نضرة نظراءها
ظهرت لمحتدها السماء وجاوزت * لسرادقات فخارها جوزاءها
فئة كرام لا تكف عن الوغى * حتى تصرع حولها أكفاءها
وتكب في نار القرى فوق الذرا * من عزة الويها وكباءها
قد خلقوا الايام طيب خلائق * فثنت اليهم حمدها وثناءها
ينضون في طلب النفائس أنفسا * حبسوا على احرازها امضاءها
واذا انتضوا يوم الكريهة بيضهم * أبصرت فيهم قطعها ومضاءها
لا عذر عند المكرمات لمعتي * لم يستبن لمعاتكم عذراءها
قوم الامير فمن يقوم بحالهم * من صالحات ألفت شعراءها

فان ذلك أوفر لعقلك وأبين لفضلك ثم نهض الحجاج فخرج ودخل الوليد على أم البنين فأخبرها بمقالة الحجاج فقالت يا أمير المؤمنين أحب ان تأمره غدا بالتسليم علي فقال أفعل فلما غدا الحجاج على الوليد قال له يا أبا محمد سر الى أم البنين فسلم عليها فقال اعفني من ذلك يا امير المؤمنين فقال لابد من ذلك فمضى الحجاج اليها فحبسته طويلا ثم أذنت له فاقرته قائما ولم تأذن له في الجلوس ثم قالت ايه يا حجاج أنت الممتن على أمير المؤمنين بقتل ابن الزبير وابن الاشعث أما والله لولا أن الله جعلك أهون خلقه ما ابتلاك بربي الكعبة ولا بقتل ابن ذات النطاقين وأول مولود ولد في الاسلام وأما ابن الاشعث فقد والله والى عليك الهزائم حتى لذت بامير المؤمنين عبد الملك فاغاثك بأهل الشام وأنت في أضيق من القرن فأظلتك رماحهم وانجاك كفاحهم ولولا ذلك لكنت أذل من النقد وأما ما اشرت به على أمير المؤمنين من ترك لذاته والامتناع من بلوغ أوطاره من نسائه فان كن يتفرجن عن مثل ما

انفرجت به عنك أمثفا أحقه بالاختصاص والقبول منك وان كن يتفرجن عن مثل أمير المؤمنين فانه غير قابل منك ولا مصغ

أسد على وفى الحروب نعامة
فتخاء تفزع من صفير الصافر
هلا برزت الى غزالة فى الوغى
بل كان قلبك فى جناحى طائر

صفحا جميلا أيها الملك الرضى * عن محكمات لم نطق احصاءها
تقف القوافى دونهن حسيرة * لاعيا تخفى ولا اعياءها
فلعل عليا كم تسامح راجيا * اصفاءها ومؤملا اغضاءها

ومن ذلك قول بعضهم يندب طليطلة أعادها الله تعالى للاسلام

اشكلك كيف تبتسم الثغور * سرورا بعدما بئست تغور
اما وأبى مصاب هد منه * تبير الدين فانصدع الثبور
لقد قصمت ظهور حين قالوا * أمير الكافرين له ظهور
ترى فى الدهر مسرورا بعيش * مضى عنا لطيلته السرور
أليس بها أبيّ النفس شهم * يدير على الدوائر اذ تدور
لقد خضعت رقاب كنّ غلبا * وزال عتوها ومضى النفور
وهان على عزيز القوم ذل * وساح فى الحريم فتى غيور
طليطلة أباح الكفر منها * حماها ان ذا نبأ كبير
فليس مثالها ايوان كسرى * ولا منها الخورنق والسدير
محصنة محسنة بعيد * تناولها ومطلبها عسير
ألم تك معقلا للدين صعبا * فذلله كما شاء القدير
وأخرج أهلها منها جميعا * فصاروا حيث شاء بهم مصير
وكانت دار ايمان وعلم * معالمها التى طمست تنير
فعادت دار كفر مصطفاة * قد اضطربت بأهليها الامور
مساجدها كنائس أى قلب * على هذا يتمر ولا يطير
فيا أسفاه يا أسفاه حزنا * يكرر ما تكررت الدهور
وينشر كل حسن ليس يطوى * الى يوم يكون به النشور
اديلت قاصرات الطرف كانت * مصونات مصانعها القصور
وأدركها فتور فى انتظار * لسرب فى لواحظه فتور
وكان بنا وبالقينات أولى * لو انضمت على الكل القبور
لقد سخنت بحالتهن عين * وكيف يصح مغلوب قرير
لئن غبنا عن الاخوان انا * باحزان وأشجان حضور
نذور كان للايام فيهم * بمهلكهم فقد وفت النذور
فان قلنا العقوبة أدركتهم * وجاءهم من الله النكير
فانا مثلهم وأشد منهم * نجور وكيف يسلم من يجور
أنامن أن يحل بنا انتقام * وفينا الفسق أجمع والفجور
وأكل للحرام ولا اضطرار * اليه فيسهل الامر العسير
ولكن جرأة فى عقر دار * كذلك يفعل الكلب العقور
يزول الستر عن قوم اذا ما * على العصيان أرخيت الستور

ولما تفزع من صفير الصافر هلا برزت الى غزالة فى الوغى بل كان قلبك فى جناحى طائر أخرجنه عنى فدخل الى الوليد من فوره فقال يا أبا محمد ما كنت فيه فقال والله يا أمير المؤمنين ما سكنت حتى كان بطن الارض أحب الى من ظاهرها فضحك الوليد حتى فحص برجله ثم قال يا أبا محمد انها بنت عبد العزيز ولام البنين هذه أخبار كثيرة فى الجود وغيره وقد أتينا على ذكرها فى غير هذا الكتاب وفى سنة خمس وتسعين قبض على بن الحسين بن على بن أبى طالب فى ملك الوليد ودفن بالمدينة فى بقيع الغرقد مع عمه الحسن ابن على وهو ابن سبع وخمسين سنة ويقال انه قبض سنة أربع وتسعين وكان عقب الحسين من على بن الحسين وهو السجاد على ما ذكرنا وذو الثفنات وزين العابدين (وذكر المدائنى) قال دخل الوليد على أبيه عبد الملك عند وفاته فجعل يبكى عليه وقال كيف اصبح أمير المؤمنين فقال عبد الملك

يطول على ليلى رب خطب * يطول لهوله الليل القصير
خذوا ثار الديانة وانصروها * فقد حامت على القتلى النسور
ولا تهنوا وسلوا كل عضب * تهاب مضاربا عنه النحور
وموتوا كلكم فالموت أولى * بكم من أن تجاروا أو تجوروا
أصبرا بعد سبي وامتهان * يلام عليهما القلب الصبور
فأم الصبر مذكار ولود * وأم الصقر مقلات نزور
نخور اذا دهينا بالرزايا * وليس بعجب بقر يخور
ونجبن ليس نزأر لو شجعنا * ولم نجبن لكان لنا زئير
لقد ساءت بنا الاخبار حتى * أمات الخبرين بها الخبير
أتتنا الكتب فيها كل شر * وبشرنا بانحسنا البشير
وقيل تجمعوا الفراق شمل * طليطلة تملكها الكفور
فقل في خطة فيها صغار * يشيب لكربها الطفل الصغير
لقد صم السميع فلم يعول * على نباكما عمى البصير
تجاذبنا الاعادي باصطناع * فننجذب المخول والفقير
فباق في الديانة تحت نير * تثبطه الشويهة والبعير
وآخر مارق هانت عليه * مصائب دينه فله السعير
كفى حزنا بأن الناس قالوا * الى أين التحول والمسير
أنترك دورنا ونفر عنها * وليس لنا وراء البحر دور
ولائم الضياع تروق حسنا * نباكرها فيهجنا البكور
ونظل وارف وخرير ماء * فلا قر هنالك ولا حرور
ويؤكل من فواكهها طرى * ويشرب من جداولها الغمير
يؤدي مغرم في كل شهر * ويؤخذ كل صائفة عشور
فهم أحمى لحوزتنا وأولى * بناوهم الموالي والعشير
لقد ذهب اليقين فلا يقين * وغر القوم بالله الغرور
فلا دين ولا دنيا ولكن * غرور بالمعيشة ما غرور
رضوا بالرق بالله ما ذا * رآه وما أشار به مشير
مضى الاسلام فابك دما عليه * فما ينفي الجوى الدمع الغزير
ونح واندب رفاقا في فلاة * حيارى لا تحط ولا تسير
ولا تصبح الى سلم وحارب * عسى أن يجبر العظم الكسير
أتعمى عن مراشدنا جميعا * ومالان منهم الابصير
ونلقى واحدا ويفر جمع * كما عن قانص فرت سعير
ولو أنا ثبتنا كان خيرا * ولكن مالنا كرم وخير
اذا ما لم يكن صبر جميل * فليس بنافع عبد كثير

الوليد ثم حول وجهه عنه وأشار بالمصراع الثاني الى نسائه وهن المستعبرات (وذكر العتبي) وغيره من الاخباريين ان عبد الملك لما سأله الوليد عن خبره وهو يجود بنفسه انشأ يقول

كم عائد وجلا وليس يعوده * الا لينظر هل يراه يموت

وقيل ان عبد الملك نظر الى الوليد وهو يبكي عليه عند رأسه فقال يا هذا احنين الحمامة اذا أنامت فشمر واتزر والبس جلد نمر وضع شيفك على عاتقك فمن أبدى ذات نفسه لك فاضرب عنقه ومن سكت مات بدائه ثم أقبل عبد الملك يذم الدنيا فقال ان طويلك لقصير وان كثيرك لقليل وان كنا منك لفي غرور ثم أقبل على جميع ولده فقال أوصيكم بتقوى الله فانها عصمة باقية وجنة واقية فالتقوى خير زاد وأفضل في المعاد وهي أحصن كهف وليعطف الكبير منكم على الصغير وليعرف الصغير حق الكبير مع سلامة الصدور والاخذ بجميل الامور وايا كم والبغي والتحاسد فبهما هلك الملوك الماضون وذوو العز المكين يا بني أخوكم مسلمة نابكم الذي تفزعون عنه ومجنكم الذي تستجنون به اصدروا عن رأيه وأكرموا النجاح فانه الذي وطأ لكم هذا الامر كونوا أولادا

الارجل له رأى أصيل * بهما نحاذر نستجير
يكر اذا السيوف تناولته * وأين بنا اذا ولت كرور
ويطعن بالقنا الخطار حتى * يقول الرمح ماهذا الخطير
عظيم أن يكون الناس طرا * باندلس قتيل أو أسير
أذكر بالقراع الليث حرصا * على أن يقرع البيض الذكور
يبادر خرقها قبل اتساع * لخطب منه تخسف البدور
يوسع للذى يلقاه صدرا * فقد ضاقت بما تلقى صدور
تنغصت الحياة فلا حياة * وودع جزيرة اذ لا مجير
قليل فيه هم مستكن * ويوم فيه شر مستطير
ونرجو أن يتيح الله نصرا * عليهم انه نعم النصير

ومن مشهور ما قيل فى ذلك قول الاديب الشهير أبى البقاء صالح بن شريف الرندى رحمه الله تعالى

لكل شئ اذا ما تم نقصان * فلا يغر بطيب العيش انسان
هى الامور كما شاهدتها دول * من سره زمن ساءته أزمان
وهذه الدار لا تبقى على أحد * ولا يدوم على حال لها شان
يمزق الدهر حتما كل سابغة * اذا نبت مشرفيات وخرصان
وينتضى كل سيف للفناء ولو * كان ابن ذى يزن والغمد غمدان
أين الملوك ذوو التيجان من يمن * وأين منهم أقاليل وتيجان
وأين ما شاده شداد فى ارم * وأين ما ساسه فى الفرس ساسان
وأين ما حازه قارون من ذهب * وأين عاد وشداد وقحطان
أتى على الكل أمر لا مرد له * حتى قضوا فكأن القوم ما كانوا
وصار ما كان من ملك ومن ملك * كما حكى عن خيال الطيف وسنان
دار الزمان على كسرى وقاتله * وأم كسرى فما آواه ايوان
كذا الصعب لم يسهل له سبب * يوما ولا ملك الدنيا سليمان
فجائع الدهر أنواع منوعة * وللزمان مسرات وأحزان
وللحوادث سلوان يسهلها * وما لما حل بالاسلام سلوان
دهى الجزيرة أمر لا عزاء له * هوى له أحد وانهد ثهلان
أصابها العين فى الاسلام فارتزأت * حتى خلت منه أقطار وبلدان
فاسأل بلنسية ما شأن مرسية * وأين شاطبة أم أين جيان
وأين قرطبة دار العلوم فكم * من عالم قد سما فيها له شان
وأين حمص وما تحويه من نزه * ونهرها العذب فياض وملآن
قواعدا كن أركان البلاد فما * عسى البقاء اذا لم تبق أركان
تبكى الحنيفية البيضاء من أسف * كما بكى لفراق الالف هيمان

أبرارا وفى الحروب أحرارا وصية أولاده هذه كيف تجدك يا أمير المؤمنين قال كما قال الله عز وجل ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم الى قوله ما كنتم تزعمون فكان هذا آخر كلام سمع منه فلما قضى سجاه الوليد ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال لم أر مثلها مصيبة ولا مثلها نعمة فقدت الخليفة وتقلدت الخلافة فانا لله وانا اليه راجعون على المصيبة والحمد لله رب العالمين على النعمة ثم دعا الناس الى بيعته فبايعوا ولم يختلف عليه أحد ومات فى أيام الوليد عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب وذلك فى سنة سبع وثمانين وكان جوادا كريما وذكر أن سائلا وقف عليه فقال تصدق بما رزقك الله فانى نشأت أن عبيد الله بن العباس أعطى سائلا ألف درهم واعتذر اليه فقال وأين أنا من عبيد الله قال له أين أنت فى الحسب أو فى كثرة المال قال فيهما جميعا قال ان الحسب فى الرجل مروءته وحسن فعله فاذا فعلت ذلك كنت حسيبا فأعطاه ألفى

درهم واعتذر اليه فقال له السائل ان لم تكن عبيد الله فانت خير منه وان كنت هو فانت اليوم خير منك على *

على ديار من الاسلام خالية * قد أقفرت ولها بالكفر عمران
حيث المساجد قد صارت كنائس ما * فيهن الا نواقيس وصلبان
حتى المحاريب تبكي وهي جامدة * حتى المنابر ترثي وهي عيدان
ياغافلا لاوله في الدهر موعظة * ان كنت في سنة فالدهر يقظان
وما شيامرحا يلهيه موطنه * أبعد حمص تغر المرء أوطان
تلك المصيبة أنست ما تقدمها * ومالها مع طول الدهر نسيان
يارا كبين عتاق الخيل ضامرة * كانها في مجال السبق عقبان
وحاملين سيوف الهند مرهفة * كانها في ظلام النقع نيران
و راتعين وراء البحر في دعة * لهم بأوطانهم عز وسلطان
أعندكم نبأ من أهل اندلس * فقد سرى بحديث القوم ركبان
كم يستغيث بنا المستضعفون وهم * قتلى وأسرى فما يهتز انسان
ماذا التقاطع في الاسلام بينكم * وأنتم ياعباد الله اخوان
ألا نفوس أبيات لها همم * أما على الخير أنصار وأعوان
يامن لذلة قوم بعد عزهم * أحال حالهم كفر وطغيان
بالامس كانوا ملوكا في منازلهم * واليوم هم في بلاد الكفر عبدان
فلو تراهم حيارى لا دليل لهم * عليهم من ثياب الذل ألوان
ولو رأيت بكاهم عند بيعهم * لهالك الامر واستهوتك أحزان
يارب أم وطفل حيل بينهما * كما تفرق أرواح وأبدان
وطفلة مثل حسن الشمس اذ طلعت * كانما هي ياقوت ومرجان
يقودها العلج للمكروه مكرهة * والعين باكية والقلب حيران
لمثل هذا يذوب القلب من كمد * ان كان في القلب اسلام وايمان

انتهت القصيدة الفريدة ويوجد بايدي بعض الناس زيادات فيها ذكر غرناطة وبسطة وغيرهما مما أخذ من البلاد بعد موت صالح بن شريف وما اعتمدته منها نقلته من خط من يوثق به على ما كتبته ومن له أدنى ذوق علم أن ما يزيدون فيها من الابيات ليست تقاربها في البلاغة وغالب ظني أن تلك الزيادة لما أخذت غرناطة وجميع بلاد الاندلس اذ كان أهلها يستنهضون همم الملوك بالمشرق والمغرب فكأن بعضهم لما أعجبته قصيدة صالح بن شريف زاد فيها تلك الزيادات وقد بينت ذلك في أزهار الرياض فليراجع وصالح بن شريف الرندي صاحب القصيدة من أشهر أدباء الاندلس ومن بديع نظمه قوله

سلم على الحي بذات العرار * وحي من أجل الحبيب الديار
وخل من لام على حبهم * فما على العشاق في الذل عار
ولا تقصر في اغتنام المنى * فما لنا الى الانس الا قصار
وانما العيش لمن رامه * نفس تداري وكؤس تدار
وروحه الراح وريحانه * في طيبه بالوصل أو بالعقار

أخالك الا من رهط فيهم محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسألك بالله أنت هو قال نعم قال والله ما أخطأت الا باعتراض الشك بين جوانحي والا فهذه الصورة الجميلة والهيئة المنيرة لا تكون الا في نبي أو عترة نبي وذكر أن معاوية وصله بخمسمائة ألف درهم ثم وجه له من يتعرف له خبره فانصرف اليه فاعلمه انه قسمها في سماره واخوانه حصصا بالسوية وأبقى لنفسه مثل نصيب أحدهم فقال معاوية ان ذلك ليسوءني ويسرني فاما الذي يسرني فان عبد مناف والده وأما الذي يسوءني فقرابته من ابي تراب (قال المسعودي) وقد قدمنا خبر مقتل ابني عبيد الله فيما سلف من هذا الكتاب وهما عبد الرحمن وقثم وما رثتهما به أمهما أم حكيم جويرية بنت قارط بن خالد الكنانية وقد كان عبيد الله بن العباس دخل يوما على معاوية وعنده قاتلاهما بشر بن أرطاة العامري فقال له عبيد الله أيها الشيخ أنت قاتل الصبيين قال نعم قال والله لوددت أن الارض انبتتني عندك يومئذ فقال له بشر فقد انبتتك الساعة فقال عبيد الله بالسيف فقال بشر هاك سيفي فلما هوى عبيد الله الى السيف ليتناوله قبض

لاصبر للشئ على ضده * والخمر والهم كماء ونار
مدامة مدنية اللنى * في رقة الدمع ولون النضار
يمما أبو بق أباريقها * تنافست فيها النفوس الكبار
معلتي والبر مس علتي * ما أطيب الخمرة لولا الخمار
ما أحسن النار التي شكلها * كالماء لو كف شرار الشرار
وبي وان عذبت في حبه * يبعده على اقتراب المزار
ظبي غرير نام عن لوعتي * ولا أذوق النوم الا غرار
ذو وجنة كانها روضة * قد بهر الورد بها والبهار
رجعت للصبوة في حبه * وطاعة اللهو وخلع العذار
يا قوم قولوا ابذمام الهوى * أهكذا يفعل حب الصغار
وليلة نبهت أجفانها * والفجر قد فر نهر النهار
والليل كالمهزوم يوم الوغى * والشهب مثل الشهب عند الفرار
كانما استخفى السها خيفة * وطوطب النجم بشار فطار
كذا الثما شابت نواصي الدجا * وطير النسر أخاه فطار
وفي الثريا قمر سافر * من غرة غير منها السفار
كأن عنقودا تثنى به * اذ صار كالعرجون عند السرار
كانها تبلك دينارة * وكفها يقتل منه السوار
كأنما الظلماء مظلومة * تحكم الفجر عليها فخار
كأنما الصبح لمشتاقه * عز غنى من بعد ذل افتقار
كأنما الشمس وقد أشرقت * وجه أبي عبد الاله استنار
محمد محمد كاسمه * مخصص له في كل معنى يشار
أما المعالي فهو قطب لها * والقطب لاشك عليه المدار
مؤثل المجد صريح العلا * مهذب الطبع كريم النجار
تزهى به لخم وساداتها * وتنتمي قيس له في الفخار
يفيض من جود يديه على * عافيه ما منه تحار البحار
اليمن من يمناه حكم جرى * اليسر من شيمة تلك اليسار
أخ صفا منه لنا واحد * فالدهر مما قد جنى في اعتذار
فان شكرنا فضله مرة * فقد سكرنا من نداه مرار
ونحن منه في جوار العلا * تدور للسعد بنا منه دار
الحافظ الله واسماؤه * لذلك الجار وذاك الجوار

(رجع) وقد رأيت أن أثبت هنا رسالة خاطب بها الكاتب البارع القاضي أبو المطرف ابن عميرة المخزومي الشيخ الحافظ أبا عبد الله بن الابار يذكر له أخذ العدو مدينة بلنسية وهي

قد كبرت وذهل عقلك
تعمد الى رجل موتور من
بني هاشم فتدفع اليه سيفك
انك لغافل عن قلوب
بني هاشم والله لو تمكن
من السيف لبد أبنا قبلك
قال عبيد الله ذلك والله
أردت (وكان على عليه
السلام) حين أتاه خبر
قتل بشر لابني عبيد الله
قتم وعبد الرحمن دعا على
بشر فقال اللهم اسلبه دينه
وعقله فخرف الشيخ حتى
ذهل عقله واشتهر بالسيف
فكان لا يفارقه فجعل له
سيف من خشب وجعل في
يديه زق منفوخ كلما
تخرق أبدل فلم يزل يضرب
ذلك الزق بذلك السيف
حتى مات ذاهل العقل
يلعب بخرثه وربما كان
يتناول منه ثم يقبل على من
يراه فيقول انظروا كيف
يطعمني هذان الغلامان
ابنا عبيد الله وكان ربما
شدت يداه الى وراء منعا
من ذلك فأتى ذات يوم في
مكانه ثم أهوى بفيه
فتناول منه فبادروا الى
منعه فقال أنتم تمنعوني
وعبد الرحمن وقثم يطعمانني
ومات بشر في أيام الوليد
ابن عبد الملك سنة ست
وثمانين وفيها مات عبد الله ابن عتبة بن مسعود الهذلي وعتبة مهاجر وهو أخو عبد الله بن مسعود بن غافل

الافئدة للدهر تدنوعن نأى * وبقيا يرى منها خلاف الذى رأى
وياعن عذيرى منه يعذرمن أوى * اليه ولا يدرى سوى خلف من وأى
ذخائرها فى البر والبحر صيده * فلا لؤلؤا يبقى عليه ولا واى

ايها الاخ الذى دهش ناظرى لكتابه بعد أن ادهش خاطرى من اغبابه وسرنى من بشره ايماض بعد أن ساءنى من جهته اعراض جرت على ذكره الصلة فقوم قدح نبعتها وروى أكناف قلعتها وأحدث ذكرا من عهدنا الماضى فنقط وجه عروسه وشعشع خمر كؤوسه وسقى بماء الشبيبة ثراه وأبرز مثال مرآة الغريبة مرآه فبورك فيه أحوذيا وصل رحمه وكما منظره من البهجة ما كان حرمه وحيا الله تعالى منه وليا على سالف عهدى تمادى وبشعار ودى نادى و بين والاحسان شيمته وأبان والبيان لانجاب عنه ديمته ولاتغلو بغير قلمه قيمته واعتذر عن كلمة تمنى تبديلها ودعوة ذكر وجوم النادى لها ثم أرسلها ترجف بوادرها من خيفه وتوغر زعم صدور قلم وصحيفه وتندر من ريحانة قريش أن تمنعه عرفها وتحدق اليه طرفها واتقى غارة على غره من الناجى برأس طمره ولم يأمن هجران المهاجر بعد وصله وعكر عكرمة المغطى بحلمه على أبى جهله وعند ذكر كتيبة خالد أحجم وذكر يوم أحاطت به فارس فاستلجم فاعتذر عما قال واضمر الحذر الا أن يقال فهلا أيها الموفى على علمه النافث بسحر قلمه أتظن منزلتك فى البلاغة ومهيعها الاحب ومنزعها بالعقول لاعب تسفل وقد ترفعت أو تخفى وان تلفعت عرفناك باسوده وشهرت حلة عطارد الملاحة والجوده فلم حسين تهيب الاخ الاوحد من قصى غطارفها ولواستثار من حفائظها تالدها وطارفها لم يذكر يد قومه عند أبيها وقد رام خطة أشرف على تأبيها حين أهاب بكم لمهمه ودعا منكم اخاه لأمه ولولا ذلك لما خلا له وجه الكعبه ولاخلص من تلك المضايق الصعبه وبأن أعرتموه نجدتكم الموصوفه غلب على ما كان بايدى صوفه فكيف نجحد اليد عندعنا أو نشحذ أسنة الالسنة لذمنا أو كيف تلقا كم بحدنا وأبوكم بكر معدنا وماتيامنكم الى سبأ بن يشجب وان أطلنا فيه التعجب بالذى يقطع أرحامنا ويمنع اشتباكنا والتحامنا بعد أن شددنا فعالنا بفعالكم ورأينا أقدامنا فى نعالكم ولوشئتم توعدتم بأسود سؤددكم عند الاقدام والحماح الحماقم فى ضرب المهام لكن نقول ان قومنا لكرام ولوشاؤا كان لنا فيكم شره وعرام وأعود من حيث بدأ الاخ الذى أبثه شوقى واتطعم حلاوة عشرته باقيه فى حاسة ذوقى طارحنى حديث مورد جف وقطين خف فالله لاتراب درجوا وأصحاب عن الاوطان خرجوا قصت الاجنحة وقيل طيروا وانما هوالقتل أوالاسر أوتسيروا وتفرقوا أيدى سبا وانتشروا مل الوهاد والربا ففى كل جانب عويل وزفره وبكل صدر غليل وحسره ولكل عين عبره لاترقأ من أجلها عبره ولامخاض بلادنا حين أتاها ومازال بها حتى سجى على موتاها وشعاليومها الاطول كلها وفتاها وانذر بها فى القوم بحران أنجبه يوم أثاروا اسدها المهيبه فكانت تلك الحطمة طل الثؤبوب وباكورة البلاء المصبوب أشكلتنا اخوانا أيكانا نعيبهم وقد أحوذيهم والمعيبهم ذلك أبوربيعنا

بن هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار وكانت الرياسة فى الجاهلية فى صبح بن كاهل ابن الحرث بن تميم بن سعد ابن هذيل وكان ولد عبد الله بن عتبة عبيد الله من كبار أهل العلم ذكر ابن أبى خيثمة قال سمعت ابن الاصبهانى يقول قال سفيان قال الزهرى كنت أعب انى نلت من العلم عن جالست عبيدا عبد الله فكان يموت فى سنة أيهما كل عشرة قتل الحجاج يسلم له الدهر فذكر عون العبدى قال له الوليد ما بسعيد بن جبير دعت به اليه قال له ما وأنت اسمى سعيد بن جبير بل شقى بن كسير قال أم كان أعلم باسمى منك قال لقد شقيت وشقى أبوك قال له الغيب انما يعلمه غيرك قال لابد لنسلك بالدنيا نارا تلظى قال لو علمت أن ذلك بيدك ما اتخذت الهاغيرك قال فما قولك فى الخلفاء قال لست عليهم بوكيل قال فاختر أى قتلة تريد أن أقتلك قال بل اختر يا شقى لنفسك فوالله ما تقتلنى اليوم بقتلة الا قتلتك فى الآخرة بمثلها فأمر به الحجاج فاخرج ليقتل فلما ولى ضحك فامر الحجاج برده وسأله عن ضحكه فقال عجبت من جراءتك على الله وحلم الله عنك فامر

به فذبح فلما كب لوجهه قال أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وأن الحجاج غير مؤمن بالله ثم قال اللهم لا تسلط الحجاج على أحد يقتله من بعدى فذبح واحتز رأسه ولم يعش الحجاج بعده الا خمس عشرة ليلة حتى وقعت فى حوفه الاكلة فمات من ذلك ويروى انه كان يقول بعد قتل سعيد يا قوم مالى ولسعيد بن جبير كلما قتل بت على النوم أخذ قشم وعبد الملك الوليد فبلغه بشر فقاله سليمان ثم من وعقله نفر من العهد بعده ذهل عقله وان الوليد يعتب فكان لا يفارقه وكتب فى سيفه من خشبيات

يديه زق منفن أموت وان تخرق أند

ذلك السبيل لست فيها وحدى

لعل الذى يرجو فنائى ويدعى

به قبل موتى أن يكون هو الردى

فما موت من قدمات قبلى بضائرى

ولا عيش من قد عاش بعدى بخالدى

فقل للذى يرجو خلاف الذى مضى

تزود والا فجوى غيرها فكأن قد

منيته تجرى لوقت وحتفه

سيلحقه يوما على غير موعد

وشيخ جيعنا سعيد بشهادته يومه ولم يرما يسوءه فى أهله وقومه وبعد ذلك أخذ من الام بالخنق وهى بلنسية ذات الحسن والبهجة والرونق ومالبث أن أخرس من مسجدها لسان الاذان وأخرج من جسدها روح الايمان فبرح الخفاء وقيل على آثار من ذهب العفاء وانعطفت النوائب مفردة ومركبة كما تعطف الغاء فاودت الخفقة والحصافه وذهب الجسر والرصافه ومزقت الحلة والشمله وأوحشت الحرف والرمله ونزلت بالحارة وقعة الحره وحصلت الكنيسة من جآزرها وظبائها على طول الحسره فاين تلك الخمائل ونضرتها والجداول وخضرتها والاندية وأرجها والاودية ومنعرجها والنواسم وهبوب مبتلها والاصائل وشحوب معتلها دارضا حكت الشمس بحرها وبحيرتها وازهارترى من ادمع الطل فى أعينها ترددها وحيرتها ثم زحفت كتيبة الكفر برزقها وشقرها حتى احاطت بجزيرة شقرها فآها المسقط الرأس هوى نجمه ولقادح الخطب سرى كلمه وبالجنة أجرى الله تعالى النهر تحتها وروضة أجاد أبو اسحق نعتها وانما كانت داره التى فيها دب وعلى أوصاف محاسنها أكب وفيها أتته منيته كما شاء وأحب ولم تعدم بعده محبين قشيبهم اليها ساقوه ودمعهم عليها أراقوه وقد أثبت من النظم ما يليق بهذا الموضع وان لم يكن له ذلك الموقع

أقلوا ملامى أو فقولوا أو اكثروا * ملومكم عما به ليس يقصر

وهل غير صبابتى عبراته * اذا صعدت أنفاسه تتحدر

يحن ومايجدى عليه حنينه * الى أربع معروفها متنكر

ويندب عهدا بالمشقر فاللوى * وأين اللوى منه وأين المشقر

تغير ذاك العهد بعدى وأهله * ومن ذا على الايام لا يتغير

وأقفر رسم الدار الا بقيه * لسائلها عن مثل حالى تخبر

فلم تبق الا زفرة اثر زفرة * ضلوعى لها تنقد أو تتفطر

والا اشتياق لا يزال يهزنى * فلا غايه تدنو ولا هو يفتر

أقول لسارى البرق فى جنح ليلة * كلانا بها قد بات يبكى ويسهر

تعرض مجتازا فكان مذكرا * بعهد اللوى والشئ بالشئ يذكر

أتأوى لقلب مثل قلبك خافق * ودمع سفوح مثل دمعك يقطر

وتحمل أنفاسا كومضك نارها * اذا رفعت تبدو لمن يتنور

يقر لعينى أن أعاين من نأى * لما أبصرته منك عيناى تبصر

وأن يترا آلك الخليط الذين هم * بقلبى وان غابوا عن العين حضر

كفى حزنا أنا كأهل محصب * بكل طريق قد نفرنا ونفر

وأن كلينا من مشوق وشائق * بنار اغتراب فى حشاه تسعر

ألا ليت شعرى والامانى ضلة * وقولى ألا ليت شعرى تحير

هل النهر عقد للعزيز مثل ما * عهدنا وهل حصباؤه وهى جوهر

وهل للصبا ذيل عليه تجره * فيزور عنه موجه المتكسر

فاجابه سليمان فهمت ما قال أمير المؤمنين ووالله لئن كنت تمنيت ذلك لما يخطر بالبال لفى الاول وثالث

وتلك المغانى هل عليها طلاوة * بما راق منها أو بما رق تسحر
ملاعب أفراس الصبابة والصبا * تروح اليها تارة وتبكر
وقبلى ذاك النهر كانت معاهد * بها العيش مطلول الخميلة أخضر
بحيث بياض الصبح أزرار جيبه * تطيب وأردان النسيم تعطر
لسال بماء الورد ينضح نوبها * وطيب هواء فيه مسك وعنبر
وبالجبل الادنى هناك خطا لنا * الى اللهو لا نكبو ولا نتعثر
جناب بأعلاه بهار ونرجس * فأبيض مفتر الثنايا وأصفر
وموردنا فى قات قلب كقسلة * حذارا علينا من قذى العين تستر
وكم قد هبطنا القاع نذعر وحشه * وياحسنه مستقبلا حين يذعر
تقود اليه طائعا كل جارح * له منخر رحب وخصر مضمر
اذا مارمينا به عبثت به * مدللة الاطراف عنهن تكشر
تضم لا ترى النيق جزان سهلها * وقد فقدت فيها مهاة وجؤذر
كذاك الى أن صاح بالقوم صائح * وأنذر بالبين المشئت منذر
وفرقهم أيدى سبا وأصابهم * على غرة منهم قضاء مقدر

ونعود الى حيث كنا من تبدد شمل الجزيره وطى بساط الجزيره أما شاطبة فكانت من قصبتها شوساء الطرف ويطها عروسا فى نهاية الظرف فتخلى عن الذرو من أخلاها وقيل للكافر شأنك وأعلاها فقبل أن تضع الحرب أوزارها كشط عنها ازارها فاستحل الحرمة أو تاولها وما انتظر أقصر المدة ولا أطولها وأما تدمير فجاد عودها على القصر وأمكنت عدوها من القصر فداجى الكفر الايمان وناجى الناقوس الاذان وماوراءها من الاصقاع التى باض الكفر فيها وفرخ وأنزل بها ما أنسى التاريخ ومن أرخ فوصفكم على الحادثة فيها أتى وفى ضمان القدرة الانتصاف من عدو عتا وعاث ونالرجوها كرة تفك البلاد من أسرها وتجبرها بعد كسرها وان كانت الدولة العامرية منعت بالقراع ذمارها ورفعت على اليفاع نارها فهذه العمرية بتلك المنقبة اخلق والعدو لها اهيب ومنها أفرق وما يستوى نسب مع البقل نبت وبالمستفيض من النقل ماثبت وآخر علت سماؤه على اللمس ورسا كنه فى الاسلام رسو قواعده الخمس وكان كما قال أبو حنيفة فى خبر المسح جاء نا مثل الشمس والايام العمرية هى أم الوقائع المحكية ومن شاء عدها من البر موكية الى الاركيه وهذه الايام الزاهرة هى زبدة حلاوتها وسجدة تلاوتها وامامتها العظمى أيدها الله تعالى تمهل الكافر مدة املائه ثم تشفى الاسلام من دائه وتطهر الارض بنجس دمائه بفضل الله تعالى المرجو زيادة نعمه قبلها وآلائه راجعت سيدى مؤديا ما يجب أداؤه ومقتديا وما كل احد يحسن اقتداؤه وانا ناضلت تعليا وعهدى بالنضال قديم وناظرت جدليا وما عندى للقال تقديم وأطعته فى الجواب ولقريحتى يعلم الله تعالى نكول ورويى لولاحق المسئلة بطير الحوادث المرسلة عصفا ما كول أتم الله تعالى عليه آلاءه وحفظ مودته وولاءه ومتع بخلته الكريمة اخلاءه بمنه والسلام انتهت الرسالة * ورأيت فى

فلمثل ريب الدهر ألف بينكم * بتواصل وترحم وتود حتى تلين جلودكم وقلوبكم * بمسود منكم وغير مسود

ما تحمل السفر عن منزل ثم يظعنون عنه وقد بلغ أمير المؤمنين ما لم يظهر من لفظى ولا يرى من لحظى ومتى سمع أمير المؤمنين من أهل النميمة ومن ليست له روية أوشك أن يسرع فى فساد النيات وقطع بين ذوى الارحام والقرابات وكتب فى أسفل الكتاب ومن لا يغمض عينه عن صديقه
وعن بعض ما فيه يمت وهو عاتب
ومن يتتبع جاهدا كل عثرة يجدها ولم يسلم له الدهر صاحب
فكتب اليه الوليد ما أحسن ما اعتذرت به وحذوت عليه وأنت الصادق فى المقال والكامل فى الفعال وما شئ أشبه بك من اعتذارك ولا أبعد مما قيل فيك والسلام وكان الوليد متحننا على اخوته مراعيا لسائرهم أوصاه به عبد الملك وكان كثير الانشاد لابيات قالها عبد الملك حين كتب وصيته منها
اتقوا الضغائن عنكم وعليكم عند المغيب وفى حضور المشهد
بصلاح ذات البين طول بقائكم ان مد فى عمرى وان لم يمدد

ان القداح اذا اجتمعن فرامها ... ٦٠ بالكسر ذو حنق وبطش باليد عزت فلم تكسر وان هي بددت * فالوهن والتكسير للمتبدد

رحلة ابن رشيد لما ذكر أبا المطرف ما صورته وأما الكتابة فقد كان عاملي لوائها كما قال بعض أصحابنا الان الله تعالى له الكلام كما ألان الحديد لداود عليه السلام وأخبرني شيخنا أبو بكر ان شيخه ابا المطرف رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم فاعطاه خزمة اقلام وقال استعن بهذه على كتابتك او كما قال صلى الله عليه وسلم * وبعد كتبي لهذه الرسالة رأيت أن اذكر رسالة الحافظ ابن الابار التي هذه جواب عنها وهي من غرض ما نحن فيه فلنقتبس نور البلاغة منها وهي سدي وان وجم لها الادي وجمهما المادي ذلك لصغرها عن كبره في المعارف الاعلام وصدرها وغرصدور الصحائف والاقلام واعيذ بحانة قريش ان تروح من حفيظتها في جيش قدها بتهامغاور كل حي وأجابتها العطاريف من قصي تدلف بين يديها كتيبة خالد وتحلف لاقدحت نار الهيجاء بزند صالد أو تنصف من غاطها وتقذف به وسط غاطمها لاجرم اني من جريمتي حذر وعما وضحت به قيمتي للبعد معتذر الا أن يصوح من الروض نبته وجناته ويصرح بالقبول حلمه وأناته الحديث عن القديم شجون والشان بتقاضي الغريم شؤون فلا غرو أن أطارحه اياه وأفاتحه الامل في لقياه ومن لي بمقالة مستقله أو اخالة غير مخله أبت البلاغة الا عمادها ومع ذلك فسأنبئ عما دهى درجت اللدات والاتراب وخرجت الروم بنا الى حيث الاعراب أيام دفعنا الاعظم الاخطار وجفعنا بالاوطان والاوطار فالام نداري برح الالم وحتام نساري النجم في الظلم جمع أوصاب ماله من انفضاض ومحض اغتراب شذ عن ابن مضاض فلو سمع الاول بهذا الحادث ما ضرب المثل بالحارث يالله من جلاء ليس به بدان وتناء قلما يسفر عن تدان وعد الجد العاثر لقاءه فأنجز ورام الجلد الصابر انقضاءه فأعجز هؤلاء الاخوان مكنهم لا يمتع به أوان وبينهم كنبت الارض ألوان بين هائم بالسرى وناثم في الثرى من كل صنديد بطل أو منطيق غير ذي خطا ولا خطل فامت عليه الدوادب لما قعدت به النوائب وهجمت بيوتها لمفناه الجاجم والذوائب وأما الاوطان المحبب عهدها بحكم الشباب المشبب فيها بعاس الاحباب فقد ودعنا معاهدها وداع الابد وأخى عليها الذي أخى على لبد أسلمها الاسلام وانتظمها الانتشار والاصطلام حين وقعت أنسرها الطائره وطلعت أنحسها الغائره فغلب على الجذل الحزن وذهب مع المسكن السكن

كزعزع الريح صلك الدوح عاصفها * فلم يدع من جنى فيها ولا غصن

وأهاوواها يموت الصبر بينهما * موت المحامد بين البخل والجبن

أين بلنسية ومغانيها وأغاريدورقها وأغانيها أين حلى رصافتها وجسرها ومنزلا عطائها ونصرها أين أفياؤها تندى غضاره وركاؤها تبدو من خضاره أين بعد اولها الطفاحة وخمائلها أين جنائبها النفاحة وشمائلها شذا عاطل من قلائد أزهارها نحرها وخلعت شعشعانية ضحاها بحبيرتها وبحرها فأية حيلة لاحيلة في صرفها مع صرف الزمان وهل كانت حتى بانت الارونق الحق وبشاشة الايمان ثم لم يلبث دامعقرها أن دب الى جزيرة شقرها فام عذبها النمير وذوى غضها النضير وخرست حمائم أدواحها وركدت

وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين

وكان عبد الملك مواظبا على حث أولاده على اصطناع المعروف وبعثهم على مكارم الاخلاق وقال لهم يا بني عبد الملك أحسابكم أحسابكم صونوها بسذل أموالكم فما يبالي رجل ما قيل فيه من المعيو بعد قول الاعشى

تبيتون في المشتى ملاء بطونكم
وجاراتكم غرثى يبتن خمائصا

وما يبالي قوم ما قيل فيهم من المدح بعد قول زهير على مكثريهم حق من يعتريهم

وعند المقلين السماحة والبذل

(حدث) عبد الله بن اسحق ابن سلام عن محمد بن حبيب قال صعد الوليد المنبر فسمع صوت ناقوس فقال ما هذا قيل البيعة فأمر بهدمها وتولى بعض ذلك بيده فتتابع الناس يهدمون فكتب اليه الارمن ملك الروم ان هذه البيعة قد أقررها من كان قبلك فان يكونوا أصابوا فقد أخطأت وان تكن أصبت فقد أخطؤا فقال من يجيبه فقال الفرزدق يكتب الله

نواسم أرواحها ومع ذلك اقتحمت دانيه فنزحت قطوفها وهى دانية وبالشاطبة وبطحائها من حيف الايام وانحائها ولمفاه ثم لمفاه على تدمير وتلاعها وجيان وقلاعها وقرطبة ونواديها وحمص ووادياها كلها رعى كلؤها ودهى بالتفريق والتمزيق ملؤها عض الحصار اكثرها وطمس الكفر عينها واثرها وتلك البيرة بصدد البوار وريه فى مثل حلقة السوار ولاريه فى المريه وخفضها على الجوار الى بنيات لواحق بالامهات ونواطق بها الاول ناطق بهات ماهذا النفخ بالمعمور اهو النفخ فى الصور ام النفر عار يامن الحج المبرور ومالاندلس اصيبت بأشرافها ونقصت من اطرافها قوض عن صوامعها الاذان وصمت بالنواقيس فيها الآذان اجنت مانم تجن الاصقاع اعقت الحق فحاق بها الايقاع كلا بل دانت للسنه وكانت من البدع فى احصن جنه هذه المروانية مع اشتداد اركانها وامتداد سلطانها القت حب آل النبوة فى حبات القلوب والوت ماظفرت من خلعة ولا قلعة بطلوب الى المرابطة باقاصى الثغور والمحافظة على معالى الامور والركون الى المضبة المنيعه والروضة المريعه من معاداة الشيعه وموالاة الشريعه فليت شعرى بم استوثق تمحيصها ولم تعلق بعموم البلوى تخصيصها اللهم غفرا طالما ضرضر ومن الانباء ماتيه مزدجر جرى بما لم تقدره المقدور فاعسى ان ينفث به المصدور وربنا الحكيم العليم فسلمنا التفويض له والتسليم ويا عجبا لبنى الاصفر أتيت مرج الصفر ورميها يوم اليرموك بكل أغلب غضنفر دع ذا فالعهد به بعيد ومن اتعظ بغيره فهو سعيد هلا تذكرت العامرية وغزواتها وهابت العامرية وهبواتها أما الجزيرة بخيلها محدقه وباحاديث فتحها مصدقه هذا الوقت المرتقب والزمان الذى زجيت له الشهور والحقب وهذه الامامة أيدها الله تعالى هى المنقذة من أسرها والمنفذة لسلطانها مراسم نصرها فيتاح الاخذ بالثار ويزاح عن الجنة أهل النار ويعلم الكافر لمن عقبى الدار حاورت سيدى بثار الفاجى الفاجع وحاولت برء الجوى من جوابه بالعلاج الناجع وبودى لو تقع فى الار جاء مصاقبه فترفع من الازراء معاقبه أليس لديه اسواء المكلوم وتدارك المظلوم وبيديه أزمة المنثور والمنظوم خيال يخترق اقناع اياد وصوغ مالم يخطر على قلب زيد ولا بخاطر زياد بست الجبال الطواح ما بست وأبوفتحها وغيضت البحار الطوافح من يعبأ بالركا ياومعها أين أبو الفضل بن العميد من العماد الفاضل وصمصامة عمر ومن قبله الفاضل هذا مدرهها الذى فعل الافاعيل وأحدها الذى سما على ابراهيم واسمعيل وهما اماما الصناعه وهما اماما البراعة والبراعة بهما فخر من نطق بالضاد وبسببهما حسدت الحروف الصاد لكن دفعهم بالراح وأعرى مدرعهم من المراح وشرف دونهم ضعيف القصب على صم الرماح أبقاه الله تعالى وبيانه صادق الانواء وزمانه كاذب الاسواء ولازال مكانه مجاوز اذؤابة الجوزاء واحسانه مكانا باحسن الجزاء والسلام وقد عرفت بابن الابار فى أزهار الرياض بما لامزيد عليه غير انى رأيت هنا أن أذكر فصولا مجموعة من كلامه فى كتابه المسمى بدرر السمط فى خبر السبط قال رحمه الله تعالى رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت فروع النبوة والرسالة ومنابيع

وتسعين وهو ابن أربع وخمسين سنة بواسط العراق وكان تأمر على الناس عشرين سنة وأحصى من قتله صبرا سوى من قتل فى عساكره وحروبه فوجد مائة وعشرين ألفا ومات وفى حبسه ثمنون ألف رجل وثلاثون ألف امرأة منهن ستة عشر ألفا محرده وكان يحبس النساء والرجال فى موضع واحد ولم يكن للحبس ستر يستر الناس من الشمس فى الصيف ولا من المطر والبرد فى الشتاء وكان له غير ذلك من العذاب ما أتينا على وصفه فى الكتاب الاوسط وذكر انه ركب يوما يريد الجمعة فسمع ضجة فقال ما هذا فقيل له المحبوسون يضجون ويشكون ما هم فيه من البلاء فالتفت الى ناحيتهم وقال اخسؤا فيها ولا تكلمون فيقال انه مات فى تلك الجمعة ولم يركب بعد تلك الركبة (قال المسعودى) ووجدت فى كتاب عنوان البلاغات مما اختير من كلام الحجاج قوله ما سلبت نعمة الا بكفرها ولا تمسكت الا بشكرها وقد كان الحجاج تزوج الى عبد الله ابن جعفر بن أبى طالب

 حين أطلق عبد الله وافتقر وقد ذكرنا فى كتابنا أخبار الزمان الخبر فى ذلك وتهشم ابن القرية الحجاج

السماحة والبسالة صفوة آل أبي طالب وسراقتي لؤي بن غالب الذين جاءهم الروح الامين وحلاهم الكتاب المبين فقل في قوم شرعوا الدين القيم ومنعوا اليتيم ان يقهر والايم ما قدمن ادم آدم أطيب من أبيهم طينه ولا أخذت الارض أجمل من ساعيهم زينه لولاهم ما عبد الرحمن ولا عهد الايمان وعقد الامان دوابة غير اشابه فضلهم ماشانه نقص ولا شابه سراة محلتهم سر المطلوب وقراة محجتهم سبات القلوب أذهب الله عنهم الرجس وشرف بخلقهم الجنس فان غيروا فشريعتهم البيضاء أو تحيروا فلمشيرتهم الحمراء من كل يعسوب الكنيبة منسوب نجيبه نجاره الكرم وداره الحرم عتمة العرانين من هاشم الى النسب الاصرح الاوضح الى نبعة فرعها في السماء ومغرسها سرة الابطح أولئك السادة احيي وافدي والشهادة تجبهم اوفي واؤدي ومن يكسبها فانه آثم قلبه انتهى (فصل) ما كانت خديجة لتاتي بخداج ولا الزهراء لتلد الا ازاهر كالسراج مثل النحلة لا تاكل الاطيبا ولا تضع الا طيبا خلدت بنت خويلد ليركو عقبها من الحاشر العاقب ويسمو قبها على النجم الثاقب لم تجد عثلها المهارى ولم يلد له غيرها من المهارى آمت من بعولتها قبله لتصل السعادة بحبلها جبله ملاك العمل خواتمه رب ربات حجال انفذ من فحول رجال

وما التأنيث لاسم الشمس عيب * ولا التذكير فخر للهلال

هذه خديجة من أخيها حزام أحزم ولشعار الصدق من شعارات القص ألزم ركنت الى الركن الشديد وسددت للهدى كما هديت للتسديد يوم نبئ حاتم الانبياء وأنبئ بالنور المنزل عليه والضياء (فصل) وكان قبيل المبعث وبين يدي لم الشعث يثابر على كل حسنى وحسنه ويجاور شهرا من كل سنه يتحرى حراء بالتعبد ويزجي تلك المدة في التعبد وذلك الشهر المقصور على التبرر المقدور فيه رفع التضرر شهر رمضان المنزل فيه القرآن فبيناه لا ينام قلبه وان نامت عيناه جاءه الملك مبشرا بالصبح وقد كان لا يرى رؤيا الا جاءت كفلق الصبح فغمره بالكلاءة وأمره بالقراءة وكلما تحبس له غطه ثم أرسله واذا أراد الله بعبد خيرا عسله

تريدون ادراك المعالي رخيصة * ولا بد دون الشهد من ابر النحل

كذلك حتى عاد بالارق من الفرق وقد عاق فاتحة العاق فلا يجري غيرها على لسانه وكانما كتبت كتابا في جنانه (فصل) ولما أصبح يوم الاهل وتوسط الجبل يريد السهل وقد قضى الاجل وماض الوجل نوجي بما في الكتاب المسطور ونودي كما نودي موسى من جانب الطور فعرض له في طريقه ما شغله عن فريقه فرفع رأسه متأملا فأبصر الملك في صورة رجل متمثلا يشرفه بالندماء ويعرفه بالاجتباء وانما عضد خبر الليلة بعيان اليوم وأرى في اليقظة مصداق ما سمع في النوم ليحق الله الحق بكلماته وعلى ما ورد في الاثر وسرد رواة السير فذلك اليوم كان عيد فطر بالا ان وغير بدع ولا بعيد ان يبدأ الوحي بعيد كما ختم بعيد اليوم أكملت لكم دينكم فبهت عليه السلام لما سمع نداءه ورآه ونبت لا يتقدم أمامه ولا يرجع وراءه

ابن العاص قبل دخوله دمشق أخبره بذلك وقيل له كان قد سار مع ابن جعفر من الخبار فتقدمه بمرحلتين وقف

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي * متقدم عنه ولا متأخر

ثم جعل في الخوف والرجاء لا يقلب وجهه في السماء الا تعرض له في تلك الصوره وعرض عليه ما أعطاه الله سبحانه من السوره فيقف موقف التوكل ويمسك حتى عن التأمل

تتوق اليك النفس ثم أردها * حياء ومثلي بالحياء حقيق
أذود سوادا لطرف عنك وماله * الى أحد الا اليك طريق

(فصل) وفطنت خديجة لاحتباسه فامعنت في التماسه تزوجوا الودود الولود لفورها بل لفورها بعثت في طلبه رسلها وابعثت تاخذ عليه شعاب مكة وسبلها وان الحب اذا لم يستزر زارا * طال عليها الامد فطار اليها الكمد والحب حقيقه من يفيق فيقه بالنفس النفيسة سماحه وجوده وفي وجود المحبوب الاشرف وجوده

كأن بلاد الله عالم تسكن بها * وان كان فيها الخلق طرا بلاقع
أقضي نهاري بالحديث والمنى * ويجمعني والهم بالليل جامع
نهاري نهار الناس حتى اذا دجى * لي الليل هزتني اليك المضاجع
لقد نبتت في القلب منك محبة * كما نبتت في الراحتين الاصابع

(فصل) وبعد لأي ما ورد عليها وقعد مضيفا اليها فطفقت بحكم الاجلال تمسح اركانه وتفسح مجال السؤال عما خلف له مكانه فباح لها بالسر المغيب وقد لاح وسم الكرامة على الطيب المطيب فعلمت انه الصادق المصدوق وحكمت بانه السابق لا يسبوق اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله وما زالت حتى أزالت ما به من الغمه وقالت اني لارجو أن تكون نبي هذه الامة

اني تفرست فيك الخير أعرفه * والله يعلم أن ما خانني البصر
أنت النبي ومن يحرم شفاعته * يوم الحساب فقد أزرى به القدر

ترهب فسوف تبهر وسيدوا مر الله تعالى ويظهر أنت الذي سجعت به الكهان ونزلت من صوامعها الرهبان وسارت بخبر كرامته الركبان أنت الذي ما حملت أنف منه حامل ولا درت بركته الشاة فاذا هي حافل

وأنت لما ولدت أشرقت الارض وضاءت بنورك الافق
فنحن في ذلك الضياء وفي النور وسبل الرشاد نخترق

(فصل) وما لبثت أن غلقت أبوابها وجمعت عليها أثوابها وانطلقت الى ورقة بن نوفل تطلبه بتفسير ذلك المجمل وكان يرجع الى عقل حصيف وبحث عن يبعث بالدين الحنيف فاستبشر به ناموسا وأخبر أنه الذي كان يأتي موسى فازدادت ايمانا وأقامت على ذلك زمانا ثم رأت أن خبر الواحد قد يلحقه التفنيد ودرت أن المجتهد لا يجوز له التقليد وان العلم فريضة على كل مسلم فرجعت أدراجها في ارتياد الاقناع وألقى في روعها اضاءة النهار والقناع فهنالك وضح لها البرهان وصح لها أن الآتي ملك لا شيطان

تولى عليه الروح من عند ربه * ينزل من جو السما ويرفع
تشاوره فيما تريد وتحتدنا * اذا ما اشتهى أنا نطيع ونسمع

وغيرهم منهم عبد الله بن الحرث بن عبد المطلب فقال عمرو قد أتاكم رجل كثير الخلوات بالتمني والطرقات بالتغني آخذ للسلف منقاد بالسرف فغضب عبد الله ابن الحرث وقال لعمرو كذبت وأهل ذلك أنت ليس عبد الله كما ذكرت ولكنه لله ذكور وبلائه شكور وللغناء نفور ماجد مهذب كريم سيد حليم ان ابتدأ أصاب وان سئل أجاب غير حصر ولا هياب ولا فحاش ولا سباب كالمزبر الضرغام الجرىء المقدام والسيف الصمصام والحسيب القمقام وليس كمن اختصم فيه من قريش شرارها فغلب عليه جزارها فاصبح الا مها حسبا وأدناها منصبا يلوذ منها بذليل ويأوي الى قليل ليت شعري بأي حسب تتناول أو بأي قدم تتعرض غير انك تعلو بغير اركانك وتتكلم بغير لسانك ولقد كان أبر في الحكم وأبين في الفصل أن يكنك ابن أبي سفيان عن ولوعك بأعراض قريش وان يكعمك كعام الضبع في وجارها فلست لاعراضها بوفي ولا لاحسابها بكفي وقد أتيح لك ضيغم شرس ن مختلس والارواح مقترس فهم عمرو أن يتكلم فنهره معاوية من ذلك وقال عبد الله بن الحرث لا يبقى الله الا على نفسه

*(فصل) سبقت لها من الله تعالى الحسنى فصدقت حسنا وقالت حسنا ومن يؤمن بالله يهد قلبه ما فتر الوحي بعدها ولا مطل الحق الحي وعدها وعد الله لا يخلف الله وعده دانت لحب ذي الاسلام فحياها الملك بالسلام من الملك السلام من كان لله كان الله له أغنت غناء الابطال فغناها لسان الحال

هل تذكرين فدتك النفس مجلسنا * يوم التقينا فلم أنطق من الحصر
لا ارفع الطرف حولي من مراقبة * يقي علي وبعض الحزم في الحذر

يسرت لاحتمال الاذى والنصب فبشرت ببيت في الجنة من قصب هل امنت اذ آمنت من الرعب حتى غنيت عن الشبع بما في الشعب

لا تحسب المجد تمرا انت آكله * لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

واها لها احتملت عض الحصار وما اطاقت فقد النبي المختار

يطول اليوم لا القاك فيه * وشهر نلتقي فيه قصير

والحبيب سمع المحب وبصره وله طول محياه وقصره

أنت كل الناس عندي فاذا * غبت عن عيني لم القى أحد

مكثت للرياسة مواسية وآسيه فثلثت في بحبوحة الجنة مريم وآسيه ثم ربعت البتول فبرعت نطقت بذلك الآثار وصدعت خبر نساء العالمين أربع *(فصل) *الى البتول سير بالشرف التالد وسبق الغمر بالام الكريمة والوالد حلت في الجيل الجليل وتحلت بالمجد الاثيل ثم تولت الى الظل الظليل

وليس يصح في الافهام شيء * اذا احتاج النهار الى دليل

وأبيها ان أم أبيها لا تجد لها شبيها ثمرة النبي وطلبة الوصي وذات الشرف المستوى على الامد الاقصى كل ولد الرسول درج في حياته وحملت هي ما حملت من آياته ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء لا فرع للشجرة المباركة من سواها فهل جدوى أوفر من جدواها الله أعلم حيث يجعل رسالاته حفت بالتطهير والتكريم وزفت الى الكفؤ الكريم فوردا صفوا العارفة والمنة وولدا سيدي شباب أهل الجنة عوضت من الامتعة الفاخرة بسيدي الدنيا والاخرة ما أثقل نحرها ظهرا ولا بذل غير درعه مهرا كان صفر اليدين من البيضاء والصفراء وبحالة لا حيلة معها في اهداء الحلة السيراء فصاهره الشارع وخاله وقال في بعض صحابته لا مال له نرفع درجات من نشاء *(فصل)

أتنتهب الايام افلاذ أحمد * وافلاذ من عاداهم تتودد
ويخفى ويظما أحمد وبناته * وبنت زياد وردها لا يصرد
أفي دينه في أمنه في بلاده * تضيق عليهم فسحة تتورد
وما الدين الا دين جدهم الذي * به أصدروا في العالمين وأوردوا

انتهى ما سنح لي ذكره من درر السمط وهو كتاب غاية في بابه لم أر دمنه غير ما ذكرته لان في الباقي ما تشم منه رائحة التشيع والله سبحانه يسامحه عنه وكرمه ولطفه (رجع) الى ما كنا بصدده فنقول قد ذكرنا في الباب الثاني رسالة أبي المطرف بن عميرة الى أبي جعفر بن أمية وهي

ولعبد الله بن جعفر بن أبي طالب أخبار حسان في الجود والكرم وغير ذلك من المناقب وقد أتينا على مبسوط ذلك في كتابنا أخبار الزمان والاوسط وانما كان تزوج الحجاج اليه يتذلل بذلك الى أبي طالب وكتب الحجاج الى عبد الملك يغلظ له أمر الخوارج مع قطري فكتب اليه أما بعد فاني أحد اليك السيف وأوصيك بما أوصى به البكري زيدا فلم يفهم الحجاج ما عناه عبد الملك وقال من جاء بتفسير ما أوصى به البكري زيدا فله عشرة آلاف درهم فورد رجل من الحجاز يتظلم من بعض عماله فقيل له أتعلم ما أوصى به البكري زيدا قال نعم قال فأت الحجاج به ولك عشرة آلاف درهم فاتاه فاحضره فقال أوصاه بان قال

أقول لزيد لا تبر فانهم
يرون المنايا دون قتلك أو قتلي
فان وضعوا حربا فضعها وان أبوا
فشب وقود الحرب بالحطب الجزل
وان عضت الحرب الضروس بنابها * فعرضة حد السيف منك اومثلي

فقال الحجاج صدق أمير المؤمنين منتحلة

شتملة على التلهف على الجزيرة الاندلسية حين أخذ العدو بلنسية وظهرت له مخايل
لاستيلاء على غاية ما بقى من الاندلس فراجعها فيما سبق وان كان التناسب التام فى ذكرها هنا
المناسبة هناك حاصلة أيضا والله سبحانه الموفق وذكرنا هنالك أيضا جملة غيرها من كلامه
رحمه الله تعالى تتعلق بهذا المعنى وغيره فلتراجع ثمة * ورأيت أن أثبت هنا ما رأيته بخط
لاديب الكاتب الحافظ المؤرخ أبى عبد الله محمد بن الحداد الوادى آشى نزيل تلمسان
رحمه الله تعالى ما صورته حدثنى الفقيه العدل سيدى حسن بن القائد الزعيم الافضل سيدى
براهيم العراف انه حضر مرة لانزال الطلسم المعروف بفروج الرواح من العلية بالقصبة
لقديمة من غرناطة بسبب البناء والاصلاح وانه عاينه من سبعة معادن مكتوبا فيه

ايوان غرناطة الغراء معتبر * طلسمه بولاة الحال دوار
وفارس روحه ريح تدبره * من الجماد ولكن فيه أسرار
فسوف يبقى قليلا ثم تطرقه * دهياء يخرب منها الملك والدار

نتهى * وقد صدق قائل هذه الابيات فانه طرقت الدهياء ذلك القطر الذى ليس له فى
لحسن مثال ونسل الخطب اليه من كل حدب وانثال وكل ذلك من اختلاف رؤسائه
وكبرائه ومقدميه وقضاته وأمرائه ووزرائه فكل يروم الرياسة لنفسه ويجر
نارها القرصه والنصارى انعم الله تعالى يضربون بينهم بالخداع والمكر والكيد
ويضربون عمرانهم بزيد حتى تمكنوا من أخذ البلاد والاستيلاء على الطارف والتلاد
قال الرائس القاضى العلامة الكاتب الوزير أبو يحيى بن عاصم رحمه الله تعالى فى كتابه جنة
الرضا فى التسليم لما قدر الله تعالى وقضى ما صورة محل الحاجة منه ومن استقرا
التواريخ المنصوصه وأخبار الملوك المقصوصه علم أن النصارى دمرهم الله تعالى
لم يدركوا فى المسلمين ثارا ولم يبدحضوا عن أنفسهم عارا ولم يخربوا من الجزيرة منازل
ودارا ولم يستولوا عليها بلادا جامعة وامصارا الا بعد تمكينهم لاسباب الخلاف
واجتهادهم فى وقوع الافتراق بين المسلمين والاختلاف وتضريبهم بالمكر والخديعة بين
ملوك الجزيرة وتحريشهم بالكيد والخلابة بين جماتها فى الفتن المبيره ومهما كانت
الكلمة مؤتلفه والآراء لا مفترقة ولا مختلفه والعلماء مجتمعا واتفاق القلوب الى الله
مزدلفه فالحرب اذذاك محال ولله تعالى فى اقامة الجهاد فى سبيله رجال وللمانعة فى
غرض المدافعة ميدان رحب ومجال وروية وارتجال الى أن قال وتطاولت الايام
ما بين مهادنة ومقاطعه ومضاربة ومقارعه ومنازلة ومنازعه وموافقة ومعانعه
ومحاربة وموادعه ولا أمل للطاغية الا فى التمرس بالاسلام والمسلمين واعمال الحيلة على
المؤمنين واضمار المكيدة للموحدين واستبطان الخديعة للمعاهدين وهو يظهر انه ساع
للوطن فى العاقبة الحسنى وانه منطو لاداله على المقصد الاسنى ومهتم بمراعاة أمورهم
وناظر بنظر المصلحة لخاصتهم وجمهورهم وهو يسرحوا فى ارتفاقه ويعمل الحيلة فى
التماس هلاك الوطن وابتغائه فتبا لعقول تقبل مثل هذا المحال وتصدق هذا الكذب
بوجه او بحال وليت المغرور الذى يقبل هذا الوفكر فى نفسه وعرض هذا المسموع على

الحرث بن كعب بنيه فاتى
المهلب بوصيته فاذا فيها
يا بنى كونوا جميعا ولا
تكونوا اشتى فتفرقوا وبروا
قبل أن تبروا قوت فى قوة
وعز خير من ذل وعجز فقال
المهلب صدق البكرى
والحرث بن كعب وكتب
عبد الملك الى الحجاج جنبنى
دماء آل أبى طالب فانى رأيت
الموت استوحش من آل
حرب حين سفكوا دماءهم
فكان الحجاج يجتنبها
خوفا من زوال الملك عنهم
لا خوفا من الخالق عز وجل
ودخلت ليلى الاخيلية
على الحجاج فقالت أصلح
الله الامير أتيت اخلاف
النجوم وقلة الغيوم وكلب
البرد وشدة الجهد قال
فاخبرينى عن الارض
قالت مقشعرة والفجاج
مغبرة والمقتر مغل وذو
الغنى مجل والبائس مقل
والناس مستنون رحمة الله
يرحمون قال أى النساء
تختارين تنزلين عندها
قالت سمهن لى قال عندى
هند بنت المهلب وهند
بنت أسماء بن خارجة
فاختارتها فدخلت عليها
فصنت حليها عليها حتى
أثقلتها لاختيارها اياها
ودخولها عليها دون من

سواها (حدثنا) المقرى قال حدثنا العتبى عن أبيه قال قدم على الحجاج ابن عم له من البادية فنظر اليه يوما الناس

مدركات حسه وراجع أوليات عقله وتجربيات حدسه وفاس عدوه الذي لا ترجى مودته
على أبناء جنسه فأنا أناشده الله هل بات قط بمصالح النصارى وسلطانهم مهتما وأصبح من
خطب طرقهم مغتما ونظر لهم نظر المفكر في العاقبة الحسنة أو تصدلهم قصد المدبر في
المعيشة المستحسنة أو خطر على قلبه أن يحفظ في سبيل القربة أرباحهم وصلباتهم أو عمر
ضميره من تمكين عزهم بما ترضاه أحبارهم ورهبانهم فان لم يكن ممن يدين بدينهم الخبيث
ولم يشرب قلبه حب التثليث ويكون صادق اللهجة منصفا عند قيام الحجة فسيعترف
أن ذلك لم يخطر له قط على خاطر ولا مر له ببال وان عكس ذلك هو الذي كان به هذا اغتباط
وبفعله هذا اهتبال وان نسب لذلك المعنى فهو عليه أثقل من الجبال وأشد على قلبه من وقع
النبال هذا وعقده التوحيد وصلاته التحميد وملته الغراء وشريعته البيضاء ودينه
الحنيف القويم ونبيه الرؤف الرحيم وكتابه القرآن الحكيم ومطلوبه بالهداية الصراط
المستقيم فكيف نعتقد هذه المريبة الكبرى والمنقبة الشهرى لمن عقده
التثليث ودينه المسليث ومعبوده الصليب وتسميته التصليب وملته المنسوخة
وقضيته المفسوخة وختامه التعطيس وغافر ذنبه القسيس وربه عيسى المسيح ورأيه
ليس البين ولا الصحيح وان ذلك الرب قد ضرج بالدماء وسقى الخل عوض الماء وان
اليهود قتلته مصلوبا وأدركته مغلوبا وقهرته مغلوبا وأنه جزع من الموت وخاف الى
سوى ذلك مما يناسب هذه الاقاويل السخاف فكيف يرجى من هؤلاء الكفرة من الخير
مقدار الذره أو يطمع منهم في جلب المنفعة أو دفع المضره اللهم احفظ علينا العقل والدين
واسلك بنا سبيل المهتدين ثم قال بعد كلام ما صورته كانت خزانة هذه الدار النصرية
مشتملة على كل نفيسة من الياقوت ويتيمة من الجوهر وفريدة من الزمرد وثمينة من
الفيروزج وعلى كل واق من الدروع وحسام من العدة وماض من الاسلحة وفاخر من الآلة
ونادر من الامتعة فمن عقود فذة وسلوك جمة وأقراط تفضل على قرط مارية نفاسة فائقة
وحسنا رائقا ومن سيوف شواذ بالابداع غرائب في الاعجاب منسوبات الصفائح في الطبع
خالصات الحلى من التبر ومن دروع مقدرة السرد متلاحمة النسج واقية للناس في يوم الحرب
مشهورة النسبة الى داود نبي الله ومن جواشن سابغة اللبسة ذهبية الحلية هندية الضرب
ديباجية الثوب ومن بيضات عسجدية الطرق جوهرية التضييذ برجدية التقسيم
ياقوتية المركز ومن مناطق مجينة الصوغ عريضة الشكل مزججة الصفح ومن درق
لطيفة مصمتة المسام لينة الخمسة معروفة المنعة صافية الاديم ومن قسي ناصعة الصبغة
هلالية الخلقة منعطفة الجوانب زارية بالحواجب الى آلات فاخرة من أوتار نحاسية ومناء
بلورية وطيافير دمشقية وسجات زجاجية وصحاف صينية وأكواب عراقية وأقداح
طباشيرية وسوى ذلك مما لا يحيط به الوصف ولا يستوفيه العد وكل ذلك التبيه شوائط
الفتنة والتقمه تيار الخلاف والفرقة فرزئت الدار منه بما يتعذر اتيان الدهور بمثله وتصحر
ديار الملوك المؤثلة النعمة عن بعضه فضلا عن كله . انتهى كلامه رحمه الله تعالى (رجع)
ولما أخذت قواعد الاندلس مثل قرطبة واشبيلية وطليطلة ومرسية وغيرها انحاز أهل

فقال له أيها الامير لم لا تولين بعض هذا الحضر فقال الحجاج هؤلاء يكتبون ويحسبون وأنت لا تحسب ولا تكتب
فغضب الاعرابي وقال بلى
اني والله لاحسب منهم
حسبا واكتب منهم كتبا
فقال له الحجاج فان كان كما
تزعم فاقسم ثلاثة دراهم
بين أربعة أنفس فازال
يقول ثلاثة دراهم بين أربعة
ثلاثة بين أربعة لكل واحد
منهم درهم يبقى الرابع بلا شئ
كم هم أيها الامير قال هم
أربعة قال نعم أيها الامير
قد وقفت على الحساب
لكل واحد منهم درهم
وأنا أعطى الرابع منهم
درهما من عندي وضرب
يده الى تكته فاستخرج
منها درهما وقال أيكم الرابع
فلاها الله ما رأيت كاليوم
رد أمثل حساب هؤلاء
الحضر بين فضحك الحجاج
ومن معه فذهب بهم الضحك
كل مذهب ثم قال الحجاج
ان أهل أصبهان كسروا
خراجهم ثلاث سنين كلما
أتاهم وال عجز وه
فلا أرميهم ببدويه هذا
وعجميته فأخلق به أن
يخيب فكتب له عهده على
أصبهان فلما خرج استقبله
أهل أصبهان واستشروا به
وأقبلوا عليه يقبلون يده
ورجله وقد استعمروه
وقالوا أعرابي بدوي ما يكون
منه ظلما أكثروا عليه قال اصنعوا على أنفسكم وتقبيلكم أطرافي وأخروا عني هذه الهيئات أما يشغلكم .

الاسلام الى غرناطة والمرية ومالقة ونحوها وضاق الملك بعداتساعه وصارتين العدو يلتقم كل وقت بلدا أو حصنا ويهصر من دوح تلك البلاد غصنا وملك هذا النزر اليسير الباقي من الجزيرة ملوك بني الاحمر فلم يزالوا مع العدو في تعب وعمارسة كما ذكره ابن عاصم وغيره بما اتخذوا في الكفار كما علم في أخبارهم وانتصر ملوك فاس بني مرين في بعض الاحايين ولما قصد ملوك الافرنج السبعة في المائة الثامنة غرناطة ليأخذوها اتفق أهلها على أن يبعثوا الصاحب المغرب من بني مرين يستنجدونه وعينوا للرسالة الشيخ أبا اسحق بن أبي العاصي والشيخ أبا عبد الله الطنجالي والشيخ ابن الزيات البلشي نفع الله تعالى بهم ثم بعد سفرهم نازل الافرنج غرناطة بخمسة وثلاثين ألف فارس ونحو مائة ألف راجل مقاتل ولم يوافقهم سلطان المغرب فقضى الله تعالى ببركة المشايخ الثلاثة أن كسر النصارى في الساعة التي كسر خواطرهم فيها صاحب المغرب وظهرت في ذلك كرامة لسيدي أبي عبد الله الطنجالي رحمه الله تعالى ثم ان بني الاحمر ملوك الاندلس الباقية بعد استيلاء الكفار على الجل كانوا في جهاد وجلاد في غالب أوقاتهم ولم يزل ذلك شأنهم حتى أدرك دولتهم المرحوم الذي يلحق الدول فلما كان زمان السلطان أبي الحسن علي بن سعد النصري الغالبي الاحمري واجتمعت الكلمة عليه بعد أن كان أخوه أبو عبد الله محمد بن سعد المدعو بالزغل قد بويع بمالقة بعد أن جاءه بعض القواد من عند النصارى وبقي بمالقة برهة من الزمان ثم ذهب الى أخيه وبقي من بمالقة من القواد والرؤساء فوضي وآل الحال الى أن قامت مالقة بدعوة السلطان أبي الحسن وانقضت الفتنة واستقل السلطان أبو الحسن بملك ما بقي بيد المسلمين من بلاد الاندلس وجاهد المشركين وافتتح عدة أماكن ولاحت له بارقة الكرة على العدو الكافر وخافوه وطلبوا هدنته وكثرت جيوشه فأجمع على عرضها كلها بين يديه وأعد لذلك مجلسا أقيم له بناؤه خارج الحمراء قلعة غرناطة وكان ابتداء هذا العرض يوم الثلاثاء تاسع عشر الحجة عام اثنين وثمانين وثمانمائة ولم تزل الجنود تعرض عليه كل يوم الى الثاني والعشرين من محرم السنة التي تليها وهو يوم تمام العرض وكان معظم المتنزهين والمتفرجين بالسبيكة وما قارب ذلك فبعث الله تعالى سيلا عرما على وادي حدره بحجارة وما عز بركاؤه القرب عقابا من الله سبحانه وتأديبا لهم لمجاهرتهم بالفسق والمنكر واحتمل الوادي ما على حافتيه من المدينة من حوانيت ودور ومعاصر وفنادق وأسواق وقناطر وحدائق وبلغ تيار السيل الى رحبة الجامع الاعظم ولم يسمع بمثل هذا السيل في تلك البلاد وكان بين رؤساء الافرنج في ذلك الوقت اختلاف فبعضهم استقل بملك قرطبة وبعض باشبيلية وبعض بشريش وعلى ذلك كان صاحب غرناطة السلطان أبو الحسن قد استرسل في اللذات وركن الى الراحات وأضاع الاجناد وأسند الامر الى بعض وزرائه واحتجب عن الناس ورفض الجهاد والنظر في الملك ليقضي الله تعالى ما شاء وكثرت المظالم والمغارم فأنكر الخاصة والعامة ذلك منه وكان أيضا قد قتل كبار القواد وهو يظن أن النصارى لا يغزون بعد البلاد ولا تقضي بينهم الفتنة ولا ينقطع الفساد واتفق أن صاحب قشتالة تغلب على بلادها بعد حروب وانقاد له رؤساء الشرك المخالفون ووجدت النصارى السبيل الى الافساد والطريق الى

تعصون ربكم وتغضبون أميركم وتنقصون خراجكم فقال قائلهم جود من كان قبلك وظلم من ظلم قال فما الامر الذي فيه صلاحكم فقالوا تؤخرنا بالخراج ثمانية أشهر ونجمعه لك قال لكم عشرة وتأتوني بعشرة ضمناء يضمنون فأتوه بهم فلما توثق منهم أمهلهم فلما قرب الوقت رآهم غير مكترثين لما ندبوا من الاجل فقال لهم فلم ينتفع بقوله فلما طال به ذلك جمع الضمناء وقال لهم المال فقالوا أصابنا من الآفة ما نقض ذلك فلما رأى ذلك منهم آلى أن لا يفطر وكان في شهر رمضان حتى يجمع ماله أو يضرب أعناقهم ثم قدم أحدهم فضرب عنقه وكتب عليه فلان ابن فلان أدى ما عليه وجعل رأسه في بدرة وختم عليها ثم قدم الثاني ففعل به مثل ذلك فلما رأى القوم الرؤس تبدر ويجعل في الاكياس بدلا من البدر قالوا أيها الامير توقف علينا حتى نحضر لك المال ففعل فاحضروه في أسرع وقت فبلغ ذلك الحجاج فقال أنا معاشر آل محمد يعني جده ولدنا نجيب فكيف رأيتم فراستي في الاعرابي ولم يزل عليها واليا حتى مات

الحجاج وحبس الحجاج ابراهيم التيمي بواسط فلما دخل السجن وقف على مكان مشرف ونادى بأعلى صوته

الاستيلاء على البلاد وذلك انه كان للسلطان أبي الحسن ولدان محمد ويوسف وهما من بنت عمه السلطان أبي عبد الله الايسر وكان قد اصطفى على امهما روميه كان لها منه بعض ذريه وكانت حظيه عنده مقدمة في كل قضيه فخيف أن تقدم أولاد الروميه على أولاد بنت عمه السنيه وحدث بين خدام الدولة التنافر والتعصب فميل بعضهم الى أولاد الحرة وبعض الى أولاد الروميه وكان النصارى أيام الفتنة بينهم هادنوا السلطان لامد حذوه وضربوه ولما تم أمد الصلح وافق وقته هذا الشان بين أولياء الدولة بسبب الاولاد وتشكى الناس مع ذلك بالوزراء والعمال لسوء ما عاملوا به الناس من الحيف والجور فلم يصغ اليهم وكثر الخلاف واشتد الخطب وطلب الناس تأخير الوزير وتفاقم الامر وصح عند النصارى لعنهم الله تعالى ضعف الدولة واختلاف القلوب فبادروا الى الحامة فأخذوها غدرا آخر أيام الصلح على يد صاحب قادس سنة سبع وثمانين وثمانمائة وغدوا للقلعة وتحصنوا بها ثم شرعوا في أخذ البلد فملكوا الطرق خيلا ورجالا وبذلوا السيف فيمن ظهر من المسلمين ونهبوا الحريم والناس في غفلة نيام من غير استعداد كالسكارى فقتل من قضى الله تعالى بتمام أجله وهرب البعض وترك أولاده وحريمه واحتوى العدو على البلد بما فيه وخرج العامة والخاصة من أهل غرناطة عند ما بلغهم العلم وكان النصارى عشرة آلاف بين ماش وفارس وكانوا عازمين على الخروج بما غنموه واذا بالسرعان من اهل غرناطة وصلوا فرجع العدو الى البلد فحاصرهم المسلمون وشددوا في ذلك ثم تكاثر المسلمون خيلا ورجالا من جميع بلاد الاندلس ونازلوا الحامة وطمعوا في منع الماء عن العدو وتبين للعامة أن الجند لم ينصحوا فأطلقوا السنتهم بأقبح الكلام فيهم وفي الوزير وبينما هم كذلك واذا بالنذير جاء ان النصارى أقبلوا في جمع عظيم لاغاثة من بالحامة من النصارى فاقلع جند المسلمين من الحامة وقصدوا ملاقاة الواردين من بلاد العدو ولما علم بهم العدو ولوا الادبار من غير ملاقاة محتجين بقلتهم وكان رئيسهم صاحب قرطبة * ثم ان صاحب اشبيلية جمع جندا عظيما من جيش النصارى الفرسان والرجال وأتى لنصرة من في الحامة من النصارى وعند ما صح هذا عند العسكر اجتمعوا وأشاعوا عند الناس أنهم خرجوا بغير زاد ولا استعدادا لصلاح الرجوع الى غرناطة لتستعد الناس ويأخذوا ما يحتاج اليه الحصار من العدة والعدد فعند ما أقلع المسلمون عنها دخلتها النصارى الواردون وتشاوروا في اخلائها أو سكناها واتفقوا على الاقامة بها وحصنوها وجعلوا فيها جميع ما يحتاج اليه وانصرف صاحب اشبيلية وترك أجناده وفرق فيهم الاموال ثم عاد المسلمون لحصارها وضيقوا عليها وطمعوا فيها من جهة موضع كان النصارى في غفلة عنه ودخل على النصارى جملة وافرة من المسلمين وخاب السعد بذلك بأن شعر بهم النصارى فعادوا عليهم وتردى بعضهم من أعلى الجبل وقتل أكثرهم وكانوا من أهل بسطة ووادي آش فانقطع أمل الناس من الحامة ووقع الايأس من ردها وفي جمادى الاولى من السنة تواترت الاخبار أن صاحب قشتالة أتى في جنود لا تحصى ولا تحصر فاجتمع الناس بغرناطة وتكلموا في ذلك واذا به قد قصد لوشة ونازلها قصدا أن يضيفها الى الحامة وجاء بالعدة والعدد واغارت على النصارى جملة من المسلمين فقتلوا من قتلوه وأخذوا جملة من

الحجاج طلب ابراهيم النخعي فنجا ووقع ابراهيم التيمي (وحكى) عن الاعمش قال قلت لابراهيم النخعي أين كنت حين طلبك الحجاج فقال بحيث يقول الشاعر عوى الذئب فاستأنست بالذئب اذ عوى وصوت انسان فكدت أطير حدثنا الدمشقي الاموي أحمد بن سعيد وغيره عن الزبير بن بكار عن محمد بن سلام الجمحي وحدثنا الفضل بن الحباب الجمحي عن محمد بن سلام قال سأل الحجاج ابن القرية أي النساء أحمد قال التي في بطنها غلام وفي حجرها غلام ويسعى لها مع الغلامين غلام قال فأي النساء شر قال الشديدة الاذى الكثيرة الشكوى المخالفة لما تهوى فقال أي النساء أعجب اليك قال الشقراء العطبول المنعاج الكسول التي لم يشتهها قصر ولا طول قال فأي النساء أبغض اليك قال الرعبلة القصيرة الباهق الشريرة قال فأخبرني عن أفضل النساء قال الغضة البضة التي أعلاها قضيب وأسفلها كثيب اللعساء الوركاء التي لم تذهب طولا في انحطاط ولا تفرق قصرا في افراط الجعدة الغدائر الجشعة القلفاتر المدافع

المدافع الكبار ثم جاءت جماعة أخرى من أهل غرناطة وناوشوا النصارى فالجؤهم الى الخروج عن الخيام وأخذوها وغيرها فهرب النصارى وتركوا طعاما كثيرا وآلة ثقيلة وذلك فى السابع والعشرين من جمادى الاولى من السنة المذكورة * وفى هذا اليوم بعينه هرب الاميران أبو عبد الله محمد وأبو الحجاج يوسف خوفا من أبيهما أن يقتلهما باشارة حظيته الرومية ثم ياويا استقرا بوادى آش وقامت بدعوتهما ثم بايعتهما تلك البلاد المرية وبسطة وغرناطة وهرب أبوهما السلطان أبو الحسن الى مالقة * وفى صفر سنة ثمان وثمانين وثمانمائة اجتمع جميع رؤساء النصارى وقصدوا قرى مالقة وبلش فى نحو الثمانية آلاف وفيهم صاحب اشبيلية وصاحب شريش وصاحب استجة وصاحب النقيرة وغيرهم فلم يتمكنوا من أخذ حصن ونشبوا فى أوعار ومضايق وخنادق وجبال واجتمع عليهم أهل بلش ومالقة وصار المسلمون ينالون منهم فى كل محل حتى بلغوا مالقة ففر كبيرهم ومن بقى أسر أو قتل وكان السلطان أبو الحسن فى ذلك الوقت قد تحرك لنواحى المنكب وبقى أخوه أبو عبد الله بمالقة ومعه بعض الجند وقتل من النصارى فى هذه الوقعة نحو ثلاثة آلاف وأسر نحو ألفين من جماتها خال السلطان وصاحب اشبيلية وصاحب شريش وصاحب النقيرة وغيرهم وهم نحو الثلاثين من الاكابر وغنم المسلمون غنيمة وافرة من الانفس والاموال والعدة والذهب والفضة وبعقب ذلك سافر أهل مالقة لبلاد النصارى فكسروا هنالك كسرة شنيعة قتل فيها أكثر قواد غرب الاندلس * ولما استقر السلطان أبو عبد الله ابن السلطان أبى الحسن بغرناطة وطاعت له البلاد غير مالقة والغربية تحرك السلطان أبو الحسن على المنكب ونواحيها وأتى ابنه السلطان أبو عبد الله فى جند غرناطة والجهة الشرقية والتقوا فى موضع يعرف بالدب فكسر السلطان أبو عبد الله * ولما سمع السلطان أبو عبد الله صاحب غرناطة بان عمه بمالقة غنم من النصارى أعمل السفر للغزو باهل بلاده من غرناطة والشرقية وذلك فى ربيع الاول من السنة الى أن بلغ نواحى لشانة وقتل وأسر وغنم فتجمعت عليه النصارى من جميع تلك النواحى ومعه كبير قبرة وحالوا بين المسلمين وبلادهم فى جبال وأوعار فانكسر الجند واسر من الناس كثير وقتل آخرون وكان فى جملة من اسر السلطان أبو عبد الله ولم يعرف ثم علم به صاحب لشانة وأراد صاحب قبرة أن ياخذه منه فهرب به ليلا وبلغه الى صاحب قشتالة ونال بذلك عنده رفعة على جميع القواد وتفاءل به فقلما توجه لجهة أو بعث سريه الا وبعثه فيها * ولما اسر السلطان أبو عبد الله اجتمع كبراء غرناطة وأعيان الاندلس وذهبوا لمالقة للسلطان أبى الحسن وذهبوا به لغرناطة وبايعوه مع انه كان اصابه مثل الصرع الى أن ذهب بصره وأصابه ضرر ولما تعذر امره قدم اخاه ابا عبد الله وخلع له نفسه ونزل بالمنكب فاقام بها الى أن مات واستقل أخوه ابو عبد الله المعروف بالزغل بالملك بعده * وأما أبو عبد الله ابن السلطان أبى الحسن فهو فى اسر العدو * وفى شهر ربيع الآخر من سنة تسعين وثمانمائة خرج العدو فى قوة الى نواحى مالقة بعد أن كان فى السنة قبلها استولى على حصون فاستولى هذه السنة على بعض الحصون وقصد ذكوان فهد أسوارها وكان بها جملة من اهل الغربية ورندة ودخل ألف مدرع ذكوان عنوة فاظفر الله تعالى بهم أهل ذكوان

خلتها سارية من السوارى فتلك تهيج المشتاق وتحيى العاشق بالعناق (قال المسعودى) وللوليد بن عبد الملك أخبار حسان لما كان فى أيامه من الكوائن والحروب وكذلك الحجاج وقد أتينا على كثير من مبسوطها فى كتابينا أخبار الزمان والاوسط وانما نذكر فى هذا الكتاب ما لم نورده فى ذينك الكتابين كما أن ما ذكرناه فى الكتاب الاوسط لم نورده فى كتاب أخبار الزمان والله أعلم

(ذكر أيام سليمان بن عبد الملك)

بويع سليمان بن عبد الملك بدمشق فى اليوم الذى كانت فيه وفاة الوليد وذلك يوم السبت للنصف من جمادى الآخرة سنة ست وتسعين من الهجرة وتوفى سليمان بعرج دابق من أعمال جبل قنسرين يوم الجمعة لعشر بقين من صفر سنة تسع وتسعين فكانت ولايته سنتين وثمانية أشهر وخمس ليال وهلك وهو ابن تسع وثلاثين سنة وعهد الى عمر بن عبد العزيز وقيل ان وفاة سليمان كانت يوم الجمعة لعشر خلون من

٧٧ ط فى صفر سنة تسع وتسعين وان ولايته سنتان وتسعة أشهر وثمانية عشر يوما على حسب ما وجدنا من

فقتلوهم جميعا ثم طلبوا الامان وخرجوا * ثم انتقل في جمادى الاولى الى رندة وحاصرها وكان أهلها خرجوا الى نصرة ذكوان وسواها فحاصر رندة وهدّ اسوارها وخرج أهلها على الامان وطاعت له جميع تلك البلاد ولم يبق بغربي مالقة الا من دخل في طاعة الكافر وتحت ذمته وضيق بمالقة وفرق حصصه على بعض الحصون ليحاصر مالقة وعاد الى بلاده * وفي تاسع عشر شعبان من العام سافر صاحب غرناطة لتحصين بعض البلاد وبينما هو كذلك اذا بالخبر جاءه ان محلة العدو خارجة لذلك الحصن * وفي صبيحة الثاني والعشرين من شعبان أصبحت جنود النصارى على الحصن كانوا قد سروا اليه ليلا وأصبحوا عند الفجر مع جند المسلمين فقاتلهم المسلمون من غير تعبية فاختل نظام المسلمين ووصل النصارى الى خباء السلطان ثم التحم القتال واشتد وقوي الله تعالى المسلمين فهزموا النصارى شر هزيمة وقتل منهم خلائق وقصر المسلمون خوفا من محلة سلطان النصارى اذ كانت قادمة في اثر هذه ولما رجعت اليهم الفلول رجعوا القهقرى واستولى المسلمون على غنائم كثيرة وآلات وجعلوا ذلك كله بالحصن ولم يحدث شيء بعد الى رمضان فتوجه الكافر لحصن قبيل ونازله وهد أسواره ولما رأى المسلمون أن الحصن قد دخل طلبوا الامان وخرجوا باموالهم وأولادهم مؤمنين وفر الناس من تلك المواضع من البراجلة هاربين واستولى العدو على عدة حصون مثل مشافر وحصن اللوز وضيق العدو بجميع بلاد المسلمين ولم يتوجه لناحية الا استأصلها ولا قصد جهة الا أطاعته وحصلها ثم ان العدو دبر الحيلة مع ماهو عليه من القوة فبعث الى السلطان أبي عبد الله الذي تحت أسره وكساه وعده بكل ما يتمناه وصرفه لشرقي بسطة وأعطاه المال والرجال ووعده أن من دخل تحت حكمه من المسلمين وبايعه من أهل البلاد فانه في الهدنة والصلح والعهد والميثاق الواقع بين السلاطين وخرج لبلش فأطاعه أهلها ودخلت بلش في طاعته ونودي بالصلح في الاسواق وصرخت به في تلك البلاد الشياطين وسرى هذا الامر حتى بلغ أرض البيازين من غرناطة وكانوا من التعصب وحمية الجاهلية والجهل بالمقام الذي لا يخفى وتبعهم بعض المفسدين المحبين تفريق كلمة المسلمين وممن مال الى الصلح عامة غرناطة لضعف الدولة ووسوس للناس شياطين الفتنة وسماسرتها بتقبيح وتحسين الى أن قام ربض البيازين بدعوة السلطان الذي كان مأسورا عند المشركين ووقعت فتنة عظيمة في غرناطة نفسها بين المسلمين لما أراده الله تعالى من استيلاء العدو على تلك الاقطار ورجموا البيازين بالحجارة من القلعة وعظم الخطب وكانت الثورة ثالث شهر ربيع الاول عام احدى وتسعين وثمانمائة ودامت الفتنة الى منتصف جمادى الاولى من العام وبلغ الخبر أن السلطان الذي قام وابن عوته قدم على لوشة ودخلها على وجه رجاء الصلح بينه وبين عمه الزغل صاحب قلعة غرناطة بأن العم يكون له الملك وابن أخيه تحت أيالته بلوشة أو بأي المواضع أحب ويكونون يدا واحدة على عدو الدين وبينما هم كذلك اذا بصاحب قشتالة قد خرج بجند عظيم ومحلة قوية وعدد وعدد ونازل لوشة حيث السلطان أبو عبد الله الذي كان أسيرا وضيق عليها الحصار وقد كان دخلها جماعة من أهل البيازين بنية الجهاد والمعاضدة وليهم وخاف أهل غرناطة وسواها من أن يكون ذلك حيلة فلم يأت لنصرتهم غير

ثباين مافي كتب التواريخ تنوزع في مقدار سن سليمان فذكر بعضهم أنه قبض وهو ابن خمس وأربعين ومنهم من زعم انه كان ابن ثلاث وخمسين وقد قدمنا قول من قال انه قبض وهو ابن تسع وثلاثين ووجدت أكثر شيوخ بني مروان من ولده وولد غيره بدمشق وغيرها يذهبون الى انه كان ابن تسع وثلاثين والله أعلم

(ذكر لمع من أخباره وسيره)

لما أفضى الامر الى سليمان صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله ثم قال الحمد لله الذي ماشاء صنع وماشاء أعطى وما شاء منع وماشاء رفع وماشاء وضع أيها الناس ان الدنيا غرور وباطل وزينة وتقلب باهلها تضحك باكيها وتبكي ضاحكها وتخيف آمنها وتؤمن خائفها وتثري فقيرها وتفقر مثريها ميالة بأهلها عباد الله اتخذوا كتاب الله اماما وارضوا به حكما واجعلوه لكم هاديا ودليلا فانه ناسخ ما قبله ولا ينسخه ما بعده واعلموا عباد الله أنه ينفي عنكم كيد الشيطان ومطامعه كما يجلو ضوء الشمس الصبح اذا أسفر وادبار الليل اذا عسعس ثم نزل وأذن للناس بالدخول عليه وأقر عمال من كان قبله البيازين

البيازين واشتد عليهم الحصار وكثرت الاقاويل وصرخت الالسن بان ذلك باتفاق بين السلطان المأسور وصاحب قشتالة ودخل على أهل لوشة في ربضهم وخافوا من الاستئصال فطلبوا الامان في أموالهم وأنفسهم وأهليهم فوفى لهم صاحب قشتالة بذلك وأخذ البلد في السادس والعشرين لجمادى الاولى سنة احدى وتسعين وهي أعني لوشة كانت بلد سلف الوزير لسان الدين بن الخطيب كما ذكرناه مستوفى في غير هذا الموضع وهاجر أهل لوشة الى غرناطة وبقي السلطان أبو عبد الله الذي كان مأسورا مع النصراني بلوشة فصرح عند ذلك أهل غرناطة بانه ما جاء للوشة الا ليدخل اليها العدو الكافر ويجعلها فداء له وقيل انه سرح له حينئذ انه اذ كان مرهونا في الفداء وكثر القيل والقال بينهم وبين أهل البيازين في ذلك وظهر بذلك ما كان كامنا في القلوب ثم رجع صاحب قشتالة الى بلاده ومعه السلطان المذكور وفي نصف جمادى الثانية خرج الى البيرة فهد بعض الاسوار وتوعد الناس فاعطاه أهله الحصن على الامان فخرجوا وقدموا على غرناطة ثم فعل بحصن التلين مثل ذلك وقاتلوا قتالا شديدا ولما ضاقوا ذرعا أعطوه بالمقادة على الامان فخرجوا الى غرناطة وأطاع أهل قلنبيرة من غير قتال فخرجوا الى غرناطة ثم وصل العدو الى متن فريد فرمى عليهم بالمحرقات وغيرها وأحرق دار العدة فطلبوا الامان وخرجوا الى غرناطة وانتقل للصخرة فاخذها وحصن هذه الحصون كلها وشحنها بالرجال والعدة ورتب فيها الخيل لمحاصرة غرناطة ثم عاد الكافر لبلاده وتعاهد مع السلطان الذي في أسره بأن من دخل في حكمه وتحت أمره فهو في الامان التام وأشاعوا أن ذلك بسبب فتنة وقعت بينه وبين صاحب افرنسية فخرج لبلش وأطاعته ثم بعث لمن والاه من البلاد انه أتى بصلح صحيح وعقد وثيق وأن من دخل تحت أمره امن من حركة النصارى عليه وأن معه وثائق بخطوط السلاطين فلم يقبل الناس ذلك الا القليل منهم مثل أهل البيازين فلم يجابوا بهذا الصلح وأقاموا على صحته الدلائل وتكلموا في أهل غرناطة بالكلام القبيح مع تمكن الفتنة والعداوة في القلوب فبعث له أهل البيازين انه اذا قدم بهذه الحجج لتلك الجهات اتبعه الناس وقاموا بدعوته من غير التباس فاتى على حين غفلة ولم يكن بظن اتيانه بنفسه فاتى البيازين ودخلها ونادى في أسواقها بالصلح التام الصحيح فلم يقبل ذلك منه أهل غرناطة وقالوا ما بعهد لوشة من قدم ودخل ربض البيازين بالرجال سادس عشر شوال سنة احدى وتسعين وثمانمائة وعمه بالحراء وانتقل للقلعة واشتد أمر الفتنة ثم ان صاحب قشتالة أمد صاحب البيازين بالرجال والعدة والمال والقمح والبارود وغيرها واشتد أمره بذلك وعظمت أسباب الفتنة وفشا في الناس القتل والنهب ولم يزل الامر كذلك الى السابع والعشرين من محرم سنة اثنتين وتسعين وثمانمائة فعزم أهل غرناطة مع سلطانهم على الدخول على البيازين عنوة وتكلم أهل العلم فيمن انتصر بالنصارى ووجوب مدافعته ومن أطاعه عصى الله ورسوله ودخلوا على أهل البيازين دخول فشل ثم ان صاحب غرناطة بعث الى الاجناد والقواد من أهل بسطة ووادي آش والمرية والمنكب وبلش ومالقة وجميع الاقطار وتجمعوا بغرناطة وتعاهدوا وتحالفوا على ان يدهم واحدة على أعداء الدين ونصرة من قصده العدو من المسلمين وخاف صاحب البيازين فبعث لصاحب قشتالة في

أحداثا منها انه أدار الصفوف حول الكعبة وقد كان قبل ذلك صفوف الناس في الصلاة بخلاف ذلك وبلغه قول الشاعر

ياحبذا الموسم من موقف
وحبذا الكعبة من مسجد
وحبذا اللاتي تزاحمنا
عند استلام الحجر الاسود

فقال خالد أما انهن لا يزاحمنك بعدها أبدا ثم أمر بالتفريق بين الرجال والنساء في الطواف وكان سليمان صاحب أكل كثير يجوز المقدار وكان يلبس الثياب الرقاق وثياب الوشي وفي أيامه عمل الوشي الجيد باليمن والكوفة والاسكندرية ولبس الناس جميعا الوشي جبابا واردية وسراويل وعمائم وقلانس وكان لا يدخل عليه رجل من أهل بيته الا في الوشي وكذلك عماله وأصحابه ومن في داره وكان لباسه في ركوبه وجلوسه وعلى المنبر وكان لا يدخل عليه أحد من خدامه الا في الوشي حتى الطباخ فانه كان يدخل اليه في صدره وشي وعلى رأسه طويلة وشي وأمر أن يكفن في الوشي المنقلة وكان شبعه في كل يوم من الطعام مائة رطل بالعراقي وكان ربما أتاه الطباخون بالسفافيد التي فيها الدجاج المشوية وعليه الوشي المنقلة فلتهمه وسوسه

على الاكل يدخل يده فى كمه
نهم سليمان وتناوله
الفرارج بكمه من
السفافيد فقال قاتلك الله
فما أعلمك بأخبارهم انه
عرضت على جباب بنى أمية
فنظرت الى جباب سليمان
واذا كل جبة منها فى كمها
أثر دهن فلم أدر ماذلك حتى
حدثنى بالحديث ثم قال
على بجباب سليمان فأتى
بها فنظرنا فاذا تلك الآثار
فيها ظاهرة فكسانى منها
جبة فكان الاصمعى ربما
يخرج أحيانا فيها فيقول
هذه جبة سليمان التى
كسانيها الرشيد وذكر ان
سليمان خرج من الحمام
ذات يوم وقد اشتد جوعه
فاستعجل الطعام ولم يكن
فرغ منه فأمر أن يقدم
مالحق من الشواء فقدم
اليه عشرون خروفا أكل
أجوافها كلها مع أربعين
رقاقة ثم قرب بعد ذلك
الطعام فأكل معه ندمائه
كأنه لم يأكل شيأ وحكى انه
كان يتخذ سلال الحلوى
ويجعل ذلك حول مرقده
فكان اذا قام من نومه يمد
يده فلا تقع الا على سلة
يأكل منها (حدث) المغيرى
عن العتبى عن اسحق بن
ابراهيم بن الصباح بن
مروان وكان مولى لبنى

ذلك فخرج بعملته قاصدا نواحى بلش وكان صاحب البيازين بعث وزيره الى ناحية مالقة والى حصن المنشأة يذكر ويخوف ومعه النسخة من عقود الصلح فقامت مالقة وحصن المنشأة بدعوته ودخلوا فى اياالتخوفا من صاحب قشتالة وصولته وطمعا فى الصلح وصحته ثم اجتمع كبار مالقة مع أهل بلش وذكروالهم سبب دخولهم فى هذه الدعوة والسبب الحامل لهم على ذلك فلم يرجع أهل بلش عما عاهدوا عليه أهل غرناطة وسائر الاندلس من العهود والمواثيق وخرج صاحب قشتالة قاصدا بلش مالقة ونزل عليها فى ربيع الثانى سنة اثنتين وتسعين وثمانمائة وحاصرها ولما صح عند صاحب غرناطة ذلك اجتمع بالناس فاشاروا بالمسير لاغاثة بلش للعهد الذى عقدوه وأتى أهل وادى آش وغيرها وحشود البشرات وخرج صاحب غرناطة منها فى الرابع والعشرين لربيع الثانى من السنة ووصل بلش فوجد العدو نازلا عليها براوبحرا فنزل بجبل هنالك وكثر لغط الناس وحملوا على النصارى من غير تعبية وحين حركتهم للعملة بلغ السلطان الزغل أن غرناطة بايعت صاحب البيازين فالتقوا مع النصارى فشلين وقبل الالتحام انهزموا وتبددت جموعهم مع كون النصارى خائفين وجلين منهم ولاحول ولاقوة الا بالله فرجعوا منهزمين وقد شاع عند الخواص ثورة غرناطة على السلطان فقصدوا وادى آش وعاد النصارى الى بلش بعد أن كانوا ربتوا جيوشهم للقاء السلطان وأهل غرناطة فلما عادوا الى بلش دخلوا عنوة وضيقوا بهم وكانت ثورة غرناطة خامس جمادى الاولى ولما رأى أهل بلش تكالب العدو عليهم وادبار جيوش المسلمين عنهم طلبوا الامان فخرجوا يوم الجمعة عاشر جمادى الاولى من السنة وأطاعت النصارى جميع البلاد التى بشرق مالقة وحصن قارش ثم انتقل العدو الى حصار مالقة وكان أهل مالقة قد دخلوا فى الصلح وأطاعوا صاحب البيازين وأتى اليها النصارى بالميرة ولما نزل بلش بعثوا هدية لصاحب قشتالة مع قائدهم وزير صاحب البيازين وقائد شريش الذى كان مأسورا عندهم فلم يلتفت اليهم صاحب قشتالة لقيام جبل فارة وهو حصن مالقة بدعوة صاحب وادى آش وارتحل صاحب قشتالة الى مالقة ونازلها براوبحرا وقاتله أهلها قتالا عظيما بمدافعهم وعدتهم وخيلهم ورجلهم وطال الحصار حتى أداروا على مالقة من البر الخنادق والسور والاجفان من البحر ومنع الداخل اليها ولم يدخلها غير جماعة من المرابطين حال الحصار وحاربوا حربا شديدا وقربوا المدافع ودخلوا الارباض وضيقوا عليهم بالحصار الى أن فنى ما عندهم من الطعام فاكلوا المواشى والخيل والحمير وبعثوا الكتب للعدوتين وهم طامعون فى الاغاثة فلم يأت اليهم أحد وأثر فيهم الجوع وفشا فى أهل نجدتهم القتل ولم يظهر لهم ذلك هلعا ولا ضعفا الى أن ضعف حالهم ويئسوا من ناصر أو مغيث من البر والبحر فتكلموا مع النصارى فى الامان كما وقع عن سواه فوقعوا على ما صدر منهم وما وقع من الجفاء وقيل لهم لما تحقق العدو التباءهم تؤمنون من الموت وتعطون مفتاح القلعة والحصن والسلطان ما يعاملكم الا بالخير اذا فعلتم وهذا خداع من الكفار فلما تمكن العدو منهم أخذهم أسرى وذلك أواخر شعبان سنة اثنتين وتسعين وثمانمائة ولم يبق فى تلك النواحى موضع الا وملكه النصارى وفى عام ثلاثة وتسعين

أمية من أرض البلقاء من أعمال دمشق وكان حافظا لاخبار بنى أمية قال لبس سليمان يوم الجمعة فى ولايته وثمانمائة

وثمانمائة خرج العدو الكافر الى الشرقية وبلبيس التي كانت في الصلح فاستولى عليها واحتجوا بالصلح فلم يلتفت اليهم وأخذ تلك البلاد كلها صلحا ثم رجع لبلاده * وفي عام أربعة وتسعين خرج لبعض حصون بسطة فاخذها بعد حرب واستولى على ما هنالك من الحصون ثم نازل بسطة وكان صاحب وادي آش لما تعين العدو لمحاربته بعث جميع جنده وقواده وحشد أهل نجدة تلك البلاد من وادي آش والمرية والمنكب والبشرات فلما نزل العدو بسطة أتت الحشود المذكورة ودخلوها ووقعت بين المسلمين والنصارى حروب عظيمة حتى تقهقر العدو عن قرب بسطة ولم يقدر على منع الداخل والخارج وبقي الامر كذلك رجب وشعبان ورمضان ومحلات المسلمين نازلة خارج البلد ثم ان العدو شد الحصار وجد في القتال وقرب المدافع والآلات من الاسوار حتى منع الداخل والخارج بعض منع واشتد الحال في القعدة والحجة وقل الطعام وفي آخر الحجة اختبروا الطعام في خفية فلم يجدوا الا القليل وكانوا طامعين في اقلاع العدو عند دخول فصل الشتاء واذا بالعدو بنى وعزم على الاقامة وقوى اليأس على المسلمين فتكلموا في الصلح على ما فعل غيرهم من الاماكن وظن العدو أن الطعام لم يبق منه شئ وان ذلك هو الملجئ لهم للكلام وفهموا عنه ذلك فاحتالوا في اظهار جميع أنواع الطعام بالاسواق وأبدوا للعدو القوة مع كونهم في غاية الضعف والحرب خدعة فدخل بعض كبار النصارى للتكلم معهم وهو عين ليرى ما عليه البلد وما صفة الناس وعند تحققهم بقاء الطعام والقوة أعطوهم الامان على أنفسهم دون من أعانهم من اهل وادي آش والمنكب والمرية والبشرات فان دفعوا هؤلاء عنهم صح لهم الامان والا فلا فلم يوافق أهل البلد على هذا وطال الكلام وخاف أهل البلد من كشف الستر فاتفقوا على أن تكون العقدة على بسطة ووادي آش والمرية والمنكب والبشرات ففعلوا ذلك ودخل جميع هؤلاء في طاعة العدو على شروط شرطوها وأمور اظهروا بعضها للناس وبعضها مكتوم وقبض الخواص مالا وحصلت لهم فوائد * وفي يوم الجمعة عاشر محرم سنة خمس وتسعين وثمانمائة دخل النصارى قلعة بسطة وملكوها ولم يعلم العوام كيفية ما وقع عليه الشرط والالتزام وقالوا لهم من بقي بموضعه فهو آمن ومن انصرف خرج بماله وسلاحه سالما ثم أخرج العدو المسلمين من البلد وأسكنهم بالربض خوف الثورة ثم ارتحل العدو للمرية وأطاعته جميع تلك البلاد ونزل صاحب وادي آش للمرية ليلقاه بها فلقيه وأخذ الحصون والقلاع والبروج وبايع له السلطان أبو عبد الله على أن يبقى تحت طاعته في البلاد التي تحت حكمه كما أحب فوعده بذلك وانصرف معه الى وادي آش ومكنه من قلعتها أوائل صفر من العام المذكور واطاعته جميع البلاد ولم يبق غير غرناطة وقراها وجميع ما كان في حكم صاحب وادي آش صار للنصارى في طرفة عين وجعل في كل قلعة قائدا نصرانيا وكان قائد من المسلمين أصحاب هذه البلاد دفع لهم الكفار مالا من عند صاحب قشتالة كرامة منه لهم بزعمهم فتبا لعقولهم وما ذلك منه الا توفير لرجاله وعدته ودفع بالتي هي أحسن ثم أخذ برج الملاحة وغيره وبناه وحصنه وشحن الجميع بالرجال والذخيرة واظهر العصبة والصلح مع صاحب وادي آش واباح الكلام بالسوء في حق

أخرى حتى رضي منها بواحدة فأرخى من سدولها وأخذ بيده مخصرة وعلا المنبر ناظرا في عطفيه وجمع همه وخطب خطبته التي أرادها فاعجبه نفسه فقال أنا الملك الشاب السيد المهاب الكريم الوهاب فتمثلت له جارية من بعض جواريه كان يتخطاها فقال لها كيف ترين أمير المؤمنين قالت أراه مني النفس وقرة العين لولا ما قال الشاعر قال وما قال الشاعر قالت قال

أنت نعم المتاع لو كنت تبقى غير أن لا بقاء للانسان
أنت من لا يرينا منك شيئ علم الله غير أنك فاني
ليس فيما بدا لنا منك عيب يا سليمان غير أنك فاني

فدمعت عيناه وخرج على الناس باكيا فلما فرغ من خطبته وصلاته دعا بالجارية فقال لها ما دعاك الى ما قلت لامير المؤمنين قالت والله ما رأيت أمير المؤمنين اليوم ولا دخلت عليه فأكبر ذلك ودعا بقيمة جواريه فصدقتها في قولها فراع ذلك سليمان ولم ينتفع بنفسه ولم يمكث بعد ذلك الا مدة حتى توفي وكان سليمان يقول قد أكلنا الطيب ولبسنا اللين وركبنا الفاره ولم يبق لذة الا صديق أطرح معه فيما بيني وبينه ثونة التحفظ وتحمل عليه بزيد

صاحب غرناطة مكرامنه وخداعا ودها ثم بعث فى السنة نفسها رسلا لصاحب غرناطة
أن يمكنه من الحمراء كما مكنه عمه من القلاع والحصون ويكون تحت آرائه ويعطيه مالا
جزيلا على ذلك وأى بلاد شاء من الاندلس يكون فيها تحت حكمه قالوا وأطمعه صاحب
غرناطة فى ذلك فخرج العدو فى محلاته لقبض الحمراء والاستيلاء على غرناطة وهذا فى سرين
السلطانين فجمع صاحب غرناطة الاعيان والكبراء والاجناد والفقهاء والخاصة والعامة
وأخبرهم بما طلب منه العدو وأن عمه أفد عليه الصلح الذى كان بينه وبين صاحب قشتالة
بدخوله تحت حكمه وليس لنا الا احدى خصلتين الدخول فى طاعته أو القتال فاتفق
الرأى على الجهاد والوفاء بما عقده من صلح وخرج بمحلته ان صاحب قشتالة نزل على مرج
غرناطة وطلب من اهل غرناطة الدخول فى طاعته والا أفسد عليهم زروعهم
فاعلنوا بالمخالفة فأفسد الزرع وذلك فى رجب سنة خمس وتسعين ووقعت بين المسلمين والعدو
حروب كثيرة ثم ارتحل العدو عند الاياس منهم ذلك الوقت وهدم بعض حصون واصلح برج
همدان والملاحة وشحنهما بما ينبغى ثم رجع الى بلاده وعند انصرافه نزل صاحب غرناطة
بمن معه الى بعض الحصون التى فى يد النصارى ففتحها عنوة وقتل من فيها من النصارى
وأسكنها المسلمين ورجع لغرناطة ثم أعمل الرحلة الى البشرات فى رجب المذكور فأخذ
بعض القرى وهرب من بها من النصارى والمرتدين أصحابهم ثم أتى حصن اندرش فتملكه
منه وأطاعته البشرات وقامت دعوة الاسلام بها وخرجوا عن ذمة النصارى وهنالك عمه
أبو عبد الله محمد بن سعد بجملة وافرة فقصدهم فى شعبان من غرناطة واستقر عمه بالمريه
واطاعت صاحب غرناطة جميع البشرات الى برجة ثم تحرك عمه مع النصارى الى اندرش
فأخذوها لرمضان وخرج صاحب غرناطة لقرية همدان وكان برجها العظيم مشحونا
بالرجال والعدة والطعام فحاصره أهل غرناطة ونصبوا عليه أنواعا من الحرب ومات فيه خلق
كثير منهم ونقبوا البرج الاول والثانى والثالث والجؤهم للبرج الكبير وهو القلعة
فنقبوها ثم أسروا من كان بها وهم ثمانون ومائة واحتووا على ما هنالك من عدة وآلات
حرب * وفى آخر رمضان خرج صاحب غرناطة بقصد المنكب فلما وصل حصن شلوبانية نزله
وأخذه عنوة بعد حصاره وامتنعت القلعة وجاءتهم الامداد من مالقة بحرا فلم تقدر على شئ
وضيقوا بالقلعة فوصلهم الخبر أن صاحب قشتالة خرج بمحلته لمرج غرناطة فارتحل صاحب
غرناطة عن قلعة شلوبانية وجاء غرناطة ثالث شوال وبعد وصولهم غرناطة وصل العدو الى
المرج ومعه المرتدون والمدجنون وبعد ثمانية أيام ارتحل العدو لبلاده بعد هدم برج
الملاحة واخلائه وبرج آخر وتوجه الى وادى آش فاخرج المسلمين منها ولم يبق بها مسلم فى
المدينة ولا الربض وهدم القلعة اندرش وحاف على البلاد ولما رأى ذلك السلطان الزغل
وهو أبو عبد الله محمد بن سعد عم سلطان غرناطة بادر بالجواز لبر العدوة فجاز لوهران ثم
لتلمسان واستقر بها وبها نسله الى الآن يعرفون ببنى سلطان الاندلس ودخل صاحب
قشتالة لاقاصى مملكته بسبب فتنة بينه وبين الافرنج ثم تحرك صاحب غرناطة على برشانة
وحاصرها وأخذها وأسر من كان بها من النصارى وأرادت فتيانه القيام على النصارى بغاء

ابن أبى مسلم كاتب الحجاج والمستولى عليه وهو مقبل بالحديد فلما رآه ازدراه فقال ما رأيت كاليوم قط
لعن الله رجلا أجرأك رسنه وحكمك فى أمره فقال له
يزيد لا تفعل يا أمير المؤمنين
فانك رأيتنى والامر عنى
مدبر وعليك مقبل ولو
رأيتنى والامر مقبل على
لاستعظمت منى ما استصغرت
ولاستعللت منى ما استحقرت
قال صدقت فاجلس لا أم
لك فلما استقر به المجلس
قال له سليمان عزمت
عليك لتخبرنى عن الحجاج
ما ظنك به أتراه يهوى بعد
فى جهنم أم قد استقر فيها قال
يا أمير المؤمنين لا تقل هذا
فى الحجاج فقد بذل لكم نصحه
وأحقن دونكم دمه وأمن
وليكم واخاف عدوكم وانه
يوم القيامة لعن يمين أبيك
عبد الملك ويسار أخيك
الوليد فاجعله حيث شئت
فصاح سليمان اخرج عنى
الى لعنة الله ثم التفت الى
جلسائه فقال قبحه الله
ما كان أحسن تزيينه لنفسه
ولصاحبه ولقد أحسن
المكافأة أطلقوا سبيله
(ودخل) عليه أبو حازم
الاعرج فقال يا أبا حازم
ما الذى تكره الموت قال
لانكم عمرتم دنياكم
وأخربتم آخرتكم فانتم
تكرهون النقلة من العمران
الى الخراب قال فاخبرنى
كيف القدوم على الله قال أما المحسن فكالغائب يأتى أهله مسرورا وأما المسىء

صاحب وادي آش ففتك فيهم * وفي القعدة من السنة رفع صاحب غرناطة من السند وخلت تلك الاوطان من الانس * وفي ثاني عشري جمادى الآخرة سنة ست وتسعين وثمانمائة خرج العدو بعملاته الى مرج غرناطة وأفسد الزرع ودوخ الارض وهدم القرى وأمر ببناء موضع بالسور والجفير وأحكم بناءه وكانوا يذكرون انه عزم على الانصراف فاذا به صرف الهمة الى الحصار والاقامة وصار يضيق على غرناطة كل يوم ودام القتال سبعة أشهر واشتد الحصار بالمسلمين غير أن النصارى على بعد والطريق بين غرناطة والبشرات متصلة فالمرافق والطعام من ناحية جبل شلير الى أن تمكن فصل الشتاء وكلب البرد ونزل الثلج فانسد باب المرافق وانقطع الجالب وقل الطعام واشتد الغلاء وعظم البلاء واستولى العدو على أكثر الاماكن خارج البلد ومنع المسلمين من الحرث والسبب وضاق الحال وبان الاختلال وعظم الخطب وذلك أول عام سبعة وتسعين وثمانمائة وطمع العدو في الاستيلاء على غرناطة بسبب الجوع والغلاء دون الحرب فمر ناس كثيرون من الجوع الى البشرات ثم اشتد الامر في شهر صفر من السنة وقل الطعام وتفاقم الخطب فاجتمع ناس مع من يشار اليه من أهل العلم وقالوا انظروا في أنفسكم وتكلموا مع سلطانكم فاحضر السلطان أهل الدولة وأرباب المشورة وتكلموا في هذا المعنى وان العدو يزداد مدده كل يوم ونحن لا مدد لنا وكان ظننا أنه يقلع عنا في فصل الشتاء فخاب الظن وبنى وأسس وأقام وقرب منا فانظروا لانفسكم وأولادكم فاتفق الرأي على ارتكاب أخف الضررين وشاع أن الكلام وقع بين النصارى ورؤساء الاجناد قبل ذلك في اسلام البلد خوفا على نفوسهم وعلى الناس ثم عددوا مطالب وشروطا أرادوها وزادوا أشياء على ما كان في صلح وادي آش منها ان صاحب رومة يوافق على الالتزام والوفاء بالشرط اذا مكنوه من حمراء غرناطة والمعاقل والحصون ويحلف على عادة النصارى في العهود وتكلم الناس في ذلك وذكروا أن رؤساء أجناد المسلمين لما خرجوا للكلام في ذلك امتن عليهم النصارى بمال جزيل وذخائر ثم عقدت بينهم الوثائق على شروط قرئت على أهل غرناطة فانقادوا اليها ووافقوا عليها وكتبوا البيعة لصاحب قشتالة فقبلها منهم ونزل سلطان غرناطة من الحمراء * وفي ثاني ربيع الاول من السنة أعني سنة سبع وتسعين وثمانمائة استولى النصارى على الحمراء ودخلوها بعد أن استوثقوا من أهل غرناطة بنحو خمسمائة من الاعيان رهنا خوف الغدر وكانت الشروط سبعة وستين منها تأمين الصغير والكبير في النفس والاهل والمال وابقاء الناس في أماكنهم ودورهم ورباعهم وعقارهم ومنها اقامة شريعتهم على ما كانت ولا يحكم على أحد منهم الا بشريعتهم وان تبقى المساجد كما كانت والاوقاف كذلك وأن لا يدخل النصارى دار مسلم ولا يغصبوا أحدا وأن لا يولى على المسلمين نصراني أو يهودي ممن يتولى عليهم من قبل سلطانهم قبل وأن يفتك جميع من أسر في غرناطة من حيث كانوا وخصوصا أعيانا نص عليهم ومن هرب من أسارى المسلمين ودخل غرناطة لا سبيل عليه لمالكه ولا سواه والسلطان يدفع ثمنه لمالكه ومن أراد الجواز للعدوة لا يمنع ويجوزون في مدة عينت في مراكب السلطان لا يلزمهم الا الكراء ثم بعد تلك المدة يعطون عشر مالهم والكراء وأن لا يؤخذ أحد بذنب غيره وأن

أما اذ أمنيت بادرة غضبك فاطلق لساني بما خرست به الالسن من عظمتك

مع اجتناب المحارم قال فأي القول أعدل قال كلمة حق عند من تخاف وترجو قال فاي الناس أعقل قال من عمل بطاعة الله قال فأي الناس أجهل قال من باع آخرته بدنيا غيره قال عظني وأوجز قال يا أمير المؤمنين نزه ربك وعظمه أن يراك بحيث ما نهاك عنه أو يفقدك من حيث أمرك به فبكى سليمان بكاء شديدا فقال له بعض جلسائه أسرفت ويحك على أمير المؤمنين فقال له أبو حازم اسكت فان الله عز وجل أخذ الميثاق على العلماء ليبيننه للناس ولا يكتمونه ثم خرج فلما صار الى منزله بعث اليه سليمان بمال فرده وقال للرسول قل له والله يا أمير المؤمنين ما ارضاه لك فكيف أرضاه لنفسي وذكر اسحق بن ابراهيم الموصلي قال حدثني الاصمعي عن شيخ من المهالبة قال دخل اعرابي على سليمان فقال له يا أمير المؤمنين اني أريد أن أكلمك بكلام فافهمه فقال له سليمان انا نجود بسعة الاحتمال على من لا نرجو نفعه ولا نأمن غشه وأرجو ان تكون الناصح جيبا المأمون غيبا فهات قال يا أمير المؤمنين تادية لحق الله وحق أمانتك

يا أمير المؤمنين انه قد
بسط رجاءهم خافوك في الله
ولم يخافوا الله فيك حرب
للآخرة سلم للدنيا فلا تأمنهم
على ما يأمنك الله عليه
فانهم لم يألوا الا ما فيه
تضييع وللامة تخسف
وعسف وانت مسؤل
عما اجترموا ولبسوا
مسؤلين عما اجترمت
فلا تصلح دنياهم بفساد
آخرتك فان أعظم الناس
عيبا بائع آخرته بدنيا غيره
فقال له سليمان أما أنت
يا اعرابي فقد سللت لسانك
وهو أقطع من سيفك فقال
أجل يا أمير المؤمنين لك
لا عليك فقال سليمان
أما وأبيك يا اعرابي
لا تزال العرب بسلطانها
لا كناف العز متبوئه ولا
تزال أيام دولتنا بكل خير
مقبله ولئن ساءكم ولاة
غيرنا لنحمدن منا ما أصبحتم
تذمون فقال الاعرابي
أما اذا رجع الامر الى ولد
العباس عم الرسول صلى
الله عليه وسلم وصنو أبيه
ووارث ما جعله الله له أهلا
فلا تغافل سليمان كأن لم
يسمع شيأ وخرج الاعرابي
فكان آخر العهد به هذا
الخبر أخبرني به بعض
شيوخ ولد العباس بمدينة
السلام مدينة أبي جعفر المنصور وهو ابن بريهة المنصوري عن أبيه عن علي بن جعفر الدوقلي

لا يقهر من أسلم على الرجوع لنصارى ودينهم وان من تنصر من المسلمين يوقف أياما
حتى يظهر حاله ويحضر له حاكم من المسلمين وآخر من النصارى فان أبى الرجوع الى الاسلام
تمادى على ما أراد ولا يعاتب على من قتل نصرانيا أيام الحرب ولا يؤخذ منه ما سلب من
النصارى أيام العداوة ولا يكلف المسلم بضيافة أجناد النصارى ولا يسفر لجهة من
الجهات ولا يزيدون على المغارم المعتادة وترفع عنهم جميع المظالم والمغارم المحدثة ولا يطلع
نصراني للسور ولا يتطلع على دور المسلمين ولا يدخل مسجدا من مساجدهم ويسير
المسلم في بلاد النصارى آمنا في نفسه وماله ولا يجعل علامة كما يجعل اليهود وأهل الذمة
ولا يمنع مؤذن ولا مصل ولا صائم ولا غيره من أمور دينه ومن ضحك منهم يعاقب ويتركون
من المغارم سنين معلومة وأن يوافق على كل الشروط صاحب رومة ويضع خطيده وامثال
هذا مما تركنا ذكره وبعد ابرام ذلك ودخول النصارى للحمراء والمدينة جعلوا قائدا بالحمراء
وحكاما ومقدمين بالبلد ولما علم ذلك أهل البشرات دخلوا في هذا الصلح وشملهم حكمه على
هذه الشروط ثم أمر العدو الكافر ببناء ما يحتاج اليه في الحمراء وتحصينها وتجديد بناء
قصورها واصلاح سورها وصار الطاغية يختلف الى الحمراء نهارا ويبيت بمحلته ليلا الى أن
اطمأن من خوف الغدر ودخل المدينة وتطوف بها وأحاط خبرا بما يرومه ثم أمر سلطان
المسلمين أن ينتقل لسكنى البشرات وانها تكون له في سكناه باندرش فانصرف اليها وأخرج
الاجناد منها ثم احتال في ارتحاله لبر العدوة وأظهر ان ذلك طلبه منه المذكور فكتب
لصاحب المرية انه ساعة وصول كتابي هذا لاسبيل لاحد أن يمنع مولاي أبا عبد الله من
السفر حيث أراد من بر العدوة ومن وقف على هذا الكتاب فليصرفه ويقف معه وفاء بما
عهد له فانصرف في الحين بنص هذا الكتاب وركب البحر ونزل بعليلة واستوطن فاسا
وكان قبل طلب الجواز لناحية مراكش فلم يسعف بذلك وحين جوازه لبر العدوة لقي شدة
وغلاء وبلاء ثم ان النصارى نكثوا العهد ونقضوا الشروط عروة عروة الى أن آل الحال
بحملهم المسلمين على التنصر سنة أربع وتسعمائة بعد أمور وأسباب أعظمها وأقواها
عليهم أنهم قالوا ان القسيسين كتبوا على جميع من كان أسلم من النصارى أن يرجعوا قهرا
للكفر ففعلوا ذلك وتكلم الناس ولا جهد لهم ولا قوة ثم تعدوا الى أمر آخر وهو ان يقولوا
للرجل المسلم ان جدك كان نصرانيا فأسلم فترجع نصرانيا ولما فتش هذا الامر قام أهل
البيازين على الحكام وقتلوهم وهذا كان السبب للتنصر قالوا الان الحكم خرج من السلطان
ان من قام على الحاكم فليس الا الموت الا أن يتنصر فينجو من الموت وبالجملة فانهم تنصروا عن
آخرهم بادية وحاضرة وامتنع قوم من التنصر واعتزلوا النصارى فلم ينفعهم ذلك وامتنعت
قرى وأماكن كذلك منها بلهيق واندرش وغيرهما فجمع لهم العدو الجموع واستأصلهم
عن آخرهم قتلا وسبيا الا ما كان من جبل بلنقة فان الله تعالى أعانهم على عدوهم وقتلوا
منهم مقتلة عظيمة مات فيها صاحب قرطبة وأخرجوا على الامان الى فاس بعيالهم وما خف
من أموالهم دون الذخائر ثم بعد هذا كله كان من أظهر التنصر من المسلمين يعبد الله في خفية
ويصلي فشدد عليهم النصارى في البحث حتى انهم أحرقوا منهم كثيرا بسبب ذلك ومنعوهم من

حمل السكين الصغيرة فضلا عن غيرها من الحديد وقاموا في بعض الجبال على النصارى مرارا ولم يقيض الله تعالى لهم ناصرا الى أن كان اخراج النصارى اياهم بهذا العصر القريب أعوام سبعة عشر ألف فخرجت ألوف بفاس وألوف أخر بتلمسان من وهران وجهورهم خرج بتونس فتسلط عليهم الاعراب ومن لا يخشى الله تعالى في الطرقات ونهبوا أموالهم وهذا ببلاد تلمسان وفاس ونجا القليل من هذه المضرة وأما الذين خرجوا بنواحي تونس فسلم أكثرهم وهم لهذا العهد عمروا قراها الخالية وبلادها وكذلك بتطاون وسلا وفيجة الجزائر ولما استخدم سلطان المغرب الاقصى منهم عسكرا جرارا وسكنوا سلا كان منهم من الجهاد في البحر ما هو مشهور الآن وحصنوا قلعة سلا وبنوا بها القصور والحمامات والدور وهم الآن بهذا الحال ووصل جماعة الى القسطنطينية العظمى والى مصر والشام وغيرها من بلاد الاسلام وهم لهذا العهد على ما وصف والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين والسلطان المذكور الذي أخذت على يده غرناطة هو أبو عبد الله محمد الذي انقرضت بدولته مملكة الاسلام بالاندلس ومحيت رسومها ابن السلطان أبي الحسن ابن السلطان سعد ابن الامير علي ابن السلطان يوسف ابن السلطان محمد الغني بالله واسطة عقدهم ومشيد مبانيهم الأنيقه وسلطان دولتهم على الحقيقه وهو المخلوع الوافد على الاصقاع المرينية بفاس العائد منها الملكه في أرفع الصنائع الرحمانية العاطرة الانفاس وهو سلطان لسان الدين ابن الخطيب وقد ذكرنا جملة من أخباره في غير هذا الموضع ابن السلطان أبي الحجاج يوسف بن السلطان اسمعيل قاتل سلطان النصارى دون بطرة بمرج غرناطة ابن فرج بن اسمعيل بن يوسف بن نصر بن قيس الانصاري الخزرجي رحمهم الله تعالى جميعا وانتهى السلطان المذكور بعد نزوله بمليلة الى مدينة فاس بأهله وأولاده معتذرا عما أسلفه متلهفا على ما خلفه وبنى بفاس بعض قصور على طريق بنيان الاندلس رأيتها ودخلتها وتوفي رحمه الله تعالى بفاس عام أربعين وتسعمائة ودفن بازاء المصلى خارج باب الشريعة وخلف ولدين اسم أحدهما يوسف والآخر أحمد وعقب هذا السلطان الى الآن بفاس وعهدي بذريته بفاس الى الآن سنة ١٠٣٧ يأخذون من أوقاف الفقراء والمساكين ويعدون من جملة الشحاذين ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم * وقد رأيت أن أذكر هنا الرسالة التي كتب بها المخلوع المذكور الى سلطان فاس الشيخ الوطاسي وهي من انشاء الكاتب المجيد البارع البليغ أبي عبد الله محمد بن عبد الله العربي العقيلي رحمه الله تعالى وسماها بالروض العاطر الانفاس في التوسل الى المولى الامام سلطان فاس ونصها بعد الافتتاح

مولى الملوك ملوك العرب والعجم * رعيا لما مثله يرعى من الذمم
بك استجرنا ونعم الجار أنت لمن * جار الزمان عليه جور منتقم
حتى غدا ملكه بالرغم مستلبا * وأقفر الخط ما يأتي على الرغم
حكم من الله حتم لا مرد له * وهل مرد لحكم منه محتتم
وهي الليالي وقاك الله صولتها * تصول حتى على الآساد في الاجم
كنا ملوكا لنا في ارضنا دول * تنابها تحت افنان من النعم

على روحه وأرواح من سلف من آبائه وقال كان والله هزله جدا وجده علما والله ما رؤي مثل معاوية كان والله غضبه حلما وحلمه حكما وقيل ان هذا الكلام لعبد الملك وكتب سليمان الى خالد بن عبد الله القسري وهو على العراق في رجل استجار به من قريش وكان هرب من خالد أن لا يعرض له فأتاه بالكتاب فلم يفضه حتى ضربه مائة سوط ثم قرأه فقال هذه نقمة أراد الله أن ينتقم بها منك لتركك قراءة الكتاب ولو كنت قرأته لانفذت ما فيه فخرج القرشي راجعا الى سليمان فسأله الفرزدق وأناس ممن كان بالباب عما صنع خالد فأخبرهم فقال الفرزدق في ذلك

سلوا خالدا لا قدس الله خالدا
متى وليت قسر قريشا تدينها
أقبل رسول الله أم بعد عهده
فاضحت قريش قد أغث سمينها
رجونا هداه لا هدى الله سعيه
وما أمه بالام يهدي جنينها
فلما بلغ سليمان ذلك وجه الى خالد من ضربه مائة سوط فقال الفرزدق في ذلك من أبيات

لعمري لقد صبت على ظهر خالد * شآبيب ليست من سحاب ولا قطر

فايقظت ناسهام للدى صبب * يرمى بأفنع حتف من بهن رمى
فلا تنم تحت ظل الملك نومتنا * وأى ملك يظل الملك لم ينم
يبكى عليه الذى قد كان يعرفه * بأدمع نزجت أمواهها بدم
كذلك الدهر لم يبرح كما زعموا * يشيم بوا الصغار الانف ذا الشمم
وصل اواصر قد كانت لنا اشتبكت * فالملك بين ملوك الارض كالرحم
واسط لنا الخلق المرجو باسطه * واعطف ولا تصرف واعذر ولا تلم
لا تأخذونا باقوال الوشاة ولم * تذنب ولو كثرت اقوال ذى الوخم
فما اطقنا دفاعا للقضاء ولا * أرادت انفسنا ما حال من تقم
ولا ركوبا باوعاج لسابحة * فى زاخر باكف الموج ملتطم
والمرء مالم يعنه الله أضيع من * طفل تشكى بفقد الام فى اليتم
وكل ما كان غير الله يحرسه * فان حرسه لحم على وضم
كن كالسموأل اذ سار الهمام له * فى جحفل كسواد الليل مرتكم
فلم يجم أدرع الكندى وهو يرى * ان ابنه البر قد أشفى على الرجم
أو كالمعلى مع الضليل الاروع اذ * أجاره من أعاريب ومن عجم
وصار يشكره شكرا يكافئ ما * أسدى اليه من الآلاء والنعم
ولا تعاتب على أشياء قد قدرت * وخط مسطورها فى اللوح بالقلم
وعد عما مضى اذ لا ارتجاع له * وعد أحرارنا فى جملة الخدم
ابه حنانيك يا ابن الاكرمين على * ضيف ألم بفاس غير محتشم
فأنت أنت ولولا أنت ما نهضت * بنا اليها خطا الوخادة الرسم
رحماك يارا حما ينمى الى رحما * فى النفس والاهل والاتباع والحشم
فكم مواقف صدق فى الجهاد لنا * والخيل عالكة الاشداق للبهم
والسيف يخضب بالحمر من علق * ما ابيض من سبل واسود من لمم
ولا ترى صدر عضب غير منقصف * ولا ترى متن لدن غير منحطم
حتى دهينا بدهيا لا اقتدار بها * سوى على الصون للاطفال والحرم
فقال من لم يشاهدها فربتما * يخال جاحمها يقتاد بالحطم
هيهات لوز بنته الحرب كان بها * أعيى يدا من يد جالت على رحم
تالله ما أضمرت غشا ضمائرنا * ولا طوت صحة منها على سقم
لكن طلبنا من الامر الذى طلبت * ولا تنا قبلنا فى الاعصر الدهم
فما تناعضده الجد الحرون ومن * تقعدبه نكبات الدهر لم يقم
فاسود ما اخضر من عيش دهته عدا * بالاسمر اللدن أو بالابيض الخذم
وشتت البين شملا كان منتظما * والبين أقطع للوصول من جلم
فرب مبنى شديد قد أناخ به * ركب البلا فقرته أدمع الديم
فنالديه أصيلانا نسائله * اعيا جوابا وما بالربع من أرم

فلولا يزيد بن المهلب حلقت
بكفك فتخاء الى القرخ فى الوكر
اعمرى لقد سار ابن سيبة
سيرة
أرتك نجوم الليل مقاهرة
تجرى
نفذ بيديك الخزى حقا
فانما
بزيت قصاصا بالمرجرجة
السمر
وقال سليمان لعمر بن
عبد العزيز يوما وقد
أعجبه سلطانه كيف ترى
ما نحن فيه قال سرور لولا
أنه غرور وحياة لولا أنه
موت وملك لولا أنه هلك
وحسن لولا أنه حزن ونعيم
لولا أنه عذاب أليم فبكى
سليمان من كلامه وكان
سليمان بخلاف الوليد
وعلى الضد منه فى الفصاحة
والبلاغة وقد كان الوليد
أفسد فى أرض لعبد الله بن
يزيد بن معاوية فشكا
ذلك أخوه خالد بن يزيد الى
عبد الملك فقال ان الملوك
اذا دخلوا قرية أفسدوها
الآية فقال له خالد واذا
أردنا أن نهلك قرية أمرنا
مترفيها ففسقوا فيها الآية
فقال عبد الملك أفى عبد الله
يتكلم وبالامس دخل
على تغير فى لسانه ولحن
فى كلامه فقال أفعلى الوليد يقول قال ان كان الوليد يلحن فسليمان أخوه قال خالد وان كان عبد الله

وما ظننا بأن تبقى الى زمن * نرى به غرر الاحباب كالحمم
لكن رضينا بالقضا الجاري وان طويت * منا الضلوع على برح من الالم
لبيك يامن دعانا نحو حضرته * دعاء ابراهيم الحجاج للحرم
واسط الامان الذي رضت قواعده * على أساس وفاء غير منهدم
خليفة الله وافاك العبيد فكن * في كل فضل وطول عندظنهم
وبين أسلافنا ما قد علمت به * من اعتقاد بحكم الارث مقتسم
وأنت منهم كأصل مطلع غصنا * أو كالشرارة الذي قد قدمن أدم
وقد خطوت خطاهم في مآثرهم * فلم يذموا اذن فيها ولم تذم
وصيت مولى الورى النبي الامام غدا * في الناس أشهر من نار على علم
سلالة الامراء الجلة الكبرا * ء العلية الطهراء القادة البهم
بنو مرين ليوث في عرين أبوا * رؤياقرين لهم في الباس والكرم
النازلين من البيضاء وسط حمى * أحمى من الابلق الساحي ومن أرم
والجائسين بدهم الخيل كل ذرا * والداعسين بسمر الخط كل كمي
يريك فارسهم ان هز عامله * في مارق بلظى الهيجاء مضطرم
ليثا على أجدل عار من اجنحة * يسطو بارقم لذاع بغير فم
في اللام يدغم من عساله ألفا * ولم نجد ألفا أصلا بمدغم
أهل الحفيظة يوم الروع يحفظهم * من عصمة الله ما يرمى على العصم
يامن تطير شرار منه محرقة * لكل مدرع بالحزم محترم
همو بظائفة التثليث قد فتكوا * كمثل ما يفتك السرحان بالغنم
وان يلمهم يوم الوغى رهج * أنسوك ماذكروه من ذوى اللمم
تضيء آراؤهم في كل معضلة * اضاءة السرج في داج من الظلم
هذا ولو من حياء ذاب محتشم * لذاب منهم حياء كل محتشم
طابت مدائحهم اذ طابت انفسهم * فاشتقت النسمات اسمها من النسم
لله درهم والسحب باخلة * بدرهن على الانعام والنعم
بحيث الافق يرى من لون حمرته * كالشيب يخضب بالحناء والكتم
هنالك تخجل أيديهم بصوب حيا * يحيا بالاحداث مافيها من الرمم
وان بيتي زياد طالما ذكروا * اذا ألمت أحاديث بذكرهم
أحلام عاد وأجسام مطهرة * من المعقة والآفات والاثم
يرون حقا عليهم حفظ جارهم * فلم يضر نازل فيهم ولم يضم
فروعهم بالدواهي لا يراع ولا * يغم منها بما يسرو من الغمم
هم البحار سماحا غير أن بها * ماقد أناف على الاطواد من هضم
وليس يسلم من حتف محاربهم * حتى يكون اليهم ماقى السلم
كم فيهم من أمير أو حمندس * يقرطس الغرض المقصود بالفهم

آلم تسمع ما يقول أمير المؤمنين أنا والله ابن العير والنفير ولو قلت جبيلات وغنيمات والطائف قلنا صدقت أراد بذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نفى الحكم بن أبي العاص الى الطائف فصار راعيا حتى رده عثمان وغضب سليمان على خالد القسري فلما دخل عليه قال يا أمير المؤمنين ان القدرة تذهب الحفيظة وانك تجل عن العقوبة فان تعف فاهل لذلك أنت وان تعاقب فاهل ذلك أنا فعفا عنه وذم رجل في مجلس سليمان الكلام فقال سليمان انه من تكلم فاحسن قدر على أن يصمت فيحسن ووقف سليمان على قبر ولده أيوب وبه كان يكنى فقال اللهم اني أرجوك له وأخافك عليه فحقق رجائي وآمن خوفي (قال المسعودي) ولما دفن سليمان مع بعض كتابه وهو يقول أبيا تامنها وما سالم عما قليل بسالم وان كثرت أحراسه وكتائبه ومن يلق ذا باس شديد ومنعة فعما قليل تهجر البأس حاجبه

ويصبح بعد الحجب للناس مقصيا * رهينة بيت لم تسير جوانبه فما كان الا الدفن حتى تفرقت * بها الى غيره أحراسه وسباكبه

(قال المسعودي) ولسليمان أخبار حسان لما كان في مدة ملكه من الكوائن وقد أتينا على مبسوط ذلك في كتابنا أخبار الزمان والاوسط وانما نذكر في هذا الكتاب لمعا طلبا للايجاز وميلا الى الاختصار وبالله التوفيق

(ذكر خلافة عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم)

واستخلف عمر بن عبد العزيز يوم الجمعة لعشر بقين من صفر سنة تسع وتسعين وهو اليوم الذي مات فيه سليمان وتوفي بدير سمعان من أعمال حمص مما يلي بلاد قنسرين يوم الجمعة لخمس بقين من رجب سنة احدى ومائة فكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر وخمسة أيام وقبض وهو ابن تسع وثلاثين سنة وقبره مشهور في هذا الموضع الى هذه الغاية معظم يغشاه كثير من الناس من الحاضرة والبادية لم يتعرض لنبشه فيما سلف من الزمان كما تعرض لقبور غيره من بني أمية وأمه بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقيل انه قبض وهو ابن أربعين سنة وقيل ابن احدى وأربعين سنة وقد تنوزع أيضا في مقدار مدته في الخلافة وقد أتينا على المحصل من ذلك في باب هذا

ولا كسبط أبي حسون من حسنت * أمداحه حسن ما فيه من الشيم
هذا كما ابن أبي ذكرى الهمام فقل * في أصله المنتقى من جده العمم
خليفة الله حقا في خليقته * كنائب ناب في حكم عن الحكم
مهما تنر قسمات منه نيرة * تنل بشاشته ما جل من نعم
فوجهه بدجا أو كفه بجدى * أبهى من الزهر أو أندى من الديم
وفضله وله الفضل المبين جرى * كجرى الامثال في الاقطار والامم
وجوده المتوالي للبرية ما * وجوده بينها طرا بمنهدم
اذا ابتغت نعما منه العفاة له * لم يسمعوا كلمة منه سوى نعم
وان يعبس زمان في وجوههم * لم يبصروا غير وجه منه مبتسم
وجه تبين سمات المكرمات به * كما تبين سمات الصدق في الكلم
وراحة لم تزل في كل آونة * في نيلها راحة الناكي من العدم
لله ما التزمته من نوافله * أيام لا فرض مفروض بملتزم
انسى الخلائف في حلم وفي شرف * وفي سخاء وفي علم وفي فهم
فخازم معتمدا منهم ومعتضدا * وامتاز عن واثق منهم ومعتصم
وناصر الدين في الاقبال فاق وفي * محبة العلم ازرى بابنه الحكم
افعال أعدائه معتلة أبدا * متى يرم جزمها بالحذف تجزم
فويل أهل القلى من حية ذكر * للؤتلب اللهام الجسر ملتقم
راموا عداوة من ان شاء غادرهم * مثل الاحاديث عن عاد وعن ارم
فسوف يأكلهم من جيشه لجب * بكل قرم الى لحمانهم قرم
وان الاعراب اذ ساروا لغايته * لسائرون الى لقم على لقم
وهم كما قاله ماض أرى قدمي * بسعيه نحو حتفي قد أراق دمي
فقل اذن للناوي الناولان أذى * ياغر غرك ما أبصرت في الحلم
له صوارم لو ناجتك ألسنها * لبشرتك بعمر منك منصرم
وان روحك عن قرب سيقبضه * قبض المسلم ما قد حاز من سلم
فهو الذي ماله نِدّ يشابهه * من كل متصف بالدهي متسم
يدبر الامر تدبيرا يخلصه * مما عسى أن يرى فيه من الوهم
ويبصر الغيب لحظ الذهن منه اذا * تعمى عن ادراكه ألحاظ كل عمى
وينعم النظر المفضي بناظره * لصوب وجه صواب واضح اللقم
ذو منطق لم تزل تجلو تنائجه * عن مبطل بخصام المبطل الخصم
ومسمع ليس يصغي للوشاة فلم * ينفق لديه الذي عنهم اليه نمى
فعقله لا توازيه العقول وهل * يوازن الطود ما قد طال من أكم
تأيد جميع الورى من بدو وحضر * نداء مرتبط بالنصر مرتسم
شدوا وجدوا ولا تعنوا ولا تهنوا * قد لفها الليل بالسواقة الحطم

هذا الامام المرتجى السعيد له * سعد يؤيده فى كل مصطدم
قد أقسمت أنه المنصور السنة * من نخبة الاولياء مبرورة القسم
فشيعوه ووالوه ترو ا عجبا * وتظفروا معه بالاجر والغنم
والحمد لله اذ أبقى خلافته * كهفا لنا من يخيم فيه لم يرم
جرز عزيز وعز قائم وندى * غمر دراك بلا من ولا سأم
دامت ودام لها سعد يساعدها * فى كل مبتدا منه ومختتم
فالله عز اسمه قد زانها بحلى * من غر أمداحه كالدر فى النظم
الواهب الالف بعد الالف من ذهب * كالبحر يلمع فى مستوقد الضرم
والفاعل الفعل لم يهمم به أحد * والقائل القول فيه حكمة الحكم
ذاكم هو الشيخ فاعجب انه هرم * جودا وحاشاه أن يعزى الى هرم
وحسبنا أن ايدينا به اعتصمت * من حبله بوثيق غير منفصم
فما تحالفه يوما بمضطهد * ولا مؤالفه يوما بمهتضم
ولا موافيه فى جهد بمطرح * ولا مصافيه فى ود بمتهم
ولا محياه يبقى بمنكسف * ولا رجاء مرجيه بمنخرم
وما تكرمه سرا بمنكشف * ولا تنكره جهرا بمكتتم
وليس لامح مرآه بمكتئب * وليس راضع جدواه بمنفطم
ولا مقبل يمناه الكريمة فى * محل ممتهن بل دست محترم
وما وسيلتنا العظمى اليه سوى * ما ليس ينكر ما فيها من العظم
وانما هى وما أدراك ما هى من * وسيلة ردها أدهى من الوخم
نبينا المصطفى الهادى بخير هدى * محمد خير خلق الله كلهم
داعى الورى من أولى خيم وأهل قرى * الى طريق رشاد لاحب أمم
عليه منا صلاة الله ما ذكرت * أمن تذكر جيران بذى سلم
وما تشفع فيها بالشفيع له * دخيل حرمته العليا فى الحرم

ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم نعم المولى ونعم النصير أما بعد حمد الله الذى لا يحمد على السراء والضراء سواه والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد الذى طلع طلوع الفجر بل البدر فلاح يدعو الى سبيل كل فلاح أولى قلوب غافلة ونفوس سواه والرضا عن آله وأصحابه وعترته الاكرمين وأحزابه الذين تلقوا بالقبول ما أورده عليهم من أوامر ونواه وعزروه ونصروه فى حال قربه ونواه فيا مولانا الذى اولانا من النعم ما اولانا لاحط الله تعالى لكم من العزة ارواقا ولا اذوى لدوحة دولتكم أغصانا ولا اوراقا ولا زالت مخضرة العود مبتسمة عن زهرات النشائر متحفة بثمرات السعود معطورة بسحائب البركات المتدارکات دون برق ولا رعود هذا لمقام العائذ بمقامكم المتعلق باسباب ذمامكم المترجى

(ذكر لمع من أخباره وسيره وزهده)

لم تكن خلافة عمر فى عهد تقدم وكان السبب فيها ان سليمان لما حضرته الوفاة بمرج دابق دعا رجاء بن حيوة ومحمد بن شهاب الزهرى ومكحولا وغيرهم من العلماء ممن كان فى عسكره غازيا ونافرا فكتب وصيته وأشهدهم عليها وقال اذا أنا مت فاذنوا بالصلاة جامعة ثم اقرؤا هذا الكتاب على الناس ففعلوا فرغ من دفنه نودى الصلاة جامعة فاجتمع الناس وحضر يومئذ مروان فاشر أبو اللخلافة وتشوفوا نحوها فقام الزهرى فقال أيها الناس ارضيتم من سماه أمير المؤمنين سليمان فى وصيته فقالوا نعم فقرأ الكتاب فاذا اسم عمر بن عبد العزيز ومن بعده يزيد بن عبد الملك فقام مكحول فقال أين عمرو كان عمر فى أواخر الناس فاسترجع حين دعى باسمه مرتين او ثلاثا فأتاه قوم فأخذوا بيده وعضديه فأقاموه وذهبوا به الى المنبر فصعد وجلس على المرقاة الثانية وللمنبر خمس مراق فكان أول من

بايعه من الناس يزيد بن عبد الملك وقام سعيد وهشام فانصرفا ولم يبايعا وبايع الناس جميعا ثم بايع سعيد

لعواطف قلوبكم وعوارف انعامكم المقبل الارض تحت أقدامكم المتلجلج اللسان عند محاولة مفاتحة كلامكم وما الذي يقول من وجهه خجل وفؤاده وجل وقضيته المقضية عن التنصل والاعتذار تجل بيد أني اقول لكم ما اقوله لربي واجترائي عليه اكثر واجترامي اليه اكبر اللهم لا برئ فأعتذر ولا قوي فأنتصر لكني مستقيل مستنيل مستعتب مستغفر وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء هذا على طريق التنزل والانصاف بما تقتضيه الحال ممن يتحيز الى حيز الانصاف واما على جهة التحقيق فأقول ما قالته الام البنة الصديق والله اني لأعلم اني ان اقررت بما يقوله الناس والله يعلم اني منه بريئة لاقول ما لم يكن ولئن انكرت ما تقولون لا تصدقوني فاقول ما قاله أبو يوسف صبر جميل والله المستعان على ما تصفون على اني لا انكر عيوبي فانا معدن العيوب ولا أجد ذنوبي فانا جبل الذنوب الى الله اشكو عجري وبجري وسقطاتي وغلطاتي نعم كل شئ ولا ما يقوله المتقول المشنع المهول الناطق بفم الشيطان المسول ومن أمثالهم سبني واصدق ولا تفتر ولا تخلق افتلى كان يفعل امثالها ويحتمل من الاوزار المضاعفة احمالها ويهلك نفسه ويحبط أعمالها عياذا بالله من خسران الدين وايثار الجاحدين والمعتدين قد ضللت اذا وما أنا من المهتدين وايم الله لو علمت شعرة في فودي تميل الى تلك الجهة لقطعتها بل لقطفت ما تحت عمامتي من هامتي وقطعتها غير أن الرعاع في كل وقت وأوان للملك أعداء وعليه أحزاب وأعوان كان أحق أو أجهل من أبي ثروان أو اعقل أو أعلم من أشجع بني مروان رب متهم برئ ومسربل بسربال وهو منه عرى وفي الاحاديث صحيح وسقيم ومن التراكيب المنطقية منتج وعقيم ولكن ثم ميزان عقل تعتبر به أوزان النقل وعلى الراجح الاعتماد ثم اساغة الاجاد المتصل المتماد والمرجوح الاطراح ثم التزام الصراح بعد النفض من الراح وأكثر ما تسمعه الكذب وطبع جمهور الخلق الامن عصمه الله تعالى اليه منجذب ولقد قذفنا من الاباطيل باحجار ورمينا بما لا يرمى به الكفار فضلا عن الغبار وجرى من الامر المنقول على لسان زيد وعمرو ما لديكم منه حفظ الجار واذا عظم الانكاء فعلى تكاءة التجلد الاتكاء أكثر المكثرون وجهد في تعثيرنا المتعثرون ورمونا عن قوس واحده ونظمونا في سلك الملاحده اكفرا أيضا كفرا غفر اللهم غفرا أعد نظرا يا عبد قيس فليس الامر على ما خيل لك ليس وهل زدنا على أن طلبنا حقنا ممن رام محقه ومحقنا فطاردنا في سبيله عداة كانوا الناغاظين فانفتق علينا فتق لم يمكنا له رتق وما كنا للغيب حافظين وبعد فاسأل أهل الحل والعقد والتمييز والنقد فعند جهينتهم تلقى الخبر يقينا وقد رضينا بحكمهم يوثمنا فيوبقنا أو يبرئنا فيقينا ايه يا من اشرأب الى ملامنا وقدح حتى في اسلامنا رويدا رويدا فقد وجدت قوة وأمدا ويحك انما طال لسانك علينا وامتد السوء الينا لان الزمان لنا مصغر ولك مكبر والامر عليك مقبل وعنا مدبر كما قاله كاتب النجاح الوبر وعلى الجملة فهبنا صرنا الى تسليم مقالك جدلا وذهبنا فأقررنا بالخطا في كل ورد وصدر فلله در القائل * ان كنت أخطأت فما اخطأ القدر * وكأنا بمعتسف اذا وطئ الى هنا وعدم انصافه يعلمه الهنا خذاذير متجانفا ثم

لصلح من قدر عليه فسلك عماله طريقته وترك لعن علي عليه السلام على المنابر وجعل مكانه ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم وقيل بل جعل مكان ذلك ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي الآية وقيل بل جعلهما جميعا فاستعمل الناس ذلك في الخطبة الى هذه الغاية ولما استخلف عمر ودخل عليه سالم السدي وكان من خاصته فقال له عمر أسرك ما وليت أم ساءك فقال سرني للناس وساءني لك قال اني أخاف ان أكون أوبقت نفسي قال ما أحسن حالك ان كنت تخاف اني أخاف عليك أن لا تخاف قال عظني قال أبونا آدم أخرج من الجنة بخطيئة واحدة وكتب طاوس الى عمران أردت أن يكون عملك خيرا كله فاستعمل أهل الخير فقال عمر كفى بها موعظة ولما أفضى اليه الامر كان أول خطبة خطب الناس بها أن قال أيها الناس انما نحن من أصول قد مضت فروعها فما بقاء فرع بعد أصله

افترمتها نفا وجعل يتمثل بقولهم اذا عيروا قالوا مقادير قدرت وبقولهم المرء يعجزه المحال فيعارض الحق بالباطل والحالى بالعاطل ومنزع بقول القائل رب مسمع هائل وليس تحته طائل وقد فرغنا أول أمس من جوابه وتركنا الضغن يلصق حرارة الحوى به وسنلم الآن بما يوسعه تسكيتا ويقطعه تبكيتا فنقول له ناشدناك الله تعالى هل اتفق لك قط وعرض خروج أمر ما عن القصد منك فيه والغرض مع اجتهادك أثناءه فى اصدارك وايرادك فى وقوعه على وفق اقتراحك ومرادك أو جميع ما تزاوله بادارتك لا يقع الا مطابقا لارادتك أو كل ما تقصده وتنويه تحرزه كما تشاء وتحويه فلابد أن يقر اضطرارا بأن مطلوبه يشذ عنه مرارا بل كثيرا ما يفلت صيده من أشراكه ويطلبه فيعجز عن ادراكه فنقول ومسئلتنا من هذا القبيل أيها النبيه النبيل ثم نسرد له من الاحاديث النبوية ماشينا مما يسايرنا فى غرضنا منه ويماشينا كقوله صلى الله عليه وسلم كل شئ بقضاء وقدر حتى العجز والكيس وقوله أيضا لو اجتمع أهل السموات والارض على ان ينفعوك بشئ لم يقضه الله لك لم يقدروا عليه ولو اجتمعوا على أن يضروك بشئ لم يقضه الله عليك لم يقدروا عليه أو كما قال صلى الله عليه وسلم فأخلق به أن يلوذ باكناف الاحجام ويزم على نفثه فيه كاف ألجم بلجام حينئذ نقول له والحق قد أبان وجهه وجلاه وقهره بحجته وعلاه ليس لك من الامر شئ قل ان الامر كله لله وفى محاجة آدم وموسى ما يقطع لسان الخصم ويرحض عن أثواب أعراضنا ما عسى أن يعلق بها من درن الوصم وكيفما كانت الحال وان ساء الرأى والانتحال ووقعنا فى أوجال وأوحال فثل عرشنا وطويت فرشنا ونكس لوانا وملك مثوانا فنحن أمثل من سوانا وفى الشر خيار ويد الاطائف تكسر من صولة الاغيار فحتى الآن لم نفقد من اللطيف تعالى لطفا ولا عدمنا أدوات أدعية تعطف بلا مهلة على جلتنا المقطوعة جل النعم الموصولة عطفا والافتلك بغداد دار السلام ومتبوأ الاسلام المحفوف بفرسان السيوف والاقلام مثابة الخلافة العباسيه ومقر العلماء والفضلاء أولى السير الاويسيه والعقول الاياسيه قد نوزلت بالجيوش ونزلت وزوولت بالزحوف وزلزلت وتحيف جوانبها الحيف ودخلها كفار التتار عنوة بالسيف ولا تسل اذ ذاك عن كيف أيام تجلت عروس المنية كاشفة عن ساقها مبديه وجرت الدماء فى الشوارع والطرق كالانهار والاوديه وقيد الائمة والقضاه تحت ظلال السيوف المنتضاه بالعمائم فى رقابهم والاردیه وللنجيع سيول تخوضها الخيول فتخضبها الى ارساغها وتهم ظماء بها وردها فتنكل عن تجرعها ومساغها فطاح عاصمها ومستعصمها وراح ولم يغد ظالمها ومتظلمها وخربت مساجدها وديارها واصطلم بالحسام أشرارها وخيارها فلم يبق من جمهور أهلها عين تطرف حسيما عرفت أو حسبما تعرف فلا تلك منتسكا متوقفا بحديث تلك الواقعة الشنعاء أشهر عند المؤرخين من نفسا فاين تلك المجافل والآراء المداوة فى المحافل حين أراد الله تعالى باد الة الكفر لم تجد ولا قلامة ظفر اذن من سامت له نفسه التى هى رأس ماله وعياله وأطفاله اللذان هما من أعظم آماله وكل أوجل أو أقل رياشه وأسباب معاشه الكفيلة بانتهاضه المصائب مع كل جرعة شرق وفى كل أكلة غصص لا ينالون نعمة الا بفراق أخرى ولا يعمر معمر منكم يوما من عمره الا بهدم آخر من أجله وكتب الى عامله بالمدينة أن اقسم فى ولد على بن أبى طالب عشرة آلاف دينار فكتب اليه ان عليا قد ولد له فى عدة قبائل من قريش فبأى ولده فكتب اليه لو كتبت الينا فى ثناة تذبحها الكتبت الى سوداء أو بيضاء اذا أتاك كتابى هذا فاقسم فى ولد على من فاطمة رضوان الله عليهم عشرة آلاف دينار فطالما تخطتهم حقوقهم والسلام (وخطب) فى بعض مقاماته فقال بعد حمد الله تعالى والثناء عليه أيها الناس انه لا كتاب بعد القرآن ولا نبى بعد محمد صلى الله عليه وسلم الا وانى لست بقاض ولكنى منفذ الا وانى لست بمبتدع ولكنى متبع ان الرجل الهارب من الامام الظالم هو العاصى الا لاطاعة لمخلوق فى معصية الخالق (وبعث) عمرو فدا الى ملك الروم فى أمر من مصالح المسلمين وحق يدعوه اليه فلما دخلوا اذا ترجمان يفسر عليه وهو جالس على سرير ملكه والتاج على رأسه والبطارقة عن يمينه وشماله والناس على مراتبهم بين يديه فأدى اليه ما قصدوا له

وانتعاشه ثم وجد مع ذلك سبيلا الى الخلاص فى حال ميسرة ومساهلة دون تصعب واعتياص بعد ما ظن كل الظن أن لا محيد ولا مناص فما أحقه حينئذ وأولاه أن يحمد خالقه ورازقه ومولاه على ما أسداه اليه من رفده وخيره ومعافاته مما ابتلى به كثيرا من غيره ويرضى بكل ايراد واصدار تتصرف فيهما الاحكام الالهية والاقدار فالدهر غدار والدنيا دار مشحونة بالاكدار والقضاء لا يرد ولا يصد ولا يغالب ولا يطالب والدائرات تدور ولا بد من نقص وكمال للبدور والعبد مطيع لا مطاع وليس يطاع الا المستطاع وللخالق القدير جلت قدرته فى خليقته علم غيب الاذهان عن مداه انقطاع ومالى والتكلف لما لا احتاج اليه من هذا القول بين يدى ذى الجلال والمجادة والفضل والطول فله من العقل الارجح ومن الخلق الاسمح مالا تلتاط معه تهمتى بصغره ولا تنفق عنده وشاية الواشى لاعدم من نفره ولا فاز قدحه بظفره والمولى يعلم أن الدنيا تلعب باللاعب وتجر براجتها الى المتاعب وقديما الاكياس من الناس خدعت وانحرفت عن وصالهم اعقل ما كانوا وقطعت وفعلت بهم ما فعلت بسمار الكواعب التى جبت وجدعت ولئن رهصت وهصرت فقد نبهت وبصرت ولئن قرعت ومعضت لقد أرشدت ووعظت وياويلا ما من تنكرها النابره ورميها النا فى غمره أى غمره أيام قلبت لناظهر المجن وغيم افقها المعنى وأدجن فسرعان ساعاتنا حبالها منبته ورأينا منها ما لم نحتسب كما تقوم الساعة بغته فمن استعاذ من شئ فليستعذ مما صرنا اليه من الحور بعد الكور والانحطاط من النجد الى الغور

فبينا نسوس الناس والامر أمرنا * اذا نحن فيهم سوقة نتنصف
فتبا لدنيا لا يدوم نعيمها * تقلب تارات بنا وتصرف

وأبيها لقد أرهقتنا ارهاقا وجرعتنا من صاب الاوصاب كاسا دهاقا ولم نفزع الى غير بابكم المنيع الجناب المنفتح حين سدت الابواب ولم نلبس غير لباس نعمائكم حين خلعنا ما ألبسنا الملك من الاثواب والى امه لجأ الطفل لجأ اللهفان وعند الشدائد تمتاز السيوف من الاجفان ووجه الله تعالى يبقى وكل من عليها فان والى هنا ينتهى القائل ثم يقول حسبى هذا وكفان ولا ريب فى اشتمال العلم الكريم على ما تعارفته الملوك بينها فى الحديث والقديم من الاخذ باليد عند زلة القدم وقرع الاسنان وعض البنان من الندم دينا تدينت مع اختلاف الاديان وعادة اطردت على تعاقب الازمان والاحيان ولقد عرض علينا صاحب قشتالة مواضع معتبرة خيرفيها واعطى من امانه المؤكد فيه خطه بأيمانه ما يقنع النفوس ويكفيها فلم نرو نحن من سلالة الاحمر مجاورة الصفر ولا سوغ لنا الايمان الاقامة بين ظهرانى الكفر ما وجدنا عن ذلك مندوحة ولو شاسعه وأمنا من المطالب المشاغب حجة شرعا لنا لاسعه واد كرنا أى اد كار قول الله تعالى المشكر لذلك غاية الانكار ألم تكن أرض الله واسعه وقول الرسول عليه الصلاة والسلام المبالغ فى ذلك بابلغ الكلام أنا برىء من مؤمن مع كافر لا تتراآى ناراهما وقول الشاعر الحاث على حث المطيه المتثاقلة عن السير فى طريق منجاتها البطيه

لا يبقون مع أهل الشر الا قليلا (وكتب عمر) الى أبى حازم المدنى الاعرج أن أوصنى وأوجز وما

وما أنا والتلذذ فنحو نجد * وقد غصت تهامة بالرجال

ووصلت أيضا من الشرق الينا كتب كريمة المقاصد لدينا تستدعي الانحياز الى تلك الجنبات وتتضمن ما الاغرى بدعليه من الرغبات فلم نختر الادارنا التي كانت دار آبائنا من قبلنا ولم نرتض الاضواء الا لمن يحبله وصل حبلنا و بريش نبله ريش نبلنا ادلالا على محل اخاء متوارث لاعن كلاله وامتثالا لوصاة اجداد لانظارهم وأقدارهم أصالة وجلاله اذ قدروينا عن سلف من أسلافنا في الايصاء لمن يخلف بعدهم من أخلافنا أن لا يبتغوا اذا دهمهم داهم بالحضرة المرينية بدلا ولا يحيدوا عن طريقها في التوجه الى فريقها معدلا فاخترقنا الى الرياض الاريضة الفجاج وركبنا الى البحر الفرات ظهر البحر الاجاج فلا غرو أن نردنه على ما يقر العين و يشفي النفس الشاكية من ألم البين ومن توصل هذا التوصل وتوسل بمثل ذلك التوسل تطارحا على سدة أمير المؤمنين المحارب للعاربين والمؤمن للمستأمنين فهو الخليق الحقيق بان يسوغ اصغي مشار به و يبلغ أوفى مآربه على توالي الايام والشهور والسنين و يخلص من الثبور الى الحبور ويخرج من الظلمات الى النور خروج الجنين ولعل شعاع سعادته يفيض علينا ونفحة قبول اقباله تسري الينا فتخامرنا أريحية تحملنا على أن نبادر لانشاد قول الشريف الرضي في الخليفة القادر

عطفا أمير المؤمنين فاننا * في دوحة العلياء لانتفرق
ما بيننا يوم الفخار تفاوت * أبدا كلانا في المعالي معرق
الا الخلافة ميزتك فانني * أنا عاطل منها وأنت مطوق

لابل الاحرى بنا والاحجى والانجع لسعينا والارجى أن نعدل عن هذا المنهاج و يقوم وافدنا بين يدي علاه مقام الخاضع المتواضع الضعيف المحتاج و ينشد ما قال في الشيرازي ابن حجاج

الناس يفدونك اضطرارا * منهم وافديك باختياري
وبعضهم في جوار بعض * وأنت حتى أموت جاري
فعش لخبزي وعش لمائي * وعش لداري وأهل داري

ونستوهب من الوهاب تعالى جلت أسماؤه وتعاظمت نعماؤه رحمة تجعل في يد الهداية أعنتنا وعصمة تكون في مواقف المخاوف جنتنا وقبولا يعطف علينا نوافر القلوب وصنعا يسني لنا كل مرغوب ومطلوب ونسأله وطالما بلغ السائل سؤلا ومأمولا متابا صادقا على موضوع الندم محمولا ثم عزا حسنا وصبرا جميلا عن أرض أورثها من شاء من عباده معقبا لهم ومديلا وسادلا عليهم من ستور الاملاء الطويلة سدولا سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا فليطر طائر الوسواس المرفرف مطيرا كان ذلك في الكتاب مسطورا لم نستطع عن مورده صدورا وكان أمر الله قدرا مقدورا الا وان الله سبحانه في مقامكم العلي الذي أيده واعانه سرا من النصر يترجم عنه لسان من النصل وترجع فروع البشائر الصادقة بالفتوحات المتلاحقة من قاعدته المتأصلة الى أصل

عامل من عماله قد كثر شاكوك وقل شاكروك فاما عدلت واما اعتزلت والسلام وذكر المدائني قال كان يشترى لعمر قبل خلافته الحلة بألف دينار فاذا لبسها استخشنها ولم يستحسنها فلما أتته الخلافة كان يشترى له قميص بعشرة دراهم فاذا لبسه استلانه وخرج مع جماعة من أصحابه فربا لمقبرة فقال لهم قفوا حتى آتي قبور الاحبة فاسلم عليهم فلما توسطها وقف فسلم وتكلم وانصرف الى أصحابه فقال ألا تسألوني ماذا قلت لهم وما قيل لي فقالوا وماذا قلت يا أمير المؤمنين وما قيل لك قال مررت بقبور الاحبة فسلمت فلم يردوا ودعوت فلم يجيبوا فبينا أنا كذلك اذ نوديت يا عمر أتعرفني أنا الذي غيرت محاسن وجوههم ومزقت الاكفان عن جلودهم وقطعت أيديهم وأبنت أكفهم من سواعدهم ثم بكى حتى كادت نفسه أن تطفو فوالله ما مضى بعد ذلك الا أيام حتى لحق بهم

(وذكر المدائني) قال كتب مطرف الى عمر أما بعد فان الدنيا دار عقوبة لما يجمع من لا عقل له وبها يغتر من لا علم له فكن بها

 كالمداوي جرحه واصبر على شدة الدواء لما تخاف من عاقبة الداء (وذكر بعض الاخباريين) أن عمر

فمثله يجب اللياذ والعياذ ولشبهه يحق الالتجاء والارتجاء ولامرما آثرناه واخترناه بعد أن استرشدنا الله سبحانه واستخرناه ومنه جل جلاله نرغب أن يخير لنا ولجميع المسلمين ويؤيد بنا من حمايته ووقايته الى معقل منيع وجناب رفيع آمين آمين آمين ونرجو أن يكون ربنا الذي هو في جميع الامور حسبنا قد خار لنا حيث أرشدنا وهدانا وساقنا توفيقه وحدانا الى الاستجارة بملك حفي كريم وفي أعز جار من أبي دواد وأحمى انفا من الحرث بن عباد يشهد بذلك الداني والقاصي والحاضر والباد ان أغاث ملهوفا فالاسود بن قنان يذكر وان انعش حشاشة هالك فكعب بن مامة على فعله وحده يشكر جليسه كجليس القعقاع بن شور ومذاكره كذا كر سفيان المنتسب من الرباب الى ثور الى الحلى بأمهات الفضائل التي أضدادها أمهات الرذائل وهي الثلاث الحكمة والعدل والعفة التي تشملها الثلاثة الاقوال والافعال والشمائل وينشأ منها ماشئت من عزم وحزم وعلم وحلم وتيقظ وتحفظ واتقاء وارتقاء وصول وطول وسماح نائل فبنور حلاه المشرق يفتخر المغرب على المشرق وبمجده السامي خطره في الاخطار وبيته الذي ذكره في النباهة والنباية قد طار يباهي جميع ملوك الجهات والاقطار وكيف لا وهو الرفيع المشمخر والنجار الراضع من الطهارة صفو ألبان الناشئ من السراوة وسط أحجار في ضنضئ المجد وبحبوحة الكرم وسراوة أسرة المملكة التي أكنافها حرم وذؤابة الشرف التي مجاذبتها لم ترم من معشر أي معشر بخلوا ان وهبوا مادون اعمارهم وجبنوا أن لم يحموا سوى ذمارهم بنومرين وما أدراك ما بنومرين

*سم العداة وآفة الجزر * النازلون بكل معترك * والطيبون معاقد الازر

لهم من المفوات انتقاء وعندهم من السير النبوية اكتفاء انتسبوا الى برين قيس فخرجوا في البر عن القيس مالهم القديم المعروف فدنفد في سبيل المعروف وحديثهم الذي نقلته الرجال الزحوف من طريق الفنا والسيوف على الحسن من المقاصد موقوف تحمد من صغيرهم وكبيرهم ذابلهم ولدنهم فلله آباء أنجبوهم وأمهات ولدنهم شم الانوف من الطراز الاول اليهم في الشدائد الاستناد وعليهم في الازمات المعول ولهم في الوفاء والصفاء والاحتفاء والعناية والحماية والرعاية الخطو الواسع والباع الاطول كما عناهم بقوله جرول

أولئك قوم ان بنوا أحسنوا البنا * وان عاهدوا اوفوا وان عقدوا شدوا
وان كانت النعماء فيهم جزوا بها * وان انعموا لا كدر وها ولا كدوا
وتعذلي ابناء سعد عليهم * وما قلت الا بالتي علمت سعد

وبقوله الوثيق مبناه البليغ معناه

قوم اذا عقدوا عقد الجار هم * شدوا العنا ج وشدوا فوقه الكربا

يزجون عن النزيل كل نازح فاصم وليس له منهم عائب ولا واصم فهو احق بما قاله في منقر قيس ابن عاصم

لا يغمطون لعيب جارهم * وهم يحفظ جوارهم فطن

في عنفوان حداثته حتى قال لانك جنيت كذا وكذا قال فهل جنيت أنت جناية قط غضب بها عليك مولاك قال عمر نعم قال فهل عجل عليك العقوبة قال اللهم لا قال العبد فلم تعجل على ولم يعجل عليك فقال له قم فانت حر لوجه الله وكان ذلك سبب توبته وكان عمر يكثر هذا الكلام في دعائه فيقول يا حليما لا يعجل على من عصاه

(وذكر جماعة من الاخباريين) أن عمر لما ولي الخلافة وفد عليه وفود العرب ووفد عليه وفد الحجاز فاختار الوفد غلاما منهم فقدموه عليهم ليبدأ بالكلام فلما ابتدأ الغلام بالكلام وهو أصغر القوم سنا قال عمر مهلا يا غلام ليتكلم من هو أسن منك فقال مهلا يا أمير المؤمنين انما المرء باصغريه لسانه وقلبه فاذا منح الله العبد لسانا لافظا وقلبا حافظا فقد استعد له الحليمة يا أمير المؤمنين ولو كان التقدم بالسن لكان في هذه الامة من هو أسن منك قال تكلم يا غلام قال نعم يا أمير المؤمنين نحن وفود التهنئة لا وفود المرزئة قدمنا اليك من بلدنا نحمد الله الذي من بك علينا لم نفخر جئنا اليك رغبة ولا رهبة أما حلاهم

الرغبة فقد أتانا منك الى بلدنا وأما الرهبة فقد أمنا الله بعدلك من جورك

حلاهم هذه الغريزة التي ليست باستكراه ولا جعل واميرالمؤمنين دام نصره قسيمهم فيها
ذو النعل بالنعل ثم هو عليهم وعلى من سواهم بالاوصاف الملوكية مستعل ارفض
بهم منه عن غيث ملث يمعو آثار الازبه وانشق غيلهم منه عن ليث صار منقبض على
أشنه للوثبه فقل لسكان الفلا لاتغرنكم اعدادكم وامدادكم فلا يبالى السرحان المواشى
واء مشى اليها النقرى او الجفلى بل يصدمهم صدمة تحطم منهم كل عرنين ثم يتلع بعد
حلاءهم المغفرة ابتلاع التنين فهو هو كما عرفوه وعهدوه والفوه اخوالمنايا وابن
حلا وطلاع الثنايا مجتمع اشده قداحتنكت سنه وبان رشده جاد مجد محترم بحزام
لحزم مشمر عن ساعد الجد

لايشرب الماء الامن قليب دم * ولايبيت له جار على وجل
سدى القلب آدمى الروا لابس جلد النمر يزدى العنا دوالنوا
وليس بشارى عليه دمامة * اذاماسعى يسعى بقوس وأسهم
ولكنه يسعى عليه مفاضة * دلاص كأعيان الجراد المنظم

فالنجاء النجاء سامعين له طائعين والوجل الوجل لاحقين به خاضعين قبل أن تساقوا اليه
مقرنين فى الاصفاد ويعيا الفداء بنفائس النفوس والاموال على الفاد حينئذ يعض ذو
الجهل والندامه على يديه حسرة وندامه اذا رأى أبطال الجنود تحت خوافق الرايات
والبنود قد لفحتهم نار ليست بذات خمود وأخذتهم صاعقة مثل صاعقة الذين من قبلهم
عاد وثمود زعقات توزالكتائب أزا وهمزا محققا للخيل بعد المد المشبع للاعنة همزا
وسلا للهندية سلا وهزا للغطية هزا حتى يقول النسر للذئب هل تحس منهم من أحد أو تسمع
لهم ركزا ثق خليفة الله بذلك فى كل من رام أذى رعيتك أو أذاك فتلك عادة الله سبحانه
وتعالى فى ذوى الشقاق والنفاق الذين يشقون عصا المسلمين ويقطعون طريق الرفاق
وينصبون حبائل البغى والفساد فى جميع النواحى والآفاق فلن يجعلهم الله عز وجل من
الآمنين أنى وكيف وقد أفسدوا وخانوا وهو سبحانه لايصلح عمل المفسدين ولايهدى
كيد الخائنين وهانحن قد وجهنا الى كعبة مجدكم وجوه صلوات التقديس والتعظيم
بمدساز يناه عاطفها باستعطافكم بدر ثناء أبهى من درا العقد النظيم منتظمين فى سلك
أوليائكم منشرفين بخدمة عليائكم ولافقد عزة ولاعدمها من قصد مثابتكم العزيزة
وخدمها وان المترامى على ساحتكم لجدير بحرمتكم واعتنائكم وكل ملهوف تبوأ من
كنفكم حصنا حصينا عاش بقية عمره مجبورا من الضيم مصونا وقد قيل فى بعض الكلام
من قعدت به نكاية الايام اقامته اغاثة الكرام ومولانا أيده الله تعالى ولى مايرفه
الينا من مكرمة بكر ويصطنعه لنا من صنيع حافل يخلد فى صحائف حسن الذكر ويروى
معنعن حديث جده وشكره طرس من قلم عن بنان عن لسان عن فكر وغير من ينام
عن ذلك فيوقظ ويسترسل مع الغفلة حتى يذكر بوعظ وماعهد منذ وجد الاسريعا الى
داعى الندى والتكرم بنا من الضجر بالمطالبة والتبرم حافظا للعار الذى أوصى النبى
صلى الله عليه وسلم بحفظه مستغرقا وسعه فى رعيه المستحفظه آخذا من حسن الثناء

فقال عظنا ياغلام وأوجز
قال نعم ياأمير المؤمنين ان
أناسا من الناس غرهم
حلم الله عنهم وطول أملهم
وحسن ثناء الناس عليهم
فلايغرنك حلم الله عنك
وطول أملك وحسن ثناء
الناس عليك فتزل قدمك
فنظر عمر فى سن الغلام فاذا
هو قد أتت عليه بضع
عشرة سنة فأنشأ عمر رحمه
الله يقول

تعلم فليس المرء يولد عالما
وليس أخو علم كمن هو جاهل
وان كبير القوم لاعلم عنده
صغير اذا التفت عليه المحافل

وقد كان رجل من أهل
العراق أتى المدينة فى طلب
جارية وصفت له فارتئة
فتوالته فسأل عنها فوجدها
عند قاضى المدينة فاتاه
وسأله أن يعرضها عليه
فقال ياعبد الله لقد أبعدت
الشقة فى طلب هذه
الجارية فما رغبتك فيها
لما رأى من شدة اعجابه بها
قال انها تغنى فتجيد فقال
القاضى ماعلمت بهذا فاتح
عليه فى عرضها فعرضت
بحضرته فتولاها القاضى
فقال لها الفتى هات فغنت
الى خالدى أنحن بخالد
فنعم الفتى يرجى ونعم المؤمل

ففرح القاضى بجاريته وسر بغنائها وغشيه من الطرب أمر عظيم حتى أقعدها على فخذه وقال

فى جميع الاوقات والآنات بحظه

فهو من دوحة السنا فرع عز * ليس يحتاج مجتنيه لمز
كعه فى الاحمال أغزر وبل * وذراه فى الخوف أمنع حرز
حلمه يسعر اسمه لك عنه * فتفهم يا مدعى الفهم لغزى
لا تسله شيأ ولا تستنله * نظرة منه فيك تغنى وتجزى
فنداه هو الفرات الذى قد * عام فيه الانام عوم الاوز
وحماه هو المنيع الذى تر * جع عنه الخطوب مرجع عجز
فدعوا ذهنه يزاول قولى * فهو أدرى بما تضمن رمزى
دام يحيى بكل صنع ومن * ويعافى من كل بؤس وبرز

وكأنه قد عمل على شاكلة جلاله من مدظلاله وتمهيد خلاله وتلقى ورودنا بحسن تهلله واستهلاله وتأنيسنا بجميل قبوله واقباله وايرادنا على حوض كوثره المترع بزلاله والله سبحانه يسعد مقامه العلى ويسعدنا به فى حله وارتحاله ومآله وحاله ويؤيد جنده المظفر ويؤيدنا بتأييده على نزال عدوه واستنزاله وهز ذوابل لاطفاء ذباله وهو سبحانه وتعالى المسؤل أن يريه قرة العين فى نفسه وأهله وخدامه وأمواله وأنظاره وأعماله وكافة شؤنه وأحواله وأحق ما تصل بالسلام وأولى على المقام الجليل مقام الخليفة المولى أزكى الصلاة والسلام على خاتمة أنبيائه وارساله سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى جميع أصحابه وآله صلاة وسلاما دائمين أبدا موصولين بدوام الابد واتصاله ضامنين لمجددهما ومردديهما صلاح فساد أعماله وبلوغ غاية آماله وذلك عشية الله تعالى واذنه وفضله وافضاله انتهى * وكاتب هذه الرسالة على لسان السلطان المخلوع قال الوادى آشى فى حقه انه امام هذه الصناعه وفارس حلبة القرطاس واليراعه وواسطة عقد البلاغة والبراعه الذى قطف الكمال لما نور ورتب محاسن البديع فى درر فقره وطور وغرف من بحر عجاج واقتطف من خاطر وهاج أبو عبد الله محمد بن عبد الله العربى العقيلى وما أحسن قوله فيمن قد ظفر به المسلمون

ألا رب مغرور تنصر ضلة * لحاق به شؤم الضلال وشره
فان يرتفع عندا النصارى بالابتدا * فكم عندنا من حذف لبن يجره

وقال الوادى آشى أيضا فى موضع آخر مانصه وشاعر العصر مالك زمامى النظم والنثر الفقيه العالم المتقن المتفنن العارف الاوحد النبيه النبيل سيدى محمد العربى وصل الله تعالى رفعة قدره وحرس من غير الايام أشعة بدره

الحب فى جمهور أنواره * فاين الاخوان والاحباب
وأين أين الاجتماعات قد * تهيأت لمن له الاسباب
وأين بنت الجبن لما بدت * طارت اليها شوقا الباب
وأين الالبان لأكوابها * فى برم الاوتار تسكاب
واللحم بالبساس قد ألفت * لطبخه فى القدر الاحطاب

حتى طرب عمر طربا بينا وأقبل يستعيدها ثلاثا وقد بلت دموعه لحيته ثم أقبل على القاضى فقال

والعود

والعود قد وجدته يطربي * آثارها للطير دبداب
وملح الاصوات قد طورحت * وجاء معبد وزرياب
وفض للهوى ختامهم * يسعد في وجه المروءة باب
وقيل للوقار قم قبل أن * تشاب عنك الآن الاثوب
وكل انسان وما يشتهي * ليس على مناه حجاب
مترسلا ليس له عذل * كلا ولا عليه رقاب
في راحة خلت أرسانها * لثناها تعصر الاعناب
في كل بستان قد استحدثت * فيه النواوير والاعشاب
واطلع التراب أدواحه * كأنها العرب الاراب
لما تحلت بحلى زهرها * داعلها بالحسن الاعجاب
عرائس ليس لها في سوى * مائه اذ يبسه خطاب
أعلام تبدى عمرات ندا * في جنباتهن الارطاب
كأنه في العين ياقوت او * كأنه في الفم جلاب
هيهات هيهات أمان لها * خلب برق لك خلاب
ماحوت الرؤس أمثالها * فكيف تحويهن الاثناب
قد عاق عن ذلك دهر به * تعدم الافراح والاطراب
يروم الانسان غلابا له * والدهر للانسان غلاب

وقال رحمه الله تعالى لما نزل النصارى لحاصرة عمورية

بالطبل في كل يوم * وبالنفير نراع وليس من بعد هذا * وذاك الا النزاع
يارب خيرك نرجو * من هيض منه الذراع لا تسلبنا صبرا * منه لقلبي ادراع

ولرحمه الله تعالى في الموشحات اليد الطولى فمن ذلك قوله

بدر أهل الزمان الرفيع القدر * لا تزل في أمان من كسوف البدر

وله من اخرى

هل يضع الامان من شبه البدر * وهو مثل الزمان متم للغدر
لم يغر الاغر غير غمر جاهل * عنه الحلوم وهو فيه ناهل
والصبا الغض غر وهو عنه ذاهل

رشف البهرمان فوق ثغر البدر * مطمع للامان باقتراب الدر

ه الله تعالى بهاتين الموشحتين الموشحة المشهورة

احل عن جمان سافر عن بدر * ضاق عنه الزمان وحواه صدري

هذه الموشحة ابن ارقم اذ قال

مبسم البهرمان في الحيا الدري * صاد قلبي وبان وأنا لم أدر

أن معارضة العربي أحسن من هذه وله ايضا معارضتان غير ما تقدم الاولى

بان لي ثم بان ذا الخد ود جر * يثني مثل بان في ثياب خضر

وغيرهما عن الزبير بن بكار عن عبد الله بن أحمد المدني قال كان بالمدينة فتى من بني أمية من ولد عثمان وكان طريفا يختلف الى قينة لبعض قريش وكانت الجارية تحبه ولا يعلم وتحبها ولا تعلم ولم تكن محبة القوم اذ ذاك لريبة ولا فاحشة فاراد يوما أن يسلو ذلك فقال لبعض من عنده امض بنا اليها فاطلقا ووافاهما وجوه أهل المدينة من قريش والانصار وغيرهما وما كان فيهم فتى يحبها وجده ولا تجد بواحد منهم وجدها بالاموي فلما أخذ الناس مواضعهم قال لها الفتى اتحبين أن تقولين أحبكم جميعا بكل جوارحي فهل عندكم علم بما لكم عندي أتجزون بالود المضاعف مثله فان كريما من يرى الود بالود قالت نعم وأحسن أحسن منه وقالت للذي ودها المودة بالصحبة وتمثل البادي به لا تجزي لو بلوناكم ملاما الا صبوا وتصابوا شأنها الخلا

والثانية قوله

هل درى الظبي الخ

ومن نظم العرب المذكور لما عرض على السلطان بريلة كتاب من قصيدة

ومنها

ومنها

ومنها

ومنها

ومنها

وآخرها

ولنختم هذه الرحلة بقوله

سبحان وارث الارض ومن عليها وهو خير

الوارثين والحمد لله رب العالمين

(تم الجزء الثاني ويليه الجزء الثالث وأوله القسم الثاني)